ضعيف

تاريخ الطبري

الخلافة الراشدة

للإمام أبي جعفر بن جرير الطبري
(٢٢٤ - ٣١٠ هـ)

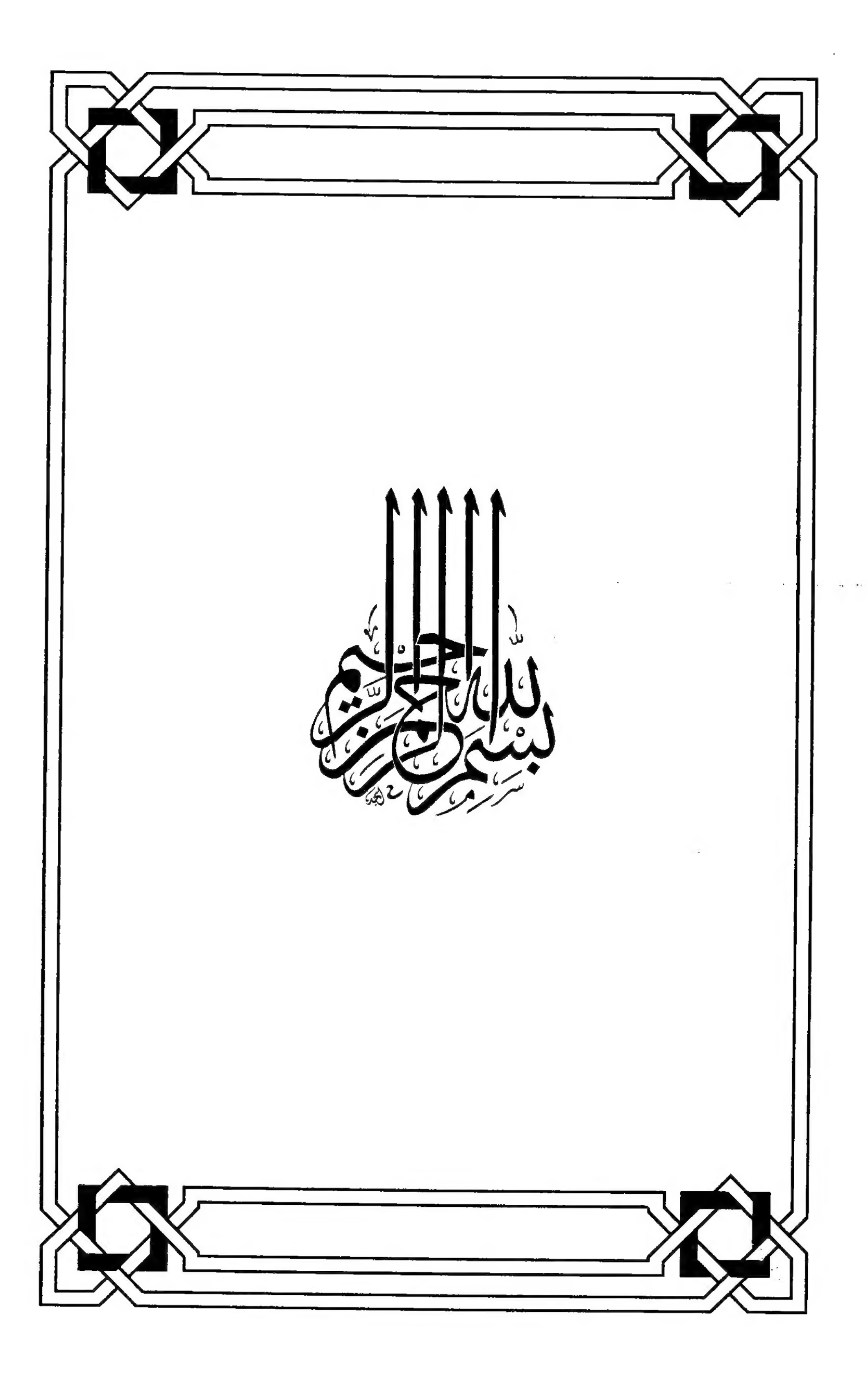
حققه وخرج رواياته وعلق عليه
محمد بن طاهر البرزنجي

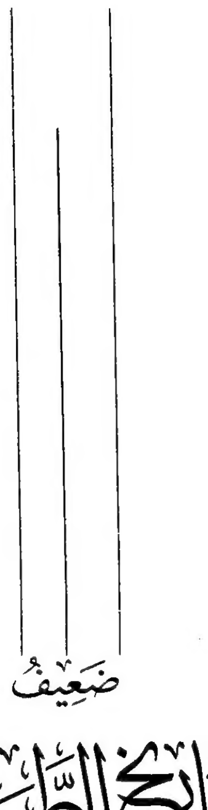
بإشراف ومراجعة المحقق
محمد صبحي حسن حلاق

المجلد الثامن



دمشق - بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم


ضعيف


تاريخ الطبري
الخلافة الراشدة



الطبعة الأولى

1428 هـ - 2007 م



للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق - بيروت

الرقم الدولي :

الموضوع : تاريخ

العنوان : صحيح و ضعيف تاريخ الطبري 1\10

التأليف : الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

نوع الورق : أبيض

ألوان الطباعة : لونان

عدد الصفحات : 5616

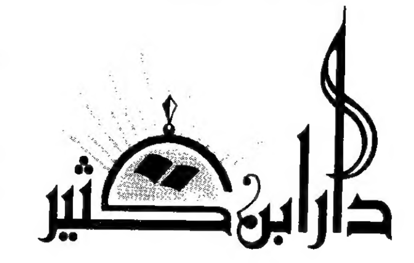
القياس : 17×24

نوع التجليد : فني - كعب لوحة

الوزن : 10 كغ

التنفيذ الطباعي : مطابع المستقبل

التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد



دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي

ص.ب : 311 - هاتف : 2225877 - 2228450 - فاكس : 2243502

بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 - تلفاكس : 01/817857 - جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com

مقدمة

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ونستغفرُه ، وتعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يضلِلْ فلا هاديَ له ، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب ٧٠ ـ ٧١] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وأحسنَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ ، وشر الأمور محدثاتُها وكل محدثةٍ بدعة ، وكلَّ بدعة ضلالةٌ ، وكلَّ ضلالةٍ في النار» .

وبعد :

فإن التاريخ الإسلامي لم ينل حقه من التمحيص والتحقيق والتخريج كما نالت العلوم الإسلامية الأخرى ، فدخل فيه الغث والسمين والصحيح والباطل . كما لعبت أسباب عديدة وغايات مختلفة ، وأغراض متباينة منها السياسية ، ومنها العصبية الجنسية والطائفية ، ومنها الزندقة والإلحاد ، ومنها الثأر للفارسية والرومية وغيرها في تحريف التاريخ وتشويه حقائقه ، وإظهاره بغير الوجه

الصحيح المشرق ، الذي أنار للعالم الطريق إلى السعادة والسؤدد .

ومن فضل الله علينا وعلى العالم أجمع أن أكرمنا الإسناد الذي هو من الدين فقد قال ابن المبارك[١] : «الإسنادُ من الدين، ولولا الإسنادُ لقال من شاء ما شاء» ا هـ.

وقال سفيان الثوري[٢] : «الإسناد سلاحُ المؤمن ، فإذا لم يكن معه سلاح فأي شيءٍ يقاتل؟» ا هـ.

وقال الأوزاعي[٣] : «وما ذهاب العلم إلاَّ ذهاب الإسناد» ا هـ.

وقال سفيان بن عيينة[٤] ؛ «حدث الزهري يوماً بحديث فقلت: هاته بلا إسناد ، فقال الزهري: «أيرقى السطح بلا سلم؟»» .

وقال بقية: ذاكرت حماد بن زيد أحاديث. فقال: ما أجود أحاديثك لو كان لها أجنحة ، يعني: الأسانيد[٥] .

وقال الشافعي: «الذي يطلب العلم بلا سند كحاطب ليل ، يحمل حزمة حطب وفيه أفعى وهو لا يدري»[٦] .

وقال علي القاري: «أصلُ الإسناد خصيصةٌ فاضلةٌ من خصائص هذه الأمة وسنةٌ بالغةٌ من السنن المؤكدة ، بل من فروضِ الكفاية ، وطلبُ العُلو أمرٌ مطلوب وشأن مرغوب»[٧] .

وقال أبو العباس الدَّغولي: «سمعت محمد بن حاتم بن المظفَّر يقول: «إن الله تعالى قد أكرمَ هذه الأمة وشرَّفها وفضَّلها بالإسناد. وليس لأحد من الأمم كلّها

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحة (١/ ٨٧) وانظر علل الترمذي (١/ ٣٥٩) والكفاية للخطيب ص ٣٩٣.

(٢) أخرجه ابن حبان في كتابه «المجروحين» (١/ ٢٧) وانظر علل الترمذي (١/ ٣٦٠).

(٣) علل الترمذي (١/ ٣٦٠).

(٤) علل الترمذي (١/ ٣٦٠).

(٥) شرح علل الترمذي (١/ ٣٦١).

(٦) فيض القدير. للمناوي (١/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤).

(٧) شرح شرح النخبة ص ١٩٤ .

قديمها وحديثها إسناد موصول. إنما هو صحف في أيديهم وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم[١].

وقال الإمام اللكنوي[٢]: «فهذه العبارات بصراحتها أو بأشارتها تدلُّ على أنه لا بدَّ من الإسناد في كل أمرٍ من أمور الدين، وعليه الاعتماد، أعمُّ من أن يكون ذلك الأمرُ من قبيل الأخبار النبوية، أو الأحكام الشرعية، أو المناقب والفضائل، والمغازي والسير والفواضل، وغير ذلك من الأمور التي لها تعلُّقٌ بالدين المتين والشرع المبين، فشيء من هذه الأمور لا ينبغي عليه الاعتماد ما لم يتأكد بالإسناد لا سيما بعد القرون المشهود لهم بالخير» اهـ.

وإن تأريخ الإمام الطبري من أوسع المصادر التأريخية المتقدمة وأكثرها اعتناءً بالإسناد، إلا أن الطبري رحمه الله اعتمد في تأريخ حروب الردة وفتوح الشام والعراق ومجريات الأحداث في هذا العهد ـ عهد الخلفاء الراشدين ـ على مرويات سيف بن عمر التميمي وبكثرة، وكذلك اعتمد مرويات أبي مخنف، ومعلوم أن أئمة الجرح والتعديل أجمعوا على تضعيف أبي مخنف[٣].

قال ابن حبان: «رافضي يشتم الصحابة ويروي بالموضوعات عن الثقات» «لسان الميزان» (٤/ ٣٦٦).

وقال ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢١١٠): «حدَّث بأخبار من تقدم من السلف الصالحين، ولا يبعد منه أن يتناولهم وهو شيعي محترق صاحب أخبارهم.

وقال أبو حاتم في «الجرح والتعديل» (٧/ ١٨٢): «متروك الحديث». قلنا: ولذلك وضعنا معظم روايات أبي مخنف في قسم الضعيف هذا.

وبينا ما في متونها من نكارة، ولم نجد له إلا روايات قليلة جداً توافق ما رواه الثقات، ولم نُطل كثيراً في نقد رواياته فقد كفانا الأستاذ يحيىٰ اليحيى ذلك في

---

(١) المواهب اللدنية بشرح الزرقاني (٥/ ٤٥٣).

(٢) في الأجوبة الفاصلة ص ٢٧ تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة.

(٣) انظر ترجمته والكلام عليه في كتابنا رجال تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري جرحاً وتعديلاً» في حرف اللام: لوط بن يحيى ـ أبو مخنف ـ.

كتابه القيم «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ـ عصر الخلافة الراشدة ـ دراسة نقدية».

أما بالنسبة لروايات سيف بن عمر التميمي وهو الأكثر وروداً في عهد أبي بكر الصديق عند الطبري ، فقد وضعنا منهجاً نرجو أنَّا قد التزمنا به في تحقيقنا هذا.

وقبل ذكر شروطنا في التفاصيل مع مرويات سيف لا بد أن نذكر أقوال العلماء فيه باختصار.

* أما في الحديث فهو ضعيف عند جمهور النقاد.

قال الدارقطني: ضعيف. (التهذيب ٤/ ٢٩٦).

وقال النسائي: ضعيف. (الضعفاء والمتروكين/ ٥١).

وقال ابن حبان: اتهم بالزندقة وكان يضع الحديث. (المجروحين ١/ ٣٤٥).

وقد اعترض ابن حجر على ابن حبان فقال في التقريب (١/ ٢٦٢) أفحش ابن حبان القول فيه.

* أما بالنسبة للروايات التأريخية ، فقد قال ابن حجر في التقريب: (عمدة في التأريخ) وقال الذهبي: كان أخبارياً عارفاً. الميزان (٢/ ٢٥٥) ولذلك قال عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى (قسم التأريخ الإسلامي) د. خالد الغيث: ينقسم الحديث عن درجة سيف العلمية إلى قسمين:

(الأول): يتعلق بسيف المحدث.

(والثاني): يتعلق بسيف الأخباري (استشهاد عثمان وموقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري ـ دراسة نقدية/ ٢٨).

ويرى المؤرخ الإسلامي المعاصر الأستاذ العمري أن سيفاً هذا ضعيف جداً في التأريخ.

قلنا: من أجل ما سبق وضعنا بعضاً من روايات سيف في قسم الصحيح بشروط:

١ ـ إن وجدنا لها أصلاً صحيحاً ابتداءً بالبخاري ومروراً ببقية كتب الحديث وانتهاءً بالمصادر التأريخية الموثوقة.

٢ ـ إن تأكدنا من خلوّ تلك الروايات مما يتعلق بالمسائل العقيدية والحلال والحرام.

٣ ـ إن تأكدنا من خلوّ تلك الروايات من طعن في عدالة الصحابة أو غمز ولمز بهم وبتعاملهم مع بعضهم البعض.

٤ ـ إن تأكدنا من خلوّ تلك الروايات من الانحياز إلى اتجاه سياسي معروف في عهد الخلفاء الراشدين.

أما بقية الروايات (وهي الأكثر) فقد وضعناها في الضعيف وبيّنا ما فيها من نكارة أو غرابة. ولقد أسهب الدكتور خالد الغيث في تقييمه لروايات سيف في رسالته الجامعية فلا نريد أن نذكر تفاصيل ذلك إلاّ أنّا نضيف معلقة صغيرة فيما يتعلق بالطعون الواردة في روايات سيف ونعني (الطعن في عدالة الصحابة) وهو أن البلاء ليس من سيف فحسب وإنما أكثر البلاء من تلميذه وراويته شعيب وأغلب الروايات من طريقه فهو المعروف بتحامله على الصحابة (ليس بالمعروف وله أحاديث وأخبار وفيها بعض النكارة وفيها تحامل على السلف/ اللسان ٣/ ١٤٥).
واعتبرنا هذه الطريق (طريق شعيب عن سيف) أشد مرويات سيف ضعفاً عند الطبري. أما أقل مرويات سيف ضعفاً أو أصحها (وليس صحيحها) فهو طريق: (حدثنا عبيد الله قال حدثني عمّي قال حدثنا سيف) والله أعلم.

ثانياً: أما فيما يتعلق بالمصادر التي اعتمدنا عليها في تقسيمنا لمرويات الطبري التأريخية فهي كما يلي:

١ ـ تأريخ خليفة بن خياط: فهو مؤرخ معتمد ثقة توفي (٢٤٠ هـ) أي بعد أن بدأ الطبري بطلب الحديث بأربع سنوات ـ وهو يدرس التأريخ دراسة حولية بالإضافة إلى كتابته التأريخ بصيغة أخرى هي تدوين التأريخ من خلال دراسة الشخصيات التأريخية: الأنبياء، ثم الصحابة، ثم أئمة التابعين، وذلك في كتابه القيم المعروف (طبقات خليفة).

٢ ـ فتوح البلدان للبلاذري: والذي اهتم اهتماماً بالغاً بتأريخ الفتوح وهو يعتمد الإسناد كسلفه خليفة، إلاّ أن خليفة يذكر الإسناد ويعتمده أكثر من البلاذري الذي توفي (٢٧٩ هـ) وكذلك اعتمد البلاذري الإسناد في دراسته

لشخصيات الصحابة في كتابه التأريخي القيّم (أنساب الأشراف).

٣ ـ والمصدر الثالث الذي اعتمدناه في مقارنتنا لروايات الطبري التأريخية هو (الطبقات الكبرىٰ لابن سعد) وإن كان ابن سعد يعتمد كثيراً على شيخه الواقدي، وهو متروك ولهذا لم نعتمد هذه الروايات إلاّ ما كان له متابعة أو شاهد.

٤ ـ ومن المصادر المتقدمة الأخرىٰ التي اعتمدناها في تحقيقنا لمرويات الطبري التاريخية (كتاب المعرفة والتأريخ) ليعقوب بن سفيان وكذلك (الأخبار الطوال) للدينوري ت (٢٨٢ هـ).

٥ ـ ومعلوم أن عدداً من المؤرخين الثقات برزوا في القرون التالية ومنهم ابن عساكر الذي عاش في القرن الخامس الهجري واشتهر كتابه تأريخ دمشق وهو بحق سفر تأريخي قيّم اعتمد فيه الإسناد ورجّح أحياناً بين الروايات التأريخية فذكرنا ترجيحاته واعتمدنا مختصر تأريخه (لابن منظور رحمه الله) وكذلك راجعنا روايات الكلاكي في كتابه (الاكتفاء) وابن الجوزي في كتابه المعروف (المنتظم).

٦ ـ أما بالنسبة للأئمة المتأخرين الذين برزوا في التأريخ بالإضافة إلىٰ كونهم أئمة في الحديث فقد اعتمدنا تأريخ الإسلام للذهبي وذكرنا أحياناً تصحيحاته وتعليقاته على الروايات التأريخية، وكذلك اعمدنا (البداية والنهاية لابن كثير) وذكرنا ترجيحات ابن كثير وتصويباته.

٧ ـ أما بالنسبة للحافظ ابن حجر فقد اعتمدنا علىٰ كتابه (الإصابة في تمييز الصحابة) وخاصة فيما يذكره عن تأريخ الصحابة واشتراكهم في حروب الردة ومعارك الفتوح مشيراً إلىٰ روايات الأئمة المحدثين المتقدمين في كتبهم التي اطلع عليها ذاكراً أسانيدهم فنذكرها بأسانيدها وهو أحياناً يحكم علىٰ هذه الأسانيد وأحياناً يسكت عنها (من أمثال ما كتبه ابن السكن، وابن شاهين، وابن مندة، وغيرهم).

٨ ـ وأخيراً فقد رجعنا فيما رجعنا إليه إلىٰ كتاب تأريخ الخلفاء للسيوطي.

٩ ـ أما ما يتعلق بالصحاح والمسانيد والسنن والمستدركات والمصنفات كمصنف ابن أبي شيبة وغيره ففيها روايات تأريخية قليلة جداً بالنسبة لمرويات الطبري وغيره ولكننا ذكرناها قبل غيرها فهي لنا كالكنز الثمين لأنها مسندة

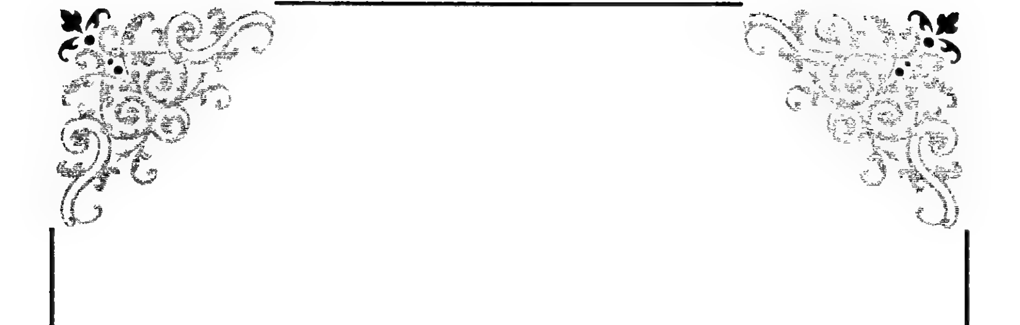
موصولة ورجال أسانيدها ثقات في الغالب.

١٠ ـ وكنَّا نتمنىٰ أن نطلع على ما كتبه الأستاذ الفاضل العمري في كتابه (تأريخ الخلفاء الراشدين) فهو مؤرخ معاصر معروف بتحرّيه للروايات المسندة الصحيحة في التأريخ ونرجو أن نحصل عليه لاحقاً إن شاء الله ومع ذلك فقد اطلعنا على بعض الرسائل الجامعية القيمة (مرويات أبي مخنف، مرويات سيف بن عمر، موقف الصحابة في الفتنة، عبد الله بن سبأ، .... إلخ من الرسائل التي تطرقنا إلىٰ ذكرها أثناء التحقيق).

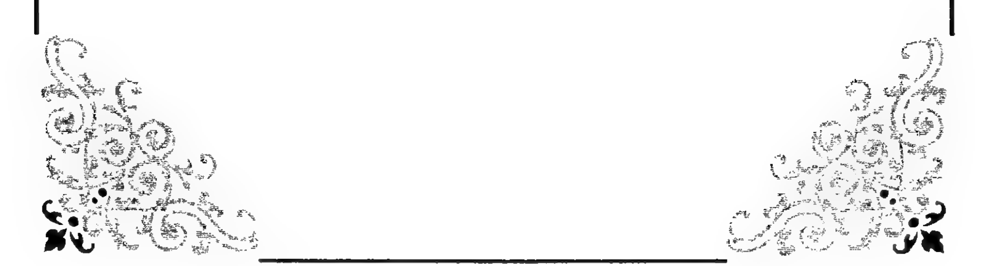
وكذلك اطلعنا على ما كتبه الاستاذ المؤرخ باشميل عن فتوح الشام فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء ولا ندعي أننا أصبنا كبد الحقيقة في تحقيقنا للروايات التأريخية ولكنّا حاولنا جهد المستطاع أن نظهر للقارىء الكريم عظمة التأريخ الإسلامي الذي طالما شوّهه المستشرقون حسداً وحقداً وعدواناً فإن أصبنا في شيء فمن الله التوفيق، وإن أخطأنا فمن عند أنفسنا ونستغفر الله.

المحققان





ضعيف
تاريخ أبي بكر الصديق رضي الله عنه



١ ـ حدثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا جرير عن مغيرة ، عن أبي معشر زياد بن كُلَيب ، عن أبي أيوب ، عن إبراهيم ، قال: لما قُبِض النبيُّ ﷺ كان أبو بكر غائباً ، فجاءَ بعد ثلاث ، ولم يجترىء أحدٌ أن يكشِفَ عن وجهه ، حتى اربدَّ بطنهُ ، فكشف عن وجهه ، وقبَّل بين عينيه ، ثم قال: بأبي أنت وأميّ! طبْت حيّاً وطبت مَيْتاً! ثم خرج أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: مَنْ كان يعبدُ الله فإنْ الله حيٌّ لا يموت ، ومَنْ كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات. ثم قرأ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾. وكان عمر يقول: لم يمتُ؛ وكان يتوعّد الناس بالقتل في ذلك.

فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعِدة ليبايعوا سعدَ بن عُبادة ، فبلغَ ذلك أبا بكر ، فأتاهم ومعه عُمر وأبو عبيدة بن الجرّاح ، فقال: ما هذا؟ فقالوا: منّا أميرٌ ومنكم أمير ، فقال أبو بكر: منّا الأمراء ومِنْكم الوزراء.

ثم قال أبو بكر: إنيّ قد رضيتُ لكم أحدَ هذيْن الرجُلين: عمر أو أبا عبيدة ، إنْ النبيّ ﷺ جاءَه قومٌ فقالوا: ابعث معنا أميناً فقال: لأبعثَنَّ معكم أميناً حق أمين ، فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح؛ وأنا أرضَى لكم أبا عُبيدة. فقام عمر ، فقال: أيّكمُ تطيب نفسه أن يخلُف قَدَمَيْن قدَّمهما النبيّ ﷺ ! فبايعه عمر وبايعه الناس ، فقالت الأنصار ـ أو بعض الأنصار؛ لا نبايع إلاّ عليّاً[1].

(٣/ ٢٠١ ـ ٢٠٢).

٢ ـ حدَّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا جرير عن مغيرة ، عن زياد بن كليب ، قال: أتى عمرُ بن الخطاب منزلَ عليّ وفيه طلحة والزبير ورجالٌ من المهاجرين ، فقال: والله لأحِرقنَّ عليكم أو لتخرُجُنَّ إلى البَيْعة ، فخرج عليه الزبيرُ مُصْلِتاً بالسيف ، فعثر فسقط السَّيْف من يده ، فوثبوا عليه فأخذوه[2]. (٣: ٢٠٢).

٣ ـ حدّثنا زكرياء بن يحيى الضرير ، قال: حدثنا أبو عوَانة ، قال: حدثنا

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه بعض مخالفة لما ورد في الروايات الصحيحة لحديث السقيفة كما سيأتي ذكره.

(٢) إسناده معضل وفي متنه نكارة.

داود بن عبد الله الأوْدِيّ ، عن حُمَيد بن عبد الرحمن الحميريّ ، قال: تُوُفيَ رسولُ الله ﷺ وأبو بكر في طائفة من المدينة ، فجاء فكشف الثوبَ عن وجهْه فقبّله ، وقال: فداك أبي وأمي! ما أطيَبَك حيّاً وميتاً! مات محمدٌ وربِّ الكعبة! قال: ثم انطلق إلى المنبر ، فوجد عمر بن الخطاب قائماً يُوعِد الناس ، ويقول: إنَّ رسولَ الله ﷺ حيٌّ لم يمت ، وإنه خارج إلى من أرْجَفَ به ، وقاطع أيدَيهم ، وضارب أعناقهم ، وصالبهم ، قال: فتكلّم أبو بكر ، وقال: أنِصتْ. قال: فأبى عمر أن يُنصِت ، فتكلّم أبو بكر ، وقال: إن الله قال لنبيّه ﷺ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾. ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ . . . ﴾ ، حتى ختم الآية ، فمن كان يعبدُ محمداً فقد مات إلهه الذي كان يعبُده ، ومَنْ كان يعبد الله لا شريك له ، فإن الله حيٌّ لا يموت.

قال: فحلف رجالٌ أدركناهم من أصحاب محمد ﷺ: ما علمنا أنّ هاتين الآيتين نزلَتا حتى قرأهما أبو بكر يومئذ ، إذ جاء رجل يسعَى فقال: هاتِيكَ الأنصار قد اجتمعتْ في ظُلّةِ بني ساعدة ، يبايعون رجلاً منهم ، يقولون: منّا أميرٌ ومن قريش أمير ، قال: فانطلق أبو بكر وعمر يتقاوَدان حتى أتياهم ، فأراد عمر أن يتكلّم ، فنهاه أبو بكر ، فقال: لا أعصى خليفة النبيّ ﷺ في يوم مرّتَيْن.

قال: فتكلّم أبو بكر ، فلم يترك شيئاً نزل في الأنصار ، ولا ذكره رسولُ الله ﷺ من شأنهم إلاّ وذكره. وقال: لقد علمتمْ أنّ رسولَ الله قال: لو سلك النَّاس وادياً وسلكت الأنصارُ وادياً سلكتُ واديَ الأنصار ، ولقد علمتَ يا سعد أن رسول الله قال وأنت قاعدٌ: قريش ولاةُ هذا الأمر ، فبَرُّ الناس تَبَعٌ لبَرّهم ، وفاجرهم تبعٌ لفاجرهم ، قال: فقال سعد: صدقتَ ، فنحن الوزراء وأنتم الأمراء ، قال: فقال عمر: ابسُطْ يدك يا أبا بكر فلأبايعك ، فقال أبو بكر: بل أنت يا عمر ، فأنت أقوَى لها منِّي ، قال: وكان عمر أشدّ الرجلين ، قال: وكان كلُّ واحد منهما يريد صاحبّه يفتح يده يضرب عليها ، ففتح عمر يد أبي بكر وقال: إن لك قوّتي مع قوتّك. قال: فبايع الناسُ واستثبتوا للبيعة ، وتخلّف عليّ والزّبير ، واخترط الزُّبير سيفه ، وقال: لا أغمده حتى يُبايَع عليٌّ ، فبلغ ذلك أبا بكر وعمر ، فقال عمر: خُذُوا سيفَ الزُّبير ، فاضربوا به الحجَر ، قال:

فانطلق إليهم عمر، فجاء بهما تبعاً، وقال لتبايعان وأنتما طائعان، أو لتبايعان وأنتما كارهان! فبايعا[١]. (٣/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣).

٤ ـ حدثنا عُبيد الله بن سعيد الزهريّ، قال: أخبرنا عمي يعقوب بن إبراهيم قال: أخبرني سَيْفُ بن عمر عن الوليد بن عبد الله بن أبي ظَبْيَة البَجَليّ، قال: حدّثنا الوليد بن جُمَيْع الزُّهريّ، قال: قال عمرو بن حريث لسعيد ابن زيد: أشهدت وفاةَ رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: فمتى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسولُ الله ﷺ كرهوا أن يبقوْا بعض يوم وليسوا في جماعة، قال: فخالف عليه أحدٌ؟ قال: لا إلا مرتدٌّ أو مَنْ قد كاد أن يرتدّ، لولا أنّ الله عزّ وجلّ ينقذهم من الأنصار، قال: فهل قعد أحد من المهاجرين؟ قال: لا، تتابع المهاجرون على بيعته، من غير أن يدعوهم[٢]. (٣: ٢٠٧).

٥ ـ حدثني محمد بن عثمان بن صفوان الثقفيّ، قال: حدثنا أبو قُتيبة، قال: حدثنا مالك ـ يعني ابن مِغْوَل ـ عن ابن الحرّ، قال: قال أبو سفيان لعليّ: ما بالُ هذا الأمر في أقلّ حيّ من قريش! والله لئن شئت لأملأنّها عليه خيلاً ورجالاً! قال: فقال عليٌّ: يا أبا سفيان! طالما عاديتَ الإسلام وأهلَه فلم تضرّه بذاك شيئاً! إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً[٣]. (٣: ٢٠٩).

٦ ـ حدّثني محمد بن عثمان الثَّقَفِيّ، قال: حدّثنا أميّة بن خالد، قال: حدثنا حمّاد بن سلَمة، عن ثابت، قال: لما استخلف أبو بكر قال أبو سُفيان: ما لَنا ولأبي فَصيل؛ إنما هي بنو عبد مناف! قال: فقيل له: إنه قد ولّى ابنَك، قال: وصَلَتْه رَحِم![٤] (٣: ٢٠٩).

٧ ـ حُدّثت عن هِشام، قال: حدّثني عَوَانَة، قال: لما اجتمعَ الناسُ على بيعة أبي بكر، أقبل أبو سفيان؛ وهو يقول: والله إنّي لأرَى عجاجةً لا يطفئها إلاّ دم!

---

(١) إسناده مرسل وفي متنه نكارة.

(٢) إسناده ضعيف ففيه سيف بن عمر، ضعفه ابن معين (التأريخ ٢/ ٢٤٥) والنسائي (الضعفاء والمتروكين/ ١٢٣) والدارقطني (الضعفاء والمتروكين/ ٢٤٣) وقال أبو حاتم: متروك يشبه حديثه حديث الواقدي (الجرح والتعديل ٤/ ٢٧٨).

(٣) حديث ضعيف وفي متنه نكارة.

(٤) حديث ضعيف وفي متنه نكارة.

يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم! أين المستضعَفان! أين الأذلان عليّ والعباس! وقال: أبا حسنٍ! ابسُط يدك حتى أبايعَك فأبى عليٌّ عليه، فجعل يتمثل بشعر المتلمّس:

ولَـنْ يُقِيـمَ عَلَـى خَسْـفٍ يُـرادُ بِـهِ إلاَّ الأذلاّنِ عَيْـرُ الحَـيِّ وَالـوَتِـدُ
هٰـذَا عَلَـى الْخَسْفِ مَعْكُوسٌ بـرُمَّتِـه وذَا يُشَـجُّ فَـلا يَبكـي لَـهُ أحَـدُ

قال: فزجره عليّ، وقال: إنك والله ما أردتَ بهذا إلا الفتنة. وإنك والله طالما بغيتَ الإسلامَ شرّاً! لا حاجة لنا في نصيحتك.

قال هشام بن محمّد: وأخبرني أبو محمد القرشيّ، قال: لما بويع أبو بكر، قال أبو سفيان لعليّ والعباس: أنتما الأذلاّن! ثم أنشد يتمثّل:

إنَّ الهـوَانَ حِمَـارُ الأهـلِ يعْـرِفُـه وَالحُـرُّ يَنْكَـرُهُ والـرَّسْلَـةُ الأُجُـدُ
ولاَ يُقيـمُ علَـى ضَيْـمٍ يُـرَادُ بِـهِ إلا الأَذَلاَّنِ عَيْـرُ الحَـيِّ والـوَتـدُ
هٰـذَا عَلـى الخَسْفِ معكـوسٌ بـرُمَّتِـه وذَا يُشَـجُّ فَـلا يَبكـي لَـه أحـد[١]

(٣: ٢٠٩ ـ ٢١٠).

٨ ـ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق، عن الزهريّ، قال: حدّثنا أنس بن مالك، قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة، وكان الغدُ، جلَس أبو بكر على المِنبَر، فقام عُمر فتكلّم قبل أبي بكر؛ فحمد اللهَ وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس! إنّي قد كنتُ قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلا عن رأيي، وما وجدتُها في كتاب الله، ولا كانت عهداً عَهِده إليَّ رسولُ الله ﷺ؛ ولكني قد كنت أرى أنّ رسول الله سيدبّر أمرنا؛ حتى يكون آخرَنا، وأنّ الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هَدى به رسول الله فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هَداه له؛ وإنّ الله قد جمع أمركم على خيركم؛ صاحب رسول الله، وثاني اثنين إذْ هما في الغار؛ فقوموا فبايعوا. فبايع الناس أبا بكر بيعة العامّة بعد بيعة السقيفة.

ثم تكلّم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهلُه، ثم قال: أما بعدُ أيها الناس؛ فإني قد وُلّيتُ عليكم ولستُ بخيرِكم؛ فإن أحسنت فأعينوني؛ وإن أسأت

---

(١) حديث ضعيف وفي متنه نكارة.

فقَوّموني. الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قويٌّ عندي حتى أريح عليه حقّه إن شاء الله، والقويُّ منكم الضعيف عندي حتى آخذَ الحقّ منه إن شاء الله. لا يَدَع أحدٌ منكم الجهاد في سبيل الله؛ فإنه لا يَدعُه قوم إلاّ ضربهم الله بالذلّ، ولا تشيع الفاحشة في قومٍ إلاّ عمَّهم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله؛ فإذا عصيتُ الله ورسوله؛ فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله![1] (٣: ٢١٠).

ذكر الخبر عما جرى
بين المهاجرين والأنصار في أمر الإمارة في سقيفة بني ساعدة

٩ ـ حدّثنا هشام بن محمد، عن أبي مخنْف، قال: حدّثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاريّ: أنّ النبيّ ﷺ لما قُبِض اجتمعت الأنصارُ في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: نُولّي هذا الأمر بعد محمد عليه السلام سعدَ بن عبادة، وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض؛ فلما اجتمعوا قال لابنه أو بعض بني عمّه: إنّي لا أقدِر لشكوايَ أن أسمع القوم كلّهم كلامي؛ ولكن تَلَقَّ منّي قولي فأسْمِعْهموه؛ فكان يتكلّم ويحفظ الرجل قوله، فيرفع صوتَه فيسمع أصحابه، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: يا معشر الأنصار! لكم سابقةٌ في الدين وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب؛ إنّ محمّداً عليه السلام لَبِث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرّحمن وخلْع الأنداد والأوثان؛ فما آمن به من قومه إلا رجالٌ قليل؛ وكان ما كانوا يقدرون على أن يمنعُوا رسولَ الله؛ ولا أن يُعزُّوا دينَه، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضَيْماً عُمُّوا به؛ حتى إذا أراد بكم الفضيلةَ، ساق إليكم الكرامةَ وخصّكم بالنعمة، فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله، والمنعَ له ولأصحابه، والإعزازَ له ولدينه؛ والجهادَ لأعدائه؛ فكنتم أشدَّ الناس على عدوّه منكم، وأثقلَه على عدوّه من غيركم؛ حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً؛ وأعطى البعيدُ المقادةَ صاغراً داخراً؛ حتى أثخن الله عز وجلّ لرسوله بكم الأرض، ودانت بأسيافكم له العرب؛ وتوفّاه الله وهو عنكم راض؛ وبكم قرير عين. استبدّوا بهذا الأمر فإنّه لكم دون الناس.

---

(١) حديث ضعيف وفي متنه نكارة.

فأجابوه بأجمعهم: أن قد وُفِّقتَ في الرأي وأصبت في القول، ولن نعدُوَ ما رأيت، ونولِّيك هذا الأمر، فإنك فينا مَقْنَعٌ ولصالح المؤمنين رضا. ثم إنهم ترادُّوا الكلامَ بينهم، فقالوا: فإن أبَتْ مهاجرة قريش؟ فقالوا: نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأوّلون؛ ونحن عشيرته وأولياؤه؛ فعَلامَ تنازعوننا هذا الأمر بعده! فقالت طائفة منهم: فإنّا نقولُ إذاً: منَّا أميرٌ ومنكم أميرٌ؛ ولن نرضى بدون هذا الأمر أبداً. فقال سعدُ بن عبادة حين سمعها: هذا أول الوهَن!

وأتى عمرَ الخبرُ، فأقبل إلى منزل النبيّ ﷺ، فأرسل إلى أبي بكر وأبو بكر في الدار وعلي بن أبي طالب عليه السلام دائب في جِهاز رسولِ الله ﷺ؛ فأرسل إلى أبي بكر أن اخرج إليّ، فأرسل إليه: إنّي مشتغل؛ فأرسل إليه أنه قد حدَث أمرٌ لا بدّ لك من حضوره؛ فخرج إليه، فقال: أمَا علمتَ أنّ الأنصار قد اجتمعت في سَقيفة بني ساعدة، يريدون أن يولُّوا هذا الأمر سعدَ بن عبادة؛ وأحسنهم مقالةً مَنْ يقول: منّا أمير ومِنْ قريش أمير! فمضيا مسرعين نحوهم؛ فلقيَا أبا عُبيدة بن الجراح؛ فتماشَوْا إليهم ثلاثتُهم، فلقيَهم عاصم بن عديّ وعُوَيمُ بن ساعدة، فقالا لهم: ارجعوا فإنه لا يكون ما تريدون، فقالوا: لا نفعل، فجاؤوا وهم مجتمعون. فقال عمر بن الخطاب: أتيناهم ـ وقد كنت زوَّرت كلاماً أردت أن أقوم به فيهم ـ فلما أن دفعتُ إليهم ذهبتُ لأبتدىء المنطق، فقال لي أبو بكر: رُوَيداً حتى أتكلّم ثم انطقْ بعد بما أحببت. فنطق، فقال عمر: فما شيء كنتُ أردت أن أقوله إلاّ وقد أتى به أو زاد عليه.

فقال عبد الله بن عبد الرحمن: فبدأ أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنّ الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقه، وشهيداً على أمته، ليعبُدوا الله ويوحّدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى، ويزعمون أنها لهم عنده شافعةٌ، ولهم نافعة، وإنما هي من حَجَر منحوت، وخشب منجور، ثم قرأ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾، وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾؛ فعظُم على العرب أن يتركوا دين آبائهم، فخصّ الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه، والإيمان به، والمؤاساة له، والصبر معه على شدّة أذى قومهم لهم؛ وتكذيبهم إياهم؛ وكلُّ الناس لهم مخالف، زارٍ عليهم، فلم يستوحشوا لقلّة عددهم وشَنَفِ الناس لهم، وإجماع قومهم عليهم،

فهم أوّل مَنْ عَبَد الله في الأرض وآمن بالله وبالرسول؛ وهم أولياؤه وعشيرته، وأحقُّ الناس بهذا الأمر من بعده، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم، وأنتم يا معشرَ الأنصار، مَنْ لا ينكَر فضلُهم في الدينِ، ولا سابقتُهم العظيمة في الإسلام، رضيَكم الله أنصاراً لدينه ورسوله، وجعل إليكم هجرته، وفيكم جلّةُ أزواجه وأصحابه؛ فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا أحدٌ بمنزلتكم؛ فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تُفْتاتون بمشورة، ولا نقضي دونكم الأمور.

قال: فقام الحُبَابُ بن المنذر بن الجموح، فقال: يا معشر الأنصار! املكوا عليكم أمرَكم؛ فإنّ الناس في فيئكم وفي ظِلّكم، ولن يجترىء مجترىء على خلافِكم؛ ولن يُصدِر الناس إلاّ عن رأيكم، أنتم أهل العزّ والثرْوَة، وأولو العَدد والمَنعة والتجربة، ذوو البأس والنجْدة؛ وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيُكم؛ وينتقض عليكم أمركم، فإن أبى هؤلاء إلاّ ما سمعتم؛ فمنّا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات لا يجتمع اثنان في قَرن! والله لا ترضى العرب أن يؤمّروكم ونبيها من غيركم؛ ولكن العرب لا تمتنع أن تولّي أمرَها مَنْ كانت النبوّة فيهم ووَلي أمورهم منهم؛ ولنا بذلك على مَنْ أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين؛ مَنْ ذا ينازعنا سلطانَ محمد وإمارته. ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مُدْلٍ بباطل، أو مُتَجَانِف لإثم، ومتورِّط في هَلَكة!

فقام الحُباب بن المنذر فقال: يا معشرَ الأنصار! املكُوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر؛ فإن أبوْا عليكم ما سألتموه، فاجلُوهم عن هذه البلاد، وتولَّوا عليهم هذه الأمور؛ فأنتم والله أحقُّ بهذا الأمر منهم؛ فإنه بأسيافكم دانَ لهذا الذين مَنْ دان ممّن لم يكن يدين؛ أنا جُذَيْلُها المُحَكَّك، وعُذَيقُها المُرَجَّب! أمَا والله لئن شئتم لنعيدنّها جذَعَةً؛ فقال عمر: إذاً يقتلك الله! قال: بل إياك يقتل!

فقال أبو عبيدة: يا معشرَ الأنصار! إنّكم أوّل مَنْ نصر وآزرَ؛ فلا تكونوا أوّل مَنْ بدّل وغيّر.

فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال: يا معشرَ الأنصار! إنا والله لئن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدّين؛ ما أردنا به إلاّ رضا

ربنا وطاعة نبينا؛ والكَدْحَ لأنفسنا ، فما ينبغي لنا أن نستطيل على النّاس بذلك ، ولا نبتغي به من الدنيا عرَضاً؛ فإن الله وليّ المنة علينا بذلك؛ ألا إنّ محمداً ﷺ من قريش ، وقومُه أحقّ به وأولى. وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً ، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم!

فقال أبو بكر: هذا عمر ، وهذا أبو عبيدة ، فأيَّهما شئتم فبايعوا. فقالا: لا والله لا نتولّى هذا الأمر عليك؛ فإنك أفضلُ المهاجرين وثاني اثنين إذْ هما في الغار ، وخليفةُ رسول الله على الصّلاة؛ والصَّلاةُ أفضلُ دين المسلمين؛ فمن ذا ينبغي له أن يتقدّمك أو يتولّى هذا الأمر عليك! ابسُط يدك نبايعْك.

فلما ذهبا ليبايعاه ، سبقهما إليه بشير بن سعد ، فبايعه ، فناداه الحُباب بن المنذر: يا بشير بن سعد ! عَقّتك عَقاقِ؛ ما أحوجَك إلى ما صنعت ، أنَفِسْتَ على ابن عمّك الإمارة! فقال: لا والله ! ولكني كرهت أن أنازع قوماً حقَّاً جعله الله لهم.

ولما رأت الأوسُ ما صنع بشير بن سعد ، وما تدعُو إليه قريش ، وما تطلبُ الخزرجُ من تأمير سعد بن عبادة؛ قال بعضهم لبعض ، وفيهم أسَيْد بن حُضير ـ وكان أحدَ النقباء ـ: والله لئن وليَتْها الخزرج عليكم مرّة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة؛ ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً ، فقوموا فبايعوا أبا بكر. فقاموا إليه فبايعوه ، فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم.

قال هشام: قال أبو مخنف: فحدّثني أبو بكر بن محمد الخُزاعيّ: أن أسلمَ أقبلتْ بجماعتها حتى تضايقَ بهم السكك ، فبايعوا أبا بكر؛ فكان عمر يقول: ما هو إلاّ أن رأيتُ أسلم ، فأيقنتُ بالنّصر.

قال هشام ، عن أبي مخنف: قال عبدُ الله بن عبد الرحمن: فأقبَل الناس من كلّ جانب يبايعون أبا بكر ، وكادوا يطؤون سعد بن عبادة ، فقال ناس من أصحاب سعد: اتقوا سعداً لا تطؤوه ، فقال عمر: اقتلوه قتله الله! ثم قام على رأسه ، فقال: لقد هممتُ أن أطأكَ حتى تُنْدَر عَضُدك ، فأخذ سعد بلحية عمر ، فقال: والله لو حصصتَ منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة؛ فقال أبو بكر: مهلاً يا عمر! الرِّفْقُ ها هنا أبلغ. فأعرض عنه عمر. وقال سعد: أما والله لو أنّ بي

قوّة مّا ، أقوى على النهوض؛ لسمعتَ منّي في أقطارها وسككها زَئيراً يُحْجرك وأصحابك؛ أما والله إذاً لألحقنك بقوم كنتَ فيهم تابعاً غير متبوع! احملوني مِنْ هذا المكان ، فحملوه فأدخلوه في داره ، وترك أياماً ثم بعث إليه أن أقْبِل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومُك؛ فقال: أما والله حتى أرميَكم بما في كنانتي من نَبْلي ، وأخْضب سنان رمْحي ، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي ، وأقاتلكم بأهل بيتي ومَنْ أطاعني من قومي؛ فلا أفعل ، وأيْمُ الله لو أنّ الجنّ اجتمعتْ لكم مع الإنس ما بايعتُكم ، حتى أعرَض على ربّي ، وأعلَم ما حسابي.

فلما أتى أبو بكر بذلك قال له عمر: لا تَدَعْه حتى يبايع. فقال له بشير بن سعد: إنه قد لجّ وأبى؛ وليس بمبايعكم حتى يُقتل ، وليس بمقتول حتى يُقتل معه ولدُه وأهل بيته وطائفة من عشيرته؛ فاتركوه فليس تركُه بضارّكم؛ إنما هو رجلٌ واحد. فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه لما بدَا لهم منه ، فكان سعْد لا يصلِّي بصلاتهم ، ولا يجمِّع معهم ، ويحجّ ، ولا يُفيض معهم بإفاضتهم؛ فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر رحمه الله[١]. (٣: ٢١٨ـ٢١٩ـ ٢٢٠ـ٢٢١ـ٢٢٢).

١٠ ـ حدّثنا عُبيد الله بن سعد ، قال: حدّثنا عمّي ، قال: أخبرنا سَيْف بن عمر عن سهل وأبي عثمان ، عن الضحّاك بن خليفة ، قال: لما قام الحُبابُ بن المنذر انتضَى سيفه؛ وقال: أنا جُذَيلُها المحكّك وعُذَيقها المرجّب؛ أنا أبو شبل في عرّيسة الأسد ، يعزَى إلى الأسْد. فحامله عمر فضرب يده ، فندَر السيفُ ، فأخذه ثم وثب على سعد ووثبوا على سعد؛ وتتابع القوم على البيعة؛ وبايع سعد؛ وكانت فلتةً كفلَتات الجاهليّة؛ قام أبو بكر دونها. وقال قائل حين أوطىء سعد: قتلتم سعداً ، فقال عمر: قتله الله! إنه منافق ، واعترض عمرَ بالسيف صخرةٌ فقطعه[٢]. (٣: ٢٢٣).

---

(١) هذه رواية تالفة مكذوبة في أول إسناده ابن الكلبي وهو كشيخه الهالك التالف أبي مخنف وهذه الرواية انفرد بها أبو مخنف وفي آخر الإسناد انقطاع كذلك ، فالسند لا يصح من أوله إلىٰ آخره وأما متن الرواية فمنكر مخالف لما ورد في الروايات الصحيحة عند البخاري وغيره وفيه من سوء الأدب بحق صحابة رسول الله ﷺ ما فيه.

(٢) إسناده ضعيف فهو من طريق سيف بن عمر وفي متنه نكارة شديدة.

١١ - حدّثنا عُبيد الله بن سعيد، قال: حدّثني عمّي يعقوب، قال: حدثنا سيف، عن مبشّر، عن جابر، قال: قال سعد بن عبادة يومئذ لأبي بكر: إنكم يا معشرَ المهاجرين حسدتموني على الإمارة؛ وإنك وقومي أجبرتموني على البَيعة، فقالوا: إنا لو أجْبَرْناك على الفُرقة فصرت إلى الجماعة كنت في سَعة؛ ولكنا أجبرناك على الجماعة، فلا إقالة فيها؛ لئن نزعت يداً من طاعة، أو فرّقت جماعة، لنَضرِبنّ الذي فيه عيناك[1]. (٣: ٢٢٣).

ذكر أمر أبي بكر في أول خلافته

١٢ - حدّثنا عبيدُ الله بن سعد، قال: أخبرنا عمي، قال: حدّثنا سيف - وحدّثني السريّ بن يحيى، قال: حدّثنا شُعيب بن إبراهيم عن سيف بن عمر - عن أبي ضَمْرة، عن أبيه، عن عاصم بن عدّي، قال: نادى منادي أبي بكر من بعد الغد مِنْ متوفَّى رسول الله ﷺ: لِيُتَمّ بعث أسامة؛ ألا لا يبقينّ بالمدينة أحدٌ من جُنْد أسامة إلاّ خرج إلى عسكره بالجُرف. وقام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس! إنما أنا مثلُكم؛ وإني لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله ﷺ يطيق؛ إن الله اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من الآفات، وإنما أنا متبعٌ ولست بمبتدع؛ فإن استقمت فتابعوني، وإن زغت فقوموني، وإنّ رسولَ الله ﷺ قبض وليس أحدٌ من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها؛ ألا وإنّ لي شيطاناً يعتريني؛ فإذا أتاني فاجتنبوني؛ لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم؛ وأنتم تغدون وتَرُوحون في أجلٍ قد غيِّب عنكم علمه؛ فإن استطعتم ألاّ يمضيَ هذا الأجل إلاّ وأنتم في عمل صالح فافعلوا؛ ولن تستطيعوا ذلك إلاّ بالله، فسابقوا في مَهل آجالكم من قبل أن تُسلمَكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال؛ فإن قوماً نسُوا آجالهم، وجعلُوا أعمالهم لغيرهم؛ فإيّاكم أن تكونوا أمثالهم. الجدّ الجدّ! والوحا الوحا! والنّجاء النّجاء! فإن وراءكم طالباً حثيثاً، أجلاً مَرُّه سريعٌ. احذروا الموت، واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات.

وقام أيضاً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنّ الله عزّ وجلّ لا يقبل من الأعمال

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة.

إلاّ ما أريد به وجهه؛ فأريدوا الله بأعمالكم ، واعلموا أنّ ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها ، وخطأٌ ظفرتم به ، وضرائب أدّيتموها ، وسلَفٌ قدَّمتموه من أيام فانية لأخرى باقية؛ لحين فقركم وحاجتكم . اعتبروا عباد الله بمَنْ مات منكم ، وتفكّروا فيمن كان قبلكم . أين كانوا أمس ، وأين هم اليوم ؟! أين الجبّارون ؟! وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلَبة في مواطن الحروب ؟! قد تضعضع بهم الدّهر ، وصاروا رميماً ، قد تُركت عليهم القالات؛ ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ﴾ [النور : ٢٦]. وأينَ الملوك الذين أثاروا الأرض وعمرُوها ، قد بعدوا ونُسِيَ ذكرهم ، وصاروا كلا شيء . ألا إنّ الله قد أبقى عليهم التَّبِعات ، وقطع عنهم الشهوات ، ومضوْا والأعمال أعمالهم ، والدنيا دنيا غيرهم ، وبقينا خلَفاً بعدهم ، فإن نحن اعتبرنا بهم نجوْنا ، وإن اغتررنا كنّا مثلهم! أين الوُضّاءُ الحسنة وجوهُهم ، المعجبون بشبابهم ؟! صاروا تراباً وصار ما فرطوا فيه حَسْرَة عليهم! أين الذين بنوا المدائن وحصّنوها بالحوائط ، وجعلوا فيها الأعاجيب ؟! قد تركوها لمن خَلَفَهم ، فتلك مساكنهم خاوية ، وهم في ظلمات القبور ، هل نحس منهم من أحد أو نسمع لهم ركزاً ؟! أين مَنْ تعرفون من أبنائكم وإخوانكم؛ قد انتهت بهم آجالهم ، فوردوا على ما قدموا فحلُّوا عليه وأقاموا للشَّقْوة والسعادة فيما بعد الموت . ألاَ إنّ الله لا شريك له ، ليس بينه وبين أحد مِنْ خلقه سببٌ يعطيه به خيراً ، ولا يصرف عنه به سوءاً إلاّ بطاعته واتباع أمره ، واعلموا أنكم عبيدٌ مَدِينُونَ ، وإنّ ما عنده لا يُدْرك إلاّ بطاعته؛ أما أنه لا خير بخير بَعْدَه النارُ ، ولا شر بشرّ بعده الجنة[1] . (٣ : ٢٢٣/ ٢٢٤/ ٢٢٥).

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة شديدة وقد أخرجه ابن كثير بطوله وسكت عنه (البداية والنهاية ٣٠٨/٦) وأخرجه ابن سعد مختصراً (٦٧/٤ ، ٦٨) من روايتين مرسلتين عن عروة وإسنادهما حسن إلىٰ عروة.

وأخرج ابن كثير رواية البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا محمد بن علي الميموني ثنا الفريابي ثنا عباد بن كثير عن أبي الأعرج عن أبي هريرة وفيه : أن أسامة بعثه رسول الله ﷺ إلىٰ الشام في سبعمئة فلما نزل بذي خشب قبض رسول الله ﷺ وارتدت العرب حول المدينة وفيه قال أبو بكر : والذي لا إله غيره لو جرت الكلاب بأزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشاً وجهه رسول الله ، ولا حللت لواءً عقده رسول الله ! فوجه أسامة . . . إلخ.

=

١٣ ـ حدّثني عُبيد الله بن سعد ، قال: أخبرني عمّي ، قال: أخبرني سيف ـ وحدّثني السَّرِيّ ، قال: حدّثنا شُعيب ، قال: أخبرَنا سيف عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال: لما بويع أبو بكر رضي الله عنه وجمع الأنصار في الأمر الذي افترقوا فيه ، قال: لِيُتَمّ بعثُ أسامة؛ وقد ارتدت العرب؛ إمّا عامة وإمّا خاصّة في كلّ قبيلة؛ ونجَم النفاق ، واشرأبّت اليهود والنصارى ، والمسلمون كالغَنَم في الليلة المطيرة الشاتية ، لفقد نبيّهم ﷺ وقِلّتِهم ، وكثرة عدوّهم. فقال له الناس: إن هؤلاء جُلُّ المسلمين والعرب ـ على ما ترى ـ قد انتقضت بك؛ فليس ينبغي لك أن تفرّق عنك جماعة المسلمين. فقال أبو بكر: والذي نفس أبي بكر بيده ، لو ظننت أن السِّباع تخطّفني ، لأنفذت بعثَ أسامة كما أمَر به رسولُ الله ﷺ ، ولو لم يبقَ في القرى غيري لأنفذته![(١)] (٣: ٢٢٥).

= ثم قال ابن كثير معقباً: عباد بن كثير هذا أظنه البرمكي ـ لرواية الغريابي ـ عنه وهو متقارب الحديث فأما البصري الثقفي فمتروك الحديث والله أعلم.

قلنا: وعباد بن كثير البرمكي هذا قال فيه البيهقي: ضعفه أحمد وابن معين وشعبة (السنن الكبرى ٣١٦/٧) ، (الدر النقي في كلام الإمام البيهقي في الجرح والتعديل / ١٦٠/ ت٥٢٠).

وحديث أبي هريرة هذا أخرجه كذلك ابن عساكر (تهذيب تأريخ دمشق ٢/ ٢٩٧) ، (تأريخ الخلفاء للسيوطي/ ٦٩).

وإنفاذ جيش أسامة أخرجه كذلك ابن خليفة الخياط في تاريخه في ثلاث روايات. الأولى (١٠٠) ثنا علي وموسىٰ بن إسماعيل عن حمادة بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه وهذا إسناد مرسل.

والثانية (١٠٠) عن ابن إسحاق معضلاً. والثالثة عن الزهري مرسلاً بنحوه. قال: فسار أسامة في آخر شهر ربيع الأول حتىٰ بلغ أرض الشام ثم انصرف فكان مسيره ذاهباً وقافلاً أربعين يوماً.

وأخرج الطبري (٣/ ٢٤٠) كما سيأتي عن أبي معشر ويزيد بن عياض وغسان بن عبد الحميد وجويرية بن أسماء عن مشيختهم قالوا: أمضىٰ أبو بكر جيش أسامة بن زيد في آخر ربيع الأول وأتىٰ مقتل العنسي في آخر ربيع الأول بعد مخرج أسامة وكان ذلك أول فتح أتىٰ أبا بكر وهو بالمدينة.

وهذا إسناد لم يذكر فيه هؤلاء المشيخة من هم.

(١) إسناده ضعيف ، وقال السيوطي: وأخرج أبو القاسم البغوي وأبو بكر الشافعي في فوائده وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما توفي رسول الله ﷺ (اشرأب النفاق وارتدت=

١٤ ـ حدّثني عبيدُ الله ، قال: حدّثني عمّي ، قال: أخبرني سيف ـ وحدّثني السريّ ، قال: حدّثنا شعيب ، قال: حدّثنا سيف عن عطية ، عن أبي أيوب عن عليّ ، وعن الضّحاك عن ابن عباس ، قالا: ثم اجتمعَ من حول المدينة من القبائل التي غابت في عام الحُدَيبيَة ، وخرجوا وخرج أهلُ المدينة في جُنْد أسامة؛ فحبس أبو بكر مَنْ بَقِيَ من تلك القبائل التي كانت لهم الهجرة في ديارهم ، فصاروا مسالحَ حول قبائلهم وهم قليل[1] . (٣: ٢٢٥) .

١٥ ـ حدّثنا عبيدُ الله ، قال: حدّثني عمي ، قال: أخبرني سيف ، وحدّثني السريّ ، قال: حدّثنا شعيب ، قال: حدّثنا سَيْف عن أبي ضَمْرة وأبي عمرو وغيرهما ، عن الحسن بن أبي الحسن البصريّ ، قال: ضرب رسولُ الله ﷺ قبل وفاته بعثاً على أهل المدينة ومَنْ حولهم؛ وفيهم عمر بن الخطاب ، وأمَّر عليهم أسامة بن زيد. فلم يجاوز آخرهم الخندقَ ، حتى قُبِض رسولُ الله ﷺ ، فوقف أسامةُ بالناس ، ثم قال لعمر: ارجع إلى خليفة رسول الله فاستأذِنْه؛ يأذن لي أن أرجع بالناس؛ فإن معي وجوه الناس وحدَّهم؛ ولا آمن على خليفة رسول الله وثَقَلِ رسول الله وأثقال المسلمين أن يتخطّفهم المشركون. وقالت الأنصارُ: فإن أبى إلاّ أن نمضيَ فأبلغْه عنّا ، واطلب إليه أن يولِّيَ أمرنا رجلاً أقدمَ سنّاً من أسامة. فخرج عمر بأمر أسامة ، وأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة ، فقال أبو بكر: لو خَطَفَتْني الكلاب والذئاب لم أردّ قضاء قضَى به رسولُ الله ﷺ ! قال: فإنّ الأنصار أمروني أن أبلغك ، وإنهم يطلبون إليك أن تُولِّي أمرَهم رجلاً أقدمَ سنّاً من أسامة؛ فوثب أبو بكر ـ وكان جالساً ـ فأخذ بلحية عمر ، فقال له: ثكلتك أمُّك وعدمَتْك يا بن الخطاب! استعملَه رسولُ الله ﷺ وتأمرني أن أنزِعَه! فخرج

= العرب . . . . إلخ) وليس فيه ذكر لجيش أسامة بن زيد وإنفاذه . (تأريخ الخلفاء/ ٦٨) .

قلنا: وأخرج خليفة بن خياط في (تاريخه/ ١٠٢) فحدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: أخبرنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة عن عبد الواحد بن أبي عون عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت: لما توفي رسول الله ﷺ فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها اشرأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب فو الله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي إلىٰ أعظمها في الإسلام ـ وإسناده صحيح .

(١) (خ/ ١٤): إسناده ضعيف .

عمر إلى الناس فقالوا له: ما صنعت؟ فقال: امضوا، ثكلَتْكم أمَّهاتُكم! ما لقيتُ في سببكم من خليفة رسول الله!

ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم، فأشخصهم وشيَّعهم وهو ماش وأسامة راكبٌ، وعبد الرحمن بن عوف يقودُ دابة أبي بكر، فقال له أسامة: يا خليفةَ رسول الله! والله لتركبنّ أو لأنزلنّ! فقال: والله لا تنزل! ووالله لا أركب! وما عليّ أن أغبّرَ قدمَيّ في سبيل الله ساعةً؛ فإن للغازي بكلّ خطوة يخطوها سبعمئة حسنة تكتب له، وسبعمئة درجة ترتفع له، وترفع عنه سبعمئة خطيئة! حتى إذا انتهى قال: إن رأيتَ أن تعينَنِي بعمر فافعل! فأذن له، ثم قال: يا أيها الناس! قفوا أوصِكُمْ بعشر فاحفظوها عنِّي: لا تَخُونُوا، ولا تَغلّوا، ولا تَغْدِروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقِرُوا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرةً مثمرة، ولا تذبحوا شاةً، ولا بقرة، ولا بعيراً إلا لمأكلة؛ وسوف تمرُّون بأقوام قد فرّغوا أنفسَهم في الصوامع؛ فدَعُوهم وما فرّغوا أنفسهم له، وسوف تقدَمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوانُ الطعام؛ فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسمَ الله عليها. وتلقوْن أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب؛ فاخفقوهم بالسيف خَفْقاً. اندفعوا باسم الله، أفناكم الله بالطعن والطاعون[١]. (٣: ٢٢٥/ ٢٢٦/ ٢٢٧).

١٦ ـ حدّثني السريّ، قال: حدّثنا شعيب، قال: حدثنا سيف ـ وأخبرنا عبيد الله، قال: أخبرني عمّي، قال: حدثنا سيف عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: خرج أبو بكر إلى الجُرْف، فاستَقْرى أسَامة وبعْثه، وسأله عمرَ فأذن له، وقال له: اصنع ما أمرَك به نبيُّ الله ﷺ، ابدأ ببلاد قُضاعة ثم إيتِ آبِلَ، ولا تقصّرنّ في شيء من أمر رسول الله ﷺ، ولا تعجلنّ لما خلّفتَ عن عهده. فمضى أسامة مُغِذّاً على ذي المَرْوَة والوادي، وانتهى إلى ما أمره به النبيّ ﷺ من بَثّ الخيول في قبائل قُضاعة والغارة على آبِل، فسلِم وغنِم، وكان فراغه في أربعين يوماً سوى مقامه ومنقلبه راجعاً[٢]. (٣: ٢٢٧).

١٧ ـ فحـدّثني السريّ بن يحيى، قال: حدّثنا شُعيب عن سيف ـ وحدّثنا

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

عُبيد الله ، قال : أخبرنا عمّي ، قال : أخبرنا سيف ـ عن موسى بن عقبة ، عن المغيرة بن الأخنَس[١] .

١٨ ـ وعنهما ، عن سيف ، عن عمرو بن قيس ، عن عطاء الخراساني مثلُه[٢] . (٣ : ٢٢٧) .

١٨/أ ـ حدّثنا عُبيد الله ، قال : أخبرنا عَمّي ، قال : أخبرَنا سيف ، وحدّثني السَّريّ ، قال : حدّثنا شُعيب عن سَيْف ، عن أبي القاسم الشَّنَويّ ، عن العَلاء بن زياد ، عن ابن عمر ، قال : أتى الخبرُ النبيَّ ﷺ من السماء الليلَة التي قتل فيها العَنْسيُّ ليبشِّرنا ، فقال : قُتِل العنسيّ البارحةَ ، قتله رجلٌ مباركٌ من أهل بيت مباركين ، قيل : ومن هو؟ قال : فيروز ، فاز فيروز[٣] ! (٣ : ٢٣٦) .

١٩ ـ حدّثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا عَمّي ، قال : أخبرني سيف ، وحدّثني السريّ ، قال : حدّثنا شُعيب عن سيف ، عن المستنير ، عن عُروة ، عن الضّحاك ، عن فيروز ، قال : قتلنا الأسود ، وعاد أمرنا كما كان ؛ إلاّ أنا أرسلْنا إلى مُعاذ ، فتراضينا عليه ؛ فكان يصلِّي بنا في صَنْعاء ؛ فو الله ما صلَّى بنا إلا ثلاثاً ونحن راجون مؤمّلون ، لم يبق شيء نكرهه إلاّ ما كان من تلك الخيول التي تتردّد بيننا وبين نَجْران ؛ حتى أتانا الخبر بوفاة رسولِ الله ﷺ ، فانتقضت الأمور ؛ وأنكرنا كثيراً مما كنّا نعرف ، واضطربت الأرض[٤] . (٣ : ٢٣٦) .

١٩ ـ حدّثنا عبيدُ الله ، قال : حدّثنا عمّي ، قال : أخبرنا سيف ، وحدّثني السريّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، قال : حدّثنا سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن أبيه ، عن عُبيد بن صَخْر ، قال : كان أول أمره إلى آخره ثلاثة أشهر[٥] . (٣ : ٢٣٩) .

٢٠ ـ وحدّثني السريّ ، قال : حدّثنا شُعيب عن سيف ، وحدّثنا عبيد الله قال :

---

(١) إسناده ضعيف .

(٢) إسناده ضعيف .

(٣) إسناده ضعيف .

(٤) إسناده ضعيف .

(٥) إسناده ضعيف .

أخبرنا عمّي ، قال: أخبرنا سَيْف عن جابر بن يزيد ، عن عُروة بن غَزِيّة ، عن الضّحّاك بن فيروز ، قال: كان ما بين خروجه بكَهْف خُبَّان ومقتله نحواً من أربعة أشهر؛ وقد كان قبل ذلك مستسرّاً بأمره. حتى بادَى بعد[١] . (٣: ٢٤٠) .

٢١ ـ وزعم أنّ ابن جُريج حدّثه عن عمرو بن دينار ، عن أبي جعفر ، قال: تُوفِّيتْ فاطمة عليها السلام بعد النبيّ ﷺ بثلاثة أشهر[٢] . (٣: ٢٤٠) .

٢٢ ـ قال: وحدّثني عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله بن عثمان بن حنيف عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم ، عن عَمْرة ابنة عبد الرّحمن قالت: صلّى عليها العباس بن عبد المطلب[٣] . (٣: ٢٤١) .

٢٣ ـ وحدّثنا أبو زيد ، قال: حدّثنا عليّ عن أبي معشر ، قال: دخل قبرَها العباس ، وعليّ ، والفضل بن العباس[٤] . (٣: ٢٤١) .

٢٤ ـ قال: وفيها توفِّيَ عبدُ الله بن أبي بكر بن أبي قُحافة ، وكان أصابه بالطائف سهمٌ مع النبيّ ﷺ ، رماه أبو محجن ، ودَمِلَ الجرح حتى انتقض به في شوّال؛ فمات[٥] . (٣: ٢٤١) .

٢٥ ـ وحدّثني أبو زيد ، قال: حدّثنا عليّ ، قال: حدّثنا أبو معشر ، ومحمد ابن إسحاق ، وجُوَيْرِيَة بن أسماء بإسناده الذي ذكرتُ قبل ، قالوا: في العام الذي بُويع فيه أبو بكر مَلّكَ أهلُ فارس عليهم يَزْدَجِرد[٦] . (٣: ٢٤١) .

٢٦ ـ قال أبو جعفر: وفيها كان لقاء أبي بكر رحمه الله خارجة بن حصْن الفَزاريّ. حدّثني أبو زيد ، قال: حدّثنا عليّ بن محمد بإسناده الذي ذكرت قبل ، قالوا: أقام أبو بكر بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ وتوجيهه أسامة في جيشه إلى حيث قُتل أبوه زيد بن حارثة من أرض الشأم؛ وهو الموضع الذي كان

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف إلى ابن جريج ومتنه مخالف لما هو أصح في تحديد وقت فاتها رضي الله عنها.

(٣) إسناده ضعيف لأنه من طريق الواقدي.

(٤) إسناده مرسل وهو في طبقات ابن سعد كذلك (٨/ ٢٩).

(٥) إسناده ضعيف فهو من طريق الواقدي.

(٦) إسناده ضعيف.

رسول الله ﷺ أمره بالمسير إليه؛ لم يُحْدِثُ شيئاً ، وقد جائته وفودُ العرب مرتدّين يُقِرُّون بالصّلاة ، ويمنعون الزكاة . فلم يقبل ذلك منهم وردّهم ، وأقام حتى قَدِم أسامة بن زيد بن حارثة بعد أربعين يوماً من شخوصه ـ ويقال : بعد سبعين يوماً ـ فلمّا قدم أسامة بن زيد استخلفه أبو بكر على المدينة وشخص ـ ويقال : استخلف سناناً الضَّمْريّ على المدينة ـ فسار ونزل بذي القَصّة في جُمادى الأولَى؛ ويقال في جُمادى الآخرة ، وكان نوفل بن معاوية الدِّيليّ بعثه رسول الله ﷺ ، فلقيه خارجة بن حصن بالشَّرَبَّة؛ فأخذ ما في يديْه؛ فردّه على بني فزارة؛ فرجع نوفل إلى أبي بكر بالمدينة قبل قدوم أسامة على أبي بكر . فأوّل حرب كانتْ في الرِّدّة بعد وفاة النبيّ ﷺ حرب العنسيّ؛ وقد كانت حرب العنسيّ باليمن؛ ثم حرب خارجة بن حصن ، ومنظور بن زَبّان بن سيّار في غَطَفان ، والمسلمون غازون ، فانحاز أبو بكر إلى أَجَمَة فاستتَر بها ، ثم هزَم الله المشركين[١] . (٣: ٢٤١/٢٤٢) .

٢٧ ـ حدثني عُبيد الله ، قال: أخبرَنا عمّي ، قال: أخبرنا سَيْف ـ وحدّثني السريّ ، قال: حدّثنا شُعيب ، قال: حدّثنا سَيْف عن أبي عمرو ، عن زيد بن أسلم ، قال: ماتَ رسول الله ﷺ وعُمّاله على قضاعة ، وعلى كلْب: امرؤ القيس بن الأصبغ الكلبيّ من بني عبد الله ، وعلى القَيْن عمرو بن الحكم ، وعلى سعد هُذَيْم: معاوية بن فلان الوائليّ[٢] . (٣: ٢٤٣) .

٢٨ ـ وقال السريّ الوالبيّ: فارتدّ وديعة الكلبيّ فيمن آزره من كلْب ، وبقيَ امرؤ القيس على دينه ، وارتدّ زُمَيْل بن قُطْبَةَ القَيْنيّ فيمن آزره من بني القَيْن ، وبقي عمرو ، وارتدّ معاوية فيمن آزره من سعد هُذَيم . فكتب أبو بكر إلى امرىء القيس بن فلان ـ وهو جَدّ سُكَيْنة ابنة حسين ـ فسار لوديعة ، وإلى عمرو ، فأقام لزميل ، وإلى معاوية العذريّ . فلمّا توسّط أسامة بلاد قضاعة؛ بَثَّ الخيول فيهم وأمرهم أن يُنهضوا مَن أقام على الإسلام إلى مَن رجع عنه ، فخَرجوا هُرَّاباً؛ حتى أَرَزُوا إلى دُومَة ، واجتمعوا إلى وديعة ، ورجعت خيولُ أسامة إليه ، فمضى فيها أسامة ، حتى أغار على الحَمْقَتَيْن ، فأصاب في بني الضُّبيب من جُذام ، وفي بني

(١) إسناده ضعيف .
(٢) إسناده ضعيف وقد ذكره الطبري هكذا عن الوائلي معضلاً .

خيليل من لَخْم ولِفّها من القبيلين؛ وحازهم من آبل وانكفأ سالماً غانماً[١].

٢٩ ـ فحدّثني السريّ، قال: حدّثنا شُعيب عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، قال: ماتَ رسول الله ﷺ واجتمعت أَسَد وغَطفان وطيّىء على طليحة؛ إلا ما كان من خواصّ أقوام في القبائل الثلاث؛ فاجتمعت أسد بسَميراء، وفزارة ومَنْ يليهم من غَطفان بجنوب طيبة، وطيّىء على حدود أرضهم. واجتمعت ثَعلبة بن سعد ومَن يليهم من مُرّة وعَبْس بالأبرق من الرَّبَذة، وتأشَّبَ إليهم ناسٌ من بني كنانة؛ فلم تحملهم البلاد، فافترقوا فرقتين؛ فأقامت فرقة منهم بالأبرق، وسارت الأخرى إلى ذي القَصّة، وأمدهم طليحة بحبال فكان حبال على أهل ذي القَصّة من بني أسد ومن تأشّب من ليْث والدِّيل ومُدْلِج. وكان على مُرّة بالأبرق عوف بن فلان بن سنان، وعلى ثعلبة وعبس الحارث بن فلان؛ أحد بني سَبيع، وقد بعثوا وفوداً فقدموا المدينة، فنزلوا على وجوه الناس، فأنزلوهم ما خلاَ عبّاساً، فتحمّلوا بهم على أبي بكر؛ على أن يقيموا الصّلاة، وعلى ألاّ يؤتوا الزّكاة، فعزم الله لأبي بكر على الحقّ، وقال: لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه ـ وكانت عُقُل الصدقة على أهل الصّدقة مع الصدقة ـ فردّهم فرجع وفْدُ من يَلي المدينة من المرتدَّة إليهم، فأخبروا عشائرهم بقلّة من أهل المدينة، وأطمعوهم فيها، وجعل أبو بكر بعد ما أخرج الوفد على أنقاب المدينة نفراً: عليّاً والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود؛ وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد، وقال لهم: إن الأرض كافرة؛ وقد رأى وفدهم منكم قلّة، وإنكم لا تدرون أَليْلاً تُؤتَوْن أم نهاراً؟! وأدناهم منكم على بريد. وقد كان القوم يأمُلون أن نقبل منهم ونوادِعهم؛ وقد أبينا عليهم، ونبذنا إليهم عهدهم، فاستعِدّوا وأعدّوا. فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرقوا المدينة غارةً مع الليل، وخلّفوا بعضهم بذي حُسىً، ليكونوا لهم رِدْءاً، فوافق الغوار ليلاً الأنقاب؛ وعليها المقاتلة، ودونهم أقوام يدرجون، فنبّهوهم، وأرسلوا إلى أبي بكر بالخَبر، فأرسل إليهم أبو بكر أن الزموا أماكنَكم، ففعلوا. وخرج في أهلِ المسجد على النواضح إليهم، فانفشَّ العدوّ، فاتّبعهم المسلمون على إبلهم؛ حتى بلغوا ذا

---

(١) إسناده ضعيف.

حُسيٍّ؛ فخرج عليهم الرّدء بأنحاء قد نفخوها ، وجعلوا فيها الحبال ، ثم دَهْدهوها بأرجلهم في وجوه الإبل؛ فتدهده كلّ نِحْي في طوَله ، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها ـ ولا تنفر الإبل من شيء نفارَها من الأنحاء ـ فعاجت بهم ما يملكونها؛ حتى دخلت بهم المدينة؛ فلم يُصْرَعْ مسلمٌ ولم يُصَبْ؛ فقال في ذلك الخُطَيل بن أوس أخو الحُطيْئة بن أوس:

فِدىً لِبَنِي ذُبْيَان رَحْلِي ونَاقتي ... عَشِيّةَ يُحْذَى بالرِّمَاحِ أبو بَكْرِ
ولكِنْ يُدَهْدَى بالرِّجَالِ فهِبْنَه ... إلى قَدَرٍ مَا إنْ يزيد وَلاَ يَحرِي
ولله أجْنَادٌ تُذَاقُ مَذَاقَهُ ... لتُحْسبَ فيما عُدّ منْ عَجب الدَّهْرِ! [١]

٢٩/ أ ـ وأنشده الزّهريّ : (من حسب الدهر).

وقال عبدُ الله الليثيّ : وكانتْ بنو عبد مناة من المرتدّة ـ وهم بنو ذُبيان ـ في ذلك الأمر بذي القَصَّة وبذي حُمًى :

أطَعْنا رسولَ الله مَا كَانَ بَيْنَنَا ... فيَا لَعبادِ الله مَا لأبي بَكْرِ!
أيُورِثُها بَكْراً إذا مَاتَ بَعْدَه ... وتِلْكَ لَعَمْرُ الله قَاصِمَةُ الظَّهْرِ
فَهلاَّ رَدَدْتم وفْدَنَا بزَمَانِهِ ... وهلاَّ خَشِيتم حِسَّ راغِيَةِ البَكْرِ!
وإنَّ التي سالُوكُم فمنعْتُمُ ... لكالتَّمْرِ أَوْ أَحلى إلَيّ مِنَ التَّمْرِ

فظنَّ القومُ بالمسلمين الوهَن ، وبعثوا إلى أهل ذي القَصَّة بالخبر ، فقدموا عليهم اعتماداً في الذين أخبروهم ، وهم لا يشعرون لأمر الله عزّ وجلّ الذي أراده ، وأحبّ أن يبلغه فيهم ، فبات أبو بكر ليلَته يتهيّأ ، فعبّى الناس ، ثم خرج على تَعْبيةٍ من أعجاز ليلته يمشي ، وعلى ميمنته النُّعمان بن مُقرِّن ، وعلى ميسرته عبد الله بن مقرّن ، وعلى السَّاقة سُويد بن مقرّن معه الرُّكّاب؛ فما طلَع الفجر إلاّ وهُم والعدوُّ في صعيد واحد ، فما سمعوا للمسلمين هَمْساً ولا حسَّاً حتى وضعوا فيهم السيوف ، فاقتتلوا أعجاز ليلتهم؛ فما ذَرّ قَرْن الشَّمس حتى ولَّوْهم الأدبارَ ، وغلبوهم على عامّة ظهرهم؛ وقتل حبال، واتّبعهم أبو بكر؛ حتى نزل بذي القَصّة ـ وكان أوّل الفتح ـ ووضع بها النعمان بن مقرّن في عدد ، ورجع إلى المدينة فذلّ بها المشركون؛ فوثب بنو ذُبيان وعبس على مَن فيهم من المسلمين؛ فقتلوهم كلّ

(١) إسناده ضعيف.

قتلة؛ وفعل مَنْ وراءهم فعلهم. وعزَّ المسلمون بوقعة أبي بكر، وحلَفَ أبو بكر ليقتلَنّ في المشركين كلّ قتلة؛ وليقتلنّ في كلّ قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة، وفي ذلك يقول زياد بن حنظلة التميميّ:

غَـدَاةَ سَعَـى أبـو بَكْـرٍ إلَيْهِـم كمـا يَسْعَـى لمـوْتَتِـه جُـلاَلُ
أرَاحَ عَلَـى نَـوَاهِقِهـا عَلِيّـاً ومَـجَّ لَهـنَّ مُهْجَتَـهُ حِبـالُ

وقال أيضاً:

أقَمْنَا لهم عُرْضَ الشِّمَال فكُبْكِبُوا كَكَبْكَبَةِ الغُزَّى أنَاخوا علَى الوَفْرِ
فَما صَبَرُوا لِلْحَرْبِ عِندَ قِيَامِهَا صَبيحَةَ يَسْمُو بالرجَالِ أَبُو بَكْرِ
طَرَقْنا بنِي عَبْسٍ بِأَدْنىٰ نِبَاجِهَا وذُبْيانَ نَهْنَهْنَا بِقاصِمَةِ الظَّهْرِ

ثم لم يُصنَعْ إلاّ ذلك؛ حتى ازداد المسلمون لها ثباتاً على دينهم في كلّ قبيلة، وازداد لها المشركون انعكاساً من أمرهم في كلّ قبيلة؛ وطرقت المدينةَ صدقاتُ نفر: صَفْوان، الزبرقان، عديّ؛ صفوان، ثم الزبرقان، ثم عديّ؛ صفوانُ في أول الليل، والثاني في وسطه، والثالث في آخره. وكان الذي بشّر بصَفْوان سعد بن أبي وقاص، والذي بشّر بالزبرقان عبدُ الرحمن بن عوف، والذي بشَّر بعديّ عبدُ الله بن مسعود. وقال غيره: أبو قتادة.

قال: وقال الناس لكلِّهم حين طلع: نذير، وقال أبو بكر: هذا بشير، هذا حامٍ وليس بوانٍ؛ فإذا نادى بالخير، قالوا: طالما بشّرت بالخير! وذلك لتمام ستينَ يوماً من مَخْرج أسامة. وقدم أسامة بعد ذلك بأيام لشهرين وأيام، فاستخلفه أبو بكر على المدينة، وقال له ولجنده: أريحوا وأريحوا ظهركم.

ثم خرج في الذين خرجوا إلى ذي القَصّة والذين كانوا على الأنقاب على ذلك الظَّهر؛ فقال له المسلمون: نَنْشُدُك الله يا خليفة رسول الله أنْ تعرّض نفسك! فإنك إن تُصَبْ لم يكن للناس نِظَامٌ، ومقامُك أشدُّ على العدوّ؛ فابعث رجلاً، فإن أصيب أمّرتَ آخر، فقال: لا والله لا أفعلُ، ولأواسينَّكم بنفسي! فخرج في تعبيته إلى ذي حُسيً وذي القَصّة، والنُّعمان وعبد الله وسُويد على ما كانوا عليه، حتى نزل على أهل الرَّبذَة بالأبرق؛ فاقتتلوا، فهزم الله الحارث وعوفاً، وأُخِذ الحطَيْئةُ أسيراً، فطارت عبس وبنو بكر؛ وأقام أبو بكر على الأبرق أياماً؛ وقد غلَب بني ذُبيان على البلاد. وقال: حرام على بني ذبيان أن يتملّكوا هذه البلاد إذْ

غنَّمناها اللهُ! وأجلاها. فلما غلب أهل الردّة؛ ودخلوا في الباب الذي خرجوا منه ، وسامح الناس جاءت بنو ثَعلبة؛ وهي كانت منازلهم لينزلوها ، فمنعوا منها فأتوْه في المدينة ، فقالوا: عَلامَ نُمْنَع منْ نزول بلادنا! فقال: كذبتم ، ليست لكم ببلاد؛ ولكنّها مَوْهبي ونَقَذي ، ولم يُعْتِبْهم ، وحَمَى الأبرقَ لخيول المسلمين ، وأرعى سائر بلاد الرَّبذة الناس على بني ثعلبة ، ثم حَمَاها كلَّها لصدقات المسلمين؛ لقتالٍ كان وقع بين الناس وأصحَاب الصّدقات ، فمنع بذلك بعضهم من بعض.

ولما فُضّت عبس وذبيان أَرَزوا إلى طُلَيحة وقد نزل طليحة على بُزَاخة ، وارتحل عن سَمِيراء إليها ، فأقام عليها؛ وقال في يوم الأبرق زياد بن حنظلة:

ويـومٍ بـالأبـارق قـد شَهِـدْنـا على ذُبيـانَ يَلْتهـب التِهـابـا
أَتَيْنـاهـمْ بـداهيَـةٍ نَسُـوفٍ مَـعَ الصّـدّيـقِ إذ تـرَكَ العِتَـابَـا[1]

٣٠ ـ حدّثنا السَّريّ ، قال: حدّثنا شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال: لما أراح أسامة وجنده ظهرَهم وجَمُّوا ، وقد جاءت صدقات كثيرة تفضُل عنهم ، قطع أبو بكر البعوثَ وعقد الألوية ، فعقد أحد عشر لواءً: عقد لخالد بن الوليد وأمَره بطليحة بن خويلد؛ فإذا فرغ سار إلى مالك بن نُويرة بالبُطاح إن أقام له ، ولِعكْرمة بن أبي جهل وأمره بمسيْلمة ، وللمهاجر بن أبي أميّة وأمَره بجنود العنْسيّ ومعونة الأبناء على قيس بن المكشوح ومَنْ أعانه من أهل اليمن عليهم ، ثم يمضي إلى كِنْدة بحضرموت ، ولخالد بن سعيد بن العاص ـ وكان قدم على تفيئة ذلك من اليمن وترك عمله ـ وبعثه إلى الحَمْقَتَيْن من مشارف الشأم ، ولعمرو بن العاص إلى جماع قُضاعة ووديعة والحارث ، ولحذيفة بن محصَن الغلفانيّ وأمرَه بأهل دَبا ، ولعرفجة بن هرثمة وأمره بمهْرة؛ وأمرهما أن يجتمعا وكلّ واحد منهما في عمله على صاحبه ، وبعث شُرحْبيل بن حَسَنة في أثر عكرمة بن أبي جهل ، وقال: إذا فرغ من اليمامة فالحق بقُضاعة ، وأنت على خيلك تقاتلُ أهل الرّدّة ، ولطُرَيفَة بن حاجز وأمره ببني سُليم ومَن معهم من هَوازن ، ولسُويد بن مقرّن وأمَره بتِهامة اليمن ، وللعَلاء بن

---

(١) إسناده ضعيف.

الحضرميّ وأمرَه بالبَحْرين[١]. (٣ : ٢٤٩)

كتاب أبي بكر إلى القبائل المرتدة ووصيته للأمراء

٣١ ـ حدّثنا السريّ، قال: حدّثنا شُعيب، عن سيف، عن عبد الله بن سعيد، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك؛ وشاركه في العهد والكتاب قَحْذَم؛ فكانت الكتب إلى قبائل العرب المرتدة كتاباً واحداً:

بسم الله الرحمن الرحيم. من أبي بكر خليفة رسولِ الله ﷺ إلى من بَلَغه كتابي هذا من عامَّة وخاصَّة؛ أقام على إسلامه أو رجع عنه. سلامٌ علَى مَن اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى؛ فإنّي أحمَد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، نُقِرُّ بما جاء به، ونكفِّر مَن أبى ونُجاهده. أمّا بعدُ؛ فإن الله تعالى أرسلَ محمداً بالحقّ من عنده إلى خلقه بشيراً ونَذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، لينذِر مَن كان حيّاً ويحقّ القول على الكافرين. فهدَى الله بالحقّ مَن أجاب إليه، وضرب رسولُ الله ﷺ بإذنه مَنْ أدبر عنه؛ حتى صار إلى الإسلام طَوْعاً وكَرْهاً. ثمّ تَوَفَّى الله رسولَه ﷺ وقد نفذ لأمر الله، ونصح لأمّته؛ وقضى الذي عليه، وكان الله قد بيّن له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل؛ فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾، وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾، وقال للمؤمنين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾؛ فمَن كان إنما يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات، ومن كان إنما يعبدُ الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد؛ حيٌّ قَيُّومٌ لا يموت؛ ولا تَأخذُهُ سِنَة ولا نَومٌ، حافظ لأمره، منتقمٌ من عدوّه، يجزيه. وإنّي أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله، وما جاءكم به نبيُّكم ﷺ، وأن تهتدوا بهُداه، وأن تعتصموا بدين الله، فإنّ كلّ مَن لم يهدِه الله ضالٌّ، وكلّ مَنْ لم يُعافِه مبتلىً، وكلّ مَنْ لم يُعِنْه الله مخذول، فمن هداه الله كان مُهْتَدياً، ومَنْ أضلّه كان ضالاً؛ قال الله تعالى: ﴿مَن

(١) إسناده ضعيف.

يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ ، ولم يُقْبَل منه في الدنيا عَمَلٌ حتى يقرّ به؛ ولم يُقْبَلْ منه في الآخرة صَرْف ولا عَدْلٌ. وقد بلغني رجوعُ مَنْ رجع منكم عن دينه بعد أن أقرّ بالإسلام وعمل به؛ اغتراراً بالله، وجهالةً بأمره، وإجابة للشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾. وقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾؛ وإنّي بعثتُ إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرتُه ألاّ يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوَه إلى داعية الله؛ فمن استجاب له وأقرّ وكفّ وعمِل صالحاً قَبِلَ منه وأعانه عليه؛ ومَنْ أبى أمَرتُ أن يقاتلَه على ذلك؛ ثم لا يبقي على أحد منهم قَدَر عليه، وأن يُحرقهم بالنار، ويقتلهم كلّ قِتْلة، وأن يَسبيَ النساء والذراريّ، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام؛ فمَن اتّبعه فهو خير له، ومَنْ تركه فلن يعجِز الله. وقد أمرتُ رسولي أن يقرأ كتابي في كلّ مجمع لكم؛ والداعية: الأذان؛ فإذا أذّن المسلمون فأذَّنوا كُفُّوا عنهم؛ وإن لم يؤذّنوا عاجلوهم؛ وإن أذَّنوا اسألوهم ما عليهم؛ فإن أبوْا عاجلوهم، وإن أقرّوا قبل منهم؛ وحملهم على ما ينبغي لهم.

فنفذت الرُّسل بالكتب أمام الجنود، وخرجت الأمراء ومعهم العهود:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا عهدٌ من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال مَن رجع عن الإسلام، وعهد إليه أن يتّقي الله ما استطاع في أمره كلِّه سرّه وعلانيته، وأمره بالجدّ في أمر الله، ومجاهدة مَنْ تولّى عنه، ورجع عن الإسلام إلى أمانيّ الشيطان بعد أن يُعذِر إليهم فيدعوَهم بداعية الإسلام؛ فإن أجابوه أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه شنّ غارته عليهم حتى يقرُّوا له؛ ثم ينبئهم بالذي عليهم والّذي لهم، فيأخذ ما عليهم، ويعطيهم الذي لهم؛ لا يُنظرهم، ولا يردّ المسلمين عن قتال عدوّهم؛ فمن أجاب إلى أمر الله عزّ وجلّ وأقرّ له قبِل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف؛ وإنما يقاتل مَن كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله؛ فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيلٌ؛ وكان الله حسيبه بعد فيما استسرّ به، ومَن لم يجب داعية الله قُتِل وقوتل حيث كان؛ وحيث بلغ مراغمه، لا يقبل من أحد شيئاً أعطاه إلا الإسلام؛ فمَن أجابه وأقرّ قبل منه وعلمه، ومَنْ أبى قاتله؛ فإن أظهره الله عليه قتل منهم كلّ قتلة بالسلاح والنيران،

ثم قسَّم ما أفاء الله عليه ، إلا الخُمس فإنه يبلّغناه ، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد ، وألاّ يُدخل فيهم حَشْواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم؛ لا يكونوا عيوناً ، ولئلاّ يؤتى المسلمون مِنْ قِبَلِهم ، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقّدهم ، ولا يعجل بعضَهم عن بعض ، ويستوصي بالمسلمين في حُسْن الصحبة ولين القول[١]. (٣: ٢٥٠/ ٢٥١/ ٢٥٢).

ذكر بقية الخبر عن غطفان حين انضمت إلى طُليحَة

ما آل إليه أمْرُ طليحة

٣٢ ـ وأما هشام بن الكلبيّ؛ فإنه زعم أنّ أبا بكر لما رَجع إليه أسامة ومَن كان معه من الجيش؛ جَدَّ في حرب أهل الرّدة ، وخرج بالناس وهو فيهم حتى نزل بذي القَصّة ـ منزلاً من المدينة على بريدة من نحو نجد ـ فعَبّى هنالك جنودَه ، ثم بعث خالد بن الوليد على الناس ، وجعل ثابت بن قيس على الأنصار وأمْرُه إلى خالد ، وأمره أن يصمُد لطلَيْحة وعُيينة بن حصن ، وهما على بُزاخة ـ ماء من مياه بني أسد ـ وأظهِر أنّي ألاقيك بمَن معي من نحو خيبر ، مكيدة؛ وقد أوعب مع خالد النّاس؛ ولكنّه أراد أن يبلغ ذلك عدوّه فيرعبهم. ثم رجع إلى المدينة ، وسار خالد بن الوليد؛ حتى إذا دَنَا من القوم؛ بعث عُكّاشة بن محصن ، وثابت بن أقرم ـ أحد بني العَجْلان حليفاً للأنصار ـ طليعة؛ حتى إذا دنَوَا من القوم؛ خرج طُليحة وأخوه سلَمة ، ينظران ويسألان: فأمَّا سلمَة فلم يمهل ثابتاً أن قتله ، ونادى طليحة أخاه حين رأى أن قد فرغ من صاحبه أن أعنّي على الرجل؛ فإنه آكل. فاعتونا عليه ، فقتلاه ثم رجعا ، وأقبل خالد بالناس حتى مرّوا بثابت بن أقرم قتيلاً ، فلم يفطنُوا له حتى وطئته المطيُّ بأخفافها ، فكبُر ذلك على المسلمين ، ثم نظروا فإذا هم بعُكّاشة بن محصن صريعاً ، فجزع لذلك المسلمون ، وقالوا: قتل سيِّدان من سادات المسلمين وفارسان من فرسانهم؛ فانصرف خالد نحو طيِّىء[٢]. (٣: ٢٥٤).

٣٣ ـ قال هشام: قال أبو مِخْنف: فحدّثني سَعْد بن مجاهد عن المُحلّ بن

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف جداً فهو من طريق الكلبي معضلاً.

خليفة ، عن عديّ بن حاتم ، قال: بعثتُ إلى خالد بن الوليد أن سرْ إليّ ، فأقم عندي أياماً حتى أبعث إلى قبائل طيّيء ، فأجمع لك منهم أكثر ممن معك ، ثم أصحبك إلى عدوّك. قال: فسار إليّ[١]. (٣: ٢٥٤).

٣٤ ـ قال هشام: قال أبو مخنف: حدثنا عبد السلام بن سويد: أن بعض الأنصار حدّثه: أن خالداً لما رأى ما بأصحابه من الجزع عند مقتل ثابت وعُكّاشة؛ قال لهم: هل لكم إلى أن أميل بكم إلى حيٍّ من أحياء العرب؛ كثير عددهم ، شديدة شوْكتهم ، لم يرتدّ منهم عن الإسلام أحد! فقال له الناس: ومَنْ هذا الحيُّ الذي تعني؟ فنعم والله الحيّ هو! قال لهم: طيّيء ، فقالوا: وفّقك الله ، نعم الرأي رأيت! فانصرف بهم حتى نزل بالجيش في طيّيء[٢]. (٣: ٢٥٤/ ٢٥٥).

٣٥ ـ قال هشام: حدّثني جديل بن خَبّاب النّبهانيّ من بني عمرو بن أبيّ: أن خالداً جاء حتى نزل على أرُك؛ مدينة سَلْمى[٣]. (٣: ٢٥٥).

٣٦ ـ قال هشام: قال أبو مخنف: حدّثني إسحاق أنه نزل بأجأ ، ثم تعبَّأ لحربه ، ثمّ سار حتى التقيا على بُزاخة ، وبنو عامر على سادتهم وقادتهم قريباً يستمعون ، ويتربّصون على من تكون الدَّبْرَة[٤]. (٣: ٢٥٥).

٣٧ ـ قال هشام عن أبي مخْنف: حدّثني سعد بن مجاهد: أنه سمع أشياخاً من قومه يقولون: سألْنا خالداً أن نكفيَه قيساً فإنّ بني أسد حلفاؤنا ، فقال: والله ما قيسٌ بأوهن الشوْكتين ! اصمُدُوا إلى أيّ القبلتين أحببتم. فقال عديٌّ: لو ترك هذا الدين أسْرَتي الأدنى فالأدنى من قَوْمي لجاهدتُهم عليه ، فأنا أمتنع من جهاد بني أسَد لحِلْفهم! لا لعمرُ الله لا أفعل! فقال له خالد: إنّ جهاد الفريقين جميعاً جهادٌ؛ لا تخالف رأيَ أصحابك ، امضِ إلى أحدِ الفريقين ، وامضِ بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط[٥]. (٣: ٢٥٥).

---

(١) إسناده تالف فهو من طريق الهالك أبي مخنف.
(٢) إسناده تالف فهو من طريق الهالك أبي مخنف.
(٣) إسناده ضعيف جداً فهو من طريق الكلبي.
(٤) إسناده تالف فهو من طريق الهالك أبي مخنف.
(٥) إسناده تالف فهو من طريق الهالك أبي مخنف.

٣٨ ـ قال هشام عن أبي مخنف: فحدثني عبد السلام بن سويد: أن خيلَ طيّىء كانت تلقى خيل بني أسد وفزارة قبل قُدومِ خالد عليهم فيتشامّون ولا يقتتلون، فتقول أسد وفزارة: لا والله لا نبايع أبا الفصيل أبداً. فتقول لهم خيل طيىء: أشهد ليقاتلنّكم حتى تكنوه أبا الفحل الأكبر! [1] (٣: ٢٥٥).

٣٩ ـ حدّثني السّريّ، قال: حدّثنا شُعيب عن سيف، عن الحجاج، عن عمرو بن شعيب، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ قد بعثَ عمرو بن العاص إلى جَيْفر، منصرَفَه من حجَّة الوداع، فماتَ رسولُ الله ﷺ وعمرو بعُمَان، فأقبل حتى إذا انتهى إلى البحْرين؛ وجَد المنذر بن ساوى في الموت. فقال له المنذر: أشِرْ عليَّ في مالي بأمرٍ لي ولا عليّ، قال: صَدِّقْ بعَقار صَدَقَةً تجري مِن بعدك، ففعل. ثم خرج من عنده، فسار في بني تميم، ثم خرج منها إلى بلاد بني عامرٍ، فنزل على قُرَّة بن هبيرة، وقرّة يقدّم رِجلاً ويؤخِّر رجلاً؛ وعلى ذلك بنو عامر كلّهم إلاّ

---

(١) إسناده تالف فهو من طريق الهالك أبي مخنف.

تعقيب علىٰ متون روايات أبي مخنف (٣/ ٢٥٤ ـ ٥٤، ٣/ ٢٥٥ ـ ٥٩):

هذه الروايات التي جاءت من طريق التالف الهالك أبي مخنف تذكر قبل كل شيء أن طيئاً لم ترتد وهذا مخالف لما أخرجه الطبري من طريق سيف (٣/ ٢٤٢/ ٤٤) من أن القبائل العربية ارتدت عدا قريش وثقيف (وهذه الرواية وإن كانت ضعيفة الإسناد فإنها أقوىٰ سنداً من سند أبي مخنف بكثير) فسيف معتمد في التأريخ عند ابن حجر وعارف به عند الذهبي ضعيف في الحديث إلاّ أن أبا مخنف تالف هالك ليس بشيء لا في الحديث ولا في التأريخ.

وأضف إلىٰ ذلك فإن رواية السيدة عائشة رضي الله عنها في ارتداد العرب وهي تصف ارتداد الجزيرة بصورة عامة وأن النفاق قد اشرأب فيها، يخالف كذلك ما رواه أبو مخنف. أضف إلىٰ ذلك ما ذكرناه من الشواهد في قسم صحيح عهد الخلفاء الراشدين في حروب الردة فراجعها هناك، ولا نريد أن نطيل هنا أكثر في هذا الموضوع فنحن بصدد تصحيح أو تضعيف الروايات التأريخية عند الطبري ونضطر أحياناً إلىٰ التفصيل بعض الشيء عن متون الأحاديث الضعيفة ـ ومن أراد المزيد (من الباحثين وغيرهم) فليراجع ما كتبه الشيخ الفاضل يحيىٰ الحي في كتابه (مرويات أبي مخنف في تأريخ الطبري ـ تقديم العمري).

فقد درس هذه الروايات الضعيفة بالتفصيل ولا ننسىٰ أن نشير إلىٰ أن أبا مخنف قد صوّر خالداً رضي الله عنه وكأنه يسير في الأرض حسب ما يرىٰ لا كما يأمره خليفة المسلمين الصديق رضي الله عنه، وروايات الطبري (التي ذكرنا في قسم الصحيح) وما معها من شواهد تدلّ دلالة واضحة أن أبا بكر قد رسم له خطة تحركه وكان خالد هو المنفذ الأمين والقوي لهذه الخطة فرضي الله عنهم وأرضاهم.

خواصّ ، ثم سار حتى قدم المدينة ، فأطافت به قريش ، وسألوه فأخبرهم أنّ العساكر مُعَسْكرة من دَبَا إلى حيث انتهيت إليكم ، فتفرّقوا وتحلَّقوا حلَقاً ، وأقبل عمر بن الخطاب يريد التسليم على عمرو ، فمرّ بحلْقة ، وهم في شيء مِنَ الذي سمعوا من عمرو وفي تلك الحلْقة: عثمان ، وعليّ ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن ، وسعد؛ فلما دنا عمر منهم سكتوا ، فقال: فيم أنتم؟ فلم يجيبوه ، فقال: ما أعلمني بالذي خلوتم عليه! فغضب طلحة ، وقال: تالله يا بن الخطاب لتُخْبرنا بالغيب! قال: لا يعلم الغيبَ إلا الله؛ ولكن أظنّ قلتم: ما أخوفَنا على قريش من العرب وأخلقهم ألاّ يقرُّوا بهذا الأمر! قالوا: صدقت ، قال: فلا تخافوا هذه المنزلة ، أنا والله منكم على العرب أخوفُ منِّي من العرب عليكم؛ والله لو تدخلون معاشرَ قريش جُحْراً لدخلتْه العرب في آثاركم؛ فاتقوا الله فيهم. ومضى إلى عمرو فسلّم عليه ، ثم انصرف إلى أبي بكر[1] . (٣: ٢٥٨/٢٥٩) .

٤٠ ـ حدّثنا السِّريّ ، قال: حدّثنا شُعيب عن سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال: نزل عمرو بن العاص منصرفَه من عُمَان ـ بعد وفاة رسول الله ﷺ ـ بقُرَّة بن هُبيرة بن سلَمة بن قُشير ، وحولَه عسكر من بني عامر من أفنائهم ، فذبح له ، وأكرمَ مثواه ، فلمّا أراد الرحلة؛ خَلا به قرّة ، فقال: يا هذا ! إنّ العرب لا تطيبُ لكم نفساً بالإتاوة ، فإن أنتم أعفيتموها من أخذِ أموالها فستسمع لكم وتطيع؛ وإن أبيتم فلا أرى أن تجتمع عليكم. فقال عمرو: أكفرت يا قرّة! وحوله بنو عامر؛ فكره أن يبوح بمتابعتهم فيكفروا بمتابعته ، فينفر في شرّ ، فقال: لنردّنكم إلى فيئتكم ـ وكان من أمره الإسلام ـ اجعلوا بيننا وبينكم موعداً. فقال عمرو: أتوعدنا بالعرب وتخوّفنا بها! موعدك حَفْشُ أمك؛ فو الله لأوطِئنّ عليك الخيل. وقدم على أبي بكر والمسلمين فأخبرهم[2] (٣: ٢٥٩) .

٤١ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال: حدّثني محمد بن إسحاق عن محمّد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال: أخبرني مَن نظر إلى عُيينة بن حصن مجموعةً يداه إلى عنُقه بحبل ، يَنْخسه غلمان

---

(١) إسناده ضعيف ، أما بعثة عمرو بن العاص إلىٰ عُمان فراجعها في قسم الصحيح من تاريخ الخلفاء (٣/ ٦٤).

(٢) إسناده ضعيف.

المدينة بالجريد ، يقولون : أيْ عدوّ الله ! أكفرت بعد إيمانك ؟! فيقول : والله ما كنت آمنت بالله قطّ . فتجاوز عنه أبو بكر وحَقَن له دمه[١] . (٣ : ٢٦٠) .

ذكر ردّة هوازن وسليم وعامر

٤١ ـ حدّثنا السريّ ، قال : حدثنا شعيب عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجِذْع ، عن عبد الرحمن بن كعب ، عمّن شهد بُزاخة من الأنصار ، قال : لم يُصبْ خالد على البُزاخة عيّلاً واحداً ، كانت عيالات بني أسد مُحْرَزة ـ وقال أبو يعقوب : بين مِثْقَب وفَلْج ، وكانت عيالات قيس بين فلْج وواسط ـ فلم يَعْدُ أن انهزموا ، فأقرُّوا جميعاً بالإسلام خشية على الذراريّ ، واتقوا خالداً بطلبته ، واستحقوا الأمان ؛ ومضى طُلَيحة ؛ حتى نزل كلْب على النَّقْع ، فأسلم ، ولم يزل مقيماً في كلْب حتى مات أبو بكر ؛ وكان إسلامه هنالك حين بلغه أن أسداً وغطفان وعامراً قد أسلموا ؛ ثم خرج نحو مكة معتمراً في إمارة أبي بكر ، ومرّ بجَنَبات المدينة ، فقيل لأبي بكر : هذا طليحة ، فقال : ما أصنع به! خلّوا عنه ، فقد هداه الله للإسلام . ومضى طليحة نحو مكة فقضى عمرته ، ثم أتى عمر إلى البَيعة حين استخْلِف ، فقال له عمر : أنت قاتل عُكّاشة وثابت! والله لا أحبُّك أبداً . فقال : يا أمير المؤمنين ! ما تَهمّ من رجلين أكرمهما الله بيدي ، ولم يُهِنِّي بأيديهما! فبايعه عمر ثم قال له : يا خُدَع ! ما بقي من كهانتك؟ قال : نفخة أو نفختان بالكير . ثم رجع إلى دار قومه ؛ فأقام بها حتى خرج إلى العراق[٢] . (٣ : ٢٦١) .

٤٣ ـ حدّثنا السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عمرو وأبي ضَمْرة ، عن ابن سيرين مثل معانيه .

وأقبلت بنو عامر بعد هزيمة أهل بُزاخة يقولون : ندخلُ فيما خرجنا منه ؛ فبايعهم على ما بايع عليه أهل البُزاخة من أسَد وغَطَفان وطيّىء قبلَهم ، وأعطوه بأيديهم على الإسلام ، ولم يقبل من أحد من أسد ولا غطَفان ولا هوازن

---

(١) إسناده ضعيف لضعف ابن حميد وعنعنة ابن إسحاق وهو مدلس وإبهام شيخ عبيد الله بن عتبة .

(٢) إسناده ضعيف .

ولا سُليم ولا طيّىء إلاّ أن يأتوه بالذين حَرّقوا ومثّلوا وعدوْا على أهل الإسلام في حال ردّتهم ، فأتوْه بهم ، فقبل منهم إلاّ قرة بن هُبيرة ونفراً معه أوثقهم ، ومثّل بالذين عَدَوْا على الإسلام؛ فأحرقهم بالنيران ورضَخهم بالحجارة ، ورمى بهم من الجبال، ونكسهم في الآبار ، وخَزَق بالنّبال. وبعث بقرّة وبالأسارى ، وكتب إلى أبي بكر: إنّ بني عامر أقبلت بعد إعراض ، ودخلت في الإسلام بعد تربُّص؛ وإنّي لم أقبل من أحد قاتلني أو سالمني شيئاً حتى يجيئوني بمَن عدا على المسلمين؛ فقتلتهم كلّ قتلة ، وبعثتُ إليك بقرّة ، وأصحابه[1]. (٣: ٢٦٢/ ٢٦٣).

٤٤ ـ حدّثنا السَّريّ ، قال: حدّثنا شُعيب عن سيف ، عن أبي عمرو ، عن نافع ، قال: كتب أبو بكر إلى خالد: لِيَزِدْك ما أنعم الله به عليك خيراً ، واتّق الله في أمرك؛ فإنّ الله مع الذين اتَّقَوْا والذين هُمْ محسنون جدَّ في أمر الله ولا تَبنيَنّ ، ولا تظفرنّ بأحد قتَل المسلمين إلا قتلتَه ونكّلتَ به غيره؛ ومَن أحببت ممن حادَّ الله أو ضادَّه ممّن ترى أن في ذلك صلاحاً فاقتله. فأقام على البُزاخة شهراً يُصَعِّد عنها ويُصَوِّب ، ويرجع إليها في طلب أولئك؛ فمنهم مَنْ أحرِق ، ومنهم من قمطه ورضَخَه بالحجارة؛ ومنهم مَنْ رمى به من رؤوس الجبال. وقدم بقرّة وأصحابه ، فلم ينزلوا ولم يُقَل لهم كما قيل لعُيَيْنة وأصحابه؛ لأنهم لم يكونوا في مثل حالهم؛ ولم يفعلوا فعلهم[2]. (٣: ٢٦٣).

٤٥ ـ قال السريّ: حدّثنا شعيب عن سيف ، عن سهل وأبي يعقوب ، قالا: واجتمعت فُلاّل غَطَفان إلى ظَفَر ، وبها أم زِمْل سلمى بنت مالك بن حُذيفَة بن بدر؛ وهي تشبَّه بأمّها أم قرفة بنت ربيعة بن فلان بن بدر؛ وكانت أمّ قرفة عند مالك بن حذيفة ، فولدت له قرفة ، وحكَمَة ، وحُرَاشة ، وزِمْلاً ، وحصيناً ، وشريكاً ، وعبداً ، وزُفَر ، ومعاوية ، وحَمَلة ، وقيساً ، ولأياً؛ فأما حَكَمة فقتله رسول الله ﷺ يوم أغار عُيينة بن حِصْن على سَرْح المدينة ، قتله أبو قتادة؛ فاجتمعت تلك الفُلاَّل إلى سلْمى؛ وكانت في مثل عزّ أمها ، وعندها جَمل أم قرفة؛ فنزلوا إليها فذمرتْهُم ، وأمرتهم بالحرب ، وصعَّدتْ سائرة فيهم وصوَّبتْ ، تدعوهم إلى حرب خالد ، حتى اجتمعوا لها ، وتشجَّعوا على ذلك ،

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

وتأشَّب إليهم الشُّرَداءُ من كلّ جانب ـ وكانت قد سبِيَت أيَّام أم قِرْفة ، فوقعت لعائشة فأعتقتها ، فكانت تكون عندها ، ثم رجعت إلى قومها؛ وقد كان النبيّ ﷺ دخل عليهنّ يوماً ، فقال: إنّ إحداكنّ تستنبح كلاب الحوْءب؛ ففعلت سَلْمى ذلك حين ارتدّت؛ وطلبت بذلك الثأر ، فسيّرت فيما بين ظفر والحوْءب؛ لتجمع إليها ، فتجمَّع إليها كُلُّ فَلّ ومُضَيَّق عليه من تلك الأحياء من غَطفان ، وهَوازِن ، وسُلَيم ، وأسد ، وطيّىء ، فلما بلغ ذلك خالداً ـ وهو فيما هو فيه من تتبع الثأر ، وأخذ الصدقة ودعاء الناس وتسكينهم ـ سار إلى المرأة وقد استكثف أمرُها ، وغلُظ شأنها؛ فنزل عليها وعلى جُمَّاعها ، فاقتتلوا قتالاً شديداً؛ وهي واقفة على جَمَل أمّها ، وفي مثل عزّها ، وكان يقال: من نخس جملها فله مئة من الإبل لعزّها ، وأبيرتْ يومئذ بيوتات من جاس ـ قال أبو جعفر: جاس حيّ من غَنْم ـ وهاربة ، وغَنْم ، وأصيب في أناس من كاهِل ، وكان قتالهم شديداً؛ حتى اجتمع على الجمل فوارس فعقروه وقتلوها. وقتل حول جملها مئة رجل؛ وبعث بالفتح ، فقدم على أثر قُرّة بنحو من عشرين ليلة[1]. (٣: ٢٦٣/ ٢٦٤).

٤٦ ـ قال السريّ: قال شعيب عن سيف ، عن سهل وأبي يعقوب ، قالا: كانَ من حديث الجوَاء وناعِر: أنّ الفجاءة إياس بن عبد ياليل قدم على أبي بكر ، فقال: أعنّي بسلاح ، ومُرْني بمن شئت من أهل الرِّدّة. فأعطاه سلاحاً ، وأمَره أمْره ، فخالف أمره إلى المسلمين ، فخرج حتى ينزل بالجواء ، وبعث نجبة بن أبي المَيْثاء من بني الشَّريد ، وأمره بالمسلمين؛ فشنَّها غارةً على كلّ مسلم في سُلَيم وعامر وهوازن؛ وبلغ ذلك أبا بكر ، فأرسل إلى طُرَيْفة بن حاجز يأمره أن يجمع له وأن يسير إليه ، وبعث إليه عبد الله بن قيس الجاسيّ عوناً؛ ففعل ، ثمّ نهضا إليه وطلباه؛ فجعل يلوذ منهما حتى لقِيَاه على الجواء؛ فاقتتلوا ، فقتل نجبة ، وهرب الفجاءة ، فلحقه طُرَيفة ، فأسره. ثم بعث به إلى أبي بكر ، فقدم به على أبي بكر ، فأمر فأوقد له ناراً في مصلّى المدينة على حطب كثير ، ثمّ رمي به فيها مقموطاً[2]. (٣: ٢٦٤).

٤٧ ـ قال أبو جعفر: وأمّا ابنُ حُميد؛ فإنه حدّثنا في شأن الفُجاءة عن سلَمة ،

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

عن محمّد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال: قدم على أبي بكر رجلٌ من بني سُلَيم ، يقال له: الفجاءة؛ وهو إياس بن عبد الله بن عبد ياليل بن عُميرة بن خُفاف ، فقال لأبي بكر: إني مسلم ، وقد أردت جهاد مَن ارتدّ من الكُفّار ، فاحملني وأعنّي؛ فحمله أبو بكر على ظَهْر ، وأعطاه سلاحاً ، فخرج يستعرِض الناس: المسلم والمرتدّ ، يأخذ أموالهم ، ويصيب مَن امتنع منهم؛ ومعه رجلٌ من بني الشَّريد ، يقال له: نجبة بن أبي المَيْثاء ، فلمّا بلغ أبا بكر خبرُه ، كتب إلى طريفة بن حاجز: إنّ عدو الله الفجاءة أتاني يزعُم: أنه مسلم ، ويسألني أنْ أقوّيَه عَلَى من ارتدّ عن الإسلام ، فحملته وسلَّحتُه ، ثم انتهى إليّ من يقين الخبر: أنّ عدوّ الله قد استعرَض الناس: المسلم والمرتدّ يأخذ أموالهم ، ويقتل مَن خالفه منهم ، فسرْ إليه بمن معك من المسلمين حتى تقتلَه ، أو تأخذه فتأتيَني به. فسار طُريفة بن حاجز ، فلمّا التقى الناس كانت بينهم الرِّمِّيَّا بالنّبل ، فقُتل نجبة بن أبي الميثاء بسهم رُمي به ، فلما رأى الفجاءة من المسلمين الجِدَّ؛ قال لطُريفة: والله ما أنت بأوْلى بالأمر منِّي ، أنت أميرٌ لأبي بكر وأنا أميره. فقال له طريفة: إن كنت صادقاً فضعِ السلاح ، وانطلق معي إلى أبي بكر. فخرج معه ، فلما قدما عليه أمر أبو بكر طُريفة بن حاجز ، فقال: اخرج به إلى هذا البَقيع فحرِّقْه فيه بالنار؛ فخرج به طُريفة إلى المصلَّى فأوقد له ناراً ، فقذفه فيها ، فقال خُفاف بن نُدْبَة ـ وهو خُفاف بن عمير ـ يذكر الفجاءة فيما صنع:

لِمَ يأخذون سلاحَه لِقِتالِه ... ولذاكُمُ عند الإلهِ أثامُ
لا دينهمْ ديني ولا أنا منهم ... حتى يسيرَ إلى الصّرَاة شَمامُ[1]
(٣: ٢٦٥).

٤٨ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سَلمة عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال: كانت سُليم بن منصور قد انتقض بعضُهم ، فرجعوا كُفّاراً ، وثبت بعضهم على الإسلام مع أمير كان لأبي بكر عليهم ، يقال له: معن بن حاجز ، أحد بني حارثة ، فلمّا سار خالد بن الوليد إلى طليحة وأصحابه ، كتب إلى معن بن حاجز أن يسير بمن ثبت معه على الإسلام من بني سُلَيم مع خالد ، فسار واستخلف على عمله أخاه طُرَيفة بن حاجز ، وقد كان لِحقَ فيمن لحق من

(١) إسناده ضعيف.

بني سُلَيم بأهل الردّة أبو شجرة بن عبد العُزَّى ، وهو ابن الخنساء ، فقال :

فلو سألَتْ عنّا غداةَ مُرامرٍ كما كنتُ عنها سائلاً لو نَأيْتُها
لقاء بني فِهْرٍ وكان لقاؤهم غداةَ الجِواءِ حَاجَةً فقضيتُها
صبَرْتُ لهم نفسِي وعرَّجْت مُهْرَتي على الطَّعْن حتى صار وَرْداً كُمَيْتُها
إذا هيَ صَدَّتْ عن كَمِيّ أُريده عَدَلْتُ إليه صَدْرَها فهديْتُها

فقال أبو شجرة حين ارتدّ عن الإسلام :

صَحَا القلبُ عن مَيّ هواه وأقْصرا وطلوعَ فيها العاذلين فأبْصَرا
وأصبح أدنَى رائِد الجَهْلِ والصِّبا كما وُدُّها عنَّا كذاك تَغَيَّرَا
وأصبح أدنى رائدِ الوصل منهُمُ كما حبْلُها من حبلنا قد تَبَتّرا
ألا أيّها المُدْلِي بكثرة قومه وحظُّك منهم أن تُضَامَ وتُقْهَرَا
سَلِ الناس عنّا كلَّ يوم كَريهَةٍ إذا ما التقينا : دارِعينَ وحُسَّرا
أَلَسْنا نُعاطي ذا الطِّمَاح لجامَهُ ونَطْعن في الهيجا إذا الموتُ أَقْفرا!
وعاضِرَةٌ شهباءُ تَخْطِرُ بالقَنا ترى البُلْقَ في حافتها والسَّنَوّرا
فَرَوَّيْتُ رُمْحي من كَتِيبَةِ خَالدٍ وإني لأرْجو بعدها أن أُعمَّرا

ثم إنّ أبا شجرة أسلم ، ودخل فيما دخل فيه الناس؛ فلما كان زمن عمر بن الخطاب قدم المدينة[١] . (٣ : ٢٦٥/ ٢٦٦).

٤٩ ـ فحدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أنس السُّلميّ ، عن رجال من قومه . وحدثنا السَّري قال : حدّثنا شعيب عن سيف ، عن سهل ، وأبي يعقوب ، ومحمد بن مرزوق ، وعن هشام ، عن أبي مِخْنف ، عن عبد الرحمن بن قيس السُّلمِيّ ، قالوا : فأناخ ناقته بصعيد بني قريظة ، قال : ثمّ أتى عمر؛ وهو يعطي المساكين من الصّدقة ويقسِّمها بين فقراء العرب ، فقال : يا أمير المؤمنين ! أعطني فإني ذو حَاجة ، قال : ومَنْ أنت؟ قال : أبو شجرة بن عبد العزَّى السُّلميّ ، قال : أبو شجرة! أيْ عدوّ الله ! ألستَ الذي تقول :

فروّيتُ رمحي من كتيبة خالدٍ وإني لأرجُو بعدها أن أعمّرا

---

(١) إسناده ضعيف وسنتحدث عنه بعد الرواية التالية .

قال: ثم جعل يعلوه بالدِّرَّة في رأسه حتى سبقه عَدْواً، فرجع إلى ناقته فارتحلها، ثم أسندها في حَرَّة شَوْران راجعاً إلى أرض بني سليم، فقال:

ضَنّ علينا أبو حفصٍ بنائِلِه ... وكلُّ مُختبطٍ يوماً له وَرَقُ
ما زال يُرْهقني حتى خَذِيت له ... وحال من دون بعض الرَّغبَةِ الشَّفَقُ
لمَّا رهبتُ أبا حفصٍ وشُرْطَتهُ ... والشيْخُ يفزع أحياناً فيَنْحمِقُ
ثُمَّ ارْعويتُ إليها وَهْيَ جانحَةٌ ... مِثل الطَّريدة لم ينبت لها ورقُ
أوردتها الخَلَّ من شَوْران صادِرَةً ... إنى لأزْرِي عليها وَهْيَ تنطلقُ
تَطِيرُ مَرْوُ أبانٍ عن مناسمها ... كما تُنوقِد عند الجِهْبذ الورقُ
إذا يعارضها خَرْقٌ تعارضه ... وَرْهَاء فيها إذا استعجلتها خُرُق
ينوءُ آخرها منها بأوّلها ... سُرْحُ اليدين بها نَهّاضَة العُنُق[1]

(٣: ٢٦٦/٢٦٧).

ذكر خبر بني تميم وأمر سجاح بنت الحارث بن سُوَيد

٥٠ - ذكر السريّ عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن عطية بن بلال، عن أبيه، وسهم بن منجاب؛ وقيس بن عاصم على مُقَاعِس والبُطُون، وصفوان ابن صفوان، وسَبْرَةُ بن عمرو على بني عمرو؛ هذا على بَهْدَى وهذا على خَضَّم - قبيلتين من بني تميم - ووكيع بن مالك ومالك بن نُوَيْرة على بني حنظلة؛ هذا على بني مالك، وهذا على بني يربوع. فضرب صفوان إلى أبي بكر حين وقَع إليه الخبر بموت النبيّ ﷺ بصدقات بني عمرو، وما ولي منها وبما ولي سبرة، وأقام

(١) إسناده مركب تالف ففي الإسناد الأول شيخ الطبري ابن حميد الرازي وهو ضعيف وفيه كذلك مجهولون (رجال من قومه).
وفي الجزء الثاني شعيب (تلميذ سيف) وهو معروف بتحامله على السلف وفي الإسناد الثالث أبي مخنف وهو تالف هالك.
وإضافة إلى هذا الضعف الشديد في السند ففي متنه نكارة شديدة فكيف لا يعرف سيدنا عمر (وهو من هو من العلم والمنزلة الرفيعة) أن الإسلام يجبُّ ما قبله حتى أنه قال لأبي شجرة: أي عدو الله! وجعل يعلوه بالدرة حاشا لسيدنا عمر أن يفعل ذلك. والأثر منكر والله تعالى أعلم.

سبرة في قومه لحدث إن ناب القوم ، وقد أطرق قيس ينظر ما الزبرقان صانعٌ. وكان الزّبرقان متعتّباً عليه ، وقلّما جامله إلاّ مزّقه الزّبرقان بحظوته وجَدّه. وقد قال قيس وهو ينتظر لينظر ما يصنع ليخالفه حين أبطأ عليه: واويلنا من ابن العُكْليّة! والله لقد مزّقني فما أدري ما أصنع! لئن أنا تابعتُ أبا بكر وأتيته بالصّدقة لينحرنّها في بني سعد فليسودُنّي فيهم ، ولئن نحرتها في بني سعد ليأتينّ أبا بكر فليسوّدَنّي عنده. فعزم قيس على قسمها في المقاعس والبطون ، ففعل. وعزم الزّبرقان على الوَفاء ، فاتّبع صَفوانَ بصدقات الرِّباب وعوف والأبناء حتى قدِم بها المدينة ، وهو يقول ، ويُعرِّض بقيس:

وفيتُ بأذْوادِ الرَّسول وقد أبَتْ سُعاة فلم يَردُدْ بعيراً مُجيرُها

وتحلّل الأحياء ونشب الشرّ ، وتشاغلوا وشَغَل بعضُهم بعضاً. ثم ندم قيس بعد ذلك ، فلما أظلّه العَلاء بن الحَضْرميّ أخرج صدقتها؛ فتلقّاه بها؛ ثم خرج معه ، وقال في ذلك:

ألاَ أبْلِغَا عَنّي قريشاً رسالةً إذا ما أتَتْها بيّناتُ الودائع

فتشاغلت في تلك الحال عَوْف والأبناء بالبُطون والرِّباب بمقاعس ، وتشاغلت خَضّمَ بمالك وبَهْدَى بيربوع؛ وعلى خَضّم سَبْرة بن عمرو ، وذلك الذي حلَّفه عن صفوان والحصين بن نيار على بَهْدَى ، والرّباب؛ عبد الله بن صَفوان على ضبَّة ، وعصمة بن أبَيْر على عبد مناة ، وعلى عوف والأبناء عوف بن البلاد بن خالد من بني غَنْم الجُشميّ ، وعلى البطون سِعْر بن خُفاف؛ وقد كان ثمامة بن أثال تأتيه أمدادٌ من بني تميم؛ فلمّا حدث هذا الحدث فيما بينهم تراجعوا إلى عشائرهم ، فأضرَّ ذلك بثمامة بن أثال حتى قدم عليه عكرمة وأنهضه؛ فلم يصنع شيئاً؛ فبينا الناس في بلاد تميم على ذلك ، قد شغل بعضهم بعضاً فمُسْلِمُهم بإزاء من قَدّم رجْلاً وأخّر أخرى وتربَّص ، وبإزاء من ارتاب ، فَجِئَتْهم سَجَاح بنت الحارث قد أقبلت من الجزيرة ، وكانت ورهطها في بني تغلب تقود أفناءَ ربيعة ، معها الهُذَيل بن عمران في بني تغلب ، وعَقَّة بن هلال في النّمر ، وتاد بن فلان في إياد ، والسَّليل بن قيس في شَيْبان ، فأتاهم أمرٌ دهيّ ، هو أعظم مما فيه الناس ، لهجوم سَجاح عليهم ، ولما هم فيه من اختلاف الكلمة ، والتشاغل بما بينهم. وقال عُفَيف بن المنذر في ذلك:

أَلَم يأتيك والأنباءُ تَسْرِي ... بما لاقَتْ سَراة بني تَميم
تَداعَى مِنْ سراتهمُ رِجالٌ ... وكانوا في الذَّوائب والصَّميم
وألْجَوْهم وكان لهم جِنابٌ ... إلى أحياء خاليةٍ وخِيمِ

وكانت سَجاح بنت الحارث بن سويد بن عُقْفان ـ هي وبنو أبيها عُقْفان ـ في بني تغلب ، فتنبَّتْ بعد موت رسول الله ﷺ بالجزيرة في بني تغلب . فاستجاب لها الهُذيل ، وترك التنصّر؛ وهؤلاء الرؤساء الذين أقبلوا معها لتغزوَ بهم أبا بكر. فلما انتهتْ إلى الحَزْن راسلتْ مالك بن نُويرة ودعَتْه إلى الموادعة ، فأجابها ، وفثأها عن غزوها ، وحَملَها على أحياء من بني تميم ، قالت: نعم ، فشأنَك بمن رأيت ، فإني إنما أنا امرأة من بني يربوع ، وإن كان مُلك فالمُلك مُلْككم. فأرسلت إلى بني مالك بن حنظلة تدعُوهم إلى الموادعة ، فخرج عطارد بن حاجب وسروات بني مالك حتى نزلوا في بني العنبر على سَبْرة بن عمرو هرّاباً قد كرهوا ما صنع وكيع ، وخرج أشباههم من بني يربوع؛ حتى نزلوا على الحصين بن نيّار في بني مازن ، وقد كرهوا ما صنع مالك؛ فلمّا جاءت رسلُها إلى بني مالك تطلب الموادعة ، أجابها إلى ذلك وكيع ، فاجتمع وكيع ومالك وسجاح ، وقد وادع بعضهم بعضاً ، واجتمعوا على قتال الناس وقالوا: بمن نبدأ؟ بخَضّمَ ، أم ببَهدى ، أم بعوف والأبناء ، أم بالرِّباب؟ وكفّوا عن قيس لما رأوا من تردّدِه وطمعوا فيه ، فقالت: «أعِدُّوا الرّكاب ، واستعدّوا للنّهاب؛ ثمّ أغيروا على الرّباب ، فليس دونهم حجاب».

قال: وصمدتْ سجاح للأحفار حتى تنزِل بها ، وقالت لهم: إنّ الدَّهناء حجاز بني تميم؛ ولن تعدو الرّباب؛ إذا شدّها المصاب ، أن تلوذ بالدجاني والدهاني؛ فلينزلها بعضكم. فتوجّه الجفول ـ يعني: مالك بن نُوَيرة ـ إلى الدّجاني فنزلها؛ وسمعتْ بهذا الرّباب فاجتمعوا لها؛ ضَبَّتها وعبد مناتها ، فولي وَكِيع وبِشْر بني بكْر من بني ضَبّة ، وَوَليَ ثعلبة بن سَعْد بن ضَبَّة عقَّة ، ووليَ عبدَ مناة الهذيلُ. فالتقى وكيع وبشر وبنو بكر من بني ضَبَّة ، فهُزما ، وأسِرَ سماعة ، ووكيع وقَعْقاع ، وقتلتْ قتلى كثيرة؛ فقال في ذلك قَيس بن عاصم؛ وذلك أوّلَ ما استبان فيه الندم:

كأنّك لم تَشْهَدْ سَمَاعةَ إذْ غَزا ... وما سُرّ قَعْقاعٌ وخابَ وَكيعُ

رأيتُك قد صاحَبْتَ ضَبَّةَ كارهاً على نَدَبٍ في الصَّفْحَتَيْن وَجِيع
ومُطْلِقُ أَسْرَى كان حمقاً مَسِيرُها إلى صَخَراتٍ أَمْرُهُنَّ جَمِيع

فصرفَتْ سجاح والهذيل وعقَّة بني بكر للموادعة التي بينها وبين وكيع ـ وكان عقَّة خالَ بشر ـ وقالت: اقتلوا الرّباب ويصالحونكم ويطلقون أسراكم، وتحملون لهم دماءهم؛ وتحمَد غبَّ رأيهم أخراهم. فأطلقتْ لهم ضبَّة الأسْرَى؛ وودَوُا القتلَى، وخرجوا عنهم. فقال في ذلك قيس يُعَيِّرهم صلْحَ ضبَّة إسعاداً لضبَّة وتأنيباً لهم. ولم يدخل في أمر سجاح عمريّ ولا سعديّ ولا ربِّيّ؛ ولم يطمعوا من جميع هؤلاء إلا في قيس؛ حتّى بدا منه إسعاد ضبَّة؛ وظهر منه الندم. ولم يُمَالِئْهُم من حنظلة إلاّ وكيع ومالك؛ فكانت ممَالأتهما موادَعةٌ على أن ينصر بعضهم بعضاً، ويحتاز بعضهم إلى بعضهم؛ وقال أصَمُّ التَّيميّ في ذلك:

أَتَتْنا أختُ تغلب فَاستهدّتْ جلائبَ من سَرَاةِ بني أبِينا
وأَرْسَتْ دعوةً فينَا سَفَاهاً وكانت من عمائر آخرينا
فما كُنَّا لنَرْزِيهم زِبالاً وما كانت لتُسْلم إذ أُتينا
ألاَ سَفِهَتْ حلومُكُمُ وضلَّتْ عَشِيَّةَ تَحْشُدونَ لها ثُبِينَا

قال: ثمّ إنّ سَجاح خرجت في جُنود الجزيرة، حتى بلغت النِّبَاج؛ فأغار عليهم أوْس بن خُزيمة الهُجَيْميّ فيمن تأشَّبَ إليه من بني عمرو، فأسر الهذيل؛ أسره رجلٌ من بني مازن ثم أحد بني وَبر، يُدْعى ناشرة. وأسِرَ عَقَّة؛ أسره عبدة الهيجميّ؛ وتحاجزوا على أن يترادّوا الأسرى، وينصرفوا عنهم، ولا يجتازوا عليهم؛ ففعلوا، فردُّوها وتوثَّقوا عليها وعليهما أن يرجعوا عنهم، ولا يتَّخذوهم طريقاً إلا من ورائهم. فوفوا لهم؛ ولم يزل في نفسِ الهذيل على المازنيّ؛ حتى إذا قُتل عثمان بن عفانٍ، جمع جمعاً فأغار على سَفار، وعليه بنو مازن؛ فقتلتْه بنو مازن ورَموا به في سَفار.

ولمَّا رجع الهُذيل وعقَّة إليها، واجتمع رؤساء أهل الجزيرة؛ قالوا لها: ما تأمريننا؟ فقد صالَح مالك، ووكيع قومهما؛ فلا ينصروننا، ولا يزيدوننا على أن نجوز في أرضهم، وقد عاهدنا هؤلاء القوم. فقالت: اليمامة. فقالوا: إن شوكة أهل اليمامة شديدة؛ وقد غلُظَ أمر مسيْلمة؛ فقالت: عليكم باليمامة! ودفُّوا دَفيفَ الحمامة؛ فإنها غزوة صَرّامة؛ لا يلحقكم بعدها ملامة. فنَهَدَتْ

لبني حنيفة؛ وبلغ ذلك مسيلمة فهابها؛ وخاف إن هو شغل بها أن يغلبه ثُمامة على حَجْر، أو شرحبيل بن حَسَنة، أو القبائل التي حولَهم، فأهدى لها؛ ثم أرسل إليها يستأمنها على نفسه حتى يأتيَها. فنزلت الجنود على الأمواه، وأذِنَتْ له، وآمَنَتْه؛ فجاءها وافداً في أربعين من بني حَنيفة ـ وكانت راسخةً في النَّصرانيّة، قد علمت من علم نصارى تغلب ـ فقال مُسيلمة: لنا نصف الأرض؛ وكان لقريش نصفها لو عدلَتْ؛ وقد ردّ الله عليك النّصف الذي رَدَّتْ قريش؛ فحبَاكِ به، وكان لها لو قبلتْ. فقالت: «لا يردّ النّصف إلاّ مَنْ حَنَف، فاحمل النّصف إلى خيل تراها كالسَّهَف» فقال مسيلمة: «سمع الله لمن سمع، وأطمعه بالخير إذ طمع؛ ولا زال أمره في كلّ ما سرّ نفسه يجتمع. رآكم ربُّكم فحيَّاكم، ومن وحشة خلاّكم؛ ويوم دينه أنجاكم. فأحياكم علينا من صلوات معشر أبرار، لا أشقياء ولا فجّار، يقومون الليل ويصومون النهار، لربّكم الكُبار، ربّ الغيوم والأمطار».

وقال أيضاً: «لمّا رأيت وجوههم حَسُنَت، وأبشارهم صفت، وأيديهم طَفُلَت؛ قلت لهم: لا النساء تأتون، ولا الخمر تشربُون؛ ولكنّكم معشر أبرار، تصومون يوماً، وتكلفون يوماً؛ فسبحان الله! إذا جاءت الحياة كيف تحيَوْن، وإلى ملك السماء ترقَوْن! فلو أنها حبّة خرْدَلة؛ لقام عليها شهيد يعلم ما في الصدور، ولأكثر الناس فيها الثُّبور».

وكان ممَّا شرَع لهم مسيلمة: أنّ من أصاب ولداً واحداً عقباً لا يأتي امرأة إلى أن يموت ذلك الابن فيطلب الولد؛ حتى يصيب ابناً ثم يُمْسِك؛ فكان قد حرَّم النِّساء على من له ولد ذَكر.

رجع الحديث إلى حديث سيف. فصالحها على أن يحمل إليها النّصف من غَلاّت اليمامة، وأبت إلاّ السنة المقبْلة يُسْلفها؛ فباح لها بذلك؛ وقال: خَلِّفِي على السلف مَنْ يجمعه لك، وانصرفي أنتِ بنصف العام؛ فرجع فحمل إليها النّصف، فاحتملتْه وانصرفتْ به إلى الجزيرة، وخَلَّفَتِ الْهذيل، وعقّة، وزياداً؛ لينجز النّصف الباقي؛ فلم يفجأهم إلا دُنُوّ خالد بن الوليد منهم؛ فارفضّوا. فلم تزل سَجاح في بني تَغْلب؛ حتى نقلهم معاوية عامَ الجماعة في زمانه؛ وكان معاوية حين أجمع عليه أهلُ العراق بعد عليّ عليه السلام يُخرِج من

الكوفة المستغربَ في أمر عليّ ، ويُنْزِل داره المستغربَ في أمر نفسه من أهل الشأم وأهل البصرة وأهل الجزيرة؛ وهم الذين يقال لهم: النواقل في الأمصار؛ فأخرج من الكوفة قَعقاعَ بن عمرو بن مالك إلى إيليا بفلسطين ، فطلب إليه أن ينزل منازلَ بني أبيه بني عُقْفان ، وينقلهم إلى بني تميم ، فنقلهم من الجزيرة إلى الكوفة ، وأنزلهم منازل القَعْقَاع وبني أبيه؛ وجاءت معهم ، وحسن إسلامها؛ وخرج الزّبرقان والأقرع إلى أبي بكر ، وقالا: اجعل لنا خَراج البحرين ونضمن لك ألاّ يرجع من قومنا أحدٌ ، ففعل ، وكتب الكتاب. وكان الذي يختلف بينهم طلحة بن عبيد الله ، وأشهدوا شهوداً منهم عمر. فلما أتيَ عمر بالكتاب فنظر فيه لم يشهد ، ثم قال: لا والله ولا كَرَامة! ثم مزّق الكتاب ومحَاه ، فغضب طلحة ، فأتى أبا بكر ، فقال: أأنت الأمير أم عمر؟ فقال: عمر؛ غير أنّ الطاعة لي. فسكت.

وشهدَا مع خالد المشاهدَ كلَّها حتى اليمامة ، ثم مضى الأقرع ومعه شُرَحبيل إلى دُومة[١]. (٣: ٢٦٨/ ٢٦٩/ ٢٧٠/ ٢٧١/ ٢٧٢/ ٢٧٥).

٥١ - قال أبو جعفر: وأمَّا غير سيف ومنْ ذكرنا عنه هذا الخبر؛ فإنه ذكر: أنّ مسيْلمة لما نزلتْ به سجاح ، أغلق الحِصْن دُونها ، فقالت له سجاح: انزل ، قال: فنحِّي عنك أصحابَك ، ففعلت. فقال مسيلمة: اضربوا لها قُبَّةً وجَمِّروها لعلَّها تذكر الباه؛ ففعلوا ، فلمَّا دخلت القُبَّة نزل مسيلمة فقال: ليقفْ ها هنا عشرة ، وها هنا عشرة؛ ثم دارَسَها ، فقال: ما أوحيَ إليك؟ فقالت: هل تكون النساءُ يبتدئن! ولكن أنت قُلْ ما أوحي إليك؟ قال: «ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحُبْلى ، أخرج منها نسمة تسْعى ، من بين صفاق وحشى» قالت: وماذا أيضاً؟ قال: أوحي إليّ: «أنّ الله خلق النساء أفراجاً ، وجعل الرجال لهنّ أزواجاً؛ فنولج فيهن قُعْساً إيلاجاً ، ثم نُخْرِجُها إذا نشاء إخراجاً ، فيُنْتَجْن لنا سِخَالاً إنتاجاً» قالت: أشهد أنك نبيّ ، قال: هل لكِ أن أتزوّجك فآكل بقومي وقومك العرب! قالت: نعم ، قال:

ألاَ قُـــومـــي إلـــى النَّيْـــك فقـــد هُيِّـــىء لـــك المَضْجَـــعْ

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة.

وإن شئـتِ ففـي البيـت وإن شئـتِ ففـي المخـدَعْ
وإن شئـتِ سلقنـاكِ وإن شئـتِ علـى أربـعْ
وإن شئـتِ بثلثيْـه وإن شئـتِ بـه أجْمـعْ

قالت: بل به أجمع ، قال: بذلك أوحي إليّ. فأقامت عنده ثلاثاً ثمّ انصرفت إلى قومها ، فقالوا: ما عندك؟ قالت: كان على الحقِّ فاتّبعتُه فتزوّجته ، قالوا: فهل أصدَقَك شيئاً؟ قالت: لا ، قالوا: ارجعي إليه ، فقبيحٌ بمثلك أن ترجع بغير صَدَاق! فرجعت ، فلمّا رآها مسيلمة أغلق الحِصْن ، وقال: مالك؟ قالت: أصدقْني صداقاً ، قال: من مؤذِّنُك؟ قالت: شَبَث بن ربْعِيّ الرّيَاحيّ ، قال: عليّ به ، فجاء فقال: ناد في أصحابك أنّ مسيلمة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين ممّا أتاكم به محمّد: صلاة العشاء الآخرة وصلاة الفجر.

قال: وكان من أصحابها الزّبرقان بن بدْر ، وعُطارد بن حاجب ونُظَراؤهم[1]. (٣: ٢٧٣/ ٢٧٤).

٥٢ ـ وذكر الكلبيّ: أن مشيخة بني تميم حدّثوه أن عامّة بني تميم بالرّمل لا يصلونهما. فانصرفت ومعها أصحابها ، فيهم الزّبرقان ، وعُطارد بن حاجب ، وعَمْرو بن الأهْتَم ، وغيلان بن خَرَشَة ، وشبَث بن ربعيّ ، فقال عُطارد بن حاجب:

أَمْسَـتْ نَبِيّتُنـا أنْثـى نُطيـفُ بهـا وأصْبَحَـتْ أنبيـاءُ النّـاس ذُكْـرَانـا

وقال حكيم بن عيّاش الأعور الكلبيّ ، وهو يعيِّر مُضَر بسَجاح ، ويذكر ربيعة:

أَتَـوْكُـمْ بـدِيـنٍ قـائِـمٍ وأُتيتُـمُ بِمُنْتَسِخ الآيات في مُصْحَفٍ طَبِّ[2]
(٣: ٢٧٤).

ذكر البطاح وخبره ومسألة مالك بن نويرة عند الطبري وغيره

٥٣ ـ كتب إليّ السريُّ بن يحيى عن شعيب ، عن سيف ، عن الصَّعْب بن

(١) ذكر الطبري هذا الكلام بلا إسناد.
(٢) إسناده ضعيف فهو من طريق الكلبي أضف إلىٰ ذلك فهو معضل.

عطية بن بلال، قال: لما انصرفتْ سَجاح إلى الجزيرة؛ ارعَوَى مالك بن نُوَيرة، وندم وتحيَّر في أمره، وعرف وكيع وسماعة قُبْحَ ما أتيا، فرجعا رجوعاً حسناً، ولم يتجبَّرا، وأخرجا الصدقات فاستقبلا بها خالداً؛ فقال خالد: ما حملكما على موادعة هؤلاء القوم؟ فقالا: ثأرٌ كنَّا نطلبه في بني ضَبَّة؛ وكانت أيام تشاغُل وفرص، وقال وكيع في ذلك:

فلا تَحْسَبا أنِّي رجعتُ وأنني ... مُنِعْتُ وقد تُحْنَى إليَّ الأصابعُ

ولكنّني حامَيْتُ عن جُلِّ مالكٍ ... ولاحَظْتُ حتى أكْحَلْتني الأخادِعُ

فلمّا أتَانا خالدٌ بِلِوائه ... تخَطَّتْ إليه بالبُطَاح الوَدَائعُ

ولم يبق في بلاد بني حنظلة شيء يكره إلا ما كان من مالك بن نُويرة ومَن تأشّب إليه بالبُطاح؛ فهو على حاله متحيِّرٌ شَجٍ[1]. (٣: ٢٧٦).

٥٤ - كتب إليَّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن سهل، عن القاسم وعمرو بن شعيب، قالا: لما أراد خالد السَّيْر خرج من ظَفَر، وقد استبرأ أسداً، وغَطَفان، وطيِّئاً، وهوازن، فسار يريدُ البُطاح دون الحَزْن؛ وعليها مالك بن نُوَيرة، وقد تردّد عليه أمره، وقد تردّد الأنصار على خالد وتخلَّفت عنه، وقالوا: ما هذا بعهد الخليفة إلينا! إنّ الخليفة عَهِد إلينا إنْ نحن فرغنا من البُزاخة، واستبرأنا بلادَ القوم أن نقيمَ حتَّى يكتب إلينا. فقال خالد: إن يكُ عهد إليكم هذا فقد عهد إليّ أن أمضي، وأنا الأمير وإليّ تنتهي الأخبار. ولو أنّه لم يأتني له كتاب ولا أمر؛ ثم رأيت فرصةً؛ فكنت إن أعلمته فاتتني لم أعْلِمْه حتى أنتهزها؛ كذلك لو ابتُلينا بأمر ليس منه عهد إلينا فيه لم نَدَعْ أن نرى أفضلَ ما بحضرتنا، ثم نعمل به. وهذا مالك بن نُوَيرة بحيالنا، وأنا قاصد إليه ومَن معي من المهاجرين والتابعين بإحسان؛ ولست أكرهكم. ومضى خالد، وندمت الأنصار، وتَذامروا، وقالوا: إن أصاب القوم خيراً إنه لَخَيْرٌ حُرِمتموه، وإن أصابتهم مصيبة ليجْتَنِبنّكُم الناس. فأجمعوا للّحاق بخالد وجرّدوا إليه رسولاً؛ فأقام عليهم حتى لحِقوا به؛ ثم سار حتى قدم البُطاح فلم يجد به أحداً[2]. (٣: ٢٧٦/ ٢٧٧)

---

(١) إسناده ضعيف وسنتحدث عنه بعد الأثر/ ٨٥.

(٢) إسناده ضعيف.

٥٥ ـ قال أبو جعفر؛ فيما كتب به إليَّ السريُّ بن يحيى؛ يذكر عن شعيب ابن إبراهيم: أنّه حدّثه عن سيف بن عمر، عن خزيمة بن شَجرة العُقْفانيّ، عن عثمان بن سويد، عن سُويد بن المثعبة الرّيَاحيّ؛ قال: قدم خالد بن الوليد البُطاح، فلم يجدْ عليه أحداً، ووجد مالكاً قد فرّقهم في أموالهم، ونهاهم عن الاجتماع حين تردّد عليه أمره، وقال: يا بني يَربوع! إنَّا قد كنا عصينا أمراءنا إذ دعوْنا إلى هذا الدين، وبَطَّأنا الناس عنه فلم نُفْلح ولم نُـنْجِح، وإنّي قد نظرتُ في هذا الأمر، فوجدتُ الأمر يتأتّى لهم بغير سياسة، وإذا الأمر لا يسوسه الناس؛ فإيّاكم ومناوأة قوم صُنع لهم؛ فتفرّقوا إلى دياركم وادخلوا في هذا الأمر. فتفرّقوا على ذلك إلى أموالهم، وخرج مالك حتى رجع إلى منزله. ولما قدم خالد البطاح بثَّ السَّرايا وأمرهم بداعية الإسلام أن يأتُوه بكلّ مَن لم يُجِب، وإن امتنع أن يقتلوه؛ وكان ممَّا أوصى به أبو بكر: إذا نزلتُم منزلاً؛ فأذّنُوا وأقيموا؛ فإن أذّن القوم وأقاموا فكفُّوا عنهم؛ وإن لم يفعلوا فلا شيءَ إلاّ الغارة؛ ثم اقتلوهم كلَّ قِتْلة؛ الحرْق فما سواه؛ وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم؛ فإن أقرُّوا بالزكاة فاقبلوا منهم؛ وإن أبَوْها فلا شيء إلاّ الغارة ولا كلمة. فجاءته الخيل بمالك بن نُويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع، من عاصم وعبيد وعرين وجعفر، فاختلفت السريّة فيهم، وفيهم أبو قتادة؛ فكان فيمَن شهد: أنَّهم قد أذّنوا، وأقاموا، وصلّوا. فلمَّا اختلفوا فيهم؛ أمر بهم فحُبِسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء؛ وجعلت تزداد بَرْداً، فأمر خالدٌ منادياً فنادى: «أدفئوا أسراكم»، وكانت في لغة كنانة إذا قالوا: دَثّروا الرجل فأدفئوه، دِفْئُه قتله وفي لغة غيرهم: أدْفِه فاقتله، فظنّ القوم ـ وهي في لغتهم القتل ـ أنه أراد القتل، فقتلوهم، فقتل ضرارُ بن الأزور مالكاً، وسمع خالد الواعية؛ فخرج وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه.

وقد اختلف القوم فيهم، فقال أبو قتادة: هذا عملُك، فَـزَبَره خالد، فغضب، ومضَى، حتى أتى أبا بكر فغضب عليه أبو بكر؛ حتى كلّمه عمر فيه، فلم يرضَ إلاّ أن يرجع إليه، فرجع إليه حتى قدم معه المدينة، وتزوج خالدٌ أم تميم ابنة المنهال، وتركها لينقضي طُهْرها، وكانت العرب تكره النساء في الحرب وتعايَره، وقال عمر لأبي بكر. إنّ في سيفِ خالد رَهَقاً، فإن لم يكن هذا

حقاً ، حقّ عليه أن تُقيدَه؛ وأكثر عليه في ذلك ـ وكان أبو بكر لا يُقيد من عماله ولا وَزَعَتِه ـ فقال: هيه يا عمر! تأوّلَ فأخطأ ، فارفَعْ لسانك عن خالد. وودى مالكاً، وكتب إلى خالد أن يقدُم عليه، ففعل ، فأخبره خبَرَه ، فعذره ، وقبل منه، وعنّفه في التزويج الذي كانت تعيب عليه العرب من ذلك[١] . (٣: ٢٧٧/ ٢٧٨) .

٥٦ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال: شهد قومٌ من السرية: أنهم أذّنوا ، وأقاموا ، وصلّوا ، ففعلوا مثل ذلك. وشهد آخرون: أنه لم يكن من ذلك شيء ، فقُتلوا. وقدم أخوه متمّم بن نُوَيْرة يَنْشُد أبا بكر دَمه ، ويطلب إليه في سَبْيهم؛ فكتب له بردّ السَّبْي ، وألحّ عليه عمر في خالد أن يعزله ، وقال: إنّ في سيفه رَهَقاً. فقال: لا يا عمر! لم أكُنْ لأشِيم سيفاً سلّه الله على الكافرين[٢] . (٣: ٢٧٩) .

٥٧ ـ كتب إليّ السّرِيّ عن شعيب ، عن سَيْف ، عن خُزيمة ، عن عثمان ، عن سُوَيد ، قال: كان مالك بن نُويرة من أكثر الناس شعراً؛ وإن أهل العسكر أثّفوا برؤوسهم القدور ، فما منهم رأس إلا وصلت النار إلى بَشَرته ما خلا مالكاً ، فإنّ القِدْر نضَجتْ وما نضج رأسه من كثرة شَعره ، وقى الشَّعَرُ البَشَرةَ حرَّها أن يبلغ منه ذلك.

وأنشده متمِّم؛ وذكر خَمَصَه؛ وقد كان عمر رآه مقَدمه على النبيّ ﷺ ، فقال: أكذاك يا متمّم كان! قال: أمَّا ما أعني فنعم[٣] . (٣: ٢٧٩) .

٥٨ ـ حَدَّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال: حَدّثنا محمد بن إسحاق عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق: أنّ أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه: أنْ إذا غشيتم داراً من دُور النَّاس فسمعتم فيها أذاناً للصلاة ، فأمسكُوا عن أهلها حتى تسألوهم ما الذي نقِموا! وإن لم تسمعوا أذاناً ، فشُنُّوا الغارة ، فاقتلوا ، وحَرّقوا.

وكان ممَّن شهد لمالك بالإسلام أبو قَتادة الحارث بن رِبْعيّ أخو بني سَلمة ،

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف جداً ومتنه فيه نكارة.

وقد كان عاهد الله ألاّ يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بَعدها؛ وكان يحدّث: أنَّهم لما غَشُوا القوم راعوهم تحت الليل ، فأخذ القوم السلاح . قال: فقلنا: إنّا المسلمون ، فقالوا: ونحن المسلمون ، قلنا: فما بال السلاح معكم! قالوا لنا: فما بال السلاح معكم! قلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعُوا السلاح ، قال: فوضعوها؛ ثم صلَّيْنا وصلَّوا. وكان خالد يعتذر في قتله : أنه قال له وهو يراجعه: ما إخال صاحبَكم إلاّ وقد كان يقول كذا وكذا. قال: أو ما تعدّه لك صاحباً! ثم قدّمه فضرب عنقه وأعنَاق أصحابه ، فلما بلغ قتلُهم عمرَ بن الخطاب ، تكلَّم فيه عند أبي بكر فأكثر ، وقال: عدوُّ الله عَدا على امرىء مسلم فقتله ، ثم نَزَا على امرأته!

وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قَباءٌ له عليه صَدأ الحديد ، معتجراً بعمامة له ، قد غرز في عمامته أسْهُماً؛ فلمَّا أنْ دخلَ المسجد؛ قام إليه عُمَرُ ، فانتزع الأسْهُمَ من رأسه فحطَّمها ، ثم قال: أرِئَاء! قتلتَ امرأً مسلماً ، ثم نزوت على امرأته! والله لأرْجمنّك بأحجارك ـ ولا يكلّمه خالد بن الوليد ، ولا يظنّ إلا أنّ رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه ـ حتى دخل على أبي بكر ، فلمَّا أنْ دخلَ عليه أخبره الخبر ، واعتذر إليه فعذره أبو بكر ، وتجاوز عنه ما كان في حربه تلك. قال: فخرَج خالد حين رضي عنه أبو بكر ، وعُمَرُ جالسٌ في المسجد ، فقال: هلم إليّ يا بن أمّ شَمْلة! قال: فعرف عمر أن أبا بكر قد رضيَ عنه فلم يكلّمه ، ودخل بيته.

وكان الذي قتل مالك بن نويرة عبد بن الأزور الأسدي. وقال ابن الكلبيّ: الَّذي قتل مالك بن نُويرة ضرار بن الأزور[1]. (٣: ٢٧٩/ ٢٨٠).

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة.

تعليقنا على هذه الروايات الضعيفة

نقول وبالله التوفيق: هذه أسانيد ضعيفة ومنها الضعيف جداً وفي بعض متونها نكارة، وذكرنا هذه الروايات في قسم الضعيف لأننا قد أخذنا على أنفسنا عند بدئنا بتحقيق أول رواية للطبري من طريق سيف بن عمر التميمي ألا نأخذ بأية رواية من رواياته في ما يتعلق بالحلال والحرام ومسائل العقيدة أو الطعن في عدالة الصحابة فهو ضعيف في الحديث باتفاق أئمة الجرح والتعديل وأخذنا برواياته التأريخية التي لا تثبت في هذه المسائل وبشرط أن تكون لأصل الرواية التأريخية ما يؤيدها مسنداً والله أعلم.

= ومما يزيدنا إصراراً على أن أغلبها من طريق شعيب عن سيف وهو الذي حدّث بأخبار فيها تحامل علىٰ السلف (لسان الميزان ٣/ ١٤٥).
أما خليفة بن خياط فقد روىٰ ثلاث روايات في تأريخه حول هذا الموضوع اثنان منها بسند ضعيف والآخر بسند صحيح ومتنه لا غرابة فيه ولا نكارة.
أما الأول: [ص ١٠٤ من قوله: وحدثنا علي بن محمد عن أبي زكريا. . . إلى قوله. . فأمر بقتلهم] وهذا إسناد ضعيف. فسعيد بن إسحاق مجهول كما قال الحافظ في اللسان.
أما الرواية الثانية (ص ١٠٥): من قوله (وحدثنا بكر عن ابن إسحاق قال. . . إلى قوله ثم صلينا وصلّوا). وفي إسناده طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر. قال عنه الحافظ في التقريب (مقبول) أي: إذا توبع، وهو لم يتابع هنا، أضف إلى ذلك فإن في إسناده اضطراباً، فهو عند خليفة بن خياط عن طلحة عن أبي قتادة (١٠٥) وعند الطبري (عن طلحة مرسلاً). فهو لم يلق أبا قتادة. أما الرواية الثالثة (١٠٥) فقد قال خليفة: وحدثنا علي بن محمد عن ابن أبي ذئب عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: قدم أبو قتادة على أبي بكر فأخبره بمقتل مالك وأصحابه، فجزع من ذلك جزعاً شديداً فكتب أبو بكر إلى خالد فقدم عليه فقال أبو بكر هل يزيد خالد على أن يكون تأوّل فأخطأ. وردّ أبو بكر خالداً. وودىٰ مالك بن نويرة، وردّ السبي والمال. وهذا إسناد صحيح ـ وإن كان في متنه بعض الشيء من الغرابة. فإن مالكاً إن كان قد ارتدّ عن الإسلام فلا دية في قتله وإن كان مسلماً وقتله خالد ظلماً وهذا غير صحيح فما كان لأبي بكر أن يبقي خالداً في القيادة وقد قتل رجلاً بغير حق، إلاّ أن المخرج والتأويل لهذه الغرابة أن يؤخذ بقول الرواة الذين قالوا باختلاف جنود المسلمين (مع خالد) حول أمرهم (أي بني مالك مع زعيمهم مالك بن نويرة) فمنهم من قال بإسلام مالك كأبي قتادة ومنهم من شهد ببقائه مرتداً فالتبس أمره على المسلمين فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بالأحوط (أي كونه قتل خطأ وهو مسلم رجع عن ردته). فوجبت له الدية والله أعلم.
وعدالة خالد رضي الله عنه وبلاءه الحسن في الإسلام وماله من فضل الصحبة والتضحية وقيادة الجيوش بنفسه في أحلك الظروف وشربه للسم إسكاتاً لأعداء الله ومجالدته للعدو وفي قلب جيوشه كل ذلك يتنافىٰ مع الأباطيل التي لُفِقَت حول شخصية خالدٍ رضي الله عنه وأنه قتل مالك بن نويرة ليتزوج امرأته.
ولا بأس هنا أن ننقل كلام الكوثري رحمه الله: كان مالك بن نويرة قدم المدينة وأسلم فاستعمله النبي ﷺ على جباية زكاة قومه ولذلك ذكره من ذكره في عداد الصحابة، وبعد وفاته ﷺ خان العهد والتحقق بسجاح المتنبئة وأبىٰ دفع الزكاة مراراً وتكراراً عند مناقشته في ذلك واجترأ أن يقول كذا وكذا فمثل خالد رضوان الله عليه في صرامته وحزمه ضد أهل الردة (وهو شاهد يرىٰ ما لا يراه الغائب) إذا قسا على مثل مالك هذا لا يُعدّ أنه اقترف ذنباً، والقتل =

= والسبي من أحكام الردّة. وأما ما يُحاك حول زواج خالد بامرأة مالك من الخيالات الشائنة فليس إلا صنع يد الكذابين.
ولم يذكر منه شيء بسند متصل فضلاً عن أن يكون مروياً برجال ثقات وتزوّج خالد المسبيّة بعد انقضاء عدتها هو الواقع في الروايات عند ابن جرير وابن كثير وغيرهما. ولا غبار على ذلك ـ لأن مالكاً إن قتل خطأً فقد انقضت عدة امرأته. ثم تزوجت. وإن قتل عمداً على الردة فقد انقضت عدة امرأته أيضاً فتزوجت فماذا في هذا؟!.
ولو صحت رواية قتله لمسلم بغير حق ونزوه على امرأته بدون نكاح لاستحال أن يبعثه أبو بكر رضي الله عنه في قيادة الجيش لبعده رضي الله عنه عن الاعتضاد بفاجر سفاك. وقال الكوثري أيضاً: وأما أداء الصديق ديته من بيت المال فاقتداء بالمصطفى ﷺ فيما فعله في وقعة بني جذيمة تهدئة للخواطر، وتسكيناً للنفوس في أثناء ثورانها، مراعاة للأبعد في باب السياسة.
وقال الكوثري أيضاً: وأما ما يعزىٰ إلى عمر رضي الله عنه من الكلمات القاسية في خالد، فيكفي في إثبات عدم صحتها قول عمر عند عزله خالداً (ما عزلتك عن ريبة) بل لو صحّ ذلك عنه لرماه بالجنادل وقتله رجماً بالحجارة؛ لأن الإسلام لا يعرف المحاباة (حاشية تأريخ الإسلام للذهبي/ عهد الخلفاء الراشدين/ تحقيق الدكتور عمر التدمري ٣٤ ـ ٣٥).
ولنا كلمة أخيرة نوجّهها للذين يريدون النيل من شخصية بطل من أبطال الفتح الإسلامي (خالد بن الوليد رضي الله عنه) نقول لهؤلاء: إن كنتم تتمسكون بالروايات المكذوبة، أو الضعيفة في طعنكم هذا فاعلموا أن فيها ما يردّ كيدكم. وتشير روايات الطبري الضعيفة هذه:
١ ـ ففي رواية الطبري الضعيفة (٣/ ٢٨٠/ ٨٥) ما يشير إلى تهكم مالك بن نويرة برسول الله ﷺ وذلك واضح من خلال الحوار الذي دار بينه وبين خالد بن الوليد إذ قال مالك: ما إخالُ صاحبكم (يعني: النبي ﷺ) إلا وقد كان يقول كذا وكذا. قال (أي: خالد بن الوليد رضي الله عنه): (أو ما تعده لك صاحبا)؟.
٢ ـ وفي رواية الطبري الضعيفة (٣/ ٢٦٧/ خ ٨٠) ما يشير إلى أنه بقي إلى آخر عهده متحيراً متردداً بين الإسلام والردة ولم يبق في بلاد حنظلة شيء يكره إلاّ ما كان من مالك بن نويرة ومن تأشَّب إليه بالنكاح، فهو علىٰ حاله متحيّر شبِجٍ.
٣ ـ وفي رواية الطبري الضعيفة (٣/ ٢٧٨/ ٨٢) ما يشير إلى أن المسلمين اختلفوا في أمر مالك وأصحابه. وأن حرّاس مالك بن نويرة في تلك الليلة قد فسّروا أو فهموا كلام خالد كما في لغتهم لا في لغة قريش ففي الرواية: (فاختلقت السرية فيهم، وفيهم أبو قتادة فكان فيمن شهد أنهم أذّنوا وأقاموا وصلّوا، فلما اختلفوا فيهم أمر بهم فجلسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء، وجعلت تزداد برداً، فأمر خالد منادياً فنادىٰ، (أدفئوا أسراكم) وكانت في لغة كنانة إذا قالوا: دثروا الرجل فأدفئوه؛ دِفْئه قتله، وفي لغة غيرهم أدْفِهِ فاقتله، فظن القوم وهي في لغتهم القتل، أنه أراد القتل فقتلوهم، فقتل ضرار بن الأزور مالكاً، وسمع خالد الواعية

ذكر بقيّة خبر مسيلمة الكذاب وقومه من أهل اليمامة

٥٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، قال: كان أبو بكر حين بعث عِكْرمة بن أبي جهل إلى مُسيْلمة وأتبعه شُرَحْبيلَ عجّل عكرمة، فبادر شرحبيل ليذهب بصوتها فواقعهم، فنكبوه، وأقام شُرحبيل بالطريق حيث أدركه الخبر؛ وكتب عكرمة إلى أبي بكر بالذي كان من أمره، فكتب إليه أبو بكر: يا بن أمّ عكرمة، لا أرينَّك ولا تراني على حالها! لا ترجع فتوهن الناسَ؛ امض على وجهك حتى تساند حُذَيْفةَ وعَرْفجة فقاتلْ معهما أهلَ عُمان ومَهْرة، وإن شغلا فامضِ أنت، ثم تسير وتسيّر جندك تستبرئون مَنْ مررتم به؛ حتى تلتقوا أنتم والمهاجر بن أبي أميَّة باليمن وحضرموت.

وكتب إلى شُرحبيل يأمره بالمقام حتى يأتيَه أمرُه، ثم كتب إليه قبل أن يوجّه خالداً بأيام إلى اليمامة: إذا قدم عليك خالدٌ، ثم فرغتم إن شاء الله فالحق بقُضاعة؛ حتى تكونَ أنت وعمرو بن العاص على مَنْ أبَى منهم وخالف. فلمّا قدِم خالدٌ على أبي بكر من البُطاح رضيَ أبو بكر عن خالد، وسَمِع عذْره وقَبِل منه وصدّقه ورضي عنه، ووجَّهه إلى مُسَيلمة وأوعب معه الناس. وعلى الأنصار ثابت بن قيس والبَراء بن فلان، وعلى المهاجرين أبو حذَيفة وزيد، وعلى القبائل؛ على كلّ قبيلة رجلٌ. وتعجَّل خالد حتى قدم على أهلِ العسكر بالبُطاح، وانتظر البعث الذي ضرب بالمدينة؛ فلمَّا قدِم عليه؛ نهض حتَّى أتى اليَمامة وبنو حنيفة يومئذ كثير. (٣: ٢٨١).

٦٠ ـ كتب إليّ السَّريّ عن شعيب، عن سيف، عن أبي عمرو بن العلاء، عن رجال، قالوا: كان عددُ بني حنيفة يومئذ أربعين ألف مقاتل؛ في قُراها وحُجَرِها، فسار خالد حتى إذا أظلّ عليهم أسندَ خيولاً لعَقّة والهُذيل وزياد؛ وقد كانوا أقاموا على خَرْج أخرجَه لهم مُسيلمة ليلحقوا به سجاح. وكتب إلى القبائل من تميم فيهم؛ فنفّروهم حتى أخرجوهم من جزيرة العرب، وعجَّل شُرحبيل بن حسنة، وفعل فِعْل عِكْرمة، وبادر خالداً بقتال مُسيْلمة قبل قدوم خالد عليه؛

= فخرج وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه). اهـ.

فنُكِب ، فحاجَزَ؛ فلمّا قدم عليه خالد لامَهُ؛ وإنّما أسْنَد خالد تلك الخيول مخافَة أن يأتُوه من خَلْفه؛ وكانوا بأفْنيَةِ اليمامة. (٣: ٢٨٢)

٦١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت ، عمّن حدّثه ، عن جابر بن فلان ، قال: وأمَدّ أبو بكر خالداً بسَليط؛ ليكون رِدْءاً له من أن يأتيَه أحدٌ من خَلْفه؛ فخرج؛ فلمّا دنا من خالد؛ وجد تلك الخيول الَّتي انتابت تلك البلاد قد فُرّقوا؛ فهربوا ، وكان منهم قريباً رِدْءاً لهم؛ وكان أبو بكر يقول: لا أستعمل أهل بدر؛ أدَعُهم حتى يلقوا الله بأحسنِ أعمالهم؛ فإنّ الله يدفع بهم وبالصُّلَحاء من الأمم أكثرَ وأفضلَ ممّا ينتصر بهم؛ وكان عمر بن الخطاب يقول: والله لأشرِكنَّهم وليُواسُنَّني. (٣: ٢٨٢).

٦٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعلم ، عن عُبيد بن عمير ، عن أثال الحنفيّ ـ وكان مع ثمامة بن أثال ـ قال: وكان مُسَيلمة يصانع كلّ أحد ويتألّفه ، ولا يبالي أن يطّلع الناس منه على قبيح؛ وكان معه نهار الرَّجّال بن عُنْفُوَةَ ، وكان قد هاجر إلى النبيّ ﷺ ؛ وقرأ القرآن؛ وفُقِّه في الدّين ، فبعثه مُعَلّماً لأهل اليمامة وليشغَب على مُسَيلمة ، ولْيَشْدُد من أمر المسلمين؛ فكان أعظم فتنةً على بني حَنيفةَ مِنْ مُسيلمة؛ شهد له: أنَّه سمع محمَّداً ﷺ يقول: إنه قد أشرِكَ معه؛ فصدّقوه واستجابوا له ، وأمروه بمكاتبة النبيّ ﷺ ، ووعدُوه إن هو لم يقبل أن يُعينوه عليه؛ فكان نهار الرّجّال بن عَنْفوة لا يقول شيئاً إلاّ تابعه عليه؛ وكان ينتهي إلى أمره ، وكان يؤذّن للنبيّ ﷺ ، ويشهد في الأذان أنَّ محمداً رسول الله؛ وكان الَّذي له عبد الله بن النَّوّاحة ، وكان الذي يُقيم له حُجَيْر بن عُمَير ، ويشهد له ، وكان مسيلمة إذا دنا حُجَيْر من الشهادة ، قال: صرّح حُجَير؛ فيزيد في صوته ، ويبالغ لتصديق نفسه ، وتصديق نهار ، وتضليل من كان قد أسلم؛ فعَظُمَ وقَارُه في أنفسهم.

قال: وضرب حَرَماً باليمامة ، فنهى عنه؛ وأخذ النَّاس به ، فكان مُحَرَّماً فوقع في ذلك الحَرَم قُرَى الأحاليف؛ أفخاذ من بني أسَيّد ، كانت دارهم باليمامة؛ فصار مكان دارهم في الحَرم ـ والأحاليف: سَيْحان ونُمَارة ونمر والحارث بنو جُرْوة ـ فإن أخصبوا أغاروا على ثمار أهل اليمامة ، واتَّخذوا الحَرَم دغَلاً ، فإن نَذِرُوا بهم فدخلوه أحجموا عنهم؛ وإن لم ينذروا بهم فذلك ما يريدون. فكثر

ذلك منهم حتى اسْتَعْدَوْا عليهم؛ فقال: أنتظر الّذي يأتي من السماء فيكم وفيهم. ثم قال لهم: «والليل الأطحم، والذئب الأدلم، والجَذَع الأزلم، ما انتهكت أسَيّدٌ من مَحْرَم»؛ فقالوا: أما مَحْرم استحلالُ الحَرَم وفساد الأموال! ثم عادوا للغارة، وعادوا للعُدوى فقال: أنتظر الذي يأتيني، فقال: «والليل الدّامس، والذئب الهامس، ما قطعت أسَيِّد من رَطْب ولا يابس»؛ فقالوا: أمَّا النخيل مُرْطبة فقد جَدُّوها، وأمَّا الجدران يابسة فقد هَدَموها؛ فقال: اذهبوا وارجعوا فلا حقّ لكم.

وكان فيما يقرأ لهم فيهم: «إنّ بني تميم قوم طهر لَقَاحٌ، لا مكروه عليهم ولا إتاوة، نجاورهم ما حيينا بإحسان، نمنعهم من كلّ إنسان؛ فإذا متنا فأمرهم إلى الرحمن».

وكان يقول: «والشاء وألوانها، وأعجبها السود وألبانها. والشاة السوداء واللبن الأبيض، إنه لعجب مَحْض، وقد حرِّم المذق، فما لكم لا تمجّعون ؟!».

وكان يقول: «يا ضفدع ابنة ضفدع، نُقِّي ما تَنقِّين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدّرين».

وكان يقول: «والمبذّرات زَرْعاً، والحاصدات حَصْداً، والذاريات قمحاً، والطاحنات طحناً، والخابزات خُبزاً، والثاردات ثرداً؛ واللاقمات لقماً، إهالة وسمناً، لقد فضِّلتُم على أهل الوَبر، وما سبقكم أهل المَدَر؛ رِيفكم فامنعوه، والمعترَّ فآووه، والباغي فناوئوه».

قال: وأتته امرأة من بني حنيفة تكنى بأمّ الهيثم فقالت: إنّ نخلنا لسُحُق، وإن آبارَنا لجُرُز؛ فادع الله لمائنا ولنخلنا كما دعا محمد لأهل هَزْمان». فقال: يا نَهارُ ما تقول هذه؟ فقال: إنّ أهل هَزْمان أتوْا مَحمداً ﷺ فشكَوْا بُعْد مائهم؛ ـ وكانت آبارهم جُرزاً ـ ونخلهم أنَّها سُحُق، فدعا لهم فجاشت آبارهم، وانْحَنَتْ كلّ نخلة قد انتهت حتى وضعت جرانها لانتهائها، فحكَّت به الأرض حتى أنْشَبَتْ عروقاً ثم قُطِعت من دون ذلك، فَعَادت فسيلاً مكمَّماً ينمي صاعداً. قال: وكيف صنع بالآبار؟ قال: دَعا بسَجْل، فدعا لهم فيه، ثم تمضمض بفمه منه، ثم مَجَّهُ فيه، فانطلقوا به حتى فرَّغوه في تلك الآبار، ثم سَقَوْه نخلهم، ففعل النبيّ ما حدَّثتك، وبقيَ الآخر إلى انتهائه. فدعا مُسَيلمة بدلْوٍ من ماء فدعا لهم فيه، ثم

تمضمض منه ، ثم مجّ فيه فنقلوه فأفرغوه في آبارهم. فغارت مياه تلك الآبار ، وخَوَى نخلُهم؛ وإنما استبان ذلك بعد مهلكه.

وقال له نهار: بَرِّك على مولودي بني حنيفة ، فقال له: وما التبريك؟ قال: كان أهلُ الحجاز إذا ولد فيهم المولود أتوْا به محمداً ﷺ فحنّكه ومسح رأسه؛ فلم يؤتَ مسيلمة بصبيّ فحنّكه ومسح رأسه إلاّ قَرِع ولَثِغ واستبان ذلك بعد مهلَكه.

وقالوا: تَتَبَّعْ حيطَانهم كما كان محمد ﷺ يصنع فصلّ فيها. فدخل حائطاً من حوائط اليمامة ، فتوضّأ ، فقال نهار لصاحب الحائط: ما يمنعك من وَضُوء الرحمن فتسقيَ به حائطَك حتى يَرْوَى ويبتلّ ، كما صنع بنو المهريّة ، أهل بيت من بني حنيفة ـ وكان رجل من المهريّة قدم على النبيّ ﷺ فأخذ وَضُوءَه فنقله معه إلى اليمامة فأفرغه في بئره ، ثم نزع وسقى ، وكانت أرضه تَهُوم فَرويتْ وجَزَأَتْ فلم تُلْفَ إلا خضْراء مُهْتَزّةٌ ـ ففعل فعادت يَبَاباً لا ينبت مرعاها.

وأتاه رجُلٌ ، فقال: ادْعُ الله لأرضي فإنّها مُسْبخةٌ؛ كما دعا محمد ﷺ لسُلمى على أرضه. فقال: ما يقول يا نهار؟ فقال: قدم عليه سلمى ، وكانت أرضه سبخة فدعا له ، وأعطاه سَجْلاً من ماء ، ومجّ له فيه ، فأفرغه في بئره ، ثم نزع ، فطابت وعَذُبَتْ؛ ففعل مثل ذلك فانطلق الرّجُل ، ففعل بالسَّجْل كما فعل سلمى ، فغرقت أرضه ، فما جفّ ثراها ، ولا أدرك ثمرها.

وأتته امرأة فاستجلبته إلى نَخْل لها يدعو لها فيها ، فجزّت كبائسها يوم عَقْرَباء كلّها؛ وكانوا قد علموا واستبان لهم؛ ولكن الشَّقاء غلَب عليهم. (٣: ٢٨٢/ ٢٨٣/ ٢٨٤/ ٢٨٥/ ٢٨٦).

٦٣ ـ كتب إليّ السريّ ، قال: حدّثنا شُعيب عن سيف ، عن خُلَيد بن ذفرة النَّمَريّ ، عن عمير بن طلحة النَّمرِيّ ، عن أبيه ، أنَّه جاء اليمامة ، فقال: أين مُسيلمة؟ قالوا: مه ! رسول الله! فقال: لا ، حتَّى أراه؛ فلمَّا جاءه ، قال: أنت مسيلمة؟ قال: نعم ، قال: مَنْ يأتيك؟ قال: رحمن ، قال: أفي نور أو في ظلمة؟ فقال: في ظلمة ، فقال: أشهد: أنّك كذاب ، وأنّ محمداً صادق؛ ولكنّ كَذّاب ربيعة أحبّ إلينا من صادقِ مُضَر ، فقتل معه يوم عقرَباء. (٣: ٢٨٦).

٦٤ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن الكلبي مثله؛ إلاّ أنه قال:

كذّاب ربيعة أحبّ إليّ من كذّاب مضر. (٣: ٢٨٦).

٦٥ ـ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق بنحو حديث سيف هذا؛ غير أنه قال: دعا خالد بمجّاعة ومَنْ أخذ معه حين أصبح، فقال: يا بني حنيفة! ما تقولون؟ قالوا: نقول: منّا نبيٌّ ومنكم نبيٌّ؛ فعرضَهم على السيف؛ حتى إذا بقيَ منهم رجلٌ يقال له: سارية بن عامر ومجّاعة بن مُرارة، قال له سارية: أيّها الرّجل! إن كنتَ تريد بهذه القرية غداً خيراً أو شرّاً، فاستبقِ هذا الرجل ـ يعني: مجّاعة ـ فأمر به خالد فأوثقه في الحديد؛ ثم دفعه إلى أمّ تميم امرأته، فقال: استوصي به خيراً، ثم مضى حتى نزل اليَمامة على كثيب مشرف على اليمامة، فضرب به عسكره، وخرج أهل اليمامة مع مسيلمة وقد قدم في مقدمته الرّحّال ـ قال أبو جعفر، هكذا قال ابن حميد بالحاء ـ بن عُنْفوة بن نهشل، وكان الرّحّال رجلاً من بني حنيفة قد كان أسلم، وقرأ سورة البقرة، فلمّا قدم اليمامة شهد لمسيلمة: أنّ رسولَ الله ﷺ قد كان أشركه في الأمر؛ فكان أعظمَ على أهل اليمامة فتنةً من مسيلمة؛ وكان المسلمون يسألون عن الرّحّال يرجون أنه يَثْلم على أهل اليمامة أمرهم بإسلامه، فلقيَهم في أوائل النّاس متكتّباً، وقد قال خالد بن الوليد وهو جالس على سريره، وعنده أشراف الناس والنّاس على مصافّهم؛ وقد رأى بارقة في بني حنيفة: أبشِرُوا يا معشرَ المسلمين! فقد كفاكم الله أمر عدوّكم. واختلف القوم إن شاء الله؛ فنظر مجّاعة وهو خلْفَه موثَقاً في الحديد، فقال: كلاّ والله! ولكنها الهُنْدُوانيّة خَشوا عليها من تحطُّمها، فأبرزوها للشمسِ لتلينِ لهم؛ فكان كما قال. فلما التقى المسلمون كان أوّل من لقيَهم الرّحال بن عُنْفوة، فقتله الله. (٣: ٢٨٨/ ٢٨٩).

٦٦ ـ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق، عن شيخ من بني حنيفة، عن أبي هريرة: أنّ رسولَ الله ﷺ قال يوماً ـ وأبو هريرة ورحّال بن عُنْفوة في مجلس عنده ـ: «لضِرْسُ أحدكم أيّها المجلس في النار يوم القيامة أعظم من أُحُد». قال أبو هريرة: فمضى القوم لسبيلهم، وبقيتُ أنا ورحّال بن عُنفوة، فما زلت لها متخوّفاً؛ حتى سمعت بمخرَج رحّال. فأمنت وعرفت: أنّ ما قال رسولُ الله ﷺ حقّ.

ثم التقى الناس ولم يلقهم حَرْبٌ قطّ مثلَها من حرب العرب؛ فاقتتل النّاس

قتالاً شديداً؛ حتى انهزمَ المسلمون وخلَص بنو حنيفة إلى مجّاعة وإلى خالد، فزال خالد عن فُسطاطه ودخل أناس الفسطاطَ وفيه مجّاعة عند أم تميم، فحمل عليها رجل بالسيف، فقال مجّاعة: مَهْ، أنا لها جارٌ، فنعْمَت الحُرَّة! عليكم بالرجال، فرَعبَلوا الفُسْطاط بالسيوف. ثم إنّ المسلمين تَداعَوْا، فقال ثابت بن قيس: بئسَما عَوَّدْتم أنفسَكم يا معشر المسلمين! اللهمّ إنّي أبرأ إليك ممَّا يَعْبُد هؤلاء ـ يعني: أهلِ اليمامة ـ وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء ـ يعني: المسلمين ـ ثم جالد بسيفه حتى قُتِل. وقال زيد بن الخطاب حين انكشف الناس عن رحالهم: لا تحوُّزَ بعد الرّحال، ثم قاتل حتى قتل. ثم قامَ البَراءُ بن مالك أخو أنس بن مالك ـ وكان إذا حضر الحرب أخذته العُرَوَاء حتى يقعد عليه الرجال؛ ثم ينتفض تحتهم حتى يبولَ في سراويله؛ فإذا بال يثورُ كما يثور الأسد ـ فلمَّا رأى ما صنع الناس أخذه الذي كان يأخذه حتى قعد عليه الرجال، فلمَّا بال وثَب، فقال: أين يا معشر المسلمين! أنا البراءُ بن مالك، هلمّ إليّ! وفاءَتْ فئة من النَّاس، فقاتلوا القوم حتى قتلهم الله، وخَلَصوا إلى مُحَكّم اليمامة ـ وهو مُحَكّم بن الطُّفيل ـ فقال حين بلغه القتال: يا معشرَ بني حنيفة! الآنَ والله تُستحْقَب الكرائم غيرَ رضيَّات، ويُنكحن غير خطيبات؛ فما عندكم من حَسَب فأخرجوه. فقاتل قتالاً شديداً؛ ورماه عبد الرحمن بن أبي بكر الصّدّيق بسهم فوضعه في نحره فقتله. ثم زحف المسلمون حتى ألْجؤوهم إلى الحديقة؛ حديقة الموت؛ وفيها عدوّ الله مُسيلمة الكذاب، فقال البَراء: يا معشَر المسلمين! ألقوني عليهم في الحديقة. فقال الناس: لا تفعل يا بَرَاء، فقال: والله لتطرحنّي عليهم فيها! فاحتمل حتى إذا أشرف على الحديقة من الجدار؛ اقتحم فقاتلهم عن باب الحديقة، حتى فتحها للمسلمين، ودخل المسلمون عليهم فيها؛ فاقتتلوا حتى قتل الله مسيلمة عدوّ الله؛ واشترك في قتله وَحْشيٌّ مولى جُبيْر بن مطعم ورجل من الأنصار، كلاهما قد أصابه؛ أمَّا وحشيٌّ فدفع عليه حربته، وأمَّا الأنصاريُّ فضربَه بسيفه، فكان وحشيّ يقول: ربّك أعلم أيّنا قتله! (٣: ٢٨٩/ ٢٩٠).

٦٧ ـ كتبَ إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن طلْحة، عن عبيد بن عُميْر، قال: كان الرّجالُ بحيال زيد بن الخطاب؛ فلَمَّا دنا صَفَّاهما؛ قال زيد: يا رجَّال، اللهَ اللهَ! فو الله لقد تركت الدّين، وإن الذي أدعوك إليه لأشرفُ لك،

وأكثرُ لدنياك فأبى ، فاجتلدا فقُتِل الرجّال وأهل البصائر من بني حنيفة في أمر مسيلمة ، فتذامروا وحمل كلُّ قوم في ناحيتهم؛ فجال المسلمون حتى بلغوا عسكرَهم ، ثم أعْرَوْه لهم ، فقطعُوا أطناب البيوت ، وهتكُوها ، وتشاغلوا بالعسكر ، وعالجوا مجّاعة؛ وهَمّوا بأمّ تميم ، فأجارها ، وقال: نِعْمَ أمُّ المَثْوَى! وتذامر زيْدٌ ، وخالد ، وأبو حذيفة ، وتكلّم النَّاس ـ وكان يوم جَنوب له غبار ـ فقال زيد: لا والله لا أتكلَّم اليوم حتى نهزمهم أو ألقَى الله فأكلّمه بحُجتي! عضُّوا على أضراسكم أيّها الناس ، واضربوا في عدوّكم ، وامضوا قُدماً ففعلوا ، فَردّوهم إلى مصافّهم حتى أعادوهم إلى أبعد من الغاية التي حيزوا إليها من عسكرهم ، وقُتل زيد رحمه الله. وتكلَّم ثابت فقال: يا معشرَ المسلمين ! أنتم حزْبُ الله ، وهم أحزاب الشيطان ، والعزّة لله ولرسوله ولأحزابه ، أرُوني كما أريكم ، ثم جلد فيهم حتى حازهم. وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن ! زَيِّنوا القرآن بالفعال. وحمل فحازهم حتى أنفذهم ، وأصيب رحمه الله ، وحمل خالد بنِ الوليد ، وقال لحُماته: لا أوتينَّ من خلفي. حتى كان بحيال مسيلمة يطلب الفُرْصة ويرْقب مسيلمة. (٣: ٢٩١).

٦٨ ـ كتب إليّ السّري عن شعيب ، عن سيف ، عن مُبَشّر بن الفُضَيْل ، عن سالم بن عبد الله ، قال: لمّا أعْطيَ سالم الراية يومئذ؛ قال: ما أعلمَني لأيّ شيء أعطيتمونيها! قلتم: صاحب قرآن وسيثبت كما ثبت صاحبها قبله حتى مات! قالوا: أجل ! وقالوا: فانظر كيف تكون؟ فقال: بئس والله حامل القرآن أنا إن لم أثبت! وكان صاحبُ الراية قبلَه عبدَ الله بن حفص بن غانم. (٣: ٢٩١/ ٢٩٢).

٦٩ ـ وقال عبد الله بن سعيد بن ثابت ، وابن إسحاق: فلمَّا قال مجَّاعة لبني حَنيفة: ولكن عليكم بالرّجال؛ إذا فئة من المسلمين قد تذامروا بينهم فتَفَانَوْا وتفانَى المسلمون كلّهم ، وتكلَّم رجالٌ من أصحاب رسول الله ﷺ ، وقال زيد بن الخطاب: والله لا أتكلَّم أو أظفر أو أقتل ، واصنعوا كما أصنعُ أنا ! فحمل وحمل أصحابه. وقال ثابت بن قيس: بئسَما عَوَّدتم أنفسكم يا معشر المسلمين! هكذا عَنّي حتى أريَكم الجلاد. وقُتِل زيد بن الخطاب رحمه الله. (٣: ٢٩٢).

٧٠ ـ كتب إليّ السريّ ، قال: حدّثنا شُعيب عن سيف ، عن مبشّر ، عن سالم ، قال: قال عمر لعبد الله بن عمر حين رجع: ألا هلكت قبل زيد! هلك زيد

وأنت حَيّ! فقال: قـد حَرَصتُ على ذلك أن يكون، ولكنَّ نفسي تأخَّرَتْ، فأكرمه الله بالشَّهادة. وقال سهل: قال: ما جاء بك وقد هلك زيد؟ ألا واريتَ وجهك عنّي! فقال: سأل الله الشهادة فأعطِيها، وجهدتُ أن تُسَاق إليّ فلم أعْطَها. (٣: ٢٩٢).

٧١ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن طلحة بن الأعْلم، عن عُبيد بن عمير: أنّ المهاجرين والأنصار جَبَّنوا أهَل البوادي وجَبَّنهم أهلُ البوادي، فقال بعضهم لبعض: امتازوا كي نُسْتحْيَا من الفرار اليوم، ونعرف اليوم من أين نؤتى! ففعلوا. وقال أهلُ القرى: نحن أعلم بقتال أهل القُرى يا معشَر أهل البادية منكم، فقال لهم أهِل البادية: إنّ أهل القرى لا يحسنون القتال، ولا يدرون ما الحرب! فستَرَوْنَ إذا امتزنا من أين يجيء الخلل! فامتازوا، فما رُئي يوم كان أحد ولا أعظم نكايةً مما رُئيَ يومئذ؛ ولم يُدْرَ أيّ الفريقين كان أشدّ فيهم نكاية! إلاّ أن المصيبة كانت في المهاجرين والأنصار أكثرَ منها في أهل البادية، وأنّ البقيَّة أبداً في الشدّة. ورَمى عبدُ الرحمن بن أبي بكر المحكَّمَ بسهم فقتله وهو يخطب، فنحره وقَتَل زيدُ بن الخطاب الرجَّال بن عُنْفوة. (٣: ٢٩٢).

٧٢ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن الضَّحاك بن يربوع، عن أبيه، عن رجل من بني سُحَيْم قد شهدها مع خالد، قال: لمَّا اشتدَّ القتال - وكانت يومئذ سِجَالاً إنَّما تكون مرة على المسلمين ومرّة على الكافرين - فقال خالد: أيُّها الناس امتازوا لنعلَم بلاء كلّ حيّ، ولنعلم من أين نؤتى! فامتاز أهلُ القُرى والبوادي، وامتازت القبائل من أهل البادية وأهل الحاضر؛ فوقف بنو كلّ أب على رايتهم، فقاتلوا جميعاً، فقال أهل البَوادي يومئذ: الآن يستحرّ القتل في الأجزع الأضعف، فاستحرّ القتل في أهل القرى، وثبت مسيلمة، ودارت رحاهم عليه، فعرف خالدٌ أنَّها لا تركُد إلاّ بقتل مسيلمة؛ ولم تحْفل بنو حنيفة بقتل مَن قتل منهم. ثم برز خالد، حتى إذا كان أمام الصّفّ دعا إلى البراز وانتمى، وقال: أنا ابنُ الوليد العوْد، أنا ابن عامر وزيد! ونادى بشعارهم يومئذ، وكان شعارهم يومئذ: يا محمداه! فجعل لا يبرز له أحدٌ إلا قتله، وهو يرتجز:

أنَـا ابـن أشيـاخ وسَيْفـي السَّخـتْ أعظـمُ شـيء حيـن يـأتيـك النفـتْ

ولا يبرزُ له شيء إلا أكله ، ودارت رحا المسلمين وطحنت . ثم نادى خالد حين دنا من مُسَيلمة ـ وكان رسول الله ﷺ قال : إنّ مع مسيلمة شيطاناً لا يعصيه ، فإذا اعتراه أزْبَدَ كأنّ شدقيه زبيبتَان لا يهمّ بخير أبداً إلا صرفه عنه ، فإذا رأيتم منه عَوْرة ؛ فلا تُقيلوه العَثْرَة ـ فلمَّا دنا خالدٌ منه طلب تلك ، ورآه ثابتاً ورحاهم تدور عليه ؛ وعرف : أنَّها لا تزول إلا بزواله ، فدعا مسيلمة طلباً لعورته ، فأجابه ، فعرض عليه أشياء ممَّا يشتهي مسيلمة ، وقال : إن قبلنا النّصف ، فأيَّ الأنصاف تعطينا؟ فكان إذا همَّ بجوابه أعرض بوجهه مستشيراً ، فينهاه شيطانه أن يقبلَ ، فأعرضَ بوجهه مرّة من ذلك ؛ وركبه خالدٌ فأرهقه فأدبر ، وزالوا فذمَّرَ خالد النَّاس ، وقال : دونكم لا تقيلوهم! وركبوهم فكانت هزيمتهم ؛ فقال مسيلمة حين قام ، وقد تطاير النَّاس عنه ، وقال قائلون : فأين ما كنتَ تَعِدُنا؟ فقال : قاتِلُوا عن أحسابكم ، قال : ونادى المحكَّم : يا بني حنيفة ! الحديقة الحديقة! ويأتي وحشيٌّ على مسيلمة وهو مُزْبِدٌ متساندٌ لا يعقل من الغيظ ، فخرَط عليه حربَته فقتله ، واقتحم النَّاس عليهم حديقةَ الموت من حيطانها وأبوابها ، فقُتِل في المعركة ، وحديقة الموت عشرة آلاف مقاتل . (٣ : ٢٩٣/ ٢٩٤) .

٧٣ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن هارون ، وطلحة ، عن عمرو بن شعيب ، وابن إسحاق : أنهم لما امتازوا وصبروا ، وانحازت بنو حنيفةَ تبِعهم المسلمون يقتلونهم ؛ حتى بلَغوا بهم إلى حديقة الموت ، فاختلفوا في قتل مُسيلمةَ عندها ، فقال قائلون : فيها قُتل ، فدخلوها وأغلقوها عليهم ، وأحاط المسلمون بهم وصرخ البَراء بن مالك ، فقال : يا معشَر المسلمين ! احملوني على الجِدَار حتى تطرحوني عليه ؛ ففعلوا حتى إذا وضعوه على الجدار نظر وأرْعِد فنادى : أنزلوني ، ثم قال : احملوني ؛ ففعل ذلك مراراً ثم قال : أفّ لهذا خَشِعاً ! ثم قال : احملوني ، فلمَّا وضعوه على الحائط اقتحم عليهم ، فقاتلهم على الباب حتَّى فتحه للمسلمين وهم على الباب من خارج فدخلوا ؛ فأغلق الباب عليهم ، ثم رمَى بالمفتاح من وراء الجدار ، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يرَوْا مثله ، وأبيَر من في الحديقة منهم ؛ وقد قتل الله مسيلمة ، وقالت له بنو حنيفة : أين ما كنت تعدنا! قال : قاتلوا عن أحسابكم! (٣ : ٢٩٤) .

٧٤ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن هارون وطلحة وابن إسحاق. قالوا: لمّا صرخ الصارخ: أنّ العبد الأسود قتل مسيلمة؛ خرج خالد بمجّاعة يرسُفُ في الحديد ليُرِيَه مُسيْلمة ، وأعلام جنده ، فأتى على الرجّال فقال: هذا الرجّال! (٣: ٢٩٤/ ٢٩٥) .

٧٥ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدثنا سلَمة عن ابن إسحاق ، قال: لمَّا فَرَغ المسلمون من مُسيلمة أتي خالد فأخبر ، فخرج بمجَّاعة يرسفُ معه في الحديد ليَدلَّه على مُسيلمة ، فجعل يكشف له القتلى حتى مرّ بمحكَّم بن الطُّفَيل ـ وكان رجلاً جسيماً وسيماً ـ فلمَّا رآه خالد ، قال: هذا صاحبكم. قال: لا ، هذا والله خيرٌ منه وأكرم ، هذا محكَّم اليمامة. قال: ثمّ مضى خالد يكشف له القتلى حتى دخَل الحديقة ، فقلّب له القتلى؛ فإذا رُوَيْجل أصَيْفر أخَيْنس فقال مجّاعة: هذا صاحبكم ، قد فَرَغتم منه ، فقال خالد لمجّاعة: هذا صاحبكم الَّذي فعل بكم ما فعل ، قال: قد كان ذلك يا خالد! وإنَّه والله ما جاءك إلاّ سَرَعان الناس؛ وإنّ جماهير النَّاس لفي الحصون. فقال: ويلك ما تقول! قال: هو والله الحقّ؛ فهلمّ لأصالحك على قومي. (٣: ٢٩٥) .

٧٦ ـ كتبَ إليّ السَّريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الضّحاك ، عن أبيه ، قال: كان رجلٌ من بني عامر بن حنيفة يُدْعى الأغلب بن عامر بن حنيفة ، وكان أغلظَ أهلِ زمانه عُنُقاً؛ فلمَّا انهزم المشركون يومئذ ، وأحاط المسلمون بهم ، تَمَاوَتَ ، فلمَّا أثبَت المسلمون في القتلى أتى رجلٌ من الأنصار يكنى أبا بَصيرة ومعه نفرٌ عليه ، فلمَّا رأوه مُجدَّلاً في القتلَى وهم يحسبونه قتيلاً ، قالوا: يا أبا بصيرة! إنَّك تزعم ـ ولم تزل تزعم ـ: أنّ سيفك قاطع ، فاضرب عنُق هذا الأغلب الميّت ، فإنْ قطعته فكلّ شيء كان يبلغنا حقّ ، فاخترطه ثمّ مشى إليه ولا يروْنه إلاّ ميتاً ، فلمَّا دنا منه ثار ، فحاضره ، واتَّبعه أبو بصيرة ، وجعل يقول: أنا أبو بصيرة الأنصاريّ! وجعل الأغلب يتمطَّر ولا يزداد منه إلا بُعْداً؛ فكلَّما قال ذلك أبو بصيرة ، قال الأغلب: كيف ترى عَدْوَ أخيك الكافر! حتى أفلت. (٣: ٢٩٥/٢٩٦) .

٧٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال: لمَّا فرغ خالد من مُسيْلمة والجند ، قال له عبد الله بن

عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر: ارتحلْ بنا وبالنَّاس فانزل على الحصون، فقال: دعاني أبُثّ الخيولَ فألقط مَن ليس في الحصون، ثم أرى رأيي. فبثّ الخيول فَحَوَوْا ما وجدوا من مال ونساء وصبيان، فضمّوا هذا إلى العسكر، ونادى بالرّحيل لينزل على الحصون، فقال له مجّاعة: إنَّه والله ما جاءك إلاّ سَرَعان الناس، وإنّ الحصون لمملوءة رجالاً، فهلمّ لك إلى الصُّلح على ما ورائي، فصالحه على كلّ شيء دون النفوس. ثم قال: أنطلق إليهم فأشاورهم وننظر في هذا الأمر؛ ثمّ أرجع إليك. فدخل مجّاعة الحصون، وليس فيها إلاّ النساء والصبيان ومشيخة فانية، ورجال ضَعْفى فظَاهَر الحديد على النساء وأمرهنّ أن ينشرن شعورهنّ، وأن يُشْرِفْن على رؤوس الحصون حتى يرجع إليهنّ؛ ثم رجع فأتى خالداً فقال: قد أبوْا أن يُجيزوا ما صنعتُ، وقد أشرف لك بعضهم نقضاً عليَّ وهم منّي بُرَآء. فنظر خالد إلى رؤوس الحصون وقد اسودّت، وقد نَهكَت المسلمين الحرب، وطال اللقاء؛ وأحبُّوا أن يرجعوا على الظَّفَر، ولم يدروا ما كان كائناً لو كانَ فيها رجال وقتال، وقد قتل من المهاجرين والأنصار من أهل قصَبة المدينة يومئذ ثلاثمئة وستون. قال سهل: ومن المهاجرين من غير أهل المدينة والتابعين بإحسان ثلاثمئة من هؤلاء وثلاثمئة من هؤلاء؛ ستمئة أو يزيدون. وقتل ثابت بن قيس يومئذ؛ قتله رجل من المشركين قُطعت رجلُه، فرمى بها قاتله فقتله، وقتل من بني حنيفة في الفضاء بعَقْرَباء سبعة آلاف، وفي حديقة الموت سبعة آلاف؛ وفي الطلب نحْوٌ منها.

وقال ضِرَارُ بن الأزْوَر في يوم اليمامة:

ولـو سُئِلـتْ عنّـا جَنُـوبُ لأخْبَـرَتْ عشيَّـةَ سـالَـتْ عَقْـرَبـاءُ ومَلْهَـمُ
وسـال بفَـرْعِ الـوادِ حتـى تَـرَقْـرَقَـتْ حجـارتُـه فيهـا مـن القـوم بـالـدَّمِ
عشيَّـةَ لا تُغنـي الـرِّمـاحُ مكـانَهـا ولا النَّبـلُ إلاَّ المَشْـرَفـيُّ المُصَمِّـمُ
فـإن تَبْتَغـي الكفَّـارَ غيـر مُلِيمَـةٍ جنُوب، فإنِّي تابعُ الدين مُسْلِمُ
أجـاهـد إذ كـان الجهـادُ غنيمـةً وَللهُ بـالمَـرْءِ المجـاهـدِ أعلـمُ

(٣: ٢٩٥/٢٩٦/٢٩٧).

٧٨ - حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة عن ابن إسحاق، قال: قال مجّاعة لخالد ما قال إذ قال له: فهلمّ لأصالحك عن قومي لرجل قد نهكتْه الحرب،

وأصيب معه من أشراف الناس مَنْ أصيب؛ فقد رقّ وأحبّ الدَّعَة والصُّلْح. فقال: هلمّ لأصالحك، فصالحه على الصّفْراء والبَيْضاء والحَلْقة ونصف السَّبْي. ثم قال: إنّي آتي القوم فأعرض عليهم ما قد صنعت. قال: فانطلق إليهم، فقال للنساء: الْبَسْنَ الحديد، ثم أشْرِفنَ على الحصون، ففعلن. ثم رجع إلى خالد، وقد رأى خالدُ الرِّجال فيما يرى على الحُصُون عليهم الحديد. فلمَّا انتهى إلى خَالد، قال: أبوْا ما صالحتُك عليه، ولكنْ إن شئتَ صنعت لك شيئاً، فعزمتُ على القوم. قال: ما هو؟ قال: تأخذُ منّي رُبْعَ السَّبْي وتَدَعُ ربعاً. قال خالد: قد فعلت، قال: قد صالحتُك، فلمَّا فرغا فتحت الحصون، فإذا ليس فيها إلاّ النّساء والصّبيان، فقال خالد لمجَّاعة: ويحك خدعتني! قال: قومي، ولم أستطع إلا ما صنعت. (٣: ٢٩٧/٢٩٨).

٧٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، قال: قال مجَّاعة يومئذ ثانية: إن شئت أن تقبل مني نِصْفَ السَّبْي، والصَّفْراء، والبيضاء، والحلْقة، والكُراع؛ عزمت، وكتبت الصُّلْحَ بيني وبينك. ففعل خالد ذلك، فصالحه على الصَّفْراء، والبيْضاء، والحلْقة، والكُراع، وعلى نصف السبْي، وحائط من كلّ قرية يختاره خالد، ومزرعة يختارها خالدُ، فتقاضَوْا على ذلك، ثم سرّحه، وقال: أنتم بالخيار ثلاثاً؛ والله لئن لم تُتِمُّوا، وتقبلوا؛ لأنهدَنّ إليكم، ثم لا أقبل منكم خَصْلة أبداً إلاّ القتل. فأتاهم مجَّاعة فقال: أمَّا الآن فاقبلوا، فقال سلَمة بن عمير الحنفيّ: لا والله لا نقبل! نبعث إلى أهل القرى، والعبيد، فنقاتل، ولا نقاضي خالداً، فإنّ الحصون حصينة، والطعام كثير، والشتاء قد حَضَر. فقال مجَّاعة: إنَّك امرؤٌ مشؤوم، وغرّك أنّي خدعت القوم حتى أجابوني إلى الصلح، وهل بقي منكم أحد فيه خيرٌ، أو به دَفْع! وإنَّما أنا بادرَتكم قبل أن يصيبَكم ما قال شرحبيل بن مسيلمة، فخرج مجَّاعة سابع سبعة حتى أتى خالداً، فقال: بعد شدّ ما رضوا؛ اكتب كتابك، فكتب:

هذا ما قاضى عليه خالد بن الوليد ابن مجَّاعة بن مرارة، وسلَمة بن عمير، وفلاناً، وفلاناً؛ قاضاهم على الصَّفْراء، والبَيْضاء، ونصف السَّبْي، والحلْقة، والكُراع، وحائط من كلّ قرية؛ ومزرعة؛ على أن يُسلموا ثمّ أنتم آمنون بأمان

اللهِ؛ ولكم ذمَّة خالد بن الوليد وذمَّة أبي بكر خليفة رسولِ الله ﷺ ، وذمّة المسلمين على الوفاء. (٣: ٢٩٨).

٨٠ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن عِكْرِمة ، عن أبي هُريرة ، قال: لمَّا صالح خالد مجّاعة؛ صالَحه على الصَّفراء ، والبيضاء ، والحلْقة ، وكلّ حائط رِضَانَا في كلّ ناحية ، ونصف المملوكين. فأبوْا ذلك ، فقال خالد: أنتَ بالخيار ثلاثةَ أيام ، فقال سلَمة بن عُمَير: يا بني حَنِيفة ! قاتِلُوا عن أحْسَابكم ، ولا تصالحوا على شيء ، فإنّ الحصْنَ حصين ، والطعام كثير وقد حَضَر الشِّتاء. فقال مجّاعة: يا بني حَنيفة ! أطيعوني واعصُوا سلَمة ، فإنَّه رجلٌ مشؤوم قبل أن يصيبَكم ما قال شُرَحبيل بن مسيلمة «قَبْل أن تُسْتَرْدف النساء غَير رضيَّات ، وينكَحْن غير خطيبات». فأطاعوه ، وعَصَوا سَلمة ، وقبلوا قضيَّته. وقد بعث أبو بكر رضي الله عنه بكتاب إلى خالد مع سَلَمة بن سَلامة بن وقْش ، يأمر إن ظفَّره الله عزّ وجلّ أن يقتل مَنْ جرَت عليه المواسي من بني حَنِيفة ، فقدِم فوجده قد صالحهم ، فوفَى لهم ، وتمّ على ما كان منه ، وحُشرت بنو حَنيفة إلى البَيْعة ، والبَراءة ممَّا كانوا عليه إلى خالد ، وخالد في عسكره؛ فلمَّا اجتمعوا قال سلَمة بن عمير لمجّاعة: استأذن لي على خالد أكلّمْه في حاجة له عندي ونصيحة - وقد أجمع أن يفتك به - فكلَّمه فأذن له ، فأقبل سلَمة بن عُمَير ، مشتملاً على السيف يريد ما يريد ، فقال: مَن هذا المقبل؟ قال مَجَّاعة: هذا الَّذي كلَّمتك فيه ، وقد أذنت له ، قال: أخرِجُوه عنّي؛ فأخرجوه عنه ، ففتشوه فوجدوا معه السيف ، فلعنوه ، وشتموه ، وأوثقوه ، وقالوا: لقد أردت أن تهلك قومك ، وأيم الله ما أردت إلا أن تُسْتَأْصَل بنو حنيفة ، وتسبى الذريّة والنساء ! وأيم الله لو أن خالداً علم أنك حملت السلاح؛ لقتلك ! وما نأمنه إن بلغه ذلك أن يقتلك ، وأن يقتُل الرجال ، ويسبي النّساء بما فعلت؛ ويحسب: أنّ ذلك عن ملأ منّا. فأوثقوه وجعلوه في الحِصْن؛ وتتابع بنو حنيفة على البَرَاء ممَّا كانوا عليه ، وعلى الإسلام ، وعاهدهم سَلَمة على ألاّ يُحدث حدثاً ويعفوه ، فأبوْا ولم يثِقُوا بحُمْقه أن يقبلوا منه عهداً ، فأفلت ليلاً؛ فعمَد إلى عسكر خالد ، فصاح به الحرَس ، وفزعتْ بنُو حنيفة ، فاتَّبعوه فأدركوه في بعض الحوائط ، فشدّ عليهم بالسيف؛ فاكتنفوه بالحجارة ، وأجال السيف على حلْقه فقطع أوداجَه ، فسقط في بئر فمات. (٣: ٢٩٩/ ٣٠٠).

٨١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الضحّاك بن يربوع ، عن أبيه ، قال: صالح خالدٌ بني حنيفة جميعاً إلاّ ما كان بالعِرْضِ ، والقريّة ، فإنهم سُبُوا عند انبثاث الغارة ، فبعث إلى أبي بكر ممَّن جَرَى عليه القسمُ بالعِرْض والقُرَيَّة من بني حنيفة ، أو قيس بن ثعلبة ، أو يشكُر ، خمسمئة رأس . (٣ : ٣٠٠) .

٨٢ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة عن محمَّد بن إسحاق ، قال: ثمّ إن خالداً قال لمجّاعة: زَوّجني ابنَتك ، فقال له مجّاعة: مهلاً ، إنَّك قاطع ظهري وظهرك معي عند صاحبك. قال: أيها الرّجل ، زَوّجْني؛ فزوّجه؛ فبلغ ذلك أبا بكر ، فكتب إليه كتاباً بقطر الدم: لَعمرِي يا بنَ أمّ خالد ! إنك لفارغ تنكح النّساء وبفناء بيتك دَمُ ألف ومئتي رجل من المسلمين لم يجْففْ بعد! قال: فلمَّا نظر خالد في الكتاب جعل يقول:

هذا عمل الأعَيْسر ـ يعني: عمر بن الخطاب ـ وقد بعث خالد بن الوليد وفداً من بني حَنيفة إلى أبي بكر ، فقدمُوا عليه ، فقال لهم أبو بكر: وَيْحكم! ما هذا الذي استزلّ منكم ما استزّل! قالوا: يا خليفة رسول الله ! قد كان الَّذي بلغك ممَّا أصابنا كان أمراً لم يبارك الله عزّ وجلّ له ولا لعشيرته فيه ، قال: على ذلك ، ما الَّذي دعاكم به! قالوا: كان يقول: «يا ضِفْدَع نقّي نِقّي ، لا الشارَب تمنعين ، ولا الماء تكدّرين؛ لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض؛ ولكنّ قريشاً قوم يَعْتدون» .

قال أبو بكر: سبحان الله! ويحكم! إنّ هذا لكلامٌ ما خرج من إلّ ولا برّ ، فأين يُذهب بكم؟! فلمّا فرغ خالد بن الوليد من اليمامة ـ وكان منزله الذي به التقى الناس أباض؛ واد من أودية اليمامة. ثم تحوّل إلى وادٍ من أوديتها يقال له: الوَبَر ، كان منزله بها[1] . (٣: ٣٠٠/ ٣٠١) .

---

(١) (٥٩/ ٦٠ / ٦١ / ٦٢ / ٦٣ / ٦٤ / ٦٥/ ٦٦ / ٦٧ / ٦٨ / ٦٩ / ٧٠ / ٧١ / ٧٢ / ٧٣ / ٧٤ / ٧٥ / ٧٦ / ٧٧ / ٧٨ / ٧٩ / ٨٠ / ٨١ / ٨٢).
ذكرنا هذه الروايات في قسم الضعيف لأنها لا تخلو من طعن ، أو غمز في صحابة رسول الله ﷺ وأغلب ظننا أنه من قبل شعيب تلميذ سيف بن عمر وراويته الذي قال عنه أئمة الجرح والتعديل في رواياته تخالف علىٰ السلف (لسان الميزان ٣/ ١٤٥) فهذه الروايات:
١ ـ (٣/ ٢٨١/ ٨٦) و(٣/ ٢٨٢/ ٨٧): تصور الصحابيين الجليلين عكرمة وشرحبيل بن حسنة=

وكأن كل واحد منهما يتعجّل ولا يطبق أوامر الخليفة المسلم كما صدرت إليه ولا ينتظر المدد فيتسبب في هزيمة المسلمين ، ونسي من قال بهذا الغمز واللمز أنه ذكر في رواياته التأريخية : أن معارك الردة كانت شرسة وأنها كانت سجالاً وكرّاً وفراً وقُتل فيها من حملة القرآن من الصحابة من قتل حتى كتب الله النصر النهائي لجماعة الصحابة (جند الخليفة الراشد الأول الصديق) رضي الله عنهم أجمعين. وإن كان صحّ: أن عكرمة وشرحبيل قد أسرع كل واحد منهما إلىٰ العدوّ فليس ذلك للمغنم؛ لأن من كتب التأريخ الإسلامي أيام حروب الردة يعلم أن ذلك القتال كان شرساً وأن أهل الردة لم يرتدعوا حتىٰ عن قتل أصحابهم وتمزيقهم كل ممزق وهم قوم معرفون بالقتال والشراسة. فإذا أسرع إليهم عكرمة أو شرحبيل فهما يعلمان جيداً أن الإقدام قد يؤدي إلىٰ الموت كما قال الشاعر قديماً.

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يُفْقِرُ والإقدام قتّالُ

فإن كان عكرمة أسرع إلىٰ المعركة وحده فليس إلاّ حرصاً منه علىٰ استباق الخيرات وإذلال عدو الله ونصرة شريعة الله وجنده. وكذلك الحال مع شرحبيل وغيره رضي الله عنهم جميعاً والناقد لروايات التأريخ سنداً ومتناً يستطيع لو تأمّل ملياً أن يستخرج مادُسَّ في وقائع تلك الأحداث وطعناً في هاتين الروايتين وغيرهما لا يعني أن جُلّ ما فيها غير صحيح بل سنذكر منها مقاطع في قسم (صحيح عهد الخلفاء الراشدين) لأن لها ما يؤيدها ولا دخل لها في المسائل العقيدية أو الطعن في عدالة الصحابة أو التحيز إلىٰ فئة دون أخرىٰ بدافع سياسي أو عقدي.

٢ ـ وفي الرواية (٣/ ٢٩٠/ خ ٩٥): صورة شائنة ألصقها الراوي بالصحابي الجليل البراء بن مالك أخي أنس بن مالك وهذه الرواية من طريق ابن حميد وهو ضعيف عند أغلب أئمة الحديث أضف إلىٰ أنه من طريق ابن إسحاق وقد عنعن وأبهم اسم شيخه. ففي إسناده جهالة كذلك.

٣ ـ وفي الرواية (٣/ ٢٩٢/ خ ١٠١) طامّات بدل طامة وهي كذلك من طريق (شعيب عن سيف عن طلحة بن الأعلم) وموقف شعيب معروف في دسّه على السلف الصالح ، وضعف سيف معروف ، وشيخه هنا لم يوثقه أحد.

وفيها على سبيل المثال: أن المهاجرين والأنصار كانوا سبباً في هزيمة المسلمين أكثر من أهل القرىٰ والبادية الذين انضموا إلىٰ جيش المسلمين ، ونسي: أن المهاجرين والأنصار خاضوا معارك مباركة كبدر وأحد والخندق وغيرها وضربوا أروع الأمثلة في البسالة ، والشجاعة ، والروايات الضعيفة في مثالب المهاجرين والأنصار كما في هذه الرواية التي فيها: أن المهاجرين والأنصار جبّنوا أهل البوادي.

نقول: هذه الروايات لا تستطيع أن تقاوم ما تواتر من الأخبار الصحيحة في شجاعة الصحابة وإقدامهم وإيثارهم وعدالتهم وهم خير القرون بنص حديث رسول الله ﷺ والله تعالى أعلم. =

ذكر خبر أهل البحرين وردة الخَطم ومَنْ تجمع معه بالبحرين

٨٣ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن عطيّة بن بلال، عن سَهْم بن مِنْجاب، عن مِنْجاب بن راشد، قال: بعث أبو بكر العلاء بن

= ٤ ـ ومثال آخر (٣/ ٢٩٤/ خ ١٠٣) من أمثلة الدسّ في الرواية التاريخية والطعن في الصحابة وإظهارهم بمظهر الجبان المتخاذل (حاشاهم) وفيها أن البراء تردد في بداية الأمر عندما رفعه الصحابة علىٰ جدار الحديقة التي تحصّن فيها مسيلمة وأصحابه فأصابه الرعب وقال أنزلوني وفعل ذلك مراراً وفي المرة الأخيرة نزل إلىٰ الأعداء. وهذه الرواية كذلك من طريق شعيب عن سيف، ومما يدل علىٰ كذب هذه العبارة في وصف مالك رضي الله عنه أنها تخالف الرواية الضعيفة الأخرىٰ التي قالت: أنه يعتريه حالة من الارتعاد والارتجاف ثم يمسك به الرجال الأشداء ثم يفعل كذا وكذا ثم يثور كالأسد إلىٰ آخر ما في ذلك من الافتراء والدَّسّ علىٰ صحابة رسول الله ﷺ.

٥ ـ وفي (٣/ ٢٩٨/ خ١٠٨) أن أحد أصحاب مسيلمة خدع خالداً بسهولة علماً بأن سيرة سيدنا خالد توضح بكل جلاء أنه كان داهية فطناً لا يستطيع الخبّ أن يخدعه ثم إنه رضي الله عنه لا يتساهل مع أعداء الله بعد أن أعلنوا ردتهم ومنعوا الزكاة ومثّلوا بكل مسلم وقع في أيديهم في البوادي والحواضر. وهذه الرواية من طريق ابن حميد الرازي وهو ضعيف وقد ذكره عن ابن إسحاق معضلاً.

٦ ـ ومثال آخر للدسّ والاختلاق كما في الرواية (٣/ ٢٨٢/ خ٨٨) وهو كذلك من طريق شعيب عن سيف عن عبد الله بن سعيد عمن حدثه عن جابر بن فلان فبالإضافة إلى إتهام شعيب بطعنه في سيرة السلف ففيه مجهول (عمن حدثه) وشيخه مجهول الأب (جابر بن فلان) هكذا وفي هذه الرواية كلام تكذبه الروايات الصحيحة التي ذكرنا. وحتى هذه الروايات الضعيفة من طريق شعيب عن سيف تكذب ما ورد في هذه الرواية (خ ٨٨) إذ فيها [وكان أبو بكر يقول: لا أستعمل أهل بدر أدعهم حتىٰ يلقوا الله بأحسن أعمالهم فإن الله يدفع بهم وبالعلماء من الأمم أكثر وأفضل مما ينتصر بهم].

والروايات الصحيحة تذكر أسماء كبار الصحابة بلا تفريق بين بدري وغيره قد شاركوا في معارك الردة وحملوا راية الجهاد واستشهد منهم من استشهد منهم سبعون من الأنصار ولم يستخلف أبو بكر سوىٰ عدد من كبار الصحابة الذين لازموا رسول الله ﷺ حتىٰ وفاته ومنهم عمر رضي الله عنه يعاونونه في أمور الحكم والخلافة. بل إن أبا بكر خرج بنفسه في بداية الأمر ثم ترجّاه كبار الصحابة ليبقىٰ هو في المدينة يدير شؤون الخلافة وينيب عنه من يكون بمثابة القائد العام أو رئيس هيئة الأركان كما في المصطلح الحديث، فكان أن وقع الاختيار على سيدنا خالد رضي الله عنه وأرضاه، كيف لا؛ وهو سيف الله المسلول؟!.

الحضرميَّ على قتال أهل الرّدّة بالبحرين؛ فلمّا أقبل إليها؛ فكان بحيال اليمامة، لحِقَ به ثُمامة بن أثال في مُسْلمة بن حنيفة من بني سُحَيْم ومن أهل القرى مِن سائر بني حنيفة، وكان متلدّداً؛ وقد ألحق عكرمة بعُمان ثم مَهْرة، وأمَر شُرحبيل بالمقام حيث انتهى إلى أن يأتيَه أمرُ أبي بكر، ثم يغاور هو وعمرو بن العاص أهل الرّدّة من قُضَاعة. فأمَّا عمرو بن العاص فكان يُغاوِر سعداً وبليّاً وأمَر هذا بكلْب ولفّها، فلمَّا دنا منَّا ونحن في عُلْيا البلادِ لم يكن أحدٌ له فرس من الرِّباب وعمرو بن تميم إلاّ جنبَه، ثم استقبله؛ فأمّا بنو حنظلة فإنّهم قدّموا رِجْلاً وأخَّروا أخرى. وكان مالك بن نُويرة في البُطاح ومعه جُموع يساجلنا ونساجله. وكان وكيع بن مالك في القَرْعاء معه جموع يُساجل عمراً وعمرو يساجلُه، وأمَّا سعد بن زيد مناة فإنَّهم كانوا فِرْقتين؛ فأمَّا عوف والأبناء فإنَّهم أطاعوا الزِّبْرقان بن بدر، فثبتوا على إسلامهم وتمّوا وذَبُّوا عنه؛ وأمَّا المُقاعس والبُطون فإنَّهما أصاخا ولم يتابعا؛ إلاّ ما كان من قَيس بن عاصم؛ فإنَّه قسّم الصدقات التي كانت اجتمعت إليه في المقاعس والبطون حين شخص الزّبْرقان بصَدقاتِ عَوْفٍ والأبناء؛ فكانت عوف والأبْناء مشاغيل بالمُقاعس والبطون. فلمَّا رأى قيس بن عاصم ما صنعت الرّباب وعمرو منْ تلقِّي العلاء نَدِم على ما كان فَرَط منه، فتلقَّى العَلاءَ بإعداد ما كان قسم من الصدقات، ونزع عن أمره الَّذي كان همَّ به، واستاق حتى أبلغها إياه، وخرج معه إلى قتال أهل البحرين؛ وقال في ذلك شعراً كما قال الزبرقان في صَدقته حين أبلغها أبا بكر؛ وكان الذي قال الزبرقان في ذلك:

وَفَيْتُ بأذْواد الرَّسُول وقد أبتْ ... سُعاةٌ فلمْ يَرْدُد بعيراً مُجيرُها
معاً ومَنعناها منَ النَّاس كلِّهمُ ... تَرَامَى الأعادي عِنْدَنا ما يضيرُها
فأدَّيْتُها كَيْ لا أخُونَ بذِمَّتي ... مَحَانيق لم تُدرَسْ لركبٍ ظهورُها
أردتُ بها التَّقْوَى ومَجْد حديثها ... إذا عُصْبَة سامَى قبيلي فَخُورُها
وإني لَمِنْ حَيّ إذا عُدَّ سَعْيُهم ... يرى الفَخر منها حَيُّها وقُبورها
أصاغِرُهم لم يَضْرَعُوا وكِبَارُهم ... رزَانٌ مَراسيها، عِفَافٌ صُدُورُها
ومن رَهْطِ كنَّادٍ توفَّيتُ ذِمَّتي ... ولم يَثْنِ سيفي نَبْحُها وهَريرُها
ولله مُلْك قد دخلتُ وفارس ... طعنتُ إذا الخيْلُ شَدَّ مُغِيرُها
فَفَرَّجْتُ أُولاَهَا بِنَجْلاءَ ثَرَّةٍ ... بحيث الذي يَرجُو الحياةَ يَضِيرُها
ومَشْهَدِ صِدْقٍ قد شهدتُ فلم أكُنْ ... به خامِلاً واليومَ يُثْنَى مَصِيرُها

أرَى رَهْبَـةَ الأعـداءِ منِّـي جَـرَاءَةً ويبكي إذا ما النفسُ يُوحى ضميرها

وقال قيس عند استقبال العلاء بالصدقة:

ألاَ أَبْلِغـا عنِّـي قـريشـاً رسـالـةً إذا مـا أَتَتهـا بيِّنـاتُ الـودائـعِ

حَبَوْتُ بها في الدَّهر أعراضَ مِنْقَرٍ وأيْـأَسْـتُ منهـا كـلّ أطْلَس طـامعِ

وَجَـدْتُ أبـي والخـالَ كـانـا بنجـوة بقـاعٍ فلـم يحْلُـلْ بهـا مَـنْ أدافِـعُ

فأكرمه العلاءُ، وخرج مع العَلاء بن عمرو وسعد الرّباب مثل عسكره، وسلك بنا الدَّهْناء؛ حتى إذا كنا في بُحْبُوحتها والحَنَّانات والعَزَّافاتُ عن يمينه وشماله، وأراد الله عزّ وجلّ أن يرينا آياته نَزَل وأمر الناس بالنّزول، فنَفَرت الإبل في جُوْف الليل؛ فَمَا بَقِيَ عندنا بعير ولا زادٌ ولا مزاد ولا بناء إلا ذهب عليها في عرض الرمل، وذلك حين نزل الناس، وقبل أن يحطُّوا؛ فما علمت جمعاً هجم عليهم من الغَمّ ما هجم علينا وأوصَى بعضُنا إلى بعض، ونادى منادي العَلاء: اجتمعوا، فاجتمعنا إليه، فقال: ما هذا الذي ظهر فيكم وغلب عليكم؟ فقال الناس: وكيف نلامُ ونحن إن بلغنا غداً لم تحْمَ شمسُه حتى نصير حديثاً! فقال: أيّها الناس؛ لا تُراعوا، ألَسْتم مسلمين! ألستم في سبيل الله! ألستم أنصار الله! قالوا: بلى، قال: فأبشروا؛ فو الله لا يَخْذُل الله من كان في مثل حالكم! ونادى المنادي بصلاة الصبح حين طلَع الفجر فصلَّى بنا، ومنَّا المتيمِّم، ومنَّا من لم يزل على طَهُوره؛ فلمَّا قضى صلاته جثا لرُكْبَتَيْه وجَثَا النَّاس، فنصب في الدّعاء ونصبوا معه؛ فلمع لهم سرابُ الشمس؛ فالتفت إلى الصّفّ، فقال: رائد ينظر ما هذا؟ ففعل ثم رجع، فقال: سراب، فأقبل على الدّعاء، ثم لمع لهم آخر فكذلك، ثم لمع لهم آخر، فقال: ماء، فقام وقام الناس، فمشينا إليه حتى نزلْنا عليه، فشربنا واغتسلنا، فما تعالى النَّهار حتى أقبلت الإبل تُكْرَد من كلّ وجه، فأناخت إلينا، فقام كلّ رجل إلى ظهره، فأخذه، فما فقدنا سِلْكاً فأرويناها وأسقيناها العَلَل بعد النّهَل؛ وتَرَوّينا ثم تروّحنا ـ وكان أبو هريرة رفيقي ـ فلمّا غِبْنَا عن ذلك المكان، قال لي: كيف علمُك بموضع ذلك الماء؟ فقلت: أنا من أهدى العرب بهذه البلاد قال: فكن معي حتى تقيمني عليه، فكررتُ به، فأتيت به على ذلك المكان بعينه؛ فإذا هو لا غديرَ به، ولا أثر للماء، فقلت له: والله لولا أنّي لا أرى الغدير لأخبرتك أنّ هذا هو المكان؛

وما رأيت بهذا المكان ماءً ناقعاً قبل اليوم؛ وإذا إداوة مملوءة، فقال: يا أبا سهم! هذا والله المكان؛ ولهذا رجعت ورجعت بك. وملأت إداوتي ثم وضعتها على شفيره، فقلت: إن كانَ منّاً من المنّ وكانت آية عرفتها؛ وإن كان غياثاً عرفته؛ فإذا منّ من المَنّ، فحَمِد الله، ثم سِرْنا حتى ننزل هَجَر. قال: فأرسل العلاء إلى الجارود ورجل آخر أن انضمّا في عبد القيس حتى تنزلا على الحطَم ممَّا يليكما؛ وخرج هو فيمَن جاء معه وفيمَن قدم عليه؛ حتى ينزل عليه ممَّا يلي هَجَر، وتجمَّع المشركون كلُّهم إلى الحُطَم إلاّ أهل دارين، وتجمَّع المسلمون كلّهم إلى العَلاء بن الحضرميّ، وخندق المسلمون والمشركون، وكانوا يتراوحون القتال ويرجعون إلى خَنْدقهم؛ فكانوا كذلك شهراً؛ فبينَا الناس ليلةً إذ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء شديدة؛ كأنها ضوضاءُ هزيمة أو قتال، فقال العلاء: مَنْ يأتينا بخبر القوم؟ فقال عبد الله بن حَذَف: أنا آتيكم بخبر القوم ـ وكانت أمّه عِجْليَّة ـ فخرج حتى إذا دنا من خَندقهم أخذوه، فقالوا له: مَن أنت؟ فانتسب لهم، وجعل ينادي: يا أَبْجَراه! فجاء أبجر بن بُجَير، فعرفه فقال: ما شأنُك؟ فقال: لا أضيعنَّ الليلة بين اللَّهازم! عَلاَم أقتَل وحولي عساكر من عِجْلٍ وتيْم الَّلات وقيس وعَنَزَة! أيتلاعب بي الحُطم ونُزَّاع القبائل وأنتم شهود! فتخلَّصه، وقال: والله إنِّي لأظنّك بئس ابن الأخت لأخوالك الليلة! فقال: دَعْنِي من هذا وأطعمْني؛ فإني قد متُّ جوعاً. فقرّب له طعاماً؛ فأكل ثمّ قال: زوّدني واحمِلْني وجَوّزني أنطلق إلى طيّتي. ويقول ذلك لرجل قد غلب عليه الشراب، ففعل وحَمَله على بعير، وزوّده وجَوّزه؛ وخرج عبد الله بن حَذَف حتى دخل عسكرَ المسلمين، فأخبرهم أنّ القوم سُكارى، فخرج المسلمون عليهم حتى اقتحموا عليهم عسكَرهم، فوضعوا السيوف فيهم حيث شاؤوا، واقتحموا الخندق هُرّاباً، فمتردٍّ، وناجٍ، ودهِش، ومقتول أو مأسور، واستولَى المسلمون على ما في العسكر؛ لَمْ يفلِت رجلٌ إلاّ بما عليه؛ فأما أبجر فأفلتَ، وأمَّا الحُطَم فإنّه بَعِل ودُهِش، وطار فؤاده؛ فقام إلى فرسه ـ والمسلمون خلالهم يجُوسُونهم ـ ليركَبه؛ فلمَّا وضع رجلَه في الرّكاب انقطَع به، فمرّ به عفيف بن المنذر أحد بني عمرو بن تميم، والحُطم يستغيث ويقول: ألا رجلٌ مِنْ بني قيس بن ثعلبة يَعْقلني! فرفع صوته، فعرف صوته، فقال: أبو ضُبَيعة! قال: نعم، قال: أعطني رِجْلك أعقلْك، فأعطاه رِجْله يعقلُه،

فنفَحَها فأطنَّها من الفَخذ ، وتركه ، فقال: أجهز عليّ ، فقال: إني أحبّ ألا تموت حتى أمضَّك . ـ وكان مع عَفيف عدّة من ولد أبيه ، فأصيبوا ليلتئذ ـ وجعل الحطم لا يمر به في الليل أحدٌ من المسلمين إلاّ قال: هل لك في الحُطَم أن تقتله؟ ويقول: ذاك لمن لا يعرفه ، حتى مرّ به قيس بن عاصم ، فقال له ذلك ، فمال عليه فقتله ، فلمّا رأى فخذَه نادرةً ، قال: واسوأتاه! لو علمت الّذي به لم أحرّكه؛ وخرج المسلمون بعد ما أحرزوا الخندق على القوم يطلبونهم ، فاتَّبعوهم ، فلحق قيس بن عاصم أبجر ـ وكان فرس أبجر أقوى من فرس قيس ـ فلمّا خشيَ أن يفوتَه طعنه في العُرقوب فقطع العَصَب ، وسَلِم النَّسَا؛ فكانت رادّة ، وقال عُفَيف بن المنذر:

فإنْ يرقَأ العرقوبُ لا يرْقأ النّسَا ... وما كُلُّ مَنْ يهْوى بذلك عالِمُ
ألم ترَ أنَّا قد فَللْنا حُمَاتَهمْ ... بأسْرَةِ عمرو والرِّبابِ الأكارِمِ

وأسرَ عفيف بن المنذر الغَرور بن سويد ، فكلّمتْه الرّباب فيه ، وكان أبوه ابن أخت التَّيم ، وسألوه أن يُجيره ، فقال للعلاء: إني قد أجَرْت هذا ، قال: ومَنْ هذا؟ قال: الغَرُور ، قال: أنت غررت هؤلاء ، قال: أيّها الملك ، إني لستُ بالغَرور؛ ولكني المغرور ، قال: أسْلِمْ ، فأسلم ، وبقي بهجَر ، وكان اسمه الغَرور ، وليس بلَقب؛ وقتل عفيف المنذر بن سويد بن المنذر ، أخا الغرور لأمّه ، وأصبح العَلاء فقسّم الأنفال ، ونفَّل رجالاً من أهل البلاء ثياباً ، فكان فيمن نفَّل عفيف بن المنذر ، وقيس بن عاصم ، وثمامة بن أثال؛ فأمّا ثمامة فنُفِّل ثياباً فيها خميصة ذات أعلام ، كان الحُطم يُباهي فيها ، وباع الثياب. وقصد عُظْمُ الفُلاّل لدارين ، فركبوا فيها السفن ، ورجع الآخرون إلى بلاد قومهم؛ فكتب العلاء بن الحضرميّ إلى من أقام على إسلامه من بكر بن وائل فيهم ، وأرسل إلى عُتَيبة بن النَّهّاس وإلى عامر بن عبد الأسود بلزوم ما هم عليه والقعود لأهل الردّة بكلّ سبيل ، وأمر مسْمَعاً بمبادرتهم ، وأرسل إلى خَصَفة التميميّ والمثنّى بن حارثة الشيبانيّ ، فأقاموا لأولئك بالطريق ، فمنهم مَنْ أناب ، فقبلوا منه واشتملوا عليه؛ ومنهم مَنْ أبى ولَجّ فمنع من الرجوع ، فرجعوا عَوْدَهم على بدئهم؛ حتى عَبَرُوا إلى دارين ، فجمعهم الله بها ، وقال في ذلك رجل من بني ضُبيعة بن عجل ، يدْعَى وهباً ، يعيّر مَن ارتدّ من بكر بن وائل:

أَلَـم تَـرَ أَنَّ الله يَسْبِـكُ خَلْقَـه فَيَخْبُثَ أقـوامٌ ويَصْفُـوَ مَعْشَـرُ
لَحَـى اللهُ أقـوامـاً أُصيبـوا بخَنْعَـةٍ أصـابَهُـمُ زيـدُ الضَّـلاَلِ ومَعْمَـرُ!

ولم يزل العَلاءُ مقيماً في عسكر المشركين حتى رجعت إليه الكتب من عند مَنْ كان كتب إليه من بكْر بن وائل ، وبلَغه عنهم القيام بأمر الله ، والغضبُ لدينه ، فلمَّا جاءه عنهم من ذلك ما كان يشتهي؛ أيقن أنه لن يؤتَى من خلفه بشيء يكرهه على أحد من أهل البحرين ، وندَب النَّاس إلى دارين ، ثم جمعهم فخطبهم ، وقال: إنّ الله قد جمع لكم أحزابَ الشياطين وشُرَّدَ الحرب في هذا البحر؛ وقد أراكم من آياته في البرّ لتعتبروا بها في البحر ، فانهضوا إلى عدوّكم ، ثم استعرضوا البحر إليهم ، فإنّ الله قد جَمعهم ، فقالوا: نفعل ولا نهاب والله بعدَ الدَّهناء هَوْلاً ما بقينا.

فارتحل وارتحلوا ، حتى إذا أتى ساحل البحر اقتحموا على الصَّاهل ، والجامل ، والشاحج والنَّاهق؛ والراكبُ والراجل ، ودعا ودعوْا؛ وكان دعاؤه ودعاؤهم: يا أرحم الراحمين ، يا كريم ، يا حليم ، يا أحَد ، يا صَمَد يا حيّ يا مُحيي الموتى ، يا حيّ يا قيوم ، لا إله إلا أنت يا ربّنا ! فأجازوا ذلك الخليج بإذن الله جميعاً يمشون على مثل رَمْلة مَيْثاءَ ، فوقها ماء يغمُر أخفاف الإبل ، وإن ما بين الساحل ودارين مسيرة يوم وليلة لسُفن البحر في بعض الحالات ، فالتقوْا بها ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فما تركوا بها مُخْبِراً وسبوا الذراريّ ، واستاقوا الأموالَ؛ فبلغ نَفَل الفارس ستَّة آلاف ، والراجل ألفَيْن ، قطعوا ليلهم وساروا يومَهم؛ فلمَّا فرغوا رجعوا عَوْدَهم على بدئهم حتى عَبَروا ، وفي ذلك يقول عفيف بن المنذر:

ألَـم تَـرَ أنَّ الله ذَلَّـلَ بَحْـرَه وأنـزل بـالكُفَّـار إحـدَى الجـلاَئـلِ!
دَعَـوْنـا الَّـذي شـقَّ البحـارَ فجـاءنـا بـأعجـب مـن فَلْـقِ البحـار الأوائـلِ

ولمَّا رجع العلاء إلى البحْرين ، وضرب الإسلام فيها بجِرَانِه ، وعزّ الإسلامُ وأهله ، وذلّ الشرْك وأهلُه؛ أقبل الَّذين في قلوبهم ما فيها على الإرجاف ، فأرجف مُرْجِفُون ، وقالوا: ها ذاك مَفرُوق ، قد جمع رهطه. شيبان وتغلب والنّمر ، فقال لهم أقوام من المسلمين: إذاً تشغَلهم عنا اللَّهَازِم ـ واللَّهَازم يومئذ قد استجمع أمرهم على نصر العلاء وطابقوا ـ وقال عبد الله ابن حَذَف في ذلك:

لا تُوعِدونا بمفرُوق وأسْرتِهِ إنْ يأتِنا يَلْقَ فينا سنّةَ الحُطَمِ
وإنّ ذَا الحيَّ من بَكرٍ وإنْ كثروا لأُمَّةٌ داخلون النارَ في أممِ
فالنّخلُ ظاهره خَيْلٌ وباطنه خيلٌ تَكَدَّسُ بالفِتيان في النِّعمِ

وأقفل العلاء بن الحضرميّ الناس ، فرجع النَّاس إلاّ مَن أحبّ المقام ، فقفلنا وقَفَل ثُمامة بن أثال؛ حتى إذا كنَّا على ماء لبني قَيْس بن ثعلبة؛ فرأوا ثمامة ، ورأوا خَميصة الحُطَم عليه دسُّوا له رجلاً ، وقالوا: سله عنها كيف صارت له؟ وعن الحطم: أهو قتله أو غيره؟ فأتاه ، فسأله عنها ، فقال: نُفِّلْتُها. قال: أأنت قتلت الحُطَم؟ قال: لا ، ولوددت أني كنت قتلته ، قال: فما بال هذه الخميصة معك؟ قال: ألم أخبرك! فرجع إليهم فأخبرهم ، فتجمَّعوا له ، ثم أتوه فاحْتَوَشُوه؛ فقال: ما لكم؟ قالوا: أنت قاتل الحُطَم؟ قال: كذبتم ، لستُ بقاتِله ولكني نفلتها ، قالوا: هل ينفَّل إلاّ القاتل! قال: إنها لم تكن عليه ، إنما وُجِدَتْ في رَحْله ، قالوا: كذبت. فأصابوه.

قال: وكان مع المسلمين راهبٌ في هَجَر؛ فأسلم يومئذ فقيل: ما دعاك إلى الإسلام؟ قال: ثلاثة أشياء ، خشيت أن يمسخني الله بعدَها إن أنا لم أفعل: فَيْضٌ في الرمال ، وتمهيد أثباج البحار ، ودعاءٌ سمعته في عسكرهم في الهواء من السَّحَر. قالوا: وما هو؟ قال: اللهمّ أنتَ الرّحمن الرّحيم؛ لا إله غيرُك ، والبديع ليس قبلك شيء ، والدائم غير الغافل ، والحيّ الذي لا يموت ، وخالق ما يُرَى وما لا يُرَى ، وكلّ يوم أنت في شأن ، وعَلِمتَ اللهمّ كلّ شيء بغير تَعَلُّم؛ فعلمت أنّ القوم لم يُعانوا بالملائكة إلا وهم على أمر الله. فلقد كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ يسمعون من ذلك الهَجَريّ بعد.

وكتب العلاء إلى أبي بكر: أما بعدُ: فإنّ الله تبارك وتعالى فَجّر لنا الدّهناءَ فيضاً لا تُرَى غواربه ، وأرانا آية وعبرة بعد غمّ وكرب ، لنحمد الله ونمجّده ، فادعُ الله واستنصرْه لجنوده وأعوان دينه.

فحمد أبو بكر الله ودعاه ، وقال: ما زالت العرب فيما تحدّث عن بلدانها يقولون: إنّ لقمان حين سُئِل عن الدّهناء: أيحتقرونها أو يَدَعونها؟ نهاهم ، وقال: لا تبلغها الأرْشِيَة ، ولم تقرّ العيون؛ وإنّ شأن هذا الفَيْض من عظيم الآيات ، وما سمعنا به في أمّة قبلها. اللهمّ أخلف محمداً ﷺ فينا.

ثم كتب إليه العلاءُ بهزيمة أهل الخندق وقتْل الحطم، قتله زيد ومعمر: أمَّا بعد: فإنّ الله تبارك اسمه سلَب عدوَّنا عقولهم، وأذهب ريحَهم بشراب أصابوه من النَّهار، فاقتحمنا عليهم خندقَهم، فوجدناهم سُكارى، فقتلناهم إلاّ الشريد، وقد قتل الله الحُطَم.

فكتب إليه أبو بكر: أمَّا بعد، فإنْ بلغك عن بني شيبان بن ثعلبة تمامٌ على ما بلغك، وخاض فيه المُرْجفون؛ فابعث إليهم جنداً فأوطئهم وشَرّد بهم من خلفهم. فلم يجتمعوا؛ ولم يصرْ ذلك من إرجافهم إلى شيء[1]. (٣: ٣٠٤/ ٣٠٥/ ٣٠٦/ ٣٠٧/ ٣٠٨/ ٣٠٩/ ٣١٠/ ٣١١/ ٣١٢/ ٣١٣/ ٣١٤).

ذكر الخبر عن ردَّة أهل عُمان ومَهْرة واليمن

٨٣ ـ قال أبو جعفر: وقد اختُلف في تاريخ حَرْب المسلمين، فقال محمد ابن إسحاق ـ فيما حدثنا ابنُ حميد، عن سلَمة عنه ـ: كان فتحُ اليمامة واليمن والبحرين وبعث الجنود إلى الشَّام في سنة اثنتي عشرة[2]. (٣: ٣١٣).

٨٤ ـ وأمَّا أبو زيد فحدّثني عن أبي الحسن المدائني في خبر ذكره، عن أبي معشر ويزيد بن عياض بن جُعْدُبَة وأبي عبيدة بن محمد بن أبي عُبَيدة وغسَّان بن عبد الحميد وجُوَيْرِية بن أسماء، بإسنادهم عن مشيختهم وغيرهم من عُلماء أهل الشام وأهل العِرَاق: أنّ الفتوح في أهل الرّدّة كُلَّهَا كانت لخالد بن الوليد وغيره في سنة إحدى عشرة، إلاّ أمر ربيعة بن بُجَيْر؛ فإنَّه كان في سنة ثلاث عشرة.

وقصّة ربيعة بن بجير التغلبيّ: أنّ خالد بن الوليد ـ فيما ذكر في خبره هذا الذي ذكرت عنه ـ بالمُصَيَّخ والحَصِيد، قام وهو في جَمْع من المرتدّين فقاتله، وغَنِم وسَبَى، وأصاب ابنةً لربيعة بن بُجَير، فسباها وبعث بالسَّبْي إلى أبي بكر رحمه الله، فصارت ابنة ربيعة إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام[3]. (٣: ٣١٣/ ٣١٤).

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

٨٥ ـ فأمَّا أمْر عُمان فإنَّه كان ـ فيما كتب إليَّ السريّ بن يحيى يخبرني عن شُعيب، عن سَيْف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد والغصن بن القاسم وموسى الجليوسيّ عن ابن مُحَيْريز، قال: نبغ بعمان ذو التَّاج لَقيط بن مالك الأزديّ، وكان يسامي في الجاهليَّة الجُلَنْدَى؛ وادَّعى بمثل ما ادّعى به مَنْ كان نبيّاً، وغلب على عُمَان مرتدّاً، وألجأ جَيْفراً وعبّاداً إلى الأجبال والبحر؛ فبعث جَيْفر إلى أبي بكر يخبره بذلك، ويستجيشه عليه. فبعث أبو بكر الصّدّيق حُذَيفة بن محصن الغَلْفانيّ من حمير، وعَرْفجةَ البارقيّ من الأزد؛ حذيفة إلى عُمَان وعرفجة إلى مَهْرة. وأمرهما إذا اتَّفقا أن يجتمعا على مَن بُعثا إليه، وأن يبتدئا بعُمان، وحُذيفة على عَرْفجة في وجْهِه، وعَرْفَجة على حذيفة في وجهه. فخرجا متساندين، وأمرهما أن يُجدَّا السَّيْرَ حتى يقدَما عُمان؛ فإذا كانا منها قريباً كاتَبا جَيْفَراً وعبّاداً؛ وعملا برأيهما. فمضيا لما أمرا به؛ وقد كان أبو بكر بعث عِكْرمة إلى مُسَيْلمة باليمامة، وأتبعه شُرحبيل بن حَسَنة، وسمَّى لهما اليَمامة؛ وأمرهما بما أمر به حُذيفة وعَرْفجة. فبادر عِكرمة شُرَحْبيل، وطلب حُظْوَةَ الظَّفَرَ، فنكبه مُسَيْلمة؛ فأحجم عن مُسيلمة، وكتب إلى أبي بكر بالخَبر، وأقام شُرَحبيل عليه حيث بلغه الخبَر، وكتب أبو بكر إلى شُرَحْبيل بن حَسَنة؛ أن أقم بأدنى اليَمامة حتى يأتيَك أمري، وتَرَكَ أن يُمْضيَه لوجهه الذي وجَّهه له؛ وكتب إلى عكْرِمة يُعَنِّفه لتسرُّعه، ويقول: لا أرَينّك ولا أسمعنّ بك إلاّ بعد بلاء، والحقْ بعُمَان حتى تقاتل أهلَ عُمان، وتُعين حُذيفة وعَرْفجة، وكلّ واحد منكم على خَيْله، وحذيفة ما دُمتم في عمله على النَّاس، فإذا فرغتم فامضِ إلى مَهْرة، ثم ليكُنْ وجهُك منها إلى اليَمن؛ حتى تُلاقيَ المهاجر بن أبي أمية باليمن وبحضرَموت، وأوطىء مَنْ بين عمان واليمن ممنْ ارتدّ؛ وَلْيَبْلُغني بلاؤك.

فمضى عِكْرمة في أثَرِ عَرْفجة وحُذيفة فيمَن كان معه حتَّى لحق بهما قبل أن ينتهيَا إلى عُمان، وقد عهد إليهم أن ينتهوا إلى رأي عكرمة بعد الفراغ في السَّيْر معه أو المقام بعُمان، فلمَّا تلاحقوا ـ وكانوا قريباً من عُمَان بمكان يُدعى رجَاماً ـ راسلوا جَيْفَراً وعَبَّاداً وبلغ لَقيطاً مجيء الجيش، فجمع جموعه وعسكر بدَبَا، وخرج جَيْفر وعبَّاد من موضعهما الَّذي كانا فيه، فعسكرا بصُحَار، وبعثا إلى حُذَيفة وعَرْفجة وعِكْرمة في القدوم عليهما، فقدموا عليهما بصُحَار، فاستبرؤوا

ما يليهم حتى رضُوا ممّن يليهم؛ وكاتبوا رؤساءَ مع لقيط وبدؤوا بسيد بني جُدَيْد ، فكاتبهم وكاتبوه حتى ارفضُّوا عنه؛ ونهَدوا إلى لَقيط ، فالتقوْا على دَبَا ، وقد جمع لقيط العِيَالات ، فجعلهم وراء صفوفهم ليُجَرّبهم؛ وليحافظوا على حُرَمِهم ـ ودَبَا هي المِصْر والسوق العظمى ـ فاقتتلوا بِدَبَا قتالاً شديداً؛ وكاد لَقيط يستعلي النَّاس؛ فبينا هم كذلك ، وقد رأى المسلمون الخَلَل ورأى المشركون الظَّفَر ، جاءت المسلمين موادُّهم العُظْمى من بني ناجية؛ وعليهم الخِرّيتُ بن راشد ، ومن عبد القيس وعليهم سَيْحان بن صُوحان ، وشواذب عُمان من بني ناجية وعبد القيس ، فقوَّى الله بهم أهلَ الإسلام ، ووهَّن الله بهم أهل الشِّرْك؛ فولَّى المشركون الأدبار ، فقتلوا منهم في المعركة عشرة آلاف ، وركبوهم حتى أثخنوا فيهم ، وسَبَوُا الذّراريّ ، وقسموا الأموال على المسلمين ، وبعثوا بالخمس إلى أبي بكر مع عَرْفجة ، ورأى عِكْرمة وحذيفة أن يقيم حُذَيفة بعُمان حتى يوطّىء الأمور ، ويُسكِّن الناس؛ وكان الخمس ثمانمئة رأس ، وغنموا السوق بحذافيرها. فسار عرفجة إلى أبي بكر بخُمس السَّبْي والمغانم ، وأقام حُذَيفة لتسكين النَّاس ، ودعا القبائل حَوْلَ عُمان إلى سكون ما أفاء الله على المسلمين ، وشواذب عُمان ، ومضى عِكْرمة في الناس ، وبدأ بمهْرة ، وقال في ذلك عَبَّاد الناجيّ :

لَعَمْري لقد لاقَى لَقِيطَ بنَ مالكٍ ... من الشَّرِّ ما أَخزى وجوهَ الثّعالِب

وبادَى أبا بكرٍ ومن هَلَّ فارْتَمى ... خليجَانِ مِنْ تَيّارِهِ المُتَراكِبِ

ولم تَنْهَهُ الأولى ولم يُنْكأ العِدا ... فألوَتْ عليه خَيْلُه بالجَنائبِ[1]

(٣ : ٣١٤/ ٣١٥/ ٣١٦).

ذكر خبر مَهْرَة بالنّجد

٨٦ ـ ولمَّا فَرغ عِكْرِمة وعَرْفجة وحُذَيفة من رِدّة عُمان ، خرج عِكْرمة في جنده نحو مَهْرة ، واستنصر من حول عُمان وأهل عُمان ، وسار حتى يأتي مَهْرة ، ومعه ممَّن استنصره من ناجية والأَزْد وعبد القيس وراسب وسَعْد من بني تميم بشرٌ؛

---

(١) إسناده ضعيف.

حتى اقتحم على مَهْرة بلادَها ، فوافق بها جمعَيْن من مَهْرة : أمَّا أحدُهما فبمكان من أرض مَهْرة يقال له : جَيْرُوت ، وقد امتلأ ذلك الحَيّز إلى نَضَدُون ـ قاعَيْن من قيعان مَهْرة ـ عليهم شخريت ، رجل من بني شخراة ؛ وأمَّا الآخر فبالنَّجد ؛ وقد انقادت مَهْرة جميعاً لصاحب هذا الجمْع ؛ عليهم المُصَبَّح ؛ أحد بني مُحَارب والنَّاس كلُّهم معه ؛ إلاّ ما كان من شخريت ، فكانا مختلفين ؛ كلّ واحد من الرئيسين يدعو الآخر إلى نفسه ، وكلُّ واحد من الجُنْدَيْن يشتهي أن يكون الفُلْج لرئيسهم ؛ وكان ذلك ممَّا أعان الله به المسلمين وقوَّاهم على عدوّهم ؛ ووهّنهم .

ولما رأى عِكْرِمة قلةَ مَنْ مع شخريت دعاه إلى الرجوع إلى الإسلام ؛ فكان لأوّل الدعاء ، فأجابه ووهَّن الله بذلك المصبَّح . ثم أرسل إلى المصبَّح يدعوه إلى الإسلام والرجوع عن الكفر ؛ فاغترَّ بكثرة مَن معه ، وازداد مباعدةً لمكان شخريت ، فسار إليه عكْرِمة ، وسار معه شخريت ، فالتقوْا هم والمصبّح بالنَّجد ؛ فاقتتلوا أشدّ من قتال دَبَا .

ثمَّ إنّ الله كشفَ جنودَ المرتدّين ، وقتل رئيسَهم ، وركبهم المسلمون فقتلوا منهم ما شاؤوا ، وأصابوا ما شاؤوا ، وأصابوا فيما أصابوا أَلْفَي نَجِيبة ، فخمَّس عِكْرمة الفيء ، فبعثَ بالأخماس مع شخريت إلى أبي بكر ، وقسّم الأربعة الأخماس على المسلمين ، وازداد عِكْرِمة وجنده قوّةً بالظَّهر والمَتَاع والأداة ، وأقام عِكْرِمة حتَّى جمعهم على الذي يحبّ ، وجمع أهلَ النَّجد ؛ أهل رياض الروضة ، وأهل الساحل ؛ وأهل الجزائر ؛ وأهل المُرّ واللّبان وأهل جيْروت ، وظهور الشحْر والصَّبَرات ، وينعب ، وذات الخيم ؛ فبايعوا على الإسلام ، فكتب بذلك مع البشير ـ وهو السائب أحد بني عابد من مخزوم ـ فقدم على أبي بكر بالفَتْح ، وقدم شخريت بعده بالأخماس ، وقال في ذلك عُلْجُوم المحاربيّ :

جـزى الله شخـريتـاً وأفنـاءَ هَيْشَـمٍ وفِـرْضِـمَ إذْ سـارت إلينـا الحـلائـبُ

جـزَاء مُسِـيء لَـمْ يُـرَاقِـب لـذِمَّـة ولـم يَـرْجُهـا فيمـا يُـرَجّـى الأقـاربُ

أعِكْـرِمَ لـولا جَمْـع قـومـي وفِعلُهـم لضاقَتْ عليك بالفَضَاء المذاهب

وكنّـا كمـن اقتـاد كفّـاً بـأختهـا وحلّتْ علينا في الدُّهور النوائبُ[١]

(٣: ٣١٦/٣١٧/٣١٨).

ذكر خبر المرتدّين باليمن

٨٧ ـ قال أبو جعفر: كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب، عن سيف، عن طلحة، عن عكرمة وسهل، عن القاسم بن محمّد، قال: توفِّيَ رسولُ الله ﷺ وعلى مكَّة وأرضها عَتَّاب بن أسيد والطَّاهر بن أبي هالة؛ عتَّاب على بني كنانة، والطَّاهر على عكّ؛ وذلك أنّ النبيّ ﷺ قال: اجعلوا عمالة عكّ في بني أبيها مَعَدّ بن عدنان، وعلى الطَّائف وأرضها عُثمان بن أبي العاص ومالك بن عوف النّصريّ؛ عثمان على أهل المدَر ومالك على أهل الوَبر أعجازِ هوازن، وعلى نجران وأرضها عَمْرو بن حزم وأبو سفيان بن حَرْب؛ عمرو بن حزم على الصّلاة وأبو سفيان بن حرب على الصَّدقَات، وعلى ما بين رمَع وزَبيد إلى حدّ نَجْران خالد بن سعيد بن العاص، وعلى هَمْدان كلّها عامر بن شَهْر، وعلى صنعاء فيروز الدَّيلميّ يسانده داذوَيْه وقيس بن المكْشُوح، وعلى الجند يعلَى بن أميَّة، وعلى مأرب أبو موسى الأشعريّ، وعلى الأشعريين مع عكّ الطَّاهر بن أبي هالة، ومُعاذ بن جبل يعلّم القوم، يتنقّل في عَمَل كلّ عامل، فنزا بهم الأسْود في حياة النبيّ ﷺ، فحارَبَه النبيّ عليه السَّلام بالرُّسل والكتب حتى قتله الله، وعاد أمر النبيّ عليه السلام كما كان قبل وفاة النبيّ عليه السّلام بليلة؛ إلاّ أنّ مجيئهم لم يحرّك النَّاس، والنَّاس مستعدّون له.

فلمّا بلغهم موتُ النبيّ ﷺ انتقضت اليمن والبلدان؛ وقد كانت تذبذبَتْ خيولُ العَنْسيّ ـ فيما بين نَجْران إلى صَنْعَاء في عرض ذلك البحر ـ لا تأوي إلى أحد، ولا يأوي إليها أحدٌ؛ فعمرو بن معد يكرب بحيال فَرْوة بن مُسَيك، ومعاوية بن أنس في فَالَّة العَنْسيّ يتردّد؛ ولم يرجع من عمال النبيّ ﷺ بعد وفاة النبيّ ﷺ إلاّ عمرو بن حَزْم وخالد بن سعيد، ولجأ سائر العمَّال إلى المسلمين؛ واعترض عمرو بن معد يكرب خالدَ بن سعيد، فسلَبه الصَّمصامة. ورجعت الرُّسل مع مَن رجع بالخبر، فرجع جرير بن عبد الله، والأقرع بن عبد الله، وَوَبر بن يُحَنَّس،

(١) إسناده ضعيف.

فحارب أبو بكر المرتدّة جميعاً بالرسل والكتب ، كما كان رسولُ الله ﷺ حاربهم؛ إلى أن رجع أسامة بن زيد من الشَّأم ، وحزْر ذلك ثلاثة أشهر ، إلاّ ما كان من أهل ذي حُمىً وذي القَصّة. ثم كان أوّل مصادم عند رجوع أسامة هم. فخرَج إلى الأبرَق فلم يصمُد لقوم فيفلّهم إلا استنفر مَنْ لم يرتدّ منهم إلى آخرين ، فيفلّ بطائفة من المهاجرين والأنصار والمستنفرة ممن لم يرتدّ إلى الّتي تليهم؛ حتى فَرَغ من آخر أمور النّاس ، ولا يستعين بالمرتدّين.

فكان أوّل مَنْ كتب إليه عتَّاب بن أسِيد ، كتب إليه بركوب من ارتدّ من أهلِ عمله بمَن ثبت على الإسلام ، وعثمان بن أبي العاص بركوب من ارتدّ من أهل عَمَلِه بمن ثبتَ على الإسلام ، فأما عتَّاب فإنّه بعث خالد بن أسيد إلى أهل تهامة ، وقد تجمَّعت بها جُمَّاعٌ من مُدْلج ، وتأشَّب إليهم شُذّاذٌ من خُزَاعة وأفْناء كنانة ، عليهم جُندَب بن سُلْمَى ، أحد بني شَنوق ، من بني مُدْلج ، ولم يكن في عملِ عتَّاب جمعٌ غيره ، فالتقوا بالأبارق ، ففرّقهم وقَتلهم ، واستحرَّ القتل في بني شَنُوق ، فما زالوا أذلاّء قليلاً ، وبرئت عمالة عتّاب ، وأفلت جندب ، فقال جندب في ذلك:

نــدمــتُ وأيقنــت الغَــدَاة بــأنّنِــي ... أَتيْتُ الّتي يَبْقى على المَرْءِ عارُها
شهــدتُ بــأنَّ اللهَ لا شــيءَ غيــرُه ... بنــي مُــدْلــج فــاللهُ رَبِّــي وجــارُهــا

وبعث عثمان بن أبي العاص بعثاً إلى شَنوءة ، وقد تجمَّعت بها جُمَّاع من الأزْد ، وبَجيلة ، وخَثْعَم؛ عليهم حُمَيْضة بن النُّعمان ، وعلى أهل الطّائف عثمان بن ربيعة ، فالتقوْا بشنوءة ، فهزموا تلك الجُمَّاعَ ، وتفرّقوا عن حُمَيضة وهرب حُمَيضة في البلاد ، فقال في ذلك عثمان بن ربيعة:

فضضنــا جَمْعهــم والنَّقْــعُ كــابِ ... وقــد تُعْدِي علــى الغَــدْرِ الفُتُــوقُ
فعــادت خُلَّبــاً تلــك البــروقُ ... وَأَبْــرَقَ بــارقٌ لمَّــا التقينــا[1]

(٣: ٣١٨/ ٣١٩/ ٣٢٠).

خبر الأخابث من عكّ

٨٨ ـ قال أبو جعفر: وكان أول منتقض بعد النبيّ ﷺ بتهامة عكّ

(١) إسناده ضعيف.

والأشْعرون ، وذلك أنَّهم حين بلَغهم موتُ النبيّ ﷺ تجمّع منهم طَخارير ، فأقبل إليهم طَخاريرُ من الأشعرين وخَضَّم فانضمُّوا إليهم ، فأقاموا على الأعلاب طريق الساحل ، وتأشَّب إليهم أوزاعٌ على غير رئيس؛ فكتب بذلك الطاهر بن أبي هالة إلى أبي بكر؛ وسار إليهم ، وكتب أيضاً بمسيره إليهم ، ومعه مَسْرُوق العكّيّ حتى انتهى إلى تلك الأوزاع ، على الأعلاب ، فالتقوْا فاقتتلوا ، فهزمهم الله ، وقتلوهم كلّ قِتْلةٍ؛ وأنْتَنَتِ السُّبل لقتلهم؛ وكان مقتلُهم فتحاً عظيماً. وأجاب أبو بكر الطَّاهر قبل أن يأتيَه كتابه بالفتح:

بلغني كتابك تخبرني فيه مسيرَك واستنفارَك مسروقاً وقومَه إلى الأخابث بالأعلاب ، فقد أصَبْتَ ، فعاجِلوا هذا الضَّرب ولا تُرَفِّهوا عنْهم ، وأقيموا بالأعلاب حتى يأمَن طريق الأخابث ، ويأتيَكم أمرِي. فسمِّيَتْ تلك الجموع من عكّ ومَنْ تأشَّب إليهم إلى اليوم الأخابث ، وسُمِّي ذلك الطريق طريقَ الأخابِث؛ وقال في ذلك الطاهر بن أبي هالة:

ووالله لـــوْلا اللهُ لا شـــيء غيْـــرُه	لمَا فُضَّ بالأجراع جَمْعُ العثاعِث
فلــم تَــرَ عينــي مِثْــلَ يــومٍ رأيتُــه	بجَنْب صُحَارٍ في جموع الأخابِث
قَتَلْنَــاهُــمُ مــا بيــن قُنَّــةِ خَــامِــرٍ	إلـى القِيعَـة الحمـراء ذات النبـائِـثِ
وفِئنَــا بــأمــوالِ الأخــابــث عَنْــوَةً	جِهاراً ولـم نَحْفِـلْ بتلـك الهثاهِـث

وعسكر طاهر على طريق الأخابث ، ومعه مسروق في عكّ ينتظر أمرَ أبي بكر رحمه الله[1]. (٣: ٣٢٠/ ٣٢١).

٨٩ - قال أبو جعفر: ولما بلغ أهلَ نَجْران وفاةُ رسولِ الله ﷺ وهم يومئذ أربعون ألف مقاتل ، من بني الأفعى؛ الأمَّةِ الَّتي كانوا بها قبل بني الحارث؛ بعثوا وفداً ليجدّدوا عهداً ، فقدموا إليه فكتب لهم كتاباً:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتابٌ من عبد الله أبي بكر خليفةِ رسولِ الله ﷺ لأهل نَجْران ، أجارهم من جُنْده ونفسه ، وأجاز لهم ذمَّة محمَّد ﷺ إلاّ ما رجع عنه محمد رسول الله ﷺ بأمر الله عزّ وجلّ في أرضهم وأرض العرب؛ ألاّ يسكن بها دينان؛ أجارهم على أنفسهم بعد ذلك وملتهم وسائر أموالهم وحاشيتهم

---

(١) إسناده ضعيف.

وعاديتهم ، وغائبهم وشاهدهم ، وأسقُفهم ورهبانهم وبيعهم حيثما وقعت؛ وعلى ما ملكَت أيديهم من قليل أو كثير؛ عليهم ما عليهم ، فإذا أدَّوْه فلا يُحْشرون ولا يُعَشَّرُون. ولا يغيَّر أسقفٌ من أسقفيّتِه ، ولا راهبٌ من رَهْبانيَّته؛ ووفّى لهم بكلّ ما كتَب لهم رسولُ الله ﷺ وعلى ما في هذا الكتاب من ذمَّة محمد رسول الله ﷺ وجوار المسلمين. وعليهم النُّصْح والإصلاح فيما عليهم من الحقّ. شهد المِسْور بن عمرو ، وعمرو مولى أبي بكر.

وردّ أبو بكر جريرَ بن عبد الله ، وأمَرَه أن يدعوَ من قومه مَن ثبت على أمر الله ، ثم يستنفر مُقويَهم ، فيقاتل بهم مَن ولَّى عن أمر الله ، وأمره أن يأتي خَثْعَم؛ فيقاتلَ مَن خرج غَضَباً لذي الخَلَصة؛ ومَن أراد إعادته حتى يقتلَهم الله ، ويقتلَ من شاركهم فيه؛ ثم يكون وجهه إلى نجْران ، فيقيم بها حتى يأتيَه أمرُه.

فخرج جريرٌ فنفذ لما أمره به أبو بكر ، فلم يقرّ له أحدٌ إلا رجالٌ في عدّةٍ قليلة ، فقتلهم وتتبَّعهم؛ ثمَّ كان وجهه إلى نَجْران ، فأقام بها انتظاراً أمرَ أبي بكر رحمه الله.

وكتب إلى عثمان بن أبي العاص أن يضرب بعثاً على أهل الطَّائف على كلّ مخْلاف بقدْره ، ويولِّيَ عليهم رجلاً يأمنه ويثق بناحيته؛ فضرب على كلّ مخلاف عشرين رجلاً ، وأمّر عليهم أخاه.

وكتب إلى عتَّاب بن أسيد؛ أن اضرب على أهلِ مكَّة وعملها خمسمئة مُقْوٍ؛ وابعث عليهم رَجُلاً تأمَنُه ، فسمَّى مَن يبعث ، وأمّر عليهم خالد بن أسيد؛ وأقام أمير كلّ قوم ، وقاموا على رِجْلٍ ليأتيَهم أمر أبي بكر ، وليمرّ عليهم المهاجر[1]. (٣: ٣٢١/ ٣٢٢).

رِدّة أهل اليمن ثانية

٩٠ ـ قال أبو جعفر: فممّن ارتدّ ثانية منهم ، قيس بن عبد يغوث المكْشوح. كتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سيف ، قال: كان من حديث قيس في ردّته الثانية: أنه حين وقع إليهم الخبر بموت رسولِ الله ﷺ انتكث ، وعمل في قتل

(١) إسناده ضعيف.

فيروز ، وداذويه ، وجُشَيْش ، وكتبَ أبو بكر إلى عُمير ذي مُرّان ، وإلى سعيد ذي زود ، وإلى سَميْفَع ذي الكَلاع ، وإلى حَوْشب ذي ظُلَيْم ، وإلى شَهْر ذي يناف يأمرهم بالتمسك بالذي هم عليه ، والقيام بأمرِ الله والنّاس ، ويعدهم الجنود:

من أبي بكر خليفة رسولِ الله ﷺ إلى عُمَير بن أفْلَح ذي مُرّان ، وسعيد بن العاقب ذي زُود؛ وسَميفَع بن ناكُور ذي الكَلاع ، وحَوْشب ذي ظُلَيم ، وشهر ذي يناف. أمَّا بعد ، فأعينوا الأبناء على مَنْ ناوَأهم ، وحُوطوهم ، واسمعوا مِنْ فيروز ، وجِدُّوا معه ، فإني قد ولّيْته. (٣: ٣٢٣).

٩١ ـ كتب إليّ السري عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد ، عن عُروة بن غزيّة الدَّثينيّ ، قال: لمَّا ولي أبُو بكرٍ أمّر فيْروز؛ وهم قبل ذلك متساندون؛ هو وداذويه وجُشَيش وقيس؛ وكتب إلى وجوه من وجوه أهل اليمن؛ ولما سمع بذلك قيس أرسل إلى ذي الكَلاع وأصحابه: إنّ الأبناء نُزّاع في بلادكم ، ونُقَلاء فيكم؛ وإن تتركوهم لن يزالوا عليكم؛ وقد أرَى من الرأي أن أقتُل رؤوسهم ، وأخرجهم من بلادنا. فتبرّؤوا ، فلم يمالئوه ، ولم ينصروا الأبناء ، واعتزلوا وقالوا: لسنا ممَّا ها هنا في شيء ، أنت صاحبُهم ، وهم أصحابك.

فتربَّص لهم قيس ، واستعدّ لقتل رؤسائهم وتسيير عامَّتهم؛ فكاتب قيس تلك الفالَّة السيَّارة اللَّحْجيّة؛ وهم يصعّدون في البلاد ويصوّبون ، محاربين لجميع مَن خالفهم ، فكاتبهم قيس في السرّ ، وأمرهم أن يتعجَّلوا إليه ، وليكون أمره وأمرهم واحداً؛ وليتجمعوا على نفي الأبناء من بلاد اليمن. فكتبوا إليه بالاستجابة له ، وأخبروه أنهم إليه سِراعٌ ، فلم يَفجأ أهلَ صنعاء إلا الخبر بدنوّهم منها ، فأتى قيس فيروزَ في ذلك كالفرِق من هذا الخبر وأتى داذويه ، فاستشارهما ليَلْبِس عليهما ، ولئلاّ يتّهماه ، فنظروا في ذلك واطمأنُّوا إليه.

ثم إن قيساً دعاهم من الغد إلى طَعام ، فبدأ بداذويه ، وثنَّى بفيروز ، وثلّث بجشيش ، فخرج داذويه حتى دخلَ عليه ، فلمَّا دخل عليه عاجله فقتله ، وخرج فيروز يسير حتى إذا دَنا سمع امرأتيْن على سطحين تتحدّثان ، فقالت إحداهما: هذا مقتول كما قُتِل داذويه؛ فلقيهما ، فعاج حتى يرى أويَّ القوم الذي أرْبَؤوا ، فأخبر برجوع فيروز؛ فخرجوا يركُضون ، وركض فيروز ، وتلقَّاه جُشَيش ،

فخرج معه متوجِّهاً نحو جبل خَوْلان ـ وهم أخوال فيروز ـ فسبقا الخيول إلى الجبل ، ثم نزلا ، فتوقَّلا وعليهما خِفافٌ ساذجة ، فما وصَلا حتى تقطَّعت أقدامهما ، فانتهيا إلى خُوْلان وامتنع فيروز بأخواله ، وآلى ألاّ ينتعل ساذجاً ، ورجعتْ الخيول إلى قيس؛ فثار بصنعاء فأخذها ، وجَبَى ما حولها ، مقدّماً رِجلاً ومؤخِّراً أخرى ، وأتته خيول الأسود. ولمَّا أوى فيروز إلى أخواله خَوْلان فمنعوه وتأشَّب إليه الناس ، كتب إلى أبي بكر بالخَبَر. فقال قيس: وما خولان! وما فيروز! وما قَرَار أوَوْا إليه! وطابق على قيس عوامٌ قبائل مَن كتب أبو بكر إلى رؤسائهم ، وبقي الرؤساء معتزلين ، وعمَد قيسٌ إلى الأبناء ففرّقهم ثلاث فرق: أقرّ مَنْ أقام وأقرّ عياله ، وفرّق عيال الذين هربوا إلى فيروز فرقَتَيْن؛ فوجَّه إحدَاهما إلى عَدَن؛ ليُحمَلوا في البحر ، وحمل الأخرى في البرّ ، وقال لهم جميعاً: الحقوا بأرضكم؛ وبعث معهم مَنْ يسيِّرهم؛ فكان عيال الديلميّ ممّن سُيِّر في البَرّ وعيال داذويه ممن سُيّرَ في البحر؛ فلمَّا رأى فيروز أن قد اجتمع عوامّ أهلِ اليمن على قيس؛ وأنَّ العيال قد سيِّروا وعرَّضهم للنّهب ، ولم يجد إلى فراق عسكره في تنقّذِهم سبيلاً؛ وبلغه ما قال قيس في استصغاره الأخوال والأبناء ، فقال فيروز منتمياً ومفاخراً وذكر الظُّعْن:

ألا ناديا ظُعْناً إلى الرَّمْل ذي النَّخْلِ ... وقـولا لهـا ألاَّ يُقـالَ ولا عُـذْلِـي

ومـا ضَـرَّهـم قـولُ العُـدَاةِ لـو أنّـه ... أتى قَوْمه عن غير فحش ولا بَخْلِ

فَدَعْ عنك ظُعناً بالطريق التي هَوَتْ ... لطيّتهـا صَمْـدَ الـرِّمَـالِ إلـى الـرَّمْـلِ

وإنّـا وإن كـانـت بصَنْعَـاءَ دارُنـا ... لنا نَسْـلُ قـوم مِـنْ عَـرانينهـم نَسْلي

وللـدَّيْلَـمُ الـرّزَّامُ مـن بعـد بـاسِـلٍ ... أبى الخفضَ واخْتَارَ الحَرور على الظِّلّ

وكـانـت مَنَـابِـتُ العراق جسَـامُهـا ... لـرَهْطي إذا كسرى مَـرَاجِلُـهُ تغْلِـي

وبـاسِـلُ أَصْلِـي إن نَمَيْـتُ ومَنْصبي ... كمـا كـلُّ عـود مُنْتهـاه إلـى الأصـل

هُـمُ تَـرَكُـوا مَجْـرايَ سَهْـلاً وحَصّنـوا ... فجاجي بحسن القَوْلِ والحَسَبِ الجزْلِ

فما عزّنا في الجَهْل من ذي عَدَاوة ... أبـى الله إلا أَنْ يعـزّ علـى الجَهْـلِ

ولا عاقبا في السَّلْم عن آل أَحْمَد ... ولا خسَّ في الإسلام إذ أَسْلَمُوا قَبْلي

وإنْ كـان سَجْـلٌ مـن قَبيلـي أَرَشّني ... فـإنـي لَـرَاجٍ أن يُغَـرِّقَهـمْ سَجْلِـي

وقام فيروز في حربه ، وتجرّد لها ، وأرسل إلى بني عُقَيْلِ بن ربيعة بن

عامر بن صعصعة رسولاً بأنه متخفّر بهم ، يستمدّهم ويستنصرهم في ثَقَله على الَّذين يزعجون أثقال الأبناء ، وأرسل إلى عكّ رسولاً يستمدّهم ويستنصرهم على الَّذين يزعجون أثقال الأبناء. فركبت عُقَيل وعليهم رجل من الحُلفاء يقال له: معاوية ، فاعترضوا خيل قَيْس فتنقّذوا أولئكَ العِيال ، وقتلوا الذين سيَّروهم ، وقصروا عليهم القرى؛ إلى أن رجع فيروز إلى صَنْعاء ، وثبت عكّ؛ وعليهم مسروق ، فساروا حتى تنقَّذوا عيالات الأبناء ، وقصروا عليهم القرى ، إلى أن رجع فيروز إلى صنعاء ، وأمدّت عُقَيل وعكّ فيروز بالرّجال ، فلمَّا أتته أمدادُهم - فيمن كان اجتمع إليه - خرج فيمن كان تأشَّب إليه ومن أمَدّه من عكّ وعُقيل ، فناهد قيساً فالتقوْا دون صَنْعاء ، فاقتتلوا فهزَم الله قيساً في قومه ومَن أنهضوا ، فخرج هارباً في جنده حتى عاد معهم ، وعادوا إلى المكان الذي كانوا به مبادرين حين هربوا بعد مقتل العنسيّ ، وعليهم قيس ، وتَذَبْذَبَتْ رافضة العنسيّ وقيس معهم فيما بين صنعاء ونَجْران ، وكان عمرو بن معد يكرب بإزاء فَرْوة بن مُسَيْك في طاعة العَنْسيّ[١] . (٣: ٣٢٣/ ٣٢٤/ ٣٢٥/ ٣٢٦) .

٩٢ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سَيْف ، عن عطيَّة ، عن عمرو بن سلَمة ، قال: وكان من أمر فَرْوة بن مُسَيك: أنه كان قَدِم على رسول الله ﷺ مُسْلِماً ، وقال في ذلك:

لمّـا رأيتُ ملـوك حِمْيَـر أعـرَضَـتْ   كالرِّجْلِ خان الرِّجْلَ عِرْقُ نَسائها
يمّمــتُ راحلتــي أمــام محمّــدٍ   أرْجُـو فـواضلَهـا وحُسْـنَ ثَنَـائهـا

وقال له رسول الله ﷺ فيما قال له: «هل ساءَك ما لقيَ قومُك يوم الرَّزْم يا فروة ! أو سَرّك؟». قال: ومن يُصَبْ في قومه بمثل الذي أصبْتُ به في قومي يوم الرّزْم إلا ساءه ذلك.

وكان يوم الرّزْم بينهم وبين هَمْدان على يغوث وثَنٌ ، كان يكون في هؤلاء مرّة وفي هؤلاء مرّة ، فأرادت مراد أن تغلبهم عليه في مرّتهم ، فقتلتهم هَمْدان ، ورئيسهم الأجدع أبو مسروق؛ فقال رسول الله ﷺ : أما إن ذلك لم يزدهم في الإسلام إلا خيراً؛ فقال: قد سرّني إذ كان ذلك ، فاستعمله رسولُ الله ﷺ على

---

(١) إسناده ضعيف.

صدقات مُراد ومَن نازلهم أو نزل دارهم. وكان عمرو بن معد يكرب قد فارق قَومه سعد العشيرة في بني زُبيد وأخلافها، وانحاز إليهم، وأسلم معهم؛ فكان فيهم، فلمَّا ارتدّ العنسيّ واتَّبعه عوامّ مذحج، اعتزل فَرْوة فيمَن أقام معه على الإسلام، وارتدّ عمرو فيمن ارتدّ، فخلّفه العنسيّ، فجعله بإزاء فَرْوة، فكان بحياله، ويمتنع كلٌّ واحد منهما لمكان صاحبه من البَرَاح، فكانا يتهاديان الشعر، فقال عمرو يذكر إمارة فَرْوةَ ويعيبها:

وَجَدْنَا مُلك فَرْوَة شَرّ مُلْكٍ حمَاراً سافَ مَنْخِرُهُ بقَذْرِ
وكنتَ إذا رأيتَ أبا عُمَيْر ترى الحُولاء من خُبْثٍ وَغَدْرِ

فأجابه فَرْوة:

أتاني عن أبي ثَوْر كلامٌ وقِدْماً كان في الأبغال يَجْرِي
وكان اللهُ يُبْغِضُهُ قديماً عَلَى ما كان من خُبْثٍ وَغَدْرِ

فبينا هم كذلك قدم عكرمة أبْيَن[1]. (٣: ٣٢٦/ ٣٢٧).

٩٣ - وكتب إليّ السري عن شعيب، عن سيف، عن سهل، عن القاسم وموسى بن الغصن، عن ابن مُحَيْريز، قال: فخرَج عكرمة من مَهْرة سائراً نحو اليمن حتى وَرَد أبْيَن، ومعه بشَرٌ كثير من مَهْرة، وسعد بن زيد، والأزد، وناجية، وعبد القيس، وحُذْبان من بني مالك بن كنانة، وعمرو بن جندب من العَنْبَر، فجمع النَّخَع بعد من أصاب من مدبِّريهم فقال لهم: كيف كنتم في هذا الأمر؟ فقالوا له: كنَّا في الجاهليّة أهل دينٍ، لا نَتعاطَى ما تتعاطَى العرب بعضها من بعض، فكيف بنا إذا صرنا إلى دينٍ عرفنا فضلَه، ودخلَنا حبُّه! فسأل عنهم فإذا الأمر كما قالوا، ثبت عوامّهم وهربَ مَن كان فارق من خاصّتهم، واستبرأ النَّخَع وحِمْيَر، وأقام لاجتماعهم، وأرَزَ قيس بن عبد يغوث لهبوط عِكْرمة إلى اليمن إلى عمرو بن معد يكرب، فلَمَّا ضامَّه وقع بينهما تَنَازُعٌ، فتعايرَا، فقال عمرو بن معد يكرب يُعَيّر قيساً غَدْرَه بالأبناء وقتْله داذويه، ويذكر فراره من فيروز:

غَدرتَ ولم تُحْسِنْ وَفَاءً ولم يكُنْ لِيَحْتمل الأسبابَ إلاّ المعوَّدُ

---

(١) إسناده ضعيف.

وكيـف لقيْـسٍ أن يُنَـوِّط نفسَـه إذا ما جرى والمَضْرِحيُّ المسوّدُ!

وقال قيس:

وفَيْـتُ لقومِـي وَاحْتشـدتُ لمَعْشَـرٍ أصابوا على الأحياء عَمْراً ومَرْثَدا
وكنـتُ لـدَى الأبنـاء لمّـا لقيتُهـم كـأصيَـدَ يسمـو بـالعَـزازة أصْيـدَا

وقال عمرو بن معد يكرب:

فمـا إنْ داذَوَيْ لكُـمُ بفَخْـرٍ ولكـن داذَوَيْ فضَـحَ الـذّمَـارَا
وفيـروزٌ غَـدَاةَ أصـاب فيكـمْ وأَضْرَبَ في جموعكمُ اسْتَجَارا[1]

(٣: ٣٢٧/ ٣٢٨).

ذكر خبر طاهر حين شخص مَدَداً لفيروز

٩٤ - قال أبو جعفر الطبري: قد كان أبو بكر رحمه الله كتبَ إلى طاهر بن أبي هَالَة بالنّزول إلى صنعاء وإعانة الأبناء؛ وإلى مسروق، فخرجا حتى أتَيَا صنْعاء، وكتب إلى عبد الله بن ثَوْر بن أصغر، بأن يجمع إليه العَرب ومن استجاب له من أهل تِهامة، ثم يقيم بمكانه حتى يأتيَه أمرُه.

وكان أوّلَ رِدّة عمرو بن معد يكرب: أنَّه كان مع خالد بن سعيد فخالفه، واستجاب للأسود، فسار إليه خالد بن سعيد حتى لقيَه؛ فاختلفا ضربتين، فضربه خالد على عاتقه فقطع حمالة سيفه فوقع، ووصلت الضربة إلى عاتقه، وضربه عمرو فلم يصنع شيئاً، فلمَّا أراد خالد أن يُثنِّيَ عليه نزل فتوقَّل في الجبل، وسَلَبَه فرسه وسيفه الصَّمْصامة، ولحّج عمرو فيمن لحج. وصارت إلى سعيد بن العاص الأصغر مواريثُ آل سعيد بن العاص الأكْبر. فلمَّا وليَ الكوفَة عرض عليه عمرو ابنتَه، فلم يقبلْها، وأتاه في داره بعدّة سيوف كان خالد أصابها باليمن، فقال: أيّها الصَّمصامة؟ قال: هذا، قال: خذه فهو لك، فأخذه، ثم آكف بغلاً له، فضرب الإكاف فقطعه والبرذعة؛ وأسرع في البغل، ثم ردّه على سعيد، وقال: لو زرتني في بيتي وهو لي لوهبتُه لك، فما كنت لأقبلَه إذ وقع[2].

(٣: ٣٢٨/ ٣٢٩).

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

٩٥ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن المُسْتَنير بن يزيد عن عُرْوة بن غَزِيّة وموسى ، عن أبي زُرْعة السّيبانيّ ، قال: ولما فَصَل المهاجر بن أبي أمَيّة من عند أبي بكر ـ وكان في آخر مَنْ فَصَل ـ اتَّخذ مكة طريقاً ، فمرّ بها فاتَّبعه خالد بن أسيد ، ومرّ بالطائف فاتَّبعه عبد الرحمن بن أبي العاص ، ثم مضى حتى إذا حاذَى جرير بن عبد الله ضمَّه إليه ، وانضمّ إليه عبد الله بن ثَوْر حين حازَاه ، ثم قدم على أهل نَجْران؛ فانضمّ إليه فَرْوة بن مُسَيك ، وفارق عمرو بن معد يكرب قيساً ، وأقبل مستجيباً؛ حتى دخل على المهاجر على غير أمان؛ فأوثقه المهاجر؛ وأوثق قَيْساً ، وكتب بحالهما إلى أبي بكر رحمه الله ، وبعث بهما إليه. فلمَّا سار المهاجر من نَجْران إلى اللحجيّة ، والتفَّت الخيول على تلك الفالّة استأمنوا ، فأبى أن يؤمّنَهم ، فافترقوا فرقتين؛ فلقي المهاجر إحداهما بعجيب ، فأتى عليهم ، ولقَيْت خيولُه الأخرى بطريق الأخابث ، فأتوْا عليهم ـ وعلى الخيول عبدُ الله ـ وقتل الشُّرَداء بكلّ سبيل ، فقُدِم بقيس ، وعمرو على أبي بكر ، فقال: يا قيس ! أعَدوْتَ على عباد الله تقتلهم ، وتتّخذ المرتدّين ، والمشركين وليجَةً من دون المؤمنين! وهمّ بقتله لو وجد أمراً جليّاً. وانتفى قيس من أن يكون قارف من أمر داذويه شيئاً ، وكان ذلك عملاً عُمِل في سِرّ لم يكن به بيّنَةٌ ، فتجافَى له عن دمه ، وقال لعمرو بن معد يكرب: أما تخزَى أنّك كلّ يوم مهزوم أو مأسور! لو نصرت هذا الدين لرفعك الله. ثم خلَّى سبيله ، وردَّهما إلى عشائرهما ، وقال عمرو: لا جَرَمَ! لأقبلنّ ولا أعود [١]. (٣: ٣٢٩/ ٣٣٠).

٩٦ ـ كتب إلي السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير وموسى قالا: سار المهاجر من عجيب ، حتى ينزل صَنْعاء ، وأمر أن يتَّبعوا شُذَّاذ القبائل الذين هربوا؛ فقتلوا مَنْ قَدرُوا عليه منهم كلّ قِتْلة ، ولم يُعْفِ متمرّداً ، وقبل توبةَ من أناب من غير المتمرّدة؛ وعملوا في ذلك على قَدْر ما رأوا من آثارهم، ورجَوا عندهم. وكتب إلى أبي بكر بدخولِه صنعاء وبالذي يتّبع من ذلك [٢].

(٣: ٣٣٠).

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

ذكر خبر حَضْرموت في ردّتهم

٩٧ ـ قال أبو جعفر: كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن سهل ابن يوسف، عن الصَّلْت، عن كَثير بن الصَّلْت، قال: مات رسولُ الله ﷺ وعُمّاله على بلاد حَضْرموت: زياد بن لَبيد البياضيّ على حَضْرموت، وعُكّاشة بن مِحْصَن على السّكاسك والسَّكون، والمهاجر على كِنْدة ـ وكان بالمدينة لم يكن خرج حتى توفِّيَ رسولُ الله ﷺ، فبعثه أبو بكر بعد إلى قتال من باليمن، والمُضِيّ بعد إلى عمله[1]. (٣: ٣٣٠).

٩٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعيب، عن سيف، عن أبي السائب، عطاء ابن فلان المخزوميّ، عن أبيه، عن أمّ سَلَمة، والمهاجر بن أبي أمية: أنَّه كان تخلَّف عن تَبوك، فرجع رسولُ الله ﷺ وهو عليه عاتبٌ؛ فبينا أمّ سلَمة تغسل رأس رسولِ الله ﷺ، قالت: كيف ينفعني شيء وأنت عاتب على أخي! فرأت منه رِقّة؛ فأومأت إلى خادمها؛ فدعتْه، فلم يزل برسول الله ﷺ يَنْشُر عُذْرَه حتى عَذَره، ورضيَ عنه، وأمَّره على كِنْدة، فاشتكى ولم يطق الذَّهاب، فكتب إلى زيادْ ليقوم له على عمله وبَرَأ بعد، فأتَمّ له أبو بكر إمْرَتَه، وأمره بقتال مَن بين نَجْران إلى أقصى اليمن؛ ولذلك أبطأ زياد، وعُكّاشة عن مناجزة كندة انتظاراً له[2]. (٣: ٣٣٠).

٩٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد؛ قال: كان سبب ردّة كِنْدة إجابتَهم الأسود العنسيّ حتى لعن رسول الله ﷺ الملوك الأربعة، وأنَّهم قبل رِدّتهم حين أسلموا وأسلم أهل بلاد حَضْرَموت كلّهم أمر رسول الله ﷺ بما يوضع من الصَّدقات أن يوضَع صدقة بعض حَضْرموت في كِنْدة وتوضع صدقة كِنْدة في بعض حضْرموت، وبعض حضْرموت في السَّكُون والسَّكون في بعض حَضْرموت. فقال نفرٌ من بني وَليعة: يا رسولَ الله! إنّا لسنا بأصحاب إبل؛ فإن رأيت أن يبعثوا إلينا بذلك على ظَهْر! فقال: إن رأيتم! قالوا: فإنّا ننظر، فإنْ لم يكن لهم ظَهْرٌ فعلنا. فلمّا توفّي

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

رسول الله ﷺ ، وجاء ذلك الإبّان ، دعا زياد الناس إلى ذلك ، فحضروه ، فقالت بنو وَليعة : أبلغونا كما وعدتم رسول الله ﷺ ؛ فقالوا : إنّ لكم ظهراً ، فهلمّوا فاحتملوا ، ولاحَوْهم ؛ حتى لاحوْا زياداً ؛ وقالوا له : أنت معهم علينا. فأبى الحضرميُّون ، ولجّ الكنديُّون ، فرجعوا إلى دارهم ، وقدّموا رِجْلاً ، وأخّروا أخرى ، وأمسك عنهم زياد انتظاراً للمُهاجر ؛ فلمّا قدم المهاجر صنعاء ؛ كتب إلى أبي بكر بكلّ الذي صنَع ، وأقام حتى قدم عليه جواب كتابه من قِبَل أبي بكر ؛ فكتب إليه أبو بكر وإلى عكرمة أن يسيرا حتى يقدَما حضرموت ، وأقِرّ زياداً على عَمله ، وائْذَنْ لمن معك من بين مكّة واليمن في القَفْل ؛ إلا أن يؤثر قوم الجهاد ، وأمِدّه بعُبَيْدَة بن سعد. ففعل ؛ فسار المُهاجر من صَنْعاء يريد حضرموت ، وسار عِكْرمة من أبْيَن يريد حضْرموت ، فالتقيا بمأرب ؛ ثم فَوّزا من صَهيد ؛ حتى اقتحما حَضْرموت ، فنزل أحدُهما على الأشعث ، والآخر على وائل[1]. (٣ : ٣٣١).

١٠٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن أبيه ، عن كَثير بن الصّلْت ؛ قال : وكان زياد بن لبيد حين رجع الكِنْديّون ولجُّوا ولجّ الحضرميون ولي صدقات بني عمرو بن معاوية بنفسه ، فقدِم عليهم وهم بالرّياض ، فصدّق أوّل مَن انتهى إليه منهم ؛ وهو غلام ، يقال له : شيْطان بن حُجْر ؛ فأعجبته بَكرة من الصّدقة ، فدعا بنارٍ فوضع عليها الميسَم ، وإذا النّاقة لأخي الشيطان العَدّاء بن حُجْر ، وليست عليه صدقة ، وكان أخوه قد أوهم حين أخرجها وظنَّها غيرها ؛ فقال العدّاء : هذه شَذْرة باسمها ؛ فقال الشيطان : صدق أخي ؛ فإني لم أعْطِكموها إلاّ وأنَا أراها غيرها ؛ فأطلق شذرة وخذ غيرها ، فإنّها غير متروكة. فرأى زياد : أنّ ذلك منه اعتلال ، واتَّهمه بالكفر ، ومباعدة الإسلام ، وتَحَرِّي الشرّ. فحَمِيَ وحَمِيَ الرجلان ، فقال زياد : لا ولا تَنْعَم ؛ ولا هي لك ؛ لقد وقع عليها ميسَم الصدقة وصارت في حقّ الله ، ولا سبيل إلى ردّها ، فلا تكوننّ شذرة عليكم كالبَسُوس ؛ فنادى العدّاء : يا آل عمرو ! بالرياض أضامُ وأضطَهد ؟ ! إن الذليل مَنْ أكل في داره ! ونادى : يا أبا السُّمَيْط ! فأقبل أبو السّميط حارثة بن سُراقة بن معد يكرب ؛ فقصد لزياد بن لَبيد وهو واقف ،

---

(١) إسناده ضعيف.

فقال: أطلق لهذا الفتى بَكْرته. وخذ بعيراً مكانها، فإنَّما بعير مكان بعير، فقال: ما إلى ذلك سبيل! فقال: ذاك إذا كنتَ يهوديّاً! وعاج إليها، فأطلق عِقالها، ثم ضرب على جَنْبها؛ فبعثها وقام دونها، وهو يقول:

يَمْنَعُها شيخٌ بخدَّيْه الشَّيْب مُلَمَّعٌ كما يُلَمَّع الثَّوْب

فأمر به زياد شباباً من حضرموت والسَّكون، فمغثوه، وتوطَّؤوه، وكتفوه، وكتفوا أصحَابه، وارتهنوهم، وأخذوا البَكْرة فعقلوها كما كانت؛ وقال زياد بن لَبِيد في ذلك:

لم يمنَعِ الشَّذْرَةَ أركُوبُ والشَّيْخُ قد يَثْنِيهِ أرْجُوبُ

وتصايح أهلُ الرّيَاض، وتنادَوْا، وغَضِبَتْ بنو معاوية لحارثة، وأظهروا أمرهم، وغضبت السَّكُون لزياد، وغضبت له حَضْرموت، وقاموا جميعاً دونه. وتَوافَى عسكران عظيمان من هؤلاء وهؤلاء؛ لا تُحْدث بنو معاوية لمكان أسَرائهم شيئاً، ولا يجد أصحاب زياد على بني معاوية سبيلاً يتعلَّقون به عليهم؛ فأرسل إليهم زياد: إمَّا أن تَضَعُوا السِّلاح، وإما أن تُؤذِنوا بحرْب؛ فقالوا: لا نضع السَّلاح أبداً حتى ترسلوا أصحابنا، فقال زياد: لا يُرْسَلون أبداً حتى ترفضُّوا وأنتم صَغَرَةٌ قَمَأة. يا أخابثَ النَّاس! ألستُم سكَّانَ حَضْرموت وجيران السَّكون! فما عسيتم أن تكونوا وتصنعوا في دار حَضْرموت؛ وفي جنوب مواليكم! وقالت له السَّكون: ناهد القوم، فإنه لا يفطِمُهم إلاّ ذلك، فنَهد إليهم ليلاً، فقتل منهم، وطاروا عَباديد، وتمثّل زياد حين أصبح في عسكرهم:

وكنتُ امرأً لا أبعثُ الحربَ ظالماً فلما أبَوْا سامَحتُ في حَرْبِ حاطِبِ

ولمَّا هرب القوم خَلَّى عن النفر الثلاثة؛ ورجع زياد إلى منزله على الظَّفر. ولما رجع الأسَراء إلى أصحابهم؛ ذَمَرُوهم، فتذامروا، وقالوا: لا تصلح البلدة علينا وعلى هؤلاء حتى تخلُوَ لأحد الفريقين. فأجمعوا وعسكروا جميعاً، ونادَوْا بمنع الصدقة، فتركهم زياد لم يخرج إليهم، وتركوا المسير إليه. وأرسل إليهم الحُصَين بن نَمير، فما زال يُسْفِر فيما بينهم وبين زياد وحَضْرموت والسَّكُون حتى سكن بعضهم عن بعض؛ وهذه النَّفْرة الثانية، وقال السَّكُونيّ في ذلك:

لَعَمْرِي وما عمري بعُرْضةِ جانبٍ لَيَجْتَلِبُنْ منها المرارَ بنو عَمْرِو

كَذَبْتُمْ وبيتِ الله لا تَمْنَعونها زياداً، وقد جئنا زياداً على قَدرِ

فأقاموا بعد ذلك يسيراً. ثم إن بني عمرو بن معاوية خصوصاً خرجوا إلى المحاجر ، إلى أحماء حَمَوْها ، فنزل جَمَد محجراً ، ومِخْوص محجراً ، ومِشْرح محجراً ، وأبضَعة محجراً ، وأختهم العَمَرَّدة محجراً ـ وكانت بنو عمرو بن معاوية على هؤلاء الرُّؤساء ـ ونزلت بنو الحارث بن معاوية محاجرها ، فنزل الأشعث بن قيس مَحْجَراً ، والسِّمط بن الأسود محجراً ، وطابقت معاوية كلُّها على منع الصدقة ، وأجمعوا على الرِّدّة إلا ما كان من شُرَحبيل بن السّمط وابنه ، فإنهما قاما في بني معاوية ، فقالا: والله إنَّ هذا لَقبيحٌ بأقوام أحرار التنقُّل؛ إنّ الكرام ليكونون على الشّبهة فيتكرّمون أن يتنقّلوا منها إلى أوْضَح منها مخافة العار؛ فكيف بالرجوع عن الجميل ، وعن الحقّ إلى الباطل والقبيح! اللهمّ إنّا لا نمالىء قومنا على هذا ، وإنَّا لنَادمون على مجامعتهم إلى يومنا هذا ـ يعني: يوم البكرة ويوم النَّفرة ـ وخرج شُرَحبيل بن السّمط وابنه السّمط؛ حتى أتيا زياد بنَ لَبيد ، فانضمَّا إليه ، وخرج ابن صالح وامرؤ القيس بن عابس؛ حتى أتيا زياداً ، فقالا له: بيِّتِ القوم ، فإنَّ أقواماً من السَّكاسك قد انضمُّوا إليهم ، وقد تسرّع إليهم قوم من السَّكُون وشُذّاذ من حَضْرموت ، لعلَّنا نُوقع بهم وَقْعة تُورث بيننا عداوة ، وتفرِّق بيننا؛ وإن أبيتَ خشينا أن يرفضّ الناس عنَّا إليهم؛ والقوم غارّون لمكان مَن أتاهم ، راجون لمن بقيَ. فقال: شأنكم. فجمعوا جمعهم ، فطرقوهم في محاجرهم ، فوجدوهم حول نيرانهم جلوساً ، فعرفوا من يريدون ، فأكبُّوا على بني عمرو بن معاوية؛ وهم عدَد القوم وشوكتهم ، من خمسة أوجه في خمس فرق ، فأصابوا مشرحاً ، ومخوصاً ، وجَمَداً ، وأبضَعة ، وأختهم العمَّردة ، أدركتهم اللعنة ، وقَتَلوا فأكثروا ، وهرب مَنْ أطاق الهَرب ، ووُهِّنت بنو عمرو بن معاوية ، فلم يأتوا بخير بعدها ، وانكفأ زياد بالسَّبْي والأموال ، وأخذوا طريقاً يُفضي بهم إلى عَسْكر الأشعث وبني الحارث بن معاوية؛ فلمَّا مرُّوا بهم فيه استغاث نسوةُ بني عمرو بن معاوية ببني الحارث ونادينه: يا أشعث ! يا أشعث! خالاتك خالاتك! فثار في بني الحارث فتنقَّذهم ـ وهذه الثالثة ـ وقال الأشعث:

منعتُ بني عمرو وقد جاء جمعُهمْ ... بـأمْعَـزَ مـن يـوم البضيـض وأصبَـرا

وعلم الأشعث: أنّ زياداً وجنْده إذا بلغهم ذلك لم يُقلعوا عنه ولا عن بني الحارث بن معاوية وبني عمرو بن معاوية ، فجمع إليه بني الحارث بن معاوية

وبني عمرو بن معاوية ، ومن أطاعه من السَّكاسك والخَصائص من قبائل ما حولهم ، وتباين لهذه الوقعة من بحضْرموت من القبائل ، فثبتَ أصحاب زياد على طاعة زياد ، ولجَّتْ كِنْدة ، فلمَّا تباينت القبائل كتب زيادٌ إلى المهاجر؛ وكاتَبه النّاس فتلقّاه بالكتاب ، وقد قطع صَهيد ـ مفازةٌ ما بين مأرب وحضرموت ـ واستخلف على الجيش عكْرمة ، وتعجَّل في سَرَعان النَّاس ، ثم سَار حتى قدم على زياد؛ فنَهَد إلى كنْدة وعليهم الأشعث ، فالتقوْا بمحجر الزُّرْقان فاقتتلوا به فهُزمت كندة ، وقُتلت وخرجوا هُرّاباً ، فالتجأتْ إلى النُّجَيْر وقد رَمُّوه ، وحصّنوه ، وقال في يوم مَحْجر الزُّرْقان المهاجر :

كُنَّـــا بـــزُرْقـــان إذ يُشَـــرِّدكُـــمْ   بحـرٌ يُـزَجّـي فـي مَـوْجـه الحطَبَـا
نحـــن قتلنـــاكُـــمُ بمحْجـــركـــم   حتـى ركبْتُـمْ مـن خَـوْفِنـا السَّبَبَـا
إلـــى حصـــارٍ يكـــون أهْـــوَنَـــه   سَبْـيُ الـذَّرارِي وسَـوْقُهـا خَببَـا

وسار المهاجر في النَّاس من مَحْجر الزُّرْقان حتى نزل على النُّجَير ، وقد اجتمعت إليه كندة ، فتحصّنوا فيه ، ومعهم من استغووْا من السكاسك ، وشُذّاذ من السَّكون ، وحضْرموت ، والنُّجير ، على ثلاثة سُبُل ، فنزل زياد على أحدها ، ونزل المهاجر على الآخر ، وكان الثالث لهم يؤتون فيه ، ويذهبون فيه ، إلى أن قدم عِكْرِمة في الجيش ، فأنزله على ذلك الطَّريق ، فقطع عليهم الموادّ وردّهم ، وفرّق في كِنْدة الخيول ، وأمرَهم أن يُوطئوهم . وفيمن بعث يزيد بن قَنان من بني مالك بن سعد ، فقتل من بقرى بني هند إلى بَرَهُوت ، وبعث فيمَن بعث إلى السَّاحل خالدَ بن فلان المخزوميّ وربيعة الحضرميّ ، فقتلوا أهل مَحَا ، وأحياء أخَر؛ وبلغ كنْدة وهم في الحصار ما لقي سائر قومهم ، فقالوا : الموت خير ممَّا أنتم فيه؛ جُزُّوا نواصيَكم حتى كأنّكم قومٌ قد وهبتم لله أنفسَكم ، فأنعم عليكم فبؤتم بنعمه؛ لعلَّه أن ينصرَكم على هؤلاء الظَّلَمة . فجزُّوا نواصيَهم ، وتعاقدوا وتواثقوا ألاّ يفرّ بعضُهم عن بعض ، وجعل راجزهم يرتجز في جوف الليل فوق حصنهم :

صَبَـــاحُ سَـــوْء لبنـــي قَتِيـــرهْ   ولـــلأمـيـــر مـــن بنـــي المغيـــرهْ

وجعل راجزُ المسلمين زياد بن دينار يردّ عليهم :

لا تـــوعِـــدُونـــا واصْبـــروا حَصِيـــرهْ   نحـــنُ خيـــولُ وَلـــدِ المغيـــرهْ
وفـــي الصَّبَـــاح تَظْفـــرُ العشيـــرهْ

فلمَّا أصبحوا خرجوا على النَّاس ، فاقتتلوا بأفنية النُّجير ، حتى كثرت القتلى بحيال كلّ طريق من الطرق الثلاثة ، وجعل عِكْرِمة يرتجز يومئذ ، ويقول:

أطعنُهمْ وأنا على أوْفازِ طَعْناً أبوءُ به على مَجَازِ

ويقول:

أُنْفِذُ قولي وله نُفَاذُ وكلُّ مَنْ جاوَرني مُعَاذُ[1]

(٣: ٣٣٢/ ٣٣٣/ ٣٣٤/ ٣٣٥/ ٣٣٦).

١٠١ ـ فهزمت كِنْدة ، وقد أكثروا فيهم القتل.

وقال هشام بن محمد: قدِم عِكْرِمة بن أبي جهل بعد ما فرغ المهاجر من أمر القوْم مدداً له ، فقال زياد ، والمهاجر لمن معهما: إنّ إخوانكم قَدِمُوا مَدَداً لكم ، وقد سبقتموهم بالفتح فأشرِكوهم في الغنيمة. ففعلوا وأشركوا من لحق بهم ، وتواصوْا بذلك ، وبعثوا بالأخماس والأسْرى ، وسار البشير فسبقهم؛ وكانوا يبشّرون القبائل ، ويقرؤون عليهم الفتح[2]. (٣: ٣٣٧).

١٠٢ ـ وكتب إليّ السّريّ ، قال: كتب أبو بكر رحمه الله إلى المهاجر مع المغيرة بن شعبة: إذا جاءكم كتابي هذا ولم تظفروا؛ فإن ظفرتم بالقوم فاقتلوا المقاتِلة ، واسبُوا الذرّيّة إن أخذتموهم عَنْوة ، أو ينزلوا على حكمي ، فإن جَرَى بينكم صُلْح قبل ذلك فعلَى أن تخرجوهم من ديارهم؛ فإنّي أكْرَهُ أن أقرّ أقواماً فعلوا فعلهم في منازلهم ، ليعلموا أن قد أساؤوا ، وليذوقوا وَبال بعضِ الذي أتَوْا[3]. (٣: ٣٣٧).

١٠٣ ـ قال أبو جعفر: ولما رأى أهل النُّجَير الموادّ لا تنقطع عن المسلمين ، وأيقنوا: أنَّهم غيرُ منصرفين عنهم ، خشعت أنفسُهم ، ثمَّ خافوا القتل ، وخاف الرُّؤساء على أنفسهم؛ ولو صبروا حتَّى يجيء المغيرة لكانت لهم في الثالثة الصّلح على الجلاء نَجاةً. فعجّل الأشعث ، فخرج إلى عِكْرِمة بأمان ، وكان لا يأمن غيرَه؛ وذلك أنَّه كانت تحته أسماء ابنة النعمان بن الجَوْن ، خطبها وهو

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

يومئذ بالجنَد ينتظر المهاجر ، فأهداها إليه أبوها قبل أن يبادُوا ، فأبلغه عكرمةُ المهاجرَ ، واستأمنه له على نفسه ، ونَفَر معه تسعة؛ على أن يؤمِّنهم وأهليهم وأن يفتحوا لهم الباب؛ فأجابه إلى ذلك ، وقال: انطلق فاستوثقْ لنفسك ، ثم هلمّ كتابك أختمه[1]. (٣: ٣٣٧).

١٠٥ - كتب إليّ السري عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي إسحاق الشَّيْباني ، عن سعيد بن أبي بُرْدة ، عن عامر: أنه دخَل عليه فاستأمنه على أهله وماله ، وتسعة ممَّن أحبّ ، وعلى أن يفتح لهم الباب فيدخلوا على قومه. فقال له المهاجر: اكتب ما شئت واعْجل ، فكتب أمانَه وأمانهم ، وفيهم أخوه ، وبنو عمّه ، وأهلُوهم ، ونسيَ نفسَه؛ عَجِلَ ودَهِشَ. ثم جاء بالكتاب فختمه؛ ورجع فسرّب الَّذين في الكتاب.

رجع الحديث إلى حديث سيف: فلما ولي عمر رحمه الله قال: إنه ليَقبُح بالعرب أن يملك بعضُهم بعضاً. وقد وسَّع الله ، وفتح الأعاجم ، واستشار في فداء سَبَايا العرب في الجاهليّة والإسلام إلاّ امرأة ولَدت لسيّدها ، وجعل فداء كلّ إنسان سبعة أبعرة ، وستَّة أبعرة إلاّ حَنيفة كندة؛ فإنَّه خَفَّف عنهم لقتل رجالهم ، ومَنْ لا يقدر على فداء لقيامهم وأهل دَبَا ، فتتبَّعتْ رجالُهم نساءَهم بكلّ مكان. فوجد الأشعثُ في بني نَهْد وبني غُطَيف امرأتين؛ وذلك أنَّه وقف فيها يسأل عن غُراب ، وعُقاب ، فقيل: ما تريد إلى ذلك؟ قال: إنّ نساءنا يوم النُّجير خطفهنّ العِقْبان ، والغربان ، والذِّئاب ، والكلاب. فقال بنو غطيف: هذا غُراب ، قال: فما موضعه فيكم؟ قالوا: في الصّيانة ، قال: فنعم ، وانصرف. وقال عمر: لا ملْكَ على عربيّ؛ للذي أجمع عليه المسلمون معه[2]. (٣: ٣٣٨/ ٣٤٠).

١٠٦ - وقال الأجْلَح ، والمجالد: لمّا لم يبق إلاّ أن يكتب نفسه وثب عليه جَحْدَم بشَفْرة ، وقال: نفسَك أو تكتبني! فكتبه وترك نفسه[3]. (٣: ٣٤٠).

١٠٧ - قال أبو إسحاق: فلمَّا فتح الباب اقتحمه المسلمون فلم يَدَعوا فيه

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

مقاتلاً إلاّ قتلوه؛ ضربوا أعناقهم صبْراً ، وأحصى ألف امرأة ممَّن في النُّجير والخَنْدق؛ ووضع على السَّبْي والفيء الأحراس، وشاركهم كثير[1] . (٣: ٣٤٠).

١٠٨ ـ وقال كَثِير بن الصّلت: لمّا فتح الباب وفرغ ممن في النجير ، وأحصي ما أفاء الله عليهم؛ دعا الأشعث بأولئك النَّفر ، ودعا بكتابه فعرَضهم ، فأجاز من في الكتاب ، فإذا الأشعث ليس فيه ، فقال المهاجر: الحمد لله الَّذي أخطأك نوْءُك يا أشعث ! يا عدوّ الله! قد كنت أشتهي أن يخزيَك الله. فشدّه وثاقاً ، وهمّ بقتله ، فقال له عكرمة: أخِّرْه ، وأبلغه أبا بكر ، فهو أعلمُ بالحكْم في هذا ، وإنه كان رجلاً نسي اسمه أن يكتبه؛ وهو وليّ المخاطبة ، أفذاك يبطل ذاك ؟! فقال المهاجر: إنّ أمره لبيِّنٌ ، ولكني أتَّبع المشورة وأوثرها. وأخَّرَه وبعث به إلى أبي بكر مع السَّبْي ، فكان معهم يلعنه المسلمون ، ويلعنه سبايا قومه ، وسمَّاه نساء قومه عُرْفَ النَّار ـ كلامٌ يمانيٌ يسمُّون به الغادر ـ وقد كان المغيرة تحيَّر ليلَه للَّذي أراد الله ، فجاء والقوم في دمائهم والسَّبْيِ على ظَهْر ، وسارت السبايا والأسْرَى ، فقدم القوم على أبي بكر رحمه الله بالفتْح والسَّبَايا والأسرى. فدعا بالأشعث ، فقال: استزلك بنو وَليعة ، ولم تكن لتستزلَّ لهم ـ ولا يروْنك لذلك أهلاً ـ وهلكوا ، وأهلكوك! أما تَخشى أن تكون دعوةُ رسول الله ﷺ قد وصل إليك منها طرفٌ! ما تراني صانعاً بك؟ قال: إني لا علم لي برأيك ، وأنت أعلم برأيك ، قال: فإنّي أرى قتلك. قال: فإنّي أنا الذي راوضتُ القوم في عشرة ، فما يحلُّ دمي ، قال: أفَوّضُوا إليك؟ قال: نعم ، قال: ثم أتيتَهُمْ بما فَوّضُوا إليك فختموه لك؟ قال: نعم ، قال: فإنَّما وجب الصّلح بعد خَتْم الصحيفة على مَن في الصحيفة ، وإنَّما كنتَ قبل ذلك مُراوضاً. فلمَّا خَشِيَ أن يقع به قال: أو تحتسب فيّ خيراً فتطلق إساري ، وتُقيلني عثرتي ، وتقبل إسلامي ، وتفعل بي مثل ما فعلتَه بأمثالي وتردّ عليَّ زوجتي ـ وقد كان خطب أمَّ فَرْوة بنت أبي قحافة مَقْدَمَه على رسول الله ﷺ؛ فزوجه وأخرها إلى أن يقدم الثانية ، فمات رسول الله ﷺ وفعل الأشعث ما فعل ، فخشيَ ألاّ تُردّ عليه ـ تجدُني خيْرَ أهل بلادي لدين الله! فتجافَى له عن دمه ، وقَبِل منه ، وردّ عليه أهله ، وقال: انطلقْ فلْيبلغني عنك خيرٌ ، وخلّى عن القوم فذهبوا ، وقسّم أبو بكر في الناس الخُمْس ، واقتسم

---

(١) إسناده ضعيف.

الجيش الأربعة الأخماس[١]. (٣: ٣٣٨/ ٣٣٩).

١٠٩ ـ قال أبو جعفر: وأمّا ابنُ حُميد، فإنه قال: حَدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر: أنَّ الأشعث لمّا قُدِم به على أبي بكرٍ، قال: ماذا تراني أصنع بك؛ فإنَّك قد فعلتَ ماعلمتَ! قال: تمُنُّ عليّ، فتَفُكّني من الحديد وتزوّجني أختَك؛ فإني قد راجعتُ وأسلمتُ. فقال أبو بكر: قد فعلتُ. فزوّجه أمّ فروة ابنة أبي قُحَافة، فكان بالمدينة حتى فتح العراق[٢]. (٣: ٣٣٩).

١١٠ ـ قالوا: ونظر المهاجر في أمر المرأة التي كان أبوها النُّعمان بن الجَوْن أهدَاها لرسولِ الله ﷺ؛ فوصفها أنَّها لم تَشْتَكِ قطّ. فردَّها، وقال: لا حاجةَ لنا بها، بعد أن أجلَسها بين يديه، وقال له: لو كان لها عند الله خيرٌ؛ لاشتكت. فقال المهاجر لعِكْرِمة: متى تزوجتَها؟ قال: وأنا بعَدن، فأهديتْ إليّ بالجَند، فسافرت بها إلى مأرب، ثم أوردتُها العسكر. فقال بعضهم: دعْها فإنَّها ليست بأهل أن يُرغَب فيها. وقال بعضُهم: لا تَدَعْها. فكتب المهاجر إلى أبي بكر رحمه الله يسأله عن ذلك، فكتب إليه أبو بكر: إنّ أباها النُّعمان بن الجَوْن أتى رسولَ الله ﷺ، فزيّنها له حتى أمره أن يجيئه بها، فلمّا جاءه بها قال: أزيدك: أنَّها لم تيجعْ شيئاً قطّ، فقال: لو كان لها عند الله خيرٌ لاشتكتْ، ورغب عنها؛ فارغَبُوا عنها. فأرسلها. وبقي في قريش بعد ما أمر عمر في السَّبْي بالفداء عدَّةٌ، منهم: بشرى بنت قيس بن أبي الكيسم عند سعد بن مالك، فولدت له عمر، وزُرْعة بنت مِشْرَح عند عبد الله بن العباس فولدت له عليّاً.

وكتب أبو بكر إلى المهاجر يخيِّره اليمَن أو حضرموت؛ فاختار اليَمَن، فكانت اليمن على أميرين: فيروز، والمهاجر، وكانت حضْرموت على أميرين: عُبيدة بن سعد على كندة والسَّكاسك، وزياد بن لَبيد على حَضْرموت.

وكتب أبو بكر إلى عمّال الرِّدّة: أمّا بعدُ، فإنّ أحبّ مَنْ أدخلتم في أموركم إليّ مَن لم يرتدّ، ومَن كان ممَّن لم يرتدّ، فأجمعوا على ذلك، فاتّخذوا منهم صنائع، وائذنوا لمن شاء في الانصراف، ولا تستعينوا بمرتدّ في جهاد عدوّ.

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

وقال الأشعث بن مئناس السّكونيّ يبكي أهل النُّجيْر:

لَعمْرِي وما عَمْرِي عَلَيَّ بهيِّنٍ لقد كنتُ بالقَتْلى لحقُّ ضَنِينِ
فلا غَزْوَ إلا يومَ أقْرِعِ بينهمْ وما الدَّهرُ عندي بَعْدَهم بأَمِينِ
فليتَ جُنُوبَ الناس تحتَ جنوبهم ولم تَمْشِ أنْثى بعدهم لِجَنينِ
وكنتُ كذات البَوِّ ريعَتْ فأقبلتْ على بَوِّها إذ طَرَّبَتْ بحنينِ[١]

١١١ - كتب إليّ السريّ عن شُعيب، عن سيف، عن موسى بن عُقْبَة، عن الضّحاك بن خليفة، قال: وقع إلى المهاجر امرأتان مُغَنِّيتان؛ غنّت إحداهما بشتْم رسولِ الله ﷺ، فقطع يدها، ونزع ثنيَّتها؛ فكتب إليه أبو بكر رحمه الله: بَلغني الذي سِرْتَ به في المرأة التي تغنَّت، وزمرت بشتيمة رسول الله ﷺ؛ فلولا ما قد سبقتْني فيها لأمرتك بقتْلها؛ لأنّ حدّ الأنبياء ليس يشبه الحدود، فمن تعاطَى ذلك من مسلم فهو مرتدّ، أو معاهَد فهو محارب غادر.

وكتب إليه أبو بكر في التي تغنّت بهجاء المسلمين: أما بعدُ؛ فإنه بلغني أنّك قطعت يدي امرأة في أن تغنَّت بهجاء المسلمين، ونزعتَ ثنيّتها؛ فإن كانت ممن تدّعي الإسلام فأدبٌ، وتقدمةٌ دون المُثْلة، وإن كانت ذِمّية فلعمري لما صفحت عنه من الشِّرْكِ أعظم؛ ولو كنتُ تقدّمتُ إليك في مثل هذا لبَلغتُ مكروهاً؛ فاقبل الدّعة، وإيَّاك والمُثلة في الناس؛ فإنها مأثَم ومُنَفِّرة إلاّ في قصاص[٢]. (٣: ٣٤١/ ٣٤٢).

١١٢ - وفي هذه السنة - أعني: سنة إحدى عشرة - انصرف مُعاذ بن جبل من اليمن.

واستقضى أبو بكر فيها عمر بن الخطاب، فكان على القضاء أيّام خلافته كلّها.

وفيها أمَّر أبو بكر رحمه الله على الموسِم عتَّاب بن أسيد - فيما ذكره الذين أسند إليهم خبره عليّ بن محمد الذين ذكرت قبل في كتابي هذا أسماءهم[٣]. (٣: ٣٤٢).

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

١١٣ ـ وقال علي بن محمد: وقال قوم: بل حج بالناس في سنة إحدى عشرة عبد الرحمن بن عوف عن تأمير أبي بكر إيَّاه بذلك[(١)]. (٣: ٣٤٢).

ثم كانت سنة اثنتي عشرة من الهجرة

مسير خالد إلى العراق وصلح الحيرة

١١٤ ـ قال أبو جعفر: ولمَّا فرغ خالدٌ من أمر اليمامة، كتب إليه أبو بكر الصّدّيق رحمه الله؛ وخالد مقيم باليمامة ـ فيما حدّثنا عُبيد الله بن سعد الزُّهريّ، قال: أخبرنا عمّي، قال: أخبرنا سَيف بن عمر عن عمرو بن محمَّد، عن الشعبيّ ـ: أنْ سِر إلى العراق حتى تدخلَها، وابدأ بفرْج الهند، وهي الأبُلَّة، وتألَّف أهلَ فارس، ومَن كان في مُلْكِهم من الأمم[(٢)]. (٣: ٣٤٣).

١١٥ ـ قال أبو جعفر: وأما غيرُ ابن إسحاق وغير هشام ومَن ذكرت قولَه من قَبْل، فإنَّه قال في أمر خالد ومسيره إلى العراق ما حدّثنا عُبيد الله بن سعد الزُّهريّ، قال: حدّثني عمِّي عن سيف بن عمر، عن عمرو بن محمد، عن الشَّعبيّ، قال: لمَّا فرغَ خالد بن الوليد من اليَمامة، كتب إليه أبو بكر رحمه الله: إن الله فتحَ عليك فعارِقْ حتَّى تلقى عياضاً. وكتب إلى عياض بن غَنْم وهو بين النِّباج والحجاز: أن سِرْ حتَّى تأتيَ المُصَيَّخَ فابدأ بها، ثم ادخل العراق من أعلاها، وعارق حتى تلقى خالداً. وائْذَنَا لمن شاء بالرجوع، ولا تستفتحا بمتكارهٍ.

ولما قدم الكتاب على خالد وعياض، وأذنا في القفْل عن أمر أبي بكر؛ قَفَل أهلُ المدينة وما حولَها وأعروهما، فاستمدّا أبا بكر، فأمدّ أبو بكر خالداً بالقعقاع بن عمرو التميميّ، فقيل له: أتمدّ رجلاً قد ارفضّ عنه جنودُه برجل! فقال: لا يُهْزم جيشٌ فيهم مثل هذا. وأمدّ عياضاً بعبد بن عوف الحميريّ، وكتب إليهما أن استنفرا من قاتل أهل الردّة، ومَنْ ثبت على الإسلام بعد

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف، وضعف الطبري الروايات التي تحدثت عن فتح الأبلّة علىٰ يد خالد رضي الله عنه في هذه السنة كما سيأتي بعد الرواية (٣/ ٣٥٠/ خ ١٥٩).

رسول الله ﷺ ، ولا يغزونّ معكم أحدٌ ارتدّ حتى أرَى رأيي. فلم يشهد الأيّام مرتَدّ.

فلمَّا قدِم الكتاب على خالد بتأمير العراق ، كتب إلى حَرْمَلَة ، وسُلْمَى ، والمثنَّى ، ومذعور باللّحاق به ، وأمرهم أن يواعدوا جنودَهم الأبُلَّة ، وذلك أنّ أبا بكرٍ أمر خالداً في كتابه: إذا دخلَ العراق أن يبدأ بفرْج أهل السِّنْد والهِنْد ـ وهو يومئذ الأبُلَّة ـ ليوم قد سمَّاه ، ثم حشر مَن بينه وبين العراق ، فحشر ثمانية آلاف من ربيعة ومُضر إلى ألفيْن كانا معه ، فقدم في عشرة آلاف على ثمانية آلاف ممَّن كان مع الأمراء الأربعة ـ يعني بالأمراء الأربعة: المثنَّى ، ومذعوراً ، وسُلْمى ، وحرملة ـ فلقيَ هُرْمُزَ في ثمانية عشر ألفاً[1]. (٣: ٣٤٦ـ٣٤٧).

١١٦ ـ حدّثنا عُبيد الله ، قال: حدّثني عمّي عن سيف ، عن المهلَّب الأسديّ، عن عبد الرحمن بن سياه ، وطلحة بن الأعلَم عن المغيرة بن عُتَيبة ، قالوا: كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد؛ إذ أمّره على حرب العراق أن يدخلَها من أسفلها ، وإلى عياض؛ إذ أمّره على حرب العراق؛ أن يدخلَها من أعلاها؛ ثم يستبقا إلى الحيرة ، فأيّهما سبق إلى الحيرة فهو أميرٌ على صاحبه ، وقال: إذا اجتمعتُما بالحيرة ، وقد فضضتما مسالحَ فارس ، وأمنْتُما أن يؤتَى المسلمون من خلْفهم ، فليكن أحدكما رِدْءاً للمسلمين ولصاحبه بالحيرة ، وليقتحم الآخر على عدوّ الله وعدوّكم من أهل فارس دارَهم ومستقَرَّ عِزّهم؛ المدائن[2]. (٣: ٣٤٧).

١١٧ ـ حدّثنا عُبيد الله ، قال: حدّثني عمِّي عن سيف ، عن المجالد ، عن الشّعبيّ ، قال: كتب خالد إلى هُرمز قبل خروجه مع آزاذبه ـ أبي الزياذبة الَّذين باليمامة ـ وهرمز صاحب الثَّغر يومئذ: أمَّا بعدُ ، فأسلِم تَسْلم ، أو اعتقد لنفسكَ وقومك الذّمة ، وأقرِرْ بالجزية؛ وإلا فلا تلومنّ إلاّ نفسَك ، فقد جئتُك بقومٍ يحبّون الموت كما تحبُّون الحياة[3]. (٣: ٣٤٧).

١١٨ ـ قال سيف: عن طلحة بن الأعلم ، عن المغيرة بن عتيبة ـ وكان قاضي

---

(١) إسناده ضعيف ، وقد ضعف الطبري نفسه هذه الروايات كما سيأتي بعد قليل.

(٢) إسناده ضعيف ، وفي متنه بعض النكارة فلم يكن في عادة سيدنا أبي بكر أن يؤمر القادة بهذه الطريقة وإنما يعين الأمير قبل توجه الجيش وحركته والله أعلم.

(٣) إسناده ضعيف ، وسيأتي الحديث عن فتح الثغر بعد قليل.

أهل الكوفة ـ قال: فرّق خالد مُخرَجَه من اليمامة إلى العراق جندَه ثلاث فرَق، ولم يحملْهم على طريق واحدة، فسرَّح المثنَّى قبلَه بيومين، ودليله ظَفَر، وسرّح عديّ بن حاتم وعاصم بن عمرو، ودليليهما مالك بن عبَّاد، وسالم بن نصر، أحدهما قبل صاحبه بيوم؛ وخرج خالد ودليله رافع؛ فواعدهم جميعاً الحفير ليجتمعوا به وليصادموا به عدوّهم: وكان فرْج الهند أعظَم فروج فارس شأناً، وأشدَّها شَوْكةً، وكان صاحبه يحارب العرب في البرّ والهند في البحر.

قال ـ وشاركه المهلَّب بن عُقْبة وعبد الرحمن بن سياه الأحمريّ، الذي تُنْسَب إليه الحمراء، فيقال: حمراء سياه ـ قال: لمَّا قدِم كتاب خالد على هُرْمز كتب بالخبر إلى شيري بن كسرى، وإلى أردشير بن شيري، وجمع جموعه، ثم تعجَّل إلى الكواظم في سَرَعان أصحابه ليتلقَّى خالداً، وسبّق حلْبَته فلم يجدها طريق خالد، وبلَغه أنَّهم تواعدوا الحفير، فعاج يبادره إلى الحفير فنزله، فتبعني به، وجعل على مجنَّبته أخوين يُلاقيان أرْدَشير وشيري إلى أردشير الأكبر، يقال لهما: قُباذ وأنوشَجان، واقترنوا في السلاسل، فقال من لم ير ذلك لمن رآه: قيَّدتم أنفسكم لعدوّكم، فلا تفعلوا؛ فإنّ هذا طائر سَوْء، فأجابوهم وقالوا: أمَّا أنتم فحدّثوننا أنَّكم تريدون الهَرَب. فلما أتى الخبر خالداً بأنّ هرمز في الحفير أمالَ النَّاس إلى كاظمَةَ، وبلغ هرمزَ ذلك. فبادره إلى كاظمة فنزلها وهو حسير؛ وكان من أسْوَأ أمراء ذلك الفَرْج جواراً للعرب، فكلّ العرب عليه مغيظ؛ وقد كانوا ضربوه مثلاً في الخُبث حتى قالوا: أخبث من هرمز، وأكفر من هرمز، وتعبّى هرمز وأصحابه، واقترنوا في السلاسل، والماء في أيديهم. وقدم خالد عليهم، فنزل على غير ماءٍ، فقالوا له في ذلك، فأمر مناديَه، فنادى: ألا انزلوا وحُطُّوا أثقالكم، ثم جالدوهم على الماء، فلَعمري ليصيرَنّ الماءُ لأصْبَرِ الفريقين، وأكرم الجنديْن؛ فحُطَّت الأثقال والخيل وقُوف، وتقدّم الرَّجْل، ثم زحف إليهم حتى لاقاهم؛ فاقتتلوا، وأرسل الله سحابةً فأغزَرت ما وراءَ صفّ المسلمين، فقوّاهم بها؛ وما ارتفع النهار وفي الغائط مقترِن[١]. (٣: ٣٤٨).

١١٩ ـ حدّثنا عُبيد الله، قال: حدّثني عمِّي عن سيف، عن عبد الملك بن

---

(١) إسناده ضعيف، وسيأتي عنه الحديث بعد الرواية (٣/ ٣٥٠).

عطاء البَكَّائيّ؛ عن المقطَّع بن الهيثم البكائيّ بمثله، وقالوا: وأرسل هُرمز أصحابه بالغد ليغدروا بخالد، فواطؤوه على ذلك، ثم خرج هُرْمز، فنادى رجلٌ ورجلٌ: أين خالد؟ وقد عهد إلى فرسانه عهدَه، فلمَّا نزل خالد نزلَ هرمز، ودعاه إلى النزال، فنزل خالد فمشَى إليه، فالتقيا فاختلفا ضربتيْن، واحتضنه خالدٌ، وحملت حامية هُرْمز وغدرت، فاستلحموا خالداً، فما شغله ذلك عن قتله. وحمل القَعْقاع بن عمرو واستلحم حُماةَ هرمز فأناموهم؛ وإذا خالد يُمَاصعهم، وانهزم أهل فارس، وركب المسلمون أكتافَهم إلى الليل، وجمع خالد الرِّثاث وفيها السَّلاسل، فكانت وقْرَ بعيرٍ؛ ألف رطل، فسمِّيت ذات السلاسل، وأفلت قُباذ، وأنوشجان[1].

١٢٠ - حدثنا عبيدُ الله، قال: حدّثني عمِّي عن سيف، عن عمرو بن محمَّد؛ عن الشعبيّ، قال: كان أهلُ فارس يجعلون قلانسَهم على قَدْر أحسابهم في عشائرهم، فَمنْ تمّ شرفُه فقيمة قلنسوته مئة ألف. فكان هرمز ممنّ تَمّ شرفه، فكانت قيمتها مئة ألف؛ فنفّلها أبو بكر خالداً، وكانت مفصَّصة بالجوهر، وتمام شرف أحدِهم أن يكون من بُيوتات[2].

١٢١ - حدّثنا عُبيد الله، قال: حدثني عمِّي عن سيف، عن محمَّد بن نوَيْرة، عن حنظلة بن زياد بن حنظلة، قال: لما تراجع الطَّلب من ذلك اليوم؛ نادى منادي خالد بالرَّحيل، وسار بالنَّاس، واتَّبعته الأثقال؛ حتى ينزل بموضع الجسْر الأعظم من البصرة اليوم، وقد أفلت قُباذ، وأنوشجان، وبعث خالد بالفتح وما بقيَ من الأخماس، وبالفيل، وقرأ الفتح على الناس. ولما قدم زرّ بن كليب بالفيل مع الأخماس، فطيف به في المدينة ليراه النَّاس، جعل ضعيفات النساء يقلن: أمِن خلْق الله ما نرى! ورأينَه مصنوعاً، فردّه أبو بكر مع زِرّ. قال: ولما نزل خالد موضع الجسر الأعظم اليوم بالبَصْرة؛ بعث المثنَّى بن حارثة في آثار القوم، وأرسل معقل بن مُقرِّن المُزَنيّ إلى الأبُلَّة ليجمع له مالها والسّبي، فخرج معقل حتى نزل الأبُلَّة فجمع الأموال والسبايا.

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

رجع الحديث إلى حديث سيف ، عن محمَّد بن نويرة ، عن حنظلة بن زياد ، قال: وخرج المثنَّى حتَّى انتهى إلى نهر المرأة ، فانتهى إلى الحصن الذي فيه المرأة ، فخلف المُعَنَّى بن حارثة عليه ، فحاصرها في قَصْرها ، ومضى المثنَّى إلى الرّجُل فحاصره ثم استنزلهم عَنْوةً؛ فقتلهم واستفاء أموالهم؛ ولمَّا بلغ ذلك المرأة صالحت المثنَّى وأسلمتْ ، فتزوّجها المعنَّى ، ولم يحرّك خالد وأمراؤه الفلاّحين في شيء من فتوحهم لتقدُّم أبي بكر إليه فيهم ، وسبَى أولاد المقاتلة الَّذين كانوا يقومون بأمور الأعاجم ، وأقرّ مَن لم ينهض من الفلاحين؛ وجعل لهم الذّمَّة؛ وبلغ سهمُ الفارس في يوم ذات السلاسل والثِّنْي ألف درهم ، والراجل على الثلث من ذلك[١]. (٣: ٣٥٠).

١٢٢ ـ قال أبو جعفر: وهذه القصة في أمر الأُبُلَّة وفتحها خلاف ما يعرفه أهل السِّيَر ، وخلاف ما جاءت به الآثار الصّحَاح ، وإنما كان فتح الأبلَّة أيام عُمر رحمه الله ، وعلى يد عُتْبة بن غَزْوان في سنة أربع عشرة من الهجرة؛ وسنذكر أمرها وقصّة فتحها إذا انتهينا إلى ذلك إن شاء الله[٢]. (٣: ٣٥٠).

---

(١) إسناده ضعيف وكذلك متنه؛ إذ قال الطبري بعد هذه الرواية مباشرة: وهذه القصة في أمر الأبلّة وفتحها خلاف ما يعرفه أهل السِّير وخلاف ما جاءت به الآثار الصحاح ، وإنما كان فتح الأبلة أيام عمر رحمه الله ، وعلىٰ يد عتبة بن غزوان في سنة أربع عشرة من الهجرة وسنذكر أمرها وقصة فتحها إذا انتهينا إلى ذلك إن شاء الله . ا هـ. (تاريخ الطبري ٣/ ٣٥٠) قلنا: ولا داعي لذكر الآثار الصحيحة (هنا) في فتح الأبلة (البصرة) عند الطبري وغيره فسيأتي ذكره لاحقاً في فتوحات سنة أربع عشرة من الهجرة فموضعها هناك أولىٰ بالتحقيق والله أعلم.

(٢) إسناده ضعيف ، وقد أخرج ابن خليفة عن علي بن محمد معضلاً: صالحه (أي خالد) أهل نهر المرأة علىٰ اثني عشر ألف درهم وانصرف عنهم. وقال علي بن محمد: صالحته من رأس الفهرج إلى نهر المرأة.

ثم أخرج ابن خليفة: فقال الوليد بن هشام عن أبيه عن جده: إن خالداً دخل ميسان فأصاب بها غنائم وسبايا من أهل القرىٰ وصالحته الهماهيج ـ صاحبة نهر المرأة ـ ثم رجع إلى البصرة ثم سار نحو السواد فأخذ علىٰ كسكر وزندورد ، واستخلف علىٰ البصرة قطبة بن قتادة السروسي. (تأريخ خليفة/ ١١٨).

والوليد هنا هو الوليد بن هشام بن قحذم بن سليمان بن ذكوان مولىٰ أبي بكرة الثقفي كما قال العمري ، والله أعلم.

ذكر وقعة المذار

١٢٣ ـ قال: وكانت وقعة المذار في صفر سنة اثنتي عشرة، ويومئذ قال الناس: صفر الأصفار، فيه يقتَل كلّ جبَّار، على مجمع الأنهار. حدّثنا عُبيد الله، قال: حدّثني عمِّي عن سيف، عن زياد والمهلَّب، عن عبد الرحمن بن سياه الأحمرِيّ[١]. (٣: ٣٥٣).

١٢٤ ـ وأمَّا فيما كتب به إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، فإنَّه عن سيف، عن المهلّب بن عُقْبة، وزياد بن سَرْجِس الأحمريّ، وعبد الرحمن بن سياه الأحمريّ، وسفيان الأحمريّ، قالوا: وقد كان هُرْمز كتب إلى أردشير وشيري بالخبر بكتاب خالد إليه بمسيره من اليمامة نحوه، فأمدّه بقارِن بن قريانس، فخرج قارن من المدائن مُمِدّاً لهرمز؛ حتى إذا انتهى إلى المذار بلغتْه الهزيمة؛ وانتهت إليه الفُلّال، فتذامَروا، وقال فُلّال الأهواز وفارس لفلّال السواد والجبَل: إن افترقتم لم تجتمعوا بعدَها أبداً؛ فاجتمعوا على العَوْد مرّة واحدة، فهذا مدد الملك، وهذا قارن، لعلّ الله يُديلُنا ويشفينا من عدوّنا ونُدرك بعضَ ما أصابوا منَّا. ففعلوا وعسكروا بالمذار، واستعمل قارن على مجنِّبته قُبَاذ، وأنوشجان، وأرَزَ المثنَّى، والمعنَّى إلى خالد بالخَبر؛ ولمَّا انتهى الخبر إلى خالد عن قارن قسّم الفَيء على مَن أفاءه الله عليه، ونفَّل من الخمْس ما شاء الله، وبعث ببقيَّته وبالفتح إلى أبي بكر وبالخَبَر عن القوم وباجتماعهم إلى الثِّني المغيثِ والمغاث، مع الوليد ابن عُقْبة ـ والعرب تسمي كلّ نهر الثِّنْي ـ وخرج خالد سائراً حتّى ينزل المذار على قارن في جموعه، فالتقوْا وخالد على تعبيته، فاقتتلوا على حَنَقٍ وحفيظة، وخرج قارن يدعو للبراز، فبرز له خالد، وأبيض الركبان معقل بن الأعشى بن النَّبَّاش، فابتدراه، فسبقه إليه معقل، فقتله وقتل عاصِمٌ الأنوشجان، وقتل عديٌّ قُباذ. وكان شرف قارن قد انتهى؛ ثم لم يقاتل المسلمون بعده أحداً انتهى شرفه في الأعاجم، وقُتلت فارس مقتلة عظيمة؛ فضمُّوا السفنَ، ومنعت المياه المسلمين من طلَبهم، وأقام خالد بالمذار، وسلَّم الأسلاب لمن سلَبها بالغةً ما بلغتْ، وقسّم الفيءَ ونفّل من الأخماس أهل

---

(١) إسناده ضعيف.

البلاء، وبعث ببقيّة الأخماس، ووفّد وفداً مع سعيد بن النعمان أخي بني عديّ بن كعب[١]. (٣: ٣٥١/ ٣٥٢).

١٢٥ ـ حدثنا عُبيد الله، قال: حدّثني عمّي عن سيف، عن محمَّد بن عبد الله، عن أبي عثمان، قال: قتل ليلة المذار ثلاثون ألفاً سوَى من غرق، ولولا المياه لأتيَ على آخرهم؛ ولم يفلت منهم من أفلت إلا عُراة وأشباه العراة[٢]. (٣: ٣٥٢).

١٢٦ ـ قال سيف، عن عمرو والمجَالد، عن الشعبيّ، قال: كان أوّل من لقيَ خالد مَهْبَطهُ العراق هرمزَ بالكواظم، ثم نزل الفرات بشاطىء دِجْلة؛ فلم يلقَ كيداً، وتبحبَح بشاطىء دجلة، ثم الثَّنْي، ولم يلقَ بعد هرمز أحداً إلا كانت الوقْعة الآخرة أعظَم من التي قبلها، حتى أتى دُومَةَ الجندل، وزاد سهمُ الفارس في يوم الثِّنْي على سهمه في ذات السلاسل. فأقام خالد بالثِّنْي يسبِي عيالات المقاتلة ومن أعانهم، وأقرَّ الفلاحين ومن أجاب إلى الخراج من جميع الناس بعد ما دُعوا، وكلّ ذلك أخذ عنوةً ولكن دُعوا إلى الجزاء، فأجابوا، وتراجعوا، وصاروا ذمَّة، وصارت أرضهم لهم؛ كذلك جرى ما لم يُقسم، فإذا اقتُسم فلا.

وكان في السّبْي حبيب أبو الحسن ـ يعني: أبا الحسن البصريّ ـ وكان نصرانياً، ومافنَّة مولى عثمان، وأبو زياد مولَى المغيرة بن شعبة.

وأمَّر على الجند سعيد بن النُّعمان، وعلى الجزاء سُوَيد بن مُقرّن المزنيّ، وأمره بنزول الحفير، وأمره ببثّ عُمّاله، ووضع يده في الجباية، وأقام لعدوّه يتحسَّس الأخبار[٣]. (٣: ٣٥٢).

ذكر وقعة الولَجة

١٢٧ ـ ثم كان أمر الولَجة في صفر من سنة اثنتي عشرة؛ والولَجة مما يلي كَسْكر من البرّ.

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

حدّثنا عُبيد الله ، قال: حدّثني عمي ، قال: حَدّثني سَيْف عن عمرو ، والمجالد ، عن الشعبيّ قال: لما فرغ خالد من الثِّني وأتى الخبرُ أردشير؛ بعث الأنْدَرْ زَغَر؛ وكان فارسيّاً من مولَّدي السّواد[1] . (٣: ٣٥٣) .

١٢٨ ـ حدثنا عبيد الله ، قال: حدثني عمّي ، قال: حدثني سيف عن زياد بن سَرْجِس ، عن عبد الرحمن بن سياه ، قال ـ وفيما كتب به إليّ السريّ ، قال: حدّثنا شُعيب؛ قال: حدثنا سَيْف عن المهلَّب بن عُقْبة ، وزياد بن سرجس ، وعبد الرحمن بن سياه ـ قالوا: لمَّا وقع الخبرُ بأردَشير بمصاب قارن ، وأهل المَذَار؛ أرسل الأندرْزَغَر؛ ـ وكان فارسيَّاً من مولّدي السواد وتُنَّائهم؛ ولم يكن ممّن وُلد في المدائن ولا نشأ بها ـ وأرسل بهمن جاذَوَيْه في أثره في جيش ، وأَمَره أن يعبُر طريق الأندرْزَغَر؛ وكان الأندرْزَغر قبل ذلك على فَرْج خُراسان؛ فخرج الأندرْزَغَر سائراً من المَدَائن حتى أتى كَسْكَر ، ثم جازَها إلى الوَلَجة ، وخرج بَهْمَن جاذويه في أثره ، وأخذ غير طريقه ، فسلك وسط السَّواد ، وقد حشر إلى الأندرْزَغَر من بيْن الحيرة وكَسْكَر من عرب الضّاحية والدّهاقين فعسكروا إلى جَنْب عسكره بالوَلَجة؛ فلمَّا اجتمع له ما أراد واستتمّ أعجبه ما هو فيه ، وأجمع السَّيْر إلى خالد؛ ولما بلغ خالداً وهو بالثِّنْيِ خبرُ الأندرْزَغَر ونزوله الولَجة ، نادى بالرّحيل ، وخلَّف سُوَيد بن مقرّن ، وأمره بلزوم الحفير ، وتقدّم إلى مَن خلّف في أسفل دِجْلة ، وأمرهم بالحَذرِ وقلَّة الغَفْلَة ، وترك الاغترار ، وخرج سائراً في الجنود نحو الوَلَجة ، حتى ينزل على الأنْدَرْزَغَر وجنوده ومَنْ تأشّب إليه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً؛ هو أعظم من قتال الثِّنْي[2] . (٣: ٣٥٣) .

١٢٩ ـ حدّثنا عبيد الله ، قال: حدّثني عمّي عن سيف ، عن محمَّد بن أبي عثمان ، قال: نزل خالدٌ على الأندرْ زَغَر بالولَجة في صَفر ، فاقتتلوا بها قتالاً شديداً ، حتى ظنَّ الفريقان أنّ الصبر قد فرغ ، واستبطأ خالد كمينَه؛ وكان قد وضع لهم كميناً في ناحيتيْن ، عليهم بُسْر بن أبي رُهْم ، وسعيد بن مُرّة العِجليّ ، فخرج الكمين في وجْهين ، فانهزمت صفوف الأعاجم وولَّوا ، فأخذهم خالد من

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

بين أيديهم والكمين من خلْفهم ، فلم يرَ رجلٌ منهم مقتلَ صاحبه؛ ومضى الأندرْزَغَر في هزيمته ، فمات عطشاً. وقام خالد في الناس خطيباً يرغِّبهم في بلاد العَجَم ، ويزهّدهم في بلاد العرب ، وقال: ألا تروْن إلى الطَّعام كرفْغَ التراب وبالله لو لم يلزمنا الجهادُ في الله والدعاء إلى الله عزّ وجلّ ولم يكن إلاّ المعاش؛ لكان الرأي أن نقارعَ على هذا الرّيف حتّى نكونَ أولى به ، ونولّي الجوعَ والإقلال مَن تولاّه ممّن اثّاقل عمّا أنتم عليه. وسار خالد في الفلاحين بسيرته فلم يقتلهم ، وسبَى ذراريّ المقاتلة ومن أعانهم ، ودعا أهلَ الأرض إلى الجزاء والذمَّة ، فتراجعوا[١]. (٣: ٣٥٤).

١٣٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ـ وحدّثنا عبيد الله ، قال: حدّثني عمّي عن سيف ـ عن عمرو ، عن الشَّعبيّ ، قال: بارز خالد يوم الوَلَجة رجلاً من أهل فارس يُعدَل بألف رجل فقتله ، فلمّا فرغ اتَّكأ عليه ، ودعا بغدَائه. وأصاب في أناس من بكْر بن وائل ابناً لجابر بن بُجير وابناً لعبد الأسود[٢]. (٣: ٣٥٤).

خبر أُلّيس ، وهي على صُلْب الفرات

١٣١ ـ قال أبو جعفر: حدّثنا عُبيد الله ، قال: حدّثني عمِّي ، قال: حدّثنا سيف عن محمد بن طلحة ، عن أبي عثمان ، وطلحة بن الأعلم عن المغيرة بن عتيبة. وأمَّا السَّريّ فإنَّه قال فيما كتب إليّ: حدّثنا شُعيب عن سيف ، عن محمَّد بن عبد الله عن أبي عثمان ، وطلحة بن الأعلم عن المغيرة بن عُتَيبة ، قالا: ولمَّا أصاب خالد يوم الوَلَجة مَن أصاب من بكْر بن وائل من نصاراهم الَّذين أعانوا أهلَ فارس؛ غضب لهم نصارى قومِهم؛ فكاتبوا الأعاجم ، وكاتبتهم الأعاجم ، فاجتمعوا إلى أُلَّيس ، وعليهم عبد الأسود العِجْليّ ، وكان أشدّ الناس على أولئك النَّصارى مسلمو بني عِجْل: عُتيبة بن النّهاس ، وسعيد بن مُرّة ، وفرات بن حَيَّان ، والمثنّى بن لاحق ، ومذعور بن عديّ. وكتب أردشير إلى

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

بَهمن جاذَوَيْه ، وهو بقُسْيَانا ـ وكان رافدَ فارس في يوم من أيام شَهْرهم وبنوْا شهورَهم كلَّ شهر على ثلاثين يوماً؛ وكان لأهل فارس في كلّ يوم رافد قد نُصب لذلك يرفدُهم عند الملك؛ فكان رافدهم بَهْمَن روز ـ أن سِر حتى تقدَم ألّيس بجيشك إلى مَن اجتمع بها من فارس ونصارى العرب. فقدّم بَهْمَن جاذويه جابان وأمره بالحثّ ، وقال: كفكفْ نفسك وجندَك من قتال القوم حتى ألحق بك إلاّ أنْ يُعجلوك. فسار جابان نحو ألّيس؛ وانطلق بَهْمَن جاذويه إلى أردشير ليُحْدِث به عهداً ، وليستأمره فيما يريد أن يشيرَ به ، فوجده مريضاً؛ فعرَّج عليه ، وأخلَى جابان بذلك الوجه ، ومضى حتى أتى ألَّيْس ، فنزل بها في صفر ، واجتمعت إليه المسالح التي كانت بإزاء العرب؛ وعبد الأسود في نصارى العرب من بني عِجْل وتيمْ الّلات وضُبَيعة وعرب الضاحية من أهل الحيرة؛ وكان جابر بن بجير نصرانياً ، فساند عبد الأسود؛ وقد كان خالد بلغه تجمُّع عبد الأسود وجابر وزُهير فيمنْ تأشَّب إليهم ، فنَهد لهم ، ولا يشعر بدنوّ جابان ، وليست لخالد همة إلاّ من تجمّع له من عَرَب الضّاحية ونصاراهم؛ فأقبل فلمّا طلع على جابان بألَّيْس؛ قالت الأعاجم لجابان: أنعاجلهم أم نغَدّي الناس ولا نريهم أنا نحفِل بهم ، ثم نقاتلهم بعد الفراغ؟ فقال جابان: إن تركوكم والتّهاون بكم فتهاونوا ، ولكن ظنّي بهم أن سيعجلونكم ويعجّلونكم عن الطعام. فعصوه وبسطوا البُسُط ووضعوا الأطعمة ، وتداعوْا إليها ، وتوافوْا عليها. فلمّا انتهى خالد إليهم ، وقف وأمر بحطّ الأثقال ، فلمّا وُضِعت توجَّه إليهم ، ووكَّل خالد بنفسه حوامي يحمُون ظهره ، ثم بَدَرَ أمام الصفّ ، فنادى: أين أبجر؟ أين عبد الأسود؟ أين مالك بن قيس؟ رجلٌ من جَذْرة؛ فنكَلُوا عنه جميعاً إلاّ مالكاً ، فبرز له ، فقال له خالد: يا بنَ الخبيثة ، ما جرَّأك عليَّ من بينهم ، وليس فيك وفاء! فضربه فقتله ، وأجهض الأعاجمَ عن طعامهم قبل أن يأكلوا؛ فقال جابان: ألم أقل لكم يا قومُ! أما والله ما دخلَتْني من رئيس وحشة قطُّ حتى كان اليوم؛ فقالوا حيث لم يقدروا على الأكل تجلّداً: نَدعها حتى نفرغ منهم؛ ونعود إليها. فقال جابان: وأيضاً أظنّكم والله لهم وضعتموها وأنتم لا تشعرون؛ فالآن فأطيعوني؛ سُمّوها؛ فإن كانت لكم فأهوْن هالكِ ، وإن كانت عليكم كنتم قد صنعتم شيئاً؛ وأبلَيْتم عذراً. فقالوا: لا ، اقتداراً عليهم. فجعل جابان على مجنَّبَتَيْه عبد الأسود وأبجر؛ وخالد على تعبئته في الأيام التي قبلها ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، والمشركون يزيدهم كَلَباً وشدَّةً

ما يتوقَّعون من قدوم بَهْمَن جاذويه ، فصابروا المسلمين للّذي كان في علم الله أن يصيِّرَهم إليه ، وحَرِبَ المسلمون عليهم ، وقال خالد: اللهمّ إنَّ لك عليّ إن منحتَنا أكتافَهم ألاّ أستبقي منهم أحداً قدرْنا عليه حتى أجرِيَ نهرَهم بدمائهم!

ثم إنّ الله عزَّ وجلّ كشفَهم للمسلمين ، ومنحَهم أكتافهم ، فأمر خالد مناديَه ، فنادى في الناس: الأسرَ الأسرَ! لا تقتلوا إلاّ مَن امتنع؛ فأقبلت الخيول بهم أفواجاً مستأسرين يساقون سَوْقاً ، وقد وكَّل بهم رجالاً يضربون أعناقهم في النهر ، ففعل ذلك بهم يوماً وليلة ، وطلبوهم الغد وبعد الغد؛ حتى انتهوْا إلى النّهرين ، ومقدارِ ذلك من كلّ جوانب ألّيْس. فضرب أعناقهم ، وقال له القعقاع وأشباهٌ له: لو أنّك قتلتَ أهلَ الأرض لم تجرِ دماؤهم؛ إنّ الدّماء لا تزيد على أن تَرقرَق منذ نُهيتْ عن السَّيَلان ، ونُهيت الأرض عن نَشْف الدماء؛ فأرسل عليها الماء تَبَرّ يمينك. وقد كان صدّ الماءَ عن النَّهر فأعاده ، فجرى دماً عبيطاً فسمِّي نهر الدم لذلك الشأن إلى اليوم[١]. (٣: ٣٥٥/٣٥٦/٣٥٧).

١٣٢ - وقال آخرون منهم بشير بن الخصاصيّة ، قال: وبلغنا: أن الأرض لما نشفتْ دمَ ابن آدم نُهَيتْ عن نَشْف الدماء ، ونُهِيَ الدّم عن السَّيَلان إلا مقدار بَرْدِه.

ولما هُزِم القوم وأجْلُوا عن عسكرِهم ، ورجع المسلمون من طلبهم ودخلوه؛ وقف خالد على الطعام ، فقال: قد نفَّلْتُكموه فهو لكم. وقال: كان رسول الله ﷺ إذا أتى على طعام مصنوع نفّله. فقعد عليه المسلمون لعشائهم بالليل ، وجعل مَنْ لم يرَ الأرياف ولا يعرف الرّقاق يقول: ما هذه الرّقاق البيض! وجعل مَنْ قد عرفها يجيبهم ، ويقول لهم مازحاً: هل سمعتم برقيق العيش؟ فيقولون: نعم ، فيقول: هو هذا؛ فسمي الرّقاق ، وكانت العرب تسمّيه القرَى[٢]. (٣: ٣٥٧).

١٣٣ - حدّثنا عبيدُ الله ، قال: حدّثني عمِّي ، قال: حدّثنا سيف عن عمرو بن محمّد ، عن الشَّعبيّ ، عمَّن حدّث ، عن خالد: أنَّ رسولَ الله ﷺ نفّل الناس يوم خَيْبَر الخبز والطَّبيخ والشِّواء ، وما أكلوا غير ذلك في بطونهم غير متأثّليه[٣]. (٣: ٣٥٧).

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

١٣٤ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن المغيرة ، قال : كانت على النَّهر أرحاء ، فطحنتْ بالماء وهو أحمر قوت العسكر؛ ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون ثلاثة أيام . وبعث خالد بالخبر مع رجل يدعى جَنْدَلاً من بني عجْل ، وكان دليلاً صارماً ، فقدم على أبي بكر بالخَبر ، وبفتح ألَّيْس ، وبقدْر الفيء وبعدّة السَّبْي ، وبما حصل من الأخماس؛ وبأهل البلاء من الناس؛ فلمَّا قدم على أبي بكر ، فرأى صرامته وثباتَ خبره ، قال : ما اسمك؟ قال : جَنْدَل ، قال : ويْهاً جندل!

نَفْـسُ عِصـامٍ سَـوَّدَتْ عِصـامَـا ... وَعَـوَّدَتْـهُ الكـرَّ وَالإقْـدامـا

وأمر له بجارية من ذلك السَّبْي ، فولدت له .

قال : وبلغت قتلاهم من أَلَّيس سبعين ألفاً جلّهم من أمْغِيشيَا .

قال أبو جعفر : قال لنا عبيد الله بن سعد : قال عمّي : سألت عن أمْغِيشيَا بالحيرة فقيل لي : مَنِشِيَا ، فقلت لسيف ، فقال : هذان اسمان[1] (٣ : ٣٥٧/٣٥٨) .

حديث أمْغيشيا

١٣٥ ـ في صفر ، وأفاءَها الله عزّ وجلَّ بغير خيل .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدّثني عمِّي عن سيف ، عن محمد ، عن أبي عثمان ، وطلحة ، عن المغيرة ، قال : لمَّا فَرَغ خالد من وقعة أَلَّيْس ؛ نهض فأتى أمْغِيشيا ، وقد أعجلهم عَمَّا فيها ، وقد جلا أهلُها؛ وتفرّقوا في السَّوَاد ، ومن يومئذ صارت السَّكرات في السَّواد؛ فأمر خالد بهدم أمْغِيشيَا وكلّ شيء كان في حَيِّزها ، وكانت مِصْراً كالحيرة؛ وكان فرات بادَقْلى ينتهي إليها ، وكانت أَلَّيْس من مسالحها ، فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله قطّ[2] . (٣ : ٣٥٨) .

١٣٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن بَحْر بن الفُرات العجليّ ، عن أبيه ، قال : لم يصب المسلمون فيما بين ذات السَّلاسل وأمغيشيا

(١) إسناده ضعيف .
(٢) إسناده ضعيف .

مثل شيءٍ أصابوه في أمغيشيا ، بلغ سهمُ الفارس ألفاً وخمسمئة ، سوى النَّفَل الذي نُفِّلَه أهلُ البلاء. وقالوا جميعاً: قال أبو بكر رحمه الله حين بلغه ذلك: يا معشرَ قريش ! ـ يخبرهم بالذي أتاه ـ: عدا أسدُكم على الأسد فغلَبه على خراذيله؛ أعجزت النساء أن ينسلن مثل خالد ؟![1] (٣: ٣٥٨/ ٣٥٩).

حديث يوم المَقْر وفم فُرات بادَقْلَى

١٣٧ ـ قال أبو جعفر: كتب إليّ السَّريّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن أبي عثمان وطلحة ، عن المغيرة: أن الآزاذبه كان مرزُبان الحيرة أزمان كسرى إلى ذلك اليوم؛ فكانوا لا يمدُّ بعضُهم بعضاً إلاّ بإذن الملك ، وكان قد بلغ نصف الشَّرَف ، وكان قيمة قَلَنْسُوته خمسين ألفاً؛ فلما أخرب خالد أمغيشيا ، وعاد أهلها سَكَرات لدهاقين القرى علم الآزاذبه أنَّه غيرُ متروك ، فأخذ في أمره وتهيَّأ لحرب خالد ، وقدّم ابنه ثم خرج في أثرِه حتى عسكر خارجاً من الحيرة؛ وأمر ابنه بسدّ الفرات ، ولما استقلّ خالد من أمغيشيا وحمل الرَّجْل في السفن مع الأنفال والأثقال ، لم يفجَأ خالدٌ إلاّ والسفنُ جوانح ، فارتاعوا لذلك ، فقال الملاّحون: إن أهلَ فارس فجّروا الأنهار؛ فسلك الماء غير طريقه؛ فلا يأتينا الماء إلاّ بسدّ الأنهار ، فتعجَّل خالد في خيلٍ نحو ابن الآزاذبه ، فتلقَّاه على فمِ العتيق خيلٌ من خيله؛ فجأهم وهم آمنون لغارة خالد في تلك الساعة ، فأنامهم بالمقْر ، ثم سار من فَوْرِه وسبق الأخبارَ إلى ابنِ الآزاذبه حتَّى يلقاه وجندَه على فم فرات بادَقْلَى؛ فاقتتلوا فأنامهم؛ وفجَّر الفرات وسدّ الأنهار وسلك الماءُ سبيلَه[2] . (٣: ٣٥٩).

١٣٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمَّد ، عن أبي عثمان، وطلحة عن المغيرة ، وبحر عن أبيه ، قالوا. وحدّثنا عبيدُ الله ، قال: حدّثني عمّي ، قال: حدّثنا سيفٌ عن محمَّد ، عن أبي عثمان ، وطلحة عن المغيرة ، قالا: لمّا أصابَ خالد ابن الآزاذبه على فم فرات بادَقْلَى ، قصد للحيرة ، واستلحق أصحابه ، وسار حتى ينزل بين الخوَرْنَق والنَّجَف ، فقدم

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

خالد الخورنَق ، وقد قطع الآزاذبه الفُرات هارباً من غير قتال؛ وإنّما حداه على الهَرَب : أنّ الخبر وقع إليه بموت أردشير ومصاب ابنه ، وكان عسكره بين الغَريّين والقصر الأبيض. ولمّا تتامّ أصحابُ خالد إليه بالخورنق خرج من العسكر حتى يعسكر بموضع عسكر الآزاذبه بين الغريّين والقصر الأبيض ، وأهلُ الحيرة متحصنون ، فأدخل خالد الحيرة الخيلَ من عسكره ، وأمر بكلّ قصر رجلاً من قوّاده يحاصر أهلَه ويقاتلهم ، فكان ضرار بن الأزور محاصراً القصر الأبيض ، وفيه إياس بن قَبيصة الطائي ، وكان ضرار بن الخطاب محاصراً قصر العدَسيين وفيه عديّ بن عديّ المقتول ، وكان ضرار بن مقرّن المزنيّ عاشر عشرة إخوة له محاصراً قصرَ بني مازن ، وفيه ابن أكّال؛ وكان المثنّى محاصراً قصر ابن بُقيلة وفيه عمرو بن عبد المسيح؛ فدعوهم جميعاً ، وأجّلُوهم يوماً ، فأبى أهلُ الحيرة ولجُّوا ، فناوشهم المسلمون[1]. (٣: ٣٥٩/ ٣٦٠).

١٣٩ ـ حدّثني عبيدُ الله بن سعد ، قال: حدّثني عمّي عن سيف ، عن الغُصْن ابن القاسم ، رجل من بني كنانة ـ قال أبو جعفر: هكذا قال عُبيد الله. وقال السَّريّ فيما كتب به إليّ: حدّثنا شُعيب عن سيف ، عن الغصن بن القاسم ، عن رجل من بني كنانة ـ قال: عهد خالد إلى أمرائه أن يبدؤوا بالدّعاء ، فإن قَبِلُوا؛ قبلوا منهم ، وإن أبَوا؛ أن يؤجّلوهم يوماً ، وقال: لا تمكّنوا عدوّكم من آذانكم ، فيتربّصوا بكم الدوائر؛ ولكن ناجزُوهم ولا تُرَدّدُوا المسلمين عن قتال عدوّهم. فكان أوّل القُوّاد أنشب القتال بعد يوم أجلوهم فيه ضرار بن الأزور ، وكان على قتال أهل القَصْر الأبيض ، فأصبحوا وهم مشرفُون؛ فدعاهم إلى إحدى ثلاث: الإسلام ، أو الجِزَاء ، أو المنابذة ، فاختاروا المنابذة وتنادوا: عليكم الخزازيف ، فقال ضرار: تنحَّوْا لا ينالكم الرّمي؛ حتى ننظر في الذي هتفوا به. فلم يلبث أن امتلأ رأسُ القصر من رجال متعلّقي المخالي ، يرمون المسلمين بالخزازيف ـ وهي المداحي من الخَزَف ـ فقال ضرار: ارشقوهم ، فدنوْا منهم فرشقُوهم بالنَّبْل ، فأعروْا رؤوس الحيطان ، ثم بَثُّوا غارتهم فيمن يليهم ، وصبّح أمير كلّ قوم أصحابه بمثل ذلك ، فافتتحوا الدُّور والدّيرات ، وأكثروا القتل ، فنادى القسيسون والرُّهبان: يا أهلَ القصور ! ما يقتلنا غيركم. فنادى أهل

---

(١) إسناده ضعيف.

القصور: يَا معشرَ العرب ! قد قبِلْنا واحدة من ثلاث؛ فادعوا بنا وكُفّوا عنّا حتَّى تبلغونا خالداً. فخرج إياس بن قَبيصة وأخوه إلى ضرار بن الأزور، وخرج عديّ بن عديّ وزيد بن عديّ إلى ضرار بن الخطاب ـ وعديّ الأوسط الذي رثته أمّه وقتل يوم ذي قَار ـ وخرج عمرو بن عبد المسيح وابن أكّال، هذا إلى ضرار بن مقرّن، وهذا إلى المثنَّى بن حارثة، فأرسلوهم إلى خالد وهم على مواقفهم[1]. (٣: ٣٦٠/ ٣٦١).

١٤٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد عن أبي عثمان، وطلحة عن المغيرة قالا: كان أوّل مَنْ طلب الصلح عمرو بن عبد المسيح بن قيس بن حيّان بن الحارث وهو بُقَيْلة ـ وإنما سُمي بُقَيلة؛ لأنه خرج على قومه في برْدَيْن أخضرين، فقالوا: يا حارِ ما أنت إلا بُقَيلة خضراء ـ وتتابعوا على ذلك، فأرسلهم الرؤساء إلى خالد، مع كلّ رجل منهم ثقة؛ ليصالح عليه أهلَ الحصن، فخلا خالد بأهلِ كلّ قصرٍ منهم دون الآخرين، وبدأ بأصحاب عديّ، وقال: ويحكم! ما أنتم! أعرب؟ فما تنقمون من العرب! أو عجم؟ فما تنقمون من الإنصاف والعدل! فقال له عديّ: بل عرب عاربة وأخرى متعرّبة، فقال: لو كنتم كما تقولون لم تحادُّونا وتكرهوا أمرنا، فقال له عديّ: ليَدلّك على ما نقول أنَّه ليس لنا لسان إلاّ بالعربية، فقال: صدقتَ. وقال: اختاروا واحدة من ثلاث: أن تدخلوا في ديننا فلكم مالنا وعليكم ما علينا إن نهضتم وهاجرتم وإنْ أقمتم في دياركم، أو الجزية، أو المنابذة والمناجزة؛ فقد والله أتيتُكم بقوم هم على الموت أحرصُ منكم على الحياة، فقال: بل نعطيك الجِزْية، فقال خالد: تبّاً لكم، ويحكم! إنّ الكُفْر فلاة مَضَلَّة، فأحمقُ العرب مَن سلكها فلقيه دليلان: أحدهما عربيّ فتركه واستدلّ الأعجميّ. فصالحوه على مئة ألف وتسعين ألفاً؛ وتتابعوا على ذلك، وأهْدَوْا له هَدَايا، وبعث بالفتح والهدايا إلى أبي بكر رحمه الله مع الهذيل الكاهليّ، فقبلها أبو بكر من الجِزَاء، وكتب إلى خالد أن احسبْ لهم هديّتهم من الجِزَاء، إلاّ أن تكون من الجِزَاء، وخذ بقيَّة ما عليهم فَقوِّ بها أصحَابك. وقال ابنُ بُقَيْلة:

أَبَعْـدَ المُنْـذِريْـنِ أَرَى سَـوامـاً ... تـرَوَّحُ بَـالخـوَرْنَـق والسَّـديـر!

---

(١) إسناده ضعيف.

وَبَعْـدَ فَـوَارِسِ النُّعْمَـانِ أَرْعـى ... قلـوصـاً بيـن مُـرَّةَ والحفيـرِ
فَصِـرْنـا بعـد هلـك أبـي قُبَيْـس ... كجُـرْب المَعْـز فـي اليـوم المَطِيـرِ
تَقَسَّمُنَـا القبـائـلُ مِـنْ مَعَـدٍّ ... عـلانيَـةً كـأَيْسـارِ الجـزُورِ
وَكُنّـا لا يُـرامُ لنـا حَـريـمٌ ... فنَحْـنُ كضَـرَّةِ الضـرْعِ الفَخُـورِ
نـؤدّي الْخَـرْجَ بعـد خَـراجِ كِسْـرَى ... وخَـرْجٍ مِـنْ قُـرَيْظَـةَ والنَّضيـرِ
كـذاك الـدَّهْـرُ دَوْلَتُـه سِجـالٌ ... فيَـوْمٌ مِـنْ مَسـاءَةٍ أو سُـرُورِ[1]

(٣: ٣٦١/ ٣٦٢).

١٤١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن الغصن بن القاسم عن رجل من بني كنانة، ويونس بن أبي إسحاق بنحو منه، وقالا: فكانوا يختلفون إليه ويقدَمُون في حوائجهم عمرو بن عبد المسيح، فقال له خالد: كم أتتْ عليك من السنين قال: مئو سنين، قال: فما أعجبُ ما رأيت؟ قال: رأيتُ القرى منظومةً ما بين دمشق والحيرة، تخرجُ المرأة من الحيرة فلا تُزَوّدُ إلا رغيفاً. فتبسّم خالد، وقال:

* هل لك من شَيخك إلا عَمَلُهْ *

خرِفْتَ والله يا عمرو! ثم أقبل على أهل الحيرة فقال: ألم يبلغني أنّكم خَبَثَة خَدَعَة مكَرة! فما لكم تتناولون حوائجكم بخرِف لا يدري من أين جاء! فتجاهل له عمرو، وأحبَّ أن يريَه من نفسه ما يَعْرِفُ به عقلَه، ويستدلّ به على صحَّة ما حدّثه به، فقال: وحقِّك أيها الأمير، إنِّي لأعرف من أين جئتُ! قال: فمن أين جئتَ؟ قال: أقْرب أم أبْعِد؟ قال: ما شئت، قال: من بَطْن أمّي، قال: فأين تريد؟ قال: أمامي، قال: وما هو؟ قال: الآخرة. قال: فمن أين أقصَى أثرِك؟ قال: من صُلْب أبي، قال: ففيم أنت؟ قال: في ثيابي، قال: أتعقل؟ قال: إي والله وأقيِّد. قال: فوجده حين فَرّه عضّاً، وكان أهل قريته أعلم به ـ فقال خالد: قتلت أرْضٌ جاهلَها، وقَتَل أرْضاً عالمها؛ والقوم أعلم بما فيهم. فقال عمرو: أيُّها الأمير، النملة أعلم بما في بيتها من الجَمل بما في بيت النَّملة[2] (٣: ٣٦٢/ ٣٦٣).

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

١٤٢ ـ وشاركهم في هذا الحديث من هذا المكان محمد بن أبي السَّفَر عن ذي الجوشن الضِّبابيّ ، وأمَّا الزهريّ فإنه حدثنا به ، فقال : شاركهم في هذا الحديث رجل من الضِّباب .

قالوا : وكان مع ابن بُقيلة مَنْصفٌ له فعلّق كيساً في حَقوِه ، فتناول خالد الكيس ، ونثر ما فيه في راحته ، فقال : ما هذا يا عمرو؟ قال : هذا وأمانة الله سَمّ ساعة ، قال : لِمَ تحتقب السمّ؟ قال : خشيت أن تكونوا على غير ما رأيتُ ، وقد أتيتُ على أجلي ، والموت أحبُّ إليّ من مكروه أدخله على قومي وأهل قريتي . فقال خالد : إنَّها لن تَموت نفْسٌ حتى تأتيَ على أجلِها ، وقال : بسم الله خير الأسماء ، ربّ الأرض وربّ السماء ، الذي ليس يضرّ مع اسمه داء ، الرحمن الرحيم . فأهَوْوا إليه ليمنعوه منه ، وبادرهم فابتلعه ، فقال عمرو : والله يا معشَر العرب لتملكُنّ ما أردتم ما دام منكم أحد أيّها القَرن ! وأقبل على أهل الحيرة ، فقال : لم أر كاليوم أمراً أوضحَ إقبالاً !

وأبى خالد أن يكاتبَهم إلاّ على إسلام كرامةَ بنت عبد المسيح إلى شُوَيل ؛ فثقُل ذلك عليهم ، فقالت : هوّنوا عليكم وأسلموني ، فإنّي سأفتدي . ففعلوا ؛ وكتب خالد بينه وبينهم كتاباً :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عديّاً ، وعمراً ابنيْ عديّ ، وعمرو بنَ عبد المسيح ، وإياس بنَ قَبيصة ، وحيريّ بن أكّال ـ وقال عبيد الله : جبريّ ـ وهم نقباء أهل الحيرة ؛ ورضيَ بذلك أهلُ الحيرة ، وأمروهم به ـ عاهدهم على تسعين ومئة ألف درهم ، تُقبَل في كلّ سنة جزاءً عن أيديهم في الدنيا ؛ رهبانهم وقسّيسهم ؛ إلاّ مَن كان منهم على غير ذي يدٍ ، حبيساً عن الدنيا ، تاركاً لها ـ وقال عبيدُ الله : إلاّ من كان غير ذي يد حبيساً عن الدنيا ، تاركاً لها ـ أو سائحاً تاركاً للدنيا ، وعلى المنَعة ، فإن لم يمنعهم فلا شيء عليهم حتى يمنعهم ، وإن غدروا بفعل أو بقوْل فالذمّة منهم بريئة . وكُتِب في شهر ربيع الأول من سنة اثنتي عشرة ، ودفع الكتاب إليهم .

فلما كفر أهلُ السَّواد بعد موت أبي بكر استخفُّوا بالكتاب ، وضيَّعوه ، وكفروا فيمن كفر ، وغلب عليهم أهل فارس ؛ فلما افتتح المثنَّى ثانية ؛ أدْلَوْا بذلك ، فلم يجبْهم إليه ، وعاد بشرط آخر ؛ فلما غُلب المثنَّى على البلاد كَفروا

وأعانوا واستخفُّوا وأضاعوا الكتاب. فلمَّا افتتحها سعد ، وأدْلَوا بذلك سألهم واحداً من الشّرْطين ، فلم يجيئوا بهما؛ فوضع عليهم وتحرّى ما يرى أنهم مُطيقون ، فوضع عليهم أربعمئة ألف سوى الحَرَزة ـ قال عبيدُ الله: سوى الخرَزة[1] (٣: ٣٦٣/ ٣٦٤).

١٤٣ ـ حدثنا عبيد الله ، قال: حدثني عمي ، عن سيف ـ والسري ، عن شُعيب ، عن سيف ـ عن الغُصن بن القاسم الكنانيّ ، عن رجل من بني كنانة ، ويونس بن أبي إسحاق ، قالا: كان جرير بن عبد الله ممنّ خرج مع خالد بن سعيد بن العاصي إلى الشأم، فاستأذن خالداً إلى أبي بكر؛ ليكلّمه في قومه ، وليجمَعهم له ـ وكانوا أوزاعاً في العرب ـ وليتخلّصهم ، فأذن له ، فقدم على أبي بكر، فذكر له عدَةً من النبيّ ﷺ وأتاه على العدَة بشهود، وسأله إنجاز ذلك، فغضب أبو بكر، وقال له: ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث المسلمين ممن بإزائهم من الأسديْن فارس والروم؛ ثم أنْتَ تكلّفني التّشاغُل بما لا يغني عمَّا هو أرضى لله ولرسوله! دعْنِي وسِرْ نحو خالد بن الوليد حتى أنظر ما يحكم الله في هذين الوجْهيْن.

فسار حتى قدِم على خالد وهو بالحيرة ، ولم يشهد شيئاً ممَّا كان بالعراق إلاّ ما كان بعد الحيرة؛ ولا شيئاً ممَّا كان خالد فيه من أهل الرّدّة. وقال القعقاع بن عمرو في أيام الحيرة:

سَقَى اللهُ قَتْلَى بالفُراتِ مُقيمَةً ... وأخْرَى بأَثْباجِ النّجافِ الكوانِفِ
فنحْنُ وَطِئنا بالْكواظِم هُرْمزاً ... وبالثِّنْي قَرْنَيْ قارِنٍ بالجَوارِفِ
ويَوْمَ أحَطْنا بالقُصُورِ تتابَعتْ ... على الحيرَةِ الرَّوحاءِ إحْدَى المَصارِفِ
حطَطْناهُمُ مِنها وقَدْ كادَ عَرْشُهُمْ ... يميلُ بهم ، فِعْلَ الجبانِ المُخَالِفِ
رَمَيْنا عَلَيهِم بالْقَبُولِ وقَدْ رَأَوْا ... غبُوقَ المنايا حَوْلَ تِلكَ المَحارِفِ
صَبِيحَةَ قالوا نَحْنُ قَوْمٌ تَنَزّلُوا ... إلى الرِّيفِ من أرضِ العُرَيْبِ المقانِفِ[2]

(٣: ٣٦٥).

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

خبر ما بعد الحيرة

١٤٤ ـ حدّثنا عبيد الله بن سعد الزهريّ ، قال: حدّثني عمّي عن سيف ، عن جميل الطائيّ ، عن أبيه ، قال: لما أعطيَ شُوَيل كرامةَ بنت عبد المسيح قلت لعديّ بن حاتم: ألا تعجبُ من مسألة شويل كرامةَ بنت عبد المسيح على ضَعْفه! قال: كان يَهْرِف بها دهرَه ، قال: وذلك أنّي لما سمعت رسول الله ﷺ يذكر ما رُفع له من البلدان ، فذكر الحيرة فيما رُفع له ، وكأنّ شُرَف قصورها أضراسُ الكلاب؛ عرفت أن قد أريَها، وأنها ستفتح، فلقّيتُه مسألتها[١]. (٣: ٣٦٥/٣٦٦).

١٤٥ ـ وحدّثنا عبيد الله ، قال: حدّثني عمّي عن سيف ، قال: قال لي عمرو ، والمجالد عن الشعبيّ ـ والسريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبيّ ـ قال: لما قدم شُوَيل إلى خالد ، قال: إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يذكر فتحَ الحيرة ، فسألتُه كرامةَ ، فقال: «هي لك إذا فتحت عنوةً». وشُهد له بذلك ، وعلى ذلك صالحهم؛ فدفعها إليه ، فاشتدّ ذلك على أهلِ بيتها وأهل قرْيتها ما وقعت فيه ، وأعظموا الخَطَر ، فقالت: لا تُخطروه ، ولكن اصبروا؛ ما تخافون على امرأة بلغت ثمانين سنة! فإنّما هذا رجلٌ أحمقُ رآني في شبيبتي فظن: أنّ الشباب يدوم. فدفعوها إلى خالد؛ فدفعها خالد إليه ، فقالت: ما أرَبُك إلى عجوز كما ترى! فَادِني ، قال: لا ، إلاّ على حُكْمي ، قالت: فلك حكمك مُرسَلاً. فقال: لستُ لأمِّ شويل إن نقَصْتُك من ألف درهم! فاستكثرتْ ذلك لتخدَعه ، ثم أتته بها. فرجَعتْ إلى أهلها ، فتسامع الناس بذلك ، فعنّفوه ، فقال: ما كنت أرى أن عدداً يزيد على ألف! فأبوْا عليه إلاّ أن يخاصمهم فخاصمهم ، فقال: كانت نيّتي غاية العدد ، وقد ذكروا أنّ العدد يزيد على ألف ، فقال خالد: أردتَ أمراً وأراد الله غيره؛ نأخذ بما يظهر ونَدَعك ونيّتك ، كاذباً كنت أو صادقاً[٢]. (٣: ٣٦٦).

١٤٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبيّ ،

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

قال: لمَّا فتح خالد الحيرةَ صلَّى صلاةَ الفتح ثمانيَ ركعات لا يسلّم فيهنّ ، ثم انصرف ، وقال: لقد قاتلت يوم مُؤتَة فانقطع في يدي تسعةُ أسياف ، وما لقيت قوماً كقوم لقيتُهم من أهل فارس؛ وما لقيت من أهل فارسَ قوماً كأهل أُلَّيْس![1] (٣: ٣٦٦/ ٣٦٧).

١٤٧ ـ حدّثنا عُبيد الله ، قال: حدّثني عمّي عن سيف ، عن عمرو والمجالد، عن الشعبيّ ، قال: صلَّى خالد صلاة الفتح ، ثم انصرف. ثم ذكر مثل حديث السريّ[2]. (٣: ٣٦٧).

١٤٨ ـ حدّثنا عبيدُ الله ، قال: حدّثني عمّي عن سيف ـ والسريّ ، عن شعيب ، عن سيف ـ عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قَيْس بن أبي حازم ـ وكان قدِم مع جرير على خالد ـ قال: أتينَا خالداً بالحيرة وهو متوشّح قد شدّ ثوبه في عُنُقه يصلّي فيه وحده ، ثمّ انصرف ، فقال: اندقّ في يدي تسعةُ أسياف يوم مُؤْتة ، ثم صبَرَتْ في يدي صَفِيحةٌ يمانيَة ، فما زالت معي[3]. (٣: ٣٦٧).

١٤٩ ـ حدّثنا عبيدُ الله ، قال: حدّثني عمّي عن سيف ، عن محمد بن عبد الله عن أبي عثمان وطلحة بن الأعلم عن المغيرة بن عُتيبة والغصن بن القاسم ، عن رجل من بني كنانة وسفيان الأحمريّ عن ماهان ، قال: ولمَّا صالحَ أهلُ الحيرة خالداً خرج صَلُوبا بن نسطونا صاحب قُسِ النَّاطف ، حتى دخل على خالد عسكره؛ فصالحه على بانِقْيا وَبَسْما ، وضمِن له ما عليهما وعلى أرضيهما من شاطئ الفرات جميعاً ، واعتقد لنفسه وأهلِه وقومه على عشرة آلاف دينار سوى الخَرزة ، خرزة كسرى؛ وكانت على كلّ رأس أربعة دراهم ، وكتب لهم كتاباً فتمّوا وتمّ ، ولم يتعلّق عليه في حالِ غلبة فارس بغدْرٍ ، وشاركهم المجالد في الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتابٌ من خالد بن الوليد لصلُوبا بن نَسْطونا وقومه: إنِّي عاهدتكم على الجِزْية والمَنَعة على كل ذي يدٍ؛ بانقيا وبَسْما جميعاً ،

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

على عشرة آلاف دينار سوى الخَرَزَة، القويّ على قدر قوّته، والمقلّ على قدر إقلاله، في كلّ سنة. وإنّك قد نُقِّبْتَ على قومك، وإنّ قومك قد رضُوا بكَ، وقد قبلتُ ومَن معي من المسلمين، ورضيتُ ورضيَ قومُك؛ فلكَ الذّمَّة والمنَعة؛ فإن منعناكم فلنا الجزية؛ وإلاّ فلا حتى نمنعكم. شهد هشام بن الوليد، والقعقاع بن عمرو، وجرير بن عبد الله الحميريّ، وحنظلة بن الربيع. وكتب سنة اثنتي عشرة في صفر[1] (٣: ٣٦٧/٣٦٨).

١٥٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن عبد الله، عن أبي عثمان، عن ابن أبي مُكنِف، وطلحة عن المغيرة، وسفيان عن ماهان. وحدّثنا عبيدُ الله، قال: حدّثني عمّي عن سيف، عن محمّد، عن أبي عثمان، وطلحة عن المغيرة، قال: كان الدّهاقين يتربّصون بخالد وينظُرون ما يصنع أهلُ الحيرة. فلمّا استقامَ ما بين أهل الحيرة وبين خالد، واستقاموا له أتته دَهاقين الملطاطين، وأتاه زاذ بن بُهَيْش دهقان فُرات سِرْيَا، وصَلُوبا بن نسطونا بن بَصْبَهْرَى ـ هكذا في حديث السريّ، وقال عبيد الله: صلوبا بن بصبهرى ونسطونا ـ فصالحوه على ما بين الفلاليج إلى هُرْمُزْجِرْدَ على ألفَيْ ألف ـ وقال عبيد الله في حديثه: على ألف ألف ثقيل ـ وأنّ للمسلمين ما كان لآل كسرى، ومَن مالَ معهم عن المقام في داره فلم يدخل في الصلح. وضرب خالد رِواقه في عسكره، وكتب لهم كتاباً:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من خالد بن الوليد لزاذ بن بُهَيش وصَلُوبا بن نسطونا؛ لكم الذّمَّة وعليكم الجزية، وأنتم ضامنون لمن نُقِّبتُم عليه من أهل البهْقُباذ الأسفل والأوسط ـ وقال عبيد الله: وأنتم ضامنون جزية من نُقِّبتم عليه ـ على ألفي ألف ثقيل في كل سنة؛ عن كلّ ذي يد سوى ما على بانِقْيا وبَسْما وإنّكم قد أرضيتموني والمسلمين؛ وإنا قد أرضيناكم وأهل البِهْقُباذ الأسفل؛ ومن دخل معكم من أهل البِهْقُباذ الأوسط على أموالكم؛ ليس فيها ما كان لآل كسرى ومن مال ميلَهم. شهد هشام بن الوليد، والقعقاع بن عمرو، وجرير بن عبد الله الحِميريّ، وبشيرِ بن عبيد الله بن الخصاصيّة، وحنظلة بن الربيع، وكتب سنة اثنتي عشرة في صَفر.

---

(١) إسناده ضعيف.

وبعث خالد بن الوليد عمَّاله، ومسالحه ، فبعث في العمالة عبد الله بن وثيمة النَّصْريّ ، فنزل في أعلى العمل بالفلاليج على المَنَعة وقبض الجزية ، وجرير بن عبد الله على بانقيا ، وبَسْما ، وبشيرَ بن الخصاصيَّة على النَّهْرَيْن ، فنزل الكُوَيْفة ببانبورا ، وسُوَيدَ بن مقرّن المزنيّ إلى نستَر ، فنزل العَقْر ـ فهي تسمَّى عَقْر سُوَيد إلى اليوم ، وليست بسويد المنقريّ سمّيت ـ وأطّ بن أبي أطّ إلى روذمستان ، فنزل منزلاً على نهر ، سُمّيَ ذلك النهر به ـ ويقال له: نهر أطّ إلى اليوم؛ وهو رجل من بني سعد بن زيد مناة؛ فهؤلاء كانوا عمالَ الخَراجِ زمنَ خالد بن الوليد.

وكانت الثُّغور في زمن خالد بالسِّيب ، بعث ضرار بن الأزور ، وضرار بن الخطاب ، والمثنّى بن حارثة ، وضرار بن مقرّن ، والقعقاع بن عمرو ، وبُسر بن أبي رُهْم وعُتَيْبة بن النَّهاس فنزلوا على السِّيْب في عَرْض سلطانه. فهؤلاء أمراءُ ثغور خالد. وأمرهم خالد بالغَارة والإلحاح ، فمخرُوا ما وراء ذلك إلى شاطىء دِجْلة.

قالوا: ولمَّا غلب خالد على أحد جانبي السواد ، دعا من أهل الحيرة برجل ، وكتب معه إلى أهل فارس وهم بالمدائن مختلفون متساندون لموت أردشير؛ إلا أنهم قد أنزلوا بهمن جاذويه ببَهُرَ سير؛ وكأنَّه على المقدّمة ، ومع بهمن جاذويه الآزاذبه في أشباه له ، ودعا صلوبا برجُلٍ ، وكتب معهما كتابيْن؛ فأمَّا أحدُهما فإلى الخاصّة وأما الآخر فإلى العامَّة؛ أحدهما حيريّ والآخر نَبَطّي.

ولما قال خالد لرسول أهل الحيرة: ما اسمك؟ قال: مُرّة ، قال: خذ الكتاب فائت به أهل فارس ، لعلّ الله أن يُمِرَّ عليهم عيشَهم ، أو يُسلموا ، أو ينيبوا. وقال لرسول صلوبا: ما اسمك؟ قال: هِزْقيل ، قال: فخذ الكتاب. وقال: اللهمّ أزهق نفوسَهم[1]. (٣: ٣٦٨/ ٣٦٩/ ٣٧٠).

١٥١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد وغيره ، بمثله. والكتابان:

بسم الله الرحمن الرحيم. من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس؛ أمّا بعدُ؛ فالحمد لله الذي حلّ نظامكم ، ووهّن كيدكم ، وفرّق كلمتكم ، ولو لم يفعل

---

(١) إسناده ضعيف.

ذلك بكم كان شرّاً لكم؛ فادخلوا في أمرنا نَدعكم وأرضَكم، ونجُوزكم إلى غيركم، وإلاّ كان ذلك وأنتم كارهون على غَلَبٍ، على أيدي قومٍ يحبّون الموت كما تحبّون الحياة.

بسم الله الرحمن الرحيم. من خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس؛ أمَّا بعد فأسلموا تسلَموا؛ وإلاّ فاعتقدوا مني الذّمَّة، وأدُّوا الجزْية، وإلاّ فقد جئتكم بقوم يحبّون الموت، كما تحبّون شُربَ الخمر[١]. (٣: ٣٧٠).

١٥٢ ـ حدّثني عبيدُ الله، قال: حدّثني عمّي عن سيف، عن محمَّد بن نويرة، عن أبي عثمان. والسريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن عبد الله، عن أبي عثمان والمهلب بن عُقْبة وزياد بن سَرْجِس، عن سياه، وسفيان الأحمريّ، عن مَاهَان: أن الخراج جُبِيَ إلى خالد في خمسين ليلة، وكان الّذين ضَمِنوه والذين هم رؤوس الرساتيق رُهُناً في يده، فأعطى ذلك كلَّه للمسلمين، فقوُوا به على أمورهم. وكان أهلُ فارس بموت أردشير مختلفين في المُلْك، مجتمعين على قتال خالد، متساندين؛ وكانوا بذلك سنةً، والمسلمون يمخرُون ما دون دَجْلة، وليس لأهل فارس فيما بين الحيرة ودجلة أمْر؛ وليست لأحد منهم ذمَّة إلاّ الذين كاتبوه، واكتتبوا منه، وسائر أهل السواد جُلاّء، ومتَحصّنون، ومحاربون. واكتُتب عمّال الخراج، وكتبوا البراءات لأهل الخراج، من نسخة واحدة:

بسم الله الرحمن الرحيم. براءة لمن كان من كذا وكذا من الجِزْية الّتي صالحهم عليها الأمير خالدُ بن الوليد، وقد قبضت الّذي صالحهم عليه خالد، وخالد والمسلمون لكم يَدٌ على من بَدّل صلح خالد؛ ما أقررتم بالجزية وكففتم. أمانكم أمان، وصلحكم صلح؛ نحن لكم على الوفاء.

وأشهدوا لهم النَّفر من الصحابة الّذين كان خالد أشهدهم: هشاماً، والقعقاع، وجابر بن طارق، وجريراً، وبشيراً، وحنظلة، وأزداذ، والحجّاج بن ذي العُنُق، ومالك بن زيد[٢]. (٣: ٣٧٠/ ٣٧١).

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

١٥٣ ـ حدّثنا عُبيد الله، قال: حدّثني عمّي عن سيف، عن عطية بن الحارث، عن عبد خير، قال: وخرجَ خالدٌ وقد كتب أهل الحيرة عنه كتاباً: إنَّا قد أدَّيْنا الجِزْية الَّتي عاهدَنا عليها خالدٌ العبد الصالح والمسلمون عباد الله الصالحون، على أن يمنعونا وأميرهم البغيَ من المسلمين وغيرهم[١]. (٣: ٣٧١).

١٥٤ ـ وأمَّا السريّ؛ فإنه قال في كتابه إليّ: حدثنا شُعيب عن سيف، عن عطية بن الحارث، عن عبد خير، عن هشام بن الوليد، قال: فرغ خالد . . . ثم سائر الحديث مثل حديث عبيد الله بن سعد[٢]. (٣: ٣٧١).

١٥٥ ـ حدّثنا عُبيد الله، قال: حدّثني عمّي عن سيف، والسريّ عن شعيب، عن سيف، عن عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ابن الهذيل الكاهلي نحواً منه، قالوا: وأمر الرسولين اللَّذَيْن بعثهما أن يوافيَاه بالخبر، وأقام خالد في عَمَلِه سنة، ومنزله الحيرة، يصعّد ويصوّب قبل خروجه إلى الشأم، وأهل فارس يخلعون ويملّكون؛ ليس إلاّ الدّفع عن بَهُرَ سِير؛ وذلك أن شِيرَى بن كسرى قتل كلّ مَن كان يناسبه إلى كسرى بن قُباذ، ووثب أهل فارس بعده وبعد أردشير ابنه، فقتلوا كلّ مَن بين كسرى بن قُباذ وبيْن بَهْرام جور، فبقُوا لا يقدرون على من يملّكونه ممن يجتمعون عليه[٣]. (٣: ٣٧١).

١٥٦ ـ حدّثنا عبيدُ الله، قال: حدّثني عمِّي، قال: حدّثني سيف عن عمرو، والمجالد عن الشعبيّ، قال: أقام خالدٌ بن الوليد فيما بين فتح الحيرة إلى خروجه إلى الشأم أكثرَ من سنة، يعالج عَمَل عياض الذي سُمِّيَ له، وقال خالد للمسلمين: لولا ما عهد إليّ الخليفة لم أتَنَقّذ عياضاً، وكان قد شجيَ وأشجى بدُومة، وما كان دون فتح فارس شيء؛ إنها لسنة كأنها سنة نساء. وكان عهد إليه ألاّ يقتحم عليهم وخلفه نظام لهم. وكان بالعيْن عسكر لفارس، وبالأنبار آخر، وبالفراض آخر. ولما وقعت كُتب خالد إلى أهل المدائن؛ تكلَّم نساء آل كسرى، فوُلّي الفرُّخْزاذ بن البنْدوان إلى أن يجتمع آل كسرى على رجل إن وجدوه[٤]. (٣: ٣٧٢).

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) إسناده ضعيف.

١٥٧ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله عن أبي عثمان ، وطلحة عن المغيرة ، والمهلَّب عن سياه ، وسُفيان عن ماهان ، قالوا: كان أبو بكر رحمه الله قد عهد إلى خالد أن يأتيَ العراق من أسفل منها ، وإلى عياض أن يأتيَ العراق من فَوْقِها ، وأيّكما سبق إلى الحيرة فهو أميرٌ على الحيرة؛ فإذا اجتمعتما بالحيرة إن شاء الله وقد فَضضتما مسالح ما بين العرب وفارس وأمِنتم أن يؤتيَ المسلمون من خلْفهم؛ فلْيقم بالحيرة أحدُكما ، ولْيقتحم الآخر على القوم ، وجالدوهم عمَّا في أيديهم ، واستعينوا بالله واتَّقُوه ، وآثروا أمرَ الآخرة على الدنيا يجتمعا لكم؛ ولا تؤثروا الدنيا فتسلَبوهما. واحذروا ما حذّركم الله بترك المعاصي ومعاجلة التوبة؛ وإيَّاكم والإصرار وتأخير التوبة.

فأتى خالد على ما كان أمر به ، ونزل الحيرة ، واستقام له ما بين الفلاليج إلى أسفل السَّواد، وفرّق سَواد الحيرة يومئذ على جرير بن عبد الله الحميريّ، وبشير بن الخَصاصيَّة ، وخالد بن الواشمة ، وابن ذي العنق ، وأطّ ، وسويد ، وضرار ، وفرّق سواد الأبُلَّة على سُوَيد بن مقرّن ، وحَسَكة الحبطيّ ، والحصين بن أبي الحُرّ ، وربيعة بن عِسْلٍ ، وأقرّ المسالحَ على ثُغورهم ، واستخلَف على الحيرة القعقاع بن عمرو ، وخرج خالد في عملِ عياض ليقضيَ ما بينه وبينه ، ولإغاثته ، فسلك الفَلُّوجة حتى نزل بكَرْبَلاء وعلى مَسْلَحتها عاصم بن عمرو ، وعلى مقدّمة خالد الأقرع بن حابس؛ لأنّ المثنَّى كان على ثَغر من الثُّغور التي تلي المدائن؛ فكانوا يغاورون أهل فارس ، وينتهون إلى شاطىء دجلة قبل خروج خالد من الحيرة وبعد خروجه في إغاثة عياض[١]. (٣: ٣٧٢/ ٣٧٣).

١٥٨ - كتب إليّ السريّ عن شُعَيب ، عن سيف ، عن أبي رَوْق ، عمَّن شهدهم بمثله ، إلى أن قال: وأقام خالد على كَرْبَلاء أيَّاماً ، وشَكَا إليه عبدُ الله بن وثيمة الذُّباب ، فقال له خالد: اصْبِر فإنّي إنَّما أريد أن أستفرغ المسالح التي أمر بها عياضٌ فنُسكنها العرب ، فتأمن جنود المسلمين أن يؤتَوْا من خَلْفهم ، وتجيئنا العرب آمِنةً وغير مُتَعْتَعةٍ؛ وبذلك أمرَنا الخليفة ، ورأيه يعدل نَجْدَة الأمّة. وقال رجل من أشْجَع فيما حَكى ابن وثيمة:

---

(١) إسناده ضعيف.

لقـد حُبِسَـتْ فـي كَـرْبَـلاءَ مطيتـي … وفي العَيْـنِ حتى عـاد غَثّاً سمينُها
إذا رَحَلـتْ مـن مَبْـرَكٍ رجعَـتْ لَـه … لعَمْـرُ أبيهـا إنَّنـي لأهِينُهـا
ويمْنعُهـا مـن مـاءِ كـلِّ شـريعـةٍ … رِفـاق مـن الـذّبـانِ زُرقٌ عيـونهـا(١)

(٣: ٣٧٣).

حديث الأنبار ـ وهي ذات العيون ـ وذكر كَلْواذَى

١٥٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعيب، عن سيف، عن محمَّد وطلحة، وأصحابهما، قالوا: خرج خالدُ بن الوليد في تعبيته الَّتي خرج فيها من الحيرة، وعلى مقدّمته الأقرعُ بن حابس. فلمَّا نَزَل الأقرع المنزلَ الَّذي يُسلمه إلى الأنبار؛ أنتَجَ قومٌ من المسلمينَ إبلَهم، فلم يستطيعوا العُرْجة، ولم يجدوا بُدّاً من الإقدام، ومعهم بنات مَخَاض، تتبعهم. فلمَّا نودي بالرَّحيل؛ صَرُّوا الأمَّهات، واحتقبوا المنتوجات؛ لأنها لم تطقِ السَّيْر؛ فانتهوا ركباناً إلَى الأنبار، وقد تحصّن أهلُ الأنبار، وخندقوا عليهم، وأشرفوا من حصنهم، وعلى تلك الجنود شيرزاذ صاحب ساباط ـ وكان أعقل أعجميّ يومئذ وأسودَه وأقنعَه في الناس: العرب والعجم ـ فتصايح عربُ الأنبار يومئذ من السُّور، وقالوا: صبَّح الأنبار شرٌّ؛ جَمَلٌ يحمل جُمَيْلَهُ وجملٌ تُرِبُّهُ عوذٌ. فقال شيرزاذ: ما يقولون؟ ففسَّر له، فقال: أمَّا هؤلاء فقد قَضَوْا على أنفسهم؛ وذلك: أنّ القوم إذا قضوْا على أنفسهم قضاءً كاد يلزمهم؛ والله لئن لم يكن خالد مجتازاً لأصالحنَّه؛ فبينا هم كذلك قدم خالد على المقدّمة، فأطاف بالخندق، وأنشب القتال؛ وكان قليل الصَّبْر عنه إذا رآه، أو سمع به؛ وتقدّم إلى رُماته، فأوصاهم وقال: إنِّي أرى أقواماً لا علم لهم بالحرْب، فارموا عيونهم ولا تَوَخَّوْا غيرَها، فرموا رِشْقاً واحداً، ثم تابعوا، ففقىء ألف عين يومئذ، فسُمّيت تلك الوقعة ذات العيون؛ وتصايح القوم: ذهبت عيون أهل الأنبار! فقال شيرزاذ: ما يقولون؟ ففسر له، فقال: آباذ آباذ. فراسل خالداً في الصُّلْح على أمر لم يرضَه خالد، فردّ رسلَه، وأتى خالد أضيقَ مكان في الخندق برذايا الجيش فنحرها؛ ثم رمى بها فيه فأفعمه؛ ثم اقتحم الخندق ـ والرذايا جسورهم ـ فاجتمع المسلمون والمشركون في الخندق. وأرَزَ القوم إلى

---

(١) إسناده ضعيف.

حصنهم ، وراسل شيرزاذ خالداً في الصُّلح على ما أراد ، فقبل منه على أن يخلّيه ويُلحِقَه بمأمنه في جريدة خيل ، ليس معهم من المتاع والأموال شيء؛ فخرج شيرزاذ ، فلمّا قدِم على بهمن جاذويه ، فأخبره الخبر لامه ، فقال: إني كنتُ في قوم ليست لهم عقول ، وأصلهم من العرب ، فسمعتهم مَقدَمهم علينا يقضون على أنفسهم ، وقلّما قضى قوم على أنفسهم قضاء إلا وجب عليهم. ثم قاتلهم الجند ، ففقؤوا فيهم وفي أهل الأرض ألف عين؛ فعرفتُ: أنّ المسالمة أسلم. ولمّا اطمأنّ خالد بالأنبار والمسلمون ، وأمنَ أهلُ الأنبار وظهروا؛ رآهم يكتبون بالعربية ويتعلّمونها ، فسألهم: ما أنتم؟ فقالوا: قوم من العرب ، نزلنا إلى قوم من العرب قبلنا ـ فكانت أوائلهم نزلُوها أيّامَ بختنصّر حين أباح العرب؛ ثمّ لم تُزل عنها ـ فقال: ممَّنْ تعلّمتم الكتاب؟ فقالوا: تعلَّمنا الخطّ من إياد ، وأنشدوه قول الشاعر:

قَوْمي إيادٌ لو أنَّهمْ أممُ أو لو أقاموا فتُهْزَل النَّعَمُ
قَوْمٌ لهم باحةُ العراق إذا ساروا جميعاً والخَط والقَلَم

وصالح خالد مَنْ حولهم ، وبدأ بأهل البَوازيج؛ وبعث إليه أهلُ كَلْواذَى ليعقد لهم ، فكاتبهم فكانوا عيْبَتَه من وراء دجلة. ثم إن أهل الأنبار وما حولها نقضُوا فيما كان يكون بين المسلمين والمشركين من الدُّول ما خلا أهل البوازيج ، فإنَّهم ثبتوا كما ثبت أهل بانِقْيا[1]. (٣: ٣٧٣/ ٣٧٤/ ٣٧٥).

١٦٠ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد العزيز ـ يعني: ابن سياه ـ عن حبيب بن أبي ثابت ، قال: ليس لأحدٍ من أهلِ السَّواد عَقْد قبل الوقعة إلاّ بني صلوبا ـ وهم أهل الحيرة ـ وكلواذَى ، وقرى من قرى الفرات ، ثم غدروا حتى دُعوا إلى الذمَّة بعد ما غدروا[2]. (٣: ٣٧٥).

١٦١ - كتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، قال: قلت للشعبيّ: أخِذ السواد عنوة؟ قال: نعم ، وكلّ أرض إلا بعض القلاع والحصون ، فإنَّ بعضهم صالح به ، وبعضهم غَلَب ، فقلت: فهل لأهل السَّوَاد

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

ذمّة اعتقدوها قبل الهَرب؟ قال: لا ، ولكنّهم لما دُعُوا ، ورضُوا بالخَراج ، وأخذ منهم؛ صاروا ذمّة[١].

خبر عَيْن التَّمْر

١٦٢ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، والمهلَّب ، وزياد ، قالوا: ولما فرغ خالد من الأنبار ، واستحكمت له؛ استخلف على الأنبار الزّبْرِقان بن بدر ، وقصد لعين التَّمْر؛ وبها يومئذ مهران بن بهرام جُوبين في جَمع عظيم من العجم ، وعَقّة بن أبي عقَّة في جمع عظيم من العرب من النَّمر ، وتغلب ، وإياد ، ومن لافّهم. فلما سمعوا بخالد؛ قال عقّة لمهران: إنّ العرب أعلمُ بقتال العرب ، فدَعْنا وخالداً ، قال: صدقت ، لعمري لأنتم أعلمُ بقتال العرب ، وإنّكم لمثلنا في قتال العجم. فخدعه واتّقى به ، وقال: دونكموهم وإن احتجتم إلينا أعنّاكم. فلما مضى نحو خالد قالت له الأعاجم: ما حملك على أن تقول هذا القول لهذا الكلب! فقال: دعوني فإني لم أرِدْ إلاّ ما هو خير لكم وشرّ لهم؛ إنّه قد جاءكم من قتل ملوككم ، وفلَّ حدَّكم ، فاتّقيتُه بهم؛ فإن كانت لهم على خالد فهي لكم؛ وإن كانت الأخرى لم تبلغوا منهم حتى يَهِنوا ، فنقاتلهم ونحن أقوياء وهم مضعَفون. فاعترفوا له بفضْل الرّأي ، فلزم مِهْران العين ، ونزل عَقَّة لخالد على الطريق ، وعلى ميمنته بُجَير بن فلان أحد بني عتبة بن سعد بن زهير ، وعلى ميسرته الهذيل بن عمران ، وبين عَقَّة وبين مهران رَوْحة أو غَدوة ، ومِهران في الحصن في رابطة فارس ، وعقَّة على طريق الكَرْخ كالخفير. فقدم عليه خالد وهو في تعبئة جنده ، فعبّى خالد جندَه وقال لمجنّبتيه: اكفونا ما عنده ، فإني حامل؛ ووكّل بنفسه حواميَ ، ثمّ حمل وعقَّة يقيم صُفوفه؛ فاحتضنه فأخذه أسيراً ، وانهزم صفّه من غير قتال ، فأكثروا فيهِم الأسْر ، وهرب بُجَير ، والهذيل ، واتّبعهم المسلمون. ولمّا جاء الخبرُ مِهرانَ هرب في جُنْده ، وتركوا الحِصْن. ولما انتهت فُلّال عَقَّة من العرب ، والعجم إلى الحصن؛ اقتحموه ، واعتصموا به؛ وأقبل خالد في النَّاس حتَّى ينزل

(١) إسناده ضعيف.

على الحِصْن ومعه عَقَّة أسير ، وعمرو بن الصَّعِق ، وهم يرجون أن يكون خالد كمَن كان يغير من العرب ، فلما رأوْه يحاولهم سألوه الأمان. فأبى إلاّ على حُكمِه فسَلموا له به. فلما فتحوا دفعهم إلى المسلمين فصاروا مساكاً ، وأمر خالد بعقَّة وكان خفير القوم فضُربت عنُقه ليُوئس الأسراءَ من الحياة ، ولما رآه الأسراءُ مطروحاً على الجسر يئسوا من الحياة ، ثم دعا بعمرو بن الصَّعق فضرب عنقَه ، وضرب أعناق أهل الحصْن أجمعين. وسبَى كلّ من حوى حصنهم ، وغنم ما فيه ، ووجد في بيعتهم أربعين غلاماً يتعلَّمون الإنجيل ، عليهم باب مُغْلَق؛ فكسره عنهم ، وقال: ما أنتم؟ قالوا: رُهُن ، فقسمهم في أهل البلاء؛ منهم أبو زياد مولى ثَقيف ، ومنهم نُصَيْر أبو موسى بن نصَير ، ومنهم أبو عمرة جدّ عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر ، وسيرين أبو محمد بن سيرين ، وحُرَيث ، وعُلاثة. فصار أبو عمرة لشُرَحْبيل بن حَسَنة ، وحُريث لرجل من بني عباد ، وعلاثة للمعنَّى ، وحُمران لعثمان. ومنهم عمير ، وأبو قيس؛ فثبت على نسبه من موالي أهل الشأم القدماء ، وكان نُصير يُنسب إلى بني يشكر ، وأبو عمْرة إلى بني مُرّة ، ومنهم ابن أخت النَّمِر[1]. (٣: ٣٧٦/ ٣٧٧).

---

(١) إسناده ضعيف ، ومسألة فتح عين التمر عنوة ذكرها البلاذري كذلك في فتوح البلدان بصيغة الجزم بدون إسناد ، أما الصلح فقد ذكره بصيغة التمريض إذ قال: وقد قيل: إنّ خالداً صالح أهل حصن عين التمر (فتوح البلدان/ ٣٤٦) وأخرج كذلك: حدثني الحسين بن الأسود قال: حدثني يحيىٰ بن آدم عن الحسن بن صالح ، عن أشعث عن الشعبي قال: صالح خالد بن الوليد أهل الحيرة وأهل عين التمر وكتب بذلك إلىٰ أبي بكر فأجازه.
قال يحيىٰ: فقلت للحسن بن صالح أفأهل عين التمر قبل أهل الحيرة ، إنما هو شيء عليهم وليس على أراضيهم شيء فقال: نعم (فتوح البلدان/ ٣٤٧).
وهذه الرواية ضعيفة لأنها من طريق شيخ البلاذري الحسين بن الأسود وهو إلى الضعف أقرب فقد ضعفه غير واحد. وقال أبو حاتم: صدوق. ووثقه ابن حبان ولكن المتن صحيح فقد أخرجه يحيىٰ بن آدم في كتاب الخراج قال: حدثنا حسن بن صالح عن أشعث عن الشعبي قال: صالح خالد بن الوليد أهل الحيرة وأهل عين تمر قال: وكتب بذلك إلىٰ أبي بكر رضي الله عنه فأجازه (الخراج/ ٥٢/ح ١٤١). وقال يحيىٰ: قلت للحسن بن صالح: فأهل عين التمر مثل أهل الحيرة ، إنما هو شيء عليهم وليس علىٰ أراضيهم شيء قال: نعم (كتاب الخراج/ ٥٢/ ح ١٤٢).
قلنا: ومما لا شك فيه: أن عامر الشعبي رحمه الله كان خبيراً بأمور الخراج وغير ذلك مما ترتب علىٰ الفتوح الإسلامية كما أخرج يحيىٰ بن آدم. قال: ثنا شريك: وكان عامر من أخبر الناس بهذه الأمور (كتاب الخراج/ ٤٩/ح ١٢٤).

١٦٢/أ ـ كتب إليّ السري عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، وأبي سفيان طلحة بن عبد الرحمن ، والمهلب بن عقبة ، قالوا: ولما قدم الوليد بن عقبة من عند خالد على أبي بكر رحمه الله بما بعث به إليه من الأخماس؛ وجهه إلى عياض ، وأمده به ، فقدم عليه الوليد ، وعياض ، فحاصرهم وهم محاصروه ، وقد أخذوا عليه بالطريق فقال له: الرأي في بعض الحالات خير من جند كثيف ، ابعث إلى خالد فاستمده ، ففعل فقدم عليه رسوله غِبَّ وقعة العين مستغيثاً ، فعجل إلى عياض بكتابه ، من خالد إلى عياض إياك أريد:

لبث قليلاً تأتك الحلائب يحملن آساداً عليها القاشب

كتائب يتبعها كتائب[1]

(٣:٣٧٧) .

خبر دُومَة الجَنْدَل

١٦٣ ـ قالوا: ولما فرغ خالد من عَيْن التَّمْر؛ خلَّف فيها عُوَيْم بن الكاهل الأسلميّ ، وخرج في تعبيته الَّتي دخل فيها العين؛ ولمَّا بلغ أهلَ دُومة مَسيرُ خالد إليهم؛ بعثوا إلى أحزابهم من بَهْراء ، وكلْب ، وغسَّان ، وتَنُوخ ، والضَّجاعم ، وقبلُ ما قد أتاهم وَديعة في كلْب ، وبَهراء ، ومساندُه ابن وَبَرة بن رُومانس ، وآتاهم ابن الْحدرجان في الضَّجاعم ، وابن الأيْهَم في طوائف من غَسَّان وتَنُوخ ، فأشْجَوْا عياضاً وشجُوا به.

فلما بلغهم دنوّ خالد؛ وهم على رئيسين: أُكَيْدر بن عبد الملك ، والجُوديّ ابن ربيعة؛ اختلفوا ، فقال أكيدر: أنا أعلمُ النَّاس بخالد؛ لا أحد أيمنُ طائراً منه ، ولا أحدّ في حرب ، ولا يرى وجه خالد قوم أبداً قَلُّوا أو كثروا إلاّ انهزموا عنه؛ فأطيعوني ، وصالحوا القوم. فأبوْا عليه ، فقال: لن أمالئكم على حرْب خالد ، فشأنكم!

فخرج لطيَّته ، وبلغ ذلك خالداً؛ فبعث عاصمَ بن عمرو معارضاً له ، فأخذه فقال: إنَّما تلقَّبْت الأمير خالداً؛ فلمَّا أتى به خالداً أمر به فضُرِبت عنقُه ، وأخذ ما كان معه من شيء ، ومضى خالدٌ حتى ينزل على أهل دُومة ، وعليهم الجوديّ بن

(١) إسناد ضعيف.

ربيعة ، ووديعة الكلبيّ، وابن رُومانس الكلبيّ ، وابن الأيهم ، وابن الحدْرجان، فجعل خالد دُومة بين عسكره وعسكر عياض. وكان النَّصارى الذين أمدُّوا أهل دُومة من العرب محيطين بحصن دُومة ، لم يحمِلْهم الحصن ، فلما اطمأنّ خالد؛ خرج الجوديّ ، فنهض بوديعة ، فزحفا لخالد ، وخرج ابن الحدرجان وابن الأيْهم إلى عياض؛ فاقتتلوا ، فهزم الله الجوديَّ ، ووديعة على يديْ خالد ، وهزم عياض مَن يليه ، وركبهم المسلمون؛ فأمّا خالد فإنه أخذ الجوديّ أخذاً ، وأخذ الأقرع بن حابس وديعةً ، وأَرَزَ بقيّة النَّاس إلى الحصن؛ فلم يحملهم؛ فلما امتلأ الحِصْن؛ أغلق مَن في الحصن الحصنَ دون أصحابهم ، فبقُوا حولَه حُرداءَ؛ وقال عاصم بن عمرو: يا بني تميم ! حلفاؤكم كَلْب ، آسوهم ، وأجيروهم؛ فإنّكم لا تقدرون لهم على مثْلها ، ففعلوا. وكان سبب نجاتِهم يومئذ وصيَّة عاصم بني تميم بهم ، وأقبل خالد على الَّذين أرَزوا إلى الحِصْن فقتلهم حتى سدّ بهم بابَ الحِصْن ، ودعا خالد بالجوديّ فضَرَب عنقه؛ ودعا بالأسرى فضرب أعناقهم إلاّ أسارى كلب ، فإنّ عاصماً ، والأقرع ، وبني تميم قالوا: قد آمناهم ، فأطلقهم لهم خالد ، وقال: مالي ولكم! أتحفظون أمر الجاهليّة وتُضيِّعون أمر الإسلام! فقال له عاصم: لا تحسُدهم العافية؛ ولا يُحوّزهم الشيطانُ. ثم أطاف خالد بالباب ، فلم يزُل عنه حتى اقتلعه؛ واقتحموا عليهم ، فقتلوا المقاتلة ، وسبوا الشَّرْخَ؛ فأقاموهم فيمن يزيد؛ فاشترى خالد ابنة الجوديّ وكانت موصوفةً ، وأقام خالد بدُومة ، وردّ الأقرع إلى الأنبار.

ولما رجع خالد إلى الحيرة ـ وكان منها قريباً حيث يصبّحها ـ أخذ القعقاع أهل الحيرة بالتَّقْليس ، فخرجوا يتلقَّوْنه؛ وهم يُقلِّسُون؛ وجعل بعضهم يقول لبعض: مُرّوا بنا ، فهذا فَرَج الشرّ![1] (٣: ٣٧٨/ ٣٧٩) .

---

(١) إسناده ضعيف ، وهو من أشد الروايات ضعفاً (ونفي روايات سيف) لأنها من طريق شعيب عن سيف ، والمعروف عن شعيب بتحامله على رجالات السلف الصالح ، وروايته هنا لا تخلو من غمز ولمز وطعن في الصحابة وسيرتهم فهو يصور الصحابة وهم يسبون النساء الشابات من بقية النساء ويقيمون لهن سوقاً (ما يسمى اليوم بالمزاد) ويصور كذلك خالداً رضي الله عنه وجلّ همّه أن يظفر بأجمل امرأة من بين تلك الشابات (بنت الجودي) ، وكلّ ذلك تلفيق من شعيب لا أصل له من رواية صحيحة ، إنما الرواية المختصرة جداً التي ذكرناها في قسم الصحيح والتي أخرجها يعقوب بن سفيان تذكر انتصار خالد في هذه المعركة وأنه

١٦٣ -كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلّب ، قالوا: وقد كان خالد أقام بدُومة ، فظنّ الأعاجم به؛ وكاتبهم عرب الجزيرة غضباً لعَقَّة؛ فخرج زَرْمهْر من بغداد ومعه رُوزبه يريدان الأنبار؛ واتَّعدا حُصيداً والخنافس ، فكتبَ الزّبرقان وهو على الأنبار إلى القعقاع بن عمرو؛ وهو يومئذ خليفة خالد على الحيرة؛ فبعث القعقاع أعْبَدَ بن فَدكيّ السعديّ ، وأمره بالحُصيد، وبعث عُرْوة بن الجعْد البارقيّ وأمره بالخَنافس ، وقال لهما: إن رأيتما مَقْدَماً فأقدما. فخرجا فحالا بينهما وبين الريف ، وأغلقاهما ، وانتظر روزبه وزرمهر بالمسلمين اجتماع من كاتبهما من رَبِيعة؛ وقد كانوا تكاتَبوا واتَّعدوا؛ فلمّا رجع خالد من دُومة إلى الحيرة على الظَّهر وبلغه ذلك وقد عزم على مصادمة أهل المدائن؛ كرِه خلافَ أبي بكر ، وأن يتعلَّق عليه بشيء ، فعجَّل القعقاع بن عمرو ، وأبو ليلى بن فَدكيّ إلى رُوزبه وزرمهر ، فسبقاه إلى عين التَّمر ، وقدم على خالد كتاب امرىء القيس الكلبيّ: أنَّ الهذيل بن عمران قد عَسْكر بالمُصَيَّخ ، ونزل ربيعة بن بُجير بالثَّنِيّ وبالبِشْر في عسكر غضباً لعقَّة ، يريدان زرمهر ورُوزبه. فخرج خالد وعلى مقدّمته الأقرع بن حابس ، واستخلف على الحيرة عياض بن غَنْم ، وأخذ طريق القعقاع وأبي ليلى إلى الخنَافس حتى قدم عليهما بالعين ، فبعث القعقاع إلى حُصَيد ، وأمَّره على الناس ، وبعث أبا ليلى إلى الخَنافس ، وقال: زجّيَاهم ليجتمعوا ومن استثأرهم؛ وإلاّ فواقِعاهم. فأبيا إلاّ المُقام.

خبر حُصَيد

فلمّا رأى القعقاع: أنّ زرمهر وروزبه لا يتحرّكان سار نحو حُصيد ، وعلَى من

= كان من بين السبي ابنة الجودي ، أما زيادات (شعيب عن سيف) المنكرة فلم نجدها عند غيره.

ورحم الله أئمة الجرح والتعديل الذين كشفوا زيف الرواة الحاقدين علىٰ السلف ، فلم يدعوا لأحدٍ عذراً بالتثبت بمتون فيها تهجم علىٰ صحابة رسول الله ﷺ ويبدو أن جهاد خالد وجرأته وشجاعته وبسالته وتفانيه في معارك الفتوح وإلحاقه الهزائم المنكرة بأعداء الله آلمت أهل البدع ممن يبغضون أئمة السلف وفي مقدمتهم الصحابة ، فأرادوا أن يشوّهوا صورتهم وأنّى لهؤلاء التناوش من بعيد ، وقد قيّض الله لعلم الرواية جهابذة كشفوا عوار المبتدعة المفترين.

مرّ به من العرب والعجم روزْبه. ولمّا رأى روزْبه: أنّ القعقاع قد قصد له؛ استمدّ زرمهر، فأمدّه بنفسه، واستخلف على عسكره المَهْبُوذان، فالتقوْا بحُصَيد، فاقتتلوا، فقتل الله العجمَ مقتلةً عظيمة، وقَتَلَ القعقاعُ زرمهَر، وقُتل روزبه؛ قتله عِصْمة بن عبد الله أحد بني الحارث بن طريف، من بني ضَبَّة، وكان عصمة من البَرَرة ـ وكلّ فَخِذٍ هاجرت بأسرها تُدعى البررة، وكلّ قوم هاجروا من بطن يُدعون الخيَرة ـ فكان المسلمون خيرَة وبرَرة. وغنم المسلمون يوم حُصيد غنائم كثيرة وأرَز فُلّال حُصيد إلى الخَنافس فاجتمعوا بها.

الخَنافِس

وسار أبو ليلى بن فَدَكيّ بمَن معه ومن قدم عليه نحو الخنافس؛ وقد أرَزت فُلّال حُصيد إلى المَهْبُوذان، فلما أحسَّ المهبوذان بقدومهم هرب ومن معه وأرَزوا إلى المُصَيَّخ، وبه الهُذيل بن عمران، ولم يلق بالخنافس كيداً، وبعثوا إلى خالد بالخبر جميعاً.

مصَيَّخ بني البَرْشاء

قالوا: ولمَّا انتهى الخبرُ إلى خالد بمصاب أهلِ الحُصيد وهرب أهل الخَنافس كتب إليهم، ووعد القعقاعَ وأبا ليلى وأعبد وعُروة ليلة وساعة يجتمعون فيها إلى المصيَّخ ـ وهو بين حَوْران والقَلْت ـ وخرج خالد من العين قاصداً للمصَيَّخ على الإبل يجنّب الخيل، فنزل الجَناب، فالبَردان، فالحِنْي، واستقلّ من الحنْي؛ فلمَّا كان تلك الساعة من ليلة الموعِد اتفقوا جميعاً بالمُصَيَّخ، فأغاروا على الهُذَيل ومَن معه ومن أوى إليه؛ وهم نائمون من ثلاثة أوجه، فقتلوهم. وأفلت الهُذَيل في أناس قليل؛ وامتلأ الفضاء قَتْلى، فما شبَّهوا بهم إلاّ غنماً مصرَّعة؛ وقد كان حُرْقوص بن النّعمان قد محضهم النّصح، وأجاد الرأي، فلم ينتفعوا بتحذيره، وقال حرقوص بن النّعمان قبل الغارة:

ألا سَقّياني قبلَ خيلِ أبي بكر . . . الأبيات

وكان حرقوص معرِّساً بامرأة من بني هلال تُدعى أمّ تغلب، فقتلت تلك الليلة، وعُبادة بن البشر، وامرؤ القيس بن بشر، وقيس بن بشر؛ وهؤلاء بنو

الثَّوريّة من بني هلال. وأصاب جرير بن عبد الله يوم المُصَيَّخ من النَّمرِ عبدَ العزّى بن أبي رُهْم بن قِرْواش أخا أوس مناة من النَّمر، وكان معه ومع لَبيد بن جرير كتاب من أبي بكر بإسلامهما، وبلغ أبا بكر قول عبد العزّى؛ وقد سماه «عبد الله» ليلة الغارة، وقال:

* سبحـــانـــك اللهـــمّ ربَّ محمـــد *

فوداه وودى لبيداً ـ وكانا أصيبا في المعركة ـ وقال: أما إنّ ذلك ليس عليَّ؛ إذ نازلا أهل الحرب؛ وأوصى بأولادهما، وكان عمر يعتدّ على خالد بقتلهما إلى قتل مالك ـ يعني: ابن نوَيْرة ـ فيقول أبو بكر: كذلك يلقَى مَن ساكَنَ أهل الحرب في ديارهم. وقال عبد العُزّى:

أقــول إذ طَــرَق الصبــاحُ بِغــارةٍ ... سبحـــانـــك اللهـــمّ ربَّ محمـــد
سبحـــان رَبِّـــيَ لا إلـــه غَيْـــرُه ... ربِّ البـــلاد وربِّ مـــن يتَـــوَرَّدُ[1]

(٣: ٣٧٩/ ٣٨٠/ ٣٨١).

١٦٤ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعيب، عن سيف، عن عطية، عن عديّ بن حاتم، قال: أغرنا على أهل المُصَيَّخ، وإذا رجلٌ يُدعى باسمه حُرْقوص بن النعمان من النَّمِر، وإذا حوله بنوه، وامرأته، وبينهم جَفْنة من خَمْر؛ وهم عليها عكوف يقولون له: ومَن يشرب هذه الساعة وفي أعجاز الليل! فقال: اشربوا شُرْب ودَاع، فما أرى أن تشربوا خمراً بعدها، هذا خالد بالعين، وجنوده بحُصَيد، وقد بلغه جمعُنا وليس بتاركنا؛ ثم قال:

ألا فاشربوا من قبل قاصمة الظّهْرِ ... بُعَيْـدَ انْتِفـاخ القـوم بـالعكَـر الـدَّثْـرِ
وقبـلَ مَنـايـانـا المُصِيبَـةِ بـالقَـدْرِ ... لحِيـنٍ لَعَمْـري لا يـزيـدُ ولا يَحْـرِي

فسبق إليه وهو في ذلك في بعض الخيل، فضرب رأسه، فإذا هو في جفنته، وأخذنا بناتِه، وقتلنا بنيه.

الثَّنِيّ والزُّمَيْل

وقد نزل ربيعة بن بُجَير التغلبيّ الثَّنيّ والبِشْر غضباً لعقَّة، وواعد رُوزْبه،

---

(١) إسناده ضعيف.

وزَرَمهر ، والهُذيل. فلمّا أصاب خالد أهل المُصَيَّخ بما أصابَهم به ، تقدّم إلى القعقاع وإلى أبي ليلى ، بأن يرتحلا أمامَه ، وواعدهما اللَّيلة ليفترقوا فيها للغارة عليهم من ثلاث أوجه؛ كما فعل بأهل المُصَيَّخ. ثم خرج خالد من المُصَيَّخ ، فنزل حَوْران ، ثمّ الرّنْق ، ثم الحَمَاة ـ وهي اليوم لبني جُنادة بن زهير من كلْب ـ ثم الزُّمَيل؛ وهو البِشْر والثَّنِيّ معه ـ وهما اليوم شرقيّ الرُّصافة ـ فبدأ بالثَّنيّ ، واجتمع هو وأصحابه ، فبيّتَه من ثلاثة أوجه بياتاً ومن اجتمع له وإليه ، ومن تأشَّب لذلك من الشُّبان؛ فجرّدُوا فيهم السيوف ، فلم يُفلِتْ من ذلك الجيش مخبر ، واستَبى الشَّرْخ ، وبعث بخُمْس الله إلى أبي بكر مع النُّعمان بن عوف بن النعمان الشيبانيّ ، وقسّم النَّهْب والسّبَايا ، فاشترى عليّ بن أبي طالب عليه السلام بنتَ ربيعة بن بُجَير التغلبيّ ، فاتّخذها؛ فولدت له عمر ورُقيّة ، وكان الهذيل حين نجا أوى إلى الزُّمَيْل ، إلى عتَّاب بن فلان؛ وهو بالبِشْر في عسكر ضخم؛ فبيّتهم بمثلها غارةً شَعْواءَ من ثلاثة أوجه سبقت إليهم الخبر عن ربيعة ، فقتل منهم مقتلة عظيمة لم يُقْتَلُوا قبلها مثلها؛ وأصابوا منهم ما شاؤوا ، وكانت على خالد يَمين: «ليبغَتنّ تَغْلِبَ في دارها»؛ وقسّم خالد فيئَهُم في الناس ، وبعث بالأخماس إلى أبي بكر مع الصباح بن فلان المزنيّ ، وكانت في الأخماس ابنة مُؤذن النَّمَريّ؛ وليلى بنت خالد ، وريحانة بنت الهذيل بن هبيرة. ثم عطف خالد من البِشْر إلى الرُّضاب؛ وبها هلال بنُ عَقَّة ، وقد ارفضَّ عنه أصحابُه حين سمعوا بدنوّ خالد؛ وانقشع عنها هلال فلم يلق كيداً بها[1] . (٣: ٣٨٢/ ٣٨٣) .

حديث الفِرَاض

١٦٥ ـ ثم قصد خالدُ بعد الرُّضاب وبغتته تغلبَ إلى الفراض ـ والفراض: تخوم الشأم والعراق والجزيرة ـ فأفطر بها رمضان في تلك السّفرة التي اتّصلت له فيها الغَزوات والأيّام، ونُظمنَ نظماً، أكثرَ فيهنّ الرُّجّاز إلى ما كان قبل ذلك منهنّ.

كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ـ وشاركهما عمرو بن محمد؛ عن رجل من بني سعد ، عن ظَفَر بن دهي ـ والمهلَّب بن

---

(١) إسناده ضعيف ، وقد ذكر ابن الجوزي هذين الخبرين (٢٠٢/٢٠٣) بلا إسناد (المنتظم ٤/١٠٨ـ١٠٩).

عُقْبة ، قالوا: فلمّا اجتمَع المسلمون بالفراض؛ حميَت الرّوم ، واغتاظت ، واستعانوا بِمَن يليهم من مَسالح أهلِ فارس ، وقد حَمُوا واغتاظوا واستمدُّوا تَغْلب ، وإياد ، والنَّمِر؛ فأمدُّوهم؛ ثم ناهدوا خالداً؛ حتى إذا صار الفرات بينهم ، قالوا: إما أن تعبرُوا إلينا ، وإمّا أن نعبُر إليكم. قال خالد: بلِ اعبروا إلينا ، قالوا: فتنحَّوْا حتى نعبُر؛ فقال خالد: لا نفعل؛ ولكن اعبُروا أسفل منّا. وذلك للنّصْف من ذي القَعدة سنة اثنتي عشرة. فقالت الرّوم وفارس بعضُهم لبعض: احتسبوا ملككم؛ هذا رجل يقاتل على دين ، وله عقل وعلم ، ووالله ليُنْصَرَنّ ولَنُخْذلَنَّ. ثم لم ينتفعوا بذلك؛ فعبروا أسفلَ من خالد؛ فلما تتامُّوا قالت الروم: امتازوا حتى نعرِف اليوم ما كان من حَسَنٍ أو قبيح؛ من أيِّنا يجيء! ففعلوا ، فاقتتلوا قتالاً شديداً طويلاً. ثم إنّ الله عزّ وجلّ هزمهم ، وقال خالد للمسلمين: ألحُّوا عليهم ، ولا تُرَفّهوا عنهم؛ فجعل صاحب الخيل يحشر منهم الزُّمْرة برماح أصحابه ، فإذا جمعوهم قتلوهم ، فقتل يوم الفِراض في المعركة وفي الطلب مئة ألف ، وأقام خالد على الفِراض بعد الوقعة عشراً ، ثم أذن في القفل إلى الحيرة لخمس بقين من ذي القَعدة؛ وأمر عاصم بن عمرو أن يسير بهم؛ وأمر شَجرة بن الأعزّ أن يسوقهم. وأظهر خالد: أنه في السّاقة[1] . (٣: ٣٨٣) .

حجّة خالد

قال أبو جعفر: وخرج خالدٌ حاجّاً من الفِراض لخمس بقين من ذي القعدة ، مكتتماً بحجّه ، ومعه عدّةٌ من أصحابه؛ يعتسف البلاد حتى أتى مكّة بالسَّمْت ، فتأتّى له من ذلك ما لم يتأتَّ لدليل ، ولا رئبال ، فسار طريقاً من طُرق أهل الجزيرة ، لم يُرَ طريقٌ أعجبُ منه؛ ولا أشدّ على صعوبته منه ، فكانت غيبته عن الجند يسيرة: فما تَوَافَى إلى الحيرة آخرهم حتى وافاهم مع صاحب السَّاقة الَّذي وضعه. فقدما معاً؛ وخالد وأصحابه محلِّقون؛ لم يعلَم بحجِّه إلا مَنْ أفضَى إليه بذلك من السَّاقة ، ولم يعلم أبو بكر رحمه الله بذلك إلاّ بعد؛ فعتب عليه. وكانت عقوبته إيّاه أن صرَفه إلى الشأم. وكان مسيرُ خالد من الفِراض أن استعرض البلاد

(١) إسناده ضعيف ، وقد ذكره ابن الجوزي في المنتظم بلا إسناد (٤/ ١١٠).

متعسّفاً متحمّساً ، فقطع طريق الفراض ماءَ العَنبريّ ، ثم مِثْقَباً ، ثم انتهى إلى ذات عِرْق ، فشرّق منها ، فأسلمه إلى عَرَفات من الفِراض ، وسُمِّيَ ذلك الطريق الصُّدّ؛ ووافاه كتاب من أبي بكر منصرفه من حَجّه بالحيرة يأمره بالشأم؛ يقاربه ويباعده.

قال أبو جعفر: قالوا: فوافى خالداً كتابُ أبي بكر بالحيرة ، منصرفَه من حجّه: أن سِرْ حتّى تأتيَ جموعَ المسلمين باليَرموك ، فإنهم قد شجُوا وأشجوْا؛ وإيّاك أن تعودَ لمثل ما فعلت؛ فإنَّه لم يُشْجِ الجموعَ من الناس بعون الله شجاك ، ولم ينزِع الشجَى من الناس نَزْعَك؛ فليهنئك أبا سليمان النِّيّة والحُظْوة؛ فأتْمِمْ يتمم الله لك ، ولا يدخلنَّك عُجْب فتخسر وتخْذَل ، وإيّاك أن تُدِلّ بعمل ، فإنّ الله له المنّ ، وهو وليّ الجزاء[1] . (٣: ٣٨٣/ ٣٨٤).

١٦٦ - كتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سيف؛ عن عبد الملك بن عطاء بن البَكائي ، عن المقطَّع بن الهيثم البكّائي ، عن أبيه ، قال: كان أهل الأيّام من أهلِ الكوفة يُوعدون معاوية عند بعض الّذي يبلغهم ، ويقولون: ما شاء معاوية! نحن أصحاب ذات السلاسل. ويُسمُّون ما بينها وبين الفَراض ما يذكرون ما كان بعدُ احتقاراً لما كان بعد فيما كان قبل[2] . (٣: ٣٨٥).

١٦٧ - وقال بعضهم: حجّ بالناس سنة اثنتي عشرة عمر بن الخطاب. ذكر من قال ذلك:

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال: بعضُ النَّاس يقول: لم يحجّ أبو بكر في خلافته ، وإنه بعَث سنة اثنتي عشرة على الموسِم عمرَ بن الخطاب ، أو عبد الرحمن بن عوف[3] . (٣: ٣٨٦).

١٦٨ - وحدّثني عُمر بن شبَّة ، عن عليّ بن محمد بالإسناد الذي ذكرت قبلُ ،

---

(١) ذكره الطبري بلا إسناد ولم نجد رواية صحيحة في هذه المسألة والله أعلم.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف ، وقد ذكره ابن إسحاق معضلاً.

وكذلك أخرج خليفة بن خياط في ذكر أحداث سنة (١٢ هـ) عن ابن إسحاق معضلاً: وأقام للناس الحج عبد الرحمن بن عوف (تأريخ خليفة/ ١٢٠).

عن شيوخه الَّذين مضى ذكرهم ، قال: ثم وجَّه أبو بكر الجنودَ إلى الشَّأم أوّل سنة ثلاث عشرة ، فأوّل لواء عقده لواءُ خالد بن سعيد بن العاصي ، ثم عزله قبل أن يسير ، وولَّى يزيدَ بن أبي سفيان ، فكان أوّل الأمراء الذين خرجوا إلى الشأم ، وخرجوا في سبعة آلاف [1]. (٣: ٣٨٧).

١٦٩ ـ قال أبو جعفر: وكان سببُ عزلِ أبي بكر خالدَ بن سعيد ـ فيما ذُكِر ـ ما حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر: أنّ خالدَ بن سعيد لمّا قَدِم من اليمن بعد وفاة رسولِ الله ﷺ؛ تربَّص ببيعته شهريْن ، يقول: قد أمَّرني رسولُ الله ﷺ ، ثم لم يعزلني حتى قَبَضه الله. وقد لقي عليّ بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان؛ فقال: يا بني عبد مناف! لقد طِبْتم نفساً عن أمركم يليه غيركم! فأمّا أبو بكر فلم يحفِلْها عليه ، وأمَّا عمر فاضطغنها عليه. ثم بعث أبو بكر الجنود إلى الشأم ، وكان أوّل مَن استعمل على رُبْعٍ منها خالد بن سعيد، فأخذ عمر يقول: أتؤمِّره وقد صنع ما صنع وقال ما قال! فلَم يزل بأبي بكر حتى عَزله ، وأمَّر يزيد بن أبي سفيان. (٣: ٣٨٧/ ٣٨٨).

١٧٠ ـ كتب إليَّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشّر بن فُضَيل ، عن جُبَير بن صخر حارس النبيّ ﷺ؛ عن أبيه ، قال: كان خالدُ بن سعيد بن العاصي باليمن زمنَ النبيّ ﷺ ، وتوفِّيَ النبيُّ ﷺوهو بها ، وقدم بعد وفاته بشهر ، وعليه جُبَّة ديباج فلقِيَ عمر بن الخطاب ، وعليّ بن أبي طالب ، فصاح عمر بمن يليه:

---

(١) لقد سبق أن تحدثنا عن هذا الإسناد ، والظاهر من هذه الرواية أنه رضي الله عنه عقد اللواء أول الأمر لخالد بن سعيد وهذا صحيح إلاّ أن الشطر الآخر (ثم عزله قبل أن يسير) يخالف الروايات الصحيحة والضعيفة التي سنذكرها فإنه ـ أي: خالد بن سعيد رضي الله عنه ـ قد خاض معارك انتصر في ثلاث منها وكانت حروبه هناك أشبه بالحروب الخاطفة وليست المصيرية كما خاضها من بعده من القادة فلما أصيب بانتكاسة كبيرة قتل فيها جمع من المجاهدين ومنهم ابنه سعيد عزله الخليفة الصديق رضي الله عنه.
وذلك السبب في عزله وليس كما ذكرت الروايات الضعيفة التي ذكرت أن عمراً رضي الله عنه كان يلح علىٰ أبي بكر لعزله لأن خالد بن سعيد بن العاص عمل لخلافة أبي بكر لمدة شهرين كما في الرواية (٣/ ٣٨٧/ ٢١٣) والرواية (٣/ ٣٨٨/ ٢١٤).
واعتمدها بعض المؤرخين المعاصرين دون تثبت وليس الأمر كذلك ولقد أخرج الذهبي رواية جرير هذه وفيه: ثم عزله قبل أن يسير خالد ، وقيل بل عزله بعد أشهر من مسيره (عهد الخلفاء الراشدين/ ٨١).

مَزِّقوا عليه جُبَّته! أيلبس الحرير وهو في رجالنا في السلم مهجور! فمزّقوا جُبَّته ، فقال خالد: يا أبا الحسن ! يا بني عبد مناف ! أغُلِبتم عليها ؟! فقال عليّ عليه السلام: أمغالبة ترى ، أم خلافة؟! قال: لا يغالب على هذا الأمر أوْلى منكم يا بني عبد مناف ! وقال عمر لخالد: فضّ الله فاك! والله لا يزال كاذب يخوض فيما قلت ثم لا يضرُّ إلا نفسه. فأبلغ عمر أبا بكر مقالته؛ فلمّا عقد أبو بكر الألوية لقتال أهل الرّدة؛ عقد له فيمن عقد ، فنهاه عنه عمر ، وقال: إنه لمخذول ، وإنه لضعيف التروئة؛ ولقد كذب كذبة لا يفارق الأرض مدْل بها وخائضٌ فيها ، فلا تستنصر به ! فلم يحتمل أبو بكر عليه ، وجعله ردءاً بتَيْماء؛ أطاع عمرَ في بعض أمره ، وعصاه في بعض[١]. (٣: ٣٨٨).

١٧١ -كتب إليَّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبيّ ، قال: لما قدم خالد بن سعيد ذا المروة ، وأتى أبا بكر الخبرُ كتب إلى خالد: أقِمْ مكانك ، فلعمري إنَّك مقدام محجام، نجّاءٌ من الغمرات، لا تخوضها إلاّ إلى حقّ ، ولا تصبر عليه. ولمّا كان بعد؛ وأذن له في دخوله المدينة قال خالد: اعذِرْني ، قال: أخَطَلٌ ؟! أنت امرؤ جُبُن لدى الحرب. فلمّا خرج من عنده قال: كان عمر ، وعليّ أعلمَ بخالد؛ ولو أطعتهما فيه؛ اختشيته ، واتَّقيته[٢].

خبر اليرموك

١٧٢ -كتب إليَّ السريَّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة نحواً من حديث أبي عثمان؛ وقالوا جميعاً: وكان القارىء المِقْداد. ومن السُّنَّة التي سنَّ رسولُ الله ﷺ بعد بدر أن تقرأ سورة الجهاد عند اللِّقاء؛ وهي الأنفال ، ولم يزَلِ النَّاس بعد ذلك على ذلك[٣]. (٣: ٣٩٧).

١٧٣ -كتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان الغسّاني ، عن أبيه ، قال: قال عِكْرمة بن أبي جهل يومئذ: قاتلت رسولَ الله ﷺ في كلّ

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

موطن ، وأفِرُّ منكم اليوم! ثم نادى: مَنْ يبايع على الموت؟ فبايعه الحارث بن هشام ، وضرار بن الأزْور في أربعمئة من وجوه المسلمين وفرسانهم؛ فقاتلوا قدّام فُسطاط خالد؛ حتى أثبتوا جميعاً جراحاً، وقُتِلوا إلاّ من برأ، ومنهم ضرار بن الأزور. قال: وأتيَ خالد بعد ما أصبحوا بعِكْرمة جريحاً فوضع رأسه على فخذه ، وبعمرو بن عِكْرمة فوضع رأسه على ساقه ، وجعل يمسح عن وجوههما ، ويقطِّر في حلوقهما الماء، ويقول: كلاّ ، زعم ابن الحَنْتَمة أنّا لا نُستشهَد! [(١)] (٣ : ٤٠١).

١٧٤ - كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن المُسْتَنير بن يزيد بن أرطاة بن جُهَيْش ، قال: كان الأشتَر قد شهد اليَرْموك، ولم يشهد القادسيَّة؛ فخرج يومئذ رجلٌ من الرّوم ، فقال: مَنْ يبارز؟ فخرج إليه الأشتر؛ فاختلفا ضربتيْن ، فقال للرّومي: خُذْها وأنا الغلام الإياديّ ، فقال الروميّ: أكثر الله في قومي مثلك! أمَا والله لو أنّك من قومي لآزرْت الرُّوم ، فأمّا الآن فلا أعِينهم! [(٢)]

١٧٥ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد ، عن أرطاة بن جهيش ، قال: قال خالد يومئذ: الحمدُ لله الَّذي قضى على أبي بكر بالموت وكان أحبَّ إليَّ من عمر ، والحمدُ لله الذي ولّى عمر ، وكان أبغضَ إليّ من أبي بكر ثم ألزمني حُبَّه! [(٣)].

١٧٦ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد ، عن أبي سَعيد ، قال: قال قَباث: كنت في الوفْد بفتح اليَرْموك ، وقد أصبنا خيراً ونَفَلاً كثيراً ، فمرَّ بنا الدّليل على ماء رجل قد كنت اتَّبعته في الجاهليّة حين أدركتُ وآنستُ من نفسي لأصيب منه؛ كنت دُلِلْتُ عليه ، فأتيته فأخبرته ، فقال: قد أصبتَ ، فإذا ريبال من ريابلة العرب قد كان يأكل في اليوم عَجُز جَزور بأدمها ومقدار ذلك من غير العَجُز ما يفضل عنه إلاّ ما يقوتني. وكان يُغيرُ على الحيّ ويَدَعُني قريباً ، ويقول: إذا مرّ بك راجز يرتجز بكذا وكذا ، فأنا ذلك؛ فَشُلَّ معي. فمكثت بذلك حتى أقطعني قطيعاً من مال ، وأتيت به أهلي؛ فهو أوّلُ مال أصبته. ثم إنّي رأستُ قومي؛ وبلغت مبلغ رجال العرب ، فلمّا مرّ بنا على ذلك

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة وسوء أدب بحق الصحابة ، وأغلب الظن أنها من دسّ شعيب.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة.

الماء عرفتُه ، فسألت عن بيته فلم يعرفوه ، وقالوا: هو حيٌّ ، فأتيت ببنين استفادهم بعدي ، فأخبرتهم خبري ، فقالوا: اغْدُ علينا غداً ، فإنه أقربُ ما يكون إلى ما تحبّ بالغداة ، فغاديتهم فأدخلْت عليه ، فأخرِج من خِدْره؛ فأجلس لي ، فلم أزل أذكِّره حتى ذكر ، وتسمَّع وجعل يطرَب للحديث ويستطعمنيه ، وطال مجلسنا وثقُلنا على صبيانهم؛ ففرَّقوه ببعض ما كان يفرَق منه ليدخل خِدْره ، فوافق ذلك عقله ، فقال: قد كنت وما أفزَّع! فقلت: أجل ، فأعطيته ولم أدعْ أحداً من أهله إلا أصبتُه بمعروف ثم ارتحلت[1]. (٣: ٤٠٤/ ٤٠٥).

١٧٧ ـ كتب إليّ السريّ عن سيف ، عن أبي سعيد المَقْبُريّ ، قال: قال مروان بن الحكم لقَباث: أأنت أكبر أم رسولُ الله ﷺ؟ قال: رسول الله أكبر منّي ، وأنا أقدم منه ، قال: فما أبعدُ ذكرك؟ قال: خِثْي الفيل لسنة. قال: وما أعجب ما رأيتَ؟ قال: رجل من قُضاعة؛ إني لما أدركتُ وآنَسْتُ من نفسي سألتُ عن رجل أكونُ معه وأصيب منه ، فدلِلْتُ عليه . . . واقتصّ هذا الحديث[2]. (٣: ٤٠٥).

١٧٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الملك بن عطاء ، عن الهيْثَم البكائيّ ، قال: كان أهلُ الأيَّام من أهل الكوفة يُوعدون معاويةَ عند بعض الذي يبلُغهم ، ويقولون: ما شاء معاوية! نحنُ أصحابُ ذات السلاسل ، ويسمّون ما بينها وبين الفراض؛ ما يذكرون ما كان بعد؛ احتقاراً لما كان بعد فيما كان قبل[3]. (٣: ٤٠٧).

١٧٩ ـ كتب إليّ السريُّ عن شُعيب ، عن سَيْف ، عن عبيد الله بن مُحَفِّز بن ثعلبة؛ عمنّ حدّثه من بكر بن وائل: أنّ مُحْرز بن حَريش المحاربيّ قال لخالد: اجعل كوكبَ الصبح على حاجبك الأيمن ، ثم أُمَّه تُفْضِ إلى سُوَى؛ فكان أدلَّهم[4]. (٣: ٤٠٩).

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

(٤) إسناده ضعيف.

ذكر مرض أبي بكر ووفاته

١٨٠ - حدّثني أبو زيد؛ عن عليّ بن محمد، بإسناده الذي قد مضى ذكره؛ قالوا: تُوُفِّيَ أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة في جُمادى الآخرة يوم الإثنين لثمان بقين منه. قالوا: وكان سبب وفاته: أنّ اليهود سَمَّتْه في أرُزّة، ويقال: في جذيذة، وتناول معه الحارث بن كَلَدة منها، ثم كَفّ، وقال لأبي بكر: أكلتَ طعاماً مسموماً سمّ سنة. فمات بعد سنة، ومرض خمسة عشر يوماً، فقيل له: لو أرسلتَ إلى الطبيب! فقال: قد رآني، قالوا: فما قال لك؟ قال: إنّي أفعل ما أشاء.

قال أبو جعفر: ومات عتّاب بن أسيد بمكّة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر - وكانا سُمّا جميعاً - ثم ماتَ عَتّاب بمكة[1]. (٣: ٤١٩).

ذكر الخبر عمن غسله والكفن الذي كفن فيه أبو بكر ومن صلى عليه والوقت الذي صلى عليه فيه والوقت الذي توفي فيه

١٨١ - حدّثني الحارث عن محمد بن سعد، قال: أخبرَنا مُعاذ بن مُعاذ، ومحمد بن عبد الله الأنصاريّ، قالا: حدّثنا الأشعث، عن عبد الواحد بن صَبِرة، عن القاسم بن محمد: أنّ أبا بكر الصّدّيق أوصى أن تغسله امرأته أسماء؛ فإن عجزت أعانها ابنُه محمد. قال ابن سعد: قال محمد بن عمر: وهذا الحديث وَهِل؛ وإنما كان لمحمد يوم تُوُفِّي أبو بكر ثلاث سنين. (٣: ٤٢١).

١٨٢ - قال أبو جعفر: وكان أوصى - فيما حدّثني الحارثُ عن ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة عن عمر بن عبد الله - يعني: ابن عروة - أنّه سمع عُروة والقاسم بن محمد يقولان:

---

(١) إسناده ضعيف، وقد أخرج ابن سعد والحاكم عن الزهري أن أبا بكر والحارث بن كلدة كانا يأكلان جزيذة أهديت لأبي بكر فقال الحارث لأبي بكر: ارفع يدك يا خليفة رسول الله، والله إن فيها لسمّ سنة، وأنا وأنت نموت في يوم واحد. فرفع يده، فلم يزالا عليلين حتىٰ ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة. وصحح السيوطي إسناده (تأريخ الخلفاء / ٧٥).
قلنا: وهو من مراسيل الزهري وفي متنه غرابة فلا يعلم الغيب إلا الله والأجل غيب من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله فكيف قال الحارث: وأنا وأنت نموت في يوم واحد؟! وهذا إسناد مرسل ومراسيل الزهري ضعيفة إذا لم يتابع.

أوصى أبو بكرٍ عائشة أن يُدفن إلى جَنْب النبيّ ﷺ ، فلمَّا تُوُفِّيَ حُفِر له ، وجعل رأسه عند كَتِفَيْ رسول الله ﷺ ، وألصقوا اللحدَ بلَحدِ النبيِّ ﷺ فقبر هنالك(١) . (٣: ٤٢٢) .

١٨٣ ـ قال الحارث: حدّثني ابنُ سعد ، قال: وأخبرنا محمد بن عمر ، قال: حَدّثني ابنُ عثمان عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، قال: جعل رأس أبي بكر عند كتفي رسولِ الله ﷺ ، ورأس عمر عند حَقْوي أبي بكر(٢) . (٣: ٤٢٢) .

١٨٤ ـ حدّثني الحارثُ عن ابن سعد ، قال: أخبرَنا محمد بن عمر ، قال: حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة عن عمرو بن أبي عمرو ، عن المطَّلب بن عبد الله بن حَنْطَب ، قال: جُعل قبر أبي بكر مثل قبرِ النبيّ ﷺ مُسَطَّحاً؛ ورُشَّ عليه الماء ، وأقامت عليه عائشة النَّوْح(٣) . (٣: ٤٢٣) .

١٨٥ ـ حدّثني يونس ، قال: أخبرنا ابنُ وهب ، قال: أخبرَنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب؛ قال: حدّثني سعيد بن المسيّب ، قال: لما تُوُفِّيَ أبو بكر رحمه الله أقامت عليه عائشة النَّوْح ، فأقبل عمر بن الخطَّاب حتى قام ببابها ، فنهاهنّ عن البكاء على أبي بكر ، فأبيْن أن ينتهين ، فقال عمر لهشام بن الوليد: ادخل فأخرج إليَّ ابنة أبي قُحافة؛ أخت أبي بكر ، فقالت عائشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر: إني أحرّج عليك بيتي. فقال عمر لهشام: ادخُل فقد أذنتُ لك ، فدخل هشام فأخرج أمّ فَرْوة أخت أبي بكر إلى عمر ، فعلاها بالدّرّة ، فضربها ضربات ، فتفرّق النَّوْح حين سمعوا ذلك(٤) . (٣: ٤٢٣) .

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف ، فهو من طريق الواقدي وهو متروك.

(٤) إسناده مرسل وأصله في البخاري معلقاً (وقد أخرج عمر أخت أبي بكر حين ناحت) (الفتح ٥/ ٩٠).

وأخرجه ابن سعد موصولاً عن سعيد بن المسيب قال: لما توفي أبو بكر أقامت عائشة عليه النوح فبلغ عمر فنهاهن فأبين ، فقال لهشام بن الوليد: اخرج إلى بيت أبي قحافة ـ يعني أم فروة ـ فعلاها بالدرة ضربات فتفرق النوائح حين سمعن بذلك. الطبقات (٣/ ٢٠٨) وصحح الحافظ إسناده (الفتح/ ٥/ ٩٠).

١٨٦ ـ وتمثَّل في مرضِه ـ فيما حدثني أبو زيد ، عن عليّ بن محمد بإسناده ـ الذي توفي فيه :

وكــــلُّ ذي إبــــلٍ مــــوروثٌ   وكــــلُّ ذي سَلَــــبٍ مسلــــوبُ
وكــــلّ ذي غيبــــةٍ يــــؤوبُ   وغــــائــــبُ المــــوتِ لا يــــؤوبُ

وكان آخر ما تكلم به : رَبِّ ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾[1] . (٣ : ٤٢٣) .

ذكر الخبر عن صفة جسم أبي بكر رحمه الله

١٨٧ ـ حدّثني الحارث عن ابن سعد ، قال : أخبرَنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا شُعَيب بن طَلْحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عن أبيه ، عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أنها نظرتْ إلى رجلٍ من العَرب مرّ وهي في هَوْدجها ، فقالت : ما رأيتُ رجلاً أشبَه بأبي بكر من هذا ، فقلنا لها : صِفي أبا بكر ، فقالت : رجل أبيض ، نحيف ، خفيف العارضين ، أجْنَأ ، لا يستمسك إزاره ، يسترخي عن حَقويْه ، معروق الوجه ، غائر العينين ، ناتىء الجبهة ، عاري الأشاجع[2] . (٣ : ٤٢٤) .

١٨٨ ـ وأما عليّ بن محمد؛ فإنه قال في حديثه الذي ذكرت إسناده قبل : إنَّه كان أبيضَ يخالطه صُفرة ، حسنَ القامة ، نحيفاً ، أجْنأ ، رقيقاً ، عتيقاً ، أقنى ، معروق الوجه ، غائر العينين ، حَمْش الساقين ، ممحوص الفخذيْن ، يخضب بالحنَّاء والكتَم .

وكان أبو قحافة حين تُوُفِّيَ حيّاً بمكّة ، فلما نُعي إليه قال : رُزْءٌ جليل![3] . (٣ : ٤٢٤) .

---

(١) إسناده ضعيف .
(٢) إسناده ضعيف ، وأخرجه ابن سعد من طريق الواقدي كذلك (٣/ ١٨٨) .
(٣) إسناده ضعيف . ولكن أخرج ابن سعد (٣/١٨٨) أخبرنا يزيد بن هارون قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : دخلت مع أبي عليٰ أبي بكر وكان رجلاً نحيفاً خفيف اللحم أبيض . وأخرج (٣/ ١٨٩) : أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي أويس قال : حدثني سليمان بن بلال عن محمد بن أبي عتيق وموسىٰ بن عقبة عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير : أن عائشة قالت : صبغ أبو بكر بالحناء والكتَم . =

ذكر نسب أبي بكر واسمه وما كان يُعرف به

١٨٩ - وأمَّا هشام ، فإنه قال - فيما حُدّثت عنه - إنّ اسم أبي بكر : عتيق بن عثمان بن عامر[١] . (٣: ٤٢٥) .

ذكر أسماء قضاته وكتابه وعُمَّاله على الصدقات

١٩٠ - وقال عليّ بن محمد عن الذين سمَّيتُ : قال بعضهم : جعل أبو بكر عمرَ قاضياً في خلافته ، فمكث سنة لم يخاصم إليه أحد.

قال : وقالوا : كان يكتب له زيد بن ثابت ، ويكتب له الأخبار عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان يكتب له مَنْ حضر .

وقالوا : كان عاملَه على مكَّة عَتَّاب بن أسيد ، وعلى الطَّائف عُثْمان بن أبي العاصي ، وعلى صَنْعاء المهاجر بن أبي أميَّة ، وعلى حَضْرموت زياد بن لَبيد ، وعلى خَوْلان يَعْلَى بن أميَّة ؛ وعلى زَبيد ورِمَع أبو موسى الأشعريّ ، وعلى الجنَد مُعاذ بن جبل ، وعلى البحْرين العَلاء بن الحضرميّ ، وبعث جرير بن عبد الله إلى نَجْران ، وبعث بعبد الله بن ثَوْر ؛ أحد بني الغَوْث إلى ناحية جُرَش ، وبعث عياض بن غَنْم الفِهريّ إلى دُومة الجنْدَل ؛ وكان بالشأم أبو عبيدة وشُرَحْبيل بن حَسَنة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ؛ كلّ رجل منهم على جند ، وعليهم خالد بن الوليد[٢] . (٣: ٤٢٦/ ٤٢٧) .

١٩١ - قالوا : ولم يعش أبو قُحافة بعد أبي بكر إلا ستَّة أشهر وأياماً ؛ وتوفِّيَ في المحرَّم سنة أربع عشرة بمكَّة ؛ وهو ابن سبع وتسعين سنة[٣] . (٣: ٤٢٧) .

= وكان أبو قحافة حين توفي حياً بمكة فلما نعي إليه قال : رزء جليل . ذكره الطبري بلا إسناد وهو جزء من حديث قصير أخرجه ابن سعد عن ابن المسيب (٣/ ٢١٠) وهو من طريق الواقدي وهو متروك .

(١) إسناده ضعيف جداً ، وقال السيوطي : قال ابن كثير : اتفقوا على أن اسمه عبد الله بن عثمان إلا ما روىٰ ابن سعد عن ابن سيرين أن اسمه عتيق والصحيح : أنه لقبه .

(٢) إسناده ضعيف .

(٣) لم يصرّح الطبري هنا بسماعه من الحارث (وكان فيما ذكر الحارث) وقال ابن كثير عقب هذا=

ذكر استخلافه عمر بن الخطاب

١٩٢ ـ وعقد أبو بكر في مَرْضته التي تُوُفِّيَ فيها لعمر بن الخطاب عَقْد الخلافة من بعده.

وذُكر أنه لما أراد العَقْد له دَعَا عبد الرحمن بن عَوْف؛ فيما ذكر ابن سعد عن الواقديّ، عن ابن أبي سَبْرة، عن عبد المجيد بن سُهيل، عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن؛ قال: لمَّا نزل بأبي بكر ـ رحمه الله ـ الوفاةُ دعا عبدَ الرحمن بن عوْف، فقال: أخبِرْني عن عمر، فقال: يا خليفةَ رسول الله! هو واللهِ أفضلُ من رأيك فيه من رجل؛ ولكن فيه غِلْظة. فقال أبو بكر: ذلك لأنه يراني رقيقاً، ولو أفضَى الأمر إليه؛ لترك كثيراً ممَّا هو عليه. ويا أبا محمد! قد رمَّقتُه، فرأيتُني إذا غضبتُ على الرجل في الشيء أراني الرّضا عنه، وإذا لِنتُ له أراني الشدّة عليه؛ لا تذكرْ يا أبا محمد مما قلت لك شيئاً، قال: نعم. ثم دعا عثمان بن عفان، قال: يا أبا عبد الله! أخبِرْني عن عمر، قال: أنت أخبرُ به، فقال أبو بكر: عليَّ ذاك يا أبا عبد الله! قال: اللهمّ علمي به: أنّ سريرته خيرٌ من علانيته؛ وأن ليس فينا مثله. قال أبو بكر رحمه الله: رحمك الله يا أبا عبد الله! لا تذكر ممَّا ذكرتُ لك شيئاً، قال: أفعل، فقال له أبو بكر: لو تركتُه ما عدوتُك، وما أدري لعلَّه تارِكه، والخيرَة له ألاّ يلي من أموركم شيئاً، ولوددتُ أني كنت خلْواً من أموركم؛ وأنّي كنتُ فيمَن مضى من سلَفِكم؛ يا أبا عبد الله! لا تذكرَنّ مما قلتُ لك من أمر عمر، ولا ممَّا دعوتك له شيئاً[١]. (٣: ٤٢٨).

١٩٣ ـ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا يحيى بن واضح، قال: حدّثنا يونس بن عمرو عن أبي السَّفر، قال: أشرف أبو بكر على النَّاس من كنيفه وأسماءُ ابنة عُميس

= الأثر: (وهذا غريب)، (البداية والنهاية ٧/ ١٨).
قلنا: ومتن هذه الرواية مخالف لما أخرجه البخاري في صحيحه (في خاتم أبي بكر) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: اتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من ورق وكان في يده، ثم كان بعد في يد أبي بكر، ثم كان بعد في يد عمر، ثم كان بعد في يد عثمان، حتىٰ وقع بعد في بئر أريس، نقشه: محمد رسول الله (فتح الباري ١٠/ ٢٣٦).

(١) إسناده ضعيف.

ممسكتُه ، موشومة اليديْن ، وهو يقول: أترضوْن بمن أستخلف عليكم؟ فإنّي والله ما ألوْتُ من جَهْد الرّأي ، ولا ولَّيت ذا قرابة ، وإنّي قد استخلفتُ عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له ، وأطيعوا ! فقالوا: سمعنا ، وأطعنا [١]. (٣: ٤٢٨).

١٩٤ - حدّثني عُثمان بن يحيى عن عثمان القرقسانيّ ، قال: حدّثنا سفيان ابن عُيَينة ، عن إسماعيل ، عن قيس ، قال: رأيتُ عمرَ بن الخطاب وهو يجلس والنَّاس معه ، وبيده جَرِيدة ، وهو يقول: أيُّها الناس ! اسمعوا وأطيعوا قولَ خليفةِ رسول الله ﷺ؛ إنَّه يقول: إنّي لم آلُكم نصْحاً. قال: ومعه مولىً لأبي بكر يقال له: شديد ، معه الصحيفة الّتي فيها استخلاف عمر [٢].

١٩٥ - حدّثنا يونُس بن عبد الأعلى ، قال: حَدّثنا يحيى بن عبد الله بن بُكَيْر ، قال: حدّثنا اللَّيْث بن سعد، قال: حَدّثنا عُلْوان عن صالح بن كيسان، عن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه: أنَّه دخل على أبي بكر الصّدّيق رضي الله تعالى عنه في مَرَضِه الذي تُوُفِّيَ فيه؛ فأصابه مهتمّاً ، فقال له عبد الرحمن: أصبحتَ والحمد لله بارئاً! فقال أبو بكر رضي الله عنه: أتراه؟ قال: نعم ، قال: إنِّي ولَّيْتُ أمرَكم خيرَكم في نفسي؛ فكلّكم وَرِمَ أنفُه من ذلك ، يريد أن يكون الأمر له دونه؛ ورأيتم الدنيا قد أقبلتْ ولمّا تقبِلْ ، وهي مقبلة حتى تتَّخذوا ستور الحرير ونضائد الديباج ، وتألَمُوا الاضطجاع على الصوف الأذْرِيّ؛ كما يألَمُ أحدُكم أن ينامَ على حَسَك؛ والله لأن يقدّم أحدكم فتُضرب عنقُه في غير حدّ خيرٌ له من أن يخوضَ في غمرة الدنيا ، وأنتم أوّلُ ضالّ بالناس غداً ، فتصدونهم عن الطريق يميناً وشمالاً. يا هاديَ الطريق ، إنَّما هو الفَجْر أو البَجْر ، فقلت له: خَفّض عليك رحمك الله ! فإن هذا يهيضك في أمرك. إنَّما النَّاس في أمرك بين رجليْن: إمَّا رجلٌ رأى ما رأيتَ فهو معك، وإمَّا رجلٌ خالفك فهو مُشير عليك ، وصاحبُك كما تحبّ؛ ولا نعلمك أردتَ إلا خيراً ، ولم تزل صالحاً مُصْلحاً ، وإنك لا تأسى على شيء من الدنيا.

قال أبو بكر رضي الله عنه: أجَلْ ، إني لا آسَى على شيء من الدنيا إلاّ على ثلاث فعلتُهنّ؛ وددت أني تركتهنّ ، وثلاث تركتهنّ؛ وددتُ أني فعلتهنّ؛ وثلاث

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

وددت أنّي سألتُ عنهنّ رسولَ الله ﷺ . فأمّا الثلاث اللاّتي وددت أنّي تركتُهنّ: فوددْت أنّي لم أكشِفْ بيتَ فاطمة عن شيء. وإن كانوا قد غلّقوه على الحرب، ووددت أني لم أكن حَرَقْتُ الفُجاءَة السُّلَميّ، وأني كنت قتلته سريحاً، أو خلّيته نجيحاً. ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنتُ قذفت الأمرَ في عنق أحد الرجلين - يريد عمر، وأبا عبيدة - فكان أحدُهما أميراً؛ وكنت وزيراً. وأمّا اللاتي تركتهنّ: فوددت أني يوم أتِيتُ بالأشعثِ بن قيس أسيراً كنت ضربت عنقه، فإنه تخيَّل إليّ أنه لا يرى شرّاً إلاّ أعان عليه. ووددت أني حين سيَّرت خالد بن الوليد إلى أهل الرِّدّة؛ كنت أقمت بذي القَصّة؛ فإن ظَفِر المسلمون ظفِروا، وإن هُزموا كنت بصدد لقاء، أو مدداً. ووددت أني كنت إذ وجَّهت خالد بن الوليد إلى الشأم كنتُ وجّهت عمر بن الخطاب إلى العراق؛ فكنت قد بسطتُ يديّ كلتيهما في سبيل الله - ومدّ يديه - ووددْت أني كنتُ سألتُ رسولَ الله ﷺ : لمن هذا الأمر؟ فلا ينازَعه أحد؛ ووددت أني كنتُ سألته: هل للأنصار في هـذا الأمر نصيب؟ ووددت أني كنتُ سألته عن ميراث ابنة الأخ، والعَمّة؛ فإنّ في نفسي منهما شيئاً[1]. (٣: ٤٢٩/ ٤٣٠/ ٤٣١).

---

(١) رواية منكرة وفيها من الغمز والطعن في صحابة رسول الله ما فيها، وعلة هذه الرواية من الراوي علوان بن داود (ويسمىٰ كذلك علوان بن صالح) وهو منكر الحديث وكذلك قال أبو سعيد بن يونس، وقال العقيلي: له حديث لا يتابع عليه ولا يعرف إلا به (ميزان الاعتدال ٣/ ١٠٨/ ت ٥٧٦٣) (لسان الميزان ٤/ت ٥٧٥٢) ولقد ذكر العقيلي هذا الحديث (رواية) في ترجمته لعلوان (الضعفاء الكبير ٣/ ٤١٩/ ت ١٤٦١).
وطعن علوان هذا واضح في هذه الرواية إذ يقول على لسان أبي بكر عن الصحابة: (فكلكم ورم أنفه من ذلك) وحاشا لأبي بكر أن يقول ذلك بل هو تلفيق من علوان وهو منكر الحديث.
وإن كان بعض صحابة رسول الله استفسروا من أبي بكر عن سبب اختياره لعمر فذلك والله أعلم لشدة عمر بن الخطاب الذي لم تأخذه في الله يوماً من الأيام لومة لائم وشدته كانت في الحق.
ولم ينكر سيدنا عمر شدته هذه بل دعا أن يرزقه الله اللين، والذي يتتبع روايات التأريخ وسيرة الخلفاء يرىٰ أن عمراً كان شديداً يوم أن كان صحابياً لرسول الله ﷺ ليس عليه إلا التنفيذ فكانت قوته ذخراً بين يدي رسول الله يستخدم هذه القوة بما يراه صواباً، وكان عمراً شديداً كذلك يوم أن كان وزيراً وردفاً ومستشاراً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه فكان منفذاً كذلك لا مقرراً، ولكن هذه الشدة تغيرت تماماً من أول يوم استلم عمر فيه الخلافة إذ علم أنه أمام الأمر الواقع مقرر ومنفذ فكان يختار أيسر الأمور لرعيته ما لم يكن فيه إثم (كما تعلم من

١٩٦ - قال لي يونس: قال لنا يحيى: ثم قدِم علينا علْوان بعد وفاة اللَّيْث، فسألته عن هذا الحديث، فحدّثني به كما حدّثني الليث بن سعد حَرْفاً حَرْفاً؛ وأخبرني: أنه هو حدَّث به الليث بن سعد، وسألته عن اسم أبيه، فأخبرني أنه علوان بن داود[١]. (٣/ ٤٣١).

١٩٧ - وحدّثني محمد بن إسماعيل المراديّ، قال: حَدّثنا عبد الله بن صالح المصريّ، قال حدّثني اللَّيْث عن علوان بن صالح، عن صالح بن كَيْسان، عن حُميد بن عبد الرحمن بن عوف: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، قال - ثم ذكر نحوه، ولم يقل فيه: «عن أبيه»[٢]. (٣: ٤٣١).

* * *

= رسول الله ﷺ) بينما يختار لنفسه وأهله أعسر الطرق وأخشنها وأشدها خشية أن ينال شيئاً ولو يسيراً من بيت مال المسلمين رضي الله عنه وأرضاه.

(١) رواية منكرة كما سبق أن ذكرنا.

(٢) رواية منكرة كما سبق أن ذكرنا وراجع (٢٨٣).




ضعيف
تاريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه






١٩٨ - فيما حدّثني أبو السائب ، قال: حدّثنا ابن فُضيل ، عن ضرار ، عن حُصَين المُريّ ، قال: قال عمر: إنَّما مَثَلُ العربِ مثلُ جمل أنِف اتَّبع قائده ، فلينظر قائدُه حيث يقود؛ وأمَّا أنَا فوربِّ الكعبة لأحملنَّهم على الطريق[١]! (٣: ٤٣٣).

ذكر غزوة فِحْل وفتح دمشق

١٩٩ - وأما سيف ـ فيما ذكر السريّ ، عن شعيب ، عنه ، عن أبي عثمان ، عن خالد وعبادة ـ فإنه ذكر في خبره: أنّ البريد قدم على المسلمين من المدينة بموت أبي بكر وتأمير أبي عبيدة؛ وهم باليرموك؛ وقد التحم القتال بينهم وبين الرُّوم. وقصّ من خبر اليرموك وخبر دمشق غير الذي اقتصّه ابن إسحاق؛ وأنا ذاكر بعض الذي اقتصّ من ذلك[٢]. (٣: ٤٣٥).

٢٠٠ - كتب إليَّ السريّ عن شعيب، عن سيف ، عن محمَّد، عن أبي عثمان، عن أبي سعيد ، قال: لمَّا قام عمر رضي عن خالد بن سعيد ، والوليد بن عُقْبة ، فأذِنَ لهما بدخول المدينة ، وكان أبو بكر قد منعهما لفرّتهما التي فرّاها ، وردّهما إلى الشأم ، وقال: ليبلغني عنكما غناء أبْلِكما بلاءً؛ فانضمَّا إلى أي أمرائنا أحببتما؛ فلحقا بالناس فأبليا ، وأغنَيا[٣]. (٣: ٤٣٥/٤٣٦).

٢٠١ - وأما ابن إسحاق؛ فإنه قال في أمْر خالد وعَزْل عمر إياه ما حدّثنا محمد بن حُميد ، قال: حدثنا سَلَمة عنه ، قال: إنَّما نَزَع عمر خالداً في كلام كان خالد تكلَّم به ـ فيما يزعمون ـ ولم يزل عمر عليه ساخطاً ، ولأمره كارهاً في زمان أبي بكر كلّه ، لوقعته بابن نُويْرة ، وما كان يعمل به في حربه؛ فلمَّا استُخلف عمر كان أوّل ما تكلَّم به عزله ، فقال: لا يلي لي عملاً أبداً؛ فكتب عمر إلى أبي عُبيدة: إنْ خالد أكذب نفسه؛ فهو أمير على ما هو عليه؛ وإن هو لم يُكذب نفسَه

---

(١) في إسناده من لم نجد له ترجمة ، ولم نجد فيها بين أيدينا من الروايات الصحيحة ما يؤيد هذه الرواية وفي متنه غرابة والله أعلم.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

فأنتَ الأمير على ما هو عليه؛ ثم انزع عمامته عن رأسه ، وقاسمْه مالَه نصفيْن. فلمّا ذكر أبو عبيدة ذلك لخالد ، قال: أنظِرْني أستشِرْ أختي في أمري ، ففعل أبو عبيدة؛ فدخل خالد على أخته فاطمة بنت الوليد ـ وكانت عند الحارث بن هشام ـ فذكر لها ذلك ، فقالت: والله لا يحبّك عمر أبداً ، وما يريد إلاّ أن تُكذب نفسك ثم ينزعك ، فقبّل رأسها وقال: صدقتِ والله! فتمّ على أمرِه ، وأبى أن يُكْذِب نفسَه. فقام بلال مولَى أبي بكر إلى أبي عبيدة ، فقال: ما أمِرْتَ به في خالد؟ قال: أمرْت أن أنزِع عمامته ، وأقاسمه مالَه. فقاسمه مالَه حتى بقيتْ نعلاه ، فقال أبو عبيدة: إنّ هذا لا يصلُح إلاّ بهذا ، فقال خالد: أجلْ ، ما أنا بالَّذي أعصِي أميرَ المؤمنين؛ فاصنع ما بدَا لك! فأخذ نعلاً وأعطاه نعلاً. ثم قدم خالد على عمر المدينة حين عزله[١]. (٣: ٤٣٦/ ٤٣٧).

٢٠٢ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سَلَمة عن محمد بن إسحاق ، عن محمَّد بن عمر بن عطاء ، عن سُلَيمان بن يَسار ، قال: كان عُمر كلَّما مرّ بخالد قال: يا خالد! أخرِج مالَ الله من تحتِ استك ، فيقول: والله ما عندي من مال؛ فلمَّا أكثرَ عليه عمر قال له خالد: يا أمير المؤمنين! ما قيمةُ ما أصبتُ في سلطانكم! أربعين ألف درهم! فقال عمر: قد أخذتُ ذلك منك بأربعين ألف درهم ، قال: هو لك ، قال: قد أخذته. ولم يكنِ لخالد مال إلاّ عُدّة ورقيق ، فحُسب ذلك ، فبلغت قيمته ثمانين ألف درهم فناصَفه عمر ذلك ، فأعطاه أربعين ألف درهم ، وأخذ المال. فقيل له: يا أميرَ المؤمنين! لو رددت على خالد مَاله! فقال: إنَّما أنا تاجر للمسلمين ، والله لا أردّه عليه أبداً. فكان عمر يُرَى: أنه قد اشتفَى من خالد حين صنع به ذلك[٢]. (٣: ٤٣٧).

٢٠٣ ـ وقال محمد بن إسحاق: كان فتح دمشق في سنة أربع عشرة في رجب.

وقال أيضاً: كانت وقعة فِحْل قبل دمشق؛ وإنما صار إلى دمشق رافضة فِحْل ؛

---

(١) إسناده ضعيف إلى ابن إسحاق ، وقد رواه ابن إسحاق معضلاً ، أما قسمة مال خالد فراجعها في الصحيح والله أعلم.

(٢) إسناده ضعيف جداً ، وفيه من الطعن والغمز في الصحابة ما فيه ومنه اتهام سيدنا عمر بأنه جرّد خالد من ماله استشفاء به ، والروايات التي ذكرنا في الصحيح تخالف متن هذه الرواية الضعيفة وكفى بها ضعفاً مخالفتها لما في الصحيح ناهيك عن ضعف إسنادها والله أعلم.

واتَّبعهم المسلمون إليها. وزعم أنّ وقعة فحْل كانت سنة ثلاث عشرة في ذي القَعْدة منها؛ حدّثنا بذلك ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سَلَمة، عنه[١]. (٣: ٤٤١).

٢٠٤ - وأمَّا الواقديّ: فإنه زعم: أنّ فتح دمشق كان في سنة أربع عشرة؛ كما قال ابنُ إسحاق. وزعم: أنّ حِصار المسلمين لها كان ستَّة أشهر. وزعم: أنّ وقعة اليرموك كانت في سنة خمس عشرة وزعم: أنّ هرقل جَلا في هذه السنة بعد وقعة اليَرْموك في شعبان من أنْطَاكِيَة إلى قُسطنطينيَّة، وأنه لم يكن بعد اليَرْموك وقعة[٢]. (٣: ٤٤١).

ذكر خبر المثنّى بن حارثة وأبي عبيد بن مسعود

٢٠٥ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف بن عمر، عن محمد بن عبد الله بن سَوَاد، وطلحة بن الأعلم، وزياد بنِ سرْجِس الأحْمَريّ بإسنادهم، قالوا: أوّل ما عمِل به عمر أن ندَب النَّاس مع المثنَّى بن حارثة الشيبانيّ إلى أهل فارس قَبْل صلاة الفجر، من اللَّيلة التي مات فيها أبو بكر رضي الله عنه، ثم أصبح فبايع الناس، وعاد فندَب النَّاس إلى فارس، وتتابع النَّاس على البَيْعة ففرغوا في ثلاثٍ، كلّ يوم يندبهم فلا ينتدب أحد إلى فارس؛ وكان وجْه فارس من أكرهِ الوجوه إليهم وأثقلها عليهم، لشدّة سلطانهم وشوكتهم وعزّهم وقهرهم الأمم. قالوا: فلمَّا كان اليوم الرابع؛ عاد فندب النَّاس إلى العراق؛ فكان أوّلَ منتدب أبو عُبيد بن مسعود، وسعد بن عبيد الأنصاريّ حليف بني فزارة؛ هرب يوم الجسر، فكانت الوجوه تُعْرَض عليه بعد ذلك، فيأبى إلاّ العراق، ويقول: إنّ الله جلّ وعزّ اعتدّ عليّ فيها بفرَّة؛ فلعلّه أن يردّ عليّ فيها كرّة. وتتابع الناس[٣]. (٣: ٤٤٤).

---

(١) إسناده ضعيف إلى ابن إسحاق، وقد ذكره ابن إسحاق معضلاً.

(٢) إسناده ضعيف جداً ـ وقد سبق الحديث عن الاختلاف في السنة التي كان فيها فتح دمشق والله أعلم.

(٣) إسناده ضعيف، ولم نجد فيما بين أيدينا من المراجع التأريخية رواية ولو واحدة مسندة موصولة صحيحة تثبت أن الصحابة والتابعين لم يستجيبوا لنداء عمر بن الخطاب لتجهيز الجيوش لإمداد المسلمين الفاتحين في العراق ونظنه والله أعلم دساً من شعيب (راوية سيف) والمعروف بتحامله على السلف فوافق ضعف الإسناد تحامل شعيب هذا فأوردنا هذه الرواية وما بعدها في الضعيف والله أعلم بالصواب.

٢٠٦ ـ كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، قال: وتكلّم المثنّى بن حارثة، فقال: يا أيها الناس! لا يَعْظُمنّ عليكم هذا الوجه؛ فإنا قد تبحبحنا ريفَ فارس، وغلبناهم على خير شِقَّي السَّواد وشاطرناهم ونلنا منهم؛ واجترأ مَن قِبلنا عليهم، ولها إن شاء الله ما بعدها. وقام عمر رحمه الله في الناس، فقال: إنّ الحجاز ليس لكم بدار إلاّ على النُّجعة، ولا يقوَى عليه أهلُه إلاّ بذلك؛ أين الطُّرَّاء المهاجرون عن موعود الله؟ سيرُوا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها؛ فإنه قال: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، والله مظهر دينه، ومعزّ ناصِره، ومولي أهله مواريثَ الأمم. أين عباد الله الصالحون؟!

فكان أوّل منتدب أبو عُبيد بن مسعود، ثم ثنى سعد بن عبيد ـ أو سَليط بن قيس ـ فلمّا اجتمعَ ذلك البعث، قيل لعمر: أمِّرْ عليهم رجلاً من السابقين من المهاجرين والأنصار. قال: لا والله لا أفعل؛ إنّ الله إنّما رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدوّ؛ فإذا جبنتم وكرهتم اللِّقاء؛ فأولى بالرياسة منكم مَن سبق إلى الدفع، وأجاب إلى الدعاء! والله لا أؤمّر عليهم إلاّ أوّلَهم انتداباً. ثم دعا أبا عُبيد، وسَلِيطاً وسعداً؛ فقال: أما إنّكما لو سبقتماه لولّيتكما ولأدركتُما بها إلى ما لَكما من القُدْمة. فأمّر أبا عُبيد على الجيش، وقال لأبي عبيد: اسْمَع من أصحاب النبيّ ﷺ، وأشرِكْهم في الأمر، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبيَّن؛ فإنها الحرب، والحرب لا يصلحها إلاّ الرّجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكفّ.

وقال رجل من الأنصار: قال عمر رضي الله عنه لأبي عبيد: إنه لم يمنعني أن أؤمِّرَ سَليطاً إلاّ سرعته إلى الحرب، وفي التسرّع إلى الحرب ضَياع إلاّ عن بيان، والله لولا سرعتُه لأمّرتُه! ولكنّ الحرب لا يصلحها إلاّ الْمَكِيث[1].

(٣: ٤٤٤/ ٤٤٥).

---

(١) إسناده ضعيف، وفيه كذلك من الغمز والطعن في الصحابة السابقين من المهاجرين والأنصار ووصفهم بأنهم كانوا أقل سبقاً إلى العدو، والروايات التأريخية الصحيحة تثبت عكس ذلك بل إن من أسباب هزيمة المسلمين في بداية معركة الطائف هو اختلاطهم بأقوام حديثي عهد بالإسلام ولسنا ندّعي بأن الصحابة هم المنتصرون دائماً في كل معركة فهم بشر يصيبون ويخطئون وينتصرون ولا ينتصرون أحياناً ولكنهم خير القرون وأزهدهم في الدنيا وأرغبهم في

٢٠٧ ـ كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم، عن سَيْف بن عمر، عن المجالد، عن الشعبيّ، قال: قدِم المثنّى بن حارثة على أبي بكر سنة ثلاث عشرة؛ فبعث معه بَعْثاً قد كان ندبهم ثلاثاً؛ فلم ينتدب له أحد حتّى انتدَب له أبو عُبيد ثم سعد بن عبيد، وقال أبو عبيد حين انتدَب: أنا لَهَا، وقال سعد: أنا لَهَا؛ لفَعْلة فعلها. وقال سَليط: فقيل لعمَر: أمّر عليهم رجلاً له صحبة، فقال عمر: إنّما فَضُل الصحابة بسرعتهم إلى العدوّ وكفايتهم مَنْ أبى؛ فإذا فعل فعلهم قوْم واثّاقلوا كان الذين ينفرون خفافاً وثقالاً أوْلَى بها منهم؛ والله لا أبعث عليهم إلاّ أوّلَهم انتداباً! فأمَّر أبا عُبيد، وأوصاه بجنده[1]. (٣: ٤٤٥/ ٤٤٦).

خبر النمارق

٢٠٨ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن مجالد، وعمرو عن الشعبيّ، وأبي رَوْق، قالوا: كانت بُوران بنت كسرى ـ كلّما اختلف النَّاس بالمدائن ـ عَدْلاً بين الناس حتى يصطلحوا، فلما قُتِل الفرُخزاذ بن البنْدُوان وقدِم رستَم فقتل آزَرْميدُخت؛ كانت عَدْلاً إلى أن استخرجوا يَزْدَجِرْد، فقدم أبو عُبيد والعَدْل بُوران، وصاحب الحرب رستم؛ وقد كانت بُوران أهدتْ للنبيّ ﷺ، فقبل هديّتها، وكانت ضدّاً على شيري سنة، ثم إنَّها تابعته، واجتمعا على أن رأس، وجعلها عدلاً[2]. (٣: ٤٤٦/ ٤٤٧).

٢٠٩ ـ كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم، قالوا: لما قتَل سيَاوَخْش فرّخْزَاذ بن البِنْدوان، وملكت آزرميدخت، اختلف أهلُ فارس، وتشاغلوا عن المسلمين غَيْبَةَ المثنَّى كلَّها إلى أن رجع من المدينة. فبعثت بُوران إلى رستم بالخبر، واستحثَّته بالسَّير؛ وكان

= الآخرة وأشجعهم وأصبرهم وأخلدهم. كيف لا وقد اختارهم الله من بين جميع خلقه لصحبة أتقى الناس وأشجعهم وأنبلهم وأصدقهم ﷺ ولكننا استبعدنا هذه الرواية عن قسم الصحيح واستشنعنا بعض ما فيه من الأقوال سداً للباب أمام كل من أراد الطعن في عدالة الصحابة ومنهم شعيب هذا واتباعاً للقاعدة التي ذكرناها في بداية عهد الخلفاء.

(١) إسناده ضعيف، وراجع ما ذكرنا في تعليقنا على الرواية السابقة.

(٢) إسناده ضعيف.

على فَرْج خُراسان ، فأقبل في النَّاس حتى نزل المدائن؛ لا يلقى جيشاً لآزرميدخت إلاّ هزمه ، فاقتتلوا بالمدائن ، فهُزم سِياوَخْش ، وحُصِر ، وحُصِرت آزرميدخت؛ ثم افتتحها فقتل سِياوَخش ، وفقأ عين آزرميدخت ، ونصّبَ بوران ودعتْه إلى القيام بأمرِ أهل فارس ، وشكَتْ إليه تضعضعَهم ، وإدبار أمرهم؛ على أن تملّكه عَشْر حجَج؛ ثم يكون المُلْكُ في آل كسرى ، إن وجدوا من غلمانهم أحداً؛ وإلاّ ففي نسائهم. فقال رستم: أمّا أنا فسامع مطيع ، غير طالب عِوضاً ولا ثواباً ، وإن شرّفتموني وصنعتم إليّ شيئاً فأنتم أولياء ما صنعتم؛ إنما أنا سهمُكم وطوعُ أيديكم. فقالت بُوران: اغدُ عليّ ، فغدا عليها ودعتْ مرازبة فارس ، وكتبت له بأنَّك على حرب فارس؛ ليس عليك إلاّ الله عزّ وجلّ ، عن رضاً منَّا وتسليم لحكمك ، وحكمُك جائز فيهم ما كان حكمك في منْع أرضهم وجمعِهم عن فُرقتهم. وتوَّجته وأمرت أهلَ فارس أن يسمعوا له ويطيعوا. فدانت له فارس بعد قدوم أبي عُبيد؛ وكان أوّل شيء أحدثه عمر بعد موتِ أبي بكر من اللَّيل؛ أن نادى: الصلاة جامعة! ثم ندبهم فتفرّقوا على غير إجابة من أحد ، ثم نَدبهم في اليوم الرابع ، فأجاب أبو عبيد في اليوم الرابع أوّل الناس ، وتتابع النَّاس ، وانتخب عمر من أهل المدينة ومَن حولها ألفَ رجل ، أمَّر عليهم أبا عُبيد ، فقيل له: استعمل عليهم من أصحاب النبيّ ﷺ ، فقال: لا ها الله ذا يا أصحاب النبيّ ، لا أندبكم فتنكلون ، وينتدب غيركم فأؤمّركم عليهم! إنكم إنَّما فُضِّلتم بتسرّعكم إلى مثلها؛ فإن نكَلتم فضَلوكم؛ بل اؤمّر عليكم أوّلكم انتداباً. وعَجّل المثنَّى ، وقال: النَّجاء حتى يقدم عليك أصحابك! فكان أوّل شيء أحدثه عمر في خلافته مع بيعته بعثُه أبا عبيد ، ثم بعث أهلَ نجران ، ثم ندَب أهل الرّدة ، فأقبلوا سراعاً من كلّ أوْب؛ فرمى بهم الشأم والعراق؛ وكتب إلى أهل اليرموك: بأنّ عليكم أبا عبيدة بن الجرّاح؛ وكتب إليه: إنَّك على الناس؛ فإن أظفرَك الله فاصرف أهلَ العراق إلى العراق؛ ومن أحبَّ من أمدادكم إذا هم قدِموا عليكم. فكان أوّل فتح أتاه اليرموك على عشرين ليلة من متوفَّى أبي بكر؛ وكان في الأمداد إلى اليرموك في زمن عمر قيس بن هُبيرة ، ورجع مع أهل العراق ولم يكن منهم ، وإنما غزا حين أذِن عمر لأهل الردّة في الغزْو. وقد كانت فارس تشاغلتْ بموت شَهْر بَراز عن المسلمين؛ فملّكت شاه زَنان؛ حتى اصطلحوا على سابور بن شَهْر بَراز بن أردشير بن شَهريار ، فثارت به آزرميدُخْت ، فقتلته

والفَرُّخْزاذ ، وملكت ـ ورستم بن الفُرّخزاذ بخُراسان على فَرْجها ـ فأتاه الخبر عن بُوران. وقدم المثنَّى الحيرة من المدينة في عَشْرٍ ، ولحقه أبو عبيد بعد شهر ، فأقام المثنَّى بالحيرة خمسَ عشرَة ليلة؛ وكتب رستم إلى دهاقين السواد أن يثوروا بالمسلمين ، ودسّ في كلّ رُستاق رجلاً ليثور بأهله ، فبعث جابان إلى البِهْقُباذ الأسفل؛ وبعث نَرْسي إلى كَسْكر ، ووعدهم يوماً؛ وبعث جنداً لمصادَمة المثنَّى؛ وبلغ المثنَّى ذلك؛ فضمّ إليه مسالِحَه وحذِر ، وعجل جابان ، فثار ، ونزل النَّمارق.

وتوالوا على الخروج؛ فخرج نَرْسي ، فنزل زَنْدَوَرْد ، وثار أهلُ الرساتيق من أعلَى الفرات إلى أسفله؛ وخرج المثنَّى في جماعة حتى ينزل خَفّان؛ لئلاّ يؤتى من خلفه بشيء يكرهه ، وأقام حتى قدِم عليه أبو عبيدة؛ فكان أبو عبيد على النَّاس ، فأقام بَخفّان أياماً ليستجمّ أصحابه؛ وقد اجتمع إلى جابان بشرٌ كثير ، وخرج أبو عبيد بعد ما جمَّ الناسُ وظَهْرُهم ، وتعبَّى ، فجعل المثنَّى على الخيل ، وعلى ميمنته والق بن جيدارة ، وعلى ميسرته عمرو بن الهَيْثم بن الصّلْت بن حبيب السلميّ. وعلى مجنَّبتي جابان جُشنَس ماه ومَرْدانْشاه. فنزلوا على جابان بالنَّمارق ، فاقتتلوا قتالاً شديداً. فهزم الله أهلَ فارس ، وأسِرَ جابان ، أسره مطر بن فضّة التيميّ ، وأسِرَ مَرْدانشاه ، أسره أكْتَل بن شَمَّاخ العُكليّ ، فأمّا أكْتَل فإنه ضرب عنق مردانشاه ، وأمّا مطر بن فضّة فإنّ جابان خَدَعه ، حتى تفلَّت منه بشيء فخلّى عنه؛ فأخذه المسلمون ، فأتوا به أبا عُبيد وأخبروه أنّه الملك ، وأشاروا عليه بقتله ، فقال: إنّي أخافُ الله أن أقتلَه؛ وقد آمنه رجل مسلم ، والمسلمون في التوادّ والتناصر كالجسدِ؛ ما لزم بعضَهم فقد لزمهم كلَّهم. فقالوا له: إنه الملك ، قال: وإن كان لا أغدر ، فتركه[1]. (٣: ٤٤٧/٤٤٨/٤٤٩).

السَّقاطية بكسكر

٢١٠ -كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ومجالد وزياد والنَّضْر بإسنادهم ، قالوا: أتاه أولئك الدّهاقين المتربِّصين جميعاً بما وسع الجند ، وهابوا وخافوا على أنفسهم. وأمّا النَّضْر ومجالد فإنهما قالا:

---

(١) إسناده ضعيف.

قال أبو عبيد: ألم أعلمكم أني لستُ آكلاً إلاّ ما يسع مَن معي ممّن أصبتم بهم! قالوا: لم يبقَ أحدٌ إلاّ وقد أتى بشبعه من هذا في رحالهم وأفضل. فلمَّا راح النَّاس عليه سألهم عن قرى أهلِ الأرض فأخبروه، وإنما كانوا قصَّروا أوّلاً تربُّصاً ومخافة عقوبة أهل فارس. وأمَّا محمد وطلحة وزياد فإنهم قالوا: فلمَّا علم قَبِل منهم، وأكل وأرسل إلى قوم كانوا يأكلون معه أضيافاً عليه يدعوهم إلى الطعام، وقَد أصابوا من نُزل فارس ولم يروْا أنّهم أتوا أبا عبيد بشيء فظنّوا أنهم يُدْعَون إلى مثل ما كانوا يُدعون إليه من غَليظ عيش أبي عبيد؛ وكرهوا تَرْك ما أتوا به من ذلك؛ فقالوا له: قل للأمير؛ إنَّا لا نشتهي شيئاً مع شيء أتتنا به الدهاقين؛ فأرسل إليهم: إنَّه طعام كثير من أطعمة الأعاجم؛ لتنظروا أين هو مما أتيتم به! إنه قَرْو ونجم وجوزل وشواء وخردل، فقال في ذلك عاصم بن عمرو وأضيافه عنده:

إن تَـكُ ذا قَـرْوٍ ونَجْـمٍ وجَـوْزَلٍ ... فعِنـدَ ابـنِ فَـرُّوخ شـواءٌ وخَـرْدَلُ
وقَـرْوٌ رقـاق كـالصَّحـائِـفِ طُـوِّيَـتْ ... علـى مُـزَعٍ فيهـا بقُـولٌ وجَـوْزَلُ

وقال أيضاً:

صَبَحْنـا بـالبَقـايـسِ رَهْـط كِسـرَى ... صبُـوحـاً ليـس مـن خَمـرِ السَّـوادِ
صَبَحْنـاهُـمْ بكـلِّ فتـىً كمِـيّ ... وأجْـرَدَ سـابـحٍ مـن خَيْـلِ عـادِ

ثم ارتحل أبو عُبيد، وقدم المثنَّى، وسار في تعبيته حتى قدم الحيرة. وقال النَّضر ومجالد ومحمد وأصحابه: تقدم عمر إلى أبي عُبيد، فقال: إنَّك تقدم على أرض المكْر والخديعة والخيانة والجَبريّة، تقدم على قوم قد جرؤوا على الشرّ فعلموه، وتناسوا الخير فجهلوه، فانظر كيف تكون! واخزُن لسانك، ولا تفشينّ سرّك؛ فإنّ صاحبَ السرّ ما ضبطه متحصّن، لا يؤتَى من وجْه يكرهه؛ وإذا ضيّعه؛ كان بمضيعة[1]. (٣: ٤٥٣/ ٤٥٤).

وقعة القَرْقس

٢١١ - كتب إليّ السريّ عن شعيب عن سيف، عن رجل، عن أبي عثمان النّهديّ، قال: هلك يومئذ أربعة آلاف بين قتيل وغريق؛ وهرب ألفان، وبقيَ ثلاثة آلاف، وأتى ذا الحاجب الخبرُ باختلاف فارس؛ فرجع بجنده؛ وكان ذلك

---

(١) إسناده ضعيف.

سبباً لارفضاضهم عنه ، وجرح المثنَّى ، وأثبِتَ فيه حَلَق من درعه هَتَكهنّ الرمح[١] .(٣: ٤٥٨) .

٢١٢ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد وعطية نحواً منه[٢] .(٣: ٤٥٨) .

٢١٣ - وحدثنا ابنُ حميد؛ قال: حدّثنا سَلَمة عن محمد بن إسحاق بنحو خبر سيف هذا في أمر أبي عُبيد وذي الحاجب ، وقصّة حربهما ، إلاّ أنه قال: وقد كانت رأت دَوْمة أمّ المختار بن أبي عُبيد: أن رجلاً نزل من السماء معه إناء فيه شراب من الجنَّة فيما يرى النائم ، فشرب منه أبو عُبيد وجَبر بن أبي عبيد وأناس من أهله. وقال أيضاً: فلما رأى أبو عُبيد ما يصنع الفيل ، قال: هل لهذه الدابّة من مقتل؟ قالوا: نعم؛ إذا قطع مشفرها ماتت ، فشدّ على الفيل فضرب مِشفره فقطعه ، وبرك عليه الفيل فقتله. وقال أيضاً: فرجعت الفرْس ونزل المثنَّى بن حارثة أُلَّيس ، وتفرّق الناس ، فلحقوا بالمدينة ، فكان أوّل مَن قدم المدينة بخبر الناس عبدُ الله بن زيد بن الحُصين الخَطْميّ ، فأخبر الناس[٣] .(٣: ٤٥٨) .

٢١٤ - حدثنا ابن حُميد ، قال: حدّثنا سَلَمة عن ابن إسحاق ، عن محمد ابن عبد الرحمن بن الحصين وغيره: أنّ مُعاذاً القارىء أخا بني النَّجار كان ممن شهدها ، ففرّ يومئذ ، فكان إذا قرأ هذه الآية: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ ؛ بكى ، فيقول له عمر: لا تبك يا معاذ ، أنا فئتُك ، وإنما انحزْتَ إليّ[٤] . (٣: ٤٥٩) .

خبر ألّيس الصُّغْرَى

٢١٥ - قال أبو جعفر: كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن محمد بن نُويرة وطلحة وزياد وعطيّة ، قالوا: وخرج جَابان

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) إسناده ضعيف.

ومَرْدانْشاه حتى أخذا بالطريق ، وهم يروْن أنهم سيرفضّون ولا يشعرون بما جاء ذا الحاجب من فُرقة أهلِ فارس ، فلما ارفضّ أهلُ فارس وخرج ذو الحاجب في آثارهم ، وبلغ المثنى فَعْلة جَابان ومَرْدانشاه؛ استخلف على النَّاس عاصم بن عمرو ، وخرج في جريدة خيل يريدهما ، فظنَّا أنه هارب ، فاعترضاه فأخذهما أسيريْن ، وخرج أهل ألَّيس على أصحابهما ، فأتوْه بهم أسراء؛ وعقد لهم بها ذمَّة وقدّمهما ، وقال: أنتما غررتما أميرنا ، وكذبتماه واستفززتماه. فضرب أعناقهما ، وضرب أعناق الأسَراء؛ ثمّ رجع إلى عسكره وهرب أبو مِحْجن من ألَّيس؛ ولم يرجع مع المثنَّى؛ وكان جرير بن عبد الله وحنظلة بن الربيع ونفر استأذنوا خالداً من سُوَى ، فأذن لهم ، فقدموا على أبي بكر ، فذكر له جريرٌ حاجته ، فقال: أعلى حالنا! وأخَّره بها ، فلما ولِّي عمر دعاه بالبيِّنة؛ فأقامها ، فكتب له عمر إلى عُمَّاله السعاة في العرب كلّهم: مَن كان فيه أحدٌ يُنسب إلى بَجِيلة في الجاهليّة ، وثبت عليه في الإسلام يُعْرف ذلك فأخرِجوه إلى جرير. ووعدهم جرير مكاناً بين العراق والمدينة. ولما أعطِيَ جرير حاجته في استخراج بجيلة من الناس فجمعهم فأخرِجوا له ، وأمرهم بالموعد ما بين مكة والمدينة والعراق ، فتتامّوا ، قال لجرير: اخرجِ حتى تَلحق بالمثنَّى ، فقال: بل الشأم ، قال: بل العراق ، فإن أهل الشأم قد قَوِوا على عدوّهم ، فأبى حتى أكرهه؛ فلمَّا خرجوا له وأمرهم بالموعد عوَّضه لإكراهه واستصلاحاً له ، فجعل له ربع خُمس ما أفاء الله عليهم في غَزاتهم هذه له ولمن اجتمع إليه ، ولمن أخرج له إليه من القبائل ، وقال: اتّخذونا طريقاً ، فقدموا المدينة ، ثم فصلوا منها إلى العراق ممدّين للمثنَّى ، وبعث عصمة بن عبد الله من بني عبد بن الحارث الضَّبِّيّ فيمن تبعه من بني ضبَّة؛ وقد كان كتب إلى أهل الردّة ، فلم يوافِ شعبانَ أحدٌ إلا رمى به المثنَّى [1] (٣: ٤٥٩/ ٤٦٠).

البُوَيْب

٢١٦ - كتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سَيْف ، عن عطيَّة. وعن سفيان الأحمريّ ، عن المجالد، عن الشعبيّ ، قالا: قال عمر حين استجمّ جَمْعُ بجيلة: اتّخذونا طريقاً ، فخرج سَرَوات بَجِيلة ووفدُهم نحوه ، وخلَّفوا الجمهور ،

---

(١) إسناده ضعيف.

فقال: أيّ الوجوه أحبّ إليكم؟ قالوا: الشأم فإنّ أسلافنا بها ، فقال: بل العراق؛ فإنّ الشأم في كفاية؛ فلم يزل بهم ، ويأبوْن عليه حتى عزم على ذلك؛ وجعل لهم ربع خُمس ما أفاء الله على المسلمين إلى نصيبهم من الفيء ، فاستعمل عَرْفجة على مَن كان مقيماً على جَديلة من بَجيلة ، وجريراً علَى مَن كان من بني عامر وغيرهم؛ وقد كان أبو بكر ولاّه قتالَ أهل عُمان في نفر ، وأقفله حين غزا في البحر ، فولاّه عمر عُظْم بَجيلة ، وقال: اسمعوا لهذا ، وقال للآخرين: اسمعوا لجرير ، فقال جرير لبَجيلة: تُقِرُّونَ بهذا ـ وقد كانت بَجيلة غضبت على عَرْفجة في امرأة منهم ـ وقد أدخل علينا ما أدخل! فاجتمعوا فأتوا عُمر ، فقالوا: أعْفِنا من عَرْفجة ، فقال: لا أعفيكم من أقدمكم هجرةً وإسلاماً ، وأعظمكم بلاءً وإحساناً ، قالوا: استعمل علينا رجلاً منّا ، ولا تستعمل علينا نزيعاً فينا ، فظنّ عمر أنّهم يَنفُونه من نسبه ، فقال: انظروا ما تقولون! قالوا: نقول ما تسمع؛ فأرسل إلى عرفجة ، فقال: إنّ هؤلاء استعْفوني منك ، وزعموا أنّك لست منهم ، فما عندك؟ قال: صدقوا ، وما يسُرّني أني منهم. أنا امرؤ من الأزد ، ثم من بارق ، في كَهْف لا يُحْصَى عدده ، وحَسَبٍ غير مُؤتَشَب. فقال عمر: نِعْمَ الحيُّ الأزد! يأخذون نصيبَهم من الخير والشرّ. قال عرفجة: إنه كان من شأني أنّ الشرّ تفاقم فينا ، ودارُنا واحدة؛ فأصبنا الدّماء ، ووتر بعضنا بعضاً ، فاعتزلتهم لمَّا خِفتهم ، فكنت في هؤلاء أسودُهم وأقودُهم ، فحفِظوا عليّ لأمر دار بيني وبين دهاقينهم ، فحسدوني وكفروني. فقال: لا يضرّك فاعتزلهمْ إذْ كرهوك. واستعمل جريراً مكانه ، وجمع له بَجيلة ، وأرى جريراً وبَجيلة أنّه يبعث عَرْفجة إلى الشأم ، فحبَّب ذلك إلى جرير العراق ، وخرج جرير في قومه ممدّاً للمثنَّى بن حارثة ، حتى نزل ذا قار ، ثم ارتفع حتى إذا كان بالجُلّ والمثنَّى بمرْج السِّباخ ، أتى المثنَّى الخبرُ عن حديث بشير وهو بالحيرة: أنّ الأعاجم قد بعثوا مِهران ، ونهض من المدائن شاخصاً نحو الحيرة. فأرسل المثنَّى إلى جرير وإلى عصمة بالحثّ ، وقد كان عهد إليهم عمر ألاّ يعبروا بحراً ولا جسراً إلاّ بعد ظفَر ، فاجتمعوا بالبُوَيب ، فاجتمع العسكران على شاطىء البُوَيب الشرقيّ ، وكان البويب مَغيضاً للفرات أيام المدود أزمانَ فارس، يصبّ في الجوف ، والمشركون

بموضع دار الرزق ، والمسلمون بموضع السَّكون[1]. (٣ : ٤٦٢/ ٤٦٣).

٢١٧ ـ كتب إليّ السريّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد وعمرو بإسنادهما ، قالا : وخرج هلال بن عُلَّفة التيميّ فيمن اجتمع إليه من الرّباب حتى أتى عمر ، فأمَّره عليهم وسرَّحه ، فقدم على المثنَّى وخرج ابن المثنّى الجُشَميّ ؛ جُشَم سعد ، حتى قدم عليه ، فوجَّهه وأمَّره على بني سعد ، فقدم على المثنَّى[2]. (٣ : ٤٦٤).

٢١٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبيّ وعطية بإسنادهما ، قالا : وجاء عبد الله بن ذي السَّهْمَيْن في أناس من خَثْعم ، فأمَّره عليهم ووجَّهه إلى المثنَّى ، فخرج نحوه حتى قدم عليه[3]. (٣ : ٤٦٤).

٢١٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن محفِّز ، عن أبيه محفِّز بن ثعلبة ؛ قال : جلَب فتية من بني تغلب أفراساً ، فلمَّا التقى الزّحفان يوم البُوَيب ؛ قالوا : نقاتل العجم مع العرب ، فأصاب أحدهم مِهران يومئذ ، ومهران على فرس له وَرْد مجفَّف بتِجْفاف أصفر ، بين عينيه هلالٌ ، وعلى ذَنَبه أهِلَّة من شَبَه ، فاستوى على فرسه ، ثم انتمى : أنا الغلام التغلبيّ ! أنا قتلتُ المرزبان! فأتاه جرير وابن الهوبر في قومهما فأخذا برجله ، فأنزلاه[4]. (٣ : ٤٦٦).

٢٢٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن سعيد بن المرزبان : أن جريراً والمنذر اشتركا فيه فاختصما في سلاحه ، فتقاضيا إلى المثنَّى ، فجعل سلاحه بينهما والمِنْطقة والسوارين بينهما ، وأفنَوا قلْبَ المشركين[5]. (٣ : ٤٦٦).

٢٢١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي رَوْق ، قال : والله ! إنْ كنَّا لنأتي البُويب ، فنرى فيما بين موضع السَّكون وبني سُلَيم عظاماً بيضاً تلولاً

---

(١) إسناده ضعيف ، ولم نجد أصلاً من رواية صحيحة تؤكد قصة خلاف عرفجة مع جبلة وكبيرهم جرير كما هنا والله أعلم.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

(٤) إسناده ضعيف. وراجع تعليقنا على الرواية السابقة.

(٥) إسناده ضعيف ، ولم نجد رواية صحيحة تؤكد متن هذه الرواية.

تلوح من هامهم وأوصالهم ، يُعتبر بها. قال: وحدّثني بعض مَنْ شَهدها أنَّهم كانوا يحزُرونها مئة ألف ، وما عُفي عليها حتى دفنها أدْفان البيوت[١] . (٣: ٤٦٦/٤٦٧) .

٢٢٢ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن حمزة بن عليّ بن محفِّز ، عن رجل من بَكْر بن وائل ، قال: كان أوّل الناس انتَدب يومئذ للمثنّى واتَّبع آثارهم المستبسل وأصحابه؛ وقد كان أراد الخروج بالأمس إلى العدوّ من صفِّ المسلمين واستوفز واستنتل ، فأمرَ المثنّى أنْ يُعقد لهم الجسر ، ثم أخرجهم في آثارٍ للقوم ، واتَّبعتهم بَجِيلة وخيولٌ من المسلمين تُغِذّ من كلّ فارس ، فانطلقوا في طلبهم حتى بلغوا السَّيْب ، ولم يبقَ في العسكر جسريّ إلاّ خرج في الخيل ، فأصابوا من البقر والسَّبي وسائر الغنائم شيئاً كثيراً فقسمه المثنَّى عليهم ، وفضّل أهل البلاء من جميع القبائل ، ونفَّل بَجيلة يومئذ ربعَ الخمس بينهم بالسويّة ، وبعث بثلاثة أرباعه مع عكرمة ، وألقى الله الرُّعب في قلوب أهلِ فارس. وكتب القُوّاد الذين قادوا النَّاس في الطَّلب إلى المثنَّى ، وكتب عاصم وعصمة وجرير: إنّ الله عزّ وجلّ قد سلَّم وكفى ، ووجَّه لنا ما رأيت ، وليس دون القوم شيء؛ أفتاذن لنا في الإقدام؟! فأذن لهم ، فأغاروا حتى بلغوا ساباط ، وتحصّن أهلُ ساباط منهم واستباحوا القُرَيّات دونها ، وراماهم أهل الحصن بساباط عن حصنهم ، وكان أوّل مَن دخل حصنهم ثلاثة قُوّاد: عصمة ، وعاصم وجرير؛ وقد تبعهم أوزاعٌ من الناس كلّهم. ثم انكفؤوا راجعين إلى المثنّى[٢] . (٣: ٤٧٠) .

٢٢٣ - كتبَ إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية بن الحارث ، قال: لمَّا أهلك الله مِهران؛ استمكن المسلمون من الغارة على السَّواد فيما بينهم وبين دجلة فَمَخروها ، لا يخافون كيداً ، ولا يلقوْن فيها مانعاً ، وانتقضت مسالح العجم ، فرجعت إليهم؛ واعتصموا بساباط ، وسرّهم أن يتركوا ما وراء دجلة.

وكانت وقعة البُوَيب في رمضان سنة ثلاث عشرة قتل الله عليه مِهْران وجيشه ،

---

(١) إسناده ضعيف ، ولم نجد رواية صحيحة تبين عدد قتلى الفرس في البويب.

(٢) إسناده ضعيف.

وأفعموا جنبتي البُوَيب عظاماً ، حتى استوى وما عفَّى عليها إلاّ التراب أزمان الفتنة ، وما يثار هنالك شيء إلاّ وقعوا منها على شيء؛ وهو ما بين السَّكون ومُرْهبة وبني سُليم؛ وكان مَغيضاً للفرات أزمان الأكاسرة يصبّ في الجوْف.

وقال الأعور العَبْديّ الشَّنّيّ :

هـاجَـتْ لأعْـوَرَ دارُ الحـيِّ أحْـزانَـا واستَبْدَلَتْ بَعْدَ عبد القَيْس خَفّانا
وقـد أرانـا بهـا والشَّمْـلُ مُجْتَمِـعٌ إذ بـالنُّخَيْلـة قَتْلَـى جُنْـدِ مِهْـرانـا
أزْمـانَ سـار المُثنَّـى بـالخيـول لَهُـمْ فقَتَّـلَ الـزَّحْـفُ مـن فُـرْسٍ وجِيـلانـا
سمـا لِمِهْـرَانَ والجيـشِ الَّـذي معـه حتـى أبـادَهُـمُ مَثْنَـى ووُحْـدانـا

قال أبو جعفر: وأما ابن إسحاق ، فإنه في أمر جرير وعرفجة والمثنّى وقتال المثنَّى مهرانَ غير ما قصّ سيف من أخبارهم؛ والذي قال في أمرِهم ما حدّثنا محمد بن حُمَيد ، قال: حدّثنا سَلَمة عن ابن إسحاق ، قال: لمَّا انتهت إلى عمر بن الخطاب مصيبةُ أصحاب الجسر ، وقدم عليه فَلّهم؛ قدِم عليه جرير بن عبد الله البجَليّ من اليمن في ركب من بَجيلة ، وعَرْفجة بن هرثمة ـ وكان عرفجة يومئذ سيّد بَجيلة ، وكان حليفاً لهم من الأزْد ـ فكلّمهم عمر ، فقال لهم: إنّكم قد علمتم ما كان من المصيبة في إخوانكم بالعراق؛ فسيروا إليهم وأنا أخرج إليكم مَن كان منكم في قبائل العرب فأجمعهم إليكم. قالوا: نفعل يا أمير المؤمنين! فأخرج لهم قَيْسَ كُبَّةَ وسُحْمة وعُرَينة؛ وكانوا في قبائل بني عامر بن صعصعة ، وأمَّرَ عليهم عرفجة بن هَرثمة ، فغضب من ذلك جَرير بن عبد الله البَجَليّ ، فقال لبَجِيلة: كلّموا أميرَ المؤمنين ، فقالوا له: استعملت علينا رجلاً ليس منّا ، فأرسل إلى عَرفجة ، فقال: ما يقول هؤلاء؟ قال: صدقوا يا أمير المؤمنين! لستُ منهم ، ولكنّي رجل من الأزد ، كنَّا أصبنا في الجاهليّة دماً في قومنا ، فلحقْنا بَجيلة ، فبلغنا فيهم من السؤدد مَا بلغك. فقال له عمر: فاثبت على منزلتك ، ودافعهم كما يدافعونك. قال: لستُ فاعلاً ولا سائراً معهم ، فسار عرفجة إلى البَصْرة بعد أن نُزلت ، وترك بَجيلة ، وأمّر عمر على بَجيلة جرير بن عبد الله ، فسار بهم مكانه إلى الكوفة ، وضمّ إليه عمر قومَه من بَجيلة ، فأقبل جرير حتى إذا مرَّ قريباً من المثنَّى بن حارثة ، كتب إليه المثنّى أن أقْبل إليّ ، فإنما أنت مَدَدٌ لي. فكتب إليه جرير: إنّي لست فاعلاً إلاّ أن يأمرَني بذلك أمير المؤمنين؛ أنت أمير وأنا أمير.

ثم سار جرير نحو الجسر ، فلقيَه مهران بن باذان ـ وكان من عظماء فارس ـ عند النُّخَيْلة ، قد قطع إليه الجسر ، فاقتتلا قتالاً شديداً ، وشدّ المنذر بن حسَّان بن ضرار الضَّبيّ على مِهران فطعَنه ، فوقع عن دابَّته ، فاقتحم عليه جرير فاحتزّ رأسَه ، فاختصما في سَلَبه ، ثم اصطلحا فيه ، فأخذ جَرِير السِّلاح ، وأخذ المنذر بن حسَّان منطقته.

قال: وحُدّثتُ أنّ مهران لمّا لقي جريراً قال:

إن تسألوا عنّي فإنّي مِهْرانْ   أنا لِمَنْ أنْكَرني ابنُ باذانْ

قال: فأنكرتُ ذلك حتى حدّثني من لا أتّهم من أهل العلم أنه كان عربيّاً نشأ مع أبيه باليمن إذ كان عاملاً لكسرى. قال: فلم أنكر ذلك حين بلغني.

وكتب المثنَّى إلى عمر يَمْحَل بجرير ، فكتب عمر إلى المثنّى: إنّي لم أكن لأستعملك على رجل من أصحاب محمّد ﷺ ـ يعني: جريراً ـ وقد وجّه عمر سعد بن أبي وقَّاص إلى العراق في ستة آلاف ، أمّره عليهم؛ وكتب إلى المثنَّى وجرير بن عبد الله أن يجتمعا إلى سعد بن أبي وقَّاص ، وأمَّر سعداً عليهما؛ فسار سعد حتى نزل شَراف ، وسار المثنَّى وجرير حتى نزلا عليه ، فشتا بها سعد ، واجتمع إليه الناس ، ومات المثنَّى بن حارثة رحمه الله[1].

(٣: ٤٧٠/ ٤٧١/ ٤٧٢).

خبر الخنافس

٢٢٤ ـ رجع الحديث إلى حديث سيف: كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا: ومخر المثنَّى السَّواد وخلَّف بالحيرة بشيرَ بن الخصاصيَّة ، وأرسل جريراً إلى مَيْسان ، وهلال بن عُلَّفة التَّيْميّ إلى دَسْت ميسان ، وأذكى المسالح بعصمة بن فلان الضبيّ وبالكلَج الضّبي وبعرفجة البارقيّ؛ وأمثالهم في قوّاد المسلمين ، فبدأ فنزل ألَّيْس ـ قرية من قُرى الأنبار ـ وهذه الغزاة تُدعى غزاة الأنبار الآخرة؛ وغزاة ألَّيس الآخرة ، وألزّ رجلان

---

(١) إسناده ضعيف. ومتن هذه الرواية فيها نكارة ومخالفة لما ذكرنا من الروايات التأريخية في قسم الصحيح من عهد الخلفاء بالنسبة لأحداث هذه المعركة (البويب) والله تعالى أعلم بالصواب.

بالمثنَّى: أحدهما أنباريّ، والآخر حيريّ يدلّه كلّ واحد منهما على سوق، فأما الأنباري فدلَّه على الخَنَافس، وأمّا الحيريّ فدلَّه على بغداد. فقال المثنَّى: أيّتُهما قبل صاحبتها؟ فقالوا: بينهما أيّام، قال: أيّهما أعجل؟ قالوا: سوق الخنافس سوق يتوافى إليها الناس، ويجتمع بها ربيعة وقضاعة يخفرونهم. فاستعدّ لها المثنَّى؛ حتى إذا ظنّ أنه مُوافيها يوم سوقِها ركب نحوهم، فأغار على الخنَافس يوم سُوقها، وبها خَيْلان من ربيعة وقضاعة، وعلى قضاعة رُومانس بن وَبَرَة، وعلى ربيعة السَّليل بن قيس وهم الخُفراء، فانتسف السّوق وما فيها، وسَلَب الخفراء، ثم رجع عَوْدَه على بدْئه حتى يطرق دهاقين الأنبار طروقاً في أوّل النهار يومَه، فتحصّنوا منه، فلمَّا عرفوه نزلُوا إليه فأتوْه بالأعلاف والزاد؛ وأتوْه بالأدلاّء على بغداد؛ فكان وجهُه إلى سوق بغْداد، فصبَّحهم والمسلمون يمخرون السَّواد والمثنَّى بالأنبار، ويشنُّون الغارات فيما بين أسفل كَسْكر وأسفل الفرات وجسور مِثْقَب إلى عين التَّمر وما والاها من الأرض في أرض الفلاليج والعال[(١)].
(٣: ٤٧٢/ ٤٧٣).

٢٢٥ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن عبيد الله بن محفّز، عن أبيه، قال: قال رجلٌ من أهل الحيرة للمثنّى: ألا ندلّك على قرية يأتيها تجّار مدائن كسرى والسَّواد، وتجتمع بها في كلّ سنة مرّة ومعهم فيها الأموال؛ كبيت المال؛ وهذه أيامِ سوقهم، فإن أنت قدرت أن تُغيرَ عليهم وهم لا يشعرون أصبتَ فيها مالاً يكونُ غَناء للمسلمين؛ وقَووا به على عدوّهم دهرَهم؛ قال: وكم بين مدائن كسرى وبينها؟ قال: بعض يوم أو عامَّة يوم، قال: فكيف لي بها؟ قالوا: نأمرك إنْ أردتَها أن تأخذ طريق البرّ، حتى تنتهيَ إلى الخنافس، فإنّ أهل الأنبار سيضربون إليها، ويخبرون عنك فيأمنون، ثم تعوج على أهل الأنبار فتأخذ الدهاقين بالأدلاّء، فتسير سواد ليلتك من الأنبار حتى تأتيَهم صُبحاً فتُصبّحهم غارةً.

فخرج من ألّيس حتى أتَى الخَنَافس، ثم عاج حتى رجع على الأنبار، فلمَّا أحسَّه صاحبها تحصّن وهو لا يدري من هو؛ وذلك ليلاً؛ فلمّا عرفه نزل إليه فأطمعه المثنّى، وخوّفه واستكتمه، وقال: إنّي أريدُ أن أغيرَ فابعث معي الأدلاّء

---

(١) إسناده ضعيف.

إلى بغداد ، حتى أغير منها إلى المدائن. قال: أنا أجيء معك ، قال: لا أريد أن تجيء معي ، ولكن ابعث معي من هو أدلُّ منك ، فزوّدهم الأطعمة والأعلاف ، وبعث معهم الأدلَّة ، فساروا حتى إذا كانوا بالنّصف ، قال لهم المثنّى: كم بيني وبين هذه القرية؟ قالوا: أربعة أو خمسة فراسخ. فقال لأصحابه: من ينتدب للحَرس؟ فانتدب له قومٌ فقال لهم: أذكُوا حرسَكم ، ونزل ، وقال: أيُّها الناس ، أقيموا واطعَموا وتوضّؤوا وتهيّؤوا. وبعث الطلائع فحبسوا النَّاس ليسبقوا الأخبار ، فلمَّا فرغوا أسرى إليهم آخر الليل ، فعبر إليهم ، فصبَّحهم في أسواقهم ، فوضع فيهم السيف فقتل ، وأخذوا ما شاؤوا ، وقال المثنَّى: لا تأخذوا إلاّ الذهب والفضة ، ولا تأخذوا من المتاع إلاّ ما يقدر الرجل منكم على حمله على دابَّته. وهرب أهلُ الأسواق ، وملأ المسلمون أيديَهم من الصفراء والبيضاء والحُرّ من كلّ شيء ، ثم خرج كارّاً حتى نزل بنهر السَّيْلحين بالأنبار؛ فنزل وخطب الناس ، وقال: أيُّها الناس ! انزلوا وقَضُّوا أوطاركم ، وتأهَّبوا للسَّير ، واحمَدوا الله وسلُوه العافية ، ثم انكشفوا قبيضاً. ففعلوا ، فسمع همساً فيما بينهم: ما أسرع القومَ في طلبنا! فقال: تناجَوْا بالبرّ والتقوى ولا تتناجَوْا بالإثم والعدوان ، انظروا في الأمور وقدّروها ثم تكلَّموا؛ إنه لم يبلغ النذير مدينتهم بعد؛ ولو بلغهم لحال الرُّعب بينهم وبين طلبكم. إن للغارات رَوْعات تنتشر عليها يوماً إلى الليل ، ولو طلبكم المحامون من رأي العين ما أدركوكم؛ وأنتم على العِراب حتى تنتهوا إلى عسكركم وجماعتكم ، ولو أدركوكم لقاتلتهم لاثنتين: التماس الأجر ورجاء النصر؛ فثقُوا بالله وأحسنوا به الظَّنّ ، فقد نصركم الله في مواطن كثيرة وهم أعدُّ منكم؛ وسأخبركم عنّي وعن انكماشي والذي أريد بذلك؛ إن خليفة رسول الله ﷺ أبا بكر أوصانا أن نقلّل العُرْجة ، ونسرع الكرّة في الغارات ، ونسرع في غير ذلك الأوْبَة ، وأقبل بهم ومعهم أدلاّؤهم يقطعون بهم الصحارى والأنهار؛ حتى انتهى بهم إلى الأنبار؛ فاستقبلهم دهاقين الأنبار بالكرامة ، واستبشروا بسلامته ، وكان موعده الإحسان إليهم إذا استقام لهم من أمرهم ما يحبّون [1]. (٣: ٤٧٣/ ٤٧٤/ ٤٧٥).

---

(١) إسناده ضعيف ، وكذلك ذكر الخطيب البغدادي حديث غارة المثنىٰ على سوق بغداد وسوق الخنافس بسنده عن ابن إسحاق قال: قال ابن إسحاق : وحدثني عبيد الله أن أهل الحيرة قالوا =

٢٢٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا: لمّا رجع المثنّى من بغداد إلى الأنبار سرّح المُضارب العجليّ وزيداً إلى الكَباث ، وعليه فارس العُناب التغلبيّ ، ثمّ خرج في آثارهم ، فقدم الرّجلان الكَباث ، وقد ارفضُّوا وأخلوا الكباث ، وكان أهله كلّهم من بني تغلب ، فركبوا آثارَهم يتبعونهم ، فأدركوا أخرياتهم وفارس العُناب يحميهم ، فحماهم ساعة ثم هرب ، وقتلوا في أخرياتهم وأكثروا ، ورجع المثنّى إلى عسكره بالأنبار ، والخليفة عليهم فُرات بن حَيّان. فلما رجع المثنّى إلى الأنبار سرّح فُراتِ بن حيّان وعُتَيبة بن النّهاس وأمرهما بالغارة على أحياء من تغلب والنّمر بصفّين ، ثم اتَّبعهما وخلَّف على الناس عمرو بن أبي سُلميٍ الهُجَيميّ؛ فلمَّا دنوا من صفين ، افترق المثنّى وفُرات وعُتيبة ، وفرّ أهل صِفّين وعبروا الفرات إلى الجزيرة ، وتحصّنوا ، وأرمل المثنّى وأصحابه من الزاد ، حتى أقبلوا على رواحلهم إلاّ مالا بدّ منه فأكلوها حتى أخفافها وعظامها وجلودها. ثم أدركوا عيراً من أهل ديَاف وحَوْران ، فقتلوا العلوج وأصابوا ثلاثة نفر من بني تغلب خفراء ، وأخذوا العير ، وكان ظهراً فاضلاً ، وقال لهم: دلّوني ، فقال أحدهم: آمنوني على أهلي ومَالي ، وأدلُّكم على حَيّ من تغلب غدوت من عِندهم اليوم: فآمنَه المثنّى وسارَ معه يومه ، حتى إذا كان العشيّ هجم على القوم ، فإذا النَّعَم صادرة عن الماء ، وإذا القوم جُلوس بأفنية البيوت ، فبثّ غارته ، فقتلوا المقاتلة ، وسبوا الذرّية؛ واستاقوا الأموال ، وإذا هم بنو ذي الرُوَيْحلة؛ فاشترى من كان بين المسلمين من ربيعة السَّبَايا بنصيبه من الفيء ، وأعتقوا سبْيَهم؛ وكانت ربيعة لا تُسْبَى إذ العرب يتسابَوْن في جاهليّتهم.

وأخبر المثنّى أن جمهور مَنْ سلك البلاد قد انتجعوا الشَّطّ؛ شاطىء دِجْلة ، فخرج المثنَّى ، وعلى مقدَّمته في غزواته هذه بعد البُوَيب كلّها حُذيفة بن محصن الغلفانيّ ، وعلى مجنَّبتيه النُّعمان بن عوف بن النعمان بن عوف بن النعمان ومطَر الشيبانيان ، فسرّح في أدبارهم حُذيفة واتَّبعه؛ فأدركوهم بتكرِيت دُوينَها من حيث طلبوهم يخوضون الماء ، فأصابوا ما شاؤوا من النَّعَم ، حتى أصاب الرجل خمساً

ـ للمثنى . . . مطولاً (تأريخ بغداد ١/ ص ٢٥ ـ ٢٦).

من النَّعم ، وخمساً من السَّبْي ، وخمس المال ، وجاء به حتى ينزل على النَّاس بالأنبار؛ وقد مضى فُرات وعُتيبة في وجوههما؛ حتى أغاروا على صِفين وبها النَّمِر وتَغْلب متساندين ، فأغاروا عليهم حتى رموا بطائفة منهم في الماء ، فناشدوهم فلم يقلعوا عنهم ، وجعلوا ينادونهم: الغرق الغرق! وجعل عُتيبة وفرات يذمرُون النَّاس ، وينادونهم: تغريق بتحريق ـ يذكّرونهم يوماً من أيّامهم في الجاهليَّة أحرقوا فيه قوماً من بكْر بن وائل في غَيْضة من الغياض ـ ثم انكفؤوا راجعين إلى المثنَّى ، وقد غرّقوهم.

ولما تراجع الناس إلى عسكرهم بالأنبار وتوافَى بها البعوث والسرايا؛ انْحدرَ بهم المثنَّى إلى الحيرة ، فنزل بها. وكانت تكون لعمر رحمه الله العيون في كلّ جيش ، فكتب إلى عمر بما كان في تلك الغَزَاة ، وبلغه الذي قال عتيبة وفُرات يوم بني تغلب والماء؛ فبعث إليهما فسألهما ، فأخبراه أنهما قالا ذلك على وجه أنه مَثَلٌ ، وأنهما لم يفعلا ذلك على وجه طلب ذَحْل الجاهليَّة ، فاستحلفهما ، فحلفا: أنَّهما ما أرادا بذلك إلاّ المثل وإعزاز الإسلام ، فصدّقهما وردّهما حتى قدِما على المثنَّى[١]. (٣: ٤٧٥/ ٤٧٦).

ذكر الخبر عمَّا هيّج أمر القادسيّة

٢٢٧ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله بن سواد بن نُويرة ، عن عزيز بن مكنَف التميميّ ثم الأسيْديّ ، وطلحة بن الأعلم الحنفيّ، عن المغيرة بن عتيبة بن النَّهاس العِجْليّ ، وزياد بن سَرجس الأحمريّ، عن عبد الرحمن بن ساباط الأحمريّ ، قالوا جميعاً: قال أهلُ فارس لرُسْتم والفيرزان ـ وهما على أهل فارس: أين يُذهب بكما! لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهَّنتما أهلَ فارس ، وأطمعتما فيهم عدوّهم! وإنه لم يبلغ من خطركما أن يقرّكما فارس على هذا الرأي ، وأن تعرّضاها للهلَكة؛ ما بعد بغداد وساباط وتكريت إلا المدائن؛ والله لتجتمعان أو لنبدأنّ بكما قبل أن يشمت بنا شامت[٢]! (٣: ٤٧٧).

---

(١) إسناده ضعيف ، وراجع نهاية الأرب للنويري (١٨٨/١٩) والأخبار الطوال للدينوري (ص١١٦).

(٢) إسناده ضعيف.

٢٢٨ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن محفّز ، عن أبيه ، قال: قال أهلُ فارس لرستم والمسلمون يمخرون السَّواد: ما تنتظرون والله إلاّ أن يُنزلَ بنا ونهلك! والله ما جرّ هذا الوَهَن علينا غيركم يا معاشر القوّاد! لقد فرّقتم بين أهل فارس وثبَّطتموهم عن عدوّهم. والله لولا أنّ في قتلكم هلاكنا لعجَّلنا لكم القتل الساعة! ولئن لم تنتهوا لنهلكنّكم ثم نهلك وقد اشتفينا منكم[1]. (٣: ٤٧٧).

٢٢٩ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا: فقال الفيرزان ورستم لبُوران ابنة كسرى: اكتبي لنا نساءَ كسرى وسراريَّه ونساء آل كسرى وسراريَّهم. ففعلت ، ثم أخرجت ذلك إليهم في كتاب ، فأرسلوا في طلبهنّ فلم يبقَ منهنّ امرأة إلا أتوْا بها ، فأخذوهنّ بالرجال ووضعوا عليهنّ العذاب يستدلونهنّ على ذَكَرٍ من أبناء كسرى ، فلم يوجد عندهنّ منهم أحد ، وقلن ـ أو من قال منهنّ: لم يبقَ إلاّ غلام يدعى يَزْدَجِرْد من ولد شَهْريار بن كسرى ، وأمّه من أهل بادوريا ، فأرسلوا إليها فأخذوها به ، وكانت قد أنزلته في أيام شيرى حين جمعهنّ في القصر الأبيض ، فقتل الذّكور ، فواعدت أخواله ، ثم دلَّته إليهم في زَبيل فسألوها عنه وأخذوها به ، فدلتْهم عليه ، فأرسلوا إليه فجاؤوا به فملَّكوه وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، واجتمعوا عليه ، واطمأنَّت فارس واستوثقوا وتبارَى الرؤساء في طاعته ومعونته فسمى الجنود لكلّ مسلحة كانت لكسرى أو موضع ثغر ، فسمَّى جند الحيرة والأنبار والمسالح والأبُلَّة ، وبلغ ذلك من أمرهم واجتماعهم على يَزْدجِرد المثنَّى والمسلمين ، فكتبوا إلى عمر بما ينتظرون ممَّن بين ظهرانيهم ، فلم يصل الكتاب إلى عمر حتى كَفَر أهل السَّواد؛ مَن كان له منهم عهد ومن لم يكن له منهم عهد ، فخرج المثنّى على حاميته حتى نزل بذي قار ، وتنزّل الناس بالطَّفّ في عسكر واحد حتى جاءهم كتاب عمر:

أما بعد؛ فاخرجوا من بين ظهري الأعاجم ، وتفرّقوا في المياه التي تلي الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم ، ولا تَدعَوا في ربيعة أحداً ولا مُضَر ولا حلفائهم أحداً من أهل النَّجدَات ولا فارساً إلا اجتلبتموه؛ فإن جاء طائعاً وإلاّ

(١) إسناده ضعيف.

حشرتموه ، احملوا العرب على الجدّ إذ جدّ العجم؛ فلتلقوْا جِدّهم بجِدّكم.

فنزل المثنّى بذي قار ، ونزل الناس بالجُلّ وشَراف إلى غُضَيّ ـ وغُضَيّ حيال البصرة ـ فكان جرير بن عبد الله بغُضَيّ وسَبْرة بن عمرو والعَنْبَريّ ومن أخذ أخذهم فيمن معه إلى سلمان ، فكانوا في أمواه الطّفّ من أوّلها إلى آخرها مسالح بعضهم ينظر إلى بعض؛ ويُغيث بعضهم بعضاً إن كان كون ، وذلك في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة[١] . (٣: ٤٧٧/٤٧٨) .

٢٣٠ - حدّثنا السريّ ، عن شعيب ، عن سَيْف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا: كان أوّل ما عمل به عمر حين بلغه أنّ فارس قد ملّكوا يزدجرد أن كتب إلى عُمّال العَرب على الكُور والقبائل ، وذلك في ذي الحجّة سنة ثلاث عشرة مُخرجَه إلى الحجّ ـ وحجّ سنواته كلها ـ لا تَدَعَا أحداً له سلاح ، أو فرس ، أو نجدة ، أو رأي إلا انتخبتموه ، ثم وجّهتموه إليّ ، والعَجَلَ العَجَل!

فمضت الرُّسل إلى مَن أرسلهم إليهم مخرجَه إلى الحجّ ، ووافاه أهلُ هذا الضّرب من القبائل التي طُرُقها على مكّة والمدينة ، فأمّا مَن كان من أهل المدينة على النِّصف ما بينه وبين العراق ، فوافاه بالمدينة مرجِعَه من الحجّ ، وأمَا مَن كان أسفلَ من ذلك فانضمّوا إلى المثنَّى ، فأمّا مَنْ وافَى عمر فإنَّهم أخبروه عمَّن وراءهم بالحثّ[٢] . (٣: ٤٧٨/ ٤٧٩) .

٢٣١ - وقال أبو معشر ، فيما حدثني الحارث عن ابن سعد ، عنه. وقال ابن إسحاق ـ فيما حدثنا ابن حميد ، قال: حدّثنا سلَمة عنه: الذي حجّ بالناس سنة ثلاث عشرة عبد الرحمن بن عوف[٣] . (٣: ٤٧٩) .

٢٣٢ - وقد حدثني المقَدّميّ ، عن إسحاق الفَرْويّ ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع، عن ابن عمر، قال: استعمل عمرُ على الحجّ عبدَ الرحمن بن عَوْف في السنة التي وليَ فيها ، فحجّ بالناس ، ثم حجّ سنيه كلَّها بعد ذلك بنفسه[٤] . (٣: ٤٧٩) .

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

(٤) إسناده ضعيف.

٢٣٣ - وكان عامل عمر في هذه السنة ـ على ما ذكر ـ على مكّة عتّاب بن أسيد ، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص ، وعلى اليمن يَعْلَى بن مُنْية ، وعلى عُمان واليمامة حُذيفة بن مِحْصَن ، وعلى البحرين العلاء بن الحضرميّ ، وعلى الشأم أبو عبيدة بن الجراح ، وعلى فرْج الكوفة وما فتح من أرضها المثنّى بن حارثة.

وكان على القضاء ـ فيما ذُكِر ـ عليّ بن أبي طالب. وقيل: لم يكن لعمر في أيامه قاضٍ[1]. (٣: ٤٧٩).

ثم دخلت سنة أربع عشرة

ذكر ابتداء أمر القادسيّة

٢٣٤ - ففي أوّلِ يوم من المحرّم سنة أربع عشرةَ ـ فيما كتب إليّ به السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ـ خرج عمر حتّى نزل على ماء يدعى صِراراً ، فعسكر به ولا يدري النّاس ما يريد؛ أيسيرُ أم يقيم. وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شيء رموْه بعثمان أو بعبد الرحمن بن عوف؛ وكان عثمان يُدعى في إمارة عمر رديفاً ـ قالوا: والرّديف بلسان العرب الرجل الّذي بعد الرّجُل ، والعرب تقول ذلك للرجل الّذي يرجونه بعد رئيسهم ـ وكانوا إذا لم يقدِر هذان على علم شيء ممّا يريدون ، ثلّثوا بالعبّاس ، فقال عثمان لعمر: ما بلغك؟ ما الذي تريدُ؟ فنادى: الصلاة جامعة. فاجتمع النّاس إليه ، فأخبرهم الخبر. ثم نظر ما يقول النّاس ، فقال العامّة: سِرْ وسِرْ بنا معك؛ فدخل معهم في رأيهم ، وكره أن يَدَعهم حتى يُخرجهم منه في رِفْق ، فقال: استعدّوا وأعِدّوا فإنّي سائر إلاّ أن يجيء رأي هو أمثل من ذلك. ثم بعث إلى أهل الرأي ، فاجتمع إليه وجوه أصحابِ النبيّ ﷺ وأعلامُ العرب ، فقال: أحضِروني الرّأيَ فإني سائر. فاجتمعوا جميعاً ، وأجمع مَلؤهم على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسولِ الله ﷺ ويقيم ، ويرميه بالجنود ، فإن كان الّذي يشتهي من الفتح ، فهو الذي يريد ويريدون؛ وإلاّ أعاد رجلاً وندَب جنداً آخر؛ وفي ذلك ما يغيظ العدوّ ، ويرعوي المسلمون ،

---

(١) إسناده ضعيف.

ويجيء نصر الله بإنجاز موعود الله. فنادى عمر: الصلاة جامعة، فاجتمع النَّاس إليه، وأرسل إلى عليّ عليه السلام، وقد استخلفه على المدينة، فأتاه، وإلى طلحة وقد بعثَه على المقدّمة، فرجع إليه، وجعل على المجنِّبتين الزُّبير وعبد الرحمن بن عوف، فقام في الناس فقال: إنَّ الله عزّ وجلّ قد جمع على الإسلام أهلَه؛ فألَّف بين القلوب، وجعلهم فيه إخواناً، والمسلمون فيما بينهم كالجسَد لا يخلُو منه شيء من شيء أصاب غيره، وكذلك يَحِقُّ على المسلمين أن يكونوا أمرُهم شورى بينهم وبين ذوي الرّأي منهم؛ فالناس تبَعٌ لمَن قام بهذا الأمر؛ ما اجتمعوا عليه ورضُوا به لزِم النَّاس وكانوا فيه تبعاً لهم، ومن أقام بهذا الأمر تبعٌ لأولي رأيهم ما رأوْا لهم ورضُوا به لهم من مكيدة في حرْب كانوا فيه تَبَعاً لهم. يا أيّها النَّاس! إني إنّما كنت كرجل منكم حتى صرفني ذوو الرّأي منكم عن الخروج، فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً، وقد أحضرتُ هذا الأمر مَنْ قدّمتُ ومَنْ خلّفتُ. وكان عليّ عليه السلام خليفتَه على المدينة، وطلحة على مقدّمته بالأعوص؛ فأحضرهما ذلك[1]. (٣: ٤٨٠/ ٤٨١).

٢٣٥ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن إسحاق، عن صالح بن كيسان، عن عمر بن عبد العزيز، قال: لمَّا انتهى قتلُ أبي عُبَيد بن مسعود إلى عُمر، واجتماعُ أهلِ فارس على رجل من آل كسرى، نادى في المهاجرين والأنصار؛ وخرجَ حتى أتى صِراراً، وقدّم طلحةَ بن عُبيد الله حتَّى يأتيَ الأعوَص، وسمَّى لميمنته عبد الرحمن بن عوف، ولميسرته الزّبير بن العوّام، واستخلف عليّاً رضي الله عنه على المدينة، واستشار النَّاس، فكلّهم أشار عليه بالسَّير إلى فارس، ولم يكن استشار في الَّذي كان حتى نزل بصرار ورجع طلحة، فاستشار ذوي الرّأيِ، فكان طلحة ممَّن تابع النَّاس، وكان عبد الرحمن ممَّن نهاه، فقال عبد الرحمن: فما فديتُ أحداً بأبي وأمي بعد النبيّ ﷺ قبل يومئذ ولا بعده؛ فقلت: يا بأبي وأمّي اجعل عَجْزها بي وأقِم وابعث جنداً، فقد رأيت قضاء الله لك في جنودك قبلُ وبعدُ، فإنه إن يُهزم جيشُك ليس كهزيمتك؛ وإنَّك إن تُقتل أو تُهزم في أنف الأمر خشيتُ ألا يكبِّر المسلمون وألاّ

---

(١) إسناده ضعيف، ولم نجد رواية تأريخية مسندة موصولة صحيحة تتحدث عن هذه الشورى التي دعا إليها عمر وحصلت قبل معركة القادسية.

يشهدوا أن لا إله إلا الله أبداً وهو في ارتيادٍ من رجل؛ وأتى كتاب سعْدٍ على حَفَف مَشُورتهم؛ وهو على بعض صدقات نجْد ، فقال عمر: فأشيروا عليّ برجل ، فقال عبد الرحمن: وجدتُه ، قال: مَنْ هو؟ قال: الأسد في براثنه؛ سعد بن مالك؛ ومالأه أولو الرأي [1]. (٣: ٤٨١/ ٤٨٢).

٢٣٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمَّد وطلحة بإسنادهما ، قالا: كان سعد بن أبي وقَّاص على صَدَقات هوازن ، فكتب إليه عمر فيمَن كتب إليه بانتخاب ذوي الرَّأي والنَّجدة ممَّن كان له سلاح أو فرس ، فجاءه كتاب سعد: إنّي قد انتخبت لك ألف فارس مُؤْدٍّ كلّهم له نجدة ورأي ، وصاحبُ حيطة يحوط حريم قومه ، ويمنع ذمارهم ، إليهم انتهت أحسابهم ورأيُهُم ، فشأنَك بهم. ووافق كتابُه مشورتهم ، فقالوا: قد وجدْتَه ، قال: فمن؟ قالوا: الأسد عَادياً ، قال: مَنْ؟ قالوا: سعد ، فانتهى إلى قولهم فأرسل إليه ، فقدم عليه ، فأمَّره على حرب العراق وأوصاه. فقال: يا سعد ، سعد بَنِي وُهَيْب! لا يغرّنك من الله أن قيل: خال رسول الله ﷺ وصاحب رسولِ الله؛ فإنّ الله عزّ وجلّ لا يمحُو السيّىء بالسيّىء؛ ولكنَّه يمحُو السيّىء بالحسن؛ فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلاّ طاعته؛ فالنَّاس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواءٌ؛ الله ربّهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة. فانظر الأمرَ الَّذي رأيتَ النبيّ ﷺ عليه منذ بُعِث إلى أن فارقنَا فالزمْهُ فإنَّه الأمر. هذه عظتي إيَّاك إن تركتها ورغبت عنها حَبِطَ عَمَلُك؛ وكنت من الخاسرين.

ولمَّا أراد أن يسرّحه دعاه ، فقال: إني قد ولَّيتُك حرب العراق فاحفظ وصيَّتي فإنّك تقدِم على أمر شديد كريه لا يخلِّص منه إلاّ الحقُّ ، فعوّد نفسك ومَن معك الخير ، واستفتح به. واعلم أنَّ لكلّ عادة عَتاداً ، فعتاد الخير الصبر؛ فالصبرَ على ما أصابك أو نابك؛ يجتمع لك خشية الله. واعلم أنَّ خشية الله تجتمع في أمرين: في طاعته واجتناب معصيته؛ وإنَّما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحبّ الآخرة ، وعصاه مَن عصاه بحبّ الدنيا وبغض الآخرة؛ وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاءً ، منها السرّ ، ومنها العلانية؛ فأمَّا العلانية فأنْ يكون حامدُه وذامّه في الحقّ سواءٌ ، وأما السرّ فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه ، وبمحبَّة النَّاس؛ فلا تزهد

---

(١) إسناده ضعيف.

في التحبّب فإنّ النبيّين قد سألوا محبّتهم؛ وإن الله إذا أحبّ عبداً حبّبه؛ وإذا أبغض عبداً بغّضه. فاعتبرْ منزلتَك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس، ممّن يشرع معك في أمرك. ثم سرّحه فيمن اجتمع إليه بالمدينة من نفير المسلمين. فخرج سعد بن أبي وقّاص من المدينة قاصداً العراق في أربعة آلاف؛ ثلاثة ممّن قدم عليه من اليَمَن والسَّراة؛ وعلى أهل السَّرَوات حُمَيْضة بن النّعمان بن حُميضة البارقيّ؛ وهم بارقٌ وألْمَعُ وغامِدٌ وسائر إخوتهم في سبعمئة من أهل السَّراة، وأهلُ اليمن ألفان وثلاثمئة؛ منهم النَّخَع بن عمرو، وجميعهم يومئذ أربعة آلاف؛ مقاتلتهم وذراريُّهم ونساؤهم؛ وأتاهم عمر في عسكرهم؛ فأرادهم جميعاً على العِراق، فأبوْا إلاّ الشَّأم، وأبى إلاّ العراق، فسمح نصفُهم فأمضاهم نحو العراق، وأمضى النّصف الآخر نحو الشَّأم[1]. (٣: ٤٨٣/ ٤٨٤).

٢٣٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعيب، عن سَيْف، عن حنَش النَّخَعيّ، عن أبيه وغيره منهم: أنّ عمر أتاهم في عسكرهم؛ فقال: إنّ الشَّرف فيكم يا معشر النَّخَع لمتربِّع، سِيروا مع سعد. فنزِعوا إلى الشأم، وأبى إلاّ العِراق، وأبوْا إلاّ الشأم؛ فسرّح نصفهم إلى الشأم ونصفهم إلى العراق[2]. (٣: ٤٨٤).

٢٣٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمستنير وحَنَش؛ قالوا: وكان فيهم من حَضرَمَوْت والصَّدف ستّمئة، عليهم شَدّاد بن ضَمعَج، وكان فيهم ألف وثلاثمئة من مَذْحج، على ثلاثة رؤساء: عمرو بن مَعْد يكرِبَ على بني منَبّه، وأبو سَبْرة بن ذؤيْب على جُعْفيّ ومَن في حِلف جُعْفيّ من إخوة جَزْء وزُبَيْد وأنَس الله ومَن لَفَّهم، ويزيد بن الحارث الصُّدائيّ على صُداء وجَنْب ومُسْلِية في ثلاثمئة؛ هؤلاء شهدوا من مذحج فيمن خرج من المدينة مَخْرَج سعد منها، وخرج معه من قيس عَيْلانَ ألفٌ عليهم بِشر بن عبد الله الهلاليّ[3]. (٣: ٤٨٤).

٢٣٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عبيدة، عن إبراهيم؛

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

قال: خرج أهل القادسيَّة من المدينة، وكانوا أربعة آلاف؛ ثلاثة آلاف منهم من أهل اليمن وألفٌ من سائر الناس[١]. (٣: ٤٨٥).

٢٤٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وسهل، عن القاسم، قالوا: وشيَّعهم عمر من صِرار إلى الأعوص، ثم قام في الناس خطيباً، فقال: إنَّ الله تعالى إنَّما ضربَ لكم الأمثال، وصرّف لكم القول؛ ليحيي به القلوب، فإنّ القلوب ميّتة في صدورها حتى يحييها الله، مَن علم شيئاً فلينتفع به، وإن للعدل أمارات وتباشير، فأما الأمارات فالحياء والسَّخاء والهَيْن واللَّيْن، وأما التَّباشير فالرّحمة، وقد جعل الله لكلّ أمر باباً، ويسَّر لكلّ باب مفتاحاً، فباب العدل الاعتبار ومفتاحه الزهد، والاعتبار ذكرُ الموت بتذكر الأموات، والاستعداد له بتقديم الأعمال، والزّهدُ أخذُ الحقّ من كلّ أحد قِبَلَه حقٌّ، وتأديةُ الحقّ إلى كلّ أحد له حقّ. ولا تصانع في ذلك أحداً، واكتَفِ بما يكفيك من الكَفاف؛ فإنّ مَن لم يكفه الكفاف لم يُغنه شيء. إنّي بينكم وبين الله، وليس بيني وبينه أحدٌ، وإنّ الله قد ألزمني دفع الدعاء عنه، فانهُوا شكاتكم إلينا، فمن لم يستطع فإلى من يبلّغُناها نأخذ له الحقّ غير متعتَع. وأمر سعداً بالسّيْر، وقال: إذا انتهيتَ إلى زَرود؛ فانزِل بها، وتفرّقوا فيما حولها، واندب مَن حولك منهم، وانتخبْ أهلَ النجدة والرأي والقوّة والعُدّة[٢]. (٣: ٤٨٥).

٢٤١ ـ كتب إليَّ السري عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن سُوقة، عن رجل، قال: مرّت السَّكون مع أوّل كِنْدة مع حُصَيْن بن نُمَير السَّكونيّ ومعاوية بن حُدَيج في أربعمئة، فاعترضهم، فإذا فيهم فِتْية دُلْم سِباط مع معاوية بن حُدَيج، فأعرض عنهم، ثم أعرض، ثم أعرض؛ حتى قيل له: مالك ولهؤلاء! قال: إني عنهم لمتردّد، وما مرّ بي قومٌ من العرب أكره إليَّ منهم. ثم أمضاهم، فكان بعدُ يُكثر أن يتذكَّرهم بالكراهيَة، وتعجَّب الناس من رأي عمر. وكان منهم رجل يقال له: سودان بن حُمْران، قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه. وإذا منهم حليف لهم يقال له: خالد بن مُلْجَم، قتلَ عليّ بن أبي طالب رحمه الله. وإذا منهم معاوية بن

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

حُدَيج؛ فنهض في قوم منهم يتبع قَتَلة عثمان يقتلهم. وإذا منهم قوم يقْرُون قَتَلَة عثمان[١]. (٣: ٤٨٥/ ٤٨٦).

٢٤٢ - كتب إليّ السريّ عن شُعيب، عن سيف، عن محمد بإسناده، وزياد عن مَاهان، قالا: فمن أجلِ ذلك اختلف النَّاس في عددِ أهل القادسيَّة، فمَن قال: أربعة آلاف فلمخرجهم مع سَعْد من المدينة، ومَن قال: ثمانية آلاف فلاجتماعهم بزرُود، ومَنْ قال: تسعة آلاف فللحاق القيسيِّين، ومن قال: اثنا عشر ألفاً فلدفوف بني أسدَ من فروع الحَزْن بثلاثة آلاف. وأمر سعداً بالإقدام، فأقدم ونهض إلى العراق وجموع الناس بشَراف، وقدم عليه مع قدومه شَراف الأشْعثُ بن قيس في ألف وسبعمئة من أهل اليمن، فجميع مَن شهد القادسيَّة بضعة وثلاثون ألفاً، وجميع من قُسم عليه فيء القادسيَّة نحو من ثلاثين ألفاً[٢]. (٣: ٤٨٧).

٢٤٣ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عبد الملك بن عمير، عن زياد، عن جرير، قال: كان أهلُ اليمن ينزعون إلى الشَّأم، وكانت مُضَر تنزِع إلى العراق، فقال عمر: أرحامكم أرسخ من أرحامنا! ما بال مُضر لا تذكر أسلافها من أهل الشأم![٣] (٣: ٤٨٧).

٢٤٤ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن أبي سعد بن المرزبان، عمَّن حدّثه، عن محمد بن حذيفة بن اليَمان، قال: لم يكن أحدٌ من العربِ أجرأ على فارس من ربيعة، فكان المسلمون يسمُّونهم ربيعة الأسد إلى ربيعة الفرَس، وكانت العرب في جاهليَّتها تسمّى فارس الأسد، والرّوم الأسد[٤]. (٣: ٤٨٧).

٢٤٥ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن طلحة، عن ماهان، قال: قال عمر: والله لأضربنّ ملوك العجم بملوك العرب؛ فلم يَدَعْ رئيساً، ولا ذا رأي، ولا ذا شَرف، ولا ذا سطة، ولا خطيباً، ولا شاعراً؛ إلاّ رماهم به،

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

(٤) إسناده ضعيف.

فرماهم بوجوه الناس وغُرَرهم[١] . (٣ : ٤٨٧) .

٢٤٦ - كتب إليّ السري عن شعيب ، عن سَيْف ، عن عمرو ، عن الشعبيّ ، قال : كان عمر قد كتب إلى سعد مرتحلَه من زَرُود : أن ابعث إلى فَرْج الهند رجلاً ترضاه يكون بحياله ، ويكون ردءاً لك من شيء إن أتاك من تلك التّخوم ، فبعث المغيرة بن شعبة في خمسمئة ، فكان بحيال الأبُلَّة من أرض العرب؛ فأتى غُضَيّاً ، ونزل على جرير؛ وهو فيما هنالك يومئذ. فلمّا نَزل سعد بشَراف ، كتب إلى عمر بمنزله وبمنازل الناس فيما بين غضيّ إلى الجَبّانة ، فكتب إليه عمر : إذا جاءك كتابي هذا؛ فعشّر النّاس وعرّف عليهم ، وأمّرْ على أجنادهم ، وعبّهم ، ومُرْ رؤساء المسلمين فليَشْهَدوا ، وقدّرْهم وهم شهود ، ثم وجّههم إلى أصحابهم ، وواعدْهم القادسيّة؛ واضمم إليك المغيرة بن شعبة في خَيْله؛ واكتب إليّ بالذي يستقرّ عليه أمرهم.

فبعث سعد إلى المغيرة ، فانضمّ إليه وإلى رؤساء القبائل ، فأتوْه ، فقدّر الناس وعبّاهم بشَراف ، وأمّر أمراء الأجناد ، وعرّف العُرَفاء ، فعرّف على كلّ عشرة رجلاً ، كما كانت العِرافات أزمانَ النبيّ ﷺ ، وكذلك كانت إلى أن فُرِض العطاء ، وأمّر على الرّايات رجالاً من أهل السابقة ، وعشّر الناس ، وأمّر على الأعشار رجالاً من الناس لهم وسائل في الإسلام ، وولّى الحروبَ رجالاً ، فولّى على مقدّماتها ومجنِّباتها وساقتها ومجرّداتها وطلائعها ورَجْلها ورُكْبانها ، فلم يفصل إلاّ على تعبيَة ، ولم يفصل منها إلاّ بكتاب عمر وإذنه ، فأمّا أمراء التعبية؛ فاستعمل زُهرة بن عبد الله بن قتادة بن الحوية بن مَرْثَد بن معاوية بن معن بن مالك بن أرثم بن جُشَم بن الحارث الأعرج ، وكان ملك هَجَر قد سَوّدَه في الجاهليّة ، ووفَّدَه على النبيّ ﷺ ، فقدّمه ، ففصل بالمقدّمات بعد الإذن من شَراف؛ حتى انتهى إلى العُذيْب ، واستعمل على الميمنة عبد الله بن المعْتَمّ ، وكان من أصحاب النبيّ ﷺ ؛ وكان أحدَ التّسعة الذين قدموا على النبيّ ﷺ ، فتمّمهم طلحة بن عبيد الله عشرة ، فكانوا عِرافة ، واستعمل على الميسرة شُرحبيل بن السِّمْط بن شُرَحبيل الكِنْديّ ـ وكان غلاماً شابّاً ، وكان قد قاتل أهل

(١) إسناده ضعيف.

الرّدّة ، ووفَّى اللهَ ، فعُرِف ذلك له ، وكان قد غلب الأشعث على الشّرف فيما بين المدينة؛ إلى أن اختُطّت الكُوفة وكان أبوه ممَّن تقدّم إلى الشأم مع أبي عبيدة بن الجراح ـ وجعل خليفته خالد بن عُرْفطة ، وجعل عاصم بن عمرو التميميّ ثم العمريّ على الساقة ، وسواد بن مالك التميميّ على الطلائع ، وسلْمان بن ربيعة الباهليّ على المجرّدة ، وعلى الرّجْل حَمَّال بن مالك الأسديّ ، وعلى الرّكبان عبد الله بن ذي السهمين الخَثْعَميّ ، فكان أمراءُ التّعبية يَلُون الأمير ، والذين يلُون أمراءَ الأعشار ، والذين يلُون أمراء الأعشار أصحاب الرايات ، والذين يلُون أصحاب الرايات والقوّاد رؤوس القبائل ، وقالوا جميعاً: لا يستعين أبو بكر في الرّدّة ولا على الأعاجم بمرتدّ ، واستنفرهم عمر ولم يولّ منهم أحداً[١] (٣: ٤٨٨/ ٤٨٩).

٢٤٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مُجالد وعمرو بإسنادهما، وسعيد بن المرزبان ، قالوا: بعث عمر الأطبَّة ، وجعل على قضاء النَّاس عبدَ الرحمن بن ربيعة الباهليّ ذا النور ، وجعل إليه الأقباض وقسمة الفيء ، وجعل داعيتهم ورائدهم سلْمان الفارسيّ[٢]. (٣: ٤٨٩).

٢٤٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن أبي عمرو ، عن أبي عثمان النَّهْديّ؛ قال: والتّرجمان هلال الهجَريّ والكاتب زياد بن أبي سفيان فلمَّا فرغ سعد من تعبيته ، وعدّ لكلّ شيء من أمره جماعاً ورأساً؛ كتب بذلك إلى عمر ، وكان من أمر سعد فيما بين كتابه إلى عمر بالّذي جمعَ عليه الناس وبين رجوع جوابه ورحله من شَراف إلى القادسيَّة قدومُ المُعَنَّى بن حارثة وسلْمى بنت خَصَفة التيميَّة؛ تَيْم اللات إلى سعد بوصيَّة المثنَّى ، وكان قد أوصى بها ، وأمرهم أن يعجّلوها على سعد بَزْرود ، فلم يفرغوا لذلك وشغلهم عنه قابوس بن قابوس بن المنذر؛ وذلك أن الآزاذمرد بن الآزاذبه بعثه إلى القادسيَّة ، وقال له: ادعُ العربَ ، فأنت على من أجابك ، وكن كما كان آباؤك. فنزل القادسيَّة ، وكاتب بكر بن وائل بمثل ما كان النعمان يكاتبهم به مقاربة ووعيداً. فلمَّا انتهى إلى المعنَّى خبره؛ أَسْرَى المعنَّى من ذي قار حتى بيَّته ، فأنامه ومن معه ، ثم رجع

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف ، وفي متنه نكارة نظنها من قبل شعيب والله أعلم.

إلى ذي قار ، وخرج منها هو وسَلْمى إلى سعد بوصيَّة المثنَّى بن حارثة ورأيه ، فقدموا عليه وهو بشرَاف ، يذكر فيها : أنَّ رأيه لسعد ألاّ يقاتل عدوّه وعدوّهم ـ يعني : المسلمين ـ من أهل فارس ؛ إذا استجمع أمرهم وملؤهم في عُقْر دارهم ، وأن يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حَجَر من أرض العرب وأدنى مَدَرة من أرض العجم ، فإن يُظهر الله المسلمين عليهم ؛ فلهم ما وراءهم ؛ وإن تكن الأخرى ؛ اؤوا إلى فئة ، ثم يكونوا أعلمَ بسبيلهم ، وأجرأ على أرضهم ؛ إلى أن يردّ الله الكرّة عليهم .

فلمَّا انتهى إلى سعد رأيُ المثنَّى ووصيَّته ؛ ترحَّم عليه ، وأمَّر المعنَّى على عمله ، وأوصى بأهل بيته خيراً ، وخطب سَلْمَى فتزَوّجها وبنى بها ؛ وكان في الأعشار كلِّها بضعة وسبعون بدْريّاً ، وثلاثمئة وبضعة عشر ممَّن كانت له صحبة ، فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك ، وثلاثمئة ممَّن شهد الفتح ، وسبعمئة من أبناء الصّحابة في جميع أحياء العرب . وقدم على سعد وهو بشَراف كتابُ عمر بمثل رأي المثنَّى ؛ وقد كتب إلى أبي عُبيدة مع كتاب سعد ، فوصل كتاباهما إليهما ، فأمر أبا عبيدة في كتابه بصرْف أهل العراق وهم ستَّة آلاف ، ومَن اشتهى أن يلحق بهم ، وكان كتابه إلى سعد :

أمَّا بعد ، فسرْ من شَراف نحو فارس بمن معك من المسلمين ؛ وتوكَّل على الله ، واستعِنْ به على أمرك كلِّه ؛ واعلم فيما لديك أنَّك تقدِمُ على أمَّة عددهم كثير ، وعُدَّتهم فاضلة ، وبأسهم شديد ، وعلى بلد منيع ـ وإن كان سهلاً ـ كَؤود لبحوره وفيوضه ودآدِئه ؛ إلاّ أن توافقوا غَيْضاً من فَيْض . وإذا لقيتم القوم أو أحداً منهم فابدؤوهم الشدّ والضرب ، وإيَّاكم والمناظرة لجموعهم ولا يخدعُنَّكم ؛ فإنهم خَدَعة مكَرة ؛ أمرُهم غير أمركم ؛ إلا أن تجادّوهم ، وإذا انتهيت إلى القادسيَّة ـ والقادسيَّة باب فارس في الجاهليَّة ، وهي أجمع تلك الأبواب لمادّتهم ، ولما يريدونه من تلك الآصُل ، وهو منزل رغيب خصيب حصين دونه قناطر ، وأنهار ممتنعة ـ فتكون مسالحك على أنقابها ، ويكون الناس بين الحَجَر والمَدَر على حافّات الحجَر وحافّات المدر ، والجِراع بينهما ؛ ثم الزم مكانك فلا تبرحْه ؛ فإنهم إذا أحسُّوك ؛ أنغضتَهم ، ورَموْك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجْلهم وحدّهم وجِدّهم ؛ فإن أنتم صبرتم لعدوّكم واحتسبتم لقتاله ونويتم

الأمانة؛ رجوتُ أن تُنصَروا عليهم؛ ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبداً إلاَّ أن يجتمعوا؛ وليست معهم قلوبهم ، وإن تكن الأخرى؛ كان الحجَر في أدباركم؛ فانصرفتم من أدنى مَدَرة من أرضهم إلى أدنى حَجَر من أرضكم؛ ثم كنتم عليها أجرأ وبها أعلم ، وكانوا عنها أجبَن وبها أجهل؛ حتى يأتيَ الله بالفتح عليهم ، ويردّ لكم الكرّة .

وكتب إليه أيضاً باليوم الذي يرتحل فيه من شَراف: فإذا كان يوم كذا وكذا فارتحل بالنَّاس حتى تنزلَ فيما بين عُذَيب الهِجانات ، وعُذَيب القوادس ، وشرّق بالناس وغرّبْ بهم .

ثم قدم عليه كتاب جواب عمر: أمَّا بعد ، فتعاهد قلبك ، وحادِثْ جندَك بالموعظة والنِّيّة والحِسْبة ، ومَنْ غفل فلْيُحْدثْهما؛ والصبرَ الصبرَ؛ فإنّ المعونة تأتي من الله على قدر النيّة؛ والأجر على قدر الحسنة والحذَرَ الحذرَ على مَنْ أنت عليه وما أنت بسبيله ، واسألوا الله العافية ، وأكثِروا من قول: «لا حول ولا قوّة إلا بالله» ، واكتب إليّ أين بَلغك جمعُهم ، ومَن رأسُهم الذي يلي مصادمتكم؛ فإنه قد منعني من بعض ما أردت الكتاب به قلَّةُ عِلْمي بما هجمتم عليه ، والذي استقرّ عليه أمرُ عدوّكم؛ فصِفْ لنا منازل المسلمين ، والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفةً كأني أنظر إليها ، واجعلني من أمركم على الجلية ، وخفِ الله وارجُه ، ولا تُدِلّ بشيء . واعلم أنّ الله قد وَعدكم . وتوكَّل لهذا الأمر بما لا خُلْف له ، فاحذرْ أن تَصرفه عنك ، ويستبدل بكم غيركم .

فكتب إليه سعد بصفة البلدان: إنّ القادسيّة بين الخندق والعَتيق ، وإنّ ما عن يسار القادسيّة بحر أخضر في جوف لاحّ إلى الحيرة بين طريقين؛ فأمَّا أحدهما فعلى الظَّهْر ، وأمَّا الآخر فعلى شاطىء نهر يُدعَى الحُضُوض؛ يطلع بمَنْ سلكه على ما بين الخَوَرْنَق والحيرة؛ وما عن يمين القادسيَّة إلى الوَلَجة فيضٌ من فيوض مياههم . وإنَّ جميع من صالح المسلمين من أهل السَّواد قبلي ألْبٌ لأهل فارس قد خَفُّوا لهم ، واستعدُّوا لنا . وإنَّ الذي أعدّوا لمصادمتنا رُسْتم في أمثال له منهم؛ فهم يحاولون إنغاضَنا وإقحامنا ، ونحن نحاول إنغاضهم وإبرازهم ، وأمْرُ الله بعدُ ماضٍ ، وقضاؤه مسلّم إلى ما قدّر لنا وعلينا ، فنسأل الله خير القضاء ، وخير القَدَر في عافية .

فكتب إليه عمر: قد جاءني كتابك وفهمتُه، فأقِمْ بمكانك حتى يُنغِض الله لك عدوَّك؛ واعلم أنَّ لها ما بعدها، فإن منحَك الله أدبارَهم فلا تنزِعْ عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن؛ فإنه خرابها إن شاء الله.

وجعل عمر يدعُو لسعد خاصّة، ويدعون له معه، وللمسلمين عامة، فقدم زُهْرةَ سعدٌ حتى عسكر بعُذيب الهجانات، ثم خرج في أثره حتى ينزل على زُهرة بعُذيب الهجانات، وقدّمه، فنزل زهرةٌ القادسيَّة بين العتيق والخندق بحيال القنطرة؛ وقُدَيْس يومئذ أسفل منها بميل[١]. (٣: ٤٨٩/ ٤٩٠/ ٤٩١/ ٤٩٢).

٢٤٩ - كتب إليّ السريُّ عن شعيب، عن سَيْف، عن القعقاع بإسناده، قال: وكتب عمر إلى سعد: إنِّي قد ألقيَ في رُوعي: أنَّكم إذا لقيتم العدوّ هزمتموهم، فاطّرحوا الشكّ، وآثروا التقيَّة عليه؛ فإنْ لاعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان أو قرفَه بإشارة أو بلسان، فكان لا يدري الأعجميّ ما كلّمه به، وكان عندهم أماناً؛ فأجروا ذلك له مجرى الأمان. وإيَّاكم والضَّحك؛ والوفاءَ الوفاءَ! فإن الخطأ بالوفاء بقيَّة وإن الخطأ بالغدرِ الهلكة، وفيها وهنُكم وقوّة عدوّكم، وذهاب ريحكم، وإقبال ريحهم. واعلموا: أني أحذّركم أن تكونوا شَيْناً على المسلمين وسبباً لتوهينهم[٢]. (٣: ٤٩٢/ ٤٩٣).

٢٥٠ - كتب إليَّ السريُّ عن شُعيب، عن سيف، عن عبد الله بن مُسلم العُكْليّ والمقدام بن أبي المقدام، عن أبيه، عن كَرِب بن أبي كَرِب العُكْليّ - وكان في المقدّمات أيّام القادسيَّة - قال: قدّمَنا سعد من شَراف، فنزلنا بعُذيب الهِجانات ثم ارتحل؛ فلما نزل علينا بعُذيب الهجانات - وذلك في وجه الصُّبْح - خرج زُهرة بن الحوَيَّة في المقدّمات، فلما رُفع لنا العُذَيب - وكان من مسالحهم - استبنَّا على بروجه ناساً، فما نشاءُ أن نرى على برج من بروجه رجلاً أو بين شُرْفتين إلاّ رأيناه، وكنا في سَرَعان الخيل، فأمسكنا حتى تلاحق بنا كَثْف ونحن نرى أنّ فيها خيلاً، ثم أقدمنا على العُذَيب، فلمَّا دنونا منه؛ خرج رجل يركضُ نحو القادسيَّة، فانتهينا إليه، فدخلناه فإذا ليس فيه أحد؛ وإذا ذلك الرجل هو

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

الذي كان يتراءَى لنا على البُروج وهو بين الشُّرَف مكيدة ، ثم انطلق بخبرنا ، فطلبناه فأعجزنا ، وسمع بذلك زُهرة فاتَّبعنَا ، فلحق بنا وخَلفَنا واتّبعه . وقال : إن أفلت الرَّبيءُ أتاهم الخبر . فلحقه بالخندق فطعنه فجدّ له فيه ، وكان أهل القادسيَّة يتعجّبون من شجاعة ذلك الرّجل ، ومن علمه بالحرب ، لم يُرَ عين قوم قطُّ أثبتَ ولا أربط جأشاً من ذلك الفارسيّ ، لولا بُعْدُ غايته لم يلحق به ، ولم يُصبه زُهرة ، ووجد المسلمون في العُذَيب رماحاً ونُشَّاباً وأسفاطاً من جلود وغيرها ، انتفع بها المسلمون . ثم بثّ الغارات ، وسرّحهم في جوف الليل ، وأمرهم بالغارة على الحيرة ، وأمَّر عليهم بُكَيْر بن عبد الله الليثيّ ـ وكان فيها الشماخ الشاعر القيسيِّ في ثلاثين معروفين بالنَّجدة والبأس ـ فسرَوْا حتَّى جازوا السَّيْلحين ، وقطعوا جِسرها يريدون الحيرة ، فسمعوا جَلَبة وأزْفَلة ، فأحجموا عن الإقدام ، وأقاموا كميناً حتى يتَبيَّنوا ، فما زالوا كذلك حتى جازُوا بهم ، فإذا خيول تقدُم تلك الغَوْغاء ، فتركوها فنفذت الطريق إلى الصِّنَّينِ ، وإذا هم لم يشعروا بهم؛ وإنما ينتظرون ذلك العَيْن لا يريدونهم ، ولا يأبهون لهم ، إنَّما همَّتُهم الصّنّين؛ وإذا أخت آزاذ مَرْدَ بن آزاذ به مَرْزُبان الحيرة تُزَفُّ إلى صاحب الصّنّين ـ وكان من أشراف العجَم ـ فسار معها من يبلّغها مخافة ما هو دون الذي لقوا؛ فلمّا انقطعت الخيل عن الزوافّ ، والمسلمون كمينٌ في النخل ، وجازت بهم الأثقال ، حمل بُكَيْر على شيرزاذ بن آزاذ به ، وهو بينها وبين الخيل ، فقصَم صُلْبَه ، وطارت الخيل على وجوهها ، وأخذوا الأثقال وابنة آزاذبه في ثلاثين امرأة من الدّهاقين ومئة من التوابع ، ومعهم ما لا يُدرَى قيمته ، ثم عاج واستاق ذلك ، فصبَّح سعداً بعُذَيْب الهِجَانات بما أفاء الله على المسلمين ، فكبَّروا تكبيرة شديدة . فقال سعد : أقسم بالله لقد كبَّرتم تكبيرة قوم عرفتُ فيهم العزّ ! فقسم ذلك سعد على المسلمين فالخمس نفله ، وأعطى المجاهدين بقيَّته ، فوقع منهم موقعاً ، ووضع سعد بالعُذَيب خيلاً تَحُوط الحريم ، وانضمّ إليها حاطة كلّ حريم ، وأمَّر عليهم غالبَ بن عبد الله الليثيّ ، ونزل سعد القادسيَّة ، فنزل بقُدَيْس ، ونزل زُهرة بحيال قنطرة العتيق في موضع القادسيَّة اليوم؛ وبعث بخبر سرّية بُكير ، وبنزوله قُديساً ، فأقام بها شهراً ، ثم كتب إلى عمر : لم يوجّه القوم إلينا أحداً ، ولم يُسْنِدوا حرباً إلى أحد علمناه ، ومتى ما يبلغنا ذلك نكتب به؛ واستنصر الله ، فإنَّا بمنحاة دنيا عريضة؛ دونها بأس شديد؛ قد تقدّم إلينا في

الدعاء إليهم ، فقال: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾.

وبعث سعد في مقامه ذلك إلى أسفل الفُرات عاصم بن عمرو فسار حتَّى أتى مَيْسان ، فطلب غنماً أو بقراً فلم يقدر عليها ، وتحصّن منه مَن في الأفدان ، ووغَلُوا في الآجام ، ووَغَل حتَّى أصاب رجلاً على طَفّ أجمَة ، فسأله واستدلَّه على البقر والغنم ، فحلف له وقال: لا أعلم؛ وإذَا هو راعي ما في تلك الأجمة ، فصاح منها ثور: كذب والله ! وها نحن أولاء ! فدخل فاستاق الثّيران وأتى بها العسكر ، فقسم ذلك سعد على الناس فأخصبوا أياماً؛ وبلغ ذلك الحجَّاج في زمانه ، فأرسل إلى نفر ممَّن شهدها أحدهم نذير بن عمرو والوليد بن عبد شمس وزاهر ، فسألهم فقالوا: نعم ، نحن سمعنا ذلك ، ورأيناه واستقناها ، فقال: كذبتم! فقالوا: كذلك؛ إنْ كنت شهدتها وغبْنا عنها ! فقال: صدقتم ، فما كان الناس يقولون في ذلك؟ قالوا: آيةُ تبشير يُستدلّ بها على رضا الله ، وفتح عدوّنا؛ فقال: والله ما يكون هذا إلا والجمع أبرار أتقياء ، قالوا: والله ما ندري ما أجنَّت قلوبُهم؛ فأمَّا ما رأينا فإنَّا لم نرَ قوماً قطُّ أزهدَ في دنيا منهم ، ولا أشدَّ لها بُغْضاً؛ ما اعتُدَّ على رجل منهم في ذلك اليوم بواحدة من ثلاث؛ لا بجُبْن ولا بغدر ولا بغُلُول . وكان هذا اليوم يوم الأباقِر؛ وبثّ الغارات بين كَسْكَر والأنبار ، فحوَوْا من الأطعمة ما كانوا يستكفون به زماناً ، وبعث سعد عيوناً إلى أهل الحيرة وإلى صَلُوبا ، ليعلَموا له خبر أهل فارس؛ فرجعوا إليه بالخبر؛ بأن الملك قد ولَّى رُستم بن الفَرّخزاذ الأرْمَنّي حرْبَه ، وأمره بالعسكرة. فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر: لا يكرُبنَّك ما يأتيك عنهم ، ولا ما يأتونك به؛ واستعن بالله وتوكَّل عليه ، وابعث إليه رجالاً من أهل المنظَرة والرأي والجلَد يدعونه ، فإنّ الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم ، وفَلْجاً عليهم؛ واكتب إليَّ في كلِّ يوم. ولمَّا عسكر رُسْتم بساباط كتبوا بذلك إلى عمر[1]. (٣: ٤٩٣/ ٣٩٤/ ٤٩٥).

٢٥١ ـ كتب إليَّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو والمجالد بإسنادهما ، وسعيد بن المرزُبان: أن سعد بن أبي وقَّاص حين جاءه أمرُ عمر فيهم ، جمع نفراً عليهم نِجار ، ولهم آراء ، ونفراً لهم منظر؛ وعليهم مهابة ولهم

(١) إسناده ضعيف.

آراء؛ فأمَّا الذين عليهم نِجار ولهم آراء ولهم اجتهاد فالنعمان بن مقرّن ، وبُسْر بن أبي رُهْم ، وحَملة بن جُوَيّة الكناني ، وحنظلة بن الربيع التميميّ ، وفُرات بن حيّان العِجْليّ ، وعديّ بن سُهيل ، والمغيرة بن زُرارة بن النبَّاش بن حبيب. وأما مَنْ لهم منظر لأجسامهم ، وعليهم مَهابة ولهم آراء؛ فعُطارد بن حاجب ، والأشعث بن قيس ، والحارث بن حسَّان ، وعاصم بن عمرو ، وعمرو بن معد يكرب ، والمغيرة بن شعبة ، والمعنَّى بن حارثة ، فبعثهم دُعاةً إلى الملك[1]. (٣: ٤٩٦).

٢٥٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبيّ ، وطلحة عن المغيرة ، قالوا: فخرجوا من العسكر حتى قدموا المدائنَ احتجاجاً ودُعاةً ليزدَجِرْد ، فطوَوا رستم ، حتى انتهوْا إلى باب يَزْدَجرد ، فوقفوا على خيولٍ عُرُوات ، معهم جَنائب ، وكلّها صهَّال ، فاستأذنوا فحبسوا ، وبعث يزدجرد إلى وزرائه ووجوه أرضِه يستشيرهم فيما يصنع بهم ، ويقوله لهم ، وسمع بهم الناس ، فَحَضَرُوهم ينظرون إليهم ، وعليهم المقطَّعات والبُرود ، وفي أيديهم سِياط دقاق ، وفي أرجلهم النّعال. فلمّا اجتمع رأيُهم ؛ أذن لهم ، فأدخِلوا عليه[2]. (٣: ٤٩٧/ ٤٩٨).

٢٥٣ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن بنت كيسان الضَّبِّيَّة ، عن بعض سبايا القادسيَّة ممَّن حسن إسلامه ، وحضر هذا اليوم الذي قدم فيه وفود العرب. قال: وثاب إليهم النَّاس ينظرون إليهم؛ فلم أرَ عشرة قطّ يعدلون في الهيئة بألف غيرَهم ، وخيلهم تخبط ويوعد بعضها بعضاً. وجعل أهلُ فارس يسوءهم ما يروْن من حالهم وحال خيلهم؛ فلمَّا دخلوا على يَزْدَجِرد؛ أمرهم بالجلوس؛ وكان سيّىء الأدب ، فكان أوّل شيء دار بينه وبينهم أن أمر التّرجمان بينه وبينهم فقال: سَلْهم ما يسمّون هذه الأردية؟ فسأل النُّعمان ـ وكان على الوفد: ما تُسمِّي رداءَك؟ قال: البُرْد ، فتطيَّر وقال: «برْدجهان» ، وتغيَّرت ألوان فارس وشقَّ ذلك عليهم. ثم قال: سلهم عن أحذيتهم ، فقال: ما تسمّون هذه الأحذية؟ فقال: النّعال ، فعاد لمثلها ، فقال: «ناله ناله» في أرضنا ، ثم

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

سأله عن الَّذي في يده فقال: سوط ، والسوط بالفارسيّة الحريق ، فقال: أحرقوا فارس أحرقهم الله! وكان تَطيُّره على أهل فارس ، وكانوا يجدون من كلامه[1]. (٣: ٤٩٨).

٢٥٤ ـ كتب إليّ السريُّ عن شُعيب ، عن سيْف ، عن عمرو ، عن الشعبيّ ، بمثله وزاد: ثمّ قال الملك: سلْهم ما جاء بكم؟ وما دعاكم إلى غَزْوِنا والوَلوغ ببلادنا؟ أمِنْ أجلِ أنَّا أجممناكم ، وتشاغلنا عنكم ، اجترأتم علينا! فقال لهم النعمان بن مقرّن: إن شئتم أجبتُ عنكم؛ ومن شاء آثرته. فقالوا: بل تكلَّم ، وقالوا للملك: كلامُ هذا الرجل كلامُنا. فتكلَّم النّعمان ، فقال: إنَّ الله رحمنا فأرسل إلينا رسولاً يدلّنا على الخير ويأمرُنا به ، ويعرّفنا الشرّ وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خيرَ الدّنيا والآخرة؛ فلم يدعُ إلى ذلك قبيلةً إلاّ صاروا فرقتيْن؛ فرقة تُقاربه ، وفرقة تباعده ، ولا يدخل معه في دِينه إلاّ الخواصّ. فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم أمر أن ينبذ إلى مَن خالفه من العرب؛ وبدأ بهم وفعل؛ فدخلوا معه جميعاً على وجْهين: مُكرَه عليه فاغتبط؛ وطائع أتاه فازداد؛ فعرفنا جميعاً فضلَ ما جاء به على الَّذي كنَّا عليه من العداوة والضّيق؛ ثم أمرنا أن نبدأ بمَن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف ، فنحن ندعُوكم إلى ديننا ، وهو دين حسَّن الحسَن وقبَّح القبيح كلَّه ، فإن أبيتم فأمرٌ من الشرّ هو أهون من آخرَ شرٍّ منه الجِزاء؛ فإن أبيتم فالمناجزة ، فإن أجبتم إلى ديننا خَلَّفنا فيكم كتاب الله ، وأقمناكم عليه ، على أن تحكموا بأحكامه ، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم؛ وإن اتّقيتمونا بالجِزاء قَبِلْنا ومنعناكم؛ وإلاّ قاتلناكم.

قال: فتكلَّم يَزْدَجرد ، فقال: إني لا أعلم في الأرْض أمَّة كانت أشقى ولا أقلّ عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم؛ قد كنَّا نوكّل بكم قُرَى الضواحي فيكفوناكُم. لا تغزون فارس ولا تطمعون أن تَقُوموا لهم ، فإن كان عدد لحق؛ فلا يغرَّنَّكم منَّا ، وإن كان الجَهد دعاكم فرضْنا لكم قوتاً إلى خِصْبكم؛ وأكرمْنا وجوهكم وكسوناكم ، وملَّكنا عليكم مَلِكاً يرفُق بكم.

فأسكَت القوم. فقام المغيرة بن زُرارة بن النبَّاش الأسَيْديُّ ، فقال: أيُّها

(١) إسناده ضعيف.

الملك ، إنَّ هؤلاء رؤوس العرب ووجوهُهم؛ وهم أشراف يستحيُون من الأشراف؛ وإنّما يكرم الأشرافَ الأشرافُ ، ويعظّم حقوق الأشراف الأشراف ، ويفخّم الأشرافَ الأشرافُ؛ وليس كلّ ما أرسلوا به جمعوه لك ، ولا كلّ ما تكلّمتَ به أجابوك عليه ، وقد أحسنوا ولا يحسُن بمثلهم إلاّ ذلك؛ فجاوبْني لأكون الذي أبلّغك ، ويشهدون على ذلك؛ إنَّك قد وصفتَنا صفةً لم تكن بها عالماً ، فأمَّا ما ذكرت من سُوء الحال ، فما كان أسوأ حالاً منَّا ، وأمَّا جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، كنّا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيَّات؛ فنرى ذلك طعامنا. وأمَّا المنازل فإنما هي ظهر الأرض ، ولا نلبس إلاَّ ما غزلْنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم؛ دينُنا أن يقتلَ بعضُنا بعضاً ، ويُغيرَ بعضُنا على بعض ، وإن كان أحدنا ليَدفن ابنتَه وهي حيَّة كراهيةَ أن تأكل من طعامنا؛ فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك؛ فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً ، نعرف نسبَه ، ونعرف وجهه ومولِده؛ فأرضُه خير أرضنا ، وحسبُه خير أحسابنا ، وبيته أعظم بيوتنا؛ وقبيلته خير قبائلنا؛ وهو بنفسه كان خيرَنا في الحال التي كان فيها أصدقنا وأحلمَنا؛ فدعانا إلى أمر فلم يُجبه أحد قبل ترْبٍ كان له وكان الخليفةَ من بعده ، فقال وقلنا ، وصَدق وكَذبنا ، وزاد ونقصنا ، فلم يقل شيئاً إلاَّ كان ، فقذف الله في قلوبنا التَّصديق له واتّباعه؛ فصار فيما بيننا وبين ربّ العالمين؛ فما قال لنا فهو قول الله ، وما أمرنا فهو أمرُ الله؛ فقال لنا: إنَّ ربَّكم يقول: إنّي أنا اللهُ وحدي لا شَريك لي ، كنتُ إذْ لم يكن شيء وكلّ شيء هالك إلاَّ وجهي ، وأنا خلقتُ كلّ شيء ، وإليَّ يصير كلّ شيء ، وإنَّ رحمتي أدركتْكم فبعثت إليكم هذا الرّجل لأدُلَّكُمْ عَلَى السَّبيل الَّتي بها أنْجِيكمْ بعد الموت من عذابي ، ولأحلَّكم داري؛ دار السَّلام ، فنشهد عليه أنه جاء بالحقّ من عند الحقّ ، وقال: مَنْ تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ما عليكم ، ومَنْ أبَى فاعرِضوا عليه الجزية ، ثم امنعوه ممَّا تمنعون منه أنفسَكم ، ومَن أبى فقاتلوه ، فأنا الحكَم بينكم. فمن قُتل منكم أدخلته جنَّتي ، ومَنْ بقيَ منكم أعقبته النَّصر على مَنْ ناوأه؛ فاخترْ إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر؛ وإن شئت فالسيف ، أو تُسلم فتُنجي نفسك. فقال: أتستقبلني بمثل هذا!

فقال: ما استقبلتُ إلاّ مَنْ كلَّمني ، ولو كلَّمني غيرُك لم أستقبلك به. فقال:

لولا أنَّ الرسل لا تُقْتَل؛ لقتلتُكم ، لا شيء لكم عندي ، وقال: ائتوني بوِقْر من تراب ، فقال: احملوه على أشرف هؤلاء ، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن؛ ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنِّي مرسِل إليكم رستم حتى يُدفيَكم ويدفيَه في خندق القادسيَّة ، وينكَل به وبكم من بعد ، ثم أورده بلادكم ، حتى أشغلكم في أنفسكم بأشدّ ممَّا نالكم من سابور.

ثم قال: مَنْ أشرفُكم؟ فسكت القوم ، فقال عاصم بن عمرو ـ وافتات ليأخذ التراب: أنا أشرفُهم، أنا سيِّد هؤلاء فحمّلْنيه، فقال: أكذاك؟ قالوا: نعم ، فحمّله على عنقه ، فخرج به من الإيوان والدار حتى أتى راحلَته فحمله عليها؛ ثم انجذب في السَّير ، فأتوْا به سعداً وسبقهم عاصم فمرّ بباب قُدَيس فطواه ، فقال: بشِّروا الأميرَ بالظَّفر، ظفرنا إن شاء الله. ثم مضى حتَّى جعل التراب في الحِجْر، ثم رجع فدخل على سعد ، فأخبره الخبر فقال: أبشروا فقد والله أعطانا الله أقاليدَ ملْكِهم.

وجاء أصحابه وجعلوا يزدادون في كلّ يوم قوّة ، ويزداد عدوّهم في كلّ يوم وَهَناً ، واشتدّ ما صنع المسلمون ، وصنع الملك من قبول التراب على جلساء الملك ، وراح رستم من ساباط إلى الملك يسأله عمَّا كان من أمره وأمرهم ، وكيف رآهم ، فقال الملك: ما كنتُ أرى أنَّ في العرب مثل رجال رأيتهم دخلُوا عليَّ وما أنتم بأعقلَ منهم ، ولا أحسنَ جواباً منهم؛ وأخبره بكلام متكلِّمهم ، وقال: لقد صَدَقني القوم ، لقد وعد القوم أمراً ليُدركُنَّه أو ليمُوتنّ عليه ، على أني قد وجدت أفضلَهم أحمقَهم ، لمَّا ذكروا الجزية أعطيتُه تراباً فحملَه على رأسه ، فخرج به ، ولو شاء اتَّقى بغيره؛ وأنا لا أعلم.

قال: أيَّها الملك ، إنه لأعقلُهم ، وتطيَّر إلى ذلك ، وأبصرها دون أصحابه.

وخرج رستم من عنده كئيباً غضبانَ ـ وكان منجِّماً كاهناً ـ فبعث في أثَر الوفد ، وقال لثقته: إن أدركَهم الرّسول؛ تلافَينا أرضَنا ، وإن أعجزوه؛ سلبكم الله أرضكم وأبناءكم. فرجع الرّسول من الحيرة بفواتهم ، فقال: ذهب القوم بأرضِكم غير ذي شكّ ، ما كان من شأن ابن الحجَّامة المُلك! ذهب القوم بمفاتيح أرضنا! فكان ذلك مما زاد الله به فارس غيظاً. وأغاروا بعد ما خرج الوفد إلى يَزْدَجِرد ، إلى أن جاؤوا إلى صيَّادين قد اصطادوا سمكاً ، وسار سواد بن مالك التميميّ إلى النّجاف والفِراض إلى جنبها ، فاستاق ثلاثمئة دابَّة من بين بغل

وحمار وثور ، فأوقروها سمكاً ، واستاقوها ، فصبَّحوا العسكر ، فقسم السَّمك بين النَّاس سعد ، وقسمَ الدوابّ ، ونفَّل الخمس إلاّ ما رُدَّ على المجاهدين منه ، وأسهم على السَّبْي؛ وهذا يوم الحيتان ، وقد كان الآزاذ مَرد بن الآزاذبه خرج في الطَّلب ، فعَطَف عليه سوادٌ وفوارس معه ، فقاتلهم على قنطرة السَّيْلَحين؛ حتى عرفوا أنّ الغنيمة قد نجت ، ثم اتَّبعوها فأبلغوها المسلمين ، وكانوا إنَّما يقرَمون إلى اللحم؛ فأمَّا الحنطة والشعير والتمر والحبوب؛ فكانوا قد اكتسبوا منها ما اكتفوْا به لو أقاموا زماناً؛ فكانت السَّرَايا إنَّما تسري للحوم ، ويسمُّون أيامها بها ، ومن أيَّام اللحم يومُ الأباقر ويوم الحيتان. وبعث مالك بن ربيعة بن خالد التيميّ؛ تَيْم الرّباب ، ثم الواثليّ ومعه المساور بن النّعمان التيميّ ثم الرُّبَيعيّ في سريّة أخرى؛ فأغارا على الفيّوم؛ فأصابا إبلاً لبني تغلب والنَّمِر فشلاّها ومَن فيها ، فغدَوا بها على سعد ، فنُحرت الإبل في النَّاس. وأخصبوا وأغار على النَّـهْرَيْـنِ عمرو بن الحارث ، فوجدوا على باب ثوراء مواشيَ كثيرة ، فسلكوا أرض شَيْلي ـ وهي اليوم نهر زياد ـ حتى أتوا بها العسكر.

وقال عمرو: ليس بها يومئذ إلا نهرانِ. وكان بين قدوم خالد العراق ونزول سعد القادسيِّة سنتان وشيء. وكان مُقام سعد بها شهرين وشيئاً حتى ظفر.

قال ـ والإسناد الأول ـ: وكان من حديث فارس والعرب بعد البُوَيب أنَّ الأنوشَجان بن الهِرْبَذ خرجَ من سَواد البصرة يريد أهل غُضَيّ ، فاعترضه أربعة نفر على أفناء تميم؛ وهم بإزائهم: المسْتَورِد وهو على الرِّباب ، وعبد الله بن زيد يسانده؛ الرّبابُ بينهما ، وجَزْء بن معاوية وابن النابغة يسانده؛ سَعد بينهما ، والحُصين بن نِيَار والأعور بن بشامة يسانده على عمرو ، والحصين بن معبد والشَّبه على حنظلة ، فقتلوه دونهم. وقدم سعد فانضمُّوا إليه هم وأهل غُضَيّ وجميع تلك الفِرَق[1]. (٣: ٤٩٨/٤٩٩/٥٠٠/٥٠١/٥٠٢/٥٠٣).

٢٥٥ ـ كتب إليّ السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، وزياد ، وعمرو بإسنادهم؛ قالوا: وخرج رستُم في عشرين ومئة ألف ، كلُّهم

---

(١) إسناده ضعيف.

متبوع ، وكانوا بأتباعهم أكثرَ من مئتي ألف ، وخرج من المدائن في ستين ألف متبوع[١] . (٣: ٥٠٥) .

٢٥٦ - كتب إليَّ السريُّ عن شُعيب ، عن سَيْف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أنّ رستَم زحف لسعد وهو بالقادسيَّة في ستين ألفَ متبوع[٢] . (٣: ٥٠٥) .

٢٥٧ - كتب إليَّ السريُّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد وعمرو بإسنادهم ، قالوا : لمَّا أبى المَلِك إلاّ السيرَ ، كتب رستم إلى أخيه وإلى رؤوس أهل بلادهم : من رستم إلى البِنْدوان مرزبان الباب ، وسهم أهل فارس ، الَّذي كان لكلّ كونٍ يكون ، فيفضّ الله به كلّ جند عظيم شديد ، ويفتح به كلّ حصن حصين ، ومن يليه ؛ فرُمُّوا حصونكم ، وأعِدّوا واستعِدّوا ، فكأنّكم بالعرب قد وردُوا بلادَكم ، وقارعوكم عن أرضكم وأبنائكم ، وقد كان من رأيي مدافعتهم ومطاولتهم حتى تعود سعودُهم نحوساً ؛ فأبى الملك[٣] . (٣: ٥٠٥/٥٠٦) .

٢٥٨ - كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الصّلْت بن بَهرام ، عن رجل : أنّ يزدَجِرد لمَّا أمر رستمٍ بالخروج من سَاباط ، كتب إلى أخيه بنحوٍ من الكتاب الأوّل ، وزاد فيه : فإنّ السمكة قد كدّرت الماء ، وإنَّ النعائم قد حسُنت ، وحسُنت الزُّهرَة ، واعتدل الميزان ، وذهب بَهْرام ؛ ولا أرى هؤلاء القوم إلاّ سيظهرون علينا ، ويستولُون على ما يلينا . وإنَّ أشدّ ما رأيت أن الملك قال : لتسيرُنَّ إليهم أو لأسيرَنّ إليهم أنا بنفسي . فأنا سائر إليهم[٤] . (٣: ٥٠٦) .

٢٥٩ - كتب إليّ السريُّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، وزياد ، وعمرو بإسنادهم ، قالوا : لمَّا فَصَل رستم من سَاباط ؛ لقيه جابان على القَنْطَرة ، فشكا إليه ، وقال : ألا تَرى ما أرى؟ فقال له رستم : أمَّا أنا فأقاد بخِشاش وزمام ، ولا أجد بُدّاً من الانقياد . وأمر الجالنوس حتَّى قدم الحيرة ؛ فمضى واضطرب فُسطاطه بالنَّجَف ، وخرج رستم حتى ينزل بكُوثَى ، وكتب إلى

---

(١) إسناده ضعيف .

(٢) إسناده ضعيف .

(٣) إسناده ضعيف .

(٤) إسناده ضعيف .

الجالنوس والآزاذ مرْد: أصيبَا لي رجلاً من العرب من جند سَعْد. فركبا بأنفسهما طليعة، فأصابا رجلاً، فبعثا به إليه وهو بكوثَى فاستخبَره، ثم قتله[١]. (٣: ٥٠٧).

٢٦٠ - كتب إليّ السري عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الشعبيّ، والمقدام الحارثي عمَّن ذكره، قالا: دعا رستم أهلَ الحيرة وسُرادقُه إلى جانب الدَّير، فقال: يا أعداءَ الله! فرحتم بدخول العرب علينا بلادَنا، وكنتم عيوناً لهم علينا، وقوَّيتموهم بالأموال! فاتَّقوْه بابن بُقَيلة، وقالوا له: كن أنت الذي تكلِّمه، فتقدّم، فقال: أمَّا أنت وقولك: «إنا فرحنا بمجيئهم» فماذا فعلوا؟ وبأيّ ذلك من أمورهم نفرح! إنَّهم ليزعمون أنَّا عبيد لهم، وما هم على ديننا؛ وإنّهم ليشهدون علينا أنَّا من أهل النار. وأمَّا قولُك: «إنَّا كنا عيوناً لهم»، فما الذي يُحوجهم إلى أن نكون عيوناً لهم، وقد هرب أصحابكم منهم، وخلَّوا لهم القرى! فليس يمنعهم أحد من وجه أرادوه؛ إن شاؤوا أخذوا يميناً أو شمالاً. وأمَّا قولك: «إنا قوَّيناهم بالأموال»؛ فإنا صانعناهم بالأموال عن أنفسنا؛ وإذ لم تمنعونا مخافة أن نُسْبَى وأن نُحرب، وتُقتل مقاتلتُنا ـ وقد عجز منهم مَنْ لقيهم منكم ـ فكنَّا نحن أعجز؛ ولعمري لأنتم أحبُّ إلينا منهم؛ وأحسن عندنا بلاءً، فامنعونا منهم نكن لكم أعواناً؛ فإنّما نحن بمنزلةِ عُلُوج السَّواد، عَبيد مَنْ غَلَب. فقال رستم: صدقكم الرجل[٢]. (٣: ٤٠٨/٤٠٩).

٢٦١ - كتب إليَّ السريُّ، عن شعيب عن سيف، عن النَّضْر، عن ابن الرُّفيل، عن أبيه، قال: رأى رستُم بالدّير: أنّ ملكاً جاء حتى دخل عسكر فارس، فختَم السلاح أجمع[٣]. (٣: ٤٠٩).

٢٦٢ - كتب إليّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد وأصحابه؛ وشارَكهم النَّضر بإسناده، قالوا: ولمّا اطمأنّ رستم أمَر الجالنوس أن يسير من النَّجف، فسار في المقدّمات، فنزل فيما بين النَّجف والسَّيْلَحين، وارتحل رستم، فنزل النَّجَف ـ وكان بين خروج رستم من المدائن وعسكرته بساباط

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

وزحفه منها إلى أن لَقِيَ سعداً أربعة أشهر ، لا يُقدم ولا يقاتِل ـ رجاء أن يضجَروا بمكانهم ، وأن يجهَدوا فينصرفوا ، وكره قتالَهم مخافة أن يلقَى ما لَقي مَن قبله ، وطاولَهم لولا ما جعل الملك يستعجله ويُنهضه ويُقدّمه؛ حتى أقحمه؛ فلما نزل رستم النَّجَف عادت عليه الرؤيا ، فرأى ذلك الملك ومعه النبيّ ﷺ وعمر ، فأخذ الملك سلاح أهل فارس ، فختمه ، ثم دفعه إلى النبيّ ﷺ ، فدفعه النبيّ ﷺ إلى عمر. فأصبح رستم ، فازداد حُزناً ، فلمّا رأى الرَّفيل ذلك رغبَ في الإسلام؛ فكانت داعيتَه إلى الإسلام ، وعرف عمر أنّ القوم سيطاولونهم ، فعهد إلى سعد وإلى المسلمين أن ينزلُوا حدود أرضهم ، وأنْ يطاولوهم أبداً حتى يُنغضوهم ، فنزلوا القادسيَّة ، وقد وطَّنوا أنفسهم على الصَّبْر والمطاولة ، وأبى الله إلا أن يتمّ نوره ، فأقاموا واطمأنوا ، فكانوا يُغيرون على السَّواد ، فانتسفوا ما حولَهُمْ فحوَوه وأعدّوا للمطاولة؛ وعلى ذلك جاؤوا ، أو يفتح الله عليهم. وكان عمر يمدُّهم بالأسواق إلى ما يصيبون؛ فلمّا رأى ذلك الملك ورستم وعرفوا حالهم ، وبلغهم عنهم فعلُهم؛ علم أن القوم غير منتهين ، وأنَّه إن أقام لم يتركوه؛ فرأى أن يشخص رستم ، ورأى رستم أن ينزل بين العتيق والنَّجَف ، ثم يطاولهم مع المنازلة ، ورأى: أنَّ ذلك أمثلُ ما هم فاعلون ، حتى يصيبوا من الإحجام حاجَتَهم ، أو تدور لهم سعود[١] . (٣: ٥٠٩/ ٥١٠) .

٢٦٣ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، وزياد بإسنادهم ، قالوا: وجعلت السَّرايا تطوفُ ، ورستُم بالنَّجف والجالنوس بين النَّجف والسَّيْلَحين وذو الحاجب بين رستم والجالنوس ، والهُرْمزان ومِهْران على مجنِّبتيْه ، والبيرزان على ساقته وزاذ بن بُهَيْش صاحب فُرات سِرْيا على الرَّجالة؛ وكنارَى على المجرّدة؛ وكان جنده مئة وعشرين ألفاً ، ستين ألفَ متبوع مع الرجل الشاكريّ ، ومن الستين ألفاً خمسة عشر ألف شريف متبوع ، وقد تسلسلوا ، وتقارنوا؛ لتدورَ عليهم رَحى الحرب[٢] . (٣: ٥١٠) .

٢٦٤ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قَيْس ، عن موسى بن طَريف ، قال: قال النَّاس لسعد: لقد ضاق بنا المكان؛ فأقدِمْ ، فزَبر

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

مَن كلَّمه بذلك ، وقال: إذا كُفيتم الرّأي ، فلا تكلَّفوا؛ فإنا لن نقدِم إلاّ على رأي ذوي الرّأي ، فاسكتوا ما سكتنا عنكم. وبعث طليحة وعمراً في غير خيلٍ كالطليعة ، وخرج سواد وحُميضة في مئة مئة؛ فأغاروا على النَّهرين؛ وقد كان سعد نهاهما أن يُمعنا ، وبلغ رستم ، فأرسل إليهم خيلاً ، وبلغ سعداً أنَّ خيلَه قد وَغلت؛ فدعا عاصم بن عمرو وجابراً الأسديّ ، فأرسلهما في آثارهم يقتصّانها ، وسلكا طريقَهما ، وقال لعاصم: إن جَمعَكم قِتَال فأنت عليهم ، فلقيهم بين النهرين وإصْطِيميا؛ وخيل أهل فارس محتوشتُهم ، يريدون تخلُّص ما بين أيديهم؛ وقد قال سواد لُحميضة: اخترْ؛ إمَّا أن تقيم لهم وأستاق الغَنيمة ، أو أقيم لهم وتستاق الغنيمة. قال: أقِمْ لهم ونَهْنِهْهُم عنِّي ، وأنا أبلِّغ لك الغنيمة؛ فأقام لهم سواد ، وانجذب حُميضة ، فلقيه عاصم بن عمرو ، فظنّ حُميضة أنَّها خيل للأعاجم أخرى ، فصدّ عنها منحرفاً؛ فلمّا تعارفوا ساقَها؛ ومضى عاصم إلى سواد ـ وقد كان أهل فارس تنقَّذوا بعضها ـ فلمَّا رأت الأعاجم عاصِماً هربوا ، وتنقَّذ سوادُ ما كانوا ارتجعوا؛ فأتوا سعداً بالفتح والغنائم والسلامة؛ وقد خرج طُلَيحة وعمرو؛ فأمَّا طُلَيحة فأمره بعسكر رستم ، وأما عمرو فأمره بعسكر الجالنوس؛ فخرج طُليحة وحْدَه ، وخرج عمرو في عدّة ، فبعث قيس بن هبيرة في آثارهما؛ فقال: إن لقيتَ قتالاً فأنت عليهم ـ وأراد إذلال طليحة لمعصيته ، وأمّا عمرو فقد أطاعه ـ فخرج حتى تلقّى عمراً ، فسأله عن طليحة ، فقال: لا علْمَ لي به ، فلمَّا انتهيا إلى النَّجَف من قبل الجَوْف ، قال له قيس: ما تريد؟ قال: أريد أن أغير على أدنَى عسكرهم؛ قال: في هؤلاء؟! قال: نعم ، قال: لا أدَعك والله وذاك! أتُعرّض المسلمين لما لا يطيقون! قال: وما أنت وذاك! قال: إني أمِّرت عليك؛ ولو لم أكن أميراً لم أدعك وذاك. وشهد له الأسود بن يزيد في نفر: أنّ سعداً قد استعمله عليك ، وعلى طليحة إذا اجتمعتم ، فقال عمرو: والله يا قيس؛ إنَّ زماناً تكون عليّ فيه أميراً لزمانُ سوء! لأن أرجعَ عن دينكم هذا إلى ديني الَّذي كنت عليه وأقاتل عليه حتى أموت أحبُّ إليّ مِنْ أن تتأمَّر عليّ ثانية. وقال: لئن عاد صاحبك الَّذي بعثَك لمثلها لنفارقنَّه؛ قال: ذاك إليك بعد مرّتك هذه ، فردّه؛ فرجعا إلى سعد بالخبرِ ، وبأعلاج ، وأفراس ، وشكا كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه؛ أمَّا قيسٌ فشكا عصيانَ عمرو ، وأمَّا عمرو فشكا غِلْظة قيس ، فقال سعد: يا عمرو! الخبر والسلامة أحبّ إليّ من مُصاب مئة بقتل

ألف ، أتعمَد إلى حَلْبَة فارس فتصادِمهم بمئة! إن كنت لأراك أعلَم بالحرب ممَّا أرى. فقال: إنَّ الأمر لكما قلت؛ وخرج طُلَيحة حتى دخل عسكرهم في ليلة مقمِرة ، فتوسّم فيه ، فهتك أطناب بيت رجل عليه ، واقتاد فرسه ، ثم خرج حتى مرَّ بعسكر ذي الحاجب ، فهتَك على رَجُلٍ آخر بيتَه ، وحلّ فرسه ، ثم دخل على الجالنوس عسكرَه فهتك على آخر بيته ، وحلّ فرسه ، ثم خرج حتى أتى الخرّارة؛ وخرج الَّذي كان بالنَّجف ، والَّذي كان في عسكر ذي الحاجب فاتَّبعه الذي كان في عسكر الجالنوس ، فكان أوّلهم لحاقاً به الجالنوس؛ ثم الحاجبيّ ، ثم النَّجَفي؛ فأصاب الأوّلين ، وأسَرَ الآخر. وأتى به سعداً فأخبره ، وأسلم؛ فسمَّاه سعد مسلماً؛ ولزم طُليحة؛ فكان معه في تلك المغازي كلّها[١]. (٣: ٥١٠/ ٥١١/ ٥١٢).

٢٦٥ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عمر ، وعن أبي عثمان النَّهْديّ ، قال: كان عمر قد عهد إلى سعد حين بعثَه إلى فارس؛ ألاّ يمرّ بماء من المياه بذي قوّة ونجدة ورياسة إلاّ أشخصه؛ فإن أبَى انتخبه ، فأمَّره عمر ، فقدم القادسيَّة في اثني عشر ألفاً من أهل الأيَّام ، وأناس من الحمراء استجابوا للمسلمين ، فأعانوهم؛ أسلم بعضهم قبل القتال ، وأسلم بعضهم غبَّ القتال ، فأشركوا في الغنيمة ، وفُرضت لهم فرائض أهل القادسيَّة: ألفين ألفين؛ وسألوا عن أمنع قبائل العرب ، فعادُّوا تميماً؛ فلمَّا دنا رستم ، ونزل النَّجَف بعث سعد الطلائع؛ وأمرهم أن يصيبوا رجلاً ليسأله عن أهل فارس؛ فخرجت الطلائع بعد اختلاف؛ فلما أجمع مَلأ الناس أنَّ الطليعةَ من الواحد إلى العشرة سَمَحوا ، فأخرج سعد طُلَيحة في خمسة ، وعمرو بن مَعْد يكرب في خمسة؛ وذلك صبيحةَ قدّم رستم الجالنوس ، وذا الحاجب؛ ولا يشعرون بفصولهم من النَّجف؛ فلم يسيروا إلاّ فرسخاً وبعض آخر؛ حتى رأوا مسالحَهم وسَرْحَهم على الطُّفوف قد ملؤوها ، فقال بعضهم: ارجعوا إلى أميركم فإنه سرَّحكم؛ وهو يرى أنَّ القوم بالنَّجف؛ فأخبروه الخبر ، وقال بعضهم: ارجعوا لا يَنْذرْ بكم عدوّكم! فقال عمرو لأصحابه: صدقتم ، وقال طليحة لأصحابه: كذبتم؛ ما بُعثتم لتُخبروا عن السَّرْح ، وما بُعثتم إلا للخُبْر ، قالوا: فما تريد؟ قال: أريد أن أخاطر القوم ، أو

---

(١) إسناده ضعيف.

أهلك ، فقالوا: أنت رجل في نفسك غَدْر؛ ولن تفلح بعد قتل عُكّاشة بن مِحْصَن؛ فارجع بنا ، فأبى. وأتى سعداً الخبرُ برحيلهم؛ فبعث قيس بن هُبيرة الأسديّ ، وأمَّره على مئة ، وعليهم إن هو لقيَهم. فانتهى إليهم وقد افترقوا ، فلمَّا رآه عمرو قال: تجلَّدوا له ، أرَوْه أنَّهم يريدون الغارة؛ فردّهم ، ووجد طليحةَ قد فارَقهم فرجع بهم ، فأتوْا سعداً ، فأخبروه بقُرب القوم ، ومضى طُليحة ، وعارض المياه على الطُّفُوف؛ حتى دخلَ عسكر رستم ، وبات فيه يجُوسه وينظر ويتوسّم؛ فلمَّا أدبر الليل ، خرج وقد أتى أفْضل مَن توسّم في ناحية العسكر؛ فإذا فرس له لم يُرَ في خيل القوم مثلُه ، وفسطاط أبيض لم يُرَ مثله؛ فانتضى سيفه ، فقَطع مِقْودَ الفرس ، ثم ضمَّه إلى مقْوَد فرسه ، ثم حرّك فرسه ، فخرج يعدُو به ، ونذِر به الناس والرَّجْل ، فتنادوْا وركبوا الصّعْبة والذَّلول ، وعجِل بعضهم أن يسرج ، فخرجوا في طلبه ، فأصبح وقد لحقه فارسٌ من الجُند ، فلمَّا غشِيَه وبوأ له الرّمح ليطعنه عدل طُليحة فرسه ، فندر الفارسيّ بين يديه ، فكرّ عليه طُلَيحة ، فقصَم ظهره بالرّمح ، ثم لحق به آخر ، ففعل به مثلَ ذلك ، ثم لحِق به آخر؛ وقد رأى مصرع صاحبيه ـ وهما ابنا عمِّه ـ فازداد حَنَقاً ، فلمّا لحق بطُليحة ، وبوَّأ له الرمح ، عدل طليحة فرسه ، فندر الفارسيّ أمامه ، وكرَّ عليه طليحة؛ ودعاه إلى الإسار ، فعرف الفارسيّ أنه قاتله فاستأسرَ ، وأمره طُليحة أن يركُض بين يديه؛ ففعل. ولحِق الناس فرأوا فارسَي الجند قد قتلا وقد أسِر الثالث ، وقد شارف طُليحة عسكرهم ، فأحجموا عنه ، ونكسوا ، وأقبل طُليحة حتى غشيَ العسكر ، وهم على تعبية ، فأفزِع النّاس ، وجوّزوه إلى سعد؛ فلمَّا انتهى إليه ، قال: ويحك ما وراءك! قال: دخلت عساكرهم وجُستها منذ الليلة ، وقد أخذت أفضلَهم توسُّماً ، وما أدري أصبت أم أخطأت! وها هو ذا فاستخبِرْه. فأقيم التّرجمان بين سعد وبين الفارسيّ ، فقال له الفارسيّ: أتؤمِّنني على دمي إن صدقتُك؟ قال: نعم ، الصّدق في الحرب أحبّ إلينا من الكذب ، قال: أخبركم عن صاحبكم هذا قبل أن أخبركم عمّن قِبَلي؛ باشرتُ الحروب وغشيتُها ، وسمعت بالأبطال ولقيتُها؛ منذ أنا غلام إلى أن بلغت ما تَرَى ، ولم أرَ ولم أسمع بمثل هذا؛ أن رجلاً قطع عسكرين لا يجترىء عليهما الأبطال إلى عسكر فيه سبعون ألفاً ، يخدم الرجل منهم الخمسةُ والعشرة إلى ما هو دون؛ فلم يرضَ أن يخرج كما دخل حتَّى سلَب فارس الجند؛ وهَتَك أطناب بيته فأنذرَه ،

فأنذَرَنا به ، فطلبناه ، فأدركه الأوّل وهو فارس الناس ، يعدل ألفَ فارس فقتله ، فأدركه الثاني وهو نظيره فقتله ، ثم أدركتُه ، ولا أظنُّ أنني خلَّفت بعدي مَنْ يعدلني وأنا الثائر بالقتيلين ، وهما ابنا عمّي ، فرأيتُ الموت فاستأسرت. ثم أخبره عن أهل فارس؛ بأن الجند عشرون ومئة ألف ، وأن الأتباع مثلهم خُدّام لهم. وأسلم الرّجل وسمّاه سعد مسلماً ، وعاد إلى طليحة ، وقال: لا والله ، لا تُهزَمون ما دمتم على ما أرى من الوفاء ، والصدق ، والإصلاح ، والمؤاساة. لا حاجَة لي في صُحبة فارس؛ فكان من أهل البلاء يومئذ[1] . (٣: ٥١٢/ ٥١٣/ ٥١٤).

٢٦٦ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، عن موسى بن طريف ، قال: قال سعد لقيس بن هُبيرة الأسديّ: اخرج يا عاقلُ ! فإنَّه ليس وراءك من الدُّنيا شيء تحنُو عليه حتى تأتيَني بعلم القوم. فخرج وسرّح عمرو بن معد يكرب وطليحة؛ فلمَّا حاذَى القنطرة لم يسِرْ إلاَّ يسيراً حتى لحق ، فانتهى إلى خيلٍ عظيمة منهم بحيالها تردّ عن عسكرهم ، فإذا رستُم قد ارتحلَ من النَّجَف ، فنزل منزل ذي الحاجب ، فارتحل الجالنوس ، فنزل ذو الحاجب منزلَه ، والجالنوس يريد طَيْزناباذ؛ فنزل بها ، وقدّم تلك الخيل. وإنَّ ما حمل سعداً على إرسال عمرو وطليحة معه لمقالةٌ بلغتْه عن عمرو ، وكلمة قالها لقيس بن هُبيرة قبل هذه المرَّة ، فقال: قاتلوا عدوَّكم يا معشر المسلمين ! فأنشب القتال ، وطاردهم ساعة. ثم إنّ قيساً حَمَل عليهم ، فكانت هزيمتهم ، فأصاب منهم اثني عشر رجلاً ، وثلاثة أسراء ، وأصاب أسلاباً ، فأتوا بالغنيمة سعداً وأخبروه الخبر؛ فقال: هذه بشرى إن شاء الله؛ إذا لقيتم جمعهم الأعظم وحدَّهم؛ فلهم أمثالُها ، ودعا عمراً وطُليحة ، فقال: كيف رأيتما قيساً؟ فقال طليحة: رأيناه أكماناً ، وقال عمرو: الأمير أعلم بالرّجال منّا. قال سعد: إنَّ الله تعالى أحيانا بالإسلام وأحيا به قلوباً كانت ميّتة ، وأمات به قلوباً كانت حيَّة ، وإني أحذّركما أن تؤثِرَا أمر الجاهليَّة على الإسلام؛ فتموت قلوبكما وأنتما حيّان؛ الزَما السمع والطاعة والاعتراف بالحقوق؛ فما رأى النَّاس كأقوام أعزَّهم الله بالإسلام[2] (٣: ٥١٤/ ٥١٥).

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

٢٦٧ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو وزياد؛ وشاركهم المجالد وسعيد بن المَرْزُبان ، قالوا : فلمَّا أصبح رستم من الغدِ من يوم نزل السَّيلحين؛ قدّم الجالنوس وذا الحاجب ، فارتحل الجالنوس ، فنزل من دون القنطرة بحيال زُهرة ، ونزل إلى صاحب المقدّمة ، ونزل ذو الحاجب منزله بطيزناباذ ، ونزل رستم منزلَ ذي الحاجب بالخرَّارة ، ثم قدّم ذا الحاجب؛ فلمَّا انتهى إلى العتيق تياسر حتى إذا كان بحيال قُدَيس خندق خندقاً ، وارتحل الجالنوس فنزل عليه وعلى مقدّمته ـ أعني سعداً ـ زُهرة بن الحَويَّة ، وعلى مجنَّبتيه عبد الله بن المُعْتَمّ ، وشُرحبيل بن السّمط الكنديّ ، وعلى مجرّدته عاصم بن عمرو ، وعلى المُرامية فلان ، وعلى الرجْل فلان ، وعلى الطلائع سَواد بن مالك ، وعلى مقدّمة رستَم الجالنوس ، وعلى مجنَّبتيه الهُرمزان ومهران وعلى مجرّدته ذو الحاجب ، وعلَى الطلائع البيرزان ، وعلى الرّجالة زاذ بن بُهَيش. فلمَّا انتهى رستم إلى العتيق ، وقف عليه بحيال عسكر سعد ، ونزَّل الناس ، فما زالوا يتلاَحَقُون ويُنْزِلهم فينزلون؛ حتى أعتموا من كَثْرتهم؛ فبات بها تلك الليلة والمسلمون مُمْسِكون عنهم.

قال سعيد بن المرزبان: فلمّا أصبحوا من ليلتهم بشاطىء العتيق غدا منجِّم رستم على رستم برؤيا أرِيها من اللَّيل ، قال: رأيت الدّلو في السماء؛ دلواً أفرِغ ماؤه ، ورأيت السمكة؛ سمكة في ضَحْضاح من الماء تضطرب ، ورأيت النّعائم والزُّهرة تزدهر ، قال: ويحك! هل أخبرت بها أحداً؟ قال: لا ، قال: فاكتمها[(١)]. (٣: ٥١٥/٥١٦).

٢٦٨ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، قال: كان رستم منجماً ، فكان يبكي ممَّا يرى ويقدم عليه ، فلمَّا كان بظهر الكوفة رأى: أنّ عمر دخل عسكر فارس ، ومعه ملَك ، فختم على سلاحهم ثم حزمه ودفعه إلى عمر[(٢)]. (٣: ٥١٦).

٢٦٩ ـ كتب إليّ السريُّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم ـ وكان قد شهد القادسيَّة ـ قال: كان مع رستم ثمانية عشر فيلاً، ومع الجالنوس خمسة عشر فيلاً[١]. (٣: ٥١٦).

٢٧٠ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن المجالد، عن الشعبيّ؛ قال: كان مع رستم يوم القادسيَّة ثلاثون فيلاً[٢]. (٣: ٥١٦).

٢٧١ ـ كتب إليِ السريّ عن شعيب، عن سيْف، عن سعيد بن المرزبان، عن رجل، قال: كانَ مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلاً؛ منها فيل سابور الأبيض؛ وكانت الفيَلة تألفه، وكان أعظمها وأقدمها[٣]. (٣: ٥١٦).

٢٧٢ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن النَّضْر، عن ابن الرُّفيل، عن أبيه، قال: كان معه ثلاثة وثلاثون فيلاً، معه في القَلْب ثمانية عشر فيلاً، ومعه في المجنَّبتين خمسة عشر فِيلاً[٤]. (٣: ٥١٦).

٢٧٣ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن المجالد، وسعيد، وطلحة، وعمرو، وزياد، قالوا: فلمَّا أصبح رستم من ليلته الَّتي باتها بالعتيق؛ أصبح راكباً في خَيْلِه، فنظر إلى المسلمين، ثم صعد نحو القنطرة، وقد حزر الناس، فوقف بحيالهم دون القنطرة؛ وأرسل إليهم رَجُلاً: إنَّ رستم يقول لكم: أرسلوا إلينا رجلاً نكلِّمه ويكلّمنا، وانصرف فأرسل زُهرة إلى سعد بذلك، فأرسل إليه المغيرة بن شُعبة، فأخرجه زُهرة إلى الجالنوس؛ فأبلغه الجالِنوس رستم[٥].

٢٧٤ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن النَّضْر، عن ابن الرُّفَيلِ، عن أبيه، قال: لمَّا نزل رستم عليٍ العتيق وبات به، أصبح غادياً على التّصفح والحزْر، فسايرَ العتيق نحو خَفَّان؛ حتى أتى على مُنْقطَع عسكر المسلمين، ثم صعِد حتى انتهى إلى القنطرة؛ فتأمَّل القوم؛ حتى أتى على شيء

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) إسناده ضعيف.
(٥) إسناده ضعيف.

يُشِرف منه عليهم؛ فلما وقف على القنطرة؛ راسل زُهرة، فخرج إليه حتى واقفه، فأراده أن يصالحهم، ويجعل له جُعْلاً على أن ينصرفوا عنه، وجعل يقول فيما يقول: أنتم جيراننا وقد كان طائفة منكم في سلطاننا؛ فكنّا نُحسن جِوارهم، ونكفّ الأذى عنهم، ونولّيهم المرافق الكثيرة، نحفظهم في أهل باديتهم؛ فنُرعيهم مَراعينا، ونميرهم من بلادنا، ولا نمنعهم من التجارة في شيء من أرضنا؛ وقد كان لهم في ذلك معاشٌ - يعرّض لهم بالصّلح؛ وإنما يخبره بصنيعهم، والصلح يريد ولا يصرّح - فقال له زهرة: صدقتَ، قد كان ما تذكر؛ وليس أمرُنا أمرَ أولئك ولا طلبتنا. إنّا لم نأتكم لطلَب الدُّنيا؛ إنما طلبتنا وهمّتنا الآخرة؛ كنّا كما ذكرت، يدين لكم من ورد عليكم منّا، ويضرع إليكم يطلب ما في أيديكم. ثم بعث الله تبارك وتعالى إلينا رسولاً، فدعانا إلى ربّه، فأجبناه، فقال لنبيّه ﷺ: إنّي قد سلّطت هذه الطائفة عَلَى من لم يَدِنْ بديني، فأنا منتقم بهم منهم؛ وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرّين به، وهو دين الحقّ، لا يرغب عنه أحد إلا ذلّ، ولا يعتصم به أحَد إلاّ عزّ. فقال له رستم: وما هو؟ قال: أمّا عموده الّذي لا يصلح منه شيء إلاّ به، فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى. قال: ما أحسن هذا! وأيّ شيء أيضاً؟ قال: وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى. قال: حسنٌ، وأيّ شيء أيضاً؟ قال: والنّاس بنو آدم وحَوّاء، إخوة لأب وأمّ، قال: ما أحسن هذا! ثمّ قال له رستم: أرأيت لو أنّي رضيت بهذا الأمر وأجبتكم إليه؛ ومعي قومي كيف يكون أمركم! أترجعون؟ قال: إي والله! ثم لا نقرب بلادكم أبداً إلاّ في تجارة أو حاجة. قال: صدقتني والله! أمَا إنّ أهل فارس منذ ولي أردشير لم يدَعُوا أحداً يخرج من عمله من السّفلة، كانوا يقولون إذا خرجوا من أعمالهم: تعدَّوا طَوْرهم. وعادَوْا أشرافهم. فقال له زُهرة: نحن خيرُ النّاس للنّاس، فلا نستطيع أن نكون كما تقولون؛ نطيع الله في السّفلة، ولا يضرّنا مَنْ عصى الله فينا. فانصرف عنه، ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا. فَحمُوا من ذلك، وأنفوا، فقال: أبعَدَكم الله وأسحقكم! أخزى الله أخْرَعنا وأجبنَنا! فلمّا انصرف رستم ملتُ إلى زُهرة، فكان إسلامي؛ وكنت له عديداً. وفرض لي فرائض أهل القادسيّة[1]. (٣: ٥١٧/٥١٨).

---

(١) إسناده ضعيف.

٢٧٥ - كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سَيْف ، عن محمد ، وطلحة ، وعمرو ، وزياد بإسنادهم مثله. قالوا: وأرسل سعد إلى المغيرة بن شُعبة ، وبُسْر بن أبي رُهْم ، وعَرفَجة بن هَرثمة ، وحُذيفة بن مِحصَن ، ورِبْعيّ بن عامر ، وقِرفة بن زاهر التيميّ ثم الوائليّ ، ومذعُور بن عَدِيّ العجليّ ، والمضارب بن يزيد العجليّ ومَعْبَد بن مُرَّة العِجليّ - وكان من دُهاة العرب - فقال: إني مُرسلُكم إلى هؤلاء القوم؛ فما عندكم؟ قالوا جميعاً: نتّبع ما تأمرنا به ، وننتهي إليه؛ فإذا جاء أمر لم يكن منك فيه شيء نظرنا أمثلَ ما ينبغي وأنفعَه للنَّاس؛ فكلَّمناهم به. فقال سعد: هذا فِعل الحَزَمة ، اذهبوا فتهيَّؤوا ، فقال رِبعيّ بن عامر: إنّ الأعاجم لهم آراء وآداب ، ومتى نأتهم جميعاً يروا أنّا قد احتفلنا بهم! فلا تَزِدهم على رجل؛ فمالؤوه جميعاً على ذلك ، فقال: فسرّحوني ، فسرّحه ، فخرج ربعيّ ليدخُل على رستم عسكره ، فاحتبسه الَّذين على القنطرة ، وأرسل إلى رستم لمجيئه ، فاستشار عظماءَ أهل فارس ، فقال: ما ترون؟ أنباهي أم نتهاوَن؟! فأجمع ملؤُهم على التهاون ، فأظهروا الزِّبْرِج ، وبسطوا البُسُط والنَّمارق ، ولم يتركوا شيئاً ، ووضع لرستم سرير الذَّهب ، وألبس زينته من الأنماط والوسائد المنسوجة بالذهب. وأقبل ربعيّ يسير على فرس له زبّاء قصيرة ، معه سيف له مَشُوف ، وغمده لفافة ثوب خَلَق ، ورمحُه معلوب بقِدّ ، معه حَجَفة من جلود البقر؛ على وجهها أديم أحمر مثل الرغيف ، ومعه قوسه ونَبْله. فلمَّا غشي الملك ، وانتهى إليه ، وإلى أدنى البسط ، قيل له: انزل ، فحملَها على البساط ، فلمَّا استوت عليه ، نَزَل عنها ورَبطها بوسادتين فشقَّهما ، ثم أدخل الحبل فيهما ، فلم يستطيعوا أن ينهوه؛ وإنما أروه التَّهاون وعرف ما أرادوا ، فأراد استحراجَهم ، وعليه درع له كأنها أضاة ويَلْمَقُه عباءة بعيره ، قد جابها وتدرّعها ، وشدّها على وسطه بسَلَب وقد شدّ رأسه بمعجرته؛ وكان أكثر العرب شعرةً ، ومعجرته نسعة بعيره؛ ولرأسه أربع ضفائر؛ قد قمن قياماً كأنهنّ قرون الوعلة. فقالوا: ضَعْ سلاحك ، فقال: إنِّي لم آتِكم فأضع سلاحي بأمركم ، أنتم دعوتموني ، فإن أبيتم أن آتيكم كما أريد؛ رجعت. فأخبروا رستم؛ فقال: ائذنوا له؛ هل هو إلاَّ رجل واحد! فأقبل يتوكّأ على رمحه ، وزُجّه نصلٌ يقارب الخطو ، ويزجّ النَّمارق والبُسط ، فَمَا ترك لهم نُمرقة ولا بساطاً إلاَّ أفسده وتركه منهتكاً

مخرَّقاً؛ فلمَّا دنا من رستم تعلَّق به الحرس ، وجلَس على الأرض ، وركز رمحَه بالبُسط ، فقالوا: ما حملك على هذا؟ قال: إنَّا لا نستحبّ القعود على زينتكم هذه. فكلّمه ، فقال: ما جاء بكم؟ قال: الله ابتعثنا ، والله جاء بنا لنُخرجَ من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدُّنيا إلى سَعتها ، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خَلْقه؛ لندعوهم إليه ، فَمَن قَبِل منَّا ذلك قَبِلنا ذلك منه ، ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضَه يليها دُوننا ، ومن أبى قاتلناه أبداً؛ حتى نُفضِيَ إلى موعود الله. قال: وما موعود الله؟ قال: الجنَّة لمن مات على قتال من أبى ، والظّفَر لمن بقي. فقال رستم: قد سمعت مقالَتكم؛ فهل لكم أن تؤخّروا هذا الأمر حتى ننظر فيه ، وتَنْظُروا ؟! قال: نعم ، كم أحبّ إليكم؟ أيوماً أو يومين؟ قال: لا بل حتَّى نكاتب أهَل رأينا ورؤساء قومنا. وأراد مقاربته ومدافعتَه ، فقال: إنّ مما سنّ لنا رسولُ الله ﷺ وعمل به أئمّتنا ، ألاّ نمكّن الأعداء من آذاننا ، ولا نؤجِّلهم عند اللقاء أكثرَ من ثلاث ، فنحن متردّدون عنكم ثلاثاً ، فانظر في أمرك وأمرهم ، واختَر واحدةً من ثلاث بعد الأجل ، اختر الإسلام ونَدَعك وأرضك ، أو الجزاء ، فنقبل ونكفّ عنك؛ وإن كنت عن نصرنا غنيّاً تركناك منه ، وإن كنت إليه محتاجاً منعناك؛ أو المنابذة في اليوم الرابع؛ ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا؛ أنا كفيل لك بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى. قال: أسيّدُهم أنت؟ قال: لا؛ ولكنّ المسلمين كالجسد بعضهم من بعض؛ يجير أدناهم على أعلاهم. فخلص رستم برؤساء أهل فارس ، فقال: ما ترون؟ هل رأيتم كلاماً قطّ أوضحَ ولا أعزّ من كلام هذا الرجل؟ قالوا: معاذ الله لك أن تميل إلى شيء من هذا وتدَع دينك لهذا الكلْب! أما ترى إلى ثيابه ؟! فقال: ويْحكم ! لا تنظروا إلى الثياب؛ ولكن انظروا إلى الرّأي والكلام والسِّيرة؛ إنّ العرب تستخفّ باللّباس ، والمأكل ، ويصونون الأحساب ، ليسوا مثلكم في اللبّاس ، ولا يروْن فيه ما ترون. وأقبلوا إليه يتناولون سلاحه ، ويزهّدونه فيه ، فقال لهم: هل لكم إلى أن تُرُوني فأريَكم؟ فأخرج سيفه من خِرَقه كأنه شُعْلة نار. فقال القوم: اغمده ، فغمده؛ ثم رمى تُرساً ورمَوا حَجَفته ، فخُرق تُرسهم ، وسلمت حَجَفته ، فقال: يا أهلَ فارس ! إنكم عظّمتم الطعام واللِّباس والشراب؛ وإنَّا صغَّرناهنّ. ثمّ رجع إلى أن ينظروا إلى الأجل ، فلمَّا كان من الغد بعثوا أن ابعث إلينا ذلك الرّجُل؛ فبعث إليهم سعد حُذيفة بن محصن ،

فأقبل في نحو من ذلك الزّيّ ، حتى إذا كان على أدنى البِساط ، قيل له: انزل ، قال: ذلك لو جئتُكم في حاجتي؛ فقولوا لملككم: أله الحاجة أم لي؟ فإن قال: لي؛ فقد كذب؛ ورجعت وتركتكم؛ فإن قال: له ، لم آتكم إلا على ما أحِبّ. فقال: دعوه ، فجاء حتى وقف عليه؛ ورستم على سريره ، فقال: انزل ، قال: لا أفعل ، فلمّا أبى سأله: ما بالك جئت ولم يجيء صاحبنا بالأمس؟ قال: إن أميرنا يحبّ أن يعدل بيننا في الشدّة والرّخاء؛ فهذه نوْبتي. قال: ما جاء بكم؟ قال: إنَّ الله عزّ وجلّ مَنّ علينا بدينه ، وأرانا آياتِه ، حتى عرفناه وكنا له منكرين. ثم أمرَنا بدُعاء الناس إلى واحدة من ثلاث؛ فأيّها أجابوا إليها قبلناها: الإسلام وننصرف عنكم ، أو الجِزَاء ونمنعكم إن احتجتم إلى ذلك ، أو المنابذَة. فقال: أو الموادعة إلى يوم ما؟ فقال: نعم ، ثلاثاً من أمسِ. فلمَّا لم يجد عنده إلا ذلك ردّه وأقبل على أصحابه ، فقال: ويْحكم! ألا ترون إلى ما أرى! جاءنا الأوّل بالأمس فغلَبنا على أرضنا ، وحقَّر ما نعظِّم ، وأقام فرسه على زِبْرِجنا وربَطه به؛ فهو في يُمْن الطائر ، ذهب بأرضنا وما فيها إليهم ، مع فضل عقله. وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا؛ فهو في يُمْنِ الطائر ، يقوم على أرضنا دوننا؛ حتى أغضَبهم وأغضبوه. فلمَّا كان من الغد أرسل: ابعثوا إلينا رجلاً ، فبعثوا إليهم المغيرة بن شعبة[1]. (٣: ٥١٨/ ٥١٩/ ٥٢٠/ ٥٢١).

٢٧٦ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان النَّهديّ. قال: لمَّا جاء المغيرة إلى القنطرة فعَبرها إلى أهل فارس؛ حبسوه ، واستأذنوا رستم في إجازته ، ولم يغيِّروا شيئاً من شارتهم ، تقويةً لتهاونهم؛ فأقبل المغيرة بن شعبة ، والقوم في زيّهم ، عليهم التّيجان والثّياب المنسوجة بالذهب ، وبُسُطُهم على غَلْوة لا يصلُ إلى صاحبهم؛ حتى يمشيَ عليهم غَلْوةً؛ وأقبل المغيرة وله أربع ضفائر يمشي؛ حتى جلس معه على سريره ووسادته؛ فوثبوا عليه ، فترتروه ، وأنزلوه ، ومغثوه. فقال: كانت تَبلغنا عنكم الأحلام؛ ولا أرى قوماً أسفه منكم! إنَّا معشر العرب سواءٌ؛ لا يستعبد بعضنا بعضاً إلاّ أن يكون محارباً لصاحبه؛ فظننت أنّكم تُواسون قومكم كما نَتواسى؛ وكان أحسن من الذي صنعتم أن تُخبروني أنَّ بعضكم أربابُ بعض ، وأنَّ هذا الأمر لا يستقيم

---

(١) إسناده ضعيف.

فيكم فلا نصنعه؛ ولم آتِكم؛ ولكن دعوتموني اليوم؛ علمت أن أمركم مضمحلّ ، وأنّكم مغلوبون؛ وأن مُلكاً لا يقوم على هذه السيرة ، ولا على هذه العقول.

فقالت السّفلة: صدَق والله العربيّ ! وقالت الدّهاقين: والله لقد رَمى بكلام لا يزال عبيدُنا ينزعون إليه. قاتل الله أوّلينا ، ما كان أحمقهم حين كانوا يصغّرون أمر هذه الأمّة! فمازحه رستُم ليمحُوَ ما صُنع ، وقال له: يا عربيّ ! إنّ الحاشية قد تصنع ما لا يوافق الملك ، فيتراخى عنها مخافة أن يكسرها عمَّا ينبغي من ذلك؛ فالأمر علَى ما تحبّ من الوفاء وقبول الحقّ؛ ما هذه المغازل التي معك؟ قال: ما ضرّ الجمرة ألاّ تكون طويلة! ثم راماهم. وقال: ما بال سيفك رثًّا! قال: رثُّ الكسوةِ ، حديد المضربة ، ثم عاطاه سيفه ، ثم قال له رستم: تكلّم أم أتكلَّم؟ فقال المغيرة: أنت الَّذي بعثت إلينا ، فتكلَّم ، فأقام الترجمان بينهما ، وتكلَّم رستم ، فحمِد قومه ، وعظَّم أمرهم وطوّله. وقال: لم نزل متمكّنين في البلاد ، ظاهرين على الأعداء ، أشرافاً في الأمم؛ فليس لأحد من الملوك مثل عزّنا وشرفنا وسلطاننا ، نُنصَر على النَّاس ولا يُنصرون علينا إلاّ اليوم واليومين ، أو الشَّهر والشهرين؛ للذنوب؛ فإذا انتقم الله فرضي ردّ إلينا عزّنا ، وجمعْنا لعدونا شرّ يوم هو آتٍ عليهم.

ثم إنه لم يكن في النَّاس أمة أصغر عندنا أمراً منكم؛ كنتم أهلَ قَشف ، ومعيشة سيّئة ، لا نراكم شيئاً ولا نعدُّكم ، وكنتم إذا قحطت أرضكم ، وأصابتكم السنَّة استغثتم بناحية أرضنا ، فنأمر لكم بالشيء من التَّمْر والشعير ثم نردّكم ، وقد علمت: أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلاّ ما أصابكم من الجهد في بلادكم ، فأنا آمرُ لأميركم بكُسوة ، وبغْل ، وألف درهم ، وآمرُ لكلّ رجل منكم بوقر تمْرٍ ، وبثوبين ، وتنصرفون عنَّا ، فإني لست أشتهي أن أقتُلَكم ، ولا آسركم.

فتكلّم المغيرة بن شُعبة ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال: إنّ الله خالق كلّ شيء ورازقه؛ فمن صنع شيئاً فإنما هو الذي يصنعه هو له. وأمّا الذي ذكرت به نفسَك وأهلَ بلادك؛ من الظّهورِ على الأعداء ، والتمكّن في البلاد ، وعُظْم السلطان في الدنيا؛ فنحن نعرفه ، ولسنا نُنكره؛ فالله صنعه بكم ، ووضعه فيكم ، وهو له دونكم؛ وأمّا الذي ذكرت فينا من سُوء الحال ، وضيق المعيشة ، واختلاف

القلوب؛ فنحن نعرفُه ، ولسنا ننكره ، والله ابتلانا بذلك ، وصيَّرنا إليه ، والدنيا دُوَل ، ولم يزل أهلُ شدائدها يتوقَّعون الرّخاء حتى يصيروا إليه ، ولم يزل أهل رخاتها يتوقَّعون الشَّدائد حتى تنزل بهم ، ويصيروا إليها ، ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوي شُكر ، كان شكركم يقصّر عمّا أوتيتم ، وأسلمكم ضَعْف الشكر إلى تغيّر الحال ، ولو كنَّا فيما ابتُلينا به أهلَ كفر؛ كان عظيم ما تتابع علينا مستجلباً من الله رحمة يرفِّه بها عنَّا ، ولكنّ الشأن غيرُ ما تذهبون إليه؛ أو كنتم تعرفوننا به ، إنّ الله تبارك وتعالى بعثَ فينا رسولاً . . . ثم ذكر مثلَ الكلام الأوّل؛ حتى انتهى إلى قوله: وإن احتجت إلينا أن نمنعك فكنْ لنا عبداً تؤدّي الجزية عن يد وأنت صاغر ، وإلاّ فالسيف إن أبيت! فنخر نخرة ، واستشاط غضباً ، ثم حلَف بالشَّمْس لا يرتفع لكم الصّبح غداً حتى أقتلكم أجمعين ! .

فانصرف المغيرة؛ وخلَص رستم تألّفاً بأهل فارس ، وقال: أين هؤلاء منكم؟ ما بعد هذا! ألم يأتِكم الأوّلان فحسَّراكم ، واستحرجاكم ، ثم جاءكم هذا ، فلم يختلفوا ، وسلكوا طريقاً واحداً ، ولزموا أمراً واحداً. هؤلاء والله الرجال؛ صادقين كانوا أم كاذبين! والله لئن كان بلغ من إربهم ، وصَوْنهم لسرّهم ألاّ يختلفوا ، فما قَوْمٌ أبلَغ فيما أرادوا منهم؛ لئن كانوا صادقين ما يقوم لهؤلاء شيء! فلجّوا ، وتجلَّدوا. وقال: والله إني لأعلم أنّكم تُصغون إلى ما أقول لكم ، وإنّ هذا منكم رِئاء ! فازدادوا لَجاجة[1] . (٣: ٥٢١/ ٥٢٢/ ٥٢٣/ ٥٢٤) .

٢٧٧ ـ كتب إليّ السريُّ عن شُعيب، عن سيف، عن النَّضْر ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه ، قال: فأرسل مع المغيرة رجلاً وقال له: إذا قطع القنطرة ، ووصل إلى أصحابه ، فناد: إن الملك كان منجّماً ، قد حسب لك ، ونظر في أمرك ، فقال: إنَّك غداً تُفقأ عينُك. ففعل الرسول ، فقال المغيرة: بشّرتَني بخيرٍ وأجر ! ولولا أنْ أجاهدَ بعد اليوم أشباهَكم من المشركين ، لتمنّيتُ أنّ الأخرى ذهبت أيضاً. فرآهم يضحكون من مقالته ، ويتعجَّبون من بصيرته؛ فرجع إلى الملك بذلك ، فقال: أطيعوني يا أهلَ فارس ! وإنّي لأرى لله فيكم نِقْمة لا تستطيعون ردَّها عن أنفسكم. وكانت خيولُهم تلتقِي على القنطرة لا تلتقي إلاّ عليها ، فلا يزالون

---

(١) إسناده ضعيف.

يبدؤون المسلمين ، والمسلمون كافُّون عنهم الثلاثة الأيام؛ لا يبدؤونهم؛ فإذا كان ذلك منهم؛ صَدُّوهم ، وَرَدَعُوهم[١]. (٣: ٥٢٤).

٢٧٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمَّد ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال: كان ترجمان رستم من أهل الحيرة يُدعى عَبُود[٢] (٣: ٥٢٤).

٢٧٩ ـ كتب إليّ السريُّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، وسعيد بن المرزبان ، قالا: دعا رستم بالمغيرة ، فجاء حتى جلس على سريره ، ودعا رستم ترجمانه ـ وكان عربيّاً من أهل الحيرة ، يُدعَى عَبُود ـ فقال له المغيرة: ويحك يا عَبُود! أنت رجل عربيّ؛ فأبلِغْه عنّي إذا أنا تكلَّمت كما تُبلغني عنه. فقال له رستم مثل مقالته ، وقال له المغيرة مثل مقالته إلى إحدى ثلاث خلال: إلى الإسلام ولكم فيه مالنا وعليكم فيه ما علينا؛ ليس فيه تفاضُل بيننا ، أو الجزية عن يد وأنتم صاغرون. قال: ما «صاغرون»؟ قال: أن يقوم الرجل منكم على رأس أحدِنا بالجزية يحمَده أن يقبلها منه إلى آخر الحديث؛ والإسلام أحبّ إلينا منهما[٣]. (٣: ٥٢٤/ ٥٢٥).

٢٨٠ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيدة ، عن شقيق ، قال: شهدتُ القادسيَّة غلاماً بعد ما احتلمت؛ فقدم سعد القادسيَّة في اثني عشر ألفاً؛ وبها أهل الأيَّام ، فقدمتْ علينا مقدّمات رستم ، ثمّ زحف إلينا في ستين ألفاً ، فلما أشرف رستم على العسكر قال: يا معشَرَ العرب ! ابعثوا إلينا رجلاً يكلِّمنا ونكلّمه؛ فبعث إليه المغيرةَ بن شعبة ونفراً ، فلما أتوْا رستم جلس المغيرة على السَّرير ، فنخر أخو رستم ، فقال المغيرة: لا تنخر؛ فما زادني هذا شرفاً ولا نقص أخاك. فقال رستم: يا مغيرة ! كنتم أهل شَقَاء ، حتى بلغ: وإن كان لكم أمرٌ سوى ذلك ، فأخبِرونا. ثم أخذ رستم سهماً من كنانته ، وقال: لا تروْا أنّ هذه المغازل تغني عنكم شيئاً؛ فقال المغيرة مُجيباً له ، فذكَر النبيّ ﷺ قال: فكان ممَّا رزقنا الله على يديه حبَّة تنبت في أرضكم هذه؛ فلمّا أذقناها عيالَنا ،

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

قالوا: لا صبرَ لنا عنها ، فجئنا لنُطعمهم ، أو نموت. فقال رستم: إذاً تموتون ، أو تُقتلون ، فقال المغيرة: إذاً يدخل مَن قتل منّا الجنّة ، ويدخل مَن قَتلنا منكم النارَ ، ويظفر مَن بقيَ منّا بمن بقي منكم؛ فنحن نخيّرك بين ثلاث خلال . . . إلى آخر الحديث فقال رستم: لا صلح بيننا وبينكم[1]! (٣: ٥٢٥).

٢٨١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، وزياد ، قالوا: أرسل إليهم سعد بقيّة ذوي الرأي جميعاً ، وحبس الثّلاثة ، فخرجوا حتى أتوْه ليعظموا عليه استقباحاً ، فقالوا له: إنّ أميرَنا يقول لك: إنّ الجوار يحفظ الوُلاة ، وإنّي أدعوك إلى ما هو خير لنا ولك ، العافية أن تقبل ما دعاك الله إليه ، ونرجع إلى أرضنا ، وترجع إلى أرضك وبعضنا من بعْض؛ إلاّ أنّ داركم لكم ، وأمركم فيكم؛ وما أصبتم ممّا وراءكم كان زيادة لكم دوننا؛ وكنّا لكم عوناً على أحد إن أرادكم أو قوي عليكم. واتّق الله يا رستم ! ولا يكونَنّ هلاكُ قومك على يديك ، فإنه ليس بينك وبين أن تُغْبَط به إلا أن تدخل فيه ، وتطرُد به الشيطان عنك؛ فقال: إني قد كلّمت منكم نفراً ، ولو أنهم فهموا عنّي رجوت أن تكونوا قد فهمتم ، وإنّ الأمثال أوضحُ من كثير من الكلام ، وسأضرب لكم مَثلكم تَبَصَّروا. إنكم كنتم أهل جَهد في المعيشة ، وقَشَف في الهيئة ، لا تمتنعون ، ولا تنتصفون ، فلم نُسيء جِواركم ، ولم ندع مواساتكم ، تُقحَمون المرّة بعد المرّة ، فنميركم ثم نردّكم ، وتأتوننا أجَراء وتجّاراً ، فنحسن إليكم؛ فلما تطاعمتم بطعامنا ، وشربتم شرابنا ، وأظلّكم ظلّنا ، وصفتم لقومكم؛ فدعوتموهم ، ثم أتيتمونا بهم ، وإنما مثلُكم في ذلك ومثلُنا كمثل رجل كان له كَرْم ، فرأى فيه ثعلباً ، فقال: وما ثعلب! فانطلق الثّعلب ، فدعا الثّعالب إلى ذلك الكَرْم ، فلما اجتمعن عليه سدّ عليهنّ صاحبُ الكرْم الجُحر الّذي كنّ يدخلْن منه ، فقتلهنّ؛ وقد علمتُ: أنّ الذي حَمَلكم على هذا الحرصُ ، والطمعُ ، والجَهد ، فارجعوا عنّا عامَكم هذا ، وامتاروا حاجتَكم ، ولكم العَوْد كلّما احتجتم ، فإني لا أشتهي أن أقتلكم[2]. (٣: ٥٢٥/٥٢٦).

٢٨٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عُمارة بن القعقاع

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

الضّبيّ ، عن رجل من يَربوع شهدَها ، قال: وقال: وقد أصابَ أناس كثير منكم من أرضنا ما أرادوا ، ثم كان مصيرُهم القتل والهَرب ، ومَن سنّ هذا لكم خيرٌ منكم وأقوى؛ وقد رأيتم أنتم كلّما أصابوا شيئاً أصيب بعضهم ونجا بعضهم؛ وخرج ممّا كان أصاب ، ومن أمثالكم فيما تصنعون مثل جُرْذان أَلِفت جرَّة فيها حَبّ ، وفي الجرَّة ثَقْب ، فدخل الأوَّل فأقام فيها ، وجعل الأخَر يَنقُلن منها ويرجعْنَ ويكلّمْنه في الرجوع ، فيأبَى ، فانتهى سمن الذي في الجرّة ، فاشتاق إلى أهله ليُريَهم حُسن حاله ، فضاق عليه الجُحر ، ولم يُطِق الخروج ، فشكا القَلَق إلى أصحابه ، وسألهم المخرج ، فقلن له: ما أنت بخارج منها حتى تعودَ كما كنت قبل أن تدخل ، فكفّ وجوّع نفسه ، وبقيَ في الخوف ، حتى إذا عاد كما كان قبل أن يدخلَها أتى عليه صاحب الجَرّة فقتله. فاخرُجوا ، ولا يكونَنّ هذا لكم مثلاً[١]. (٣: ٥٢٦/٥٢٧).

٢٨٣ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر ، عن ابن الرُّفيل، عن أبيه ، قال: وقال: لم يخلق الله خلْقاً أولَع من ذُباب ولا أضرّ؛ ما خلاكم يا معشر العرب ! تروْن الهلاك ويُدليكم فيه الطّمع؛ وسأضرب لكم مثلكم: إنّ الذّباب إذا رأى العسَلَ طار ، وقال: مَن يوصّلني إليه وله درهمان حتى يدخله؟ لا ينهنِهُه أحد إلا عصاه ، فإذا دخله غرق ونشِب وقال: مَن يخرجني وله أربعة دراهم؟ وقال أيضاً: إنما مثلُكم مثل ثعلب دخل جُحراً وهو مهزول ضعيف إلى كَرْم ، فكان فيه يأكل ما شاء الله ، فرآه صاحب الكَرْم ، ورأى ما به ، فرحمه ، فلمّا طال مكثُه في الكَرْم وسمِن ، وصلحَت حالُه ، وذهب ما كان به من الهزال أشر ، فجعل يعبث بالكَرْم ويُفسد أكثر ممّا يأكل ، فاشتدّ على صاحب الكَرْم ، فقال: لا أصبر علَى هذا من أمر هذا ، فأخذ له خشبة واستعان عليه غِلمانه ، فطلبوه وجعل يراوغهم في الكَرْم ، فلمّا رأى: أنَّهم غيرُ مُقلعين عنه؛ ذهب ليخرج من الجُحر الَّذي دخل منه ، فنشب. اتَّسع عليه وهو مهزول ، وضاق عليه وهو سمين؛ فجاءه وهو على تلك الحال صاحب الكَرْم ، فلم يزل يضربه حتى قتله ، وقد جئتم وأنتم مهازيل؛ وقد سِمنتُم شيئاً من سِمَن؛ فانظروا كيف تخرجون! وقال أيضاً: إنَّ رجلاً وضع سَلاًّ ، وجعل طعامه فيه؛ فأتى

---

(١) إسناده ضعيف.

الجرذان ، فخرقوا سلَّه ، فدخلوا فيه فأراد سدّه ، فقيل له: لا تفعل ، إذاً يخرقْنَه ، ولكن انقب بحياله؛ ثم اجعل فيها قصبة مجوَّفة ، فإذا جاءت الجُرذان دخلْن من القصبة وخرجن منها ، فكلَّما طلع عليكم جُرَذ قتلتموه. وقد سددتُ عليكم؛ فإيَّاكم أن تقتحموا القصَبة ، فلا يخرج منها أحدٌ إلاّ قُتل ، وما دعاكم إلى ما صنعتم؛ ولا أرى عَدداً ولا عُدّة! [1] (٣: ٥٢٧).

٢٨٤ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سَيْف ، عن محمَّد ، وطلحة بإسنادهما وزياد معهما ، قالوا: فتكلَّم القوم فقالوا: أمَّا ما ذكرتم من سُوء حالنا فيما مضى ، وانتشار أمرِنا ، فلمَّا تبلغ كُنْهَه! يموت الميّت منَّا إلى النار ، ويبقى الباقي منّا في بؤس؛ فبينا نحن في أسْوَأ ذلك؛ بعث الله فينا رَسُولاً مِن أنْفُسِنَا إلى الإنس والجنّ ، رحمةً رحم بها مَن أراد رحْمَتَه ، ونقمة ينتقم بها ممن ردَّ كرامته؛ فبدأ بنا قبيلةً قبيلة ، فلم يكن أحدٌ أشدّ عليه؛ ولا أشدُّ إنكاراً لما جاء به ، ولا أجهدُ على قتله وردّ الذي جاء به من قومه ، ثم الَّذين يلُونهم ، حتى طابقْناه على ذلك كلّنا ، فنصبنا له جميعاً ، وهو وحده فَردٌ ليس معه إلاّ الله تعالى ، فأعطيَ الظَّفَر علينا ، فدخل بعضُنا طوعاً ، وبعضنا كرهاً ، ثم عرفنا جميعاً الحقّ والصّدق لما أتانا به من الآيات المعجزة؛ وكان ممَّا أتانا به من عند رَبّنا جهاد الأدنى فالأدنى ، فسِرنا بذلك فيما بيننا ، نرى أنّ الذي قال لنا ووعَدنا لا يُخرَم عنه ولا يُنقَض؛ حتى اجتمعت العرب على هذا ، وكانوا من اختلاف الرّأي فيما لا يطيق الخلاَئق تأليفهم. ثم أتيناكم بأمر ربّنا ، نجاهد في سبيله ، ونَنفُذ لأمره ، وننتجز موعودَه ، وندعوكم إلى الإسلام وحكمه؛ فإن أجبتمونا تركناكم ، ورجعنا وخلَّفنا فيكم كتابَ الله؛ وإن أبيتم لم يحلّ لنا إلاّ أن نعاطيَكم القتال أو تفتدوا بالجِزَى؛ فإن فعلتم وإلا فإنّ الله قد أورثَنا أرضَكم ، وأبناءكم ، وأموالكم. فاقبلوا نصيحَتنا؛ فوالله لإسلامُكمْ أحبّ إلينا من غنائمكم ، ولَقتالكم بعدُ أحبّ من صلحكم. وأمَّا ما ذكرت من رثاثتنا وقلَّتنا فإنّ أداتَنا الطاعة ، وقتالَنا الصبر. وأمَّا ما ضربتم لنا من الأمثال ، فإنكم ضربتمُ للرجال والأمور الجسام وللجدّ الهزل؛ ولكنّا سنضرب مثلَكم ، إنَّما مثلُكم مثلُ رجل غَرَس أرضاً ، واختار لها الشَّجَر والحَبّ ، وأجرى إليها الأنهار ، وزيَّنها بالقصور ، وأقام فيها فلاّحين

---

(١) إسناده ضعيف.

يسكنون قصورها ، ويقومون على جنّاتها ، فخلاَ الفلاحون في القصور على ما لا يحبّ ، وفي الجنان بمثل ذلك ، فأطال نظرتهم ؛ فلمّا لم يستحيوا من تلقاء أنفسهم ؛ استعتبَهم فكابروه ، فدعا إليها غيرهم ، وأخرجهم منها ؛ فإن ذهبوا عنها تخطَّفهم النَّاس ، وإن أقاموا فيها صارُوا خَوَلاً لهؤلاء يملكونهم ؛ ولا يملَّكون عليهم ؛ فيسومونَهُم الخَسْفَ أبداً ؛ ووالله أن لو لم يكن ما نقول لك حقّاً ، ولم يكن إلاَّ الدنيا ، لما كان لنا عَمّا ضرينَا به من لذيذ عيشكم ، ورأينا من زِبْرِجكم من صبرٍ ، ولقارعناكم حتى نغلبَكم عليه .

فقال رستم : أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم؟ فقالوا : بل اعبرُوا إلينا ، فخرجوا من عنده عشيّاً ، وأرسل سعد إلى النَّاس أن يقفوا مواقفهم ، وأرسل إليهم : شأنكم والعبور ؛ فأرادوا القنطرة ، فأرسل إليهم : لا ولا كرامة! أمّا شيء قد غلبناكم عليه فلن نردَّه عليكم ؛ تكلَّفوا مِعبراً غير القناطر ، فباتوا يسكُرون العتيق حتى الصباح بأمتعتهم.[١] (٣ : ٥٢٨/٥٢٩) .

يوم أرماث

٢٨٥ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمَّد ، عن عبيد الله ، عن نافع وعن الحكَم ، قالا : لمَّا أراد رستم العبورَ أمر بسَكْر العتيق بحيال قادس ، وهو يومئذ أسفل منها اليوم ممَّا يلي عين الشمس ، فباتوا ليلَتَهم حتَّى الصباح يسكُرون العتيق بالتراب والقَصَب والبراذع حتى جعلوه طريقاً ، واستُتِمّ بعد ما ارتفع النهار من الغد.[٢] (٣ : ٥٢٩) .

٢٨٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمَّد ، وطلحة ، وزياد ، بإسنادهم ، قالوا : ورَأى رستم من الليل : أن ملَكاً نزل من السماء ، فأخذ قميّ أصحابه ، فختم عليها ، ثم صعد بها إلى السماء ؛ فاستيقظ مهموماً محزوناً ، فدعا خاصّته فقصّها عليهم ، وقال : إنَّ الله لَيَعظُنا ، لو أنّ فارس تركوني أتَّعظ! أما ترَوْن النصر قد رُفع عنّا ، وترون الريح مع عدوّنا ، وأنَّا لا نقوم

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

لهم في فعلٍ ولا منطق، ثم هم يريدون مغالبة بالجبريّة! فعبروا بأثقالهم حتى نزلوا على ضفّة العتيق[١]. (٣: ٥٢٩).

٢٨٧ - كتب إليّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن الأعْمَش، قال: لمَّا كان يوم السَّكْر، لبس رستم درعَيْن ومغفراً وأخذ سلاحه، وأمر بفرسه فأسرِج، فأتَى به فوثَب؛ فإذا هو عليه لم يمسَّه ولم يضع رِجله في الرّكاب، ثم قال: غداً ندقّهم دقّاً، فقال له رجل: إن شاء الله، فقال: وإن لم يشأ![٢] (٣: ٥٣٠).

٢٨٨ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن القاسم بن الوليد الهمْدانيّ، عن أبيه، عن أبي نِمْران، قال: لمَّا عَبَر رستم تحوّل زُهرة، والجالنوس، فجعل سعد زُهرةَ مكان ابن السِّمط، وجعل رستم الجالنوس مكان الهُرْمُزان، وكان بسعد عِرْق النَّسَا ودَمَاميل، وكان إنما هو مكبٌّ، واستخلف خالد بن عُرْفُطة علَى الناس فاختلف عليه، فقال: احملوني، وأشرفوا بي على النَّاس؛ فارتقَوْا به، فأكبَّ مطَّلعاً عليهم، والصفُّ في أصل حائط قُدَيْس؛ يأمر خالداً فيأمر خالد الناس، وكان ممَّن شغب عليه وجوهٌ من وجوه النَّاس، فهمّ بهم سعد وشتَمهم، وقال: أمَا والله لولاَ أنّ عدوّكم بحضرتكم؛ لجعلتكم نكالاً لغيركم! فحبسهم - ومنهم أبو مِحْجَن الثَّقَفِيّ - وقيّدهم في القصر، وقال جرير: أما إني بايعت رسولَ الله ﷺ على أن أسمعَ وأطيع لمن ولاَّه الله الأمر وإن كان عبداً حبشيّاً، وقال سعد: والله لا يعود أحدٌ بعدها يحبس المسلمين عن عدوّهم، ويشاغلهم وهم بإزائهم إلاّ سُنَّت به سُنَّة يؤخَذ بها مِنْ بعدي[٣]. (٣: ٥٣١).

٢٨٩ - كتب إليَّ السريُّ عن شُعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم، قالوا: إنّ سعداً خطب مَنْ يليه يومئذ؛ وذلك يوم الإثنين في المحرّم سنة أربع عشرة بعد ما تهدّم على الذين اعترضوا على خالد بن عُرْفُطة؛ فحمِد الله وأثنى عليه. وقال: إن الله هو الحقّ لا شريك له في المُلك؛ وليس لقوله خلْف، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ إنّ هذا ميراثكم وموعود ربّكم، وقد أباحها لكم منذ ثلاث

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

حِجَج؛ فأنتم تطعمون منها، وتأكلون منها، وتقتلون أهلها، وتجْبونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب الأيّام منكم، وقد جاءكم منهم هذا الجمع؛ وأنتم وجوهُ العرب وأعيانُهم، وخيار كلّ قبيلة، وعِزُّ مَن وراءكم؛ فإن تَزْهدوا في الدّنيا، وترغبوا في الآخرة؛ جَمَع الله لكم الدُّنيا والآخرة، ولا يقرّب ذلك أحداً إلى أجله، وإنْ تفشَلوا، وتَهِنوا، وتضعُفوا؛ تذهب ريحُكم، وتُوبِقوا آخرتكم.

وقام عاصم بن عمرو في المجرّدة؛ فقال: إنَّ هذه بلاد قد أحلّ الله لكم أهلَها، وأنتم تنالون منهم منذ ثلاث سنين ما لا ينالون منكم، وأنتم الأعلوْن والله معكم؛ إن صبرتم وصدقتموهم الضّرب، والطعن؛ فلكم أموالهم، ونساؤهم، وأبناؤهم، وبلادهم؛ وإن خُرتم وفشلتم فالله لكم من ذلك جار وحافظ، لم يُبق هذا الجمع منكم باقية؛ مخافةَ أن تعودوا عليهم بعائدة هلاك. الله الله! اذكروا الأيّام وما منحكم الله فيها! أوَ لا ترون أنّ الأرض وراءكم بسابس، قِفارٌ ليس فيها خَمَر، ولا وَزَر يُعقل إليه، ولا يُمتنَع به! اجعلوا همّكم الآخرة!

وكتب سعد إلى الرّايات: إني قد استخلفتُ عليكم خالد بن عُرْفُطة، وليس يمنعني أن أكونَ مكانَه إلاَ وَجَعي الذي يعودُني وما بي من الحُبون، فإنّي مُكبّ على وجهي وشخصي لكم بادٍ، فاسمعوا له وأطيعوا، فإنَّه إنَّما يأمركم بأمري، ويعمل برأيي، فقُرِىء على النَّاس فزادهم خيراً، وانتهوْا إلى رأيه، وقبلوا منه وتحاثّوا على السمع والطاعة، وأجمعوا على عُذر سعد والرّضا بما صنع[١]. (٣: ٥٣١/٥٣٢).

٢٩٠ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن حلّام، عن مسعود، قال: وخطب أمير كلّ قوم أصحابَه، وسيّر فيهم، وتحاضّوا على الطاعة، والصبر وتواصَوْا؛ ورجع كلّ أمير إلى موقفه بمن والاه من أصحابه عند المواقف؛ ونادى مُنادي سعد بالظُّهر، ونادى رستم: «بادِشَهانِ مَرَنْدر»، أكل عمر كبدي أحرق الله كبده! علَّم هؤلاء حتى علموا[٢]. (٣: ٥٣٢)

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

٢٩١ ـ كتب إليّ السريُّ عن شُعيب ، قال: حدّثنا سيف ، عن النَّضر ، عن ابن الرُّفيل ، قال: لمَّا نزل رستم النَّجفَ بعثَ منها عيناً إلى عسكر المسلمين ، فانغمس فيهم بالقادسيَّة كبعض مَن ندّ منهم ، فرآهم يستاكون عند كلّ صلاة ، ثم يصلُّون ، فيفترقون إلى مواقفهم ، فرجع إليه فأخبره بخبرهم ، وسيرتهم ، حتى سأله: ما طعامهم؟ فقال: مكثتُ فيهم ليلةً ، لا والله ما رأيت أحداً منهم يأكل شيئاً إلا أن يمصُّوا عِيدَاناً لهم حين يُمْسُون ، وحين ينامون ، وقُبيلَ أن يُصبحوا. فلمّا سار فنزل بين الحصن والعتيق؛ وافقهم وقد أذّن مؤذّن سعد الغداة ، فرآهم يتحشحشون ، فنادى في أهل فارس أنْ يركبوا ، فقيل له: ولمَ؟ قال: أما ترون إلى عدوّكم قد نُودِيَ فيهم فتحشحشوا لكم! قال عينه ذلك: إنما تحشحُشُهم هذا للصلاة ، فقال بالفارسية ، وهذا تفسيره بالعربية: أتاني صوت عند الغداة ، وإنما هو عُمَر الذي يكلّم الكلاب ، فيعلّمهم العقل ، فلمَّا عبروا؛ تواقفوا ، وأذّن مؤذّن سعد للصّلاة، فصلَّى سعد، وقال رستم: أكل عمر كَبدِي![١]. (٣: ٥٣٢/٥٣٣).

٢٩٢ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبيّ: إنَّ أهل فارس كانوا عشرين ومئة ألف ، معهم ثلاثون فيلاً ، مع كلّ فيل أربعة آلاف[٢]. (٣: ٥٣٥).

٢٩٣ ـ كتب إليّ السريُّ بن يحيى عن شعيب ، عن سيف ، عن حلاّم ، عن مسعود بن خِراش ، قال: كان صفّ المشركين على شفير العتيق ، وكان صفّ المسلمين مع حائط قُدَيْس ، الخندقُ من ورائهم ، فكان المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق. ومعهم ثلاثون ألف مسلسَل ، وثلاثون فيلاً تُقاتِل ، وفِيَلة عليها الملوك وقوف لا تُقاتل. وأمر سعد النَّاس أن يقرؤوا على النَّاس سورة الجهاد ، وكانوا يتعلّمونها[٣]. (٣: ٥٣٥).

٢٩٤ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ،

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

وزياد بإسنادهم ، قالوا: قال سعد: الزمُوا مواقفَكم ، لا تحرّكوا شيئاً حتى تصلّوا الظهر ، فإذا صلَّيتم الظهر فإنِّي مكبِّر تكبيرةً ، فكبِّروا واستعدّوا. واعلموا أنّ التّكبير لم يُعْطَه أحدٌ قبلَكم ، واعلموا أنَّما أعطيتموه تأييداً لكم. ثم إذا سمعتم الثانية فكبِّروا ، ولتُستَتمّ عُدّتكم ، ثم إذا كبَّرتُ الثالثة فكبِّروا ، ولينشِّط فرسانُكم الناس؛ ليبرزوا ، وليطاردوا ، فإذا كبّرت الرابعة فازحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوّكم؛ وقولوا: لا حول ولا قوّة إلا بالله!

كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن الرَّيان ، عن مُصْعَب ابن سعد ، مثله[١]. (٣: ٥٣٥).

٢٩٥ - كتب إليّ السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن زكريَّاء ، عن أبي إسحاق ، قال: أرسل سعد يوم القادسيَّة في النَّاس: إذا سمعتم التَّكبير فشدّوا شُسوع نعالكم ، فإذا كبَّرتُ الثانية فتهيَّؤوا ، فإذا كبّرت الثالثة فشدّوا النواجذ على الأضراس واحملوا[٢]. (٣: ٥٣٦).

٢٩٦ - كتب إليّ السريُّ بن يحيى عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، وزياد بإسنادهم ، قالوا: لمَّا صلَّى سعد الظهر أمر الغلام الَّذي كان ألزمه عمر إيّاه - وكان من القرّاء - أن يقرأ سورة الجهاد ، وكان المسلمون يتعلَّمونها كلّهم ، فقرأ على الكتيبة الذين يلُونه سورةَ الجهاد ، فقرئت في كلّ كتيبة ، فهشَّت قلوب الناس ، وعيونهم ، وعرفوا السكينة مع قراءتها[٣]. (٣: ٥٣٦).

٢٩٧ - كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، وزياد بإسنادهم ، قالوا: لما فرغ القُرّاء كبَّر سعد ، فكبَّر الذين يلُونه تكبيرة ، وكبَّر بعض الناس بتكبير بعض ، فتحشحش الناس ، ثم ثنَّى فاستتَمّ الناس ، ثم ثلَّث فبرز أهلُ النَّجدات ، فأنشبوا القتال ، وخرج من أهل فارس أمثالُهم ، فاعتوروا الطَّعن والضّرب ، وخرج غالب بن عبد الله الأسديّ وهو يقول:

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

قَــد عَلِمَــتْ واردَةُ المسائــحِ ذاتُ اللَّبــانِ والبنــانِ الــواضــحِ
أنِّــي سِمــامُ البَطَــلِ المُشــايــح وفــارِجُ الأمْــرِ المُهِــمِّ الفــادِحِ

فخرج إليه هُرمُز ـ وكان من ملوك الباب ، وكان متوَّجاً ـ فأسره غالب أسراً ، فجاء سعداً ، فأدخِل ، وانصرف غالب إلى المطاردة ، وخرج عاصم بن عمر؛ وهو يقول:

قَـد عَلِمَـتْ بَيْضـاء صَفْـراءُ اللَّبَـبْ مِثْـلُ اللُّجَيْـنِ إذْ تَغَشَّـاهُ الـذَّهَـبْ
أنِّـي امْـرُؤٌ لا مَـنْ تَعيبُـهُ السُّبَـبْ مِثْلـي علـى مِثْلِـكَ يُغْـرِيـه العَتَـبْ

فطارد رجلاً من أهل فارس ، فهرب منه ، واتّبعه ، حتى إذا خالط صفَّهم؛ التقى بفارس معه بغلة ، فترك الفارس البغلة ، واعتصم بأصحابه فحموْه ، واستاق عاصم البغل والرَّحْل ، حتى أفضى به إلى الصفّ ، فإذا هو خبّاز الملك وإذا الَّذي معه لَطَفُ الملك: الأخبصةُ ، والعسل المعقود ، فأتى به سعداً ، ورجع إلى موقفه ، فلمّا نظر فيه سعد ، قال: انطلقوا به إلى أهل موقفه ، وقال: إنَّ الأمير قد نفَّلكم هذا فكلُوه ، فنفّلهم إياه. قالوا: وبينا الناس ينتظرون التكبيرة الرابعة؛ إذ قام صاحب رجّالة بني نَهْد قيس بن حذيَم بن جُرثومة ، فقال: يا بني نَهْد انهدوا ! ، إنما سمِّيتم نَهْداً؛ لتفعلوا. فبعث إليه خالد بن عُرفُطة: والله لتكُفَّنَّ أوْ لأولِّيَنّ عمَلَك غيرَك. فكَفّ.

ولما تطاردت الخيل والفُرسان؛ خرج رجُلٌ من القوم ينادي: مَرد ومَرد ، فانتدب له عمرو بن معديكَرب وهو بحياله ، فبارزه فاعتنقه ، ثم جلَد به الأرض فذبحه ، ثم التفتَ إلى النَّاس ، فقال: إن الفارسيّ إذا فقد قوسَه فإنما هو تَيس. ثم تكتَّبت الكتائب من هؤلاء وهؤلاء[١] . (٣: ٥٣٦/ ٥٣٧) .

٢٩٨ ـ وقال بعضهم غير إسماعيل: وأخذ سوارَيْه ، ومنْطقته ، ويلْمَق ديباج عليه. كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم: أنَّ الأعاجم وجَّهت إلى الوجه الَّذي فيه بَجيلةُ ثلاثة عشر فيلاً[٢] . (٣: ٥٣٨) .

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

٢٩٩ - كتب إليَّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، وزياد ، قالوا: لمَّا تكتَّبت الكتائب بعد الطِّراد؛ حمل أصحاب الفِيَلة عليهم ، ففرّقت بين الكتائب ، فابذعرّت الخيل؛ فكادت بَجيلة أن تُؤكل؛ فَرّت عنها خيلُها نِفاراً ، وعمَّن كان معهم في مواقفهم ، وبقيت الرجَّالة من أهل المواقف ، فأرسل سعد إلى بني أسَد: ذبّبوا عن بَجيلة ومن لافَّها من الناس؛ فخرج طُلَيحة بن خُوَيْلِد؛ وحَمَّال بن مالك ، وغالب بن عبد الله ، والرّبِّيل بن عمرو في كتائبهم ، فباشروا الفيَلة حتى عدلها ركبانها؛ وإنَّ على كلّ فيل عشرين رجلاً[1] . (٣: ٥٣٨) .

٣٠٠ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، عن موسى بن طريف: أن طُلَيحة قام في قومه حين استصرخهم سعد ، فقال: يا عشيرتاه ! إنَّ المنوَّه باسمه ، الموثوق به ، وإنَّ هذا لو علم أنّ أحداً أحقّ بإغاثـة هؤلاء منكم استغاثهم؛ ابتدئوهم الشَّدّة ، وأقدِموا عليهم إقدام اللُّيوث الحَرِبة؛ فإنَّما سمِّيتم أَسَداً؛ لتفعلوا فعله؛ شدّوا ، ولا تصدُّوا ، وكرُّوا ، ولا تفرُّوا ، لله درُّ ربيعة! أي فَريّ يَفْرون! وأيَّ قِرْن يُغنون! هل يوصل إلى مواقفهم! فأغنوا عن مواقفكم أعانكم الله! شدّوا عليهم باسم الله! فقال المَعْرور بن سوَيْد ، وشَقيق: فشدّوا والله عليهم ! فما زالوا يطعنونهم ، ويضربونهم؛ حتى حبسْنا الفيَلة عنهم، فأخِّرتْ ، وخرج إلى طُلَيْحة عظيم منهم فبارزه؛ فما لبَّثه طليحة أن قتله[2] . (٣: ٥٣٨/ ٥٣٩) .

٣٠١ - كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، وزياد ، قالوا: وقام الأشعث بن قيس ، فقال: يا معشرَ كِنْدة ! لله درُّ بني أسد! أيّ فَريّ يفرُون! وأيَّ هَذّ يَهُذُّون عن موقفهم منذ اليوم! أغنى كلّ قوم ما يليهم؛ وأنتم تنتظرون مَن يكفيكم البأس! أشهَدُ ما أحسنتم أسوَة قومكم العرب منذ اليوم ! وإنهم ليُقتَلون ويقاتلون؛ وأنتم جثاةٌ على الرُّكب تنظرون! فوثب إليه عدد منهم عشرة؛ فقالوا: عثَّر الله جَدَّك! إنَّك لتؤيِّسنُا جاهداً ، ونحن أحسنُ الناس موقفاً!

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

فمن أين خذلْنا قومنا العرب وأسأنا إسوتهم! فهانحن معك. فنَهد ونَهدوا، فأزالوا الَّذين بإزائهم؛ فلمّا رأى أهلُ فارس ما تلقى الفِيَلة من كتيبة أسد رَمَوْهم بحدّهم وبدر المسلمين الشّدّة عليهم ذو الحاجب، والجالنوس، والمسلمون ينتظرون التَّكبيرة الرابعة من سعد، فاجتمعت حَلبْة فارس على أسد ومعهم تلك الفيَلة، وقد ثبتوا لهم؛ وقد كبَّر سعد الرّابعة، فزحف إليهم المسلمون ورحَى الحرب تدور على أسَد، وحملت الفيول على الميمنة والميسرة على الخيول؛ فكانت الخيول تُحْجِم عنها وتَحيد، وتلحّ فرسانهم على الرَّجْل يشمّسون بالخيل؛ فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو، فقال: يا معشَر بني تميم! ألستم أصحابَ الإبل والخيل! أما عندكم لهذه الفيَلة من حيلة! قالوا: بلى والله! ثم نادى في رجال من قومه رماةٍ وآخَرين لهم ثَقافة، فقال لهم: يا معشرَ الرماة! ذبُّوا ركبان الفيَلة عنهم بالنَّبْل، وقال: يا معشرَ أهل الثقافة استدبروا الفِيَلة، فقَطِّعُوا وُضُنها. وخرج يحميهم؛ والرّحى تدور على أسد، وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد، وأقبل أصحاب عاصم على الفيلة، فأخذوا بأذنابها وذباذب توابيتها، فقَطعوا وضُنَها، وارتفع عُواؤهم؛ فما بقيَ لهم يومئذ فيل إلاّ أعرِيَ، وقُتل أصحابها، وتقابل الناس ونُفِّس عن أسد، وردّوا فارسَ عنهم إلى مواقفهم؛ فاقتتلوا حتى غربت الشمس. ثمَّ حتى ذهبت هَدأة من الليل؛ ثم رجع هؤلاء وهؤلاء؛ وأصيب من أسد تلك العشيّة خمسمئة؛ وكانوا ردءاً للنَّاس؛ وكان عاصم عادية النَّاس وحاميتهم؛ وهذا يومها الأوّل وهو يوم أرماث[1]. (٣: ٥٣٩/ ٥٤٠).

٣٠٢ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن الغصن، عن القاسم، عن رجل من بني كنانة، قال: جالت المجنَّبات، ودارت على أسد يوم أرماث فقتِل تلك العشيَّة منهم خمسمئة رجل؛ فقال عمرو بن شَأس الأسديّ:

جَلَبْنَا الخيْلَ من أكنافِ نِيقٍ ... إلى كِسْرَى فوافَقَها رِعالا
تَرَكْنَ لهم على الأقسام شجواً ... وبالْحَقْوَيْنِ أيَّاماً طِوالا
وداعيةٍ بفارِسَ قد تَرَكْنا ... تبَكِّي كُلّما رَأتِ الهِلالا
قَتَلنا رُسْتُماً وبَنِيه قَسْراً ... تثِيرُ الخيلُ فوقَهُم الهَيالا

---

(١) إسناده ضعيف.

تركْنا منهُمُ حَيْثُ التَقيْنا فئاماً ما يُريدون ارتحالا
وفَرّ البِيرُزانُ ولم يُحامِي وكان على كتيبتِه وَبالا
ونَجّى الهُرْمُزَانَ حِذارُ نَفْسٍ وركْضُ الخيلِ مُوصِلةً عِجالا[1]
(٣: ٥٤٠/ ٥٤١).

٣٠٣ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن مجالد، عن الشعبيّ، قال: كانت امرأة من النَّخَع لها بنون أربعة شهدوا القادسيَّة؛ فقالت لبنيها: إنّكم أسلمتم، فلم تُبدّلوا، وهاجرتم، فلم تثوبُوا، ولم تَنْبُ بكم البلاد، ولم تُقحِمكم السَّنة، ثم جئتم بأمّكم عجوز كبيرة، فوضعتموها بين يدي أهل فارس؛ والله إنّكم لبنُو رجل واحد، كما أنّكم بنو امرأة واحدة، ما خُنْتُ أباكم، ولا فضحت خَالكم. انطلقوا فاشهدوا أوّل القتال وآخرَه! فأقبلوا يشتدّون، فلمَّا غابوا عنها رفعت يديها إلى السماء، وهي تقول: اللهمّ ادفع عن بنيّ! فرجعوا إليها، وقد أحسنوا القتال؛ ما كُلِم منهم رجل كَلْماً؛ فرأيتُهم بعد ذلك يأخذون ألفين ألفين من العطَاء، ثم يأتون أمَّهُم، فيُلقونه في حجْرها، فتردّه عليهم وتقسمه فيهم على ما يُصلحهم، ويُرضيهم[2]. (٣: ٥٤٤).

٣٠٤ ـ كتب إليّ السريُّ عن شُعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد، قالوا: فأزرَ القعقاعَ يومئذ ثلاثة نفر من بني يربوع رياحيّين، وجعل القعقاع كلَّما طلعت قطعة كبَّر، وكبَّر المسلمون، ويحمل، ويحملون، واليربوعيّون: نعَيْم بن عمرو بن عتَّاب، وعتَّاب بن نُعَيم بن عتَّاب بن الحارث ابن عمرو بن همَّام، وعمرو بن شبيب بن زنباع بن الحارث بن ربيعة؛ أحد بني زيد. وقدم ذلك اليوم رسولٌ لعمر بأربعة أسياف، وأربعة أفراس، يقسمها فيمن انتهى إليه البلاء، إن كنت لقيتَ حرباً. فدعا حَمَّالَ بن مالك، والرِّبِّيل بن عمرو بن ربيعة الوالبيّيْن وطليحة بن خويلد الفَقْعسيّ ـ وكلّهم من بني أسد ـ وعاصم بن عمرو التميميَّ، فأعطاهم الأسياف، ودعا القعقاع بن عمرو، واليربوعيّين، فحملَهم على الأفراس؛ فأصاب ثلاثة من بني يربوع ثلاثَة أرباعها، وأصاب ثلاثة من بني أسد ثلاثة أرباع السيوف، فقال في ذلك الربّيل بن عمرو:

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

لقــد عَلِــم الأقــوامُ أنّــا أحَقُّهــمْ إذا حصلــوا بــالمُــرْهَفــاتِ البــواتِــرِ
ومــا فَتِئَــتْ خَيْلِــي عَشِيَّــةَ أرْمَثُــوا يذُودون رَهْواً عن جُموع العشائر
لَــدُنْ غـدوةٍ حتـى أتـى الليـلُ دونهـمْ وقد أفلحَتْ أخْرَى الليالي الغوابر

وقال القعقاع في شأن الخيل:

لـم تعـرف الخيـل العِـرابُ سـواءَنـا عشِيَّــةَ أغْــواثٍ بجَنْــبِ القَــوادسِ
عشيَّــة رُحْنــا بــالــرِّمــاح كــأنَّهــا على القوم ألوانُ الطُّيورِ الرَّسارِسِ[1]

(٣: ٥٤٤/ ٥٤٥).

٣٠٥ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن الغصْن، عن العَلاء ابن زياد، والقَاسم بن سُلَيم عن أبيه، قالا: خَرج رجل من أهلِ فارس ينادي: مَنْ يبارز؟ فبرز له عِلْبَاء بن جحش العِجليّ، فنفحه علباء فأسحره، ونفحه الآخر فأمْعاه، وخرّا؛ فأمّا الفارسيّ فمات من ساعته، وأمّا الآخر فانتشرت أمعاؤه، فلم يستطع القيام، فعالج إدخالها فلم يتأتَّ له حتى مرّ به رجل من المسلمين، فقال: يا هذا! أعنِّي على بطني، فأدخله له، فأخذ بصفاقَيْه، ثم زحف نحو صفّ فارس ما يلتفت إلى المسلمين، فأدركه الموت على رأس ثلاثين ذراعاً من مَصْرَعه، إلى صفّ فارس، وقال:

أرْجُــو بهــا مــن ربّنــا ثــوابــا قــد كنــتُ مِمَّــنْ أحْسَنَ الضِّــرابا[2]

(٣: ٥٤٦).

٣٠٦ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن الغصن، عن العلاء، والقاسم عن أبيه، قالا: وخرج رجل من أهل فارس، فنادى: مَنْ يبارز؟ فبرز له الأعْرَف بنُ الأعلم العقيليّ، فقتله، ثم برز له آخر، فقتله، وأحاطت به فوارس منهم، فصرعوه، ونَدَرَ سلاحُه عنه، فأخذوه، فغبَّر في وجوههم بالتراب حتى رجع إلى أصحابه؛ وقال في ذلك:

وإن يــأخــذوا بَــزّي فــإنّــي مُجَــرَّبٌ خَــرُوجٌ مــن الغَمَّــاءِ مُحْتَضِــرُ النَّصْــرِ
وإنــي لَحــامٍ مــن وراءِ عشيــرتــي رَكُــوبٌ لآثــارِ الهَــوى مُحْفِــلُ الأمْــرِ

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

٣٠٦/أ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصن ، عن العلاء ، والقاسم عن أبيه ، قالا : فحمل القعقاع يومئذ ثلاثين حَملة ؛ كلَّما طلعت قطعة ؛ حَمل حملة ، وأصاب فيها ، وجعل يرتجز ، ويقول :

أُزْعِجُهُم عَمْداً بها إزْعاجا أطعنُ طَعْناً صائباً ثَجَّاجا

أرْجُو به من جنّةٍ أفواجا[١]

(٣ : ٥٤٦).

٣٠٧ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، قال : قدم هاشم بن عُتْبة من قِبَل الشام ، معه قيس بن المكشوح المراديّ في سبعمئة بعد فَتْح اليرموك ، ودمشق ؛ فتعجَّل في سبعين ، فيهم سعيد بن نِمْران الهمْدانيّ . قال مجالد : وكان قيس بن أبي حازم مع القعقاع في مقدّمة هاشم[٢].
(٣ : ٥٥٢/ ٥٥٣).

٣٠٨ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن جَخْدَب بن جَرْعَب ، عن عصْمة الوابليّ ـ وكان قد شهد القادسيَّة ـ قال : قدم هاشم في أهلِ العراق من الشام ، فتعَجَّل أناس ليس معه أحد من غيرهم إلاّ نُفيْر ، منهم ابن المكشوح ؛ فلمَّا دنا تعجَّل في ثلاثمئة ، فوافق النَّاس وهم على مواقفهم ، فدخلوا مع النَّاس في صفوفهم[٣]. (٣ : ٥٥٣).

٣٠٩ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، قال : كان اليوم الثالث يوم عماس ، ولم يكن في أيام القادسيَّة مثله ، خرج النَّاس منه على السَّواء ، كلُّهم على ما أصابه كان صابراً ، وكلَّ ما بلغ منهم المسلمون بلغ الكافرون من المسلمين مثلَه ، وكلَّ ما بلغ الكافرون من المسلمين بلغ المسلمون من الكافرين مثلَه[٤]. (٣ : ٥٥٣).

٣١٠ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن الرَّيَّان ، عن

---

(١) إسناده ضعيف .
(٢) إسناده ضعيف .
(٣) إسناده ضعيف .
(٤) إسناده ضعيف .

إسماعيل بن محمد بن سعد ، قال: قدم هاشم بن عتبة القادسيَّة يوم عِماس ، فكان لا يقاتل إلاّ على فرس أنثى ، لا يقاتل على ذكَر؛ فلمَّا وقف في الناس رمى بسهم ، فأصاب أذُن فرسه ، فقال: واسوأتاه من هذه! أين تروْن سهمي كان بالغاً لو لم يُصب أذن الفرس! قالوا: كذا وكذا ، فأجال فنزل وترك فرسه ، ثم خرج يضربهم حتى بلغ حيث قالوا[1]. (٣: ٥٥٣).

٣١١ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف عن محمد ، وطلحة ، وزياد ، قالوا: وكان في الميمنة[2]. (٣: ٥٥٣).

٣١٢ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن الرَّيان ، عن إسماعيل بن محمد ، قال: كنَّا نرى أنه كان على الميمنة ، وما كان عامّةُ جُنَن الناس إلاَّ البراذع؛ براذع الرحال ، قد أعرضوا فيها الجريد ، وعصّب من لم يكن له وقاية رؤوسَهم بالأنساع[3]. (٣: ٥٥٣).

٣١٣ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا: ولمَّا رأى سعد الفيَلة تُفرّق بين الكتائب وعادت لفعلها يوم أرماث ، أرسل إلى أولئك المُسْلِمة: ضَخْم ، ومُسْلِم ، ورافع ، وعَشَنَّق؛ وأصحابهم من الفرس الَّذين أسلموا ، فدخلوا عليه ، فسألهم عن الفِيَلة: هل لها مَقاتِل؟ فقالوا: نعم ، المشافر والعيون لا يُنتفع بها بعدها. فأرسل إلى القعقاع ، وعاصم ابنيَ عمرو: اكفياني الأبيض ـ وكانت كلُّها آلفة له ، وكان بإزائهما ـ وأرسل إلى حَمَّال ، والرِّبِّيل: اكفياني الفيل الأجرب ، وكانت آلفة له كلّها ، وكان بإزائهما ، فأخذ القعقاع وعاصم رمحين أصمَّين ليّنين ، ودبَّا في خيل ، ورجل فقالا: اكتنفوه لتحيّروه ، وهما مع القوم ، ففعل حمَّال ، والرّبيل مثل ذلك ، فلما خالطوهما اكتنفوهما ، فنظر كلّ واحد منهما يَمنة ويَسرة ، وهما يريدان أن يتخبَّطا ، فحمل القعقاع ، وعاصم ، والفيل متشاغل بمن حوله ، فوضعا رمحَيْهما معاً في عيني الفيل الأبيض ، وقبع ونفض رأسه ، فطرح سائسه ودلَّى مشفرَه ، فنفحه القعقاع ، فرمى به ووقع لجنبه ، فقتلوا مَن كان عليه ، وحمل حمَّال ، وقال

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

للرّبيل: اختَرْ، إمَّا أن تضرب المشفر وأطعن في عينه، أو تطعن في عينه وأضرب مشفرَه؛ فاختار الضَّرب، فحمل عليه حمَّال وهو متشاغل بملاحظة من اكتنفه؛ لا يخاف سائسه إلاّ على بطانه، فانفرد به أولئك، فطعنه في عينه، فأقعى؛ ثم استوى ونفحه الرّبّيل، فأبان مشفره، وبصر به سائسهُ، فبقر أنفه وجبينه بفأسه[1]. (٣: ٥٥٥/ ٥٥٦).

٣١٤ -كتب إليّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن مجالد، عن الشعبيّ، قال: قال رجلان من بني أسد؛ يقال لهما: الرّبّيل، وحمَّال: يا معشر المسلمين! أيّ الموت أشدّ؟ قالوا: أن يُشَدّ على هذا الفيل، فنزّقا فرسيْهما حتى إذا قاما على السَّنابك ضرباهما على الفيل الذي بإزائهما، فطعن أحدهما في عين الفيل، فوطىء الفيل من خلفه، وضرب الآخر مشفرَه، فضربه سائس الفيل ضربة شائنة بالطَّبَرْزين في وجهه؛ فأفلت بها هو والرّبِّيل، وحمل القعقاع وأخوه على الفيل الذي بإزائهما، ففقآ عينيه، وقطعا مشفره، فبقي متلدِّداً بين الصّفين؛ كلَّما أتى صفّ المسلمين وخزوه، وإذا أتى صفّ المشركين نخسُوه[2]. (٣: ٥٥٦).

٣١٥ -كتب إليّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الشعبيّ، قال: كان في الفيَلة فيلان يعلّمان الفيَلة، فلمَّا كان يوم القادسيَّة حملوهما على القلْب؛ فأمر بهما سعد القعقاع، وعاصماً، التميميَّين، وحمَّالاً، والرّبّيل الأسديَّين؛ فذكر مثل الأوَّل إلاّ أن فيه: وعاش بعد، وصاح الفيلان صياح الخنزير، ثم ولَّى الأجرب الَّذي عُوِّر، فوثب في العتيق، فاتَّبعته الفيلة؛ فخرقَت صفَّ الأعاجم فعبرت العتيق في أثره، فأتت المدائن في توابيتها، وهلك مَنْ فيها[3]. (٣: ٥٥٦).

٣١٦ -كتب إليّ السريُّ عن شعيب، عن سيف عن محمد، وطلحة، وزياد؛ قالوا: فلمَّا ذهبت الفيَلة، وخلَص المسلمون بأهلِ فارس، ومال الظِّل تزاحفَ المسلمون، وحماهم فرسانهم الَّذين قاتلوا أوّل النهار، فاجتلدوا بها حتى أمسَوْا على حَرْد؛ وهم في ذلك على السّواء، لأنّ المسلمين حين فعلوا بالفيول

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

ما فعلوا ، تكتَّبت كتائب الإبل المجفَّفة ، فعرقبوا فيها؛ وكفكفوا عنها.

وقال في ذلك القعقاع بن عمرو :

حَضَّضَ قومي مَضرَحِيُّ بنُ يَعْمرٍ ... فاللَّه قومي حين هَزُّوا العَواليا
وما خام عنها يومَ سارت جموعُنا ... لأهل قُديسٍ يمنعون المواليا
فإن كنتُ قاتلتُ العدوَّ فَللتُهُ ... فإنِّي لألقى في الحروب الدَّواهِيا
فُيولاً أراها كالبيوت مُغِيرةً ... أسمِّل أعياناً لها ومآقيا[1]

(٣: ٥٥٦/ ٥٥٧).

٣١٧ - كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا: لمَّا أمسى الناس من يومهم ذلك ، وطعنوا في الليل؛ اشتدّ القتال وصبر الفريقان ، فخرجا على السَّواء إلا الغماغم من هؤلاء وهؤلاء ، فسُمِّيت ليلة الهَرير ، لم يكن قتال بليل بعدها بالقادسيَّة[2].

٣١٨ - قال أبو جعفر: كتب إليّ السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد بن قيس ، عن عبد الرحمن بن جيش: أنّ سعداً بعث ليلة الهرير طُليحة وعمراً إلى مخاضة أسفل من العسكر ليقوما عليها خَشْيَةَ أن يأتِيَه القوم منها؛ وقال لهما: إن وجدتما القوم قد سبقوكما إليها؛ فانزلا بحيالهم ، وإن لم تجداهم عَلموا بها؛ فأقيما حتى يأتيَكما أمري ـ وكان عمر قد عهد إلى سعد ألاّ يولّي رؤساء أهل الرّدّة على مئة ـ فلما انتهيا إلى المخاضة فلم يريا فيها أحداً ، قال طليحة: لو خضنا فأتينا الأعاجم من خلفهم! فقال عمرو: لا ، بل نعبر أسفل؛ فقال طُليحة: إنّ الذي أقوله أنفع للناس ، فقال عمرو: إنَّك تدعوني إلى ما لا أطيق ، فافترقا ، فأخذ طليحة نحو العسكر من وراء العتيق وحده ، وسفل عمرو بأصحابهما جميعاً ، فأغاروا ، وثارت بهم الأعاجم ، وخَشِيَ سعد منهما الَّذي كان ، فبعث قيس بن المكشوح في آثارهما في سبعين رجلاً ، وكان من أولئك الرؤساء الذين نهي عنهم أن يولّيهم المئة ، وقال: إن لحقتَهم فأنت عليهم. فخرج نحوهم ، فلمَّا كان عند المخاضة وجد القوم يكرُدون عمراً

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

وأصحابه ، فنهنه الناسُ عنه ، وأقبل قيس على عمرو يلومه ، فتلاحيَا ، فقال أصحابه: إنَّه قد أمِّر عليك؛ فسكت ، وقال: يتَأمَّر عليَّ رجل قد قاتلتُه في الجاهليَّة عُمْرَ رجل! فرجع إلى العسكر ، وأقبل طليحة حتى إذا كان بحيال السِّكْر ، كبّر ثلاث تكبيرات؛ ثم ذهب ، فطلبه القوم فلم يدروا أين سلك! وسفل حتى خاض ، ثمّ أقبل إلى العسكر ، فأتى سعداً فأخبره؛ فاشتدَّ ذلك على المشركين وفرِح المسلمون وما يدرون ما هو![1] (٣: ٥٥٧/ ٥٥٨) .

٣١٩ - كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن قُدامة الكاهليّ ، عمَّن حدّثه: أن عشرة إخوة من بني كَاهل بن أسَد ، يقال لهم بنو حَرْب؛ جعل أحدهم يرتجز ليلتئذ ، ويقول:

أنا ابن حَرْبٍ ومعي مخراقي أضربُهُمْ بصارمٍ رَقْراقِ
إذْ كَرِه الموت أبو إسحاقِ وجاشتِ النَّفسُ على التَّراقي

صَبْراً عِفاقُ إنّه الفراقُ

وكان عفَاق أحد العشرة ، فأصيب فَخذ صاحبِ هذا الشعر يومئذ ، فأنشأ يقول:

صبْراً عِفاقُ إنّها الأساوِرَهْ صَبْراً ولا تَغْرُرْك رِجْلٌ نادِرَهْ

فمات من ضربته يومئذ[2] . (٣: ٥٥٨) .

٣٢٠ - كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر ، عن ابن الرُّفَيْل، عن أبيه ، عن حُميد بن أبي شجَّار ، قال: بعث سعد طليحة في حاجة فتركها ، وعبر العتيق؛ فدار إلى عسكر القوم ، حتى إذا وقف على رَدْم النهر كبَّر ثلاث تكبيرات ، فراع أهلَ فارس ، وتعجَّب المسلمون ، فكفّ بعضُهم عن بعض للنَّظَر في ذلك ، فأرسلت الأعاجم في ذلك ، وسأل المسلمون عن ذلك ، ثم إنهم عادوا وجدّدوا تعبية ، وأخذوا في أمرٍ لم يكونوا عليه في الأيَّام الثلاثة ، والمسلمون على تعبيتهم ، وجعل طليحة يقول: لا تَعْدَموا امرأً ضعضعكم. وخرج مسعود بن مالك الأسديّ ، وعاصم بن عمرو التميميّ ، وابن ذي البُردين

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

الهلاليّ ، وابن ذي السَّهْمَيْن ، وقيس بن هُبيرة الأسديّ؛ وأشباههم ، فطاردوا القومَ ، وانبعثوا للقتال ، فإذا القوم لُمَّة لا يشدّون ، ولا يريدون غير الزَّحف؛ فقدّموا صفاً له أذنان ، وأتبعوا آخر مثله ، وآخر وآخر ، حتَّى تمّت صفوفُهم ثلاثة عشر صفّاً في القلْب والمجنَّبتيْن كذلك؛ فلما أقدم عليهم فرسان العسكر رامَوْهم فلم يعطفهم ذلك عن ركوبهم؛ ثم لحقت بالفرسان الكتائب ، فأصيب ليلتئذ خالد بن يَعْمَر التميميّ ، ثم العمْريّ؛ فحمل القعقاع على ناحيته الَّتي رمي بها مزدلفاً ، فقاموا على ساق ، فقال القعقاع :

سَقَى اللهُ ياخَوْصاءُ قَبْرَ ابن يَعْمَرٍ إذا ارتحل السُّفّارُ لم يترحَّلِ
سقى الله أرضاً حَلّها قبرُ خالدٍ ذِهابَ غَوَادٍ مُدْجناتٍ تُجَلْجِلُ
فأقسمتُ لا يَنْفَكُّ سيفي يَحُسُّهم فإن زَحَل الأقوامُ لم أتَزحّلِ

فزاحفهم والناس على راياتهم بغير إذن سعد؛ فقال سعد: اللهمّ اغفرْها له ، وانصرْه قد أذنت له إذ لم يستأذنِيّ ، والمسلمون على مواقفهم ، إلاّ مَن تكتّب أو طاردهم وهم ثلاثة صفوف ، فصفٌّ فيه الرَّجّالة أصحاب الرماح والسيوف ، وصف فيه المُرامِية ، وصفّ فيه الخيول ، وهم أمام الرَّجّالة ، وكذلك الميمنة ، وكذلك الميسرة. وقال سعد: إنّ الأمر الذي صنع القعقاع ، فإذا كبّرتُ ثلاثاً فازحفوا ، فكبّر تكبيرة فتهيَّؤوا ، ورأى النَّاس كلّهم مثل الذي رأى ، والرحىٰ تدور على القعقاع ومن معه[1]. (٣ : ٥٥٩).

٣٢١ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عُبَيْدِ الله بن عبد الأعلى ، عن عمرو بن مرّة ، قال: وقام قيس بن هبيرة المرَاديّ فيمن يليه ، ولم يشهد شيئاً من لياليها إلاّ تلك الليلة؛ فقال: إنَّ عدوّكم قد أبى إلاّ المزاحفة ، والرّأي رأي أميركم ، وليس بأن تحمل الخيل ليس معها الرّجَّالة ، فإنّ القوم إذا زحفوا وطاردهم عدوُّهم على الخيل لا رجال معهم عقروا بهم؛ ولم يطيقوا أن يُقدِموا عليهم ، فتَيسَّروا للحملة. فتيسَّروا وانتظروا التكبيرة وموافقة حمل الناس؛ وإنّ نُشّاب الأعاجم لتجوزُ صفّ المسلمين[2]. (٣ : ٥٦٠).

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

٣٢٢ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد ، عمَّن حدّثه ، قال : وقال دُريد بن كعب النَّخَعيّ ، وكان معه لواء النَّخع : إنَّ المسلمين تهيَّؤوا للمزاحفة ، فاسبقوا المسلمين الليلة إلى الله والجهاد ، فإنه لا يَسبق الليلةَ أحدٌ إلاّ كان ثوابه على قدر سَبْقه؛ نافسوهم في الشهادة ، وطيبوا بالموت نفساً؛ فإنّه أنجى من الموت إن كنتم تريدون الحياة ، وإلاّ فالآخرة ما أردتم[١]. (٣ : ٥٦٠).

٣٢٣ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الأجلح ، قال : قال الأشْعَث بن قيس : يا معشرَ العرب ! إنَّه لا ينبغي أن يكون هؤلاء القوم أجرأ على الموت ، ولا أسخى أنفساً عن الدنيا ، تنافَسوا الأزواج والأولاد ، ولا تجزَعوا من القتل ، فإنه أمانيّ الكرام ، ومنايا الشهداء ، وترجَّل[٢]. (٣ : ٥٦٠).

٣٢٤ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، قال : قال حنظلة بن الربيع وأمراء الأعشار : ترجَّلوا أيُّها الناس ، وافعلوا كما نفعل ، ولا تجزعوا ممَّا لا بدّ منه ، فالصّبر أنجى من الفزَع. وفعل طُليحة ، وغالب ، وحمَّال ، وأهل النَّجدات من جميع القبائل مثلَ ذلك[٣]. (٣ : ٥٦٠).

٣٢٥ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو والنّضر بن السريّ ، قالا : ونزل ضِرار بن الخطَّاب القُرَشيّ ، وتتابع على التسرّع إليهم النَّاس كلّهم فيها بين تكبيرات سعد حين استبطؤوه. فلمَّا كبَّر الثانية ، حمل عاصم بن عمرو حتى انضمّ إلى القعقاع ، وحملت النَّخَع ، وعصى الناس كلّهم سعداً ، فلم ينتظر الثالثة إلاّ الرؤساء ، فلما كبَّر الثالثة زحفوا فلحقوا بأصحابهم ، وخالطوا القوم ، فاستقبلوا اللَّيل استقبالاً بعد ما صلَّوا العشاء[٤]. (٣ : ٥٦١).

٣٢٦ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن عبد الله بن أبي طيبة ، عن أبيه ، قال : حمل الناس ليلة الهرير عامَّة؛ ولم ينتظروا بالحملة

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) إسناده ضعيف.

سعداً ، وكان أوّل مَن حمل القعقاع ، فقال: اللهمّ اغفرها له وانصره. وقال: واتميماه سائرَ الليلة! ثمّ قال: أرى الأمر ما فيه هذا ، فإذا كبَّرتُ ثلاثاً فاحملوا. فكبَّر واحدة فلحقتهم أسد ، فقيل: قد حملت أسد ، فقال: اللهمّ اغفرها لهم وانصرهم؛ وأأسَداهْ سائرَ الليلة! ثم قيل: حملت النَّخَع ، فقال: اللهمّ اغفرها لهم وانصرهم؛ وانَخعاه سائر الليلة! ثم قيل: حملت بجيلة ، فقال: اللهمّ اغفرها لهم ، وانصرهم؛ وابجيلتاه! ثم حملت الكنود ، فقيل: حملت كندة ، فقال: واكندتاه! ثم زحف الرؤساء بمن انتظر التكبيرة ، فقامت حربهم على ساق حتى الصباح ، فذلك ليلة الهرير[1]. (٣: ٥٦١).

٣٢٧ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن نويرة ، عن عمِّه أنس بن الحُليْسِ ، قال: شهدتُ ليلة الهرير ، فكان صليل الحديد فيها كصوت القيون ليلتَهم حتى الصبّاح ، أفرِغ عليهم الصبر إفراغاً ، وبات سعد بليلة لم يَبِت بمثلها ، ورأى العرب والعجم أمراً لم يروْا مثلَه قطّ ، وانقطعت الأصوات والأخبار عن رستْم وسعد ، وأقبل سعد على الدّعاء ، حتى إذا كان وجهُ الصُّبْح ، انتهى الناس فاستدلّ بذلك على أنّهم الأعلوْن ، وأنّ الغلَبة لهم[2]. (٣: ٥٦١/ ٥٦٢).

٣٢٨ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الأعْورَ بن بنان المنقِري ، قال: أوّل شيء سمعه سعد ليلتئذ مما يستدلّ به على الفتح في نصف الليل الباقي صوتُ القعقاع بنِ عمرو وهو يقول:

نحن قتلْنا مَعْشَراً وزئدا ... أربعةً وخمسةً وواحِدا
نُحْسَبُ فوق اللِّبَد الأساودا ... حتَّى إذا ماتوا دعوتُ جاهِدا
اللهُ ربّي ، واحترزتُ عامِدا[3]

(٣: ٥٦٢).

٣٢٩ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الأعور ومحمد عن عمِّه ، والنضر عن ابن الرُّفَيْل ، قالوا: اجتلدوا تلك الليلة من أوَّلها

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

حتى الصّباح لا ينطقون ، كلامُهم الهرير ، فسُمِّيت ليلة الهرير[١] . (٣: ٥٦٢) .

٣٣٠ - كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن الرَّيَّان ، عن مُصْعَب بن سعد ، قال: بعث سعد في تلك الليلة بجاداً وهو غلام إلى الصفّ؛ إذْ لم يجد رسولاً ، فقال: انظرُ ما ترى من حالهم؛ فرجع فقال: ما رأيت أيْ بُنيَّ؟! قال: رأيتُهم يلعبون ، فقال: أو يَجِدّون![٢] (٣: ٥٦٢) .

٣٣١ - كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن جرير العَبْديّ، عن عابس الجُعفيّ ، عن أبيه ، قال: كانت بإزاء جُعفيّ يوم عماس كتيبةٌ من كتائب العجم ، عليهم السلاح التامّ ، فازدلفُوا لهم ، فجالدوهم بالسيوف ، فرأوْا أنَّ السيوف لا تعمل في الحديد فارتدعوا ، فقال حُمَيْضة: ما لكم؟ قالوا: لا يجوز فيهم السلاح ، قال: كما أنتم حتى أرِيَكم ، انظروا. فحمل على رجل منهم ، فدقّ ظهره بالرمح ، ثم التفت إلى أصحابه ، فقال: ما أراهم إلاّ يموتون دونكم. فحملوا عليهم فأزالوهم إلى صفّهم[٣] . (٣: ٥٦٢/ ٥٦٣) .

٣٣٢ - كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، قال: لا والله ما شهدها من كنْدة خاصّة إلاّ سبعمئة؛ وكان بإزائهم تُرْك الطَّبَرِيّ ، فقال الأشعث: يا قوم! ازحفوا لهم ، فزحف لهم في سبعمئة ، فأزالهم وقتل تُرْكاً ، فقال راجزهم:

نحن تركنا تُركَهم في المَصْطَرَهْ مُختضِباً من بَهَران الأبْهَرَهْ[٤]

(٣: ٥٦٣) .

٣٣٣ - كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن ابن مخراق ، عن أبي كعب الطائيّ ، عن أبيه ، قال: أصيب من الناس قبل ليلة الهرير ألفان وخمسمئة ، وقتل ليلة الهرير ويوم القادسيّة ستة آلاف من المسلمين ، فدُفنوا في الخندق بحيال مُشرِّق[٥] . (٣: ٥٦٤) .

---

(١) إسناده ضعيف .
(٢) إسناده ضعيف .
(٣) إسناده ضعيف .
(٤) إسناده ضعيف .
(٥) إسناده ضعيف .

٣٣٤ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب، عن سيف ، عن النَّضْر ، عن ابن الرُّفَيْل، عن أبيه ، قال: دعاني سعد، فأرسلني أنظر له في القتلى ، وأسمّي له رؤوسهم ، فأتيته فأعلمته، ولم أرَ رستم في مكانه ، فأرسل إلى رجل من التَّيْم يُدعى هلالاً ، فقال: ألم تُبلغني أنَّك قتلت رستم! قال: بلى ، قال: فما صنعت به؟ قال: ألقيته تحت قوائم الأبغُل ، قال: فكيف قتلته؟ فأخبره ، حتَّى قال: ضربت جبينه وأنفَه. قال: فجئنا به ، فأعطاه سلبَه ، وكان قد تخفَّف حين وقع إلى الماء ، فباع الَّذي عليه بسبعين ألفاً ، وكانت قيمة قَلَنْسُوته مئة ألف لو ظفر بها. وجاء نفر من العباد حتى دخلوا على سعد ، فقالوا: أيّها الأمير؛ رأينا جسد رستم على باب قصرك وعليه رأس غيره؛ وكان الضَّرب قد شوَّهه؛ فضحك[١]. (٣: ٥٦٦).

٣٣٥ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا: وقال الدَّيْلَم ورؤساء أهل المسالح الذين استجابوا للمسلمين ، وقاتلوا معهم على غير الإسلام: إخوانُنا الَّذين دَخلوا في الأمر من أوّل الشأن أصوَبُ منَّا وخير ، ولا والله لا يُفْلح أهلُ فارس بعد رستم إلا مَن دخل في هذا الأمر منهم؛ فأسلَموا؛ وخرج صبيان العسكر في القتلى ، ومعهم الأداوَى يسقُون مَن به رَمَقٌ من المسلمين ، ويقتلون مَن به رمَق من المشركين ، وانحدروا من العُذَيْب مع العشاء. قال: وخرج زهرة في طلب الجالنوس ، وخرج القعقاع وأخوه وشرحبيل في طلب مَن ارتفع وسفل ، فقتلوهم في كلّ قرية ، وأجَمة ، وشاطىء نهر ، ورجعوا فوافوا صلاة الظهر ، وهنَّأ الناس أميرَهم ، وأثنى على كلّ حيّ خيراً ، وذكرَه منهم[٢]. (٣: ٥٦٦/ ٥٦٧).

٣٣٦ ـ وعن سيف ، عن البرمكان ، والمجالد عن الشعبيّ ، قال: لحق به زهرة ، فرفع له الكرَة فما يخطئها بنُشَّابة ، فالتقيا فضربه زهرة فجدّ له ـ ولزهرة يومئذ ذُؤابة وقد سُوّد في الجاهليّة ، وحسن بلاؤه في الإسلام وله سابقة ، وهو يومئذ شابٌ ـ فتدرّع زهرة ما كان على الجالنوس ، فبلغ بضعةً وسبعين ألفاً. فلما رجع إلى سعد نزع سَلَبه ، وقال: ألا انتظرتَ إذْني! وتكاتبا ، فكتب عمر إلى

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

سعد: تَعمِد إلى مثل زهرة ـ وقد صليَ بمثل ما صَليَ به ، وقد بقيَ عليك من حربك ما بقيَ ـ تكسر قَرْنَه ، وتُفسد قلبه! امْض له سَلَبَه ، وفضّلْه على أصحابه عند العطاء بخمسمئة[1] . (٣: ٥٦٧/ ٥٦٨) .

٣٣٧ ـ وعن سيف عن عبيد ، عن عصمة ، قال: كتب عمر إلى سعد: أنا أعلم بزُهرة منك ، وإنَّ زهرة لم يكن ليغيّب من سلبِ سلبَه شيئاً؛ فإن كان الّذي سعى به إليك كاذباً فلقَّاه الله مثل زهرة ـ في عضدَيْه يا رَقان ـ وإنّي قد نفّلت كلّ مَنْ قتل رجلاً سلَبه؛ فدفعه إليه فباعه بسبعين ألفاً[2] . (٣: ٥٦٨) .

٣٣٨ ـ وعن سيف عن عبيدة ، عن إبراهيم وعامر: أنَّ أهل البلاء يوم القادسيَّة فُضّلوا عند العطاء بخمسمئة خمسمئة في أعطياتهم ، خمسة وعشرين رجلاً؛ منهم زهرة ، وعصْمة الضّبّيّ ، والكلَج. وأمّا أهل الأيَّام ، فإنه فرِض لهم على ثلاثة آلاف فُضّلوا على أهل القادسيّة[3] . (٣: ٥٦٨) .

٣٣٩ ـ وعن سيف عن عبيدة ، عن يزيد الضَّخم ، قال: فقيل لعمر: لو ألحقتَ بهم أهل القادسيَّة! فقال: لم أكن لألحقَ بهم من لم يدركهم ، وقيل له في أهل القادسيّة: لو فضلت مَن بعُدَتْ داره على مَنْ قاتلهم بفنائه! قال: وكيف أفضّلهم عليهم على بعد دارهم ، وهم شَجن العدوّ ، وما سوَّيت بينهم حتى استطبتهم؛ فهلاّ فعل المهاجرون بالأنصار إذ قاتلوا بفنائهم مثل هذا![4] (٣: ٥٦٨) .

٣٤٠ ـ وعن سيف عن المجالد ، عن الشعبيّ ، وسعيد بن المرزبان عن رجل من بني عبْس ، قال: لمَّا زال رستم عن مكانه ركب بغلاً ، فلمّا دنا منه هلال؛ نزع له نشّابة ، فأصاب قدمه فشكَّها في الرِّكاب ، وقال: «ببايَه» ، فأقبل عليه هلال. فنزل ، فدخل تحت البغل ، فلمَّا لم يصل إليه قطع عليه المال ، ثم نزل إليه ففلق هامتَه[5] . (٣: ٥٦٨) .

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) إسناده ضعيف.
(٥) إسناده ضعيف.

٣٤١ ـ وعن سيف ، عن عبيدة ، عن شقيق ، قال: حملنا على الأعاجم يوم القادسيَّة حَمْلة رجل واحد ، فهزمهم الله ، فلقد رأيتُني أشرتُ إلى أسوارٍ منهم فجاء إليّ وعليه السلاح التامّ ، فضربت عنقه ، ثم أخذت ما كان عليه[١]. (٣: ٥٦٨).

٣٤٢ ـ وعن سيف عن سعيد بن المرزبان ، عن رجل من بني عَبْس ، قال: أصاب أهلَ فارس يومئذ بعد ما انهزموا ما أصاب النَّاس قبلهم؛ قتِلوا حتَّى إن كان الرجل من المسلمين ليدعو الرجُلَ منهم فيأتيه حتى يقوم بين يديه ، فيضرب عنقه ، وحتى إنّه ليأخذ سلاَحَه فيقتله به ، وحتى إنّه ليأمر الرّجليْن أحدَهما بصاحبه؛ وكذلك في العِدّة[٢]. (٣: ٥٦٩).

٣٤٣ ـ وعن سيف عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عمَّن شهدها ، قال: أبصر سَلْمان بن ربيعة الباهليّ أناساً من الأعاجم تحت راية لهم قد حفروا لها ، وجلسوا تحتها ، وقالوا: لا نبرح حتى نموت ، فحمل عليهم فقتلِ مَن كان تحتها وسلبهم. وكان سلمان فارس الناس يوم القادسيَّة ، وكان أحد الَّذين مالوا بعد الهزيمة على مَنْ ثبت ، والآخر عبد الرحمن بن ربيعة ذو النور ، ومال على آخرين قد تكتَّبوا ، ونصبوا للمسلمين فطحنهم بخيله[٣]. (٣: ٥٦٩).

٣٤٤ ـ وعن سيف ، عن الغصن ، عن القاسم ، عن البَهيّ: أن الشعبيّ قال: كان يقال: لسَلْمَان أبصَرُ بالمفاصل من الجازر بمفاصل الجزور. فكان موضع المَحبَس اليوم دارَ عبد الرحمن بن ربيعة ، والتي بينها وبين دار المختار دار سَلْمان؛ وإنّ الأشعث بن قيس استقطع فناء كان قدّامها ، هو اليوم في دار المختار ، فأقْطعه فقال له: ما جرّأك عليَّ يا أشعث؟ والله لئن حُزْتَها لأضربنّك بالجُنثِيّ ـ يعني: سيفه ـ فانظر ما يبقى منك بعدُ ، فصدف عنها ، ولم يتعرّض لها[٤]. (٣: ٥٦٩).

٣٤٥ ـ وعن سيف ، عن المهلَّب ومحمد وطلحة وأصحابه ، قالوا: وثبت

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) إسناده ضعيف.

بعد الهزيمة بضع وثلاثون كتيبة ، استقتلوا واستحيَوْا من الفرار ، فأبادهم الله ، فصمَد لهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين ، ولم يُتبعوا فالَّة القوم ، فصمد سلمان بن ربيعة لكتيبة وعبد الرحمن بن ربيعة ذو النور لأخرى؛ وصمد لكلّ كتيبة منها رأس من رؤساء المسلمين. وكان قتال أهل هذه الكتائب ، من أهل فارس على وجهَيْن؛ فمنهم من كَذَب فهرب ، ومنهم مَنْ ثبت حتى قتل؛ فكان ممَّن هربَ من أمراء تلك الكتائب الهرْمُزان وكان بإزاء عُطارِد ، وأهود ، وكان بإزاء حنْظَلة بن الربيع ، وهو كاتب النبيّ ﷺ ، وزاذُ بن بُهَيْش ، وكان بإزاء عاصم بن عمرو ، وقارن ، وكان بإزاء القعقاع بن عمرو؛ وكان ممَّن استقتل شهْريار بن كنار ، وكان بإزاء سلمان. وابن الهرْبِذ ، وكان بإزاء عبد الرحمن ، والفرُّخان الأهْوازي ، وكان بإزاء بُسر بن أبي رُهْم الجهني ، وخُسْرَوْشنُوم الهمَذانيّ ، وكان بحيال ابن الهذيْل الكاهليّ.

ثم إن سعداً أتْبَع بعد ذلك القعقاع ، وشُرحبيل من صوّب في هزيمته ، أو صعّد عن العسكر ، وَأتبع زهرةَ بن الحَويّة الجالنوس.

ذكر حديث ابن سحاق:

قال أبو جعفر الطبريّ رحمه الله: رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق. قال: ومات المثنَّى بن حارثة ، وتزوّج سعد بن أبي وقَّاص امرأته سلْمى ابنة خَصَفة وذلك في سنة أربع عشرة. وأقام تلك الحجَّة للنَّاس عمر بن الخطاب. ودخل أبو عبيدة بن الجراح تلك السنة دمشق ، فشتا بها ، فلمّا أصافت الرّوم سار هرَقْل في الرّوم حتى نزل أنْطاكِيَةَ ومعه من المستعربة لَخمٌ ، وجذام ، وبَلْقيْن ، وبَلِيّ ، وعامِلة ، وتلك القبائل من قُضاعة ، وغَسّانَ بشر كثير؛ ومعه من أهل أرْمينِية مثل ذلك ، فلمَّا نزلها أقامَ بها ، وبعث الصَّقَلار؛ خَصِيّاً له ، فسار بمئة ألف مُقاتل ، معه من أهل أرمينيَة اثنا عشر ألفاً ، عليهم جَرَجة ، ومعه من المستعربة من غسَّان وتلك القبائل من قضاعة اثنا عشر ألفاً عليهم جَبَلَة بن الأيهم الغسَّانيُّ ، وسائرهم من الرّوم؛ وعلى جماعة الناس الصَّقَلار خصيّ هرقل؛ وسار إليهم المسلمون وهم أربعة وعشرون ألفاً عليهم أبو عبيدة بن الجراح ، فالتقوْا باليَرْموك في رجب سنة خمس عشرة؛ فاقتتل الناس قتالاً شديداً حتى دُخِل عسكر المسلمين ، وقاتل نساء من نساء قريش بالسيوف حين دخِل العسكر ـ منهنّ أم حكيم بنت الحارث بن

هشام ـ حتى سابَقن الرجال ، وقد كان انضمّ إلى المسلمين حين ساروا إلى الرّوم ناس من لَخْم ، وجُذام؛ فلمَّا رأوا جِدّ القتال فرّوا ونجوا إلى ما كان قُرْبهم من القُرى ، وخذلوا المسلمين[١] . (٣: ٥٦٩/ ٥٧٠/ ٥٧١) .

٣٤٥ ـ حدّثنا ابن حُمَيد ، قال: حدّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عروة بن الزُّبير ، عن أبيه ، قال: قال قائل من المسلمين حين رأى من لخم ، وجذام ما رأى:

القومُ لَخمٌ وجُذامٌ في الهرَبْ ونحنُ والرومُ بمرْجٍ نَضطرِبْ

فإن يعودوا بَعْدَها لا نَصْطَحِبْ[٢]

٣٤٦ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة عن ابن إسحاق ، عن وهب ابن كيسان ، عن عبد الله بن الزُّبير ، قال: كنت مع أبي الزبير عامَ اليرموك؛ فلمّا تعبَّى المسلمون للقتال؛ لبس الزُّبير لأمتَه ، ثم جلس على فرسه ، ثم قال لمولَيَين له: احبسا عبدَ الله بن الزُّبير معكما في الرَّحْل؛ فإنه غلام صغير. قال: ثم توجَّه فدخل في الناس؛ فلمّا اقتتل النَّاس والرّوم؛ نظرت إلى ناس وقوف على تلّ لا يقاتلون مع الناس. قال: فأخذت فرساً للزبير كان خلَّفه في الرّحل فركبته ، ثم ذهبت إلى أولئك الناس فوقفت معهم؛ فقلت: أنظر ما يصنع الناس؛ فإذا أبو سفيان بن حرب في مَشْيَخة من قريش من مُهاجِرة الفتح وقوفاً لا يقاتلون؛ فلمَّا رأوْني رأوْا غلاماً حَدَثاً ، فلم يتَّقوني. قال: فجعلوا والله إذا مال المسلمون وركبَتْهم الحرب للروم يقولون: إيه إيه بَلأصْفَر! فإذا مالت الرّوم وركبهم المسلمون ، قالوا: يا ويح بَلأصْفَر! فجعلتُ أعجب من قولهم ، فلمَّا هزم الله الرّوم ورجع الزُّبير ، جعلت أحدّثه خبرهم. قال: فجعل يضحك ويقول: قاتلهم الله ، أبوْا إلاّ ضِغناً! وماذا لهم إن يَظْهَرْ علينا الرّوم! لنحن خير لهم منهم.

ثم إنّ الله تبارك وتعالى أنزل نصره ، فهزِمت الرّوم وجموع هرقل التي جمع ، فأصيبِ من الرُّوم ـ أهل إرمينيَة ، والمستعربة ـ سبعون ألفاً ، وقتل الله الصّقلار ، وباهان؛ وقد كان هرقل قدّمه مع الصّقَلار حين لحق به ، فلمّا هزمت الروم بعث

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

أبو عبيدة عياض بن غَنْم في طلبهم ، فسلك الأعماق حتى بلغ مَلَطْيَة ، فصالحه أهلها على الجزية ، ثم انصرف ، ولما سمع هرقل بذلك بعث إلى مقاتلتها ومَن فيها ، فساقهم إليه ، وأمر بمَلَطْية فحُرِقت. وقُتل من المسلمين يوم اليرموك من قريش من بني أميَّة بن عبد شمس عمروُ بن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد بن العاص؛ ومن بني مخزوم عبد الله بن سفيان بن عبد الأسد ، ومن بني سهم سعيد بن الحارث بن قيس.

قال: وفي آخر سنة خمس عشرة ، قتل الله رستم بالعراق؛ وشهد أهل اليرموك حين فرغوا منه يوم القادسيَّة مع سعد بن أبي وقَّاص ، وذلك: أنّ سعداً حين حسر عنه الشتاء ، سار من شَراف يريد القادسيَّة ، فسمع به رستم ، فخرج إليه بنفسه؛ فلمّا سمع بذلك سعد وقف ، وكتب إلى عمر يستمدُّه؛ فبعث إليه عمر المغيرة بن شعبة الثقفيّ في أربعمئة رجل مدداً من المدينة ، وأمدَّه بقيس بن مكشوح المراديّ في سبعمئة ، فقدموا عليه من اليرموك. وكتب إلى أبي عبيدة: أن أمدّ سعد بن أبي وقَّاص أميرَ العراق بألف رجل من عندك؛ ففعل أبو عبيدة ، وأمَّر عليهم عياض بن غَنْم الفِهْريّ؛ وأقام تلك الحِجَّة للناس عمر بن الخطاب سنة خمس عشرة.

وقد كان لكسرى مُرابطة في قصر بني مقاتل ، عليها النُّعمان بن قَبيصة؛ وهو ابن حيّة الطائيّ ابن عمّ قَبيصة بن إياس بن حيَّة الطائيّ صاحب الحيرة؛ فكان في منظَرة له ، فلمّا سمع بسعد بن أبي وقاص سأل عنه عبدَ الله بن سنان بن جرير الأسديّ؛ ثم الصَّيْداوِيّ ، فقيل له: رجل من قريش ، فقال: أمَّا إذ كان قُرَشِيّاً؛ فليس بشيء؛ والله لأجاهدنَّه القتال؛ إنما قريش عبيد مَن غَلب؛ والله ما يمنعون خفيراً ، ولا يخرجون من بلادهم إلا بخفير؛ فغضب حين قال ذلك عبدُ الله بن سنان الأسديّ ، فأمهله حتى إذا دخل عليه وهو نائم ، فوضع الرمح بين كتِفَيْه فقتله ، ثم لحق بسعد ، فأسلم. وقال في قتله النُّعمان بن قَبِيصة:

لقد غادَرَ الأقوامُ ليلَةَ أَدْلَجوا ... بقصرِ العِبادِي ذَا الفَعالِ مُجَدّلا
دَلَفْتُ له تحت العَجاجِ بِطَعْنَةٍ ... فأصبح منها في النّجيعِ مُرَمَّلا
أقولُ له والرمح في نُغْضِ كِتْفِهِ ... أبا عامِرٍ عنك اليمينُ تحَلَّلا
سَقَيْتُ بها النّعمانَ كأساً رَوِيَّةً ... وعاطيتُه بالرُّمح سمّاً مُثَمَّلا

تـركـتُ سبـاعَ الجَـوِّ يعْـرِفـن حـولـه وقـد كـان عنهـا لابـن حيَّـةَ مَعْـزِلا
كفيــتُ قــريشــاً إذ تَغيَّــبَ جَمْعُهــا وهَــدَّمــتُ للنُّعمــان عِــزّاً مُــؤثَّــلا

ولمّا لحق سعد بن أبي وقّاص المغيرة بن شعبة ، وقيس بن مكشوح فيمن معهما؛ سار إلى رستم حين سمع به حتى نزل قادِسَ ـ قرية إلى جانب العُذَيب ـ فنزل الناس بها ، ونزل سعد في قصر العُذيب ، وأقبل رستم في جموع فارس ستين ألفاً ممّا أحْصيَ لنا في ديوانه ، سوى التّباع والرقيق ، حتى نزل القادسيَّة وبينه وبين الناس جسرُ القادسيَّة ، وسعد في منزله وَجِعٌ ، قد خرج به قَرْح شديد ، ومعه أبو مِحْجَن بن حبيب الثقفيّ محبوس في القصر ، حبسه في شرب الخمر ، فلمَّا أن نزل بهم رستم بعث إليهم أن ابعثوا إليَّ رجلاً منكم جليداً أكلّمْه ، فبعثوا إليه المغيرة بن شعبة ، فجاءه وقد فرق رأسه أربع فِرَق: فرقة من بين يديه إلى قفاه ، وفرقة إلى أذنيْه ، ثم عقصَ شعره ، ولبس بُرداً له ، ثم أقبل حتى انتهى إلى رستم ، ورستم من وراء الجسر العتيق ممَّا يلي العراق ، والمسلمون من ناحيته الأخرى ممَّا يلي الحجاز فيما بين القادسيَّة والعُذَيب ، فكلَّمه رستم ، فقال: إنّكم معشر العرب كنتم أهل شَقاء وجهد ، وكنتم تأتوننا من بين تاجر ، وأجير ، ووافد ، فأكلتم من طعامنا ، وشربتم من شرابنا ، واستظللتم من ظلالنا؛ فذهبتم ، فدعوتم أصحابَكم ، ثم أتيتمونا بهم ، وإنما مَثَلُكم مَثَل رجل كان له حائط من عِنَب ، فرأى فيه ثعلباً واحداً ، فقال: ما ثعلب واحد! فانطلق الثعلب ، فدعا الثعالب إلى الحائط؛ فلمّا اجتمعن فيه جاء الرجل فسدّ الجُحْر الذي دخلْن منه ، ثم قتلهنّ جميعاً. وقد أعلم: أن الذي حملكم على هذا معشر العرب الجَهدُ الذي قد أصابكم؛ فارجعوا عنَّا عامكم هذا ، فإنَّكم قد شغلتمونا عن عِمارة بلادنا ، وعن عدوّنا ، ونحن نُوقِر لكم ركائبكم قمحاً ، وتمراً ، ونأمر لكم بكُسوة ، فارجعوا عنّا عافاكم الله!

فقال المغيرة بن شعبة: لا تذكُر لنا جهداً إلاّ وقد كنا في مثله أو أشدّ منه؛ أفضلُنا في أنفسنا عيشاً الذي يقتل ابنَ عمّه ، ويأخذ ماله فيأكله ، نأكل الميتة ، والدم ، والعظام ، فلم نزل كذلك؛ حتَّى بعث الله فينا نبيّاً ، وأنزل عليه الكتاب ، فدعانا إلى الله وإلى ما بعثه به ، فصدّقه منّا مصدّق ، وكذّبه منّا آخر ، فقاتل مَن صدّقه مَن كذبه ، حتى دخلنا في دينه؛ من بين مُوقِن به ، وبين مقهور؛ حتَّى

استبان لنا: أنه صادق، وأنه رسول من عند الله. فأمرنا أن نقاتل مَن خالفنا، وأخبرنَا: أن من قُتل منّا على دينه فله الجنّة، ومَنْ عاش ملك وظهر على من خالفه؛ فنحن ندعوك إلى أن تؤمن بالله ورسوله، وتدخل في ديننا، فإن فعلت كانت لك بلادك، لا يدخل عليك فيها إلاّ من أحببتَ، وعليك الزكاة والخُمس، وإن أبيتَ ذلك فالجزية؛ وإن أبيتَ ذلك قاتلناك حتى يحكم الله بيننا وبينك.

قال له رستم: ما كنت أظن أني أعيش حتى أسمع منكم هذا معشر العرب! لا أمسي غداً حتى أفرُغ منكم، وأقتلكم كلّكم. ثمّ أمر بالعَتيق أن يُسكَر، فبات ليلته يسكر بالبراذع، والتراب، والقَصَب؛ حتى أصبح، وقد تركه طريقاً مَهْيَعاً، وتعبَّى له المسلمون، فجعل سعد على جماعة الناس خالد بن عُرْفُطة حليف بني أميَّة بن عبد شمس، وجعل على ميمنة الناس جرير بن عبد الله البَجَليّ، وجعل على ميسرتهم قيس بن المكشوح المُراديّ.

ثم زحف إليهم رستم، وزحف إليه المسلمون، وما عامَّةُ جُننِهِم[1]. (٣: ٥٧١/ ٥٧٢/ ٥٧٣/ ٥٧٤/ ٥٧٥).

٣٤٧ - وحدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة عن ابن إسحاق، عن عبد الرحمن بن الأسْوَد النّخَعيّ، عن أبيه، قال: شهدت القادسيَّة؛ فلقد رأيت غلاماً منّا من النَّخَع يسوق ستين أو ثمانين رجلاً من أبناء الأحرار. فقلت: لقد أذلّ الله أبناءَ الأحرار![2] (٣: ٥٧٦).

٣٤٨ - حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق، عن إسماعيل بن أبي خالد، مولى بَجِيلة، عن قيس بن أبي حازم البَجَليّ - وكان ممَّن شهد القادسيَّة مع المسلمين - قال: كان معنا يوم القادسيَّة رجل من ثَقِيف، فلحق بالفُرْس مرتدّاً، فأخبرهم: أنَّ بأس الناس في الجانب الذي به بَجِيلة. قال: وكُنَّا رُبع النَّاس؛ فوجَّهوا إلينا ستة عشر فيلاً، وإلى سائر الناس فيلَيْن، وجعلوا يُلقون تحت أرجُل خيولنا حَسك الحديد، ويرشقوننا بالنُّشَّاب، فكأنَّه المطر

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

علينا ، وقرنوا خيلهم بعضها إلى بعض لئلا يفرُّوا. قال: وكان عمرو بن معديكرب يمرّ بنا فيقول: يا معشَر المهاجرين ، كونوا أسوداً ، فإنّما الأسد من أغنَى شأنه؛ فإنّما الفارسيّ تيس إذا ألقى نيْزكه.

قال: وكان أسوار منهم لا يكاد تسقط له نُشَّابة ، فقلنا له: يا أبا ثوْر ! اتّقِ ذلك الفارسيّ فإنه لا تقع له نُشَّابة؛ فتوجَّه إليه ورماه الفارسيّ بنشَّابة فأصاب قوسه ، وحمل عليه عمرو فاعتنقه فذبحه ، واستلبه سوارَيْن من ذهب ومنطقة من ذهب ويَلْمقاً من ديباج ، وقتل الله رستم ، وأفاء على المسلمين عسكرَه وما فيه ، وإنما المسلمون ستة آلاف ، أو سبعة آلاف ، وكان الذي قتل رستم هلال بن علَّفة التَّيْميّ رآه فتوجَّه إليه ، فرماه رستم بنشَّابة ، فأصاب قدمه وهو يُتْبعه ، فشكَّها إلى ركاب سَرْجه ، ورستم يقول بالفارسية: «بپايه» ، أي «كما أنت»؛ وحمل عليه هلال بن عُلَّفة فضربه فقتله ، ثم احتزَّ رأسه فعلَّقه ، وولَّت الفُرس فأتبعهم المسلمون يقتلونهم؛ فلما بلغت الفرس الخرَّارة ، نزلوا فشربوا من الخمر ، وطعِموا من الطعام ، ثم خرجوا يتعجَّبون من رَميهم ، وأنّه لم يعمل في العرب. وخرج جالنوس فرفعوا له كُرَةً فهو يرميها ويشكّها بالنّشاب ، ولحق بهم فرسان من المسلمين وهم هنالك ، فشدّ على جالنوس زُهرة بن حَوِيَّة التميميّ ، فقتله ، وانهزمت الفرس ، فلحقوا بدير قُرّةَ وما وراءه ، ونهض سعد بالمسلمين حتى نزل بدير قُرّة على من هنالك من الفرس؛ وقد قدم عليهم وهم بدير قرّة عياض بن غَنْم في مدده من أهل الشام ، وهم ألف رجل ، فأسْهَمَ له سعد ولأصحابه مع المسلمين فيما أصابوا بالقادسيَّة ، وسعد وَجِعٌ من قَرْحته تلك ، وقال جرير بن عبد الله:

أنا جريرٌ كُنْيتِي أبو عَمرْو ... قد نَصَرَ اللهُ وسَعْدٌ في القَصِرْ

وقال رجل من المسلمين أيضاً:

نُقاتِلُ حتى أنْزَلَ اللهُ نَصْرَهُ ... وسَعْدٌ بباب القادسيّة مُعْصِمُ

فأُبْنا وقد آمَت نِساءٌ كثيرةٌ ... ونِسْوَةُ سَعْدٍ ليسَ فيهنَّ أَيِّمُ

قال: ولما بلغ ذلك من قولهما سعداً ، خرج إلى الناس فاعتذر إليهم ، وأراهم ما به من القَرْح في فَخِذَيْه وأليَتَيْه ، فعذره الناس ، ولم يكن سعد لَعَمْري يُجبِّن ، فقال سعد يجيب جريراً فيما قال:

وما أَرْجُو بَجيلةَ غَيْرَ أَنِّي ... أؤمِّلُ أَجْرَهمِ يوم الحِسَابِ
فقد لَقِيَتْ خُيُولُهُمُ خيولاً ... وقَدْ وَقَعَ الفَوارِسُ في ضرابِ
وقد دلَفَتْ بعَرْصتهم فيولٌ ... كأنّ زُهاءَها إبلٌ جِرابُ

ثم إنّ الفرس هربت من دير قُرّة إلى المدائن يريدون نهاوَنْد، واحتملوا معهم الذّهب، والفضة، والديباج، والفِرِنْد، والحرير، والسلاح، وثياب كسرى، وبناته، وخلّوا ما سوى ذلك، وأتبعهم سعد الطلبَ من المسلمين، فبعث خالد بن عُرْفُطة حليف بني أمية، ووجّه معه عياض بن غَنْم في أصحابه، وجعل على مقدّمة النَّاس هاشم بن عُتْبة بن أبي وقَّاص، وعلى ميمنتهم جرير بن عبد الله البَجَلي، وعلى ميسرتهم زُهرة بن حَوِيّة التميميّ؛ وتخلَّف سعد لما به من الوَجَع؛ فلمَّا أفاق سعد من وجعه ذلك اتّبع الناسَ بمن بِقيَ معه من المسلمين؛ حتى أدركهم دون دجلة على بَهُرَسِير، فلمَّا وضعوا على دجلة العسكر والأثقال طلبوا المخاضة، فلم يهتدوا لها؛ حتى أتى سعداً عِلْج من أهل المدائن، فقال: أدُلُّكم على طريق تُدركونهم قبل أن يُمْعِنوا في السير! فخرج بهم على مخاضة بقَطْرَ بُّلَ، فكان أول مَن خاض المخاضة هاشم بن عُتبة في رَجْله، فلمَّا جاز اتَّبعته خيله، ثم أجاز خالد بن عُرْفُطة بخيله، ثم أجاز عياض بن غَنْم بخيله، ثم تتابع الناس فخاضوا حتى أجازوا؛ فزعموا أنه لم يُهْتَدَ لتلك المخاضة بعد. ثم ساروا حتى انتهَوْا إلى مُظْلِم سَاباطَ، فأشفق النَّاس أن يكون به كمين للعدّو، فتردّد الناس، وجبنوا عنه؛ فكان أول منْ دخله بجيشه هاشم بن عُتبة، فلمّا أجاز؛ ألاح للناس بسيفه، فعرَّف الناس أن ليس به شيء يخافونه، فأجاز بهم خالد بن عُرْفُطة، ثم لحق سعد بالناس؛ حتى انتهوا إلى جَلولاء وبها جماعة من الفرس، فكانت وقعة جلولاء بها، فهزم الله الفرس، وأصاب المسلمون بها من الفيء أفضلَ مما أصابوا بالقادسيَّة، وأصيبت ابنة لكسرى، يقال لها: منجانة؛ ويقال: بل ابنة ابنه. وقال شاعر من المسلمين:

يا رُبَّ مُهْرٍ حَسَنٍ مُطَهَّمْ ... يَحْمِلُ أثقالَ الغُلامِ المُسْلِمْ
يَنْجُو إلى الرّحمن من جهنَّمْ ... يومَ جَلولاءَ ويوم رُسْتُمْ
ويومَ زحفِ الكوفة المُقدَّمْ ... ويوم لاقَى ضَيْقَة مُهَزَّمْ

وخرَّ دينُ الكافِرين للفَمْ

ثم كتب سعد إلى عمر بما فتح الله على المسلمين، فكتب إليه عمر: أن قِفْ ولا تطلبوا غير ذلك، فكتب إليه سعد أيضاً: إنما هي سُرْبة أدركناها والأرض بين أيدينا، فكتب إليه عمر: أن قف مكانك ولا تُتبعهم، واتَّخذْ للمسلمين دار هجرة ومنزل جهاد، ولا تجعل بيني وبين المسلمين بحراً. فنزل سعد بالناس الأنبار، فاجتوَوْها وأصابتهم بها الحُمَّى، فلم توافقهم، فكتب سعد إلى عمر يخبره بذلك، فكتب إلى سعد أنه لا تصلح العرب إلا حيث يصلح البعير والشاة في منابت العُشب؛ فانظر فلاةً في جنب البحر فارتَدْ للمسلمين بها منزلاً.

قال: فسار سعد حتى نزل كُوَيْفة عمرو بن سعد، فلم توافق النَّاس مع الذّباب والحمّى. فبعث سعد رجلاً من الأنصار يقال له: الحارث بن سلَمة ـ ويقال: بل عثمانَ بن حُنَيْف، أخا بني عمرو بن عوف ـ فارتاد لهم موضع الكوفة اليوم، فنزلها سعد بالنَّاس، وخطّ مسجدها، وخطّ فيها الخِطَطَ للنَّاس.

وقد كان عمر بن الخطاب خرج في تلك السنة إلى الشام، فنزل الجابِيَة، وفتحت عليه إيليَاء؛ مدينة بيت المقدِس، وبعث فيها أبو عبيدة بن الجراح حنظلةَ بن الطُّفيل السُّلَميّ إلى حِمْص، ففتحها الله على يديه، واستعمل سعد بن أبي وقّاص على المدائن رجلاً من كِنْدة، يقال له: شُرَحْبيل بن السِّمط؛ وهو الذي يقول فيه الشاعر:

ألا لَيْتَني والمَرْءَ سعدَ بن مالك ... ورَبْراءَ وابن السّمْطِ في لُجَّة البَحْرِ[1]

(٣: ٥٧٦/ ٥٧٧/ ٥٧٨/ ٥٧٩).

ذكر أحوال أهل السَّواد

٣٤٩ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن عبد الملك بن عُمَيْر، عن قَبيصة بن جابر، قال: قال رجل منَّا يوم القادسيَّة مع الفتح:

نقاتل حتى أنزلَ الله نصرَهُ ... وسعدٌ ببابِ القادسيّة معصِمُ

فأُبْنا وقد آمَتْ نساء كثيرةٌ ... ونسوة سعدٍ ليسَ فيهنّ أيِّمُ

فبعث بها في الناس، فبلغت سعداً، فقال: اللهمّ إن كان كاذباً، أو قال

(١) إسناده ضعيف.

الذي قال رياءً ، وسُمْعة ، وكَذِباً؛ فاقطع عني لسانه ، ويَده .

وقال قَبِيصة: فوالله إنَّه لواقف بين الصفَّين يومئذ؛ إذ أقبلت نُشَّابة لدعوة سعد ، حتى وقعت في لسانه فيبس شِقُّه؛ فما تكلَّم بكلمة حتى لحق بالله[1]. (٣: ٥٧٩/ ٥٨٠).

٣٥٠ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن المقدام بن شُرَيْح الحارِثيّ ، عن أبيه ، قال: قال جرير يومئذ:

أنا جريرٌ كنيتِي أبو عمْرْو ... قدْ نصرَ الله وسعد في الْقَصِرْ

فأشرف عليه سعد ، فقال:

وما أرْجو بَجِيلةَ غيرَ أنِّي ... أؤمّلُ أجْرَها يومَ الحِسَابِ
وقد لَقِيَتْ خُيُولُهُمْ خُيُولاً ... وقدْ وقع الفَوارِسُ في الضِّرَابِ
فلولا جَمْعُ قَعقاع بن عَمْرٍو ... وحمّالٍ لَلَجُّوا في الكِذابِ
هُمُ منعوا جُموعَكُمْ بطَعْنٍ ... وضَرْبٍ مِثْلِ تَشْقيقِ الإهابِ
ولولا ذاك ألفيتُمْ رَعاعاً ... تُشَلُّ جموعُكم مثل الذُّبابِ[2]

(٣: ٥٨٠).

٣٥١ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن سليمان بن بشير ، عن أمّ كثير ـ امرأة همّام بن الحارث النَّخَعيّ ـ قالت: شهدنا القادسيَّة مع سعد مع أزواجنا ، فلمَّا أتانا أن قد فُرِغ من الناس شددنا علينا ثيابَنا ، وأخذنا الهَراوَى ، ثم أتينا القتْلى؛ فما كان من المسلمين سقيناه ورفعناه؛ وما كان من المشركين أجهزنا عليه ، وتبعنا الصِّبْيان نولّيهم ذلك ، ونصرّفهم به[3]. (٣: ٥٨١).

٣٥٢ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عطيَّة ـ وهو ابن الحارث ـ عمَّن أدرك ذلك؛ قال: لم يكن من قبائل العرب أحد أكثر امرأةً يوم القادسيَّة من بَجِيلة والنَّخَعَ ، وكان في النَّخَعَ سبعمئة امرأة فارغة ، وفي بَجِيلة ألف ، فصاهر هؤلاء ألفٌ من أحياء العرب ، وهؤلاء سبعمئة ، وكانت النَّخَع

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

تُسمَّى أصهار المهاجرين ، وبجيلة ، وإنّما جرّأهم على الانتقال بأثقالهم توطئةُ خالد ، والمثنَّى بعد خالد ، وأبي عُبيد بعد المثنَّى ، وأهل الأيّام ، فلاقوْا بأساً بعد ذلك شديداً[١] . (٣ : ٥٨١) .

٣٥٣ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمَّد ، والمهلَّب ، وطلحة ، قالوا: وكان بُكَيْر بن عبد الله اللَّيْثيّ ، وعتبة بن فَرْقَد السُّلَميّ ، وسماك بن خَرَشة الأنصاريّ ـ وليس بأبي دُجانة ـ قد خطبوا امرأة يوم القادسيَّة ، وكانَ مع النَّاس نساؤهم؛ وكانت مع النَّخَع سبعمئة امرأة فارغة؛ وكانوا يُسمَّوْن أختانَ المهاجرين حتى كان قريباً؛ فتزوجهنّ المهاجرون قبل الفتح وبعد الفتح؛ حتى استوعبوهنّ ، فصار إليهن سبعمئة رجل من الأفناء؛ فلَّما فرغ النَّاس؛ خطب هؤلاء النَّفر هذه المرأة ـ وهي أرْوَى ابنة عامر الهلاليَّة ـ هلال النَّخَع؛ وكانت أختها هُنَيْدة تحتَ القعقاع بن عمرو التميميّ ، فقالت لأختها: استشيري زوجَك: أيهم يراه لنا! ففعلت؛ وذلك بعد الوقعة وهم بالقادسيَّة؛ فقال القعقاع: سأصفهم في الشعر فانظري لأختك ، وقال:

إن كنتِ حاولتِ الدّراهم فانكِحِي ... سماكاً أخا الأنصار أوْ ابن فَرْقَدِ
وإن كنتِ حاولتِ الطِّعان فيمِّمي ... بكَيْراً إذا ما الخيلُ جالَتْ عن الرَّدِي
وكلُّهُمُ في ذِرْوة المجدِ نَازلٌ ... فشأنكُمُ إنّ البَيانَ عن الغَد

وقالوا: وكانت العرب توقَّعُ وقعة العرب؛ وأهل فارس في القادسيّة فيما بين العُذيب إلى عَدَن أبْيَن ، وفيما بين الأُبلّةِ وأيلَة يروْن: أنّ ثبات مُلكهم ، وزواله بها ، وكانت في كلّ بلد مُصيخةً إليها ، تنظُر ما يكون من أمرها؛ حتَّى إن كان الرجل ليريد الأمر فيقول: لا أنظر فيه حتّى أنظر ما يكون من أمر القادسيَّة. فلمّا كانت وقعة القادسيّة سارت بها الجنّ ، فأتت بها ناساً من الإنس ، فسبقت أخبار الإنس إليهم؛ قالوا: فبدرت امرأة ليلاً على جبل بصَنْعَاء ، لا يُدرَى مَنْ هي؟ وهي تقول:

حُيِّيتِ عنَّا عِكْرِمَ ابنةَ خالِدِ ... وما خَيْرُ زادٍ بالقَليل المُصَرَّدِ
وحَيَّتْكِ عنّي الشمسُ عند طُلوعها ... وحَيّاكِ عنّي كلُّ ناجٍ مُفَرَّدِ

---

(١) إسناده ضعيف.

وحَيَّتْكِ عنّي عُصْبَةٌ نَخَعِيَّةٌ حسانُ الوُجوهِ آمَنوا بِمُحَمَّدِ
أَقاموا لِكِسْرَى يَضْرِبون جُنودَه بكلِّ رَقيقِ الشَّفْرَتَيْن مُهَنَّدِ
إذَا ثَوَّبَ الدَّاعي أناخوا بكَلْكَلٍ منَ الموت تَسْوَدُّ الغَياطِلُ مُجْرَدِ

وسمع أهل اليمامة مجتازاً يغنِّي بهذه الأبيات:

وَجدْنا الأكْثَرين بني تميمٍ غداةَ الرَّوْع أَصْبَرَهُمْ رِجالا
هُمُ ساروا بِأَرْعَنَ مُكْفَهِرٍّ إلى لَجِبٍ فَزَرَّتْهُمْ رِعالا
بُحُورٌ لِلأَكاسِرِ مِن رِجالٍ كأُسْدِ الغاب تحسَبُهُمْ جِبالا
تَركْنَ لهم بقادِسَ عِزَّ فَخْرٍ وبالخيفَيْن أَيّاماً طِوالا
مُقَطَّمَةً أكفُّهمُ وسُوقٌ بِمِردىً حيثُ قابلَتِ الرِّجالا

قال: وسُمِعَ بنحو ذلك في عامة بلاد العرب[1]. (٣: ٥٨١/ ٥٨٢).

٣٥٤ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن مجالد بن سعيد؛ قال: لمّا أتى عمرَ بن الخطاب نزولُ رستم القادسيَّة، كان يستخبِر الرّكبان عن أهل القادسيَّة من حين يُصبح إلى انتصاف النهار، ثم يرجع إلى أهله ومنزله. قال: فلمَّا لقيَ البشير سأله من أين؟ فأخبره، قال: يا عبدَ الله حدِّثني! قال: هزم الله العدّو، وعمر يخُبّ معه ويستخبره والآخر يسير على ناقته ولا يعرفه؛ حتى دخل المدينة، فإذا الناس يسلِّمون عليه بإمْرة المؤمنين، فقال: فهلاّ أخبرتَني رحمك الله: أنَّك أمير المؤمنين؟! وجعل عمر يقول: لا عليك يا أخي[2]! (٣: ٥٨٣).

٣٥٥ ـ كتب إلي السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلّب، وزياد، قالوا: وأقام المسلمون في انتظار بلوغ البشير وأمرِ عمر، يقوِّمون أقباضهم، ويَحزُرون جندَهم، ويرمُّون أمورهم. قالوا: وتتابع أهلُ العراق من أصحاب الأيّام الذين شهدوا اليرموك ودمشق، ورجعوا مُمِدِّين لأهل القادسيَّة، فتوافوْا بالقادسيَّة من الغد ومن بعد الغد، وجاء أوّلهم يوم أغواث، وآخرهم من بعد الغد من يوم الفتح، وقدمت أمداد فيها مُراد، وهَمْدان، ومن أفناء الناس، فكتبوا فيهم إلى عمر يسألونه عمَّا ينبغي أن يُسار بهم فيهم ـ وهذا

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

الكتاب الثاني بعد الفتح ـ مع نذير بن عمرو. ولمَّا أتى عمَرَ الفتح قام في النَّاس فقرأ عليهم الفتح، وقال: إني حريص على ألاّ أدَعَ حاجة إلاّ سددتها ما اتَّسع بعضنا لبعض، فإذا عجز ذلك عنَّا تآسينا في عيشنا حتى نستوِيَ في الكفَاف، ولوددت أنّكم علمتم من نفسي مثل الذي وقع فيها لكم، ولستُ معلِّمكم إلاّ بالعمل؛ إني والله ما أنا بملكٍ فأستعبدكم، وإنَّما أنا عبدُ الله عَرَضَ عليّ الأمانة، فإن أبيتُها ورددتها عليكم واتَّبعتكم حتى تشبعوا في بيوتكم، وترووْا؛ سعدتُ، وإن أنا حملتها، واستتبعتُها إلى بيتي؛ شقيت؛ ففرِحتُ قليلاً، وحزِنت طويلاً، وبقيت لا أقال، ولا أرَدّ فأستعتب.

قالوا: وكتبوا إلى عمر مع أنس بن الحُليس: إنَّ أقواماً من أهل السَّواد ادّعوا عهوداً، ولم يُقِمْ على عهد أهل الأيام لنا، ولم يفِ به أحد علمناه إلاّ أهل بانقيا وبَسْما وأهل أُلَّيْس الآخرة، وادّعى أهل السَّواد: أنَّ فارس أكرهوهم، وحشروهم؛ فلم يخالفوا إلينا؛ ولم يذهبوا في الأرض.

وكتب مع أبي الهيّاج الأسديّ ـ يعني: ابن مالك ـ: إنّ أهلَ السَّواد جلوا، فجاءنا مَن أمسك بعهده، ولم يُجلب علينا؛ فتمّمنا لهم ما كان بين المسلمين قبلنا وبينهم؛ وزعموا: أنّ أهلَ السَّواد قد لحقوا بالمدائن، فأحدِث إلينا فيمن تمَّ، وفيمن جلا، وفيمن ادّعى: أنه استكرِه، وحشر، فهرب، ولم يقاتل، أو استسلم، فإنَّا بأرض رغيبة، والأرض خلاء من أهلها، وعددنا قليل، وقد كثر أهل صُلحنا، وإنّ أعمرَ لنا وأوهن لعدوّنا تألُّفهم. فقام عمر في الناس فقال: إنَّه مَن يعمل بالهوى والمعصية؛ يسقط حظُّه، ولا يضرّ إلا نفسه، ومَنْ يتَّبع السُّنَّة وينته إلى الشرائع، ويلزم السبيل النَّهْج ابتغاء ما عند الله لأهل الطاعة؛ أصاب أمره، وظفر بحظّهِ، وذلك بأنَّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ وقد ظفر أهل الأيّام والقوادس بما يليهم، وجلا أهله، وأتاهم مَنْ أقام على عهدهم، فما رأيكم فيمن زعم أنه استُكرِه وحُشر؛ وفيمن لم يدّع ذلك ولم يُقِم وجَلاَ، وفيمن أقام ولم يدّع شيئاً، ولم يَجْلُ، وفيمن استسلم. فأجمعوا على أنّ الوفاء لمن أقام وكفّ لم يزده غَلَبُه إلا خيراً، وأن من ادّعى فصُدِّق أو وفى فبمنزلتهم، وإن كُذِّب نُبذ إليهم وأعادوا صلحهم؛ وأن يُجعل أمر مَنْ جلا إليهم، فإن شاؤوا وادعوهم وكانوا لهم ذمَّة، وإن شاؤوا تمّوا على

منعِهم من أرضهم ولم يُعطوهم إلاّ القتال؛ وأن يخيِّروا مَن أقام واستسلم: الجِزاء ، أو الجَلاء ، وكذلك الفلاّح .

وكتب جواب كتاب أنس بن الحُليس : أمَّا بعدُ؛ فإنَّ الله جل وعلا أنزل في كلّ شيءٍ رُخْصة في بعض الحالات إلاّ في أمرين: العدلِ في السِّيرة والذّكر؛ فأمَّا الذكر فلا رخصة فيه في حاح

لة ، ولم يرضَ منه إلاَّ بالكثير ، وأمَّا العدل فلا رخصة فيه في قريب ولا بعيد ، ولا في شدّة ولا رخاء ، والعدل ـ وإن رُئيَ ليِّناً ـ فهو أقوى وأطفأ للجور ، وأقمَع للباطل من الجوْر ، وإن رُئي شديداً فهو أنكشُ للكفر؛ فمن تَمّ على عهده من أهلِ السَّواد ، ولم يُعِنْ عليكم بشيء؛ فلهم الذمّة ، وعليهم الجِزْية؛ وأمَّا مَن ادّعى أنه استكرِه ممن لم يخالِفهم إليكم أو يذهب في الأرض؛ فلا تصدّقوهم بما ادّعوْا من ذلك إلاّ أن تشاؤوا؛ وإن لم تشاؤوا؛ فانبذوا إليهم ، وأبلغوهم مأمنَهم .

وأجابهم في كتاب أبي الهيَّاجِ: أمَّا من أقام ولم يَجْلُ وليس له عهد فلهم ما لأهل العهد بمقامهم لكم ، وكفهم عنكم إجابة ، وكذلك الفلاّحون إذا فعلوا ذلك؛ وكلّ من ادّعى ذلك فصُدّق فلهم الذمَّة؛ وإن كذّبوا؛ نُبذ إليهم؛ وأمَّا مَنْ أعان وجلا؛ فذلك أمرٌ جعله الله لكم؛ فإن شئتم فادعُوهم إلى أن يقيموا لكم في أرضهم ، ولهم الذِّمَّة ، وعليهم الجِزية؛ وإن كرهوا ذلك ، فاقسموا ما أفاء الله عليكم منهم .

فلمّا قدمتْ كتُب عمر على سعد بن مالك والمسلمين؛ عرضوا على مَن يليهم مِمَّنْ جلا وتنحّى عن السواد أن يتراجعوا ، ولهم الذمَّة وعليهم الجزية ، فتراجعوا وصاروا ذمَّة كمن تمّ ولزم عهدَه؛ إلاَّ أن خراجهم أثقل؛ فأنزلوا من ادّعى الاستكراه وهرب منزلتَهم ، وعقدوا لهم ، وأنزلوا مَن أقام منزلة ذي العهد وكذلك الفلاّحين ، ولم يُدخلوا في الصلح ما كان لآل كسرى ، ولا ما كان لمن خرج معهم ، ولم يُجبهم إلى واحدة من اثنتين: الإسلام ، أو الجِزاء ، فصارت فيئاً لمن أفاء الله عليه؛ فهي والصوافي الأولى ملك لمن أفاء الله عليه ، وسائر السواد ذمَّة وأخذوهم بخراج كسرى ، وكان خراج كسرى على رؤوس الرّجال على ما في أيديهم من الحصّة والأموال ، وكان مما أفاء الله عليهم ما كان لآل كسرى ، ومن صوّب معهم وعيالُ من قاتل معهم ومالِه ، وما كان لبيوت النيران

والآجام ومستنقع المياه ، وما كان للسِّكك ، وما كان لآل كسرى ، فلم يَتأتَّ قَسْم ذلك الفيء الذي كان لآل كسرى ومن صوّب معهم ؛ لأنه كان متفرّقاً في كلّ السّواد ، فكان يليه لأهل الفيء مَن وَثِقُوا به ، وتراضَوْا عليه ؛ فهو الَّذي يَتَداعاه أهلُ الفيء لا عُظْمُ السواد ؛ وكانت الولاة عند تنازعهم فيها تهاونُ بقسمه بينهم ؛ فذلك الذي شبَّه على الجَهَلة أمر السَّواد ، ولو أنّ الحُلماء جامعوا السُّفهاء الذين سألوا الوُلاةَ قسمَه لقسموه بينهم ، ولكنَّ الحلماء أبوْا ، فتابع الولاة الحلماء ، وتُرِك قول السفهاء . كذلك صنع عليّ رحمه الله ، وكلّ مَنْ طَلب إليه قسمُ ذلك فإنَّما تابع الحُلماء ، وترك قولَ السُّفهاء ، وقالوا : لئلّا يضرب بعضُهم وجوهَ بعض[1] . (٣ : ٥٨٣/ ٥٨٤/ ٥٨٥/ ٥٨٦).

٣٥٦ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة وسفيان ، عن ماهان ، قالوا : فتح الله السَّوادَ عَنْوةً ـ وكذلك كلّ أرض بينها وبين نهر بلْخ ـ إلاّ حصناً ، ودُعُوا إلى الصلح ، فصاروا ذمَّة ، وصارت لهم أَرَضوهم ولم يُدخلوا في ذلك أموال آل كسرى ومَن اتّبعهم ، فصارت فيئاً لمن أفاءه الله عليه ، ولا يكون شيء من الفتوح فيئاً حتى يُقسم ؛ وهو قوله : ﴿ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ ﴾ ممّا اقتسمتم[2] . (٣ : ٥٨٧).

٣٥٧ ـ وعن سيف ، عن حجّاج الصوّاف ، عن مسلم مولى حُذَيفة ، قال : تزوّج المهاجرون والأنصار في أهلِ السّواد يعني في أهل الكتابيْن منهم ، ولو كانوا عبيداً لم يستحلّوا ذلك ، ولم يحلّ لهم أن ينكحوا إماء أهل الكتاب ؛ لأنّ الله تعالى يقول : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا . . . . ﴾ الآية ، ولم يقل : «فتياتهم من أهل الكتابين»[3] . (٣ : ٥٨٨).

٣٥٨ ـ وعن سيف ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سعيد بن جُبَير ، قال : بعث عمر بن الخطّاب إلى حُذيفة بعد ما ولاّه المدائن وكثر المسلمات : إنه بلغني أنّك تزوّجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلّقها . فكتب إليه : لا أفعل حتَّى تخبرَني : أحلال أم حرام ، وما أردت بذلك ؟ فكتب إليه : لا بل

---

(١) إسناده ضعيف .
(٢) إسناده ضعيف .
(٣) إسناده ضعيف .

حلال ، ولكن في نساء الأعاجم خَلابة ، فإن أقبلتم عليهنّ غلبنكم على نسائكم. فقال: الآن ! فطلّقها[1]. (٣: ٥٨٨).

٣٥٩ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أشعث بن سِوَار ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال: شهدت القادسيّة مع سعد ، فتزوّجنا نساء أهل الكتاب ، ونحن لا نجد كثير مسلمات ، فلمّا قفلنا؛ فمنّا مَن طلّق ، ومنّا من أمسك[2]. (٣: ٥٨٨).

٣٦٠ ـ وعن سيف ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سعيد بن جُبَير ، قال: أخذ السَّواد عَنْوة ، فدُعوا إلى الرّجوع والجزاءِ ، فأجابوا إليه ، فصاروا ذمَّة ، إلاّ ما كان لآل كسرى ، وأتباعهم ، فصار فيئاً لأهله ، وهو الذي يتحجَّى أهل الكوفة إلى أن جُهل ذلك ، فحسبوه السَّواد كلَّه ، وأمَّا سوادهم؛ فذلك[3]. (٣: ٥٨٩).

٣٦١ ـ وعن سيف ، عن المستنير بن يزيد ، عن إبراهيم بن يزيد النَّخعيّ ، قال: أخِذ السَّواد عَنْوة ، فدُعوا إلى الرجوع ، فمنْ أجابَ فعليه الجزية وله الذمّة ، ومَن أبى صار ماله فيئاً ، فلا يحلّ بيع شيء من ذلك الفيء فيما بين الجَبل إلى العُذَيب من أرض السَّواد ولا في الجبَل[4]. (٣: ٥٨٩).

٣٦٢ ـ وعن سيف ، عن محمد بن قيس ، عن الشعبيّ بمثله: لا يحلّ بيع شيء من ذلك الفيء فيما بين الجَبل والعُذَيب[5]. (٣: ٥٨٩).

٣٦٣ ـ وعن سيف ، عن عمرو بن محمَّد ، عن عامر ، قال: أقطع الزبير وخبّاب وابن مسعود وابن ياسر وابن هبَّار أزمانَ عثمان ، فإن يكن عثمان أخطأ فالَّذين قبلوا منه الخطأ أخطأ؛ وهم الذين أخذنا عنهم ديننا. وأقطع عمر طلحة وجرير بن عبد الله والرُّبّيل بن عمرو ، وأقطع أبا مُفَزِّر دار الفيل في عدد ممَّن

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) إسناده ضعيف.
(٥) إسناده ضعيف.

أخذنا عنهم ، وإنما القطائع على وجه النَّفْل من خُمس ما أفاء الله .

وكتب عُمر إلى عُثمان بن حُنيف مع جرير : أمَّا بعد ؛ فأقطع جرير بن عبد الله قَدْر ما يقُوته لا وَكْس ولا شَطَط ، فكتب عثمان إلى عمر : إنّ جريراً قدِم عليّ بكتاب منك تُقْطعه ما يقوته ، فكرهت أن أمضي ذلك حتى أراجعَك فيه . فكتب إليه عمر : أن قد صدق جرير ، فأنفذ ذلك ، وقد أحسنتَ في مؤامرتي وأقْطع أبا موسى . وأقطع عليٌّ رحمه الله كردوسَ بن هانىء الكردُوسيّة ، وأقطع سُويد بن غفلة الجعفيّ[1] . (٣ : ٥٨٩) .

٣٦٤ - وعن سيف ، عن ثابت بن هُريْم ، عن سُوَيد بن غفلة ، قال : استقطعت عليّاً رحمه الله ، فقال : اكتب : هذا ما أقطع عليٌّ سُوَيداً أرضاً لداذَوَيْه ؛ ما بين كذا إلى كذا وما شاء الله[2] . (٣ : ٥٨٩) .

٣٦٥ - وعن سيف ، عن المستنير ، عن إبراهيم بن يزيد ، قال : قال عمر : إذا عاهدتم قوماً ؛ فأبرئوا إليهم من معرّة الجيوش . فكانوا يكتبون في الصلح لمن عاهدوا : «ونبرأ إليكم من معرّة الجيوش»[3] . (٣ : ٥٩٠) .

٣٦٥ - وقال الواقديّ : كانت وقعة القادسيَّة وافتتاحها سنة ستّ عشرة ، وكان بعض أهل الكوفة يقول : كانت وقعة القادسيَّة سنة خمس عشرة[4] . (٣ : ٥٩٠) .

ذكر بناء البَصْرة

٣٦٦ - كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عنه . فحدّثني عمر بن شبّة ؛ قال : حدّثنا عليّ بن محمد عن أبي مخْنِف ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، قال : قُتل مِهران سنة أربع عشرة في صفر ، فقال عمر لعتبة ـ يعني : ابنَ غزوان ـ : قد فتح الله جلّ وعزّ على إخوانكم الحِيرة وما حولها ، وقتِل عظيم من عظمائها ، ولست آمن أن يمدّهم إخوانُهم من أهل فارس ؛ فإني أريد أن أوجِّهك إلى أرض الهند ، لتمنَع أهلَ تلك الجيزة من إمداد إخوانهم على إخوانكم ، وتقاتلهم ؛ لعلّ الله أن يفتح

---

(١) إسناده ضعيف .

(٢) إسناده ضعيف .

(٣) إسناده ضعيف .

(٤) وذكر الطبري هذا الكلام بلا إسناد إلى الواقدي والواقدي متروك .

عليكم. فسرْ على بركة الله، واتّق الله ما استطعت، واحكم بالعدل، وصلّ الصلاة لوقتها، وأكثر ذكر الله. فأقبل عتبة في ثلاثمئة وبضعة عشر رجلاً، وضوَى إليه قوم من الأعراب وأهل البوادي، فقدم البصرة في خمسمئة، يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً، فنزلها في شهر ربيع الأول ـ أو الآخر ـ سنة أربع عشرة، والبصرة يومئذ تدعى أرضَ الهند فيها حجارة بيض خُشُن، فنزل الخُرَيبة، وليس بها إلاّ سبع دساكر؛ بالزابُوقة والخُرَيبة وموضع بني تميم والأزد: ثنتان بالخُريبة، وثنتان بالأزد، وثنتان في موضع بني تميم وواحدة بالزابوقة. فكتب إلى عمر، ووصف له منزله فكتب إليه عمر: اجمع للناس موضعاً واحداً؛ ولا تفرّقهم؛ فأقام عتبة أشهراً لا يغزو ولا يلقَى أحداً[1]. (٣: ٥٩٠/٥٩١).

٣٦٧ - وعن سيف، عن محمد، وطلحة، والمهلب، وعمرو، قالوا: لما توجَّه عُتبة بن غزوان المازنيّ من بني مازن بن منصور من المدائن إلى فَرْج الهند؛ نزل على الشاطىء بحيال جزيرة العرب، فأقام قليلاً ثم أرَز، ثم شكوا ذلك حتى أمره عمر بأن ينزل الحجَر بعد ثلاثة أوطان إذا اجتَووا الطين، فنزلوا في الرابعة البصرة ـ والبصرة: كلّ أرض حجارتها جصّ ـ وأمر لهم بنهر يجري من دِجْلة، فساقوا إليها نهراً للشَّفة، وكان إيطان أهل البصرة البصرة اليوم، وإيطانُ أهل الكوفة الكوفة اليوم في شهر واحد. فأمَّا أهل الكوفة فكان مقامهم قبل نزولها المدائن إلى أن وطّنوها، وأما أهل البصرة فكان مقامهم على شاطىء دِجْلة. ثم أرزوا مرّات حتى استقرّوا وبدؤوا، فخنسوا فرسخاً وجَرُّوا معهم نهراً، ثم فرسخاً ثم جرّوه ثم فرسخاً، ثم جَرُّوه، ثم أتوا الحجر، ثم جرُّوه، واختُطت على نحو من خطط الكوفة، وكان على إنزال البصرة أبو الجَرباء عاصم بن الدُّلف، أحد بني غيلان بن مالك بن عمرو بن تميم[2] وقد كان قطبة بن قتادة. (٣: ٥٩٢).

٣٦٨ - وعن بشير بن عبيد الله؛ قال: قتل نافع بن الحارث يوم الأبُلَّة تسعة، وأبو بكرة ستّة[3]. (٣: ٥٩٤).

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

٣٦٩ ـ وعن داود بن أبي هند ، قال : أصاب المسلمون بالأُبُلّة من الدراهم ستمئة درهم ، فأخذ كلّ رجل درهمين ، ففرض عمر لأصحاب الدّرهمين ممن أخذهما من فتح الأُبُلَّة في ألفين من العطاء ، وكانوا ثلاثمئة رجل ، وكان فتح الأُبُلَّة في رجب ، أو في شعبان من هذه السنة [١]. (٣ : ٥٩٤).

٣٧٠ ـ وعن الشعبيّ ، قال : شهد فتح الأُبُلَّة مئتان وسبعون ، فيهم أبو بَكْرة ، ونافع بن الحارث ، وشِبْل بن معبد ، والمغيرة بن شعبة ، ومُجاشع بن مسعود ، وأبو مريم البلَويّ ، وربيعة بن كَلدة بن أبي الصَّلْت الثقفيّ ، والحجّاج [٢]. (٣ : ٥٩٥).

٣٧١ ـ وعن عبَاية بن عبد عمرو ، قال : شهدت فتح الأُبُلَّة مع عُتْبة ، فبعث نافع بن الحارث إلى عمر رحمه الله بالفتح ، وجمع لنا أهل دستِ مَلسان ، فقال عتبة : أرى أن نسير إليهم ، فسرنا فلقيَنا مَرْزُبان دست مَيْسان ، فقاتلناه ، فانهزم أصحابه ، وأخذ أسيراً ، فأخِذ قباؤه ومِنطقته ، فبعث به عتبة مع أنس بن حُجيَّة اليَشكري [٣]. (٣ : ٥٩٥).

٣٧٢ ـ وعن أبي المَليح الهُذَليّ ، قال : بعث عُتبة أنسَ بن حُجيَّة إلى عمر بمنطقة مرزبان دَسْت مِيسان؛ فقال له : كيف المسلمون؟ قال : انثالت عليهم الدنيا ، فهم يَهيلون الذّهب والفضّة. فرغب الناس في البصرة ، فأتوْها [٤]. (٣ : ٥٩٥).

٣٧٣ ـ وعن عليّ بن زيد ، قال : لما فرغ عتبة من الأُبُلَّة؛ جمع له مرزبان دَسْت مَيْسان ، فسار إليه عُتْبة من الأُبُلَّة ، فقتله ، ثم سرّح مجاشع بن مسعود إلى الفرات وبها مدينة. ووفَد عتبة إلى عمر ، وأمر المغيرة أن يصلّيَ بالناس حتى يقدم مجاشع من الفرات ، فإذا قدم فهو الأمير. فظفر مجاشع بأهل الفرات ، ورجع إلى البصرة وجمع الفيلكان ـ عظيم من عظماء أَبَزْقُباذ للمسلمين ـ فخرج

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) إسناده ضعيف.

إليه المغيرة بن شعبة ، فلقيه بالمرْغاب ، فظفِر به ، فكتب إلى عمر بالفتح ، فقال عمر لعتبة: مَن استعملت على البصرة؟ قال: مجاشع بن مسعود ، قال: تستعمل رجلاً من أهل الوبَر على أهل المدر؟ تدري ما حدث! قال: لا ، فأخبره بما كان من أمر المغيرة ، وأمره أن يرجع إلى عمله ، فمات عُتبة في الطريق واستعمل عمرُ المغيرة بن شعبة[1]. (٣: ٥٩٥).

٣٧٤ ـ وعن عبد الرحمن بن جَوْشن ، قال: شخص عُتْبة بعد ما قتل مرزبان دَسْت مَيْسان ، ووجَّه مجاشعاً إلى الفرات ، واستخلفه على عمله ، وأمر المغيرة بن شعبة بالصّلاة حتى يرجع مجاشع من الفرات ، وجمع أهل مَيْسان ، فلقيَهم المغيرة ، وظهر عليهم قبل قدوم مجاشع من الفرات ، وبعث بالفتح إلى عمر[2]. (٣: ٥٩٦).

٣٧٥ ـ الطبريّ بإسناده عن قَتادة ، قال: جمع أهل مَيْسان للمسلمين ، فسار إليهم المغيرة ، وخلّف المغيرة الأثقال ، فلقي العدوّ دون دِجْلة ، فقالت أَزْدة بنت الحارث بن كَلَدة: لو لحقنا بالمسلمين فكنّا معهم! فاعتقدت لواءً من خمارها ، واتَّخذ النِّساءُ من خُمُرهنّ رايات ، وخرجْنَ يُرِدْنَ المسلمين ، فانتهينَ إليهم ، والمشركون يقاتلونهم ، فلمّا رأى المشركون الرايات مقبلة ، ظنُّوا أنّ مدداً أتى المسلمين فانكشفوا ، واتبعهم المسلمون فقتلوا منهم عدّة[3]. (٣: ٥٩٦).

٣٧٦ ـ وعن المثنّى بن موسى بن سلمة بن المحبَّق ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال: شهدت فتح الأبُلَّة ، فوقع لي في سهمي قِدْر نحاس ، فلمَّا نظرت إذا هي ذهب فيها ثمانون ألف مثقال ، فكتِب في ذلك إلى عمر ، فكتب أن يُصْبَر يمين سلمة بالله لقد أخذها وهي عنده نحاس ، فإن حلف سُلِّمت إليه؛ وإلاّ قسمت بين المسلمين. قال: فحلفتُ ، فسُلّمت لي.

قال المثنّى: فأصول أموالنا اليوم منها[4]. (٣: ٥٩٦).

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

(٤) إسناده ضعيف.

٣٧٧ ـ وعن عمرة ابنة قيس ، قالت: لمّا خرج الناس لقتال أهل الأبُلَّة خرج زوجِي وابني معهم ، فأخذوا الدرهمين ومكُّوك زبيب ، وإنّهم مضوْا حتى إذا كانوا حيال الأبُلَّة ، قالوا للعدوّ: نعبر إليكم أو تعبرون إلينا؟ قال: بل اعبرُوا إلينا ، فأخذوا خشب العُشَر فأوثقوه ، وعبروا إليهم ، فقال المشركون: لا تأخذوا أوّلهم حتى يعبَر آخرهم. فلمَّا صاروا على الأرض كبَّروا تكبيرة ، ثم كبَّروا الثانية ، فقامت دوابُّهم على أرجلها ، ثم كبَّروا الثالثة ، فجعلت الدّابة تضرب بصاحبها الأرض ، وجعلنا ننظر إلى رؤوسٍ تُنْدَر ، ما نرى مَن يضربها؛ وفتح الله على أيديهم[1]. (٣: ٥٩٧).

٣٧٨ ـ المدائنيّ قال: كانت عند عُتبة صفيَّة بنت الحارث بن كَلَدة ، وكانت أختها أردة بنت الحارث عند شِبْل بن معبَد البَجَلِيّ ، فلمّا ولِي عتبة البصرة انحدر معه أصهارُه: أبو بكْرة ، ونافع ، وشِبْل بن معبد؛ وانحدر معهم زياد؛ فلمَّا فتحوا الأبُلَّة لم يجدوا قاسماً يقسم بينهم ، فكان زياد قاسمَهم؛ وهو ابن أربع عشرة سنة ، له ذؤابة ، فأجرَوْا عليه كلّ يوم درهمين.

وقيل: إن إمارة عتبة البصرة كانت سنة خمس عشرة ، وقيل: ست عشرة؛ والأول أصحّ؛ فكانت إمارته عليها ستة أشهر.

واستعمل عمر على البصرة المغيرة بن شعبة فبقيَ سنتين ، ثم رُمِي بما رُمِيَ؛ واستعمل أبا موسى ، وقيل: استعمل بعد عُتْبة أبا موسى ، وبعده المغيرة.

وفيها ـ أعني: سنة أربع عشرة ـ ضرب عمر ابنَه عبيد الله وأصحابَه في شراب شربوه ، وأبا مِحْجن[2]. (٣: ٥٩٧).

ثم دخلت سنة خمس عشرة

ذكر الوقعة بمرْج الروم

٣٧٩ ـ وفي هذه السنة كانت الوقعة بمرْج الرُّوم ، وكان من ذلك: أنّ أبا عُبيدة

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

خرج بخالد بن الوليد من فحْل إلى حمْص ، وانصرف بمن أضيف إليهم من اليَرموك؛ فنزلوا جميعاً على ذي الكَلاع ، وقد بلغ الخبر هرقلَ ، فبعث توذَرا البطريق حتى نزل بمرْج دمشق وغربها ، فبدأ أبو عبيدة بمرْج الروم وجمعهم هذا ، وقد هجم الشتاء عليهم والجِراحُ فيهم فاشية ، فلمّا نزل على القوم بمرْج الرّوم نازله يوم نزل عليه شنس الروميّ ، في مثل خيل توذرا؛ إمداداً لتوذرا ورِدءاً لأهل حمص؛ فنزل في عسكر على حِدَة ، فلمّا كان من الليل؛ أصبحت الأرض من توذرا بلاقعَ ، وكان خالد بإزائه وأبو عبيدة بإزاء شنس ، وأتى خالداً الخبر: أنّ توذرا قد رَحل إلى دمشق ، فأجمع رأيه ورأي أبي عبيدة أن يُتبعه خالد ، فأتبعه خالد من ليلته في جريدة؛ وقد بلغ يزيد بن أبي سفيان الذي فعل ، فاستقبله فاقتتلوا ، ولحق بهم خالد وهم يقتتلون؛ فأخذهم من خلفهم ، فقتلوا من بين أيديهم ومن خلفهم؛ فأناموهم ولم يفلتْ منهم إلاّ الشريد؛ فأصاب المسلمون ما شاؤوا من ظَهْرٍ وأداة وثياب ، وقسم ذلك يزيد بن أبي سفيان على أصحابه وأصحاب خالد ، ثم انصرف يزيد إلى دمشق ، وانصرف خالد إلى أبي عبيدة ، وقد قتل خالد توذرا ، وقال خالد:

نحن قَتْلنا توذَرا وشوذرا ... وقَبْلَه ما قد قَتلْنا حَيْدَرا

نحن أَزَرْنا الغَيْضةَ الأُكَيْدِرا

وقد ناهد أبو عبيدة بعد خروج خالد في أثر توذرا شنس ، فاقتتلوا بمرْج الرّوم ، فقتلهم مقتلة عظيمة ، وقتل أبو عبيدة شنس ، وامتلأ المرْج من قتلاهم؛ فأنتنت منهم الأرض ، وهرب من هرب منهم ، فلم يفلتهم ، وركبوا أكساءهم إلى حِمْص[1] . (٣: ٥٩٨/٥٩٩) .

ذكر فتح حمْص

٣٨٠ ـ وعن أبي الزّهراء القُشَيْريّ ، عن رجل من قومه ، قال: كان أهل حِمْص يتواصوْن فيما بينهم ، ويقولون: تمسَّكوا فإنّهم حُفاة ، فإذا أصابهم البرد

---

(١) ذكر الطبري هذه الوقعة بلا إسناد ، ولم نجد رواية تأريخية مسندة صحيحة تؤيد ما ذكره الطبري ، ولذلك ذكرنا هذه الوقعة مع الروايات التي جاءت بأسانيد ضعيفة وسكتنا عنها لأننا لم نجد لها متابعات ولا شواهد والله تعالى أعلم.

تقطّعت أقدامهم مع ما يأكلون ويشربون؛ فكانت الرّوم تَراجعُ ، وقد سقطت أقدام بعضهم في خفافهم ، وإن المسلمين في النِّعال ما أصيب أصبع أحد منهم ، حتى إذا انخنس الشتاء ، قام فيهم شيخ لهم يدعوهم إلى مصالحة المسلمين. قالوا: كيف والملك في سلطانه وعزّه ، ليس بيننا وبينهم شيء! فتركهم؛ وقام فيهم آخر فقال: ذهب الشتاء ، وانقطع الرّجاء ، فما تنتظرون؟ فقالوا: البِرسام ، فإنما يسكن في الشتاء ويظهر في الصيف ، فقال: إن هؤلاء قوم يُعانون؛ ولأنْ تأتوهم بعهد وميثاق ، خير من أن تؤخذوا عَنْوة؛ أجيبوني محمودين قبل أن تجيبوني مذمومين! فقالوا: شيخ خَرِف ، ولا علم له بالحرب[1]. (٣: ٦٠٠).

٣٨١ ـ وعن أشياخ من غسّانَ وبَلْقين ، قالوا: أثاب الله المسلمين على صَبْرهم أيام حِمْص أن زُلزل بأهل حِمْص؛ وذلك أنّ المسلمين ناهدوهم ، فكبّروا تكبيرة زلزلت معها الرّوم في المدينة ، وتصدّعت الحيطان ، ففزعوا إلى رؤسائهم وإلى ذوي رأيهم ممن كان يدعوهم إلى المسالمة ، فلم يجيبوهم وأذلّوهم بذلك ، ثم كبَّرُوا الثانية ، فتهافتت منها دور كثيرة وحيطان؛ وفزعوا إلى رؤسائهم وذوي رأيهم ، فقالوا: ألا ترون إلى عذاب الله! فأجابوهم: لا يطلب الصلح غيرُكم؛ فأشرفوا فنادوْا: الصلح الصلح! ولا يشعر المسلمون بما حدث فيهم ، فأجابوهم وقبلوا منهم على أنصاف دورهم ، وعلى أن يترك المسلمون أموالَ الرّوم وبنيانَهم؛ لا ينزلونه عليهم ، فتركوه لهم ، فصالح بعضهم على صُلْح دمشق على دينار وطعام ، على كلّ جريب أبداً أيسروا أو أعسروا. وصالح بعضُهم على قَدْر طاقته؛ إن زاد ماله زيد عليه ، وإن نقص نُقِص ، وكذلك كان صلْح دمشق والأردنّ؛ بعضُهم على شيء إن أيسروا أو أعسروا ، وبعضُهم على قَدْر طاقته ، ووُلّوا مُعاملةَ ما جلا ملوكهم عنه.

وبعث أبو عبيدة السّمْطَ بن الأسود في بني معاوية ، والأشعثَ بن مِئناس في السَّكون ، معه ابن عابِس ، والمقداد في بَلِيّ ، وبلالاً وخالداً في الجيش ، والصبّاح بن شُتَيْر وذهيل بن عطية وذا شمستان ، فكانوا في قصبتها. وأقام في عسكره ، وكتب إلى عمر بالفتح ، وبعث بالأخماس مع عبد الله بن مسعود ، وقد

---

(١) إسناده ضعيف.

وفّده. وأخبر خبر هرقل؛ وأنه عبر الماء إلى الجزيرة، فهو بالرُّهاء ينغمس أحياناً، ويطلع أحياناً. فقدم ابن مسعود على عمر، فردّه، ثم بعثه بعد ذلك إلى سعد بالكوفة، ثم كتب إلى أبي عُبَيدة: أن أقم في مدينتك وادعُ أهلَ القوّة والجلَد من عرب الشام، فإنّي غير تارك البعثة إليك بمن يكانفك؛ إن شاء الله[١].

ذكر خبر ارتحال هِرقل إلى القسطنطينيّة

٣٨٢ - ذكر سيف عن أبي الزّهراء القُشيريّ، عن رجل من بني قُشَير، قالوا: لما خرج هِرَقل من الرُّهاء واستتبع أهلَها، قالوا: نحن هاهنا خير منّا معك، وأبوْا أن يتبعوه، وتفرّقوا عنه وعن المسلمين؛ وكان أوّل مَنَ أنبح كلابها، وأنفر دجاجها زياد بن حنظلة، وكان من الصحابة، وكان مع عمر ابن مالك مساندَه، وكان حليفاً لبني عبد بن قُصيّ؛ وقبل ذلك ما قد خرج هرَقل حتى شِمْشاط؛ فلما نزل القوم الرّهاء أدرب فنفذ نحو القسطنطينيّة، ولحقه رجلٌ من الرّوم كان أسيراً في أيدي المسلمين، فأفلت. فقال له: أخبرني عن هؤلاء القوم، فقال: أحدّثك كأنّك تنظر إليهم؛ فُرسان بالنهار ورهبان بالليل، ما يأكلون في ذمّتهم إلاّ بثمن، ولا يدخلون إلاّ بسلام، يقفون على مَن حاربهم حتى يأتوا عليه، فقال: لئن كنت صدقتَني ليرثُنّ ما تحت قدَميّ هاتين[٢]. (٣: ٦٠٢).

٣٨٣ - وعن عبادة، وخالد: أنّ هرَقل كان كلّما حجّ بيت المقدس فخلف سُورية، وظعن في أرض الرّوم التفت فقال: عليك السّلام يا سوريَة تسليم مودِّع لم يقضِ منك وطرَه، وهو عائد. فلمّا توجّه المسلمون نحو حِمْص عَبَر الماء، فنزل الرّهاء، فلم يزل بها حتى طلع أهل الكوفة وفتحت قِنّسرين وقتِل مِيناس، فخنَس عند ذلك إلى شمشاط؛ حتى إذا فصل منها نحو الرّوم علا على شرف، فالتفت ونظر نحو سورية، وقال: عليك السلام يا سورَية، سلاماً لا اجتماع بعده، ولا يعود إليك روميّ أبداً إلاّ خائفاً، حتى يولد المولود المشؤوم، ويا ليته لا يولد! ما أحلَى فِعلَه، وأمرّ عاقبته على الرّوم![٣] (٣: ٦٠٣).

---

(١) إسناده ضعيف جداً.

(٢) إسناده ضعيف جداً.

(٣) إسناده ضعيف جداً.

٣٨٤ - وعن أبي الزّهراء ، وعمرو بن ميمون ، قالا: لما فصَل هرقل من شمشاط داخلاً الرّوم التفت إلى سورية ، فقال: قد كنت سلّمت عليك تسليم المسافر ، فأمّا اليوم فعليك السلام يا سوريَة تسليم المفارق ، ولا يعود إليك روميّ أبداً إلا خائفاً ، حتى يولد المولود المشؤوم ، وليته لم يولد! ومضى حتى نزل القسطنطينيّة. وأخذ أهلَ الحصون التي بين إسكندريّة وطَرسُوس معه؛ لئلاّ يسير المسلمون في عمارةٍ ما بين أنطاكيَة وبلاد الرّوم ، وشعّث الحصون ، فكان المسلمون لا يجدون بها أحداً ، وربما كمن عندها الروم؛ فأصابوا غرّة المتخلّفين ، فاحتاط المسلمون لذلك[1] . (٣: ٦٠٣) .

ذكر فتح قَيْساريّة وحَصْر غزّة

٣٨٥ - ذكر سيف عن أبي عثمان وأبي حارثة ، عن خالد ، وعبادة ، قالا: لما انصرف أبو عبيدة ، وخالد إلى حِمْص من فِحْل؛ نزل عمرو ، وشرحبيل على بَيْسان فافتتحاها ، وصالحته الأُرْدُنّ ، واجتمع عسكر الرّوم بأجناديْن ، وبَيْسان وغزّة ، وكتبوا إلى عمر بتفرّقهم ، فكتب إلى يزيد بأن يدفىء ظهورَهم بالرّجال ، وأن يسرّح معاوية إلى قَيْسارية. وكتب إلى عمرو يأمره بصدم الأرْطَبون ، وإلى علقمة بصدْم الفِيقار.

وكان كتاب عمر إلى معاوية: أما بعد ، فإنّي قد ولّيتك قَيساريّة ، فسر إليها واستنصر الله عليهم ، وأكثر من قول: «لا حول ولا قوة إلا بالله ، الله ربّنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا ، نعم المولى ونعم النصير». فانتهى الرّجلان إلى ما أمرا به ، وسار معاوية في جنده حتى نزل على أهل قيساريّة وعليهم أبنى ، فهزمه وحصره في قيساريّة. ثم إنهم جعلوا يزاحفونه ، وجعلوا لا يزاحفونه من مرّةٍ إلاّ هزمهم وردّهم إلى حصنهم ، ثمّ زاحفوه آخر ذلك ، وخرجوا من صياصيهم ، فاقتتلوا في حفيظة واستماتة ، فبلغت قتلاهم في المعركة ثمانين ألفاً ، وكمّلها في هزيمتهم مئة ألف ، وبعث بالفتح مع رجلين من بني الضُّبيب ، ثم خاف منهما الضّعف ، فبعث عبدَ الله بن علقمة الفراسيّ ، وزهير بن الحلاب الخثعميّ ،

---

(١) إسناده ضعيف جداً.

وأمرهما أن يتّبعاهما ويسبقاهما، فلحقاهما، فطوياهما وهما نائمان، وابن علقمة يتمثّل وهي هِجّيراه:

أَرِّقَ عَينــــي أَخَـــوَا جُـــذَامِ كيــفَ أنــامُ وهُمَــا أمــامــي!

إِذْ يــرحَــلانِ والهَجِيــرُ طــامِــي أخــو حُشَيْــمٍ وأخــو حَــرامِ

وانطلق علقمة بن مُجَزِّز، فحصر الفيقار بغزّة، وجعل يراسله، فلم يشفه مما يريد أحد؛ فأتاه كأنّه رسول علقمة، فأمر الفيقار رجلاً أن يقعد له بالطريق، فإذا مرّ قتله، ففطِن علقمة، فقال: إنّ معي نفراً شركائي في الرّأي، فأنطلقُ فآتيك بهم؛ فبعث إلى ذلك الرّجل: لا تعرض له. فخرج من عنده ولم يَعُد، وفعل كما فعل عمرو بالأرطبون، وانتهى بريد معاوية إلى عمر بالخبر، فجمع الناس وأباتهم على الفرح ليلاً، فحمد الله وقال: لتحمدوا الله على فتح قيساريّة، وجعل معاوية قبل الفتح وبعده يحبس الأسرَى عنده، ويقول: ما صنع ميخائيل بأسرانا صنعنا بأسراهم مثله، ففطمه عن العَبث بأسرَى المسلمين حتى افتتحها[1]. (٣: ٦٠٣/ ٦٠٤).

ذكر فتح بَيْسانَ ووقعة أجْنادَيْن

٣٨٦ - ولمّا توجّه علقمة إلى غزّة، وتوجّه معاوية إلى قَيساريّة؛ صمد عمرو بن العاص إلى الأرْطَبون، ومرّ بإزائه، وخرج معه شُرَحبيل بن حَسَنة على مقدّمته، واستخلف على عمل الأرْدُنّ أبا الأعورَ، وولى عمرو بن العاص مجنّبتيه عبدَ الله بن عمرو، وجُنادة بن تميم المالكيّ - مالك بن كنانة - فخرج حتى ينزل على الرّوم بأجناديْن، والرّوم في حصونهم وخنادقهم وعليهم الأرطَبون. وكان الأرطبون أدْهى الرُّوم وأبعدَها غَوْراً، وأنكاها فعلاً، وقد كان وضع بالرّملة جنداً عظيماً، وبإيلياء جنداً عظيماً؛ وكتب عمرو إلى عمر بالخبر؛ فلمّا جاءه كتاب عمرو، قال: قد رمينا أرطبون الرّوم بأرطبون العرب، فانظروا عمّ تتفرّج! وجعل عمر رحمه الله من لدن وجّه أمراء الشام يمدّ كلّ أمير جند ويرميه بالأمداد؛ حتى إذا أتاه كتاب عمرو بتفريق الرّوم، كتب إلى يزيد أن يبعث

---

(١) إسناده ضعيف جداً.

معاوية في خيله إلى قيساريّة ، وكتب إلى معاوية بإمرته على قتال أهل قيساريّة ، وليشغلهم عن عمرو؛ وكان عمرو قد استعمل علْقمة بن حكيم الفراسيّ ، ومسروق بن فلان العكّي على قتال أهل إيلياء ، فصاروا بإزاء أهل إيلياء ، فشغلوهم عن عمرو ، وبعث أبا أيوب المالكيّ إلى الرّملة ، وعليها التَّذَارِق ، وكان بإزائهما ، ولما تتابعت الأمداد على عمرو ، بعث محمد بن عمرو مدداً لعلقمة ومسروق ، وبعث عُمارة بن عمرو بن أميّة الضّمْريّ مدداً لأبي أيّوب ، وأقام عمرو على أجناديْن لا يقدر من الأرطبون على سقطة ، ولا تشفيه الرُّسل ، فوليَه بنفسه ، فدخل عليه كأنه رسول ، فأبلغه ما يريد ، وسمع كلامه ، وتأمّل حصونَه حتى عرف ما أراد ، وقال أرطبون في نفسه : والله إنّ هذا لعمرو ، أو إنه لَلذي يأخذ عمرو برأيه؛ وما كنت لأصيب القوم بأمر أعظمَ عليهم من قتله. ثم دعا حرَسياً فسارّه بقتله ، فقال : اخرج. فقم مكان كذا وكذا ، فإذا مرّ بك فاقتله ، وفطِن له عمرو ، فقال : قد سمعتَ منّي وسمعتُ منك ، فأمّا ما قلتَه فقد وقع مني موقعاً؛ وأنا واحد من عشرة؛ بعثَنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالي لنكانفه ويشهدنا أموره ، فأرجع فآتيك بهم الآن ، فإن رأوا في الذي عرضت مثلَ الذي أرى ، فقد رآه أهل العسكر والأمير؛ وإن لم يروْه رددتَهم إلى مأمنهم ، وكنتَ على رأس أمرك. فقال : نعم ، ودعا رجلاً فسارّه ، وقال : اذهب إلى فلان فردّه إليّ ، فرجع إليه الرّجل وقال لعمرو : انطلق فجيء بأصحابك؛ فخرج عمرو ورأى ألاّ يعود لمثلها ، وعلم الرّوميّ بأنه قد خدعه ، فقال : خدَعني الرّجُل؛ هذا أدهى الخلق. فبلغت عمر ، فقال : غلبه عمرو ، لله عمرو! وناهده عمرو ، وقد عرف مأخذه وعاقبته ، والتقوْا ولم يجد من ذلك بدّاً فالتقَوْا بأجناديْن ، فاقتتلوا قتالاً شديداً كقتال اليَرموك؛ حتى كثرت القتلى بينهم.

ثم إنّ أرطبون انهزم في الناس فأوى إلى إيلياء ، ونزل عمرو أجناديْن. ولمّا أتىٰ أرطبون إيلياء أفرج له المسلمون حتى دخلها ، ثم أزالهم إلى أجناديْن ، فانضمّ علقمة ، ومسروق ، ومحمد بن عمرو ، وأبو أيّوب إلى عمرو بأجنادين ، وكتب أرطبون إلى عمرو بأنك صديقي ونظيري؛ أنت في قومك مثلي في قومي؛ والله لا تفتتح من فلسطين شيئاً بعد أجناديْن ، فارجع ولا تَغرّ فتلقَى ما لقي الذين قبلك من الهزيمة. فدعا عمرو رجلاً يتكلم بالروميّة ، فأرسله إلى أرطبون ، وأمره أن يُغرِب ويتنكّر ، وقال : استمع ما يقول حتى تخبرَني به إذا رجعت إن شاء الله.

وكتب إليه: جاءني كتابك وأنت نظيري ومثلي في قومك، لو أخطأتْك خَصْلة تجاهلت فضيلتي، وقد علمتَ أنّي صاحبُ فتح هذه البلاد، وأستعدي عليك فلاناً وفلاناً ـ لوزرائه ـ فأقرئهم كتابي، ولينظروا فيما بيني وبينك فخرج الرسول على ما أمره به حتى أتى أرطبون فدفع إليه الكتاب بمشهد من النفر، فاقترأه، فضحكوا، وتعجّبوا، وأقبلوا على أرطبون، فقالوا: من أين علمتَ: أنه ليس بصاحبها؟ قال: صاحبها رجل اسمه «عمر» ثلاثة أحرف؛ فرجع الرّسول إلى عمرو فعرف أنه عمر.

وكتب إلى عمر يستمدّه، ويقول: إني أعالج حرباً كؤوداً صدوماً وبلاداً ادُّخرت لك، فرأيَك. ولما كتب عمرو إلى عمر بذلك، عرف أنّ عمراً لم يقل إلاّ بعلم، فنادى في الناس، ثم خرج فيهم حتى نزل بالجابية. وجميع ما خرج عمر إلى الشام أربعَ مرّات، فأما الأولى فعلى فرَس، وأما الثانية فعلى بعير، وأما الثالثة فقصّر عنها: أن الطاعون مستعر، وأما الرابعة فدخلها على حمار. فاستخلف عليها، وخرج وقد كتب مخرجَه أوّلَ مرة إلى أمراء الأجناد أن يوافوه بالجابية ـ ليوم سمّاه لهم في المجرّدة ـ وأن يستخلفوا على أعمالهم. فلقوه حيث رفعت لهم الجابية؛ فكان أوّل مَنْ لقيه يزيد، ثم أبو عبيدة، ثم خالد على الخيول؛ عليهم الدّيباج والحرير، فنزل وأخذ الحجارة، فرماهم بها، وقال: سَرْعَ ما لُفِتّم عن رأيكم! إيّايَ تستقبلون في هذا الزّي؛ وإنما شبعتم منذ سنتين! سَرْعَ ما ندّت بكم البِطْنة! وتالله لو فعلتموها على رأس المئتين لاستبدلت بكم غيركم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنها يلامقة، وإنّ علينا السلاح، قال: فنعم إذاً. وركب حتى دخل الجابية وعمرو، وشُرحْبِيل بأجْنَاديْن، لم يتحرّكا من مكانهما[1]. (٣: ٦٠٥/٦٠٦/٦٠٧).

ذكر فتح بيت المقدس

٣٨٧ ـ وعن سالم بن عبد الله، قال: لما قدم عمر رحمه الله الجابيةَ؛ قال له

---

(١) ذكر الطبري في هذا الكلام بلا إسناد، وأغلب ظننا أنه تكملة للرواية التي قبلها وبالإسناد الذي أشرنا إلى ضعفه الشديد وقد تكرر ذكر أجنادين مرة أخرى فقد أشار الطبري سابقاً إلى ذلك.

رجل من يهود: يا أميرَ المؤمنين ! لا ترجع إلى بلادك حتى يفتح الله عليك إيلياء؛ فبينا عمر بن الخطاب بها؛ إذ نظر إلى كُردوس من خيل مقبل ، فلمّا دنَوْا منه سلّوا السيوف ، فقال عمر: هؤلاء قوم يستأمنون ، فأمّنوهم؛ فأقبلوا فإذا هم أهل إيلياء ، فصالحوه على الجِزْية ، وفتحوها له ، فلمّا فتحت عليه دعي ذلك اليهوديّ ، فقيل له: إن عنده لعلماً. قال: فسأله عن الدجّال ـ وكان كثير المسألة عنه ـ فقال له اليهوديّ: وما مسألتك عنه يا أميرَ المؤمنين! فأنتم والله معشر العرب تقتلونه دون باب لُدٍّ ببضعَ عشرة ذراعاً[١] . (٣: ٦٠٧) .

٣٨٨ ـ وعن سالم ، قال: لمّا دخل عمر الشام؛ تلقّاه رجل من يهود دمشق ، فقال: السّلامُ عليك يا فاروق! أنت صاحب إيلياء لا والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء؛ وكانوا قد أشجَوا عمراً وأشجاهم؛ ولم يقدر عليها ولا على الرّملة ، فبينا عمر معسكراً بالجابية ، فزع الناس إلى السلاح ، فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: ألا ترى الخيل والسيوف! فنظر ، فإذا كُردوس يلمعون بالسيوف ، فقال عمر: مستأمِنةٌ ، ولا تُراعوا وأمِّنوهم؛ فأمّنوهم؛ وإذا هم أهل إيلياء ، فأعطوْه واكتتبوا منه على إيلياء وحيِّزِها ، والرّملة وحيّزها؛ فصارت فلسطين نصفين: نصفٌ مع أهل إيلياء ، ونصف مع أهل الرّملة؛ وهم عشر كُوَر ، وفلسطين تعدِل الشام كلّه؛ وشهد ذلك اليهوديّ الصّلح ، فسأله عمر عن الدجّال؛ فقال: هو من بني بنيامين؛ وأنتم يا معشَرَ العرب تقتلونه على بضع عشرة ذراعاً من باب لُدّ[٢] . (٣: ٦٠٨) .

٣٨٩ ـ وعن خالد ، وعبادة ، قالا: كان الذي صالح فلسطين العوامّ من أهل إيلياء والرّملة؛ وذلك أنّ أرطبون والتّذارِق لحقا بمصر مقدَمَ عمر الجابية ، وأصيبا بعد في بعض الصوائف.

وقيل: كان سبب قدوم عمر إلى الشام: أنّ أبا عبيدة حضر بيت المقدس ، فطلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل مدن الشام ، وأن يكون المتولّي للعقد عمر بن الخطاب؛ فكتب إليه بذلك ، فسار عن المدينة[٣] . (٣: ٦٠٨) .

---

(١) إسناده ضعيف جداً.

(٢) إسناده ضعيف .

(٣) إسناده ضعيف جداً.

٣٩٠ ـ وعن عَدِيّ بن سهل ، قال: لما استمدّ أهلُ الشام عمر على أهل فلسطين؛ استخلف عليّاً ، وخرج ممدّاً لهم ، فقال عليّ: أين تخرج بنفسك! إنك تريد عدوّاً كَلِباً ، فقال: إني أبادر بجهاد العدوّ موت العباس؛ إنّكم لو قد فقدتم العباس؛ لانتقض بكم الشرّ كما ينتقض أوّلُ الحبْل.

قال: وانضمّ عمرو وشرحبيل إلى عمر بالجابية حين جرى الصلح فيما بينهم ، فشهد الكتاب(١) . (٣: ٦٠٨).

٣٩١ ـ وعن خالد ، وعبادة ، قالا: صالح عمر أهل إيلياء بالجابِية ، وكتب لهم فيها الصلح لكلّ كُورة كتاباً واحداً ، ما خلاَ أهل إيلياء:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هذا ما أعطى عبدُ الله عمر أمير المؤمنين أهلَ إيلياء من الأمان؛ أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبَريئها وسائر ملّتها: أنه لا تسكن كنائسهم ، ولا تُهدم ، ولا يُنتقص منها ، ولا من حيّزِها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يُكرهون على دينهم ، ولا يضارّ أحد منهم ، ولا يسكنُ بإيلياء معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يعطُوا الجزية كما يُعطي أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الرّوم واللصوت؛ فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم؛ ومَن أقام منهم فهو آمن؛ وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجِزْية ، ومنْ أحبّ من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الرّوم ويخلّي بِيَعهم وصُلُبهم فإنّهم آمنون على أنفسهم وعلى بِيَعهم وصلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم ، ومَن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان ، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجِزْية ، ومن شاء سار مع الرّوم؛ ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يُحصد حصادهم؛ وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمّة رسوله وذمّة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن

(١) إسناده ضعيف جداً.

العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان. وكتب وحَضَر سنة خمس عشرة.

فأما سائر كُتبهم فعلى كتاب لُدّ:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل لُدّ ، ومَن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلُبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملّتهم؛ أنه لا تُسْكن كنائسهم ولا تُهدم ولا ينتقصُ منها ولا من حيّزها ولا مللها ، ولا من صُلُبهم ولا من أموالهم ، ولا يُكرهون على دينهم؛ ولا يضارّ أحد منهم؛ وعلى أهل لُدّ ومَن دخل معهم من أهل فلسطين أن يُعطوا الجزية كما يعطى أهلُ مدائن الشام ، وعليهم إن خرجوا (مثلُ ذلك الشرط إلى آخره) ثم سرّح إليهم ، وفرّق فلسطين على رجلين ، فجعل علقمة بن حكيم على نصفها وأنزله الرّملة ، وعلقمة بن مُجزّز على نصفها وأنزله إيلياء؛ فنزل كلّ واحد منهما في عمله في الجنود التي معه[1]. (٣: ٦٠٨/ ٦٠٩).

٣٩٢ - وعن سالم ، قال: استعمل علقمة بن مجزّز على إيلياء ، وعلْقمة بن حكيم على الرّملة في الجنود التي كانت مع عمرو وضمّ عمراً وشُرَحبيل إليه بالجابية ، فلمّا انتهيا إلى الجابية؛ وافقا عمر رحمه الله راكباً ، فقبّلا ركبتيه ، وضمّ عمر كلّ واحد منهما محتضنَهما[2]. (٣: ٦١٠).

٣٩٣ - وعن عبادة ، وخالد ، قالا: ولما بعث عمر بأمان أهل إيلياء وسكَّنها الجند؛ شخص إلى بيت المقدس من الجابية ، فرأى فرسه يتوجَّى ، فنزل عنه ، وأتيَ ببرذون فركبه ، فهزّه فنزل ، فضرب وجهه بردائه ، ثم قال: قبّح الله مَنْ علمك هذا! ثم دعا بفرسه بعد ما أجمَّه أياماً يوقِّحه فركبه ، ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس[3]. (٣: ٦١٠).

---

(١) إسناده ضعيف جداً.
(٢) إسناده ضعيف جداً.
(٣) إسناده ضعيف.

٣٩٤ ـ وعن أبي صفيّة ـ شيخ من بني شيبان ـ قال: لما أتى عمرُ الشام أتىَ ببرذون فركبه ، فلما سار جعل يتخلّج به ، فنزل عنه ، وضرب وجهه ، وقال: لا علّم الله مَنْ علّمك! هذا من الخيَلاء؛ ولم يركب برذوناً قبله ولا بعده. وفتحت إيلياء وأرضها كلّها على يديه ، ما خلا أجناديْن فإنها فتِحت على يدي عمرو ، وقيساريّة على يديْ معاوية[1]. (٣: ٦١٠).

٣٩٥ ـ وعن أبي مريم مولى سلامة ، قال: شهدتُ فتح إيلياء مع عمر رحمه الله ، فسار من الجابية فاصلاً حتى يقدم إيلياء ، ثم مضى حتى يدخل المسجد ، ثم مضى نحو محراب داود؛ ونحن معه ، فدخله ثم قرأ سجدة داود فسجد وسجدنا معه[2]. (٣: ٦١٠).

٣٩٦ ـ وعن أنس بن مالك ، قال: شهدت إيلياء مع عمر ، فبينا هو يطعم النّاس يوماً بها أتاه راهبها وهو لا يشعرُ: أنّ الخمر محرّمة ، فقال: هل لك في شراب نجده في كتبنا حلالاً إذا حرّمت الخمر! فدعاه به فقال: من أيّ شيء هذا؟ فأخبره أنه طبخه عصيراً ، حتى صار إلى ثلثه ، فغرف بإصبعه ، ثم حرّكه في الإناء فشطره ، فقال: هذا طلاء؛ فشبّهه بالقَطِران ، وشرب منه ، وأمر أمراء الأجناد بالشام به؛ وكتب في الأمصار: إني أتِيت بشراب مما قد طُبِخ من العصير حتى ذهب ثُلثاه وبقي ثُلثه كالطِّلاء ، فاطبخوه وارزقوه المسلمين[3].

٣٩٧ ـ وعن أبي عثمان ، وأبي حارثة ، قالا: ولحق أرْطبون بمصر مقدَمَ عمر الجابية ، ولحق به مَن أحبّ ممّن أبى الصلح ، ثم لحق عند صُلح أهل مصر ، وغلبهم بالرّوم في البحر ، وبقيَ بعد ذلك؛ فكان يكون على صوائف الرّوم ، والتقى هو وصاحب صائفة المسلمين فيختلف هو ورجل من قيس يقال له: ضُريْس؛ فقطع يد القيسيّ ، وقتله القيسي ، فقال:

فإن يَكُنْ أرْطَبونُ الرُّوم أفسدَها ... فإنّ فيها بِحَمْدِ الله مُنْتَفَعا
بَنانَتانِ وجُرْموزٌ أقيمُ به ... صدْرَ القَناةِ إذا ما آنَسوا فَزعا

(١) إسناده ضعيف جداً.
(٢) إسناده ضعيف جداً.
(٣) إسناده ضعيف جداً.

وإنْ يَكُـنْ أَرْطَبُـونُ الـرُّومِ قَطَّعَهـا فقَـدْ تَـرَكَـتُ بهـا أوصـالَـه قِطَعـا

وقال زياد بن حنظلة:

تَذَكَّرتُ حربَ الرُّومِ لمّا تَطاوَلَتْ وإذ نَحْـنُ فـي عـامٍ كثيـرٍ نـزائِلُـهْ
وإذ نَحنُ فـي أرضِ الحجـازِ وبَيْنَنـا مسِيـرَةُ شَهْـرٍ بَيْنَهُـنَّ بَـلابِلُـهْ
وإذْ أرْطَبُـونُ الـرُّومِ يَحْمِـي بِـلَادَهُ يحـاوِلُـهُ قَـرْمٌ هُنـاكَ يُسـاجِلُـهْ
فلمَّـا رأى الفـاروقُ أَزْمـانَ فَتْحِهـا سمـا بِجُنـودِ الله كَيْمـا يُصـاوِلُـهْ
فلمَّـا أَحَسّـوه وخـافـوا صِـوالَـهُ أتَـوْهُ وقـالـوا أَنْـتَ مِمَّـنْ نُـواصِلُـهْ
وأَلْقَـتْ إِلَيْـهِ الشـام أفْـلاذَ بَطْنِهـا وعَيْشـاً خَصيبـاً مـا تُعـدُّ مَـآكِلُـهْ
أبـاحَ لَنـا مـا بيْـنَ شَـرْقٍ ومَغْـرِبٍ مـواريـث أَعْقـابٍ بَنَتْهـا قَـرَامِلُـهْ
وكَـمْ مُثْقَـلٍ لَـمْ يَضْطلـعْ بـاحْتِمـالِـهِ تحَمَّـلَ عِبْئـاً حيـنَ شـالَـتْ شَـوائلُـهْ

وقال أيضاً:

سَمـا عُمَـرٌ لمـا أَتَتْـهُ رَسـائِـلٌ كأَصْيَدَ يَحْمِي صِرْمَةَ الحَيّ أغيَدَا
وقـد عَضَّلَـتْ بـالشَّـأْمِ أَرْضٌ بـأَهلِهـا تـريـدُ مـن الأقـوامِ مَـن كـان أَنجَـدَا
فلمَّـا أتـاهُ مـا أتـاهُ أجـابَهُـمْ بجْيشٍ تَـرَى مِنـهُ الشَّبـائِكَ سُجَّـدَا
وأقبَلَـتِ الشـامُ العَـريضَـةُ بِـالـذي أراد أبـو حفْـص وأزكـى وأَزْيَـدَا
فقَسَّـطَ فيمـا بَيْنَهُـمْ كـلَّ جِـزْيَـةٍ وكـلَّ رِفـادٍ كـان أَهْنَـا وأَحْمَـدا[1]

(٣: ٦١٢/ ٦١٣).

ذكر فرض العطاء وعمل الديوان

٣٩٨ ـ قال أبو جعفر الطبريّ: كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، والمهلّب، وزياد، والمجالد، وعمرو، عن الشعبيّ، وإسماعيل عن الحسن، وأبي ضمْرة عن عبد الله بن المُستورد عن محمد بن سيرين، ويحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيّب، والمستنير بن يزيد عن إبراهيم، وزهرة عن أبي سلمة، قالوا: فرض عمر العطاء حين فرض لأهل الفيء الذين أفاء الله عليهم؛ وهم أهل المدائن، فصاروا بعدُ إلى الكوفة، انتقلوا عن المدائن إلى الكوفة والبَصْرة ودمشق وحِمْص والأردنّ وفلسطين ومِصر، وقال:

---

(١) إسناده ضعيف جداً.

الفيء لأهل هؤلاء الأمصار ولمن لحق بهم وأعانهم ، وأقام معهم ولم يفرض لغيرهم ، ألا فبهم سُكنت المدائن والقرى ، وعليهم جرى الصُّلْح ؛ وإليهم أدِّي الجِزاء ، وبهم سُدّت الفروج ودُوّخ العدّو. ثم كتب في إعطاء أهل العطاء أعطياتِهم إعطاءً واحداً سنة خمْسَ عشرة.

وقال قائل: يا أميرَ المؤمنين ! لو تركت في بيوت الأموال عدّة لكون إن كان! فقال: كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقانِي الله شرّها؛ وهي فتنة لمن بعدي؛ بل أعدّ لهم ما أمرنا الله ورسوله طاعة لله ورسوله؛ فهما عدّتنا التي بها أفضينا إلى ما تروْن ، فإذا كان هذا المال ثمن دين أحدكم هلكتم[1]. (٣: ٦١٥).

٣٩٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، والمهلب ، وطلحة ، وعمرو ، وسعيد؛ قالوا: لما فتح الله على المسلمين وقُتِل رستم ، وقدمت على عمر الفتوح من الشام جمع المسلمين ، فقال: ما يحلّ للوالي من هذا المال؟ فقالوا جميعاً: أمّا لخاصّته؛ فقوتُه وقوت عياله ، لا وَكْسَ ولا شَطَطَ ، وكسوتهم وكسوته للشتاء والصيف ، ودابّتان إلى جهاده وحوائجه وحُمْلانه إلى حَجِّهِ وعمرته ، والقَسْم بالسويّة ، أن يعطَى أهلُ البلاء على قدر بلائهم ، ويرمَّ أمور الناس بعد ، ويتعاهدهم عند الشدائد ، والنوازل؛ حتى تُكشف ، ويبدأ بأهل الفيء[2]. (٣: ٦١٦).

٤٠٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال: جمع الناس عمر بالمدينة حين انتهى إليه فتح القادسيّة ودمشق ، فقال: إني كنت امرأً تاجراً ، يغني الله عيالي بتجارتي وقد شغلتموني بأمركم ، فماذا تروْن أنه يحلّ لي من هذا المال؟ فأكثر القوم وعليّ عليه السلام ساكت ، فقال: ما تقول يا عليّ؟ فقال: ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف ، ليس لك من هذا المال غيره ، فقال القوم: القول قولُ ابن أبي طالب[3]. (٣: ٦١٦).

---

(١) إسناده ضعيف ، ومتنه فيه مخالفة لما ذكره الطبري نفسه قبل قليل من أن فرض العطاء وعمل الديوان كان سنة ١٥ هـ ومعلوم أي هذه الأمصار التي ذكرها لم تمصّر إلا بعد والله تعالى أعلم.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

٤٠١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف ، عن محمّد ، عن عبيد الله، عن نافع ، عن أسلم ، قال: قام رجلٌ إلى عمر بن الخطاب ، فقال: ما يحلّ لك من هذا المال؟ فقال: ما أصلحني وأصلح عيالي بالمعروف ، وحُلّة الشتاء وحلّة الصيف، وراحلة عمر للحجّ والعمرة، ودابّة في حوائجه وجهاده[١]. (٣: ٦١٦).

٤٠٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مُبَشر بن الفضيل ، عن سالم بن عبد الله ، قال: لمّا وليَ عمر؛ قعد على رزق أبي بكر الذي كانوا فرضوا له ، فكان بذلك؛ فاشتدّت حاجته ، فاجتمع نفر من المهاجرين منهم عثمان ، وعليّ، وطلحة ، والزبير ، فقال الزّبير: لو قلنا لعمر في زيادة نزيدها إيّاه في رزقه! فقال عليّ: وددنا قبل ذلك؛ فانطلِقوا بنا ، فقال عثمان: إنه عمر! فهلمّوا فلنستبرىء ما عنده من وراء؛ نأتي حفصة فنسألها، ونستكتمها ، فدخلوا عليها، وأمروها أن تخبر بالخبر عن نفر ، ولا تسمّي له أحداً ، إلا أن يقبل ، وخرجوا من عندها ، فلقيَت عمر في ذلك ، فعرفت الغضب في وجهه ، وقال: مَن هؤلاء؟ قالت: لا سبيل إلى علمهم حتى أعلم رأيَك ، فقال: لو علمت مَن هم لسؤت وجوههم؛ أنت بيني وبينهم! أنشدك بالله؛ ما أفضل ما اقتنى رسول الله ﷺ في بيتكِ من الملبس؟ قالت: ثوبين ممشَّقين كان يلبسهما للوفد ، ويخطب فيهما للجُمَع؛ قال: فأيّ الطعام ناله عندك أرفَع؟ قالت: خبزنا خُبزة شعير ، فصببنا عليها وهي حارّة أسفل عُكّة لنا ، فجعلناها هشّة دسمة؛ فأكل منها وتطعّم منها استطابة لها. قال: فأيّ مُبسَط كان يبسطه عندك كان أوطأ؟ قالت: كساء لنا ثخين كنا نربّعه في الصيف ، فنجعله تحتنا ، فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثّرنا بنصفه ، قال: يا حفصة! فأبلغيهم عني: أنّ رسولَ الله ﷺ قدّر ، فوضع الفُضول مواضعَها؛ وتبلّغ بالتّزجية ، وإنّي قدّرت فوالله لأضعنّ الفضول مواضعها ، ولأتبلغنّ بالتزجية؛ وإنما مَثَلي ومثل صاحبيّ كثلاثة سلكوا طريقاً؛ فمضى الأوّل وقد تزوّد زاداً فبلغ ، ثم اتّبعه الآخر فسلك طريقه ، فأفضى إليه ، ثم اتّبعه الثالث ، فإن لزم طريقهما ، ورضي بزادهما؛ لحِق بهما ، وكان معهما؛ وإن سلك غير طريقهما؛ لم يجامعهما[٢]. (٣: ٦١٦/٦١٧).

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

٤٠٣ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن أصحابه ، والضحّاك عن ابن عباس ، قال : لما افتُتحت القادسيّة ، وصالح مَن صالح من أهل السّواد ، وافتتحت دمشق ، وصالح أهل دمشق؛ قال عمر للناس : اجتمعوا ، فأحضروني علمكم فيما أفاء الله على أهل القادسيّة ، وأهل الشام. فاجتمع رأي عمر ، وعليّ على أن يأخذوا من قبل القرآن ، فقالوا : ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ ﴾ - يعني : من الخمس - ﴿ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ : إلى الله وإلى الرسول؛ من الله الأمر وعلى الرسول القسم ﴿ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾ الآية ، ثم فسّروا ذلك بالآية التي تليها : ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ﴾ الآية ، فأخذوا الأربعة أخماس على ما قسم عليه الخمس فيمن بُدىء به ، وثُنّي ، وثُلِّث ، وأربعة أخماس لمن أفاء الله عليه المغنم ، ثم استشهدوا على ذلك أيضاً : ﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ﴾ ، فقسّم الأخماس على ذلك ، واجتمع على ذلك عمر ، وعليّ ، وعمل به المسلمون بعدَه ، فبدأ بالمهاجرين ، ثم بالأنصار ، ثم التابعين الذين شهدوا معهم وأعانوهم ، ثم فوض الأعطية من الجِزاء على مَن صالح أو دُعي إلى الصلح من جِزائه ، مردود عليهم بالمعروف؛ وليس في الجِزاء أخماس ، والجِزاء لمن منع الذّمة. ووفّى لهم ممّن ولي ذلك منهم؛ ولمن لحق بهم فأعانهم ، إلا أن يؤاسوا بفضلةٍ من طيب أنفس منهم مَنْ لم ينل مثل الذي نالوا[1] . (٣ : ٦١٧/٦١٨).

قال الطبريّ : وفي هذه السنة - أعني : سنة خمس عشرة - كانت وقعات في قول سيف بن عمر ، وفي قول ابن إسحاق : كان ذلك في سنة ست عشرة ، وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه قبل ؛ وكذلك ذلك في قول الواقديّ.

نذكر الآن الأخبار التي وردت بما كان بين ما ذكرت من الحروب إلى انقضاء السنة التي ذكرتُ أنهم اختلفوا فيما كان فيها من ذلك :

٤٠٤ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، والمهلب ، وعمرو ، وسعيد ، قالوا : عهد عمر إلى سَعْد حين أمره بالسَّيْر إلى المدائن أن يخلِّف النّساء والعيال بالعتيق ، ويجعل معهم كَثْفاً من الجند ، ففعل وعهد إليه أن

---

(١) إسناده ضعيف.

يُشركهم في كلّ مغنم ما داموا يخلفون المسلمون في عيالاتهم. قالوا: وكان مُقام سعد بالقادسيّة بعد الفتح شهرين في مكاتبة عمر في العمل بما ينبغي، فقدّم زُهرة نحو اللسان ـ واللسان لسان البرّ الذي أدلَعه في الريف، وعليه الكوفة اليوم، والحيرة قبل اليوم ـ والنّخيرجان معسكر به، فارفضّ، ولم يثبت حين سمع بمسيرهم إليه، فلحق بأصحابه. قالوا: فكان مما يلعب به الصبيان في العسكر، وتلقيه النساء عليهم، وهم على شاطىء العتيق، أمر كان النساء يلعبن به في زَرود وذي قار؛ وتلك الأمواه حين أمِرُوا بالسير في جمادى إلى القادسيّة، وكان كلاماً أبَدْنَ فيه كالأوابد من الشعر؛ لأنه ليس بين جمادى ورجب شيء:

العَجَبُ كُلُّ العَجَبْ بينَ جُمادَى ورَجَبْ
أمْرٌ قَضاه قد وَجَبْ يَخْبُرُه مَن قد شَجَبْ
تحتَ غبارٍ وَلَجَبْ[(١)]

(٣: ٦١٨/٦١٩).

خبر يوم بُرس

قال: ثمّ إنْ سعداً ارتحل بعد الفراغ من أمر القادسيّة كلّه، وبعد تقديم زُهرة بن الحَويّة في المقدّمات إلى اللسان، ثم أتبعه عبد الله بن المعتَمّ، ثم أتبع عبدَ الله شُرحبيل بن السِّمط، ثم أتبعهم هاشم بن عتبة، وقد ولّاه خلافَته، عملَ خالد بن عُرْفُطة، وجعل خالداً على الساقة، ثم أتبعهم وكلّ المسلمين فارس مُؤدٍ قد نقل الله إليهم ما كان في عسكر فارس من سلاح وكُراع ومال، لأيّام بقين من شَوّال، فسار زُهرة حتى ينزل الكوفة ـ والكوفة كلّ حَصباء حمراء وسهلة حمراء مختلطتين ـ ثم نزل عليه عبدُ الله وشرحبيل، وارتحل زُهرة حين نزلاَ عليه نحو المدائن، فلمّا انتهى إلى بُرْس لقيَه بها بُصْبُهرى في جمع فناوشوه فهزمهم، فهرب بُصْبُهْرى ومن معه إلى بابل وبها فالّة القادسيّة وبقايا رؤسائهم: النَّخيرجان ومِهران الرازيّ والهُرْمزان وأشباههم؛ فأقاموا واستعملوا عليهم الفيرُزان، وقدم عليهم بُصْبُهري وقد نجا بطعنة، فمات منها[(٢)]. (٣: ٦١٩/ ٦٢٠).

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) ذكر الطبري هذا الخبر بلا إسناد.

٤٠٥ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن النّضْر بن السّريّ ، عن ابن الرّفيل ، عن أبيه ، قال : طعن زهرة بُصْبُهرى في يوم بُرْس ، فوقع في النهر فمات من طعنته بعد ما لحق ببابل ؛ ولما هُزم بُصْبُهرى أقبل بِسطام دِهقان بُرْس ، فاعتقد من زُهرة وعقد له الجسور ، وأتاه بخبر الذين اجتمعوا ببابل[1] . (٣ : ٦٢٠) .

يوم بابل

٤٠٦ - قالوا : ولما أتى بِسْطام زهرةَ بالخبر عن الذين اجتمعوا ببابل من فُلّال القادسيّة ؛ أقام وكتب إلى سعد بالخبر . ولمّا نزل سعد على مَن بالكوفة مع هاشم بن عتبة ، وأتاه الخبر عن زُهرة باجتماع الفُرْس ببابل على الفيرُزان ؛ قدّم عبدَ الله ، وأتبعه شُرَحبيلَ وهاشماً ، ثم ارتحل بالناس ، فلمّا نزل عليهم بُرْس ؛ قدّم زهرة فأتبعه عبد الله وشُرَحبيل وهاشماً ، واتّبعهم فنزلوا على الفيرُزان ببابل ، وقد قالوا : نقاتلهم دَسْتاً قبل أن نفترق ، فاقتتلوا ببابل ، فهزموهم في أسرع من لَفْتِ الرّداء ، فانطلقوا على وجوههم ؛ ولم يكن لهم همّة إلا الافتراق ، فخرج الهرمزان متوجِّهاً نحو الأهواز ، فأخذها فأكلها ومِهْرجَان قَذق ، وخرج الفيرُزان معه حتى طلع على نَهاونْد ، وبها كنوز كسرى ؛ فأخذها وأكل الماهَيْن ، وصمد النَّخيرجان ومِهران الرازيّ للمدائن ، حتى عبرا بَهُرَسير إلى جانب دِجْلة الآخر ، ثم قطعا الجِسْر ، وأقام سعد ببابل أيّاماً ، وبلغه : أن النَّخِيرجان قد خلّف شهريار ؛ ـ دِهقاناً من دهاقين الباب ـ بِكُوثَى في جمع ، فقدّم زهرةَ ثم أتبعه الجنودَ ، فخرج زهرة حتى ينزل على شهريار بكُوثَى بعد قتل فيومان والفرُّخان فما بين سُوَرا والدَّيْر[2] . (٣ : ٦٢٠ / ٦٢١) .

٤٠٧ - كتب إلي السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر بن السريّ ، عن ابن الرّفيل ، عن أبيه ، قال : كان سعد قدّم زُهرة من القادسيّة فمضى متشعباً في حربه وجنده ، ثم لم يلقَ جمعاً فهزمهم إلاّ قُدّم ، فأتبعهم لا يمرّون بأحد إلاّ قتلوه ممّن لحقوا به منهم أو أقام لهم ، حتى إذا قدّمه من بابل قدّم زُهرة بُكَيْر بن

---

(١) إسناده ضعيف .

(٢) إسناده ضعيف جداً .

عبد الله الليثيّ وكَثير بن شهاب السعديّ أخا الغَلّاق حين عَبَر الصّراة ، فيلحقون بأخرَيات القوم وفيهم فيومان والفَرّخان؛ هذا مِيسانيّ وهذا أهوازيّ ، فقتل بكير الفرُّخان ، وقتل كثير فيومان بسُّورا. ثمّ مضى زُهرة حتى جاوز سُورا ، ثم نزل ، وأقبل هاشم حتى نزل عليه ، وجاء سعد حتى ينزل عليهم ، ثم قدّم زُهرة ، فسار تلقاء القوم ، وقد أقاموا له فيما بين الدّير وكُوثَى ، وقد تخلف النَّخيرجان ومِهران على جنودهما شهريار ، دِهْقان الباب. ومَضَيا إلى المدائن ، وأقام شهريار هنالك ، فلما التقوْا بأكناف كُوثى ـ جيش شهريار وأوائل الخيل ـ خرج فنادى: ألا رجل ، ألا فارس منكم شديد عظيم يخرج إليّ حتى أنكل به! فقال زُهرة: لقد أردت أن أبارزَك؛ فأمّا إذ سمعت قولك ، فإنيّ لا أخرج إليك إلاّ عبداً؛ فإن أقمتَ له قتلك إن شاء الله ببغيك؛ وإن فررتَ منه فإنما فرِرت من عبد ، وكايده؛ ثمّ أمر أبا نباتة نائل بن جُعشم الأعرجيّ ـ وكان من شجعان بني تميم ـ فخرج إليه ، ومع كلّ واحد منهما الرمح ، وكلاهما وثيق الخَلْق؛ إلاّ أنّ الشهريار مثل الجمل ، فلمّا رأى نائلاً ألقى الرمح ليعتنقه ، وألقى نائلٌ رمحه ليعتنقه ، وانتضيا سيفيهما فاجتلدا ، ثم اعتنقا فخرّا عن دابّتيهما ، فوقع على نائل كأنه بيت ، فضغطه بفخذه ، وأخذ الخنجر وأراغ حلّ أزرار درعه ، فوقعت إبهامه في فم نائل ، فحطم عظمهما ، ورأى منه فُتوراً ، فثاوره فجلد به الأرض ، ثم قعد على صدره ، وأخذ خنجره ، فكشف درعه عن بطنه ، فطعنه في بطنه وجنبه حتى مات ، فأخذ فرسه وسِواريه وسلَبه ، وانكشف أصحابُه ، فذهبوا في البلاد ، وأقام زهرة بكوثَى حتى قدم عليه سعد ، فأتى به سعداً ، فقال سعد: عزمت عليك يا نائل بن جعشم لما لبست سواريه وقَباءه ودِرْعه ، ولتركبنّ بِرذونه! وغنّمه ذلك كلّه. فانطلق ، فتدرّع سلبه ، ثم أتاه في سلاحه على دابّته ، فقال: اخلع سواريك إلاّ أن ترى حرباً فتلبسهما؛ فكان أوّل رجل من المسلمين سُوِّر بالعراق(١).

٤٠٨ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، والمهلّب ، وعمرو ، وسعيد ، قالوا: فأقام سعد بكُوثَى أياماً ، وأتى المكان الذي جلس فيه إبراهيم عليه السلام بكُوثَى ، فنزل جانب القوم الذين كانوا يبشّرون إبراهيم ، وأتى البيت الذي كان فيه إبراهيم عليه السلام محبوساً ، فنظر

---

(١) إسناده ضعيف.

إليه وصلّى على رسول الله وعلى إبراهيم ، وعلى أنبياء الله صلوات الله عليهم ، وقرأ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[١] . (٣ : ٦٢٢) .

حديث بَهُرسير في ذي الحجَّة سنة خمس عشرة في قول سيف

٤٠٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلّب وعمرو وسعيد والنّضر ، عن ابن الرُّفيل ، قالوا: ثم إنّ سعداً قدم زهرة إلى بَهُرسير ، فمضى زُهرة من كُوثَى في المقدّمات حتى ينزل بَهُرسير ، وقد تلقّاه شيرزاذ بساباط بالصّلح وتأدية الجِزاء ، فأمضاه إلى سعد ، فأقبل معه ، وتبعتْه المجنّبات ، وخرج هاشم ، وخرج سعد في أثره ، وقد فلّ زهرة كتيبة كِسرى بُوران حول المظلم ، وانتهى هاشم إلى مظلم ساباط ، ووقف لسعد حتى لحق به ، فوافق ذلك رجوع المُقرَّطُ ـ أسد كان لكسرى قد أَلِفه وتخيّره من أسود المظلِم ـ وكانت به كتائب كسرى التي تُدعى بُوران ، وكانوا يحلفون بالله كلّ يوم: لا يزول مُلك فارس ما عشنا ، فبادر المقرّط الناس حين انتهى إليهم سعد ، فنزل إليه هاشم فقتله ، وسُمّي سيفه المَتْن ، فقبّل سعد رأس هاشم ، وقبّل هاشم قَدَم سعد ، فقدّمه سعد إلى بَهُرسير ، فنزل إلى المظلم وقرأ: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ ، فلمّا ذهب من الليل هدأة ارتحل ، فنزل على النّاس ببهُرَسير ، وجعل المسلمون كلّما قدمت خيل على بُهَرسير وقفوا ثم كبّروا ، فكذلك حتى نجز آخر مَنْ مع سعد ، فكان مقامه بالناس على بَهُرسير شهريْن ، وعبروا في الثالث[٢] . (٣: ٦٢٢/ ٦٢٣) .

٤١٠ ـ وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب ، وكان عامله فيها على مكة عتّاب بن أسيد ، وعلى الطائف يعلَى بن مُنْية ، وعلى اليمامة والبحرين عُثْمان بن أبي العاص ، وعلى عُمان حُذيفة بن محصن ، وعلى كُور الشام أبو عبيدة بن الجراح ، وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبي وقاص ، وعلى قضائها أبو قرّة؛ وعلى البصرة وأرضها المغيرة بن شعبة[٣] . (٣ : ٦٢٣) .

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

ثم دخلت سنة ستّ عشرة

قال أبو جعفر: ففيها دخل المسلمون مدينة بَهُرسير، وافتتحوا المدائن، وهرب منها يَزْدَجِرْد بن شهريار.

ذكر بقيَّة خبر دخول المسلمين مدينة بَهُرَسير

٤١١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، والمهلب، قالوا: لما نزل سعد على بَهُرسير بثّ الخيول، فأغارت على ما بَيْن دجِلْة إلى مَن له عهد من أهل الفرات، فأصابوا مئة ألف فلاّح، فحسِبوا، فأصاب كلٌّ منهم فلاحاً؛ وذلك أنّ كلهم فارس ببهرسير. فخندق لهم، فقال له شيرزاذ دِهْقان ساباط: إنك لا تصنع بهؤلاء شيئاً؛ إنما هؤلاء علوج لأهل فارس لم يجرّوا إليك، فدعْهم إليّ حتى يفرُق لكم الرأي. فكتب عليه بأسمائهم، ودفعهم إليه، فقال شيرزاذ: انصرفوا إلى قراكم.

وكتب سعد إلى عمر: إنَّا وردنا بَهُرَسِير بعد الذي لقينا فيما بين القادسيَّة وبَهُرسير، فلم يأتنا أحد لقتال؛ فبثثتُ الخيول، فجمعتُ الفلاحين من القرى والآجام؛ فرَ رأيَك.

فأجابه: إنّ مَن أتاكم من الفلاحين إذا كانوا مقيمين لم يُعينوا عليكم فهو أمانُهم، ومَن هرب فأدركتموه فشأنكم به.

فلما جاء الكتاب خلّى عنهم. وراسله الدّهاقين، فدعاهم إلى الإسلام والرجوع، أو الجِزاء ولهم الذمَّة والمَنَعة، فتراجعوا على الجزاء والمنعة ولم يدخل في ذلك ما كان لآل كسرى، ومَن دخل معهم؛ فلم يبقَ في غربيّ دِجْلة إلى أرض العرب سواديّ إلاّ أمِن واغتبط بمُلك الإسلام، واستقبلوا الخراج، وأقاموا

على بَهُرسير شهرين يرمونها بالمجانيق ويدبّون إليهم بالدّبابات ، ويقاتلونهم بكلّ عُدّة[١] . (٤ : ٥/٦).

٤١٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن المقدام بن شُرَيح الحارثيّ ، عن أبيه ، قال: نزل المسلمون على بَهُرسير ، وعليها خَنادقها وحَرسها وعُدّة الحرب ، فرموْهم بالمجانيق والعرّادات ، فاستصنع سعد شيرزاذ المجانيق ، فنصب على أهل بَهُرسير عشرين مِنجنيقاً ، فشغلوهم بها[٢].

٤١٣ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن النّضْر بن السريّ ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه ، قال: فلما نزل سعد على بَهُرسير ، كانت العرب مطيفةً بها ، والعجم متحصنّة فيها ، وربما خرج الأعاجم يمشون على المُسنَيَّات المشرفة على دِجْلة في جماعتهم وعُدّتهم لقتال المسلمين؛ فلا يقومون لهم ، فكان آخر ما خرجوا في رجّالة وناشبة ، وتجرّدوا للحرب ، وتبايعوا على الصَّبْر ، فقاتلهم المسلمون فلم يثبتوا لهم ، فكذَّبوا وتولوا؛ وكانتْ على زُهرة بن الجَويّة درع مفصومة ، فقيل له: لو أمرتَ بهذا الفصْم فسرِد! فقال: ولم؟ قالوا: نخاف عليك منه ، قال: إنيّ لَكريم على الله ، أن ترك سهم فارسَ الجندَ كلَّه ثم أتاني من هذا الفصم ، حتى يثبت فِيّ! فكان أوّل رجل من المسلمين أصيب يومئذ بنُشّابة ، فثبتت فيه من ذلك الفصْم؛ فقال بعضهم: انزعوها عنه ، فقال: دعوني ، فإنّ نفسي معي ما دامت فيّ ، لعلّي أن أصيب منهم بطعنة أو ضربة أو خطوة ، فمضى نحو العدوّ ، فضرَب بسيفه شَهْرَبَراز من أهل إصطَخْر ، فقتله ، وأحيط به فقتل وانكشفوا[٣] . (٤ : ٦).

٤١٤ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن سماك بن فلان الهُجيميّ ، عن أبيه ، ومحمد بن عبد الله ، عن أنس بن الحُلَيس ، قال: بينا نحنُ محاصرو بَهُرسِير بعد زحفِهم وهزيمتهم؛ أشرفَ علينا رسول فقال: إنّ الملك يقول لكم: هل لكم إلى المصالحة على أنّ لنا ما يلينا من دجِلْة وجبلنا ، ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم؟ أما شبعتم لا أشبع الله بطونكم! فبدَر الناسَ

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

أبو مفزّر الأسود بن قُطْبة ، وقد أنطقه الله بما لا يدري ما هو ولا نحن؛ فرجع الرّجل ، ورأيناهم يقطعون إلى المدائن ، فقلنا: يا أبا مفزّر ، ما قلتَ له ؟ فقال: لا والذي بعث محمداً بالحق ما أدري ما هو؛ إلاّ أنّ عليّ سكينة ، وأنا أرجو أن أكون قد أنطقت بالذي هو خير؛ وانتاب الناس يسألونه حتى سمع بذلك سعد؛ فجاءنا فقال: يا أبا مفزّر ، ما قلت؟ فوالله إنهم لهُرّاب؛ فحدّثه بمثل حديثه إيّانا ، فنادى في الناس ، ثم نَهد بهم؛ وإنّ مجانيقنا لتخطر عليهم؛ فما ظهر على المدينة أحدٌ ، ولا خرج إلينا إلاّ رجل نادى بالأمان فآمنّاه ، فقال: إن بقِيَ فيها أحد فما يمنعكم! فتسوّرها الرّجال ، وافتتحناها ، فما وجدنا فيها شيئاً ولا أحداً؛ إلاّ أسارى أسرناهم خارجاً منها ، فسألناهم وذلك الرجلَ: لأيّ شيء هربوا؟ فقالوا: بعث الملك إليكم يعرض عليكم الصلح ، فأجبتموه بأنه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبداً حتى نأكل عسل أفريذين بأترجّ كُوثى؛ فقال الملك: واويله! ألاَ إنّ الملائكة تكلَّم على ألسنتهم ، تردّ علينا وتُجِيبنا عن العرب ، والله لئن لم يكن كذلك؛ ما هذا إلاّ شيء ألقِيَ عليَّ في هذا الرجل لننتهيَ؛ فأرَزُوا إلى المدينة القُصوى[1]. (٣ : ٧).

٤١٥ ـ كتب إليّ السريّ عن سيف ، عن سعيد بن المرزبان ، عن مسلم بمثل حديث سماك[2]. (٤ : ٧).

٤١٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، والمهلب ، وعمرو ، وسعيد ، قالوا: لما دخل سعد ، والمسلمون بَهُرسير؛ أنزل سعد الناس فيها ، وتحوّل العسكر إليها ، وحاول العُبور فوجدوهم قد ضمّوا السفنَ فيما بين البَطائح وتكْرِيت. ولما دخل المسلمون بَهُرسير ـ وذلك في جوف الليل ـ لاح لهم الأبيض ، فقال ضرار بن الخطاب: الله أكبر! أبيض كسرى؛ هذا ما وعد الله ورسوله ، وتابعوا التكبير حتى أصبحوا. فقال محمد ، وطلحة: وذلك ليلة نزلوا على بَهُرسير[3]. (٤ : ٨).

٤١٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الأعمش ، عن

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

حبيب بن صُهبْان أبي مالك ، قال : دفعنا إلى المدائن ـ يعني : بَهُرسير ـ وهي المدينة الدّنيا ، فحصرنا ملكهم وأصحابه ، حتى أكلوا الكلاب والسنانير . قال : ثمّ لم يدخلوا حتى ناداهم منادٍ : والله ما فيها أحدٌ ! فدخلوها ، وما فيها أحد(١) . (٤ : ٨) .

حديث المدائن القصوى التي كان فيها منزل كسرى

٤١٨ ـ قال سيف : وذلك في صفر سنة ستّ عشرة ، قالوا : ولما نزل سعد بَهُرسير ـ وهي المدينة الدنيا ـ طلب السفن ليعبرَ بالناس إلى المدينة القُصْوى ، فلم يقدر على شيء ، ووجدهم قد ضمّوا السفن ، فأقاموا ببهرسير أياماً من صَفر يريدونه على العبور فيمنعه الإبقاء على المسلمين ، حتى أتاه أعلاج فدلُّوه على مخاضة تخاض إلى صُلْب الوادي ، فأبى وتردّد عن ذلك ، وفجِئهم المدّ ، فرأى رؤيا : أنّ خيول المسلمين اقتحمتها فعبرت وقد أقبلت من المدّ بأمر عظيم؛ فعزم لتأويل رؤياه على العُبور؛ وفي سنة جَوْدُ صيفها متتابع . فجمع سعد الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : إنّ عدوّكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ، فلا تخلصون إليه معه ، وهم يخلصون إليكم إذا شاؤوا ، فيناوشونكم في سفنهم ، وليس وراءكم شيء تخافون أن تُؤتَوْا منه؛ فقد كفاكموهم أهلُ الأيام ، وعطّلوا ثغورَهم ، وأفنَوْا ذادتهم ، وقد رأيت من الرأي أن تبادروا جهاد العدو بنيّاتكم قبل أن تحصركم الدّنيا ، ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم . فقالوا جميعاً : عزم الله لنا ولك على الرُّشد ، فافعل . فندب سعد الناس إلى العبور ، ويقول : مَن يبدأ ويحمي لنا الفراض حتى تتلاحق به الناس لكيلا يمنعوهم من الخروج؟ فانتدب له عاصم بن عمرو ذو البأس ، وانتدب بعده ستّمئة من أهل النَّجَدات ، فاستعمل عليهم عاصماً ، فسار فيهم حتى وقف على شاطىء دجلة ، وقال : مَن ينتدب معي لنمنع الفِراض من عدوّكم ولنحمِيَكم حتى تعبروا؟ فانتدب له ستون؛ منهم أصمُّ بني ولاَّد وشُرَحبيل ، في أمثالهم ، فجعلهم نصفين على خيول إناث وذُكور ، ليكون أساساً لعَوْم الخيل . ثم اقتحموا دجلة ، واقتحم بقيّة الستمئة

(١) إسناده ضعيف.

على أثرهم ، فكان أوّل مَن فصَل من الستين أصمُّ التّيْم ، والكلَج ، وأبو مفزّر ، وشُرَحبيل ، وجَحْل العجْليّ. ومالك بن كعب الهمْدانيّ ، وغلام من بني الحارث بن كعب؛ فلما رآهم الأعاجم وما صنعوا أعدّوا للخيل التي تقدمت سعداً مثلَها ، فاقتحموا عليهم دجلة ، فأعاموها إليهم ، فلقوا عاصماً في السَّرَعان ، وقد دنا من الفِراض ، فقال عاصم: الرّماح الرماحَ! أشرعوها وتوخَّوا العيون؛ فالتقوا فاطّعنوا ، وتوخّى المسلمون عيونَهم ، فولّوا نحو الجُدّ ، والمسلمون يشمِّصون بهم خيلَهم ، ما يملك رجالها منعَ ذلك منها شيئاً. فلحقوا بهم في الجُدّ ، فقتلوا عامّتهم ، ونجا مَنْ نجا منهم عُوراناً ، وتزلزلت بهم خيولهم ، حتى انتقضت عن الفِراض ، وتلاحق الستمئة بأوائلهم الستين غيرَ متعتَعِين. ولما رأى سعد عاصماً على الفِراض قد منعها ، أذن للناس في الاقتحام ، وقال: قولوا نستعين بالله ، ونتوكّل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم! وتلاحق عُظْم الجند ، فركبوا اللجّة ، وإنّ دجلة لترمي بالزَّبد ، وإنها لمُسْوَدّة ، وإنّ الناس ليتحدّثون في عومهم وقد اقتربوا ما يكترثون ، كما يتحدّثون في مسيرهم على الأرض ، ففجؤوا أهلَ فارس بأمر لم يكن في حسابهم ، فأجهضوهم وأعجلوهم عن جُمهور أموالهم ، ودخلها المسلمون في صفر سنة ستّ عشرة ، واستولوْا على ذلك كلّه مما بقي في بيوت كسرى من الثلاثة آلاف ألف ألف ، ومما جمع شيري ومن بعده. وفي ذلك يقول أبو بُجَيد نافع بن الأسود:

وأسَلْنا على المدائن خيلاً ... بَحْرها مِثْل بَرِّهِنَّ أريضا

فانتثَلْنا خزائنَ المرءِ كِسْرَى ... يومَ وَلَّوا وحاصَ منَّا جَريضا[1]

(٣: ٨/٩/١٠).

٤١٥ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن عبد الله بن أبي طَيْبة ، عن أبيه ، قال: لما أقام سعد على دِجْلة؛ أتاه علْج ، فقال: ما يقيمك! لا يأتي عليك ثالثة حتى يذهب يَزْدَجِرد بكل شيء في المدائن؛ فذلك مما هيّجه على القيام بالدّعاء إلى العبور[2]. (٤: ١٠).

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

٤١٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن النَّضْر بن السريّ، عن ابن الرُّفيل، قال: لما هزموهم في الماء، وأخرجوهم إلى الفِراض، ثم كشفوهم عن الفِراض أجْلوْهم عن الأموال، إلاّ ما كانوا تقدّموا فيه ـ وكان في بيوت أموال كسرى ثلاثة آلاف ألف ألف ـ فبعثوا مع رستم بنصف ذلك، وأقرّوا نصفه في بيوت الأموال[١]. (٤: ١١).

٤١٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن بدْر بن عثمان، عن أبي بكر بن حفص بن عمر، قال: قال سعد يومئذ وهو واقف قبل أن يُقحم الجمهورَ، وهو ينظر إلى حُماة الناس وهم يقاتلون على الفِراض: والله أنْ لو كانت الخرساء ـ يعني: الكتيبة التي كان فيها القعقاع بن عمرو، وحَمَّال بن مالك، والرُّبيل بن عمرو ـ فقاتلوا قتال هؤلاء القوم هذه الخيل؛ لكانت قد أجزأت وأغنت؛ وكتيبة عاصم هي كتيبة الأهوال؛ فشبّه كتيبة الأهوال ـ لِما رأى منهم في الماء والفراض ـ بكتيبة الخرساء. قال: ثم إنهم تنادوا بعد هَنات قد اعتوروها عليهم ولهم. فخرجوا حتى لحقوا بهم، فلما استووْا على الفِراض هم وجميع كتيبة الأهوال بأسرهم، أقحم سعد الناس ـ وكان الذي يساير سعداً في الماء سلْمان الفارسيّ ـ فعامت بهم الخيل، وسعد يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل! والله لينصرنّ الله وليّه، وليظهرنّ الله دينَه، وليهزمنّ الله عدوّه؛ إن لم يكن في الجيش بَغْي، أو ذنوب تغلب الحسنات. فقال له سلمان: الإسلام جديد، ذُلِّلت لهم والله البحور، كما ذُلِّل لهم البرّ، أما والذي نفس سلمان بيده ليخْرُجُنّ منه أفواجاً كما دخلوه أفواجاً! فطبقوا الماء حتى ما يُرى الماء من الشاطىء، ولهم فيه أكثر حديثاً منهم في البرّ لو كانوا فيه، فخرجوا منه ـ كما قال سلمان ـ لم يفقدوا شيئاً، ولم يغرق منهم أحد[٢]. (٤: ١١/ ١٢).

٤١٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن أبي عمر دِثار، عن أبي عثمان النهديّ: أنهم سلموا من عند آخرهم إلاّ رجلاً من بارق يُدعى غَرْقدة، زال عن ظهر فرس له شقراء، كأني أنظر إليها تنفض أعرافها عُرياً والغريقُ طاف،

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

فثنى القعقاع بن عمرو عِنانَ فرسه إليه ، فأخذ بيده فجرّه حتى عبر ، فقال البارقيّ وكان من أشدِّ الناس : أُعْجِزَ الأخوات أن يلدن مثلك يا قعقاع! وكان للقعقاع فيهم خُؤولة[١]. (٤ : ١٢).

٤١٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، والمهلب ، وعمرو ، وسعيد ، قالوا : فما ذهب لهم في الماء يومئذ إلاّ قَدح كانت علاقته رثّة ، فانقطعت ، فذهب به الماء ، فقال الرجل الذي كان يعاوِم صاحب القدح معيّراً له : أصابه القَدَر فطاح ، فقال : والله إني لَعلَى جَدِيلةٍ ما كان الله ليسلبني قدَحِي من بين أهل العسكر. فلما عبروا إذا رجل ممن كان يحمي الفِراض ، قد سفل حتى طلع عليه أوائل الناس ، وقد ضربته الرّياح والأمواج حتى وقع إلى الشاطىء ، فتناوله برمحه ، فجاء به إلى العسكر فعرفه ، فأخذه صاحبه ، وقال للذي كان يعاومه : ألم أقل لك! وصاحبه حَليف لقُريش من عَنْز ، يُدعى : مالك بن عامر ، والذي قال : «طاح» يُدعى عامر بن مالك[٢]. (٤ : ١٢).

٤٢٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن القاسم بن الوليد ، عن عُمير الصائديّ ، قال : لما أقحم سعد الناس في دِجْلة اقترنوا ، فكان سلمان قرينَ سعد إلى جانبه يسايره في الماء ، وقال سعد : ذلك تقدير العزيز العليم؛ والماء يطمو بهم ، وما يزال فرس يستوي قائماً إذا أعيا يُنْشَز له تَلْعة فيستريح عليها؛ كأنه على الأرض ، فلم يكن بالمدائن أمرٌ أعجب من ذلك ، وذلك يوم الماء ، وكان يدعى يوم الجراثيم[٣]. (٤ : ١٢/ ١٣).

٤٢١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، والمهلّب ، وطلحة ، وعمرو ، وسعيد ، قالوا : كان يوم ركوب دِجْلة يدعى يوم الجراثيم ، لا يعيا أحد إلا أنشِزت له جرثومة يُريح عليها[٤]. (٤ : ١٣).

٤٢٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : خُضْنا دجلة وهي تطفح ، فلما كنّا في

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

(٤) إسناده ضعيف.

أكثرها ماء لم يزل فارس واقف ما يبلغ الماء حزامه[١]. (٤ : ١٣).

٤٢٣ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، والمهلب ، وطلحة ، قالوا: وما زالت حُماة أهل فارس يقاتلون على الفِراض؛ حتى أتاهم آتٍ فقال: علاَم تقتلون أنفسكم! فوالله ما في المدائن أحد[٢]. (٤ : ١٣).

٤٢٤ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عطيّة بن الحارث وعطاء بن السائب ، عن أبي البَختريّ ، قال: كان رائدُ المسلمين سَلْمان الفارسيّ ، وكان المسلمون قد جعلوه داعيةَ أهلِ فارس. قال عطية: وقد كانوا أمروه بدُعاء أهل بَهُرَسير ، وأمّروه يوم القصر الأبيض ، فدعاهم ثلاثاً. قال عطية ، وعطاء: وكان دعاؤه إيّاهم أن يقول: إني منكم في الأصل ، وأنا أرِقُّ لكم ، ولكم فيّ ثلاث أدعوكم إليها ما يصلحكم: أن تُسلموا فإخواننا لكم مالنا وعليكم ما علينا ، وإلاّ فالجزية ، وإلاّ نابذْناكم على سواء؛ إنّ الله لا يحب الخائنين. قال عطية: فلما كان اليوم الثالث في بَهرسير أبوْا أنْ يُجيبوا إلى شيء ، فقاتلهم المسلمون حين أبوْا. ولما كان اليوم الثالث في المدائن قبِل أهل القصر الأبيض وخرجوا ، ونزل سعد القصر الأبيض ، واتّخَذ الإيوان مُصلًّى ، وإنّ فيه لتماثيلَ جصّ فما حرّكها[٣]. (٤ : ١٤).

٤٢٥ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، والمهلب ، وشاركهم سماك الهُجيميّ ، قالوا: وقد كان الملك سرّب عيالَه حين أخذِت بَهُرسير إلى حُلوان ، فلما ركب المسلمون الماء خرجوا هرّاباً ، وخيلهم على الشاطىء يمنعون المسلمين وخيلهم من العبور ، فاقتتلوا هم والمسلمون قتالاً شديداً ، حتى ناداهم مناد: علامَ تقتلون أنفسكم! فوالله ما في المدائن من أحد. فانهزموا ، واقتحمتها الخيول عليهم ، وعبر سعد في بقيّة الجيش[٤]. (٤ : ١٥).

٤٢٦ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ،

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) إسناده ضعيف.

والمهلب ، قالوا: أدرك أوائلُ المسلمين أخريات أهلِ فارس ، فأدرك رجلٌ من المسلمين يدعى ثقيفاً ـ أحدُ بني عديّ بن شريف ـ رجلاً من أهل فارس ، معترضاً على طريق من طرقها يحمي أدبار أصحابه ، فضرب فرسهَ على الإقدام عليه ، فأحجم ولم يُقدِم ، ثم ضربه للهرب فتقاعسَ حتى لحقه المسلم ، فضرب عنقه ، وسلبه[١] . (٤ : ١٥) .

٤٢٧ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، وعمرو ، ودثار أبي عمر ، قالوا: كان فارس من فرسان العجم في المدائن يومئذ مما يلي جازِر ، فقيل له: قد دخلت العرب وهرب أهل فارس؛ فلم يلتفت إلى قولهم ، وكان واثقاً بنفسه ، ومضى حتى دخل بيت أعلاج له ، وهم ينقلون ثياباً لهم ، قال: ما لكم؟ قالوا: أخرجتْنا الزنابير ، وغلبتْنا على بيوتنا ، فدعا بجُلاهق ، وبطين ، فجعل يرميهنّ حتى ألزقهنّ بالحيطان ، فأفناهنّ. وانتهى إليه الفَزَع ، فقام ، وأمر عِلْجاً فأسرج له ، فانقطع حزامه ، فشدّه على عَجَل ، وركب ، ثم خرج فوقف. ومرّ به رجل فطعنه ، وهو يقول: خذها وأنا ابن المخارق! فقتله ثم مضى ما يلتفت إليه[٢] . (٤ : ١٥) .

٤٢٨ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن سعيد بن المرزبان بمثله ، وإذا هو ابن المخارق بن شهاب[٣] .

٤٢٩ - قالوا: وأدرك رجل من المسلمين رجلاً منهم معه عصابة يتلاومون ، ويقولون: من أيّ شيء فررنا! ثم قال قائل منهم لرجل منهم: ارفع لي كُرَة ، فرماها لا يُخطىء ، فلما رأى ذلك عاج ، وعاجوا معه ، وهو أمامهم ، فانتهى إلى ذلك الرّجل ، فرماه من أقرب مما كان يرمي منه الكُرَة ما يصيبه ، حتى وقف عليه الرّجل ، ففلق هامَته ، وقال: أنا ابن مُشرّط الحجارة. وتفارّ عن الفارسيّ أصحابه[٤] . (٤ : ١٦) .

٤٣٠ - وقالوا جميعاً: محمد ، والمهلب ، وطلحة ، وعمرو ، وأبو عمر ،

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) إسناده ضعيف.

وسعيد ، قالوا: ولما دخل سعد المدائن ، فرأى خلوتَها ، وانتهى إلى إيوان كسرى ، أقبل يقرأ: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ . وصلّى فيه صلاة الفتح ـ ولا تصلّى جماعة ـ فصلى ثماني ركعات لا يفصل بينهنّ ، واتخذه مسجداً ، وفيه تماثيل الجصّ رجال وخيل ، ولم يمتنع ولا المسلمون لذلك ، وتركوها على حالها. قالوا: وأتمّ سعد الصلاة يوم دخَلها ، وذلك أنه أراد المُقام فيها. وكانت أوّل جمعة بالعراق جُمعت جماعةً بالمدائن ، في صفر سنة ستّ عشرة[١] . (٤ : ١٦) .

ذكر ما جُمع من فيء أهل المدائن

٤٣١ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الأعمش ، عن حبيب بن صُهبان ، قال: دخلنا المدائن ، فأتينا على قباب تركيّة مملوءة سِلالاً مختَّمة بالرصاص ، فما حسبناها إلاّ طعاماً ، فإذا هي آنية الذّهب والفضة فقسمت بعدُ بين الناس. وقال حبيب: وقد رأيتُ الرّجل يطوف ، ويقول: مَن معه بيضاء بِصفراء؟ وأتينا على كافور كثير ، فما حسبناه إلا ملْحاً ، فجعلنا نعجن به حتى وجدنا مرارته في الخبز[٢] . (٤ : ١٧) .

٤٣٢ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن النّضر بن السريّ ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه الرُّفيل بن ميسور ، قال: خرج زُهرة في المقدّمة يُتبعهم حتى انتهى إلى جِسْر النَّهْروان ، وهم عليه ، فازدحموا ، فوقع بغل في الماء فعجلوا وكلِبوا عليه ، فقال زهرة: إني أقسم بالله إنّ لهَذا البغل لشأناً! ما كلِب القوم عليه ولا صبروا للسيوف بهذا الموقف الضنك إلاّ لشيء بعد ما أرادوا تركه ، وإذا الذي عليه حلية كسرى؛ ثيابه وخرزاته ووشاحه ودرعه التي كان فيها الجوهر ، وكان يجلس فيها للمباهاة؛ وترجّل زهرة يومئذ حتى إذا أزاحهم أمر أصحابه بالبغل فاحتملوه ، فأخرجوه فجاؤوا بما عليه ، حتى ردّه إلى الأقباض ، ما يدرون ما عليه ، وارتجز يومئذ زهرة:

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

فِدى لقومي اليوم أخوالي وأعمامي هم كرهوا بالنهر خِذْلاني وإسلامي
هُمْ فَلَجُوا بالبغل في الخِصام بكلِّ قطَّاعٍ شُؤونَ الهام
وصرَّعوا الفرْسَ على الآكام كأنَّهمْ نعمٌ من الأنعام[1]

(٤ : ١٧).

٤٣٣ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن هُبيرة بن الأشعث ، عن جدّه الكَلَج ، قال: كنت فيمن خرج في الطّلب ، فإذا أنا ببغّالَيْن قد ردّا الخيل عنهما بالنّشاب ، فما بقي معهما غير نشّابتين ، فألظظت بهما ، فاجتمعا ، فقال أحدهما لصاحبه: ارمِه وأحميك ، أو أرميه وتحميني!

فحمى كلّ واحد منهما صاحبَه حتى رمَيا بها. ثم إني حملت عليهما فقتلتهما وجئت بالبغلين ما أدري ما عليهما ، حتى أبلغتهما صاحب الأقباض ، وإذا هو يكتب ما يأتيه به الرّجال وما كان في الخزائن والدّور ، فقال: علَى رِسْلك حتى ننظر ما معك! فحططت عنهما ، فإذا سفَطان على أحد البغلين فيهما تاج كِسْرَى مفسّخاً - وكان لا يحمله إلاّ أسطوانتان - وفيهما الجوهر ، وإذا على الآخر سَفَطان فيهما ثياب كسرى التي كان يلبس من الديباج المنسوج بالذّهب المنظوم بالجوهر وغير الدّيباج منسوجاً منظوماً[2]. (٤ : ١٧/ ١٨).

٣٣٤ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، والمهلب ، قالوا: وخرج القَعقاع بن عمرو يومئذ في الطلب ، فلحق بفارسيّ يحمي الناس؛ فاقتتلا فقتله؛ وإذا مع المقتول جَنيبة عليها عَيبتان وغلافان في أحدهما خمسة أسياف ، وفي الآخر ستّة أسياف؛ وإذا في العيبتين أدراع فإذا في الأدراع درع كسرى ومِغفره ، وساقاه ، وساعداه ، ودرْع هرقل ، ودرْع خاقان ، ودرع داهر ، ودرع بَهرام شوبين ، ودرع سياوَخش ، ودرع النعمان؛ وكانوا استلبوا ما لم يرثوا ، استلبوها أيام غزاتهم خاقانَ وهرقلَ وداهرَ؛ وأمّا النعمان وبَهْرام فحين هربا وخالفَا كسرى ، وأما أحد الغلافين ففيه سيف كسرى ، وهرمز ، وقُباذ، وفَيروز ، وإذا السيوف الأخر: سيف هرقل ، وخاقان ،

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

وداهر ، وبهرام ، وسياوخش ، والنعمان؛ فجاء به إلى سعد ، فقال: اختر أحد هذه الأسياف ، فاختار سيف هرقل ، وأعطاه دِرْع بهرام ، وأما سائرها فنقّلها في الخرْساء إلاّ سيف كسرى ، والنعمان ـ ليبعثوا بهما إلى عمر لتسمع بذلك العرب لمعرفتهم بهما ، وحبسوهما في الأخماس ـ وحُليَّ كسرى ، وتاجه ، وثيابه؛ ثم بعثوا بذلك إلى عمر ليراه المسلمون ، ولتسمع بِذلك العرب ، وعلى هذا الوجه سلب خالد بن سعيد عمرَو بن معديكرب سيفه الصَّمصامة في الرِّدّة والقوم يستحيُون من ذلك[1]. (٤ : ١٨).

٤٣٥ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيدة بن مُعتّب ، عن رجل من بني الحارث بن طَرِيف ، عن عصمة بن الحارث الضبيّ ، قال: خرجت فيمن خرج يطلب ، فأخذت طريقاً مسلوكاً وإذا عليه حمّار ، فلمّا رآني؛ حثّه ، فلحق بآخر قدّامه ، فمالا ، وحثّا حماريهما ، فانتهيا إلى جدول قد كُسر جسره ، فثبتا حتى أتيتهما ، ثم تفرّقا ، ورماني أحدهما فألظظت به فقتلته وأفلت الآخر ، ورجعت إلى الحمارين ، فأتيت بهما صاحب الأقباض ، فنظر فيما على أحدهما ، فإذا سَفَطان في أحدهما فرس من ذهب مسرَج بسرْج من فضة ، على ثَفره ولَبَبه الياقوت ، والزُّمُرّد منظوم على الفضة ، ولجام كذلك ، وفارس من فضّة مكلّل بالجوهر ، وإذا في الآخر ناقة من فضّة ، عليها شَلِيل من ذهب ، وبِطان من ذهب ولها شِناق ـ أو زمام ـ من ذهب ، وكلّ ذلك منظوم بالياقوت ، وإذا عليها رجلٌ من ذهب مكلّل بالجوهر ، كان كسرى يضعهما إلى أسطوانتي التاج[2]. (٤ : ١٨/ ١٩).

٤٣٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سَيْف ، عن هبيرة بن الأشعث ، عن أبي عُبيدة العنبريّ ، قال: لما هبط المسلمون المدائن ، وجمعوا الأقباض؛ أقبَل رجل بحُقّ معه ، فدفعه إلى صاحب الأقباض ، فقال والذين معه: ما رأينا مثلَ هذا قطّ ، ما يعدِل ما عندنا ولا يقاربه؛ فقالوا: هل أخذتَ منه شيئاً؟ فقال: أمَا والله لولا الله ما أتيتُكم به ، فعرفوا: أنّ للرّجل شأناً ، فقالوا: مَنْ أنتَ؟ فقال: لا والله لا أخبركم لتحمدوني ، ولا غيركم ليقرّظوني ، ولكنّي أحمَد الله ،

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

وأرضىٰ بثوابه. فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه، فإذا هو عامر بن عبد قيس[١]. (٤ : ١٩).

٤٣٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، والمهلب، وعمرو، وسعيد، قالوا: قال سعد: والله إنّ الجيش لذو أمانة، ولولا ما سبق لأهل بدر لقلت: وايم الله ـ على فضل أهل بدر ـ لقد تتبّعت من أقوامٍ منهم هنَات وهنات فيما أحرزوا، ما أحسبها، ولا أسمَعُها من هؤلاء القوم[٢]. (٤ : ١٩).

٤٣٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن مُبشِّر بن الفُضَيل، عن جابر بن عبد الله، قال: والله الذي لا إله إلاّ هو؛ ما اطّلعنا على أحد من أهل القادسيّة: أنه يريد الدنيا مع الآخرة، ولقد اتّهمنا ثلاثة نفر، فما رأينا كالذي هجمنا عليه من أمانتهم، وزُهدهم: طُليحة بن خُوَيلد، وعمرو بن مَعديكرب، وقيس بن المكشوح[٣]. (٤ : ١٩/ ٢٠).

ذكر صفة قسم الفيء الذي أصيب بالمدائن بين أهله وكانوا ـ فيما زعم سيف ـ ستين ألفاً

٤٣٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، وعمرو، وسعيد، والمهلّب، قالوا: ولما بعث سعد بعد نزوله المدائن في طلب الأعاجم؛ بلغ الطلب النَّهْروَان؛ ثمّ تراجعوا، ومضى المشركون نحو حُلْوان، فقسم سعد الفيء بين الناس بعدما خمّسه؛ فأصاب الفارسَ اثنا عشر ألفاً، وكلُّهم كان فارساً ليس فيهم راجل؛ وكانت الجنائب في المدائن كثيرة[٤]. (٤ : ٢٠).

٤٤٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن المجالد، عن الشعبيّ

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) حديث منكر، وعلته من شعيب المعروف بتحامله على الصحابة وهو ذا يفصح عن تحامله هذا.

(٣) إسناده ضعيف.

(٤) إسناده ضعيف.

بمثله ، وقالوا جميعاً: ونفّل من الأخماس ولم يجْهَدْها في أهل البلاء. وقالوا جميعاً: قسم سعد دور المدائن بين الناس ، وأوطنوها ، والذي وليَ القبض عمرو بن عمرو المُزَنيّ ، والذي وليَ القسم سلْمان بن ربيعة ، وكان فَتْح المدائن في صفر سنة ستّ عشرة. قالوا: ولما دخل سعد المدائن ، أتمّ الصلاة ، وصام ، وأمر الناس بإيوان كسرى فجعل مسجداً للأعياد ، ونصب فيه مِنْبَراً ، فكان يصلّى فيه ـ وفيه التماثيل ـ ويُجَمّع فيه ، فلما كان الفِطْر؛ قيل: ابرزوا ، فإنّ السنّة في العيدين البَراز. فقال سعد: صلّوا فيه؛ قال: فصلِّيَ فيه ، وقال: سواء في عُقْر القرية أو في بطنها[1]. (٤ : ٢٠/ ٢١).

٤٤١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، وزياد ، والمهلب ، وشاركهم عمرو ، وسعيد: وجمع سعد الخُمْس ، وأدخل فيه كلّ شيء أراد أن يعجب منه عمر؛ من ثياب كسرى ، وحُليّه ، وسيفه ، ونحو ذلك ، وما كان يُعجِب العربَ أن يقع إليهم ، ونفّل من الأخماس ، وفضل بعد القَسْم بين الناس وإخراجِ الخمس القِطْف ، فلم تعتدل قسمتُه ، فقال للمسلمين: هل لكم في أن تطيب أنفسنا عن أربعة أخماسه ، فنبعثَ به إلى عمر فيضعه حيث يرى ، فإنا لا نراه يتفق قسمه؛ وهو بيننا قليل؛ وهو يقع من أهل المدينة موقعاً! فقالوا: نعم هاالله إذاً؛ فبعث به على ذلك الوجه ، وكان القِطْف ستين ذراعاً في ستين ذراعاً ، بساطاً واحداً مقدار جريب؛ فيه طُرق كالصّور وفصوص كالأنهار؛ وخلال ذلك كالدّير ، وفي حافاته كالأرض المزروعة ، والأرض المبقلة بالنبات في الربيع من الحرير على قضبان الذهب ونوّاره بالذهب والفضة وأشباه ذلك. فلما قدم على عمر نفّل من الخمس أناساً ، وقال: إنّ الأخماس ينفّل منها مَن شهد ومن غاب من أهل البلاء فيما بين الخُمسين؛ ولا أرى القوم جهدوا الخُمس بالنفل؛ ثم قسم الخمس في مواضعه ، ثمّ قال: أشيروا عليّ في هذا القِطْف! فأجمع ملؤهم على أن قالوا: قد جعلوا ذلك لك ، فَرَ رأيَك ، إلاّ ما كان من عليّ فإنه قال: يا أمير المؤمنين ! الأمر كما قالوا ، ولم يبق إلا التّرويَة؛ إنك إن تقبله على هذا اليوم لم تعدم في غد مَن يستحقّ به ما ليس له ، قال: صدقتني

---

(١) إسناده ضعيف.

ونصحتَني. فقطّعه بينهم[1]. (٤: ٢١/ ٢٢).

٤٤٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عبد الملك بن عمير، قال: أصاب المسلمون يوم المدائن بَهاركسرى، ثقُل عليهم أن يذهبوا به، وكانوا يُعِدّونه للشتاء إذا ذهبت الرّياحين، فكانوا إذا أرادوا الشرب شربوا عليه؛ فكأنهم في رياض بساط ستين في ستين؛ أرضه بذهب، ووشيه بفصوص، وثمره بجوهر، وورقه بحرير وماء الذهب؛ وكانت العرب تسميه: القِطف، فلما قسم سعد فيئهم فضل عنهم، ولم يتّفق قسمته، فجمع سعد المسلمين، فقال: إن الله قد ملأ أيديكم، وقد عسر قسم هذا البساط، ولا يقوى على شرائه أحد، فأرى أن تطيبوا به نفساً لأمير المؤمنين يضعه حيث شاء؛ ففعلوا. فلما قدم على عمر المدينة رأى رؤيا فجمع الناس، فحمِد الله وأثنى عليه، واستشارهم في البساط، وأخبرهم خبره؛ فمن بين مُشير بقبْضه، وآخر مُفوِّض إليه، وآخر مرقّق، فقام عليّ حين رأى عمر يأبى حتّى انتهى إليه، فقال: لمَ تجعل علمك جهلاً، ويقينك شكّاً! إنه ليس لك من الدنيا إلاّ ما أعطيت فأمضيت، أو لبست فأبليت، أو أكلت فأفنيت. قال: صدقْتَني. فقطّعه فقسمه بين الناس، فأصاب عليّاً قطعة منه، فباعها بعشرين ألفاً؛ وما هي بأجودِ تلك القِطَع[2]. (٤: ٢٢).

٤٤٣ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، والمهلّب، وعمرو؛ وسعيد، قالوا: وكان الذي ذهب بالأخماس؛ أخماس المدائن، بشير بن الخَصاصيّة، والذي ذهب بالفتح خنيس بن فلان الأسديّ، والذي وليَ القبض عمرو، والقَسْمَ سلْمان. قالوا: ولما قُسِم البساط بين الناس أكثر الناس في فضل أهل القادسيّة، فقال عمر: أولئك أعيان العرب وغُررها، اجتمع لهم مع الأخطار الدِّين، هم أهل الأيام، وأهل القوادِس. قالوا: ولما أُتيَ بِحُليِّ كسرى وزيّه في المباهاة وزيّه في غير ذلك ـ وكانت له عدّة أزياء لكلّ حالة زيّ ـ قال: عليَّ بمحلِّم ـ وكان أجسمَ عربيّ يومئذ بأرض المدينة ـ فألبِس تاج كسرى على عمودين من خشب، وصبّ عليه أوشحتَه وقلائده وثيابه، وأجلس للناس؛ فنظر إليه عمر، ونظر إليه الناس، فرأوْا أمراً عظيماً من أمر الدنيا

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

وفتنتها ، ثم قام عن ذلك ، فألبِس زِيّه الذي يليه ، فنظروا إلى مثل ذلك في غير نوع ، حتى أتى عليها كلها؛ ثم ألبسه سلاحه ، وقلّده سيفه ، فنظروا إليه في ذلك ، ثم وضعه ثم قال: والله إنّ أقواماً أدّوْا هذا لذوو أمانة. ونفّل سيف كسرى محلِّماً ، وقال: أحمِق بامرىء من المسلمين غرَّته الدنيا! هل يبلغنّ مغرور منها إلاّ دون هذا أو مثله! وما خيرُ امرىء مسلم سبقه كسرى فيما يضرّه ولا ينفعه! إنّ كسرى لم يزد على أن تشاغل بما أوتِي عن آخرته ، فجمع لزوج امرأته أو زوج ابنته ، أو امرأة ابنه ، ولم يقدّم لنفسه ، فقدّم امرؤ لنفسه ، ووضع الفضول مواضعها تحصُل له ، وإلاّ حصلت للثلاثة بعده؛ وأحمِق بمن جمع لهم أو لعدوّ جارِف[1]! (٤ : ٢٢/ ٢٣).

ذكر الخبر عن وقعة جلولاء الوقيعة

٤٤٤ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، والمهلب ، وزياد ، قالوا: وكتب عمر إلى سعد: إن هزم الله الجنديْن ـ جند مهران وجند الأنطاق ـ فقدّم القعقاع حتى يكون بين السواد وبين الجبل على حدّ سوادكم ، وشاركهم عمرو ، وسعيد. قالوا: وكان من حديث أهل جَلُولاء ! أنّ الأعاجم لما انتهوْا بعد الهرب من المدائن إلى جلولاء ، وافترقت الطرق بأهل أذْرَبيجان والباب وبأهل الجبال وفارس؛ تذامروا ، وقالوا: إن افترقتم؛ لم تجتمعوا أبداً ، وهذا مكان يفرّق بيننا ، فهلمّوا فلنجتمع للعرب به ولنقاتلهم ، فإن كانت لنا فهو الذي نريد ، وإن كانت الأخرى كنا قد قضينا الذي علينا ، وأبليْنا عذراً. فاحتفروا الخندق ، واجتمعوا فيه على مِهران الرازيّ ، ونفذَ يزدَجِرد إلى حُلوان فنزل بها ، ورماهم بالرّجال؛ وخلّف فيهم الأموال ، فأقاموا في خندقهم ، وقد أحاطوا به الحَسَك من الخشب إلاّ طرقهم. قال عمرو عن عامر الشعبيّ: كان أبو بكر لا يستعين في حربه بأحد من أهل الرّدّة حتى مات ، وكان عمر قد استعان بهم ، فكان لا يؤمّر منهم أحداً إلا على النفر وما دون ذلك؛ وكان لا يعدل أن يؤمّر الصحابة إذا وجد مَن يجزي عنه في حربه؛ فإن لم يجد ففي التابعين بإحسان ، ولا يُطمع من انبعث في الردّة في الرياسة ، وكان رؤساء أهل

---

(١) إسناده ضعيف.

الردّة في تلك الحروب حِشوة إلى أن ضرب الإسلام بِجرانه.

ثم اشترك عمرو، ومحمد، والمهلب، وطلحة، وسعيد، فقالوا: ففصل هاشم بن عُتْبة بالناس من المدائن في صفر سنة ستّ عشرة في اثني عشر ألفاً؛ منهم وجوه المهاجرين والأنصار وأعلام العرب ممن ارتدّ وممن لم يرتدّ؛ فسار من المدائن إلى جَلُولاء أربعاً، حتى قدم عليهم، وأحاط بهم، فحاصرهم وطاولهم أهلُ فارس، وجعلوا لا يخرجون عليهم إلاّ إذا أرادوا؛ وزاحفهم المسلمون بجلُولاء ثمانين زحفاً، كلّ ذلك يعطي الله المسلمين عليهم الظّفر، وغلبوا المشركين على حَسَك الخشب، فاتّخذوا حَسَك الحديد[1]. (٤ : ٢٤/ ٢٥).

٤٤٥ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عُقْبة بن مكَرم، عن بطان بن بِشْر، قال: لما نزل هاشم على مِهْران بجَلُولاء، حصرهم في خندقهم، فكانوا يزاحفون المسلمين في زُهاء وأهاويلَ، وجعل هاشم يقوم في الناس، ويقول: إنّ هذا المنزل منزل له ما بعده؛ وجعل سعد يُمدّه بالفرسان؛ حتى إذا كان أخيراً احتفلوا للمسلمين، فخرجوا عليهم، فقام هاشم في الناس، فقال: أبلُوا الله بلاء حسناً؛ يتمّ لكم عليه الأجر والمغنَم، واعملوا لله. فالتقوا فاقتتلوا، وبعث الله عليهم ريحاً أظلمت عليهم البلاد فلم يستطيعوا إلا المحاجزة، فتهافت فرسانهم في الخندق، فلم يجدوا بُدّاً من أن يجعلوا فُرَضاً مما يليهم؛ تصعد منه خيلهم؛ فأفسدوا حصنَهم؛ وبلغ ذلك المسلمين، فنظروا إليه، فقالوا: أننهض إليهم ثانية فندخله عليهم أو نموت دونه! فلما نَهَد المسلمون الثانية خرج القوم، فرمُوا حول الخندق مما يلي المسلمين بحسَك الحديد لكيلا يقدم عليهم الخيل، وتركوا للمجال وجهاً، فخرجوا على المسلمين منه، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتَتلُوا مثله إلا ليلة الهرير، إلا أنه كان أكمش وأعجل؛ وانتهى القعقاع بن عمرو في الوجه الذي زاحف فيه إلى باب خندقهم، فأخذ به، وأمر منادياً فنادى: يا معشر المسلمين! هذا أميركم قد دخل خندق القوم، وأخذ به، فأقبِلوا إليه! ولا يمنعنّكم مَن بينكم وبينه من

---

(١) إسناده ضعيف.

دخوله. وإنما أمر بذلك ليقوّي المسلمين به، فحمل المسلمون ولا يشكّون إلا أن هاشماً فيه، فلم يقم لحملتهم شيء، حتى انتهوا إلى باب الخندق، فإذا هم بالقعقاع بن عمرو، وقد أخذ به؛ وأخذ المشركون في هزيمة يَمنة ويَسرة عن المجال الذي بحيال خندقهم؛ فهلكوا فيما أعدّوا للمسلمين فعُقرت دوابّهم، وعادوا رجّالة؛ وأتبعهم المسلمون، فلم يفلِتْ منهم إلا من لا يعدّ، وقتَل الله منهم يومئذ مئة ألف، فجللت القتلى المجال وما بين يديه وما خلْفه، فسمّيت جلولاء بما جللها من قتْلاهم؛ فهي جلولاء الوقيعة[1]. (٤: ٢٥/ ٢٦).

٤٤٦ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عبيد الله بن محفّز، عن أبيه، قال: إني لفي أوائل الجمهور، مُدخَلهم ساباط ومظُلِمهَا، وإني لفي أوائل الجمهور حين عَبَرُوا دجلة، ودخلوا المدائن؛ ولقد أصبت بها تمثالاً لو قسم في بكر بن وائل لسدّ منهم مسَدّاً، عليه جوهر، فأدّيته؛ فما لبثنا بالمدائن إلاّ قليلاً حتى بلغنا: أنّ الأعاجم قد جمعت لنا بجلولاء جمعاً عظيماً، وقدّموا عيالاتِهم إلى الجبال، وحبسوا الأموال؛ فبعث إليهم سعد عمرَو بن مالك بن عتبة بن أهْيَب بن عبد مناف بن زهرة، وكان جُند جلولاء اثني عشر ألفاً من المسلمين، على مقدّمتهم القعقاع بن عمرو، وكان قد خرج فيهم وجوه الناس وفرسانهم؛ فلما مرُّوا ببابل مَهْروذ صالحه دِهْقانها، على أن يفرش له جريب أرض دراهم؛ ففعل وصالحه. ثم مضى حتى قدم عليهم بجَلُولاء، فوجدهم قد خندقوا، وتحصنوا في خندقهم، ومعهم بيت مالهم، وتواثقوا، وتعاهدوا بالنيران ألاّ يفرّوا، ونزل المسلمون قريباً منهم، وجعلت الأمداد تقدُم على المشركين كلّ يوم من حُلوان، وجعل يُمدّهم بكلّ من أمدّه من أهل الجبال، واستمدّ المسلمون سعداً فأمدّهم بمئتي فارس، ثم مئتين، ثم مئتين. ولما رأى أهل فارس أمداد المسلمين بادروا بقتال المسلمين. وعلى خيل المسلمين يومئذ طليحة بن فلان، أحد بني عبد الدار، وعلى خيل الأعاجم خرّزاذ بن خرّهرمز فاقتتلوا قتالا شديداً، لم يقاتلوا المسلمين مثلَه في موطن من المواطن، حتى أنفدوا النبل؛ وحتى أنفدوا النّشّاب، وقصفوا الرماح حتى صاروا إلى السيوف والطّبَرزينات. فكانوا بذلك صدْرَ نهارهم إلى الظهر؛ ولما حضرت الصلاة صلى

---

(١) إسناده ضعيف.

الناس إيماء ، حتى إذا كان بين الصّلاتين خَنَست كتيبة وجاءت أخرى فوقفت مكانها ، فأقبل القعقاع بن عمرو على الناس ، فقال: أهالتْكم هذه؟ قالوا: نعم؛ نحن مُكِلّون وهم مُريحون ، والكالّ يخاف العَجْز إلا أن يُعْقِب؛ فقال: إنّا حاملون عليهم ومجادّوهم وغير كافّين ولا مقلعين حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، فاحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى تخالطوهم ، ولا يكذبنّ أحد منكم. فحمل فانفرجوا ، فما نُهْنِه أحد عن باب الخندق ، وألبسهم الليل رواقه ، فأخذوا يَمنة ويسرة؛ وجاء في الأمداد: طليحة ، وقيس بن المكشوح ، وعمرو بن معد يكرب ، وحُجْر بن عديّ ، فوافقوهم قد تحاجزوا مع الليل ، ونادى منادي القعقاع بن عمرو: أين تحاجزون وأميركم في الخندق! فتفارّ المشركون ، وحمل المسلمون ، فأدخُل الخندق ، فأتى فسطاطاً فيه مرافق وثياب؛ وإذا فُرش على إنسان فأنبُشه ، فإذا امرأة كالغزال في حسن الشمس ، فأخذتُها وثيابها ، فأدَّيت الثياب ، وطلبت في الجارية حتى صارت إليّ فاتخذتها أمّ ولد[1]. (٤: ٢٦/ ٢٧).

٤٤٧ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن حماد بن فلان البرجميّ ، عن أبيه: أنّ خارجة بن الصّلت أصاب يومئذ ناقة من ذهب أو فضة موشحة بالدرّ والياقوت مثل الجَفرة إذا وُضعت على الأرض ، وإذا عليها رجلٌ من ذهب موشّح كذلك ، فجاء بها وبه حتّى أدّاهما[2]. (٤: ٢٧/ ٢٨).

٤٤٨ - وقالوا: واشتركوا في ذلك ، وكتبوا إلى عمر بفتح جَلُولاء ، وبنزول القعقاع حُلوان واستأذنوه في اتباعهم ، فأبى ، وقال: لوددت أنّ بين السواد وبين الجبل سدّاً لا يخلُصون إلينا ولا نخلُص إليهم؛ حسبُنا من الرّيف السواد ، إنّي آثرت سلامة المسلمين على الأنفال. قالوا: ولما بعث هاشم القعقاع في آثار القوم؛ أدرك مِهران بخانقين ، فقتله ، وأدرك الفيرزان ، فنزل ، وتوقّل في الظِّراب ، وخلّى فرسه ، وأصاب القعقاع سبايا ، فبعث بهم إلى هاشم من سباياهم ، واقتسموهم فيما اقتسموا من الفيء ، فاتُّخذنَ ، فولدن في المسلمين.

---

(١) إسناده ضعيف ، وفي متنه خلاف ما جاء في الروايات الصحيحة التي ذكرنا من أن هاشم بن عتبة هو الذي كان على رأس جيش المسلمين الذي أنفذه سعد إلى جلولاء.

(٢) إسناده ضعيف.

وذلك السبي ينسب إلى جَلولاء ، فيقال: سبْي جَلولاء. ومن ذلك السبي أم الشعبيّ ، وقعت لرجل من بني عبس ، فولدت ، فمات عنها ، فخلَف عليها شراحيل ، فولدت له عامراً ، ونشأ في بني عبس[١]. (٤ : ٢٨).

٤٤٩ ـ كتبَ إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، والمهلب ، قالوا: واقتُسم في جَلولاء على كلّ فارس تسعة آلاف ، تسعة آلاف؛ وتسعة من الدواب ، ورجع هاشم بالأخماس إلى سعد[٢]. (٤ : ٢٨/ ٢٩).

٤٥٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبيّ ، قال: أفاء الله على المسلمين ما كان في عسكرهم بجَلُولاء وما كان عليهم ، وكلّ دابة كانت معهم إلاّ اليسير لم يفلتوا بشيء من الأموال ، وولِيَ قَسْم ذلك بين المسلمين سلمان بن ربيعة؛ فكانت إليه يومئذ الأقباض والأقسام ، وكانت العرب تسمّيه لذلك سلْمان الخيل؛ وذلك أنه كان يقسم لها ويقصّر بما دونها ، وكانت العِتاق عنده ثلاث طبقات ، وبلغ سهم الفارس بجَلولاء مثل سهمه بالمدائن[٣]. (٤ : ٢٩).

٤٥١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد ، وعمرو ، عن الشعبيّ ، قال: اقتسم الناس فيءَ جَلولاء على ثلاثين ألف ألف ، وكان الخُمس ستة آلاف ألف[٤]. (٤ : ٢٩).

٤٥٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، ومحمد ، والمهلب ، وسعيد ، قالوا: ونفّلَ سعد من أخماس جَلولاء مَن أعظم البلاء ممنّ شهدها ومن أعظم البلاء ممن كان نائياً بالمدائن ، وبعثَ بالأخماس مع قضاعيّ ابن عمرو الدُّؤليّ من الأذهاب ، والأوراق ، والآنية ، والثياب ، وبعث بالسبي مع أبي مفزّر والأسود ، فمضيا[٥]. (٤ : ٢٩).

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) إسناده ضعيف.
(٥) إسناده ضعيف.

٤٥٣ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن زُهرة ، ومحمد بن عمرو ، قالا: بعث الأخماس مع قضاعيّ وأبي مفزّر ، والحسابَ مع زياد بن أبي سفيان ، وكان الذي يكتب للناس ويدوّنهم ، فلما قدموا على عمر كلم زياد عمرَ فيما جاء له ، ووصف له ، فقال عمر: هل تستطيع أن تقوم في الناس بمثل الذي كلمتني به؟ فقال: والله ما على الأرض شخص أهيبَ في صدري منك ، فكيف لا أقوى على هذا من غيرك! فقام في الناس بما أصابوا وبما صنعوا ، وبما يستأذنون فيه من الانسياح في البلاد. فقال عمر: هذا الخطيب المصقع ، فقال: إنَّ جُنْدَنا أطْلَقوا بالفَعال لِساننا[١]. (٤: ٢٩/ ٣٠).

٤٥٤ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن زهرة ومحمد ، عن أبي سلمة ، قال: لما قُدم على عمر بالأخماس من جَلولاء ، قال عمر: والله لا يُجنّه سقف بيت حتى أقسمه. فبات عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن أرقن يحرسانه في صحن المسجد ، فلما أصبح جاء في الناس فكشف عنه جلابيبَه ـ وهي الأنطاع ـ فلما نظر إلى ياقوته وزبرجدِه وجوهره؛ بكى ، فقال له عبد الرحمن: ما يبكيك يا أمير المؤمنين ! فوالله إنّ هذا لموطن شُكر! فقال: عمر: والله ما ذاك يبكيني ، وتالله ما أعطَى الله هذا قوماً إلاّ تحاسدوا ، وتباغضوا ! ولا تحاسدوا إلاّ ألقِيَ بأسهم بينهم. وأشكل على عمر في أخماس القادسيّة حتى خطر عليه ما أفاء الله ـ يعني من الخُمس ـ فوضع ذلك في أهله ، فأجرى خُمس جلولاء مُجرى خمس القادسيّة عن ملأ وتشاور وإجماع من المسلمين ، ونفل من ذلك بعض أهل المدينة[٢]. (٤: ٣٠).

٤٥٥ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعلم ، عن ماهان ، قال: لم يثبت أحد من أهل السواد على العهد فيما بينهم وبين أهل الأيام إلاّ أهل قَريات ، أخذوها عنوة ، كلهم نكث؛ ما خلا أولئك القريات ، فلما دُعوا إلى الرّجوع صاروا ذمّة ، وعليهم الجِزاء ، ولهم المنْعَة ، إلا ما كان لآل كسرى

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

ومَنْ معهم ، فإنه صافية فيما بين حُلوان والعراق؛ وكان عمر قد رضيَ بالسَّواد من الرّيف[١] . (٤ : ٣١) .

٤٥٦ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن ماهان ، قال: كتبوا إلى عمر في الصّوافي ، فكتب إليهم: أن اعمدوا إلى الصّوافي التي أصفاكموها الله ، فوزّعوها على مَن أفاءها الله عليه؛ أربعة أخماس للجند ، وخُمس في مواضعه إليّ ، وإن أحبُّوا أن ينزلوها فهو الذي لهم. فلما جعل ذلك إليهم رأوا ألاّ يفترقوا في بلاد العجم ، وأقرّوها حبيساً لهم يُولُونها مَن تراضوْا عليه ، ثم يقتسمونها في كلّ عام ، ولا يُولونها إلا مَن أجمعوا عليه بالرضّا ، وكانوا لا يُجمعون إلاّ على الأمراء ، كانوا بذلك في المدائن؛ وفي الكوفة حين تحوّلوا إلى الكوفة[٢] . (٤ : ٣١/ ٣٢) .

٤٥٧ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن عبد الله ابن أبي طيبة ، عن أبيه ، قال: كتب عمر: أن احتازوا فيئكم فإنكم إن لم تفعلوا ، فتقادُم الأمر يلحَج؛ وقد قضيت الذي عليّ. اللهمّ إنّي أشهدك عليهم فاشهد[٣] : (٤ : ٣٢) .

٤٥٨ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن عبد الله ، عن أبيه ، قال: فكان الفلاّحون للطرق ، والجسور ، والأسواق ، والحرث ، والدّلالة مع الجِزاء عن أيديهم على قَدْر طاقتهم؛ وكانت الدّهاقين للجِزية عن أيديهم والعِمارة ، وعلى كلهم الإرشاد ، وضيافة ابنِ السبيل من المهاجرين ، وكانت الضيافة لمن أفاءها الله خاصّة ميراثاً[٤] . (٤ : ٣٢) .

٤٥٩ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبي ثابت بنحو منه ، وقالوا جميعاً: كان فتح جَلولاء في ذي القعدة سنة ستّ عشرة في أولها ، بينها وبين المدائن تسعة أشهر. وقالوا جميعاً: كان صلح عمر الذي صالح عليه أهل الذمة: أنهم إن غشّوا المسلمين لعدوّهم برئتْ

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) إسناده ضعيف.

منهم الذّمة ، وإن سبّوا مسلماً أن يُنهَكوا عقوبة ، وإن قاتلوا مسلماً أن يُقتلوا. وعلى عمر منعتهم. وبرىء عمر إلى كلّ ذي عهد من معرّة الجيوش[١] . (٤ : ٣٢).

٤٦٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله والمستنير ، عن إبراهيم بمثله[٢] . (٤ : ٣٢).

٤٦١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن ماهان ، قال: كان أشقى أهل فارس بجلُولاء أهل الرّيّ؛ كانوا بها حُماةَ أهل فارس ، ففنيَ أهلُ الرّيّ يوم جَلولاء. وقالوا جميعاً: ولما رجع أهل جلولاء إلى المدائن؛ نزلوا قطائعَهم ، وصار السواد ذمة لهم إلا ما أصفاهم الله به من مال الأكاسرة ، ومَن لجّ معهم. وقالوا جميعاً: ولما بلغ أهلَ فارس قولُ عمر ورأيه في السواد وما خلْفه ، قالوا: ونحن نرضى بمثل الذي رضُوا به ، لا يرضى أكراد كلّ بلد أن ينالوا من ريفهم[٣] . (٤ : ٣٢/ ٣٣).

٤٦٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد وحكيم بن عُمَير ، عن إبراهيم بن يزيد ، قال: لا يحلّ اشتراء أرض فيما بين حُلوان والقادسيّة؛ والقادسيّة من الصوافي؛ لأنه لمن أفاءه الله عليه[٤] . (٤ : ٣٣).

٤٦٣ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبيّ مثله[٥] . (٤ : ٣٣).

٤٦٤ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، عن المغيرة بن شِبْل ، قال: اشترى جرير من أرضِ السواد صافيةً على شاطىء

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) إسناده ضعيف.
(٥) إسناده ضعيف.

الفُرات ، فأتى عمر ، فأخبره ، فردّ ذلك الشراء ، وكرهه ، ونهى عن شراء شيء لم يقتسمه أهله[١] . (٤ : ٣٣) .

٤٦٥ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، قال: قلت للشعبيّ: أخذ السواد عنوة؟ قال: نعم ، وكلّ أرض إلاّ بعض القلاع والحصون؛ فإن بعضهم صالح ، وبعضهم غلب ، قلت: فهل لأهل السواد ذمّة اعتقدوها قبل الهرب؟ قال: لا ، ولكنهم لما دُعوا ، ورضوا بالخراج ، وأخذ منهم؛ صاروا ذمّة[٢] .

ذكر فتح تكريت

٤٦٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمّد ، وطلحة ، والمهلب ، وسعيد ، وشاركهم الوليد بن عبد الله بن أبي طَيْبة ، قالوا: كتب سعد في اجتماع أهل الموصل إلى الأنطاق وإقباله حتى نزل بتكْريت ، وخندق فيه عليه ليحميَ أرضه ، وفي اجتماع أهل جلولاء على مِهران معه؛ فكتب في جلولاء ما قد فرغنا منه ، وكتب في تكْريت واجتماع أهل الموصل إلى الأنطاق بها: أن سرّح إلى الأنطاق عبد الله بن المُعتمّ ، واستعمل على مقدّمته ربعيَّ بن الأفكَل العَنزيّ ، وعلى ميمنته الحارثَ بن حسان الذهليّ ، وعلى ميسرته فُراتَ بن حَيّان العِجليّ ، وعلى ساقته هانىء بن قيس ، وعلى الخيل عرفجةَ بن هرْثمة ، ففصل عبد الله بن المعتمّ في خمسة آلاف من المدائن ، فسار إلى تَكريت أربعاً؛ حتى نزل على الأنطاق؛ ومعه الرّوم ، وإياد ، وتغلِب ، والنَّمِر ، ومعه الشهارجة وقد خندقوا بها ، فحصرهم أربعين يوماً ، فتزاحفوا فيها أربعة وعشرين زحفاً ، وكانوا أهون شوْكة ، وأسرعَ أمراً من أهل جَلولاء ، ووكَّل عبد الله بن المعتمّ بالعرب ليدعوَهم إليه وإلى نصرته على الرّوم ، فهم لا يُخفون عليه شيئاً. ولما رأت الرّوم أنهم لا يخرجون خَرْجة إلاّ كانت عليهم ، ويُهْزَمون في كلّ ما زاحفوهم؛ تركوا أمراءهم ، ونقلوا متاعَهم إلى السفن ، وأقبلت العيون من تغلِب ، وإياد ، والنَّمِر

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

إلى عبد الله بن المعتم بالخبر ، وسألوه للعرب السلم ، وأخبروه أنهم قد استجابوا له ، فأرسل إليهم: إن كنتم صادقين بذلك؛ فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأقرُّوا بما جاء به من عند الله ، ثم أعلمونا رأيَكم. فرجعوا إليهم بذلك ، فردُّوهم إليه بالإسلام ، فردّهم إليهم ، وقال: إذا سمعتم تكبيرنا ؛ فاعلموا أنا قد نَهدْنا إلى الأبواب التي تلينا لندخل عليهم منها ، فخذوا بالأبواب التي تَلِي دِجْلة ، وكبِّروا واقتلوا مَن قدرتم عليه؛ فانطلقوا حتى تُواطئوهم على ذلك. ونَهَد عبد الله ، والمسلمون لما يليهم وكَبّروا ، وكبَّرت تغلِب ، وإياد ، والنَّمِر؛ وقد أخذوا بالأبواب ، فحسب القوم: أنّ المسلمين قد أتوْهم من خلفهم ، فدخلوا عليهم مما يلي دِجْلة ، فبادروا الأبواب التي عليها المسلمون ، فأخذتهم السيوف؛ سيوف المسلمين مستقبلتَهم ، وسيوف الرّبَعيِّين الذين أسلموا ليلتئذ من خلفهم؛ فلم يفلت من أهل الخندق إلاّ مَنْ أسلم من تغلِب ، وإياد ، والنَّمِر. وقد كان عمر عهد إلى سعد؛ إن هم هُزموا أن يأمر عبد الله بن المعتم بتسريح ابن الأفكَل العَنَزِيّ إلى الحِصْنين ، فسرّح عبدُ الله بن المعتمّ ابنَ الأفكل العَنَزيّ إلى الحصنيْن ، فأخذ بالطريق ، وقال: اسبق الخبر ، وسر ما دون القيْل ، وأحيِ الليل. وسرّح معه تغلِب ، وإياد ، والنَّمِر ، فقدمهم وعليهم عُتْبة بن الوعِل؛ أحد بني جشم بن سعد ، وذو القُرْط ، وأبو وداعة بن أبي كرب ، وابن ذي السُّنيْنَة قتيل الكُلاب ، وابن الحجير الإياديّ ، وبشر بن أبي حَوْط متساندين ، فسبقوا الخبر إلى الحصنيْن. ولما كانوا منها قريباً قدّموا عتبة بن الوعل ، فادّعى بالظفر ، والنَّفل ، والقَفل ، ثم ذو القُرْط ، ثم ابن ذي السُّنينة ، ثم ابن الحجير ، ثمّ بشر؛ ووقفوا بالأبواب ، وقد أخذوا بها ، وأقبلت سَرعانَ الخيل مع ربعيّ بن الأفْكل حتى اقتحمت عليهم الحصنيْن ، فكانت إيّاها ، فنادوا بالإجابة إلى الصلح ، فأقام من استجاب ، وهرب مَن لم يستجب ، إلى أن أتاهم عبد الله بن المعتّم ، فلما نزل عليهم عبد الله دعا من لجّ وذهب ، ووفَّى لمن أقام ، فتراجع الهرّاب واغتبط المقيم ، وصارت لهم جميعاً الذمة والمنْعَة ، واقتسموا في تَكْرِيت على كلّ سهم ألف درهم ؛ للفارس ثلاثة آلاف وللراجل ألف ، وبعثوا بالأخماس مع فُرات بن حَيّان ، وبالفتح مع

الحارث بن حسان ، وولى حربَ الموصل رِبعيّ بن الأفكل ، والخراجَ عَرْفجة ابن هرثمة[١]. (٤ : ٣٥/ ٣٦).

ذكر فتح ماسَبَذان

وفي هذه السنة ـ أعني سنة ست عشرة ـ كان فتح ماسَبَذان أيضاً.

ذكر الخبر عن فتحها:

٤٦٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، ومحمد ، والمهلّب ، وعمرو ، وسعيد قالوا: ولما رجع هاشم بن عُتْبة من جَلُولاء إلى المدائن؛ بلغ سعداً أن آذين بن الهرمزان قد جمع جمعاً ، فخرج بهم إلى السهل ، فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر: ابعث إليهم ضرار بن الخطاب في جُنْد ، واجعل على مقدّمته ابن الهذيل الأسديّ ، وعلى مجنّبتيه عبد الله بن وهب الراسبيّ حليف بَجِيلة ، والمضارب بن فلان العجليّ؛ فخرج ضرار بن الخطاب ، وهو أحد بني محارب بن فِهْر في الجند ، وقدّم ابنَ الهذيل ؛ حتى انتهى إلى سهل ماسَبَذان ، فالتقوْا بمكان يدعَى بهَنْدف ، فاقتتلوا بها ، فأسرع المسلمون في المشركين ، وأخذ ضرار آذين سَلَماً ، فأسره ، فانهزم عنه جيشه ، فقدّمه ، فضرب عنقه. ثم خرج في الطلب حتى انتهى إلى السيرَوان ، فأخذ ماسَبَذان عنوة ، فتطاير أهلها في الجبال ، فدعاهم فاستجابوا له ، وأقام بها حتى تحول سعد من المدائن فأرسل إليه ، فنزل الكوفة ، واستخلف ابن الهذيل على ماسَبَذان ، فكانت إحدى فروج الكوفة[٢]. (٤ : ٣٧).

---

(١) إسناده ضعيف. وذكر البخاري اسم عبد الله بن المعتم وقال: له صحبة ولا يصح إسناده (التاريخ الكبير ٥/ ٢٧) وقال ابن الأثير الجزري في ترجمته أنه فتح تكريت ونسب هذا القول إلى ابن إسحاق (أسد الغابة ٣/ت ٣١٩٧) وراجع ما كتبنا في فتح تكريت قسم الصحيح (٣٥/٤).

(٢) إسناده ضعيف ، وقال خليفة بن خياط : ويقال: بل وجّه (أي سعد) هاشم بن عتبة ثم انتقضوا حين ساروا إلى نهاوند ثم سار هاشم إلى ماه دينار فأجلاهم إلى آذربيجان ثم بعثوا إلى سعدٍ فصالحوه وافتتح هاشم الماهات وماسبذان (تاريخ خليفة/ ١٤٠).

ذكر وقعة قرقيسياء

وفيها كانت وقعة قَرْقيسياء في رَجب.

ذكر الخبر عن الوقعة بها:

٤٦٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن طلحة، ومحمد، والمهلب، وعمرو، وسعيد، قالوا: ولما رجع هاشم بن عُتْبة عن جَلُولاء إلى المدائن وقد اجتمعت جموع أهل الجزيرة، فأمدّوا هِرقل على أهل حِمْص، وبعثوا جنداً إلى أهل هِيت، وكتب بذلك سعد إلى عمر، فكتب إليه عمر: أن ابعث إليهم عمَر بن مالك بن عُتْبة بن نوفل بن عبد مناف في جند، وابعث على مقدّمته الحارثَ بن يزيد العامريّ، وعلى مجنّبتيه رِبعيَّ بن عامر، ومالكَ بن حبيب، فخرج عمر بن مالك في جنده سائراً نحو هيت، وقدّم الحارث بن يزيد؛ حتى نزل على مَن بِهيت، وقد خندقوا عليهم. فلما رأى عمر بن مالك امتناعَ القوم بخندقهم واعتصامهم به؛ استطال ذلك، فترك الأخبية على حالها، وخلّف عليهم الحارث بن يزيد محاصرَهم، وخرج في نصف النّاس يعارض الطريق حتى يجيء قَرْقِيسياء في غِرّة، فأخذها عَنوة، فأجابوا إلى الجِزاء، وكتب إلي الحارث بن يزيد: إن هم استجابوا؛ فخلّ عنهم فليخرجوا، وإلاّ فخندق على خندقهم خندقاً أبوابُه ممّا يليك حتى أرى من رأيي. فسمحوا بالاستجابة، وانضمّ الجند إلى عمر، والأعاجم إلى أهل بلادهم[1] (٤ : ٣٨).

وقال الواقديّ: وفي هذه السنة غرّب عمرُ أبا مِحْجن الثقفيّ إلى باضع. قال: وفيها تزوّج ابن عُمر صفيّة بنت أبي عُبيدة[2]. (٤ : ٣٨).

---

(١) إسناده ضعيف وكذلك ذكر الذهبي في تأريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين ـ: أن وقعة قرقيسياء كانت سنة (١٦ هـ). وفي معجم البلدان: أن قرقيسياء بلد على نهر خابور قرب رحبة مالك بن طوق (معجم البلدان ٤/ ٣٢٨).

(٢) قلنا: الواقدي متروك وقد ذكر هذه الحادثة بدون إسناد وذكر ابن حجر في الإصابة في ترجمة أبي محجن قال: وذكر المدائني عن إبراهيم بن حكيم عن عاصم بن عروة: أن عمر غرّب أبا محجن وكان يدمن الخمر، فأمر أبا جهراء البصري ورجلاً آخر أن يحملاه في البحر فيقال: إنه هرب منهما وأتى العراق أيام القادسية ـ وذكر أبو عمر نحوه وزاد: أن عمر كتب=

٤٦٩ ـ قال: وحدّثني ابن أبي سبرة عن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن ابن المسيّب ، قال: أوّل مَن كتب التاريخ عمر ، لسنتين ونصف من خلافته ، فكتب لستّ عشرة من الهجرة بمشورة عليّ بن أبي طالب[1] . (٤ : ٣٨) .

وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطّاب ، واستخلف على المدينة ـ فيما زعم الواقديّ ـ زيد بن ثابت. وكان عامل عمر في هذه السنة على مكة عتّاب بن أسيد ، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص ، وعلى اليمن يعلَى بن أميّة ، وعلى اليمامة ، والبحرين العَلاء بن الحضرميّ ، وعلى عُمان حذيفة بن محصن ، وعلى الشام كلها أبو عبيدة بن الجراح ، وعلى الكوفة سعد بن أبي وقاص ، وعلى قضائها أبو قُرّة ، وعلى البصرة وأرضها المُغيرة بن شعبة ، وعلى حرب الموصل ربعيّ بن الأفكل ، وعلى الخراج بها عَرْفجة بن هرثمة في قول بعضهم ، وفي قول آخرين: عُتبة بن فَرْقد على الحرب والخراج ـ وقيل: ذلك كلّه كان إلى عبد الله بن المعتمّ ـ وعلى الجزيرة عِياض بن عمرو الأشعري. (٤ : ٣٩) .

ثم دخلت سنة سبع عشرة

ذكر سبب تحوُّل مَن تحوّل من المسلمين من المدائن إلى الكوفة وسبب اختطاطهم الكوفة في رواية سيف

٤٦٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلّب وعمرو وسعيد ، قالوا: لما جاء فتح جَلولاء وحُلوان ونزول القعقاع بن عمرو بحُلوان فيمن معه ، وجاء فتح تكرِيت ، والحِصْنَيْن ، ونزول عبد الله بن المعتمّ ، وابن الأفكَل الحصنيْن فيمن معه؛ وقدمت الوفود بذلك على عُمر ، فلمّا رآهم

= إلى سعد أن يحبسه فحبسه ـ (الإصابة ٧/ ٣٠٠/ت ١٠٥٠٧).
قال: وفيها ماتت مارية أم ولد رسول الله ﷺ أم إبراهيم وصلى عليها عمر وقبرها بالبقيع في المحرم.
والواقدي متروك والخبر عن الواقدي في طبقات ابن سعد الكبرى (٨/ ٢١٦).

(١) إسناده ضعيف جداً؛ فابن أبي سبرة (أبو بكر بن عبد الله) منكر الحديث واتهم بوضع الحديث ، أما عن أول كتابة للتأريخ الإسلامي فقد تحدث عنها الطبري بالتفصيل في السنة الأولى من الهجرة.

عمر قال: والله ما هيئتكم بالهيئة التي أبدأتم بها ! ولقد قدمت وفود القادسيّة والمدائن وإنهم لكما أبدؤوا ، ولقد انتكيتم فما غيَّركم؟ قالوا: وُخومة البلاد. فنظر في حوائجهم ، وعجل سَراحهم؛ وكان في وفود عبد الله بن المعتمّ عُتبة بن الوغْل ، وذو القُرْط ، وابن ذي السُّنيْنَة ، وابن الحجيْر ، وبشْر ، فعاقدوا عمر على بني تغلِب ، فعقد لهم؛ على أنّ مَن أسلم منهم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، ومَن أبى فعليه الجِزاء؛ وإنما الإجبار من العرب على مَن كان في جزيرة العرب. فقالوا: إذاً يهربون ، وينقطعون ، فيصيرون عجماً؛ فأمرٌ أجمَلُ الصّدقة؛ فقال: ليس إلاّ الجِزاء ، فقالوا: تجعل جزيتهم مثل صدقة المسلم ، فهو مجهودهم ، ففعل على ألاّ ينصِّروا وليداً ممن أسلم آباؤهم ، فقالوا: لك ذلك ، فهاجر هؤلاء التغلبِيّون ومَن أطاعهم من النمِريّين ، والأياديّين إلى سعد بالمدائن وخطُّوا معه بعد بالكوفة ، وأقام مَن أقام في بلاده على ما أخذوا لهم على عمر مسلمهُم وذمّيُّهم[١] . (٤ : ٤٠) .

٤٧٠ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن ابن شُبرمة ، عن الشعبيّ ، قال: كتب حذيفة إلى عمر: إنّ العرب قد أتْرِفتْ بطونها ، وخفّت أعضادُها ، وتغيَّرت ألوانها؛ وحذيفة يومئذ مع سعد[٢] . (٤ : ٤٠) .

٤٧١ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، والمهلب ، وعمرو ، وسعيد ، قالوا: ولما قدم سلمان ، وَحذيفة على سعد ، وأخبراه عن الكوفة ، وقدم كتاب عمر بالذي ذكرا له؛ كتب سعد إلى القعقاع بن عمرو: أن خلِّف على الناس بجلولاء قُباذ فيمن تبعكم إلى من كان معه من الحمراء. ففعل وجاء حتى قدم على سعد في جنده ، وكتب سعد إلى عبد الله بن المعتمّ: أن خلّف على الموصل مسلمَ بن عبد الله الذي كان أسِر أيام القادسيّة فيمن استجاب لكم من الأساورة ، ومَن كان معكم منهم. ففعل ، وجاء حتى قدم على سعد في جنده ، فارتحل سعد بالناس من المدائن حتى عسكر بالكوفة في المحرّم سنة سبع عشرة. وكان بين وقعة المدائن ونزول الكوفة سنة وشهران ، وكان بين قيام عمر واختطاط الكوفة ثلاث سنين وثمانية أشهر؛ اختطّت سنة أربع

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

من إمارة عمر في المحرّم سنة سبع عشرة من التأريخ ، وأعطوا العطايا بالمدائن في المحرّم من هذه السنة قبل أن يرتحلوا. وفي بَهُرسير ، في المحرّم سنة ستّ عشرة ، واستقرّ بأهل البصرة منزلهم اليوم بعد ثلاث نزلات قبلها ، كلها ارتحلوا عنها في المحرم سنة سبع عشرة ، واستقرّ باقي قرارهما اليوم في شهر واحد.

وقال الواقديّ: سمعتُ القاسم بن معن يقول: نزل الناس الكوفة في آخر سنة سبع عشرة.

قال: وحدّثني ابن أبي الرُّقاد عن أبيه ، قال: نزلوها حين دخلت سنة ثماني عشرة في أوّل السنة[١] . (٤ : ٤٢/ ٤٣) .

٤٧٢ - رجع الحديث إلى حديث سيف: قالوا: وكتب عمر إلى سعد بن مالك وإلى عُتْبة بن غَزْوان أن يتربّعا بالناس في كلّ حين ربيع في أطيب أرضهم ، وأمر لهم بمعاونهم في الربيع من كلّ سنة ، وبإعطائهم في المحرّم من كلّ سنة ، وبفيئهم عند طلوع الشِّعْرى في كلّ سنة؛ وذلك عند إدراك الغلاّت ، وأخذوا قبل نزول الكوفة عطاءين[٢] . (٤ : ٤٣) .

٤٧٣ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مخلد بن قيس ، عن رجل من بني أسد يدعى المغرور ، قال: لما نزل سعد الكوفة؛ كتب إلى عمر: إنّي قد نزلت بكوفة منزلاً بين الحيرة والفُرات بريّاً بحرياً ، يُنبت الحِليّ والنِّصِيّ ، وخيّرتُ المسلمين بالمدائن ، فمن أعجبه المقام فيها تركته فيها كالمسلحة ، فبقي أقوام من الأفناء ، وأكثرهم بنو عَبْس[٣] . (٤ : ٤٣) .

٤٧٤ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، وعمرو ، وسعيد ، والمهلب ، قالوا: ولما نزل أهل الكوفةِ الكوفَةَ ، واستقرّت بأهل البصرة الدار؛ عرف القوم أنفسهم ، وثاب إليهم ما كانوا فقدوا. ثمّ إنّ أهلَ الكوفة استأذنوا في بنيان القصَب ، واستأذن فيه أهل البصرة ، فقال عمر: العسكر أجدُّ لحربكم وأذكى لكم ، وما أحبّ أن أخالفكم ، وما القصب؟ قالوا:

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

العِكْرش إذا رَوِيَ؛ قصّب، فصار قصباً، قال: فشأنكم؛ فابتنى أهل المصريْن بالقصب.

ثم إنّ الحريق وقع بالكوفة وبالبصرة، وكان أشدّهما حريقاً الكوفة، فاحترق ثمانون عريشاً، ولم يبق فيها قَصبة في شوّال، فما زال الناس يذكرون ذلك. فبعث سعد منهم نفراً إلى عُمر يستأذنون في البناء باللبِن، فقدِموا عليه بالخبر عن الحريق، وما بلغ منهم ـ وكانوا لا يَدَعون شيئاً ولا يأتونه إلاّ وآمَروه فيه ـ فقال: افعلوا؛ ولا يزيدَنّ أحدُكم على ثلاثة أبيات، ولا تطاوَلوا في البنيان، والزموا السنّة تلزمكم الدولة. فرجع القوم إلى الكوفة بذلك. وكتب عمر إلى عُتبة وأهل البصرة بمثل ذلك؛ وعلى تنزيل أهل الكوفة أبو الهيّاج بن مالك، وعلى تنزيل أهل البصرة عاصم بن الدُّلَف أبو الجرباء.

قال: وعهد عمر إلى الوفد، وتقدّم إلى الناس: ألاّ يرفعوا بنياناً فوق القَدْر. قالوا: وما القدْر؟ قال: ما لا يقرّبكم من السَّرَف، ولا يخرجكم من القصد[1]. (٤: ٤٣/ ٤٤).

٤٧٥ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، والمهلب، وعمرو، وسعيد، قالوا: لما أجمعوا على أن يضعوا بنيان الكوفة؛ أرسل سعد إلى أبي الهيّاج فأخبره بكتاب عمر في الطّرُق: أنه أمر بالمناهِج أربعين ذراعاً، وما يليها ثلاثين ذراعاً، وما بين ذلك عشرين، وبالأزّقة سبع أذرع، ليس دون ذلك شيء، وفي القطائع ستين ذراعاً إلاّ الذي لبني ضبّة. فاجتمع أهل الرأي للتقدير؛ حتى إذا أقاموا على شيء؛ قسّم أبو الهيّاج عليه؛ فأوّل شيء خُطّ بالكوفة وبُني حين عزموا على البناء المسجدُ، فوُضع في موضع أصحاب الصابون والتّمارين من السوق، فاختطوه، ثم قام رجل في وسطه، رامٍ شديد النّزع، فرمى عن يمينه فأمر مَنْ شاء أن يبنيَ وراء موقع ذلك السهم، ورمى من بين يديه ومن خلفه، وأمر مَن شاء أن يبنيَ وراء موقع السهمين. فترك المسجد في مربّعةٍ غلوة من كلّ جوانبه، وبنى ظُلّةً في مقدمه، ليست لها مجنّبات ولا مواخير، والمربعة لاجتماع الناس لئلا يزدحموا، وكذلك كانت المساجد

---

(١) إسناده ضعيف.

ما خلا المسجد الحرام ، فكانوا لا يشبّهون به المساجد تعظيماً لحرمته ، وكانت ظُلّته مئتي ذراع على أساطين رخام كانت للأكاسرة ، سماؤها كأسمية الكنائس الرّومية ، وأعلموا على الصحن بخندق لئلا يقتحمه أحد ببنيان ، وبنَوا لسعد داراً بحياله بينهما طريق منقَبُ مئتي ذراع ، وجعل فيها بيوت الأموال ، وهي قصر الكوفة اليوم ، بنى ذلك له روزبه من آجرّ بنيان الأكاسرة بالحيرة ، ونهَج في الودَعة من الصحن خمسة مناهج ، وفي قِبْلته أربعة مناهج ، وفي شرقيّه ثلاثة مناهج ، وفي غربيّه ثلاثة مناهج ، وعلَّمها ، فأنزل في وَدَعة الصحن سليماً وثَقِيفاً مما يلي الصحن على طريقين ، وهَمْدان على طريق ، وبَجِيلة على طريق آخر ، وتيم اللّات على آخرهمْ وتغلِب ، وأنزل في قبلة الصحن بني أسد على طريق ، وبين بني أسَد والنَّخَع طريق ، وبين النَّخَع وكِندة طريق ، وبين كِنْدة والأزْد طريق ، وأنزل في شرقيّ الصحن الأنصار ، ومُزَينة على طريق ، وتميماً ومحارباً على طريق ، وأسداً وعامراً على طريق ، وأنزل في غربيّ الصحن بجالة وبَجْلة على طريق ، وجَدِيلةَ وأخلاطاً على طريق ، وجُهينة وأخلاطاً على طريق ، فكان هؤلاء الذين يلون الصحن وسائر الناس بين ذلك ومن وراء ذلك. واقتُسِمت على السُّهْمان؛ فهذه مناهجها العظمى. وبنوا مناهج دونها تحاذِي هذه ثم تلاقيها ، وأخَر تُتبعها ، وهي دونها في الذّرْع ، والمحالّ من ورائها؛ وفيما بينها ، وجعل هذه الطرقات من وراء الصحن ، ونزل فيها الأعشار من أهل الأيّام والقوادس ، وحمى لأهل الثغور والموصل أماكنَ حتى يُوافوا إليها؛ فلما ردفتهم الروادف: البدء ، والثّناء ، وكثروا عليهم ، ضيّق الناس المحالّ فمَن كانت رادِفَتُه كثيرة شخص إليهم وترك محلّته ، ومَن كانت رادِفته قليلة أنزلوهم منازلَ مَن شخص إلى رادفته لقلّته إذا كانوا جيرانهم؛ وإلاّ وسعوا على روادفهم وضيّقوا على أنفسهم؛ فكان الصحن على حاله زمانَ عمر كله ، لا تطمع فيه القبائل؛ ليس فيه إلا المسجد والقصر ، والأسواق في غير بنيان ولا أعلام. وقال عمر: الأسواق على سنَّة المساجد ، مَن سبق إلى مقْعد فهو له؛ حتى يقوم منه إلى بيته أو يفرغ من بيعه؛ وقد كانوا أعدُّوا مُناخاً لكلّ رادف؛ فكان كلّ مَن يجيء سواء فيه ـ وذلك المناخ اليومَ دور بني البكّاء ـ حتى يأتوا بالهيّاج ، فيقوم في أمرهم حتى يقطع لهم حيث أحبُّوا. وقد بنى سعد في الذين خطُّوا للقصر قصراً بحيال محراب مسجد الكوفة اليوم ، فشيّده ، وجعل فيه بيت المال ، وسكن ناحيتَه. ثم إنّ بيتَ

المال نُقب عليه نقبٌ ، وأخِذ من المال ، وكتب سعد بذلك إلى عمر ، ووصف له موضع الدّار وبيوت المال من الصّحن مما يلي وَدعة الدار.

فكتب إليه عمر: أن انقل المسجد حتى تضعه إلى جَنْب الدار ، واجعَل الدّار قبلته؛ فإنّ للمسجد أهلاً بالنهار وبالليل؛ وفيهم حصن لمالهم ، فنقل المسجد وأراغ بنيانه ، فقال له دهقان من أهل هَمَذان؛ يقال له: روزبه بن بُزُرْجمِهر: أنا أبنيه لك ، وأبني لك قصراً فأصِلُهما ، ويكون بنياناً واحداً. فخطّ قصر الكوفة على ما خطّ عليه ، ثم أنشأه من نِقْضِ آجرّ قصر كان للأكاسرة في ضواحي الحيرة على مساحته اليوم ، ولم يسمح به ، ووضع المسجد بحيال بيوت الأموال منه إلى منتهى القصر ، يَمْنة على القبلة ، ثم مدّ به عن يمين ذلك إلى منقطع رَحبَة عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، والرحبَة قبلته ، ثم مدّ به فكانت قبلة المسجد إلى الرّحَبة وميمنة القصر ، وكان بنيانه على أساطين منِ رُخام كانت لكسرى بكنائس بغير مجنّبات؛ فلم يزل على ذلك حتى بنِيَ أزمانَ معاوية بن أبي سفيان بنيانَه اليوم؛ على يديْ زياد. ولما أراد زياد بنيانه دعا ببنّائين من بنّائي الجاهليّة ، فوصف لهم موضع المسجد ، وقدرَه ، وما يشتهي من طوله في السماء ، وقال: أشتهي من ذلك شيئاً لا أقع على صفته؛ فقال له بنّاء قد كان بنّاءً لكسرى: لا يجيء هذا إلا بأساطين من جبال أهواز ، تُنقَر ثم تُثقَب ، ثم تحشى بالرصاص وبسفافيد الحديد ، فترفعه ثلاثين ذراعاً في السماء ، ثم تسقّفه ، وتجعل له مجنّبات ومواخير؛ فيكون أثبت له. فقال: هذه الصّفة التي كانت نفسي تنازعني إليها ولم تعبرها. وغلّق بابَ القصر ، وكانت الأسواق تكون في موضعه بين يديه ، فكانت غوغاؤهم تمنع سعداً الحديث؛ فلمّا بنى ادّعى الناس عليه ما لم يقل ، وقالوا: قال سعد: سَكِّن عني الصّويت. وبلغ عمر ذلك ، وأنّ الناس يسمُّونه قصر سعد ، فدعا محمد بن مسلمة ، فسرّحه إلى الكوفة ، وقال: اعمِد إلى القصر حتى تحرِق بابه ، ثم ارجع عودَك على بدئك؛ فخرج حتى قدم الكوفة ، فاشترى حطباً ، ثم أتى به القصر ، فأحرق الباب ، وأُتِيَ سعد فأخبر الخبر ، فقال: هذا رسول أرسِل لهذا من الشأن ، وبعث لينظر مَن هو؛ فإذا هو محمد بن مسلَمة ، فأرسل إليه رسولاً بأن ادخل ، فأبى فخرج إليه سعد ، فأراده على الدخول والنزول ، فأبى ، وعرض عليه نفقة فلم يأخذ ، ودفع كتاب عمر

إلى سعد: بلغني أنك بنيت قصراً اتّخذته حصناً، ويسمى قَصْر سعد، وجعلت بينك وبين الناس باباً؛ فليس بقصرك؛ ولكنه قصر الخبَال؛ انزل منه منزلاً مما يلي بيوت الأموال وأغلقه، ولا تجعل على القصر باباً تمنع الناس من دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم، ليوافقوا مجلسَك ومخرجك مِنْ دارك إذا خرجت؛ فحلف له سعد ما قال الذي قالوا. ورجع محمد بن مسلَمة من فوره؛ حتى إذا دنا من المدينة فني زادهُ، فتبلّغ بلحاء من لحاء الشجَر، فقدم على عمر، وقد سَنِق فأخبره خبره كله، فقال: فهلاّ قبلت من سعد! فقال: لو أردت ذلك كتبتَ لي به، أو أذنت لي فيه، فقال عمر: إنّ أكملَ الرّجال رأياً من إذا لم يكن عنده عهد من صَاحبه عمل بالحزم، أو قال به، ولم ينكل؛ وأخبره بيمين سعد وقوله، فصدّق سعداً، وقال: هو أصدق ممن روى عليه ومَن أبلغني[1]. (٤: ٤٤/ ٤٥/ ٤٦/ ٤٧).

٤٧٦ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عطاء أبي محمد، مولى إسحاق بن طلحة، قال: كنت أجلس في المجلس الأعظم قبل أن يبنيَه زياد، وليست له مجنّبات ولا مَواخير، فأرى منه دير هند، وباب الجِسْر[2]. (٤: ٤٧).

٤٧٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن ابن شبرمة، عن الشعبيّ، قال: كان الرجل يجلس في المسجد فيرى منه باب الجسر[3]. (٤: ٤٧/ ٤٨).

٤٧٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عمر بن عياش أخي أبي بكر بن عيّاش، عن أبي كثير: أن روزبه بن بزرجُمِهْر بن ساسان كان هَمَذانيّاً، وكان على فَرْج من فُروج الرّوم، فأدخل عليهم سلاحاً، فأخافه الأكاسرة، فلحق بالرّوم، فلم يأمن حتى قدم سعد بن مالك، فبنى له القصر والمسجد. ثم كتب معه إلى عمر، وأخبره بحاله، فأسلم، وفرض له عمر وأعطاه، وصرفه إلى سعد مع أكريائه ـ والأكرياء يومئذ هم العباد ـ حتى إذا كان بالمكان الذي يقال له: قبر العباديّ مات، فحفروا له، ثم انتظروا به من يمرّ بهم

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

ممن يُشهدونه موته ، فمرّ قوم من الأعراب ، وقد حفروا له على الطريق ، فأرَوْهموه ليبرؤوا من دمه ، وأشهدوهم ذلك ، فقالوا: قبر العِباديّ ـ وقيل قبر العباديّ لمكان الأكرياء ـ قال أبو كثير: فهو والله أبي ، قال: فقلت: أفلا تخبر الناس بحاله! قال: لا[١]. (٤ : ٤٨).

٤٧٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، والمهلب ، وعمرو ، وسعيد ، وزياد ، قالوا: ورَجح الأعشار بعضهم بعضاً رَجَحاناً كثيراً ، فكتب سعد إلى عمر في تعديلهم ، فكتب إليه: أن عَدّلهم ، فأرسل إلى قوم من نُسّاب العرب وذوي رَأيِهم وعقلائهم ، منهم سعيد بن نِمْران ، ومشعلة بن نعيم ، فعدّلوهم عن الأسباع ، فجعلوهم أسباعاً ، فصارت كنانة وحلفاؤها من الأحابيشِ وغيرهم ، وجديلة ـ وهم بنو عمرو بن قيس عيلانَ ـ سبعاً ، وصارت قضاعةَ ـ ومنهم يومئذ غسان بن شبام ـ وبجَيلة ، وخُثْعم ، وكِنْدة ، وحضرموت ، والأزْدُ سُبعاً ، وصارت مذحِج وحمير وَهمدان وحلفاؤهم سُبعاً ، وصارت تميم ، وسائر الرِّباب ، وهوازن سبعاً ، وصارت أسد ، وغطفان ، ومحارب ، والنَّمِر ، وضُبيعة ، وتغلِب سُبعاً ، وصارت إياد ، وعكّ ، وعبد القيس ، وأهل هَجَر ، والحمراء ، سبْعاً ، فلم يزالوا بذلك زمانَ عمر ، وعثمان ، وعليّ ، وعامّة إمارة معاوية؛ حتى ربَّعهم زياد[٢]. (٤ : ٤٨).

إعادة تعريف الناس

٤٨٠ ـ وعرّفوهم على مئة ألف درهم ، فكانت كل عِرافة من القادسيّة خاصّة ثلاثة وأربعين رجلاً ، وثلاثاً وأربعين امرأة ، وخمسين من العيال ، لهم مئة ألف درهم ، وكلّ عِرافة من أهل الأيّام عشرين رجلاً على ثلاثة آلاف وعشرين امرأة ، وكلّ عيّل على مئة على مئة ألف درهم ، وكلّ عِرافة من الرّادفة الأولى ستّين رجلاً ، وستين امرأة ، وأربعين من العيال ممن كان رجالهم ألحقوا على ألف وخمسمئة على مئة ألف درهم ، ثم على هذا من الحساب.

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

وقال عطيّة بن الحارث: قد أدركت مئة عريف، وعلى مثل ذلك كان أهل البصرة، كان العطاء يُدفع إلى أمراء الأسباع وأصحاب الرّايات، والرّايات على أيادي العرب، فيدفعونه إلى العُرفاء، والنقباء، والأمَناء، فيدفعونه إلى أهله في دُورهم[١]. (٤: ٤٩).

ذكر خبر حمص حين قصد من فيها من المسلمين صاحبُ الروم

٤٨١ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن زكرياء بن سِياه، عن الشعبيّ، قال: استمدّ أبو عبيدة عمرَ، وخرجت عليه الرّوم، وتابعهم النصارى، فحصروه، فخرج، وكتب إلى أهل الكوفة، فنفر إليهم في غداةٍ أربعة آلاف على البِغال يجنبون الخيل، فقدِموا على أبي عبيدة في ثلاث بعد الوقعة، فكتب فيهِم إلى عمر، وقد انتهى إلى الجابية، فكتب إليه: أنْ أشرِكْهم، فإنهم قد نفروا إليكم، وتفرّق لهم عدوّكم[٢]. (٤: ٥٢).

٤٨٢ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن طلحة، عن ماهان، قال: كان لعمر أربعة آلاف فَرس عُدّة لكون إن كان، يُشَتِّيها في قبلة قصر الكوفة وميْسرته؛ ومن أجل ذلك يسمّى ذلك المكان الآريّ إلى اليوم، ويربّعها فيما بين الفرات والأبيات من الكوفة مما يلي العاقول، فسمّته الأعاجم «آخر الشاهجان»، يعنونَ معْلَف الأمراء، وكان قيِّمُه عليها سَلْمان بن ربيعة الباهليّ في نفر من أهل الكوفة، يصنِّع سوابقَها، ويُجرْيها في كلّ عام، وبالبصرة نحو منها، وقيّمُه عليها جَزْء بن معاوية، وفي كلّ مصر من الأمصار الثمانية على قدرها، فإن نابتهم نائبة ركب قوم، وتقدّموا إلى أن يستعدّ الناس[٣]. (٤: ٥٢).

٤٨٣ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن حلّام، عن شهر ابن مالك بنحو منه. فلما فرغوا؛ رجعوا[٤].

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) إسناده ضعيف.

ذكر فتح الجزيرة

٤٨٤ - وفي هذه السنة - أعني سنة سبع عشرة - افتُتحت الجزيرة في رواية سيف. وأما ابن إسحاق؛ فإنه ذكر: أنها افتُتحت في سنة تسع عشرة من الهجرة، وذكر من سبب فتحها ما حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة عنه: أن عمر كتب إلى سعد بن أبي وقاص: إنّ الله قد فتح على المسلمين الشام، والعراق، فابعث من عندك جنداً إلى الجزيرة، وأمِّر عليهم أحد الثلاثة: خالدَ بن عُرْفطة، أو هاشمَ بن عتبة، أو عياضَ بن غَنْم. فلما انتهى إلى سعد كتابُ عمر؛ قال: ما أخّر أمير المؤمنين عياضَ بن غَنْم آخر القوم إلاّ أنه له فيه هوىً أن أولِّيَه؛ وأنا موليه. فبعثه، وبعث معه جيشاً، وبعث أبا موسى الأشعرِي، وابنه عمر بن سعد - وهو غلام حدَث السنّ ليس إليه من الأمر شيء - وعثمانَ بن أبي العاص بن بشْر الثقفيّ، وذلك في سنة تسع عشرة. فخرج عياض إلى الجزيرة، فنزل بجنده على الرُّهاء، فصالحه أهلُها على الْجزية، وصالحت حرّان حين صالحت الرُّهاء، فصالحه أهلها على الجزية. ثمّ بعث أبا موسى الأشعريّ إلى نصيبين، ووجّه عمر بن سعد إلى رأس العين في خيل ردءاً للمسلمين، وسار بنفسه في بقيّة الناس إلى دارا، فنزل عليها؛ حتى افتتحها، فافتتح أبو موسى نَصِيبين، وذلك في سنة تسع عشرة. ثمّ وجه عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية الرابعة، فكان عندها شيء من قتال؛ أصيب فيه صفوان بن المُعطَّل السُّلميّ شهيداً. ثمّ صالح أهلها عثمان بن أبي العاص على الجِزْية، على كلّ أهل بيت دينار. ثم كان فتح قيساريّة من فلسطين، وهرب هرقل[1]. (٤ : ٥٣).

٤٨٥ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن أبي سيف التَّغلبيّ، قال: كان رسولُ الله ﷺ قد عاهد وَفْدَهم على ألاّ يُنصِّروا وليداً، فكان ذلك الشرط على الوفد وعلى من وفّدهم، ولم يكن على غيرهم، فلما كان زمان عمر؛ قال مسلموهم: لا تنفروهم بالخراج فيذهبوا، ولكن أضعفوا عليهم الصدقة التي تأخذونها من أموالهم فيكون جزاء، فإنهم يغضبون من ذكْر الجِزاء

(١) إسناده ضعيف.

على ألاّ ينصّروا مولوداً إذا أسلم آباؤهم. فخرج وفدُهم في ذلك إلى عمر، فلما بعث الوليد إليه برؤوس النصارى، وبديّانيهم، قال لهم عمر: أدُّوا الجزية، فقالوا لعمر: أبلغنا مأمننا، والله لئن وضعت علينا الجِزاء لندخلنّ أرض الرّوم، والله لتفضحنا من بين العرب، فقال لهم: أنتم فضحتم أنفسَكم، وخالفتم أمّتكم فيمن خالف وافتضح من عرب الضاحية، وتالله لتؤدُّنّه وأنتم صَغرَة قَمأة! ولئن هربتم إلى الرّوم لأكتبنّ فيكم، ثمّ لأسبِينّكم. قالوا: فخذ منا شيئاً؛ ولا تسمّه جِزاء، فقال: أمّا نحن فنسميه جِزاء، وسمُّوه أنتم ما شئتم. فقال له عليّ بن أبي طالب: يا أميرَ المؤمنين! ألم يُضْعِف عليهم سعد بن مالك الصدقة؟ قال: بلى، وأصغى إليه، فرضيَ به منهم جِزاء، فرجعوا على ذلك، وكان في بني تغلِب عزّ وامتناع، ولا يزالون ينازعون الوليد، فهمّ بهم الوليد، وقال في ذلك:

إذا ما عَصَبْتُ الرأسَ مِنّي بِمشْوَذٍ فَغيَّك مِنّي تَغلِب ابنة وائِل

وبلغت عنه عمر، فخاف أن يحرجوه وأن يضعف صبره فيسطوَ عليهم، فعزله، وأمَّر عليهم فُرات بن حيّان، وهند بن عمرو الجَمَليَّ، وخرج الوليد، واستودع إبلاً له حُريثَ بن النعمان، أحدَ بني كنانة بن تَيْم من بني تغلب، وكانت مئة من الإبل فاختانها بعد ما خرج الوليد.

وكان فتح الجزيرة في سنة سبع عشرة في ذي الحجة[1]. (٤: ٥٥/ ٥٦).

---

(١) إسناده ضعيف ولقد جمعنا ما وجدنا في فتح الجزيرة من روايات وأكثرها ضعيفة الإسناد كما يلي:

١ ـ قال خليفة (بلا إسناد): وكان أبو عبيدة بن الجراح وجّه عياض بن غنم الفهري إلى الجزيرة فوافق أبا موسى بعد فتح هذه المدائن فمضى ومضى معه أبو موسى فافتتحا حرّان ونصيبين وطوائف الجزيرة عنوة (تأريخ خليفة/ ١٣٩).

وأخرج خليفة قال: حدثني شيخ من أهل الجزيرة: أن عياض بن غنم ولي صلح هذه المدن وغيرها من الجزيرة وكتب لهم كتاباً هو عندهم اليوم باسمه عياض (١٣٩).

٢ ـ وأخرج البلاذري (فتوح الجزيرة) قال: حدثني داود بن عبد الحميد قاضي الرقة عن أبيه عن جدّه عن ميمون بن مهران قال: الجزيرة كلها فتوح عياض بن غنم بعد وفاة أبي عبيدة ولاه إياها عمر بن الخطاب وكان أبو عبيدة استخلفه على الشام فولّى عمر بن الخطاب يزيد بن أبي سفيان ثم معاوية من بعده الشام، وأمر عياضاً بغزو الجزيرة (فتوح البلدان/ ٢٣٦).

قلنا: ولم نجد لشيخ البلاذري هنا (داود بن عبد الحميد) ترجمة إلاّ ما ذكر البخاري في =

خروج عمر بن الخطاب إلى الشام

٤٨٦ ـ وأما سيف؛ فإنه روى في ذلك ما كتَب به إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي حارثة وأبي عثمان والربيع ، قالوا: وقع الطاعون بالشام ومصر

= الكبير (٢/ ١) (داود بن عبد الحميد بن ميمون بن مهران) فإن كان هو هذا فلم يذكر فيه البخاري جرحاً ولا تعديلاً ولم نجد ترجمة لأبيه ولا لجده والله تعالى أعلم.

٣ ـ وأخرج البلاذري كذلك قال: حدثني الحسين بن الأسود قال: حدثنا يحيى بن آدم عن عدّة من الجزريين عن سليمان بن عطاء القرشي قال: بعث أبو عبيدة عياض بن غنم إلى الجزيرة فمات أبو عبيدة وهو بها فولاّه عمر إيّاها بعد (فتوح البلدان/ ٢٣٦).

قلنا: ولا يخفى ضعف هذا الإسناد ففيه (مبهمون) وكذلك سليمان بن عطاء القرشي منكر الحديث كما قال البخاري والله تعالى أعلم.

٤ ـ وأخرج البلاذري قال: حدثني بكر بن الهيثم قال: حدثنا النفيلي عبد الله بن محمد قال حدثنا سليمان بن عطاء قال: لما فتح عياض بن غنم الرها وكان أبو عبيدة وجّهه وقف على بابها. . . إلخ (فتوح البلدان/ ٢٣٧) وفي إسناده سليمان بن عطاء وهو منكر الحديث كما سبق.

٥ ـ وقال البلاذري نقلاً عن الواقدي (وهو متروك) أنه قال: أثبت ما سمعنا في أمر عياض أن أبا عبيدة مات في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ واستخلف عياضاً فورد عليه كتاب عمر بتوليته حمص وقنسرين والجزيرة فسار إلى الجزيرة يوم الخميس للنصف من شعبان سنة ١٨ هـ في خمسة آلاف (فتوح البلدان/ ٢٣٧).

٦ ـ وأخرج البلاذري قال: وحدثني محمد عن الواقدي عن عبد الرحمن بن مسلمة عن فرات بن سلمان عن ثابت بن الحجاج قال: فتح عياض الرقة وحرّان والرها ونصيبين وميافارقين وقرقيسياء وقرى الفرات ومدائنها صلحاً وأرضها عنوة (فتوح البلدان/ ٢٤٠) وفي إسناده الواقدي وهو متروك.

٧ ـ وأخرج البلاذري قال: وحدثني محمد عن الواقدي عن ثور بن يزيد عن راشد بن سعد أن عياضاً افتتح الجزيرة ومدائنها صلحاً وأرضها عنوة (فتوح البلدان/ ٢٤١) وفي إسناده الواقدي وهو متروك.

٨ ـ وأخرج البلاذري قال: وحدثني أبو أيوب الرقي المؤدب قال: حدثني الحجاج بن أبي منيع الرصافي عن أبيه عن جده قال: فتح عياض الرّقة ثم الرها ، حران ثم سميساط على صلح واحد . . . إلخ (فتوح البلدان/ ٢٤١) قلنا: ولعلّ في هذا الإسناد تصحيفاً فالحجاج يروي عن جده مباشرة وبلا واسطة ولم نجد في كتب الرجال أن حجاجاً هذا يروي عن أبيه ولم نجد في ترجمة جده أن ابنه يروي عنه وإنما يروي عنه ابن ابنه ، فإن كان الإسناد كما قلنا فرجاله ثقات إلا أنه منقطع فجدُّه لم يدرك عياضاً والله تعالى أعلم.

والعراق ، واستقرّ بالشام ، ومات فيه الناس الذين هم في كلّ الأمصار في المحرّم وصفر ، وارتفع عن الناس وكتبوا بذلك إلى عمر ما خلا الشام ، فخرج حتى إذا كان منها قريباً بلغه أنه أشدّ ما كان ، فقال وقال الصحابة : قال رسول الله ﷺ : «إذا كان بأرض وباء فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها»، فرجع حتى ارتفع عنها؛ وكتبوا بذلك إليه وبما في أيديهم من المواريث ، فجمع الناس في جمادى الأولى سنة سبع عشرة ، فاستشارهم في البُلدان ، فقال : إني قد بدا لي أن أطوف على المسلمين في بلدانهم لأنظر في آثارهم ، فأشيروا عليّ ـ وكعب الأحبار في القوم، وفي تلك السنة من إمارة عمر أسلَم ـ فقال كعب: بأيّها تريد أن تبدأ يا أمير المؤمنين؟! قال: بالعراق ، قال: فلا تفعل؛ فإن الشرّ عشرة أجزاء والخير عشرة أجزاء ، فجزء من الخير بالمشرق وتسعة بالمغرب ، وإنّ جزءاً من الشرّ بالمغرب وتسعة بالمشرق، وبها قرن الشيطان، وكلّ داء عضال[1]. (٤ : ٥٨/ ٥٩).

٤٨٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن سعيد ، عن الأصبغ ، عن عليّ ، قال: قام إليه عليّ ، فقال: يا أمير المؤمنين ! والله إنّ الكوفة للهجرة بعد الهجرة ، وإنها لقبّة الإسلام ، وليأتينّ عليها يوم لا يبقى مؤمن إلاّ أتاها وحنّ إليها؛ والله ليُنصرَنّ بأهلها كما انتصر بالحجارة من قوم لوط[2]. (٤ : ٥٩).

٤٨٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن المطرّح ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، قال: وقال عثمان: يا أميرَ المؤمنين ! إنّ المغرب أرض الشرّ ، وإن الشرّ قسم مئة جزء؛ فجزء في الناس وسائر الأجزاء بها[3]. (٤ : ٥٩).

٤٨٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي يحيى التميميّ ، عن أبي ماجد ، قال: قال عمر: الكوفة رمح الله ، وقبّة الإسلام ، وجمجمة العرب ، يكفُون ثغورَهم ، ويمدّون الأمصار ، فقد ضاعت مواريث أهل عَمَواس ، فأبدأ بها[4]. (٤ : ٥٩).

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) إسناده ضعيف.

٤٩٠ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع بن النعمان، قالوا: قال عمر: ضاعت مواريث الناس بالشأم؛ أبدأ بها فأقسم المواريث، وأقيم لهم ما في نفسي، ثمّ أرجع فأتقلّب في البلاد، وأنبذ إليهم أمري. فأتى عمر الشام أربعَ مرّات، مرّتين في سنة ست عشرة، ومرّتين في سنة سبع عشرة، لم يدخلها في الأولى من الآخرتين[١]. (٤: ٥٩).

٤٩١ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن بكر بن وائل، عن محمد بن مسلم، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «قُسّم الحفظ عشرة أجزاء، فتسعة في التُّرك وجزء في سائر الناس. وقُسّم البخل عشرة أجزاء، فتسعة في فارس، وجزء في سائر الناس. وقسِّم السخاء عشرة أجزاء، فتسعة في السودان، وجزء في سائر الناس. وقُسِّم الشَّبَق عشرة أجزاء، فتسعة في الهند، وجزء في سائر الناس. وقسِّم الحياء عشرة أجزاء، فتسعة في النساء، وجزء في سائر الناس. وقسِّم الحسَد عشرة أجزاء، فتسعة في العرب وجزء في سائر الناس. وقُسم الكِبْر عشرة أجزاء، فتسعة في الرّوم وجزء في سائر الناس»[٢]. (٤: ٥٩/ ٦٠).

٤٩٢ - حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة عن ابن إسحاق، عن رجل، عن أبي قلابة عبد الله بن زيد الجَرْميّ: أنه كان يقول: بلغني هذا من قول أبي عبيدة وقول مُعاذ بن جبل: إنّ هذا الوَجع رحمة بكم ودعوة نبيِّكم، وموت الصالحين قبلكم؛ فكنتُ أقول: كيف دعا به رسولُ الله ﷺ لأمّته، حتى حدّثني بعضُ من لا أتّهم عن رسول الله: أنّه سمعه منه، وجاءه جبريل عليه السلام، فقال: «إن فناء أمتك يكون بالطعن أو الطاعون»؛ فجعل رسول الله ﷺ: «اللهمّ فَناء الطاعون!» فعرفت: أنها التي كان قال أبو عبيدة، ومُعاذ[٣]. (٤: ٦٢).

٤٩٣ - حدثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق، قال: ولما انتهى إلى عمر مصابُ أبي عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان؛ أمّر معاوية بن

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف ولم نجد له متابعاً ولا شاهداً.

(٣) إسناده ضعيف، أما شطره الأول [إن هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم] فقد سبق أن خرجناه في قسم الصحيح وهو حسن والله تعالى أعلم.

أبي سفيان على جُند دمشق وخراجها ، وأمّرَ شُرحبيل بن حَسَنة على جُند الأردنّ وخراجها[١] . (٤ : ٦٢) .

٤٩٤ - وأما سيف ، فإنه زعم : أن طاعون عَمَواس كان في سنة سبع عشرة[٢] . (٤ : ٦٢) .

٤٩٥ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان ، وأبي حارثة ، والربيع بإسنادهم ، قالوا : كان ذلك الطاعون - يعنون : طاعون عَمَواس - موتاناً لم يُرَ مثله ، طمع له العدوّ في المسلمين ، وتخوّفت له قلوب المسلمين ، كَثُر موته ، وطال مكثُه ، مكث أشهراً حتى تكلّم في ذلك الناس[٣] . (٤ : ٦٣) .

٤٩٦ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد ، عن أبي سعيد ، قال : أصاب البصرة من ذلك موت ذريع ، فأمر رجل من بني تميم غلاماً له أعجمياً أن يحمل ابناً له صغيراً ليس له ولد غيره على حمار ، ثم يسوق به إلى سَفوان ، حتى يلحقه . فخرج في آخر الليل ثم اتّبعه ، وقد أشرف على سفوان ، ودنا من ابنه وغلامه ، فرفع الغلام عَقيرته يقول :

لَنْ يُعْجِزوا اللهَ على حِمَارِ ولا على ذي غُرَّةٍ مُطارِ

قد يُصْبِحُ المَوْتُ أمامَ الساري

فسكت حتى انتهى إليهم ، فإذا هم هم؛ قال : ويحك ، ما قلت! قال : ما أدري ، قال : ارجعْ ، فرجع بابنه ، وعلم : أنه قد أسمع آيةً ، وأُرِيَها .

قال : وعزم رجل على الخروج إلى أرض بها الطاعون فتردد بعد ما طُعن ، فإذا غلام له أعجميّ يحدو به :

يا أيُّها المُشْعَرُ هَمّاً لا تُهمّ إنَّك إنْ تُكْتَبْ لك الحمَّى تُحَمّ[٤]

(٤ : ٦٣) .

---

(١) إسناده ضعيف .
(٢) إسناده ضعيف .
(٣) إسناده ضعيف .
(٤) إسناده ضعيف .

ذكر الخبر عن سيف في ذلك، والخبر عما ذكره عن عمر في خرجته تلك أنه أحدث في مصالح المسلمين

٤٩٧ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عطيّة وهلال، عن رافع بن عمر، قال: سمعتُ العباس بالجابية يقول لعمر: أربع مَن عمِل بهنّ استوجب العدل: الأمانة في المال، والتسوية في القَسْم، والوفاء بالعِدَة، والخروج من العيوب؛ نظِّف نفسَك، وأهلك[١]. (٤ : ٦٤).

٤٩٨ - كتب إليّ السريّ عن شعيب عن سيف، عن أبي عثمان، والربيع، وأبي حارثة بإسنادهم، قالوا: قسم عمر الأرزاق، وسمَّى الشواتِيَ والصوائف، وسدّ فروجَ الشأم ومسالِحها، وأخذ يدور بها، وسمَّى ذلك في كلّ كُورة، واستعمل عبد الله بن قيس على السواحل من كلّ كورة، وعزل شُرحبيل، واستعمل معاوية، وأمَّر أبا عبيدة وخالداً تحته، فقال له شرحبيل: أعَن سُخطة عزلتَني يا أمير المؤمنين؟! قال: لا، إنك لكما أحبّ، ولكني أريد رجلاً أقوى من رجل، قال: نعم، فاعذرْنِي في الناس لا تُدْركني هُجْنة، فقام في الناس، فقال: أيّها الناس! إني والله ما عزلتُ شُرحبيل عن سخطة! ولكني أردت رجلاً أقوى من رجل. وأمَّر عمرو بن عَبَسة على الأهراء، وسمى كلّ شيء، ثم قام في الناس بالوَدَاع[٢]. (٤ : ٦٤/ ٦٥).

٤٩٩ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن أبي ضَمْرة وأبي عمرو، عن المستورِد، عن عديّ بن سُهيل، قال: لما فرغ عمر من فروجه، وأموره؛ قسم المواريث، فورّث بَعضَ الورثة من بعض، ثم أخرجها إلى الأحياء من وَرثة كلّ امرىء منهم[٣]. (٤ : ٦٥).

٥٠٠ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن مجالد، عن الشعبيّ:

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

وخرج الحارث بن هشام في سبعين من أهل بيته ، فلم يرجع منهم إلا أربعة ، فقال المهاجر بن خالد بن الوليد :

مَـنْ يَسْكُـنِ الشـامَ يُعَـرِّسْ بِـه ... والشـأمُ إن لـم يُفنِنـا كـارِبُ
أفنَـى بَنـي رَيْطَـةَ فُـرسـانُهُـمْ ... عشـرون لـم يُقَصَّصْ لهـم شـارِبُ
ومِـنْ بَنـي أعمـامِهـمْ مِثْلَهـم ... لِمِثـلِ هـذا أعْجِـبَ العـاجِـبُ
طعنـاً وطـاعـونـاً مَنـايـاهُـمُ ... ذلـك مـا خَـطّ لنـا الكـاتِـبُ

قال : وقَفَل عمر من الشام إلى المدينة في ذي الحجة ، وخطب حين أراد القفول ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وقال : ألا إني قد ولِّيتُ عليكم ، وقضيتُ الذي عليّ في الذي ولّاني الله من أمركم ، إن شاء الله قسطْنا بينكم فيئكم ، ومنازلكم ، ومغازيكم ، وأبلغنا ما لديكم ، فجنَّدنا لكم الجنود ، وهيَّأنا لكم الفروج ، وبوّأناكم ووسَّعنا عليكم ما بلغ فيئُكم ، وما قاتلتم عليه من شأمكم ، وسمّينا لكم أطماعكم ، وأمرنا لكم بأعطياتكم ، وأرزاقكم ، ومغانمكم ، فمن علم عِلْمَ شيء ينبغي العمل به ، فبلّغنا؛ نعملْ به إن شاء الله ، ولا قوّة إلاّ بالله. وحضرت الصلاة ، وقال الناس : لو أمرتَ بلالاً فأذّن! فأمره فأذّن ، فما بقيَ أحدٌ كان أدرك رسولَ الله ﷺ وبلال يؤذّن له إلاّ بكى حتى بلّ لحيته ، وعمر أشدّهم بكاء ، وبكى مَنْ لم يدركه ببكائهم ، ولذكره ﷺ[١] . (٤ : ٦٥/ ٦٦).

ذكر خبر عزل خالد بن الوليد

٥٠١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان وأبي حارثة ، قالا : فما زال خالد على قِنّسرين حتى غزا غَزْوته التي أصاب فيها ، وقسم فيها ما أصاب لنفسه[٢]. (٤ : ٦٦).

٥٠٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي المجالد مثله. قالوا : وبلغ عمرَ : أنّ خالداً دخل الحمام ، فتدلّك بعد النورة بثخين عُصفر معجون بخمر؛ فكتب إليه : بلغني : أنك تدلَّكت بخمر؛ وإنّ الله قد حرّم ظاهرَ

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

الخمر، وباطنه ، كما حرّم ظاهر الإثم وباطنه ، وقد حرّم مسّ الخمر إلاّ أن تغسَل كما حرّم شربها ، فلا تُمِسّوها أجسادكم؛ فإنّها نَجَس ، وإن فعلتم : فلا تعودوا .

فكتب إليه خالد: إنّا قتلناها فعادت غَسُولاً غير خمر. فكتب إليه عمر : إنّي أظن آل المغيرة قد ابتُلُوا بالجفاء ، فلا أماتكم الله عليه! فانتهى إليه ذلك .

وفي هذه السنة ـ أعني سنة سبع عشرة ـ أدرب خالد بن الوليد وعياض بن غَنْم في رواية سيف عن شيوخه[١]. (٤ : ٦٦).

ذكر من قال ذلك :

٥٠٣ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان وأبي حارثة والمهلّب ، قالوا : وأدرب سنة سبع عشرة خالد ، وعياض ، فسارا فأصابا أموالاً عظيمة ، وكانا توجّها من الجابية ، مرجِعَ عمر إلى المدينة ، وعلى حمْص أبو عبيدة؛ وخالد تحت يديه على قِنَّسرين ، وعلى دمشق يزيد بن أبي سفيان ، وعلى الأردنّ معاوية ، وعلى فِلَسطين علقمة بن مجزّز ، وعلى الأهراءَ عمرو بن عبَسة ، وعلى السواحل عبد الله بن قيس ، وعلى كلّ عَمَل عامل. فقامت مسالح الشام ، ومصر ، والعراق على ذلك إلى اليوم ، لم تَجُزْ أمّة إلى أخرى عملَها بعدُ؛ إلاّ أن يقتحموا عليهم بعد كُفْرٍ منهم ، فيقدّموا مسالحَهم بعد ذلك ، فاعتدل ذلك سنة سبع عشرة[٢]. (٤ : ٦٧).

٥٠٤ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي المجالد وأبي عثمان ، والربيع ، وأبي حارثة ، قالوا : ولما قَفل خالد وبلغ الناسَ ما أصابت تلك الصّائفة؛ انتجعه رجال ، فانتجع خالداً رجالٌ من أهل الآفاق ، فكان الأشعث بن قيس ممّن انتجع خالداً بقِنسَّرين ، فأجازه بعشرة آلاف. وكان عمر لا يَخْفَى عليه شيء في عمله ، كُتب إليه من العراق بخروج مَن خرج ، ومن الشام بجائزة من أجِيز فيها ـ فدعا البريد ، وكتب معه إلى أبي عبيدة أن يقيم خالداً ويعقله بعمامته ، وينزع عنه قلنسُوته حتى يعلمهم من أين إجازة الأشعث؛ أمن ماله ، أم من إصابة أصابها؟ فإن زعم أنها من إصابة أصابها؛ فقد أقرّ بخيانة ، وإن

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

زعم أنها من ماله؛ فقد أسرف. واعزله على كلّ حال ، واضمم إليك عمله.
فكتب أبو عبيدة إلى خالد ، فقدم عليه ، ثم جمع الناس وجلس لهم على المِنبر ، فقام البريد فقال: يا خالد ! أمِن مالك أجزت بعشرة آلاف أم من إصابة؟ فلم يجبه حتى أكثر عليه ، وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئاً ، فقام بلال إليه ، فقال: إنّ أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا ، ثم تناول قلنسوته فعقله بعمامته وقال: ما تقول! أمن مالك ، أم من إصابةٍ؟ قال: لا بل من مالي ، فأطلقه وأعاد قلنسوته ، ثم عمّمه بيده ، ثم قال: نسمع ونطيع لولاتنا ، ونفخّم ونخدم موالِيَنا. قالوا: وأقام خالد متحيّراً لا يدري أمعزول أم غيرُ معزول؟ وجعل أبو عبيدة لا يخبره حتى إذا طال على عمرَ أن يقدم ظنّ الذي قد كان ، فكتب إليه بالإقبال ، فأتى خالد أبا عبيدة ، فقال: رحمك الله ! ما أردت إلى ما صنعت ؟ كتمتَنِي أمراً كنت أحبّ أن أعلمه قبل اليوم! فقال أبو عبيدة: إنيّ والله ما كنت لأروعك ما وجدت لذلك بدّاً ، وقد علمت: أن ذلك يروعك. قال: فرجع خالد إلى قنَّسرين ، فخطب أهل عمله ، وودّعهم ، وتحمّل ، ثم أقبل إلى حمص فخطبهم ، وودعهم ، ثمّ خرج نحو المدينة حتى قدم على عمر ، فشكاه وقال: لقد شكوتك إلى المسلمين؛ وبالله إنّك في أمري غير مجمِل يا عمر ! فقال عمر: من أين هذا الثَّرَاء؟ قال: من الأنفال ، والسُّهمان ، ما زاد على الستين ألفاً فلك. فقوّم عمر عُروضه فخرجت إليه عشرون ألفاً ، فأدخلها بيت المال. ثم قال: يا خالد ! والله إنك عليّ لكريم ! وإنك إليّ لحبيب ! ولن تعاتِبني بعد اليوم على شيء[1]! (٤ : ٦٧/ ٦٨).

٥٠٥ -كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشّر ، عن سالم ، قال: لما قدم خالد على عمر؛ قال عمر متمثّلاً:

صَنَعْتَ فَلَمْ يَصْنَعْ كصُنْعِكَ صانِعٌ ... وما يَصْنَعِ الأقْوامُ فاللهُ يَصْنَعُ

فأغرمه شيئاً ، ثمّ عوّضه ، وكتب فيه إلى الناس بهذا الكتاب ليعذره عندهم، وليبصّرَهم[2]. (٤ : ٦٨).

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف. وللأسباب الصحيحة لعزل خالد راجع قسم الصحيح مواضع عدة منها (٤/٦٨/١٩٨). والله أعلم.

ذكر تجديد المسجد الحرام والتوسعة فيه

٥٠٦ ـ وفي هذه السنة ـ أعني : سنة سبع عشرة ـ اعتمر عمر ، وبنى المسجد الحرام ـ فيما زعم الواقديّ ـ ووسَّع فيه ، وأقام بمكة عشرين ليلة ، وهدم على أقوام أبوْا أن يبيعوا ، ووضع أثمان دورهم في بيت المال حتى أخذوها[١]. (٤ : ٦٨).

٥٠٧ ـ قال : وكان ذلك الشهر الذي اعتمر فيه رجب ، وخلّف على المدينة زيد بن ثابت.

قال الواقديّ : وفي عمرته هذه أمر بتجديد أنصاب الحَرم ، فأمر بذلك مخرمة بن نوفل ، والأزهر بن عبد عوف ، وحُوَيطب بن عبد العزّى ، وسعيد بن يربوع[٢]. (٤ : ٦٩).

٥٠٨ ـ قال : وحدّثني كَثير بن عبد الله المزني عن أبيه ، عن جدّه ، قال : قدمنا مع عمر مكة في عمرته سنة سبع عشرة ، فمرّ بالطريق فكلّمه أهل المياه أن يبتنوا منازل بين مكة والمدينة ـ ولم يكن قبل ذلك بناء ـ فأذن لهم ، وشرط عليهم أنّ ابن السبيل أحقّ بالظلّ والماء[٣]. (٤ : ٦٩).

ذكر خبر عزل المغيرة عن البصرة وولاية أبي موسى

٥٠٩ ـ قال : وفي هذه السنة ولّى عمر أبا موسى البصرة ، وأمره أن يُشخِص إليه المغيرة في ربيع الأول ، فشهد عليه ـ فيما حدّثني معمر ، عن الزهريّ ، عن ابن المسيّب ـ أبو بَكْرة ، وشِبْل بن معبد البَجَليّ ، ونافع بن كلَدة ، وزياد.

قال : وحدّثني محمد بن يعقوب بن عُتْبة ، عن أبيه ، قال : كان يختلف إلى أمّ جميل ، امرأة من بني هلال؛ وكان لها زوْج هلك قبل ذلك من ثَقيف ، يقال له : الحجّاج بن عُبَيد ، فكان يدخل عليها ، فبلغ ذلك أهلَ البصرة ، فأعظموه ،

---

(١) إسناده ضعيف ، وأخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٢/ ١٧٥/ ١٣٤٩) من طريق الواقدي وهو متروك.

(٢) الواقدي متروك.

(٣) إسناده ضعيف.

فخرج المغيرة يوماً من الأيام حتى دخل عليها ، وقد وضعوا عليها الرّصد ، فانطلق القوم الذين شهدوا جميعاً ، فكشفوا الستر ، وقد واقعها. فوفد أبو بَكْرة إلى عمر ، فسمع صوته وبينه وبينه حجاب ، فقال: أبو بكْرة؟ قال: نعم ، قال: لقد جئت لشرّ ، قال: إنما جاء بي المغيرة ، ثم قصّ عليه القصة ، فبعث عمر أبا موسى الأشعريّ عاملاً ، وأمره أن يبعث إليه المغيرة ، فأهدى المغيرة لأبي موسى عقيلة ، وقال: إني رضيتها لك ، فبعث أبو موسى بالمغيرة إلى عمر[1]. (٤: ٦٩/ ٧٠).

٥١٠ ـ قال الواقديّ: وحدّثني عبدُ الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه ، عن مالك بن أوس بن الحَدَثان ، قال: حضرتُ عمر حين قُدِم بالمغيرة ، وقد تزوّج امرأة من بني مرّة ، فقال له: إنك لفارغ القلب ، طويل الشَّبَق ، فسمعتُ عمر يسأل عن المرأة ، فقال: يقال لها: الرقطاء ، وزوجها من ثقيف ، وهو من بني هلال[2]. (٤: ٧٠).

٥١١ ـ قال أبو جعفر: وكان سبب ما كان بين أبي بكْرة والشهادة عليه فيما كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، والمهلّب ، وطلحة ، وعمرو بإسنادهم ، قالوا: كان الذي حدث بين أبي بَكْرة والمغيرة بن شعبة: أنّ المغيرة كان يناغيه ، وكان أبو بَكْرة ينافره عند كلّ ما يكون منه ، وكانا بالبصرة ، وكانا متجاوريْن بينهما طريق ، وكانا في مَشْربتيْن متقابلتين لهما في داريْهما في كلّ واحدة منهما كُوّة مقابلة الأخرى ، فاجتمع إلى أبي بَكْرة نفرٌ يتحدّثون في مشربته ، فهبّت ريح ، ففتحت باب الكوّة ، فقام أبو بكرة ليَصْفِقه ، فبصُر بالمغيرة ، وقد فتحت الريح باب كوّة مشربته ، وهو بين رِجْلَي امرأة ، فقال للنّفر: قوموا فانظروا ، فقاموا فنظروا ، ثم قال: اشهدوا ، قالوا: مَن هذه؟ قال:

---

(١) إسناده ضعيف جداً ، وفي متنه نكارة شديدة أما قصة اتهام المغيرة بن شعبة وقذفه ثم إثبات براءته في مجلس أمير المؤمنين عمر فصحيح وقد ذكرناه وعلقنا عليه بالتفصيل في قسم الصحيح (٤/ ٦٩) فليراجع ، وأما عن سبب ذكرنا لرواية الطبري هذه في قسم الضعيف فلأنها ضعيفة الإسناد جداً ولأن فيها زيادات عن أصل القصة لم نجدها عند غيره وهي زيادات منكرة تخالف الأصل الصحيح تماماً والله تعالى أعلم.

(٢) في إسناده الواقدي وهو متروك.

أمّ جميل ابنة الأفقم. وكانت أمّ جميل إحدى بني عامر بن صعصعة ، وكانت غاشيةً للمغيرة ، وتغشى الأمراء والأشراف ـ وكان بعض النساء يفعلن ذلك في زمانها ـ فقالوا: إنما رأينا أعجازاً ، ولا ندري ما الوجه؟ ثم إنهم صمّموا حين قامت ، فلما خرج المغيرة إلى الصلاة حال أبو بَكْرة بينه وبين الصلاة ، وقال: لا تصلّ بنا. فكتبوا إلى عمر بذلك ، وتكاتبوا ، فبعث عمر إلى أبي موسى ، فقال: يا أبا موسى ! إني مستعملك؛ إني أبعثك إلى أرض قد باضَ بها الشيطان وفرّخ ، فالزم ما تعرف ، ولا تستبدلْ فيستبدل الله بك. فقال: يا أميرَ المؤمنين ! أعنّي بعدّة من أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار ، فإنّي وجدتهم في هذه الأمة وهذه الأعمال كالملح لا يصلح الطعام إلاّ به فاستعِن بمن أحببتَ فاستعان بتسعة وعشرين رجلاً؛ منهم: أنس بن مالك ، وعمران بن حُصَين ، وهشام بن عامر. ثمّ خرج أبو موسى فيهم حتى أناخ بالمِرْبد ، وبلغ المغيرة: أنّ أبا موسى قد أناخ بالمِرْبد ، فقال: والله ما جاء أبو موسى زائراً ، ولا تاجراً ولكنّه جاء أميراً. فإنهم لفي ذلك؛ إذ جاء أبو موسى حتى دخل عليهم ، فدفع إليه أبو موسى كتاباً من عمر ، وإنه لأوجزُ كتاب كتَب به أحد من الناس؛ أربع كلِم عزل فيها ، وعاتب ، واستحثّ ، وأمَر: أما بعد ، فإنه بلغني نبأ عظيم ، فبعثتُ أبا موسى أميراً ، فسلّم إليه ما في يدك ، والعجَل. وكتبَ إلى أهل البصرة: أمّا بعدُ ، فإني قد بعثت أبا موسى أميراً عليكم ، ليأخذ لضعيفكم من قويّكم ، وليقاتل بكم عدوّكم ، وليدفع عن ذمّتكم ، وليُحصيَ لكم فيئكم ثم ليقسمه بينكم ، ولينقّي لكم طرقكم.

وأهدى له المغيرة وليدةً من مولّدات الطائف تدعَى عَقيلة ، وقال: إني قد رضيتُها لك ـ وكانت فارهة ـ وارتحل المغيرة ، وأبو بكْرة ، ونافع بن كلَدة ، وزياد ، وشِبْل بن معبد البَجَليّ ، حتى قدموا على عمر ، فجمع بينهم وبين المغيرة ، فقال المغيرة: سلْ هؤلاء الأعبُد كيَف رأوْني؛ مستقبلَهم أو مستدبرَهم؟ وكيف رأوُا المرأة أو عرفوها؟ فإن كانوا مستقبليّ فكيف لم أستتر ، أو مستدبريّ فبأيّ شيء استحلّوا النظر إليّ في منزلي على امرأتي! والله ما أتيت إلاّ امرأتي ـ وكانت شبهَها ـ فبدأ بأبي بكْرة ، فشهد عليه: أنه رآه بين رجليْ أمّ جميل؛ وهو يدخله ويخرجه كالمِيل في المكحلة ، قال: كيف رأيتَهما؟ قال: مستدبِرَهما ، قال: فكيف استثبتّ رأسها؟ قال: تحاملت. ثم دعا بِشبْل بن معبد ، فشهد بمثل

ذلك ، فقال: استدبرتَهما أو استقبلتَهما؟ قال: استقبلتُهما. وشهد نافع بمثل شهادة أبي بكْرة ، ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم؛ قال: رأيته جالساً بين رجلي امرأة ، فرأيت قدمين مخضوبتين تخفقان ، واستين مكشوفتين ، وسمعت حَفْزاناً شديداً. قال: هل رأيت كالميل في المكحلة؟ قال: لا ، قال: فهل تعرف المرأة؟ قال: لا ، ولكن أشبّهها ، قال: فتنحّ ، وأمر بالثلاثة فجلدوا الحدّ ، وقرأ: ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ ، فقال المغيرة: اشفني من الأعبد ، فقال: اسكت أسكت الله نأمتَك! أما والله لو تمّت الشهادة لرجمتك بأحجارك[1]. (٤: ٧٠/ ٧١/ ٧٢).

فتح سوق الأهواز ومناذر ونهر تيرى

وفي هذه السنة ـ أعني: سنة سبع عشرة ـ فتِحت سوق الأهواز ، ومَنَاذر ، ونهر تيرَى في قول بعضهم ، وفي قول آخرين: كان ذلك في سنة ستّ عشرة من الهجرة.

ذكر الخبر عن سبب فتح ذلك وعلى يديْ مَن جرى:

٥١٢ ـ كتب إليّ السريّ ، يذكر: أن شعيباً حدّثه عن سيف بن عمر ، عن محمد ، وطلحة ، والمهَلّب ، وعمرو ، قالوا: كان الهُرمزان أحدَ البيوتات السبعة في أهل فارس ، وكانت أمّته مِهْرَجان قَذَق وكُوَر الأهواز ، فهؤلاء بيوتات دون سائر أهل فارس ، فلما انهزم يوم القادسيّة كان وجههُ إلى أمته ، فملكهم ، وقاتل بهم مَن أرادهم ، فكان الهُرْمزان يُغير على أهل مَيْسان ، ودسْتِمَيْسان من وجهين: من مَنَاذر ، ونهر تيرَى ، فاستمدّ عُتبة بن غَزْوان سعداً ، فأمدّه سعد بنعيم بن مُقَرّن ، ونعيم بن مسعود ، وأمرهما أن يأتيا أعلى مَيْسان ، ودَسْتِمَيْسَان؛ حتى يكونا بينهم وبين نهر تيرَى. ووجّه عُتَبة بن غَزْوان سُلْمى بن

---

(١) إسناده ضعيف ، وأصل القصة في قذف المغيرة بن شعبة ثم إثبات براءته من ذلك صحيح كما ذكرنا في قسم الصحيح عند الحديث عن عزل المغيرة ، إلاّ أن في هذه الرواية زيادات منكرة لم نجدها عند غير الطبري وأغلب الظن أنها من طريق شعيب (راوية سيف وتلميذه) وهو معروف بتحامله على الصحابة ، ومنها قوله (وكانت غاشيةً للمغيرة ـ وتغشى الأمراء والأشراف ـ وكان بعض النساء يفعلن ذلك في زمانها).

القَيْن ، وحَرْملة بن مُرَيطة ـ وكانا من المهاجرين مع رسول الله ﷺ ، وهما من بني العَدَوية من بني حَنْظلة ـ فنزلا على حدود أرض مَيْسان ، ودَسْتِمَيْسَان ، بينهم وبين مَناذر ، ودعَوَا بني العمِ ، فخرج إليهم غالب الوائليّ ، وكليب بن وائل الكليبيّ ، فتركا نُعيماً ، ونُعيماً ، ونكبا عنهما ، وأتيا سُلْمى وحَرْملة ، وقالا : أنتما من العشيرة ، وليس لكما مَتْرَك؛ فإذا كان يوم كذا وكذا ؛ فانهدا للهرْمزان ، فإنّ أحدنا يثور بمنَاذر ، والآخر بنهر تِيرى؛ فنقتل المقاتلة ، ثم يكون وجهُنا إليكم ، فليس دون الهُرْمزان شيء إن شاء الله . ورجعَا وقد استجابا ، واستجاب قومهما بنو العمِ بن مالك .

قال : وكان من حديث العَمِي؛ والعَمِي مرّة بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم : أنه تَنَخَتْ عليه وعلى العُصَيّة بن امرىء القيس أفناء معدّ فعمّاه عن الرشد مَن لم ير نصره فارسَ على آل أرْدَوان ، فقال في ذلك كعب بن مالك أخوه ـ ويقال : صُديّ بن مالك :

لقد عَمِ عنها مُرَّةُ الخيرِ فانصمَى ... وصَـمَّ فلَـمْ يَسمَـعْ دُعـاءَ العَشـائِـر
ليتْنَــخ عنَّــا رَغْبــةً عــن بِـلادِهِ ... ويَطْلـبَ مُلْكـاً عـالِيـاً فـي الأسـاوِرِ

فبهذا البيت سمي العَم؛ فقيل بنو العمِ؛ عمّوه عن الصواب بنصره أهل فارس كقول الله تبارك وتعالى : ﴿عَمُواْوَصَمُّواْ﴾؛ وقال يربوع بن مالك :

لَقَــدْ عِلمــتْ عُليــا مَعَــدٍّ بــأنّنــا ... غَـداةَ التَّبـاهـي غُـرٌّ ذاك التَّبـادُرِ
تَنَخْنـا علـى رَغْـم العُداة ولـمْ نُنِخْ ... بحـيّ تميـمٍ والعَـديـد الجُمـاهِـرِ
نَفَيْنـا عَـنِ الفُرْسِ النَّبِيـطَ فَلـمْ يَـزَلْ ... لَنـا فيهِـمُ إحْـدَى الهَنـاتِ البَهـاتِـرِ
إذا العَرَبُ العَلْياءُ جاشَتْ بُحورُها ... فَخَـرْنـا عَلَـى كـلِّ البُحـورِ الـزواخـرِ

وقال أيّوب بن العُصَية بن امرىء القيس :

لَنَحْــنُ سَبَقْنــا بــالتُّنُــوخ القَبـائِـلا ... وَعَمْـداً تَنخنـا حَيْـثُ جـاؤوا قَنـابِـلا
وَكُنَّـا مُلـوكـاً قَـدْ عَـززْنـا الأوائـلا ... وَفـي كـلِّ قَـرْن قَـدْ مَلَكْنـا الحَـلائـلا

فلما كانت تلك الليلة ليلة الموعد من سُلمى ، وحرملة ، وغالب ، وكُلَيب ، والهُرْمزان يومئذ بين نهر تيرَى وبين دُلُث؛ خرج سُلْمَى ، وحَرْملة صبيحتها في تعبية ، وأنهضا نُعيما ونُعيماً فالتقوا هم والهرمزان بين دُلُث ونهر تِيرى ، وسُلمى ابن القَيْن على أهل البصرة ، ونُعيم بن مقرّن على أهل الكوفة . فاقتتلوا فبينا هم

في ذلك؛ أقبل المدد مِن قِبَل غالب وكُليب ، وأتى الهرمزانَ الخبرُ بأنّ مَنَاذر ، ونهر تيرَى قد أخذتا ، فكسر الله في ذرْعه وذَرْع جنده ، وهزمه وإيّاهم ، فقتلوا منهم ما شاؤوا ، وأصابوا منهم ما شاؤوا ، وأتبعوهم حتى وقفوا على شاطىء دُجَيل ، وأخذوا ما دونه ، وعسكروا بحيال سوق الأهواز ، وقد عبر الهُرْمزان جسرَ سوق الأهواز ، وأقام بها ، وصار دُجَيل بين الهُرْمزان ، وحَرْملة ، وسُلْمَى ، ونُعيم ، ونُعَيم ، وغالب ، وكليب.

قالوا: ولما دهم القوم الهرمزان ، ونزلوا بحياله من الأهواز؛ رأى ما لا طاقة له به ، فطلب الصلح ، فكتبوا إلى عُتْبة بذلك يستأمرونه فيه ، وكاتبه الهرمزان ، فأجاب عُتْبة إلى ذلك على الأهواز كلّها ، ومِهْرَجان قَذَق ، ما خلا نهر تيرى ومَناذر ، وما غلبوا عليه من سوق الأهواز ، فإنه لا يُرَدّ عليهم ما تنقّذنا ، وجعل سُلمى بن القيْن على مناذر مسلحةً ، وأمْرَها إلى غالب ، وحرملة على نهر تيرَى وأمرَها إلى كليب؛ فكانا على مسالح البصرة وقد هاجرت طوائف بني العَم ، فنزلوا منازلهم من البصرة ، وجعلوا يتتابعون على ذلك ، وقد كتب بذلك عُتْبةُ إلى عمر ، ووفّد وفْداً ، منهم سُلمى ، وأمرَه أن يستخلف على عمله ، وحرملةُ ـ وكانا من الصحابة ـ وغالب ، وكليب ، ووفَد وفود من البصرة يومئذ ، فأمرهم أن يرفعوا حوائجهم ، فكلُّهم قال: أما العامّة فأنت صاحبها ، ولم يبق إلا خواصّ أنفسنا ، فطلبوا لأنفسهم ، إلاّ ما كان من الأحنف بن قيس ، فإنه قال: يا أميرَ المؤمنين! إنك لكما ذكروا ، ولقد يعزب عنك ما يحقّ علينا إنهاؤه إليك مما فيه صلاح العامّة ، وإنّما ينظر الوالي فيما غاب عنه بأعين أهل الخبر ، ويسمع بآذانهم ، وإنّا لم نزل ننزل منزلاً بعد منزل حتى أرَزنا إلى البرّ ، وإنّ إخواننا من أهل الكوفة نزلوا في مثل حَدَقة البعير الغاسقة من العيون العذاب ، والجنان الخصاب ، فتأتيهم ثمارهم ولم تُخْضَد ، وإنّا معشرَ أهل البصرة نزلنا سَبَخة هَشّاشة ، زعِقة نشّاشة ، طَرَف لها في الفلاة ، وطَرَف لها في البحر الأُجاج ، يجري إليها ما جرى في مثل مَرِيء النعامة. دارنا فعْمة ، ووظيفتنا ضيّقة ، وعددنا كثير ، وأشرافنا قليل ، وأهل البلاء فينا كثير ، ودرهمنا كبير ، وقفيزنا صغير؛ وقد وسّع الله علينا ، وزادنا في أرضنا ، فوسِّعْ علينا يا أمير المؤمنين! وزدنا وظيفة تُوَظِّف علينا ، ونعيش بها. فنظر إلى منازلهم التي كانوا بها إلى أن

صاروا إلى الحَجَر، فنفَّلهموه، وأقطعهموه، وكان مما كان لآل كسرى، فصار فيئاً فيما بين دِجلة والحَجَر، فاقتسموه، وكان سائر ما كان لآل كسرى في أرض البصرة على حال ما كان في أرض الكوفة يُنزِلونه مَن أحبُّوا، ويقتسمونه بينهم، لا يستأثرون به على بدء، ولا ثِنيً بعدما يرفعون خمسه إلى الوالي. فكانت قطائع أهل البصرة نصفين: نصفها مقسوم، ونصفها متروك للعسكر وللاجتماع؛ وكان أصحاب الألفين ممّن شهد القادسيّة. ثم أتى البصرة مع عُتْبة خمسة آلاف، وكانوا بالكوفة ثلاثين ألفاً، فألحق عمر أعدادهم من أهل البصرة من أهل البلاء في الألفين حتى ساواهم بهم، ألحق جميع مَنْ شهد الأهواز، ثم قال: هذا الغلام سيّد أهل البصرة، وكتب إلى عُتْبة فيه بأن يسمع منه، ويشرب برأيه، وردّ سُلمة، وحَرْملة، وغالباً، وكليباً إلى مَناذر، ونهر تِيرَى، فكانوا عُدّة فيه لكونٍ إن كان، وليميّزوا خراجها[1]. (٤: ٧٢/ ٧٣/ ٧٤/ ٧٥).

٥١٣ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن المغيرة العبْديّ، عن رجل من عبد القيس يدعى صُحاراً، قال: قدمتُ على هَرِم بن حيّان ـ فيما بين الدّلوث ودُجيل ـ بِجلال من تَمْر، وكان لا يصبر عنه، وكان جلّ زادِه إذا تزوّد التّمر، فإذا فَنِيَ انتخب له مزاودَ من جِلال وهم ينفرون فيحملها فيأكلها ويطعمها حيثُما كان من سهل أو جبَل[2]. (٤: ٧٤).

٥١٤ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، والمهلب، وعمرو، قالوا: بينا الناس من أهل البصرة وذمّتهم على ذلك وقع بين الهُرْمزان وبين غالب وكُليب في حدود الأرَضين اختلاف وادّعاء، فحضر ذلك سُلْمى وحَرْملة لينظرا فيما بينهم، فوجدا غالباً وكُلَيْباً محقَّيْنِ والهرمزان مبطلاً، فحالا بينه وبينهما، فكفر الهرمزان أيضاً ومنع ما قبله، واستعان بالأكراد، فكثُف جنده. وكتب سُلْمى، وحرملة، وغالب، وكليب ببغْيِ الهُرمزان، وظلْمه، وكفره إلى عُتبة بن غَزْوان، فكتب بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر يأمره بأمره، وأمدّهم عمر بحُرقوص بن زهير السعديّ، وكانت له صحبة من

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

رسول الله ﷺ ، وأمّره على القتال ، وعلى ما غلب عليه . فنهَد الهُرمزان بمَن معه ، وسُلْمى ، وحَرْملة ، وغالب ، وكليب ، حتى إذا انتهوا إلى جسر سوق الأهواز ؛ أرسلوا إلى الهرمزان : إمّا أن تعبرُوا إلينا ، وإمّا أن نعبُر إليكم ، فقال : اعبرُوا إلينا ، فعبروا من فوق الجسر ، فاقتتلوا فوق الجسْر ممّا يلي سوق الأهواز ؛ حتى هزم الهرمزان ، ووجّه نحو رامهرمز ، فأخذ على قنطرة أربك بقرية الشّغَر حتى حلّ برامَهُرمز ، وافتتح حُرقوص سوقَ الأهواز ، فأقام بها ، ونزل الجبل ، واتّسقت له بلاد سوق الأهواز إلى تُسْتَر ، ووضع الجزية ، وكتب بالفتح والأخماس إلى عمر ، ووفّد وفداً بذلك ، فحمِد الله ، ودعا له بالثبات والزيادة .

وقال الأسود بن سَرِيع في ذلك ، وكانت له صحبة :

لَعَمْــرُكَ مــا أَضــاعَ بنــو أبينــا ... وَلكِــن حَــافظــوا فيمَــنْ يُطيــعُ
أطــاعــوا رَبَّهُــمْ وَعَصــاهُ قَــوْمٌ ... أضــاعــوا أمْــرَهُ فيمَــنْ يُضيــعُ
مَجُــوسٌ لا يُنَهْنِهُهــا كِتــابٌ ... فَــلاقَــوْا كبَّــةً فيهــا قُبُــوعُ
ووَلّــى الهُــرمُــزَانُ علــى جَــوَادٍ ... سَــريــعِ الشَّــدِّ يَثْفِنُــه الجميــعُ
وخَلّــى سُــرَّةَ الأهــواز كَــرْهــاً ... غَــداةَ الجِسْــرِ إذ نَجَــمَ الــرَّبيــعُ

وقال حُرْقوص :

غَلَبْنــا الهُــرْمــزَانَ علــى بِــلادٍ ... لهــا فــي كــلِّ نــاحِيَــةٍ ذَخــائــرْ
سَــواءٌ بَــرُّهــمْ والبَحْــرُ فيهــا ... إذا صــارَتْ نَــواجِبُهــا بَــواكــرْ
لهــا بَحْــرٌ يَعِــجُّ بِجَــانِبَيْــه ... جَعَــافِــرُ لا يــزَالُ لهــا زَواخِــرْ(١)

. (٤ : ٧٦/ ٧٧) .

فتح تُسْتَر

وفيها فتحت تُسْتَر في قول سيف وروايته ـ أعني : سنة سبع عشرة ـ وقال بعضهم : فتحت سنة ستّ عشرة ، وبعضهم يقول : في سنة تسع عشرة .

ذكر الخبر عن فتحها :

---

(١) إسناده ضعيف .

٥١٥ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، والمهلب ، وعمرو ، قالوا: لما انهزم الهرمزان يوم سوق الأهواز ، وافتتح حرقوص بن زهير سوق الأهواز؛ أقام بها ، وبعث جَزْء بن معاوية في أثره بأمر عمر إلى سُرَّق ، وقد كان عهد إليه فيه: إن فتح الله عليهم أن يُتبعه جَزْءاً ، ويكون وجهه إلى سرَّق. فخرج جزء في أثر الهرمزان ، والهُرمزان متوجِّه إلى رامهرمُز هارباً ، فما زال يقتلهم حتى انتهى إلى قرية الشّغَر ، وأعجزه بها الهرمزان؛ فمال جَزْء إلى دورق من قرية الشَّغَر؛ وهي شاغرة برجلها ـ وَدَوْرق مدينة سُرّق فيها قوم لا يطيقون منعها ـ فأخذها صافية ، وكتب إلى عمر بذلك ، وإلى عُتْبة ، وبدعائه مَن هرب إلى الجزاء والمنَعَة ، وإجابتهم إلى ذلك. فكتب عمر إلى جَزْء بن معاوية وإلى حُرقوص بن زهير بلزوم ما غَلبا عليه ، وبالمقام حتى يأتيَهما أمره ، وكتب إليه مع عُتبة بذلك ، ففعلا ، واستأذن جَزء في عمران بلاده عمرَ ، فأذن له ، فشقّ الأنهار ، وعمرَ الموات. ولما نزل الهُرمزان رامَهرُمُز ، وضاقت عليه الأهواز ؛ والمسلمون حُلاّلٌ فيها فيما بين يديه؛ طلب الصلح ، وراسل حُرقوصاً وجَزْءاً في ذلك ، فكتب فيه حُرقوص إلى عمر ، فكتب إليه عمر ، وإلى عُتبة ، يأمره أن يقبل منه على ما لم يفتحوا منها على رامهرمز ، وتُستر ، والسوس ، وجُنْدي سابور ، والبُنيان ، ومِهرجا نقَذَق ، فأجابهم إلى ذلك ، فأقام أمراء الأهواز على ما أسند إليهم ، وأقام الهرمزان على صلحه يجبي إليهم ، ويمنعونه ، وإن غاوره أكراد فارس؛ أعانوه وذبُّوا عنه، وكتب عمر إلى عُتبة أن أوفد عليّ وفداً من صُلحاء جند البصرة عشرة، فوفْد إلى عمر عشرةً، فيهم الأحنف. فلما قدم على عمر قال: إنك عندي مصدَّق، وقد رأيتك رجلاً، فأخبرني إن ظُلِمت الذّمة، ألمظلمة نفروا أم لغير ذلك؟ فقال: لا بل لغير مظلمة، والناس على ما تحبّ. قال: فنعم إذاً! انصرفوا إلى رحالكم. فانصرف الوفد إلى رحالهم، فنظر في ثيابهم فوجد ثوباً قد خرج طرفه من عيبة فشمّه، ثم قال: لِمَنْ هذا الثوب منكم؟ قال الأحنف: لي، قال: فبكم أخذته؟فذكر ثمناً يسيراً، ثمانية أو نحوها، ونقص ممّا كان أخذَه به ـ وكان قد أخذه باثني عشر ـ قال: فهلاّ بدون هذا، ووضعتَ فَضلته موضعاً تغنِي به مسلماً! حُصُّوا ، وضعوا الفُضول مواضعها؛ تريحوا أنفسكم ، وأموالكم، ولا تسرفوا؛ فتخسروا أنفسكم ، وأموالكم؛ إن نظر امرؤ لنفسه وقدّم

لها ؛ يُخْلَفُ له. وكتب عمر إلى عُتبة: أن أعزب الناس عن الظلم، واتّقوا ، واحذروا أن يُدالَ عليكم لغدرٍ يكون منكم ، أو بغيٍ، فإنكم إنّما أدركتم بالله ما أدركتم على عهد عاهدكم عليه، وقد تقدّم إليكم فيما أخذ عليكم، فأوفُوا بعهد الله، وقوموا على أمره؛ يكن لكم عوناً ، وناصراً.

وبلغ عمرَ: أنّ حُرقوصاً نزل جبل الأهواز ، والناس يختلفون إليه ، والجبل كنود يشقّ على مَن رامه ، فكتب إليه: بلغني: أنك نزلت منزلاً كنوداً لا تؤتى فيه إلاّ على مشقّة ، فأسهل ولا تشقّ على مسلم ولا معاهد ، وقم في أمرك على رجْل تدرك الآخرة وتصفُ لك الدنيا ، ولا تدركنّك فترة ولا عجلة، فتكدر دنياك ، وتذهب آخرتك.

ثمّ إن حرقوصاً تحرّز يوم صفِّين وبقي على ذلك ، وشهد النِّهروان مع الحَرُوريّة[1]. (٤: ٧٧/ ٧٨).

غزو المسلمين فارس من قبَل البحرين

وفي هذه السنة ـ أعني: سنة سبع عشرة ـ غزا المسلمون أرضَ فارس من قِبَل البحرين فيما زعم سيف ورواه.

ذكر الخبر بذلك:

٥١٦ ـ كتب إليّ السريّ ، يقول: حدّثنا شعيب ، قال: حدّثنا سيف ، عن محمد ، والمهلّب ، وعمرو ، قالوا: كان المسلمون بالبصرة وأرضها ـ وأرضها يومئذ سوادها ، والأهواز على ما هم عليه إلى ذلك اليوم ، ما غلبوا عليه منها ففي أيديهم ، وما صولحوا عليه منها ففي أيدي أهله ، يؤدّون الخراج ، ولا يدخل عليهم ، ولهم الذّمة والمنَعة ـ وعميد الصلح الهُرمزان ، وقد قال عمر: حسبُنا لأهل البصرة سوادهم ، والأهواز ، وددْت: أنّ بيننا وبين فارس جبلاً من نار لا يصلون إلينا منه ولا نصل إليهم ، كما قال لأهل الكوفة: وددت أنّ بينهم وبين الجبل حبلاً من نار لا يصلون إلينا منه ، ولا نصل إليهم.

---

(١) إسناده ضعيف.

وكان العلاء بن الحضرميّ على البحرين أزمانَ أبي بكر ، فعزله عمر ، وجعل قدامةَ بن المظعون مكانه ، ثم عزَل قدامة ، وردّ العلاء ، وكان العلاء يباري سعداً لصدع صدعه القضاء بينهما ، فطار العلاء على سعد في الردّة بالفضل؛ فلما ظفر سعد بالقادسيّة ، وأزاح الأكاسرة عن الدّار ، وأخذ حدود ما يلي السواد ، واستَعلَى ، وجاء بأعظم مما كان العلاء جاء به؛ سرّ العلاء أن يصنع شيئاً في الأعاجم ، فرجا أن يُدال كما قد كان أديل ، ولم يقدّر العلاء، ولم ينظر فيما بين فضل الطاعة والمعصية بجدّ ، وكان أبو بكر قد استعمله ، وأذن له في قتال أهل الردّة ، واستعمله عمر ، ونهاه عن البحر ، فلم يقدّر في الطاعة والمعصية وعواقبهما ، فندب أهل البحرين إلى فارس ، فتسرّعوا إلى ذلك ، وفرّقهم أجناداً؛ على أحدهما الجارود بن المعلّى ، وعلى الآخر السوّار بن همّام ، وعلى الآخر خُلَيد بن المنذر بن ساوى؛ وخُليد على جماعة الناس ، فحملهم في البحر إلى فارس بغير إذن عمر ، وكان عمر لا يأذن لأحد في ركوبه غازياً؛ يَكره التغرير بجنده استناناً بالنبيّ ﷺ وبأبي بكر ، لم يغزُ فيه النبيّ ﷺ ولا أبو بكر. فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس ، فخرجوا في إصْطَخر ، وبإزائهم أهلُ فارس ، وعلى أهل فارس الهِرْبذ ، اجتمعوا عليه ، فحالوا بين المسلمين وبين سُفنهم ، فقام خُليد في الناس ، فقال: أمّا بعد؛ فإنّ الله إذا قضى أمراً جرت به المقادير؛ حتى تصيبَه ، وإنّ هؤلاء القوم لم يزيدوا بما صنعوا على أن دعوْكم إلى حربهم؛ وإنما جئتم لمحاربتهم ، والسفنُ والأرض لمن غلَب ، فاستعينوا بالصّبر والصلاة ، وإنّها لكبيرة إلاّ على الخاشعين. فأجابوه إلى ذلك ، فصلّوا الظهر ، ثم ناهدوهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً في موضع من الأرض يدعى طاوُوس ، وجعل السَّوار يرتجز يومئذ ، ويذكر قومه ، ويقول:

يا آلَ عَبْدِ القَيْسِ لِلْقِرَاعِ ... قد حَفَلَ الأمْدادُ بالجِراعِ
وكلّهُمْ في سَنَنِ المِصاعِ ... يحْسِنُ ضَرْبَ القومِ بالقَطَّاعِ

حتى قتل. وجعل الجارود يرتجز ويقول:

لو كان شيئاً أمماً أكلْتُهْ ... أو كان ماءً سادِماً جَهَرْتُهْ
لكنّ بحراً جاءَنا أنكَرْتُهْ

حتى قتل. ويومئذ وَلِيَ عبدُ الله بن السوّار ، والمنذر بن الجارود حياتهما إلى

أن ماتا. وجعل خُليد يومئذ يرتجز ويقول:

يـــالَ تميـــمِ أَجْمِعُـــوا النُّـــزُولْ وكـــادَ جَيْـــشُ عُمَـــرٍ يَـــزُولْ

وكُلكـــمْ يعلـــمُ مـــا أقـــولْ

انزلوا، فنزلوا فاقتتل القوم فقُتِل أهل فارس مقتلة لم يُقتَلوا مثلها قبلها، ثمّ خرجوا يريدون البصرة وقد غرقت سفنهم، ثمّ لم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلاً. ثم وجدوا شَهْرَك قد أخذ على المسلمين بالطرق؛ فعسكروا، وامتنعوا في نُشُوبهم. ولما بلغ عمر الذي صنع العَلاء من بعثه ذلك الجيش في البحر؛ أُلقِيَ في رُوعه نحوٌ من الذي كان. فاشتدّ غضبه على العَلاء، وكتب إليه يعزله وتوعّده، وأمره بأثقل الأشياء عليه، وأبغض الوجوه إليه؛ بتأمير سعد عليه، وقال: الحق بسعد بن أبي وقاص فيمن قِبلَك، فخرج بمَن معه نحو سعد. وكتب عمر إلى عُتبة بن غزوان: إنّ العلاء بن الحضرميّ حمل جنداً من المسلمين، فأقطعهم أهل فارس، وعصاني، وأظنه لم يرد الله بذلك، فخشيت عليهم إلاّ يُنصروا أن يغلَبوا وينشَبوا، فاندب إليهم الناس، واضممهم إليك من قبل أن يُجتاحوا. فندب عُتبة الناس، وأخبرهم بكتاب عمر. فانتدب عاصم بن عمرو، وعرفجة بن هَرْثمة، وحذيفة بن محصن، ومجزأة بن ثور، ونهار بن الحارث، والترجمان بن فلان، والحصين بن أبي الحرّ، والأحنف بن قيس، وسعد بن أبي العرْجاء، وعبد الرحمن بن سهل، وصعصعة بن معاوية؛ فخرجوا في اثني عشر ألفاً على البغال يجنبون الخيل، وعليهم أبو سَبْرة بن أبي رُهْم أحد بني مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤيّ، والمسالح على حالها بالأهواز والذمّة، وهم رِدْء للغازي والمقيم. فسار أبو سَبْرة بالناس، وساحَلَ لا يلقاه أحد، ولا يعرض له؛ حتى التقى أبو سَبْرة وخُلَيد بحيث أخِذ عليهم بالطرق غبّ وقعة القوم بطاووس، وإنما كان وليَ قتالهم أهلُ إصطَخر وحدهم، والشذّاذ من غيرهم؛ وقد كان أهل إصطخر حيث أخذوا على المسلمين بالطرق، وأنشَبوهم؛ استصرخوا عليهم أهلَ فارس كلّهم؛ فضربوا إليهم من كلّ وجه وكورة، فالتقوْا هم وأبو سَبْرة بعد طاووس، وقد توافتْ إلى المسلمين أمدادهم، وإلى المشركين أمدادهم، وعلى المشركين شَهْرك؛ فاقتتلوا، ففتح الله على المسلمين، وقَتَل المشركين، وأصاب المسلمون منهم ما شاؤوا ـ وهي الغزاة التي شرفت فيها نابتة البصرة؛

وكانوا أفضل نوابت الأمصار؛ فكانوا أفضل المصريْن نابتة ـ ثم انكفؤوا بما أصابوا ، وقد عهد إليهم عُتبة ، وكتب إليهم بالحثّ وقلة العُرْجة ، فانضموا إليه بالبصرة ، فخرج أهلها إلى منازلهم منها ، وتفرّق الذين تُنقّذوا من أهل هَجر إلى قبائلهم ، والذين تُنقّذوا من عبد القيس في موضع سوق البَحْرين. ولما أحرز عُتبة الأهواز ، وأوطأ فارس؛ استأذن عمر في الحجّ ، فأذِن له ، فلمّا قضى حجّه استعفاه ، فأبى أن يُعفيَه ، وعزم عليه ليَرجعنّ إلى عمله؛ فدعا الله ، ثم انصرف؛ فمات في بطن نخلة ، فدفن؛ وبلغ عمر ، فمرّ به زائراً لقبره ، وقال: أنا قتلتك ، لولا أنه أجل معلوم ، وكتاب مرقوم؛ وأثنى عليه بفضله ، ولم يختطّ فيمن اختطّ من المهاجرين؛ وإنما ورث ولدُه منزلهم من فاختة بنة غزوان ، وكانت تحت عثمان بن عفان ، وكان خبّاب مولاه قد لزم سمته فلم يختطّ ، ومات عتبة بن غزوان على رأس ثلاث سنين ونصف من مفارقة سعد بالمدائن ، وقد استخلف على الناس أبا سَبْرة بن أبي رُهْم ، وعمّاله على حالهم ، ومسالحه على نهرِ تيرَى ، ومَناذِر ، وسوق الأهواز ، وسُرّق ، والهُرْمزان برامهُرمز مُصالَح عليها ، وعلى السُّوس والبُنيان وجنديْ سابور ومِهْرَجانَ قذَق؛ وذلك بعد تنقُّذ الذين كان حمل العلاء في البحر إلى فارس ، ونزولهم البصرة.

وكان يقال لهم: أهل طاووس ، نُسِبوا إلى الوقعة. وأقرّ عمر أبا سَبْرة بن أبي رُهْم على البصرة بقيّة السنة ، ثم استعمل المغيرة بن شعبة في السنة الثانية بعد وفاة عتبة ، فعمل عليها بقيَّة تلك السنة والسنة التي تليها ، لم ينتقض عليه أحد في عمله ، وكان مرزوقاً السلامة؛ ولم يُحدث شيئاً إلاّ ما كان بينه وبين أبي بكْرة.

ثم استعمل عمر أبا موسى على البصرة ، ثم صُرِف إلى الكوفة ، ثمّ استعمل عمر بن سُراقة ، ثمّ صُرِف عمر بن سراقة إلى الكوفة من البصرة ، وصُرف أبو موسى إلى البصرة من الكوفة؛ فعمل عليها ثانية[1]. (٤: ٧٩/ ٨٠/ ٨١/ ٨٢).

---

(١) إسناده ضعيف.

ذكر فتح رامهرمز وتستر

ذكر الخبر عن فتح ذلك من روايته:

٥١٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، والمهلب، وعمرو؛ قالوا: ولم يزل يَزْدَجِرد يُثير أهلَ فارس أسفاً على ما خرج منهم؛ فكتب يَزْدَجِرد إلى أهل فارس وهو يومئذ بمرْوَ، يذكّرهم الأحقاد ويؤنّبهم؛ أن قد رضيتم يا أهل فارس أن قد غلبتكم العرب على السواد وما والاه، والأهواز. ثم لم يرْضَوا بذلك حتى تورّدوكم في بلادكم وعُقْر داركم، فتحرّكوا وتكاتبوا (أهلُ فارس وأهلُ الأهواز) وتعاقدوا وتعاهدوا وتواثقوا على النُّصرة، وجاءت الأخبار حرقوصَ بن زُهير، وجاءت جزءاً، وسُلْمى، وحرْملة عن خبر غالب، وكُلَيب؛ فكتب سُلْمَى وحَرْملة إلى عمر وإلى المسلمين بالبَصْرة، فسبق كتاب سُلْمى حرملة، فكتب عمر إلى سعد: أن ابعث إلى الأهواز بعثاً كثيفاً مع النعمان بن مقرّن، وعجِّل، وابعث سُوَيد بن مقرّن، وعبد الله بن ذي السهمين، وجَرير بن عبد الله الحميريّ، وجرير بن عبد الله البَجَلِيّ؛ فلْينزلوا بإزاء الهُرْمزان حتى يتبيّنوا أمره. وكتب إلى أبي موسى: أن ابعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً وأمِّرْ عليهم سهل بن عديّ ـ أخا سهيل بن عديّ ـ وابعث معه البَرَاء بن مالك، وعاصم بن عمرو، ومجزأة بن ثور، وكعب بن سور، وعَرْفجة بن هَرثمة، وحُذيفة بن مِحْصَن، وعبد الرحمن بن سهل، والحُصَين بن معبد؛ وعلى أهل الكوفة وأهل البصرة جميعاً أبو سَبْرة بن أبي رُهْم؛ وكلّ من أتاه فمددٌ له.

وخرج النُّعمان بن مقرّن في أهل الكوفة، فأخذ وسط السواد حتى قطع دِجْلة بِحيال مَيْسان، ثم أخذ البرّ إلى الأهواز على البغال يجنبون الخيل، وانتهى إلى نهر تِيرَى فجازها، ثم جاز مَنَاذر، ثم جاز سوقَ الأهواز، وخلَّف حُرقوصاً، وسُلمَى، وحرْملة، ثمّ سار نحو الهُرمزان ـ والهرمزان يومئذ برامَهُرمز ـ ولما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره الشدة، ورجا أن يقتطعه وقد طمع الهرمزان في نصر أهل فارس، وقد أقبلوا نحوه، ونزلت أوائل أمدادهم بتُسْتَر، فالتقى، النعمان والهُرمزان بأربُك، فاقتتلوا قتالاً شديداً. ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ هزم

الهُرمزان للنعمان ، وأخلى رامَهُرْمز وتركها ولحق بتُستَر ، وسار النعمان من أربُك حتى ينزل برامَهُرْمز ، ثم صعد لإيذَج ، فصالحه عليها تيرويْه ، فقبل منه ، وتركه ، ورجع إلى رامَهُرْمز ، فأقام بها .

قالوا : ولما كتب عمر إلى سعد وأبي موسى ، وسار النعمان وسهل ؛ سبق النعمان في أهل الكوفة سهلاً وأهلَ البصرة ، ونكّب الهُرمزان ، وجاء سهل في أهل البصرة حتى نزلوا بسوق الأهواز ، وهم يريدون رامَهُرمز ، فأتتهم الوقعة وهم بسوق الأهواز ، وأتاهم الخبر : أنّ الهرمزان قد لحِق بتستَر ، فمالوا من سوق الأهواز نحْوَه ، فكان وجههم منها إلى تُسْتَر ، ومال النعمان من رامَهرمز إليها ، وخرج سُلْمَى ، وحَرْملة ، وحُرقوص ، وجَزْء ، فنزلوا جميعاً على تُستَر والنعمان على أهل الكوفة ، وأهل البصرة متساندون ، وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس ؛ وأهل الجبال والأهواز في الخنادق ، وكتبوا بذلك إلى عمر ، واستمدّه أبو سَبْرة فأمدّهم بأبي موسى ، فسار نحوهم ، وعلى أهل الكوفة النعمان ، وعلى أهل البصرة أبو موسى ، وعلى الفريقين جميعاً أبو سَبْرة ، فحاصروهم أشهراً ، وأكثروا فيهم القتل . وقتل البَرَاء بن مالك فيما بين أول ذلك الحصار إلى أن فتح الله على المسلمين مئة مبارز ، سوى مَن قتل في غير ذلك ، وقَتَل مجزأة بن ثَوْر مثل ذلك ، وقَتل كعبُ بن سُور مثلَ ذلك ، وقتَل أبو تميمة مثلَ ذلك في عدّة من أهل البصرة ، وفي الكوفيين مثل ذلك ؛ منهم : حَبيب بن قُرّة ، ورِبعيّ بن عامر ، وعامر بن عبد الأسود ـ وكان من الرؤساء ـ في ذلك ما ازدادوا به إلى ما كان منهم ، وزاحفهم المشركون في أيام تُسْتَر ثمانين زَحْفاً في حصارهم ؛ يكون عليهم مرة ولهم أخرى ، حتى إذا كان في آخر زحف منها ، واشتدّ القتال ؛ قال المسلمون : يا بَراء ! أقسِم على ربّك ليهزمنّهم لنا ! فقال : اللهمّ اهزمْهم لنا ، واستشهدني . قال : فهزموهم حتى أدخلوهم خنادقهم ، ثم اقتحموها عليهم ، وأرَزُوا إلى مدينتهم ، وأحاطوا بها ، فبينا هم على ذلك وقد ضاقت بهم المدينة ، وطالت حربُهم ، خرج إلى النّعمان رجل فاستأمنه على أن يدلّه على مدخل يُـؤْتَوْن منه ، ورمى في ناحية أبي موسى بسهمْ ، فقال : قد وثقت بكم ، وأمنتكم ، واستأمنتكم على أن دللتكم على ما تأتون منه المدينة ، ويكون منه فتحها ، فآمنوه في نُشابة فرمى إليهم بآخر ، وقال : انهدُوا من قبل مخرج الماء ؛ فإنكم ستفتحونها ، فاستشار في ذلك وندب إليه ، فانتدب له عامر بن

عبد قيس ، وكعب بن سُور ، ومجزأة بن ثور ، وحَسَكة الحبَطي ، وبَشر كثير؛ فنهدوا لذلك المكان ليلاً ، وقد ندب النعمان أصحابه حين جاءه الرّجل ، فانتدب له سُويد بن المشعَبة ، وورقاء بن الحارث ، وبشر بن ربيعة الخثعميّ ، ونافع بن زيد الحميريّ ، وعبد الله بن بِشر الهلاليّ ، فنهدوا في بشر كثير ، فالتقَوا هم وأهلُ البصرة على ذلك المخرج ، وقد انسرب سويد وعبد الله بن بِشر ، فأتبعهم هؤلاء وهؤلاء؛ حتى إذا اجتمعوا فيها ـ والناس على رِجْل من خارج ـ كبّروا فيها ، وكبّر المسلمون من خارج ، وفُتحت الأبواب؛ فاجتلدوا فيها ، فأناموا كلَّ مقاتل ، وأرَز الهُرْمزان إلى القَلَعة ، وأطاف به الذين دخلوا من مخرج الماء؛ فلما عاينوه وأقبلوا قِبَله قال لهم : ما شئتم! قد ترَون ضيقَ ما أنا فيه وأنتم ، ومعي في جَعبتي مئةُ نُشّابة؛ ووالله ما تصِلون إليّ ما دام معي منها نُشّابة؛ وما يقع له سهم؛ وما خير إساري إذا أصبتُ منكم مئة بين قتيل أو جريح! قالوا : فتريد ماذا؟ قال : أن أضعَ يدي في أيديكم على حُكْم عُمَر يصنع بي ما شاء ، قالوا : فلك ذلك ، فرمى بقوسه ، وأمكنهم من نفسه ، فشدّوه وثاقاً ، واقتسموا ما أفاء الله عليهم؛ فكان سهم الفارس فيها ثلاثة آلاف ، والراجل ألفاً ، ودعا صاحب الرميّة بها ، فجاء هو والرّجل الذي خرج بنفسه ، فقالا : مَن لنا بالأمان الذي طلبنا علينا وعلى مَن مالَ معنا؟ قالوا : ومَن مال معكم؟ قالا : مَن أغلق بابه عليه مدخلَكم . فأجازوا ذلك لهم ، وقُتل من المسلمين ليلتئذ أناس كثير ، وممن قتَل الهُرمزان بنفسه مجزَأة بن ثور ، والبَرَاء بن مالك .

قالوا : وخرج أبو سَبْرة في أثر الفَلّ من تُستَر ـ وقد قصدوا للسُّوس ـ إلى السوس ، وخرج بالنعمان وأبي موسى ومعهم الهُرْمزان؛ حتى اشتملوا على السُّوس ، وأحاط المسلمون بها ، وكتبوا بذلك إلى عمر . فكتب عمر إلى عمر بن سُراقة بأن يسيرَ نحو المدينة ، وكتب إلى أبي موسى فردّه على البَصْرة ، وقد ردّ أبا موسى على البصرة ثلاث مرات بهذه ، وردّ عمر عليها مرتين؛ وكتب إلى زِرّ بن عبد الله بن كليب الفُقَيميّ أن يسير إلى جُنْدَيْ سابور ، فسار حتى نزل عليها ، وانصرف أبو موسى إلى البصرة بعد ما أقام إلى رجوع كتاب عمر ، وأمّر عمر على جند البصرة المقترِبَ؛ الأسود بن ربيعة أحدَ بني ربيعة بن مالك ، وكان الأسود ، وزِرّ من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين ـ وكان الأسود قد وفَد على رسول الله ﷺ وقال : جئت لأقترب إلى الله عزّ وجلّ بصحبتك ، فسمّاه

المقترب؛ وكان زِرّ قد وفَد على رسول الله ﷺ ، وقال: فنيَ بطني ، وكثر إخوتُنا ، فادعُ الله لنا ، فقال: اللهمّ أوف لزرّ عُمْرَه ، فتحوّل إليهم العدد ـ وأوفد أبو سَبْرة وفداً؛ فيهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس ، وأرسل الهُرمزان معهم ، فقدِموا مع أبي موسى البصرة ، ثم خرجوا نحو المدينة؛ حتى إذا دخلوا هيّؤوا الهرمزان في هيئته ، فألبسوه كُسوته من الدّيباج الذي فيه الذهب ، ووضعوا على رأسه تاجاً يدعى الآذين ، مكلّلاً بالياقوت ، وعليه حِلْيته ، كيما يراه عمر والمسلمون في هيئته ، ثم خرجوا به على الناس يريدون عمر في منزله فلم يجدوه ، فسألوا عنه ، فقيل لهم: جلس في المسجد لوفد قدموا عليه من الكوفة ، فانطلقوا يطلبونه في المسجد ، فلم يروْه ، فلما انصرفوا مرّوا بغلمان من أهل المدينة يلعبون ، فقالوا لهم: ما تلدّدكم!؟ تريدون أميرَ المؤمنين؟ فإنّه نائم في ميمنة المسجد ، متوسد برنسه ـ وكان عمر قد جلس لوفْد أهل الكوفة في بُرنس ، فلمّا فرغ من كلامهم وارتفعوا عنه ، وأخلَوْه نزع بُرنسه ثم توسّده فنام ـ فانطلقوا ومعهم النظّارة ، حتى إذا رأوْه جلسوا دونه ، وليس في المسجد نائم ولا يقظان غيره ، والدِّرَة في يده معلّقة ، فقال الهرمزان: أين عمر؟ فقالوا: هو ذا؛ وجعل الوفد يشيرون إلى الناس أن اسكتوا عنه؛ وأصغى الهرمزان إلى الوفد ، فقال: أين حرسُه وحجّابه عنه؟ قالوا: ليس له حارس ولا حاجب ، ولا كاتب ولا ديوان ، قال: فينبغي له أن يكون نبيّاً ، فقالوا: بل يعمل عمل الأنبياء. وكثر الناس؛ فاستيقظ عمر بالجلَبَة ، فاستوى جالساً ، ثم نظر إلى الهرمزان ، فقال: الهرمزان؟ قالوا: نعم؛ فتأمّله ، وتأمّل ما عليه ، وقال: أعوذ بالله من النار ، وأستعين الله! وقال: الحمد لله الذي أذلّ بالإسلام هذا وأشياعه؛ يا معشر المسلمين! تمسَّكوا بهذا الدين ، واهتدوا بهُدَى نبيّكم ، ولا تبطرنّكم الدنيا فإنها غرّارة ، فقال الوفد: هذا ملك الأهواز ، فكلّمه ، فقال: لا ، حتى لا يبقى عليه من حِلْيته شيء ، فرُمي عنه بكلّ شيء عليه إلا شيئاً يستره ، وألبسوه ثوباً صفيقاً ، فقال عمر: هِيهِ يا هرمزان! كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله! فقال: يا عمر! إنا وإيّاكم في الجاهليّة كان الله قد خلّى بيننا وبينكم ، فغلبناكم إذْ لم يكن معنا ولا معكم ، فلمّا كان معكم غلبتمونا. فقال عمر: إنما غلبتمونا في الجاهليّة باجتماعكم وتفرّقنا. ثم قال عمر: ما عُذرك وما حجّتك في انتقاضك مرّة بعد مرّة؟ فقال: أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك ، قال: لا تخف ذلك.

واستسقى ماء ، فأتِيَ به في قَدَح غليظ ، فقال: لو متّ عطشاً لم أستطع أنْ أشرب في مثل هذا ، فأتي به في إناء يرضاه ، فجعلت يده ترجُف ، وقال: إني أخاف أن أقْتَل وأنا أشرب الماء ، فقال عمر: لابأس عليك حتى تشربَه ، فأكفأه ، فقال عمر: أعيدوا عليه ، ولا تجمعوا عليه القتل والعطش ، فقال: لا حاجة لي في الماء ، إنما أردت أن أستأمِن به ، فقال له عمر: إني قاتلك ، قال: قد آمنتني! فقال: كذبت! فقال أنس: صدق يا أمير المؤمنين ، قد آمنته ، قال: ويحك يا أنس! أنا أؤمّن قاتل مجزأة والبَراء! والله لتأتينّ بمخرج أو لأعاقبنّك! قال: قلتَ له: لابأس عليك حتى تخبرَني ، وقلتَ: لابأس عليك حتى تشربه ، وقال له مَنْ حوله مثل ذلك ، فأقبل على الهرمزان ، وقال: خدعتَني ، والله لا أنخدع إلا لمسلم؛ فأسلم. ففرض له على ألفين ، وأنزله المدينة[1]. (٤: ٨٣/ ٨٤/ ٨٥/ ٨٦/ ٨٧/ ٨٨).

٥١٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي سفيان طلحة بن عبد الرحمن ، عن ابن عيسى ، قال: كان التُّرجمان يوم الهُرمزان المغيرة بن شعبة إلى أن جاء المترجِم ، وكان المغيرة يفقَه شيئاً من الفارسيّة ، فقال عمر للمغيرة: قل له: مِنْ أيّ أرض أنت؟ فقال المغيرة: أزكُدَام أرضي؟ فقال: مِهرجانيّ ، فقال: تكلم بحجَّتك ، قال: كلام حيّ أو ميت ؟ قال: بل كلام حيّ ، قال: قد آمنتني ، قال: خدعتَني ، إنّ للمخدوع في الحرب حُكمه؛ لا والله لا أؤمّنك حتى تسلِم ، فأيقن أنه القتل أو الإسلام ، فأسلم ، ففرض له على ألفين ، وأنزله المدينة. وقال للمغيرة: ما أراك بها حاذقاً ، ما أحسنها منكم أحد إلا خَبّ ، وما خَبّ إلا دقّ. إيّاكم وإيّاها ! فإنها تنقض الإعراب. وأقبل زيد فكلّمه ، وأخبر عمر بقوله ، والهُرمزانَ بقول عمر[2]. (٤: ٨٨).

٥١٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، وعمرو ، عن الشعبيّ وسفيان ، عن الحسن ، قال: قال عمر للوفد: لعلّ

---

(١) إسناده ضعيف ، وفي متنه مخالفة لما في الصحيح ذكرناها في قسم الصحيح من عهد سيدنا عمر رضي الله عنه (٤ : ٨٣) في ذكر فتح تستر.

(٢) إسناده ضعيف ، وفي متنه مخالفة لما في الروايات الصحيحة التي ذكرنا في قسم الصحيح في قصة فتح تستر (٤/ ٨٣).

المسلمين يفضُون إلى أهل الذّمة بأذىً وبأمور لها ما ينتقضون بكم! فقالوا: ما نعلم إلاّ وفاء وحسن ملَكة، قال: فكيف هذا؟ فلم يجد عند أحد منهم شيئاً يشفيه ويبصر به مما يقولون، إلاّ ما كان من الأحنف، فقال: يا أميرَ المؤمنين! أخبرك أنّك نهيتَنا عن الانسياح في البلاد، وأمرتَنا بالاقتصار على ما في أيدينا، وإن ملك فارس حيّ بين أظهرهم؛ وإنهم لا يزالون يساجلوننا ما دام مَلكهم فيهم؛ ولم يجتمع مَلِكان فاتفقا حتى يخرِج أحدُهما صاحبَه؛ وقد رأيتُ أنّا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلاّ بانبعاثهم، وأنّ ملِكهم هو الذي يبعثهم، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فلنسِحْ في بلادهم حتى نزيلَه عن فارس، ونخرجه من مملكته وعزّ أمته، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس، ويضربون جأشاً. فقال: صدقتَني والله، وشرحت لي الأمر عن حقه. ونظر في حوائجهم، وسرّحهم.

وقدم الكتاب على عمر باجتماع أهل نهاوند وانتهاء أهل مِهْرجان قذَق وأهل كُوَر الأهواز إلى رأي الهُرمزان ومشيئته، فذلك كان سبب إذن عمر لهم في الانسياح[1]. (٤ : ٨٩).

ذكر فتح السُّوس

اختلف أهل السِّيَر في أمرها؛ فأمّا المدائنيّ فإنه ـ فيما حدثني عنه أبو زيد ـ قال: لما انتهى فلّ جلولاء إلى يزدجرد وهو بحلوان؛ دعا بخاصّته، والموبذ، فقال: إن القومَ لا يلقون جمعاً إلا فلّوه، فما ترونْ؟ فقال الموْبذ: نرى أن تخرج، فتنزل إصطَخْر؛ فإنها بيت المملكة، وتضمّ إليك خزائنك، وتوجّه الجنود. فأخذ برأيه، وسار إلى أصبَهان ودعا سياهَ، فوجّهه في ثلاثمئة، فيهم سبعون رجلاً من عُظمائهم، وأمره أن ينتخب مِن كلّ بلدة يمرّ بها مَن أحبّ، فمضى سياه، وأتبعه يزدجِرْد، حتى نزلوا إصطخر وأبو موسى محاصر السُّوس، فوجّه سياه إلى السُّوس، والهرمزان إلى تُستَر، فنزل سياه الكلبانيّة، وبلغ أهلَ السوس أمرُ جلولاء، ونزول يزدجرد إصطخر منهزماً، فسألوا أبا موسى الأشعري الصلح، فصالحهم، وسار إلى رامهرمز وسياه بالكلبانية، وقد عظُم أمر

---

(١) إسناده ضعيف.

المسلمين عنده ، فلم يزل مقيماً حتى صار أبو موسى إلى تُسْتَر ، فتحوّل سياه ، فنزل بين رامهرمز وتُسْتَر ، حتى قدم عمّار بن ياسر ، فدعا سياه الرؤساء الذين كانوا خرجوا معه من أصبَهان؛ فقال: قد علمتم: أنا كنا نتحدّث: أنّ هؤلاء القوم أهلُ الشقاء والبؤس سيغلبون على هذه المملكة ، وترُوث دوابّهم في إيوانات إصطَخر ومصانع الملوك ، ويشدُّون خيولَهم بشجرها ، وقد غلبوا على ما رأيتم ، وليس يلقوْن جنداً إلاّ فلّوه ، ولا ينزلون بحصنٍ إلاّ فتحوه ، فانظروا لأنفسكم، قالوا: رأيُنا رأيك ، قال: فليكْفِني كلّ رجل منكم حشَمه، والمنقطعين إليه ، فإني أرى أن ندخل في دينهم. وَوجَّهوا شيرويه في عشرة من الأساورة إلى أبي موسى ، يأخذ شروطاً على أن يدخلوا في الإسلام فقدم شيرويه على أبي موسى فقال: إنّا قد رغِبْنا في دينكم ، فنُسلِم على أن نُقاتلَ معكم العجم ، ولا نقاتل معكم العرب؛ وإن قاتلَنا أحدٌ من العرب منعتمونا منه ، وننزل حيث شئنا ، ونكون فيمن شئنا منكم ، وتُلحِقونا بأشراف العطاء ، ويعقد لنا الأمير الذي هو فوقك بذلك. فقال أبو موسى: بل لكم ما لنا ، وعليكم ما علينا ، قالوا: لا نرضى.

وكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب ، فكتب إلى أبي موسى: أعطِهم ما سألوك. فكتب أبو موسى لهم ، فأسلموا ، وشهدوا معه حصار تُسْتر؛ فلم يكن أبو موسى يرى منهم جِدّاً ولا نِكاية ، فقال لسياه: يا أعور! ما أنت وأصحابُك كما كنّا نرى! قال: لسنا مثلكم في هذا الدّين ولا بصائرنا كبصائركم ، وليس لنا فيكم حُرَمٌ نحامِي عنهم ، ولم تُلحقنا بأشراف العطاء ولنا سلاح وكُراع ، وأنتم حسّر. فكتب أبو موسى إلى عمر في ذلك ، فكتب إليه عمر: أن ألحقهم على قَدْر البلاء في أفضل العطاء وأكثر شيء أخذه أحد من العرب. ففرض لمئة منهم في ألفين ألفين ، ولستّة منهم في ألفين ، وخمسمئة لسياه ، وخُسْرَوْ ـ ولقبه مِقْلاص ـ وشَهْريار ، وشَهْرَويه ، وأفروذين. فقال الشاعر:

ولمَّـا رأى الفـاروقُ حُسْـنَ بـلائِهِـمْ ... وكـان بمـا يـأتـي مـن الأمـر أبْصَـرَا
فَسَـنَّ لهـم ألفيْـنِ فَـرْضـاً وقـد رأى ... ثـلاثَمِئيـنَ فَـرْضَ عَـكٍّ وَحِمْيَـرَا

قال: فحاصروا حصناً بفارس ، فانسلّ سياه في آخر الليل في زِيّ العجم حتى رمى بنفسه إلى جَنْب الحِصْن ، ونَضحَ ثيابه بالدّم ، وأصبح أهلُ الحصن ، فرأوا

رجلاً في زيّهم صريعاً ، فظنُّوا أنه رجل منهم أصيبوا به ، ففتحوا باب الحِصْن ليدخلوه ، فثار وقاتلهم حتى خلَّوْا عن باب الحصن ، وهربوا ، ففتح الحصن وحده ، ودخله المسلمون ، وقوم يقولون: فعلَ هذا الفعل سياه بتُسْتر ، وحاصروا حصناً ، فمشى خُسْرَوْ إلى الحصن ، فأشرف عليه رجل منهم يكلِّمه ، فرماه خسرَوْ بنشّابة فقتله[1] . (٤ : ٨٩/ ٩٠/ ٩١).

٥٢١ ـ وأما سيف فإنه قال في روايته ما كتب به إليَّ السريّ عن شعيب ، عنه ، عن محمد ، وطلحة ، وعمرو ، ودِثار أبي عمر ، عن أبي عثمان ، قالوا: لما نزل أبو سَبْرة في الناس على السُّوس ، وأحاط المسلمون بها ، وعليهم شهريار أخو الهرمزان ، ناوشوهم مرّات؛ كلّ ذلك يصيبُ أهلُ السُّوس في المسلمين ، فأشرف عليهم يوماً الرُّهبان ، والقسّيسون ، فقالوا: يا معشر العرب ! إنّ مما عهد إلينا علماؤنا وأوائلنا؛ أنه لا يفتح السُّوسَ إلاّ الدّجال أو قوم فيهم الدّجال ، فإن كان الدّجال فيكم فستفتحونها ، وإن لم يكن فيكم فلا تُعْنَوْا بحصارنا. وجاء صرْف أبي موسى إلى البَصْرة ، وعُمِّل علَى أهل البصرة المقترب مكانَ أبي موسى بالسُّوس ، واجتمع الأعاجم بِنهاوَنْد؛ والنعمان على أهل الكوفة محاصراً لأهل السوس مع أبي سَبْرة ، وزِرّ محاصر أهل نهاوند من وجهه ذلك؛ وضرب على أهل الكوفة البعث مع حُذيفة ، وأمرهم بموافاته بنهاوَنْد؛ وأقبل النُّعمان على التهيّؤ للسير إلى نهاوند ، ثمّ استقلّ في نفسه ، فناوشهم قبل مضيّه ، فعاد الرّهبان ، والقسِّيسون ، وأشرفوا على المسلمين ، وقالوا: يا معشرَ العرب ! لا تُعنَوْا فإنه لا يفتحها إلاّ الدّجال أو قوم معهم الدّجال ، وصاحوا بالمسلمين وغاظوهم ، وصافِ بن صيّاد يومئذ مع النعمان في خيله ، وناهَدهم المسلمون جميعاً ، وقالوا: نقاتلهم قبل أن نفترق؛ ولمّا يخرج أبو موسى بعدُ. وأتى صافِ بابَ السوس غضبَان ، فدقّه برجله ، وقال: انفتح فطار فتقطّعت السلاسل ، وتكسَّرت الأغلاق ، وتفتَّحت الأبواب ، ودخل المسلمون ، فألقى المشركون بأيديهم ، وتنادوْا: الصّلح الصلح! وأمسكوا بأيديهم ، فأجابوهم إلى ذلك بعد ما دخلوها عَنْوة ، واقتسموا ما أصابوا قبل الصلح؛ ثم افترقوا. فخرج

---

(١) إسناده ضعيف ، وقد ذكرنا ما علمنا من الروايات الصحيحة في فتح السويس في قسم الصحيح من عهد الخلفاء الراشدين (٤/ ٨٩) والله أعلم.

النّعمان في أهل الكوفة من الأهواز حتى نزل على ماه ، وسرّح أبو سَبْرة المقتربَ حتى ينزل على جنديْ سابور مع زِرّ ، فأقام النعمان بعد دخول ماه؛ حتى وافاه أهلُ الكوفة ، ثم نهد بهم إلى أهلِ نهَاوند ، فلما كان الفتح؛ رجع صاف إلى المدينة ، فأقام بها ، ومات بالمدينة[١] . (٤ : ٩١/ ٩٢) .

٥٢٢ ـ كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطيّة ، عمّن أورد فتح السُّوس ، قال: وقيل لأبي سَبْرة: هذا جسد دانيال في هذه المدينة ، قال: وما لنا بذلك! فأقرّه بأيديهم ـ قال عطيّة بإسناده: إنّ دانيال كان لزم أسيافَ فارس بعد بختنصّر؛ فلمّا حضرته الوفاة ، ولم يرَ أحداً ممن هو بين ظهرَيْهم على الإسلام؛ أكرم كتاب الله عمّن لم يجبْه ولم يقبل منه ، فأودعه ربّه ، فقال لابنه: ائتِ ساحلَ البحر ، فاقذفْ بهذا الكتاب فيه ، فأخذه الغلام ، وضنّ به ، وغاب مقدارَ ما كان ذاهباً وجائياً؛ وقال: قد فعلت ، قال: فما صنع البحر حين هوى فيه؟ قال: لم أره يصنع شيئاً ، فغضب وقال: والله ما فعلتَ الذي أمرتُك به. فخرج من عنده ، ففعل مثل فعلته الأولى ، ثم أتاه فقال: قد فعلت ، فقال: كيف رأيت البحر حين هوى فيه؟ قال: ماج واصطفق ، فغضب أشدّ من غضبه الأوّل ، وقال: والله ما فعلت الذي أمرتُك به بعد ، فعزم ابنه على إلقائه في البحر الثالثة ، فانطلق إلى ساحل البحر ، وألقاه فيه ، فانكشف البحر عن الأرض حتى بدت ، وانفجرت له الأرض عن هواء من نور ، فهوَى في ذلك النور ، ثم انطبقت عليه الأرض ، واختلَط الماء ، فلما رجع إليه الثالثة سأله فأخبره الخبر ، فقال: الآن صدقت. ومات دانيال بالسُّوس؛ فكان هنالك يُستَسقى بجسده ، فلما افتتحها المسلمون أُتوا به فأقرُّوه في أيديهم ، حتى إذا ولّى أبو سَبْرة عنهم إلى جُندَيْ سابور؛ أقام أبو موسى بالسُّوس. وكتب إلى عُمَر فيه؛ فكتب إليه يأمره بتوريته ، فكفّنه ودفنه المسلمون. وكتب أبو موسى إلى عمر بأنه كان عليه خاتم وهو عندنا ، فكتب إليه أن تختّمْه ، وفي فصّه نقش رجل بين أسدين[٢] . (٤ : ٩٢/ ٩٣) .

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه غرابة.

(٢) إسناده ضعيف جداً.

ذكر مصالحة المسلمين أهل جنديْ سابور

وفيها ـ أعني: سنة سبع عشرة ـ كانت مصالحة المسلمين أهْلَ جُنْدَيْ سابور.

ذكر الخبر عن أمرهم وأمرها:

٥٢٣ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، وأبي عمرو، وأبي سفيان، والمهلَّب، قالوا: لما فرغ أبو سَبْرة من السُّوس؛ خرج في جنده حتى نزل على جُنْدَيْ سابور، وزِرّ بن عبد الله بن كليب محاصرهم؛ فأقاموا عليها يغادونهم، ويراوحونهم القتال؛ فما زالوا مقيمين عليها حتى رُمي إليهم بالأمان من عسكر المسلمين، وكان فَتحها وفَتْح نهاوند في مقدار شهرين، فلم يفجأ المسلمين إلاّ وأبوابها تفتح، ثمّ خرج السَّرْح، وخرجت الأسواق، وانبثّ أهلها، فأرسل المسلمون: أن مالكم؟ قالوا: رميتم إلينا بالأمان فقبلناه، وأقررنا لكم بالجزاء على أن تمنعونا. فقالوا: ما فعلنا، فقالوا: ما كذبْنا، فسأل المسلمون فيما بينهم؛ فإذا عبد يدعَى مُكْنِفاً كان أصله منها؛ هو الذي كتب لهم. فقالوا: إنما هو عبد، فقالوا: إنا لا نعرف حُرّكم من عبدكم، قد جاء أمان فنحن عليه قد قبلناه، ولم نبدّل؛ فإن شئتم فاغدروا. فأمسكوا عنهم، وكتبوا بذلك إلى عمر، فكتب إليهم: إنّ الله عظَّم الوفاء، فلا تكونون أوفياء حتى تَفُوا، ما دمتم في شكّ أجيزوهم، وفُوا لهم. فوَفوْا لهم، وانصرفوا عنهم[1]. (٤: ٩٣/ ٩٤).

٥٢٤ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، والمهلب، وعمرو، قالوا: أذن عمر في الانسياح سنة سبع عشرة في بلاد

---

(١) إسناده ضعيف، وكذلك أخرج البلاذري في فتوح البلدان قال: وحدثني إسحاق بن إسرائيل قال: حدثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن عطاء الخراساني قال: كفيتك أن تستر كانت صلحاً فكفرت فسار إليها المهاجرون فقتلوا المقاتلة، وسبوا الذراري فلم يزالوا في أيدي سادتهم حتىٰ كتب عمر: خلّوا ما في أيديكم، قال: وسار أبو موسىٰ إلى جند يسابور وأهلها متخوفون فطلبوا الأمان فصالحهم علىٰ أن لا يقتل منهم أحداً، ولا يسبيه ولا يعترض لأموالهم سوىٰ السلاح، ثم إن طائفة من أهلها توجّهوا إلىٰ الكلبانية فوجّه إليهم أبو موسىٰ الربيع بن زياد فقتلهم وفتح الكلبانية واستأمنت الأساورة، فأمنهم أبو موسى، فأسلموا. (فتوح البلدان ٥٣٨١) ولم نجد غير هذه الرواية (أي مسندة) والله تعالى أعلم.

فارس ، وانتهى في ذلك إلى رأي الأحنف بن قيس ، وعرف فضله وصدقه ، وفرَّقَ الأمراء والجنود ، وأمّر على أهل البصرة أمراء ، وأمّر على أهل الكوفة أمراء ، وأمّر هؤلاء وهؤلاء بأمره ، وأذن لهم في الانسياح سنة سبع عشرة ، فساحوا في سنة ثمان عشرة ، وأمر أبا موسى أن يسير من البصرة إلى منقطَع ذمّة البصرة ، فيكون هنالك حتى يحدّث إليه ، وبعث بألوية مَنْ ولى مع سهيل بن عدي حليف بني عبد الأشهل ، فقدِم سهيل بالألوية ، ودفع لواء خُراسان إلى الأحنف بن قيس ، ولواء أردشيرخُرّه ، وسابور إلى مجاشع بن مسعود السُّلميّ ، ولواء إصطخر إلى عثمان بن أبي العاص الثقفيّ ، ولواء فَسَا ودرابجرد إلى سارية بن زُنَيم الكنانيّ ، ولواء كَرْمان مع سهيل بن عدي ، ولواء سجسْتان إلى عاصم بن عمرو ـ وكان عاصم من الصحابة ـ ولواء مُكْران إلى الحكَم بن عمير التغلبيّ. فخرجوا في سنة سبع عشرة ، فعسكروا؛ ليخرجوا إلى هذه الكُوَر فلم يستَتِبّ مسيرهم ، حتى دخلت سنة ثمان عشرة ، وأمدّهم عمر بأهل الكوفة؛ فأمدّ سهيل بن عديّ بعبد الله بن عبد الله بن عِتْبان ، وأمدّ الأحنف بعلقمة بن النّضر ، وبعبد الله بن أبي عَقِيل ، وبربْعيّ بن عامر ، وبابن أمّ غزال. وأمدّ عاصم بن عمرو بعبد الله بن عمير الأشجعيّ ، وأمدّ الحكم بن عُمير بشهاب بن المخارق المازنيّ. قال بعضهم: كان فتح السُّوس ورَامهرمز ، وتوجيه الهرمزان إلى عُمَر من تُسْتَر في سنة عشرين[1]. (٤ : ٩٤).

ثم دخلت سنة ثمان عشرة

٥٢٥ - كتب إليّ السريّ يقول: حدّثنا شعيب عن سيف ، عن الرّبيع وأبي المجالد وأبي عثمان وأبي حارثة ، قالوا: وكتب أبو عبيدة إلى عمر: إنّ نفراً من المسلمين أصابوا الشراب ، منهم ضِرار ، وأبو جندل ، فسألناهم ، فتأوّلوا ، وقالوا: خُيِّرنا ، فاخترنا ، قال: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾! ولم يعزم علينا. فكتب إليه عمر: فذلك بيننا وبينهم ، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾؛ يعني: «فانتهوا». وجمع الناس ، فاجتمعوا على أن يضربُوا فيها ثمانين جلدة ، ويضمّنوا الفسق مَن تأوّل عليها بمثل

(١) إسناده ضعيف.

هذا ، فإن أبى؛ قتل. فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن ادعُهم؛ فإن زعموا أنها حلال؛ فاقتلهم ، وإن زعموا أنها حرام؛ فاجلدهم ثمانين. فبعث إليهم فسألهم على رؤوس الناس ، فقالوا: حرام ، فجلدهم ثمانين ثمانين ، وحُدّ القوم ، وندموا على لجاجتهم ، وقال: ليحدُثنّ فيكم يا أهل الشام حادث! فحدثت الرّمادة[١]. (٤ : ٩٦).

٥٢٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن شبرمة عن الشعبيّ بمثله[٢]. (٤ : ٩٧).

٥٢٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، قال: لما قدم على عمر كتاب أبي عبيدة في ضرار ، وأبي جندل ، كتب إلى أبي عبيدة في ذلك ، وأمره أن يدعوَ بهم على رؤوس الناس فيسألهم: أحرام الخمر أم حلال؟ فإن قالوا: حرام؛ فاجلدهم ثمانين جلدة ، واستَتِبْهم ، وإن قالوا: حلال؛ فاضرب أعناقهم. فدعَا بهم فسألهم ، فقالوا: بل حرام ، فجلدهم ، فاستحيَوا ، فلزموا البيوت. ووسوس أبو جندل ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر: إنّ أبا جندل قد وسوس ، إلاّ أن يأتيَه الله على يديْك بفرج ، فاكتب إليه وذكّره ، فكتب إليه عمر وذكّره ، فكتب إليه: من عمر إلى أبي جَنْدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فتبْ ، وارفع رأسك ، وأبرز ، ولا تقنَط ، فإنّ الله عزّ وجلّ ، يقول: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فلما قرأه عليه أبو عبيدة؛ تطلّق ، وأُسفِر عنه. وكتب إلى الآخرين بمثل ذلك فبرزوا ، وكتب إلى الناس: عليكم أنفسكم ، ومَن استوجب التّغيير؛ فغيّروا عليه ، ولا تعيّروا أحداً؛ فيفشوَ فيكم البلاء[٣]. (٤/ ٩٧).

٥٢٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله ، عن عطاء نحواً منه ، إلاّ أنه لم يذكر: أنه كتب إلى الناس ألا يعيّروهم ، وقال: قالوا:

---

(١) إسناده ضعيف ، وأما تحديده رضي الله عنه لحد الشارب بثمانين جلدة فصحيح كما سنذكر بعد قليل.

(٢) إسناده ضعيف ، وانظر ما قبله.

(٣) إسناده ضعيف.

جاشت الروم ، دَعُونا نغزوهم ، فإن قضى الله لنا الشهادة فذلك ، وإلاّ عمَدتَ للذي يريد. فاستُشهد ضرار بن الأزور في قوم ، وبقي الآخرون فحُدّوا. وقال أبو الزّهراء القُشَيريّ في ذلك:

أَلَمْ تَرَ أنَّ الدهْرَ يعْثُرُ بالفتى ... ولَيْسَ على صَرْفِ المَنونِ بِقادِرِ
صَبرْتُ ولم أَجْزَعْ وقَدْ ماتَ إخْوَتي ... ولَسْتُ عن الصهْباءِ يَوْماً بِصَابِرِ
رَماها أميرُ المؤمنين بحَتفِها ... فخُلاَّنُها يَبْكونَ حَوْلَ المعَاصِرِ[1]

(٤ : ٩٧).

٥٢٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف السُّلميّ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، قال: كانت في آخر سنة سبع عشرة وأول سنة ثماني عشرة ، وكانت الرّمادة جوعاً أصاب الناس بالمدينة وما حولها فأهلكهم حتّى جعلت الوحشُ تأوي إلى الإنس ، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قُبحها ، وإنّه لمقفر[2]. (٤ : ٩٨).

٥٣٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن عبد الرحمن بن كعب ، قال: كان الناس بذلك وعمر كالمحصور عن أهل

---

(١) إسناده ضعيف ، أما جلد شارب الخمر على عهد سيدنا عمر بثمانين جلدة فقد أخرج البخاري في صحيحه عن السائب بن يزيد قال: كنا نؤتىٰ بالشارب علىٰ عهد رسول الله ﷺ وإمرة أبي بكر فصدراً من خلافة عمر فنقوم إليه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا حتىٰ كان آخر إمرة عمر فجلد أربعين ، حتىٰ إذا عتوا وفسقوا جلد ثمانين (ح/ ٦٧٧٩).
ونسب الحافظ في الفتح إلى البيهقي في الخلافيات عن أنس حديثاً وفي آخره: فلما كان عمر استشار الناس فقال له عبد الرحمن بن عوف: أخف الحدود ثمانون ، ففعله عمر.
وكذلك أخرج مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٣٠) عن هشام أنه قال: فلما كان عمر؛ ودنا الناس من الريف والقرىٰ؛ قال: ما ترون في جلد الخمر؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: أرىٰ أن تجعلها كأخف الحدود. فجعلها عمر ثمانين.
وأخرج مسلم وأبو داود عن علي رضي الله عنه قال: جلد رسول الله ﷺ أربعين ، وجلد أبو بكر رضي الله عنه أربعين ، وجلد عمر رضي الله عنه ثمانين ، وأخرج الحافظ عدة روايات وفيها أن علياً رضي الله عنه أشار على عمر رضي الله عنه بذلك. ولقد ناقش الحافظ ابن حجر هذه المسألة في الفتح في عدة مواضع في الجزء (١٢) الصفحات (٦ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٥) فراجعها هنالك.

(٢) إسناده ضعيف.

الأمصار؛ حتى أقبل بلال بن الحارث المزنيّ ، فاستأذن عليه ، فقال: أنا رسولُ رسولِ الله إليك؛ يقول لك رسولُ الله ﷺ : لقد عهدتُك كيّساً ، وما زلت على رِجْل؛ فما شأنك ؟! فقال: متى رأيتَ هذا؟ قال: البارحة ، فخرج فنادى في الناس: الصلاة جامعة! فصلّى بهم ركعتين؛ ثم قام فقال: أيُّها الناس ، أنشدُكم الله ، هل تعلمون منّي أمراً غيره خيرٌ منه؟ قالوا: اللهم لا ، قال: فإنّ بلال بن الحارث يزعم ذَيّة وذَيّة؛ فقالوا: صدق بلال ، فاستغث بالله وبالمسلمين ، فبعث إليهم ـ وكان عمر عن ذلك محصوراً ـ فقال عمر: الله أكبر! بلغ البلاءُ مدَّته فانكشف؛ ما أَذِن لقوم في الطلب إلاّ وقد رُفِع عنهم البلاء؛ فكتب إلى أمراء الأمصار: أغيثوا أهلَ المدينة ومن حولها ، فإنه قد بلغ جَهْدهم؛ وأخرج الناس إلى الاستسقاء ، فخرج وخرج معه بالعباس ماشياً ، فخطب فأوجز؛ ثم صلى ، ثم جثا لركبتيه ، وقال: اللهمّ إيّاك نعبد وإياك نستعين؛ اللهمّ اغفرْ لنا وارحمْنا وارضَ عنّا. ثم انصرف ، فما بلغوا المنزل راجعين؛ حتى خاضُوا الغُدْران[1]. (٤ : ٩٨/ ٩٩).

٥٣١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشّر بن الفضيل ، عن جُبير بن صخر ، عن عاصم بن عمر بن الخطاب ، قال: قحط الناس زمانَ عمر عاماً ، فهُزِل المال ، فقال أهلُ بيت من مُزينة من أهل البادية لصاحبهم: قد بلغنا ، فاذبح لنا شاة ، قال: ليس فيهنّ شيء ، فلم يزالوا به حتى ذبح لهم شاة ، فسلخ عن عظم أحمر ، فنادى: يا محمّداه! فأريَ فيما يرى النائم: أنّ رسول الله ﷺ أتاه ، فقال: أبشِرْ بالحيا! ائت عمرَ فأقرئه منّي السلام ، وقل له: إنّ عهدي بك وأنت وفيّ العهد ، شديد العقد ، فالكَيْس الكَيْس يا عمر! فجاء حتى أتى باب عمر؛ فقال لغلامه: استأذِنْ لرسول رسول الله ﷺ ، فأتى عمر فأخبره ، ففزِع وقال: رأيتَ به مسّاً ! قال: لا ، قال: فأدخله ، فدخل فأخبره الخبر ، فخرج فنادى في الناس ، وصعد المنبر ، وقال: أنشدكم بالذي هداكم للإسلام؛ هل رأيتم مني شيئاً تكرهونه! قالوا: اللهمّ لا ! قالوا: ولم ذاك؟ فأخبرهم ، ففطِنوا ولم يفطَن؛ فقالوا: إنما استبطأك في الاستسقاء ، فاستسقِ بنا ، فنادى في الناس ، فقام فخطب فأوجز ، ثم صلى ركعتيْن فأوجز ، ثم قال: اللهمّ عجزتْ

---

(١) إسناده ضعيف.

عنّا أنصارنا ، وعجز عنا حولنا ، وقوّتُنا ، وعجزتْ عنا أنفسُنا ، ولا حولَ ولا قوّة إلا بك ، اللهمّ فاسقنا ، وأحْيِ العباد والبلاد![١] (٤ : ٩٩).

٥٣٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الرّبيع بن النعمان ، وجراد أبي المجالد ، وأبي عثمان ، وأبي حارثة ، كلّهم عن رجاء ـ وزاد أبو عثمان ، وأبو حارثة: عن عبادة وخالد ، عن عبد الرحمن بن غَنْم ـ قالوا: كتب عمر إلى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومَن حولها ، ويستمدّهم ، فكان أوّل مَن قدِم عليه أبو عبيدة بن الجرّاح في أربعة آلاف راحلة من طعام ، فولاّه قسمتَها فيمن حول المدينة ؛ فلمّا فرغ ورجع إليه أمر له بأربعة آلاف درهم ، فقال: لا حاجةَ لي فيها يا أمير المؤمنين! إنما أردت الله وما قبَله ، فلا تدخل عليّ الدنيا ، فقال: خذها فلا بأس بذلك إذ لم تطلبه ، فأبى فقال: خُذْها فإنّي قد ولِيت لرسول الله ﷺ مثل هذا ، فقال لي مثل ما قلت لك ، فقلتُ له كما قلتَ لي ، فأعطاني. فقبل أبو عبيدة ، وانصرف إلى عمله ، وتتابع الناس ، واستغنى أهل الحجاز ، وأحْيَوْا مع أوّل الحيا.

وقالوا بإسنادهم: وجاء كتاب عمرو بن العاص جواب كتاب عمر في الاستغاثة: إن البحر الشاميّ حفر لمبعث رسول الله ﷺ حفيراً ، فصبّ في بحر العرب؛ فسدّه الروم والقِبْط ، فإن أحببتَ أن يقوم سعر الطعام بالمدينة كسعره بمصر ، حفرتُ له نهراً وبنيت له قناطر. فكتب إليه عمر: أن افعل وعجّل ذلك؛ فقال له أهل مصر: خراجك زاجٍ ، وأميرك راضٍ؛ وإن تمّ هذا؛ انكسر الخراج. فكتب إلى عمر بذلك ، وذكر أنّ فيه انكسار خراج مصر وخرابها. فكتب إليه عمر: اعمل فيه ، وعجّل ، أخرب الله مصر في عمران المدينة وصلاحها فعاجله عمرو؛ وهو بالقُلْزم ، فكان سعر المدينة كسعر مصر ، ولم يزِدْ ذلك مصر إلاّ رخاء ، ولم يرَ أهل المدينة بعد الرّمادة مثلها ، حتى حُبس عنهم البحر مع مقتل عثمان رضي الله عنه. فذلُّوا ، وتقاصروا ، وخشعوا[٢]. (٤ : ١٠٠).

قال أبو جعفر: وزعم الواقديّ: أن الرّقة ، والرُّها ، وحَرّان فتحت في هذه

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

السنة ، على يدي عياض بن غَنْم ، وأن عين الوَرْدة فتحت فيها على يدي عُمير بن سعد. وقد ذكرتُ قول مَنْ خالفه في ذلك فيما مضى ، وزعم: أن عمر رضي الله عنه حوّل المقام في هذه السنة في ذي الحجّة إلى موضعه اليوم ، وكان مُلْصَقاً بالبيت قبل ذلك. وقال: مات في طاعون عَمَواس خمسة وعشرون ألفاً. (٤ : ١٠١).

ثم دخلت سنة تسع عشرة

ذكر الأحداث التي كانت في سنة تسع عشرة

٥٣٣ ـ قال أبو جعفر: قال أبو معشر ـ فيما حدّثني أحمد بن ثابت الرازيّ ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى عنه ـ: إنّ فتح جَلُولاء كان في سنة تسع عشرة على يديْ سعد ، وكذلك قال الواقديّ. [١](٤ : ١٠٢).

٥٣٤ ـ وقال ابن إسحاق: كان فتح الجزيرة ، والرُّهاء ، وحَرّان ، ورأس العيْن ، ونَصيبينَ في سنة تسع عشرة.

قال أبو جعفر: وقد ذكرنا قولَ من خالفهم في ذلك قبلُ[٢]. (٤ : ١٠٢).

٥٣٥ ـ وقال أبو معشر: كان فتح قَيساريّة في هذه السنة ـ أعني: سنة تسع عشرة ـ وأميرها معاوية بن أبي سفيان؛ حدّثني بذلك أحمد بن ثابت الرازيّ عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه.

وكالذي قال أبو معشر في ذلك: قال الواقديّ[٣]. (٤ : ١٠٢).

٥٣٦ ـ وأما ابنُ إسحاق فإنه قال: كان فتح قيساريّة من فلسطين ، وهَربُ هرقل ، وفتْحُ مصر في سنة عشرين؛ حدّثنا بذلك ابن حُميد ، قال: حدّثنا سلمة ، عنه.

وأما سيف بن عمر؛ فإنه قال: كان فتحُها في سنة ستّ عشرة. قال: وكذلك فتح مصر.

---

(١) إسناده ضعيف ، ومتنه مخالف لما ذكرنا في الصحيح في ذكر جلولاء.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

وقد مضى الخبر عن فتح قيساريّة قبل ، وأنا ذاكر خبر مصر وفتحها بعدُ في قول من قال: فُتِحت سنة عشرين ، وفي قول من خالف ذلك[١]. (٤ : ١٠٢).

٥٣٧ ـ قال أبو جعفر: وفي هذه السنة ـ أعني: سنة تسع عشرة ـ سالت حَرّة ليلى ناراً ـ فيما زعم الواقديّ ـ فأراد عمر الخروج إليها بالرّجال ، ثم أمرهم بالصدقة ، فانطفأت[٢]. (٤ : ١٠٢).

وزعم أيضاً الواقديّ: أنّ المدائن ، وجَلُولاء فُتحتا في هذه السنة ، وقد مضى ذكر من خالفه في ذلك. (٤ : ١٠٣).

ثم دخلت سنة عشرين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من مغازي المسلمين وغير ذلك من أمورهم

٥٣٨ ـ قال أبو جعفر: ففي هذه السنة فتحت مصر في قول ابن إسحاق. حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال: حدّثنا سلَمة عن ابن إسحاق ، قال: فتِحت مصر سنة عشرين[٣]. (٤ : ١٠٤).

٥٣٩ ـ وكذلك قال أبو معشر. حدّثني أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر: أنه قال: فتحت مصر سنة عشرين ، وأميرها عمرو بن العاص[٤]. (٤ : ١٠٤).

٥٤٠ ـ وحدّثني أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال: فتحت إسكندريّة سنة خمس وعشرين[٥]. (٤ : ١٠٤).

٥٤١ ـ وقال الواقديّ ـ فيما حُدّثت عن ابن سعد ، عنه ـ: فُتِحت مصر

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده معضل.

(٤) إسناده ضعيف ، وعليه جمع من المؤرخين منهم خليفة بن خياط والبلاذري والواقدي كما سيرد.

(٥) إسناده ضعيف.

والإسكندرية في سنة عشرين[(١)]. (٤ : ١٠٤).

٥٤٢ ـ وأما سيف؛ فإنه زعم ـ فيما كتب به إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ـ: أنها فُتِحت والإسكندرية في سنة ستّ عشرة[(٢)]. (٤ : ١٠٤).

ذكر الخبر عن فتحها وفتح الإسكندرية

قال: وقد اختُلف في فتح الإسكندريّة ، فبعض الناس يزعم: أنها فتحت في سنة خمس وعشرين ، وعلى سنتين من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وعليها عمرو بن العاص. (٤ : ١٠٤/ ١٠٥).

٥٤٣ ـقال أبو جعفر: وأما سيف؛ فإنه ذكر فيما كتب به إليّ السريّ ، يذكر: أن شعيباً حدّثه عنه ، عن الربيع أبي سعيد ، وعن أبي عثمان وأبي حارثة ، قالوا: أقام عمر بإيلياء بعد ما صالح أهلَها ، ودخلها أياماً ، فأمضى عمرو بن العاص إلى مصر وأمّره عليها؛ إن فتح الله عليه ، وبعث في أثره الزّبير بن العوّام مدداً له ، وبعث أبا عبيدة إلى الرّمادة ، وأمره إن فتح الله عليه؛ أن يرجع إلى عمله[(٣)]. (٤ : ١٠٦/ ١٠٧).

٥٤٤ ـكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، قال: حدثنا أبو عثمان عن خالد ، وعبادة ، قالا: خرج عمرو بن العاص إلى مصر بعدما رجع عمر إلى المدينة؛ حتى انتهى إلى باب اليون ، وأتبعه الزبير؛ فاجتمعا ، فلقيهم هنالك أبو مريم جاثليق مصر ومع الأُسْقُفّ في أهل النيّات بعثه المقوقِس لمنع بلادهم. فلما نزل بهم عمرو؛ قاتلوه ، فأرسل إليهم: لا تعجِّلونا لنُعذر إليكم ، وتروْن رأيكم بعدُ. فكَفُّوا أصحابهم ، وأرسل إليهم عمرو: إني بارز فليبرز إليّ أبو مريم ، وأبو مريام. فأجابوه إلى ذلك ، وآمن بعضهم بعضاً ، فقال لهما عمرو: أنتما راهبا هذه البلدة فاسمعا: إنّ الله عزّ وجلّ بعث محمّداً ﷺ بالحقّ وأمره به ، وأمرنا به محمد ﷺ ، وأدّى إلينا كلّ الذي أمر به ، ثم مضى صلوات

---

(١) إسناده ضعيف جداً. ولكن كما ذكرنا فإن المؤرخين على أن مصر فتحت سنة (٢٠ هـ) زمن خلافة عمر وأما أميرها فعمرو بن العاص كما هو ثابت والله أعلم.

(٢) إسناده ضعيف جداً.

(٣) إسناده ضعيف.

الله عليه ورحمته وقد قضى الذي عليه ، وتركنا على الواضحة ، وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس ، فنحن ندعوكم إلى الإسلام ، فمن أجابنا إليه فمثلنا ، ومَنْ لم يجبنا عرَضنا عليه الجزية ، وبذلنا له المنْعة ، وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم ، وأوصانا بكم حفظاً لرحمنا فيكم ، وإنّ لكم إن أجبتمونا بذلك ذمّة إلى ذمّة . ومما عهد إلينا أميرنا : استوصوا بالقبْطيّين خيراً ؛ فإنّ رسولَ الله ﷺ أوصانا بالقبطيّين خيراً ، لأنّ لهم رَحِماً وذّمة ، فقالوا : قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلاّ الأنبياء ، معروفة شريفة ، كانت ابنة ملكنا ، وكانت من أهل مَنْف والملك فيهم ، فأديل عليهم أهل عين شمس ، فقتلوهم ، وسُلبوا ملكَهم ، واغتربوا ، فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام مرحباً به وأهلاً ، آمنّا حتى نرجع إليك . فقال عمرو : إنّ مثلي لا يخدع ، ولكني أؤجلكما ثلاثاً لتنظرا ولتناظرا قومكما ؛ وإلاّ ناجزتكم ، قالا : زدنا ، فزادهم يوماً ، فقالا : زدْنا ، فزادهم يوماً ، فرجعا إلى المقوقس فهمّ ، فأبى أرطبون أن يجيبهما ، وأمر بمناهدتهم ، فقالا لأهل مصر : أما نحن فسنجهد أن ندفع عنكم ، ولا نرجع إليهم ، وقد بقيتْ أربعة أيام ، فلا تصابون فيها بشيء إلاّ رجونا أن يكون له أمان . فلم يفجأ عمراً ، والزبير إلاّ البيات من فَرْقَب ، وعمرو على عُدّة ، فلقوه فقتِل ومن معه ، ثم ركبوا أكساءهم ، وقصد عمرو ، والزبير لعين شمس ، وبها جمعهم ، وبعث إلى الفَرما أبرهة بن الصباح ، فنزل عليها ، وبعث عوف بن مالك إلى الإسكندريّة ، فنزل عليها ، فقال كلّ واحد منهما لأهل مدينته : إن تنزلوا ؛ فلكم الأمان ، فقالوا : نعم ، فراسلوهم ، وتربّص بهم أهل عين شمس ، وسبى المسلمون من بين ذلك . وقال عوف بن مالك : ما أحسن مدينتكم يا أهلَ الإسكندرية ! فقالوا : إنّ الإسكندر قال : إني أبني مدينة إلى الله فقيرة ، وعن الناس غنية ـ أو : لأبنيّن مدينة إلى الله فقيرة ، وعن الناس غنية ـ فبقيت بهجتها .

وقال أبرهة لأهل الفَرَما : ما أخلق مدينتكم يا أهل الفَرما ؟ ! قالوا : إنّ الفرما قال : إنّي أبني مدينة عن الله غنية ، وإلى الناس فقيرة ، فذهبت بهجتها . وكان الإسكندر والفرما أخوين[1] . (٤ : ١٠٧/ ١٠٨) .

(١) إسناده ضعيف . وأخرج البلاذري في (فتوح البلدان/ ٣٠٧) وحدثني عمرو عن عبد الله بن وهب عن مالك والليث عن الزهري عن كعب بن مالك أن النبي ﷺ قال : إذا افتتحتم مصر =

٥٤٥ ـ قال أبو جعفر: قال الكلبيّ: كان الإسكندر والفَرما أخوين، ثم حدّث بمثل ذلك، فنسبتا إليهما، فالفرما ينهدم فيها كل يوم شيء، وخَلُقت مرآتها، وبقيت جِدّة الإسكندرية. (٤: ١٠٨).

٥٤٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان، قالا: لما نزل عمرو على القوم بعين شمس؛ وكان المُلْك بين القِبْط، والنّوب، ونزل معه الزبير عليها. قال أهل مصر لملكهم: ما تريد إلى قوم فلُّوا كسرى وقيصر، وغلبوهم على بلادهم! صالح القوم واعتقِدْ منهم، ولا تَعْرض لهم، ولا تعرّضنا لهم ـ وذلك في اليوم الرابع ـ فأبى، وناهدوهم فقاتلوهم، وارتقى الزبير سورها، فلما أحسّوه؛ فتحوا الباب لعمرو، وخرجوا إليه مصالحين؛ فقبل منهم، ونزل الزُّبير عليهم عَنْوة؛ حتى خرج على عمرو من الباب معهم، فاعتقدوا بعد ما أشرفوا على الهلَكة، فأجروا ما أخِذ عنوة مُجْرى ما صالح عليه؛ فصاروا ذمّة، وكان صلحُهم:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهلَ مصر من الأمان على أنفسهم، وملّتهم، وأموالهم، وكنائسهم، وصُلُبهم، وبرّهم، وبحرهم، لا يدخَل عليهم شيء من ذلك ولا يُنتقص، ولا يساكنهم النّوب، وعلى أهلِ مصر أن يُعطُوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصُّلح، وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف، وعليهم ما جنى لصوتُهم، فإن أبى أحدٌ منهم أن يجيب رُفع عنهم من الجزاء بقدرهم، وذمّتنا مِمّن أبى بريئة، وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رُفع عنهم بقدر ذلك، ومَنْ دخل في صلحهم من الرّوم، والنُّوب فله مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم، ومَنْ أبى واختار الذّهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه، أو يخرج من سلطاننا. عليهم ما عليهم أثلاثاً في كلّ ثلث جباية ثلث ما عليهم، على ما في هذا الكتاب عهد الله، وذمّته، وذمّة رسولِه، وذمة الخليفة أمير المؤمنين، وذمم المؤمنين، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يُعينوا بكذا وكذا رأساً، وكذا وكذا فرساً، على ألاّ يُغْزَوْا ولا يمنَعوا من تجارة صادرة

= فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً، وقال الليث: كانت أم إسماعيل أمهم.
قلنا: وهذا إسناد ضعيف والله تعالىٰ أعلم.

ولا واردة. شهد الزبير وعبد الله ، ومحمد ابناه. وكتب وردانُ ، وحضر.

فدخل في ذلك أهلُ مصر كلّهم ، وقبِلوا الصلح ، واجتمعت الخيول ، فمصّر عمرو الفسطاط ، ونزله المسلمون ، وظهر أبو مريم ، وأبو مريام ، فكلّما عمراً في السبايا التي أصيبت بعد المعركة ، فقال: أوَلهم عَهْد وعقد؟ ألم نحالفكما ويُغار علينا من يومكما ؟! وطردهما ، فرجعا وهما يقولان: كلّ شيء أصبتموه إلى أن نرجِعَ إليكم ففي ذمّةٍ منكم ، فقال لهما: أتغيرون علينا وهم في ذمة؟ قالا: نعم ، وقسم عمرو ذلك السبيَ على الناس ، وتوزّعوه ، ووقع في بُلدان العرب ، وقدم البشير على عمر بعدُ بالأخماس ، وبعث الوفود فسألهم عمر ، فما زالوا يُخبرونه حتى مرُّوا بحديث الجاثَليق وصاحبه ، فقال: ألا أراهما يبصران وأنتم تجاهلون ولا تُبصرون! مَن قاتلكم فلا أمان له ، ومَن لم يقاتلكم فأصابه منكم شيء من أهل القرى فله الأمان في الأيام الخمسة حتى تنصرم ، وبعث في الآفاق حتى رُدّ ذلك السَّبْي الذي سبوا ممن لم يقاتل في الأيام الخمسة إلاّ مَن قاتل بعدُ ، فترادُّوهم إلاّ ما كان من ذلك الضّرب ، وحضرت القِبْط باب عمرو ، وبلغ عمراً أنهم يقولون: ما أرثّ العرب وأهون عليهم أنفسهم! ما رأينا مثلنا دان لهم! فخاف أن يستثيرهم ذلك من أمرهم ، فأمر بجُزر فذبِحت ، فطبخت بالماء والملح ، وأمر أمراء الأجناد أن يحضُروا ، وأعلموا أصحابهم ، وجلس وأذّن لأهل مصر ، وجيء باللحم والمرق فطافوا به على المسلمين؛ فأكلوا أكلاً عربيّاً ، انتشلوا وحَسوْا وهم في العَباء ولا سلاح ، فافترق أهل مصر وقد ازدادوا طمعاً وجرأة ، وبعث في أمراء الجنود في الحضور بأصحابهم من الغد؛ وأمرهم أن يجيئوا في ثياب أهل مصر وأحذيتهم ، وأمرهم أن يأخذوا أصحابهم بذلك ففعلوا ، وأذن لأهل مصر؛ فرأوْا شيئاً غير ما رأوا بالأمس ، وقام عليهم القوّام بألوان مصر ، فأكلوا أكل أهل مصر ، ونحوْا نحوهم ، فافترقوا وقد ارتابوا ، وقالوا: كدنا. وبعث إليهم أن تسلّحوا للعرْض غداً ، وغدا على العَرْض ، وأذن لهم فعرضهم عليهم. ثم قال: إني قد علمت أنكم رأيتم في أنفسكم أنكم في شيء حين رأيتم اقتصاد العرب وهَوْن تزجيتهم ، فخشيت أن تهلكوا فأحببت أن أريَكم حالهم ، وكيف كانت في أرضهم ، ثم حالهم في أرضكم ، ثم حالهم في الحرْب ، فظفروا بكم ، وذلك عيشهم ، وقد كلبوا على بلادكم قبل أن ينالُوا منها ما رأيتم في اليوم الثاني ، فأحببت أن تعلَموا أنّ من رأيتم في اليوم الثالث غيرُ

تارك عيشَ اليوم الثاني ، وراجع إلى عيش اليوم الأول. فتفرّقوا وهم يقولون: لقد رمتكم العرب برجلهم.

وبلغ عمر ، فقال لجلسائه: والله إن حربه للّيّنة مالها سَطْوة ولا سَوْرة كسوْرات الحروب من غيره؛ إنّ عَمْراً لعضّ. ثم أمّره عليها وقام بها[١]. (٤: ١٠٨/١٠٩/١١٠).

٥٤٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي سعيد الربيع بن النعمان ، عن عمرو بن شعيب ، قال: لما التقى عمرو ، والمقوقِس بعين شمس ، واقتتلت خيلاهما؛ جعل المسلمون يجولون بعد البُعد. فدمّرهم عمرو ، فقال رجل من أهل اليمن: إنّا لم نخلَق من حِجارة ولا حديد! فقال: اسكت؛ فإنما أنت كَلْب ، قال: فأنت أمير الكلاب ، قال: فلما جعل ذلك يتواصل نادى عمرو: أين أصحابُ رسولِ الله ﷺ ؟ فحضر من شهدها من أصحاب رسولِ الله ﷺ ، فقال: تقدّموا ، فبكم ينصر الله المسلمين. فتقدّموا وفيهم يومئذ أبو بُردة وأبو بَرْزة ، وناهدهم الناس يتبعون الصحابة ، ففتح الله على المسلمين ، وظفِروا أحسن الظّفر. وافتتحت مصر في ربيع الأول سنة ستّ عشرة ، وقام فيها مُلك الإسلام على رجْل ، وجعل يفيض على الأمم والملوك ، فكان أهل مصر يتدَفّقون على الأجلّ ، وأهل مُكْران على راسِل ، وداهر ، وأهل سِجِسْتان على الشاه ، وَذويه ، وأهل خُراسان والباب على خاقان ، وخاقان ومَن دونهما من الأمم ، فكفكفهم عمر إبقاء على أهل الإسلام ، ولو خلّى سِربهم لبلغوا كلّ مَنْهَل[٢]. (٤: ١١٠/١١١).

٥٤٨ ـ حدّثني عليّ بن سهل ، قال: حدّثنا الوليد بن مسلم ، قال: أخبرني ابن لَهيعة عن يزيد بن أبي حبيب: أنّ المسلمين لما فتحوا مصر؛ غزوا نُوبة مصر ، فقفل المسلمون بالجراحات ، وذهاب الحدَق من جُودة الرمي ، فسمّوا رماة الحدَق ، فلمّا ولِّيَ عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح مصر ، ولاّه إياها عثمان بن

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة.

عفان رضي الله عنه؛ صالحهم على هديّة عدّة رؤوس منهم، يؤدّونهم إلى المسلمين في كلّ سنة، ويهدي إليهم المسلمون في كلّ سنة طعاماً مسمّى، وكُسوة من نحو ذلك[١]. (٤: ١١١).

٥٤٩ ـ قال عليّ: قال الوليد: قال ابن لَهيعة: وأمضى ذلك الصلح عثمان، ومن بعده من الولاة والأمراء، وأقرّه عمر بن عبد العزيز نظراً منه للمسلمين، وإبقاء عليهم[٢]. (٤: ١١١).

٥٥٠ ـ قال سيف: ولمّا كان ذو القعدة من سنة ستّ عشرة؛ وضع عمر رضي الله عنه مسالح مصر على السواحل كلها، وكان داعية ذلك: أنّ هِرَقل أغزى مصر والشأم في البحر، ونَهد لأهل حِمْص بنفسه، وذلك لثلاث سنين وستة أشهر من إمارة عمر رضي الله عنه[٣]. (٤: ١١١/ ١١٢).

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة ـ أعني: سنة عشرين ـ غزا أرض الرّوم أبو بَحْريّة الكنديّ عبد الله بن قيس؛ وهو أوّل مَن دخلها ـ فيما قيل. وقيل: أولُ مَن دخلها ميسرة بن مسروق العبسيّ، فسلِم، وغنِم. (٤: ١١٢).

قال: وفيها تزوّج عمر فاطمةَ بنت الوليد أمّ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

قال: وفيها توفيَ بلال بن رَباح رضي الله عنه، ودُفِن في مقبرة دمشق. وفيها عزل عمرُ سعداً عن الكوفة لشكايتهم إياه، وقالوا: لا يحسِنُ يصلّي. (٤: ١١٢).

قال الواقديّ: وفي هذه السنة ـ أعني: سنة عشرين ـ دوّن عمر رضي الله عنه الدواوين. قال أبو جعفر: قد ذكرنا قول من خالفه.

وفيها بعث عمر رضي الله عنه عَلْقمة بن مَجزّز المُدلجيّ إلى الحبشة في البحر، وذلك: أنّ الحبشة كانت تطرّفت ـ فيما ذُكِر ـ طرَفاً من أطراف الإسلام، فأصيبوا، فجعل عمر على نفسه ألاّ يحمل في البحر أحداً أبداً. (٤: ١١٢).

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف جداً.

٥٥١ ـ وأمّا أبو معشر فإنه قال ـ فيما حدّثني أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه: كانت غزوة الأساودة في البحر سنة إحدى وثلاثين[1]. (٤ : ١١٣).

وحجّ في هذه السنة عمر رضي الله عنه.

وكانت عمالُه في هذه السنة على الأمصار عمالَهُ عليها في السنة التي قبلها ، إلاّ من ذكرتُ: أنه عزله واستبدل به غيرَه ، وكذلك قضاته فيها كانوا القضاةَ الذين كانوا في السنة التي قبلها. (٤ : ١١٣).

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين

وأمّا سيف بن عمر؛ فإنه قال: كانت وقعة نهاوَنْد في سنة ثماني عشرة في سنة ستّ من إمارة عمر ، كتب إليَّ بذلك السّريّ عن شعيب ، عن سيف. (٤ : ١١٤).

ذكر الخبر عن وقعة المسلمين والفرس بِنهاوند

٥٥٢ ـ وكان ابتداءُ ذلك ـ فيما حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة عن ابن إسحاق ، قال: كان من حديث نهاوَنْد: أن النعمان بن مقرّن كان عاملاً على كَسْكَر؛ فكتب إلى عمر رضي الله عنه يخبرُه: أنّ سعد بن أبي وقّاص استعمله على جِباية الخراج ، وقد أحببتُ الجهاد ورغبتُ فيه.

فكتب عمر إلى سعد: إنّ النعمان كتب إليّ يذكر: أنّك استعملتَه على جِباية الخراج ، وأنه قد كره ذلك ، ورغب في الجهاد ، فابعث به إلى أهمّ وجوهك؛ إلى نهاوند.

قال: وقد اجتمعتْ بنهاوند الأعاجم ، عليهم ذو الحاجب ـ رجل من الأعاجم ـ فكتب عمر إلى النّعمان بن مقرّن:

---

(١) إسناده ضعيف.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرّن ، سلامٌ عليك ! فإنّي أحمَد إليك الله الذي لا إله إلا هو؛ أمّا بعد؛ فإنه قد بلَغني : أنّ جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند؛ فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله ، وبعون الله ، وبنصر الله بمن معك من المسلمين ، ولا توطئهم وعراً؛ فتؤذيَهم ، ولا تمنعْهم حقّهم؛ فتكفرَهم؛ ولا تدخلنّهم غَيْضة ، فإنّ رجلاً من المسلمين أحبُّ إليّ من مئة ألف دينار. والسلام عليك.

فسار النعمان إليه ومعه وجوه أصحاب النبيّ ﷺ؛ منهم: حُذَيفة بن اليمان ، وعبد الله بن عمر بن الخطّاب ، وجرير بن عبد الله البَجَليّ ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن معد يكرب الزُّبيديّ ، وطليحة بن خُويلد الأسديّ ، وقيس بن مَكشوح المُراديّ. فلما انتهى النعمان بن مقرّن في جنده إلى نهاوند؛ طرحوا له حَسَك الحديد ، فبعث عيوناً ، فساروا لا يعلمون الحسَك ، فزجر بعضهم فَرسه؛ وقد دخلتْ في يده حَسكة ، فلم يبرح ، فنزل ، فنظر في يده فإذا في حافره حَسَكة ، فأقبل بها ، وأخبر النعمان الخَبر ، فقال النعمان للناس: ما ترون؟ فقالوا: انتقِل من منزلك هذا حتى يروْا أنك هارب منهم ، فيخرجوا في طلبك؛ فانتقل النعمان من منزله ذلك ، وكَنَست الأعاجم الحسك ، ثم خرجوا في طلبه ، وعطف عليهم النُّعمان ، فضرب عسكرَه ، ثم عبَّى كتائبه ، وخطب الناس ، فقال: إن أُصِبتُ فعليكم حذيفة بن اليَمان ، وإن أُصيب فعليكم جرير بن عبد الله ، وإن أُصيب جرير بن عبد الله فعليكم قيس بن مكشوح؛ فوجَد المغيرة بن شعبة في نفسه إذْ لم يستخلفه ، فأتاه ، فقال له: ما تريد أن تصنع؟ فقال: إذا أظهرتُ قاتلتُهم ، لأني رأيتُ رسولَ الله ﷺ يستحبّ ذلك. فقال المغيرة: لو كنتُ بمنزلتك باكرتُهم القتال ، قال له النعمان: ربما باكرتَ القتال؛ ثم لم يسوّد الله وجهَك. وذلك يوم الجمعة. فقال النعمان: نصلّي إن شاء الله ، ثم نلقَى عدوّنا دُبُر الصلاة ، فلما تصافُّوا قال النعمان للناس: إنّي مكبّر ثلاثاً؛ فإذا كبّرت الأولى فشدّ رجل شِسْعه ، وأصلح من شأنه؛ فإذا كبّرت الثانية ، فشدّ رجل إزاره ، وتهيّأ لوجه حملته؛ فإذا كبّرت الثالثة فاحملوا عليهم؛ فإني حامل. وخرجت الأعاجم قد شدّوا أنفسَهم

بالسلاسل لئلا يفرُّوا ، وحمل عليهم المسلمون فقاتلوهم ، فَرُمِيَ النعمان بنشّابة فقتِل رحمه الله ، فلفّه أخوه سُوَيد بن مقرّن في ثوبه ، وكتم قتلَه حتى فتح الله عليهم ، ثم دفع الرّاية إلى حُذيفة بن اليمان ، وقتل الله ذا الحاجب ، وافتُتِحت نهاوند ، فلم يكن للأعاجم بعد ذلك جماعة[1]. (٤ : ١١٤/ ١١٥/ ١١٦).

٥٥٣ ـ عن حمزة بن المغيرة بن شعبة ، عن أبي طعمة الثقفيّ ـ وكان قد أدرك ذلك ـ قال: ثم إنهم قالوا: إنّ محمّداً الذي جاء العربَ بالدين لم يغرَضْ غَرَضنا ، ثم ملكهم أبو بَكْر من بعده فلم يغرَض غَرَض فارس؛ إلاّ في غارة تعرّض لهم فيها ، وإلاّ فيما يلي بلادهم من السواد. ثم ملك عمر من بعده ، فطال ملكه وعَرُض؛ حتى تناولكم وانتقصكم السواد والأهواز ، وأوطأها ، ثم لم يرضَ حتى أتى أهلَ فارس والمملكة في عُقْرِ دارهم ، وهو آتيكم إن لم تأتوه؛ فقد أخرب بيت مملكتكم ، واقتحم بلاد ملككم ، وليس بمنته؛ حتى تخرجوا من في بلادكم من جنوده ، وتقلعوا هذين المصْرين ، ثم تشغلوه في بلاده وقراره. وتعاهدوا ، وتعاقدوا ، وكتبوا بينهم على ذلك كتاباً ، وتمالؤوا عليه.

وبلغ الخبرُ سعداً ، وقد استخلف عبدَ الله بن عبد الله بن عِتْبان. ولمّا شَخَص لقي عمرَ بالخبر مشافهة ، وقد كان كتب إلى عمر بذلك ، وقال: إنّ أهل الكوفة يستأذنونك في الانسياح قبل أن يبادروهم الشدَّة ـ وقد كان عمر منعَهم من الانسياح في الجبل.

وكتب إليه أيضاً عبدُ الله وغيره بأنه قد تجمّع منهم خمسون ومئة ألف مقاتل؛ فإن جاؤونا قبل أن نبادرهم الشّدّة؛ ازدادوا جرأة وقوّة ، وإن نحن عاجلناهم؛ كان لنا ذلكم ، وكان الرسول بذلك قَريب بن ظَفَر العبديّ.

ثم خرج سعد بعدَه فوافَى مشورة عُمر؛ فلما قدم الرسول بالكتابِ إلى عمر بالخبر فرآه قال: ما اسمك؟ قال: قَريب ، قال: ابن مَن؟ قال: ابن ظَفَر؛ فتفاءل إلى ذلك ، وقال: ظَفَر قريب إن شاء الله ، ولا قوّة إلاّ بالله! ونودي في الناس: الصلاة جامعة! فاجتمع الناس ، ووافاه سعد ، فتفاءل إلى سعد بن مالك ، وقام على المنبر خطيباً ، فأخبر الناس الخبر ، واستشارهم ، وقال: هذا يوم له

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة.

ما بعده من الأيام؛ ألا وإني قد هممتُ بأمر وإني عارضه عليكم فاسمعوه ، ثم أخبروني وأوجزوا، ولا تَنَازعوا فتفشلوا وتذهب ريحُكم، ولا تكثروا ولا تطيلوا، فتُفْشغ بكم الأمور ، ويلتوي عليكم الرأي؛ أفمن الرّأي أن أسيرَ فيمن قبَلي ومَنِ قدرتُ عليه ، حتى أنزل منزلاً واسطاً بين هذين المصرين ، فأستنفرَهم ثم أكون لهم رِدْءاً حتى يفتح الله عليهم ، ويقضي ما أحبّ؛ فإنّ فَتَحَ الله عليهم أن أضرّبهم عليهم في بلادهم؛ وليتنازعوا ملكَهم. فقام عثمان بن عفّان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزّبير بن العوّام ، وعبد الرحمن بن عَوْف في رجال من أهل الرّأي من أصحاب رسول الله ﷺ ؛ فتكلموا كلاماً ، فقالوا: لا نرى ذلك ، ولكن لا يغيبَنّ عنهم رأيُك وأثرك ، وقالوا: بإزائهم وجوه العرب وفرسانهم وأعلامهم ، ومَن قد فضّ جموعهم ، وقتل ملوكهم ، وباشر من حروبهم ما هو أعظمُ من هذه ، وإنما استأذنوك ولم يستصرخوك ، فائْـذَنْ لهم ، واندُب إليهم ، وادعُ لهم. وكان الذي ينتقد له الرأيَ إذا عُرِض عليه العباس رضي الله عنه[١] . (٤ : ١٢٢/ ١٢٣) .

٥٥٤ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن حمزة ، عن أبي طُعْمة ، قال: فقام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال: أصاب القوم يا أميرَ المؤمنين الرّأيَ ، وفهموا ما كُتب به إليك ، وإنّ هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه لكثرة ولا قلّة ، هو دينه الذي أظهر ، وجنده الذي أعزّ ، وأيّده بالملائكة؛ حتى بلغ ما بلغ؛ فنحن على موعد من الله ، والله منجزٌ وعْده ، وناصر جنده؛ ومكانك منهم مكان النظام من الخَرز ، يجمعه ويمسكه؛ فإن انحلّ تفرّق ما فيه وذهب ، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً. والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهي كثير عزيز بالإسلام؛ فأقم واكتب إلى أهل الكوفة فهم أعلام العرب ورؤساؤهم؛ ومَن لم يحفل بمن هو أجمع وأحدُّ وأجدُّ من هؤلاء فليأتهم الثلثان وليُقم الثلث؛ واكتب إلى أهل البصرة أن يمدُّوهم ببعض مَن عندهم.

فسرّ عمر بحسن رأيهم ، وأعجبه ذلك منهم. وقام سعد فقال: يا أميرَ المؤمنين ! خفضْ عليك ، فإنهم إنما جمِعوا لِنقْمة[٢] . (٤ : ١٢٣/ ١٢٤) .

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة.

٥٥٥ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن أبي بكر الهذليّ، قال: لما أخبرهم عُمر الخبر واستشارهم، وقال: أوجِزوا في القول، ولا تُطيلوا فتفْشغَ بكم الأمور، واعلموا أنّ هذا يومٌ له ما بعده من الأيّام؛ تكلّموا! فقام طلحة بن عبيد الله ـ وكان من خُطباء أصحاب رسول الله ﷺ ـ فتشهّد، ثمّ قال: أما بعد يا أميرَ المؤمنين! فقد أحكمتْك الأمور، وعجمتْك البلايا، واحتنكتْك التجارب، وأنت وشأنك، وأنت ورأيك، لا نَنْبو في يديْك، ولا نكِلّ عليك، إليك هذا الأمر، فمرنا نُطِع، وادْعُنا نجب، واحملْنا نركب، ووفِّدْنا نفِد، وقُدْنا نَنقد؛ فإنّك وليّ هذا الأمر، وقد بلوتَ وجرّبت واختبرتَ، فلم ينكشف شيء من عواقب قضاء الله لك إلاّ عن خيار. ثم جلس. فعاد عُمر فقال: إنّ هذا يومٌ له ما بعده من الأيام، فتكلّموا! فقام عثمان بن عفان، فتشهّد، وقال: أرى يا أميرَ المؤمنين أن تكتبَ إلى أهل الشأم فيسيروا من شأمهم، وتكتبَ إلى أهل اليمن فيسيروا من يَمَنهم، ثم تسير أنت بأهل هذين الحَرميْن إلى المصرْين: الكوفة والبصرة، فتلقَى جمع المشركين بجمع المسلمين؛ فإنك إذا سرتَ بمَن معك وعندك؛ قلَّ في نفسك ما قد تكاثَر من عدد القوم، وكنتَ أعزّ عزّاً وأكثر؛ يا أمير المؤمنين! إنك لا تستبقي من نفسك بعد العرب باقية، ولا تَمَتّع من الدنيا بعزيز، ولا تلوذُ منها بحريز؛ إنّ هذا اليوم له ما بعده من الأيام، فاشهده برأيك وأعوانك ولا تغب عنه. ثم جلس.

فعاد عمر، فقال: إنّ هذا يومٌ له ما بعده من الأيام، فتكلموا! فقام علي بن أبي طالب فقال: أمّا بعد يا أمير المؤمنين! فإنك إن أشخصتَ أهل الشأم من شأمهم؛ سارت الرّوم إلى ذراريّهم، وإن أشخصتَ أهل اليمن من يمنهم؛ سارت الحبشة إلى ذراريهم، وإنك إن شخصت من هذه الأرض؛ انقضتْ عليك الأرضُ من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تَدع وراءك أهمَّ إليك مما بين يديك من العَوْرات والعِيالات؛ أقرر هؤلاء في أمصارهم، واكتب إلى أهل البصرة فليتفرّقوا فيها ثلاث فِرَق، فلتقم فرقة لهم في حُرَمهم وذراريّهم، ولتقم فرقة في أهل عهدهم، لئلاّ ينتقضوا عليهم، ولتسِرْ فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مدداً لهم؛ إنّ الأعاجم إن ينظروا إليك غداً قالوا: هذا أمير العرب، وأصل العرب؛ فكان ذلك أشدّ لكلَبهم، وألّبْتهم على نفسك. وأمّا ما ذكرت من مسير القوم فإنّ الله هو أكرَه لمسيرهم منك، وهو أقدرُ على تغيير ما يكره؛ وأمّا ما ذكرتَ من عددهم؛ فإنا لم

نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة؛ ولكنّا كنا نقاتل بالنصر.

فقال عمر: أجل والله! لئن شخصتُ من البلدة لتنتقضَنّ عليّ الأرض من أطرافها وأكنافها، ولئن نظرتْ إليّ الأعاجم لا يفارقُنّ العرْصة، وليُمدّنهم مَن لم يُمِدّهم، وليقولُنّ: هذا أصل العرب؛ فإذا اقتطعتموه اقتطعتم أصل العرب، فأشيروا عليّ برجل أولّه ذلك الثغر غداً. قالوا: أنتَ أفضلُ رأياً، وأحسن مقدرة، قال: أشيروا عليّ به، واجعلوه عِراقيّاً. قالوا: يا أميرَ المؤمنين! أنت أعلمُ بأهل العراق، وجندك قد وفدُوا عليك ورأيتَهم وكلّمتهم، فقال: أما والله لأولّينّ أمرَهم رجلاً ليكونَنّ لأوّل الأسنّة إذا لقيَها غداً، فقيل: مَن يا أمير المؤمنين؟! فقال: النعمان بن مقرِّن المُزنّي. فقالوا: هو لها ـ والنعمان يومئذ بالبصرة معه قوّاد من قوّاد أهل الكوفة أمدّهم بهم عمر عند انتقاض الهُرْمُزان؛ فافتتحوا رامَهُرْمُز وإيذَج، وأعانوهم على تُسْتَر وجُنْدَيْ سابور والسُّوس. فكتب إليه عمر مع زِرّ بن كُليب والمقترَب الأسود بن رَبيعة بالخبر؛ وأنّي قد وَلّيتك حربَهم، فسرْ من وجهِك ذلك حتى تأتيَ ماه، فإني قد كتبتُ إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها، فإذا اجتمعَ لك جنودُك فسرْ إلى الفَيْرُزان ومَن تجمّع إليه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم، واستنصروا الله، وأكثروا من قول: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

رجع الحديث إلى حديث سيف. وكتب ـ يعني عمر ـ إلى عبد الله بن عبد الله مع رِبْعيّ بن عامر: أن استنفر من أهل الكُوفة مع النُّعمان كذا وكذا، فإني قد كتبتُ إليه بالتوجُّه من الأهواز إلى ماه، فلْيوافُوه بها، وليسر بهم إلى نهاوند؛ وقد أمّرت عليهم حُذيفة بن اليَمان، حتى ينتهي إلى النعمان بن مقرّن؛ وقد كتبت إلى النعمان: إن حَدَث بك حَدَث؛ فعلَى الناس حُذَيفة بن اليَمان؛ فإن حَدَث بحُذيفة حَدث؛ فعلَى الناس نُعيم بن مقرّن، ورُدّ قَريب بن ظَفَر وردّ معه السائب بن الأقرع أميناً. وقال: إن فتح الله عليكم؛ فاقسم ما أفاء الله عليهم بينهم، ولا تخدعني ولا ترفع إليّ باطلاً، وإن نُكِب القوم؛ فلا تراني ولا أراك. فقدما إلى الكوفة بكتاب عمر بالاستحثاث؛ وكان أسرع أهل الكوفة إلى ذلك الرّوادف، ليبلُوا في الدّين، وليدرِكُوا حظًّا، وخرج حُذَيفة بن اليَمان بالناس ومعه نُعيم؛ حتى قدموا على النعمان بالطَّزر، وجعلوا بمرْج القلعة خيلاً عليها

النُّسَيْر ، وقد كتب عمر إلى سُلْمى بن القيْن ، وحَرْملة بن مُريطة ، وزرّ بن كليب ، والمقترِب الأسود بن ربيعة ، وقوّاد فارس الذين كانوا بين فارس والأهواز: أن اشغلوا فارس عن إخوانكم ، وحوطوا بذلك أمّتكم وأرضَكم ، وأقيموا على حدود ما بين فارس والأهواز؛ حتى يأتيَكم أمري. وبعث مجاشع بن مسعود السُّلَميّ إلى الأهواز ، وقال له: انصُلْ منها على ماه؛ فخرج حتى إذا كان بغُضَى شجَر ، أمره النعمان أن يقيم مكانه ، فأقام بين غُضَى شجر ، ومَرْج القلعة ، ونَصَل سُلْمى ، وحَرْملة ، وزرّ ، والمقترب ، فكانوا في تخُوم أصبَهان وفارس ، فقطعوا بذلك عن أهل نِهاوند أمداد فارس.

ولما قدم أهلُ الكوفة على النعمان بالطَّزَر جاءه كتاب عمر مع قَريب: إنّ معك حدَّ العرب ورجالهم في الجاهليّة ، فأدخِلْهم دون مَن هو دونهم في العلم بالحرب ، واستعنْ بهم ، واشرب برأيهم ، وسلْ طليحة ، وعمْراً ، وعمْراً ، ولا تُولِّهم شيئاً. فبعث من الطَّزَر طليحة وعمْراً وعمْراً طليعة ليأتوه بالخبر ، وتقدّم إليهم ألا يَغلُوا. فخرج طُليحة بن خويلد وعَمْرو بن أبي سُلْمَى العَنَزيّ ، وعمرو بن معد يكرب الزُّبيديّ ، فلما ساروا يوماً إلى الليل رجع عمرو بن أبي سُلمَى ، فقالوا: ما رَجعك؟ قال: كنت في أرض العجم؛ وقتلتْ أرضٌ جاهلها ، وقتل أرضاً عالمُها. ومضى طليحة وعمرو حتى إذا كان من آخر الليل رجع عمرو ، فقالوا: ما رجعك؟ قال: سرْنا يوماً وليلة ، ولم نَر شيئاً ، وخفت أن يؤخذ علينا الطريق. ونفذ طليحة ولم يحفِل بهما. فقال الناس: ارتد الثانية ، ومضى طُليحة حتى انتهى إلى نهاوند ، وبين الطَّزَر ونهاوند بضعة وعشرون فرسخاً. فعلم علمَ القوم ، واطلع على الأخبار ، ثم رجع حتى إذا انتهى إلى الجمهور كبّر الناس ، فقال: ما شأنُ الناس؟ فأخبروه بالذي خافوا عليه ، فقال: والله لو لم يكن دينٌ إلا العربية ما كنت لأُجزِر العُجْم الطماطم هذه العرب العاربة. فأتى النعمان فدخل عليه ، فأخبروه الخبر ، وأعلمه: أنه ليس بينه وبين نهاوند شيء يكرهه ، ولا أحد. فنادى عند ذلك النعمان بالرّحيل ، فأمرهم بالتّعبية. وبعث إلى مجاشع بن مسعود أنْ يسوقَ الناس ، وسار النعمان على تعبيته ، وعلى مقدّمته نُعيم بن مقرّن ، وعلى مجنَّبتيه حُذيفة بن اليَمان ، وسويد بن مقرّن ، وعلى المجرَّدة القعقاع بن عمرو ، وعلى الساقة مجاشع؛ وقد توافى إليه أمدادُ المدينة ، فيهم المغيرة ، وعبد الله ، فانتهوْا إلى الإسبيذهان ،

والقوم وقوف دون واي خُرْد على تعبيتهم وأميرُهم الفيرُزان ، وعلى مجنَبتيه الزردُق ، وبَهْمن جاذَوَيْه الذي جُعل مكان ذي الحاجب ، وقد توافى إليهم بنهاوند كلّ مَنْ غاب عن القادسيَّة والأيام من أهل الثغور وأمرائها وأعلامٌ من أعلامهم ليسوا بدون مَن شهد الأيام والقوادس ، وعلى خيولهم أنوشق. فلما رآهم النعمان ؛ كبّر ، وكبّر الناس معه فتزلزلت الأعاجم ، فأمر النعمان وهو واقف بحطّ الأثقال ، وبضرْب الفُسطاط ، فضرِب وهو واقف؛ فابتدره أشرافُ أهل الكوفة وأعيانهم ، فسبق إليه يومئذ عدّة من أشراف أهل الكوفة ، تسابقوا فبنوْا له فسطاطاً سابقوا أكفاءهم فسبقوهم؛ وهم أربعة عشر ، منهم حذيفة بن اليمان ، وعُقْبة بن عمرو ، والمغيرة بن شعبة ، وبشير بن الخصاصيّة ، وحَنظلة الكاتب بن الربيع ، وابن الهوْبر ، ورِبعيّ بن عامر ، وعامر بن مَطَر ، وجرير بن عبد الله الحميريّ ، والأقرع بن عبد الله الحميريّ ، وجرير بن عبد الله البَجَليّ ، والأشعث بن قيس الكِنديّ ، وسعيد بن قيس الهمْدَانيّ ، ووائل بن حُجْر ، فلم يُرَ بُنَّاءُ فسطاط بالعراق كهؤلاء. وأنشب النعمان بعدما حطّ الأثقال القتَال؛ فاقتتلوا يومَ الأربعاء ويوم الخميس ، والحرْب بينهم في ذاك سِجال في سبع سنين من إمارة عُمر ، في سنة تسع عشرة ، وإنهم انجحروا في خنادقهم يومَ الجمعة ، وحصرَهم المسلمون ، فأقاموا عليهم ما شاء الله؛ والأعاجم بالخيار؛ لا يخرجون إلاّ إذا أرادوا الخروج ، فاشتدّ ذلك على المسلمين ، وخافوا أن يطولَ أمرُهم ، وسرّهم أن يناجزهم عدوّهم؛ حتى إذا كان ذات يوم في جمعة من الجُمع تجمّع أهل الرأي من المسلمين ، فتكلموا ، وقالوا: نراهم علينا بالخيار. وأتوا النعمان في ذلك فأخبروه ، فوافقوه وهو يُروِّي في الذي رَوَّوْا فيه. فقال: على رِسْلكم ، لا تبرحوا! وبعث إلى مَنْ بقي من أهل النجدَات والرّأي في الحروب ، فتوافوْا إليه ، فتكلّم النعمان ، فقال: قد تروْن المشركين واعتصامَهم بالحُصون من الخنادق والمدائن؛ وأنهم لا يخرجون إلاّ إذا شاؤوا ، ولا يقدر المسلمون على إنغاضهم ، وانبعاثهم قبل مشيئتهم؛ وقد تَرَوْن الذي فيه المسلمون من التضايق بالذي هم فيه وعليه من الخيار عليهم في الخروج؛ فما الرأي الذي به نُحمِشهم ، ونستخرجهم إلى المنابذة ، وترك التطويل؟!

فتكلم عمرو بن ثُبيّ ـ وكان أكبرَ الناس يومئذ سنّاً ، وكانوا إنّما يتكلمون على الأسنان ـ فقال: التحصّن عليهم أشدّ من المطاولة عليكم ، فدعْهم ولا تحرِجْهم وطاولهم ، وقاتلْ مَن أتاك منهم؛ فردُّوا عليه جميعاً رأيه. وقالوا: إنا على يقين منْ إنجاز ربِّنا موعدَه لنا.

وتكلّم عمرو بن معد يكرب ، فقال: ناهدْهم ، وكاثِرْهم ، ولا تَخَفْهم. فردُّوا عليه جميعاً رأيه ، وقالوا: إنما تناطح بنا الجُدران ، والجُدران لهم أعوان علينا.

وتكلّم طُليحة فقال: قد قالا ولم يصيبا ما أرادا؛ وأمّا أنا فأرى أن تبعث خيلاً مؤدية ، فيُحدقوا بهم ، ثم يرموا لِيُنشبوا القتال ، ويحمشوهم؛ فإذا استحمَشُوا واختلطوا بهم وأرادوا الخروج أرزوا إلينا استطراداً؛ فإنّا لم نستطرِدْ لهم في طول ما قاتلناهم ، وإنّا إذا فعلنا ذلك ورأوْا ذلك منّا طمعوا في هزيمتنا ولم يشكُّوا فيها ، فخرجوا فجادّونا وجاددناهم؛ حتى يقضيَ الله فيهم وفينا ما أحبّ.

فأمر النعمان القعقاع بن عمرو ـ وكان على المجرَّدة ـ ففعل؛ وأنشب القتال بعد احتجاز من العجم ، فأنغَضَهم فلمّا خرجوا نكَص ، ثم نكص ، ثم نكص ، واغتنمها الأعاجم ، ففعلوا كما ظنَّ طُليحة وقالوا: هي هي؛ فخرجوا فلم يبقَ أحدٌ إلاّ من يقومُ لهم على الأبواب؛ وجعلوا يركبونهم حتى أَرَز القعقاع إلى الناس ، وانقطع القومُ عن حصنهم بعض الانقطاع؛ والنعمان بن مقرّن والمسلمون على تعبيتهم في يوم جُمعة في صدْر النهار ، وقد عهِد النّعمان إلى الناس عهدَه ، وأمرهم أن يلزموا الأرض ولا يقاتلوهم حتى يأذن لهم؛ ففعلوا واستتروا بالحَجَف من الرّمْي ، وأقبل المشركون عليهم يرمُونهم حتى أفشوْا فيهم الجراحات ، وشكا بعضُ الناس ذلك إلى بعض ، ثم قالوا للنعمان: ألاَ ترى ما نحن فيه! ألا ترى إلى ما لقيَ الناس ، فما تنتظر بهم! ائذن للناس في قتالهم ، فقال لهم النعمان: رُوَيداً رُوَيداً! قالوا له ذلك مراراً ، فأجابهم بمثل ذلك مراراً: رويداً رويداً ، فقال المغيرة: لو أنّ هذا الأمرَ إليّ علمتُ ما أصنع! فقال: رويداً ترى أمرَك؛ وقد كنت تلي الأمر فتُحسن ، فلا يخذلنا الله ولا إيّاك؛ ونحن نرجو في المكث مثلَ الذي ترجو في الحثّ. وجعل النعمان ينتظر بالقتال إكمالَ ساعاتٍ كانت أحبّ إلى رسول الله ﷺ في القتال أن يلقى فيها العدوّ؛ وذلك عند الزّوال

وتفيُّؤ الأفياء ومهبّ الرياح. فلما كان قريباً من تلك الساعة تحشْحش النعمان، وسار في الناس على برذونٍ أحوَى قريب من الأرض، فجعل يقف على كلّ راية، ويحمَد الله ويُثني عليه، ويقول: قد علمتم ما أعزّكم الله به من هذا الدين، وما وعدكم من الظهور، وقد أنجز لكم هَواديَ ما وعدكم وصدورَه؛ وإنما بقيت أعجازُه وأكارعه؛ والله منجزٌ وعدَه، ومتبعٌ آخر ذلك أوّله، واذكروا ما مضى إذ كنتم أذلّة، وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزّة، فأنتم اليوم عباد الله حقّاً وأولياؤه، وقد علمتم انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة، والذي لهم في ظَفَركم وعزّكم؛ والذي عليهم في هزيمتكم وذلّكم، وقد ترَوْن مَنْ أنتم بإزائه من عدوّكم، وما أخطرتم وما أخطروا لكم؛ فأمّا ما أخطروا لكم فهذه الرِّثّة وما ترون من هذا السواد، وأمّا ما أخطرتم لهم فدينكم وبَيْضتكم، ولا سواءٌ ما أخطرتم وما أخطروا؛ فلا يكونُنّ على دنياهم أحمَى منكم على دينكم؛ واتّقَى الله عبدٌ صدق الله، وأبلى نفسه فأحسن البلاء؛ فإنكم بينِ خيريْن منتظَريْن إحدى الحسنيين: من بين شهيد حيّ مرزوق، أو فتح قريب وظفر يسير. فكفى كلّ رجل ما يليه، ولم يكِلْ قِرْنَه إلى أخيه؛ فيجتمع عليه قرنه وقِرْن نفسه، وذلك من الملأمة، وقد يقاتل الكلب عن صاحبه؛ فكلّ رجل منكم مسلّط على ما يليه؛ فإذا قضيت أمري فاستعدّوا فإني مكبر ثلاثاً، فإذا كبّرت التكبيرة الأولى فليتهيّأ مَنْ لم يكن تهيّأ؛ فإذا كبّرت الثانية فليشدّ عليه سلاحه، وليتأهب للنهوض؛ فإذا كبّرت الثالثة؛ فإنّي حامل إن شاء الله فاحمِلوا معاً. اللهمّ أعزّ دينَك، وانصر عبادك، واجعل النعمانَ أوّل شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك!

فلما فرغ النعمان من التقدّم إلى أهل المواقف، وقضى إليهم أمرَه، رجع إلى موقفه، فكبّر الأولى والثانية والثالثة؛ والناس سامعون مطيعون مستعدّون للمناهضة، يُنَحّي بعضُهم بعضاً عن سَنَنِهم، وحمل النُّعمان وحمل الناس، وراية النعمان تنقضُّ نحوهم انقضاض العُقاب، والنعمان معلَم ببياض القباء والقلنسوة، فاقتتلوا بالسيوف قتالاً شديداً لم يسمع السامعون بوقعة يوم قط كانت أشدّ قتالاً منها، فقتلوا فيها من أهل فارس فيما بين الزوال والإعتام ما طبّق أرض المعركة دماً يزلَقُ الناس والدوابُّ فيه، وأصيب فُرسان من فرسان المسلمين في الزّلق في الدّماء، فزلق فرس النعمان في الدّماء فصرعه، وأصيب النّعمان حينِ زلق به فرسه؛ وصُرِع. وتناولَ الرّاية نُعيم بن مقرّن قبل أن تقع، وسجّى النعمان

بثوب ، وأتى حذيفة بالرّاية فدفعها إليه ، وكان اللواء مع حُذيفة ، فجعل حُذيفة نُعيمَ بن مقرّن مكانه ، وأتى المكان الذي كان فيه النعمان فأقام اللواء ، وقال له المغيرة: اكتمُوا مصابَ أميركم حتى ننظر ما يصنع الله فينا وفيهم؛ لكيلاَ يهِنَ الناس؛ واقتتلوا حتى إذا أظلّهم الليل انكشف المشركون وذهبوا ، والمسلمون ملظُّون بهم متلبّسون ، فعُمِّيَ عليهم قصدُهم ، فتركوه وأخذوا نحو اللِّهْب الذي كانوا نزلوا دونه بإسبيذهان ، فوقعوا فيه ، وجعلوا لا يهوِي منهم أحدٌ إلا قال: «وايه خُرد» فسمّي بذلك «واية خُرد» إلى اليوم ، فمات فيه منهم مئة ألف أو يزيدون ، سوى مَن قتل في المعركة منهم أعدادهم ، لم يفلت إلاّ الشَّريد ، ونجا الفيرُزان بين الصّرعى في المعركة ، فهرب نحو هَمَذان في ذلك الشَّريد ، فأتبعه نُعيم بن مقرّن ، وقدّم القعقاعِ قدامه فأدركه حين انتهى إلى ثَنيّة هَمَذان ، والثنيّة مشحونة من بغال وحمير موقَرة عسلاً ، فحبسه الدوابّ على أجَلِه ، فقتله على الثَّنيَة بعد ما امتنع ، وقال المسلمون: إنّ لله جنوداً من عسل ، واستاقوا العسلِ وما خالطه من سائر الأحمال ، فأقبل بها ، وسمِّيت الثنيّة بذلك ثَنيّة العسل؛ وإنّ الفيرُزان لمّا غشيه القعقاع نزل فتوقّل في الجبل إذ لم يجد مساغاً ، وتوقّل القعقاع في أثره حتى أخذه ، ومضى الفلاّل حتى انتهوْا إلى مدينة هَمَذان والخيل في آثارهم ، فدخلوها ، فنزل المسلمون عليهم ، وحوَوْا ما حولها ، فلما رأى ذلك خُسْرَوْشنُوم استأمنهم ، وقبل منهم على أن يضمن لهم هَمَذان ودَسْتبى ، وألاّ يؤتى المسلمون منهم؛ فأجابوهم إلى ذلك وآمنوهم؛ وأمن الناس ، وأقبل كلّ مَن كان هرب ، ودخل المسلمون بعد هزيمة المشركين يوم نهاوند مدينة نهاوند واحتووا ما فيها وما حولها ، وجمعوا الأسلاب والرِّثاث إلى صاحب الأقباض السائب بن الأقرع.

فبينا هم كذلك على حالهم وفي عسكرهم يتوقّعون ما يأتيهم من إخوانهم بهَمذان ، أقبل الهِربذ صاحب بيت النار على أمان؛ فأبْلغ حذيفة ، فقال: أتؤمنني على أن أخبرك بما أعلم؟ قال: نعم ، قال: إنّ النخَيْرَجان وضع عندي ذخيرة لكسرى ، فأنا أخرجها لك على أمانِي وأمان من شئت ، فأعطاه ذلك ، فأخرج له ذخيرة كسرى؛ جوهراً كان أعدّه لنوائب الزّمان ، فنظروا في ذلك ، فأجمع رأي المسلمين على رفعه إلى عمر ، فجعلوه له؛ فأخّرُوه حتى فرغوا فبعثوا به مع ما يرفع من الأخماس ، وقسم حذيفة بن اليمان بين الناس غنائمهم ، فكان سهم

الفارس يوم نهاوند ستة آلاف ، وسهم الراجل ألفين ، وقد نفل حذيفة من الأخماس من شاء من أهل البلاء يوم نهاوند ، ورفع ما بقي من الأخماس إلى السائب بن الأقرع ، فقبض السائب الأخماس ، فخرج بها إلى عمر وبذخيرة كسرى. وأقام حُذيفة بعد الكتاب بفتح نهاوند بنهاوند ينتظر جواب عمر وأمره؛ وكان رسولَه بالفتح طريفُ بن سهم ، أخو بني ربيعة بن مالك.

فلما بلغ الخبرُ أهلَ الماهيْن بأنّ همذَان قد أخذت ، ونزلها نُعيم بن مقرّن ، والقعقاع بن عمرو اقتدوا بخُسْرَوْشُنُوم ، فراسلوا حُذَيفة ، فأجابهم إلى ما طلبوا ، فأجمعوا على القبول ، وعزموا على إتيان حُذيفة ، فخدعهم دينار ـ وهو دون أولئك الملوك ، وكان ملكاً ، إلاّ أن غيره منهم كان أرفع منه؛ وكان أشرفَهم قارن ـ وقال: لا تلقوهم في جمالكم ولكن تقهّلوا لهم؛ ففعلوا ، وخالفهم فأتاهم في الديباج والحليّ ، وأعطاهم حاجتهم واحتمل للمسلمين ما أرادوا ، فعاقدوه عليهم؛ ولم يجد الآخرون بدّاً من متابعته والدخول في أمره ، فقيل «ماه دينار» لذلك. فذهب حُذيفة بماه دينار؛ وقد كان النعمان عاقد بَهْراذان على مثل ذلك ، فنُسِبت إلى بَهْرذان ، ووكل النُّسير بن ثَوْر بقلعة قد كان لجأ إليها قوم فجاهدهم؛ فافتتحها فنُسبت إلى النُّسير ، وقسم حُذيفة لمن خلّفوا بمرج القلعة ولمن أقام بغضَى شَجَر ولأهل المسالح جميعاً في فيء نهاوند مثل الذي قسم لأهل المعركة ، لأنهم كانوا ردءاً للمسلمين لئلا يؤتَوْا من وجه من الوجوه. وتململ عمر تلك الليلة التي كان قدّر للقائهم ، وجعل يخرج ويلتمس الخبر؛ فبينا رجل من المسلمين قد خرج في بعض حوائجه ، فرجع إلى المدينة ليلاً ، فمرّ به راكب في الليلة الثالثة من يوم نهاوند يريد المدينة. فقال: يا عبد الله ! من أين أقبلت؟ قال: من نهاوند ، قال: ما الخبر؟ قال: الخبر خير؛ فتح الله على النعمان؛ واستُشهد ، واقتسم المسلمون فيء نهاوند ، فأصاب الفارس ستة آلاف. وطواه الرّاكب حتى انغمس في المدينة ، فدخل الرجل ، فبات فأصبح فتحدّث بحديثه ، ونمَى الخبرُ حتى بلغ عمر؛ وهو فيما هو فيه ، فأرسل إليه ، فسأله فأخبره ، فقال: صدق وصدقت؛ هذا عُثيم بريد الجنّ ، وقد رأى بريد الإنس ، فقدم عليه طريف بالفتح بعد ذلك ، فقال: الخبر! فقال: ما عندي أكثر من الفَتْح ، خرجتُ والمسلمون في الطلب وهم على رِجْل؛ وكتمه إلاّ ما سرّه.

ثم خرجٍ وخرج معه أصحابه ، فأمعن؛ فرُفع له راكب ، فقال: قولوا ، فقال عثمان بن عفان: السائب ، فقال: السائب ، فلما دنا منه قال: ما وراءك؟ قال: البُشرى والفتح ، قال: ما فعل النعمان؟ قال: زلق فرسه في دماء القوم ، فصرع فاستُشهد، فانطلق راجعاً والسائب يسايره، وسأل عن عدد من قتل من المسلمين؛ فأخبره بعدد قليل؛ وأنّ النعمان أوّل من استُشهد يوم فتح الفتوح ـ وكذلك كان يسمِّيه أهل الكوفة والمسلمون ـ فلما دخل المسجد حطَّت الأحمال فوضعت في المسجد ، وأمر نفراً من أصحابه ـ منهم عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن أرقم ـ بالمبيت فيه ، ودخل منزله ، وأتبعه السائب بن الأقرع بذينك السَّفَطَيْن ، وأخبره خبرَهما وخبر الناس؛ فقال: يا بن مُلَيكة ! والله ما درَوْا هذا ، ولا أنت معهم! فالنّجاء النّجاء ، عودَكَ على بدئِك حتى تأتي حُذيفة فيقسمهما على مَنْ أفاءهما الله عليه؛ فأقبل راجعاً بقبَلٍ حتّى انتهى إلى حُذيفة بماه؛ فأقامهما فباعهما ، فأصاب أربعة آلاف ألف[١] . (٤ : ١٢٤/ ١٢٥/ ١٢٦/ ١٢٧/ ١٢٨/ ١٢٩/ ١٣٠/ ١٣١/ ١٣٢/ ١٣٣/ ١٣٤/ ١٣٥).

٥٥٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس الأسديّ: أنّ رجلاً يقال له: جعفر بن راشد قال لطليحة وهم مقيمون على نهاوند: لقد أخذتنا خَلّة؛ فهل بقي من أعاجيبك شيء تنفعنا به؟ فقال: كما أنتم حتى أنظر ، فأخذ كساء فتقنّع به غير كثير ، ثم قال: البيان البيان ، غَنَم الدّهقان ، في بستان ، مكان أرْوَنَان. فدخلوا البستان فوجدوا الغنم مسمّنة[٢] . (٤ : ١٣٥).

٥٥٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي معبد العبسيّ وعروة ابن الوليد ، عمّن حدّثهم من قومهم ، قال: بينما نحن محاصرو أهل نهاوند خرجوا علينا ذات يوم ، فقاتلونا فلم نُلْبِثهم أن هزمهم الله ، فتبع سماك بن عُبَيد العبسيّ ـ رجلاً منهم ـ معه نفر ثمانية على أفراس لهم فبارزهم؛ فلم يبرزْ له أحد إلاّ قتله ، حتى أتى عليهم. ثم حمل على الذي كانوا معه ، فأسره وأخذ سلاحه ،

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

ودعا له رجلاً اسمه عبد ، فوكَّله به ، فقال: اذهبوا بي إلى أميركم حتى أصالحه على هذه الأرض؛ وأؤدّيَ إليه الجزية ، وسلني أنت عن إسارك ما شئت ، وقد مننتَ عليّ إذ لم تقتلني؛ وإنما أنا عبدك الآن؛ وإن أدخلتني على الملك ، وأصلحتَ ما بيني وبينه وجدت لي شكراً ، وكنت لي أخاً. فخلّى سبيله وآمنه؛ وقال: مَن أنت؟ قال: أنا دينار ـ والبيت منهم يومئذ في آل قارن ـ فأتى به حذيفة ، فحدّثه دينار عن نجدة سماك وما قتل ونظرِه للمسلمين ، فصالحه على الخراج ، فنسبت إليه ماه ، وكان يواصل سماكاً ويُهدي له ، ويوافي الكوفة كلما كان عملُه إلى عامل الكوفة ، فقدم الكوفة في إمارة معاوية ، فقام في الناس بالكوفة ، فقال: يا معشرَ أهلِ الكوفة ! أنتم أوّلَ ما مررتم بنا كنتم خيارَ الناس ، فعمرتم بذلك زمان عمر وعثمان ، ثم تغيّرتم وفشت فيكم خصال أربع: بُخل ، وخِبّ ، وغدر ، وضيق؛ ولم يكن فيكم واحدة منهنّ ، فرمقتُكم ، فإذا ذلك في مولّديكم ، فعلمتُ من أين أتيتم ، فإذا الخبّ من قبل النَّبَط ، والبخل من قبل فارس ، والغدر من قبلَ خراسان ، والضيق من قبل الأهواز[١]. (٤: ١٣٥/١٣٦).

٥٥٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشَّعبيّ ، قال: لما قُدِم بسبي نهاوند إلى المدينة؛ جعل أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة لا يلقى منهم صغيراً إلاّ مسح رأسَه وبكى وقال: أكلَ عمر كبدي ـ وكان نهاونديّاً ، فأسرته الرّوم أيام فارس ، وأسره المسلمون بعده ، فنُسِب إلى حيث سُبِيَ[٢]. (٤: ١٣٦).

٥٥٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشّعبيّ ، قال: قُتل في اللِّهْب ممن هوى فيه ثمانون ألفاً ، وفي المعركة ثلاثون ألفاً مقترين ، سوى مَنْ قُتِل في الطلب؛ وكان المسلمون ثلاثين ألفاً ، وافتُتحت مدينة نهاوند في أوّل سنة تسع عشرة ، لسبع سنين من إمارة عمر ، لتمام سنة ثماني عشرة[٣]. (٤: ١٣٦).

(١) ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

٥٦٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلب وطلْحة في كتاب النُّعمان بن مقرّن وحُذيفة لأهل الماهَيْن :

بسم الله الرحمن الرحيم؛ هذا ما أعطى النعمان بن مقرّن أهلَ ماه بَهْراذان؛ أعطاهم الأمانَ على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم؛ لا يُغيِّرون على ملّة ، ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ، ولهم المنْعَة ما أدّوا الجزية في كلّ سنة إلى مَنْ وليَهم؛ على كلّ حالم في ماله ونفسه على قدر طاقته؛ وما أرشدوا ابنَ السبيل ، وأصلحوا الطرق ، وقرَوْا جنودَ المسلمين ممّن مرّ بهم فأوى إليهم يوماً وليلة ، ووفوْا ونصحوا ، فإن غشُّوا وبدّلوا؛ فذمّتُنا منهم بريئة . شهد عبد الله بن ذي السهمين ، والقعقاع بن عمرو ، وجرير بن عبد الله .

وكُتِب في المحرّم سنة تسع عشرة :

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى حُذَيفة بن اليَمان أهلَ ماه دينار؛ أعطاهم الأمان على أنفسهم ، وأموالهم ، وأراضيهم ، لا يغيَّرون عن ملّة ، ولا يُحال بينهم وبين شرائعهم؛ ولهم المنْعَة ما أدّوا الجزية في كلّ سنة إلى من وليهم من المسلمين؛ على كلّ حالم في ماله ونفسه على قَدْرِ طاقته ، وما أرشدوا ابن السبيل ، وأصلحوا الطرق ، وقَرْوا جنود المسلمين ، مَن مرّ بهم؛ فأوى إليهم يوماً وليلة ، ونصحوا ، فإن غشُّوا وبدّلوا فذمّتنا منهم بريئة. شهد القعقاع بن عمرو ، ونعيم بن مقرّن ، وسُويد بن مقرّن. وكتب في المحرّم.

قالوا : وألحق عُمر مَنْ شهد نهاوند فأبلَى من الرّوادف بلاءً فاضلاً في ألفين ألفين ، ألحقهم بأهل القادسيَّة[1]. (٤ : ١٣٦/ ١٣٧).

٥٦١ ـ ذكر الخبر عمّا كان في هذه السنة ـ أعني سنة إحدى وعشرين ـ من أمر الجندين اللّذين ذكرتُ : أن عمر أمرهما بما ذُكر أنه أمرهما به :

كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، والمهلب ، وعمرو ، وسعيد ، قالوا : لما رأى عمر أنّ يزدَجِرد يبعث عليه في كلّ عام حَرْباً ، وقيل له : لا يزال هذا الدّأب حتى يخرج من ممْلكته؛ أذن للناس في الانسياح في أرض العجم؛ حتى يغلبوا يزدَجِرْد على ما كان في يدي كسرى ، فوجّه الأمراء من

---

(١) إسناده ضعيف.

أهل البصرة بعد فَتْح نهاوند ، ووجّه الأمراء من أهل الكوفة بعد فتح نهاوند؛ وكان بين عمل سعد بن أبي وقّاص وبين عمل عمّار بن ياسر أميران: أحدُهما عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان ـ وفي زمانه كانت وقعة نهاوند ـ وزياد بن حنظلة حليف بني عبد بن قصيّ ـ وفي زمانه أمر بالانسياح ـ وعُزل عبد الله بن عبد الله ، وبُعث في وجه آخر من الوجوه ، ووَلّي زياد بن حنظلة ـ وكان من المهاجرين ـ فعمل قليلاً ، وألحّ في الاستعفاء ، فأعفي ، ووَلّي عمّار بن ياسر بعد زياد؛ فكان مكانه ، وأمدّ أهلَ البصرة بعبد الله بن عبد الله ، وأمدّ أهلَ الكوفة بأبي موسى ، وجعل عمر بن سُراقة مكانه ، وقدمت الألوية من عند عمر إلى نفر بالكوفة زمان زياد بن حنظلة ، فقدم لواء منها على نُعيم بن مقرّن ، وقد كان أهل همَذان كفروا بعد الصلح ، فأمره بالسَّيْر نحو هَمَذان؛ وقال: فإن فتح الله على يديك فإلى ما وراء ذلك في وجهك ذلك إلى خُراسان. وبعث عتبة بن فَرقد ، وبكير بن عبد الله وعقد لهما على أذْرَبيجان ، وفرّقها بينهما ، وأمر أحدهما أن يأخذ إليها من حُلْوان إلى ميمنتها ، وأمر الآخر أن يأخذ إليها من الموصل إلى ميسرتها ، فتيامن هذا عن صاحبه ، وتياسر هذا عن صاحبه. وبعث إلى عبد الله بن عبد الله بلواء؛ وأمره أن يسير إلى أصبهان ، وكان شجاعاً بطلاً من أشراف الصحابة ومن وجوه الأنصار؛ حليفاً لبني الحبْلى من بني أسد؛ وأمدّه بأبي موسى من البصرة ، وأمّر عمر بن سراقة على البصرة.

وكان من حديث عبد الله بن عبد الله: أنّ عمر حين أتاه فتح نهاوند بدا له أن يأذن في الانسياح فكتب إليه: أن سر من الكوفة حتى تنزل المدائن ، فاندبهم ولا تنتخبهم ، واكتب إليّ بذلك؛ وعمر يريد توجيهه إلى أصبهان. فانتدب له فيمن انتدب عبد الله بن ورقاء الرياحيّ ، وعبد الله بن الحارث بن ورقاء الأسديّ. والذين لا يعلمون يرون أنّ أحدهما عبد الله بن بُدَيل بن ورقاء الخُزاعيّ ، لذكر ورقاء ، وظنوا: أنه نُسب إلى جدّه ، وكان عبد الله بن بُديل بن ورقاء يوم قُتِل بصفّين ابن أربع وعشرين سنة ، وهو أيامَ عمر صبيّ.

ولما أتى عمرَ انبعاثُ عبد الله؛ بعثَ زياد بن حنظلة ، فلما أتاه انبعاث الجنود وانسياحهم؛ أمّر عمّاراً بعدُ ، وقرأ قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ وقد كان زياد صُرِف في

وَسَطٍ من إمارة سعد إلى قضاء الكوفة بعد إعفاء سلمان وعبد الرحمن ابني ربيعة، ليقضي إلى أن يقدم عبد الله بن مسعود من حِمْص، وقد كان عملَ لعمر على ما سقَى الفرات ودِجْلة النعمانُ، وسُويد ابنا مقرّن، فاستعفيا، وقالا: أعفنا من عمل يتغوّل ويتزيّن لنا بزينة المومسة، فأعفاهما، وجعل مكانهما حُذَيفة بن أسيد الغفاريّ، وجابر بن عمرو المُزنيّ، ثم استعفيا فأعفاهما، وجعل مكانهما حُذَيفة بن اليمان، وعثمان بن حُنَيف؛ حذيفة على ما سقت دِجْلة وما وراءها، وعثمان على ما سقى الفرات من السوادين جميعاً، وكتب إلى أهل الكوفة: إني بعثتُ إليكم عمّار بن ياسر أميراً، وجعلت عبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وولّيت حذيفة بن اليمان ما سَقَتْ دِجلة وما وراءها، ووليت عُثْمان بن حُنَيف الفرات وما سَقى.

ذكر الخبر عن أصبَهان

قالوا: ولما قدم عَمّار إلى الكوفة أميراً، وقدم كتاب عمر إلى عبد الله: أن سرْ إلى أصبَهان وزياد على الكوفة، وعلى مقدّمتك عبد الله بن وَرْقاء الرياحيّ، وعلى مجنّبتيك عبد الله بن ورقاء الأسديّ وعصمة بن عبد الله ـ وهو عصمة بن عبد الله بن عبيدة بن سيف بن عبد الحارث ـ فسار عبد الله في الناس حتى قدِم على حُذَيفة، ورجع حذيفة إلى عمله، وخرج عبد الله فيمن كان معه ومن انصرف معه من جُنْد النعمان من نهاوند نحو جند قد اجتمع له من أهل أصبَهان عليهم الأسْتَنْدار؛ وكان على مقدّمته شَهْر براز جاذَويه، شيخ كبير في جمع عظيم؛ فالتقى المسلمون ومقدّمة المشركين بُرسْتاق من رساتيق أصبهان؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً، ودعا الشيخ إلى البراز، فبرز له عبد الله بن وَرْقاء؛ فقتله وانهزم أهل أصبَهان، وسمّى المسلمون ذلك الرستاق رُسْتاقَ الشيخ، فهو اسمه إلى اليوم. ودعا عبد الله بن عبد الله مَنْ يليه، فسأل الأستندَار الصّلحَ، فصالحهم؛ فهذا أوّل رُسْتاق أخذ من أصبهان. ثم سار عبد الله من رستاق الشيخ نحو جَيّ حتى انتهى إلى جَيّ والملك بأصبهان يومئذ الفاذوسفان، ونزل بالناس على جَيّ؛ فحاصرهم، فخرجوا إليه بعد ما شاء الله من زحف؛ فلما التقوا قال الفاذوسفان لعبد الله: لا تقتل أصحابي؛ ولا أقتل أصحابَك؛ ولكن ابرُز لي؛ فإن قتلتُك رجع أصحابك وإن قتلتَني سالَمك أصحابي؛ وإن كان أصحابي لا يقع لهم نُشّابة. فبرز

له عبد الله وقال: إمّا أن تحمل عليّ، وإما أن أحمل عليك؛ فقال: أحمل عليك، فوقف له عبد الله، وحمل عليه الفاذوسفان، فطعنه، فأصاب قَرَبُوس سَرْجِه فكسره، وقطع اللّبَب والحزام، وزال اللّبْد والسَّرْج، وعبد الله على الفرس؛ فوقع عبد الله قائماً، ثمّ استوى على الفرس عُرْياً؛ وقال له: اثبت، فحاجزه، وقال: ما أحبّ أن أقاتلك؛ فإني قد رأيتك رجلاً كاملاً ولكن أرجعُ معك إلى عسكرك فأصالحك؛ وأدفع المدينة إليك؛ على أنّ مَن شاء أقام ودفع الجزية وأقام على ماله؛ وعلى أن تُجرى من أخذتم أرضه عنوةً مجراهم، ويتراجعون، ومن أبى أن يدخل فيما دخلنا فيه ذهب حيث شاء؛ ولكم أرضه. قال: لكم ذلك.

وقدم عليه أبو موسى الأشعريّ من ناحية الأهواز، وقد صالح الفاذوسفان عبد الله فخرج القوم من جَيّ، ودخلوا في الذّمة إلاّ ثلاثين رجلاً من أهل أصْبَهان خالفوا قومهم وتجمّعوا فلحقوا بكرمان في حاشيتهم؛ لجمع كان بها؛ ودخل عبد الله، وأبو موسى جيّ - وجيّ مدينة أصبهان - وكتب بذلك إلى عمر، واغتبط مَنْ أقام، وندم من شخص. فقدم كتاب عمر على عبد الله: أن سر حتى تقدم على سُهيل بن عدي، فتجامعَه على قتال مَنْ بكَرْمان، وخلّف في جَيّ من بقي عن جيّ، واستخلف على أصبهان السائب بن الأقرع.

كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن نفر من أصحاب الحسن؛ منهم المبارك بن فضالة، عن الحسن، عن أسيد بن المتشمّس بن أخي الأحنف، قال: شهدتُ مع أبي موسى فتح أصبهان، وإنما شهدها مدداً[1].
(٤: ١٣٧/ ١٣٨/ ١٣٩/ ١٤٠/ ١٤١).

٥٦٢ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، والمهلب، وعمرو، وسعيد، قالوا: كتاب صلح أصبهان:

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب من عبد الله للفاذوسفان وأهل أصبهان وحواليها؛ إنكم آمنون ما أديتم

(١) إسناده ضعيف.

الجزية ، وعليكم من الجزية بقدر طاقتكم في كلّ سنة تؤدّونها إلى الذي يلي بلادكم عن كلّ حالم؛ ودلالةُ المسلم وإصلاح طريقه وقِراه يوماً وليلة ، وحُملان الرّاجل إلى مرحلةٍ ، لا تسلّطوا على مسلم ، وللمسلمين نصحُكم وأداء ما عليكم ، ولكم الأمان ما فعلتم؛ فإذا غيّرتم شيئاً أو غَيّر مغيّرٌ منكم ولم تُسلموه فلا أمان لكم؛ ومن سبّ مسلماً بُلِغ منه؛ فإن ضربه قتلناه. وكتب وشهد عبد الله بن قيس ، وعبد الله بن ورقاء ، وعصمة بن عبد الله.

فلما قدم الكتاب من عمر على عبد الله ، وأمر فيه باللّحاق بسهيل بن عديّ بكَرْمان؛ خرج في جريدة خيل ، واستخلف السائب ، ولحق بسُهيل قبل أن يصل إلى كَرْمان[١] . (٤ : ١٤١).

٥٦٣ - قال: وفيها غزا عبدُ الله ، وعبد الرحمن ابنا عمرو ، وأبو سَرْوعة ، فقدموا مصر ، فشربَ عبدُ الرحمن وأبو سَرْوَعة الخمر ، وكان من أمرهما ما كان[٢] . (٤ : ١٤٤).

قال: وفيها: سار عمرو بن العاص إلى أنطابُلُس - وهي بَرْقة - فافتتحها ، وصالح أهل بَرْقة على ثلاثة عشر ألف دينار ، وأن يبيعوا من أبنائهم ما أحبّوا في جزيتهم[٣] . (٤ : ١٤٤).

قال: وفيها ولّى عمر بن الخطاب عمّار بن ياسر على الكوفة ، وابن مسعود على بيت المال ، وعُثمان بن حُنَيف على مساحة الأرض؛ فشكا أهلُ الكوفة عمّاراً ، فاستعفى عمار عمر بن الخطاب ، فأصاب جُبير بن مطعم خالياً فولاّه الكوفة ، فقال: لا تذكره لأحد؛ فبلغ المغيرة بن شعبة: أنّ عُمَرَ خلا بجُبير بن مطعم ، فرجع إلى امرأته ، فقال: اذهبي إلى امرأة جُبَير بن مطعم ، فاعرضي عليها طعام السَّفر؛ فأتتها فعرضت عليها ، فاستعجمت عليها ، ثم قالت: نعم ، فجئيني به؛ فلما استيقن المغيرة بذلك جاء إلى عمر ، فقال: بارك الله لك فيمن ولّيت! قال: فمن ولّيت؟ فأخبره أنه ولّى جُبير بن مطعم ، فقال عمر: لا أدري

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

ما أصنع! وولى المغيرة بن شعبة الكوفةَ؛ فلم يزل عليها حتى مات عمر.

قال: وفيها بعث عمرو بن العاص عُقْبة بن نافع الفهريّ، فافتتح زويلة بصلح وما بين برقة وزويلة سلم للمسلمين[1]. (٤: ١٤٤).

٥٦٤ ـ وحدّثنا ابن حُميد، قال: حدّثنا سلَمة عن ابن إسحاق، قال: كان بالشأم في سنة إحدى وعشرين غزوة الأمير معاوية بن أبي سفيان، وعمير بن سعد الأنصاريّ على دمشق والبثنيّة وحَوْران وحمص وقنَّسرين والجزيرة، ومعاوية على البلقاء والأردنّ وفلسطين والسواحل وأنطاكية ومعرّة مصرين وقلقيّة. وعند ذلك صالح أبو هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس على قلقيّة، وأنطاكيَة، ومَعَرّة مَصْرِين.

وقيل: وفيها ولد الحسن البصري، وعامر الشعبيّ[2]. (٤: ١٤٤/ ١٤٥).

* * *

---

(١) ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين

(ذكر فتح همدان)

٥٦٥ ـ وأما سيف بن عمر؛ فإنه قال: فيما كتب إليّ به السريّ عن شعيب، عنه، قال: كان فتح أذْرَبيجان سنة ثماني عشرة من الهجرة بعد فتح هَمَذان والرّيّ وجُرجان وبعد صلح إصبَهْبَذ طَبرِسْتان المسلمين. قال: وكلّ ذلك كان في سنة ثماني عشرة.

قال: فكان سبب فتح هَمَذان ـ فيما زعم ـ: أنّ محمداً، والمهلب، وطلحة، وعمراً، وسعيداً أخبروه: أنّ النعمان لما صُرِف إلى الماهَيْن لاجتماع الأعاجم إلى نهاوند، وصُرِف إليه أهلُ الكوفة وافوْه مع حُذَيفة؛ ولما فصل أهلُ الكوفة من حُلوان، وأفضوْا إلى ماه؛ هَجموا على قلعة في مَرْج فيها مسلَحة، فاستزلوهم، وكان أوّل الفتح، وأنزلوا مكانهم خيلاً يمسكون بالقلعة، فسمَّوْا معسكرهم بالمرْج؛ مرْج القلعة، ثم ساروا من مَرْج القلعة نحو نهاوند؛ حتى إذا انتهوْا إلى قلْعة ـ فيها قوم خلَّفوا عليها النُّسيرَ بن ثور في عِجْل وحَنيفة؛ فنُسبت إليه؛ وافتتحها بعد فتح نهاوند ولم يشهد نهاوند عِجْليّ ولا حَنفيّ ـ أقاموا مع النُّسَير على القلعة، فلما جمعوا فيء نهاوند والقلاع؛ أشرِكوا فيها جميعاً؛ لأنّ بعضهم قوّى بعضاً. ثم وصفوا ما استقروا فيما بين مَرْج القلعة وبين نهاوند مما مرّوا به قبل ذلك فيما استقرُّوا من المرْج إليها بصفاتها، وازدحمت الرّكاب في ثَنيّة من ثنايا ماه، فسمّيت بالركاب، فقيل: ثنيّة الرِّكاب. وأتوْا على أخرى تدور طريقها بصخرة، فسمَّوْها ملْويّة، فدرست أسماؤها الأولى، وسمّيت بصفاتها، ومرُّوا بالجبل الطويل المشرِف على الجبال، فقال قائل منهم: كأنه سِنُّ سُمَيرة ـ وسُميرة امرأة من المهاجرات من بني معاوية، ضَبيّة لها سنّ مشرفة على أسنانها، فسمّي ذلك الجبل بسنّها ـ وقد كان حذيفة أتبعَ الفالّةَ ـ فالّة نهاوند ـ نُعيمَ بن مقرّن والقعقاعَ بن عمرو، فبلغا هَمذان، فصالحهم خُسْرو شُنُوم، فرجعا عنهم، ثم كفر بعدُ. فلمّا قدم عهدُه في العهود من عند عمر وَدّع حُذَيفة وودّعه حُذيفة، هذا يريد هَمَذان، وهذا يريد الكوفة راجعاً. واستخلف على الماهيْن عمرَو بن بلال بن الحارث.

وكان كتاب عُمر إلى نُعيم بن مقرّن: أنْ سِرْ حتى تأتي هَمَذان، وابعث على مقدّمتك سُوَيد بن مقرّن، وعلى مجنّبتيك ربعيّ بن عامر، ومهلهل بن زيد، هذا طائيّ، وذاك تميميّ. فخرج نُعيم بن مقرّن في تعبيته حتى نزل ثنيّة العَسَل - وإنما سُمّيت ثنيّة العسل بالعسل الذي أصابوا فيها غبّ وقعة نهاوند حيث أتبعوا الفالّة - فانتهى الفيرُزان إليها، وهي غاصّة بحوامل تحمل العَسَل وغير ذلك؛ فحبست الفيرُزان حتى نزل؛ فتوقّل في الجبل، وغارَ فرسُه فأدرك فأصيب. ولما نزلوا كِنْكِوَر؛ سرقتْ دوابّ من دوابّ المسلمين، فسمِّي قصر اللصوص.

ثم انحدر نُعيم من الثَّنيّة حتى نزل على مدينة هَمَذان، وقد تحصّنوا منهم، فحصرهم فيها، وأخذ ما بين ذلك وبين جَرْميذان، واستولوا على بلاد هَمَذان كلها. فلما رأى ذلك أهلُ المدينة سألوا الصّلح، على أن يُجريهم ومن استجاب مُجرىً واحداً، ففعل، وقبل منهم الجزاء على المنَعة، وفرّق دَسْتَبَي بين نفر من أهل الكوفة، بين عصمة بن عبد الله الضبّيّ، ومهلهل بن زيد الطائيّ، وسِماك بن عُبَيد العبسيّ، وسِماك بن مخرمة الأسديّ، وسِمَاك بن خرَشة الأنصاريّ؛ فكان هؤلاء أوّل من وَلِيَ مسالح دَسْتَبي، وقاتل الدّيلَم.

رجع الحديث إلى حديث سيف: قال: فبينما نُعيم في مدينة هَمَذان في توطئتها في اثني عشر ألفاً من الجنْد تكاتب الدَّيْلم وأهل الرّي وأهل أذْرَبيجان، ثم خرج موتا في الدّيْلم حتى ينزِل بواج رُوذ؛ وأقبَلَ الزينبيّ أبو الفرُّخَان في أهل الرّيّ حتى انضمّ إليه، وأقبل إسْفَنْدياذ أخو رُسْتم في أهل أذْرَبيجان؛ حتى انضمّ إليه، وتحصّن أمراء مسالح دَسْتَبي، وبعثوا إلى نعيم بالخبر، فاستخلف يزيد بن قيس، وخرج إليهم في الناس حتى نزل عليهم بواج الرّوذ، فاقتتلوا بها قتالا شديداً؛ وكانت وقعة عظيمة تعدِل نهاوند؛ ولم تكن دونها، وقتل من القوم مقتلة عظيمة لا يحصَوْن ولا تقصر ملحمتهم من الملاحم الكبار؛ وقد كانوا كتبوا إلى عمر باجتماعهم، ففزع منها عمر، واهتمّ بحربها، وتوقع ما يأتيه عنهم، فلم يفجأه إلاّ البريد بالبِشارة، فقال: أبشير! فقال: بل عروة؛ فلما ثنى عليه: أبشير؟ فطن، فقال: بشير؛ فقال عمر: رسول نُعَيم؟ قال: رسول نُعَيم، قال: الخبر؟ قال: البشرى بالفتح والنصر؛ وأخبره الخبر؛ فحمِد الله، وأمر بالكتاب فقرىء على الناس؛ فحمِدوا الله. ثم قدِم سِماك بن مَخْرمة، وسِماك بن عُبيد،

وسِماك بن خَرَشة في وفود من وفود أهل الكوفة بالأخماس على عمر ، فنسبهم ، فانتسب له سِماك ، وسماك ، وسماك ، فقال: بارك الله فيكم ! اللهمّ اسْمُكْ بهم الإسلام ، وأيِّدهم بالإسلام ! فكانت دَسْتَبي من هَمَذان ومسالحها إلى هَمَذان ، حتى رجع الرّسول إلى نعيم بن مقرّن بجواب عمر بن الخطّاب: أما بعدُ: فاستخلف على هَمَذان ، وأمدّ بُكَير بن عبد الله بسماك بن خَرشة ، وسرْ حتى تقدم الرّيّ ، فتلقى جمعهم ، ثم أقِمْ بها ، فإنها أوسطُ تلك البلاد ، وأجمعها لما تريد. فأقرّ نُعيم يزيد بن قيس الهَمْذانيّ على هَمَذان ، وسار من واج الرُّوذ بالناس إلى الريّ.

وقال نعيم في واج الرّوذ:

لمَّا أتاني أن موتا ورَهْطه	بني باسِلٍ جَرُّوا جُنودَ الأعاجِمِ
نَهَضتُ إليهم بالجنود مُسامياً	لأمْنَعَ منهم ذِمَّتي بالقَواصِمِ
فجئنا إليهم بالحديدِ كأننا	جِبالٌ تراءى من فُروع القَلاسِم
فلما لَقِيناهُمْ بها مُستفيضَةً	وقد جعلوا يَسْمونَ فِعْلَ المُساهِمِ
صَدَمْناهُمُ في واجِ رُوذَ بِجْمعنا	غداةَ رَمَيْناهُمْ بإحدى العظائمِ
فما صبروا في حَوْمَةِ الموتِ ساعةً	لحدِّ الرِّماحِ والسيوفِ الصَّوارِمِ
كأنهُمْ عند انبِثاثِ جُموعِهِمْ	جِدارٌ تَشَظَّى لَبْنُهُ للهَوادِمِ
أصَبْنا بها موتا ومَن لفَّ جَمْعَه	وفيها نهابٌ قَسْمُهُ غيرُ عاتِمِ
تَبِعْناهُمُ حتى أوَوْا في شِعابِهِمْ	نُقَتِّلُهُمْ قَتْلَ الكلابِ الجواحِمِ
كأنهُمُ في واجِ رُوذَ وَجَوِّهِ	ضَئينٌ أصابَتْها فُروجُ المخارِمِ

وسماك بن مَخْرمة هو صاحب مسجد سِماك.

وأعاد فيهم نعيم كتاب صلح هَمَذان ، وخلّف عليها يزيد بن قيس الهمذانيّ ، وسار بالجنود حتى لحق بالرّيّ ، وكان أوّل نسل الدّيلم من العرب ، وقاولهم فيه نُعيم.

فتح الرّيّ

قالوا: وخرج نُعيم بن مقرّن من واج رُوذ في الناس ـ وقد أخربها ـ إلى دَسْتَبَي ، ففصل منها إلى الرّيّ ، وقد جمعوا له ، وخرج الزينبيّ أبو الفرُّخان ،

فلقيه الزينبيّ بمكان يقال له: قِهَا مسالماً ومخالفاً لملك الريّ، وقد رأى من المسلمين ما رأى مع حسد سياوَخْش وأهل بيته، فأقبل مع نُعيم - والملك يومئذ بالريّ - سياوَخْش بن مهران بن بَهْرام شوبين، فاستمدّ أهل دُنْباوَنْد، وطبرسْتان، وقُومِس، وجُرْجان. وقال: قد علمتم أنّ هؤلاء قد حلُّوا بالرّيّ، إنه لا مقام لكم، فاحتشدوا له، فناهده سِياوَخْش، فالتقوْا في سَفْح جبل الرّيّ إلى جنب مدينتها، فاقتتلوا به، وقد كان الزينبيّ قال لنُعيم: إنّ القوم كثير، وأنت في قلّة؛ فابعث معي خيلاً أدخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به، وناهِدْهم أنت، فإنهم إذا خرجوا عليهم لم يثبتُوا لك. فبعث معه نُعيم خيلاً من الليل، عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو، فأدخلهم الزينبيّ المدينة، ولا يشعر القوم، وبيَّتهم نُعيم بياتاً فشغلهم عن مدينتهم، فاقتتلوا وصبروا له حتى سمِعُوا التكبير من ورائهم. ثمّ إنهم انهزموا فقتلوا مقتلةً عُدّوا بالقَصب فيها، وأفاء الله على المسلمين بالرّي نحواً من فيء المدائن، وصالحه الزينبيّ على أهل الرّيّ ومَرْزَبه عليهم نُعيم، فلم يزل شرف الريّ في أهل الزينبيّ الأكبر، ومنهم شَهْرام وفَرُّخان، وسقط آل بهرام، وأخرب نُعيم مدينتهم، وهي التي يقال لها: العتيقة - يعني: مدينة الرّي - وأمر الزينبيّ فبنى مدينة الرّيّ الحُدْثَى. وكتب نُعَيم إلى عمر بالذي فتح الله عليه مع المضارب العجليّ، ووفّد بالأخماس مع عُتيبة بن النّهاس وأبي مفزّر في وجوه من وجوه أهل الكوفة، وأمدّ بكير بن عبد الله بسماك بن خَرَشة الأنصاريّ بعد ما فتح الرّي، فسار سِماك إلى أذْربيجان مدداً لبكير، وكتب نُعيم لأهل الرّي كتاباً:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى نُعيم بن مقرّن الزينبيَّ بن قُوله، أعطاه الأمان على أهل الرّيّ ومَن كان معهم من غيرهم على الجزاء، طاقة كلّ حالم في كلّ سنة، وعلى أن ينصحوا، ويدلُّوا، ولا يغِلُّوا، ولا يُسِلّوا، وعلى أن يَقْروا المسلمين يوماً وليلة، وعلى أن يفخّموا المسلم، فمن سبّ مسلماً، أو استخفّ به نُهك عقوبة، ومَنْ ضربه قُتِل، ومَن بدّل منهم فلم يسْلَم برُمّته فقد غيّر جماعتكم.
وكتب وشهد.

وراسله المَصْمُغان في الصّلح على شيء يفتدي به منهم من غير أن يسأله

النصر ، والمنْعة ، فقبل منه ، وكتب بينه وبينه كتاباً على غير نصر ، ولا معونة على أحد ، فجرى ذلك لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتابٌ من نُعَيم بن مقرّن لمَرْدَانْشاه مَصْمُغان دُنْبَاوند ، وأهل دنْباوند ، والخُوار ، واللارِز ، والشِّرّز. إنك آمن ومَن دخل معك على الكفّ ، أن تكفّ أهل أرضك ، وتتقي من ولي الفرْج بمئتي ألف درهم وَزْنَ سبعة في كلّ سنة ، لا يغار عليك ، ولا يدخل عليك إلاّ بإذن؛ ما أقمت على ذلك حتى تغيِّر ، ومَنْ غيّر فلا عهد له ولا لمن لم يسلمه. وكتب وشهد.

فتح قومِس

قالوا: ولما كتب نُعيم بفتح الرّيّ مع المُضارب العجليّ ، ووفّد بالأخماس كتب إليه عُمر: أن قدّم سُويد بن مقرّن إلى قومِس ، وابعث على مقدّمته سماك بن مَخْرَمة ، وعلىٰ مجنّبتيه عُتَيبة بن النّهاس ، وهند بن عمرو الجمليّ ، ففصل سُويد بن مقرّن في تعبيته من الرّيّ نحو قُومِس؛ فلم يقمْ له أحدٌ ، فأخذها سِلْماً ، وعسكر بها ، فلمّا شربوا من نهر لهم يقال له: ملاذ ، فشا فيهم القَصَر؛ فقال لهم سويد: غيّروا ماءكم حتى تعودوا كأهله؛ ففعلوا ، واستمرؤوه ، وكاتبه الذين لجؤوا إلى طَبِرستان منهم ، والذين أخذوا المفاوز ، فدعاهم إلى الصلح والجزاء ، وكتب لهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى سويد بن مقرّن أهلَ قومِس ، ومن حَشَوْا من الأمان على أنفسهم ، ومللهم ، وأموالهم ، على أن يؤدُّوا الجزية عن يد عن كلّ حالم بقدر طاقته ، وعلى أن ينصحوا ، ولا يغشّوا ، وعلى أن يدلُّوا ، وعليهم نُزْل مَنْ نزل بهم من المسلمين يوماً وليلة من أوسط طعامهم ، وإن بدّلوا ، واستخفُّوا بعهدهم؛ فالذمّة منهم بريئة. وكتب وشهد.

فتح جُرجان

قالوا: وعسكر سُويد بن مقرّن ببسطام، وكاتب ملك جرجان رُزْبان صول، ثم سار إليها، وكاتبه رُزْبان صول، وبادره بالصّلح على أن يؤدّيَ الجزاء، ويكفيه حرب جُرجان، فإن غلب؛ أعانه. فقبل ذلك منه، وتلقّاه رُزْبان صُول قبل دخول سُوَيد جُرجان؛ فدخل معه وعسكر بها حتى جبَى إليه الخراج، وسمَّى فروجها، فسدّها بتُرْك دهسْتان، فرفع الجزاء عمّن أقام يمنعها، وأخذ الخراج من سائر أهلها، وكتب بينهم وبينه كتاباً:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من سُويد بن مقرّن لرُزْبان صُول بن رُزْبان، وأهل دِهِسْتان، وسائر أهل جُرْجان: إنّ لكم الذمة، وعلينا المنْعة؛ على أنّ عليكم من الجزاء في كلّ سنة على قَدْر طاقتكم؛ على كلّ حالم؛ ومن استعنّا به منكم فله جزاؤه في معونته عوضاً من جزائه، ولهم الأمان على أنفسهم، وأموالهم، ومللهم، وشرائعهم، ولا يغيَّر شيء من ذلك هو إليهم ما أدّوا، وأرشدوا ابنَ السبيل، ونصحوا، وقَرَوا المسلمين، ولم يبد منهم سَلٌّ، ولا غَلٌّ، ومَن أقام فيهم فله مثل ما لهم، ومَنْ خرج فهو آمن حتى يبلغ مأمنَه؛ وعلى أنّ من سبّ مسلماً بُلِغَ جهده، ومن ضربه حلّ دمه. شهد سواد بن قطبة، وهند بن عمرو، وسِماك بن مَخْرمة، وعتيبة بن النّهاس. وكتب في سنة ثماني عشرة.

وأما المدائنيّ؛ فإنه قال ـ فيما حدّثنا أبو زيد، عنه ـ: فُتِحت جُرجان في زمن عثمان سنة ثلاثين.

فتح طَبَرِستان

قالوا: وأرسل الإصبَهبذ سُوَيداً في الصّلح، على أن يتوادعا؛ ويجعل له شيئاً على غير نصر، ولا معونة على أحد؛ فقبل ذلك منه، وجرى ذلك لهم، وكتب له كتاباً:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من سُويد بن مقرّن للفرُّخَان إصبَهبذ خُراسان على طَبَرستان وجيل جيلان من أهل العدوّ؛ إنك آمن بأمان الله عزّ وجلّ على أن تكفّ لصُوتَك وأهل حواشي أرضك ، ولا تُؤويَ لنا بغْية ، وتتّقيَ من ولي فَرْج أرضك بخمسمئة ألف درهم من دراهم أرضك ، فإذا فعلت ذلك؛ فليس لأحد منا أن يُغير عليك ، ولا يتطّرق أرضك ، ولا يدخل عليك إلاّ بإذنك؛ سبيلنا عليكم بالإذن آمنة؛ وكذلك سبيلكم ، ولا تؤوون لنا بغية ، ولا تسلّون لنا إلى عدوّ ، ولا تغلّون ، فإن فعلتم؛ فلا عهد بيننا وبينكم. شهد سواد بن قطبة التميميّ ، وهند بن عمرو المُراديّ ، وسماك بن مَخْرمة الأسديّ ، وسِماك بن عُبيد العبسيّ ، وعتيبة بن النّهاس البكريّ. وكتب سنة ثماني عشرة.

فتح أذْرَبيجان

قال: ولما افتتح نُعيم هَمَذان ثانية ، وسار إلى الريّ من واج رُوذ؛ كتب إليه عمر: أنْ يبعث سماك بن خَرَشة الأنصاريّ مُمدّاً لبُكير بن عبد الله بأذْرَبيجان ، فأخّر ذلك حتى افتتح الريّ ، ثم سرّحه من الرّيّ ، فسار سماك نحو بكير بأذْرَبيجان؛ وكان سماك بن خَرشة ، وعُتْبة بن فَرْقد من أغنياء العرب؛ وقدما الكوفة بالغنى؛ وقد كان بكير سار حين بُعِث إليها؛ حتى إذا طلع بحيال جَرْميذان ـ طلع عليهم إسْفَنْدياذ بن الفرُّخْزاذ مهزوماً من واج روذ ، فكان أوّل قتال لقيه بأذْربيجان ، فاقتتلوا ، فهزم الله جندَه ، وأخذ بُكير إسفندياذ أسيراً ، فقال له إسفندياذ: الصلح أحبُّ إليك أم الحرب؟ قال: بل الصلح ، قال: فأمسكني عندك؛ فإنّ أهل أذربيجان إن لم أصالح عليهم أو أجيء لم يقيموا لك ، وجَلَوْا إلى الجبال التي حَوْلها من القَبْج والروم ، ومَن كان على التحصّن تحصّن إلى يوم ما ، فأمسكه عنده ، فأقام وهو في يده ، وصارت البلاد إليه إلاّ ما كان من حصن. وقدم عليه سماك بن خَرَشة مُمدّاً؛ وإسفندياذ في إساره ، وقد افتتح ما يليه ، وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه. وقال بُكير لسماك مقدَمه عليه ، ومازحه: ما الّذي أصنع بك وبعتبة بأغْنَيين؟ لئن أطعت ما في نفسي لأمضينّ قُدماً ولأخلّفنّكما ، فإن شئت أقمتَ معي ، وإن شئت أتيت عُتبة فقد أذنت لك ، فإني

لا أراني إلاَّ تارككما وطالباً وجهاً هو أكره من هذا. فاستعفى عمر ، فكتب إليه بالإذن على أن يتقدّم نحو الباب ، وأمره أن يستخلف على عمله ، فاستخلف عُتبة على الذي افتتح منها ، ومضى قُدماً ، ودفع إسفندياذ إلى عُتبة ، فضمّه عُتبة إليه ، وأمّر عُتْبة سماك بن خَرشة ـ وليس بأبي دُجَانة ـ على عمل بُكير الذي كان افتتح ، وجمع عمر أذْرَبيجان كلَّها لعتبة بن فرقد.

قالوا: وقد كان بَهْرام بن الفرُّخزاذ أخذ بطَرِيق عُتبة بن فرقد ، وأقام له في عسكره حتى قدم عليه عُتْبة ، فاقتتلوا ، فهزمه عُتْبة ، وهرب بَهرام ، فلما بلغ الخبر بهزيمة بَهْرام ومهر به إسفندياذ وهو في الإسار عند بُكير ، قال: الآن تمّ الصّلح ، وطفئت الحرب ، فصالحه ، وأجاب إلى ذلك كلهم ، وعادت أذْرَبيجان سِلْماً ، وكتب بذلك بُكير وعُتْبة إلى عُمر ، وبعثوا بما خمّسوا مما أفاء الله عليهم ، ووفَدوا الوفود بذلك؛ وكان بُكَير قد سبق عُتْبة بفتح ما ولي ، وتمّ الصلح بعد ما هزم عتبة بَهْرام. وكتب عُتبة بينه وبين أهل أذْرَبيجان كتاباً حيث جُمع له عمر بكير إلى عمله:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عُتْبة بن فرقد ـ عاملُ عمر بن الخطّاب أمير المؤمنين ـ أهل أذْرَبيجان ـ سهلها ، وجبلها ، وحواشيها ، وشفارِها ، وأهل ملَلها ـ كلّهم الأمان على أنفسهم ، وأموالهم ، ومللهم ، وشرائعهم؛ على أن يؤدّوا الجزية على قَدْر طاقتهم ، ليس على صبيّ ، ولا امرأة ، ولا زَمِنٍ ليس في يديه شيء من الدنيا ، ولا متعبّد متخل ليس في يديه من الدنيا شيء ، لهم ذلك ولمن سكن معهم ، وعليهم قِرى المسلم من جنود المسلمين يوماً وليلة ودلالته ، ومَنْ حُشِر منهم في سنة وضع عنه جِزاء تلك السنة ، ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك ، ومَنْ خرج فله الأمان حتى يلجأ إلى حِرْزه. وكتب جندب ، وشهد بكير بن عبد الله الليثي ، وسماك بن خرشة الأنصاريّ. وكتب في سنة ثماني عشرة.

قالوا: وفيها ، قدم عتبة على عمر بالخَبيص الذي كان أهداه له ، وذلك: أنّ عمر كان يأخذ عمّاله بموافاة الموسم في كلّ سنة يحجُر عليهم بذلك الظلم ، ويحجزهم به عنه.

فتح الباب

وفي هذه السنة كان فتح الباب في قول سيف وروايته ، قال: وقالوا ـ يعني الذين ذكرت أسماءهم قبل ـ: ردّ عمر أبا موسى إلى البصرة ، وردّ سُراقة بن عمرو ـ وكان يدعَى ذا النور ـ إلى الباب ، وجعل على مقدّمته عبد الرحمن بن ربيعة ـ وكان أيضاً يدعى ذا النور ـ وجعل على إحدى المجنّبتين حُذَيفة بن أسيد الغفاريّ ، وسمّى للأخرى بكير بن عبد الله الليثيّ ـ وكان بإزاء الباب قبل قدوم سُراقة بن عمرو عليه ، وكتب إليه أن يلحق به ـ وجعل على المقاسم سَلْمان بن ربيعة. فقدّم سُراقة عبد الرحمن بن ربيعة ، وخرج في الأثر ، حتى إذا خرج من أذْرَبيجان نحو الباب؛ قدم على بُكير في أداني الباب ، فاستدفَّ ببكير ، ودخل بلاد الباب على ما عبّاه عمر. وأمدّه عمر بحبيب بن مسلمة ، صرفه إليه من الجزيرة ، وبعث زياد بن حنظلة مكانَه على الجزيرة. ولما أطلّ عبد الرحمن بن ربيعة على الملك بالباب ـ والملك بها يومئذ شهربراز ، رجل من أهل فارس؛ وكان على ذلك الفرْج ، وكان أصله من أهل شهربراز الملك الذي أفسد بني إسرائيل ، وأعرَى الشأم منهم ـ فكاتبه شهربراز ، واستأمنه على أن يأتيَه ، ففعل فأتاه ، فقال: إنّي بإزاء عدوّ كَلِب ، وأمم مختلفة ، لا يُنْسَبون إلى أحساب ، وليس ينبغي لذي الحسب والعقل أن يُعين أمثال هؤلاء ، ولا يستعين بهم على ذوي الأحساب والأصول ، وذو الحسب قريب ذي الحسب حيث كان ، ولست من القبْج في شيء ، ولا من الأرمن وإنكم قد غلبتم على بلادي وأمتي ، فأنا اليوم منكم ويدي مع أيديكم ، وصَغْوي معكم ، وبارك الله لنا ولكم ، وجزيتنا إليكم النصر لكم ، والقيام بما تحبّون ، فلا تذلّونا بالجزية فتوهنونا لعدوّكم. فقال عبد الرحمن: فوقي رجلٌ قد أظلك فسرْ إليه ، فجوّزه ، فسار إلى سُراقة فلقيَه بمثل ذلك ، فقال سراقة: قد قبلت ذلك فيمن كان معك على هذا ما دام عليه ، ولا بدّ من الجزاء ممّن يقيم ولا ينهض. فقبل ذلك، وصار سنّة فيمن كان يحارب العدوّ من المشركين ، وفيمن لم يكن عنده الجزاء ، إلاّ أن يستنفروا فتُوضع عنهم جزاء تلك السنة. وكتب سُراقة إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فأجازه وحسّنه ، وليس لتلك البلاد التي في ساحة تلك الجبال نَبَك لم يُقم الأرمن بها إلاّ على أوْفاز ، وإنما هم سكان ممّن حولها ومن الطرَّاء استأصلت الغارات نَبَكها من أهل

القرار، وأرَز أهل الجبال منهم إلى جبالهم، وجلَوْا عن قرار أرضهم، فكان لا يقيم بها إلا الجنود ومن أعانهم أو تجر إليهم. واكتتبوا من سُراقة بن عمرو كتاباً:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى سراقة بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهر براز، وسكان أرمينية والأرْمن من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم، وأموالهم، وملّتهم ألاّ يضارّوا، ولا ينتقضوا، وعلى أهل أرمينية والأبواب ـ الطرّاء منهم، والتُّنَّاء، ومَنْ حولهم، فدخل معهم ـ أن ينفِروا لكلّ غارة، وينفذُوا لكلّ أمر ناب، أو لم يَنُبْ رآه الوالي صلاحاً؛ على أن توضع الجزاء عمّن أجاب إلى ذلك إلاّ الحشْر، والحشْر عِوَضٌ من جزائهم ومن استُغني عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل أذْرَبيجان من الجزاء والدلالة والنُّزْل يوماً كاملاً، فإن حُشِروا وضع ذلك عنهم، وإن تركوا أخذوا به. شهد عبد الرحمن بن ربيعة، وسلْمان بن ربيعة، وبُكير بن عبد الله. وكتب مَرْضِيّ بن مقرّن وشهد.

ووجّه سُراقة بعد ذلك بُكير بن عبد الله، وحَبيب بن مسلمة، وحُذيفة بن أسِيد، وسلْمان بن ربيعة إلى أهل تلك الجِبال المحيطة بأرمينية، فوجّه بُكيراً إلى مُوقان، ووجه حبيباً إلى تَفْلِيس، وحُذيفة بن أسيد إلى مَن بجبال اللاّن، وسَلْمان بن ربيعة إلى الوجْه الآخر، وكتب سراقة بالفتح وبالذي وجّه فيه هؤلاء النفر إلى عمر بن الخطاب، فأتى عمرَ أمرٌ لم يكن يرى أنه يستتمّ له على ما خرج عليه في سَريح بغير مؤونة. وكان فرْجاً عظيماً به جند عظيم، إنما ينتظر أهل فارس صَنِيعهم، ثم يضعون الحرب أو يبعثونها.

فلما استوسَقوا، واستحْلوا عَدْل الإسلام؛ مات سُراقة، واستخلف عبد الرحمن ابن ربيعة، وقد مضى أولئك القوّاد الذين بعثهم سراقة، فلم يفتح أحد منهم ما وجّه له إلاّ بكير فإنه فضّ مُوقان، ثم تراجعوا على الجزية، فكتب لهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى بُكير بن عبد الله أهلَ مُوقان من جبال القَبْج الأمانَ على أموالهم، وأنفسهم، وملّتهم، وشرائعهم على الجزاء: دينار على كلّ حالم أو

قيمته ، والنصح ، ودِلالة المسلم ، ونُزْله يومَه وليلتَه ، فلهم الأمان ما أقرُّوا ونصحُوا ، وعلينا الوفاء ، والله المستعان. فإن تركوا ذلك ، واستبان منهم غِشّ؛ فلا أمان لهم إلا أن يسلِموا الغَشَشة برُمّتهم؛ وإلاّ فهم متمالئون. شهد الشّماخ بن ضِرار ، والرُّسارس بن جنادب ، وحمَلة بن جُوَيّة. وكتب سنة إحدى وعشرين.

قالوا: ولما بلغ عمرَ موت سُراقة واستخلافُه عبد الرحمن بن ربيعة؛ أقرّ عبد الرحمن على فَرْج الباب ، وأمره بغزو التُّرك ، فخرج عبدُ الرحمن بالناس حتى قطع الباب ، فقال له شهربراز: ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد بلَنْجر؛ قال: إنَّا لنرضَى منهم أن يَدَعُونا من دون الباب. قال: لكنَّا لا نرضى منهم بذلك حتى نأتيَهُم في ديارهم؛ وتالله إنّ معنا لأقواماً لو يأذن لنا أميرنا في الإمعان لبلغت بهم الرّدْم. قال: وما هم؟ قال: أقوام صحبوا رسول الله ﷺ ودخلوا في هذا الأمر بنيّة ، كانوا أصحاب حياء وتكرّم في الجاهلية ، فازداد حياؤهم وتكرّمهم ، فلا يزال هذا الأمر دائماً لهم ، ولا يزال النصر معهم حتى يغيّرهم مَن يغلبهم ، وحتى يُلْفَتُوا عن حالهم بمن غيّرهم. فغزا بَلَنْجَر غزاة في زمن عمر لم تئِمْ فيها امرأة ، ولم ييتم فيها صبيّ ، وبلغ خيله في غزاتها البَيْضاء على رأس مئتي فرسخ من بَلَنْجر ، ثم غزا فسلِم؛ ثمّ غزا غزوات في زمان عثمان ، وأصيب عبد الرحمن حين تبدّل أهل الكوفة في إمارة عثمان لاستعماله مَن كان ارتدّ استصلاحاً لهم ، فلم يصلحهم ذلك ، وزادهم فساداً أن سادهم من طلب الدنيا ، وعَضَّلوا بعثمان حتى جعل يتمثل:

وكنْتُ وعَمْراً كالمُسَمِّن كَلْبَهُ فخَدَّشَهُ أنيابُهُ وأظافِرُهْ[1]

(٤: ١٤٦/ ١٤٧/ ١٤٨/ ١٤٩/ ١٥٠/ ١٥١/ ١٥٢/ ١٥٣/ ١٥٤/ ١٥٥/ ١٥٦/ ١٥٧/ ١٥٨).

وأما الواقديّ فإنه قال: كان فتح هَمَذان والرّي في سنة ثلاث وعشرين. قال: ويقال: افتتح الرّيّ قَرَظة بن كعب.

وحدّثني ربيعة بن عثمان: أنَّ فَتْح هَمَذان كان في جُمادى الأولى ، على رأس

---

(١) إسناده ضعيف ، وأخرج البيهقي فتح جرجان من طريق أحمد بن عبد الله بن سيف عن السري عن شعيب عن سيف به (كما عند الطبري هنا) (تأريخ جرجان/ ٢٤).

ستة أشهر من مقتل عمر بن الخطاب؛ وكان أميرها المغيرة بن شعبة.

قال: ويقال: كان فتح الرّيّ قبل وفاة عمر بسنتين، ويقال: قتل عُمر؛ وجيوشه عليها[1]. (٤: ١٤٨).

٥٦٦ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن الغصن بن القاسم، عن رجل، عن سَلمان بن ربيعة، قال: لما دخل عليهم عبد الرحمن بن ربيعة حال الله بين الترك والخُروج عليه، وقالوا: ما اجترأ علينا هذا الرجلِ إلاّ ومعه الملائكة تمنعه من الموت؛ فتحصنوا منه وهربوا، فرجع بالغُنْم والظَّفَر، وذلك في إمارة عمر؛ ثم إنه غزاهم غزوات في زمن عثمان، ظفر كما كان يظفر، حتى إذا تبدّل أهلُ الكوفة لاستعمال عثمان من كان ارتدّ فغزاهم بعد ذلك، تذامرت الترك وقال بعضهم لبعض: إنهم لا يموتون قال: انظروا، وفعلوا فاختفوْا لهم في الغياض، فرمَى رجلٌ منهم رجلاً من المسلمين على غِرّة، فقتله، وهرب عنه أصحابه، فخرجوا عليه عند ذلك، فاقتتلوا فاشتدّ قتالهم، ونادى مناد من الجوّ: صبراً آل عبد الرحمن وموعدكم الجنَّة! فقاتل عبدُ الرحمن حتى قتل، وانكشف الناس، وأخذ الرّاية سلمان بن ربيعة، فقاتل بها، ونادى المنادي من الجوّ: صبراً آل سلمان بن ربيعة! فقال سلمان: أوَ ترى جزعاً! ثمّ خرج بالناس، وخرج سلمان وأبو هُريرة الدَّوْسي على جيلان، فقطعوها إلى جُرجان، واجترأ الترك بعدها، ولم يمنعهم ذلك مِن اتخاذ جسد عبد الرحمن، فهم يستسقون به حتى الآن.

ثمّ إنّ شهربراز قال: أيّها الأمير، أتدري مِنْ أين جاء هذا الرجل؟ هذا الرجل بعثتُه منذ سنين نحو السُدّ لينظر ما حاله ومَنْ دونه، وزوّدتُه مالاً عظيماً، وكتبت له إلى مَن يليني، وأهديت له، وسألته أن يكتب له إلى مَنْ وراءه، وزوّدته لكلّ ملك هديّة؛ ففعل ذلك بكلّ مِلك بينه وبينه، حتى انتهى إليه، فانتهى إلى الملك الذي السُدّ في ظهر أرضه، فكتب له إلى عامله على ذلك البلد، فأتاه فبعث معه بازيارَه ومعه عُقابه، فأعطاه حريرة، قال: فتشكّر لي البازيار، فلما انتهينا فإذا جبلان بينهما سُدّ مسدود، حتى ارتفع على الجبلين بعد ما استوى بهما، وإذا دون السُّد خندق أشدّ سواداً من الليل لبعده، فنظرت إلى ذلك كله، وتفرّست فيه، ثم ذهبت لأنصرف، فقال لي البازيار: على رسْلِك أكافك! إنه لا يلي ملك

(١) ضعيف.

بعد ملك إلاّ تقرب إلى الله بأفضل ما عنده من الدنيا ، فيرمي به في هذا اللّهْب ، فشرّح بَضعة لحم معه ، فألقاها في ذلك الهواء ، وانقضّت عليها العُقاب ، وقال: إن أدركَتْها قبل أن تقع فلا شيء؛ وإن لم تُدركها حتى تقع فذلك شيء؛ فخرجت علينا العُقاب باللحم في مخالبها؛ وإذا فيه ياقوته، فأعطانيها؛ وها هي هذه. فتناولها شهربراز حمراء، فناولها عبدَ الرحمن، فنظر إليها ، ثم ردّها إلى شهربراز ، وقال شهربراز: لَهذه خير من هذا البلد - يعني: الباب - وأيمُ الله لأنتم أحبّ إليّ ملَكة من آل كسرى؛ ولو كنت في سلطانهم ثم بلغهم خبرها لانتزعوها مني؛ وأيمُ الله لا يقوم لكم شيء ما وفيتم ووفى ملكُكم الأكبر.

فأقبل عبدُ الرحمن على الرّسول ، وقال: ما حال هذا الرَّدم وما شبهه؟ فقال: هذا الثوب الذي على هذا الرّجل ، قال: فنظر إلى ثوبي ، فقال مطر بن ثلج لعبد الرحمن بن ربيعة: صدق والله الرَّجُل؛ لقد نفذ ورأى ، فقال: أجل ، وصف صفة الحديد والصُّفْر ، وقال: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ . . .﴾ . إلى آخر الآية.

وقال عبد الرحمن لشهربراز: كم كانت هديَّتُك؟ قال: قيمة مئة ألف في بلادي هذه ، وثلاثة آلاف ألف أو أكثر في تلك البلدان[1] . (٤ : ١٥٨/ ١٥٩/ ١٦٠) .

وحدّث عمرو بن معد يكرب عن مطر بن ثَلْج التميميّ ، قال: دخلت على عبد الرحمن بن ربيعة بالباب وشهر براز عنده ، فأقبل رجل عليه شُحُوبة؛ حتى دخل على عبد الرحمن ، فجلس إلى شهربَراز ، وعلى مَطَر قباء بُرود يمنيّة ، أرضه حمراء ، ووشيه أسود - أو وشيه أحمر وأرضه سوداء - ، فتساءلا[2] . (٤ : ١٥٩) .

وزعم الواقديّ: أنّ معاوية غزا الصائفة في هذه السّنة ، ودخل بلاد الروم في عشرة آلاف من المسلمين.

وقال بعضهم: في هذه السنة كانت وفاة خالد بن الوليد.

وفيها ولِد يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مرْوان[3] . (٤ : ١٦٠) .

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

ذكر تعديل الفتوح بين أهل الكوفة والبصرة

وفي هذه السنة عدّل عمر فتوحَ أهل الكوفة والبصرة بينهم.

ذكر الخبر بذلك:

٥٦٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، والمهلب وعمرو، وسعيد، قالوا: أقام عمّار بن ياسر عاملاً على الكوفة سنةً في إمارة عمر وبعض أخرى. وكتب عمر بن سراقة وهو يومئذ على البصرة إلى عمر ابن الخطاب يذكر له كثرة أهل البصرة، وعجز خراجهم عنهم، ويسأله أن يزيدهم أحد الماهيْن، أو ماسَبَذان. وبلغ ذلك أهلَ الكوفة، فقالوا لعمّار: اكتبْ لنا إلى عمر: أنّ رامَهُرمز وإيذَج لنا دونهم، لم يعينونا عليهما بشيء؛ ولم يلحقوا بنا حتى افتتحناهما، فقال عمّار: ما لي ولما هاهنا! فقال له عطارد: فعلامَ تدعُ فيئنَا أيها العبد الأجدع! فقال: لقد سَبَبْتَ أحبّ أذنيّ إليّ. ولم يكتب في ذلك، فأبغضوه. ولما أبى أهل الكوفة إلاّ الخصومة فيهما لأهل البصرة شهد لهم أقوام على أبي موسى؛ أنه قد كان آمن أهلَ رَامَهُرمز وإيذَج؛ وأنّ أهلَ الكوفة والنعمان راسلوهم وهم في أمان. فأجاز لهم عمر ذلك، وأجراها لأهل البصرة بشهادة الشهود. وادّعى أهل البصرة في أصبَهان قَريات افتتحها أبو موسى دون جيّ، أيام أمدّهم بهم عمر إلى عبد الله بن عبد الله بن عِتبان، فقال أهل الكوفة: أتيتمونا مدداً وقد افتتحنا البلاد، فآسيناكم في المغانم، والذّمة ذمتنا، والأرض أرضُنا؛ فقال عمر: صدقوا. ثمّ إنّ أهل الأيّام وأهل القادسيّة من أهل البصرة أخذوا في أمر آخر حتى قالوا: فلْيعطونا نصيبنا مما نحن شركاؤهم فيه من سوادهم وحواشيه. فقال لهم عمر: أترضوْن بماه؟ وقال لأهل الكوفة: أترضون أن نعطيَهم من ذلك أحد الماهَيْن؟ فقالوا: ما رأيتَ أنه ينبغي فاعمل به، فأعطاهم ماهَ دينار بنصيبهم لمن كان شهد الأيام والقادسيّة منهم إلى سَواد البصرة ومِهْرَجَانْقذَق، وكان ذلك لمن شهد الأيّام والقادسيّة من أهل البصرة. ولما ولي معاوية بن أبي سفيان ـ وكان معاوية هو الذي جنّد قنَّسرين من رافضة العراقين أيام عليّ، وإنما كانت قِنَّسْرين رُستاقاً من رَساتيق حِمْص حتّى مصّرها معاوية وجنّدها بمن ترك الكوفة والبصرة في ذلك الزمان، وأخذ لهم معاوية بنصيبهم من فتوح العراق أذْرَبيجان والموْصل والباب، فضمّها فيما ضمّ، وكان أهل الجزيرة والموصل

يومئذ ناقلة رُمِيتا بكلّ من كان ترك هجرته من أهل البلدين؛ وكانت الباب، وأذرَبيجان، والجَزيرة، والموْصل من فتوح أهل الكوفة - نقل ذلك إلى من انتقل منهم إلى الشام أزمانَ عليّ؛ وإلى مَن رُمِيت به الجزيرة والموصل ممن كان ترك هجرته أيام عليّ، وكفر أهل أرمينية زمانَ معاوية؛ وقد أمّر حبيبَ بن مسلمة على الباب - وحبيب يومئذ بجُرزان - وكاتبَ أهل تَفْليس وتلك الجبال؛ ثم ناجزهم؛ حتى استجابوا واعتقدوا من حبيب. وكتب بينه وبينهم كتاباً بعد ما كاتبهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

من حَبيب بن مسلمة إلى أهل تَفْلِيس من جُرْزَان أرض الهُرْمز. سِلْم أنتم؛ فإني أحمَد الله إليكم الذي لا إله إلاّ هو؛ فإنه قد قدِم علينا رسولكم تفلى، فبلّغ عنكم، وأدّى الذي بعثتم. وذكر تفلى عنكم أنّا لم نكن أمّة فيما تحسبون؛ وكذلك كنا حتى هدانا الله عزّ وجل بمحمد ﷺ، وأعزّنا بالإسلام بعد قلة وذلة وجاهلية. وذكر تفلى أنكم أحببتم سلمنا. فما كرهت والذين آمنوا معي، وقد بعثتُ إليكم عبدَ الرحمن بن جَزْء السُّلَميّ؛ وهو من أعلمنا من أهل العلم بالله وأهل القرآن؛ وبعثت معه بكتابي بأمانكم، فإن رضيتم؛ دَفعه إليكم، وإن كرهتم؛ آذنكم بحرب على سواء إن الله لا يحبّ الخائنين:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهل تَفْليس من جُرْزان أرض الهُرْمز بالأمان على أنفسكم، وأموالكم، وصوامعكم، وبِيعكم، وصلواتكم على الإقرار بصَغار الجِزْية؛ على كلّ أهل بيت دينار وافٍ، ولنا نصحُكم، ونصركم على عدوّ الله وعدوّنا، وقرى المجتاز ليلةً من حلال طعام أهل الكتاب وحلال شرابهم، وهداية الطريق في غير ما يُضَرّ فيه بأحد منكم. فإن أسلمتم، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة؛ فإخواننا في الدّين وموالينا؛ ومن تولّى عن الله ورسله وكتبه وحِزْبه فقد آذنّاكم بحرب على سواء، إن الله لا يحبّ الخائنين. شهد عبد الرحمن بن خالد، والحجّاج، وعياض. وكتب رباح، وأشهد الله وملائكته والذين آمنوا، وكفى بالله شهيداً[1]. (٤ : ١٦٠/ ١٦١/ ١٦٢).

---

(١) إسناده ضعيف.

ذكر عزل عمَّار عن الكوفة

٥٦٨ - قد تقدّم ذكرِي بعض سبب عزله ، ونذكر بقيته. ذكر السري - فيما كتب به إليّ - عن شعيب ، عن سيف ، عمّن تقدم ذكري من شيوخه ، قال: قالوا: وكتب أهلُ الكوفة؛ عطاردٌ ذلك ، وأناس معه إلى عمر في عمّار ، وقالوا: إنه ليس بأمير ، ولا يحتمل ما هو فيه ، ونزا به أهلُ الكوفة. فكتب عمر إلى عمّار: أن أقبِل؛ فخرج بوفد من أهل الكوفة ، ووفَّد رجالاً ممن يرى: أنهم معه ، فكانوا أشدّ عليه ممن تخلّف ، فجزِع فقيل له: يا أبا اليَقْظان ، ما هذا الجزع! فقال: والله ما أحمِد نفسي عليه؛ ولقد ابتليت به - وكان سعد بن مسعود الثقفيّ عمُّ المختار ، وجرير بن عبد الله معه - فسعيا به ، وأخبرا عمر بأشياء يكرهها ، فعزله عمر ، ولم يولّه[1]. (٤ : ١٦٣).

٥٦٩ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، ومجالد ، عن الشعبيّ ، قال: قال عمر لأهل الكوفة: أيّ منزليْكم أعجبُ إليكم؟ - يعني: الكوفة ، أو المدائن - وقال: إني لأسألكم وإني لأعرفُ فضل أحدهما على الآخر في وجوهكم ، فقال جرير: أما منزلنا هذا الأدنى فإنه أدنَى محِلّةً من السواد من البرّ ، وأما الآخر؛ فوعْك البحر ، وغمُّه ، وبَعوضه.

فقال عمار: كذبت؛ فقال عمر لعمار: بل أنت أكذب منه ، وقال: ما تعرفون من أميركم عمار؟ فقال جرير: هو والله غير كافٍ ، ولا مجزٍ ، ولا عالم بالسياسة[2]. (٤ : ١٦٣ [illegible]).

٥٧٠ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن زكرياء بن سياه، عن هشام بن عبد الرحمن الثقفيّ: أن سعد بن مسعود، قال: والله ما يدري علام استعملته! فقال: عمر: علام استعملتُك يا عمّار؟ قال: على الحيرة وأرضِها. فقال: قد سمعتُ بالحيرة تجاراً تختلف إليها، قال: وعلى أيّ شيء؟ قال: على بابل وأرضها، قال: قد سمعتَ بذكرها في القرآن. قال: وعلى أيّ شيء؟ قال: على المدائن وما حولها، قال: أمدائن كسرىٰ؟ قال: نعم. قال: وعلىٰ أيّ شيء؟

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

قال: على مهرجا نقذق وأرضها. قالوا: قد أخبرناك أنه لا يدري علامَ بعثته! فعزله عنهم، ثم دعاه بعد ذلك، فقال: أساءك حين عزلتُك؟ فقال: والله ما فرحتُ به حين بعثتَنِي، ولقد ساءني حين عزلتَني. فقال: لقد علمتُ ما أنت بصاحب عمل، ولكني تأوّلت: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[1] (٤ : ١٦٤).

٥٧١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن خُليد بن ذَفَرة النَّمَريّ، عن أبيه بمثله وزيادة، فقال: أوتُحمِد نفسَك بمعرفة من تُعالجه منذ قدمت! وقال: والله يا عمّار! لا ينتهي بك حدُّك حتىٰ يلقيَك في هَنة، وتالله لئن أدركك عمر لترِقّنّ، ولئن رققتَ لتُبتلينّ، فسل الله الموت. ثمّ أقبل على أهل الكوفة فقال: مَن تريدون يا أهلَ الكوفة؟ فقالوا: أبا موسى. فأمّره عليهم بعد عمار، فأقام عليهم سنة، فباع غلامُه العَلَف. وسمعه الوليد بن عبد شمس، يقول: ما صحبتُ قوماً قطّ إلا آثرتهم؛ ووالله ما منعنِي أن أكذِّب شهودَ البصرة إلاّ صحبتهُم، ولئن صحبتُكم لأمنحنكم خيراً. فقال الوليد: ما ذهب بأرضنا غيرُك؛ ولا جرم لا تعمل علينا. فخرج وخرج معه نفر، فقالوا: لا حاجةَ لنا في أبي موسىٰ، قال: ولم؟ قالوا: غلام له يتّجر في حَشَرنا. فعزله عنهم وصرفه إلى البصرة، وصرف عمرَ بن سراقة إلى الجزيرة. وقال لأصحاب أبي موسىٰ الذين شخصوا في عزله من أهل الكوفة: أقويٌّ مشدّد أحبّ إليكم أم ضعيف مؤمن؟ فلم يجد عندهم شيئاً، فتنحّى، فخلا في ناحية المسجد، فنام فأتاه المغيرة بن شعبة فكلأه حتى استيقظ، فقال: ما فعلتَ هذا يا أمير المؤمنين إلاّ من عظيم؛ فهل نابك من نائب؟ قال: وأيّ نائب أعظم من مئة ألف لا يرضوْن عن أمير، ولا يرضىٰ عنهم أمير! وقال في ذلك ما شاء الله.

واختُطّت الكوفة حين اختُطّت على مئة ألف مقاتل؛ وأتاه أصحابه، فقالوا: يا أميرَ المؤمنين! ما شأنك؟ قال: شأني أهل الكوفة قد عَضّلوا بي. أعاد عليهم عمر المشورة التي استشار فيها، فأجابه المغيرة فقال: أمّا الضعيف المسلم؛ فضعفه عليك وعلى المسلمين، وفضله له، وأمّا القويّ المشدّد؛ فقوّته لك

---

(١) إسناده ضعيف.

وللمسلمين، وشِداده عليه وله. فبعثه عليهم[1]. (٤ : ١٦٤/ ١٦٥).

٥٧٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن عبد الله، عن سعيد بن عمرو: أن عمر قال قبل أن استعمل المغيرة: ما تقولون في تولية رجلٍ ضعيف مسلم، أو رجل قويّ مشدّد؟ فقال المغيرة: أما الضعيف المسلم، فإنّ إسلامَه لنفسه، وضعفه عليك، وأما القويّ المشدّد فإنّ شِداده لنفسه، وقوّته للمسلمين. قال: فإنّا باعثوك يا مغيرة! فكان المغيرة عليها حتى مات عمر رضي الله تعالىٰ عنه وذلك في نحو من سنتين وزيادة. فلما ودّعه المغيرة للذهاب إلى الكوفة، قال له: يا مغيرة! ليأمنك الأبرار، وليخفك الفجّار. ثم أراد عمر أن يبعثَ سعداً علىٰ عَمل المغيرة فقتِل قبل أن يبعثه، فأوصىٰ به؛ وكان من سنّة عمر وسيرته أن يأخذ عمّاله بموافاة الحجّ في كل سنة للسياسة، وليحجزهم بذلك عن الرعيّة، وليكون لشكاة الرعية وقتاً وغاية ينهونها فيه إليه[2]. (٤ : ١٦٥/ ١٦٦).

وفي هذه السنة غزا الأحنف بن قيس ـ في قول بعضهم خُراسان ـ وحارب يَزْدجِرد؛ وأما في رواية سيف؛ فإنّ خروجَ الأحنف إلى خراسان كان في سنة ثماني عشرة من الهجرة[3]. (٤ : ١٦٦).

ذكر مصير يَزْدَجِرد إلى خراسان وما كان السبب في ذلك

٥٧٣ ـ اختلف أهل السير في سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه؛ فأمّا ما ذكره سيف عن أصحابه في ذلك، فإنه فيما كتب به إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، والمهلب، وعمرو، قالوا: كان يَزْدَجِرد بن شهريار بن كسرى ـ وهو يومئذ ملك فارس ـ لما انهزم أهل جَلُولاء خرج يريد الرّيّ، وقد جعِل له محمل واحد يُطبق ظهر بَعيره، فكان إذا سار نام فيه ولم يعرّس بالقوم. فانتهوْا به إلى مخاضة وهو نائم في محمله، فأنبهوه ليُعلم، ولئلا يفزع إذا خاض البعير إن هو استيقظ، فعنّفهم وقال: بئسما صنعتم! والله لو تركتموني لعلمت ما مدّة هذه الأمة، إني رأيتُ أني ومحمداً تناجينا عند الله، فقال له: أملّكهم مئة

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) ضعيف.

سنة، فقال: زِدْني، فقال: عشراً ومئة سنة، فقال: زدني، فقال: عشرين ومئة سنة، فقال: زدني، فقال: لك. وأنبهتموني، فلو تركتموني لعلمت ما مدّة هذه الأمة.

فلما انتهىٰ إلى الرّيّ، وعليها آبان جاذويه؛ وثب عليه فأخذه، فقال: يا آبان جاذويه! تغدِر بي؟! قال: لا، ولكن قد تركتَ مُلْكك، وصار في يد غيرك، فأحببت أن أكتتب على ما كان لي من شيء، وما أردتُ غير ذلك. وأخذ خاتم يَزْدَجِرد ووصل الأدُم؛ واكتتب الصّكاك وسجّل السجلات بكلّ ما أعجبه، ثم ختم عليها وردّ الخاتم. ثم أتىٰ بعدُ سعداً فردّ عليه كلّ شيء في كتابه. ولما صنع آبان جاذويه بيزدَجِرْد ما صنع خرج يَزْدَجِرد من الرّيّ إلى أصبهان، وكره آبانَ جاذويه، فارّاً منه، ولم يأمنه. ثم عزم على كَرْمان، فأتاها والنار معه، فأراد أنْ يضعها في كَرْمان، ثمّ عزم علىٰ خراسان، فأتىٰ مَرْوَ، فنزلها وقد نقل النار، فبنىٰ لها بيتاً واتّخذ بستاناً، وبنىٰ أَزَجاً فرسخين من مَرْو إلى البستان؛ فكان على رأس فرسخين من مَرْو، واطمأنّ في نفسه، وأمِن أن يُؤتَىٰ؛ وكاتب من مَرْوَ مَن بقيَ من الأعاجم فيما لم يفتتحه المسلمون، فدانُوا له، حتىٰ أثار أهلَ فارس والهُرْمزان فنكثوا، وثار أهل الجبال والفيرُزان فنكثوا، وصار ذلك داعية إلى إذن عمر للمسلمين في الانسياح، فانساح أهلُ البصرة وأهل الكوفة حتى أثخنوا في الأرض؛ فخرج الأحنف إلى خُراسان، فأخذ على مِهْرَجان قَذَق، ثم خرج إلى أصبهان ـ وأهل الكوفة محاصرو جَيّ ـ فدخل خراسان من الطّبَسيْن، فافتتح هَراةَ عَنْوةً، واستخلف عليها صُحار بن فلان العبديّ. ثم سار نحو مَرْو الشاهجان، وأرسل إلى نيسابور ـ وليس دونها قتال ـ مطرّفَ بن عبد الله بن الشخِّير والحارثَ بن حسان إلى سَرْخس؛ فلما دنا الأحنف من مَرْو الشّاهجان خرج منها يَزْدَجِرد نحو مَرْو الرّوذ حتىٰ نزلها، ونزل الأحنف مَرْو الشاهجان؛ وكتب يَزْدَجِرد وهو بمرْو الرّوذ إلى خاقان يستمدّه؛ وكتب إلى ملك الصُّغْد يستمدّه؛ فخرج رسولاه نحو خاقان وملك الصُّغْد، وكتب إلى ملك الصين يستعينه، وخرج الأحنف من مَرْو الشاهجان؛ واستخلف عليها حاتم بن النعمان الباهليّ بعد ما لحقت به أمداد أهل الكوفة، على أربعة أمراء: علقمة بن النَّضْر النضْرِي، وربعيّ بن عامر التميميّ، وعبد الله بن أبي عَقِيل الثقفيّ، وابن أمّ غزال الهمْدانيّ؛ وخرج سائراً نحو مَرْو

الرّوذ؛ حتى إذا بلغ ذلك يَزْدَجرد خرج إلى بَلْخ، ونزل الأحنف مَرْوَ الرّوذ؛ وقدم أهل الكوفة؛ فساروا إلى بَلْخ، وأتبعهم الأحنف، فالتقىٰ أهل الكوفة ويَزْدَجِرد ببلْخ ، فهزم الله يَزْدَجِرد، وتوجّه في أهل فارس إلى النهر فعبر، ولحق الأحنف بأهل الكوفة؛ وقد فتح الله عليهم؛ فبلْخُ من فتوح أهل الكوفة. وتتابع أهل خراسان ممن شذّ أو تحصّن على الصلح فيما بين نيسابور إلى طُخَارستان ممّن كان في مملكة كسرىٰ، وعاد الأحنف إلى مَرْو الرّوذ، فنزلها واستخلف على طُخَارستان ربعيّ بن عامر ، وهو الذي يقول فيه النجاشيّ ـ ونسبه إلى أمّه؛ وكانت من أشراف العرب ـ:

ألا رُبَّ مَن يُدْعَىٰ فتىً ليس بالفَتى ... ألا إنَّ رِبْعِيَّ بْنَ كأس هو الفَتى
طويلٌ قُعودُ القومِ في قَعْرِ بيتِهِ ... إذا شَبِعُوا من ثُفْلِ جَفْتِهِ سَقى

كتب الأحنف إلى عمر بفتْح خُراسان، فقال: لودِدت أني لم أكن بعثتُ إليها جنداً، ولودِدت أنه كان بيننا وبينها بحر من نار؛ فقال عليّ: ولمَ يا أمير المؤمنين؟! قال: لأنّ أهلَها سينفَضُّون منها ثلاث مرّات، فيُجتاحون في الثالثة، فكان أن يكون ذلك بأهلها أحبَّ إليّ من أن يكون بالمسلمين[١]. (٤: ١٦٦/ ١٦٧/ ١٦٨).

٥٧٤ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن أبي عبد الرحمن القزاريّ، عن أبي الجَنوب اليشكريّ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: لما قدِم عمر علىٰ فتح خُراسان، قال: لودِدت أنّ بيننا وبينها بحراً من نار، فقال عليّ: وما يشتدّ عليك من فتحها! فإنّ ذلك لموضع سرور، قال: أجل ولكني. . . حتىٰ أتىٰ على آخر الحديث[٢] (٤: ١٦٨).

٥٧٥ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عيسىٰ بن المغيرة، وعن رجل من بكر بن وائل يدعىٰ الوازع بن زيد بن خُلَيدة، قال: لما بلغ عمرَ غلبةُ الأحنف على المرْوَيْن ، وبلْخ، قال: وهو الأحنف، وهو سيّد أهل المشرق المسمّى غير اسمه. وكتب عمر إلى الأحنف: أما بعد، فلا تجوزَنّ النهر واقتصِرْ

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

على ما دونه، وقد عرفتم بأيّ شيء دخلتم على خراسان، فداوموا على الذي دخلتم به خراسان؛ يدمْ لكم النصر؛ وإيّاكم أن تعبروا فتفضّوا.

ولمّا بلغ رسولا يَزْدَجِرد خاقانَ وغوزك، لم يستتبّ لهما إنجادُه حتىٰ عبرَ إليهما النهر مهزوماً، وقد استتَبّ فأنجده خاقان ـ والملوك ترىٰ على أنفسها إنجادَ الملوك ـ فأقبل في الترك، وحشر أهل فَرْغانة والصُّغْد؛ ثم خرج بهم، وخرج يَزْدَجِرد راجعاً إلى خُراسان، حتى عبر إلى بَلْخ، وعبر معه خاقان، فأرز أهلُ الكوفة إلى مَرْو الرّوذ إلى الأحنف، وخرج المشركون من بَلْخ حتى نزلوا علىٰ الأحنف بمَرْو الرّوذ. وكان الأحنف حين بلغه عُبور خاقان والصُّغْد نهرَ بَلْخ غازياً له، خرج في عسكره ليلاً يتسمّع: هل يسمع برأي ينتفع به؟ فمرّ برجلين ينقّيان علفاً، إما تِبناً، وإما شعيراً، وأحدهما يقول لصاحبه: لو أن الأمير أسندَنا إلى هذا الجبل، فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقاً؛ وكان الجبل في ظهورنا من أن نُؤتى من خلفنا، وكان قتالنا من وجه واحد رجوت أن ينصرنا الله. فرجع واجتزأ بها، وكان في ليلة مظلمة، فلما أصبح جمع الناس، ثم قال: إنّكم قليل، وإنّ عدوكم كثير، فلا يهولنّكم؛ فـ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾؛ ارتحلوا من مكانكم هذا، فاسندوا إلى هذا الجبل، فاجعلوه في ظهوركم، واجعلوا النهر بينكم وبين عدوّكم، وقاتلوهم من وجه واحد. ففعلوا، وقد أعدّوا ما يصلحهم، وهو في عشرة آلاف من أهل البصرة وأهل الكوفة نحو منهم. وأقبلت الترك ومَنْ أجلبت حتى نزلوا بهم، فكانوا يغادونهم ويراوحونهم ويتنحَّوْن عنهم بالليل ما شاء الله. وطلب الأحنف عِلْم مكانهم بالليل، فخرج ليلة بعد ما علم علمَهم طليعة لأصحابه حتى كان قريباً من عسكر خاقان فوقف، فلمّا كان في وجه الصّبح خرج فارس من الترك بطوْقه، وضرب بطبله، ثم وقف من العسكر موقفاً يقفه مثله، فحمل عليه الأحنف، فاختلفا طعنتيْن، فطعنه الأحنف فقتله، وهو يرتجز ويقول:

إنَّ علىٰ كلِّ رَئيسٍ حَقّاً ... أنْ يَخْضِبَ الصَّعْدَةَ أو تَنْدَقّا

إنَّ لنا شَيْخاً بها مُلَقّىٰ ... سَيْفَ أبي حَفْصٍ الذي تَبقّىٰ

ثم وقف موقف التركيّ وأخذ طوقه، وخرج آخر من الترك، ففعل فعل

صاحبه الأوّل ، ثم وقف دونه فحمل عليه الأحنف ، فاختلفا طعنتين ، فطعنه الأحنف فقتله وهو يرتجز :

إنَّ الـــرَّئيـــسَ يَـــرتَبــي وَيَطْلُـــعُ ويَمْنَـــعُ الخُـــلاَّءَ إمّـــا أرْبعُـــوا

ثم وقف موقف التركيّ الثاني ، وأخذ طوقه ، ثم خرج ثالث من الترك ، ففعل فعل الرّجلين ، ووقف دون الثاني منهما ، فحمل عليه الأحنف ، فاختلفا طعنتيْن ، فطعنه الأحنف ، فقتله وهو يرتجز :

جَـرْيَ الشَّمــوسِ نــاجِــزاً بِنــاجِــزْ مُحْتَفِـــلاً فـــي جَـــرْيِـــهِ مُشَـــارِزْ

ثم انصرف الأحنف إلى عسكره؛ ولم يعلم بذلك أحد منهم حتى دخله واستعدّ. وكان من شيمة الترك : أنهم لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم كهؤلاء؛ كلُّهم يضرب بطبله ، ثم يخرجون بعد خروج الثالث ، فخرجت التُّرك ليلتئذ بعد الثالث ، فأتوْا على فرسانهم مقتّلين ، فتشاءم خاقان وتطيّر ، فقال: قد طال مقامنا ، وقد أصيبَ هؤلاء القوم بمكان لم يُصب بمثله قطّ؛ ما لنا في قتال هؤلاء القوم من خير ، فانصرِفوا بنا؛ فكان وجوههم راجعين ، وارتفع النهار للمسلمين ولا يروْن شيئاً ، وأتاهم الخبر بانصراف خاقان إلى بَلْخ. وقد كان يَزْدَجِرد بن شهريار بن كسرى تَرَكَ خاقان بمَرْو الرّوذ ، وخرج إلى مَرْو الشاهجان؛ فتحصّن منه حاتم بن النعمان ومَن معه ، فحصرهم واستخرج خزائنه من موضعها؛ وخاقان ببلْخ مقيم له ، فقال المسلمون للأحنف: ما ترى في اتّباعهم؟ فقال: أقيموا بمكانكم ودعوهم. ولما جمع يَزْدَجِرد ما كان في يديه مما وضع بمَرْو ، فأعجل عنه؛ وأراد أن يستقلّ به منها؛ إذْ هو أمر عظيم من خزائن أهل فارس ، وأراد اللّحاق بخاقان فقال له أهل فارس: أيّ شيء تريد أن تصنع؟ فقال: أريد اللّحاق بخاقان ، فأكون معه أو بالصّين ، فقالوا له: مهلاً؛ فإنّ هذا رأي سوء ، إنّك إنما تأتي قوماً في مملكتهم؛ وتَدَع أرضك وقومك؛ ولكن ارجع بنا إلى هؤلاء القوم فنصالحَهم؛ فإنهم أوفياء وأهل دين؛ وهم يلُون بلادنا ، وإنّ عدوّاً يلينا في بلادنا أحبّ إلينا مملكة من عدُوّ يلينا في بلاده ولا دينَ لهم؛ ولا ندري ما وفاؤهم؛ فأبَى عليهم وأبوْا عليه؛ فقالوا: فدَعْ خزائننا نردّها إلى بلادنا ومَن يليها ، ولا تُخرجها من بلادنا إلى غيرها ، فأبى؛ فقالوا: فإنّا لا نَدَعك؛ فاعتزلوا ، وتركوه في حاشيته ، فاقتتلوا ، فهزموه وأخذوا الخزائن ،

واستولوْا عليها ، ونكبوه ، وكتبوا إلى الأحنف بالخبر ، فاعترضَهم المسلمون والمشركون بمَرْو يثفنونه ، فقاتلوه وأصابوه في أُخَر القوم ، وأعجلوه عن الأثقال؛ ومضى مُوائلاً حتى قطع النهر إلى فرْغانة والترك؛ فلم يزل مقيماً زمان عمر رضي الله عنه كله يكاتبهم ويكاتبونه ، أو من شاء الله منهم. فكفر أهلُ خراسان زمانَ عثمان. وأقبل أهلُ فارس على الأحنف فصالحوه ، وعاقدوه ، ودفعوا إليه تلك الخزائن والأموال ، وتراجعوا إلى بلدانهم وأموالهم على أفضل ما كانوا في زمان الأكاسرة؛ فكانوا كأنما هم في مُلكهم؛ إلاّ أن المسلمين أوفَى لهم، وأعدل عليهم ، ما اعتَبطوا وغُبِّطوا؛ وأصاب الفارسَ يوم يَزْدَجِرد كسهم الفارس يوم القادسيّة.

ولما خلع أهل خراسان زمانَ عثمان؛ أقبل يَزْدَجِرد حتى نزل بمَرْو ، فلمّا اختلف هو ومن معه وأهل خراسان؛ أوَى إلى طاحونة ، فأتوْا عليه يأكلُ من كرد حول الرّحا ، فقتلوه ، ثم رموْا به في النهر.

ولما أصيب يَزْدَجِرد بمروَ ـ وهو يومئذ مختبىء في طاحونة يريد أن يطلب اللحاق بكَرْمان ـ فاحتوى فيئه المسلمون والمشركون ، وبلغ ذلك الأحنف ، فسار من فَوْره ذلك في الناس إلى بلْخ يريد خاقان ، ويتبع حاشية يَزْدَجِرد وأهله في المسلمين والمشركين من أهل فارس ، وخاقان والترك ببلْخ. فلما سمع بما ألْقى يَزْدَجِرد ، وبخروج المسلمين مع الأحنف من مَرْو الرّوذ نحوه ، ترك بلْخ ، وعبر النهر؛ وأقبل الأحنف حتى نزلَ بلْخ؛ ونزل أهل الكوفة في كُورها الأربع ، ثم رجع إلى مَرْو الرّوذ فنزل بها؛ وكتب بفتْح خاقان ويَزْدَجِرد إلى عمر ، وبعث إليه بالأخماس ، ووفَد إليه الوفود. قالوا: ولما عَبَر خاقان النهر ، وعبرت معه حاشية آل كسرى ، أو من أخذ نحو بَلْخ منهم مع يَزْدَجِرد؛ لقوا رسولَ يزدجرد الذي كان بعث إلى ملك الصين ، وأهدى إليه معه هدايا ، ومعه جواب كتابه من ملك الصين. فسألوه عمّا وراءه ، فقال: لما قدِمت عليه بالكتاب والهدايا كافأنا بما تروْن ـ وأراهم هديّته ـ وأجاب يَزْدجرد ، فكتب إليه بهذا الكتاب بعد ما كان قال لي: قد عرفت: أنّ حقًّا على الملوك إنجاد الملوك على مَنْ غَلبَهم ، فصِفْ لي صِفة هؤلاء القوم الّذين أخرجوكم من بلادكم؛ فإنّي أراك تذكر قلّةً منهم ، وكثرة منكم ، ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذين تصف منكم فيما أسمع من

كثرتكم إلاّ بخيرٍ عندهم ، وشرّ فيكم؛ فقلت: سلني عما أحببتَ ، فقال: أيوفون بالعهد؟ قلت: نعم ، قال: وما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم؟ قلت: يَدْعوننا إلى واحدة من ثلاث: إمّا دينهم فإن أجبناهم أجرونا مجراهم ، أو الجزية والمنْعة ، أو المنابذة. قال: فكيف طاعتهم أمراءهم؟ قلت: أطوَعُ قومٍ لمرشدِهم ، قال: فما يُحلّون ، وما يَحَرّمون؟ فأخبرته ، فقال: أيحرّمون ما حُلِّل لهم ، أو يحلون ما حرِّم عليهم؟ قلت: لا ، قال: فإنّ هؤلاء القوم لا يهلِكون أبداً؛ حتى يُحلّوا حرامَهم ، ويحرّموا حلالهم. ثم قال: أخبرني عن لباسهم؛ فأخبرته ، وعن مطاياهم ، فقلت: الخيل العِراب ـ ووصفتها ـ فقال: نعمت الحصُون هذه! ووصفتُ له الإبلَ وبروكها وانبعاثها بحملها ، فقال: هذه صفة دوابّ طوال الأعناق.

وكتب معه إلى يزدجرد كتاباً: إنه لم يمنعني أن أبعثَ إليك بجيش أوّله بمَرْو وآخره بالصّين الجهالةُ بما يحقّ عليّ، ولكن هؤلاء القوم الذين وصَف لي رسولك صفتَهم لو يحاولون الجبال لهدّوها، ولو خُلّي سَرْبهم أزالوني ما داموا على ما وصف؛ فسالمْهم وارضَ منهم بالمساكنة؛ ولا تُهجْهم ما لم يُهِيجُوك.

وأقام يَزْدَجِرد وآل كسرى بفَرْغانة ، معهم عهد من خاقان. ولمّا وقع الرسول بالفتح والوفد بالخبر ومعهم الغنائم بعمر بن الخطاب من قِبَل الأحنف ، جمع الناس وخطبهم، وأمر بكتاب الفتح فقرىء عليهم، فقال في خطبته: إنّ الله تبارك وتعالى ذكَر رسولَه ﷺ ، وما بعثه به من الهدى، ووعد على اتّباعه من عاجل الثواب وآجله خيرَ الدنيا والآخرة. فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾؛ فالحمد الذي أنجز وعده ، ونصر جنده. ألا إنّ الله قد أهلك ملك المجوسيّة ، وفرّق شملَهم ، فليسُوا يملكون من بلادهم شبراً يضرّ بمسلم. ألاَ وإنّ الله قد أورَثكم أرضَهم ، وديارَهم ، وأموالَهم ، وأبناءهم؛ لينظر كيف تعملون! ألا وإنّ المصرَيْن من مسالحها اليوم كأنتم والمصرَيْن فيما مضَى من البُعد ، وقد وغلوا في البلاد ، والله بالغ أمرَه ، ومنجز وعْده؛ ومتبع آخر ذلك أوّلَه ، فقوموا في أمره على رجل يوفِّ لكم بعهده ، ويؤتِكم وعدَه؛ ولا تبدّلوا ، ولا تغيّروا؛ فيستبدل الله

بكم غيركم؛ فإني لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلاّ من قِبَلكم[١]. (٤: ١٦٨/ ١٦٩/ ١٧٠/ ١٧١ / ١٧٢/ ١٧٣).

قال أبو جعفر: ثمّ إنّ أداني أهل خراسان وأقاصيه اعترضوا زمانَ عثمان بن عفان لسنتين خلتا من إمارته؛ وسنذكر بقيّة خبر انتقاضهم في موضعه إن شاء الله مع مقتل يَزْدَجِرد[٢]. (٤: ١٧٣).

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين

٥٧٦ ـ فكان فيها فتح إصْطَخْر في قول أبي مَعْشر، حدّثني بذلك أحمد بن ثابت الرازيّ، قال: حدّثنا محدّث عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: كانت إصْطَخر الأولى، وهَمَذان سنة ثلاث وعشرين. وقال الواقديّ مثل ذلك. وقال سيف: كان فتح إصْطَخر بعد توّج الآخرة[٣]. (٤: ١٧٤).

ذكر الخبر عن فتح تَوَّج

٥٧٧ ـ كتب إليّ السّريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، والمهلب، وعمرو، قالوا: خرج أهل البصرة الذين وُجّهوا إلى فارس أمراء على فارس؛ ومعهم سارية بن زُنَيم ومن بُعث معهم إلى ما وراء ذلك، وأهلُ فارس مجتمعون بتوّج؛ فلم يصمُدوا لجمعهم بجموعهم، ولكن قصد كلّ أمير كورة منهم قَصْدَ إمارته وكُورته التي أمر بها، وبلغ ذلك أهلَ فارس، فافترقوا إلى بلدانهم؛ كما افترق المسلمون ليمنعوها، وكانت تلك هزيمتهم وتشتُّت أمورهم وتفريق جموعهم؛ فتطيّر المشركون من ذلك؛ وكأنما كانوا ينظرون إلى ما صاروا إليه، فقصد مجاشع بن مسعود لسابور، وأردشير خُرّه فيمن معه من المسلمين، فالتقوْا بتوّج وأهل فارس، فاقتتلوا ما شاء الله. ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ هزَم أهل توّج للمسلمين، وسلّط عليهم المسلمين، فقتلوهم كلّ قِتلة، وبلغوا منهم ما شاؤوا، وغنّمهم ما في عسكرهم فحوَوْه؛ وهذه توّج الآخرة؛ ولم يكن لها بعدها

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

شوْكة ، والأولى التي تُنُقّذ فيها جنود العلاء أيّام طاووس ، الوقعة التي اقتتلوا فيها؛ والوقْعتان الأولى والآخرة كلتاهما متساجِلتان. ثم دُعُوا إلى الجِزْية والذّمة؛ فراجعوا وأقرّوا ، وخَمّس مجاشع الغنائم ، وبعث بها ، ووفّد وفداً ، وقد كانت البُشراء والوفود يجازون وتقضَى لهم حوائجهم ، لسنّة جرت بذلك من رسولِ الله ﷺ[1] . (٤ : ١٧٤/ ١٧٥).

فتح إصطَخر

٥٧٨ ـ وأما أبو معشر فإنّه قال: كانت فارس الأولى ، وإصطخر الآخرة في سنة ثمان وعشرين. قال: وكانت فارس الآخرة وجُور سنة تسع وعشرين؛ حدّثني بذلك أحمد بن ثابت الرازيّ ، قال: حدّثني من سمع إسحاق بن عيسى ، يذكر ذلك عن أبي معشر[2]. (٤ : ١٧٦).

٥٧٩ ـ وحدثني عبد الله بن أحمد بن شبّويه المروزيّ ، قال: حدّثني أبي ، قال: حدّثنا سليمان بن صالح ، قال: حدّثني عبيد الله ، قال: أخبرنا عبيد الله بن سليمان ، قال: كان عثمان بن أبي العاص أرسل إلى البَحْرين ، فأرسل أخاه الحكَم بن أبي العاص في ألفيْن إلى تَوّج؛ وكان كسرى قد فرّ عن المدائن ، ولحق بجُور من فارس[3]. (٤ : ١٧٦).

٥٨٠ ـ قال: فحدّثني زياد مولَى الحكَم بن أبي العاص عن الحكَم بن أبي العاص ، قال: قصد إلى شهرك ـ قال عبيد: وكان كسرى أرسله ـ قال الحكم: فصعد إليّ في الجنود ، فهبطوا من عَقَبة ، عليهم الحديد ، فخشيت أن تعشوَ أبصارُ الناس ، فأمرت منادياً ، فنادى: أنّ مَن كان عليه عمامة؛ فلْيلفّها على عينيه ، ومَنْ لم يكن عليه عمامة؛ فليغمّض بصَره؛ وناديت أن حُطّوا عن دوابّكم. فلما رأى شهرك ذلك حَطّ أيضاً. ثم ناديت: أن اركبوا ، فصففنا لهم وركبوا ، فجعلتُ الجارودَ العبديّ على الميمنة وأبا صُفْرة على الميسرة ـ يعني: أبا المهلّب ـ فحملوا على المسلمين فهزموهم؛ حتى ما أسمع لهم صوتاً ، فقال

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده مرسل ولم ندر من هو عبد الله.

لي الجارود: أيّها الأمير ! ذهب الجند ، فقلت: إنك سترى أمرك ، فما لبثنا أن رجعت خيلُهم ، ليس عليها فرسانها ، والمسلمون يتبعونهم يقتلونهم ، فنثرت الرؤوس بين يديّ ، ومعي بعض ملوكهم ـ يقال له المُكَعْبِر ، فارقَ كسرى ولحِق بي ـ فأتِيتُ برأس ضخم ، فقال المُكَعْبِر: هذا رأس الازدهاق ـ يعني: شهرك ـ فحوصروا في مدينة سابور ، فصالحهم ـ وملكهم آذَرْبِيان ـ فاستعان الحَكَم بآذَرْبيان على قتال أهل إصْطَخر ، ومات عُمر رضي الله عنه؛ فبعث عثمان عُبيدَ الله ابن معمر مكانَه ، فبلغ عبيد الله أن آذَرْبيان يريد أن يغدِر بهم ، فقال له: إنّي أحبّ أن تتخذ لأصحابي طعاماً ، وتذبح لهم بقرة ، وتجعل عظامها في الجَفنة التي تليني ، فإنّي أحبّ أن أتمشَّش العظام. ففعل ، فجعل يأخذ العظم الذي لا يكسر إلا بالفؤوس ، فكسره بيده ، فيتمخّخه ـ وكان من أشدّ الناس ـ فقام الملك ، فأخذ برجله ، وقال: هذا مقام العائذ. فأعطاه عهداً ، فأصابت عبيد الله منجنيقة ، فأوصاهم ، فقال: إنكم ستفتحون هذه المدينة إن شاء الله فاقتلوهم بي فيها ساعة. ففعلوا فقتلوا منهم بشراً كثيراً.

وكان عثمان بن أبي العاص لحق الحكَم ، وقد هزم شهرك ، فكتب إلى عمر: إنّ بيني وبين الكوفة فُرْجة أخاف أن يأتيَني العدوّ منها. وكتب صاحب الكوفة بمثل ذلك: إنّ بيني وبين كذا فُرجة. فاتفق عنده الكتابان ، فبعث أبا موسى في سبعمئة ، فأنزلهم البصرة[١]. (٤ : ١٧٦/ ١٧٧).

ذكر فتح فساودارا بِجَرْدَ

٥٨١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عمر دِثار بن أبي شبيب ، عن أبي عثمان وأبي عمرو بن العلاء ، عن رجل من بني مازن ، قالا: كان عمر قد بعث سارية بن زُنيم الدؤليّ إلى فَسا ودارَابِجِرْد؛ فحاصرهم. ثم إنهم تداعَوْا فأصحرُوا له ، وكثَرُوه فأتوه من كلّ جانب ، فقال عمر وهو يخطب في يوم جمعة: يا سارية بن زُنيم ! الجبل ، الجبل! ولما كان ذلك اليوم وإلى جنب المسلمين جبل ، إن لجؤوا إليه؛ لم يؤتوا إلاّ من وجه واحد ، فلجؤوا إلى الجبل ، ثم قاتلوهم فهزموهم ، فأصاب مغانمهم ، وأصاب في المغانم

---

(١) إسناده ضعيف.

سَفَطاً فيه جوهر ، فاستوهبه المسلمين لعمر ، فوهبوه له ، فبعث به مع رجل ، وبالفتح. وكان الرّسل والوفد يُجازون وتقضَى لهم حوائجهم ، فقال له سارية: استقرض ما تَبلَّغُ به وما تُخلِّفه لأهلك على جائزتك. فقدِم الرّجل البَصْرة ، ففعل ، ثمّ خرج فقدِم على عمر ، فوجده يُطعم الناس ، ومعه عصاه التي يزجُر بها بعيرَه ، فقصد له ، فأقبل عليه بها ، فقال: اجلس ، فجلَس حتى إذا أكل القوم؛ انصرف عمر ، وقام فاتبعه ، فظنّ عمر: أنه رجل لم يشبع ، فقال حين انتهى إلى باب داره: ادخُل ـ وقد أمر الخبّاز أن يذهب بالخِوان إلى مطبخ المسلمين ـ فلما جلس في البيت أتِيَ بغَدائه خبز وزيت وملح جَريش ، فوُضع ، وقال: ألا تخرجين يا هذه فتأكلين؟ قالت: إني لأسمع حسَّ رجل ، فقال: أجل ، فقالت: لو أردتَ أن أبرزَ للرجال اشتريتَ لي غير هذه الكسوة؛ فقال: أوَ ما ترضَيْن أن يقال: أمّ كلثوم بنت عليّ وامرأة عمر! فقالت: ما أقلّ غَناء ذلك عني! ثم قال للرجل: ادنُ فكلْ؛ فلو كانت راضيةً لكان أطيب مما تَرى ، فأكلا حتى إذا فرغ قال: رسولُ سارية بن زُنيم يا أمير المؤمنين ! فقال: مرحباً وأهلاً ، ثم أدناه حتى مسّت ركبتُهُ ركبَتَه ، ثم سأله عن المسلمين ، ثم سأله عن سارية بن زُنيم ، فأخبره ، ثم أخبره بقصّة الدُّرْج ، فنظر إليه ثم صاح به ، ثم قال: لا ولا كرامةَ حتى تقدم على ذلك الجند فتقسمه بينهم. فطرده ، فقال: يا أميرَ المؤمنين ! إني قد أنضيتُ إبلي واستقرضت في جائزتي ، فأعطني ما أتبلّغ به؛ فما زال عنه حتى أبدله بعيراً ببعيره من إبل الصدقة ، وأخذ بعيرَه فأدخله في إبل الصدقة ، ورجع الرسول مغضوباً عليه محروماً حتى قدم البصرة ، فنفذ لأمر عمر ، وقد كان سأله أهل المدينة عن سارية ، وعن الفتح وهل سمعوا شيئاً يوم الوقعة؟ فقال: نعم ، سمعنا: «يا سارية ، الجبل» ، وقد كدنا نهلِك ، فلجأنا إليه ، ففتح الله علينا[1]. (٤ : ١٧٨/ ١٧٩).

٥٨٢ ـ كتب إليَّ السريّ ، عن شعيب عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبيّ ، مثل حديث عمرو[2]. (٤ : ١٧٩).

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة وأغلب الظن أنه من شعيب فهو معروف بتحامله علىٰ الصحابة.

(٢) إسناده ضعيف.

ذكر فتح كَرْمان

٥٨٣ ـ كتبَ إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، والمهلب ، وعمرو؛ قالوا: وقصد سُهَيل بن عديّ إلى كَرْمان ، ولحقه عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان ، وعلى مقدّمة سُهيلِ بن عديّ النُّسير بن عمرو العِجْليّ ، وقد حشد له أهل كَرْمان ، واستعانوا بالقُفْس؛ فاقتتلوا في أدنى أرضهم ، ففضّهم الله ، فأخذوا عليهم بالطريق ، وقتَل النُّسَيرُ مرزبانَها ، فدخل سهيل من قِبَل طريق القُرى اليومَ إلى جِيَرفْت ، وعبد الله بن عبد الله من مفازة شير ، فأصابوا ما شاؤوا من بعير أو شاء ، فقوّموا الإبل والغنم فتحاصُّوها بالأثمان لعظَم البُخْت على العِراب ، وكرهوا أن يزيدوا ، وكتبوا إلى عمر؛ فكتب إليهم: إنّ البعير العربيّ إنما قُوّم بتعيير اللحم؛ وذلك مثله؛ فإذا رأيتم أنّ في البُخت فضلاً؛ فزيدوا ، فإنما هي من قِيَمه.

ذكر فتح سِجِسْتَان

قالوا: وقصد عاصم بن عمرو لسِجِسْتَان ، ولحقه عبد الله بن عمير ، فاستقبلوهم فالتقوْا هم وأهل سجستان في أدنى أرضهم ، فهزموهم ثم أتبعوهم ، حتى حصروهم بزَرَنْج ، ومخروا أرض سِجِسْتان ما شاؤوا. ثمّ إنهم طلبوا الصّلح على زَرَنْج وما احتازوا من الأرَضين؛ فأعطُوه ، وكانوا قد اشترطوا في صلحهم: أنّ فدافِدَها حِمىً؛ فكان المسلمون إذا خرجوا تناذَرُوا خِشية أن يصيبوا منها شيئاً ، فيُخْفِروا. فتمّ أهلُ سِجِسْتان على الخراج والمسلمون على الإعطاء؛ فكانت سِجِسْتان أعظمَ من خُراسَان ، وأبعد فروجاً ، يقاتلون القُنْدُهار والترك وأمماً كثيرة ، وكانت فيما بين السند إلى نهر بَلْخ بحياله ، فلم تَزلْ أعظم البلدين ، وأصعب الفَرْجين ، وأكثرهما عدداً وجُنداً؛ حتى زمان معاوية ، فهرب الشاه من أخيه ـ واسم أخي الشاه يومئذ رُتْبيل ـ إلى بلد فيها يدعى آمل ، ودانوا لسِلْم بن زياد ، وهو يومئذ على سِجستان ، ففرِح بذلك وعقد لهم ، وأنزلهم بتلك البلاد ، وكتب إلى معاوية بذلك يُرى أنه قد فُتح عليه. فقال معاوية: إنّ ابن أخي ليفرِح بأمر إنه ليَحزُنُني وينبغي له أن يحزنه ، قالوا: ولمَ يا أمير المؤمنين؟! قال: لأنّ آمُلَ بلدة بينها وبين زَرَنْج صُعوبة وتضايُق ، وهؤلاء قوم نُكر غُدُر ،

فيضطرب الحبل غداً ، فأهون ما يجيء منهم أن يغلبوا على بلاد آمُل بأسرها. وتمّ لهم على عهد ابن زياد؛ فلمّا وقعت الفتنة بعد معاوية كفر الشاه ، وغلَب على آمُل ، وخاف رُتبِيل الشاه فاعتصم منه بمكانه الذي هو به اليوم ، ولم يُرْضِه ذلك حين تشاغل الناس عنه حتى طمع في زَرَنْج ، فغزاها فحصرهم حتى أتتهم الأمداد من البصرة ، فصار رُتبيل والذين جاؤوا معه؛ فنزلوا تلك البلاد شَجاً لم يُنْتَزَعْ إلى اليوم؛ وقد كانت تلك البلاد مذلّلة إلى أن مات معاوية.

فتح مُكران

قالوا: وقصد الحكَم بن عمرو التغلبيّ لمُكْران؛ حتى انتهى إليها ، ولحق به شهاب بن المخارق بن شهاب ، فانضمّ إليه ، وأمدّه سهيل بن عديّ ، وعبد الله بن عبد الله بن عِتبان بأنفسهما ، فانتهوا إلى دُوَين النهر ، وقد انفضّ أهل مُكْران إليه حتى نزلوا على شاطئه ، فعسكروا ، وعبَر إليهم راسل ملكهم ملكَ السند ، فازدلف بهم مستقبلَ المسلمين. فالتقوْا فاقتتلوا بمكان من مُكْران من النهر على أيام ، بعد ما كان قد انتهى إليه أوائلهم ، وعسكروا به ليلحق أخراهم ، فهزم الله راسل ، وسلَبه ، وأباح المسلمين عسكره ، وقتلوا في المعركة مقتلة عظيمة ، وأتبعوهم يقتلونهم أياماً ، حتى انتهوا إلى النهر. ثم رجعوا فأقاموا بمُكْران. وكتب الحكَم إلى عمر بالفتح ، وبعث بالأخماس مع صُحار العبديّ ، واستأمره في الفِيَلة ، فقدم صُحار على عمر بالخبر والمغانم ، فسأله عمر عن مُكْران ـ وكان لا يأتيه أحد إلا سأله عن الوجه الذي يجيء منه ـ فقال: يا أمير المؤمنين! أرض سهلها جَبَل ، وماؤها وشَل ، وتمرها دَقَل ، وعدوّها بطل ، وخيرها قليل ، وشرّها طويل ، والكثير بها قليل ، والقليلُ بها ضائع ، وما وراءها شرّ منها. فقال: أسَجّاعٌ أنت أم مخبِر؟ قال: لا؛ بل مخبر ، قال: لا ، والله لا يغزوها جيش لي ما أُطِعْتُ؛ وكتب إلى الحكم بن عمرو ، وإلى سهيل ألاّ يجوزَنّ مُكْران أحد من جنودكما ، واقتصرا على ما دون النهر! وأمره ببيع الفيَلة بأرض الإسلام ، وقَسْم أثمانها على مَنْ أفاءها الله عليه.

وقال الحكَم بن عمرو في ذلك:

لقد شَبِعَ الأرامِلُ غَيْرَ فَخْرٍ ... بفيءٍ جاءَهُمْ من مُكُّرانِ

أتــاهــمْ بعــد مَسْغَبَــةٍ وجَهْــدٍ وقــد صَفِــرَ الشِّتــاءُ مــن الــدُّخــانِ
فــإنِّــي لا يَــذُمُّ الجيــشُ فِعْلــي ولا سَيْفــي يُــذَمُّ ولا سِنــانــي
غَــداةَ أُدَفِّــعُ الأوْبــاشَ دَفْعــاً إلــى السِّنــدِ العَــريضــةِ والمَــدانــي
ومِهْــرانٌ لنــا فيمــا أرَدْنــا مطيــعٌ غَيْــرَ مُسْتَــرْخــي العِنــان
فلَــوْلا مــا نهــى عنــه أميــري قطَعنــاه إلــى البُــدُدِ الــزَّوانــي

خبر بَيْرُوذ من الأهواز

قالوا: ولما فَصلت الخيول إلى الكُور؛ اجتمع بِبَيْروذ جمعٌ عظيم من الأكراد وغيرهم، وكان عمر قد عهد إلى أبي موسى حين سارت الجنود إلى الكُور أن يسير حتى ينتهي إلى ذِمّة البصرة، كي لا يؤتَى المسلمون من خَلْفهم، وخشيَ أن يُسْتلحم بعضُ جنوده، أو ينقطع منهم طرَف، أو يخلَفوا في أعقابهم؛ فكان الذي حذر من اجتماع أهل بيروذ؛ وقد أبطأ أبو موسى حتى تجمعوا، فخرج أبو موسى حتى ينزِل ببَيْروذ على الجمْع الذي تجمّعوا بها في رمضان، فالتقَوْا بين نهر نيري ومناذر؛ وقد توافَى إليها أهلُ النَّجدات من أهل فارس والأكراد؛ ليكيدوا المسلمين، وليُصيبوا منهم عَوْرة ولم يشكّوا في واحدة من اثنتين. فقام المهاجر بن زياد وقد تحنّط واستقتل، فقال لأبي موسى: أقسِمْ على كلّ صائم لَمّا رجع فأفطر. فرجع أخوه فيمن رجع لإبرار القسَم، وإنما أراد بذلك توجيه أخيه عنه لئلا يمنعه من الاستقتال؛ وتقدّم فقاتل حتى قتِل، ووهّن الله المشركين حتى تحصّنوا في قِلّة وذلّة؛ وأقبل أخوه الربيع، فقال: هَنِيءَ يا والع الدنيا؛ واشتدّ جزعُه عليه؛ فرقّ أبو موسى للربيع للذي رآه دخله مِن مصاب أخيه، فخلّفه عليهم في جُند؛ وخرج أبو موسى حتى بلَغ أصبهان، فلقِيَ بها جنودَ أهل الكوفة محاصري جَيّ، ثم انصرف إلى البصرة؛ بعد ظفر الجنود، وقد فتح الله على الرّبيع بن زياد أهل بيروذ من نهر تيري؛ وأخذ ما كان معهم من السَّبْي، فتنقّى أبو موسى رجالاً منهم ممن كان لهم فداء ـ وقد كان الفداء أردّ على المسلمين من أعيانهم وقيمتهم فيما بينهم ـ ووفّد الوفود والأخماس؛ فقام رجل من عَنَزة فاستوفده؛ فأبى؛ فخرج فسعى به فاستجلبه عمر، وجمع بينهما فوجد أبا موسى أعذَر إلاّ في أمر خادمه، فضعّفه فردّه إلى عمله، وفجّر الآخر؛ وتقدّم إليه في ألاّ

يعود لمثلها[1]. (٤ : ١٨٠/ ١٨١/ ١٨٢/ ١٨٣/ ٨٤ .

٥٨٤ ـ وأما المدائنيّ ، فإنه ذكر: أنّ عليّ بن مجاهد أخبره عن حَنْبل بن أبي حريدة ـ وكان قاضي قُهِسْتان ـ عن مَرْزُبان قُهِستان ، قال: فتح كَرْمان عبد الله بن بُدَيل بن ورقاء الخُزاعيّ في خلافة عمر بن الخطاب ، ثم أتى الطَّبَسَيْن من كَرْمان ، ثم قدم على عمر ، فقال: يا أميرَ المؤمنين! إني افتتحت الطَّبَسَيْن فأقطعْنِيهما ، فأراد أن يفعل ، فقيل لعمر: إنهما رُستاقان عظيمان ، فلم يُقطعه إيّاهما؛ وهما بابا خُراسان[2] (٤ : ١٨٠).

٥٨٥ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، والمهلب ، وعمرو ، قالوا: لما رَجع أبو موسى عن أصبهان بعد دخول الجنود الكُور ، وقد هزم الربيع أهلَ بيروذ ، وجمع السَّبي والأموال؛ فغدا على ستين غلاماً من أبناء الدّهاقين تنقّاهم ، وعزلهم؛ وبعث بالفتح إلى عمر ، ووفّد وفداً فجاءه رجلٌ من عَنَزة ، فقال: اكتبني في الوفْد ، فقال: قد كتبنا مَن هو أحقّ منك. فانطلق مغاضباً مراغماً ، وكتب أبو موسى إلى عمر: إنّ رجلاً من عَنَزة يقال له: ضبّة بن محْصَن ، كان من أمره . . . وقصّ قِصّته. فلما قدِم الكتاب ، والوفد ، والفتح على عمر؛ قدم العَنَزيّ ، فأتى عمر ، فسلم عليه ، فقال: مَنْ أنت؟ فأخبره ، فقال: لا مرحباً ولا أهلاً! فقال: أما المَرْحب فمن الله ، وأما الأهل فلا أهل؛ فاختلَف إليه ثلاثاً ، يقول له هذا ، ويردّ عليه هذا؛ حتى إذا كان في اليوم الرابع؛ دخل عليه ، فقال: ماذا نقِمْتَ على أميرك؟ قال: تنقَّى ستين غلاماً من أبناء الدّهاقين لنفسه؛ وله جارية تدعى عَقيلة ، تُغدَّى جَفْنة وتُعشَّى جفنة ، وليس منا رجلٌ يقدر على ذلك؛ وله قفيزان ، وله خاتمان ، وفوّض إلى زياد بن أبي سفيان ـ وكان زياد يلي أمورَ البصرة ـ وأجاز الحطيئة بألف. فكتب عمر كلّ ما قال.

فبعث إلى أبي موسى؛ فلما قدم حَجَبه أياماً ، ثم دعا به ، ودَعا ضبّة بن محْصن؛ ودفع إليه الكتاب ، فقال: اقرأ ما كتبت ، فقرأ: أخذ ستين غلاماً

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

لنفسه. فقال أبو موسى: دُلِلتُ عليهم وكان لهم فداء ففديتُهم، فأخذته فقسمته بين المسلمين؛ فقال ضبّة: والله ما كذب ولا كذبتُ! وقال: له قفيزان؛ فقال أبو موسى: قفيز لأهلي أقوتُهم، وقفيز للمسلمين في أيديهم؛ يأخذون به أرزاقهم؛ فقال ضَبّة: والله ما كذب، ولا كذبتُ! فلما ذكر عَقِيلة سكت أبو موسى، ولم يعتذر؛ وعلم: أنّ ضبّة قد صدقه. قال: وزياد يلي أمور الناس، ولا يعرف هذا ما يلي؛ قال: وجدت له نُبْلاً ورأياً، فأسندت إليه عملي. قال: وأجاز الحطيئة بألف، قال: سددتُ فَمَه بمالي أن يشتمني، فقال: قد فعلت ما فعلتَ. فردّه عمر، وقال: إذا قدمتَ فأرسل إليّ زياداً وعقِيلة، ففعل، فقدمت عقيلة قبل زياد؛ وقدم زياد فقام بالباب، فخرج عمر؛ وزياد بالباب قائم، وعليه ثياب بياض كتّان، فقال له: ما هذه الثياب؟ فأخبره، فقال: كم أثمانُها؟ فأخبره بشيء يسير، وصدّقه، فقال له: كم عطاؤك؟ قال: ألفان، قال: ما صنعت في أوّل عطاء خرج لك؟ قال: اشتريت والدتي فأعتقتها، واشتريت في الثاني ربيبي عُبَيْداً فأعتقتُه، فقال: وفِّقْت، وسأله عن الفرائض والسنن والقرآن، فوجده فقيهاً. فردّه، وأمر أمراء البصرة أن يشربوا برأيه، وحبس عَقِيلة بالمدينة. وقال عمر: ألا إنّ ضبّة العَنَزِيّ غضب على أبي موسى في الحق أن أصابه، وفارقه مراغِماً أن فاته أمر من أمور الدنيا، فصدق عليه وكذب، فأفسد كذبُه صدقَه؛ فإيّاكم والكذبَ؛ فإن الكذب يهدي إلى النار. وكان الحطيئة قد لقيَه فأجازه في غَزاة بيروذ، وكان أبو موسى قد ابتدأ حصارهم وغزاتهم حتى فلّهم، ثم جازهم ووكّل بهم الربيع؛ ثم رجع إليهم بعد الفتح فولِيَ القسم[1]. (٤: ١٨٤/ ١٨٥/ ١٨٦).

٥٨٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن أبي عمرو، عن الحسن، عن أسيد بن المتشمّس بن أخي الأحنف بن قيس، قال: شهدتُ مع أبي موسى يوم أصبَهان فتح القُرَى، وعليها عبد الله بن وَرْقاء الرّياحيّ،

(١) إسناده ضعيف جداً، وكذلك رواه عمر بن شبة في تأريخ المدينة مطولاً، وقال الشيخ الدويش في الحاشية معقباً على إسناد ابن شبة: رجاله رجال الصحيح إلاّ يزيد بن عبد الله الباهلي وقد سكت عنه البخاري وابن أبي حاتم وذكر أنه روىٰ عنه حميد بن هلال ومغيرة بن النعمان (تأريخ المدينة المنورة ٦/ ٣/ ٢٨).

وعبد الله بن ورقاء الأسديّ. ثم إنّ أبا موسى صُرِف إلى الكوفة ، واستُعمل على البَصْرة عمر بن سراقة المخزومي ، بدويّ.

ثم إنّ أبا موسى رُدّ على البصرة ، فمات عمر ؛ وأبو موسى على البصرة على صلاتها ، وكان عملها مفترقاً غير مجموع؛ وكان عمر ربما بعث إليه ، فأمدّ به بعض الجنود ، فيكون مدَداً لبعض الجيوش[1] . (٤ : ١٨٦) .

ذكر الخبر عن وفاة عمر
وفي هذه السنة كانت وفاته

ذكر الخبر عن مقتله :

٥٨٧ ـ حدّثني سلم بن جُنادة ، قال: حدّثنا سُليمان بن عبد العزيز بن أبي ثابت بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، قال: حدّثنا أبي عن عبد الله بن جعفر ، عن أبيه ، عن المِسْور بن مخْرمة. ـ وكانت أمّه عاتكة بنت عوف ـ قال: خرج عمر بن الخطاب يوماً يطوف في السوق ، فلقيَه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة؛ وكان نَصرانيّاً ، فقال: يا أميرَ المؤمنين ! أعْدِني على المغيرة بن شعبة؛ فإنّ عليّ خراجاً كثيراً ! قال: وكم خراجُك؟ قال: درهمان في كلّ يوم ، قال: وأيش صناعتك؟ قال: نجّار ، نقّاش ، حدّاد ، قال: فما أرى خراجَك بكثير على ما تَصنع من الأعمال؛ قد بلغني أنك تقول: لو أردتُ أن أعملَ رحاً تطحن بالريح؛ فعلت ، قال: نعم. قال: فاعمل لي رحاً. قال: لئن سلمتُ لأعملنّ لك رحاً يتحدّث بها مَنْ بالمشرق والمغرب ، ثم انصرف عنه؛ فقال عمر رضي الله تعالى عنه: لقد توعّدني العبد آنفاً! قال: ثمّ انصرف عمر إلى منزله؛ فلما كان من الغد جاءه كعب الأحبار فقال له: يا أمير المؤمنين ! اعهد ، فإنك ميّت في ثلاثة أيام؛ قال: وما يُدريك؟ قال: أجده في كتاب الله عزّ وجلّ التوراة ، قال عمر: آللهَ إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟! قال: اللهمّ لا؛ ولكني أجد صفتَك ، وحِلْيتك ، وأنه قد فني أجلُك ـ قال: وعمر لا يُحسُّ وجعاً ولا ألماً ـ فلما كان من الغد جاءه كعب ، فقال: يا أميرَ المؤمنين ! ذهب يوم

---

(١) إسناده ضعيف.

وبقي يومان؛ قال: ثمّ جاءه من غدِ الغد؛ فقال: ذهب يومان وبقيَ يوم وليلة؛ وهي لك إلى صبيحتها. قال: فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة، وكان يوكّل بالصّفوف رجالاً، فإذا استوت؛ جاء هو فكبّر. قال: ودخل أبو لؤلؤة في الناس، في يده خنجر له رأسان نصابه في وسطه، فضرب عمر ستّ ضربات، إحداهنّ تحت سُرّتِه؛ وهي التي قتلته؛ وقتل معه كُليب بن أبي البُكَيْر الليثيّ ـ وكان خلفه ـ فلما وجد عمر حرّ السلاح سقط، وقال: أفي الناس عبد الرحمن بن عوف؟ قالوا: نعم يا أميرَ المؤمنين! هو ذا. قال: تقدّم فصلّ بالناس، قال: فصلى عبدُ الرحمن بن عوف، وعمر طريح، ثم احتمِل فأدخل داره، فدعا عبد الرحمن بن عوف، فقال: إني أريد أن أعهَد إليك؛ فقال: يا أميرَ المؤمنين! نعم إن أشرت عليّ؛ قبلت منك؛ قال: وما تريد؟ قال: أنشدك الله! أتشير عليّ بذلك؟ قال: اللهم لا! قال: والله لا أدخل فيه أبداً! قال: فهبْ لي صمتاً حتى أعهد إلى النّفر الذين تُوفّيَ رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ. ادعُ لي عليّاً، وعثمان، والزبير، وسعداً. قال: وانتظروا أخاكم طلحة ثلاثاً فإن جاء وإلا فاقضوا أمركم؛ أنشدك الله يا عليّ إن وَلِيتَ من أمور الناس شيئاً أن تحمل بني هاشم على رقاب الناس! أنشدك الله يا عثمان إن وَليت من أمور الناس شيئاً أن تحمل بني أبي مُعيط على رقاب الناس! أنشدك الله يا سعد إن وَلِيت من أمور الناس شيئاً أن تحمل أقاربك على رقاب الناس! قوموا فتشاوروا ثم اقضوا أمرَكم، وليصلّ بالناس صُهيب.

ثم دعا أبا طلحة الأنصاريّ، فقال: قم على بابهم، فلا تدعْ أحداً يدخل إليهم، وأوصي الخليفة من بعدي بالأنصار الذين تبوؤوا الدار والإيمان، أن يُحسِن إلى محسنهم، وأن يعفو عن مسيئهم؛ وأوصي الخليفة من بعدي بالعرب؛ فإنها مادّة الإسلام، أن يؤخذ من صدقاتهم حقها فيوضع في فقرائهم، وأوصي الخليفة من بعدي بذمّة رسول الله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم، اللهم هل بلّغت! تركتُ الخليفة من بعدي على أنقَى من الراحة؛ يا عبد الله بن عمر! اخرج فانظر مَنْ قتلني؟ فقال: يا أمير المؤمنين! قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، قال: الحمد لله الذي لم يجعل منيّتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة! يا عبد الله بن عمر! اذهب إلى عائشة فسلْها أن تأذن لي أن أدفن مع النبي ﷺ

وأبي بكر ، يا عبدَ الله بن عمر ، إن اختلف القوم فكن مع الأكثر ؛ وإن كانوا ثلاثة وثلاثة فاتّبع الحزب الذي فيه عبد الرحمن. يا عبد الله ! ائذن للناس ، قال: فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار فيسلمون عليه ، ويقول لهم: أعن ملأٍ منكم كان هذا؟ فيقولون: معاذ الله! قال: ودخل في الناس كعب ، فلما نظر إليه عمر أنشأ يقول:

فـأَوعَـدَنـي كعـبٌ ثـلاثـاً أُعـدُّهـا ... ولا شكَّ أن القولَ ما قال لي كعبُ

ومـا بـي حِـذارُ المـوتِ إنّـي لمَيِّـتٌ ... ولكـنْ حِـذارُ الـذَّنـبِ يَتْبَعُـهُ الـذَّنْـبُ

قال: فقيل له: يا أميرَ المؤمنين ! لو دعوتَ الطبيبَ! قال: فدعي طبيب من بني الحارث بن كعب ، فسقاه نبيذاً فخرج النبيذ مشكّلاً ، قال: فاسقوه لبناً ، قال: فخرج اللبن محضاً ، فقيل له: يا أمير المؤمنين ! اعهد ، قال: قد فرغت.

قال: ثم توفي ليلة الأربعاء لثلاث ليال بقين من ذي الحجّة سنة ثلاثٍ وعشرين. قال: فخرجوا به بكْرة يوم الأربعاء ، فدفن في بيت عائشة مع النبيّ ﷺ وأبي بكر. قال: وتقدّم صُهيب فصلّى عليه ، وتقدّم قبل ذلك رجُلان من أصحاب رسول الله ﷺ : عليّ ، وعثمان ، قال: فتقدّم واحد من عند رأسه ، والآخر من عند رجليه؛ فقال عبد الرحمن: لا إله إلا الله؛ ما أحرصكما على الإمرة! أما علمتما أنّ أمير المؤمنين قال: لِيُصَلِّ بالناس صهيب! فتقدّم صهيب فصلّى عليه. قال: ونزل في قبره الخمسة[1] . (٤ : ١٩٠/ ١٩١/ ١٩٢/ ١٩٣).

قال أبو جعفر: وقد قيل: إن وفاته كانت في غرّة المحرّم سنة أربع وعشرين. (٤ : ١٩٣) .

ذكر من قال ذلك:

٥٨٨ - حدّثني الحارث ، قال: حدثنا محمد بن سعد ، قال: أخبرنا محمد ابن عمر ، قال: حدّثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه قال:

---

(١) في إسناده عبد العزيز وهو متروك ، وفي متنه نكارة شديدة ، والروايات الصحيحة (كما في قسم الصحيح) لم تذكر بأي شكل من الأشكال ما في متن هذه الرواية من النكارة والتهجم على صحابة رسول الله واتهامهم بالحرص على الإمارة. وسنتحدث عن قصة وفاة عمر الذي أوصى به في قسم الصحيح عند الحديث عن الشورى في نهاية سيرة سيدنا عمر (٤/ ٢٢٧).

طُعِن عمر رضي الله تعالى عنه يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين ، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرّم سنة أربع وعشرين؛ فكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين ليلةً ، من متوفَّى أبي بكر ، على رأس اثنتين وعشرين سنة وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً من الهجرة. وبويع لعثمان بن عفان يوم الإثنين لثلاث مضين من المحرّم.

قال: فذكرت ذلك لعثمان الأخنسيّ ، فقال: ما أراك إلا وهِلْت؛ توفّي عمر رضي الله تعالى عنه لأربع ليال بقيـن من ذي الحجـة ، وبويع لعثمان بن عفّان لليلةٍ بقيت من ذي الحجّة ، فاستقبل بخلافته المحرّم سنة أربع وعشرين[١] . (٤ : ١٩٣/ ١٩٤) .

٥٨٩ ـ وحدّثني أحمدُ بن ثابت الرازيّ ، قال: حدّثنا محدّث عن إسحاق ابن عيسى ، عن أبي معشر ، قال: قتل عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجّة تمام سنة ثلاث وعشرين ، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام؛ ثم بويع عثمان بن عفان[٢] . (٤ : ١٩٤) .

٥٩٠ ـ قال أبو جعفر: وأما المدائنيّ؛ فإنه قال فيما حدّثني عمر عنه ، عن شريك ، عن الأعمش ـ أو عن جابر الجُعفيّ ـ عن عوف بن مالك الأشجعيّ وعامر بن أبي محمد ، عن أشياخ من قومه؛ وعثمان بن عبد الرحمن ، عن ابْنَي شهاب الزُّهريّ ، قالوا: طُعِن عمر يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة. قال: وقال غيرهم: لستّ بقين من ذي الحجة[٣] . (٤ : ١٩٤) .

٥٩١ ـ وأما سيف؛ فإنه قال: فيما كتب إليّ به السريّ يذكر: أن شعيباً حدّثه عنه ، عن خُليد بن ذَفَرة ، ومجالد ، قال: استُخلف عثمان لثلاث مضين من المحرم سنة أربع وعشرين ، فخرج فصلّى بالناس العصر. وزاد: ووفّد فاستُنّ به[٤] . (٤ : ١٩٤) .

---

(١) في إسناده الواقدي وهو متروك.

(٢) في إسناده مبهم.

(٣) إسناده ضعيف.

(٤) إسناده ضعيف.

٥٩٢ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبيّ ، قال: اجتمع أهلُ الشورى على عثمان؛ لثلاثٍ مضين من المحرّم؛ وقد دخل وقت العصر ، وقد أذّن مؤذن صهيب ، واجتمعوا بين الأذان والإقامة ، فخرج فصلّى بالناس ، وزاد الناس مئة؛ ووفّد أهل الأمصار ، وصنع فيهم. وهو أوّل من صنع ذلك[١] . (٤ : ١٩٤) .

٥٩٣ - وحُدّثت عن هشام بن محمد ، قال: قتل عمر لثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام[٢] . (٤ : ١٩٤) .

تسميته بالفاروق

٥٩٤ - حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا ابنُ سعد ، قال: أخبرنا محمد بن عمر ، قال: حدّثنا أبو حَزْرة يعقوب بن مجاهد عن محمد بن إبراهيم ، عن أبي عمرو ذكْوان ، قال: قلتُ لعائشة: من سمّى عمر الفاروق؟ قالت: النبيّ ﷺ[٣] . (٤ : ١٩٥) .

ذكر صفته

٥٩٥ - وحدثني الحارث ، قال: حدّثنا ابن سعد ، قال: أخبرنا محمد بن عمر ، قال: حدّثنا عمر بن عمران بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر عن عاصم بن عبيد الله ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، قال: رأيت عمرَ رجلاً أبيض أمْهَق ، تعلُوه حُمرة ، طُوالاً أصلع[٤] . (٤ : ١٩٦) .

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) في إسناده الواقدي وهو متروك.
(٤) إسناده ضعيف.

ذكر مولده ومبلغ عمره

٥٩٦ ـ حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا ابن سعد ، قال: أخبرنا محمد بن عمر ، قال: حدّثني أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه ، عن جَدّه ، قال: سمعتُ عمر بن الخطاب ، يقول: وُلِدت قبل الفجار الأعظم الآخر بأربع سنين[١]. (٤ : ١٩٧).

قال أبو جعفر: واختلف السلف في مبلغ سني عمر ، فقال بعضهم: كان يوم قتل ابنَ خمس وخمسين سنة.

ذكر بعض من قال ذلك:

٥٩٧ ـ حدّثني زيد بن أخزم الطائي ، قال: حدّثنا أبو قتيبة عن جرير بن حازم ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال: قتل عمر بن الخطّاب وهو ابن خمس وخمسين سنة[٢]. (٤ : ١٩٧).

٥٩٨ ـ وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكَم ، قال: حدّثنا نُعيم ابن حمّاد ، قال: حدّثنا الدراوَرْديّ عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال: توفي عمر وهو ابن خمس وخمسين سنة[٣]. (٤ : ١٩٧).

٥٩٩ ـ وحُدّثت عن عبد الرزاق ، عن ابن جريج ، عن ابن شهاب: أنّ عمر توفي على رأس خمس وخمسين سنة[٤]. (٤ : ١٩٧).

وقال آخرون: كان يوم توفِّي ابن ثلاث وخمسين سنة وأشهر.

ذكر من قال ذلك:

حدِّثت بذلك عن هشام بن محمد بن الكلبيّ. (٤ : ١٩٧).

وقال آخرون: تُوفّي وهو ابن إحدى وستين سنة. (٤ : ١٩٨)

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) إسناده ضعيف.

ذكر من قال ذلك:

٦٠٠ ـ حُدّثت بذلك عن أبي سلَمة التَّبُوذَكيّ ، عن أبي هلال ، عن قتَادة[١]. (٤ : ١٩٨).

وقال آخرون: تُوُفِّيَ وهو ابن ستّين سنة.

ذكر من قال ذلك:

٦٠١ ـ حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا ابنُ سعد ، قال: أخبرنا محمد بن عمر ، قال: حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال: تُوفِّيَ عمر وهو ابن ستين سنة.

قال محمد بن عمر: ـ وهذا أثبت الأقاويل عندنا ـ وذكر عن المدائنيّ: أنه قال: توفِّيَ عمر وهو ابن سبع وخمسين سنة[٢]. (٤ : ١٩٨).

ذكر أسماء ولده ونسائه

٦٠٢ ـ حدّثني أبو زيد عمر بن شبّة عن عليّ بن محمد والحارث ، عن محمد بن سعد ، عن محمد بن عمر. وحُدّثت عن هشام بن محمد ـ اجتمعت معاني أقوالهم ، واختلفت الألفاظ بها ـ قالوا: تزوّج عُمَر في الجاهلية زينب بنة مظعون بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح ، فولدت له عبد الله ، وعبد الرحمن الأكبر ، وحفصة.

وقال عليّ بن محمد: وتزوّج مليكة ابنة جَرْوَل الخُزاعيّ في الجاهليّة ، فولدت له عبيد الله بن عمر ، ففارقها في الهُدْنة ، فخلف عليها بعد عمر أبو الجهم بن حُذيفة.

وأما محمّد بن عمر ، فإنه قال: زيد الأصغر ، وعبيد الله الذي قتل يوم صِفّين مع معاوية أمّهما أمّ كلثوم بنت جَرْول بن مالك بن المسيّب بن ربيعة بن أصرم بن

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) في إسناده الواقدي وهو متروك ، وما رجحه مخالف لما في الرواية الصحيحة التي ذكرناها في قسم الصحيح أنه توفي وهو ابن (٦٣ سنة) رضي الله عنه كما عند الترمذي والطبري والله أعلم.

ضَبِيس بن حرَام بن حَبَشِيّة بن سَلُول بن كعب بن عمرو بن خُزاعة ، وكان الإسلام فرّق بينها وبين عمر.

قال عليّ بن محمد: وتزوّج قُرَيبة ابنة أبي أميّة المخزوميّ في الجاهليّة ، ففارقها أيضاً في الهُدْنة ، فتزوّجها بعده عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق.

قالوا: وتزوّج أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم في الإسلام؛ فولدت له فاطمة ، فطلّقها. قال المدائنيّ: وقد قيل: لم يطلقها.

وتزوج جميلة أخت عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ـ واسمه قيس بن عصمة بن مالك بن ضبيعة بن زيد بن الأوس من الأنصار في الإسلام ـ فولدت له عاصماً ، فطلّقها وتزوّج أمّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب؛ وأمّها فاطمة بنت رسولِ الله ﷺ ، وأصدقها ـ فيما قيل ـ أربعين ألفاً ، فولدت له زيداً ورقيّة.

وتزوّج لُهيّة ـ امرأة من اليمن ـ فولدت له عبد الرحمن. قال المدائنيّ: ولدت له عبد الرحمن الأصغر. قال: ويقال: كانت أمّ ولد. قال الواقديّ: لُهيّة هذه أم ولد. وقال أيضاً: ولدت له لهيّة عبد الرحمن الأوسط. وقال: عبد الرّحمن الأصغر أمه أمّ ولد.

وكانت عنده فُكَيْهة ، وهي أمّ ولد وفي أقوالهم ، فولدت له زينب. وقال الواقديّ: هي أصغر ولد عمر.

وتزوّج عاتكة ابنة زيد بن عمرو بن نُفَيل؛ وكانت قبله عند عبد الله بن أبي بكر؛ فلمّا مات عمر؛ تزوّجها الزبير بن العوّام.

قال المدائنيّ: وخطب أمّ كلثوم بنت أبي بكر وهي صغيرة ، وأرسل فيها إلى عائشة ، فقالت: الأمر إليكِ ، فقالت أمّ كلثوم: لا حاجة لي فيه؛ فقالت لها عائشة: ترغبين عن أميرِ المؤمنين! قالت: نعم؛ إنه خشِن العيش ، شديد على النساء؛ فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فأخبرته ، فقال: أكفيك؛ فأتى عمرَ فقال: يا أميرَ المؤمنين! بلَغني خبر أعيذك بالله منه ، قال: وما هو؟ قال: خطبْتَ أمّ كلثوم بنت أبي بكر! قال: نعم؛ أفرغبتَ بي عنها ، أم رغبتَ بها عني؟ قال: لا واحدة؛ ولكنها حَدَثة نشأت تحت كنَفَ أمّ المؤمنين في لين ورفق؛ وفيك غلظة ،

ونحن نهابك ، وما نقدر أن نردّك عن خُلُق من أخلاقك؛ فكيف بها إن خالفتك في شيء ، فسطوتَ بها! كنتَ قد خلَفت أبا بكر في ولده بغير ما يحقّ عليك. قال: فكيف بعائشة وقد كلّمتُها؟ قال: أنا لك بها؛ وأدلّك على خير منها ، أمّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب ، تَعْلَق منها بسَببٍ من رسول الله ﷺ .

قال المدائنيّ: وخطب أمّ أبان بنت عُتبة بن ربيعة ، فكرهتْه ، وقالت: يُغلِق بابه ، ويمنع خيرَه، ويَدخل عابساً ، ويخرج عابساً[1]. (٤ : ١٩٨/ ١٩٩/ ٢٠٠).

ذكر وقت إسلامه

قال أبو جعفر: ذُكِر أنه أسلم بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى وعشرين امرأة.

ذكر من قال ذلك:

٦٠٣ ـ حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا ابنُ سعد ، قال: أخبرنا محمد بن عمر ، قال: حدّثني محمد بن عبد الله ، عن أبيه ، قال: ذكرت له حديث عمر ، فقال: أخبرَني عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير ، قال: أسلم عمر بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى وعشرين امرأةً[2]. (٤ : ٢٠٠).

ذكر بعض سِيَره

٦٠٤ ـ حدّثني أبو السائب ، قال: حدّثنا ابنُ فُضَيل ، عن ضرار ، عن حصين المرّيّ ، قال: قال عمر: إنما مثلُ العرب مثل جمل أنِفٍ اتبع قائدَه ، فلينظرْ قائدُه حيث يقوده؛ فأمّا أنا فوربّ الكعبة لأحملنّهم على الطريق[3]. (٤ : ٢٠٠/ ٢٠١).

٦٠٥ ـ حدّثنا خلّاد بن أسلم ، قال: حدّثنا النَّضْر بن شُمَيل ، قال: أخبرنا قَطَن ، قال: حدّثنا أبو يزيد المدينيّ ، قال: حدّثنا مولى لعثمان بن عفان ، قال: كنت رديفاً لعثمان بن عفان؛ حتى أتى على حظيرة الصدقة في يوم شديد الحرّ

(١) هذا إسناد مركب من إسنادين وهو بمجموعه ضعيف جداً.
(٢) في إسناده الواقدي وهو متروك.
(٣) إسناده ضعيف.

شديد السَّموم؛ فإذا رجل عليه إزار ورداء، قد لفّ رأسَه برداء يطرُد الإبل يُدخلها الحظيرة؛ حظيرة إبل الصدقة؛ فقال عثمان: مَنْ ترى هذا؟ قال: فانتهينا إليه؛ فإذا هو عمر بن الخطاب، فقال: هذا والله القويّ الأمين[١]. (٤: ٢٠١).

٦٠٦ - حدّثني جعفر بن محمد الكوفيّ، وعباس بن أبي طالب؛ قالا: حدّثنا أبو زكرياء يحيى بن مصعب الكلبي، قال: حدّثنا عمر بن نافع عن أبي بكر العبسيّ، قال: دخلت عيْر الصّدقة مع عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب، قال: فجلس عثمان في الظلّ يكتب، وقام على رأسه يملّ عليه ما يقول عمر، وعمر في الشمس قائم في يوم حارّ شديد الحر، عليه بُرْدان أسودان؛ متّزراً بواحد، وقد لفّ على رأسه آخر، يعدّ إبل الصدقة، يكتب ألوانها وأسنانها، فقال عليّ لعثمان ـ وسمعته يقول: نعتَ بنت شعيب في كتاب الله: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾، ثم أشار عليّ بيده إلى عمر، فقال: هذا القويّ الأمين![٢] (٤: ٢٠١).

٦٠٧ - حدّثني محمد بن عوْف؛ قال: حدثنا أبو المغيرة عبد القدّوس بن الحجّاج، قال: حدثّنا صفوان بن عمرو، قال: حدّثني أبو المخارق زهير بن سالم: أنّ كعب الأحبار، قال: نزلتُ على رجل يقال له: مالك ـ وكان جاراً لعمر بن الخطاب ـ فقلت له: كيف بالدخول على أمير المؤمنين؟ فقال: ليس عليه باب ولا حجاب، يصلّي الصلاة ثم يَقْعُد فيكلّمه مَن شاء[٣]. (٤: ٢٠٢).

٦٠٨ - حدّثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: حدّثنا عبد الرحمن بن زيد عن أبيه، عن جدّه: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس، فقال: والذِي بعث محمداً بالحق؛ لو أنَّ جملاً هلك ضياعاً بشطّ الفرات خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب! قال أبو زيد: آل الخطاب: يعني نفسَه، ما يعني غيرها[٤]. (٤: ٢٠٢/٢٠٣).

٦٠٩ - حدّثنا ابنُ المثنّى، قال: حدّثنا ابن أبي عديّ عن شعبة، عن أبي

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) في إسناده عمر بن نافع الكوفي وهو ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) إسناده ضعيف.

عمران الجونيّ ، قال: كتب عمر إلى أبي موسى: إنه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائجهم؛ فأكرمْ مَن قِبلك من وجوه الناس ، وبحسْب المسلم الضعيف من العدل أن يُنْصَف في الحُكْم ، وفي القَسْم[1] . (٤ : ٢٠٣) .

٦١٠ - وحدّثنا أبو كريب ، قال: حدّثنا ابن إدريس ، قال: سمعت مطرّفاً ، عن الشعبيّ ، قال: أتى أعرابيّ عمر ، فقال: إن ببعيري نُقَباً ، ودَبَراً فاحملني؛ فقال له عمر: ما ببعيرك نَقَب ولا دَبَر ، قال: فولّى؛ وهو يقول:

أقْسَمَ بالله أبو حَفْص عُمَرْ ... ما مَسَّها مِن نُقَبٍ ولا دَبَرْ

فاغْفِرْ له اللهمّ إن كان فَجَر

فقال: اللهمّ اغفر لي! ثم دعا الأعرابيّ فحمله[2] . (٤ : ٢٠٣) .

٦١١ - وحدّثني يعقوب بن إبراهيم ، قال: حدّثنا إسماعيل ، قال: أخبرنا أيّوب عن محمد ، قال: نُبّئتُ: أنّ رجلاً كان بينه وبين عمر قَرابة ، فسأله ، فزَبره ، وأخرجه فكُلِّم فيه؛ فقيل: يا أميرَ المؤمنينِ ! فلان سألك فزبرتَه وأخرجتَه ، فقال: إنه سألني من مال الله؛ فما معذرتي إنْ لقيتُه ملكاً خائناً! فلولا سألني من مالي! قال: فأرسل إليه بعشرة آلاف. وكان عمر رحمه الله إذا بعث عاملاً له على عمل يقول[3] . (٤ : ٢٠٣) .

٦١٢ - وحدّثنا أبو كريب ، قال: حدّثنا أبو بكر بن عيّاش ، قال: سمعت أبا حصين ، قال: كان عمر إذا استعمل العمّال خرج معهم يشيّعهم ، فيقول: إنّي لم أستعملْكم على أمة محمد ﷺ على أشعارهم ، ولا على أبشارهم؛ إنما استعملتُكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة ، وتقضُوا بينهم بالحق ، وتقسِموا بينهم بالعدل؛ وإنّي لم أسلّطكم على أبشارهم ولا على أشعارهم؛ ولا تجلدوا العربَ فتُذِلّوها ، ولا تُجمّروها فتفتِنوها ، ولا تغفلوا عنها فتحرِموها؛ جرّدوا القرآن ، وأقلّوا الرواية عن محمّد ﷺ ؛ وأنا شريككم. وكان يقتصّ من عمّاله ، وإذا شُكي

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

إليه عامل له جمع بينه وبين مَنْ شكاه؛ فإن صحّ عليه أمرٌ يجب أَخْذُه به أَخَذَه به[١]. (٤ : ٢٠٤).

٦١٣ ـ وحدّثني يعقوب بن إبراهيم ، قال: حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال: أخبرنا سعيد الجُرَيريّ عن أبي نَضْرة ، عن أبي فراس ، قال: خطب عمر ابن الخطاب ، فقال: يا أيها الناس ! إني والله ما أرسل إليكم عمّالاً ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم؛ ولكني أرسلهم إليكم ليعلّموكم دينكم وسنّتكم؛ فمن فُعِل به شيء سوى ذلك؛ فليرفعْه إليّ؛ فو الذي نفس عمر بيده لأقصّنّه منه ! فوثب عمرو بن العاص ، فقال: يا أميرَ المؤمنين ! أرأيتُك إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعيّة ، فأدّب بعض رعيّته ، إنك لتقصّه منه! قال: إي والذِي نفس عمر بيده إذاً لأقصنّه منه ! وكيف لا أقصّه منه وقد رأيتُ رسول الله ﷺ يُقِصّ من نفسه! ألا لا تضربوا المسلمين فتُذِلُّوهم ، ولا تجمّروهم فتفتِنوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتُكفروهم ، ولا تنزِلُوهم الغِياض فتضيّعوهم.

وكان عمر رضي الله عنه ـ فيما ذكر عنه ـ يُعسّ بنفسه ، ويرتاد منازل المسلمين ، ويتفقّد أحوالهم بيديه[٢]. (٤ : ٢٠٤/ ٢٠٥).

٦١٤ ـ وحدّثني أحمد بن حرب ، قال: حدّثنا مصعب بن عبد الله الزبيريّ ، قال: حدّثني أبي عن ربيعة بن عثمان ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال: خرجتُ مع عمر بن الخطاب رحمه الله إلى حَرّة واقم ، حتى إذا كنا بصِرار؛ إذا نار تؤرّث؛ فقال: يا أسلم ! إني أرى هؤلاء ركباً قصّر بهم الليل والبرد؛ انطلق بنا؛ فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم ، فإذا امرأة معها صِبيان لها ، وقِدْر منصوبة على النار ، وصِبيانها يضاغَوْن؛ فقال عمر: السّلام عليكم يا أصحابَ الضَّوء ! ـ وكره أن يقول: يا أصحاب النار ـ قالت: وعليك السلام؛ قال: أأدنو؟ قالت: ادنُ بخير أو دَعْ؛ فدنا فقال: ما بالُكم؟ قالت: قصّر بنا الليل والبرد ، قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغَوْن؟ قالت: الجوع ، قال: وأيّ شيء في هذه القدر؟ قالت: ماء أسكِّتهم به حتى يناموا ، اللهُ بيننا وبين عمر! قال: أيْ رحِمَكِ الله ، ما يُدرِي عمرَ

(١) إسناده مرسل ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ح ٤٥٣٨).

بكم! قالت: يتولّى أمرَنا، ويغفل عنّا! فأقبل عليّ، فقال: انطلق بنا؛ فخرجنا نهرول؛ حتى أتينا دارَ الدقيق؛ فأخرج عِدْلاً فيه كُبّة شحم؛ فقال: احمله عليّ، فقلت: أنا أحمله عنك. قال: احمله عليّ؛ مرتين أو ثلاثاً، كلّ ذلك أقول: أنا أحمله عنك. فقال لي في آخر ذلك: أنت تحمل عني وزْري يوم القيامة، لا أمّ لك! فحمّلته عليه؛ فانطلق وانطلقت معه نهرول، حتى انتهينا إليها، فألقى ذلك عندها، وأخرج من الدقيق شيئاً، فجعل يقول لها: ذُرّي عليّ، وأنا أحرِّك لكِ؛ وجعل ينفخ تحت القِدْر ـ وكان ذا لحية عظيمة ـ فجعلتُ أنظر إلى الدخان من خَلَل لحيته حتى أنضج وأدُمَ القِدرُ ثم أنزلها، وقال: ابغِني شيئاً، فأتته بصحْفة، فأفرغها فيها، ثمّ جعل يقول: أطعميهم، وأنا أسطِّح لك؛ فلم يزل حتى شبِعوا، ثم خلّى عندها فضل ذلك، وقام وقمت معه، فجعلتْ تقول: جزاك الله خيراً! أنت أوْلى بهذا الأمر من أمير المؤمنين! فيقول: قولي خيراً، إنك إذا جئتِ أمير المؤمنين وجدتني هناك إن شاء الله. ثم تنحى ناحية عنها؛ ثم استقبلها ورَبض مربَض السّبع، فجعلت أقول له: إنّ لك شأناً غير هذا، وهو لا يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرعون، ويضحكون، ثم ناموا، وهدؤوا، فقام وهو يحمَد الله، ثم أقبل عليّ فقال: يا أسلَم! إنّ الجوع أسهرهم وأبكاهم، فأحببت ألاّ أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم.

وكان عمر إذا أراد أن يأمر المسلمين بشيء، أو ينهاهم عن شيء مما فيه صلاحهم بدأ بأهله، وتقدّم إليهم بالوعظ لهم، والوعيد على خلافهم أمره[١]. (٤: ٢٠٥/٢٠٦).

٦١٥ ـ كالذي حدّثنا أبو كُريب محمد بن العلاء، قال: حدّثنا أبو بكر بن عيّاش، قال: حدّثنا عبيد الله بن عمر بالمدينة، عن سالم، قال: كان عمر إذا صعِد المنبرِ فنهى الناس عن شيء جمع أهله، فقال: إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإنّ الناس ينظرون إليكم نَظرَ الطير ـ يعني: إلى اللحم ـ وأقسم بالله لا أجدُ أحداً منكم فعله؛ إلا أضعفت عليه العقوبة[٢]. (٤: ٢٠٧).

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

٦١٦ ـ وحدّثنا أبو كُريب ، قال: حَدّثنا أبو بكر ، عن عاصم ، قال: استعمل عُمَر رجلاً على مصر ، فبينا عمر يوماً مارٌّ في طريق من طُرق المدينة؛ إذْ سمع رجلاً وهو يقول: الله يا عمر! تستعمل مَن يخون وتقول: ليس عليّ شيء ، وعاملك يفعل كذا! قال: فأرسل إليه ، فلما جاءه أعطاه عصاً وجُبّة صوف وغنماً ، فقال: ارعها ـ واسمه عياض بن غَنْم ـ فإنّ أباك كان راعياً ، قال: ثم دعاه ، فذكر كلاماً ، فقال: إن أنا رددتك! فردّه إلى عمله ، وقال: لي عليك ألاّ تلبس رقيقاً ، ولا تركب بِرْذَوناً![1] (٤ : ٢٠٧).

٦١٧ ـ حدّثنا أبو كريب ، قال: حدّثنا أبو أسامة عن عبد الله بن الوليد ، عن عاصم ، عن ابن خزيمة بن ثابت الأنصاريّ ، قال: كان عمر إذا استعمل عاملاً كتب له عهداً ، وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار ، واشترط عليه ألاّ يركب برذوناً ، ولا يأكلَ نقيّاً ، ولا يلبس رقيقاً ، ولا يتخذ باباً دون حاجات الناس[2]. (٤ : ٢٠٧/٢٠٨).

٦١٨ ـ وحدّثني الحارث ، قال: حدّثنا ابن سعد ، قال: حدّثنا مسلم بن إبراهيم عن سلاّم بن مسكين ، قال: حدّثنا عمران: أنّ عمر بن الخطاب كان إذا احتاج أتى صاحب بيت المال ، فاستقرضه؛ قال: فربما أعسر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه فيلزمه ، فيحتال له عمر ، وربما خرج عطاؤه فقضاه[3]. (٤ : ٢٠٨).

٦١٩ ـ وعن أبي عامر العَقَدِيّ ، قال: حدّثنا عيسى بن حفص ، قال: حدّثني رجل من بني سلمة ، عن ابن البَراء بن معرور: أن عمر رضي الله عنه خرج يوماً حتى أتى المنبر ، وقد كان اشتكى شكوى له ، فنعت له العسل ، وفي بيت المال عُكّة ، فقال: إن أذنتم لي فيها أخذتها ، وإلاّ فهي عليّ حرام[4]. (٤ : ٢٠٨).

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده مرسل.
(٣) إسناده مرسل.
(٤) إسناده ضعيف.

تسمية عمر رضي الله عنه أمير المؤمنين

٦٢٠ - حدّثني أحمد بن عبد الصمد الأنصاريّ ، قال: حدّثتني أمّ عمرو بنت حسّان الكوفيّة عن أبيها ، قال: لما ولي عمر قيل: يا خليفة خليفة رسول الله! فقال عمر رضي الله عنه: هذا أمر يطول ، كلّما جاء خليفة قالوا: يا خليفة خليفة خليفة رسول الله! بل أنتم المؤمنون ، وأنا أميركم؛ فسمِّيَ أمير المؤمنين.

قال أحمد بن عبد الصمد: سألتها كم أتى عليكِ من السنين؟ قالت: مئة وثلاث وثلاثون سنة[1] . (٤ : ٢٠٨).

٦٢١ - حدّثنا ابن حُميد ، قال: حدّثنا يحيى بن واضح ، قال: حدّثنا أبو حمزة عن جابر ، قال: قال رجل لعمر بن الخطاب: يا خليفة الله! قال: خالف الله بك! فقال: جعلني الله فداءك! قال: إذاً يُهينك الله![2] (٤ : ٢٠٩).

٦٢٢ - وأمرهم به ، وذلك ـ فيما حدّثني به الحارث ، قال: حدّثنا ابنُ سعد عن محمد بن عمر ـ في سنة أربع عشرة ، وجعل للناس قارئَيْنِ: قارئاً يصلّي بالرجال وقارئاً يصلّي بالنساء[3] . (٤ : ٢٠٩).

٦٢٣ - حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا ابنُ سعد ، قال: حدّثنا محمد بن عمر ، قال: حدّثني عائذ بن يحيى عن أبي الحويرث ، عن جُبَير بن الحُوَيْرث بن نُقَيد: أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه استشار المسلمين في تدوين الدواوين ، فقال له عليّ بن أبي طالب: تقسم كلّ سنة ما اجتمع إليك من مال ، فلا تمسك منه شيئاً. وقال عثمان بن عفان: أرى مالاً كثيراً يسعُ الناس ، وإن لم يحصَوْا حتى تعرِفَ مَن أخذ ممن لم يأخذ؛ خشيتُ أن ينتشر الأمر. فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة: يا أميرَ المؤمنين! قد جئت الشأم ، فرأيت ملوكها قد دوّنوا ديواناً ، وجنّدوا جنداً ، فدوِّن ديواناً ، وجند جنداً. فأخذ بقوله ، فدعا عَقِيل بن أبي طالب ومَخْرمة بن نوفل ، وجُبَير بن مطعِم ، وكانوا من نسّاب قريش ـ فقال:

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

اكتبوا الناس على منازلهم؛ فكتبوا فبدؤوا ببني هاشم؛ ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه، ثم عمر وقومه على الخلافة؛ فلما نظر فيه عمر قال: لوددت والله أنه هكذا! ولكن ابدؤوا بقرابة رسول الله ﷺ؛ الأقرب فالأقرب، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله[١]. (٤: ٢٠٩/ ٢١٠).

٦٢٤ ـ حدّثني الحارث، قال: حدثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه، عن جدّه، قال: رأيتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين عُرِض عليه الكتاب، وبنو تَيْم على أثر بني هاشم، وبنو عديّ على أثر بني تَيْم، فأسمعُه يقول: ضعوا عمر موضعه، وابدؤوا بالأقرب فالأقرب من رسول الله، فجاءت بنو عديّ إلى عمر، فقالوا: أنت خليفة رسول الله، قال: أو خليفة أبي بكر، وأبو بكر خليفة رسول الله، قالوا: وذاك، فلو جعلتَ نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم! قال: بخٍ بخٍ بني عديّ! أردتم الأكْل على ظهري؛ وأن أذهب حسناتي لكم! لا والله حتى تأتِيَكم الدعوة، وإن أطبق عليكم الدَّفتر ولو أن تُكتَبوا في آخر الناس؛ إن لي صاحبين سَلَكا طريقاً، فإن خالفتهما خولف بي؛ والله ما أدركْنا الفضل في الدنيا، ولا نرجو ما نرجو من الآخرة من ثواب الله على ما عملنا إلاّ بمحمّد ﷺ؛ فهو شرفنا، وقومه أشرف العرب، ثم الأقرب فالأقرب؛ إن العرب شَرُفت برسول الله، ولعلّ بعضها يلقاه إلى آباء كثيرة، وما بيننا وبين أن نلقاه إلى نسبه ثم لا نفارقه إلى آدم إلا آباء يسيرة؛ مع ذلك والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال، وجئنا بغير عمل، فهم أوْلى بمحمّد منّا يوم القيامة، فلا ينظر رجل إلى قَرابة، وليعمل لما عند الله، فإنّ مَنْ قصّر به عملُه لم يُسرِع به نسبه[٢]. (٤: ٢١٠).

٦٢٥ ـ حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد؛ قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني حزام بن هشام الكعبيّ، عن أبيه، قال: رأيتُ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يحمل ديوان خُزاعة حتى ينزل قُدَيداً، فنأتيه بقُدَيد، فلا يغيب عنه امرأة بِكْر ولا ثيّب، فيعطيهنّ في أيديهنّ، ثم يروح فينزل

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

عُسفان ، فيفعل مثل ذلك أيضاً حتى تُوُفّي[١] . (٤ : ٢١٠/ ٢١١) .

٦٢٦ - حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا ابنُ سعد ، قال: أخبرنا محمد بن عمر ، قال: حدّثني عبد الله بن جعفر الزهريّ وعبد الملك بن سليمان ، عن إسماعيل بن محمد بن سعد ، عن السائب بن يزيد ، قال: سمعتُ عمر بن الخطاب ، يقول: والله الذي لا إله إلا هو ! ثلاثاً ما من أحد إلاّ له في هذا المال حقّ أعطيَه أو مُنعَه؛ وما أحد أحقّ به من أحد إلا عبد مملوك؛ وما أنا فيه إلاّ كأحدهم؛ ولكنّا على منازلنا من كتاب الله ، وقسمنا من رسول الله ﷺ ، والرجل وبلاؤه في الإسلام ، والرّجل وقدَمه في الإسلام ، والرّجل وغَناؤه في الإسلام ، والرّجل وحاجته؛ والله ! لئن بقيتُ؛ ليأتينّ الراعيَ بجبَل صنعاء حظُّه من هذا المال وهو مكانه.

قال إسماعيل بن محمد: فذكرت ذلك لأبي، فعرف الحديث[٢] . (٤ : ٢١١) .

٦٢٧ - حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا ابنُ سعد ، قال: أخبرنا محمد بن عمر ، قال: حدّثني محمد بن عبد الله عن الزهريّ ، عن السائب بن يزيد ، قال: رأيتُ خيلاً عند عمر بن الخطاب موسومة في أفخاذها: «حبيس في سبيل الله»[٣] . (٤ : ٢١١) .

٦٢٨ - حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا ابن سعد ، قال: أخبرنا محمد بن عمر ، قال: حدثني قيس بن الربيع عن عطاء بن السائب؛ عن زاذان ، عن سلمان: أنّ عمر قال له: أملِك أنا أم خليفة؟ فقال له سلمان: إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقلّ أو أكثر؛ ثمّ وضعتَه في غير حقه؛ فأنت ملِك غير خليفة. فاستعبر عمر[٤] . (٤ : ٢١١) .

٦٢٩ - حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا ابنُ سعد ، قال: أخبرنا محمد بن عمر ، قال: حدّثني أسامة بن زيد ، قال: حدّثني نافع مولى آل الزبير ، قال:

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) إسناده ضعيف.

سمعتُ أبا هريرة يقول: يرحم الله ابن حَنْتمة! لقد رأيتُه عام الرّمادة؛ وإنه ليحمل على ظهره جرابين وعُكّة زيت في يده، وإنه ليعتقِب هو وأسلم؛ فلمّا رآني قال: من أين يا أبا هريرة؟! قلت: قريباً. فأخذت أعقبه؛ فحملناه حتى انتهينا إلى صِرار؛ فإذا صِرْم نحو من عشرين بيتاً من محارب، فقال عمر: ما أقدمكم؟ قالوا: الجهد؛ وأخرجوا لنا جلد الميتة مشوياً كانوا يأكلونه، ورمّة العظام مسحوقة كانوا يستفّونها؛ فرأيت عمر طرح رداءه، ثم اتّزر، فما زال يطبخ لهم حتى شبعوا، فأرسل أسلم إلى المدينة فجاء بأبعرة فحملهم عليها حتى أنزلهم الجبّانة، ثم كساهم. وكان يختلف إليهم وإلى غيرهم حتى رفع الله ذلك[1]. (٤: ٢١١/ ٢١٢).

٦٣٠ ـ حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرني موسى بن يعقوب عن عمه، عن هشام بن خالد، قال: سمعتُ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول: لا تَذُرّنَّ إحداكنّ الدقيق حتى يسخن الماء ثم تذرّه قليلاً قليلاً، وتسوطه بمسوْطها، فإنه أريَع له؛ وأحرى ألاّ يتقرّد[2]. (٤: ٢١٢).

٦٣١ ـ حدثني الحارث قال: حدّثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن مصعب القرْقسانيّ، قال: حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن راشد بن سعد: أنّ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أتِيَ بمال؛ فجعل يقسمه بين الناس، فازدحموا عليه، فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس؛ حتى خلص إليه، فعلاه عمر بالدِّرّة، وقال: إنّك أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض؛ فأحببتُ أن أعلمك: أنّ سلطان الله لن يهابَك[3]. (٤: ٢١٢).

٦٣٢ ـ حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثنا عمر بن سليمان بن أبي حَثْمة، عن أبيه، قال: قالت الشّفا ابنة عبد الله ـ ورأتْ فتياناً يقصُدون في المشي، ويتكلّمون رويداً، فقالت: ما هذا؟ قالوا: نُسّاك، فقالت: كان والله عمر إذا تكلّم أسمع، وإذا مشى أسرع،

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

وإذا ضرب أوجع ، هو والله النّاسك حقّاً[١] ! (٤ : ٢١٢).

٦٣٣ ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ بن محمد ، قال: حدّثنا عبد الله بن عامر ، قال: أعان عمر رجلاً على حَمْل شيء ، فدعا له الرجل ، وقال: نفعك بنوك يا أميرَ المؤمنين! فقال: بل أغناني الله عنهم[٢]. (٤ : ٢١٢/ ٢١٣).

٦٣٤ ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ بن محمد عن عمر بن مجاشع ، قال: قال عمر بن الخطاب: القوّة في العمل ألاّ تؤخّر عمل اليوم لغدٍ ، والأمانة ألاّ تخالف سريرة علانية؛ واتّقوا الله عزّ وجلّ ، فإنما التقوى بالتّوقي ، ومَنْ يتّق الله يقِه[٣]. (٤ : ٢١٣).

٦٣٥ ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ عن عَوانة ، عن الشعبيّ ـ وغير عوانة زاد أحدهما على الآخر ـ: أنّ عمر رضي الله تعالى عنه كان يطوف في الأسواق ، ويقرأ القرآن ، ويقضِي بين الناس حيث أدركه الخصوم[٤]. (٤ : ٢١٣).

٦٣٦ ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ عن محمد بن صالح: أنه سمع موسى بن عُقْبة يحدّث: أنّ رهطاً أتوا عمر، فقالوا: كثر العيال ، واشتدّت المؤونة، فزدنا في أعطياتنا ، قال: فعلتموها ، جمعتم بين الضرائر واتّخذتم الخَدَم في مال الله عزّ وجلّ! أما والله لوددت أني وإيّاكم في سفينة في لجّة البحر ، تذهب بنا شرقاً وغرباً ، فلن يُعجز الناس أن يولوا رجلاً منهم؛ فإن استقام؛ اتّبعوه ، وإن جَنَف؛ قتلوه ، فقال طلحة: وما عليك لو قلت: إن تعوّج عزلُوه! فقال: لا ، القتل أنْكَلُ لمن بعده؛ احذروا فتى قريش وابن كريمها الذي لا ينام إلاّ على الرضا ، ويضحك عند الغضب؛ وهو يتناول مَنْ فوقه ومَنْ تحته[٥]. (٤ : ٢١٣).

٦٣٧ ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ عن عبد الله بن داود الواسطيّ ، عن

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) إسناده مرسل.
(٥) إسناده مرسل.

زيد بن أسلم ، قال : قال عمر : كنا نعدّ المقرِض بخيلاً ، إنما كانت المواساة[١] . (٤ : ٢١٣).

٦٣٨ ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ عن ابن دأب ، عن أبي معبد الأسلميّ ، عن ابن عباس: أنّ عمر قال لناس من قريش: بلغني أنكم تتّخذون مجالس؛ لا يجلس اثنان معاً حتى يقال: مَن صحابة فلان؟ مَن جلساء فلان؟ حتى تُحوميت المجالس؛ وأيم الله ! إنّ هذا لسريع في دينكم ، سريع في شرفكم ، سريع في ذات بينكم؛ ولكأني بمن يأتي بعدكم يقول: هذا رأي فلان ، قد قسموا الإسلام أقساماً؛ أفيضوا مجالسَكم بينكم ، وتجالسوا معاً؛ فإنّه أدوم لألفتكم ، وأهيَب لكم في الناس. اللهمّ ملّوني ، ومللتهم ، وأحسست من نفسي وأحسُّوا مني ، ولا أدري بأيّنا يكون الكوْن ، وقد أعلم: أن لهم قبيلاً منهم؛ فاقبضني إليك[٢] ! (٤ : ٢١٣/ ٢١٤).

٦٣٩ ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ ، قال: حدّثنا إبراهيم بن محمد عن أبيه ، قال: اتّخذ عبد الله بن أبي ربيعة أفراساً بالمدينة ، فمنعَه عمر بن الخطاب ، فكلّموه في أن يأذن له ، قال: لا آذن له ، إلاّ أن يجيء بعلَفها من غير المدينة. فارتبط أفراساً ، وكان يحمل إليها عَلَفاً من أرض له باليمن[٣] . (٤ : ٢١٤).

٦٤٠ ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ ، قال: حدّثنا أبو إسماعيل الهمدانيّ عن مجالد ، قال: بلغني أنّ قوماً ذكروا لعمر بن الخطاب رجلاً؛ فقالوا: يا أمير المؤمنين ! فاضِل لا يعرف من الشرّ شيئاً ، قال: ذاك أوقعُ له فيه![٤] (٤ : ٢١٤).

ذكر بعض خطبه رضي الله تعالى عنه

٦٤١ ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثني عليّ عن أبي معشر ، عن ابن المُنْكدر وغيره ، وأبي معاذ الأنصاريّ عن الزّهريّ ، ويزيد بن عياض عن عبد الله بن

---

(١) إسناده مرسل.
(٢) إسناده ضعيف جداً.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) إسناده ضعيف.

أبي بكر ، وعليّ بن مجاهد عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن عياض ، عن عبد الله بن أبي إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير : أنّ عمر رضي الله تعالى عنه خطب ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم ذكّر الناس بالله عزّ وجلّ واليومِ الآخر ، ثم قال: يا أيّها الناس ! إني قد وُلِّيت عليكم ، ولولا رجاءُ أن أكونَ خيركم لكم ، وأقواكم عليكم ، وأشدكم استضلاعاً بما ينوب من مُهِمّ أموركم ؛ ما تولّيت ذلك منكم ، ولكفى عمر مُهمّاً محزناً انتظار موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف آخذها ، ووضعها أين أضعها؛ وبالسير فيكم كيف أسير ؟! فربّي المستعان؛ فإنّ عمر أصبح لا يثق بقوّة ولا حيلة إن لم يتداركْه الله عزّ وجلّ برحمته وعَوْنه وتأييده.

ثم خطب فقال:

إن الله عزّ وجلّ قد ولاّني أمرَكم ، وقد علمت أنفع ما بحضرتكم لكم ، وإني أسأل الله أن يعينني عليه ، وأن يحرُسني عنده ، كما حرسني عند غيره ، وأن يلهِمني العدل في قَسْمكم كالذي أمر به؛ وإنّي امرؤ مسلم وعبد ضعيف ، إلا ما أعان الله عزّ وجلّ ، ولن يغيّر الذي وِليتُ من خلافتكم من خُلُقي شيئاً إن شاء الله؛ إنما العظمة لله عزّ وجلّ ، وليس للعباد منها شيء ، فلا يقولنّ أحد منكم: إنّ عمر تغيّر منذ ولي. أعقِلُ الحقّ من نفسي وأتقدم؛ وأبيّن لكم أمري؛ فأيّما رجل كانت له حاجة ، أو ظلم مظلمة ، أو عتب علينا في خلق؛ فليؤذنّي ، فإنّما أنا رجل منكم؛ فعليكم بتقوى الله في سرّكم وعلانيتكم ، وحُرماتكم وأعراضكم؛ وأعطوا الحقّ من أنفسكم؛ ولا يحمل بعضكم بعضاً على أن تحاكموا إليّ؛ فإنّه ليس بيني وبين أحد من الناس هَوادة؛ وأنا حبيب إليّ صلاحكم ، عزيز عليّ عَتَبُكم. وأنتم أناس عامّتكم حضرٌ في بلاد الله؛ وأهل بلد لا زرع فيه ولا ضَرْع إلاّ ما جاء الله به إليه. وإنّ الله عزّ وجلّ قد وعدكم كرامة كثيرة ، وأنا مسؤول عن أمانتي وما أنا فيه؛ ومطّلع على ما بحضرتي بنفسي إن شاء الله؛ لا أكله إلى أحد ، ولا أستطيع ما بعُد منه إلاّ بالأمناء وأهل النصح منكم للعامّة ، ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم إن شاء الله[1]. [illegible] ٢١٥/٢).

---

(١) إسناده مرسل.

٦٤٢ - وخطب أيضاً ، فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي ﷺ :

أيها الناس ! إنّ بعض الطمع فقر ، وإن بعض اليأس غنىً ، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون ، وتأملون ما لا تدركون ، وأنتم مؤجّلون في دار غرور. كنتم على عهد رسول الله ﷺ تؤخذون بالوحي ، فمن أسرّ شيئاً أخذ بسريرته ، ومن أعلن شيئاً أخذ بعلانيته؛ فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم؛ والله أعلمُ بالسرائر؛ فإنه مَن أظهر شيئاً ، وزعم أن سريرته حسنة؛ لم نصدّقه ، ومَنْ أظهر لنا علانية حسنة؛ ظننّا به حسناً. واعلموا: أنّ بعض الشحّ شعبة من النفاق ، فأنفقوا خيراً لأنفسكم ، ومن يوقَ شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون.

أيّها الناس ! أطيبوا مثواكم ، وأصلحوا أموركم؛ واتّقوا الله ربكم ، ولا تُلبسوا نساءكم القَباطِيّ؛ فإنه إن لم يشفّ فإنه يصف.

أيها الناس ! إني لوددت أن أنجوَ كَفافاً لا لي ولا عليّ ، وإني لأرجو إن عُمّرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحقّ فيكم إن شاء الله ، وألاّ يبقى أحد من المسلمين وإن كان في بيته إلاّ أتاه حقُّه ونصيبه من مال الله ، ولا يُعمِل إليه نفسه؛ ولم ينصُب إليه يوماً. وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله؛ ولقليل في رفق خير من كثير في عنف ، والقتل حَتْف من الحتوف ، يصيب البرّ والفاجر ، والشهيد مَن احتسب نفسه. وإذا أراد أحدكم بعيراً؛ فليعمِد إلى الطويل العظيم فليضرْبه بعصاه؛ فإن وجده حديد الفؤاد فليشتره.

قالوا: وخطب أيضاً فقال:

إنّ الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر ، واتّخذ عليكم الحجّ فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا عن غير مسألة منكم له ، ولا رغبة منكم فيه إليه ، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئاً لنفسه ، وعبادته ، وكان قادراً أن يجعلكم لأهونِ خلقه عليه ، فجعل لكم عامّة خلقه ، ولم يجعلكم لشيء غيره ، وسخّر لكم ما في السّموات وما في الأرض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، وحملكم في البرّ والبحر ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون.

ثم جعل لكم سمعاً وبصراً. ومن نعَم الله عليكم نعم عمّ بها بني آدم؛ ومنها

نعَم اختصّ بها أهل دينكم؛ ثم صارت تلك النعم خواصّها وعوامّها في دولتكم وزمانكم ، وطبقتكم؛ وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرىء خاصة إلاّ لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها ، وفدحهم حقها ، إلاّ بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله؛ فأنتم مستخلَفون في الأرض ، قاهرون لأهلها ، قد نصر الله دينكم ، فلم تصبحْ أمة مخالفة لدينكم إلاّ أمّتان؛ أمّة مستعبدة للإسلام وأهله ، يجزون لكم ، يُستصفَوْن معايشهم وكدائحهم ورشْح جباههم؛ عليهم المؤونة ولكم المنفعة ، وأمّة تنتظر وقائع الله وسطواته في كلّ يوم وليلة ، قد ملأ الله قلوبهم رعباً؛ فليس لهم معقل يلجؤون إليه ، ولا مهرب يتّقون به ، قد دهمتهم جنود الله عزّ وجلّ ونزلت بساحتهم ، مع رفاغة العيش ، واستفاضة المال ، وتتابع البعوث ، وسدّ الثغور بإذن الله ، مع العافية الجليلة العامة التي لم تكُن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام؛ والله المحمود ، مع الفتوح العظام في كلّ بلد. فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين ، وذكر الذاكرين ، واجتهاد المجتهدين؛ مع هذه النعم التي لا يحصى عددها ، ولا يقدَر قدرها ، ولا يستطاع أداء حقها إلا بعون الله ورحمته ولطفه! فنسأل الله الذي لا إله إلا هو الذي أبلانا هذا أن يرزقنا العمل بطاعته ، والمسارعة إلى مرضاته.

واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم ، واستتِمّوا نعمة الله عليكم وفي مجالسكم مثنى وفرادى ، فإنّ الله عزّ وجلّ قال لموسى: ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ وقال لمحمد ﷺ : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خيرَ الدنيا على شعبة من الحق ، تؤمنون بها ، وتستريحون إليها مع المعرفة بالله ودينه ، وترجون بها الخير فيما بعد الموت؛ لكان ذلك؛ ولكنكم كنتم أشدّ الناس معيشة ، وأثبتهم بالله جهالة. فلو كان هذا الذي استشلاكم به لم يكن معه حظّ في دنياكم؛ غير أنه ثقة لكم في آخرتكم التي إليها المعاد والمنقلب؛ وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه؛ أحرياء أن تشحّوا على نصيبكم منه ، وأن تظهروه على غيره؛ فبلْهَ ما إنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة ، ومن شاء أن يجمع له ذلك منكم؛ فأذكّركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حقّ الله فعملتم له ، وقسرتم أنفسكم على طاعته ، وجمعتم مع السرور بالنعم خوفاً لها ولانتقالها ، ووجلاً منها ومن

تحويلها ، فإنه لا شيء أسلب للنعمة من كُفرانها ، وإنّ الشكر أمنٌ للغَير ، ونماء للنعمة ، واستيجاب للزيادة؛ هذا لله عليّ من أمركم ونهيكم واجب[١]. (٤: ٢١٥/٢١٦/٢١٧/٢١٨).

مَن ندب عمر ورثاه رضي الله عنه. ذكر بعض ما رُثِي به

٦٤٣ ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ ، قال: حدّثنا أبو عبد الله البُرجميّ عن هشام بن عروة: أنّ باكية بكت على عمر ، فقالت: واحرّى على عمر! حرّ انتشر ، فملأ البشر. وقالت أخرى: واحرّى على عمر! حرّ انتشر ، حتى شاع في البشر[٢]. (٤: ٢١٨).

٦٤٤ ـ حدثني عمر ، قال: حدثنا عليّ ، قال: حدّثنا ابن دأب ، وسعيد بن خالد عن صالح بن كَيْسان ، عن المغيرة بن شعبة ، قال: لما مات عمر رضي الله عنه بكتْه ابنة أبي حَثْمة ، فقالت: واعُمَراه! أقام الأَود ، وأبرأ العَمَد ، أمات الفتن ، وأحيا السُّنن؛ خرج نقيّ الثوب ، بريئاً من العيب.

قال: وقال المغيرة بن شعبة: لما دفن عمر؛ أتيت علياً وأنا أحبّ أن أسمع منه في عمر شيئاً ، فخرج ينفض رأسَه ، ولحيته؛ وقد اغتسل ، وهو ملتَحف بثوب ، لا يشكّ: أنّ الأمر يصير إليه ، فقال: يرحم الله ابن الخطاب! لقد صدقت ابنة أبي حَثْمة؛ لقد ذهب بخيرِها ، ونجا من شرّها ، أما والله ما قالت ، ولكن قُوّلت.

وقالت عاتكة بنة زيد بن عمرو بن الخطاب رضي الله عنه:

فَجَّعَنِي فَيْرُوزُ لا دَرَّ دَرُّهُ ... بِأَبْيَضَ تالٍ للكتاب مُنيبِ
رَؤُوفٍ على الأدنىٰ غَليظٍ على العِدَا ... أخي ثِقَةٍ في النائباتِ مُجيبِ
مَتَى ما يَقُلْ لا يُكْذِبِ القَولَ فِعْلُه ... سريعٍ إلى الخَيْراتِ غَيْرِ قَطوبِ

وقالت أيضاً:

عَيْنِ جُودي بعَبْرَةٍ ونَحيبِ ... لا تَمَلّي على الإمامِ النجيبِ
فَجَعَتْني المَنونُ بالفارِسِ المُعْـ ... ـلَمِ يَوْمَ الهياجِ والتَّلْبيبِ

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده معضل.

عِصمةِ الناس والمُعين على الدَّهـ ـــرِ وَغَيْـثِ المُنتـابِ والمَحْـروبِ
قُـلْ لأهْـلِ السَّـرَاءِ والبُـؤسِ مـوتـوا قـد سَقَتْـهُ المنـونُ كَـأْسَ شعـوبِ

وقالت امرأة تبكيه:

سَيَبْكِيـــكَ نســاءُ الحَـــيِّ يَبْكيـــــنَ شَجيَّـــــاتِ
وَيَخْمِشْـــنَ وُجــوهـــاً كَـالــدَّ نـــانيـــرِ نقيَّـــاتِ
وَيَلْبَسْـــنَ ثيـــاب الحـــزْ نِ بَعْـــدَ القَصَبِيَّـــاتِ[1]

(٤: ٢١٨/٢١٩).

شيء من سيرته ممّا لم يمض ذكره

٦٤٥ ـ حدّثنا عمر بن شبّة، قال: حدّثنا عليّ بن محمد عن ابن جُعْدبة، عن إسماعيل بن أبي حكيم، عن سعيد بن المسيّب، قال: حجّ عمر، فلما كان بضَجْنان قال: لا إله إلا الله العظيم العليّ، المعطي ما شاء من شاء! كنت أرعى إبل الخطاب بهذا الوادي في مِدْرعةِ صوف، وكان فَظّاً، يُتعبني إذا عملت، ويضربني إذا قصّرت، وقد أمسيتُ وليس بيني وبين الله أحد؛ ثم تمثل:

لا شَيْءَ فيمـا تَـرَى تَبْقـى بَشَـاشَتُـهُ يبْقَـى الإلـهُ وَيُـودي المـال والـوَلَـدُ
لَـمْ تُغْـن عَـن هُـرْمُـزٍ يَـوْمـاً خَـزَائنُـهُ والخُلْدَ قد حاوَلَتْ عادٌ فما خَلَدُوا
ولا سُلَيْمـانُ إذْ تجـري الـرِّيـاحُ لـه والإنـسُ والجِـنُّ فيمـا بَينهـا تَـرِدُ
أيـن الملـوكُ التـي كـانـت نـوافِلُهـا مـن كـلِّ أوْبٍ إليهـا راكِـبٌ يَفِـدُ
حَـوْضـاً هُنَـالِـكَ مَـوْروداً بـلا كـذِبٍ لا بُدَّ مِنْ وَرْدِهِ يَوْماً كما وَرِدُوا[2]

(٤: ٢١٩/٢٢٠).

٦٤٦ ـ حدّثني عمر بن شبّة، قال: حدّثنا عليّ، قال: حدثنا أبو الوليد المكّيّ، قال: بينما عمر جالس إذ أقبل رجل أعرج يقود ناقة تظلَع؛ حتى وقف عليه، فقال:

إنَّـــكَ مُسْتَـــرْعـــيً وَإنّـــا رَعِيَّـــةٌ وإنَّـــكَ مَـدْعُـوٌّ بسيمـاك يـا عُمَـرْ

---

(١) في إسناده ابن دأب كذبه أبو زرعة، وسعيد بن خالد، لم نقف له على ترجمة.
(٢) في إسناده ابن جعدبة كذبه مالك وغيره.

إذا يَـوْمُ شَـرٍّ شَـرُّهُ لِشِـرَارِهِ فقَدْ حَمَّلَتْك اليَوْمَ أَحْسَابَهـا مُضَرْ

فقال: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله. وشكا الرجل ظلَع ناقته، فقبض عمر الناقة وحمله على جمل أحمر وزوّده؛ وانصرف. ثم خرج عمر في عقب ذلك حاجّاً، فبينا هو يسير إذ لحق راكباً يقول:

مـا سـاسَنـا مِثلُـك يَـا بْـنَ الخَطَّـابْ أبَـرُّ بـالأقْصَـى ولا بـالأصحـابْ

بَعْـدَ النبـيِّ صـاحـب الكتـاب

فنخسه عمر بِمخصرة معه، وقال: فأين أبو بكر [1] (٤ : ٢٢٠)!

٦٤٧ ـ حدّثني عمر، قال: حدّثنا عليّ بن محمد، عن محمد بن صالح، عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق، قال: استعمل عمر عُتْبة بن أبي سفيان على كنانة، فقدم معه بمال، فقال: ما هذا يا عتبة؟! قال: مال خرجت به معي وتجرت فيه، قال: ومالَكَ تخرج المال معك في هذا الوجه! فصيّره في بيت المال. فلما قام عثمان قال لأبي سفيان: إن طلبتَ ما أخذ عمر من عُتبة رددته عليه، فقال أبو سفيان: إنك إن خالفت صاحبك قبلك ساء رأي الناس فيك، إيّاك أن تردّ على من كان قبلك، فيردَّ عليك مَن بعدك [2]! (٤ : ٢٢٠).

٦٤٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن الربيع بن النعمان وأبي المجالد جراد بن عمرو، وأبي عثمان، وأبي حارثة، وأبي عمرو مولى إبراهيم بن طلحة، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قالوا: إنّ هند بنة عُتبة قامت إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فاستقرضته من بيت المال أربعة آلاف تتّجر فيها وتضمَنها، فأقرضها، فخرجت فيها إلى بلاد كَلْب، فاشترت وباعت؛ فبلغها: أنّ أبا سفيان وعمرو بن أبي سفيان قد أتيا معاوية، فعدلت إليه من بلاد كَلْب، فأتت معاوية، وكان أبو سفيان قد طلّقها، قال: ما أقدَمك أي أمّه؟! قالت: النّظر إليك أي بنيّ؛ إنه عمر؛ وإنما يعمل لله، وقد أتاك أبوك فخشيت أن تُخرج إليه من كلّ شيء؛ وأهل ذلك هو؛ فلا يعلم الناس من أين أعطيتَه فيؤنّبونك

---

(١) إسناده ضعيف

(٢) إسناده مرسل.

ويؤنّبك عمر ، فلا يستقيلها أبداً ، فبعث إلى أبيه وإلى أخيه بمئة دينار ، وكساهما وحملهما؛ فتعظّمها عمرو؛ فقال أبو سفيان: لا تَعظّمها ، فإنّ هذا عطاء لم تغِبْ عنه هند ، ومشورة قد حضرتها هند ، ورجعوا جميعاً ، فقال أبو سفيان لهند: أربحتِ؟ فقالت: الله أعلم ، معي تجارة إلى المدينة. فلما أتت المدينة وباعت شكت الوضيعة ، فقال لها عمر: لو كان مالي لتركتُه لك ، ولكنه مال المسلمين ، وهذه مشورة لم يَغِب عنها أبو سفيان ، فبعث إليه فحبسه حتى أوفته ، وقال لأبي سفيان: بكم أجازك معاوية؟ فقال: بمئة دينار[1]. (٤: ٢٢٠/ ٢٢١).

٦٤٩ ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثنا علي ، قال حدّثنا: أبو الوليد المكّيّ عن رجل من ولد طلحة ، عن ابن عبّاس ، قال: خرجت مع عمر في بعض أسفاره ، فإنا لنسير ليلة ، وقد دنوت منه ، إذ ضرب مقدّم رحله بسوطه ، وقال:

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ يُقْتَلُ أَحْمَدُ ... ولمَّا نُطاعِنْ دونَه ونناضلِ
ونُسلِمُه حتى نُصَرَّعَ حوله ... ونَذْهَلَ عن أبنائِنا والحلائلِ

ثم قال: أستغفر الله ! ثم سارَ فلم يتكلم قليلاً ، ثم قال:

ومَا حَمَلَتْ مِن ناقة فَوْقَ رَحْلِها ... أَبَرَّ وأوْفَى ذِمَّةً من مُحَمَّدِ
وأكْسَى لِبُرْدِ الخالِ قبْلَ ابْتِذَالِهِ ... وأعْطَى لرأسِ السابقِ المُتَجَرِّدِ

ثم قال: أستغفر الله ! يا بن عباس ! ما منع عليّاً من الخروج معنا؟ قلت: لا أدري ، قال: يا بن عباس ، أبوك عمّ رسول الله ﷺ ، وأنت ابن عمه ، فما منع قومكم منكم؟ قلت: لا أدري ، قال: لكني أدري؛ يكرهون ولايتكم لهم! قلت: لم ، ونحن لهم كالخير؟ قال: اللهمّ غفراً ، يكرهون أن تجتمع فيكم النبوّة والخلافة ، فيكون بجَحاً بجحاً ، لعلكم تقولون: إن أبا بكر فعل ذلك ، لا والله ولكن أبا بكر أتى أحزم ما حضره ، ولو جعلها لكم ما نفعكم مع قربكم ، أنشدني لشاعر الشعراء زهير قوله:

إذا ابْتَدَرَتْ قَيسُ بْنُ عَيلانَ غايَةً ... مِنَ المَجْدِ مَنْ يَسْبِقْ إليْها يُسَوَّدُ

---

(١) إسناده ضعيف.

فأنشدته ، وطلع الفجر ، فقال: اقرأ «الواقعة» فقرأتها ، ثم نزل فصلى ، وقرأ بالواقعة[١]. (٤ : ٢٢٢).

٦٥٠ - حدّثني ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق. عن رجل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال: بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعض أصحابه يتذاكرون الشعر ، فقال بعضهم: فلان أشعر. وقال بعضهم: بل فلان أشعر. قال: فأقبلت ، فقال عمر: قد جاءكم أعلم الناس بها ، فقال عمر: مَنْ شاعر الشعراء يا بن عباس؟! قال: فقلت: زهير بن أبي سُلمى ، فقال عمر: هلمّ مِنْ شعره ما نستدلّ به على ما ذكرت؛ فقلت: امتدح قوماً من بني عبد الله بن غَطفان ، فقال:

لو كان يَقْعُدُ فَوْق الشَّمْسِ مِنْ كَرم ... قومٌ بِأَوَّلِهِمْ أو مَجْدِهِمْ قَعَدُوا
قَوْمٌ أبوهُمْ سِنانٌ حين تَنْسُبُهُمْ ... طابوا وطابَ مِنَ الأَوْلادِ ما وَلَدُوا
إنْسٌ إذا أَمِنوا ، جِنٌّ إذا فزعوا ... مرزَّؤونَ بها ليلٌ إذا حشدُوا
محَسَّدون على ما كانَ من نِعَمٍ ... لا يَنْزِعُ اللهُ مِنْهُمْ مالَه حُسِدوا

فقال عمر: أحسن ! وما أعلم أحداً أولَى بهذا الشعر من هذا الحيّ من بني هاشم لفضل رسول الله ﷺ وقرابتهم منه ! فقلت: وفِّقت يا أميرَ المؤمنين ! ولم تزل موفّقاً ، فقال: يا بن عباس ! أتدري ما منع قومكم منهم بعد محمد؟ فكرهتُ أن أجيبه ، فقلت: إن لم أكن أدري فأمير المؤمنين يُدريني ، فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوّة والخلافة ، فتبجحوا على قومكم بَجَحاً بجحاً ، فاختارت قريش لأنفسها ، فأصابت ووُفِّقتْ. فقلت: يا أميرَ المؤمنين ! إن تأذن لي في الكلام ، وتُمِطْ عني الغضب؛ تكلمتُ. فقال: تكلم يا بن عباس ! فقلت: أمّا قولك يا أميرَ المؤمنين: اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفّقت ، فلو أنّ قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله عزّ وجلّ لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود. وأما قولك: إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوّة والخلافة ، فإنّ الله عزّ وجلّ وصف قوماً بالكراهية فقال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ فقال عمر: هيهات والله يا بن عباس! قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن

---

(١) إسناده ضعيف.

أفُرّك عنها، فتزيل منزلتك مني؛ فقلت: وما هي يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقّاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه، فقال عمر: بلغني أنك تقول: إنما صرفوها عنا حسداً، وظلماً! فقلت: أمّا قولك يا أمير المؤمنين: ظلماً؛ فقد تبيّن للجاهل والحليم، وأما قولك: حسداً، فإنّ إبليس حسد آدم؛ فنحن ولده المحسودون؛ فقال عمر: هيهات! أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلاّ حسداً ما يحول، وضِغْناً وغشّاً ما يزول. فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين! لا تصِف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بالحسد والغشّ، فإنّ قلب رسول الله ﷺ من قلوب بني هاشم. فقال عمر: إليك عني يا بن عباس! فقلت: أفعل؛ فلما ذهبت لأقوم استحيا منّي فقال: يا بن عباس! مكانَك، فو الله إني لراعٍ لحقّك، محبّ لما سرّك! فقلت: يا أمير المؤمنين! إنّ لي عليك حقّاً وعلى كلِّ مسلم، فمن حفظه فحظَّه أصاب، ومن أضاعه فحظَّه أخطأ. ثم قام فمضى[1]. (٤: ٢٢٢/ ٢٢٣/ ٢٢٤).

٦٥١ ـ حدّثني أحمد بن عمرو، قال: حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرميّ، قال: حدّثنا عِكْرمة بن عمّار عن إياس بن سلَمة، عن أبيه، قال: مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السوق ومعه الدّرّة، فخفقني بها خفقة، فأصاب طرف ثوبي، فقال: أمِطْ عن الطريق، فلما كان في العام المقبل لقيَني، فقال: يا سلمة! تريد الحجّ؟ فقلت: نعم، فأخذ بيدي، فانطلق بي إلى منزله فأعطاني ستمئة درهم، وقال: استعن بها على حجّك، واعلم أنها بالخفقة التي خفقتك؛ قلت: يا أمير المؤمنين ما ذكرتها! قال: وأنا ما نسيتُها[2]. (٤: ٢٢٤).

٦٥٢ ـ حدثني عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا محمد بن يزيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن سلمة بن كُهَيل، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أيّها الرعيّة! إن لنا عليكم حقّاً. النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير، إنه ليس من حلم أحبّ إلى الله ولا أعمّ نفعاً من حلم إمام ورفقه. أيها الرعيّة! إنه ليس من جهل أبغض إلى الله ولا أعمّ شرّاً من جهل إمام وخُرْقه. أيها

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) لم نجد لشيخ الطبري ترجمة.

الرعيّة ! إنه مَنْ يأخذ بالعافية لمن بين ظهرانَيْه ، يؤتي الله العافية من فوقه[١]. (٤ : ٢٢٤).

٦٥٣ - حدّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنا يحيى بن معين ، قال : حدّثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا عيسى بن يزيد بن دأب عن عبد الرحمن ابن أبي زيد ، عن عمران بن سوادة ، قال : صليت الصبح مع عمر ، فقرأ : «سبحان» وسورة معها ، ثم انصرف وقمت معه ، فقال : أحاجة؟ قلت : حاجة ، قال : فالحقْ ، قال : فلحقت ؛ فلما دخل أذن لي ؛ فإذا هو على سرير ليس فوقه شيء ، فقلت : نصيحة ، فقال : مرحباً بالناصح غدوّاً وعشيّاً ؛ قلت : عابت أمتك منك أربعاً ، قال : فوضع رأس دِرّته في ذقنه ، ووضع أسفلها على فخذه ، ثم قال : هاتِ ! قلت : ذكروا : أنك حرّمت العُمْرة في أشهر الحجّ ، ولم يفعل ذلك رسول الله ﷺ ولا أبو بكر رضي الله عنه ؛ وهي حلال ، قال : هي حلال ، لو أنهم اعتمرُوا في أشهر الحجّ رأوها مجزيةً من حجِّهم ؛ فكانت قائبةَ قُوبٍ عامها ، فقَرِع حجُّهم ، وهو بَهاء من بهاء الله ، وقد أصبتَ. قلت : وذكروا : أنك حرّمت مُتْعة النساء وقد كانت رُخصة من الله نستمتع بقُبْضة ، ونفارق عن ثلاث. قال : إنّ رسول الله ﷺ أحلّها في زمان ضرورة ، ثمّ رجع الناس إلى السَّعة ، ثم لم أعلم أحداً من المسلمين عمل بها ولا عاد إليها ، فالآن مَنْ شاء نكح بقُبضة وفارق عن ثلاث بطلاق ، وقد أصبت. قال : قلت : وأعتقتَ الأمة أن وضعتْ ذا بطنها بغير عتاقة سيّدها ، قال : ألحقتُ حرمة بحرمة ، وما أردت إلاّ الخير ، وأستغفر الله ! قلت : وتشكَّوْا منك نَهْر الرعيّة ، وعُنْف السيَاق. قال : فشرع الدّرّة ، ثم مسحها حتى أتى على آخرها ، ثم قال : أنا زميل محمد - وكان زَاملَه في غزوة قرقرة الكُدْر - فوالله إنّي لأرتِع فأشبع ، وأسقي فأروِي ، وأنهز اللَّفوت ، وأزجر العَروض ، وأذبّ قدْرِي ، وأسوق خَطْوي ، وأضمّ العَنود ، وألحِق القَطوف ، وأكثر الزّجر ، وأقِلّ الضرب ، وأشهِر العصا ؛ وأدفع باليد ؛ لولا ذلك لأغدَرت. قال : فبلغ ذلك معاوية ، فقال : كان والله عالماً برعيّتهم[٢]. (٤ : ٢٢٥/ ٢٢٦).

٦٥٤ - حدّثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا ابن عُلَيّة عن ابن عون ، عن

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

محمد ، قال: نُبِّئت أن عثمان قال: إنّ عمر كان يمنع أهله وأقرباءه ابتغاء وجه الله ، وإني أعطي أهلي وأقربائي ابتغاء وجه الله ، ولن يُلقَى مثل عمر ثلاثة[١]. (٤ : ٢٢٦).

٦٥٥ ـ وحدّثني عليّ بن سهل ، قال: حدّثنا ضَمْرة بن ربيعة ، عن عبد الله ابن أبي سليمان ، عن أبيه ، قال: قدمت المدينة ، فدخلت داراً من دُورِها ، فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليه إزار قِطْريّ ، يدهُن إبلَ الصدقة بالقَطِران[٢]. (٤ : ٢٢٦).

٦٥٦ ـ وحدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدثنا الحكم بن بشير ، قال: حدّثنا عمرو ، قال: كان عمر بن الخطاب يقول: أربع من أمر الإسلام لست مضيِّعهنّ ، ولا تاركهنّ لشيء أبداً: القوّة في مال الله ، وجمعه؛ حتّى إذا جمعناه؛ وضعناه حيث أمر الله ، وقعدنا آلَ عمر ليس في أيدينا ولا عندنا منه شيء. والمهاجرون الذين تحت ظلال السيوف؛ ألاّ يحبَسوا ولا يجمَّروا ، وأن يوفَّر فيء الله عليهم وعلى عيالاتهم ، وأكون أنا للعيال حتى يقدَموا. والأنصار الذين أعطوا الله عزّ وجلّ نصيباً ، وقاتلوا الناس كافة؛ أن يقبَل من محسنهم ، ويُتجاوَز عن مسيئهم؛ وأن يُشاوروا في الأمر. والأعراب الذين هم أصل العرب ومادة الإسلام؛ أن تؤخذ منهم صدقتهم على وجهها ، ولا يؤخذ منهم دينار ولا درهم ، وأن يردّ على فقرائهم ومساكينهم[٣]. (٤ : ٢٢٧).

٦٥٧ ـ كتب إليّ السري عن شعيب ، عن سيف ، عن ابن جُرَيج ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، قال: قال عمر: إنّي لأعلم: أنّ الناس لا يعدلون بهذيْن الرّجلين اللذَيْن كان رسول الله ﷺ يكون نجيّاً بينهما وبين جبريل يتبلَّغ عنه ، ويُملّ عليهما[٤] . (٤ : ٢٢٧).

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) إسناده ضعيف.

قصة الشورى

٦٥٨ ـ حدّثني عمر بن شبّة ، قال: حدّثنا عليّ بن محمد عن وكيع ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، ومحمد بن عبد الله الأنصاريّ ، عن ابن أبي عَروبة ، عن قتادة ، عن شهر بن حَوْشب ، وأبي مخنف ، عن يوسف بن يزيد ، عن عباس بن سهل ، ومبارك بن فَضالة ، عن عبيد الله بن عمر ، ويونس بن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون الأوديّ: أنّ عمر بن الخطاب لما طُعِن قيل له: يا أميرَ المؤمنين ! لو استخلفت! قال: مَنْ أستخلف؟ لو كان أبو عبيدة بن الجرّاح حيّاً؛ استخلفته ، فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيّك يقول: «إنه أمين هذه الأمّة» ، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً؛ استخلفته ، فإن سألني ربيّ؛ قلت: سمعت نبيّك يقول: «إنّ سالماً شديد الحبّ لله». فقال له رجل: أدلّك عليه؟ عبد الله بن عمر ، فقال: قاتلك الله ! والله ما أردتَ الله بهذا ! ويحك! كيف أستخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته! لا أَرَبَ لنا في أموركم ، ما حمِدتُها ، فأرغبَ فيها لأحد من أهل بيتي. إن كان خيراً؛ فقد أصبنا منه ، وإن كان شرّاً فشرٌّ عنّا آلَ عمر؛ بحسب آل عمر أن يحاسَب منهم رجل واحد؛ ويُسأل عن أمر أمة محمد؛ أما لقد جهدت نفسي ، وحرمت أهلي؛ وإن نجوتُ كفافاً لا وِزْر ولا أجر؛ إني لسعيد؛ وأنظر فإن استخلفتُ؛ فقد استخلف من هو خير منّي ، وإن أترك؛ فقد ترك مَنْ هو خير مني ، ولن يضيّع الله دينه. فخرجوا ثم راحوا ، فقالوا: يا أميرَ المؤمنين ! لو عهدتَ عهداً! فقال: قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأولّيَ رجلاً أمرَكم؛ هو أحراكم أن يحملكم على الحقّ ـ وأشار إلى عليّ ـ ورهِقتني غشية ، فرأيت رجلاً دخل جنة قد غرسها ، فجعل يقطف كل غضّة ويانعة ، فيضمّه إليه ، ويصيّره تحته؛ فعلمتُ: أنّ الله غالب أمره ، ومتوفٍّ عمر؛ فما أريد أن أتحمّلها حيّاً وميتاً ، عليكم هؤلاء الرّهط الذين قال رسول الله ﷺ: «إنهم من أهل الجنة»؛ سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل منهم؛ ولست مدخله؛ ولكن الستّة: عليّ ، وعثمان ابنا عبد مناف ، وعبد الرحمن ، وسعد خالا رسول الله ﷺ ، والزُّبير بن العوّام حواريّ رسول الله ﷺ وابن عمته ، وطلحة الخير بن عبيد الله؛ فلْيختاروا منهم رجلاً؛ فإذا ولَّوا والياً؛ فأحسِنوا مؤازرته ، وأعينوه ، إن ائتمن أحداً منكم؛ فليؤدّ إليه أمانته. وخرجوا ، فقال العباس لعليّ:

لا تدخل معهم ، قال: أكره الخلاف ، قال: إذاً ترى ما تكره! فلما أصبح عمر دعا عليّاً ، وعثمان ، وسعداً ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوّام ، فقال: إنّي نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم؛ ولا يكون هذا الأمر إلاّ فيكم؛ وقد قبِض رسول الله ﷺ وهو عنكم راضٍ؛ إنّي لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم؛ ولكنّي أخافُ عليكم اختلافَكم فيما بينكم ، فيختلف الناس ، فانهضوا إلى حُجْرة عائشة بإذنٍ منها ، فتشاوروا ، واختاروا رجلاً منكم. ثم قال: لا تدخلوا حجرة عائشة؛ ولكن كونوا قريباً ، ووضع رأسه؛ وقد نَزَفه الدم.

فدخلوا فتناجوْا ، ثم ارتفعت أصواتهم ، فقال عبد الله بن عمر: سبحان الله! إنّ أمير المؤمنين لم يمُتْ بعد؛ فأسمعَه فانتبه ، فقال: ألا أعرضوا عن هذا أجمعون ، فإذا متُّ فتشاوروا ثلاثة أيام ، وليصلّ بالناس صهيب ، ولا يأتينّ اليوم الرابع إلاّ وعليكم أمير منكم؛ ويحضر عبدُ الله بن عمر مشيراً ، ولا شيءَ له من الأمر ، وطلحة شريككم في الأمر؛ فإن قدم في الأيام الثلاثة؛ فأحضروه أمركم ، وإن مَضت الأيّام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا أمركم ، ومَنْ لي بطلحة؟ فقال سعد بن أبي وقاص: أنا لك به؛ ولا يخالف إن شاء الله. فقال عمر: أرجو ألاّ يخالف إن شاء الله؛ وما أظنّ أن يليَ إلاّ أحدُ هذين الرجلين: عليّ أو عثمان؛ فإن وليَ عثمان فرجل فيه لين ، وإن ولي عليّ ففيه دُعابة ، وأحْرِ به أن يحملَهم على طريق الحقّ؛ وإن تولوا سعداً فأهلها هو؛ وإلاّ فليستعن به الوالي ، فإني لم أعزله عن خيانة ولا ضعف؛ ونِعْم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف! مسدّد رشيد ، له من الله حافظ ، فاسمعوا منه.

وقال لأبي طلحة الأنصاريّ: يا أبا طلحة ، إنّ الله عزّ وجلّ طالما أعزّ الإسلام بكم ، فاختر خمسين رجلاً من الأنصار؛ فاستحِثّ هؤلاء الرّهط حتى يختاروا رجلاً منهم. وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتموني في حُفْرتي فاجمع هؤلاء الرّهط في بيت حتى يختاروا رجلاً منهم ، وقال لصُهيب: صلّ بالناس ثلاثة أيام ، وأدخل عليّاً وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وطلحة إن قدم؛ وأحضِر عبد الله بن عمر ولا شيء له من الأمر؛ وقم على رؤوسهم ، فإن اجتمع خمسة ورضُوا رجلاً وأبى واحد فاشدَخْ رأسه ـ أو اضرب رأسه بالسيف ـ وإن اتّفق

أربعة فرضُوا رجلاً منهم وأبى اثنان ، فاضرب رؤوسهما ، فإن رضيَ ثلاثةٌ رجلاً منهم وثلاثة رجلاً منهم ، فحكّموا عبدَ الله بن عمر؛ فأيّ الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم؛ فإن لم يرضوْا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقين إن رغبوا عمّا اجتمع عليه الناس.

فخرجوا ، فقال عليّ لقوم كانوا معه من بني هاشم: إن أطيع فيكم قومُكم لم تؤمّروا أبداً. وتلقّاه العباس ، فقال: عُدِلَتْ عَنّا! فقال: وما علمك؟ قال: قرِن بي عثمان ، وقال: كونوا مع الأكثر ، فإن رضيَ رجلان رجلاً ، ورجلان رجلاً فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف؛ فسعد لا يخالف ابنَ عمّه عبد الرحمن؛ وعبد الرحمن صهر عثمان؛ لا يختلفون ، فيولّيها عبدُ الرحمن عثمانَ ، أو يوليها عثمانُ عبد الرحمن؛ فلو كان الآخَران معي لم ينفعاني؛ بلْه إني لا أرجو إلاّ أحدهما. فقال له العباس: لم أرفعْك في شيء إلاّ رجعت إليّ مستأخراً بما أكره؛ أشرتُ عليك عند وفاة رسول الله ﷺ أنْ تسألَه فيمن هذا الأمر؛ فأبيتَ ، وأشرتُ عليك بعد وفاته أن تعاجلَ الأمر فأبيت ، وأشرتُ عليك حين سمّاك عمر في الشورى ألاّ تدخل معهم فأبيتَ؛ احفظ عنِّي واحدة؛ كلّما عرض عليك القوم ، فقل: لا ، إلاّ أن يولُّوك؛ واحذر هؤلاء الرّهط ، فإنهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم لنا به غيرنا ، وأيمُ الله لا يناله إلا بشرّ لا ينفع معه خير! فقال عليّ: أما لئن بقي عثمان لأذكِّرنه ما أتى ولئن مات ليتداولنّها بينهم ، ولئن فعلوا ليجدنّي حيث يكرهون؛ ثم تمثل:

حَلَفْتُ بِرَبِّ الراقِصاتِ عشيةً ... غدَوْنَ خِفافاً فابْتَدَرْنَ المُحَصَّبا

لَيَختَلِيَنْ رَهْطُ ابْنِ يَعْمَرَ مارِئاً ... نَجِيعاً بنو الشُّدّاخِ وِرْداً مُصلَّبا

والتفت فرأى أبا طلحة فكره مكانه ، فقال أبو طلحة: لم تُرَعْ أبا الحسن! فلمّا مات عمر وأخرجت جنازته ، تصدّى عليّ وعثمان: أيّهما يصلي عليه ، فقال عبد الرحمن: كلاكما يحبُّ الإمْرة ، لستما من هذا في شيء ، هذا إلى صهيب ، استخلفه عمر ، يصلّي بالناس ثلاثاً حتى يجتمع الناس على إمام. فصلّى عليه صُهيب ، فلما دفن عمر جمع المقداد أهل الشُّورى في بيت المِسْوَر بن مخرَمة ـ ويقال: في بيت المال ، ويقال في حجرة عائشة بإذنها ـ وهم خمسة ، معهم ابنُ عمر ، وطلحة غائب؛ وأمروا أبا طلحة أن يحجُبَهم ، وجاء عمرو بن العاص ،

والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب ، فحصبهما سعد ، وأقامهما ، وقال: تريدان أن تقولا: حضرنا وكنّا في أهل الشورى! فتنافس القوم في الأمر؛ وكثر بينهم الكلام؛ فقال أبو طلحة: أنا كنت لأنْ تدفعوها أخوفَ منِّي لأن تَنافسوها! لا والذي ذهب بنفس عمر؛ لا أزيدكم على الأيّام الثلاثة التي أمرتم ، ثم أجلس في بيتي؛ فأنظر ما تصنعون! فقال عبد الرحمن: أيّكم يخرج منها نفسه ، ويتقلدها على أن يوليها أفضلَكم؟ فلم يجبه أحد ، فقال: فأنا أنخلع منها؛ فقال عثمان: أنا أوّل من رضي ، فإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أمين في الأرض أمين في السماء» ، فقال القوم: قد رضينا ـ وعليّ ساكت ـ فقال: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال: أعطني موثِقاً لتؤثرنّ الحقّ ولا تتّبع الهوى ، ولا تخصّ ذا رحم ، ولا تألوا الأمة! فقال: أعطوني مواثيقكم على أن تكونوا معي على مَنْ بدّل وغيّر ، وأن ترضوا من اخترت لكم ، عليّ ميثاق الله ألاّ أخصّ ذا رحِم لرحمه ، ولا آلو المسلمين. فأخذ منهم ميثاقاً ، وأعطاهم مثله ، فقال لعليّ: إنك تقول: إني أحقُّ من حضر بالأمر لقرابتك وسابقتك وحسن أثرك في الدّين؛ ولم تبعد؛ ولكن أرأيت لو صرِف هذا الأمر عنك فلم تحضر ، من كنت ترى من هؤلاء الرّهط أحقّ بالأمر؟ قال: عثمان. وخلا بعثمان؛ فقال: تقول: شيخ من بني عبد مناف؛ وصهر رسول الله ﷺ وابن عمه ، لي سابقة وفَضْل ـ لم تبعد ـ فلن يصرف هذا الأمر عني ، ولكن لو لم تحضر فأيّ هؤلاء الرهط تراه أحقّ به؟ قال: عليّ. ثم خلا بالزّبير ، فكلمه بمثل ما كلم به عليّاً وعثمان؛ فقال: عثمان. ثم خَلا بسعد ، فكلمه ، فقال: عثمان. فلقي عليّ سعداً ، فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ، أسألك برحمِ ابني هذا من رسول الله ﷺ ، وبرحمِ عمّي حمزة منك ألاّ تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيراً عليّ؛ فإني أدْلي بما لا يُدْلي به عثمان. ودار عبد الرحمن لياليَه يلقى أصحاب رسول الله ﷺ ومَن وافَى المدينة من أمراء الأجناد وأشراف الناس ، يشاورهم ، ولا يخلُو برجل إلا أمره بعثمان؛ حتى إذا كانت الليلة التي يُسْتكمَل في صبيحتها الأجلُ ، أتى منزل المِسْوَر بن مخرمة بعد ابهرار من الليل؛ فأيقظه فقال: ألا أراك نائماً ولم أذق في هذه الليلة كثير غَمْض! انطلق فادعُ الزبير وسعداً.

فدعاهما فبدأ بالزبير في مؤخر المسجد في الصُّفَّة التي تلي دارَ مروان ، فقال

له: خلّ ابنيْ عبد مناف وهذا الأمر، قال: نصيبي لعليّ، وقال لسعد: أنا وأنت كَلاَلة، فاجعل نصيبك لي فأختار، قال: إن اخترتَ نفسك فنعم، وإن اخترتَ عثمان فعليّ أحبّ إليّ؛ أيها الرجل بايع لنفسك وأرِحْنا، وارفع رؤوسنا، قال: يا أبا إسحاق! إني قد خلعتُ نفسي منها على أن أختار، ولو لم أفعل وجُعل الخيار إليّ لم أرِدْها، إني أريت كروضة خضراء كثيرة العُشْب، فدخل فحلٌ فلم أر فحلاً قطّ أكرم منه، فمرّ كأنه سهم لا يلتفت إلى شيء مما في الرّوْضة حتى قطعها، لم يعرّج. ودخل بعير يتلوه فاتّبع أثره حتى خرج من الرّوضة، ثم دخل فحل عبقريٌّ يجرّ خِطامه، يلتفت يميناً وشمالاً ويمضي قَصْد الأوليْن حتى خرج، ثمّ دخل بعير رابع فرتَع في الرّوْضة؛ ولا والله لا أكون الرابع؛ ولا يقوم مقام أبي بكر وعمر بعدهما أحدٌ فيرضى الناس عنه. قال سعد: فإني أخافُ أن يكون الضّعف قد أدركك، فامضِ لرأيك؛ فقد عرفت عهد عمر.

وانصرف الزبير، وسعد، وأرسل المِسْور بن مخرمة إلى عليّ، فناجاه طويلاً؛ وهو لا يشكّ: أنه صاحب الأمر، ثم نهض؛ وأرسل المِسوَر إلى عثمان. فكانا في نجيّهما؛ حتى فرّق بينهما أذان الصبح. فقال عمرو بن ميمون: قال لي عبد الله بن عمر: يا عمرو! مَنْ أخبرك أنه يعلم ما كلّم به عبد الرحمن بن عوف علياً، وعثمان؛ فقد قال بغير علم؛ فوقع قضاء ربّك على عثمان. فلما صلوا الصبح جمع الرهط، وبعث إلى من حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الأنصار، وإلى أمراء الأجناد، فاجتمعوا حتى التجّ المسجد بأهله، فقال: أيُّها الناس! إنّ الناس قد أحبّوا أن يلحق أهلُ الأمصار بأمصارهم وقد علموا مَن أميرُهم. فقال سعيد بن زيد: إنّا نراك لها أهلاً، فقال: أشيروا عليّ بغير هذا، فقال عمّار: إن أردت ألاّ يختلف المسلمون فبايع علياً. فقال المقداد بن الأسود: صَدق عمّار؛ إن بايعت علياً؛ قلنا: سمعنا، وأطعنا. قال ابنُ أبي سرح: إن أردت ألاّ تختلف قريش فبايع عثمان. فقال عبد الله بن أبي ربيعة: صَدق؛ إن بايعتَ عثمان؛ قلنا: سمعنا وأطعنا. فشتم عمّار ابن أبي سَرْح، وقال: متى كنت تنصح المسلمين؟!

فتكلم بنو هاشم وبنو أميّة، فقال عمار: أيُّها الناس! إنّ الله عزّ وجلّ أكرمنا بنبيّه، وأعزّنا بدينه، فأنّى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم! فقال رجل من

بني مخزوم: لقد عدوتَ طورَك يا بن سميّة! وما أنت وتأمير قريش لأنفسها! فقال سعد بن أبي وقاص: يا عبد الرحمن! افرغ قبل أن يفتتن الناس، فقال عبد الرحمن: إني قد نظرت وشاورت، فلا تجعلُنَّ أيها الرهط على أنفسكم سبيلاً. ودعا علياً، فقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعْمَلنّ بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده؟ قال: أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي؛ ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعليّ، قال: نعم، فبايعه، فقال عليّ: حبوتَه حَبْوَ دهر؛ ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا؛ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون! والله ما ولّيتَ عثمان إلا ليردّ الأمر إليك؛ والله كلّ يوم هو في شأن؛ فقال عبد الرحمن: يا عليّ! لا تجعل على نفسك سبيلاً؛ فإني قد نظرت وشاورتُ الناس؛ فإذا هم لا يعدلون بعثمان. فخرج عليّ وهو يقول: سيبلغ الكتاب أجله. فقال المقداد: يا عبد الرحمن! أما والله لقد تركتَه من الذين يقضون بالحقّ وبه يعدلون. فقال: يا مقداد! والله لقد اجتهدتُ للمسلمين؛ قال: إن كنتَ أردت بذلك الله فأثابك الله ثواب المحسنين. فقال المقداد: ما رأيتُ مثل ما أوتي إلى أهل هذا البيت بعد نبيّهم. إني لأعجب من قريش: أنّهم تركوا رجلاً ما أقول إنّ أحداً أعلم ولا أقضى منه بالعدل؛ أما والله لو أجد عليه أعواناً! فقال عبد الرحمن: يا مقداد! اتّق الله؛ فإني خائف عليك الفتنة! فقال رجل للمقداد: رحمك الله! مَن أهل هذا البيت، ومَن هذا الرجل؟ قال: أهل البيت بنو عبد المطلب، والرجل عليّ بن أبي طالب. فقال عليّ: إنّ الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر إلى بيتها، فتقول: إن وُليَ عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم. وقدم طلحة في اليوم الذي بويع فيه لعثمان، فقيل له: بايع عثمان، فقال: أكلّ قريش راضٍ به؟ قال: نعم، فأتى عثمانَ فقال له عثمان: أنت على رأس أمرك، إن أبيتَ رددتُها، قال: أتردّها؟ قال: نعم؛ قال: أكلّ الناس بايعوك؟ قال: نعم، قال: قد رضيتُ؛ لا أرغب عمّا قد أجمعوا عليه، وبايعه.

وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن: يا أبا محمد! قد أصبتَ إذ بايعتَ عثمان! وقال لعثمان: لو بايع عبد الرحمن غيرَك ما رضينا، فقال عبد الرحمن: كذبت يا أعور! لو بايعتُ غيره لبايعتَه، ولقلتَ هذه المقالة.

وقال الفرزدق:

صلَّى صُهَيْبٌ ثلاثاً ثمَّ أرْسَلَها ... على ابنِ عَفَّانَ مُلْكاً غير مقصور
خلافةً من أبي بكر لصاحبِهِ ... كانوا أخِلَّاءَ مَهْدِيٍّ ومأمورِ

وكان المِسْوَر بن مخرمة يقول: ما رأيت رجلاً بذّ قوماً فيما دخلوا فيه بأشدّ مما بذّهم عبد الرحمن بن عوف[1]. (٤: ٢٢٧/ ٢٢٨/ ٢٢٩/ ٢٣٠/ ٢٣١/ ٢٣٢/ ٢٣٣/ ٢٣٤).

---

(١) هذا إسناد مركب جمع فيه الطبري الرواية من هذه الطرق (وهي ثلاثة) فخلط رواية البعض بالبعض الآخر، أما طريق شهر بن حوشب فقد أخرجه شيخ الطبري (عمر بن شبة) في كتابه القيّم (أخبار المدينة المنورة ٣/٦) مختصراً ليس فيه إلا ذكر فضل أبي عبيدة وسالم مولىٰ أبي حذيفة وأنه لو كانا علىٰ قيد الحياة لاستخلفهما (أي عمر رضي الله عنه)، وهذا يعني أن النكارة الشديدة من قبل أبي مخنف أو إبراهيم النخعي ولا نظنه من قبل إبراهيم فهو وإن كان يرسل كثيراً كما قال الحافظ فإنه غير متهم بالكذب أو الوضع والافتراء كما هو حال أبي مخنف ـ وإن كان إبراهيم في إسناده هنا يرسل لأنه ولد بعد الحادثة (أي وفاة عمر والشورىٰ) بحوالي (٢٢) سنة فهو أرسل هنا أيضاً ولكننا علىٰ يقين من أن التالف الهالك أبا مخنف هو الذي افترىٰ وقال هذه النكارات الشنيعة التي تكذبها الروايات الصحيحة عند البخاري وغيره كما ذكرنا في قسم الصحيح فليراجع (٤/ ٢٢٧/ قصة الشورىٰ)، وسنذكر طرفاً من غرائب وعجائب اختلقها أبو مخنف والروايات الصحيحة السند تكذبه والحمد لله على نعمة الإسناد.

١ ـ رواية أبي مخنف تؤكد أن عمراً أمر صهيباً أن يراقب مجلس الشورىٰ المتكون من الصحابة المعروفين (عثمان، علي، طلحة، الزبير، سعد) فإن لم يتفقوا فإن عليه (أي علىٰ صهيب) أن يضرب رؤوسهم بالسيف.

وحاشا لسيدنا عمر أن يكون سيىء الأدب مع من مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ (وباعتراف أمير المؤمنين عمر نفسه) والرواية الصحيحة تكذب ذلك فقد أخرج ابن سعد في طبقاته بسندٍ حسنٍ أن عمر رضي الله عنه أمر صهيباً أن يضرب رأس من خالف مجلس الشورىٰ بعد اتفاق هذا المجلس وفيه (فإذا اجتمعوا علىٰ رجل فمن خالفهم فاضربوا رأسه) (الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٣٤٢).

٢ ـ اختلق أبو مخنف كلاماً على لسان سيدنا علي رضي الله عنه وهو أنه اتهم عبد الرحمن بالتحيز إلىٰ جانب عثمان بعد أن اتهمه عمه العباس بأنه قد تخلىٰ عن أعوانه وأبنائه من آل بيت النبي ﷺ وضعف أمام عثمان. وحاشا لعلي أن يقول مثل هذا وحاشا لابن عوف ألا يعدل، ولم نجد رواية صحيحة تثبت ما قاله أبو مخنف علماً بأن عبد الرحمن كان أقرب إلىٰ علي بناحية الرابطة العشائرية وما إلىٰ ذلك من عثمان فعبد الرحمن زهري وهم أخوال رسول الله ﷺ فمن أقرب لمن؟

٦٥٩ ـ قال أبو جعفر: وأما المِسْوَر بن مخرمة، فإنّ الرواية عندنا عنه ما حدّثني سلم بن جُنادة أبو السائب، قال: حدّثنا سُليمان بن عبد العزيز بن أبي ثابت بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، قال: حدّثنا أبي عن عبد الله بن جعفر، عن أبيه، عن المِسْوَر بن مخرمة ـ وكانت أمه عاتكة بنة عوف ـ في الخبر الذي قد مضى ذكر أوله في مقتل عمر بن الخطّاب؛ قال: ونزل في قبره ـ يعني في قبر عمر ـ الخمسة، يعني أهل الشورى. قال: ثم خرجوا يريدون بيوتهم؛ فناداهم عبد الرحمن: إلى أين؟ هلمّوا! فتبعوه، وخرج حتى دخل بيت فاطمة بنة قيس الفهريّة، أخت الضحّاك بن قيس الفهريّ ـ قال بعض أهل العلم: بل كانت زوجتُه؛ وكانت نَجوداً، يريد ذات رأي ـ قال: فبدأ عبد الرحمن بالكلام، فقال: يا هؤلاء؛ إنّ عندي رأياً، وإنّ لكم نظراً؛ فاسمعوا تعلّموا، وأجيبوا تفقهوا؛ فإنّ حابياً خير من زاهق؛ وإن جُرعةً من شَرُوب بارد أنفع من عذب مُوبٍ؛ أنتم أئمة يهتدى بكم؛ وعلماء يصدَر إليكم؛ فلا تفلّوا المدَى بالاختلاف بينكم، ولا تُغمِدوا السيوف عن أعدائكم؛ فتُوتِروا ثأركم، وتؤلتوا أعمالكم؛ لكلّ أجل كتاب؛ ولكل بيت إمام بأمره يقومون، وبنهيه يَرعوون. قلّدوا أمركم واحداً منكم تمشوا الهوينى وتلحقوا الطلب؛ لولا فتنة عمياء، وضلالة حيراء؛ يقول أهلها ما يرون، وتحلّهم الحَبَوْكَرَى، ما عدَتْ نياتكم معرفَتكم، ولا أعمالكم نياتكم. احذروا نصيحة الهوى، ولسان الفُرْقة؛ فإنّ الحيلة في المنطق أبلغُ من السيوف في الكلْم؛ علِّقُوا أمركم رَحْبَ الذراع فيما حلّ، مأمون الغيب فيما نزل، رضاً منكم وكلكم رضاً، ومقترَعاً منكم وكلّكم منتهى، لا تطيعوا مفسداً ينتصح؛ ولا تخالفوا مرشداً ينتصر؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

= ٣ ـ ثم إن رواية أبي مخنف التالف الهالك تقول بأن طلحة كان غائباً عن اجتماع مجلس الشورىٰ بينما تذكر الروايات الصحيحة خلاف ذلك تماماً ـ ولا نريد أن نطيل هنا في ذكر افتراءات أبي مخنف وزياداته الشنيعة وطعنه الخبيث في عدالة الصحابة فيكفينا ما ذكرنا من الروايات الصحيحة في قسم الصحيح من عهد الخلفاء الراشدين فمن أراد أن يتعرف على طامات وزلات أبي مخنف في هذه الرواية فننصحه بالرجوع إلىٰ الكتاب القيّم (روايات أبي مخنف في تأريخ الطبري) للأستاذ الفاضل يحيىٰ اليحيىٰ فقد فصّل وأجاد فجزاه الله عن المسلمين وتأريخ خلفائهم خير الجزاء.

ثم تكلّم عثمان بن عفان ، فقال : الحمدُ لله الذي اتّخذ محمّداً نبيّاً ، وبعثه رسولاً ، صدقه وعده ، ووهب له نصره على كلّ مَن بَعُد نسباً ، أو قرب رَحِماً؛ ﷺ ؛ جعلنا الله له تابعين وبأمره مهتدين؛ فهو لنا نور؛ ونحن بأمره نقوم عند تفرّق الأهواء ، ومجادلة الأعداء ، جعلنا الله بفضله أئمة وبطاعته أمراء ، لا يخرج أمرنا منّا ، ولا يدخل علينا غيرنا إلا من سفِهَ الحقّ؛ ونكل عن القصد ، وأحْرِ بها يا بن عوف أن تترك ، وأحْذِر بها أن تكون إن خولف أمرك وترك دعاؤك؛ فأنا أوّل مجيب لك ، وداعٍ إليك ، وكفيل بما أقول زعيم؛ وأستغفر الله لي ولكم.

ثم تكلّم الزبير بن العوام بعده ، فقال : أمّا بعد : فإنّ داعيَ الله لا يجهل ، ومجيبه لا يخذَل ، عند تفرّق الأهواء وليّ الأعناق؛ ولن يقصّر عمّا قلت إلا غويّ ، ولن يترك ما دعوت إليه إلاّ شقيّ ، لولا حدود لله فرضت ، وفرائض لله حُدّت ، تراح على أهلها ، وتحيا لا تموت؛ لكان الموت من الإمارة نجاة ، والفرار من الولاية عصمة ، ولكن لله علينا إجابة الدعوة ، وإظهار السنّة؛ لئلا نموت ميتة عمِّيَّة ، ولا نَعْمَى عمى جاهليّة ، فأنا مجيبك إلى ما دعوت ، ومعينك على ما أمرت ، ولا حوْل ولا قوة إلا بالله ، وأستغفر الله لي ولكم.

ثم تكلّم سعد بن أبي وقّاص ، فقال : الحمد لله بديئاً كان ، وآخراً يعود ، أحمده لما نجّاني من الضلالة ، وبصّرني من الغواية ، فبهدي الله فاز مَن نجا ، وبرحمته أفلح من زكا ، وبمحمد بن عبد الله ﷺ أنارت الطرق ، واستقامت السبل ، وظهر كلّ حق ، ومات كلّ باطل؛ إياكم أيها النّفر وقولَ الزور ، وأمنيّة أهل الغرور ، فقد سلبت الأمانيُّ قوماً قبلكم ورثوا ما ورثتم ، ونالوا ما نلتم؛ فاتّخذهم الله عدوًّا ، ولعنهم لعناً كبيراً. قال الله عزّ وجل : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ إنّي نكبت قَرَني فأخذت سهمي الفالج ، وأخذتُ لطلحة بن عبيد الله ما ارتضيت لنفسي؛ فأنا به كفيل ، وبما أعطيتُ عنه زعيم ، والأمر إليك يا بن عوف ! بجهد النفس ، وقصد النُّصْح ، وعلى الله قصد السبيل ، وإليه الرّجوع ، وأستغفر الله لي ولكم؛ وأعوذ بالله من مخالفتكم.

ثم تكلّم عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه؛ فقال : الحمدُ لله الذي بعث

محمداً منّا نبيّاً ، وبعثه إلينا رسولاً ، فنحن بيت النبوّة ، ومعدن الحكمة؛ وأمان أهل الأرض ، ونجاة لمن طلب ، لنا حقّ إن نعطَه نأخذه؛ وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل ولو طال السُّرَى؛ لو عهد إلينا رسول الله ﷺ عهداً؛ لأنفذنا عهده ، ولو قال لنا قولاً؛ لجادلنا عليه؛ حتى نموت. لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حقّ وصِلة رحم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله اسمعوا كلامي ، وعوا منطقي؛ عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا المجمع تُنتضَى فيه السيوف ، وتُخان فيه العهود؛ حتى تكونوا جماعة ، ويكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة ، وشيعةً لأهل الجهالة ، ثم أنشأ يقول:

فإن تكُ جاسمٌ هَلَكَتْ فإنّي بما فعلتْ بنو عبدِ بنِ ضخْمِ
مُطيعٌ في الهواجِرِ كلّ عَيّ بصيرٌ بالنَّوَى من كلِّ نَجْم

فقال عبد الرحمن: أيكم يطيب نفساً أن يخرج نفسه من هذا الأمر ، ويولّيه غيرَه؟ قال: فأمسَكوا عنه ، قال: فإني أخرج نفسي ، وابنَ عمّي ، فقلده القوم الأمر ، وأحلفهم عند المنبر؛ فحلفوا ليبايعُنّ مَن بايع ، وإن بايع بإحدى يديه الأخرى ! فأقام ثلاثاً في داره التي عند المسجد التي يقال لها اليوم رحبة القضاء ـ وبذلك سمّيت رَحْبة القضاء ـ فأقام ثلاثاً يصلّي بالناس صهيب.

قال: وبعث عبد الرحمن إلى عليّ ، فقال له: إن لم أبايعك فأشر عليّ؛ فقال: عثمان. ثم بعث إلى عثمان ، فقال: إن لم أبايعك ، فمن تشير عليّ؟ قال: عليّ. ثم قال لهما: انصرفا. فدعا الزبير ، فقال: إن لم أبايعك؛ فمن تشير عليّ ، قال: عثمان ، ثم دعا سعداً ، فقال: مَنْ تشير عليّ؟ فأمّا أنا وأنت فلا نريدها ، فمن تشير عليّ ؟ قال: عثمان. فلمّا كانت الليلة الثالثة ، قال: يا مِسْوَر ! قلت: لبّيك ، قال: إنك لنائم؛ والله ما اكتحلت بغَماض منذ ثلاث. اذهب فادعُ لي عليّاً ، وعثمان. قال: قلت: يا خال ! بأيّهما أبدأ؟ قال: بأيّهما شئت ، قال: فخرجت فأتيت عليّاً ـ وكان هواي فيه ـ فقلت: أجب خالي ، فقال: بعثك معي إلى غيري؟ قلت: نعم؛ قال: إلى من؟ قلت: إلى عثمان ، قال: فأينا أمرك أن تبدأ به؟ قلت: قد سألته فقال: بأيّهما شئت ، فبدأت بك ، وكان هواي فيك. قال: فخرج معي حتى أتينا المقاعد ، فجلس عليها عليّ ، ودخلت على عثمان فوجدته يوتر مع الفجر ، فقلت: أجب خالي ، فقال: بعثك

معي إلى غيري؟ قلت: نعم، إلى عليّ، قال: بأيّنا أمرك أن تبدأ؟ قلت: سألته فقال: بأيّهما شئت؛ وهذا عليّ على المقاعد، فخرج معي حتى دخلنا جميعاً على خالي وهو في القبلة قائم يصلّي، فانصرف لمَّا رآنا، ثم التفت إلى عليّ، وعثمان، فقال: إنّي قد سألت عنكما وعن غيركما، فلم أجد الناس يعدلون بكما؛ هل أنت يا عليّ مبايعي على كتاب الله وسنّة نبيّه وفعل أبي بكر وعمر؟ فقال: اللهمّ لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي. فالتفت إلى عثمان، فقلت: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنّة نبيّه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهمّ نعم، فأشار بيده إلى كتفيه، وقال: إذا شئتما! فنهضنا حتى دخلنا المسجد، وصاح صائح: الصلاة جامعة ـ قال عثمان: فتأخّرت والله حياء لما رأيت من إسراعه إلى عليّ؛ فكنت في آخر المسجد ـ قال: وخرج عبد الرحمن بن عوف وعليه عمامته التي عمَّمه بها رسول الله ﷺ، متقلّداً سيفه؛ حتى ركِب المنبر، فوقف وقوفاً طويلاً، ثم دعا بما لم يسمعه الناس.

ثم تكلّم، فقال: أيّها الناس! إني قد سألتكم سرّاً وجهراً عن إمامكم؛ فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين، إما عليّ، وإما عثمان؛ فقم إليّ يا عليّ، فقام إليه عليّ، فوقف تحت المنبر؛ فأخذ عبد الرحمن بيده، فقال: هل أنتَ مبايعي على كتاب الله وسنة نبيّه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم لا؛ ولكن على جَهدي من ذلك وطاقتي؛ قال: فأرسل يده ثم نادَى: قم إليّ يا عثمان؛ فأخذ بيده ـ وهو في موقف عليّ الذي كان فيه ـ فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنّة نبيّه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهمّ نعم؛ قال: فرفع رأسه إلى سقف المسجد، ويده في يد عثمان، ثم قال: اللهمّ اسمع واشهد؛ اللهمّ إنِّي قد جعلت ما في رقبتي من ذاك في رقبة عثمان. قال: وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غَشُوه عند المنبر، فقعد عبد الرحمن مقعد النبي ﷺ من المنبر، وأقعد عثمان على الدرجة الثانية، فجعل الناس يبايعونه، وتلكّأ عليّ، فقال عبد الرحمن: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾؛ فرجع عليّ يشقّ الناس؛ حتى بايع وهو يقول: خدعة وأيّما خدعة!

قال عبد العزيز: وإنما سبب قول عليّ: «خدعة»؛ أن عمرو بن العاص كان قد لقي عليّاً في ليالي الشورى، فقال: إن عبد الرحمن رجل مجتهد، وإنّه متى

أعطيتَه العزيمة كان أزهدَ له فيك؛ ولكن الجهد والطاقة؛ فإنه أرغبُ له فيك. قال: ثم لقي عثمان، فقال: إنّ عبد الرحمن رجل مجتهد؛ وليس والله يبايعك إلاّ بالعزيمة، فاقبَل؛ فلذلك قال عليّ: «خدعة».

قال: ثم انصرف بعثمان إلى بيت فاطمة بنة قيس، فجلس والناس معه، فقام المغيرة بن شعبة خطيباً، فقال: يا أبا محمد! الحمد لله الذي وفّقك؛ والله ما كان لها غير عثمان ـ وعليّ جالس ـ فقال عبد الرحمن: يا بن الدّباغ! ما أنت وذاك؟! والله ما كنت أبايع أحداً إلاّ قلتَ فيه هذه المقالة!

قال: ثم جلس عثمان في جانب المسجد؛ ودعا بعبيد الله بن عمر ـ وكان محبوساً في دار سعد بن أبي وقاص، وهو الذي نزع السيف من يده بعد قتله جُفينة والهُرمزان وابنة أبي لؤلؤة، وكان يقول: والله لأقتلنّ رجالاً ممن شرك في دم أبي ـ يعرّض بالمهاجرين والأنصار ـ فقام إليه سعد، فنزع السيف من يده؛ وجذب شعره حتى أضجعه إلى الأرض، وحبسه في داره حتى أخرجه عثمان إليه؛ فقال عثمان لجماعة من المهاجرين والأنصار: أشيروا عليّ في هذا الذي فتَق في الإسلام ما فتَق، فقال عليّ: أرى أن تقتله، فقال بعض المهاجرين: قتل عمر أمسِ ويقتل ابنه اليوم! فقال عمرو بن العاص: يا أميرَ المؤمنين! إنّ الله قد أعفاك أنْ يكون هذا الحدَث كان ولك على المسلمين سلطان؛ إنما كان هذا الحدَث ولا سلطان لك؛ قال عثمان: أنا وليّهم، وقد جعلتها ديةً، واحتملتها في مالي.

قال: وكان رجل من الأنصار يقال له: زياد بن لبيد البيّاضيّ إذا رأى عبيد الله بن عمر، قال:

ألا يـا عبيـدَ الله مـالـك مهـربٌ ... ولا مَلْجَـأٌ مِـنْ ابـنِ أرْوَى ولا خَفَـرْ

أصبْـتَ دمـاً والله فـي غيـر حِلّـه ... حـرامـاً وقتـلُ الهُـرْمُـزانِ لـه خَطَـرْ

علـى غيـرِ شـيءٍ غيـرَ أن قـال قـائـلٌ ... أتَتّهِمُـونَ الهُـرمـزَان علـى عمـرْ

فقـال سَفيـهٌ ـ والحـوادث جَمّـة ... نعـم اتّهِمْـه قـد أشـار وقـد أمـر

وكـان سـلاحُ العبدِ فـي جـوف بيتِـهِ ... يقَلّبهـا والأمـرُ بـالأمـرِ يُعتَبـرْ

قال: فشكا عبيد الله بن عمر إلى عثمان زياد بن لَبيد وشعره، فدعا عثمان زياد بن لَبيد، فنهاه. قال: فأنشأ زياد يقول في عثمان:

أبـــا عمــــرٍو عبيـــدُ الله رَهْــــنٌ فــلا تَشْكُــكْ بقَتْــلِ الهُـــرمـــزَان
فــإنــك إنْ غَفــرْتَ الجـرْمَ عنـــه وأسبـــابُ الخَطـــا فَـــرَســـا رِهـــانِ
أتَعْفُـــو إذ عَفَـــوتَ بغيـــر حَـــقّ فمـــا لـــك بـــالـــذي تَحْكـي يـدانِ!

فدعا عثمان زياد بن لبيد فنهاه وشذّبه[1]. (٤ : ٢٣٤/ ٢٣٥/ ٢٣٦/ ٢٣٧/ ٢٣٨/ ٢٣٩/ ٢٤٠).

٦٦٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيّب: أن عبد الرحمن بن أبي بكر قال غداة طُعِن عمر: مررت على أبي لؤلؤة عشيّ أمس؛ ومعه جُفينة والهرمزان ، وهم نجيّ ، فلما رهِقْتهم ثاروا ، وسقط منهم خنجر له رأسان ، نصابُه في وسطه؛ فانظروا بأيّ شيء قتل؛ وقد تخلل أهل المسجد ، وخرج في طلبه رجل من بني تميم ، فرجع إليهم التميميّ ، وقد كان ألظَّ بأبي لؤلؤة منصرفَه عن عمر ، حتى أخذه فقتله؛ وجاء بالخنجر الذي وصفه عبد الرحمن بن أبي بكر ، فسمع بذلك عُبيد الله بن عمر؛ فأمسك حتى مات عمر؛ ثمّ اشتمل على السيف؛ فأتى الهرمزان فقتله؛ فلما عضّه السيف قال: «لا إله إلا الله». ثمّ مضى حتى أتى جُفينة ـ وكان نصرانيّاً من أهل الحيرة ظئراً لسعد بن مالك ، أقدمه إلى المدينة للصلح الذي بينه وبينهم ، وليعلّم بالمدينة الكتابة ـ فلما علاه بالسيف صلّب بين عينيه. وبلغ ذلك صهيباً؛ فبعث إليه عمرو بن العاص ، فلم يزل به وعنه ، ويقول: السيف بأبي وأمّي! حتى ناوله إياه ، وثاوره سعدٌ فأخذ بشعره ، وجاؤوا إلى صهيب[2] (٤ : ٢٤٠/ ٢٤١).

---

(١) إسناده ضعيف جداً ، وعبد العزيز متروك ـ وفي متنه نكارة شديدة منها ما افتراه على لسان علي رضي الله عنه أنه قال (خدعة وأيما خدعة) أي أنه خُدع في مجلس الشورى المنعقد بين الصحابة المعروفين ولم تثبت هذه المقولة في رواية صحيحة ولا حتىٰ في رواية ضعيفة والحمد لله على نعمة الإسناد.
ويكفي دليلاً علىٰ بطلان ونكارة هاتين الروايتين ما ورد بأسانيد صحيحة عند أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد ذكرنا منها ما علمنا في قسم الصحيح عن قصة الشورىٰ فراجعها هناك.

(٢) إسناده ضعيف.

عمال عمر رضي الله عنه على الأمصار

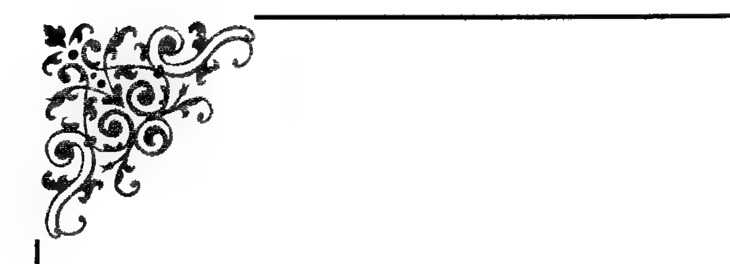
وفي هذه السنة ـ أعني : سنة ثلاث وعشرين ـ توفي ـ فيما زعم الواقديّ ـ قتادة ابن النّعمان الظَّفَرِيّ ، وصلى عليه عمر بن الخطّاب .

وفيها غزا معاوية الصائفة حتى بلغ عمّورية؛ ومعه من أصحاب رسول الله ﷺ عُبادة بن الصامت ، وأبو أيّوب خالد بن زيد ، وأبو ذرّ ، وشدّاد بن أوْس .

وفيها فتح معاوية عَسْقلان على صلح .

وقيل : كان على قضاء الكوفة في السنة التي توفي فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه شُريح ، وعلى البصرة كعب بن سُور؛ وأما مصعب بن عبد الله فإنه ذكر أن مالك بن أنس روى عن ابن شهاب : أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لم يكن لهما قاضٍ. (٤ : ٢٤١).

* * *




ضعيف
تاريخ عثمان بن عفان رضي الله عنه






ثم دخلت سنة أربع وعشرين
ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

٦٦١ ـ ففيها بويع لعثمان بن عفان بالخلافة ، واختلف في الوقت الذي بويع له فيه؛ فقال بعضهم ما حدّثني به الحارث ، قال: حدّثنا ابنُ سعد ، قال: أخبرنا محمد بن عمر ، قال: حدّثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقّاص عن عثمان بن محمّد الأخنسيّ. قال: وأخبرنا محمد بن عمر قال: حدّثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة عن يعقوب بن زيد عن أبيه ، قالا: بويع عثمان بن عفّان يوم الإثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، فاستقبل بخلافته المحرّم سنة أربع وعشرين[١]. (٤: ٢٤٢).

٦٦٢ ـ وقال آخرون ما حدّثني به أحمد بن ثابت الرازيّ عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال: بويع لعثمان عام الرُّعاف سنة أربع وعشرين ، قيل: إنما قيل لهذه السنة عام الرّعاف؛ لأنه كثر الرُّعاف فيها في الناس[٢]. (٤: ٢٤٢).

٦٦٣ ـ وقال آخرون ـ فيما كتب به إليّ السَّريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن خُلَيد بن ذَفرة ومجالد؛ قالا: استُخلف عثمان لثلاث مضيْن من المحرّم سنة أربع وعشرين ، فخرج فصلى بالناس العصر ، وزاد: ووفّد فاستُنّ به[٣]. (٤: ٢٤٢).

٦٦٤ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمر ، عن الشعبيّ ، قال: اجتمع أهل الشورى على عثمان لثلاث مضيْن من المحرّم ، وقد دخل وقت

(١) ضعيف وقال ابن كثير: وهذا غريب جداً (البداية والنهاية (٧/ ١٥٢).
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

العصر ، وقد أذّن مؤذّن صُهيب ، واجتمعوا بين الأذان والإقامة ، فخرج فصلى بالناس ، وزاد الناس مئة ، ووفّد أهل الأمصار؛ وهو أوّل مَن صنع ذلك[١] (٤ : ٢٤٢).

٦٦٥ ـ وقال آخرون ـ فيما ذكر ابن سعد عن الواقديّ ، عن ابن جُريج عن ابن مُلَيكة ، قال: بويع لعثمان لعشر مضيْن من المحرّم ، بعد مقتل عمر بثلاث ليال[٢]. (٤ : ٢٤٢).

خطبة عثمان رضي الله عنه وقتل عبيدِ الله بن عمر الهرمزان

٦٦٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن بدر بن عثمان ، عن عمّه ، قال: لما بايع أهلُ الشورى عثمان؛ خرج وهو أشدّهم كآبة ، فأتى مِنبر رسولِ الله ﷺ ، فخطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبيّ ﷺ ، وقال: إنكم في دار قُلْعة ، وفي بقية أعمار ، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه؛ فلقد أتيتم ، صبّحتم أو مسّيتم؛ ألا وإن الدنيا طويت على الغرور ، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]. اعتبروا بمن مضى ، ثم جِدُّوا ولا تغفلوا ، فإنه لا يُغْفَل عنكم. أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعَمَرُوها ، ومُتِّعوا بها طويلاً؛ ألم تلفِظْهم! ارموا بالدنيا حيث رمَى الله بها ، واطلبوا الآخرة؛ فإنّ الله قد ضرب لها مثلاً؛ وللّذي هو خير ، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إلى قوله ﴿أَمَلًا﴾ ، وأقبل الناس يبايعونه[٣]. (٤ : ٢٤٣).

٦٦٧ ـ وكتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن أبي منصور ، قال: سمعت القماذبان يحدّث عن قتل أبيه ، قال: كانت العجم بالمدينة يستروح بعضُها إلى بعض فمرّ فيروز بأبي ، ومعه خنجر له رأسان ، فتناوله منه ، وقال: ما تصنع بهذا في هذه البلاد؟ فقال: آنَسُ به؛ فرآه رجل ، فلما أصيب عمر ،

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف ، وقال ابن كثير: وهذا أغرب من الذي قبله (أي ٤/ ٢٤٢/ خ١٦١).

(٣) إسناده ضعيف.

قال: رأيتُ هذا مع الهرمزان، دفعه إلى فيروز. فأقبل عُبيد الله فقتَله؛ فلما ولي عثمان دعاني فأمكنني منه، ثم قال: يا بنيّ! هذا قاتل أبيك؛ وأنت أوْلى به منا، فاذهب فاقتله؛ فخرجت به وما في الأرض أحد إلاّ معي؛ إلاّ أنهم يطلبون إليّ فيه. فقلت لهم: ألي قتلُه؟ قالوا: نعم ـ وسبُّوا عبيدَ الله ـ فقلت: أفلكم أن تمنعوه؟ قالوا: لا، وسبُّوه فتركته لله ولهم. فاحتملوني؛ فو الله ما بلغتُ المنزل إلاّ على رؤوس الرّجال وأكفّهم[١]. (٤: ٢٤٣/ ٢٤٤).

ولاية سعد بن أبي وقاص الكوفة

٦٦٨ ـ وأمّا الواقديّ: فإنه ذكر أنّ أسامة بن زيد بن أسلم حدّثه عن أبيه: أن عمرَ أوصى أن يُقَرّ عمّاله سنة؛ فلما ولي عثمان أقرّ المغيرةَ بن شعبة على الكوفة سنة، ثم عزله، واستعمل سعد بن أبي وقاص ثم عزله، واستعمل الوليد بن عُقْبة. فإن كان صحيحاً ما رواه الواقديّ من ذلك، فولاية سعد الكوفة من قبَل عثمان كانت سنة خمس وعشرين[٢]. (٤: ٢٤٤).

كتب عثمان رضي الله عنه إلى عمّاله وولاته والعامّة

٦٦٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة بإسنادهما، قالا: لما وَلِيَ عثمان بعث عبد الله بن عامر إلى كابُل ـ وهي عُمالة سجِسْتان ـ فبلغ كابُل حتى استفرغَها، فكانت عُمالة سجستان أعظمَ من خُراسان؛ حتى مات معاوية، وامتنع أهل كابُل[٣]. (٤: ٢٤٤).

٦٧٠ ـ قالوا: وكان أوّل كتاب كتبه عثمان إلى عمّاله: أمّا بعدُ: فإن الله أمَر الأئمة أن يكونوا رُعاة، ولم يتقدّم إليهم أن يكونوا جُباةً؛ وإنّ صَدْر هذه الأمة خُلِقوا رُعاة، لم يُخلَقوا جُباة، وليوشكنّ أئمتكم أن يصيرُوا جُباة ولا يكونوا رعاة؛ فإذا عادوا كذلك؛ انقطع الحياء، والأمانة، والوفاء. ألاَ وإنّ أعدل السِّيرة

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

أن تنظروا في أمور المسلمين فيما عليهم، فتعطوهم ما لهم، وتأخذوهم بما عليهم؛ ثم تُثَنُّوا بالذمّة، فتعطوهم الذي لهم، وتأخذوهم بالذي عليهم. ثم العدوّ الذي تنتابون؛ فاستفتحوا عليهم بالوفاء.

قالوا: وكان أوّل كتاب كتبه إلى أمراء الأجناد في الفروج: أمّا بعد، فإنكم حُماة المسلمين وذادتهم؛ وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنّا، بل كان عن ملأ منّا، ولا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغيِّرَ الله ما بكم ويستبدل بكم غيركم؛ فانظروا كيف تكونون، فإني أنظر فيما ألزمني الله النَّظر فيه، والقيام عليه.

قالوا: وكان أوّل كتاب كتبه إلى عمّال الخراج: أمّا بعد: فإن الله خلَق الخلْق بالحقّ؛ فلا يقبل إلا الحقّ، خذوا الحقّ وأعطوا الحقّ به. والأمانة الأمانة؛ قوموا عليها، ولا تكونوا أوّل مَن يسلبها، فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم، والوفاء الوفاء؛ لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد؛ فإن الله خصمٌ لمن ظلمهم.

قالوا: وكان كتابه إلى العامّة: أمّا بعد: فإنكم إنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء والاتّباع؛ فلا تَلْفتنّكم الدنيا عن أمركم؛ فإنّ أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن؛ فإنّ رسولَ الله ﷺ قال: «الكفر في العُجمة»؛ فإذا استعجم عليهم أمر؛ تكلّفوا، وابتدعوا[1]. (٤: ٢٤٤/ ٢٤٥).

٦٧١ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عاصم بن سليمان، عن عامر الشعبيّ، قال: أوّل خليفة زاد الناس في أعطياتهم مئة عثمان؛ فجرت. وكان عمر يجعل لكلّ نفس منفوسة من أهل الفيء في رمضان درهماً في كلّ يوم، وفرض لأزواج رسول الله ﷺ درهمين درهمين؛ فقيل له: لو صنعت لهم طعاماً فجمعتَهم عليه! فقال: أشبع الناس في بيوتهم. فأقرّ عثمان الذي كان صنع عمر؛ وزاد فوضع طعام رمضان، فقال: للمتعبد الذي يتخلف في المسجد وابن السبيل والمعترّين بالناس في رمضان[2]. (٤: ٢٤٥/ ٢٤٦).

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

غزوة أذربيجان وأرمينية

وفي هذه السنة ـ أعني: سنة أربع وعشرين ـ غزا الوليد بن عقبة أذْرَبيجان وأرمينيَة لمنع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهلَ الإسلام أيّام عمر في رواية أبي مِخْنف؛ وأمّا في رواية غيره فإن ذلك كان في سنة ستّ وعشرين.

٦٧٢ ـ ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمر المسلمين وأمرهم في هذه الغزوة: ذكر هشام بن محمد: أنّ أبا مخنف حدّثه عن فروة بن لقيط الأزديّ، ثمّ الغامديّ: أنّ مغازيَ أهلِ الكوفة كانت الريّ، وأذْربيجان، وكان بالثغرين عشرة آلاف مقاتل من أهل الكوفة؛ ستة آلاف بأذْربيجان وأربعة آلاف بالرّيّ، وكان بالكوفة إذ ذاك أربعون ألف مقاتل؛ وكان يغزو هذين الثغرين منهم عشرة آلاف في كلّ سنة؛ فكان الرجل يصيبه في كلّ أربع سنين غزوة؛ فغزا الوليد بنِ عقبة في إمارته على الكوفة في سلطان عثمان أذْرَبيجان وأرمينية، فدعا سلمانَ بن ربيعة الباهليّ، فبعثه أمامه مقدّمة له، وخرج الوليد في جماعة الناس؛ وهو يريد أن يمعِنَ في أرض أرمينية، فمضى في الناس حتى دخل أُذربيجان، فبعث عبد الله بن شُبيل بن عوف الأحمسيّ في أربعة آلاف، فأغار على أهل موقان، والبَبْر، والطيْلسان، فأصاب من أموالهم وغنِم، وتحرّز القوم منه، وسبَى منهم سبياً يسيراً، فأقبل إلى الوليد بن عُقْبة.

ثم إن الوليد صالح أهل أذْرَبيجان على ثمانمئة ألف درهم؛ وذلك هو الصلح الذي كانوا صالحوا عليه حُذيفة بن اليمان سنة اثنتين وعشرين بعد وقعة نهاوند بسنة. ثم إنهم حبسوها عند وفاة عمر، فلما ولي عثمان وولى الوليد بن عقبة الكوفة، سار حتى وطئهم بالجيش؛ فلما رأوا ذلك؛ انقادوا له، وطلبوا إليه أن يتمّ لهم على ذلك الصلح، ففعل، فقبض منهم المال، وبثّ فيمن حولهم من أعداء المسلمين الغاراتِ، فلما رجع إليه عبد الله بن شُبيل الأحمسيّ من غارته تلك ـ وقد سلم وغنم ـ بعث سلمان بن ربيعة الباهليّ إلى أرمينيَة في اثني عشر ألفاً، سنة أربع وعشرين. فسار في أرض أرمينيَة فقتل، وسبى، وغنم، ثم إنه

انصرف وقد ملأ يديه حتى أتى الوليدَ. فانصرف الوليد وقد ظَفِر وأصاب حاجته[١]. (٤: ٢٤٦/ ٢٤٧).

إجلاب الروم على المسلمين واستمداد المسلمين من بالكوفة

وفي هذه السنة ـ في رواية أبي مَخْنف ـ جاشت الرُّوم، حتّى استمدّ من بالشأم من جيوش المسلمين من عثمان مدداً.

ذكر الخبر عن ذلك:

٦٧٣ ـ قال هشام: حدّثني أبو مخْنف، قال: حدّثني فروة بن لقيط الأزديّ، قال: لما أصاب الوليد حاجتَه من أرمينيَة في الغزوة التي ذكرتها في سنة أربع وعشرين من تاريخه، ودخل الموصل فنزل الحديثة، أتاه كتاب من عثمان رضي الله عنه:

أمّا بعد؛ فإنّ معاوية بن أبي سفيان كتب إليّ يخبرني: أنّ الروم قد أجلبت على المسلمين بجموع عظيمة، وقد رأيت أن يمدّهم إخوانهم من أهل الكوفة؛ فإذا أتاك كتابي هذا؛ فابعث رجلاً ممن ترضى نجدته وبأسه وشجاعته وإسلامه في ثمانية آلاف، أو تسعة آلاف، أو عشرة آلاف إليهم من المكان الذي يأتيك فيه رسولي؛ والسلام.

فقام الوليد في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد أيّها الناس! فإنّ الله قد أبلَى المسلمين في هذا الوجه بلاء حسناً؛ ردّ عليهم بلادهم التي كفرت، وفتَح بلاداً لم تكن افتُتِحت، وردّهم سالمين غانمين مأجورين، فالحمد لله رب العالمين. وقد كتب إليّ أمير المؤمنين يأمرني أن أندُب منكم ما بين العشرة الآلاف إلى الثمانية الآلاف، تُمدّون إخوانكم من أهل الشأم، فإنهم قد جاشت عليهم الرّوم؛ وفي ذلك الأجر العظيم، والفضْل المبين، فانتدبوا رحمكم الله مع سلمان بن ربيعة الباهليّ. قال: فانتدب الناس، فلم يمضِ ثالثة حتى خرج ثمانية آلاف رجل من أهل الكوفة، فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشأم إلى أرض الرّوم؛ وعلى جند أهل الشأم حبيب بن مسلمة بن خالد الفهريّ،

---

(١) إسناده تالف وسنتحدث عنه بعد الرواية التالية.

وعلى جند أهل الكوفة سلمان بن ربيعة الباهليّ ، فشنُّوا الغاراتِ على أرض الروم ، فأصاب الناس ما شاؤوا من سبْي ، وملؤوا أيديَهم من المغنم ، وافتتحوا بها حصوناً كثيرة[١]. (٤ : ٢٤٧/ ٢٤٨).

٦٧٤ ـ وزعم الواقديّ : أنّ الذي أمدّ حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص ، وقال : كان سبب ذلك : أنّ عثمان كتب إلى معاوية يأمره أن يُغزِيَ حبيبَ بن مسلمة في أهل الشأم أرمينيَة ، فوجّهه إليها ، فبلغ حبيباً : أن الموريان الروميّ قد توجّه نحوه في ثمانين ألفاً من الروم والتُّرك ، فكتب بذلك حبيب إلى معاوية ، فكتب معاوية به إلى عثمان ، فكتب عثمان إلى سعيد بن العاص يأمره بإمداد حبيب بن مسلمة ، فأمدّه بسلمان بن ربيعة في ستة آلاف ، وكان حبيب صاحب كَيْد ، فأجمع على أن يبيّت المَوْريان ، فسمعتْه امرأته أمّ عبد الله بنت يزيد الكلْبيّة يذكر ذلك ، فقالت له : فأين موعدك؟ قال : سرادق المَوْريان ، أو الجنّة ، ثم بيّتهم ، فقتل من أشرف لـه ، وأتى السُّرادق فوجد امرأته قد سبقت؛ وكانت أوّل امرأة من العرب ضُرِب عليها سرادق، ومات عنها حبيـب ، فخلـفَ عليهـا الضَّحّـاك بـن قيـس الفهـريّ ، فهـي أمّ ولـده[٢]. (٤ : ٢٤٨/ ٢٤٩).

واختُلف فيمن حجّ بالناس في هذه السنة ، فقال بعضهم : حجّ بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن عوف بأمر عثمان؛ كذلك قال أبو معشر والواقديّ. وقال آخرون : بل حجّ في هذه السنة عثمان بن عفان.

وأما الاختلاف في الفتوح التي نسبها بعض الناس إلى أنها كانت في عهد عمر ، وبعضهم إلى أنها كانت في إمارة عثمان ، فقد ذكرتُ قبلُ فيما مضى من

---

(١) إسناده تالف ، ولكن أصل القصة في تولية الوليد بن عقبة إمارة الكوفة في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه وغزوه لأذربيجان ذكرها البلاذري في فتوحه قال : وحدثني المدائني عن عبد الله بن القاسم عن فروة بن لقيط قال : لما قام عثمان بن عفان رضي الله عنه استعمل الوليد بن عقبة بن أبي معيط فعزله عتبة عن أذربيجان فنقضوا ، فغزاهم الوليد سنة (٢٥) وعلىٰ مقدمته عبد الله بن شبيل الأحمسي ، فأغار علىٰ أهل موقان والبير والطيلسان فغنم وسبى وطلب أهل كور أذربيجان الصلح ، فصالحهم علىٰ صلح حذيفة (فتوح البلدان/ ٤٥٨) والله أعلم.

(٢) الواقدي متروك.

كتابنا هذا ذكر اختلاف المختلفين في تاريخ كلّ فتح كان من ذلك[١]. (٤: ٢٤٩).

ثم دخلت سنة خمس وعشرين
ذكر الأحداث المشهورة التي كانت فيها

٦٧٥ ـ فقال أبو معشر، فيما حدّثني أحمد بن ثابت الرازيّ، قال: حدّثني محدّث عن إسحاق بن عيسى عنه: كان فتح الإسكندريّة سنة خمس وعشرين[٢]. (٤: ٢٥٠).

وقال الواقديّ: وفي هذه السنة نقضت الإسكندرية عهدها، فغزاهم عمرو بن العاص فقتلهم؛ وقد ذكرنا خبرها قبل فيما مضى، ومَن خالف أبا معشر والواقديّ في تأريخ ذلك.

وفيها كان أيضاً ـ في قول الواقديّ ـ توجيهُ عبد الله بن سعد بن أبي سرْح الخيلَ إلى المغرب.

قال: وكان عمرو بن العاص قد بعث بعثاً قبل ذلك إلى المغرب، فأصابوا غنائم، فكتب عبد الله يستأذنه في الغزو إلى إفريقيَة، فأذن له.

قال: وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان، واستخلف على المدينة.

قال: وفيها فتح الحصون وأميرهم معاوية بن أبي سفيان.

قال: وفيها وُلد يزيد بن معاوية.

قال: وفيها كانت سابور الأولى فتِحت[٣]. (٤: ٢٥٠).

ثم دخلت سنة ست وعشرين
ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

فكان فيها ـ في قول أبي معشر والواقديّ ـ فتح سابور. وقد مضى ذكر الخبر عنها في قول من خالفهما في ذلك.

---

(١) ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) ضعيف.

وقال الواقديّ: فيها أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرَم.

وقال: فيها زاد عثمان في المسجد الحرام، ووسّعه وابتاع من قوم وأبى آخرون؛ فهدم عليهم؛ ووضع الأثمان في بيت المال؛ فصيّحوا بعثمان، فأمر بهم بالحبس، وقال: أتدرون ما جرّأكم عليّ! ما جرّأكم عليّ إلا حلمي، قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيِّحوا به. ثم كلّمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسِيد، فأخرجوا.

قال: وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان بن عفان.

وفي هذه السنة عزل عثمان سعداً عن الكوفة، وولّاها الوليد بن عقبة في قول الواقديّ؛ وأمّا في قول سيف؛ فإنه عزله عنها في سنة خمس وعشرين.

وفيها ولي الوليد عليها، وذلك: أنه زعم أنه عزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة حين مات عمر، ووجّه سعداً إليها عاملاً، فعمل له عليها سنة وأشهراً[١]. (٤: ٢٥١).

ذكر سبب عزل عثمان عن الكوفة سعداً واستعماله عليها الوليد

٦٧٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الشعبيّ، قال: كان أوّل ما نُزِغ به بين أهل الكوفَة ـ وهو أوّل مصرٍ نزغ الشيطان بينهم في الإسلام ـ: أنّ سعد بن أبي وقاص استقرض من عبد الله بن مسعود من بيت المال مالاً، فأقرضه، فلمّا تقاضاه لم يتيسّر عليه، فارتفع بينهما الكلام حتى استعان عبد الله بأناس من الناس على استخراج المال، واستعان سعد بأناس من الناس على استنظاره، فافترقوا وبعضهم يلوم بعضاً، يلوم هؤلاء سعداً ويلوم هؤلاء عبد الله[٢]. (٤: ٢٥١/ ٢٥٢).

٦٧٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: كنت جالساً عند سعد، وعنده ابن أخيه هاشم بن

---

(١) ذكر الطبري خبر البيت الحرام وتوسعته عن الواقدي معلقاً، والخبر أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٢/ ١٥٨/ ح ١٣٥٠) من طريق الواقدي موصولاً والواقدي متروك ـ ولكنه أخرج عن ابن عمر رضي الله عنهما قوله: لقد عابوا على عثمان رضي الله عنه أشياء لو فعلها عمر رضي الله عنهما ما عابوها (٢/ ١٥٩/ ح١٣٥١) وصحح المحقق (د. عبد الملك بن دهيش) إسناده.

(٢) إسناده ضعيف.

عتبة ، فأتى ابن مسعود سعداً ، فقال له : أدّ المال الذي قِبَلك ، فقال له سعد : ما أراك إلا ستلقى شرّاً! هل أنت إلا ابن مسعود ، عبد من هُذَيل! فقال : أجل؛ والله إني لابنُ مسعود ، وإنك لابن حُمَيْنة ، فقال هاشم : أجل والله إنّكما لصاحبا رسول الله ﷺ ، يُنْظَر إليكما. فطرح سعد عوداً كان في يده ـ وكان رجلاً فيه حِدّة ـ ورفع يديه ، وقال : اللهمّ ربّ السموات والأرض . . . فقال عبد الله : ويلكَ! قل خيراً ، ولا تلعنْ ، فقال سعد عند ذلك : أما والله لولا اتّقاء الله لدعوت عليك دعوة لا تخطئك. فولى عبد الله سريعاً حتى خرج[1] . (٤ : ٢٥٢).

٦٧٨ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن القاسم بن الوليد ، عن المسيّب بن عبد خير ، عن عبد الله بن عُكيم ، قال : لما وقع بين ابن مسعود وسعد الكلام في قَرْض أقرضه عبد الله إياه ، فلم يتيسر على سعد قضاؤه؛ غضب عليهما عثمان ، وانتزعها من سعد ، وعزله ، وغضب على عبد الله ، وأقرّه ، واستعمل الوليد بن عُقْبة ـ وكان عاملاً لعمر على ربيعة بالجزيرة ـ فقدم الكوفة فلم يتّخذ لداره باباً حتى خرج من الكوفة[2] (٤ : ٢٥٢).

٦٧٩ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، قالا : لما بلغ عثمان الذي كان بين عبد الله ، وسعد فيما كان؛ غضب عليهما وهمّ بهما ، ثم ترك ذلك ، وعزل سعداً ، وأخذ ما عليه ، وأقرّ عبد الله ، وتقدّم إليه ، وأمّر مكان سعد الوليد بن عُقْبة ـ وكان على عرب الجزيرة عاملاً لعمر بن الخطاب ـ فقدم الوليد في السنة الثانية من إمارة عثمان ، وقد كان سعد عمل عليها سنة وبعض أخرى ، فقدم الكوفة ، وكان أحبّ الناس في الناس وأرفقهم بهم؛ فكان كذلك خمس سنين ، وليس على داره باب[3] . (٤ : ٢٥٢).

ثم دخلت سنة سبع وعشرين
ذكر الأحداث المشهورة التي كانت فيها

٦٨٠ ـ فمما كان فيها من ذلك فتح إفريقيَة على يد عبد الله بن سعد بن

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

أبي سرْح ، كذلك حدّثني أحمد بن ثابت الرازيّ ، قال: حدّثنا محدّث عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وهو قول الواقديّ أيضاً[١] . (٤ : ٢٥٣) .

ذكر الخبر عن فتحها ، وعن سبب ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح مصر ، وعزل عثمان عمرو بن العاص عنها:

٦٨١ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، قالا: مات عمر وعلى مصر عمرو بن العاص ، وعلى قضائها خارجة بن حذافة السهميّ ، فولي عثمان ، فأقرّهما سنتين من إمارته ، ثم عزل عمراً ، واستعمل عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح[٢] . (٤ : ٢٥٣) .

٦٨٢ - وكتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن أبي حارثة ، وأبي عثمان؛ قالا: لما ولي عثمان أقرّ عمرو بن العاص على عمله ، وكان لا يعزل أحداً إلاّ عن شَكاة أو استعفاء من غير شكاة؛ وكان عبد الله بن سعد من جُنْد مصر ، فأمّر عبد الله بن سعد على جنده ، ورماه بالرّجال ، وسرّحه إلى إفريقيَة وسرح معه عبد الله بن نافع بن عبد القيس ، وعبد الله بن نافع بن الْحصين الفهريين ، وقال لعبد الله بن سعد: إنْ فتح الله عزّ وجل عليك غداً إفريقية؛ فلك مما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نَفْلاً . وأمّر العبديْن على الجند ، ورماهما بالرجال، وسرّحهما إلى الأندلس؛ وأمرهما، وعبد الله بن سعد بالاجتماع على الأجلّ ، ثم يقيم عبد الله بن سعد في عمله ويسيران إلى عملهما .

فخرجوا حتى قطعوا مصر ، فلمّا وغلوا في أرض إفريقيَة فأمعنوا انتهوا إلى الأجلّ ، ومعه الأفناء ، فاقتتلوا ، فقتل الأجلّ ، قتله عبد الله بن سعد ، وفتح إفريقيَة سهلَها وجبلها. ثم اجتمعوا على الإسلام ، وحسنت طاعتهم ، وقسم عبد الله ما أفاء الله عليهم على الجند؛ وأخذ خُمس الخمس ، وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان مع ابن وثيمة النَّصريّ ، وضرب فسطاطاً في موضع القيروان ، ووفّد وفداً فشكوا عبد الله فيما أخذ ، فقال لهم: أنا نفّلته ـ وكذلك كان يصنع ـ وقد أمرتُ له بذلك ، وذاك إليكم الآن؛ فإن رضيتم؛ فقد جاز ، وإن

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

سخطتم؛ فهو ردّ. قالوا: فإنا نسخطه، قال: فهو ردّ، وكتب إلى عبد الله بردّ ذلك، واستصلاحهم، قالوا: فاعزله عنّا، فإنا لا نريد أن يتأمّر علينا، وقد وقع ما وقع؛ فكتب إليه أن استخلف على إفريقية رجلاً ممن ترضى، ويرضون، واقسم الخمس الذي كنت نفّلتك في سبيل الله؛ فإنهم قد سَخِطوا النّفل. ففعل، ورجع عبد الله بن سعد إلى مصر وقد فتح إفريقية، وقتل الأجلَّ. فما زالوا من أسمع أهل البلدان وأطوَعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك؛ أحسن أمة سلاماً، وطاعةً؛ حتى دبّ إليهم أهل العراق، فلما دبّ إليهم دعاة أهل العراق، واستثاروهم؛ شقّوا عصاهم، وفرّقوا بينهم إلى اليوم. وكان من سبب تفريقهم: أنهم ردّوا على أهل الأهواء، فقالوا: إنا لا نخالف الأئمة بما تجني العمّال، ولا نحمل ذلك عليهم؛ فقالوا لهم: إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك، فقالوا لهم: لا نقبل ذلك حتى نبورَهم؛ فخرج ميسرة في بضعة عشر إنساناً حتى يقدم على هشام، فطلبوا الإذن، فصعب عليهم، فأتوا الأبرش، فقالوا: أبلغ أمير المؤمنين: أنّ أميرنا يغزو بنا وبجنده، فإذا أصاب نفَّلهم دوننا، وقال: هم أحقّ به؛ فقلنا: هو أخلص لجهادنا، لأنا لا نأخذ منه شيئاً، إن كان لنا فهم منه في حلّ؛ وإن لم يكن لنا لم نُرِده. وقالوا: إذا حاصرنا مدينةً قال: تقدّموا، وأخّر جنده، فقلنا: تقدّموا، فإنه ازدياد في الجهاد، ومثلكم كفى إخوانه، فوقيناهم بأنفسنا، وكفيناهم. ثمّ إنهم عمَدوا إلى ماشيتنا، فجعلوا يبقرونها على السِّخال يطلبون الفِراء البيض لأمير المؤمنين، فيقتلون ألف شاة في جلد، فقلنا: ما أيسر هذا لأمير المؤمنين! فاحتملنا ذلك، وخلّيناهم وذلك. ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كلّ جميلة من بناتنا، فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنّة، ونحن مسلمون؛ فأحببنا أن نعلم: أعن رأي أمير المؤمنين ذلك أم لا؟ قالوا: نفعل؛ فلما طال عليهم، ونفدت نفقاتهم، كتبوا أسماءهم في رِقاع، ورفعوها إلى الوزراء، وقالوا: هذه أسماؤنا وأنسابنا؛ فإن سألكم أمير المؤمنين عنّا؛ فأخبروه، ثم كان وجههم إلى إفريقيَة، فخرجوا على عامل هشام فقتلوه، واستولوا على إفريقيّة؛ وبلغ هشاماً الخبر، وسأل عن النّفر، فرفعت إليه أسماؤهم، فإذا هم الذين جاء الخبر أنهم صنعوا ما صنعوا[1]. (٤: ٢٥٣/ ٢٥٤/ ٢٥٥).

(١) إسناده ضعيف.

٦٨٣ ـ وكتب إليّ السَّريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا: وأرسل عثمان عبد الله بن نافع بن الحصين ، وعبد الله بن نافع بن عبد القيس من فورهما ذلك من إفريقيَة إلى الأندلس ، فأتياهما من قِبَل البحر. وكتب عثمان إلى من انتدب من أهل الأندلس: أما بعد ، فإنّ القسطنطينيّة إنما تفتح من قِبَل الأندلس؛ وإنكم إن افتتحتموها كنتم شركاء مَن يفتحها في الأجر ، والسلام. وقال كعب الأحبار: يعبُر البحرَ إلى الأندلس أقوام يفتتحونها ، يعرَفون بنورهم يوم القيامة[1]. (٤ : ٢٥٥).

٦٨٤ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، قالا: فخرجوا؛ ومعهم البربر؛ فأتوها من برّها؛ ففتحها الله على المسلمين ، وإفرنجة؛ وازدادوا في سلطان المسلمين مثل إفريقيَة؛ فلما عزل عثمان عبدَ الله ابن سعد بن أبي سَرْح؛ صرف إلى عمله عبد الله بن نافع بن عبد القيس؛ وكان عليها ، ورجع عبد الله بن سعد إلى مصر؛ ولم يزل أمرُ الأندلس كأمر إفريقيَة حتى كان زمان هشام ، فمنع البربر أرضهم؛ وبقِيَ من في الأندلس على حاله[2]. (٤ : ٢٥٥).

٦٨٥ ـ وأما الواقديّ؛ فإنه ذكر: أنّ ابن أبي سبْرَة حدّثه عن محمد بن أبي حرْملة ، عن كُريب ، قال: لما نزع عثمان عمرو بن العاص عن مصر؛ غضب عمرو غضباً شديداً ، وحقَد على عثمان ، فوجّه عبد الله بن سعد ، وأمره أن يمضيَ إلى إفريقيَة؛ وندب عثمان الناس إلى إفريقية؛ فخرج إليها عشرة آلاف من قُريش، والأنصار، والمهاجرين[3]. (٤ : ٢٥٦).

٦٨٦ ـ قال الواقديّ: وحدّثني أسامة بن زيد الليثيّ عن ابن كعب ، قال: لما وجّه عثمان عبدَ الله بن سعد إلى إفريقيَة؛ كان الذي صالحهم عليه بطريق إفريقية جُرْجير ألفي ألف دينار، وخمسمئة ألف دينار، وعشرين ألف دينار ، فبعث ملك الروم رسولاً ، وأمره أن يأخذ منهم ثلاثمئة قنطار؛ كما أخذ منهم عبد الله بن

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) في إسناده الواقدي وهو متروك.

سعد؛ فجمع رؤساء إفريقيَة، فقال: إن الملك قد أمرني أن آخذ منكم ثلاثمئة قنطار ذهب مثل ما أخذ منكم عبد الله بن سعد؛ فقالوا: ما عندنا مال نعطيه؛ فأمّا ما كان بأيدينا؛ فقد افتدينا به أنفسَنا، وأمّا الملك فإنه سيّدنا فليأخذْ ما كان له عندنا من جائزة كما كنا نعطيه كلّ سنة. فلمّا رأى ذلك أمر بحبسهم، فبعثوا إلى قوم من أصحابهم، فقدِموا عليه، فكسروا السجن، فخرجوا، وكان الذي صالحهم عليه عبد الله بن سعد ثلاثمئة قنطار ذهب؛ فأمر بها عثمان لآل الحكَم. قلت: أو لمروان؟ قال: لا أدري[1]. (٤: ٢٥٦).

٦٨٧ ـ قال ابنُ عمر: وحدّثني أسامة بن زيد، عن يزيد بن أبي حبيب، قال: نزع عثمان عمرو بن العاص عن خراج مصر، واستعمل عبد الله بن سَعْد على الخَراج، فتباغيا، فكتَب عبد الله بن سعد إلى عثمان يقول: إنّ عمراً كسر الخراج. وكتب عمرو: إنّ عبد الله كسر عليّ حيلة الحرب، فكتب عثمان إلى عمرو: انصرف؛ وولّى عبد الله بن سعد الخراج والجند، فقدم عمرو مغضَباً، فدخل على عثمان؛ وعليه جُبّة يمانية محشوّة قطناً، فقال له عثمان: ما حشو جُبّتِك؟ قال: عمرو، قال عثمان: قد علمتُ أن حشوَها عمرو ولم أرد هذا، إنما سألت: أقطن هو أم غيره؟[2] (٤: ٢٥٦).

٦٨٨ ـ قال الواقديّ: وحدّثني أسامة بن زيد عن يزيد بن أبي حَبيب، قال: بعث عبد الله بن سعد إلى عثمان بمال من مصر، قد حشد فيه، فدخل عمرو على عثمان؛ فقال عثمان: يا عمرو! هل تعلم أنّ تلك اللقاح درّت بعدك؟! فقال عمرو: إنّ فصالها هلكت.

وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان بن عفان رضي الله عنه[3]. (٤: ٢٥٦/٢٥٧).

وقال الواقديّ: وفي هذه السنة كان فتح إصطَخْر الثاني على يد عثمان بن أبي العاص.

---

(١) في إسناده الواقدي وهو متروك.
(٢) في إسناده الواقدي وهو متروك.
(٣) في إسناده الواقدي وهو متروك.

قال: وفيها غزا معاوية قِنَّسْرين[١]. (٤ : ٢٥٧).

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين

٦٨٩ - فأمّا أبو معشر؛ فإنه قال: كانت قُبْرس سنة ثلاث وثلاثين، حدّثني بذلك أحمد بن ثابت عمّن حدّثه، عن إسحاق بن عيسى، عنه[٢]. (٤ : ٢٥٨).

ذكر الخبر عن غزوة معاوية إيّاها:

٦٩٠ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن الربيع بن النّعمان النَّصريّ، وأبي المجالد جراد بن عمرو عن رجاء بن حَيْوة، وأبي حارثة، وأبي عثمان عن رجاء، وعبادة، وخالد: قالوا: ألحّ معاوية في زمانه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في غزْو البحر، وقرْب الروم من حِمْص؛ وقال: إن قريةً من قُرى حِمص ليسمع أهلها نُباحَ كلابهم وصياح دجاجهم؛ حتى كاد ذلك يأخذ بقلب عمر؛ فكتب عمر إلى عمرو بن العاص: صِفْ لي البحر وراكبه؛ فإنّ نفسي تنازعني إليه.

وقال عبادة وخالد: لما أخبره ما للمسلمين في ذلك وما على المشركين، فكتب إليه عمرو: إني رأيت خَلْقاً كبيراً يركبه خلْق صغير؛ إن رَكُن خرّق القلوب، وإن تحرّك أزاغ العقول؛ يزداد فيه اليقين قلّة، والشكّ كثرة، هم فيه كدودٍ على عود؛ إن مال غرِق، وإن نجا برِقَ.

فلما قرأه عمر كتب إلى معاوية: لا والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً[٣]! (٤ : ٢٥٨/ ٢٥٩).

٦٩١ - وكتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن سعيد، عن عبادة بن نُسَيّ، عن جُنادة بن أبي أميّة الأزديّ، قال: كان معاوية كتب إلى عمر كتاباً في غزو البحر يرغّبه فيه، ويقول: يا أميرَ المؤمنين! إنّ بالشأم قرية يسمع أهلها نُباحَ كلاب الرّوم وصياح ديوكِهم؛ وهم تِلْقاء ساحل من سواحل حِمْص.

---

(١) ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

فاتّهمه عمر لأنه المشير؛ فكتب إلى عمرو: أن صِفْ لي البحر؛ ثم اكتب إليّ بخبره: فكتب إليه: يا أمير المؤمنين! إني رأيتُ خلقاً عظيماً، يركبه خلق صغير؛ ليس إلا السّماء والماء؛ وإنما هم كدودٍ على عود، إن مال غرِق، وإن نجا برِق[١]. (٤ : ٢٥٩).

٦٩٢ - وكتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان، وأبي حارثة، عن عبادة، عن جُنادة بن أبي أميّة والربيع وأبي المُجالد، قالوا: كتب عمر إلى معاوية: إنا سمعنا: أن بحر الشأم يشرِف على أطول شيء على الأرض؛ يستأذن الله في كلّ يوم وليلة في أن يُفِيض على الأرض فيغرّقها؛ فكيف أحمل الجنود في هذا البحر الكافر المستصعب؛ وتالله لمسلمٌ أحبّ إليّ مما حوت الروم! فإيّاك أن تَعرَّض لي؛ وقد تقدّمت إليك، وقد علمت ما لقي العلاء منّي، ولم أتقدّم إليه في مثل ذلك.

وقالوا: ترك ملك الروم الغزو، وكاتب عمرَ، وقاربه، وسأله عن كلمة يجتمع فيها العلم كله، فكتب إليه: أحِبّ للناس ما تحبّ لنفسك، واكره لهم ما تكره لها، تجتمع لك الحكمة كلّها. واعتبر الناس بما يليك، تجتمع لك المعرفة كلها.

وكتب إليه ملك الروم ـ وبعث إليه بقارورة: أن املأ لي هذه القارورة من كلّ شيء، فملأها ماء، وكتب إليه: إنّ هذا كلّ شيء من الدنيا.

وكتب إليه ملك الروم: ما بين الحق والباطل؟ فكتب إليه: أربع أصابع؛ الحقّ فيما يرى عياناً، والباطل كثيراً يستمَع به فيما لم يعايَن.

وكتب إليه ملك الروم يسأله عمّا بين السماء والأرض وبين المشرق والمغرب، فكتب إليه: مسيرة خمسمئة عام للمسافر؛ لو كان طريقاً مبسوطاً.

قال: وبعثت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب إلى ملكة الروم بطيب، ومشارب، وأحفاش من أحفاش النساء، ودسّته إلى البريد، فأبلغه لها، وأخذ منه. وجاءت امرأة هرقل، وجمعت نساءها، وقالت: هذه هديّة امرأة ملك العرب، وبنت نبيّهم. وكاتبتها وكافأتها، وأهدت لها؛ وفيما أهدت لها عِقْد

---

(١) إسناده ضعيف.

فاخر. فلما انتهى به البريد إليه أمره بإمساكه، ودعا: الصلاة جامعة، فاجتمعوا، فصلّى بهم ركعتين، وقال: إنه لا خير في أمر أبرِم عن غير شورى من أموري؛ قولوا في هديّة أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم؛ فأهدت لها امرأة ملك الروم، فقال قائلون: هو لها بالذي لها، وليست امرأة الملك بذمّة، فتصانِع به، ولا تحت يدك فتتّقيك.

وقال آخرون: قد كنّا نُهدي الثياب لنستثيب، ونبعث بها لتباع، ولنصيب ثمناً. فقال: ولكنّ الرسول رسول المسلمين، والبريد بريدهم، والمسلمون عظّموها في صدرها. فأمر بردّها إلى بيت المال، وردّ عليها بقدر نَفَقتها[١]. (٤: ٢٥٩/ ٢٦٠).

٦٩٣ ـ وكتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان، قالا: قيل لتلك المرأة التي استثارت الرّوم على عبد الله بن قيس: كيف عرفتِه؟ قالت: كان كالتاجر، فلمّا سألته أعطاني كالملك؛ فعرفت: أنه عبد الله بن قيس[٢]. (٤: ٢٦١).

وكتب إلى معاوية والعمّال: أمّا بعد، فقوموا على ما فارقتم عليه عمر، ولا تبدّلوا، ومهما أشكل عليكم؛ فردّوه إلينا نجمع عليه الأمة، ثمّ نردّه عليكم؛ وإيّاكم أن تغيّروا، فإنّي لست قابلاً منكم إلا ما كان عمر يقبل. وقد كانت تنتقض فيما بين صُلح عمر، وولاية عثمان تلك الناحية، فيبعث إليها الرجل، فيفتحها الله على يديه، فيُحسب له ذلك؛ وأما الفتوح فلأوّل مَن وليَها. (٤: ٢٦١/ ٢٦٢).

قال أبو جعفر: ولما غزا معاوية قبرُس؛ صالح أهلها ـ فيما حدّثني عليّ بن سهل، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: أخبرني سُليمان بن أبي كريمة والليث بن سعد وغيرهما من مشيخة ساحل دمشق: أنّ صلح قبرس وقَع على جزية سبعة آلاف دينار يؤدّونها إلى المسلمين في كلّ سنة، ويؤدُّون إلى الروم مثلها، ليس للمسلمين أن يحولوا بينهم وبين ذلك، على ألاّ يغزوهم ولا يقاتلوا

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

من وراءهم ممن أرادهم من خلفهم ، وعليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوّهم من الروم إليهم؛ وعلى أن يبطرِق إمام المسلمين عليهم منهم. (٤/ ٢٦٢).

٦٩٤ ـ قال: وحدّثني ثَوْر بن يزيد عن خالد بن معدان ، عن جُبَير بن نفير ، قال: لما سبيناهم؛ نظرت إلى أبي الدّرداء يبكي ، فقلت له: ما يبكيك في يوم أعزّ الله فيه الإسلام وأهله ، وأذلّ فيه الكفر وأهله؟! قال: فضرب بيده على منكبي ، وقال: ثكلتْك أمّك يا جبير! ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره! بينا هي أمة ظاهرة قاهرة للناس لهم المُلك؛ إذ تركوا أمر الله ، فصاروا إلى ما ترى ، فسلَّط عليهم السِّباء ، وإذا سُلِّط السِّباء على قوم فليس لله فيهم حاجة[1]. (٤: ٢٦٢).

٦٩٥ ـ قال الواقديّ: وحدّثني أبو سعيد: أنّ معاوية بن أبي سفيان صالح أهل قبرس في ولاية عثمان؛ وهو أوّل مَنْ غزا الروم؛ وفي العهد الذي بينه وبينهم ألاّ يتزوّجوا في عدوّنا من الرّوم إلاّ بإذننا[2]. (٤: ٢٦٢/ ٢٦٣).

قال الواقديّ: وفي هذه السنة غزا حبيب بن مَسْلمة سورية من أرض الرّوم.

وفيها تزوّج عثمان نائلة بنة الفَرافصة الكلبيّة ، وكانت نصرانية ، فتحنّثت قبل أن يدخل بها.

قال: وفيها بنى داره بالمدينة ـ الزّوراء ـ وفرغ منها.

قال: وفيها كان فتح فارس الأول ، وإصطخر الآخر ، وأميرها هشام بن عامر.

قال: وحجّ بالناس عثمان في هذه السنة[3]. (٤: ٢٦٣).

ثم دخلت سنة تسع وعشرين

٦٩٦ ـ وذكر عليّ بن محمد: أن محارباً أخبره عن عوْف الأعرابيّ ، قال: خرج غَيْلان بن خَرَشة الضبيّ إلى عثمان بن عفان ، فقال: أما لكم صغير

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) ضعيف.

فتستشبّوه ، فتولّوه البصرة! حتى متى يلي هذا الشيخ البصرة ؟! يعني : أبا موسى ؛ وكان وليَها بعد موت عمر ستّ سنين .

قال : فعزله عثمان عنها ، وبعث عبد الله بن عامر بن كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وأمه دجَّاجة بنة أسماء السُّلَميّ ؛ وهو ابن خال عثمان بن عفان . قال مسلمة : فقدم البصرة ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، سنة تسع وعشرين[1] . (٤ : ٢٦٤).

ذكر الخبر عن سبب عزل عثمان أبا موسى عن البصرة

٦٩٧ ـ كتب إليّ السريّ ، يذكر : أنّ شعيباً حدّثه ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : لما ولي عثمان أقرّ أبا موسى على البصرة ثلاث سنين ، وعزله في الرابعة ، وأمّر على خراسان عُمير بن عثمان بن سعد ، وعلى سِجسْتان عبد الله بن عمير الليثيّ ـ وهو من كنانة ـ فأثخن فيها إلى كابُل ، وأثخن عمير في خُراسان حتى بلغ فَرْغانة ، فلم يدع دُونها كورة إلا أصلحها ؛ وبعث إلى مُكْران عبيد الله بن معمر التيميّ ، فأثخن فيها حتى بلغ النّهر . وبعث على كَرْمان عبد الرحمن بن غُبَيس ؛ وبعث إلى فارس والأهواز نفراً ، وضمّ سَواد البصرة إلى الحصين بن أبي الحُرّ ، ثم عزل عبد الله بن عُمَير ، واستعمل عبدَ الله بن عامر فأقرّه عليها سنة ثم عزله ، واستعمل عاصم بن عمرو ، وعزل عبد الرحمن بن غُبَيس ، وأعاد عديّ بن سُهيل بن عديّ .

ولما كان في السنة الثالثة ؛ كفر أهل إيذج والأكراد ، فنادَى أبو موسى في الناس ، وحضّهم وندَبهم ؛ وذكر من فضل الجهاد في الرُّجلة ؛ حتى حمل نفر على دوابهم ، وأجمعوا على أن يخرجوا رجالاً . وقال آخرون : لا والله لا نعجل بشيء حتى ننظر ما صنيعه؟ فإن أشبه قولُه فعلَه ؛ فعلنا كما فعل أصحابنا .

فلمّا كان يومَ خرج ؛ أخرج ثَقَله من قصره على أربعين بغلاً ، فتعلقوا بعنانه ، وقالوا : احملنا على بعض هذه الفضول ، وارغب من الرُّجلة فيما رغبتنا فيه ، فقنّع القوم حتى تركوا دابّته ومضى ، فأتوا عثمان ، فاستعفوْه منه ، وقالوا : ما

---

(١) إسناده ضعيف جداً.

كلّ ما نعلم نحبّ أن نقوله ، فأبْدلنا به ، فقال: مَن تحبّون؟ فقال غَيْلان بن خَرَشة: في كلِّ أحد عوَض من هذا العبد الذي قد أكل أرضنا ، وأحيا أمر الجاهلية فينا ، فلا تنفك من أشعريّ كان يعظّم مُلكه عن الأشعرين؛ ويستصغر ملك البصرة ، إذا أمّرت علينا صغيراً كان فيه عِوَض منه ، أو مهتَراً كان فيه عوَض منه؛ ومَن بين ذلك من جميع الناس خير منه.

فدعا عبدَ الله بن عامر ، وأمّره على البصرة ، وصرف عُبيد الله بن معمر إلى فارس ، واستعمل على عمله عُمير بن عثمان بن سعد. فاستعمل على خراسان في سنة أربعِ أُمَين بن أحمر اليَشْكريّ ، واستعمل على سِجِسْتان في سنة أربع عمران بن الفصيل البرجميّ ، وعلى كَرمان عاصم بن عمرو ، فمات بها ، فجاشت فارس ، وانتقضت بعُبَيد الله بن معمر ، فاجتمعوا له بإصطخر ، فالتقوْا على باب إصطخر ، فقتل عبيد الله وهزِم جنده؛ وبلغ الخبر عبد الله بن عامر ، فاستنفر أهلَ البصرة؛ وخرج معه الناس ، وعلى مقدّمته عثمان بن أبي العاص ، فالتقوا هم وهم بإصطخر ، وقتل منهم مقتلة عظيمة لم يزالوا منها في ذلّ؛ وكتب بذلك إلى عثمان؛ فكتب إليه بإمْرة هرِم بن حسان اليشكريّ ، وهَرِم بن حيّان العبديّ من عبد القيس ، والخرّيت بن راشد من بني سامة ، والمِنْجَاب بن راشد ، والتّرجُمان الهُجَيميّ ، على كُوَر فاس ، وفرّق خراسان بين نفر ستة: الأحنف على المرْوَين ، وحبيب بن قرّة اليربوعيّ على بَلْخ ـ وكانت مما افتتح أهل الكوفة ـ وخالد بن عبد الله بن زهير على هَراة ، وأُمَيْن بن أحمد اليشكريّ على طُوس ، وقيس بن الهيثم السُّلميّ على نيسابور ـ وهو أول من خرج ـ وعبد الله بن خازم ، وهو ابن عمه. ثم إن عثمان جمعها له قبل موته؛ فمات وقيس على خُراسان ، واستعمل أمَين بن أحمر على سِجستان ، ثم جعل عليها عبد الرحمن بن سَمُرة ـ وهو من آل حبيب بن عبد شمس؛ فمات عثمان وهو عليها؛ ومات وعمران على كرْمان ـ وعمير بن عثمان بن سعد على فارس ، وابن كِنْدير القشيريّ على مُكْران[1]. (٤ : ٢٦٤/ ٢٦٥/ ٢٦٦).

٦٩٨ ـ وقال عليّ بن محمد: أخبرنا عليّ بن مجاهد عن أشياخه ، قال:

---

(١) إسناده ضعيف.

قال غَيْلان بن خَرشة لعثمان بن عفان: أمَا منكم خسيس، فترفعوه؟! أما منكم فقير فتجيروه؟! يا معشر قريش! حتى متى يأكل هذا الشيخ الأشعريّ هذه البلاد؟! فانتبَه لها الشيخ؛ فولاّها عبد الله بن عامر[1]. (٤: ٢٦٦).

٦٩٩ ـ قال عليّ بن محمد: أخبرنا أبو بكر الهذليّ؛ قال: ولّى عثمان ابنَ عامر البصرة؛ فقال الحسن: قال أبو موسى: يأتيكم غلام خرّاج ولاّج، كريم الجدّات، والخالات، والعمات؛ يُجمع له الجندان. قال: قال الحسن: فقدم ابن عامر، فجمع له جند أبي موسى، وجند عثمان بن أبي العاص الثقفيّ؛ وكان عثمان بن أبي العاص فيمن عَبَر من عُمان والبحرين[2]. (٤: ٢٦٦).

٧٠٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: وفّد قيس بن هيثم عبدَ الله بن خازم إلى عبد الله بن عامر في زمان عثمان، وكان عبد الله بن خازم على عبد الله بن عامر كريماً، فقال له: اكتب لي على خراسان عهداً؛ إن خرج منها قيس بن الهيثم. ففعل، فرجع إلى خراسان، فلما قتل عثمان، وبلغ الناس الخبرُ، وجاش العدوّ لذلك، قال قيس: ما ترى يا عبد الله؟! قال: أرى أن تُخَلّفني ولا تَخلّف عن المُضِيّ حتى تنظر فيما تنظر. ففعل، واستخلفه، فأخرج عبد الله عهدَ خلافته، وثبت على خُراسان إلى أن قام عليّ رضي الله تعالى عنه، وكانت أمّ عبد الله بن عَجْلي، فقال قيس: أنا كنت أحقّ أن أكون ابن عَجْلي من عبد الله؛ وغضب مما صنع به الآخر[3]. (٤: ٢٦٦/٢٦٧).

وفي هذه السنة افتتح عبد الله بن عامر فارسَ في قول الواقديّ، وفي قول أبي معشر. حدّثني بقول أبي معشر أحمد بن ثابت عمّن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عنه. وأما قول سيف؛ فقد ذكرناه قبل[4]. (٤: ٢٦٧).

وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان، فضرب بمنى فسطاطاً، فكان أوّل فسطاط ضرب عثمان بمنىً، وأتمّ الصلاة بها، وبعرفة.

---

(١) في إسناده علي بن مجاهد وهو متروك.
(٢) في إسناده الهذلي وهو متروك.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) ضعيف.

٧٠١ ـ فذكر الواقديّ عن عمر بن صالح بن نافع، عن صالح مولى التوءمة، قال: سمعتُ ابن عباس يقول: إن أوّل ما تكلم الناس في عثمان ظاهراً: أنه صلّى بالناس بمنىً في ولايته ركعتين؛ حتى إذا كانت السنة السادسة أتمّها، فعاب ذلك غير واحد من أصحاب النبيّ ﷺ؛ وتكلم في ذلك مَنْ يريد أن يكثِّر عليه؛ حتى جاءه عليّ فيمن جاءه، فقال: والله ما حدَث أمرٌ، ولا قدُم عهد؛ ولقد عهدتَ نبيّك ﷺ يصلّي ركعتين. ثمّ أبا بكر، ثمّ عمر، وأنت صدراً من ولايتك، فما أدري ما ترجع إليه! فقال: رأيٌ رأيتُه[1]. (٤ : ٢٦٧).

٧٠٢ ـ قال الواقديّ: وحدّثني داود بن خالد، عن عبد الملك بن عمرو بن أبي سفيان الثقفيّ، عن عمّه، قال: صلّى عثمان بالناس بمنىً أربعاً، فأتى آتٍ عبدَ الرحمن بن عوف، فقال: هل لك في أخيك؟ قد صلّى بالناس أربعاً! فصلّى عبد الرحمن بأصحابه ركعتين؛ ثم خرج حتى دخل على عثمان، فقال له: ألم تصلّ في هذا المكان مع رسول الله ﷺ ركعتين؟ قال: بلَى! قال: أفلم تصلّ مع أبي بكر ركعتين؟ قال: بلى! قال: أفلم تصلّ مع عمر ركعتين؟ قال: بلى! قال: ألم تصلّ صدراً من خلافتك ركعتين؟ قال: بلى! قال: فاسمع منّي يا أبا محمد! إني أخبِرتُ: أنّ بعض من حجّ من أهل اليمن، وجُفاة الناس قد قالوا في عامنا الماضي: إنّ الصلاة للمقيم ركعتان، هذا إمامكم عثمان يصلّي ركعتين، وقد اتّخذتُ بمكة أهلاً، فرأيت أن أصلّيَ أربعاً لخوفِ ما أخاف على الناس؛ وأخرى قد اتّخذتُ بها زوجة، ولي بالطائف مال؛ فربما اطّلعتهُ فأقمتُ فيه بعد الصَّدَر. فقال عبد الرحمن بن عَوْف: ما من هذا شيء لك فيه عُذْر؛ أما قولك: اتخذت أهلاً، فزوجتُك بالمدينة تخرج بها إذا شئتَ، وتقدم بها إذا شئتَ؛ إنما تسكن بسكناك. وأما قولك: ولي مال بالطائف؛ فإن بينك وبين الطائف مسيرة ثلاث ليال وأنت لست من أهل الطائف. وأمّا قولك: يرجع من حجّ من أهل اليمن وغيرهم، فيقولون: هذا إمامكم عثمان يصلّي ركعتين وهو مقيم؛ فقد كان رسولُ الله ﷺ ينزل عليه الوحي والناس يومئذ الإسلامُ فيهم قليل؛ ثم أبو بكر مثل ذلك، ثم عمَر، فضرب الإسلامُ بجِرانه، فصلّى بهم عمر حتى مات ركعتين، فقال عثمان: هذا رأيٌ رأيتُه.

---

(١) في إسناده الواقدي وهو متروك.

قال: فخرج عبدُ الرحمن، فلقيَ ابنَ مسعود، فقال: أبا محمّد، غيرُ ما يُعلم؟ قال: لا. قال: فما أصنع؟ قال: اعمل أنت بما تعلم؛ فقال ابن مسعود: الخلاف شرّ؛ قد بلغني: أنه صلّى أربعاً فصلّيت بأصحابي أربعاً، فقال عبد الرحمن بن عوف: قد بلغني أنه صلّى أربعاً، فصلّيت بأصحابي ركعتين، وأما الآن فسوف يكون الذي تقول ـ يعني: نصلّي معه أربعاً[١]. (٤ : ٢٦٨).

ثم دخلت سنة ثلاثين

وأما سيف بن عمر؛ فإنه ذكر: أن إصْبَهْبَذها صالح سويد بن مقرّن على ألاّ يغزوَها على مال بذله له. قد مضى ذكري الخبر عن ذلك قبلُ في أيام عمر رضي الله عنه[٢]. (٤ : ٢٦٩).

ذكر الخبر عنه عن غزو سعيد بن العاص طَبَرِستان

٧٠٣ ـ حدّثني عمر بن شَبّة، قال: حدّثني عليّ بن محمد عن عليّ بن مجاهد، عن حنَش بن مالك، قال: غزا سعيد بن العاص من الكوفة سنة ثلاثين يريد خُراسان، ومعه حُذَيفة بن اليمان وناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، ومعه الحسن، والحسين، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وخرج عبد الله بن عامر من البصرة يريد خُراسان، فسبق سعيداً ونزلَ أبْرَشَهر، وبلغ نزول أبْرَشَهر سعيداً. فنزل سعيد قومِسَ؛ وهي صلْح، صالحهم حذيفة بعد نهاوند؛ فأتى جُرجان، فصالحوه على مئتي ألف، ثم أتى طَميسة، وهي كلها من طَبَرِسنان جُرجان، وهي مدينة على ساحل البحر، وهي في تُخوم جُرجان، فقاتَله أهلها حتى صلّى صلاة الخوف، فقال لحذيفة: كيف صلّى رسولُ الله ﷺ؟ فأخبره، فصلّى بها سعيد صلاة الخوف، وهم يقتتلون، وضرب يومئذ سعيد رجلاً من المشركين على حبل عاتقه، فخرج السّيْف من تحت مِرْفقه؛ وحاصرهم، فسألوا الأمان؛ فأعطاهم على ألاّ يقتل منهم رجلاً واحداً، ففتحوا الحصن، فقتلهم جميعاً إلا رجلاً

---

(١) في إسناده الواقدي وهو متروك.

(٢) ضعيف.

واحداً؛ وحوى ما كان في الحصن، فأصاب رجل من بني نَهد سَفَطاً عليه قُفل، فظنّ فيه جوهراً؛ وبلغ سعيداً، فبعث إلى النهديّ، فأتاه بالسَّفَط، فكسروا قُفله؛ فوجدوا فيه سَفطاً، ففتحوه، فإذا فيه خرقة سوداء مُدرجة فنشروها، فوجدوا خِرقة حمراء فنشروها، فإذا خرقة صفراء؛ وفيها أَيْران: كُميت ووَرْد، فقال شاعر يهجو بني نهد:

آبَ الكِرامُ بالسَّبايا غنيمةً ... وفاز بنو نَهْدٍ بأَيْرَيْنِ في سَفَطْ
كُمَيْتٍ ووَرْدٍ وافِريْنِ كِلاهُما ... فظَنُّوهُمَا غُنْماً فناهيك من غَلطْ!

وفتح سعيد بن العاص نامية، وليست بمدينة، هي صحارى[١]. (٤: ٢٦٩/ ٢٧٠).

٧٠٤ - وحدّثني عمر بن شبّة، قال: حدّثنا عليّ بن محمد، قال: أخبرني عليّ بن مجاهد عن حَنَش بن مالك التغلبيّ، قال: غزا سعيد سنة ثلاثين، فأتى جُرجان، وطَبَرِستان؛ معه عبد الله بن العباس، وعبد الله بن عمر، وابن الزّبير وعبد الله بن عمرو بن العاص؛ فحدّثني عِلْج كان يخدمُهم قال: كنت أتيتهم بالسُّفرة، فإذا أكلوا؛ أمروني، فنفضتها، وعلّقتها، فإذا أمسوا؛ أعطوني باقيَه. قال: وهلك مع سعيد بن العاص محمد بن الحكم بن أبي عَقيل الثقفيّ، جدّ يوسف بن عمر، فقال يوسف لقحذَم: يا قحذَم! أتدري أين مات محمد بن الحكم؟ قال: نعم، استُشهد مع سعيد بن العاص بطَبرِستان، قال: لا، مات بها وهو مع سعيد، ثم قفل سعيد إلى الكُوفة، فمدحه كعب بن جُعيل، فقال:

فنِعْمَ الفَتى إذ جال جيلانُ دونَه ... وإذ هَبَطوا من دَسْتَيَ ثمَّ أبْهَرا
تَعلّمْ سَعيدَ الخَيْرِ أنّ مَطِيّتي ... إذا هَبَطَتْ أشْفقْتُ مِن أن تُعقَّرا
كأنّكَ يَوْمَ الشِّعْبِ لَيثُ خفيَّةٍ ... تحَرَّدَ مِن ليْثِ العَرِينِ وأصْحَرا
تَسوسُ الَّذي ما ساس قبْلك واحدٌ ... ثمانينَ ألْفاً دارعينَ وحُسَّرا

وحدّثني عمر، قال: حدّثنا عليّ، عن كليب بن خلف وغيره: أنّ سعيد بن العاص صالح أهل جُرجان، ثم امتنعوا، وكفروا، فلم يأت جُرجان بعد سعيد أحد، ومنعوا ذلك الطريق؛ فلم يكن أحد يسلك طريق خُراسان من ناحية قُومِس

(١) في إسناده علي بن مجاهد وهو متروك إن كان هو الكابلي وإلا فمجهول والله أعلم.

إلاّ على وجَل ، وخوف من أهل جُرجان ، وكان الطريق إلى خراسان من فارس إلى كَرْمان ، فأوّل من صيّر الطريق من قُومِس قتيبة بن مسلم حين ولي خراسان[1] . (٤ : ٢٧٠/ ٢٧١) .

٧٠٥ ـ وحدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ عن كليب بن خلف العَمِّيّ ، عن طفيل بن مرداس العَميّ ، وإدريس بن حنظلة العَميّ: أن سعيد بن العاص صالح أهل جُرجان؛ وكانوا يجبون أحياناً مئة ألف ، ويقولون: هذا صلحنا ، وأحياناً مئتي ألف ، وأحياناً ثلاثمئة ألف؛ وكانوا ربما أعطوا ذلك ، وربما منعوه؛ ثم امتنعوا ، وكفروا ، فلم يُعطوا خراجاً حتى أتاهم يزيد بن المهلب ، فلم يعازّه أحد حين قدمها ، فلما صالح صُولا ، وفتح البُحيرة ، ودِهستان ، صالح أهل جُرجان على صلح سعيد بن العاص[2] . (٤ : ٢٧١) .

وفي هذه السنة ـ أعني: سنة ثلاثين ـ عزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة ، وولاها سعيد بن العاص في قول سيف بن عمر .

ذكر السبب في عزل عثمان الوليد عن الكوفة وتوليته سعيداً عليها

٧٠٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، قالا: لما بلغ عثمانَ الذي كان بين عبد الله وسعد غضب عليهما ، وهمّ بهما ، ثم ترك ذلك ، وعزل سعداً ، وأخذ ما عليه ، وأقرّ عبد الله ، وتقدّم إليه ، وأمّر مكان سعد الوليد بن عُقبة ـ وكان على عرب الجزيرة عاملاً لعمر بن الخطاب ـ تقدم الوليد في السنة الثانية من إمارة عثمان؛ وقد كان سعد عمل عليها سنة وبعض أخرى؛ فقدم الكوفة ، وكان أحبّ الناس في الناس وأرفقهم بهم؛ فكان كذلك خمس سنين ، وليس على داره باب. ثمّ إنّ شباباً من شباب أهل الكوفة نقبوا على ابن الحيسُمان الخُزاعيّ ، وكاثروه ، فنذر بهم ، فخرج عليهم بالسيف ، فلما رأى كثرَتهم؛ استصرخ ، فقالوا له: اسكت ، فإنما هي ضربة حتى نريحك من رَوعة هذه الليلة ـ وأبو شُريح الخزاعيّ مشرف عليهم ـ فصاح

---

(١) في إسناده علي بن مجاهد فإن كان الكابلي فهو متروك وإلا فمجهول.

(٢) إسناده ضعيف.

بهم، وضربوه، فقتلوه، وأحاط الناس بهم فأخذوهم؛ وفيهم زهير بن جُندب الأزديّ، ومورِّع بن أبي مورِّع الأسديّ، وشُبيل بن أُبيّ الأزديّ، في عدّة. فشهد عليهم أبو شُريح، وابنه أنهم دخلوا عليه، فمنع بعضهم بعضاً من الناس، فقتله بعضهم، فكتب فيهم إلى عثمان، فكتب إليه في قتلهم، فقتلهم على باب القصر في الرَّحَبة، وقال في ذلك عمرو بن عاصم التميميّ:

لا تَأكُلوا أبداً جيرانكمْ سَرَفاً ... أهْلَ الزّعارةِ في مُلكِ ابْنِ عَفّانِ

وقال أيضاً:

إنَّ ابْنَ عَفّانَ الذي جَرَّبْتُم ... فَطَمَ اللصوصَ بمُحْكَم الفُرْقانِ

ما زال يَعْمَلُ بالكِتابِ مُهَيمناً ... في كُلِّ عُنْقٍ مِنْهُمُ وبَنانِ[١]

(٤ : ٢٧١/ ٢٧٢).

٧٠٧ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن سعيد، عن أبي سعيد، قال: كان أبو شُريح الخزاعيّ من أصحاب رسولِ الله ﷺ، فتحوّل من المدينة إلى الكوفة ليدنوَ من الغزو؛ فبينا هو ليلة على السطح؛ إذ استغاث جاره، فأشرف فإذا هو بشباب من أهل الكوفة قد بيّتوا جاره؛ وجعلوا يقولون له: لا تصِحْ، فإنما هي ضربة حتى نريحَك؛ فقتلوه. فارتحل إلى عثمان، ورجع إلى المدينة، ونقل أهله، ولهذا الحديث حين كثُر أحدِثت القسامة؛ وأخِذ بقول وليّ المقتول: ليُفطَم الناس عن القتل عن ملأ من الناس يومئذ[٢]. (٤ : ٢٧٢).

٧٠٨ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن كُريب، عن نافع بن جبير، قال: قال عثمان: القَسامة على المدَّعَى عليه وعلى أوليائه؛ يحلف منهم خمسون رجلاً إذا لم تكن بيّنَة؛ فإن نقصت قَسامتهم، أو إن نكَل رجل واحدٌ ردّت قسامتهم ووليَها المدّعُون؛ وأحلِفوا، فإن حلف منهم خمسون استحقُّوا[٣]. (٤ : ٢٧٢).

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

٧٠٩ ـ وكتب إليّ السّريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الغُصْن بن القاسم ، عن عَوْن بن عبد الله ، قال : كان مما أحدث عثمان بالكوفة إلى ما كان من الخبر : أنه بلغه أنّ أبا سمّال الأسديّ في نفر من أهل الكوفة ، ينادي مناد لهم إذا قدم المُيّار : مَن كان ها هنا من كلب ، أو بني فلان ليس لقومهم بها منزل؛ فمنزله على أبي سمّال. فاتّخذ موضع دار عَقيل دار الضّيفان ، ودار ابن هبّار ، وكان منزل عبد الله بن مسعود في هُذيل في موضع الرّمادة ، فنزل موضع داره ، وترك داره دار الضيافة ، وكان الأضياف ينزلون داره في هذيل إذا ضاق عليهم ما حول المسجد[١]. (٤ : ٢٧٣).

٧١٠ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن المغيرة بن مقسَم ، عمّن أدرك من علماء أهل الكوفة : أنّ أبا سمّال كان ينادي مناديه في السوق ، والكُناسة : مَن كان ها هنا من بني فلان وفلان ـ لمن ليست له بها خُطّة ـ فمنزله على أبي سَمّال؛ فاتّخذ عثمان للأضياف منازل[٢]. (٤ : ٢٧٣).

٧١١ ـ وكتب إليّ السّريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مولى لآل طلحة ، عن موسى بن طلحة مثلَه[٣]. (٤ : ٢٧٣).

٧١٢ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة قالا: كان عمر بن الخطاب قد استعمل الوليد بن عُقبة على عرب الجزيرة ، فنزل في بني تغلب. وكان أبو زُبَيد في الجاهليّة ، والإسلام في بني تغلب؛ حتى أسلم؛ وكانت بنو تغلب أخوالَه؛ فاضطهده أخواله ديناً له؛ فأخذ له الوليد بحقّه ، فشكرها له أبو زُبيد ، وانقطع إليه ، وغشيَه بالمدينة؛ فلما ولي الوليد الكوفة؛ أتاه مسلّماً معظّماً على مثل ما كان يأتيه بالجزيرة والمدينة ، فنزل دار الضّيفان آخر قَدْمةٍ قدِمها أبو زبيد على الوليد؛ وقد كان ينتجعه ، ويرجع ، وكان نصرانيّاً قبل ذلك ، فلم يزل الوليد به، وعنه حتى أسلم في آخر إمارة الوليد ، وحسن إسلامه ، فاستدخله الوليد ، وكان عربيّاً شاعراً حين قام على الإسلام؛ فأتى آتٍ

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

أبا زينب وأبا مورِّع وجُندباً ، وهم يحقدون له مذ قَتَل أبناءهم ، ويضعُون له العيون ، فقال لهم: هل لكم في الوليد بشارب أبا زُبَيد؟ فثاروا في ذلك ، فقال أبو زينب ، وأبو مورّع ، وجندب لأناس من وجوه أهل الكوفة: هذا أميرُكم ، وأبو زُبَيد خيرته ، وهما عاكفان على الخمر ، فقاموا معهم ـ ومنزل الوليد في الرّحَبة مع عُمارة بن عقبة ، وليس عليه باب ـ فاقتحموا عليه من المسجد؛ وبابه إلى المسجد ، فلم يُفْجَأ الوليد إلاّ بهم ، فنحّى شيئاً ، فأدخله تحت السرير ، فأدخل بعضهم يده فأخرجه لا يؤامره؛ فإذا طبق عليه تفاريقُ عنب ـ وإنما نحّاه استحياء أن يروْا طبقَه ليس عليه إلاّ تفاريق عنب ـ فقاموا؛ فخرجوا على الناس ، فأقبل بعضهم على بعض يتلاوَمون ، وسمع الناس بذلك ، فأقبل الناس عليهم يسبّونهم ، ويلعنونهم ، ويقولون: أقوام غضب الله لعمله ، وبعضهم أرغمه الكتاب ، فدعاهم ذلك إلى التحسُّس ، والبحث؛ فستر عليهم الوليد ذلك ، وطواه عن عثمان ، ولم يدخل بين الناس في ذلك بشيء ، وكره أن يُفسد بينهم ، فسكت عن ذلك ، وصبر[1] . (٤: ٢٧٣/ ٢٧٤) .

٧١٣ ـ وكتب إليّ السّريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الفيض بن محمد ، قال: رأيت الشعبيّ جلس إلى محمد بن عمرو بن الوليد ـ يعني: ابن عقبة ـ وهو خليفة محمد بن عبد الملك؛ فذكر محمّد غزوَ مسلمة ، فقال: كيف لو أدركتم الوليد؛ غَزْوَه وإمارته! إن كان ليغزو فينتهي إلى كذا وكذا ، ما قصّر ، ولا انتقض عليه أحدٌ حتى عزِل عن عمله؛ وعلى الباب يومئذ عبدُ الرحمن بن ربيعة الباهليّ؛ وإن كان مما زاد عثمان بن عفان الناس على يده أن ردّ على كلّ مملوك بالكوفة من فضول الأموال ثلاثة في كلّ شهر؛ يتّسعون بها من غير أن ينقص مواليهم من أرزاقهم[2] . (٤: ٢٧٤) .

٧١٤ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي غَسّان سكَن بن عبد الرحمن بن حُبَيش ، قال: اجتمع نفرٌ من أهل الكوفة ، فعملوا في عزل الوليد ، فانتدب أبو زينب بن عوف وأبو مورّع بن فلان الأسديّ للشهادة عليه ، فغشُوا الوليد ، وأكبُّوا عليه؛ فبينا هم معه يوماً في البيت وله امرأتان في المخدَع؛

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

بينهما وبين القوم سِتر؛ إحداهما بنت ذي الخِمار، والأخرى بنت أبي عَقيل، فنام الوليد، وتفرّق القوم عنه؛ وثبت أبو زينب وأبو مورِّع، فتناول أحدهما خاتمه، ثم خرجا، فاستيقظ الوليد؛ وامرأتاه عند رأسه؛ فلم ير خاتمه، فسألهما عنه فلم يجد عندهما منه علماً، قال: فأيّ القوم تخلّف عنهم؟ قالتا: رجلان لا نعرفهما، ما غشيناك إلا منذ قريب. قال: حَلّياهما، فقالتا: على أحدهما خَميصة، وعلى الآخر مُطرَف، وصاحب المُطْرَف أبعدهما منك، فقال: الطُّوال؟ قالتا: نعم؛ وصاحب الخميصة أقربهما إليك، فقال: القصير؟ قالتا: نعم؛ وقد رأينا يده على يدك. قال: ذاك أبو زينب، والآخر أبو مورّع؛ وقد أرادا داهية، فليت شعري ماذا يريدان! فطلبهما فلم يقدِرْ عليهما؛ وكان وجْهُهما إلى المدينة، فقدما على عثمان؛ ومعهما نفرٌ ممن يعرف عثمان، ممن قد عزَل الوليد عن الأعمال، فقالوا له، فقال: مَنْ يشهد؟ قالوا: أبو زينب، وأبو مورِّع، وكاع الآخران، فقال: كيف رأيتما؟ قالا: كنّا من غاشيته؛ فدخلنا عليه وهو يَقيء الخمر، فقال: ما يقيء الخمر إلاّ شاربها. فبعث إليه، فلما دخل على عثمان رآهما، فقال متمثّلاً:

ما إنْ خشيتُ على أمْرٍ خَلوْتُ به فلم أخَفْك على أمثالها حارِ

فحلف له الوليد، وأخبره خبرهم، فقال: نقيم الحدود، ويبوء شاهد الزور بالنّار؛ فاصبر يا أُخيَّ! فأمر سعيد بن العاص فجلده، فأورث ذلك عداوةً بين ولديهما حتى اليوم؛ وكانت على الوليد خَميصة يوم أمر به أن يجلد، فنزعها عنه علي بن أبي طالب عليه السلام[١] (٤: ٢٧٦).

٧١٥ - كتب إليّ السّريّ عن شعيب، عن سيف، عن عُبَيد الطنافسيّ، عن أبي عبيدة الإياديّ، قال: خرج أبو زينب، وأبو مورِّع حتى دخلا على الوليد بيته، وعنده امرأتان: بنت ذي الخِمار، وبنت أبي عَقِيل؛ وهو نائم، قالت إحداهما: فأكبّ عليه أحدهما فأخذ خاتَمه، فسألهما حين استيقظ، فقالتا: ما أخذناه، قال: مَنْ بقي آخر القوم؟ قالتا: رجلان؛ رجل قصير عليه خَميصة، ورجل طويل عليه مُطَرف، ورأينا صاحب الخميصة أكبّ عليك، قال: ذاك

(١) إسناده ضعيف.

أبو زينب. فخرج يطلبهما، فإذا هو وجهُهما عن ملأ من أصحاب لهما؛ ولا يدري الوليد ما أرادا من ذلك. فقدما على عثمان، فأخبراه الخبر على رؤوس الناس، فأرسل إلى الوليد، فقدم، فإذا هو بهما ودعا بهما عثمان، فقال: بم تشهدان؟ أتشهدان أنكما رأيتماه يشرب الخمر؟ فقالا: لا، وخافا، قال: فكيف؟ قالا: اعتصرناها من لحيته وهو يقيء الخمر. فأمر سعيدَ بن العاص، فجلَده، فأورث ذلك عداوةً بين أهليْهما[1]. (٤: ٢٧٧).

٧١٦ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عطيّة، عن أبي العريف ويزيد الفقعسيّ، قالا: كان الناس في الوليد فرْقتين: العامّة معه والخاصّة عليه؛ فما زال عليهم من ذلك خُشوع حتى كانت صِفّين، فولي معاوية، فجعلوا يقولون: عيَّب عثمانُ بالباطل، فقال لهم عليّ عليه السلام: إنكم وما تعيِّرُون به عثمان كالطاعن نفسَه ليقتل رِدْفه، ما ذنب عثمان في رجل قد ضربه بفعله، وعزله عن عمله؟! وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا؟!

وكتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن كريب، عن نافع بن جُبَير، قال: قال عثمان رضي الله عنه: إذا جُلِد الرّجل الحدّ، ثم ظهرت توبتُه؛ جازت شهادته[2]. (٤: ٢٧٨).

٧١٧ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن أبي كِبْران، عن مولاة لهم ـ وأثنى عليها خيراً ـ قالت: كان الوليد أدخل على الناس خيراً، حتى جعل يقسِّم للولائد والعبيد، ولقد تفجّع عليه الأحرار والمماليك، كان يسمع الولائد وعليهنّ الحداد يقلنَ:

يا وَيْلَتا قد عُزلَ الوَليدُ ... وجاءنا مُجوِّعاً سَعيدُ
يَنْقُصُ في الصّاع ولا يزيدُ ... فجُوِّعَ الإماءُ والعَبيدُ[3]

(٤: ٢٧٧/ ٢٧٨).

٧١٨ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن الغصن بن القاسم،

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

قال: كان الناس يقولون حين عزِل الوليد وأمِّر سعيد:

لا يَبْعَدِ المُلكُ إذ وَلَّتْ شَمائلهُ   ولا الرياسةُ لما رَاسَ كُتَّابُ[1]

(٤ : ٢٧٨).

٧١٩ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة بإسنادهما، قالا: قدِم سعيد بن العاص في سنة سبع من إمارة عثمان، وكان سعيد بن العاص بقيّة العاص بن أميّة، وكان أهله كثيراً تتابعوا، فلما فتح الله الشأم قدِمها، فأقام مع معاوية، وكان يتيماً نشأ في حِجْر عثمان، فتذكر عمر قريشاً، وسأل عنه فيما يتفقّد من أمور الناس، فقيل: يا أمير المؤمنين! هو بدمشق، عهدُ العاهد به وهو مأموم بالموت. فأرسل إلى معاوية: أن ابعث إليّ سعيد بن العاص في منقل، فبعث به إليه وهو دنِف، فما بلغ المدينة حتى أفاق، فقال: يا بنَ أخي! قد بلغني عنك بلاء وصلاح، فازدد يزدْك الله خيراً، وقال: هل لك من زوجة؟ قال: لا؛ قال: يا أبا عمرو! ما منعك من هذا الغلام أن تكون زوّجتَه؟ قال: قد عرضتُ عليه فأبى، فخرج يسير في البرّ، فانتهى إلى ماء، فلقي عليه أربع نسوة، فقمنَ له، فقال: ما لكنّ؟ ومَن أنتنّ؟ فقلنَ: بنات سفيان بن عويف ـ ومعهنّ أمهنّ ـ فقالت أمّهنّ: هلك رجالنا، وإذا هلك الرجال ضاع النساء، فضعهنّ في أكفائهنّ، فزوّج سعيداً إحداهنّ، وعبد الرحمن بن عوف الأخرى، والوليدَ بن عُقْبة الثالثة؛ وأتاه بنات مسعود بن نعيم النَّهشليّ، فقلن: قد هلك رجالنا، وبقيَ الصّبيان، فضعْنا في أكفائنا، فزوج سعيداً إحداهنّ، وجُبير بن مطعِم إحداهن، فشارك سعيد هؤلاء وهؤلاء، وقد كان عمومته ذوي بلاء في الإسلام، وسابقة حسنة، وقُدْمة مع رسول الله ﷺ؛ فلم يمت عمر حتى كان سعيد من رجال الناس.

فقدم سعيد الكوفة في خلافة عثمان أميراً، وخرج معه من مكة ـ أو المدينة ـ الأشتر، وأبو خُشّة الغفاريّ، وجندَب بن عبد الله، وأبو مُصعب بن جثّامة، وكانوا فيمن شخص مع الوليد يعيبونه، فرجعوا مع هذا ـ فصعد سعيد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: والله لقد بُعِثت إليكم وإني لكاره؛ ولكنّي لم أجد

---

(١) إسناده ضعيف.

بدّاً إذ أمِرت أن أأْتمر. ألا إنّ الفتنة قد أطلعتْ خَطْمها وعينيْها؛ ووالله لأضربنّ وجهها حتى أقمعها، أو تُعييني؛ وإني لرائد نفسي اليوم، ونزل، وسأل عن أهل الكوفة، فأقيم على حال أهلها.

فكتب إلى عثمان بالذي انتهى إليه: إنّ أهلَ الكوفة قد اضطرب أمرُهم، وغُلب أهل الشرف منهم والبُيوتات، والسابقة، والقُدْمة؛ والغالب على تلك البلاد روادف ردفت، وأعراب لحقت؛ حتى ما يُنظَر إلى ذي شرف، ولا بلاء من نازلتها، ولا نابتتها.

فكتب إليه عثمان: أمّا بعد؛ ففضِّل أهل السابقة والقُدْمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد، وليكن مَن نزلها بسببهم تبعاً لهم؛ إلاّ أن يكونوا تثاقلُوا عن الحقّ، وتركوا القيام به، وقام به هؤلاء. واحفظ لكلٍّ منزلته، وأعطهم جميعاً بقسطهم من الحقّ، فإنّ المعرفة بالناس بها يصاب العدْل.

فأرسل سعيد إلى وجوه الناس من أهل الأيّام والقادسيّة، فقال: أنتم وجوه من وراءكم، والوجه ينبىء عن الجسد؛ فأبلغونا حاجة ذي الحاجة، وخَلّة ذي الخَلّة، وأدخل معهم مَن يحتمل من اللواحق والرّوادف؛ وخلَص بالقرّاء والمتسمِّتين في سَمره، فكأنما كانت الكوفة يبْساً شملته نار؛ فانقطع إلى ذلك الضرب ضربُهم، وفشت القالة والإذاعة.

فكتب سعيد إلى عثمان بذلك، فنادى منادي عثمان: الصلاة جامعة! فاجتمعوا، فأخبرهم بالذي كتب به إلى سعيد، وبالذي كتب به إليه فيهم؛ وبالذي جاءه من القالَة والإذاعة، فقالوا: أصبتَ فلا تُسعفهم في ذلك؛ ولا تُطعمهم فيما ليسوا له بأهل، فإنه إذا نهض في الأمور من ليس لها بأهل لم يحتملها وأفسدها.

فقال عثمان: يا أهلَ المدينة استعدّوا، واستمسكوا، فقد دبّت إليكم الفتن. ونزل، فأوى إلى منزله، وتمثّل مثَلَه ومثَل هذا الضّرب الذين شرعوا في الخلاف:

أبنـي عُبَيْـدٍ قـد أتـى أشيـاعَكـمْ عنكـم مَقـالَتُكـمْ وشِعْـرُ الشـاعِـر
فـإذا أتَتكـم هـذه فتلبَّسُـوا إنَّ الـرِّمـاحَ بَصيـرةٌ بـالحـاسِـرِ[1]

(٤ : ٢٧٨/ ٢٧٩/ ٢٨٠).

٧٢٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن هشام بن عروة، قال: كان عثمان أروَى الناس للبيت والبيتين والثلاثة إلى الخمسة[2]. (٤ : ٢٨٠).

٧٢١ ـ كتب إليَّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن سعيد بن عبد الله الجُمحيّ، عن عبيد الله بن عمر، قال: سمعته وهو يقول لأبي: إنّ عثمان جمع أهل المدينة، فقال: يا أهلَ المدينة! إنّ الناس يتمخّضون بالفتنة، وإني والله لأتخلّصنّ لكم الذي لكم حتى أنقله إليكم إن رأيتم ذلك؛ فهل تروْنه حتى يأتيَ من شهد مع أهل العراق الفتوح فيه، فيقيم معه في بلاده؟ فقام أولئك، وقالوا: كيف تنقل لنا ما أفاء الله علينا من الأرضين يا أمير المؤمنين؟! فقال: نبيعها ممّن شاء بما كان له بالحجاز. ففرحوا، وفتح الله عليهم به أمراً لم يكن في حسابهم؛ فافترقوا وقد فرّجها الله عنهم به. وكان طلحة بن عبيد الله قد استجمع له عامّة سُهمان خيبر إلى ما كان له سوى ذلك، فاشترى طلحة منه من نصيب مَنْ شهد القادسيّة والمدائن من أهل المدينة ممن أقام ولم يهاجر إلى العراق النَّشاسْتَج بما كان له بخيبر وغيرها من تلك الأموال، واشترى منه ببئر أريس شيئاً كان لعثمان بالعراق، واشترى منه مرْوان بن الحكَم بمال كان له أعطاه إيّاه عثمان نهر مَرْوان ـ وهو يومئذ أجَمة ـ واشترى منه رجال من القبائل بالعراق بأموال كانت لهم في جزيرة العرب من أهل المدينة، ومكّة، والطائف، واليمن، وحضرموت؛ فكان ممّا اشترى منه الأشعث بمالٍ كان له في حضرموت ما كان له بطيزناباذ. وكتب عثمان إلى أهل الآفاق في ذلك، وبعدّة جُرْبان الفيء، والفيء الذي يتداعاه أهلُ الأمصار، فهو ما كان للملوك نحو كسرى، وقيصر، ومَن تابعهم من أهل بلادهم. فأجلى عنه، فأتاهم شيء عرفوه. وأخذ بقدر عدّة من شهدها من أهل المدينة، وبقدر نصيبهم، وضمّ ذلك إليهم، فباعوه بما يليهم من الأموال

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

بالحجاز ، ومكّة ، واليمن وحضرموت ، يردّ على أهلها الذين شهدوا الفتوح من بين أهل المدينة[١] (٤ : ٢٨٠/ ٢٨١).

٧٢٢ ـ وكتب إليّ السَّريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة مثل ذلك ، إلاّ أنهما قالا : اشترى هذا الضَّرْب رجال من كلّ قبيلة ممن كان له هنالك شيء؛ فأراد أن يستبدل به فيما يليه ، فأخذوا ، وجاز لهم عن تراضٍ منهم ومن الناس وإقرار بالحقوق؛ إلاّ أنّ الذين لا سابقة لهم ولا قُدمةً لا يبلغون مبلغ أهل السابقة والقُدمة في المجالس ، والرياسة ، والحظوة ، ثم كانوا يعيبون التفضيل ، ويجعلونه جفوةً ، وهم في ذلك يختفون به ، ولا يكادون يظهرونه ، لأنه لا حجّة لهم والناس عليهم ، فكان إذا لحق بهم لاحق من ناشىء أو أعرابيّ أو محرَّر؛ استحلى كلامهم؛ فكانوا في زيادة ، وكان الناس في نقصان ؛ حتى غلّب الشرّ[٢]. (٤ : ٢٨١).

٧٢٣ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، قالا : صُرف حذيفة عن غزو الرّيّ إلى غزو الباب مَدَداً لعبد الرحمن بن ربيعة ، وخرج معه سعيد بن العاص ، فبلغ معه أذربيجان ـ وكذلك كانوا يصنعون ، يجعلون للناس رِدْءاً ـ فأقام حتى قفل حذيفة ، ثم رجعا.

وفي هذه السنة ـ أعني : سنة ثلاثين ـ سقط خاتم رسول الله ﷺ من يد عثمان في بئر أريس وهي على ميلين من المدينة ، وكانت من أقلّ الآبار ماء ، فما أدرك حتى الساعة قعرها[٣]. (٤ : ٢٨١).

ذكر الخبر عن سبب سقوط الخاتم من يد عثمان في بئر أريس

٧٢٤ ـ حدثني محمد بن موسى الحرَشيّ ، قال : حدثنا أبو خلف عبد الله بن عيسى الخزّاز. قال : وكان شريك يونس بن عبيد قال : حدثنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنّ رسولَ الله ﷺ أراد أن يكتب إلى الأعاجم كتباً ،

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ؛ فقال له رجل: يا رسول الله! إنهم لا يقبلون كتاباً إلا مَختوماً، فأمر رسول الله ﷺ أن يُعمل له خاتم من حديد، فجعله في إصبعه، فأتاه جبريل، فقال له: انبذه من إصبعك، فنبذه رسول الله ﷺ من إصبعه، وأمر بخاتم آخر يُعمل له، فعمل له خاتم من نُحاس، فجعله في إصبعه، فقال له جبريل عليه السلام: انبذه من إصبعك، فنبذه رسول الله ﷺ من إصبعه، وأمر رسول الله ﷺ بخاتم من وَرِق، فصنع له خاتم من وَرق فجعله في إصبعه، فأقرّه جبريل، وأمر أن ينقش عليه: «محمد رسول الله»، فجعل يتختّم به، ويكتب إلى من أراد أن يكتب إليه من الأعاجم، وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر. فكتب كتاباً إلى كسرى بن هرمز فبعثه مع عمر بن الخطاب، فأتى به عمر كسرى فقرىء الكتاب، فلم يلتفت إلى كتابه، فقال عمر: يا رسول الله! جعلني الله فداءك! أنت على سرير مرمول باللِّيف، وكسرى بن هرمز على سرير من ذهب، وعليه الدّيباج! فقال رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة!» فقال: جعلني الله فداءك! قد رضيت.

وكتب كتاباً آخر، فبعث به مع دِحْية بن خليفة الكلبيّ إلى هرقل ملك الروم يدعوه إلى الإسلام، فقرأه وضمّه إليه، ووضعه عنده؛ فكان الخاتم في إصبع رسول الله ﷺ يتختّم به حتى قبضه الله عزّ وجلّ، ثم استخلف أبو بكر فتختّم به حتى قبضه الله عزّ وجلّ، ثم ولي عمر بن الخطاب بعد فجعل يتختم به حتى قبضه الله، ثم ولي من بعده عثمان بن عفان، فتختّم به ستّ سنين، فحفر بئراً بالمدينة شِرْباً للمسلمين، فقعد على رأس البئر، فجعل يعبث بالخاتم، ويُديره بإصبعه، فانسلّ الخاتم من إصبعه فوقع في البئر، فطلبوه في البئر، ونزحوا ما فيها من الماء، فلم يقدروا عليه، فجعل فيه مالاً عظيماً لمن جاء به، واغتمّ لذلك غمّاً شديداً، فلما يئس من الخاتم؛ أمر فصنِع له خاتم آخر مثله، خلْقه من فضّة، على مثاله وشبهه، ونقش عليه: «محمد رسول الله»؛ فجعله في إصبعه حتى هلَك؛ فلما قتِل ذهب الخاتم من يده فلم يُدْرَ مَن أخذه[1]. (٤: ٢٨١/ ٢٨٢/ ٢٨٣).

٧٢٥ ـ فأما العاذرون معاوية في ذلك، فإنهم ذكروا في ذلك قصّةً كتب إليّ

---

(١) في إسناده أبو خلف منكر الحديث.

بها السريّ ، يذكر: أن شعيباً حدّثه عن سيف ، عن عطيّة ، عن يزيد الفقعسيّ ، قال: لما ورد ابنُ السوداء الشأم لقي أبا ذرّ ، فقال: يا أبا ذَرّ ! ألا تعجب إلى معاوية ، يقول: المال مال الله! ألا إنّ كلّ شيء لله كأنه يريد أن يحتجِنه دون المسلمين ، ويمحو اسم المسلمين. فأتاه أبو ذرّ ، فقال: ما يدعوك إلى أن تسمّي مالَ المسلمين مال الله! قال: يرحمك الله يا أبا ذَرّ ! ألسنا عبادَ الله ، والمال ماله ، والخلق خلقه ، والأمر أمره! قال: فلا تقله ، قال: فإني لا أقول: إنه ليس لله ، ولكن سأقول: مال المسلمين.

قال: وأتى ابن السوداء أبا الدّرداء ، فقال له: مَنْ أنت؟ أظنّك والله يهودياً! فأتى عُبادةَ بن الصامت فتعلّق به ، فأتى به معاويةَ ، فقال: هذا والله الذي بعث عليك أبا ذرّ؛ وقام أبو ذرّ بالشأم وجعل يقول: يا معشرَ الأغنياء ! واسوا الفقراء. بُشِّر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاوٍ من نار تكوى بها جباههم ، وجنوبهم ، وظهورهم. فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك ، وأوجبوه على الأغنياء ، وحتى شكا الأغنياء ما يلقوْن من الناس.

فكتب معاوية إلى عثمان: إنّ أبا ذرّ قد أعضَل بي ، وقد كان من أمره كَيْت وكَيْت. فكتب إليه عثمان: إن الفتنة قد أخرجت خَطمها وعينيها ، فلم يبقَ إلا أن تثب ، فلا تنكأ القَرْح ، وجهّز أبا ذر إليّ ، وابعث معه دليلاً وزوّده ، وارفق به ، وكفكف الناس ونفسك ما استطعت؛ فإنما تُمسك ما استمسكت. فبعث بأبي ذرّ ومعه دليل؛ فلمّا قدم المدينة ورأى المجالس في أصل سَلْع ، قال: بشّر أهل المدينة بغارة شعواء ، وحرب مِذْكار.

ودخل على عثمان فقال: يا أبا ذرّ ! ما لأهل الشام يشكون ذَرَبك! فأخبره: أنه لا ينبغي أن يقال: مال الله ، ولا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالاً. فقال: يا أبا ذرّ ! عليّ أن أقضيَ ما عليّ ، وآخذ ما على الرعيّة ، ولا أجبرهم على الزّهد ، وأن أدعوَهم إلى الاجتهاد ، والاقتصاد.

قال: فتأذن لي في الخروج ، فإنّ المدينة ليست لي بدار؟ فقال: أو تستبدل بها إلا شرّاً منها! قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أخرُج منها إذا بلغ البناء سَلْعاً؛ قال: فانفذ لما أمرك به. قال: فخرج حتى نزل الرّبذة ، فخطّ بها مسجداً ، وأقطعه عثمان صِرْمة من الإبل ، وأعطاه مملوكين ، وأرسل إليه: أن تعاهد

المدينة حتى لا ترتدّ أعرابياً؛ ففعل[1]. (٤: ٢٨٣/ ٢٨٤).

٧٢٦ ـ وكتب إليّ السَّريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن عون، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان أبو ذرّ يختلف من الرّبذَة إلى المدينة مخافة الأعرابيّة، وكان يحبّ الوحدة والخلْوة. فدخل على عثمان، وعنده كعب الأحبار، فقال لعثمان: لا ترضوا من الناس بكفّ الأذى حتى يبذلوا المعروف؛ وقد ينبغي للمؤدي الزكاة ألاّ يقتصر عليها حتى يحسن إلى الجيران والإخوان، ويصل القرابات. فقال كعب: مَنْ أدّى الفريضة فقد قضى ما عليه. فرفع أبو ذرّ مِحْجَنه فضربه فشجّه، فاستوهبه عثمان، فوهبه له، وقال: يا أبا ذرّ! اتّق الله،

---

(١) إسناده ضعيف، ولبعضه ما يؤيده ذكرناه في قسم الصحيح إلاّ أن فيه نكارة شديدة (ولذا ذكرناها في قسم الضعيف) إضافة إلى ضعف إسنادها، ونحن على يقين أن أئمة الحديث المتقدمين كانوا محققين ضعفوا سيفاً في الحديث، والراوي الذي يخطىء في الحديث (بإجماع العلماء) لا بد أن يقع في أخطاء كذلك في روايته للتأريخ وإن كان عارفاً بالتأريخ، ولذلك نرجو أن قد وُفّقْنا للصواب عندما اعتبرنا الأصل في روايات سيف التأريخية الضعف ولم نذكر منها في الصحيح إلا ما كان له أصل مع بقية الشروط التي ذكرنا في المقدمة، وكان عملنا هذا توفيقاً بين قول المتقدمين في ضعفه في الحديث، وقول الذهبي وابن حجر من المتأخرين من أنه ضعيف في الحديث خبير بالتأريخ، فاعتمدنا قول المتقدمين ولم نهمل نظرة المتأخرين والله تعالى أعلم.

ولقد سقنا هذا الكلام لنقول بأن سيفاً كان ضعيفاً في التأريخ كذلك وهو تأثير في ضعفه في رواية الحديث ويظهر ذلك جلياً في هذه الرواية بالذات وفي رواية أخرى ذكرناها في الضعيف (٤/ ٣٣٠/ ١٠٤٢)، وأما ها هنا فإن رواية سيف تبيّن أن اليهودي الأصل عبد الله بن سبأ هو الذي أثّر على أبي ذر ليحاجج معاوية في آية اكتناز الذهب والفضة، وأن أبا ذر انقاد لكلام ابن سبأ دون تريث، وتأثر به مباشرة، بينما الرواية نفسها تبين أن عبد الله بن سبأ عندما دخل على أبي ذر في المرة الثانية استغربه أبو ذر وفطن له وقال: ما أظنك إلا يهودياً ـ فأين هذا من ذاك؟

والحق يقال: إن صحابة رسول الله ﷺ لم يكونوا ليتأثروا بمقالة عبد الله بن سبأ (وهذا إذا ثبت أنه حاول استمالتهم)، ولم نجد رواية صحيحة السند تؤكد: أن عبد الله بن سبأ أثر في قناعة أبي ذر، أو عمار بن ياسر بل كلها روايات ضعيفة، وإن لم يكن البلاء من سيف كما ذكرنا هنا فإنه البلاء الأشد من قبل تلميذه وراويته شعيب وهو معروف بتحامله وطعنه في صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين، وسود الله وجوه الكذابين من الرواة، والحمد لله على نعمة الإسناد!

واكفف يدك ولسانك ، وقد كان قال له : يا بنَ اليهوديّة ؛ ما أنت وما ها هنا! والله لتسمعنّ مني ، أو لأدخِل عليك[1] . (٤ : ٢٨٤) .

٧٢٧ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الأشعث بن سِوار ، عن محمد بن سيرين ، قال : خرج أبو ذرّ إلى الرّبذة من قِبَل نفسه لما رأى عثمان لا ينزع له ، وأخرج معاوية أهله من بعده ، فخرجوا إليه ومعهم جراب يثقل يدَ الرجل ، فقال : انظروا إلى هذا الذي يُزهّد في الدنيا ما عنده! فقالت امرأته : أما والله ما فيه دينار ولا درهم ، ولكنها فلوس كان إذا خرج عطاؤه ابتاع منه فلوساً لحوائجنا .

ولما نزل أبو ذرّ الربذة أقيمت الصلاة ، وعليها رجل يلي الصدقة ، فقال : تقدّم يا أبا ذرّ ! فقال : لا ، تقدّم أنت ، فإنّ رسول الله ﷺ قال لي : «اسمع وأطع ، وإن كان عليك عبد مجدّع» ، فأنت عبد ، ولست بأجدع ـ وكان من رقيق الصدقة ؛ وكان أسود يقال له : مجاشع[2] . (٤ : ٢٨٥) .

٧٢٨ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشِّر بن الفُضيل ، عن جابر ، قال : أجرى عثمان على أبي ذرّ كلّ يوم عظماً ، وعلى رافع ابن خَدِيج مثله ، وكانا قد تنحّيا عن المدينة لشيء سمعاه لم يفسَّر لهما ، وأبصرا ؛ وقد أخطِئا[3] . (٤ : ٢٨٥) .

٧٢٩ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن سُوقة ، عن عاصم بن كُلَيب ، عن سلَمة بن نَباتة ، قال : خرجنا معتمرين ، فأتينا الرَّبَذة ، فطلبنا أبا ذرّ في منزله ، فلم نجده ، وقالوا : ذهب إلى الماء . فتنحّينا ، ونزلنا قريباً من منزله ، فمرّ ومعه عَظْم جَزُور يحمله معه غلام ، فسلّم ، ثم مضى حتى أتى منزلَه ، فلم يمكث إلاّ قليلاً حتى جاء ، فجلس إلينا ، وقال : إنّ رسولَ الله ﷺ قال لي : «اسمع وأطع وإن كان عليك حبشيّ مجدّع» ، فنزلت هذا الماء وعليه رقيق من رقيق مال الله ، وعليهم حبشيّ ـ وليس بأجدع ، وهو ما علمت ، وأثنى

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة .
(٢) إسناده ضعيف .
(٣) إسناده ضعيف .

عليه ـ ولهم في كلّ يوم جَزور؛ ولي منها عظم آكله أنا وعيالي. قلت: مَالَك من المال؟ قال: صِرمة من الغنم وقطيع من الإبل، في أحدهما غلامي وفي الآخر أمَتي، وغلامي حُرّ إلى رأس السنة، قال: قلت: إنّ أصحابك قِبَلنا أكثر الناس مالاً، قال: أمَا إنهم ليس لهم في مال الله حق إلاّ ولي مثله.

وأمّا الآخرون، فإنهم رَووا في سبب ذلك أشياء كثيرة، وأموراً شنيعة، كرهت ذكرها[1] (٤ : ٢٨٥/٢٨٦).

ذكر هرب يزدجرد إلى خراسان

وفي هذه السنة هرب يَزْدَجِرد بن شهريار ـ في قول بعضهم ـ من فارس إلى خراسان.

ذكر من قال ذلك، وما قال فيه:

٧٣٠ ـ ذكر عليّ بن محمد: أنّ مسلمة أخبره عن داود، قال: قدِم ابنُ عامر البَصرة، ثمّ خرج إلى فارس فافتتحها، وهرب يَزْدَجرد من جُوز ـ وهي أردشير خُرّه ـ في سنة ثلاثين. فوجّه ابنُ عامر في أثره مجاشعَ بن مسعود السُّلَمي، فأتبعه إلى كَرْمان، فنزل مجاشع السّيرَجان بالعسكرِ، وهرب يَزْدَجرد إلى خُراسان. قال: وعبدُ القيس تقول: وجّه ابن عامر هرمَ بن حيّان العبديّ، وبكر بن وائل تقول: وجّه ابنَ حسان اليشكريّ. قال: وأصحّه عندنا مجاشع[2]. (٤ : ٢٨٦).

٧٣١ ـ قال عليّ: وأخبرَنا سلَمة بن عثمان ـ وكان فاضلاً ـ عن شيخ من أهل كَرْمان والفضلِ الكَرمانيّ، عن أبيه، قال: اتّبع مجاشع يَزْدَجردَ فخرج من السِّيرجَان، فلما كان عند القصر في بيمَند ـ وهو الذي يقال له: قصر مجاشع ـ أصابهم الثلج والدّمق، فوقع الثلج، واشتدّ البرد، وصار الثلج قامة رُمْح، فهلك الجند، وسلم مجاشع، ورجل كانت معه جارية، فشق بطن بعير، فأدخلها فيه وهرب؛ فلما كان من الغد، جاء فوجدها حيّة فحملها، فسُمّيَ ذلك

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

القصر قصر مجاشع؛ لأن جيشه هلكوا فيه؛ وهو على خمسة فراسخ أو ستّة من السّيرَجان[١]. (٤ : ٢٨٦/ ٢٨٧).

٧٣٢ ـ قال عليّ: أخبرنا أبو المقدام، عن بعض مشيخته، قال: خرج مجاشع على وفدِ أهل البصرة من تُسْتَر ـ وفيهم الأحنف ـ وأخذ في غداة واحدة على لجام واحد خمسين ألفاً، سبق على الصّفراء ابنة الغرّاء ابنة الغبراء.

فأخذها منه عمرحين قاسم عمّاله الأموال.

قال عليّ: فقلت للنضر بن إسحاق: إنّ أبا المقدام ذكر هذا الحديث! فقال: صدق، سمعته من عدة من الحي وغيرهم، وفرسه الصفراء ابنة الغرّاء ابنة الغبراء، وهو مجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن عائذ بن وهب بن ربيعة بن يَربوع بن سمّال بن عوف بن امرىء القيس بن بُهْثة بن سُلَم. ويكنى أبا سليمان[٢]. (٤ : ٢٨٧).

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة فممّا كان فيها من ذلك غزوة المسلمين الرّوم التي يقال لها: غزوة الصواري

٧٣٣ ـ في قول الواقديّ. فأمّا أبو معشر فإنه قال فيما حدّثني أحمد بن ثابت الرازيّ، عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عنه: كانت غزوة الصّواري سنة أربع وثلاثين؛ وقال: كانت في سنة إحدى وثلاثين الأساودة في البحر، ووقائع كسرى[٣]. (٤ : ٢٨٨).

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) قلنا: ذكر الطبري غزوة الصواري ضمن أحداث سنة (٣١) هـ ولكن خليفة ذكرها ضمن أحداث سنة (٣٤ هـ) وذكر ذلك عن الكلبي (تأريخ خليفة/ ١٦٨).
وكذلك ذكر الكندي فقال: وغزا عبد الله بن سعد أيضاً ذات الصواري في سنة أربع وثلاثين فلقيهم قسطنطين بن هرقل.
وقال أيضاً (الكندي): فهزم الله الروم وإنما سميت غزوة ذات الصواري لكثرة صواري المراكب واجتماعها (ولاة مصر/ ٣٦) وكذلك ذكر الحافظ الذهبي هذه الغزوة ضمن أحداث سنة (٣٤ هـ) فقال:

وقال الواقديّ: غزوة الصواري والأساودة كلتاهما كانتا في سنة إحدى وثلاثين.

ذكر الخبر عن هاتين الغزوتين:

٧٣٤ ـ ذكر الواقديّ: أن محمد بن صالح حدّثه، عن عاصم بن عمر بن قتادة، أنّ أهل الشأم خرجوا؛ عليهم معاوية بن أبي سفيان، وكانت الشأم قد جُمع جمعها لمعاوية بن أبي سفيان.

رجع الحديث إلى حديث الواقديّ عن خبر الغزوتين اللّتين ذكرتهما: إنّ أهل الشام خرجوا، عليهم معاوية بن أبي سفيان؛ وعلى أهل البَحْر عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح. وقال: وخرج عامئذ قسطنطين بن هِرَقل لما أصاب المسلمون منهم بإفريقية، فخرجوا في جَمْعٍ لم يجتمع للرّوم مثله قطّ منذ كان الإسلام، فخرجوا في خمسمئة مركَب؛ فالتقَوْا هم وعبد الله بن سعد، فأمّن بعضهم بعضاً حتى قرنوا بين سفن المسلمين وأهل الشرك بين صواريها[1]. (٤: ٢٨٨/ ٢٩٠).

ذكر السبب في جمعها له:

٧٣٥ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عبد الملك والربيع وأبي مجالد وأبي عثمان وأبي حارثة، قالوا: لما حُضر أبو عبيدة استخلَف على عمله عياض بن غَنْم ـ وهو خاله، وابن عمّه ـ وقد كان وليَ بالجزيرة عملاً، فعزله عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فلحق بأبي عبيدة بالشأم، وكان معه، وكان جواداً مشهوراً بالجود، لا يَلِيق شيئاً، ولا يمنع أحداً. فكلِّم عمر في ذلك، فقيل له: عزلت خالداً وعتبتَ عليه العطاء، وعياض أجود العرب وأعطاهم، لا يمنع شيئاً يُسأله، فقال عمر: متى سِيمَه عياض في ماله حتى يخلص إلى ما لنا! وإني مع ذلك لم أكن مغيِّراً أمراً قضاه أبو عبيدة. ومات عياض بن غَنْم بعد أبي عبيدة، فأمّر عمر على عمله سعيد بن حذيم الجُمَحي،

= كانت غزوة ذات الصواري في البحر من ناحية الإسكندرية وأميرها ابن أبي سرح (تأريخ الخلفاء الراشدين/ ٤٢٠) أما تلميذه ابن كثير فقد ذكر الغزوة ضمن أحداث سنة (٣١ هـ) تبعاً للطبري والله تعالى أعلم.

(١) إسناده ضعيف.

ومات سعيد بعدُ؛ فأمّر عمر مكانه عُمير بن سعد الأنصاريّ؛ ومات عمر؛ ومعاوية على دمشق، والأردنّ، وعمير بن سعد على حمص، وقنّسْرين؛ وإنما مصّر قِنّسرين معاوية بن أبي سفيان لمن لحق به من أهل العراقين، ومات يزيد بن أبي سفيان، فجعل عمر مكانه معاوية ونعاه لأبي سفيان، فقال: مَنْ جعلتَ على عمله يا أمير المؤمنين؟! فقال: معاوية، فقال: وصلتك رَحِمٌ؛ فاجتمعت لمعاوية الأردنّ ودمشق؛ ومات عمر ومعاوية على دمشق والأردنّ وعمير بن سعد على حمْص وقنّسرين، وعلقمة بن مجزّز على فلسطين وعمرو بن العاص على مصر[1] (٤: ٢٨٨/ ٢٨٩).

٧٣٦ - وكتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن مبشِّر، عن سالم، قال: كان أوّل عامل استعمله عثمان بن عفان سعد بن أبي وقّاص عن وصيّة عمر، ثمّ إنّ عمير بن سعد طُعِن، فأضنى منها، فاستعفى عثمان، واستأذنه في الرجوع إلى أهله؛ فأذن له؛ وضمّ حِمْص وقنّسرين إلى معاوية[2]. (٤: ٢٨٩).

٧٣٧ - وكتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان، عن خالد بن مَعْدان؛ قال: لمّا ولي عثمان أقرّ عمال عمر على الشام؛ فلما مات عبد الرحمن بن علقمة الكنانيّ - وكان على فلسطين - ضمّ عمله إلى معاوية، ومرض عُمَير بن سعد في إمارة عثمان مرضاً طال به، فاستعفاه، واستأذنه، فأذن له، وضمّ عمله إلى معاوية؛ فاجتمع الشأم على معاوية لسنتين من إمارة عثمان. وكان عمرو بن العاص على مصر زمانَ عمر، مجتمعةً له، فأقرّه عثمان صَدْراً من إمارته[3]. (٤: ٢٨٩/ ٢٩٠).

٧٣٨ - قال ابن عمر: حدّثني عيسى بن علقمة، عن عبد الله بن أبي سفيان، عن أبيه، عن مالك بن أوس بن الحَدَثان، قال: كنت معهم، فالتقيا في البحر، فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلَها قطّ؛ وكانت الريح علينا، فأرسينا ساعة، وأرسوْا قريباً منا؛ وسكنت الرّيح عنّا، فقلنا: الأمن بيننا وبينكم. قالوا: ذلك لكم ولنا منكم، ثم قلنا: إن أحببتم فالساحل حتى يموت الأعجل منا ومنْكم؛

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

وإن شئتم فالبحر ، قال: فنخروا نخرة واحدة ، وقالوا: الماء؛ فدنونا منهم ، فربطنا السفنَ بعضها إلى بعض حتى كنّا يضرب بعضنا بعضاً على سفننا وسفنهم؛ فقاتلنا أشدّ القتال ، ووثبت الرّجال على الرّجال يضطربون بالسيوف على السفن ، ويتواجؤون بالخناجر ، حتى رجعت الدّماء إلى الساحل تضربها الأمواج ، وطرحت الأمواج جثث الرجال رُكاماً[١] . (٤ : ٢٩٠).

٧٣٩ ـ قال ابن عمر: فحدّثني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عمّن حضر ذلك اليوم ، قال: رأيت الساحل حيث تضرب الريح الموج ، وإنّ عليه لمثلَ الظَّرِب العظيم من جثث الرجال؛ وإنّ الدم لغالب على الماء ، ولقد قتل يومئذ من المسلمين بشر كثير ، وقتل من الكفار ما لا يحصى ، وصبروا يومئذ صبراً لم يصبروا في موطن قطّ مثله . ثم أنزل الله نصرَه على أهل الإسلام ، وانهزم القسطنطين مدبراً ، فما انكشف إلاّ لما أصابه من القتل والجراح؛ ولقد أصابه يومئذ جراحات مكث منها حيناً جريحاً[٢] . (٤ : ٢٩٠/ ٢٩١).

٧٤٠ ـ قال ابن عمر: حدّثني سالم مولى أمّ محمد عن خالد بن أبي عمران ، عن حَنَش بن عبد الله الصنعانيّ ، قال: كان أوّل ما سُمع من محمد بن أبي حُذيفة حين ركب الناس البحر سنة إحدى وثلاثين: لمّا صلى عبد الله بن سعد بن أبي سرْح بالناس العصر ، كَبّر محمد بن أبي حذيفة تكبيراً ورفع صوته حتى فرغ الإمام عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح؛ فلما انصرف سأل: ما هذا؟ فقيل له: هذا محمد بن أبي حذيفة يكبّر ، فدعاه عبد الله بن سعد ، فقال له: ما هذه البدعة والحدَث؟ فقال له: ما هذه بدعة ولا حدَث، وما بالتكبير بأس ، قال: لا تعودنّ.

قال: فأسكَت محمد بن أبي حذيفة ، فلمّا صلّى المغرب عبد الله بن سعد كبّر محمد بن أبي حُذيفة تكبيراً أرفع من الأوّل ، فأرسل إليه: إنّك غلام أحمق؛ أما والله لولا أني لا أدري ما يُوافق أمير المؤمنين لقاربتُ بين خَطْوك ! فقال محمد بن أبي حذيفة: والله مالَكَ إلى ذلك سبيل ! ولو هممتَ به ما قدرتَ عليه. قال: فكُفَّ خيرٌ لك؛ والله لا تركب معنا ! قال: فأركبُ مع المسلمين؟ قال: اركبْ

(١) إسناده ضعيف لأن في متنه الواقدي وهو متروك.
(٢) إسناده ضعيف وفي متنه الواقدي وهو متروك.

حيث شئتَ. قال: فركب في مركب وحدَه ما معه إلا القِبْط؛ حتى بلغوا ذات الصواري؛ فلقُوا جموع الرّوم في خمسمئة مركب، أو ستمئة فيها القسطنطين بن هرقل، فقال: أشيروا عليّ، قالوا: ننظر الليلة، فباتوا يضربون بالنّواقيس، وبات المسلمون يصلّون ويدعون الله.

ثم أصبحوا وقد أجمع القسطنطين أن يقاتل، فقرّبوا سفنَهم، وقرّب المسلمون فربطوا بعضها إلى بعض، وصفّ عبد الله بن سعد المسلمين على نواحي السفن، وجعل يأمرهم بقراءة القرآن، ويأمرهم بالصبر، ووثبت الرّوم في سفن المسلمين على صفوفهم حتى نقضوها؛ فكانوا يقاتلون على غير صفوف. قال: فاقتتلوا قتالاً شديداً. ثم إنّ الله نصر المؤمنين، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم ينجُ من الرّوم إلاّ الشريد.

قال: وأقام عبد الله بذات الصواري أيّاماً بعد هزيمة القوم؛ ثم أقبل راجعاً؛ وجعل محمد بن أبي حُذيفة يقول للرجل: أما والله لقد تركنا خلفنا الجهاد حقّاً، فيقول الرجل: وأيّ جهاد؟ فيقول: عثمان بن عفان فعل كذا وكذا، وفعل كذا وكذا حتى أفسد الناس. فقدموا بلدَهم وقد أفسدهم، وأظهروا من القول ما لم يكونوا ينطقون به[1]. (٤: ٢٩١/ ٢٩٢).

٧٤١ ـ قال محمد بن عمر: فحدّثني معمر بن راشد عن الزُّهريّ، قال: خرج محمد بن أبي حُذيفة، ومحمد بن أبي بكر عامَ خرج عبد الله بن سعد، فأظهرا عيب عثمان، وما غيّر، وما خالف به أبا بكر وعمر؛ وأنّ دم عثمان حلال. ويقولان: استعملَ عبدَ الله بن سعد؛ رجلاً كان رسول الله ﷺ أباح دمه ونزل القرآن بكفره، وأخرج رسولُ الله ﷺ قوماً وأدخلهم، ونزع أصحابَ رسول الله ﷺ واستعمل سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر. فبلغ ذلك عبدَ الله بن سعد، فقال: لا تركبا معنا، فركبا في مركب ما فيه أحد من المسلمين، ولقُوا العدوّ؛ وكانا أقلَّ المسلمين قتالاً، فقيل لهما في ذلك، فقالا: كيف نقاتل مع رجل لا ينبغي لنا أن نحكِّمه! عبد الله بن سعد استعمله عثمان، وعثمان فعل وفعل! فأفسدا أهلَ تلك الغزاة، وعابا عثمان أشدّ العيب. فأرسل عبدُ الله بن سعد إليهما

---

(١) إسناده ضعيف.

ينهاهما أشدّ النّهي ، وقال: والله لولا أني لا أدري ما يوافق أمير المؤمنين لعاقبتكما ، وحبستكما[١] ! (٤ : ٢٩٢).

قال الواقديّ: وفي هذه السنة تُوُفِّيَ أبو سفيان بن حَرْب وهو ابن ثمان وثمانين سنة.

وفي هذه السنة ـ أعني: سنة إحدى وثلاثين ـ فتحت ـ في قول الواقديّ ـ أرمينيَة على يديْ حبيب بن مسلمة الفهريّ[٢]. (٤ : ٢٩٢).

ذكر الخبر عن مقتل يزدجرد ملك فارس

وفي هذه السنة قتل يزدجرد ملك فارس.

ذكر الخبر عن سبب مقتله:

٧٤٢ ـ اختُلف في سبب مقتله؛ وكيف كان ذلك؛ فقال عليّ بن محمد: أخبرنا غياث بن إبراهيم عن ابن إسحاق ، قال: هرب يزدَجرد من كَرْمان في جماعة يسيرة إلى مَرْو ، فسأل مرزبانها مالاً فمنعه ، فخافوا على أنفسهم ، فأرسلوا إلى الترك يستنصرونهم عليه ، فأتوه فبيّتوه ، فقتلوا أصحابه ، وهرب يَزْدَجرد حتى أتى منزلَ رجل ينقر الأرحاء على شطّ المَرْغاب ، فأوى إليه ليلاً ، فلما نام قتله[٣]. (٤ : ٢٩٣).

٧٤٣ ـ قال عليّ: وأخبرنا الهذليّ ، قال: أتى يَزْدجرد مَرْوَ هارباً من كَرْمان ، فسأل مرزبانها وأهلها مالاً ، فمنعوه ، وخافوه ، فبيّتوه ولم يستجيشوا عليه الترك ، فقتلوا أصحابَه ، وخرج هارباً على رجليه ، معه منطقته وسيفه وتاجه؛ حتى انتهى إلى منزل نقّار على شطّ المَرغاب ، فلما غفل يزدجرد قتله النّقار ، وأخذ متاعه وألقى جسده في المَرْغاب ، وأصبح أهل مَرْو فاتَّبعوا أثره ، حتى خفِيَ عليهم عند منزل النقّار ، فأخذوه ، فأقرّ لهم بقتله وأخرج متاعه؛ فقتلوا

---

(١) في إسناده الواقدي وهو متروك.
(٢) ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف جداً.

النقّار وأهل بيته ، وأخذوا متاعه ومتاع يزدجرد ، وأخرجوه من المَرْغاب فجعلوه في تابوت من خشب[١] . (٤ : ٢٩٣) .

٧٤٤ ـ قال : فزعم بعضهم : أنهم حملوه إلى إصطَخْر فدفن بها في أول سنة إحدى وثلاثين ، وسمِّيت مَرْو «خذاه دُشْمَن» ، وقد كان يَزْدَجرد وطىء امرأة بها فولدت له غلاماً ذاهب الشقّ ـ وذلك بعد ما قتل يَزْدَجرد ـ فسمي المُخدَج ، فوُلد له أولاد بخراسان ، فوجد قُتيبة حين افتتح الصُّغْد أو غيرها جاريتين فقيل له : إنّهما من وَلَد المخدَج ، فبعث بهما ـ أو بإحداهما ـ إلى الحجاج بن يوسف ، فبعَث بها إلى الوليد بن عبد الملك ، فولدت للوليد يزيد بن الوليد الناقصَ[٢] . (٤ : ٢٩٣) .

٧٤٥ ـ قال عليّ : وأخبرنا رَوْح بن عبد الله ، عن خُرْداذبه الرازيّ : أنّ يَزْدَجرد أتى خُراسان ومعه خُرَّزاذمهر ، أخو رستَم ، فقال لماهويه مرزبان مَرْوَ : إني قد سَلّمت إليك الملك . ثم انصرف إلى العراق ، وأقام يَزْدَجرد بمَرْو ، وهمّ بعزل ماهويه ، فكتب ماهويه إلى الترك يخبرهم بانهزام يَزْدَجرد ، وبقدومه عليه ، وعاهدهم على مؤازرتهم عليه ، وخلّى لهم الطريق .

قال : وأقبل الترك إلى مَرْوَ ، وخرج إليهم يَزْدَجرد فيمن معه من أصحابه ، فقاتلهم ومعه ماهويه في أساوِرة مَرْو ، فأثخن يَزْدَجرد في الترك ، فخشي ماهويه أن ينهزم الترك ، فتحوّل إليهم في أساورة مَرْو ، فانهزم جندُ يَزْدَجرد وقتِلوا ، وعُقر فرس يَزْدَجرد عند المساء ، فمضى ماشياً هارباً حتى انتهى إلى بيت فيه رحاً على شطّ المَرغاب ، فمكث فيه ليلتين ، فطلبه ماهويه فلم يقدر عليه ، فلما أصبح اليوم الثاني دخل صاحب الرّحَا بيتَه ، فلما رأى هيئة يَزْدجرد قال : ما أنت؟ إنسيّ أو جنيّ! قال : إنسيّ ؛ فهل عندك طعام؟ قال : نعم ، فأتاه به ، فقال : إني مُزمزِم فائتني بما أزمزم به ، فذهب الطحان إلى إسوار من الأساورة ، فطلب منه ما يزمزم به ، قال : وما تصنع به؟ قال : عندي رجل لم أرَ مثله قطّ ؛ وقد طلب هذا مني . فأدخله على ماهويه ، فقال : هذا يَزْدَجرد ، اذهبوا فجيئوني برأسه ، فقال

(١) إسناده ضعيف جداً.
(٢) إسناده ضعيف جداً.

له الموْبَذ: ليس ذلك لك ، قد علمتَ أنّ الدِّين والمُلْك مقترنان لا يستقيم أحدهما إلاّ بالآخر ، ومتى فعلتَ انتهكت الحُرْمة التي لا بعدها. وتكلم الناس وأعظموا ذلك ، فشتَمهم ماهويه ، وقال للأساورة: من تكلم فاقتلوه ، وأمر عِدّة فذهبوا مع الطّحان ، وأمرهم أن يقتلوا يزْدَجرد ، فانطلقوا فلما رأوه كرهوا قَتْله ، وتدافعوا ذلك ، وقالوا للطحان: ادخل فاقتله ، فدخل عليه وهو نائم ومعه حجر فشدخ به رأسَه ، ثم احتزّ رأسه ، فدفعه إليهم ، وألقى جسده في المَرْغاب. فخرج قوم من أهل مَرْوَ ، فقتلوا الطّحان ، وهدموا رحاه ، وخرج أسقُف مَرْو ، فأخرج جسد يَزْدَجرد من المِرغاب ، فجعله في تابوت ، وحمَله إلى إصطخر ، فوضعه في ناووس.

وقال آخرون في ذلك ما ذكر هشام بن محمد: أنه ذُكر له أن يَزْدَجرد هرب بعد وقعة نهاوند ، وكانت آخر وقعاتهم حتى سقط إلى أرض أصبَهان ، وبها رجل يقال له: مطيار من دهاقينها ـ وهو المنتدب كان لقتال العرب حين نَكَلت الأعاجم عنها ـ فدعاهم إلى نفسه ، فقال: إن وليِّتُ أمورَكم ، وسرت بكم إليه ما تجعلون لي؟ فقالوا: نُقرّ لك بفضلك. فسار بهم ، فأصاب من العرب شيئاً يسيراً ، فحظيَ به عندهم، ونال به أفضلَ الدرجات فيهم. فلما رأى يَزْدَجرد أمرَ أصبَهان ونزلها ، أتاه مطيار ذات يوم زائراً ، فحجبه بوابه ، وقال له: قف حتى أستأذن لك عليه ، فوثب عليه فشجّه أنَفةً وحميّة لحجْبه إيّاه ، ودخل البواب على يَزْدجرد مدمًّى ، فلمّا نظر إليه أفظعه ذلك ، وركب من ساعته مرتحلاً عن أصبهان ، وأشير عليه أن يأتيَ أقصى مملكته فيكون بها ، لاشتغال العرب عنه بما هم فيه إلى يوم. فسار متوجّهاً إلى ناحية الرّيّ ، فلما قدمها خرج إليه صاحب طَبَرِستان ، وعرض عليه بلادَه ، وأخبره بحصانتها ، وقال له: إن أنت لم تجبني يومك هذا ، ثم أتيتني بعد ذلك لم أقبلك ولم آوِك؛ فأبى عليه يَزْدَجرد ، وكتب له بالأصبَهبذيّة ، وكان له فيما خلا عليه درجة أوضع منها[١]. (٤ : ٢٩٣/ ٢٩٤/ ٢٩٥).

٧٤٦ ـ وقال بعضهم: إنّ يَزْدَجرد مضى من فوره ذلك إلى سجسْتان ، ثمّ سار منها إلى مَرْوَ في ألف رجل من الأساورة.

---

(١) إسناده ضعيف جداً.

وقال بعضهم: إنّ يَزْدَجرد وقع إلى أرض فارس، فأقام بها أربع سنين، ثم أتى أرض كرْمان، فأقام بها سنتين أو ثلاث سنين؛ فطلب إليه دِهقان كَرْمان أن يقيمَ عنده، فلم يفعل؛ وطلب من الدّهقان أن يعطيَه رهينة، فلم يعطه دهقان كَرْمان شيئاً، فلم يعطه ما طلب، فأخذ برِجْله فسحبه وطرده عن بلاده؛ فوقع منها إلى سجِسْتان، فأقام بها نحواً من خمس سنين. ثمّ أجمع أن ينزل خُراسان فيجمع الجموع فيها ويسير بهم إلى من غلَبه على مملكته، فسار بمَنْ معه إلى مَرْو، ومعه الرُّهُن من أولاد الدّهاقين، ومعه من رُؤسائهم فرُّخزاذ؛ فلما قدم مَرْو استغاث منهم بالملوك، وكتب إليهم يستمدّهم، وإلى صاحب الصين وملك فَرْغانة، وملك كابُل، وملك الخَزر؛ والدّهقان يومئذ بمرو ماهويه بن مافناه بن فيد أبو بَراز. ووكّل ماهويه ابنه براز مدينة مَرو ـ وكانت إليه ـ وأراد يَزْدَجِرد دخول المدينة لينظر إليها وإلى قُهَنْدزها ـ وكان ماهويه قد تقدّم إلى ابنه ألاّ يفتحها له إن رام دخولها تخوّفاً لمكره وغدره ـ فركب يَزْدَجِرد في اليوم الذي أراد دخولها، فأطاف بالمدينة، فلما انتهى إلى باب من أبوابها، وأراد دخولها منه صاح أبو بَراز ببَراز: أن افتح ـ وهو في ذلك يشدّ منطقته، ويومىء إليه ألاّ يفعل ـ وفطن لذلك رجل من أصحاب يَزْدَجِرد، فأعلمه ذلك، واستأذنه في ضَرْب عنق ماهويه، وقال: إن فعلت صفتْ لك الأمور بهذه الناحية؛ فأبى عليه[1]. (٤: ٢٩٥/٢٩٦).

٧٤٧ ـ وقال بعضهم: بل كان يَزْدَجرد ولّى مَرْو فَرّخزاذ، وأمر بَراز أن يدفع القُهَندز والمدينة إليه، فأبى أهل المدينة ذلك؛ لأن ماهويه أبا براز تقدّم إليهم بذلك، وقال لهم: ليس هذا لكم بملك، فقد جاءكم مفلولاً مجروحاً، ومَرْوْ لا تحتمل ما يحتمل غيرها من الكُوَر، فإذا جئتكم غداً فلا تفتحوا الباب. فلما أتاهم فعلوا ذلك، وانصرف فرّخزاذ، فجثا بين يدي يَزْدَجِرد، وقال: استصعبتْ عليكَ مَرْو؛ وهذه العرب قد أتتك. قال: فما الرأي؟ قال: الرأي أن نلحق ببلاد الترك ونقيم بها، حتى يتبيّن لنا أمر العرب؛ فإنهم لا يَدَعون بلدة إلاّ دخلوها. قال: لست أفعل؛ ولكني أرجع عَوْدِي على بدئي؛ فعصاه ولم يقبل رأيه، وسار يَزْدَجرد، فأتى بَراز دِهقان مَرْو، وأجمع على صرف الدَّهقنة إلى

(١) إسناده ضعيف.

سِنْجان ابن أخيه ، فبلغ ذلك ماهويه أبا براز ، فعمِل في هلاك يَزْدَجِرد وكتب إلى نَيْزك طَرْخان يخبره : أنّ يَزْدَجِرد وقع إليه مفلولاً ، ودعاه إلى القُدوم عليه لتكون أيديهما معاً في أخذه ، والاستيثاق منه ، فيقتلوه ، أو يصالحوا عليه العرب ، وجعل له إن هو أراحه منه أن يفيَ له كلّ يوم بألف درهم ، وسأله أن يكتب إلى يَزْدَجرد مماكراً له لينحّيَ عنه عامّة جنده ، ويحصل في طائفة من عسكره وخواصّه ، فيكون أضعف لرُكنه ، وأهْون لشوكته ، وقال : تُعْلِمه في كتابك إليه الذي عزمتَ عليه ؛ من مناصحته ومعونته على عدوّه من العرب ، حتى يقهرهم ، وتطلب إليه أن يشقّ لك اسماً من أسماء أهل الدّرجات بكتاب مختوم بالذهب ، وتُعْلِمه أنك لستَ قادماً عليه حتى يُنَحّيَ عنه فرّخزاذ .

فكتب نَيْزك بذلك إلى يَزْدَجِرد ، فلمّا ورد عليه كتابه ؛ بعث إلى عظماء مَرو ، فاستشارهم ، فقال له سَنْجان : لست أرى أن تنحّيَ عنك جندك وفَرّخزاذ لشيء ، وقال أبو براز : بل أرى أن تتألّف نيزك ، وتجيبه إلى ما سأل . فقبل رأيه ، وفرّق عنه جنده ، وأمر فَرّخزاذ أن يأتي أجَمة سَرَخس ، فصاح فَرّخزاذ ، وشقّ جيبه ، وتناول عموداً بين يديه يريد ضرب أبي براز به ، وقال : يا قتلة الملوك ! قتلتم ملكَيْن ، وأظنكم قاتلي هذا! ولم يبرح فَرّخزاذ حتى كتب له يَزْدَجِرد بخطّ يده كتاباً : هذا كتاب لفرّخزاذ ؛ إنك قد سلّمتَ يزدجِرْد وأهله وولده وحاشيتَه وما معه إلى ماهويه دِهْقان مَرْو . وأشهد عليه بذلك .

فأقبل نيزك إلى موضع بين المرْوين ، يقال له : حلسدان ؛ فلما أجمع يزدجرد على لقائه ، والمسير إليه ، أشار عليه أبو براز ألاّ يلقاه في السلاح فيرتاب به ، وينفر عنه ؛ ولكن يلقاه بالمزامير والملاهي ؛ ففعل فسار فيمن أشار عليه ماهويه ، وسمّي له ، وتقاعس عنه أبو براز ، وكَرْدَس نيزك أصحابَه كراديس . فلمّا تدانيا استقبلَه نيزك ماشياً ، ويَزْدَجِرد على فرس له ، فأمر لنيزك بجنيبة من جنائبه فركبها ؛ فلمَا توسط عسكره تواقفا ، فقال له نيزك فيما يقول : زوّجني إحدى بناتك وأناصحك ، وأقاتل معك عدوّك . فقال له يَزْدَجرد : وعليّ تجترىء أيّها الكلب! فعلاه نيزك بمخْفقته ، وصاح يَزْدَجرد : غَدَر الغادر! وركض منهزماً ، ووضع أصحاب نيزك سيوفهم فيهم ، فأكثروا فيهم القتل .

وانتهى يَزْدَجِرد من هَزيمته إلى مكان من أرض مَرْو ، فنزل عن فرسه ، ودخل

بيت طحّان فمكث فيه ثلاثة أيام؛ فقال له الطحّان: أيّها الشقيّ، اخرج فاطعَم شيئاً، فإنك قد جعت منذ ثلاث، قال: لستُ أصِل إلى ذلك إلا بزمزمة وكان رجل من زمازمة مَرْو أخرج حنطة له ليطحنها، فكلمه الطّحان أن يزمزم عنده ليأكل، ففعل ذلك؛ فلما انصرف سمع أبا براز يذكر يَزْدَجِرد، فسألهم عن حِلْيته؛ فوصفوه له، فأخبرهم أنه رآه في بيت طَحّان، وهو رجل جَعْد مقرون حسن الثنايا، مقرّط مسوَّر. فوجّه إليه عند ذلك رجلاً من الأساورة، وأمره إنْ هو ظفر به أن يخنقه بوَتر، ثم يطرحه في نهر مَرْو؛ فلقوا الطحّان، فضربوه ليدلّ عليه فلم يفعل، وجحدهم أن يكون يعرف أين توجّه. فلما أرادوا الانصراف عنه قال لهم رجل منهم: إنّي أجدُ ريح المسك؛ ونظر إلى طرف ثوبه من ديباج في الماء، فاجتذبه إليه؛ فإذا هو يَزْدَجِرد، فسأله ألاّ يقتله ولا يدلّ عليه، ويجعل له خاتمه وسواره ومنطقته؛ قال الآخر: أعطني أربعة دراهم وأخلِّي عنك؛ قال يَزْدَجرد: ويحك خاتمي لك، وثمنه لا يحصى! فأبى عليه؛ قال يَزْدَجرد: قد كنت أخبَر أني سأحتاج إلى أربعة دراهم؛ وأضطر إلى أن يكون أكلي أكل الهرّ، فقد عاينتُ، وجاءني بحقيقته؛ وانتزع أحد قُرْطيه فأعطاه الطحان مكافأة له لكتمانه عليه، ودنا منه كأنه يكلمه بشيء، فوصف له موضعه، وأنذر الرَّجل أصحابه، فأتوْه، فطلب إليهم يَزْدَجرد ألاّ يقتلوه وقال: ويحكم! إنّا نجد في كتبنا: أنّ مَن اجترأ على قتل الملوك عاقبه الله بالحريق في الدنيا؛ مع ما هو قادم عليه، فلا تقتلوني، وآتوني الدّهقان، أو سرّحوني إلى العرب؛ فإنهم يستحيون مثلي من الملوك: ؛ فأخذوا ما كان عليه من الحلي، فجعلوه في جراب، وختموا عليه؛ ثم خنقوه بوَتَر، وطرحوه في نهر مَرْو، فجرى به الماء حتى انتهى إلى فُوّهة الرّزيق، فتعلّق بعُود، فأتاه أسقف مَرْو فحمله ولفّه في طيلسان ممسَّك، وجعله في تابوت، وحمله إلى بائي بابان أسفل ماجان، فوضعه في عَقْد كان يكون مجلس الأسقف فيه وردمه، وسأل أبو براز عن أحد القُرْطين حين افتقده، فأخذ الذي دلّ عليه فضربه حتى أتى على نفسه، وبعث بما أصيب له إلى الخليفة يومئذ، فأغرَم الخليفة الدّهقان قيمة القُرْط المفقود[1]. (٤ : ٢٩٦/ ٢٩٧/ ٢٩٨).

٧٤٨ ـ وقال آخرون: بل سار يَزْدَجرد من كَرْمان قبل ورود العرب إياها،

---

(١) إسناده ضعيف.

فأخذ على طريق الطَّبَسَيْنْ ، وقُهِستان ، حتى شارف مَرْو في زهاء أربعة آلاف رجلٍ ، ليجمع من أهل خُراسان جموعاً ، ويكرّ إلى العرب ويقاتلهم ، فتلقّاه قائدان متباغضان متحاسدان كانا بمَرْو؛ يقال لأحدهما: براز والآخر: سَنْجان؛ ومَنَحاه الطاعة ، وأقام بمَرْو ، وخصّ براز فحسده ذلك سَنجان ، وجعل براز يبغي سَنْجان الغوائل ، ويوغِل صدر يَزْدَجِرد عليه ، وسعى بسَنْجان حتى عزم على قتله؛ وأفشى ما كان عزم عليه من ذلك إلى امرأة من نسائه كان براز واطأها؛ فأرسلت إلى بَراز بنسوة زعمت بإجماع يَزْدَجِرد على قتل سَنْجان ، وفشا ما كان عزم عليه يَزْدَجِرد من ذلك. فنذِر سَنْجان ، وأخذ حِذْره ، وجمع جمعاً كنحو أصحاب براز ، ومن كان مع يَزْدَجرد من الجند ، وتوجّه نحو القصر الذي كان يَزْدَجِرد نازلَه. وبلغ ذلك براز ، فنكص عن سَنجان لكثرة جُموعه ، ورَعَب جمع سنجان يَزْدَجِرد وأخافه ، فخرج من قصره متنكّراً ، ومضى على وجهه راجلاً لينجوَ بنفسه ، فمشى نحواً من فرسخين حتى وقع إلى رحاً ما ، فدخل بيت الرّحا ، فجلس فيه كالاًّ لغباً ، فرآه صاحب الرّحا ذا هيئة وطرّة وبِزّة كريمة ، ففرش له ، فجلس وأتاه بطعام فطعم ، ومكث عنده يوماً وليلة ، فسأله صاحب الرّحا أن يأمر له بشيء ، فبذل له منطقة مكلَّلة بجوهر كانت عليه؛ فأبى صاحب الرَّحا أن يقبلها ، وقال: إنما كان يرضيني من هذه المنطقة أربعة دراهم كنت أطعم بها وأشرب ، فأخبره أنه لا ورق معه ، فتملّقه صاحب الرحا؛ حتى إذا غفا قام إليه بفأس له فضرب بها هامته فقتله ، واحتزّ رأسه؛ وأخذ ما كان عليه من ثياب ومنطقة ، وألقى جيفته في النهر الذي كان تدور بمائه رحاه ، وبقَر بطنه ، وأدخل فيه أصولاً من أصول طرْفاء كانت نابتة في ذلك النهر لتحبس جُثّته في الموضع الذي ألقاه فيه ، فلا يسفل فيعرف ويطلب قاتله وما أخذ من سلَبه ، وهرب على وجهه. وبلغ قتلُ يَزْدَجِرد رجلاً من أهل الأهواز كان مُطراناً على مَرْو؛ يقال له: إيلياء ، فجمع مَن كان قِبَله من النصارى ، وقال لهم: إنّ ملِك الفرس قد قتل ، وهو ابن شهريار بن كسرى؛ وإنما شهريار ولدُ شيرين المؤمنة التي قد عرفتم حقَّها وإحسانها إلى أهل ملّتها من غير وجه؛ ولهذا الملك عنصر في النصرانيّة مع ما نال النصارى في مُلْك جدّه كسرى من الشَّرَف؛ وقبل ذلك في مملكة ملوك من أسلافه من الخير؛ حتى بَنَى لهم بعض البِيع ، وسدّد لهم بعض ملّتهم؛ فينبغي لنا أن نحزَن لقتل هذا الملك من كرامته بقدر إحسان أسلافه وجدّته

شيرين ، كان إلى النصارى؛ وقد رأيت أنّ أبنيَ له ناوُوساً ، وأحمل جُثّته في كرامة حتى أواريَهَا فيه.

فقال النصارى: أمْرنا لأمرك أيّها المطران تَبع؛ ونحن لك على رأيك هذا مواطئون. فأمر المطران فبني في جوف بستان المطارنة بمَرْو ناووساً؛ ومضى بنفسه ومعه نصارى مَرْو حتى استخرج جثّة يَزْدَجِرد من النهر وكَفّنها ، وجعلها في تابوت ، وحمله مَن كان معه من النصارى على عواتقهم حتى أتوْا به الناووس الذي أمر ببنائه له وواروه فيه ، وردموا بابه؛ فكان مُلْك يَزْدَجِرد عشرين سنة ، منها أربع سنين في دَعَة وستّ عشرة سنة في تعب من محاربة العرب إيّاه وغلظتهم عليه.

وكان آخر ملك مَلَك من آل أردشير بن بابك؛ وصفا الملك بعده للعرب[١]. (٤: ٢٩٩/ ٣٠٠).

شخوص عبد الله بن عامر إلى خراسان وما قام به من فتوح

وفي هذه السنة ـ أعني: سنة إحدى وثلاثين ـ شخص عبد الله بن عامر إلى خَراسان ففتح أبْرَشهر ، وطوس ، وبيورد ، ونَسا حتى بلغ سَرَخس ، وصالح فيها أهل مَرْو.

ذكر الخبر عن ذلك:

٧٤٩ ـ ذُكر: أن ابن عامر لما فتح فارس؛ قام إليه أوس بن حبيب التميميّ ، فقال: أصلح الله الأمير! إنّ الأرض بين يديك ، ولم تفتتح من ذلك إلاّ القليل ، فسرْ فإنّ الله ناصرُك؛ قال: أوَ لم نأمر بالمسير! وكره أن يُظهر أنه قبِل رأيه؛ فذكر عليّ بن محمد: أن مسلمة بن مُحارب أخبره عن السَّكن بن قتادة العُرَينيّ ، قال: فتح ابن عامر فارسَ ورجع إلى البصرة ، واستعمل على إصطخر شريكَ بن الأعور الحارثيّ ، فبنى شريك مسجد إصطخر ، فدخل على ابنِ عامر رجل من بني تميم ، قال: كنّا نقول: إنه الأحنف ـ ويقال: أوْس بن جابر الجُشميّ جُشَم تميم

---

(١) إسناده ضعيف.

ـ فقال له: إنّ عدوّك منك هارب؛ وهو لك هائب، والبلاد واسعة؛ فسرْ فإنّ الله ناصرك، ومعزّ دينه.

فتجهّز ابن عامر، وأمر الناس بالجَهاز للمسير، واستخلف على البصرة زياداً، وسار إلى كَرْمان؛ ثم أخذ إلى خراسان، فقوم يقولون: أخذ طريق أصبَهان؛ ثم سار إلى خُراسان[1] (٤: ٣٠٠/ ٣٠١).

٧٥٠ ـ قال عليّ: أخبرنا المفضّل الكَرْماني عن أبيه، قال: كان أشياخ كَرْمان يذكرون: أنّ ابن عامر نزل المعسكر بالسِّيرجان، ثمّ سار إلى خراسان، واستعمل على كَرْمان مجاشع بن مسعود السُّلَميّ، وأخذ ابن عامر على مفازة رابَر، وهي ثمانون فرسخاً، ثم سار إلى الطَّبَسَين يريد أبْرَشهر؛ وهي مدينة نيسابور، وعلى مقدّمته الأحنف بن قيس، فأخذ إلى قُهْستان، وخرج إلى أبْرَشهر فلقيه الهياطلة ـ وهم أهلُ هَراة ـ فقاتلهم الأحنف، فهزمهم ثم أتى ابن عامر نيسابور[2]. (٤: ٣٠١).

٧٥١ ـ قال عليّ: وأخبرنا أبو مخنف عن نُمَير بن وَعْلة، عن الشعبيّ، قال: أخذ ابن عامر على مفازة خَبيص، ثم على خُواست ـ ويقال: على يَزْد ـ ثمّ على قُهستان؛ فقدّم الأحنف فلقيه الهياطلة، فقاتلهم فهزمهم، ثم أتى أبْرَشهر، فنزلها ابنُ عامر، وكان سعيد بن العاص في جُند أهل الكوفة، فأتى جُرجان وهو يريد خراسان؛ فلمّا بلغه نزول ابن عامر أبْرَشهر؛ رجع إلى الكوفة[3]. (٤: ٣٠١).

٧٥٢ ـ قال عليّ: أخبرنا عليّ بن مجاهد، قال: نزل ابن عامر على أبْرَشهر، فغلب على نصفها عَنْوة، وكان النّصف الآخر في يد كنارى، ونصف نسا، وطوس؛ فلم يقدر ابنُ عامر أن يجوزَ إلى مَرْو، فصالح كنارَى، فأعطاه ابنه أبا الصلت ابن كنارى، وابن أخيه سليماً رَهْناً، ووجّه عبد الله بن خازم إلى هَراة، وحاتم بن النعمان إلى مَرْو، فأخذ ابن عامر ابْنيْ كنارى، فصارا إلى

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف جداً.
(٣) إسناده ضعيف.

النعمان بن الأفقم النَّصْري ، فأعتقهما[١] . (٤ : ٣٠١/ ٣٠٢).

٧٥٣ ـ قال عليّ : وأخبرنا أبو حفص الأزديّ عن إدريس بن حنظلة العَميّ ، قال : فتح ابن عامر مدينة أبْرَشهر عَنْوة ، وفتح ما حولها طوس ، وبيوَرْد ، ونَسا ، وحُمْران ، وذلك سنة إحدى وثلاثين[٢] . (٤ : ٣٠٢).

٧٥٤ ـ قال عليّ : أخبرنا أبو السّريّ المروزيّ عن أبيه ، قال : سمعتُ موسى بن عبد الله بن خازم يقول : أبي صالَحَ أهلَ سَرَخْس ، بعثه إليهم عبد الله بن عامر من أبْرشهر ، وصالح ابن عامر أهل أبرشهر صلْحاً ، فأعطوْه جاريتين من آل كسرى : بابونج ، وطهمبج ـ أو طمهبج ـ فأقبل بهما معه ، وبعث أُمَيْن بن أحمر اليَشكريّ ، ففتح ما حول أبرْشهر : طُوس ، وبِيوَرْد ، ونسَا ، وحُمران ، حتى انتهى إلى سَرَخْس[٣] . (٤ : ٣٠٢).

٧٥٥ ـ قال عليّ : وأخبرنا الصلت بن دينار عن ابن سيرين ، قال : بعث ابن عامر عبدَ الله بن خازم إلى سَرَخْس؛ ففتحها وأصاب ابن عامر جاريتين من آل كسرى ، فأعطى إحداهما النّوشجان؛ وماتت بابونج[٤] . (٤ : ٣٠٢).

٧٥٦ ـ قال عليّ : وأخبرنا أبو الذَّيال زُهير بن هُنَيد العَدَوِيّ عن أشياخ من أهل خُراسان : أنّ ابن عامر سرّح الأسودَ بن كُلثوم العَدَوِيّ ـ عديّ الرِّباب ـ إلى بَيْهق؛ وهو من أبرشهر ، بينها وبين مدينة أبرشهر ستة عشر فرسخاً ، ففتحها وقتل الأسود بن كلثوم . قال : وكان فاضلاً في دينه ، كان من أصحاب عامر بن عبد الله العنبريّ وكان عامر يقول بعدما أخرج من البصرة : ما آسى من العراق على شيء إلاّ على ماء الهواجر ، وتجاوب المؤذِّنين ، وإخوان مثل الأسود بن كلثوم[٥] . (٤ : ٣٠٢).

٧٥٧ ـ قال عليّ : وأخبرنا زهير بن هُنَيد ، عن بعض عمومته ، قال : غلب ابن

---

(١) إسناده ضعيف . وفي إسناده علي بن مجاهد وهو متروك .
(٢) إسناده ضعيف جداً .
(٣) إسناده ضعيف .
(٤) إسناده ضعيف .
(٥) إسناده ضعيف .

عامر على نيسابور، وخرج إلى سَرَخْس، فأرسل إلى أهل مَرْو يطلب الصّلح: فبعث إليهم ابن عامر حاتم بن النّعمان الباهليّ، فصالح براز مرزبان مَرْو على ألفي ألف ومئتي ألف[١]. (٤: ٣٠٢/٣٠٣).

٧٥٨ _ قال: فأخبرنا مصعب بن حيّان عن أخيه مقاتل بن حيّان، قال: صالحهم على ستة آلاف ألف ومئتي ألف.

وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان رضي الله عنه[٢]. (٤: ٣٠٣).

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المذكورة

فمن ذلك غزوة معاوية بن أبي سفيان المَضيق، مضيق القسطنطينيّة؛ ومعه زوجته عاتكة بنة قرظة بن عبد عمرو بن نوْفل بن عبد مناف.

وقيل: فاختة. حدّثني بذلك أحمد بن ثابت عمنّ ذكره، عن إسحاق، عن أبي معشر، وهو قول الواقديّ.

وفي هذه السنة استعمل سعيد بن العاص سلمانَ بن ربيعة على فَرْج بَلَنْجَر، وأمدّ الجيش الذي كان به مقيماً مع حُذَيفة بأهل الشأم، عليهم حبيب بن مسلَمة الفهريّ ـ في قول سيف ـ فوقع فيها الاختلاف بين سلْمان، وحبيب في الأمر، وتنازع في ذلك أهل الشأم، وأهل الكوفة.

ذكر الخبر بذلك:

٧٥٩ _ فمّما كتب به إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة؛ قالا: كتب عثمان إلى سعيد: أن أغْزِ سلمان الباب؛ وكتب إلى عبد الرحمن بن ربيعة وهو على الباب: إنّ الرعيّة قد أبطر كثيراً منهم البِطنة، فقصِّر، ولا تقتحم بالمسلمين؛ فإني خاشٍ أن يُبتَلوا، فلم يزجر ذلك عبد الرحمن عن غايته، وكان لا يقصِّر عن بَلَنْجر، فغزا سنة تسع من إمارة

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

عثمان حتى إذا بلغ بلنْجر؛ حصروها، ونصبوا عليها المجانيق، والعرّادات، فجعل لا يدنو منها أحد إلا أعنتُوه، أو قتلوه؛ فأسرعوا في الناس، وقتل مِعْضَد في تلك الأيام.

ثم إنّ الترك اتّعدوا يوماً، فخرج أهلُ بَلَنْجَر؛ وتوافت إليهم الترك، فاقتتلوا، فأصيب عبد الرحمن بن ربيعة ـ وكان يقال له: ذو النور ـ وانهزم المسلمون فتفرّقوا، فأمّا من أخذ طريق سلمان بن ربيعة؛ فحماه حتى خرج من الباب، وأمّا مَن أخذ طريق الخَزر وبلادها؛ فإنه خرج على جِيلان، وجُرجان؛ وفيهم سلْمان الفارسيّ وأبو هريرة، وأخذ القوم جسد عبد الرحمن، فجعلوه في سَفَط، فبقيَ في أيديهم، فهم يستسقون به إلى اليوم ويستنصرون به[١]. (٤: ٣٠٤/ ٣٠٥).

٧٦٠ - كتب إليّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن داود بن يزيد، عن الشعبيّ، قال: والله لسَلمانُ بن ربيعة كان أبصرَ بالمضارب من الجازر بمفاصل الجَزور[٢]. (٤: ٣٠٥).

٧٦١ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن الغصن بن القاسم، عن رجل من بني كنانة، قال: لما تتابعت الغزوات على الخزَر، وتذامروا، وتعايروا، وقالوا: كنّا أمة لا يُقرِن لنا أحد حتى جاءت هذه الأمة القليلة، فصرنا لا نقوم لها. فقال بعضهم لبعض: إنّ هؤلاء لا يموتون؛ ولو كانوا يموتون لما اقتحموا علينا. وما أصيب في غزواتها أحد إلاّ في آخر غزوة عبد الرحمن، فقالوا: أفلا تجرّبون! فكمنوا في الغياض، فمرّ بأولئك الكمين مُرّار من الجند، فرموهم منها؛ فقتلوهم، فواعدوا رؤوسهم، ثمّ تداعَوْا إلى حربهم؛ ثم اتَّعدوا يوماً؛ فاقتتلوا، فقتِل عبد الرحمن، وأسرِع فِي الناس فافترقوا فِرْقين؛ فِرْق نحو الباب، فحماهم سلمان حتى أخرجهم، وفِرْق أخذوا نحو الخزر؛ فطلعوا على جِيلان وجرجان، فيهم سلمان الفارسيّ، وأبو هريرة[٣]. (٤: ٣٠٥).

٧٦٢ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن المستنير بن يزيد، عن

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

أخيه قيس ، عن أبيه ، قال: كان يزيد بن معاوية ، وعَلقمة بن قيس ، ومعْضَد الشيبانيّ ، وأبو مفزّر التميميّ في خِباء ، وعمرو بن عتبة وخالد بن ربيعة والحَلحال بن ذُرِّيّ ، والقَرْثَع في خِباء ، وكانوا متجاورين في عسكر بَلَنْجَر؛ وكان القَرْثَع يقول: ما أحسن لمْع الدماء على الثياب! وكان عمرو بن عتبة يقول لقَباء عليه أبيض: ما أحسن حُمرة الدماء في بياضك!

وغزا أهل الكوفة بَلَنْجر سنين من إمارة عثمان لم تئِمْ فيهنّ امرأة ، ولم ييتم فيهنّ صبيّ من قَتْلٍ ، حتى كان سنة تسع؛ فلمّا كان سنة تسع قبل المزاحفة بيومين رأى يزيد بن معاوية: أنّ غزالاً جيء به إلى خبائه ، لم ير غزالاً أحسن منه حتى لُفّ في ملحفته ، ثم أتِيَ به قبر عليه أربعة نفر لم ير قبراً أشدّ استواء منه ولا أحسن منه ، حتى دفن فيه؛ فلمّا تغادى الناس على الترك رُمي يزيد بحجر ، فهشم رأسه ، فكأنما زُيِّن ثوبه بالدماء زينة ، وليس يتلطّخ؛ فكان ذلك الغزال الذي رأى ، وكان بذلك الدم على ذلك القَباء الحسن ، فلما كان قبل المزاحفة بيوم تَغادوْا ، فقال مِعْضَد لعلقمة: أعِرْني بُرْدَك أعصّب به رأسي؛ ففعل ، فأتى البُرْج الذي أصيب فيه يزيد؛ فرماهم فقتل منهم ، ورُمي بحجر في عرّادة ، ففضخ هامته ، واجترّه أصحابُه فدفنوه إلى جنب يزيد ، وأصاب عمرو بن عتبة جراحة؛ فرأى قباءه كما اشتهى ، وقتل؛ فلما كان يوم المزاحفة قاتل القَرثَع حتى خُرِّق بالحراب ، فكأنما كان قباؤه ثوباً أرضُه بيضاء ووشيهُ أحمر ، وما زال الناس ثبوتاً حتى أصيب ، وكانت هزيمة الناس مع مقتله[1] . (٤ : ٣٠٥/ ٣٠٦) .

٧٦٣ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن داود بن يزيد ، قال: كان يزيد بن معاوية النَّخعيّ رضي الله عنه وعمرو بن عتبة ومَعضد أصيبوا يوم بَلَنجر؛ فأمّا معْضد فإنه اعتجر ببُرد لعلقمة ، فأتاه شَظيّة من حجر منجنيق ، فأمّه ، فاستصغره ، ووضع يده عليه فمات فغَسل دمه علقمة ، فلم يخرج؛ وكان يحضر فيه الجمعة ، وقال يحرّضني عليه: إنّ فيه دمَ مِعضد. فأما عمرو؛ فلبس قباء أبيض ، وقال: ما أحسن الدم على هذا! فأتاه حجر فقتله ، وملأه دماً ، وأما يزيد؛ فدلِّيَ عليه شيء فقتله ، وقد كانوا حفروا قبراً فأعدّوه؛ فنظر إليه يزيد ،

---

(١) إسناده ضعيف.

فقال: ما أحسنه! وأرِيَ فيما يرى النائم أنّ غزالاً لم يُر غزالٌ أحسنُ منه، جيء به حتى دفن فيه؛ فكان هو ذلك الغزال. وكان يزيد رقيقاً جميلاً رحمه الله؛ وبلغ ذلك عثمان، فقال: إنّا لله وإنا إليه راجعون! انتكث أهل الكوفة. اللهمّ تُبْ عليهم، وأقْبِلْ بهم[١]! (٤: ٣٠٦).

٧٦٤ - كتب إليّ السريّ عن شُعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، قالا: استعمل سعيد على ذلك الفَرْج سلمان بن رِبيعة، واستعمل على الغَزْو بأهل الكوفة حُذيفة بن اليَمان، وكان على ذلك الفَرْج قبل ذلك عبد الرحمن بن ربيعة، وأمدّهم عثمان في سنة عشر بأهل الشأم عليهم حبيب بن مسلمة القرشيّ، فتأمّر عليه سلمان، وأبى عليه حبيب؛ حتى قال أهل الشأم: لقد هممنا بضرب سلمان، فقال في ذلك الناس: إذاً والله نضرب حبيباً، ونحبسه؛ وإن أبيتم؛ كثرت القتلى فيكم وفينا.

وقال أوس بن مغراء في ذلك:

إن تَضْرِبوا سَلْمانَ نَضْرِبْ حَبيبكُمْ ... وإن تَرْحَلوا نَحْوَ ابْنِ عَفَّانَ نَرْحَلِ

وإن تُقْسِطوا فالثّغْرُ ثَغْرُ أميرنا ... وهذا أميرٌ في الكَتائِب مُقْبِلُ

ونَحنُ وُلاةُ الثَّغْرِ كُنَّا حُماتَه ... لياليَ نَرْمي كُلَّ ثَغْرٍ ونُنْكِلُ

فأراد حبيب أن يتأمّر على صاحب الباب كما كان يتأمّر أمير الجيش إذا جاء من الكوفة، فلمّا أحسّ حذيفة؛ أقرّ، وأقرّوا؛ فغزاها حذيفة بن اليَمان ثلاث غزوات، فقتل عثمان في الثالثة، ولقيَهم مقتل عثمان، فقال: اللهمّ العن قتلَة عثمان، وغُزاة عثمان، وشنَأة عثمان. اللهمّ إنا كنّا نعاتبه ويعاتبنا، متى ما كان مَن قبله يعاتبنا ونعاتبه! فاتّخذوا ذلك سُلّماً إلى الفتنة؛ اللهم لا تُمِتْهم إلاّ بالسيوف[٢] (٤: ٣٠٦/ ٣٠٧).

ذكر الخبر عن وفاته

٧٦٥ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عطيّة عن يزيد الفقعسيّ، قال: لما حضرت أبا ذرّ الوفاة؛ وذلك في سنة ثمان في ذي الحِجّة من

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

إمارة عثمان؛ نزل بأبي ذَرّ؟ فلما أشرف؛ قال لابنته: استشرِفي يا بنيّة، فانظري هل ترين أحداً؟! قالت: لا، قال: فما جاءت ساعتي بعدُ، ثم أمرها فذبحت شاة، ثم طبختها، ثم قال: إذا جاءك الذين يدفنونني فقولي لهم: إنّ أبا ذرّ يقسم عليكم ألاّ تركبوا حتى تأكلوا؛ فلمّا نضجت قدرُها قال لها: انظري هل ترين أحداً؟ قالت: نعم؛ هؤلاء ركْب مقبلون، قال: استقبلي بي الكعبة. ففعلت، وقال: بسم الله، وبالله، وعلى ملّة رسول الله ﷺ. ثم خرجت ابنته، فتلقّتهم، وقالت: رحمكم الله! اشهدوا أبا ذرّ - قالوا: وأين هو؟ فأشارت لهم إليه وقد مات - فادفنوه، قالوا: نعم ونعمةَ عيْن! لقد أكرمَنا الله بذلك؛ وإذا ركبٌ من أهل الكوفة فيهم ابن مسعود، فمالوا إليه وابن مسعود يبكي ويقول: صدق رسولُ الله ﷺ: «يموت وحدَه، ويُبعث وحده»؛ فغسلوه، وكفّنوه، وصلّوا عليه، ودفنوه، فلما أرادوا أن يرتحلوا قالت لهم: إنّ أبا ذرّ يقرأ عليكم السلام، وأقسم عليكم ألاّ تركبوا حتّى تأكلوا، ففعلوا، وحملوهم حتى أقدموهم مكّة، ونعوْه إلى عثمان، فضمّ ابنته إلى عياله، وقال: يرحمُ الله أبا ذرّ، ويغفر لرافع بن خَدِيج سكونَه[1]. (٤: ٣٠٨).

٧٦٦ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن القعقاع بن الصلت، عن رجل، عن كُليب بن الحَلْحال، عن الحلحال بن ذُرِّيّ، قال: خرجنا مع ابن مسعود سنة إحدى وثلاثين؛ ونحن أربعة عشر راكباً؛ حتى أتينا على الرَّبَذة؛ فإذا امرأة قد تلقّتنا، فقالت: اشهدوا أبا ذرّ - وما شعرنا بأمره ولا بلغنا - فقلنا: وأين أبو ذرّ؟ فأشارت إلى خِباء، فقلنا: مَالَه؟ قالت: فارق المدينة لأمر قد بلغه فيها، ففارقها. قال ابن مسعود: ما دعاه إلى الإعراب؟ فقالت: أما إن أمير المؤمنين قد كره ذلك؛ ولكنه كان يقول: هي بَعَدٌ، وهي مدينة. فمال ابن مسعود إليه وهو يبكي، فغسلناه وكفّناه؛ وإذا خباء منضوخ بمسْك، فقلنا للمرأة: ما هذا؟ فقالت: كانت مِسْكة، فلما حُضِر قال: إن الميّت يحضُره شهود يجدون الرِّيح؛ ولا يأكلون، فَدُوفي تلك المسكة بماء، ثم رشّي بها الخباء، فاقريهم ريحها، واطبخي هذا اللحم؛ فإنه سيشهدني قوم صالحون يلون دفْني، فاقْريهم؛ فلما دفنّاه؛ دعتنا إلى الطعام فأكلنا، وأردنا احتمالها، فقال ابن مسعود: أمير

---

(١) إسناده ضعيف.

المؤمنين قريب ، نستأمره؛ فقدمنا مكة ، فأخبرناه الخبر ، فقال: يرحم الله أبا ذرّ ! ويغفر له نزولَه الرَّبذة! .

ولما صدَر؛ خرج فأخذ طريق الرَّبَذة ، فضمّ عياله إلى عياله ، وتوجّه نحو المدينة ، وتوجّهنا نحو العراق؛ وعدّتنا: ابن مسعود ، وأبو مفزر التميميّ ، وبكر بن عبد الله التميميّ ، والأسود بن يزيد النَّخعيّ ، وعلقمة بن قيس النَّخعيّ ، والحلحال بن ذري الضبيّ ، والحارث بن سويد التميميّ ، وعمرو بن عتبة بن فرقد السُّلَميّ ، وابن ربيعة السلَميّ ، وأبو رافع المُزَنيّ ، وسويد بن مثعبة التميميّ ، وزياد بن معاوية النخعيّ ، وأخو القَرثع الضبيّ؛ وأخو مِعْضد الشيبانيّ[1] (٤ : ٣٠٨/ ٣٠٩) .

فتح مروروذ والطالقان والفارياب والجوزجان وطخارستان

وفي سنة اثنتين وثلاثين فتح ابن عامر مَرْوروذ ، والطالقَان ، والفارِياب ، والجُوزَجان ، وطُخَارِستان .

ذكر الخبر عن ذلك :

٧٦٧ - قال عليّ : أخبرَنا سلمة بن عثمان وغيره عن إسماعيل بن مسلم ، عن ابن سيرين ، قال : بعث ابنُ عامر الأحنفَ بن قيس إلى مَرْوروذ ، فحصر أهلَها ، فخرجوا إليهم فقاتلوهم ، فهزمهم المسلمون حتى اضطروهم إلى حصنهم ، فأشرفوا عليهم ، فقالوا : يا معشر العرب ! ما كنتم عندنا كما نرى؛ ولو علمنا أنّكم كما نرى لكانت لنا ولكم حال غير هذه؛ فأمهلونا ننظرْ يومنا ، وارجعوا إلى عسكركم. فرجع الأحنف ، فلما أصبح غاداهم؛ وقد أعدُّوا له الحرب؛ فخرج رجلٌ من العجم معه كتاب من المدينة ، فقال : إنّي رسول ، فأمّنوني ، فأمّنوه ، فإذا رسول من مرزبان مَرْو ابن أخيه وترجمانه ، وإذا كتاب المرزُبان إلى الأحنف ، فقرأ الكتاب؛ قال : فإذا هو : إلى أمير الجيش؛ إنا نحمَد الله الذي بيده الدّوَل ، يغيّر ما شاء من الملك ، ويرفع من شاء بعد الذّلّة ، ويضع مَنْ شاء بعد الرفعة. إنه دعاني إلى مصالحتك وموادعتك ما كان من إسلام جدّي ، وما كان

(١) إسناده ضعيف.

رأى مِنْ صاحبِكم من الكرامة والمنزلة؛ فمرحباً بكم وأبشروا؛ وأنا أدعوكم إلى الصّلح فيما بينكم وبيننا؛ على أن أؤدّي إليكم خَراجاً ستين ألف درهم؛ وأن تُقرّوا بيدي ما كان ملك الملوك كسرى أقطع جدّ أبي حيث قتل الحيّة التي أكلت الناس، وقطعت السُّبل من الأرضين والقُرى بما فيها من الرّجال، ولا تأخذوا من أحد من أهل بيتي شيئاً من الخراج، ولا تخرج المرْزبة من أهل بيتي إلى غيركم، فإن جعلتَ ذلك لي خرجتُ إليك؛ وقد بعثت إليك ابنَ أخي ماهَك ليستوثق منك بما سألت.

قال: فكتب إليه الأحنف:

بسم الله الرحمن الرحيم

من صَخْر بن قيس أمير الجيش إلى باذان مرزبان مَرْورود ومَن معه من الأساورة والأعاجم: سلام على من اتّبع الهدى، وآمن واتّقى. أما بعد؛ فإن ابن أخيك ماهَك قدم عليّ، فنصح لك جهده، وأبلغ عنك؛ وقد عرضت ذلك على مَن معي من المسلمين، وأنا وهم فيما عليك سواء؛ وقد أجبناك إلى ما سألتَ، وعرضت عليّ أن تؤدّي عن أكَرتك وفلاّحيك والأرضين ستّين ألف درْهم إليّ وإلى الوالي من بعدي من أمراء المسلمين؛ إلاّ ما كان من الأرَضين التي ذكرتَ أن كسرى الظالم لنفسه أقطع جدّ أبيك لِمَا كان من قتله الحيّة التي أفسدت الأرض وقطعت السُّبل. والأرضُ لله ولرسوله يُورثها مَنْ يشاء مِنْ عباده، وإنّ عليك نُصرة المسلمين وقتال عدوّهم بمن معك من الأساورة؛ إنْ أحبَّ المسلمون ذلك وأرادوه؛ وإنّ لك على ذلك نصرة المسلمين على من يقاتل من وراءك من أهل ملّتك، جارٍ لك بذلك منّي كتاب يكون لك بعدي، ولا خراجَ عليك ولا على أحد من أهل بيتك من ذوي الأرحام؛ وإن أنت أسلمت، واتبعت الرسول؛ كان لك من المسلمين العطاء، والمنزلة، والرزق، وأنت أخوهم؛ ولك بذلك ذمتي، وذمة أبي، وذمم المسلمين، وذمم آبائهم. شهد على ما في هذا الكتاب جَزء ابن معاوية ـ أو معاوية بن جزء السعديّ ـ وحمزة بن الهرْماس، وحُميد بن الخيار المازنيّان، وعياض بن ورقاء الأسيديّ. وكتب كَيْسان مولى بني ثعلبة يوم الأحد من شهر الله المحرّم. وختم أمير الجيش الأحنف بن قيس. ونقش خاتم

الأحنف: «نعبد الله»[١]. (٤: ٣٠٩/ ٣١٠/ ٣١١).

٧٦٨ ـ قال عليّ: أخبرنا مصعَب بن حيّان عن أخيه مقاتل بن حيّان، قال: صالح ابنُ عامر أهلَ مَرْو، وبعث الأحنف في أربعة آلاف إلى طُخارِستان فأقبل حتى نزل موضع قصر الأحنف من مَرْو روذ، وجمع له أهل طُخَارِستان، وأهل الجوزَجان، والطالَقان، والفارياب؛ فكانوا ثلاثة زحوف، ثلاثين ألفاً. وأتى الأحنفَ خبرُهم، وما جمعوا له، فاستشار الناس، فاختلفوا؛ فبين قائل: نرجع إلى مرْو، وقائل: نرجع إلى أبْرَشهر، وقائلٍ: نقيم نستمدّ، وقائل: نلقاهم فنناجزهم.

قال: فلما أمسى الأحنف خرج يمشي في العسكر، ويستمع حديثَ الناس، فمرّ بأهل خباء، ورجل يوقد تحت خزيرة، أو يعجن؛ وهم يتحدّثون، ويذكرون العدوّ؛ فقال بعضهم: الرأي للأمير أن يسير إذا أصبح؛ حتى يلقى القوم حيث لقيَهم ـ فإنه أرعب لهم ـ فيناجزهم، فقال صاحبُ الخزيرة، أو العجين: إن فعل ذلك فقد أخطأ وأخطأتم؛ أتأمرونه أن يلقى حدّ العدوّ مصحراً في بلادهم، فيلقى جمعاً كثيراً بعدد قليل، فإن جالوا جولة اصطلمونا! ولكنّ الرأي له أن ينزل بين المَرغاب، والجبل، فيجعل المَرغاب عن يمينه، والجبل عن يساره، فلا يلقاه من عدوّه ـ وإن كثروا ـ إلا عدد أصحابه. فرجع الأحنف وقد اعتقد ما قال؛ فضرب عسكره، وأقام فأرسل إليه أهل مَرْو يعرضون عليه أن يقاتلوا معه؛ فقال: إنّي أكره أن أستنصر بالمشركين؛ فأقيموا على ما أعطيناكم؛ وجعلنا بيننا وبينكم؛ فإن ظفرنا؛ فنحن على ما جعلنا لكم؛ وإن ظفروا بنا وقاتلوكم فقاتلوا عن أنفسكم.

قال: فوافق المسلمين صلاةُ العصر؛ فعاجلهم المشركون فناهضوهم فقاتلوهم؛ وصبر الفريقان حتى أمسَوْا؛ والأحنف يتمثّل بشعر ابن جُؤَيّة الأعرجيّ:

أحَقُّ من لم يَكْرَهِ المَنِيَّهْ حزورٌ ليست له ذُرِّيَّهْ[٢]

(٤: ٣١١/ ٣١٢).

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

٧٦٩ - قال عليّ: أخبرنا أبو الأشهب السعديّ عن أبيه، قال: لقي الأحنفُ أهلَ مَرْوروذ، والطالَقان، والفارياب، والجوزَجان في المسلمين ليلاً، فقاتلهم حتى ذهب عامّة الليل، ثم هزمهم الله، فقتلهم المسلمون حتى انتهوا إلى رَسْكن ـ وهي على اثني عشر فرسخاً من قصر الأحنف ـ وكان مرْزُبان مَرْوروذ، قد تربّص بحمل ما كانوا صالحوه عليه؛ لينظر ما يكون من أمرهم.

قال: فلمّا ظفر الأحنف سرّح رجُلين إلى المرزُبان، وأمرهما ألاّ يكلّماه حتى يقبضاه. ففعلا. فعلم أنهم لم يصنعوا ذاك به إلاّ وقد ظفروا، فحمل ما كان عليه[1]. (٤: ٣١٢).

٧٧٠ - قال عليّ: وأخبرنا المفضّل الضبيّ عن أبيه، قال: سار الأقرع بن حابس إلى الجوزَجان؛ بعثه الأحنف في جَريدة خيل إلى بقيّة كانت بقيت من الزّحوف الذين هزمهم الأحنف، فقاتلهم، فجال المسلمون جَوْلة، فقُتل فرسان من فرسانهم؛ ثم أظفر الله المسلمين بهم، فهزموهم، وقتلوهم، فقال كُثَيّرٌ النهشليّ:

سَقَى مُزن السحاب إذا اسْتَهَلّتْ ... مصارعَ فِتيَةٍ بالجُوزَجانِ
إلى القصْرين من رُسْتاقِ خُوطٍ ... أقادَهُمُ هُناكَ الأقرعانِ

وهي طويلة[2] (٤: ٣١٢/٣١٣).

ذكر صلح الأحنف مع أهل بَلْخ

وفي هذه السنة جرى صلح بين الأحنف وبين أهل بَلْخ.

ذكر الخبر بذلك:

٧٧١ - قال عليّ: أخبرنا زُهير بن الهُنَيد عن إياس بن المهلّب، قال: سار الأحنف من مَرْو الرّوذ إلى بلْخ فحاصرهم، فصالحه أهلها على أربعمئة ألف، فرضيَ منهم بذلك، واستعمل ابن عمّه، وهو أسَيد بن المتَشمّس؛ ليأخذ منهم ما صالحوه عليه، ومضى إلى خارِزْم، فأقام حتى هجم عليه الشتاء، فقال

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

لأصحابه: ما ترون؟ قال له حصين: قد قال لك عمرو بن معد يكرب، قال: وما قال؟ قال: قال:

إذَا لـــمْ تَسْتَطِـــعْ أمـــراً فـــدَعْـــه وجـــاوزْهُ إلـــى مـــا تَستطيـــعُ

قال: فأمر الأحنف بالرّحيل، ثمّ انصرف إلى بَلْخ، وقد قبض ابن عمّه ما صالحهم عليه؛ وكان وافق وهو يجبيهم المِهْرجان، فأهدوا إليه هدايا من آنيةِ الذهب والفضّة ودنانير ودراهم ومتاع وثياب، فقال ابنُ عمّ الأحنف: هذا ما صالحناكم عليه؟ قالوا: لا،؛ ولكنّ هذا شيء نصنعه في هذا اليوم بمَن وليَنا نستعطفه به، قال: وما هذا اليوم؟ قالوا: المِهْرجان، قال: ما أدري ما هذا؟ وإنّي لأكره أن أردّه؛ ولعله من حقّي؛ ولكن أقبضه وأعزله حتى أنظر فيه؛ فقبضه، وقدم الأحنف فأخبره، فسألهم عنه، فقالوا له مثل ما قالوا لابن عمّه، فقال: آتِي به الأمير؛ فحمله إلى ابن عامر، فأخبره عنه، فقال: اقبِضه يا أبا بحر! فهو لك؟ قال: لا حاجة لي فيه، فقال ابنُ عامر: ضمّه إليك يا مسمار! قال: قال الحسن: فضمّه القرشيّ وكان مِضَمّاً[(١)] (٤: ٣١٣/ ٣١٤).

٧٧٢ - قال عليّ: وأخبرنا عمرو بن محمد المرّيّ عن أشياخ من بني مرّة: أنّ الأحنف استعمل على بلْخ بشرَ بن المتشمّس[(٢)] (٤: ٣١٤).

٧٧٣ - قال عليّ: وأخبرنا صدَقة بن حُميد عن أبيه، قال: بعث ابنُ عامر - حين صالح أهلَ مَرْو، وصالح الأحنفُ أهلَ بلْخ - خُلَيْدَ بن عبد الله الحنفيَّ إلى هَراة وباذَغيس؛ فافتتحهما، ثم كفروا بعدُ فكانوا مع قارِن[(٣)]. (٤: ٣١٤).

٧٧٤ - قال عليّ: وأخبرنا مَسلمة، عن داود، قال: ولما رجع الأحنفُ إلى ابنِ عامر؛ قال الناسُ لابن عامر: ما فتح على أحد ما قد فتح عليك؛ فارس، وكَرمان، وسجِسْتان وعامّة خُراسان! قال: لا جَرَم، لأجعلنّ شكري لله على ذلك أن أخرج محرماً معتمراً من موقفي هذا. فأحرَم بعُمْرة من نيسابور؛ فلما قدِم

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

على عثمان لامه على إحرامه من خُراسان ، وقال: ليتك تضبط ذلك من الوقت الذي يحرِم منه الناس![١] (٤ : ٣١٤).

٧٧٥ ـ قال عليّ: أخبرنا مسلَمة عن السّكن بن قُتادة العُرينيّ ، قال: استخلف ابنُ عامر على خُراسان قيسَ بن الهيثم ، وخرج ابنُ عامر منها في سنة اثنتين وثلاثين. قال: فجمع قارن جمعاً كثيراً من ناحية الطَّبَسين ، وأهل باذَغيس ، وهَراة ، وقُهستان ، فأقبل في أربعين ألفاً ، فقال لعبد الله بن خازم: ما ترى؟ قال: أرى أن تُخلِّيَ البلاد فإني أميرها؛ ومعي عهدٌ من ابن عامر؛ إذا كانت حرب بخُراسان فأنا أميرها ـ وأخرج كتاباً قد افتعله عمداً ـ فكره قيس مشاغبَته ، وخلّاه والبلاد؛ وأقبل إلى ابن عامر ، فلامه ابن عامر ، وقال: تركتَ البلاد حرباً وأقبلت! قال: جاءني بعهد منك. فقالت له أمّه: قد نهيتك أن تَدَعهما في بلد ، فإنه يشغَب عليه.

قال: فسار ابنُ خازم إلى قارن في أربعة آلاف: وأمر الناس فحملوا الودَك؛ فلما قرب من عسكره أمرَ الناس ، فقال: ليدرِجْ كلُّ رجل منكم على زُجّ رمحه ما كان معه من خِرْقة ، أو قطن ، أو صوف؛ ثم أوسعوه من الوَدَك من سمن ، أو دهن ، أو زيت ، أو إهالة. ثم سار حتى إذا أمسى؛ قدّم مقدّمته ستمئة ، ثم اتّبعهم ، وأمر الناس فأشعلوا النيران في أطراف الرّماح ، وجعل يقتبس بعضهم من بعض. قال: وانتهت مقدّمته إلى عسكر قارن ، فأتوهم نصفَ الليل؛ ولهم حرس ، فناوشوهم ، وهاج الناس على دَهش ، وكانوا آمنين في أنفسهم من البيات ، ودنا ابنُ خازم منهم ، فرأوا النيران يمنة ويسرة ، وتتقدّم وتتأخّر ، وتنخفض وترتفع؛ فلا يروْن أحداً. فهالهم ذلك ، ومقدّمة ابن خازم يقاتلونهم؛ ثم غشيَهم ابنُ خازم بالمسلمين ، فقتل قارن ، وانهزم العدوّ ، فأتبعوهم يقتلونهم كيف شاؤوا ، وأصابوا سبياً كثيراً؛ فزعم شيخ من بني تميم ، قال: كانت أمّ الصلت بن حُريث من سَبْي قَارن ، وأمّ زياد بن الربيع منهم ، وأمّ عون أبي عبد الله بن عون الفقيه منهم[٢]. (٤ : ٣١٤/ ٣١٥).

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف جداً.

٧٧٦ ـ قال عليّ: حدّثنا مسلمة، قال: أخذ ابن خازم عسكر قارن بما كان فيه، وكتب بالفتح إلى ابن عامر؛ فرضيَ، وأقرّه على خراسان، فلَبث عليها؛ حتى انقضى أمرُ الجمل، فأقبل إلى البَصْرة، فشهد وقعةَ ابن الحضرميّ، وكان معه في دار سبيل[1]. (٤: ٣١٥).

٧٧٧ ـ قال عليّ: وأخبرنا الحسن بن رشيد عن سليمان بن كثير العميّ الخزاعيّ، قال: جمع قارن للمسلمين جمعاً كثيراً، فضاق المسلمون بأمرهم، فقال قيس بن الهيثم لعبد الله بن خازم: ما ترى؟ قال: أرى أنك لا تطيق كثرة مَن قد أتانا، فاخرج بنفسك إلى ابن عامر فتخبره بكثرة مَن قد جمعوا لنا، ونقيم نحن في هذه الحصون، ونطاولهم؛ حتى تقدم، ويأتينا مددكم.

قال: فخرج قيس بن الهيثم، فلما أمعن؛ أظهر ابن خازم عهداً، وقال: قد ولآني ابنُ عامر خراسان؛ فسار إلى قارن، فظفر به، وكتب بالفتح إلى ابن عامر، فأقرّه ابنُ عامر على خُراسان؛ فلم يزل أهل البصرة يغزُون من لم يكن صالح من أهل خراسان، فإذا رجعوا؛ خلّفوا أربعة آلاف للعقَبة، فكانوا على ذلك حتى كانت الفتنة[2]. (٤: ٣١٥/٣١٦).

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين

ففيها كانت غزوة معاوية حِصْن المرأة من أرض الرّوم من ناحية مَلَطية في قول الواقديّ.

وفيها كانت غزوة عبد الله بن سعد بن أبي سرْح إفريقيَة الثانية حين نقض أهلها العهد.

وفيها قدّم عبد الله بن عامر الأحنف بن قيس إلى خراسان؛ وقد انتقض أهلُها، ففتح المَرْوَيْن: مَرْو الشاهجان صلحاً، ومَرْو الرّوذ بعد قتال شديد، وتبعه عبد الله بن عامر، فنزل أبْرشَهْر، ففتحها صلحاً في قول الواقديّ.

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

٧٧٨ ـ وأمّا أبو معشر فإنه قال ـ فيما حدّثني أحمد بن ثابت الرازيّ عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه ، قال: كانت قبرُس سنة ثلاث وثلاثين ، وقد ذكرنا قول مَنْ خالفه في ذلك ، والخبرَ عن قُبْرس.

وفيها: كان تسيير عثمان بن عفان مَنْ سيّر من أهل العراق إلى الشأم[١]. (٤ : ٣١٧).

ذكر تسيير مَن سير من أهل الكوفة إليها

٧٧٩ ـ اختلف أهلُ السير في ذلك ، فأما سيف فإنّه ذكر فيما كتب به إليّ السريّ عن شعيب ، عنه ، عن محمد ، وطلحة ، قالا: كان سعيد بن العاص لا يغشاه إلاّ نازلة أهل الكوفة ، ووجوه أهل الأيام وأهل القادسيّة ، وقرّاء أهل البصرة ، والمتسمِّتُون ، وكان هؤلاء دخْلته إذا خلا ، فأما إذا جلس للناس؛ فإنه يدخل عليه كلّ أحد ، فجلس للناس يوماً ، فدخلوا عليه؛ فبينا هم جلوس يتحدّثون قال خُنَيس بن فلان: ما أجود طَلحة بن عبيد الله! فقال سعيد بن العاص: إنّ من له مثل النّشاسْتَج لحقيق أن يكون جواداً؛ والله لو أنّ لي مثله لأعاشكم الله عيشاً رغداً. فقال عبد الرحمن بن خُنَيس ـ وهو حَدث: والله لوددتُ أنّ هذا المِلْطاط لك ـ يعني: ما كان لآل كسرى على جانب الفرات الذي يلي الكوفة ـ قالوا: فضّ الله فاك! والله لقد هممنا بك ، فقال: خُنيس غلام فلا تجازوه ، فقالوا: يتمنى له من سوادنا! قال: ويتمنّى لكم أضعافه ، قالوا: لا يتمنى لنا ولا له ، قال: ما هذا بكم! قالوا: أنت والله أمرتَه بها ، فثار إليه الأشتر ، وابن ذي الحبَكة ، وجندَب ، وصَعْصعة ، وابن الكوّاء ، وكُمَيل بن زياد ، وعُمير بن ضائي؛ فأخذوه فذهب أبوه ليمنع منه فضربوهما حتى غُشي عليهما ، وجعل سعيد يناشدهم ، ويأبوْن ، حتى قضوا منهما وطَراً ، فسمعت بذلك بنو أسد ، فجاؤوا وفيهم طليحة ، فأحاطوا بالقَصْر ، وركبت القبائل ، فعاذوا بسعيد ، وقالوا: أفلِتنا ، وخلِّصنا.

فخرج سعيد إلى الناس ، فقال: أيّها الناس ! قوم تنازعوا ، وتهاوَوا ، وقد

---

(١) إسناده ضعيف.

رزق الله العافية. ثم قعدوا، وعادوا في حديثهم، وتراجعوا، فساءهم، وردّهم، وأفاق الرّجلان؛ فقال: أبكما حياة؟ قالا: قتلتْنا غاشيتك، قال: لا يغشوني والله أبداً! فاحفظا عليّ ألسنتكما، ولا تجرّئا عليّ الناس. ففعلا. ولما انقطع رجاء أولئك النفر من ذلك؛ قعدوا في بيوتهم، وأقبلوا على الإذاعة حتّى لامه أهل الكوفة في أمرهم؛ فقال: هذا أميركم وقد نهاني أن أحرّك شيئاً، فمن أراد منكم أن يحرّك شيئاً فليحرّكه.

فكتب أشراف أهل الكوفة، وصلحاؤهم إلى عثمان في إخراجهم، فكتب: إذا اجتمع ملؤكم على ذلك؛ فألحقوهم بمعاوية. فأخرَجوهم، فذلّوا وانقادوا حتى أتوه ـ وهم بضعةَ عشر ـ فكتبوا بذلك إلى عثمان، وكتب عثمان إلى معاوية: إنّ أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفراً خُلِقوا للفتنة، فرُعْهم وقُمْ عليهم؛ فإن آنست منهم رَشَداً؛ فاقبل منهم؛ وإن أعيَوْك؛ فارْدُدْهم عليهم. فلما قدموا على معاوية؛ رَحّب بهم وأنزلهم كنيسة تسمّى مريم، وأجرى عليهم بأمر عثمان ما كان يجري عليهم بالعراق، وجعل لا يزال يتغدّى ويتعشّى معهم، فقال لهم يوماً: إنكم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة، وقد أدركتم بالإسلام شرفاً وغلبتم الأمم وحويتُم مراتبَهم ومواريثهم، وقد بلغني أنكم نقمتم قريشاً؛ وإن قريشاً لو لم تكن عدتم أذلّةً كما كنتم، إنّ أئمتكم لكم إلى اليوم جُنّة، فلا تَشِذُّوا عن جُنّتكم؛ وإنّ أئمتكم اليوم يصبرون لكم على الجَوْر، ويحتملون منكم المؤونة؛ والله لتنتهُنّ، أو ليبتلينّكم الله بمن يسومكم، ثم لا يحمدكم على الصبر، ثمّ تكونون شركاء لهم فيما جررتم على الرعيّة في حياتكم وبعد موتكم.

فقال رجل من القوم: أمّا ما ذكرت من قريش فإنها لم تكن أكثرَ العرب، ولا أمنعها في الجاهلية، فتُخوّفَنا؛ وأما ما ذكرت من الجُنّة فإنّ الجُنّة إذا اخترِقتْ؛ خُلِص إلينا.

فقال معاوية: عرفتكم الآن، علمتُ أنّ الذي أغراكم على هذا قِلّة العقول، وأنت خطيب القوم، ولا أرى لك عقلاً، أعْظِم عليك أمر الإسلام، وأذكرك به، وتذكّرني الجاهلية! وقد وعظتُك. وتزعم لما يجنُّك أنه يُخترق، ولا ينسب ما يخترَق إلى الجُنّةضح؛ أخزى الله أقواماً أعظموا أمركم، ورفعوا إلى خليفتكم! افقهوا ـ ولا أظنكم تفقهون ـ: أنّ قريشاً لم تُعَزّ في جاهلية ولا إسلام إلاّ بالله

عزّ وجلّ ، لم تكن بأكثر العرب ولا أشدّهم؛ ولكنهم كانوا أكرمَهم أحساباً ، وأمحضهم أنساباً ، وأعظمهم أخطاراً؛ وأكملهم مروءة ، ولم يمتنعوا في الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضاً إلاّ بالله الذي لا يُستذل مَنْ أعزّ ، ولا يوضَع مَنْ رفع؛ فبوّأهم حرماً آمناً يُتَخطّف الناس من حَوْلهم! هل تعرفون عرباً ، أو عجماً ، أو سوداً ، أو حمراً إلاّ قد أصابه الدهر في بلده وحرمته بدوْلة؛ إلاّ ما كان من قريش؛ فإنه لم يردّهم أحدٌ من الناس بكيد إلاّ جعل الله خدّه الأسفل ، حتى أراد الله أن يتنقّذ مَن أكرم واتّبع دينه من هوان الدّنيا وسوء مَردّ الآخرة ، فارتضى لذلك خيرَ خلقه ، ثم ارتضى له أصحاباً فكان خيارُهم قريشاً ، ثم بنى هذا الملك عليهم ، وجعل هذه الخلافة فيهم؛ ولا يصلح ذلك إلاّ عليهم؛ فكان الله يحوطهم في الجاهليّة وهم على كفرهم بالله؛ أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه وقد حاطهم في الجاهلية من الملوك الذين كانوا يدينونكم! أفٍّ لك ولأصحابك! ولو أنّ متكلماً غيرك تكلّم؛ ولكنك ابتدأت. فأمّا أنت يا صعصعة؛ فإن قَرْيتك شرّ قُرىً عربيّة؛ أنتنُها نبتاً ، وأعمقها وادياً ، وأعرفها بالشرّ ، وألأمها جيراناً ، لم يسكنها شريف قطّ ولا وضيع إلاّ سُبّ بها؛ وكانت عليه هُجنة ، ثم كانوا أقبح العرب ألقاباً ، وألأمهم أصهاراً ، نزّاع الأمم؛ وأنتم جيران الخَطّ ، وفَعَلة فارس ، حتى أصابتكم دعوة النبيّ ﷺ ونكبتْك دعوته؛ وأنت نزِيع شَطير في عُمان ، لم تسكن البَحْرين فتشركَهَم في دعوة النبيّ ﷺ ، فأنت شرّ قومك ، حتى إذا أبرزك الإسلام ، وخلَطك بالناس ، وحملك على الأمم التي كانت عليك؛ أقبلتَ تبغي دينَ الله عِوَجاً؛ وتنزع إلى اللآمة والذلّة. ولا يضع ذلك قريشاً ، ولن يضرّهم ، ولن يمنعهم من تأدية ما عليهم؛ إنّ الشيطان عنكم غير غافل ، قد عرفكم بالشرّ من بين أمّتكم ، فأغرى بكم الناس؛ وهو صارعكم. لقد علم أنه لا يستطيع أن يردّ بكم قضاءً قضاه الله ، ولا أمراً أراده الله ، ولا تدركون بالشرّ أمراً أبداً إلا فتح الله عليكم شرّاً منه وأخزى.

ثم قام وتركهم؛ فتذامروا فتقاصرت إليهم أنفسهم ، فلمّا كان بعد ذلك أتاهم فقال: إني قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم؛ لا والله لا ينفع الله بكم أحداً ولا يضرّه؛ ولا أنتم برجال منفعة ولا مضرّة؛ ولكنكم رجال نكير. وبعد ، فإنْ أردتم النجاة؛ فالزموا جماعتكم؛ وليسعكم ما وسع الدَّهْماء ، ولا يبطرنّكم

الإنعام؛ فإن البَطر لا يعتري الخيار؛ اذهبوا حيث شئتم ، فإني كاتب إلى أمير المؤمنين فيكم.

فلمّا خرجوا دعاهم فقال: إني معيد عليكم. إنّ رسول الله ﷺ كان معصوماً فولاّني ، وأدخلني في أمره ، ثم استُخلف أبو بكر رضي الله عنه فولاّني؛ ثمّ استُخلف عمر فولاّني ، ثم استُخْلِف عثمان فولاّني ، فلم آلِ لأحد منهم ولم يولِّني إلا وهو راضٍ عني؛ وإنما طلب رسول الله ﷺ للأعمال أهلَ الجزاء عن المسلمين والغَناء؛ ولم يطلب لها أهلَ الاجتهاد والجهل بها والضعف عنها؛ وإن الله ذو سطَوات ونِقمات يمكر بمن مكر به ، فلا تعرضوا لأمر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون؛ فإنّ الله غير تارككم حتى يختبرَكم ويبديَ للناس سرائركم؛ وقد قال عزّ وجل: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾.

وكتب معاوية إلى عثمان: إنه قدم عليّ أقوام ليست لهم عقول ولا أديان ، أثقلهم الإسلام ، وأضجرهم العدْل؛ لا يريدون الله بشيء ، ولا يتكلّمون بحجّة؛ إنما همّهم الفتنة ، وأموال أهل الذّمة؛ والله مبتليهم ومختبرهم ، ثم فاضحهم ومخزيهم؛ وليسوا بالذين ينكون أحداً إلا مع غيرهم ، فَانْهَ سعيداً ومَن قِبَله عنهم؛ فإنهم ليسوا لأكثر من شغَب أو نكير.

وخرج القوم من دمشق فقالوا: لا ترجعوا إلى الكُوفة ، فإنهم يشمتون بكم ، وميلوا بنا إلى الجزيرة ، ودعوا العراق والشام. فأوَوا إلى الجزيرة ، وسمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ـ وكان معاوية قد ولاّه حِمْص وولى عامل الجزيرة حَرّان والرّقة ـ فدعا بهم ، فقال: يا آلة الشيطان ! لا مرحباً بكم ولا أهلاً ! قد رجع الشيطان محسوراً وأنتم بعدُ نشاط؛ خَسّر الله عبد الرحمن إن لم يؤدّبكم حتى يحسركم. يا معشر مَن لا أدري أعرب أم عجم ! لكي لا تقولوا لي ما يبلغني أنكم تقولون لمعاوية؛ أنا ابن خالد بن الوليد ، أنا ابن من قد عجمته العاجِمات ، أنا ابن فاقىء الرّدّة ، والله لئن بلغني يا صعصعة بن ذلّ: أنّ أحداً ممن معي دقّ أنفك ثم أمصّك لأطيرنّ بك طَيْرة بعيدة المهوَى. فأقامهم أشهراً كلّما ركب أمشاهم ، فإذا مرّ به صعصعة قال: يا بن الحطيئة ! أعلمت أنّ من لم يصلحه الخير أصلحه الشرّ! مَالَك لا تقول كما كان يبلغني أنّك تقول لسعيد ،

ومعاوية! فيقول، ويقولون: نتوب إلى الله، أقلنا أقالك الله! فما زالوا به حتى قال: تاب الله عليكم.

وسرّح الأشترَ إلى عثمان، وقال لهم: ما شئتم، إن شئتم فاخرجوا، وإن شئتم فأقيموا. وخرج الأشتر، فأتى عثمانَ بالتوبة والندم والنزوع عنه وعن أصحابه، فقال: سلّمكم الله. وقدم سعيد بن العاص، فقال عثمان للأشتر: احلل حيث شئت، فقال: مع عبد الرحمن بن خالد؟ وذكر من فضله، فقال: ذاك إليكم، فرجع إلى عبد الرحمن[1]. (٤: ٣١٧/٣١٨/٣١٩/ ٣٢٠/ ٣٢١/ ٣٢٢).

٧٨٠ - وأمّا محمد بن عمر؛ فإنه ذكر: أنّ أبا بكر بن إسماعيل حدّثه عن أبيه، عن عامر بن سعد: أنّ عثمان بعث سعيد بن العاص إلى الكوفة أميراً عليها، حين شهد على الوليد بن عُقبة بشرب الخمر من شهد عليه، وأمره أن يبعث إليه الوليد بن عقبة. قال: قَدِم سعيد بن العاص الكوفَة، فأرسل إلى الوليد: إنّ أمير المؤمنين يأمرك أن تلحق به. قال: فتضجّع أياماً، فقال له: انطلق إلى أخيك؛ فإنه قد أمرني أن أبعثَك إليه، قال: وما صعِد منبرَ الكوفة حتى أمر به أن يُغسَل، فناشده رجال من قريش كانوا قد خرجوا معه من بني أميّة، وقالوا: إنّ هذا قبيح؛ والله لو أراد هذا غيرُك لكان حقّاً أن تذبّ عنه؛ يلزمه عارُ هذا أبداً. قال: فأبى إلاّ أن يفعل، فغسله وأرسل إلى الوليد أن يتحوّل من دار الإمارة، فتحوّل منها، ونزل دار عُمارة بن عُقْبة، فقدم الوليد على عثمان، فجمع بينه وبين خصمائه، فرأى أن يجلده، فجلده الحدّ[2]. (٤: ٣٢٢).

٧٨١ - قال محمّد بن عمر: حدثني شيبان عن مجالد، عن الشعبيّ، قال: قدِم سعيد بن العاص الكوفَة، فجعل يختار وجوهَ الناس يدخلون عليه ويسمُرون عنده؛ وإنه سمر عنده ليلةً وجوه أهل الكوفة، منهم: مالك بن كعب الأرحبيّ، والأسود بن يزيد، وعلقمة بن قيس النّخعيّان، وفيهم مالك الأشتر في رجال، فقال سعيد: إنما هذا السواد بستان لقريش؛ فقال الأشتر: أتزعم أنّ السّواد الذي

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف، وفي إسناده الواقدي وهو متروك.

أفاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومِك! واللهُ ما يزيد أوفاكم فيه نصيباً إلا أن يكون كأحدنا ، وتكلم معه القوم.

قال: فقال عبد الرحمن الأسديّ ـ وكان على شُرْطة سعيد: أتردّون على الأمير مقالَته! وأغلظ لهم ، فقال الأشتر: مَن ها هنا؟ لا يفوتنّكم الرجل؛ فوثبوا عليه فوطؤوه وطأً شديداً ، حتى غُشي عليه ، ثم جُرّ برجله فألقِيَ ، فنضح بماء فأفاق ، فقال له سعيد: أبك حياة؟ فقال: قتلني مَن انتخبت ـ زعمت ـ للإسلام ، فقال: والله لا يسمُر منهم عندي أحد أبداً ، فجعلوا يجلسون في مجالسهم وبيوتهم يشتمون عثمان وسعيداً؛ واجتمع الناس إليهم؛ حتى كثر من يختلف إليهم. فكتب سعيد إلى عثمان يخبره بذلك ، ويقول: إنّ رهطاً من أهل الكوفة ـ سمّاهم له عشرة ـ يؤلّبون ويجتمعون على عيبك وعيبي والطعن في ديننا ، وقد خشيت إن ثبت أمرهم أن يكثروا؛ فكتب عثمان إلى سعيد: أن سيّرهم إلى معاوية ـ ومعاوية يومئذ على الشأم ـ فسيّرهم ـ وهم تسعة نفر ـ إلى معاوية؛ فيهم مالك الأشتر ، وثابت بن قيس بن مُنْقَع ، وكُمَيل بن زياد النخعيّ ، وصعصعة بن صُوحان.

ثم ذكر نحو حديث السريّ عن شعيب؛ إلاّ أنه قال: فقال صعصعة: فإن اختُرقت الجُنَّة ، أفليس يُخْلَص إلينا؟ فقال معاوية: إنّ الجُنة لا تخترَق ، فضعْ أمر قريش على أحسن ما يحضرك.

وزاد فيه أيضاً: إنّ معاوية لما عاد إليهم من القابلة وذكّرهم؛ قال فيما يقول: وإني والله ما آمركم بشيء إلاّ قد بدأتُ فيه بنفسي وأهل بيتي وخاصّتي؛ وقد عرفتْ قريش: أن أبا سفيان كان أكرمَها وابن أكرمها ، إلاّ ما جعل الله لنبيّه نبيّ الرحمة ﷺ؛ فإن الله انتخبه وأكرمه ، فلم يخلق في أحد من الأخلاق الصالحة شيئاً إلا أصفاه الله بأكرمها وأحسنها؛ ولم يخلق من الأخلاق السيّئة شيئاً في أحد إلا أكرمه الله عنها ونزّهه؛ وإني لأظن أن أبا سفيان لو ولد الناسَ لم يلد إلا حازماً. قال صعصعة: كذبت! قد ولدَهم خير من أبي سفيان؛ مَن خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا له ، فكان فيهم البرّ والفاجر ، والأحمق والكيّس. فخرج تلك الليلة من عندهم ، ثم أتاهم القابلة ، فتحدّث عندهم طويلاً ، ثم قال: أيُّها القوم! ردّوا عليّ خيراً ، أو اسكتوا ، وتفكروا ،

وانظروا فيما ينفعكم وينفع أهليكم ، وينفع عشائركم ، وينفع جماعة المسلمين؛ فاطلبوه تعيشوا ، ونعش بكم. فقال صعصعة: لستَ بأهلٍ ذلك ، ولا كرامة لك أن تطاع في معصية الله. فقال: أوَ ليس ما ابتدأتُكم به أن أمرتكم بتقوى الله وطاعته وطاعة نبيه ﷺ ، وأن تعتصموا بحبله جميعاً ولا تفرّقوا! قالوا: بل أمرتَ بالفرقة وخلاف ما جاء به النبيّ ﷺ. قال: فإني آمركم الآن ، إن كنت فعلتُ فأتوبِ إلى الله ، وآمركم بتقواه وطاعته وطاعة نبيه ﷺ ولزوم الجماعة ، وكراهة الفرقة ، وأن توقّروا أئمّتكم ، وتدلُّوهم على كلّ حسن ما قدرتم ، وتعظوهم في لين ، ولطف في شيء إن كان منهم.

فقال صعصعة: فإنّا نأمُرك أن تعتزل عملك؛ فإنّ في المسلمين من هو أحقّ به منك ، قال: مَن هو؟ قال: مَن كان أبوه أحسن قدماً من أبيك ، وهو بنفسه أحسنُ قدماً منك في الإسلام ، فقال: والله إنّ لي في الإسلام قدماً ، ولغَيري كان أحسنُ قدماً مني؛ ولكنه ليس في زماني أحدٌ أقوى على ما أنا فيه منِّي؛ ولقد رأى ذلك عمر بن الخطاب ، فلو كان غيري أقوَى مني لم يكن لي عند عمر هَوادة ولا لغيري ، ولم أحدِث من الحدث ما ينبغي لي أن أعتزِل عملي؛ ولو رأى ذلك أمير المؤمنين وجماعة المسلمين لكتب إليّ بخطّ يده فاعتزلت عملَه؛ ولو قضى الله أن يفعل ذلك؛ لرجوتُ ألا يعزم له على ذلك إلا وهو خير؛ فمهلاً فإنّ في ذلك وأشباهه ما يتمنّى الشيطان ويأمر؛ ولعمري لو كانت الأمور تقضَى على رأيكم ، وأمانيّكم؛ ما استقامت الأمور لأهل الإسلام يوماً ولا ليلة ، ولكن الله يقضيها ويدبّرها؛ وهو بالغ أمره؛ فعاودوا الخبر وقوله.

فقالوا: لستَ لذلك أهلاً ، فقال: أما والله إنّ لله لسطَوات ونِقمات ! وإني لخائف عليكم أن تتابعوا في مطاوعة الشيطان؛ حتى تُحِلّكم مطاوعة الشيطان ، ومعصية الرحمن دارَ الهوان من نَقْم الله في عاجل الأمر ، والخزي الدائم في الآجل.

فوثبوا عليه؛ فأخذوا برأسه ، ولحيته ، فقال: مَهْ؛ إنّ هذه ليست بأرض الكوفة ، والله لو رأى أهل الشأم ما صنعتم بي وأنا إمامهم ما ملكتُ أن أنهاهم عنكم حتى يقتلوكم. فلَعمري إنّ صنيعكم ليشبه بعضه بعضاً ، ثمّ قام من عندهم ، فقال: والله لا أدخل عليكم مدخلاً ما بقيت !

ثم كتب إلى عثمان:

بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان ، أمّا بعد يا أميرَ المؤمنين ! فإنك بعثت إليّ أقواماً يتكلّمون بألسنة الشياطين وما يُمْلون عليهم ، ويأتون الناس ـ زعموا ـ من قِبَل القرآن ، فيشبّهون على الناس ، وليس كلّ الناس يعلم ما يريدون؛ وإنما يريدون فُرْقة ، ويقرّبون فتنة؛ قد أثقلهم الإسلام ، وأضجرهم ، وتمكّنت رُقَى الشيطان من قلوبهم ، فقد أفسدوا كثيراً من الناس ممن كانوا بين ظهرانَيْهم من أهل الكوفة؛ ولست آمن إن أقاموا وسط أهل الشأم أن يغرّوهم بسحْرهم ، وفجورهم؛ فارْدُدهم إلى مصرهم؛ فلتكنْ دارهم في مصرهم الذي نجم فيه نفاقهم؛ والسلام.

فكتب إليه عثمان يأمره أن يردّهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة ، فردّهم إليه ، فلم يكونوا إلاّ أطلق ألسنَةً منهم حين رجعوا.

وكتب سعيد إلى عثمان يضجّ منهم؛ فكتب عثمان إلى سعيد أن سيّرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد؛ وكان أميراً على حمص.

وكتب إلى الأشتر وأصحابه: أمّا بعد؛ فإني قد سيّرتكم إلى حمْص ، فإذا أتاكم كتابي هذا؛ فاخرجوا إليها؛ فإنكم لستم تألون الإسلام وأهله شرّاً. والسلام.

فلما قرأ الأشتر الكتاب؛ قال: اللهمّ أسوأنا نظراً للرعيّة ، وأعملنا فيهم بالمعصية؛ فعجِّل له النقمة !

فكتب بذلك سعيد إلى عثمان ، وسار الأشتر وأصحابه إلى حِمْص؛ فأنزلهم عبد الرحمن بن خالد الساحل ، وأجرى عليهم رزقاً[1].

(٤ : ٣٢٢/ ٣٢٣/ ٣٢٤/ ٣٢٥/ ٣٢٦).

٧٨٢ ـ قال محمد بن عمر: حدّثني عيسى بن عبد الرحمن عن أبي إسحاق الهمْدانيّ ، قال: اجتمع نفر بالكوفة ـ يطعَنون على عثمان ـ من أشراف أهل

---

(١) إسناده ضعيف.

العراق: مالك بن الحارث الأشتر، وثابت بن قيس النَّخَعيّ، وكُميل بن زياد النَّخعيّ، وزيد بن صُوحان العبديّ، وجندَب بن زهير الغامديّ، وجندَب بن كعب الأزديّ، وعُروة بن الجَعْد، وعمرو بن الحَمِق الخُزاعيّ.

فكتب سعيد بن العاص إلى عثمان يخبره بأمرهم، فكتب إليه أن سيِّرهم إلى الشأم، وألزمهم الدّروب[١]. (٤: ٣٢٦).

ذكر الخبر عن تسيير عثمان مَنْ سيَّر من أهل البصرة إلى الشام

٧٨٣ ـ مما كتب به إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عطيّة، عن يزيد الفَقْعميّ؛ قال: لما مضى من إمارة ابن عامر ثلاثُ سنين؛ بلغه: أن في عبد القيس رجلاً نازلاً على حُكَيم بن جَبَلة، وكان حُكيم بن جبلة رجلاً لصّاً، إذا قفل الجيوش خَنَس عنهم، فسعى في أرض فارس، فيُغير على أهل الذّمة، ويتنكّر لهم، ويفسد في الأرض، ويصيب ما شاء ثم يرجع. فشكاه أهل الذمّة وأهل القِبْلة إلى عثمان. فكتب إلى عبد الله بن عامر: أن احبسه، ومَن كان مثله فلا يخرجنّ من البصرة حتى تأنسوا منه رُشْداً؛ فحبسه فكان لا يستطيع أن يخرُج منها. فلما قدم ابنُ السوداء نزل عليه واجتمع إليه نفر فطرَح لهم ابنُ السوداء، ولم يصرّح، فقبلوا منه، واستعظموه، وأرسل إليه ابنُ عامر، فسأله: ما أنت؟ فأخبره: أنه رجل من أهل الكتاب، رغِب في الإسلام، ورغب في جوارك؛ فقال: ما يبلغني ذلك، اخرج عني. فخرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها، فاستقرّ بمصر، وجعل يكاتبهم ويكاتبونه، ويختلف الرجال بينهم[٢] (٤: ٣٢٦/ ٣٢٧).

٧٨٤ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، قالا: إن حُمران بن أبان تزوّج امرأة في عِدّتها، فنكّل به عثمان، وفرّق بينهما، وسيّره إلى البصرة، فلزم ابنَ عامر؛ فتذاكروا يوماً الركوب والمرور بعامر بن عبد قيس ـ وكان منقبضاً عن الناس ـ فقال حُمران: ألا أسبقكم فأخبره! فخرج فدخل

(١) في إسناده الواقدي وهو متروك.
(٢) إسناده ضعيف، وراجع مقالنا عن ابن السوداء بعد (٤/ ٣٤٠/ ١٠٥١).

عليه وهو يقرأ في المصحف ، فقال: الأمير أراد أن يمرّ بك فأحببت أن أخبرك ، فلم يقطع قراءته ، ولم يُقبل عليه ، فقام من عنده خارجاً ، فلما انتهى إلى الباب؛ لقيَه ابنُ عامر ، فقال: جئتك من عند امرىء لا يرى لآل إبراهيم عليه فضلاً؛ واستأذن ابن عامر ، فدخل عليه ، وجلس إليه ، فأطبق عامرٌ المصحف ، وحدّثه ساعة ، فقال له ابنُ عامر: ألا تغشانا؟ فقال: سعد بن أبي العرجاء يحبّ الشرف ، فقال: ألا نستعملك؟ فقال: حصين بن أبي الحرّ يحب العمل ، فقال: ألا نزوّجك! فقال: ربيعة بن عِسْلٍ يعجبه النساء ، قال: إن هذا يزعم أنك لا ترى لآل إبراهيم عليك فضلاً ، فتصفح المصحف؛ فكان أوّل ما وقع عليه وافتتح منه: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، فلما رُدّ حُمران تتبّع ذلك منه ، فسعى به ، وشهد له أقوام فسيّره إلى الشام ، فلما علموا علمه؛ أذنوا له ، فأبى ، ولزم الشام[1]. (٤ : ٣٢٧).

٧٨٥ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة: أنّ عثمان سير حُمران بن أبان؛ أن تزوَّج امرأة في عِدتها ، وفرق بينهما ، وضربه وسيّره إلى البصرة ، فلما أتى عليه ما شاء الله ، وأتاه عنه الذي يحبّ؛ أذن له. فقدم عليه المدينة ، وقدم معه قوم سعَوْا بعامر بن عبد قيس؛ أنه لا يرى التزويج ، ولا يأكل اللحم؛ ولا يشهد الجمعة ـ وكان مع عامر انقباض؛ وكان عمله كله خُفية ـ فكتب إلى عبد الله بن عامر بذلك ، فألحقه بمعاوية؛ فلما قدم عليه؛ وافقه وعنده ثَريدة فأكل أكلاً غريباً؛ فعرف: أنّ الرجل مكذوب عليه ، فقال: يا هذا ! هل تدري فيم أخرجت؟ قال: لا ، قال: أبلغَ الخليفة أنك لا تأكل اللحم ، ورأيتُك وعرفت أن قد كُذب عليك ، وأنك لا ترى التزويج ، ولا تشهد الجمعة ، قال: أمّا الجمعة فإني أشهدها في مؤخّر المسجد ثم أرجع في أوائل الناس؛ وأمّا التزويج فإني خرجت وأنا يُخْطَب عليّ؛ وأما اللحم فقد رأيتَ ، ولكنيّ كنت امرأ لا آكل ذبائح القصّابين منذ رأيت قَصّاباً يجرّ شاةً إلى مذبحها ، ثم وضع السكين على مذبحها ، فما زال يقول: النَّفاق النَّفاق ، حتى وجبت قال: فارجع ، قال: لا أرجع إلى بلد استحلّ أهله منّي ما استحلوا ولكنّي أقيم بهذا البلد الذي اختاره الله لي. وكان يكون في السواحل؛ وكان يلقى معاوية ، فيُكثر

---

(١) إسناده ضعيف.

معاويةُ أن يقول: حاجتك؟ فيقول: لا حاجة لي؛ فلما أكثر عليه، قال: تردّ عليّ من حَرّ البصرة لعلّ الصوم أن يشتدّ عليّ شيئاً، فإنه يخِفّ عليّ في بلادكم[١]. (٤: ٣٢٧/ ٣٢٨).

٧٨٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة، وأبي عثمان، قالا: لما قدم مسيَّرة أهل الكوفة على معاوية؛ أنزلهم داراً، ثم خلا بهم، فقال لهم وقالوا له، فلما فرغوا قال: لم تُؤْتَوْا إلا من الحمْق، والله ما أرى منطقاً سديداً، ولا عذراً مبيناً، ولا حلماً ولا قوّة؛ وإنّك يا صعصعة لأحمقهم! اصنعوا وقولوا ما شئتم ما لم تَدَعوا شيئاً من أمر الله؛ فإنّ كلّ شيء يحتمل لكم إلا معصيته، فأما فيما بيننا وبينكم فأنتم أمراء أنفسكم. فرآهم بعدُ وهم يشهدون الصلاة، ويقفون مع قاصّ الجماعة، فدخل عليهم يوماً وبعضهم يقرىء بعضاً، فقال: إنّ في هذا لخَلفاً مما قدمتم به عليّ من النِّزاع إلى أمر الجاهلية؛ اذهبوا حيث شئتم، واعلموا: أنكم إن لزمتم جماعتكم؛ سعدتم بذلك دونهم؛ وإن لم تلزموها؛ شقيتم بذلك دونهم؛ ولم تضرُّوا أحداً، فجزَوْه خيراً، وأثنوْا عليه، فقال: يا بن الكوّاء! أيّ رجل أنا؟ قال: بعيد الثرى، كثير المرعى، طيّب البديهة، بعيد الغوْر، الغالب عليك الحلم، ركن من أركان الإسلام، سُدّت بك فُرجة مخوفة. قال: فأخْبِرني عن أهل الإحداث من أهل الأمصار فإنك أعقل أصحابك؛ قال: كاتبتُهم وكاتبوني، وأنكروني وعرفتهم؛ فأما أهلُ الإحداث من أهل المدينة فهم أحرصُ الأمّة على الشرّ، وأعجزه عنه. وأما أهلُ الإحداث من أهل الكوفة فإنّهم أنظر الناس في صغير، وأركبه لكبير. وأمّا أهلُ الإحداث من أهل البصرة، فإنهم يَرِدون جميعاً، ويصدرُون شتّى، وأما أهل الإحداث من أهل مصر فهم أوْفى الناس بشرّ، وأسرعه ندامة؛ وأما أهل الإحداث من أهل الشأم فأطوع الناس لمرشدهم، وأعصاه لمغويهم[٢]. (٤: ٣٢٨/ ٣٢٩).

وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان.

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

وزعم أبو معشر: أنّ فتح قُبرس كان في هذه السنة، وقد ذكرت من خالفه في ذلك[١]. (٤: ٣٢٩).

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين

ذكر خبر اجتماع المنحرفين على عثمان

٧٨٧ - مما كتب إليّ به السريّ عن شعيب، عن سيف، عن المستنير بن يزيد، عن قيس بن يزيد النَّخَعيّ، قال: لما رجَّع معاوية المسيَّرين، قالوا: إنّ العراق والشأم ليسا لنا بدار؛ فعليكم بالجزيرة. فأتوْها اختياراً. فغدا عليهم عبد الرحمن بن خالد، فسامهم الشدّة، فضرِعوا له وتابعوه. وسرّح الأشتر إلى عثمان، فدعا به، وقال: اذهب حيث شئت، فقال: أرجعُ إلى عبد الرحمن، فرجع. ووفَد سعيدُ بن العاص إلى عثمان في سنة إحدى عشرة من إمارة عثمان. وقبْل مخرج سعيد بن العاص من الكوفة بسنة وبعض أخرى بعث الأشعثَ بن قيس على أذْرَبيجان، وسعيدَ بن قيس على الرّيّ؛ وكان سعيد بن قيس على هَمذان، فعُزل وجعل عليها النُّسَير العجليّ، وعلى أصبهان السائب بن الأقرع، وعلى ماهَ مالك بن حَبيب اليربوعيّ، وعلى الموصِل حكيم بن سلامة الحِزاميّ، وجرير بن عبد الله على قَرْقِيسياء، وسلْمان بن ربيعة على الباب؛ وعلى الحرب القعقاع بن عمرو، وعلى حُلوان عُتَيبة بن النّهاس؛ وخَلت الكوفة من الرؤساء إلاّ منزوعاً أو مفتوناً. فخرج يزيد بن قيس وهو يريد خَلْع عثمان، فدخل المسجد، فجلس فيه، وثاب إليه الذين كان فيه ابن السوداء يكاتبهم؛ فانقضّ عليه القعقاع، فأخذ يزيدَ بن قيس، فقال: إنما نستعفي من سعيد، قال: هذا ما لا يعرَض لكم فيه، لا تجلس لهذا ولا يجتمعُنّ إليك، واطلب حاجتك، فلعمري لتُعطَينّها. فرجع إلى بيته واستأجر رجلاً، وأعطاه دراهم وبغلاً على أن يأتيَ المسيَّرين. وكتب إليهم: لا تضعوا كتابي من أيديكم حتى تجيئوا، فإنّ أهل المصر قد جامعونا. فانطلق الرّجل، فأتى عليهم وقد رجع الأشتر؛ فدفع إليهم الكتاب، فقالوا: ما اسمك؟ قال: بُغْثُر؛ قالوا: ممن؟ قال: من كَلْب، قالوا: سبع ذليل يبغثر النفوس؛ لا حاجة لنا بك. وخالفهم الأشتر، ورجع عاصياً،

---

(١) ضعيف.

فلما خرج قال أصحابه: أخرَجنا أخرجه الله؛ لا نجد بدّاً مما صنع؛ إن علم بنا عبد الرحمن لم يصدّقنا ولم يستقلّها ، فاتّبعوه فلم يلحقوه؛ وبلغ عبد الرحمن أنّهم قد رحلوا فطلبهم في السواد ، فسار الأشتر سبعاً والقوم عشراً ، فلم يفجأ الناس في يوم جمعة إلاّ والأشتر على باب المسجد يقول: أيّها الناس ! إني قد جئتكم من عند أمير المؤمنين عثمان ، وتركت سعيداً يريده على نقصان نسائكم إلى مئة درهم. وردّ أهل البلاء منكم إلى ألفين ، ويقول: ما بالُ أشراف النساء؛ وهذه العلاوة بين هذين العِدْلين! ويزعم أنّ فيئكم بستان قريش؛ وقد سايرته مرحلةً ، فما زال يرجز بذلك حتى فارقته؛ يقول:

ويْلٌ لأشْرافِ النِّساءِ مِنِّي صَمَحْمَحٌ كأنَّني مِن جِنِّ

فاستخفّ الناسَ ، وجعل أهلُ الحِجى ينهوْنه فلا يُسمع منهم ، وكانت نفْجة ، فخرج يزيد ، وأمر منادياً ينادي: مَن شاء أن يلحق بيزيدَ بن قيس لرد سعيد وطلب أمير غيره فليفعل. وبقيَ حُلماء الناس وأشرافُهم ووجوهُهم في المسجد ، وذهب مَن سواهم ، وعَمرو بن حُرَيث يومئذ الخليفة ، فصعِد المنبرَ فحمِد الله وأثنى عليه ، وقال: اذكروا نعمةَ الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، بعد أن كنتم على شَفا حُفرة من النار فأنقذَكم منها ، فلا تعودوا في شرّ قد استنقذكم الله عزّ وجلّ منه. أبَعْد الإسلامِ وهَدْيه وسنّته لا تَعرفون حقّاً ، ولا تصيبون بابَه! فقال القَعقاع بنُ عمرو: أتردّ السيلَ عن عُبابه! فارْدُدِ الفراتَ عن أدراجه ، هيهات! لا والله لا تُسكّن الغَوغَاءَ إلا المَشرفيّة ويوشك أن تُنتضَى ، ثم يَعِجّون عجيجَ العتْدان ويتمنّون ما هم فيه فلا يردّه الله عليهم أبداً. فاصبر؛ فقال: أصبر ، وتحوّل إلى منزله ، وخرج يزيد بن قيس حتى نزل الجَرَعة ، ومعه الأشتر ، وقد كان سعيد تَلَبّث في الطريق ، فطلع عليهم سعيد وهم مقيمون له معسكرون ، فقالوا: لا حاجة لنا بك. فقال: فما اختلفتم الآن؛ إنما كان يكفيكم أن تَبعثوا إلى أمير المؤمنين رجلاً وتضعوا إليّ رجلاً. وهل يخرج الألف لهم عقولٌ إلى رجل! ثم انصرَف عنهم وتحسَّوْا بمولىً له على بعير قد حُسِر ، فقال: والله ما كان ينبغي لسعيد أن يَرجع. فضرب الأشترُ عنقَه ، ومضى سعيد حتى قَدِم على عثمانَ ، فأخبَرَه الخبر ، فقال: ما يريدون؟ أخلَعوا يداً من طاعة؟ قال: أظهَروا أنهم يريدون البدَل. قال: فمن يريدون؟ قال:

أبا موسى؛ قال: قد أثبْتنا أبا موسى عليهم، ووالله لا نجعل لأحد عُذراً، ولا نترك لهم حجّة، ولنَصبرنّ كما أمرنا حتى نَبلغ ما يريدون. ورجع من قرب عمله من الكوفة، ورجع جرير من قَرْقيسياء وعُتيبة من حُلْوان. وقام أبو موسى فتكلّم بالكُوفة فقال: أيّها الناس! لا تنفروا في مثل هذا، ولا تعودوا لمثله، الزَموا جماعتكم والطاعة؛ وإيّاكم والعجلة، اصبروا، فكأنكم بأمير. قالوا: فصلّ بنا، قال: لا، إلا على السمع والطاعة لعثمانَ بن عفان؛ قالوا: على السمع والطاعة لعثمان[1]. (٤: ٣٣٠/ ٣٣١/ ٣٣٢).

٧٨٨ ـ حدّثني جعفر بنُ عبد الله المحمديّ، قال: حدّثنا عمرو بن حمّاد بن طلحة، وعليّ بن حسين بن عيسى، قالا: حدّثنا حسين بن عيسى، عن أبيه،

---

(١) إسناده ضعيف وإن كان فيه ما هو صحيح (كما ذكرنا في قسم الصحيح)، ولكن سيفاً قد خلط في روايته هذه الحابل بالنابل ولقد أصاب أئمة الجرح والتعديل عندما حكموا على ضعفه في الحديث وروايته، وهو إن كان عارفاً بالتأريخ معتمداً، كما حكم الذهبي وابن حجر فإن هذا لا يعني أن الضعف لا يتطرق إلى رواياته التأريخية وذلك ما لمسناه من خلال تحقيقنا لتأريخ الطبري، وهذا لا يعني أننا أهملنا كلام الذهبي وابن حجر وحاشا لنا أن نفعل ذلك بل وفقنا بين اعتمادنا علىٰ تضعيف العلماء له في الحديث، وقول ابن حجر ضعيف في الحديث عمدة في التأريخ فاعتبرنا رواياته التأريخية ضعيفة مبدئياً ثم وضعنا منها في الصحيح بشروط أولها: أن نجد لرواية سيف أصلاً في الصحيح، وأن لا تكون في رواية سيف مخالفة لما في الروايات الصحيحة، ولا تتضمن أموراً تتعلق بمسائل العقيدة أو أمور الحلال والحرام ولا تحتوي علىٰ طعن في عدالة الصحابة.
وتفصيل ذلك في مقدمة تحقيقنا فليراجع. أما ها هنا فإن سيف قد ناقض نفسه بنفسه وزاد الطين بلّة أن الراوي عنه في هذه الرواية هو شعيب المعروف بتحامله علىٰ السلف، ففي رواية سيف هذه عبارة [وخلت الكوفة من الرؤساء إلا منزوعاً أو مفتوناً] تأتي عبارة أخرىٰ لتكذب هذه العبارة وهي (وبقي حلماء الناس وأشرافهم ووجوههم في المسجد، وذهب من سواهم وعمرو بن حريث يومئذ الخليفة). فإذا كانت الكوفة خلت إلا من منزوع أو مفتون فمن أين جاء الوجوه والحلماء والأشراف؟؟!!
ثم إن في رواية شعيب هذه عن سيف مخالفة صريحة وواضحة لما ثبت في الصحيح من أن أحداً لم يُرَق دمه إلا في يوم الجرعة كما ثبت في صحيح مسلم من حديث حذيفة (٨٨/ ١٨)، وفيه أنه ﷺ أخبر أنه لا يراق في ذلك اليوم دم بينما رواية سيف تذكر أن الأشتر قد ضرب عنق مولىٰ لسعيد بن العاص!!! وكذلك لم نجد رواية صحيحة تذكر أن عثمان رضي الله عنه أنشد البيت الذي ذكره الأشتر علىٰ لسانه، وتفاصيل أخرىٰ انفرد بها سيف والله تعالىٰ أعلم.

عن هارون بن سعد ، عن العَلاء بن عبد الله بن زيد العنبريّ: أنّه قال: اجتمع ناسٌ من المسلمين ، فتذاكروا أعمالَ عثمان وما صنع ، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا إليه رجلاً يكلّمه ، ويخبره بإحداثه ، فأرسلوا إليه عامرَ بن عبد الله التميميّ ثم العنبريّ ـ وهو الذي يُدعى عامرَ بنَ عبد قيس ـ فأتاه ، فدخل عليه ، فقال له: إنّ ناساً من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك ، فوجدوك قد ركبتَ أموراً عظاماً ، فاتّق الله عزّ وجلّ وتُب إليه ، وانزع عنها. قال له عثمان: انظر إلى هذا ، فإنّ الناس يزعمون أنه قارىء ، ثم هو يجيء فيكلّمني في المحقَّرات ، فو الله ما يدري أين الله! قال عامر: أنا لا أدري أين الله! قال: نعم ، والله ما تدري أين الله؛ قال عامر: بلى والله إنّي لأدري أنّ اللهَ بالمرصاد لك.

فأرسل عثمان إلى معاويةَ بن أبي سُفيان ، وإلى عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ، وإلى سعيد بن العاص ، وإلى عمرو بن العاص بن وائل السهميّ ، وإلى عبدِ الله بنِ عامر؛ فجمَعهم ليشاورَهم في أمره وما طُلِب إليه ، وما بلغه عنهم ، فلما اجتمعوا عنده قال لهم: إنّ لكلّ امرىء وزراءَ ونُصَحاء ، وإنّكم وزرائي ونُصَحائي وأهل ثقتي ، وقد صنع الناسُ ما قد رأيتم ، وطلبوا إليّ أن أعزل عمّالي ، وأن أرجعَ عن جميع ما يَكرهون إلى ما يحبّون ، فاجتهدوا رأيَكم ، وأشيروا عليّ.

فقال له عبدُ الله بنُ عامر: رأيي لك يا أمير المؤمنين أن تأمرَهم بجهاد يشغَلهم عنك. وأن تُجمّرهم في المغَازي حتى يذِلّوا لك ، فلا يكونَ همّة أحدهم إلاّ نفسَه ، وما هو فيه من دَبرة دابته ، وقَمْل فَرْوه. ثم أقبل عثمانُ على سعيد بنِ العاص فقال له: ما رأيك؟ قال: يا أمير المؤمنين! إن كنتَ ترى رأينَا فاحسم عنك الدّاء ، واقطَعْ عنك الذي تَخاف ، واعمل برأيي تُصِب؛ قال: وما هو؟ قال: إنّ لكل قوم قادةً متى تَهلِكْ يتفرّقوا ، ولا يجتمعْ لهم أمر ، فقال عثمان: إنّ هذا الرأيُ لولا ما فيه. ثم أقبل على معاوية فقال: ما رأيُك؟ قال: أرى لك يا أميرَ المؤمنين أن تردّ عمّالك على الكفاية لما قِبَلهم ، وأنا ضامن لك قِبَلي.

ثم أقبل على عبد الله بن سعد ، فقال: ما رأيُك؟ قال: أرى يا أميرَ المؤمنين: أنّ الناسَ أهل طَمَع ، فأعطهم من هذا المال تَعطفْ عليك قلوبهم. ثم أقبل على عمرو بن العاص فقال له: ما رأيُك؟ قال: أرى أنك قد ركبتَ الناس بما يكرهون؛

فاعتزم أن تعتدل ، فإن أبيتَ فاعتزمْ أن تعتزل ، فإن أبيْتَ فاعتزِمْ عزماً ، وامض قُدُماً؛ فقال عثمان: مَالَكَ قَمِل فَرْوُكَ؟ أهذا الجدّ منك! فأسكتَ عنه دهراً ، حتى إذا تفرّق القوم قال عمرو: لا والله يا أمير المؤمنين ! لأنت أعزُّ عليّ من ذلك ، ولكن قد علمتُ أن سيبلغ الناسَ قولُ كلّ رجل منا ، فأردتُ أن يبلغهم قولي فيَثقوا بي ، فأقودَ إليك خيراً ، أو أدفعَ عنك شرّاً[1] . (٤ : ٣٣٣/ ٣٣٤) .

---

(١) خبر منكر ، في إسناده جعفر بن عبد الله المحمدي مجهول الحال إن لم يكن مجهول العين ، وفي متنه نكارة شديدة وهذا الراوي (أي جعفر بن عبد الله المحمدي) له في تأريخ الطبري ست روايات؛ خمس منها (في متونها نكارات شديدة) والعجيب أن أنس بن فرحان المالكي في كتابه (بيعة علي بن أبي طالب في ضوء الروايات الصحيحة ص ١٠٧) قد قال عن إسناد إحدىٰ رواياته:

هذا الإسناد حسن على أقل الأقوال فرجاله ثقات ، ومتابعون أو من أشراف أهل البيت وكبارهم وأجلائهم وإسناد فيه مثل هؤلاء لا ينزل عن رتبة الحسن!!!

علماً بأن حسن المالكي قال في ترجمته: (ولم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً).

قلنا: وهذا نوع تدليسٍ فلا يوجد له ترجمة في جميع ما بين أيدينا من المراجع فإن لم يكن مجهول العين فهو مجهول الحال ، وقال حسن المالكي عند حديثه عن هذا الإسناد (ص ١٠٦): إن البدعة لا تضر في الرواية. هذا ما عليه كبار علماء الحديث المتقدمين.

وهذا كلام مستغرب فإن لم تضر البدعة في الروايات فلماذا فرّق أئمة الحديث بين المبتدع الداعي إلىٰ بدعته وغير الداعي؟ وقد قال ابن الصلاح: والذي عليه الأكثرون التفصيل بين الداعية وغيره ـ وقد حُكي عن نصّ الشافعي وقد حكى ابن حبان عليه الاتفاق فقال: لا يجوز الاحتجاج به عند أئمتنا قاطبة لا أعلم بينهم خلافاً ، ثم قال ابن الصلاح: وهذا أعدل الأقوال وأولاها والقول بالمنع مطلقاً بعيد مباعدٌ للشائع عن أئمة الحديث فإن كتبهم طافحة بالرواية عن المبتدعة غير الدعاة.

وقال المحقق في الحاشية: ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل والغلوّ فيه والحط على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما والدعاء إلىٰ ذلك فهذا النوع لا يحتج به ولا كرامة (الباعث الحثيث ٢/ ٣٠٣).

ثم قال الأخ حسن المالكي عن الراوي الثاني (علي بن حسين بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين): وهذا لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المصادر لكنه قد توبع.

قلنا: وإذا توبع فهل هذا يعني ماذا بالنسبة لتوثيقه؟ فسيبقىٰ مجهولاً وإن روىٰ عنه اثنان من الثقات ارتفعت عنه جهالة العين وكان مجهول الحال وإلاّ بقي مجهول العين وهو الحال في هذا الراوي.

وقال عن الراوي (٤ ـ حسين بن عيسىٰ بن زيد بن علي بن الحسين بن علي: ذكره ابن=

٧٨٩ - حدّثني جعفر ، قال: حدّثنا عمرو بن حمّاد ، وعليّ بنُ حسين ، قالا: حدّثنا حسين عن أبيه ، عن عمرو بن أبي المقدام ، عن عبد الملك بن عُمير الزُّهريّ: أنه قال: جمع عثمانُ أمراءَ الأجناد: معاويةَ بن أبي سُفيان ، وسعيدَ بن العاص، وعبدَ الله بن عامر، وعبدَ الله بن سعد بن أبي سَرْح، وعمرَو بن العاص، فقال: أشيروا عليّ ، فإنّ الناس قد تنمّروا لي ، فقال له معاوية: أشيرُ عليك أن تأمر أمراءَ أجنادِك فيكفيَك كلّ رجل منهم ما قبَله ، وأكفيك أنا أهلَ الشأم؛ فقال له عبد الله بنُ عامر: أرى لك أن تجمّرهم في هذه البعوث حتى يهمّ كلّ رجل منهم دَبَرُ دابّته ، وتشغلهم عن الإرجاف بك ، فقال عبد الله بنُ سعد: أشير عليك أن تنظر ما أسخَطهم فتُرضيَهم ، ثم تُخرج لهم هذا المال ، فيُقسَم بينهم.

ثم قام عمرو بن العاص ، فقال: يا عثمان! إنك قد ركبتَ الناس بمثل بني أمية ، فقلتَ وقالوا ، وزغْتَ وزاغوا ، فاعتدلْ أو اعتزِلْ ، فإن أبَيْتَ فاعتزم عَزْماً ، وامضِ قُدُماً؛ فقال له عثمان: مَالك قَمِل فَرْوُك! أهذا الجدّ منك! فأسْكَت عمرو حتى إذا تفرّقوا قال: لا والله يا أميرَ المؤمنين! لأنت أكرمُ عليَّ من ذلك ، ولكني قد علمتُ أنّ بالباب قوماً قد علموا أنك جمعتنَا لنُشير عليك ، فأحببتُ أن يبلغهم قولي ، فأقودَ لك خيراً ، أو أدفعَ عنك شرّاً. فردّ عثمانُ عمّالَه على

= أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣/ ٦٠) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ولكنه من كبار أهل البيت وأشرافهم وقد تزوج من ابنة الحسن بن صالح بن حي وهو مقل من الرواية بسبب خلافه مع بني العباس وعاش مختفياً مع أبيه ومثله لا ينزل حديثه عن رتبة الحسن). ولا نظن هذا صحيحاً فحسين بن عيسىٰ هنا لم يوثقه أحد حتى ابن حبان المعروف بتساهله في التوثيق وذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً فهل هذا يجعل حديثه لا ينزل عن رتبة الحسن؟!.

وقال عن الراوي عيسىٰ بن زيد: (كذلك ذكره ابن أبي حاتم (٦/ ٢٧٦) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً. . . . إلخ) ثم قال في نهاية الأمر: إذاً فهذا الإسناد حسن على أقل الأحوال فرجاله ثقات أو متابعون أو من أشراف أهل البيت وكبارهم وأجلائهم وإسناد فيه مثل هؤلاء لا ينزل عن رتبة الحسن (ص ١٠٧).

قلنا: بل الصواب: أن هذا إسناد فيه رواة بين مجهول الحال ومجهول العين (ثلاثة) فهو إسناد ضعيف جداً والله أعلم - إضافة إلى ذلك فقد روىٰ خمس روايات من مجموع (٦) فيها من الطعن في عدالة سيدنا عثمان ، وسبه ، وشتمه ما هو من الطامات ، والنكرات. والله تعالى أعلم.

أعمالهم ، وأمَرَهم بالتضييق على مَن قبلهم ، وأمرهم بتجمير الناس في البُعوث ، وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه ، ويحتاجوا إليه ، وردّ سعيد بن العاص أميراً على الكُوفة ، فخرج أهلُ الكوفة عليه بالسلاح ، فتلقَّوْه فَردّوه ، وقالوا: لا والله لا يلي علينا حُكْماً ما حملْنا سيوفَنا[١] . (٤ : ٣٣٤/ ٣٣٥) .

٧٩٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن يحيى بن مسلم ، عن واقد بن عبد الله ، عن عبد الله بن عُمير الأشجَعيّ ، قال: قام في المسجد في الفتنة فقال: أيّها الناس ! اسكُتوا ، فإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «من خرج وعلى الناس إمام ـ والله ما قال: عادل ـ ليَشُقّ عصاهم ، ويفرّق جماعتَهم ، فاقتلوه كائناً مَن كان»[٢] . (٤ : ٣٣٦) .

٧٩١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، قالا: لما استَعْوى يزيد بن قيس الناسَ على سعيد بن العاص ، خرج منه ذِكْرٌ لعثمان ، فأقبَلَ إليه القَعْقاع بنُ عمرو حتى أخذه ، فقال: ما تُريد؟ ألك علينا في أن نَستعفي سبيل؟ قال: لا ، فهل إلاّ ذلك؟ قال: لا ، قال: فاستعفِ. واستَجلَبَ يزيد أصحابَه من حيث كانوا ، فردّوا سعيداً ، وطلبوا أبا موسى ، فكتب إليهم عثمان:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد: فقد أمَّرتُ عليكم من اخترتم ، وأعفَيْتكم من سعيد ، والله لأفْرُشنّكم عرْضي ، ولأبذُلنّ لكم صبري ، ولأستصلحنّكم بجهدي ، فلا تَدَعوا شيئاً أحببتموه لا يُعصَى الله فيه إلاّ سألتموه ، ولا شيئاً كرهتموه لا يُعصَى الله فيه إلاّ استعفيتم منه؛ أنزل فيه عند ما أحببتم ، حتى لا يكون لكم عليّ حجّة .

وكتب بمثل ذلك في الأمصار ، فقدمت إمارة أبي موسى وغزو حُذيفة . وتأمّر

---

(١) في إسناده مجاهيل الحال ، وفي متنه نكارة شديدة وطعن في عدالة الصحابي الجليل عمرو بن العاص وأنه طلب من عثمان أن يعتزل ، ولم يثبت ذلك بسند صحيح لا عنه ولا عن غيره من الصحابة والله تعالىٰ أعلم .

(٢) إسناده ضعيف وأصله صحيح .

أبو موسى ، ورجع العمَّال إلى أعمالهم ، ومضى حُذيفة إلى الباب [١] . (٤ : ٣٣٦) .

٧٩٢ - وأما الواقديّ ؛ فإنه زعم : أن عبدَ الله بن محمد حدّثه عن أبيه ، قال : لما كانت سنة أربع وثلاثين كتب أصحابُ رسول الله ﷺ بعضُهم إلى بعض : أن اقدموا ، فإن كنتم تريدون الجهادَ فعندنا الجهاد . وكثُر الناسُ على عثمان ، ونالوا منه أقبحَ ما نِيلَ من أحَد ، وأصحابُ رسول الله ﷺ يَرون ويَسمعون ؛ ليس فيهم أحد ينهى ولا يذبّ إلاّ نُفَير ؛ منهم زيد بن ثابت ، وأبو أسَيْد الساعديّ ، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت . فاجتمع الناس ، وكلّموا عليّ بنَ أبي طالب . فدخل علَى عثمان ، فقال : الناس ورائي ، وقد كلّموني فيك ، واللهِ ما أدري ما أقولُ لك ، وما أعرِف شيئاً تَجهلُه ، ولا أدلّك على أمر لا تَعرفه ؛ إنك لتَعلم ما نعلم ، ما سبقناك إلى شيء فنُخبرَك عنه ، ولا خلوْنا بشيء فنُبلغَكَه ، وما خُصِصنا بأمر دونك ، وقد رأيتَ وسمعتَ ، وصحبتَ رسولَ الله ﷺ ونلتَ صهرَه ، وما ابن أبي قُحافة بأوْلى بعمل الحقّ منك ، ولا ابنُ الخطاب بأوْلى بشيء من الخير منك ، وإنك أقربُ إلى رسول الله ﷺ رَحِماً ، ولقد نلتَ من صهر رسول الله ﷺ ما لم يَنالا ، ولا سَبَقاك إلى شيء . فاللهَ اللهَ في نفسك ، فإنك والله ما تُبصَّر من عمىً ، ولا تُعلَّم من جَهْل ، وإنّ الطريق لواضح بيّن ، وإنّ أعلامَ الدّين لقائمة . تعلَّمْ يا عثمان أنّ أفضل عبادِ الله عند الله إمامٌ عادل ، هُديَ وهَدَى ، فأقام سنّةً معلومة ، وأمات بدْعةً متروكة ، فو الله إنّ كُلاًّ لَبَيِّن ، وإن السُّنَن لقائمة لها أعلام ، وإن البدَع لقائمةٌ لها أعلام ، وإن شرّ الناس عند الله إمامٌ جائر ، ضَلَّ وضُلَّ به ، فأماتَ سنّة معلومة ، وأحيا بدعةً متروكة ، وإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «يُؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصيرٌ ولا عاذر ، فيُلقَى في جهنم ، فيدور في جهنم كما تدور الرَّحَا ، ثم يَرتطم في غَمرةِ جهنم» . وإني أحذّرك الله ، وأحذّرك سطوَتَه ونِقماته ؛ فإنّ عذابَه شديد أليم . وأحذّرك أن تكون إمامَ هذه الأمة المقتول ، فإنه يقال : يُقتَل في هذه الأمة إمام ، فيُفتَح عليها القتلُ والقتالُ إلى يوم القيامة ، وتُلبَّس أمورُها عليها ، ويتركهم شِيَعاً ، فلا يُبصرون الحقّ لعلوّ الباطل ؛ يموجون فيها مَوْجاً ، ويمْرَجون فيها مَرجاً .

---

(١) إسناده ضعيف .

فقال عثمان: قد واللهِ علمت ، ليَقولُنّ الذي قلتَ ، أما واللهِ لو كنتَ مكاني ما عنّفتك ، ولا أسلَمْتك ، ولا عبتُ عليك ، ولا جئتُ مُنْكَراً أن وصلتُ رَحماً ، وسدَدْتُ خَلّة ، وآويتُ ضائعاً ، ووليّتُ شبيهاً بمن كان عُمر يولّي. أنشُدُك اللهَ يا عليّ ! هل تَعلم أنّ المغيرة بنَ شُعْبة ليس هناك ؟! قال: نعم. قال: فتعلم أنّ عمر ولاّه؟ قال: نعم ، قال: فلمَ تلومُني أن ولّيتُ ابنَ عامر في رَحِمه وقَرابته؟ قال عليّ: سأخبرك ، إنّ عمر بنَ الخطاب كان كلُّ مَن ولّى فإنما يطأ على صِماخه ، إنْ بَلَغه عنه حرفٌ جلبه ثم بلغ به أقصى الغاية؛ وأنت لا تفعل ، ضعفتَ ورفقتَ على أقربائك. قال عثمان: هم أقرباؤك أيضاً. فقال عليّ: لَعَمري إنّ رَحِمهم منّي لقريبة ، ولكنّ الفضلَ في غيرهم؛ قال عثمان: هل تعلم أنّ عمرَ ولّى معاويةَ خلافتَه كلَّها؟ فقد ولّيتُه. فقال عليّ: أنْشُدك الله هل تعلم أنّ معاوية كان أخْوفَ من عمرَ من يَرْفَأ غلام عمر منه؟ قال: نعم. قال عليّ: فإنّ معاوية يقتطع الأمورَ دونَك وأنت تعلمها ، فيقول للناس: هذا أمرُ عثمانَ ، فيبلغك ولا تغيّر على معاوية. ثم خرج عليّ من عنده ، وخرج عثمانُ على أثره ، فجلس على المنبر ، فقال: أمّا بعد ، فإنّ لكلّ شيء آفة ، ولكلّ أمر عاهة ، وإنّ آفة هذه الأمة ، وعاهةَ هذه النعمة ، عَيّابون طعّانون ، يُرونكم ما تحبّون ، ويُسرّون ما تكرهون؛ يقولون لكم وتقولون ، أمثالُ النعام يتبعون أوّل ناعق؛ أحبُّ مواردها إليها البعيد ، لا يشربون إلاّ نَغَصاً ، ولا يَرِدون إلاّ عَكَراً ، لا يقوم لهم رائد ، وقد أعيَتْهم الأمور ، وتعذّرت عليهم المكاسب. ألا فقد والله عبتم عليّ بما أقررتم لابن الخطاب بمثله ، ولكنّه وطئكم برجله ، وضربكم بيده ، وقمعكم بلسانه ، فدِنْتم له على ما أحببتم ، أو كرهتم ، ولنت لكم ، وأوطأت لكم كتفي ، وكففت يدي ولساني عنكم ، فاجترأتم عليّ. أما والله لأنا أعزّ نفراً ، وأقربُ ناصراً وأكثرُ عدداً ، وأقمن إن قلتُ هلمّ؛ أُتيَ إليّ ، ولقد أعددتُ لكم أقرانكم ، وأفضلتُ عليكم فضولاً ، وكشَرتُ لكم عن نابي ، وأخرجتم مني خُلُقاً لم أكن أحسِنه ، ومنطقاً لم أنطقْ به ، فكُفّوا عليكم ألسنَتكم ، وطَعْنكم ، وعيبكم على وُلاتكم ، فإنّي قد كففت عنكم مَنْ لو كان هو الذي يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا. ألا فما تفقدون من حقكم؟ والله ما قصّرت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي ، ومن لم تكونوا تختلفون عليه. فَضَل فَضْلٌ من مال؛ فما لي لا أصنع في الفَضْل ما أريد! فلمَ كنتُ إماماً!

فقام مروان بن الحَكَم ، فقال: إن شئتم حَكّمنا واللهِ بيننا وبينكم السيفَ ، نحن والله وأنتم كما قال الشاعر:

فَرَشْنا لَكُمْ أعْراضَنا فَنَبَتْ بكُمْ مَعارسُكُم تَبْنُونَ في دِمَنِ الثَّرَى

فقال عثمان: اسكت لا سكتَّ ، دعني وأصحابي ، ما منطقُك في هذا! ألم أتقدّم إليك ألاّ تنطق! فسكَت مرْوان، ونزل عثمان[1] . (٤ : ٣٣٦/ ٣٣٧/ ٣٣٨/ ٣٣٩).

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك نزول أهل مصرَ ذا خُشُب ، حدّثني بذلك أحمد بنُ ثابت عمن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال: كان ذو خُشُب سنةَ خمس وثلاثين ، وكذلك قال الواقديّ.

ذكر مسير مَنْ سار إلى ذي خُشُب من أهل مصرَ وسبب مسير مَنْ سار إلى ذي المرْوة من أهل العراق

٧٩٣ -فيما كتب به إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن يزيدَ الفَقْعميّ ، قال: كان عبد الله بن سَبَأ يهودياً من أهل صَنْعاء ، أمّه سوداء ، فأسلم زمانَ عثمان ، ثم تنقّل في بُلدان المسلمين ، يحاول ضلالَتهم ، فبدأ بالحجاز ، ثم البَصرة ، ثم الكوفة ، ثم الشأم ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشأم ، فأخرجوه حتى أتى مصرَ ، فاعتَمر فيهم ، فقال لهم فيما يقول: لَعَجبٌ ممن يزعم أنّ عيسى يرجع ، ويكذّب بأنّ محمداً يرجع ، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ . فمحمد أحقّ بالرجوع من عيسى. قال: فقبل ذلك عنه ، ووضع لهم الرّجعة ، فتكلموا فيها. ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبيّ ، ولكلّ نبيّ وصيّ ، وكان عليّ وصيَّ محمد؛ ثم قال: محمد خاتم الأنبياء ، وعليّ خاتمُ الأوصياء ، ثم قال بعد ذلك: مَن أظلمُ

---

(١) في إسناده الواقدي ، وهو متروك وفي متنه نكارة.

ممن لم يُجِز وصيّة رسول الله ﷺ ، ووثب عليّ وصيّ رسول الله ﷺ ، وتناول أمرَ الأمّة! ثم قال لهم بعد ذلك: إنّ عثمان أخذها بغير حقّ ، وهذا وصيّ رسولِ الله ﷺ ، فانهضوا في هذا الأمر فحرّكوه ، وابدؤوا بالطعن على أمرائكم ، وأظهروا الأمر بالمعروف ، والنهيَ عن المنكر؛ تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر.

فبثّ دعاته ، وكاتَب من كان استَفسَد في الأمصار وكاتَبوه ، ودعَوا في السرّ إلى ما عليه رأيهم ، وأظهروا الأمرَ بالمعروف ، والنهيَ عن المنكر ، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عُيوب وُلاتِهم ، ويكاتبهم إخوانُهم بمثل ذلك ، ويكتب أهلُ كلّ مصرٍ منهم إلى مصرٍ آخَر بما يصنعون؛ فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم ، حتى تناولوا بذلك المدينة ، وأوسَعُوا الأرض إذاعة ، وهم يريدون غيرَ ما يُظهرون ، ويُسرّون غيرَ ما يُبدون ، فيقول أهلُ كلّ مصر: إنّا لفي عافية مما ابتُليَ به هؤلاء ، إلاّ أهلَ المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار ، فقالوا: إنا لفي عافية مما فيه الناس ، وجامعه محمد ، وطلحة من هذا المكان ، قالوا: فأتوْا عثمان ، فقالوا: يا أميرَ المؤمنين ! أيأتيك عن الناس الذي يأتينا؟ قال: لا والله ، ما جاءني إلاّ السلامة ، قالوا: فإنا قد أتانا. . . وأخبَروه بالذي أسقطوا إليهم؛ قال: فأنتم شركائي وشهود المؤمنين ، فأشيروا عليّ؛ قالوا: نُشير عليك أن تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم. فدعا محمّد بنَ مسْلمة فأرسله إلى الكوفة ، وأرسل أسامة بن زيد إلى البَصرة ، وأرسل عمّار بن ياسر إلى مصر ، وأرسل عبدَ الله بنَ عمر إلى الشأم ، وفرّق رجالاً سواهم ، فرجعوا جميعاً قبل عمّار ، فقالوا: أيّها الناس ! ما أنكرنا شيئاً ، ولا أنكره أعلامُ المسلمين ولا عوامُّهم؛ وقالوا جميعاً: الأمر أمر المسلمين ، إلاّ أنّ أمراءهم يقسِطون بينهم ، ويقومون عليهم. واستبطأ الناس عمّاراً حتى ظنوا أنه قد اغتيل ، فلم يَفجَأهم إلاّ كتابٌ من عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح يخبرهم: أنّ عماراً قد استماله قومٌ بمصر ، وقد انقطعوا إليه؛ منهم عبدُ الله بن السوداء ، وخالد بن مُلجَم ، وسُودان بن حُمْران ، وكنانة بن بِشْر[1].

(٤: ٣٤٠/ ٣٤١).

---

(١) إسناده ضعيف وفيه نكارة شديدة ، فلقد ذكرت رواية سيف هذه أن عماراً رضي الله عنه عندما

٧٩٤ - كتب إليّ السريّ ، عن شعيب عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، وعطيّة ، قالوا : كتب عثمانُ إلى أهل الأمصار : أمّا بعد ، فإني آخُذ العمال . (٤ : بموافاتي في كلّ موسم ، وقد سلّطت الأمة منذ وَليتُ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلا يُرفع عليّ شيء ولا على أحد من عمالي إلاّ أعطيتُه ، وليس لي ولعيالي حقّ قِبَل الرعيّة إلاّ متروك لهم ، وقد رفع إليّ أهلُ المدينة أنّ

= أرسله سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى مصر تأخر عن العودة ثم ظهر للمسلمين أن سبب تأخره هو تأثره بآراء اليهودي عبد الله بن سبأ (ابن السوداء) والحق يقال : إنه لم ترد رواية مسندة صحيحة تبيّن تأثر أحد من الصحابة بأقوال عبد الله بن سبأ ، بل إن الروايات الضعيفة تؤكد أحياناً أن الصحابة كانوا لا يظنونه إلا يهودياً كما مر بنا في رواية سيف الضعيفة عن الخلاف بين معاوية وأبي ذر رضي الله عنهما وخروج أبي ذر إلىٰ المدينة ثم إلى الربذة بعد مشاورة سيدنا عثمان أمير المؤمنين رضي الله عنه وأرضاه ـ راجع (٤/ ٣٣٠/ ٧٨٧).

ولكن تبقىٰ لنا مسألة البحث والتحري عن شخصية عبد الله بن سبأ ومدىٰ تأثيره على الفتنة وتأجيجها ـ فنقول وبالله التوفيق :

أما وجوده كشخصية تأريخية فالراجح أن نعم ، ولم ينفرد سيف بذكر ابن سبأ في روايات السنة والشيعة وكتب الرجال سواء عند الشيعة أو السنة ـ فقد ذكر الكشيبي وهو من علماء الشيعة عدة روايات عنه في كتاب الرجال ؛ منها ما رواه عن أبي جعفر أن عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام ، فدعاه وسأله فأقرّ بذلك وقال : نعم أنت هو وقد كان ألقي في روعي أنك أنت الله وأنت النبي ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : ويلك قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب . فأبىٰ فحبسه واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب فأحرقه بالنار وقال : إن الشيطان استهواه فكان يأتيه ويلقي في روعه ذلك .

وأخرج ابن عساكر عدة رواياتٍ من غير طريق سيف يذكر فيها عبد الله بن سبأ ؛ منها ما أخرجه من طريق أبي الطفيل قال : رأيت المسيب بن نجبة ، أتى به يلببه ـ يعني ابن السوداء ـ وعليّ علىٰ المنبر فقال عليّ : ما شأنه؟ فقال : يكذب على الله وعلى رسوله .

وأخرج ابن عساكر كذلك عن الشعبي قوله : (أول من كذب عبد الله بن سبأ) تأريخ دمشق لابن عساكر ، (في ترجمته عبد الله بن سالم وعبد الله بن أبي عائشة).

وأخرج خليفة بن خياط في تأريخه : حدثنا المعتمر عن أبيه عن أبي نضرة عن أبي سعيد مولىٰ أبي أسيد الأنصاري قال : دخل عليه رجل من بني سدوس يقال له : الموت الأسود ، فخنقه وخفقه قبل أن يضرب بالسيف فقال : والله ما رأيت شيئاً ألين من خناقه ، لقد خنقته حتى رأيت نفسه مثل الجان تردد في جسده (تأريخ خليفة/ ١٧٤) وإسناده حسن . وسنرجع إلىٰ تسمية من شارك في مقتل أمير المؤمنين عثمان في حينه إن شاء الله تعالى .

أقواماً يُشتَمون ، وآخرون يُضرَبون ، فيامن ضُرب سرّاً ، وشتم سرّاً ، من ادّعى شيئاً من ذلك فليوافِ الموسمَ فليأخذْ بحقّه حيث كان؛ منّي أو من عمالي ، أو تصدّقوا فإن الله يجزي المتصدّقين. فلما قرىء في الأمصار أبْكَى الناس ، ودعَوا لعثمان وقالوا: إنّ الأمة لتَمخَّضُ بشرّ. وبعث إلى عمال الأمصار فقَدموا عليه: عبد الله بن عامر ، ومعاوية ، وعبد الله بن سعد، وأدخل معهم في المشورة سعيداً، وعَمْراً ، فقال: ويْحَكم! ما هذه الشكاية؟ وما هذه الإذاعة؟ إني والله لخائف أن تكونوا مصدوقاً عليكم ، وما يُعصَب هذا إلاّ بي؛ فقالوا له: ألم تبعث! ألم نرجع إليك الخبرَ عن القوم؟! ألم يرجعوا ولم يشافههم أحدٌ بشيء؟! لا والله ما صَدَقوا ولا برّوا ، ولا نعلم لهذا الأمر أصلاً ، وما كنتَ لتأخذ به أحداً فيقيمك على شيء؛ وما هي إلا إذاعة لا يحلّ الأخذُ بها ، ولا الانتهاء إليها.

قال: فأشيروا عليّ؛ فقال سعيد بن العاص: هذا أمر مصنوع يُصنع في السرّ ، فيُلْقى به غير ذي المعرفة ، فيُخبَر به ، فيُتحدَّث به في مجالسهم ، قال: فما دواءُ ذلك؟ قال: طلبُ هؤلاء القوم ، ثم قتلُ هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم.

وقال عبد الله بنُ سعد: خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتَهم الذي لهم؛ فإنه خير من أن تدَعَهم. قال معاوية: قد ولّيتني فوليتُ قوماً لا يأتيك عنهم إلا الخير ، والرّجلان أعلَم بناحيتيهما؛ قال: فما الرأي؟ قال: حسنُ الأدب ، قال: فما ترى يا عمرو؟! قال: أرى أنك قد لِنتَ لهم ، وتراخَيت عنهم ، وزدتهم على ما كان يصنع عمر ، فأرى أن تلزم طريقة صاحبيْك ، فتشتدَّ في موضع الشدّة ، وتلينَ في موضع اللين. إن الشدّة تنبغي لمن لا يألو الناس شرّاً ، واللين لمن يخلف الناسَ بالنصح ، وقد فرشتَهما جميعاً اللين.

وقام عثمان فحمِد الله وأثنى عليه وقال: كلّ ما أشرتم به عليّ قد سمعتُ ، ولكلّ أمر بابٌ يؤتَى منه؛ إنّ هذا الأمر الذي يُخاف على هذه الأمة كائن ، وإنّ بابه الذي يُغلَق عليه فيُكفكف به اللين والمؤاتاة والمتابَعة ، إلاّ في حدود الله تعالى ذكرُه ، التي لا يستطيع أحد أن يباديَ بعيب أحدها ، فإن سدّه شيء فرفْق ، فذاك والله لَيُفتَحنّ ، وليست لأحد عليّ حجة حقّ ، وقد علم الله أنّي لم آلُ الناس خيراً ، ولا نفسي. ووالله إن رَحا الفتنة لدائرة ، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحرّكْها. كفكفوا الناس ، وهبُوا لهم حقوقَهم ، واغتفروا لهم ، وإذا تُعوطيتْ

حقوق الله فلا تُدْهِنوا فيها. فلما نفر عثمان أشخص معاوية وعبد الله بن سعد إلى المدينة، ورجع ابن عامر وسعيد معه. ولما استقلّ عثمان رَجَزَ الحادي:

قد عَلِمتْ ضَوامرُ المَطِيِّ وضَامِراتُ عَوَجِ القِسِيِّ
أنَّ الأميرَ بعدَه عَليُّ وفي الزُّبَيْر خلفٌ رَضِيُّ
وطلحةُ الحامي لَها وَلِيُّ

فقال كعب وهو يسير خلفَ عثمان: الأميرُ والله بعدَه صاحبُ البغلة ـ وأشار إلى معاوية[١]. (٤: ٣٤٢/٣٤٣).

٧٩٥ ـ حدّثني عبد الله بن أحمد بن شَبَّوَيْه، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني عبد الله، عن إسحاق بن يحيى، عن موسى بن طلحة، قال: أرسل عثمان إلى طلحة يدعوه؛ فخرجتُ معه حتى دخل على عثمان، وإذ عليٌّ، وسعد، والزبير، وعثمان، ومعاوية، فحمِد الله معاويةُ وأثْنَى عليه بما هو أهله، ثم قال: أنتم أصحاب رسول الله ﷺ، وخيرتُه في الأرض، وولاة أمر هذه الأمة، لا يطمع في ذلك أحد غيركم، اخترتم صاحبَكم عن غير غَلَبة ولا طمع، وقد كبرتْ سنُّه، وولّى عمرُه، ولو انتظرتم به الهَرَم كان قريباً؛ مع أني أرجو أن يكون أكرَم على الله أن يبلغ به ذلك، وقد فشتْ قالةٌ خفتُها عليكم، فما عتبتم فيه من شيء فهذه يدي لكم به، ولا تُطمعوا الناس في أمركم، فوالله لئن طمعوا في ذلك؛ لا رأيتم فيها أبداً إلا إدباراً. قال عليّ: ومالك وذلك! وما أدراك لا أمَّ لك! قال: دع أمّي مكانَها، ليست بشرّ أمّهاتِكم، قد أسلمتْ، وبايَعت النبيَّ ﷺ، وأجبْني فيما أقول لك. فقال عثمان: صدق ابن أخي، إنّي أخبركم عنّي وعمّا وليتُ، إنّ صاحبيّ اللذين كانا قبلي ظلما أنفسهما ومن كان منهما بسبيل احتساباً، وإنّ رسول الله ﷺ كان يعطي قرابته، وأنا في رهط أهل عَيْلة، وقلّة معَاش، فبسطت يدي في شيء من ذلك المال، لمكان ما أقوم به فيه، ورأيت: أنّ ذلك لي، فإن رأيتم ذلك خطأ فردّوه، فأمري لأمركم تَبَع. قالوا: أصبتَ، وأحسنتَ؛ قالوا: أعطيتَ عبد الله بن خالد بن أسيد ومروان ـ وكانوا يزعمون أنه أعطى مروان خمسة عشر ألفاً، وابن أسيد خمسين ألفاً ـ فرُدّوا منهما ذلك،

---

(١) إسناده ضعيف.

فرضُوا وقَبِلوا ، وخرجوا راضين[١] . (٤ : ٣٤٤/ ٣٤٥).

٧٩٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، وأبي حارثة ، وأبي عثمان ، قالوا: صلّى عثمان بالناس بعد ما نزلوا به في المسجد ثلاثين يوماً ، ثم إنهم منعوه الصلاة ، فصلّى بالناس أميرهم الغافقيّ ، دان له المصريون ، والكوفيّون ، والبصريون ، وتفرّق أهلُ المدينة في حيطانهم ، ولزموا بيوتهم ، لا يخرج أحدٌ ولا يجلس إلاّ وعليه سيفه يمتنع به من رَهق القوم وكان الحصار أربعين يوماً ، وفيهنّ كان القتل ، ومنْ تعرّض لهم وضعوا فيه السلاح ، وكانوا قبل ذلك ثلاثين يوماً يكفّون.

وأما غيرُ سيف فإنّ منهم من قال: كانت مناظرة القوم عثمان وسبب حصارهم إيّاه[٢]. (٤ : ٣٥٣/ ٣٥٤).

٧٩٧ ـ وأمّا الواقديّ فإنه ذكر في سبب مسير المصريين إلى عثمان ونزولهم ذا خُشُب أموراً كثيرة ، منها ما قد تقدّم ذِكْره؛ ومنها ما أعرضت عن ذكره كراهة مني لبشاعته. ومنها ما ذكر: أنّ عبد الله بن جعفر حدّثه عن أبي عون مولى المِسْور ، قال: كان عمرو بن العاص على مصر عاملاً لعثمان؛ فعزله عن الخراج ، واستعمله على الصّلاة ، واستعمل عبد الله بن سعد على الخراج؛ ثم جمعهما لعبد الله بن سعد ، فلما قدم عمرو بن العاص المدينة جعل يطعن على عثمان ، فأرسل إليه يوماً عثمان خالياً به ، فقال: يا بن النابغة ! ما أسرع ما قمل جُرُبّان جُبّتك! إنما عهدك بالعمل عاماً أوّل. أتطعن عليّ وتأتيني بوجه وتذهب عنّي بآخر! والله لولا أُكْلَةٌ ما فعلتَ ذلك. قال: فقال عمرو: إنّ كثيراً مما يقول الناس وينقلون إلى ولاتهم باطل؛ فاتّق الله يا أميرَ المؤمنين في رعيتك! فقال عثمان: والله لقد استعملتك على ظلعِك ، وكثرة القالة فيك. فقال عمرو: قد كنتُ عاملاً لعمر بن الخطاب ، ففارقني وهو عنّي راض. قال: فقال عثمان: وأنا والله لو آخذتك بما آخذك به عمر لاستقمتَ؛ ولكني لنت عليك فاجترأتَ عليّ ، أما والله لأنا أعزُّ منك نفراً في الجاهليّة؛ وقبل أن ألي هذا السلطان. فقال عمرو: دع عنك

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

هذا ، فالحمد لله الذي أكرمنا بمحمد ﷺ وهدانا به؛ قد رأيت العاصيَ بن وائل ورأيت أباك عفان ، فوالله للعاصُ كانَ أشرفَ من أبيك. قال: فانكسر عثمان ، وقال: ما لنا ولذكر الجاهليّة!

قال: وخرج عمرو ، ودخل مَرْوان ، فقال: يا أميرَ المؤمنين ! وقد بلغتَ مبلغاً يذكر عمرو بن العاص أباك! فقال عثمان: دَعْ هذا عنك ، مَن ذكر آباء الرجال ذكروا أباه.

قال: فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقد عليه ، يأتي عليّاً مرّة فيؤلِّبه على عثمان ، ويأتي الزّبير مرة فيؤلِّبه على عثمان ، ويأتي طلحة مرة فيؤلِّبه على عثمان ، ويعترض الحاجّ فيخبرهم بما أحدث عثمان ، فلمَّا كان حَصْر عثمان الأوّل؛ خرج من المدينة ، حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها: السبْع؛ فنزل في قصر له يقال له: العجلان؛ وهو يقول: العجب ما يأتينا عن ابن عفان!.

قال: فبينا هو جالس في قَصْره ذلك ، ومعه ابناه محمد ، وعبد الله ، وسلامة ابن رَوْح الجُذاميّ؛ إذْ مرّ بهم راكب ، فناداه عمرو: من أين قدم الرجل؟ فقال: من المدينة ، قال: ما فعل الرجل؟ يعني: عثمان ، قال: تركتُه محصوراً شديد الحصار. قال عمرو: أنا أبو عبد الله؛ قد يضرط العَيْر والمكواة في النار. فلم يبرح مجلسه ذلك حتى مرّ به راكب آخر ، فناداه عمرو: ما فعل الرجل؟ يعني: عثمان ، قال: قتل ، قال: أنا أبو عبد الله؛ إذا حكَكْتُ قَرْحةً نكأتها ، إن كُنت لأحرّض عليه؛ حتى إني لأحرّض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل. فقال له سلامة بن روح: يا معشرَ قريش ! إنه كان بينكم وبين العرب باب وثيق فكسرتموه ، فما حملكم على ذلك؟ فقال: أردنا أن نُخرج الحقّ من حافرة الباطل ، وأن يكون الناس في الحقّ شَرَعاً سواء. وكانت عند عمرو أخت عثمان لأمِّه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، ففارقها حين عزله [١]. (٤ : ٣٥٦/٣٥٧).

٧٩٨ ـ قال محمد بن عمر: وحدّثني عبد الله بن محمد عن أبيه ، قال: كان محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن أبي حذيفة بمصر يحرّضان على عثمان ، فقدم محمد بن أبي بكر ، وأقام محمد بن أبي حُذَيفة بمصر؛ فلما خرج المصريون؛

(١) في إسناده الواقدي وهو متروك.

خرج عبد الرحمن بن عُدَيس البلويّ في خمسمئة ، وأظهروا أنهم يريدون العُمْرة ، وخرجوا في رَجَب ، وبعث عبد الله بن سعد رسولاً سار إحدى عشرة ليلة يخبر عثمان: أنّ ابن عُدَيس وأصحابه قد وُجّهوا نحوه ، وأنّ محمد بن أبي حذيفة شيَّعهم إلى عجرود ، ثم رجع وأظهر محمد أن قال: خرج القوم عُمّاراً ، وقال في السرّ: خرج القوم إلى إمامهم فإن نزع وإلاّ قتلوه؛ وسار القوم المنازل لم يعدوها حتى نزلوا ذا خُشُب. وقال عثمان قبل قدومهم حين جاءه رسول عبد الله بن سعد: هؤلاء قوم من أهل مصر يريدون ـ بزعمهم ـ العُمْرة ، والله ما أراهم يريدونها؛ ولكن الناس قد دُخل بهم؛ وأسرعوا إلى الفتنة ، وطال عليهم عمري؛ أما والله لئن فارقتُهم ليتمنّوْن أنّ عمري كان طال عليهم مكان كلّ يوم بسنة مما يرون من الدماء المسفوكة ، والمحن والأثَرة الظاهرة ، والأحكام المغيَّرة.

قال: فلما نزلَ القوم ذا خُشب؛ جاء الخبر: أنّ القوم يريدون قتل عثمانَ إن لم ينزع ، وأتى رسولهم إلى عليّ ليلاً ، وإلى طلحة ، وإلى عمّار بن ياسر. وكتب محمد بن أبي حذيفة معهم إلى عليّ كتاباً ، فجاؤوا بالكتاب إلى عليّ ، فلم يَظْهَرْ على ما فيه ، فلما رأى عثمان ما رأى جاء عليّاً فدخل عليه بيته ، فقال: يا بنَ عمّ! إنه ليس لي مترَّك؛ وإن قرابتي قريبة؛ ولي حقٌّ عظيم عليك ، وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم ، وهم مصبِّحيَّ؛ وأنا أعلم أنّ لك عند الناس قدراً ، وأنهم يسمعون منك ، فأنا أحبّ أن تركب إليهم فتردّهم عنيّ ، فإني لا أحبّ أن يدخلوا عليّ؛ فإن ذلك جرأة منهم عليّ ، وليسمع بذلك غيرُهم. فقال عليّ: عَلامَ أردّهم؟ قال: على أن أصير إلى ما أشرتَ به عليّ ورأيتَه لي؛ ولست أخرج من يديك؛ فقال عليّ: إني قد كنت كلمتك مرّة بعد مرّة ، فكلّ ذلك نخرج فتُكلّم ، ونقول وتقول؛ وذلك كله فعل مرْوان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، وابن عامر ، ومعاوية؛ أطعتَهم ، وعصيتَني. قال عثمان: فإني أعصيهم وأطيعك.

قال: فأمر الناس ، فركبوا معه: المهاجرون والأنصار. قال: وأرسل عثمان إلى عمّار بن ياسر ، يُكلمه أن يركب مع عليّ فأبى ، فأرسل عثمان إلى سعد بن أبي وقاص ، فكلّمه أن يأتيَ عمّاراً فيكلمه أن يركب مع عليّ؛ قال: فخرج سعد حتى دخل على عمّار ، فقال: يا أبا اليقظان! ألا تخرج فيمن يخرج! وهذا عليّ

يخرج فاخرج معه ، واردد هؤلاء القوم عن إمامك ، فإني لأحسب أنك لم تركب مركباً هو خيرٌ لك منه .

قال: وأرسل عثمان إلى كَثير بن الصَّلْت الكِنديّ ـ وكان من أعوان عثمان ـ فقال: انطلق في إثر سعد؛ فاسمع ما يقول سعد لعمّار ، وما يردّ عمّار على سعد ، ثم ائتني سريعاً .

قال: فخرج كَثير حتى يجد سعداً عند عمّار مُخلِياً به ، فألقم عينَه جُحْر الباب ، فقام إليه عمَّار ولا يعرفه ، وفي يده قضيب ، فأدخل القضيب الجُحْر الذي ألقمه كَثير عينَه ، فأخرج كثير عينه من الجُحْر ، وولّى مدبراً متقنّعاً . فخرج عمار فعرف أثره ، ونادى: يا قليل ابن أمّ قليل! أعليَّ تطّلع وتستمع حديثي! والله لو دريتُ: أنّك هو لفقأتُ عينك بالقضيب؛ فإنّ رسول الله ﷺ قد أحلّ ذلك . ثم رجع عمار إلى سعد ، فكلمه سعد وجعل يفتله بكلّ وجه؛ فكان آخر ذلك أن قال عمّار: والله لا أردّهم عنه أبداً . فرجع سعد إلى عثمان ، فأخبره بقول عمار ، فاتّهم عثمان سعداً أن يكون لم يناصحه ، فأقسم له سعد بالله؛ لقد حرّض . فقبل منه عثمان . قال: وركب عليّ عليه السلام إلى أهل مصر ، فردّهم عنه ، فانصرفوا راجعين[1] . (٤: ٣٥٧/٣٥٨/٣٥٩) .

٧٩٩ ـ قال محمد بن عمر: حدّثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر ، عن محمود بن لَبيد ، قال: لما نزلوا ذا خُشب ، كلم عثمان عليّاً وأصحاب رسول الله ﷺ أن يردّوهم عنه ، فركب عليّ ، وركب معه نفر من المهاجرين ، فيهم سعيد بن زيد ، وأبو جَهْم العدويّ ، وجُبير بنُ مطعم ، وحكيم بن حزام ، ومَرْوان بن الحكَم ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن عَتَّاب بن أسيد؛ وخرج من الأنصار أبو أسَيْد الساعديّ ، وأبو حُمَيد الساعديّ ، وزيد بن ثابت ، وحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومعهم من العرب نيار بن مِكْرم ، وغيرهم ثلاثون رجلاً ؛ وكلّمهم عليّ ، ومحمد بن مسلمة ـ وهما اللذان قدِما ـ فسمعوا مقالتهما ، ورجعوا . قال محمود: فأخبرني محمد بن مسلمة ، قال: ما برِحنا من ذي خُشُب حتى رحلوا راجعين إلى مصر ، وجعلوا يسلّمون على عليّ ، فما أنسى

(١) إسناده ضعيف ، وفي متنه الواقدي وهو متروك .

قول عبد الرحمن بن عُدَيس: أتوصينا يا أبا عبد الرحمن بحاجة؟ قال: قلت: تتّقي الله وحدَه لا شريك له، وتردّ مَن قِبَلَك عن إمامه، فإنه قد وَعَدنا أن يرجع وينزع. قال ابنُ عُديس: أفعلُ إن شاء الله. قال: فرجع القوم إلى المدينة[١]. (٤: ٣٥٩/ ٣٦٠).

٨٠٠ ـ قال محمَّد بن عمر: فحدّثني عبد الله بن محمد عن أبيه، قال: لما رجع عليّ عليه السلام إلى عثمان رضي الله عنه، أخبره: أنهم قد رجعوا، وكلّمه عليّ كلاماً في نفسه، قال له: اعلم أني قائل فيك أكثر مما قلت. قال: ثمّ خرج إلى بيته، قال: فمكث عثمان ذلك اليوم؛ حتى إذا كان الغد جاءه مَرْوان، فقال له: تكلّم، وأعلم الناس أنّ أهل مصر قد رجعوا، وأنّ ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً، فإنّ خطبتك تسير في البلاد قبل أن يتحلّب الناس عليك من أمصارهم؛ فيأتيك مَن لا تستطيع دفعه. قال: فأبى عثمان أن يخرج. قال: فلم يزل به مروان حتى خرج فجلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أمَّا بعدُ، فإن هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمر؛ فلما تيقنوا أنه باطل ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم. قال: فناداه عمرو بن العاص من ناحية المسجد: اتّق الله يا عثمان! فإنك قد ركبت نهابير، وركبناها معك؛ فتب إلى الله نتب. قال: فناداه عثمان؛ وإنك هناك يا بن النابغة! قمِلَتْ والله جُبّتك منذ تركتُك من العمل. قال: فنودي من ناحية أخرى: تب إلى الله وأظهر التوبة يكفّ الناس عنك. قال: فرفع عثمان يديه مدّاً واستقبل القبلة، فقال: اللهمّ إني أوّل تائب تاب إليك! ورجع إلى منزله، وخرج عمرو بن العاص حتى نزل منزله بفلسطين، فكان يقول: والله إن كنت لألقى الراعِيَ فأحرّضه عليه[٢]. (٤: ٣٦٠).

٨٠١ ـ قال محمد بن عمر: فحدّثني عليّ بن عمر، عن أبيه، قال: ثمّ إن عليّاً جاء عثمان بعد انصراف المصريين، فقال له: تكلم كلاماً يسمعه الناس منك ويشهدون عليه، ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والإنابة؛ فإن البلاد قد تمخّضتْ عليك؛ فلا آمنُ ركباً آخرين يقدمون من الكوفة، فتقول: يا عليّ، اركب إليهم! ولا أقدر أن أركب إليهم؛ ولا أسمع عذراً. ويقدم ركب آخرون من

(١) في إسناده الواقدي وهو متروك.

(٢) في إسناده الواقدي وهو متروك.

البصرة ، فتقول: يا عليّ اركبْ إليهم ! فإن لم أفعل رأيتَني قد قطعت رحِمك ، واستخففتُ بحقك .

قال: فخرج عثمان فخطب الخُطبة التي نزعَ فيها ، وأعطى الناس من نفسه التوبة ، فقام فحمِد الله ، وأثنى عليه بما هو أهلُه ، ثم قال: أما بعد أيها الناس ! فوالله ما عابَ من عابَ منكم شيئاً أجهلُه ، وما جئت شيئاً إلاّ وأنا أعرفه؛ ولكنّي مَنّتْني نفسي وكذبتني ، وضلّ عني رشدي؛ ولقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن زلّ فليتب ، ومَن أخطأ فليتب؛ ولا يتماد في الهلكة؛ إنّ مَن تمادى في الجوْر كان أبعد من الطريق» ، فأنا أوّل من اتَّعظ؛ أستغفر الله مما فعلت وأتوب إليه ، فمثلي نَزَع ، وتاب؛ فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليُروني رأيهم؛ فوالله لئن ردّني الحق عبداً لأستنّ بسنّة العبد ، ولأذلّنّ ذلّ العبد ، ولأكونَنّ كالمرقوق؛ إن مُلِك؛ صبر ، وإن عتِق؛ شكر؛ وما عن الله مذهَب إلاّ إليه ، فلا يعجزنّ عنكم خياركم أن يدنو إليّ ، لئن أبت يميني لتتابعنّي شمالي .

قال: فرقَّ الناس له يومئذ ، وبكى مَن بكى منهم ، وقام إليه سعيد بن زيد ، فقال: يا أميرَ المؤمنين ! ليس بواصل لك مَن ليس معك؛ اللهَ اللهَ في نفسك! فأتمم على ما قلتَ. فلما نزل عثمان وجد في منزله مَرْوان ، وسعيداً ، ونفراً من بني أميَّة؛ ولم يكونوا شهدوا الخطبة؛ فلما جلس قال مروان: يا أمير المؤمنين ! أتكلّم ، أم أصمت؟ فقالت نائلة ابنة الفَرافصة ، امرأة عثمان الكلبيّة: لا بل اصمت ، فإنهم والله قاتلوه ومؤثّموه؛ إنه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها. فأقبل عليها مروان ، فقال: ما أنت وذاك! فوالله لقد مات أبوك وما يُحسن يتوضّأ ، فقالت له: مهلاً يا مروان عن ذكر الآباء ، تُخبر عن أبي وهو غائب تكذب عليه! وإن أباك لا يستطيع أن يدفع عنه؛ أما والله لولا أنه عَمّه ، وأنه يناله غمّه ، أخبرتُك عنه ما لن أكذب عليه .

قال: فأعرض عنها مروان ، ثم قال: يا أميرَ المؤمنين ! أتكلّم أم أصمت؟ قال: بل تكلّم ، فقال مروان: بأبي أنت وأمّي! والله لوددتُ أن مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع منيع فكنت أوّلَ من رضي بها ، وأعان عليها؛ ولكنك قلت ما قلتَ حين بلَغ الحِزام الطُّبْيَيْن ، وخلف السّيْلُ الزُّبى ، وحين أعطى الخطّة الذليلةَ الذليلُ؛ والله لإقامةٌ على خطيئة تستغفر الله منها أجملُ من توبة تُخوّف عليها؛

وإنك إن شئت تقرّبت بالتوبة ولم تقرر بالخطيئة؛ وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس. فقال عثمان: فاخرج إليهم فكلّمهم، فإني أستحيي أن أكلمهم. قال: فخرج مروان إلى الباب والناسُ يركب بعضهم بعضاً، فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم لنهبٍ! شاهت الوجوه! كلّ إنسان آخذ بأذُن صاحبه. ألا من أريدَ! جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا! اخرجوا عنا، أما والله لئن رمتمونا ليمرّن عليكم منّا أمر لا يسرّكم؛ ولا تحمدوا غبّ رأيكم ارجعوا إلى منازلكم؛ فإنا والله ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا!

قال: فرجع الناس وخرج بعضهم حتى أتى علياً فأخبره الخبر، فجاء عليّ عليه السلام مغضَباً، حتى دخل على عثمان، فقال: أما رضيتَ من مروان ولا رضي منك إلا بتحرّفك عن دينك وعن عقلك، مثل جمل الظعينة يقاد حيث يسار به؛ والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه؛ وأيم الله إني لأراه سيورِدك ثم لا يصدرك؛ وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبتَ شرفك، وغلبت على أمرك. فلما خرج عليّ دخلت عليه نائلة ابنة الفَرافصة امرأته، فقالت: أتكلّم أو أسكت؟ فقال: تكلمي؛ فقالت: قد سمعت قول عليّ لك؛ وإنه ليس يعاودك، وقد أطعتَ مرْوان يقودك حيث شاء. قال: فما أصنع؟ قالت: تتَّقي الله وحدَه لا شريك له، وتتّبع سنة صاحبيك من قَبْلك، فإنك متى أطعت مَرْوان قتلك؛ ومروان ليس له عنْد الناس قدْر ولا هيبة ولا محبّة؛ وإنما تركَك الناس لمكان مروان؛ فأرسِل إلى عليّ فاستصلحه، فإن له قرابةً منك، وهو لا يُعصَى، قال: فأرسل عثمان إلى عليّ، فأبى أن يأتيَه، وقال: قد أعلمتُه أنّي لست بعائد.

قال: فبلغ مروان مقالةَ نائلة فيه، قال: فجاء إلى عثمان فجلس بين يديه، فقال: أتكلم أو أسكت؟ فقال: تكلم، فقال: إن بنت الفَرافصة... فقال عثمان: لا تذكُرنّها بحرْف فأسوّىء لك وجهك، فهي والله أنصح لي منك. قال: فكفّ مروان[1]. (٤: ٣٦٠/ ٣٦١/ ٣٦٢/ ٣٦٣).

٨٠٢ ـ قال محمد بن عمر: وحدّثني شُرحبيل بن أبي عون، عن أبيه، قال:

---

(١) في إسناده الواقدي وهو متروك.

سمعتُ عبدَ الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث يذكر مروان بن الحكم ، قال: قبّح الله مروان! خرج عثمان إلى الناس ، فأعطاهم الرّضا ، وبكى على المنبر وبكى الناس حتى نظرت إلى لحية عثمان مُخْضَلّة من الدّموع ، وهو يقول: اللهمّ إنّي أتوب إليك ! اللهم إني أتوب إليك ! اللهم إنّي أتوب إليك! والله لئن ردّني الحق إلى أن أكون عبداً قِنّاً لأرضينّ به ! إذا دخلتُ منزلي فادخلوا عليَّ؛ فوالله لا أحتجب منكم ، ولأعطينّكم الرضا ، ولأزيدنّكم على الرّضا ، ولأنحّينّ مروان وذويه. قال: فلما دخل أمر بالباب ففتح ، ودخل بيته ، ودخل عليه مَرْوان ، فلم يزل يفتله في الذِّرْوة والغارب حتى فَتله عن رأيه؛ وأزاله عمّا كان يريد؛ فلقد مكث عثمان ثلاثة أيام ما خرج استحياءً من الناس؛ وخرج مروان إلى الناس ، فقال: شاهت الوجوه! ألا من أريد! ارجعوا إلى منازلكم؛ فإن يكن لأمير المؤمنين حاجة بأحد منكم يرسل إليه ، وإلاّ قرّ في بيته. قال عبد الرحمن: فجئت إلى عليّ فأجده بين القبر والمنبر ، وأجد عنده عمّار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر وهما يقولان: صنَع مروان بالناس وصَنع. قال: فأقبل عليَّ عليٌّ ، فقال: أحضرت خطبة عثمان؟ قلت: نعم ، قال: أفحضرت مقالة مروان للناس؟ قلت: نعم ، قال عليّ: عياذ الله ، يا للمسلمين! إنّي إن قعدت في بيتي قال لي: تركتَني وقرابتي وحقي؛ وإني إن تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مَرْوان ، فصار سيّقةً له ، يسوقُه حيث شاء بعد كبَر السنّ وصحبة رسول الله ﷺ . قال عبد الرحمن بن الأسود: فلم يزُل حتى جاء رسول عثمان: ائتني ، فقال عليّ بصوت مرتفع عالٍ مغضَب: قل له: ما أنا بداخل عليك ، ولا عائد. قال: فانصرف الرسول. قال: فلقيتُ عثمان بعد ذلك بليلتين خائباً ، فسألت نائلاً غلامه: من أين جاء أمير المؤمنين؟ فقال: كان عند عليّ ، فقال عبد الرحمن بن الأسود: فغدوتُ فجلست مع عليّ عليه السلام ، فقال لي: جاءني عثمان البارحة ، فجعل يقول: إني غير عائد؛ وإني فاعل؛ قال: فقلت له: بعد ما تكلّمت به على منبر رسول الله ﷺ ، وأعطيتَ من نفسك ، ثم دخلتَ بيتك ، وخرج مروان إلى الناس فشتمهم على بابك ويؤذيهم! قال: فرجع وهو يقول: قطعتَ رحمي ، وخذلتَني ، وجرّأت الناس عليَّ. فقلت: والله إني لأذبّ الناس عنك؛ ولكني كلّما جئتك بهنَة أظنّها لك رضاً جاء بأخرى؛ فسمعتَ قولَ مروان عليّ ، واستدخلت مروان. قال: ثمّ انصرف إلى بيته. قال عبد الرحمن بن الأسود: فلم أزل أرى عليّاً منكِّباً عنه

لا يفعل ما كان يفعل؛ إلاّ أني أعلم أنه قد كلم طلحة حين حصر في أن يُدخَل عليه الرَّوايا، وغضب في ذلك غضباً شديداً، حتى دخلت الرّوايا على عثمان[1]. (٤ : ٣٦٣/ ٣٦٤).

٨٠٣ ـ قال محمد بن عمر: وحدّثني عبد الله بن جعفر عن إسماعيل بن محمد: أنّ عثمان صعد يوم الجمعة المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، فقام رجل، فقال: أقِمْ كتاب الله، فقال عثمان: اجلس، فجلس حتى قام ثلاثاً، فأمر به عثمان فجلس، فتحاثَوْا بالحصباء حتى ما تُرى السماء؛ وسقط عن المنبر، وحُمِل فأدخل داره مغشيّاً عليه، فخرج رجل من حجّاب عثمان، ومعه مصحف في يده وهو ينادي: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ودخل عليّ بن أبي طالب على عثمان رضي الله عنهما وهو مغشيٌّ عليه، وبنو أميَّة حوله، فقال: مالك يا أمير المؤمنين؟! فأقبلتْ بنو أميَّة بمنطق واحد، فقالوا: يا عليُّ أهلكتَنا وصنعت هذا الصنيع بأمير المؤمنين! أما والله لئن بلغتَ الذي تريد لتُمَرَّنَّ عليك الدّنيا. فقام عليّ مغضباً[2]. (٤ : ٣٦٤/ ٣٦٥).

ذكر الخبر عن قتل عثمان رضي الله عنه

وفي هذه السنة قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ذكر الخبر عن قتله وكيف قتل:

قال أبو جعفر رحمه الله: قد ذكرنا كثيراً من الأسباب التي ذكر قاتلوه: أنهم جعلوها ذريعةً إلى قتله، فأعرضنا عن ذكر كثير منها لعللٍ دعت إلى الإعراض عنها؛ ونذكر الآن كيف قُتِل، وما كان بدء ذلك وافتتاحه، ومَن كان المبتدىء به والمفتتحَ للجرأة عليه قبل قتله.

٨٠٤ ـ ذكر محمد بن عمر: أنّ عبد الله بن جعفر حدّثه عن أم بكر بنت المسْوَر بن مخرَمة، عن أبيها، قال: قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان، فوهبها لبعض بني الحكَم، فبلغ ذلك عبدَ الرحمن بن عوف، فأرسل إلى

(١) في إسناده الواقدي وهو متروك.
(٢) في إسناده الواقدي وهو متروك.

المسوَر بن مخرَمة وإلى عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث فأخذاها ، فقسَمها عبد الرحمن في الناس؛ وعثمان في الدار[١] . (٤ : ٣٦٥) .

٨٠٥ ـ قال محمد بن عمر : وحدّثني محمد بن صالح عن عبيد الله بن رافع ابن نقاخة ، عن عثمان بن الشَّريد ، قال: مرّ عثمان على جَبلة بن عمرو الساعديّ وهو بفناء داره ، ومعه جامعة ، فقال: يا نعثل؛ والله لأقتلنّك؛ ولأحملنّك على قَلوص جرباء ، ولأخرجنَّك إلى حَرّة النار! ثم جاءه مرة أخرى وعثمان على المنبر فأنزله عنه[٢] . (٤ : ٣٦٥) .

٨٠٦ ـ حدثني محمد ، قال: حدّثني أبو بكر بن إسماعيل عن أبيه ، عن عامر بن سعد ، قال: كان أوّل من اجترأ على عثمان بالمنطق السيِّيء جبَلة بن عمرو الساعديّ ، مرّ به عثمان وهو جالس في نديّ قومه ، وفي يد جبلة بن عمرو جامعة ، فلما مرَّ عثمان سلَّم ، فردّ القوم ، فقال جبلة: لم تردون على رجل فعل كذا وكذا! قال: ثم أقبل على عثمان ، فقال: والله لأطرحنّ هذه الجامعة في عُنقك أو لتتركنّ بطانتك هذه. قال عثمان: أيّ بطانة! فو الله إني لأتخيّر الناس؛ فقال: مروان تخيَّرته! ومعاوية تخيّرتَه! وعبد الله بن عامر بن كُرَيز تخيّرتَه! وعبد الله بن سعد تخيَّرتَه! منهم من نزل القرآن بدمِه ، وأباح رسول الله ﷺ دمَه .

قال: فانصرف عثمان ، فما زال الناس مجترئين عليه إلى هذا اليوم[٣] . (٤ : ٣٦٥/ ٣٦٦) .

٨٠٧ ـ قال محمد بن عمر : وحدّثني ابن أبي الزّناد عن موسى بن عُقْبة ، عن أبي حَبيبة ، قال: خطب عثمان الناس في بعض أيامه ، فقال عمرو بن العاص: يا أميرَ المؤمنين ! إنك قد ركبت نَهابير وركبناها معك؛ فتب؛ نتب. فاستقبل عثمان القبلة وشهرَ يديه ـ قال أبو حبيبة: فلم أرَ يوماً أكثر باكياً ولا باكية من يومئذ ـ ثم لما كان بعد ذلك خطب الناس ، فقام إليه جَهْجَاهُ الغِفاريّ؛ فصاح: يا عثمان ! ألا إن هذه شارف قد جئنا بها ، عليها عباءة وجامعة؛ فانزل فلندرّعك

---

(١) محمد بن عمر الواقدي متروك والخبر لا يصح .

(٢) الواقدي متروك وفي متن الخبر نكارة .

(٣) خبر منكر والواقدي متروك .

العَباءة، ولنطرحك في الجامعة؛ ولنحملك على الشارِف؛ ثم نطرحك في جبل الدخان. فقال عثمان: قبحك الله وقبح ما جئت به! قال أبو حبيبة: ولم يكن ذلك منه إلاّ عن ملأ من الناس؛ وقام إلى عثمان خيرته، وشيعته من بني أميّة، فحملوه فأدخلوه الدار.

قال أبو حبيبة: فكان آخر ما رأيته فيه[1]. (٤: ٣٦٦).

٨٠٨ ـ قال محمد: وحدّثني أسامة بن زيد الليثيّ عن يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب، عن أبيه، قال: أنا أنظر إلى عثمان يخطب على عصا النبيّ ﷺ التي كان يخطب عليها، وأبو بكر، وعمر رضي الله عنهما، فقال له جَهْجاه: قم يا نعثَل! فانزل عن هذا المنبر، وأخذ العصا فكسرها على ركبته اليمنى، فدخلت شظيّة منها فيها؛ فبقي الجرح حتى أصابته الأكلَة، فرأيتها تدود، فنزل عثمان، وحملوه، وأمر بالعصا فشدّوها، فكانت مضبّبة، فما خرج بعد ذلك اليوم إلاّ خَرْجة، أو خرجتيْن؛ حتى حُصِر فقتل[2]. (٤: ٣٦٦/ ٣٦٧).

٨٠٩ ـ حدّثني جعفر بن عبد الله المحمديّ، قال: حدّثنا عمرو عن محمد ابن إسحاق بن يسار المدني، عن عمّه عبد الرحمن بن يسار: أنه قال: لمّا رأى الناس ما صنع عثمان كتب مَن بالمدينة من أصحاب النبي ﷺ إلى مَن بالآفاق منهم ـ وكانوا قد تفرّقوا في الثغور: إنكم إنما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عزّ وجلّ، تطلبون دينَ محمد ﷺ؛ فإنَّ دين محمد قد أُفسِد من خلفكم وتُرِك، فهلمّوا فأقيموا دينَ محمد ﷺ. فأقبلوا من كلّ أفق حتى قتلوه. وكتب عثمان إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرْح عامله على مصر ـ حين تراجع الناس عنه، وزعم أنه تائب ـ بكتاب في الذين شخصوا من مصر، وكانوا أشدّ أهل الأمصار عليه: أمَّا بعد؛ فانظر فلاناً وفلاناً فاضرب أعناقَهم إذا قدموا عليك؛ فانظر فلاناً وفلاناً فعاقبهم بكذا وكذا ـ منهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، ومنهم قوم من التّابعين ـ فكان رسوله في ذلك أبو الأعور بن سفيان السُّلميّ، حمله عثمان على جَمل له، ثم أمره أن يقبل حتى يدخل مصر قبل أن يدخلها القوم، فلحقهم

---

(١) الواقدي متروك والخبر منكر.
(٢) في إسناده الواقدي وهو متروك.

أبو الأعور ببعض الطريق ، فسألوه: أيْن يريد؟ قال: أريد مصر؛ ومعه رجل من أهل الشأم من خَوْلان؛ فلما رأوه على جمل عثمان ، قالوا له: هل معك كتاب؟ قال: لا ، قالوا: فيمَ أُرسِلتَ؟ قال: لا علم لي ، قالوا: ليس معك كتاب ولا علم لك بما أرسِلت! إن أمرَك لمريب! ففتَّشوه ، فوجدوا معه كتاباً في إداوة يابسة ، فنظروا في الكتاب ، فإذا فيه قتْل بعضهم ، وعقوبة بعضهم في أنفسهم وأموالهم. فلما رأوا ذلك رجعوا إلى المدينة ، فبلغ الناسَ رجوعُهم ، والذي كان من أمرهم فتراجعوا من الآفاق كلها ، وثار أهل المدينة[1] (٤ : ٣٦٧).

٨١٠ ـ حدّثني جعفر ، قال: حدّثنا عمرو وعليّ ، قالا: حدّثنا حسين ، عن أبيه ، عن محمد بن السائب الكلبيّ ، قال: إنما ردّ أهلَ مصر إلى عثمان بعد انصرافهم عنه: أنه أدركهم غلام لعثمان على جَمل له بصحيفة إلى أمير مصر أن يقتل بعضهم ، وأن يصلب بعضهم. فلما أتوا عثمان ، قالوا: هذا غلامك ، قال: غلامي انطلق بغير علمي ، قالوا: جملك ، قال: أخذه من الدار بغير أمري ، قالوا: خاتَمك ، قال: نقش عليه ، فقال عبد الرحمن بن عُدَيس التُّجيبيّ حين أقبل أهل مصر:

أَقْبلْنَ مِنْ بَلْبِيسَ والصَّعيدِ ... خُوصاً كأمثال القِسيِّ قودِ
مسْتحْقِباتٍ حَلَقَ الحديدِ ... يطْلُبْنَ حَقَّ اللهِ في الوَليدِ
وعِندَ عثمانَ وَفي سَعيدِ ... يا رَبِّ فارْجِعنا بما نريدُ

فلما رأى عثمان ما قد نزل به ، وما قد انبعث عليه من النّاس ، كتب إلى معاوية بن أبي سفيان وهو بالشأم: بسم الله الرحمن الرحيم ، أمّا بعد؛ فإنّ أهل المدينة قد كفروا ، وأخلفوا الطاعة ، ونكثوا البيعة ، فابعث إليّ من قِبلَك من مقاتلة أهل الشأم على كلّ صعب وذَلول.

فلما جاء معاويةَ الكتاب تربّص به ، وكره إظهارَ مخالفة أصحاب رسول الله ﷺ ؛ وقد علم اجتماعهم؛ فلما أبطأ أمره على عثمان كتب إلى يزيد بن أسد بن كُرْز ، وإلى أهل الشأم يستنفرهم ويُعظّم حقَّه عليهم ، ويذكر الخلفاء وما أمر الله عزّ وجلّ به من طاعتهم ومناصحتهم ، ووعدِهم أن ينجدَهم جندٌ أو بطانةٌ

---

(١) في إسناده (جعفر بن عبد الله المحمدي) مجهول الحال وهو خبر منكر.

دون الناس ، وذكّرهم بلاءه عندهم ، وصنيعه إليهم ، فإن كان عندكم غياث فالعجَل العجَل؛ فإن القوم مُعاجليَّ.

فلما قرىء كتابه عليهم قام يزيد بن أسد بن كُرْز البَجَليّ ثم القسْريّ؛ فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر عثمان ، فعظّم حقه ، وحضَّهم على نصره ، وأمرهم بالمسير إليه. فتابعه ناس كثير ، وساروا معه حتى إذا كانوا بوادِي القُرى ، بلغهم قتلُ عثمان رضي الله عنه ، فرجعوا.

وكتب عثمان إلى عبد الله بن عامر؛ أن اندُب إليّ أهلَ البصرة (نسخة كتابه إلى أهل الشأم).

فجمع عبد الله بن عامر الناس؛ فقرأ كتابه عليهم؛ فقامت خطباء من أهل البصرة يحضّونه على نصر عثمان والمسير إليه؛ فيهم مجاشع بن مسعود السُّلميّ؛ وكان أوّلَ من تكلّم؛ وهو يومئذ سيّد قيس بالبصرة. وقام أيضاً قيس بن الهيثم السُّلَميّ ، فخطب وحضّ الناس على نصر عثمان؛ فسارع الناس إلى ذلك؛ فاستعمل عليهم عبدُ الله بن عامر مجاشعَ بن مسعود فسار بهم؛ حتى إذا نزل الناس الرَّبَذة ، ونزلت مقدّمته عند صِرار ـ ناحية من المدينة ـ أتاهم قتلُ عثمان[١]. (٤ : ٣٦٨/ ٣٦٩).

٨١١ ـ حدّثني جعفر ، قال: حدّثنا عمرو وعليّ ، قالا: حدّثنا حسين ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق بن يسار المدني ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال: كتب أهلُ مصر بالسُّقيا ـ أو بذي خُشُب ـ إلى عثمان بكتاب؛ فجاء به رجل منهم حتى دخل به عليه ، فلم يردّ عليه شيئاً ، فأمر به فأخرج من الدار؛ وكان أهلُ مصر الذين ساروا إلى عثمان ستمئة رجل على أربعة ألوية لها رؤوس أربعة ، مع كلّ رجل منهم لواء؛ وكان جِماع أمرهم جميعاً إلى عمرو بن بُدَيل بن ورقاء الخُزاعيّ ـ وكان من أصحاب النبيّ ﷺ ـ وإلى عبد الرحمن بن عُدَيس التُّجيبيّ؛ فكان فيما كتبوا إليه: بسم الله الرحمن الرحيم؛ أمّا بعد ، فاعلم أنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم؛ فالله الله! ثم الله

---

(١) في إسناده مجهولان كما مضى ومتهم بالكذب وهو الكلبي ، وفي متنه نكارات ، والروايات الصحيحة التي ذكرنا في قسم الصحيح تكذب هذه الأخبار المنكرة.

الله! فإنك على دُنيا فاستتمَّ إليها معها آخرة ، ولا تلْبس نصيبك من الآخرة؛ فلا تسوغ لك الدنيا. واعلم أنّا والله لله نغضب ، وفي الله نرضَى؛ وإنا لن نضع سيوفَنا عن عواتقنا حتى تأتينَا منك توْبة مصرّحة ، أو ضلالة مجلّحة مُبْلِجة؛ فهذه مقالتنا لك ، وقضيّتنا إليك ، والله عذيرنا منك. والسلام.

وكتب أهلُ المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ، ويحتجّون، ويقسمون له بالله لا يمسكون عنه أبداً؛ حتى يقتلوه ، أو يعطيهم ما يلزمه من حقّ الله.

فلما خاف القتلَ شاور نصحاءه وأهل بيته ، فقال لهم: قد صنع القوم ما قد رأيتم ، فما المخرَج؟ فأشاروا عليه أن يرسل إلى عليّ بن أبي طالب فيطلب إليه أن يردّهم عنه ، ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولَهم حتى يأتيَه أمداد؛ فقال: إنّ القوم لن يقبلوا التعليل ، وهم محمِّليّ عهداً؛ وقد كان منّي في قَدْمتهم الأولى ما كان؛ فمتى أعطِهم ذلك يسألوني الوفاء به! فقال مروان بن الحكم: يا أميرَ المؤمنين! مقاربَتُهم حتى تقوى أمثلُ من مكاثرتهم على القُرْب ، فأعطهم ما سألوك ، وطاوِلْهم ما طاولوك؛ فإنما هم بغوْا عليك ، فلا عهد لهم.

فأرسل إلى عليّ فدعاه ، فلما جاءه قال: يا أبا حسن! إنه قد كان من الناس ما قد رأيت ، وكان مني ما قد علمت؛ ولست آمنُهم على قتلي ، فارددْهم عني؛ فإن لهم الله عزّ وجلّ أن أعتِبَهم من كل ما يكرهون؛ وأن أعطيَهم الحقّ من نفسي ومن غيري؛ وإن كان في ذلك سفكُ دمي. فقال له عليٌّ: الناس إلى عدلك أحوجُ منهم إلى قتلك؛ وإني لأرى قوماً لا يرضوْن إلا بالرضا ، وقد كنتَ أعطيتَهم في قَدْمتهم الأولى عهداً من الله: لترجعنّ عن جميع ما نقَموا؛ فرددتُهم عنك ، ثم لم تف لهم بشيء من ذلك ، فلا تغرّني هذه المرة من شيء فإني معطيهم عليك الحقّ. قال: نعم ، فأعطهم ، فوالله لأفينّ لهم. فخرج عليٌّ إلى الناس ، فقال: أيّها الناس! إنكم إنما طلبتم الحقّ فقد أعطيتموه؛ إنّ عثمان قد زعم أنه منصفُكم من نفسه ومن غيره؛ وراجع عن جميع ما تكرهون ، فاقبلوا منه ووكِّدوا عليه. قال الناس: قد قبلنا فاستوثق منه لنا ، فإنا والله لا نرضى بقولٍ دون فعل. فقال لهم عليّ: ذلك لكم. ثم دخل عليه فأخبره الخبرَ ، فقال عثمان: اضرب بيني وبينهم أجلاً يكون لي فيه مهلة ، فإني لا أقدر على ردّ ما كرهوا في يوم واحد ، قال له عليّ: ما حضر بالمدينة فلا أجلَ فيه ، وما غاب فأجلُه وصول أمرك ، قال: نعم؛ ولكن

أجّلْني فيما بالمدينة ثلاثة أيام. قال عليٌّ: نعم، فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك، وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً أجّله فيه ثلاثاً، على أن يَرُدَّ كلّ مَظلمة، ويعزل كلّ عامل كرهوه؛ ثم أخذ عليه في الكتاب أعظمَ ما أخذ الله على أحدٍ من خلقه من عهد وميثاق، وأشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين والأنصار، فكفّ المسلمون عنه ورجعوا إلى أن يفي لهم بما أعطاهم من نفسه؛ فجعل يتأهّب للقتال، ويستعدّ بالسلاح - وقد كان اتَّخذ جنداً عظيماً من رقيق الخُمْس - فلما مضت الأيام الثلاثة - وهو على حالِه لم يغيّر شيئاً مما كرهوه، ولم يعزل عاملاً - ثار به الناس. وخرج عمرو بن حزم الأنصاريّ حتى أتى المصريين وهم بذي خُشُب، فأخبرهم الخبر، وسار معهم حتى قدموا المدينة، فأرسلوا إلى عثمان: ألم نفارِقْك على أنك زعمت أنك تائب من إحداثك، وراجعٌ عما كرهنا منك؛ وأعطيتنا على ذلك عهد الله وميثاقه! قال: بلى؛ أنا على ذلك، قالوا: فما هذا الكتاب الذي وجدنا مع رسولك؛ وكتبت به إلى عاملك؟ قال: ما فعلتُ ولا لي علم بما تقولون. قالوا: بَريدك على جملك، وكتاب كاتبك عليه خاتَمُك؛ قال: أمّا الجمل فمسروق، وقد يشبه الخطّ الخطّ؛ وأما الخاتم فانتُقِش عليه، قالوا: فإنا لا نعجّل عليك؛ وإن كنا قد اتّهمناك، اعزل عنّا عمّالك الفسّاق، واستعمل علينا من لا يُتّهم على دمائنا وأموالنا، واردد علينا مظالمنا. قال عثمان: ما أراني إذاً في شيء إن كنت أستعمل مَن هويتم، وأعزل من كرهتم، الأمر إذاً أمركم! قالوا: والله لتفعلنّ أو لتُعزَلَنّ أو لتُقتَلنّ، فانظر لنفسك أو دَعْ. فأبى عليهم وقال: لم أكن لأخلَع سربالاً سَرْبَلنِيهِ الله، فحصروه أربعين ليلة، وطَلْحة يصلِّي بالناس[1]. (٤: ٣٦٩/ ٣٧٠/ ٣٧١).

٨١٢ - حدّثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم عن ابن عون، قال: حدّثنا الحسن، قال: أنبأني وثّاب - قال: وكان فيمن أدركه عِتْقُ أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، قال: ورأيت بحلْقه أثَر طعنتيْن، كأنهما كتبان

---

(١) في إسناده جعفر بن عبد الله المحمدي مجهول الحال إن لم يكن مجهول العين، وعمرو بن حماد قال الساجي: يتهم في عثمان وعنده مناكير. وقال أبو داود: كان من الرافضة (تهذيب التهذيب ٨/ ٢٣)، وفي متنه نكارة ولا غرابة في ورود هذه النكارة إذا كان حال الرواة كما ذكرنا أعلاه والحمد لله على نعمة الإسناد.

طُعِنهما يومئذ يوم الدار ـ قال: بعثني عثمان ، فدعوت له الأشتر ، فجاء ـ قال ابن عون: فأظنّه قال: فطرحت لأمير المؤمنين وسادة وله وسادة ـ فقال: يا أشتر ! ما يريد الناس مني؟ قال: ثلاثاً ليس من إحداهن بدٌّ؛ قال: ما هنَّ؟ قال: يخيّرونك بين أن تخلع لهم أمرَهم فتقول: هذا أمرُكم فاختاروا له مَنْ شئتم ، وبين أن تُقِصَّ من نفسك؛ فإن أبيت هاتيْن فإنّ القوم قاتلوك. فقال: أما من إحداهن بـدٌّ ؟! قال: ما من إحداهنّ بدٌّ ، فقال: أمّا أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالاً سربلَنيه الله عزّ وجلّ ـ قال: وقال غيرُه: والله لأن أقدَّم فتضرَب عنقي أحبُّ إليّ من أن أخلَع قميصاً قمّصَنيه الله ، وأترك أمّة محمد ﷺ يعدُو بعضها على بعض. قال ابن عون: وهذا أشبه بكلامه ـ وأمّا أن أقِصّ من نفسي؛ فو الله لقد علمت أن صاحبيّ بين يديّ قد كانا يعاقِبان ، وما يقوم بدني بالقصاص ، وأما أن تقتلوني ، فو الله لئن قتلتموني لا تتحابّون بعدي أبداً ، ولا تصلّون جميعاً بعدي أبداً ، ولا تقاتلون بعدي عدوّاً جميعاً أبداً ! قال: فقام الأشتر فانطلق؛ فمكثنا أياماً. قال: ثم جاء رُوَيجل كأنه ذئب ، فاطّلع من باب ، ثم رجع وجاء محمد بن أبي بكر وثلاثة عشر حتى انتهى إلى عثمان ، فأخذ بلحيته ، فقال بها حتى سمعت وَقْع أضراسه ، وقال: ما أغنى عنك معاوية ، ما أغنى عنك ابن عامر ، ما أغنت عنك كتبك! قال: أرسل لحيتي يا بنَ أخي ، أرسل لحيتي ! قال: وأنا رأيتُه استعدى رجلاً من القوم بعينه ، فقام إليه بمِشْقَص حتى وجأ به في رأسه. قلت: ثم مه؛ قال: تغاووْا عليه حتى قتلوه[1]. (٤ : ٣٧١/ ٣٧٢).

٨١٣ ـ وذكر الواقديّ: أنّ يحيى بن عبد العزيز حدّثه عن جعفر بن محمود ، عن محمد بن مسلمة ، قال: خرجتُ في نفر من قومي إلى المصريين؛ وكان رؤساؤهم أربعة: عبد الرحمن بن عُدَيس البلَويّ ، وسودان بن حُمران المراديّ ، وعمرو بن الحَمِق الخزاعيّ ـ وقد كان هذا الاسم غلَب حتى كان يقال: حَبيس بن الحمق ـ وابن النِّباع. قال: فدخلت عليهم وهم في خِباء لهم أربعتهم ، ورأيت الناس لهم تبعاً ، قال: فعظّمت حقّ عثمان وما في رقابهم من البيعة ، وخوّفتهم بالفتنة ، وأعلمتهم أنّ في قتله اختلافاً وأمراً عظيماً؛ فلا تكونوا أوّل من فتحه ، وأنه ينزع عن هذه الخصال التي نَقَمتم منها عليه ، وأنا ضامن لذلك. قال القوم:

---

(١) في إسناده وثاب مجهول الحال.

فإنْ لم ينزع؟ قال: قلت: فأمركم إليكم. قال: فانصرف القوم وهم راضون، فرجعت إلى عثمان، فقلت: أخلني فأخلاني، فقلت: الله الله يا عثمان في نفسك! إنّ هؤلاء القوم إنما قدموا يريدون دَمك، وأنت ترى خذلان أصحابك لك؛ لا بل هم يقوّون عدوّك عليك. قال: فأعطاني الرّضا، وجزاني خيراً. قال: ثمّ خرجتُ من عنده، فأقمت ما شاء الله أن أقيم.

قال: وقد تكلّم عثمان برجوع المصريين، وذكر أنهم جاؤوا لأمر، فبلغهم غيرُه فانصرفوا، فأردت أن آتيَه فأعنِّفَه بهما، ثم سَكتّ فإذا قائل يقول: قد قدم المصريون وهم بالسُّويداء، قال: قلت: أحقٌّ ما تقول؟ قال: نعم، قال: فأرسل إليّ عثمان.

قال: وإذا الخبر قد جاءه، وقد نزل القوم من ساعتهم ذا خُشب، فقال: يا أبا عبد الرّحمن! هؤلاء القوم قد رجعوا، فما الرأي فيهم؟ قال: قلت: والله ما أدري؛ إلاّ أني أظن أنهم لم يرجعوا لخير. قال: فارجع إليهم فارددهم، قال: قلت: لا والله ما أنا بفاعل! قال: ولم؟ قال: لأنّي ضمنتُ لهم أموراً تنزع عنها، فلم تنزع عن حرف واحد منها. قال: فقال: الله المستعان.

قال: وخرجتُ، وقدم القوم، وحلُّوا بالأسواف، وحصروا عثمان.

قال: وجاءني عبدُ الرحمن بن عُدَيس ومعه سُودان بن حُمران وصاحباه، فقالوا: يا أبا عبد الرّحمن! ألم تعْلم أنّك كلّمتَنا ورددتنا وزعمت أنّ صاحبنا نازعٌ عمّا نكره. فقلت: بلى، قال: فإذا هم يُخرِجون إليّ صحيفة صغيرة. قال: وإذا قصبة من رصاص؛ فإذا هم يقولون: وجدنا جملاً من إبل الصدقة عليه غلام عثمان، فأخذنا متاعه ففتّشناه، فوجدنا فيه هذا الكتاب؛ فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد؛ فإذا قدم عليك عبدُ الرحمن بن عُدَيس فاجْلِدْه مئة جلدة، واحلِق رأسه ولحيته، وأطِلْ حبْسَه حتى يأتيَك أمري؛ وعمرو بن الحمق فافعل به مثلَ ذلك، وسُودان بن حمران مثلَ ذلك؛ وعروة بن النِّباع الليثيّ مثلَ ذلك. قال: فقلت: وما يدريكم أنّ عثمان كتب بهذا؟ قالوا: فيفتات مروان على عثمان بهذا!

فهذا شرّ؛ فيخرج نفسه من هذا الأمر. ثم قالوا: انطلق معنا إليه، فقد كلمنا عليّاً، ووعدنا أن يكلّمه إذا صلى الظهر. وجئنا سعد بن أبي وقّاص، فقال: لا أدخل في أمركم. وجئنا سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل فقال مثل هذا؛ فقال محمد: فأين وَعَدكم عليّ؟ قالوا: وعَدنا إذا صلى الظهر أن يدخل عليه.

قال محمد: فصليت مع عليّ، قال: ثم دخلت أنا وعليّ عليه، فقلنا: إن هؤلاء المصريين بالباب، فأذن لهم ـ قال: ومروان عنده جالس ـ قال: فقال مروان: دعني جعلت فداك أكلّمهم! قال: فقال عثمان: فضّ الله فاك! اخرج عني؛ وما كلامك في هذا الأمر! قال: فخرج مروان، قال: وأقبل عليّ عليه ـ قال: وقد أنهى المصريّون إليه مثل الذي أنهوا إليّ ـ قال: فجعل عليّ يخبره ما وجدوا في كتابهم. قال: فجعل يقسم بالله ما كتب ولا علم ولا شُوور فيه. قال: فقال محمد بن مسلمة: والله إنه لصادق؛ ولكن هذا عمل مرْوان، فقال عليّ: فأدخلهم عليك؛ فليسمعوا عذرك، قال: ثم أقبل عثمان على عليّ، فقال: إنّ لي قرابة ورحماً؛ والله لو كنتَ في هذه الحلْقة لحللتها عنك؛ فاخرج إليهم، فكلِّمهم؛ فإنهم يسمعون منك. قال عليّ: والله ما أنا بفاعل؛ ولكن أدخِلْهم حتى تعتذر إليهم؛ قال: فادخلوا.

قال محمد بن مسلمة: فدخلوا يومئذ، فما سلّموا عليه بالخلافة، فعرفتُ: أنه الشرّ بعينه؛ قالوا: سلام عليكم، فقلنا: وعليكم السلام، قال: فتكلَّم القوم وقد قدّموا في كلامهم ابنَ عُدَيس، فذكر ما صنع ابنُ سعد بمصر، وذكر تحاملاً منه على المسلمين وأهل الذمّة، وذكر استئثاراً منه في غنائم المسلمين؛ فإذا قيل له في ذلك، قال: هذا كتاب أمير المؤمنين إليّ، ثم ذكروا أشياء مما أحدث بالمدينة، وما خالف به صاحبيه. قال: فرحلنا من مصر ونحن لا نريد إلا دمَك أو تنزعَ؛ فردّنا عليّ، ومحمد بن مسلمة، وضمِن لنا محمد النزوع عن كلّ ما تكلمنا فيه ـ ثم أقبلوا على محمد بن مسلمة، فقالوا: هل قلت ذاك لنا؟ قال محمد: فقلت: نعم ـ ثم رجعنا إلى بلادنا نستظهر بالله عزّ وجلّ عليك ويكون حجة لنا بعد حجّة حتى إذا كنا بالبُوَيْب؛ أخذنا غلامك فأخذنا كتابَك وخاتمَك إلى عبد الله بن سعد، تأمره فيه بجلد ظهورنا، والمَثْل بنا في أشعارنا، وطول الحبس لنا؛ وهذا كتابك.

قال: فحمد الله عثمانُ وأثنى عليه، ثم قال: والله ما كتبتُ، ولا أمرتُ، ولا شوورت، ولا علمتُ. قال: فقلت، وعليّ جميعاً: قد صدق. قال: فاستراح إليها عثمان، فقال المصريون: فمن كتبه؟ قال: لا أدري، قال: أفيجترأ عليك فيُبعثَ غلامُك وجملٌ من صدقات المسلمين، وينقَش على خاتمك، ويكتب إلى عاملك بهذه الأمور العظام وأنت لا تعلم! قال: نعم، قالوا: فليس مثلك يلي، اخلَعْ نفسك من هذا الأمر كما خلعك الله منه قال: لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله عز وجل. قال: وكثرت الأصوات واللغط، فما كنت أظن أنهم يخرجون حتى يواثبوه. قال: وقام عليٌّ فخرج، قال: فلما قام علي قمت، قال: وقال للمصريين: اخرجوا، فخرجوا. قال: ورجعت إلى منزلي، ورجع عليٌّ إلى منزله، فما برحوا محاصريه حتى قتلوه[1]. (٤: ٣٧٢/ ٣٧٣/ ٣٧٤/ ٣٧٥).

٨١٤ ـ قال محمّد بن عمر: وحدّثني عبد الله بن الحارث بن الفُضيل، عن أبيه، عن سفيان بن أبي العوْجاء، قال: قدم المصريّون القَدْمة الأولى، فكلّم عثمانُ محمد بنَ مسلمة، فخرج في خمسين راكباً من الأنصار، فأتوهم بذي خُشُب فردّهم، ورجع القوم حتى إذا كانوا بالبُويب؛ وجدوا غلاماً لعثمان معه كتاب إلى عبد الله بن سعد، فكرّوا، فانتهوا إلى المدينة، وقد تخلّف بها من الناس الأشتر، وحُكَيم بن جَبَلة، فأتوا بالكتاب، فأنكر عثمان أن يكون كتبه، وقال: هذا مفتعَل، قالوا: فالكتاب كتابُ كاتِبك! قال: أجل؛ ولكنّه كتبه بغير أمري، قالوا: فإنّ الرسول الذي وجدنا معه الكتابَ غلامُك؛ قال: أجل؛ ولكنه خرج بغير إذني، قالوا: فالجمل جملُك، قال: أجل؛ ولكنه أخذ بغير علمي، قالوا: ما أنت إلاّ صادق أو كاذب؛ فإن كنت كاذباً؛ فقد استحققتَ الخلع لمَا أمرت به من سفك دمائنا بغير حقها، وإن كنت صادقاً؛ فقد استحققت أن تخلع لضعفك، وغفلتك، وخبث بطانتك؛ لأنه لا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا مَنْ يُقتطع مثل هذا الأمر دونه لضعفه وغفلته. وقالوا له: إنّك ضربت رجالاً من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم حين يعظونك ويأمرونك بمراجعة الحقّ عندما يستنكرون من أعمالك؛ فأقدْ مِن نفسك مَن ضربته وأنت له ظالم، فقال: الإمام يخطىء ويصيب؛ فلا أقيد من نفسي؛ لأني لو أقدت كلّ من أصبته بخطأ آتي على

---

(١) في إسناده الواقدي وهو متروك، والخبر إلى الواقدي منقطع.

نفسي؛ قالوا: إنك قد أحدثت أحداثاً عظاماً فاستحققت بها الخلْع؛ فإذا كُلّمتَ فيها أعطيتَ التوبة ثم عدت إليها وإلى مثلها، ثم قدمنا عليك فأعطيتَنا التوبة والرجوع إلى الحق؛ ولامنا فيك محمد بن مسلمة، وضمن لنا ما حدث من أمر، فأخفرته فتبرّأ منك، وقال: لا أدخل في أمره؛ فرجعنا أوّل مرة لنقطع حجّتك ونبلغ أقصى الإعذار إليك؛ نستظهر بالله عزّ وجلّ عليك؛ فلحقَنا كتاب منك إلى عاملك علينا تأمره فينا بالقتل والقطع والصلب. وزعمتَ أنه كُتِب بغير علمك وهو مع غلامك وعلى جملك وبخطّ كاتبك وعليه خاتَمُك، فقد وقعتْ عليك بذلك التُّهمة القبيحة، مع ما بلوْنا منك قبل ذلك من الجوْر في الحُكم، والأَثَرة في القَسْم، والعقوبة للأمر بالتبسُّط من الناس، والإظهار للتوبة، ثمّ الرجوع إلى الخطيئة، ولقد رجعنا عنك وما كان لنا أن نرجع حتى نخلعَك ونستبدلَ بك من أصحاب رسول الله ﷺ من لم يُحدث مثل ما جرّبنا منك، ولم يقع عليه من التُّهمة ما وقع عليك؛ فاردد خلافتَنَا؛ واعتزل أمرنا، فإنّ ذلك أسلم لنا منك، وأسلم لك منا.

فقال عثمان: فرغتم من جميع ما تريدون؟ قالوا: نعم، قال: الحمد لله، أحمَده وأستعينُه، وأومن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله؛ أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون. أمّا بعد، فإنكم لم تعدلوا في المنطق، ولم تنصفوا في القضاء؛ أما قولكم: تخلع نفسك، فلا أنزع قميصاً قمّصنيه الله عزّ وجلّ وأكرمني به، وخصّني به على غيري؛ ولكني أتوب وأنزع ولا أعود لشيء عابه المسلمون؛ فإني والله الفقير إلى الله الخائف منه. قالوا: إنّ هذا لو كان أوّل حدَث أحدثته ثم تبت منه ولم تقم عليه؛ لكان علينا أن نقبل منك، وأن ننصرف عنك؛ ولكنه قد كان منك من الإحداث قبل هذا ما قد علمت، ولقد انصرفنا عنك في المرة الأولى، وما نخشى أن تكتب فينا، ولا من اعتللت به بما وجدنا في كتابك مع غلامك. وكيف نقبل توْبتَك وقد بلونا منك أنك لا تعطي من نفسك التوبة من ذنب إلاّ عدتَ إليه؛ فلسنا منصرفين حتى نعزلَك ونستبدلَ بك، فإن حالَ مَن معك من قومك وذوي رحمك وأهل الانقطاع إليك دونك بقتال قاتلناهم؛ حتى نخلص إليك فنقتلك أو تلحق أرواحُنا بالله. فقال عثمان: أمّا أن أتبرّأ من الإمارة؛ فإن تصلبوني أحبّ إليّ من أن أتبرّأ من أمر الله عزّ وجلّ

وخلافته. وأما قولكم: تقاتلون من قاتل دوني؛ فإنّي لا آمر أحداً بقتالكم؛ فمن قاتل دوني فإنما قاتل بغير أمري؛ ولعمري لو كنتُ أريد قتالكم، لقد كنت كتبتُ إلى الأجناد فقادوا الجنود، وبعثوا الرّجال، أو لحقت ببعض أطرافي بمصر أو عراق؛ فالله اللهَ في أنفسكم فأبقوا عليها إن لم تُبقوا عليّ؛ فإنكم مجتلبون بهذا الأمر ـ إن قتلتموني ـ دماً. قال: ثمّ انصرفوا عنه وآذنوه بالحرب، وأرسل إلى محمد بن مسلمة فكلّمه أن يردّهم، فقال: والله لا أكذب الله في سنة مرتين[1]. (٤: ٣٧٥/ ٣٧٦/ ٣٧٧).

٨١٥ ـ قال محمد بن عمر: حدّثني محمد بن مسلم، عن موسى بن عُقْبة، عن أبي حبيبة، قال: نظرت إلى سعد بن أبي وقاص يوم قُتل عثمان؛ دخل عليه ثم خرج من عنده وهو يسترجع مما يرى على الباب؛ فقال له مرْوان: الآن تندم! أنت أشعرته. فأسمع سعداً يقول: أستغفر الله، لم أكن أظنّ الناس يجترئون هذه الجرأة، ولا يطلبون دمه، وقد دخلت عليه الآن فتكلم بكلام لم تحضره أنت ولا أصحابك، فنزع عن كلّ ما كُرِه منه، وأعطى التوبة، وقال: لا أتمادى في الهلكة؛ إنّ مَن تمادَى في الجوْر كان أبعد من الطريق؛ فأنا أتوب وأنزع. فقال مروان: إن كنتَ تريد أن تذبّ عنه؛ فعليك بابن أبي طالب، فإنه متستّر، وهو لا يُجْبَه؛ فخرج سعد حتى أتى عليّاً وهو بين القبر والمنبر، فقال: يا أبا حسَن! قم فداك أبي وأمّي! جئتك والله بخير ما جاء به أحد قطّ إلى أحد، تصل رحِم ابن عمّك، وتأخذ بالفضل عليه، وتحقِن دمه، ويرجع الأمر على ما نحبّ، قد أعطى خليفتُك من نفسه الرّضا. فقال عليّ: تقبّل الله منه يا أبا إسحاق! والله ما زلتُ أذبّ عنه حتى إني لأستحي؛ ولكن مروان، ومعاوية، وعبد الله بن عامر، وسعيد بن العاص هم صنعوا به ما ترى؛ فإذا نصحتُه وأمرته أن ينحّيَهم استغشني حتى جاء ما ترى. قال: فبينا هم كذلك جاء محمد بن أبي بكر، فسارَّ عليّاً؛ فأخذ عليٌّ بيدي، ونهض عليٌّ وهو يقول: وأيّ خير توبتُه هذه! فوالله ما بلغت داري حتى سمعت الهائعة: أن عثمان قد قتل؛ فلم نزل والله في شرّ إلى يومنا هذا.

قال محمد بن عمر: وحدّثني شُرحبيل بن أبي عوْن عن يزيد بن أبي حبيب،

---

(١) الإسناد إلى الواقدي منقطع، أضف إلى ذاك أن الواقدي متروك.

عن أبي الخير ، قال: لما خرج المصريّون إلى عثمان رضي الله عنه؛ بعث عبد الله بن سعد رسولاً أسرع السير يعلم عثمان بمخرجهم ، ويخبره أنهم يُظهرون: أنهم يريدون العمرة. فقدم الرّسول على عثمان بن عفان ، يخبرهم فتكلم عثمان ، وبعث إلى أهل مكة يحذّر مَن هناك هؤلاء المصريين ، ويخبِّرهم أنهم قد طعنوا على إمامهم. ثمّ إن عبد الله بن سعد خرج إلى عثمان في آثار المصريين ـ وقد كان كتب إليه يستأذنه في القدوم عليه ، فأذن له ـ فقدم ابن سعد؛ حتى إذا كان بأيْلة بلغه أنّ المصريين قد رجعوا إلى عثمان ، وأنهم قد حصروه ، ومحمد بن أبي حُذيفة بمصر؛ فلما بلغ محمداً حَصْرُ عثمان وخروجُ عبد الله بن سعد عنه غلب على مصر ، فاستجابوا له ، فأقبل عبد الله بن سعد يريد مصر ، فمنعه ابنُ أبي حُذيفة ، فوجّه إلى فلسطين ، فأقام بها حتى قُتِل عثمان رضي الله عنه ، وأقبل المصريون حتى نزلوا بالأسواف ، فحصروا عثمان ، وقدم حُكَيم بن جبلة من البصرة في ركب ، وقدم الأشتر في أهل الكوفة ، فتوافَوْا بالمدينة ، فاعتزل الأشترِ؛ فاعتزل حُكَيم بن جبلة ، وكان ابن عُديس وأصحابه هم الذين يحصرون عثمانَ ، فكانوا خمسمئة ، فأقاموا على حصاره تسعة وأربعين يوماً ، حتى قُتل يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين[1]. (٤ : ٣٧٧/ ٣٧٨).

٨١٦ ـ قال محمد: وحدّثني إبراهيم بن سالم ، عن أبيه ، عن بُسر بن سعيد ، قال: وحدّثني عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة ، قال: دخلتُ على عثمان رضي الله عنه ، فتحدثتُ عنده ساعة ، فقال: يا بن عياش ، تعال فأخذ بيدي ، فأسمعني كلامَ مَنْ على باب عثمان ، فسمعنا كلاماً؛ منهم من يقول: ما تنتظرون به؟ ومنهم من يقول: انظروا عسى أن يراجع ، فبينا أنا وهو واقفان ، إذ مرّ طلحة بن عبيد الله؛ فوقف فقال: أين ابن عُديس؟ فقيل: ها هو ذا ، قال: فجاءه ابن عُدَيس ، فناجاه بشيء ، ثم رجع ابن عُدَيس فقال لأصحابه: لا تتركوا أحداً يدخل على هذا الرجل؛ ولا يخرج من عنده. قال: فقال لي عثمان: هذا ما أمر به طلحة بن عبيد الله. ثم قال عثمان: اللهمّ اكفني طلحةَ بن عبيد الله ، فإنه حمل عليّ هؤلاء وألَّبهم؛ والله إني لأرجو أن يكون منها صفراً ، وأن يُسفَك دمه ، إنه

(١) الخبر إلى الواقدي منقطع والواقدي متروك.

انتهك مني ما لا يحلّ له ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا يحلّ دم امرىء مسلم إلا في إحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه فيقتل ، أو رجل زنى بعد إحصانه فيرجَم ، أو رجل قتل نفساً بغير نفس» ، ففيم أقتل! قال: ثم رجع عثمان. قال ابن عياش: فأردت أن أخرج فمنعوني حتى مرّ بي محمد بن أبي بكر ، فقال: خلّوه ، فخلّوني[1]. (٤ : ٣٧٨/٣٧٩).

٨١٧ ـ قال محمد: حدثني يعقوب بن عبد الله الأشعريّ عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزَى ، عن أبيه ، قال: رأيتُ اليوم الذي دُخل فيه على عثمان، فدخلوا من دار عمرو بن حزم خَوخة هناك حتى دخلوا الدار ، فناوشوهم شيئاً من مناوشة ، ودخلوا ، فوالله ما نسينا أن خرج سُودان بن حمران ، فأسمعه يقول: أين طلحة بن عبيد الله؟ قد قتلْنا ابن عفان![2].

٨١٨ ـ قال محمد بن عمر: وحدّثني شُرَحبيل بن أبي عون عن أبيه ، عن أبي حفصة اليمانيّ ، قال: كنت لرجل من أهل البادية من العرب ، فأعجبته ـ يعني: مروان ـ فاشتراني ، واشترى امرأتي ، وولدي ، فأعتقنا جميعاً؛ وكنت أكون معه ، فلما حُصر عثمان رضي الله عنه ، شمّرتْ معه بنو أمية ، ودخل معه مرْوان الدار. قال: فكنتُ معه في الدار ، قال: فأنا والله أنشبت القتال بين الناس؛ رميت من فوق الدار رجلاً من أسلَم فقتلته؛ وهو نيار الأسلميّ ، فنشب القتال ، ثم نزلت ، فاقتتل الناس على الباب ، وقاتل مروان حتى سقط فاحتملته ، فأدخلته بيت عجوز ، وأغلقت عليه ، وألقى الناس النيران في أبواب دار عثمان ، فاحترق بعضها ، فقال عثمان: ما احترق الباب إلاّ لما هو أعظم منه ، لا يحرّكنّ رجل منكم يده؛ فوالله لو كنت أقصاكم لتخطَّوكم حتى يقتلوني ، ولو كنت أدناكم ما جاوزوني إلى غيري ، وإني لصابر كما عهد إليّ رسول الله ﷺ ، لأُصرعنّ مصرعي الذي كتب الله عزّ وجلّ. فقال مروان: والله لا تقتَل وأنا أسمع الصوت ، ثم خرج بالسيف على الباب يتمثّل بهذا الشعر:

قد عَلِمَتْ ذاتُ القُرونِ المِيلِ والكَفِّ والأنامِلِ الطُّفُولِ

---

(١) الإسناد إلى الواقدي منقطع ، والواقدي متروك.

(٢) الواقدي متروك.

أنِّـــــي أَرُوعُ أوّلَ الـــــرَّعيــــلِ   بفـــارِهٍ مِثْــــلِ قَطَـــا الشَّليـــلِ[1]

(٤ : ٣٧٩/ [illegible]).

٨٠٩ ـ قال محمد: وحدّثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه، عن أبي حفصة، قال: لما كان يوم الخميس دلّيت حجراً من فوق الدار، فقتلت رجلاً من أسلم يقال له: نِيار، فأرسلوا إلى عثمان: أن أمكنّا من قاتله. قال: والله ما أعرف له قاتلاً، فباتوا ينحرفون علينا ليلة الجمعة بمثل النيران، فلما أصبحوا غدوا، فأوّل من طلع علينا كنانة بن عتّاب، في يده شعلة من نار على ظهر سطوحنا، قد فتح له من دار آل حزم، ثم دخلت الشُّعَل على أثره تُنضَح بالنِّفْط؛ فقاتلناهم ساعة على الخشب، وقد اضطرم الخشب، فأسمع عثمان يقول لأصحابه: ما بعد الحريق شيء! قد احترق الخشب، واحترقت الأبواب، ومَن كانت لي عليه طاعة فليمسك دارَه؛ فإنما يريدني القوم، وسيندمون على قتلي؛ والله لو تركوني؛ لظننت أني لا أحبّ الحياة؛ ولقد تغيّرت حالي، وسقط أسناني، ورقّ عظمي.

قال: ثم قال لمروان: اجلس فلا تخرج، فعصاه مروان، فقال: والله لا تُقتل، ولا يُخلص إليك، وأنا أسمع الصوت، ثم خرج إلى الناس. فقلت: ما لمولاي مُترّك! فخرجت معه أذبّ عنه، ونحن قليل، فأسمع مروان يتمثّل:

قـــد علمـــتْ ذاتُ القـــرون المِيـــلِ   والكـــف والأنــــامِــــل الطُّفُــــولِ

ثم صاح: مَنْ يبارز؟ وقد رفع أسفل درعه؛ فجعله في منطقته. قال: فيثب إليه ابن النِّبَاع فضربه ضربة على رقبته من خلْفه فأثبته؛ حتى سقط، فما ينبض منه عرق، فأدخلتُه بيتَ فاطمة بنة أوْس جدّة إبراهيم بن العَدِيّ. قال: فكان عبد الملك وبنو أميّة يعرفون ذلك لآل العَديّ[2]. ([illegible]).

٨١٠ ـ حدّثني أحمد بن عثمان بن حكيم، قال: حدّثنا عبدُ الرحمن بن شريك، قال: حدّثني أبي عن محمد بن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة بن الأخنس، عن ابن الحارث بن أبي بكر، عن أبيه أبي بكر بن الحارث بن هشام،

---

(١) الواقدي متروك.
(٢) الواقدي متروك.

قال: كأني أنظر إلى عبد الرحمن بن عُدَيس البلويّ وهو مسند ظهره إلى مسجد نبيّ الله ﷺ وعثمان بن عفان رضي الله عنه محصور، فخرج مرْوان بن الحكم، فقال: مَن يبارز؟ فقال عبد الرحمن بن عُدَيس لفلان بن عُروة: قم إلى هذا الرّجل، فقام إليه غلام شابٌ طُوال؛ فأخذ رَفرف الدرع فغرزه في منطقته، فأعور له عن ساقه، فأهوى له مروان وضربه ابن عروة على عُنقه، فكأني أنظر إليه حين استدار. وقام إليه عبيد بن رفاعة الزُّرَقيّ ليدفِّف عليه، قال: فوثبت عليه فاطمة ابنة أوس جدّة إبراهيم بن عديّ ـ قال: وكانت أرضعت مروان، وأرضعت له ـ فقالت: إن كنت إنما تريد قتل الرجل فقد قتِل؛ وإن كنت تريد أن تلعب بلحمه فهذا قبيح. قال: فكفّ عنه، فما زالوا يشكرونها لها، فاستعملوا ابنها إبراهيم بعد.

وقال ابن إسحاق: قال عبد الرحمن بن عُدَيس البلويّ حين سار إلى المدينة من مصر:

أقْبلْنَ مِنْ بَلْبيسَ والصَّعيدِ مُسْتَحْقباتٍ حَلَقَ الحَديدِ
يَطْلُبنَ حَقَّ الله في سَعيدِ حتى رَجَعْنَ بالذي نريدُ[1]

(٤ : ٣٨١).

٨٢١ ـ حدّثني جعفر بن عبد الله المحمديّ، قال: حدّثنا عمرو بن حماد، وعليّ بن حسين، قالا: حدّثنا حسين بن عيسى عن أبيه، قال: لما مضت أيام التشريق أطافوا بدار عثمان رضي الله عنه، وأبى إلاّ الإقامة على أمره، وأرسل إلى حشمه وخاصّته فجمعهم، فقام رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال له: نِيار بن عياض ـ وكان شيخاً كبيراً ـ فنادى: يا عثمان! فأشرف عليه من أعلى داره؛ فناشده الله، وذكَّره الله لمَّا اعتزلهم! فبينا هو يراجعه الكلام إذ رَماه رجل من أصحاب عثمان فقتله بسهم، وزعموا: أنّ الذي رماه كَثير بن الصَّلْت الكنديّ؛ فقالوا لعثمان عند ذلك: ادفع إلينا قاتل نِيار بن عياض فلنقتله به، فقال: لم أكن لأقتل رجلاً نصرني؛ وأنتم تريدون قتلي؛ فلمَّا رأوا ذلك ثاروا إلى بابه فأحرقوه؛ وخرج عليهم مرْوان بن الحكم من دار عثمان في عصابة، وخرج سعيد بن

(١) في إسناده عبد الرحمن بن شريك، قال أبو حاتم: واهي الحديث، وأبوه صدوق يخطىء كثيراً.

العاص في عصابة ، وخرج المغيرة بن الأخنس بن شَرِيق الثقفيّ حليف بني زُهرة في عصابة؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً؛ وكان الذي حدَاهم على القتال: أنه بلغهم أن مَدداً من أهل البصرة قد نزلوا صِراراً ـ وهي من المدينة على ليلة ـ وأن أهل الشام قد توجّهوا مقبلين ، فقاتلوهم قتالاً شديداً على باب الدّار ، فحمل المغيرة بن الأخنس الثقفيّ على القوم وهو يقول مرتجزاً:

قَدْ عَلِمَتْ جارِيَةٌ عُطْبولُ   لها وِشاحٌ وَلها حُجولُ

أنّي بنَصْلِ السَّيْفِ خَنْشَلِيلُ

فحمل عليه عبد الله بن بُدَيل بن ورقاء الخُزاعي ، وهو يقول:

إنْ تَكُ بالسّيْفِ كما تَقُولُ   فاثْبتْ لِقِرْنٍ ماجِدٍ يَصولُ

بمشْرَفيّ حَدُّهُ مَصْقولُ

فضربه عبد الله فقتله ، وحمل رفاعة بن رافع الأنصاريّ ، ثم الزرَقيّ على مروان بن الحكم ، فضربه فصرعه ، فنزل عنه وهو يرى أنه قتله؛ وجرح عبد الله ابن الزبير جراحات ، وانهزم القوم حتى لجؤوا إلى القصر ، فاعتصموا ببابه ، فاقتتلوا عليه قتالاً شديداً ، فقتلَ في المعركة على الباب زياد بن نُعَيْم الفهريّ في ناس من أصحاب عثمان ، فلم يزل الناس يقتتلون حتى فتح عمرو بن حزم الأنصاريّ باب داره وهو إلى جنب دار عثمان بن عفان ، ثمّ نادى الناس فأقبلوا عليه من داره ، فقاتلوهم في جَوْف الدار حتى انهزموا ، وخلّى لهم عن باب الدار؛ فخرجوا هُرّاباً في طرق المدينة؛ وبقيَ عثمان في أناس من أهل بيته وأصحابه فقتلوا معه؛ وقُتِل عثمان رضي الله عنه[١]. (٤ : ٣٨١/ ٣٨٢/ ٣٨٣).

٨٢٢ ـ قال أبو المعتمر: فحدّثنا الحسن: أنّ محمد بن أبي بكر دخل عليه فأخذ بلحيته. قال: فقال له: قد أخذت منّا مأخذاً ، وقعدتَ مني مقعداً ما كان أبو بكر ليقعده أو ليأخذه. قال: فخرج وتركه. قال: ودخل عليه رجل يقال له: الموت الأسود. قال: فخنقه ثم خفقه. قال: ثم خرج فقال: والله ما رأيت شيئاً

---

(١) في إسناده مجاهيل الحال ، وهو خبر منكر.

قطّ ألينَ من حلقه؛ والله لقد خنقته حتى رأيت نَفَسه يتردّد في جسده كنفس الجانّ. قال: فخرج [١]. (٤: ٣٨٣/ ٣٨٤).

٨٢٣ ـ قال في حديث أبي سعيد: دخل على عثمان رجل، فقال: بيني وبينك كتاب الله ـ قال: والمصحف بين يديه ـ قال: فيُهوي له بالسيف، فاتّقاه بيده، فقطعها، فقال: لا أدري أبانها أم قطعها ولم يُبنها. قال: فقال: أما والله إنها لأوّل كفّ خطّت المفصّل. وقال في غير حديث أبي سعيد: فدخل عليه التُّجيبيّ، فأشعره مِشْقَصاً فانتضح الدّم على هذه الآية: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ قال: فإنها في المصحف ما حُكّت.

قال: وأخذت ابنة الفَرافصة ـ في حديث أبي سعيد ـ حَليَها فوضعته في حجرها، وذلك قبل أن يقتَل، قال: فلما أشعرَ ـ أو قال: قتل ـ ناحت عليه. قال: فقال بعضهم: قاتلها الله! ما أعظم عجيزتها! قال: فعلمت أن عدوّ الله لم يرد إلاّ الدنيا [٢]. (٤: ٣٨٤).

٨٢٤ ـ وأما سيف، فإنه قال ـ فيما كتب إلي السريّ عن شعيب، عنه: ذُكِر عن بدر بن عثمان، عن عمّه، قال: آخر خطبة خطبها عثمان رضي الله عنه في جماعة: إنّ الله عزّ وجلّ إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركنوا إليها، إنّ الدنيا تفنَى، والآخرة تبقى؛ فلا تبطرنّكم الفانية، ولا تشغلنّكم عن الباقية؛ فآثروا ما يبقَى على ما يفنى؛ فإن الدنيا منقطعة؛ وإنّ المصير إلى الله. اتقوا الله جلّ وعزّ، فإنّ تقواه جُنّة من بأسه، ووسيلة عنده؛ واحذَروا من الله الغيَر، والزموا جماعتكم، لا تصيروا أحزاباً، ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [٣]. (٤: ٣٨٤).

٨٢٥ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، وأبي حارثة، وأبي عثمان، قالوا: لما قضى عثمان في ذلك المجلس حاجاته، وعزم، وعزم له المسلمون على الصبر والامتناع عليهم بسلطان الله، قال:

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

اخرجوا رحمكم الله فكونوا بالباب ، وليجامعكم هؤلاء الذين حُبِسوا عني. وأرسل إلى طلحة ، والزبير ، وعليّ ، وعدّة: أن ادنُوا. فاجتمعوا فأشرف عليهم ، فقال: يا أيّها الناس ! اجلسوا ، فجلسوا جميعاً: المحارب الطارىء ، والمسالم المقيم ، فقال: يا أهلَ المدينة؛ إنّي أستودعكم الله ، وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدي؛ وإنّي والله لا أدخل على أحدٍ بعد يومي هذا حتى يقضي الله فيّ قضاءه؛ ولأدعَنّ هؤلاء وما وراء بابي غير معطيهم شيئاً يتّخذونه عليكم دَخلاً في دين الله ، أو دنيا حتى يكون الله عزّ وجلّ الصانع في ذلك ما أحبّ. وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم ، فرجعوا إلاّ الحسن ، ومحمداً ، وابن الزبير ، وأشباهاً لهم؛ فجلسوا بالباب عن أمر آبائهم؛ وثاب إليهم ناس كثير ، ولزم عثمان الدار[١]. (٤ : ٣٨٥).

٨٢٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي حارثة ، وأبي عثمان ، ومحمد ، وطلحة ، قالوا: كان الحصر أربعين ليلة والنزول سبعين ، فلما مضت من الأربعين ثماني عشرة ، قدم ركبان من الوجوه ، فأخبروا خبر من قد تهيّأ إليهم من الآفاق: حبيب من الشأم ، ومعاوية من مصر ، والقعقاع من الكوفة ، ومجاشع من البصرة؛ فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان؛ ومنعوه كلّ شيء حتى الماء؛ وقد كان يدخل عليّ بالشيء مما يريد. وطلبوا العلل فلم تطلع عليهم علّة ، فعثروا في داره بالحجارة ليُرْمَوْا؛ فيقولوا: قوتلنا ـ وذلك ليلاً ـ فناداهم: ألا تتّقون الله! ألا تعلمون أنّ في الدار غيري! قالوا: لا والله ما رميناك. قال: فمن رمانا؟ قالوا: الله ، قال: كذبتم؛ إنّ الله عزّ وجلّ لو رمانا لم يخطئنا وأنتم تخطئوننا. وأشرف عثمان على آل حَزْم وهم جيرانه؛ فسرّح ابناً لعمرو إلى عليّ بأنهم قد منعونا الماء ، فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا شيئاً من الماء؛ فافعلوا. وإلى طلحة وإلى الزبير ، وإلى عائشة رضي الله عنها ، وأزواج النبيّ ﷺ ؛ فكان أوّلهم إنجاداً له عليّ ، وأمّ حبيبة؛ جاء عليّ في الغلَس ، فقال: يا أيّها الناس ! إنّ الذي تصنعون لا يشبه أمرَ المؤمنين ولا أمر الكافرين؛ لا تقطعوا عن هذا الرجل المادّة؛ فإن الرّوم ، وفارس لتأسِرُ فتطعِم ، وتسقي؛ وما تعرّض لكم هذا الرّجل؛ فبم تستحلّون حصره وقتله! قالوا: لا والله ولا نعمة

---

(١) إسناده ضعيف.

عين؛ لا نتركه يأكل ، ولا يشرب ! فرمى بعمامته في الدار بأنّي قد نهضت فيما أنهضتني؛ فرجع. وجاءت أم حبيبة على بغلة لها برحالة مشتملةً على إداوة ، فقيل: أم المؤمنين أم حبيبة ، فضربوا وجه بغلتها ، فقالت: إنّ وصايا بني أميّة إلى هذا الرجل ، فأحببت أن ألقاه فأسأله عن ذلك كيلا تهلِك أموال أيتام وأرامل. قالوا: كاذبة ، وأهوْوا لها وقطعوا حبل البغلة بالسيف ، فندّت بأمّ حبيبة ، فتلّقاها الناس ، وقد مالت رحالتها ، فتعلّقوا بها وأخذوها وقد كادت تقتل ، فذهبوا بها إلى بيتها. وتجهزت عائشة خارجة إلى الحجّ هاربة ، واستتبعت أخاها ، فأبَى؛ فقالت: أما والله لئن استطعتُ أن يحرمهم الله ما يحاولون لأفعلنّ !

وجاء حنظلة الكاتب حتى قام على محمد بن أبي بكر ، فقال: يا محمد ! نستتبعك أم المؤمنين فلا تتبعُها ، وتدعوك ذؤبان العرب إلى ما لا يحلّ فتتبعهم! فقال: ما أنت وذاك يا بن التميميّة! فقال: يا بن الخثعميّة ! إن هذا الأمر إن صار إلى التغالُب؛ غلبتك عليه بنو عبد مناف ، وانصرف وهو يقول:

عَجِبْتُ لِما يَخوضُ الناسُ فيهِ ... يرومونَ الخِلافَةَ أن تزولا

ولَوْ زالَتْ لزال الخَيْرُ عَنْهُمْ ... ولاقَوْا بَعْدَها ذُلاً ذَليلا

وكانوا كاليَهودِ أو النَّصارَى ... سواءٌ كُلُّهُمْ ضَلُّوا السبيلا

ولحق بالكوفة. وخرجت عائشة وهي ممتلئة غيظاً على أهل مصر ، وجاءها مَرْوان بن الحكم ، فقال: يا أمَّ المؤمنين ! لو أقمتِ كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجلَ ، فقالت: أتريد أن يُصنع بي كما صُنع بأمّ حبيبة ، ثم لا أجد من يمنعني! لا والله ولا أعيَّر ولا أدري إلام يسْلم أمر هؤلاء! وبلغ طلحةَ ، والزبيرَ ما لقي عليّ ، وأم حبيبة ، فلزِموا بيوتهم ، وبقيَ عثمان يسقيه آل حزم في الغَفَلات ، عليهم الرّقباء ، فأشرف عثمان على الناس ، فقال: يا عبد الله بن عباس ! ـ فدعي له ـ فقال: اذهب فأنت على الموسم ـ وكان ممّن لزم الباب ـ فقال: والله يا أميرَ المؤمنين لجهاد هؤلاء أحبّ إليّ من الحج؛ فأقسم عليه لينطلقنّ. فانطلق ابن عباس على الموسم تلك السنة؛ ورمى عثمان إلى الزبير بوصيّته ، فانصرف بها ـ وفي الزبير اختلاف: أأدرك مقتله ، أو خرج قبله ـ وقال عثمان: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ . . .﴾ الآية ، اللهم حُل بين

الأحزاب وبين ما يأملون كما فُعل بأشياعهم من قبل[1]. (٤: ٣٨٥/ ٣٨٦/ ٣٨٧).

٨٢٧ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد، قال: بعثتْ ليلى بنة عُمَيس إلى محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر، فقالت: إنّ المصباحَ يأكلُ نفسه، ويضيء للناس؛ فلا تأثما في أمرٍ تسوقانه إلى مَن لا يأثَم فيكما؛ فإنّ هذا الأمر الذي تحاولون اليوم لغيركم غداً، فاتقوا أن يكون عملكم اليوم حسرة عليكم؛ فلجّا، وخرجا مغضَبين يقولان: لا ننسى ما صنع بنا عثمان؛ وتقول: ما صنع بكما! ألاّ ألزمكما الله! فلقيهما سعيد بن العاص، وقد كان بين محمد بن أبي بكر وبينه شيء، فأنكره حين لقيه خارجاً من عند ليلى، فتمثل له في تلك الحال بيتاً:

اسْتبْقِ وُدَّكَ للصَّديق ولا تكُنْ فيْئاً يَعَضُّ بخاذِلٍ مِلْجاجا

فأجابه سعيد متمثلاً:

تَرَوْنَ إذاً ضَرْباً صميماً مِنَ الذي له جانبٌ ناءٍ عَن الجُرْمِ مُعْوِرُ[2]

(٤: ٣٨٧).

٨٢٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، وأبي حارثة، وأبي عثمان، قالوا: فلمّا بويع الناس جاء السابق فقَدِم بالسلامة، فأخبرهم من الموسم أنهم يريدون جميعاً المصريين وأشياعهم، وأنهم يريدون أن يجمعوا ذلك إلى حجّهم؛ فلمّا أتاهم ذلك مع ما بلغهم من نفور أهل الأمصار؛ أعلقهم الشيطان، وقالوا: لا يخرجُنا مما وقعنا فيه إلاّ قتلُ هذا الرجل؛ فيشتغل بذلك الناس عنّا، ولم يبق خَصْلة يرجون بها النجاة إلا قتله، فراموا الباب؛ فمنعهم من ذلك الحسن، وابن الزبير، ومحمد بن طلحة، ومروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، ومَن كان من أبناء الصحابة أقام معهم، واجتلدوا، فناداهم عثمان: اللهَ اللهَ! أنتم في حلٍّ من نصرتي! فأبوا، ففتح الباب، وخرج ومعه التّرس والسيف لينهنهَهُم؛ فلما رأوْه أدبر المصريون، وركبهم هؤلاء،

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

ونهنهُهم ، فتراجعوا ، وعظم على الفريقين ، وأقسم على الصحابة ليدخلُنّ ، فأبوا أن ينصرفوا ، فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين ـ وقد كان المغيرة بن الأخنس بن شريق فيمن حجّ ، ثم تعجّل في نفر حجّوا معه ، فأدرك عثمان قبل أن يقتَل ، وشهد المناوشة ، ودخل الدار فيمن دخل ، وجلس على الباب من داخل ؛ وقال : ما عذرنا عند الله إن تركناك ونحن نستطيع ألاّ ندعهم حتى نموت! فاتّخذ عثمان تلك الأيام القرآن نَحْباً ، يصلّي وعنده المصحف ؛ فإذا أعيا جلس فقرأ فيه ـ وكانوا يروْن القراءة في المصحف من العبادة ـ وكان القوم الذين كفكفهم بينه وبين الباب ؛ فلما بقي المصريون لا يمنعهم أحد من الباب ، ولا يقدرون على الدخول ؛ جاؤوا بنار ، فأحرقوا الباب والسقيفة ، فتأجّجَ الباب والسقيفة ؛ حتى إذا احترق الخشب خرّت السقيفة على الباب ، فثار أهل الدار وعثمان يصلّي ؛ حتى منعوهم الدخول ؛ وكان أول مَنْ برز لهم المغيرة بن الأخنس ، وهو يرتجز :

قد عَلِمَتْ جارِيَةٌ عُطبولُ ذاتُ وشاحٍ ولَها جديلُ
أنّى بِنَصْلِ السَّيْفِ خَنْشَليلُ لأمْنَعَنَّ مِنْكُمُ خليلي
بصارِمٍ ليس بذي فُلولِ

وخرج الحسن بن عليّ وهو يقول :

لا دينُهُمْ ديني ولا أنا مِنْهُمُ حتى أسيرَ إلى طَمارِ شَمامِ

وخرج محمد بن طلحة وهو يقول :

أنا ابنُ من حامى عليه بأُحُدْ ورَدّ أحْزَاباً على رغْمِ مَعَدّ

وخرج سعيد بن العاص وهو يقول :

صَبَرْنا غَداةَ الدارِ والمَوْتُ واقِبُ بأسْيافنا دون ابْنِ أرْوَى نُضارِبُ
وكنّا غَداة الرَّوْعِ في الدار نُصْرَةً نشافِهُهُمْ بالضَّرْبِ والموْتُ ثاقِبُ

فكان آخر من خرج عبد الله بن الزبير ؛ وأمره عثمان أن يصير إلى أبيه في وصيّة بما أراد ، وأمره أن يأتيَ أهل الدار ، فيأمرهم بالانصراف إلى منازلهم ، فخرج عبد الله بن الزبير آخرَهم ؛ فما زال يدّعي بها ، ويحدّث الناس عن عثمان بآخر ما مات عليه[1] . (٤ : ٣٨٧/ ٣٨٨/ ٣٨٩) .

---

(١) إسناده ضعيف .

٨٢٩ ـ كتب إليّ السَّريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبيّ ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : قلت لعليّ : إنّ هذا الرجل مقتول، وإنّه إن قتل وأنت بالمدينة اتّخذوا فيك ، فاخرج فكن بمكان كذا وكذا، فإنك إن فعلت، وكنت في غار باليمن طلبك الناس؛ فأبى ، وحُصِر عثمان اثنين وعشرين يوماً، ثم أحرقوا الباب؛ وفي الدار أناس كثير؛ فيهم عبدُ الله بن الزُّبير ، ومروان ، فقالوا: ائذن لنا؛ فقال: إنّ رسولَ الله ﷺ عهِد إليّ عهداً ، فأنا صابر عليه؛ وإنّ القوم لم يحرقوا باب الدّار إلا وهم يطلبون ما هو أعظم منه، فأحرّجُ على رجل يستقتِل ويقاتل؛ وخرج الناس كلهم؛ ودعا بالمصحف يقرأ فيه والحسن عنده ، فقال: إنّ أباك الآن لفي أمر عظيم؛ فأقسمتُ عليك لما خرجت! وأمر عثمان أبا كرب ـ رجلاً من هَمْدان ـ وآخر من الأنصار أن يقوما على باب بيت المال؛ وليس فيه إلا غرارتان من ورق؛ فلما أطفئت النار بعد ما ناوشهم ابنُ الزبير ، ومروان ، وتوعّد محمد بن أبي بكر ابنَ الزبير، ومروان؛ فلما دخل على عثمان هربا. ودخل محمد بن أبي بكر على عثمان؛ فأخذ بلحيته ، فقال: أرسِل لحيتي؛ فلم يكن أبوك ليتناولها. فأرسلها؛ ودخلوا عليه؛ فمنهم من يجؤه بنعل سيفه ، وآخر يلكُزه؛ وجاءه رجل بمشاقِص معه ، فوجأه في تَرْقُوَته ، فسال الدّم على المصحف وهم في ذلك يهابون في قتله؛ وكان كبيراً؛ وغُشي عليه. ودخل آخرون فلما رأوه مغشيّاً عليه جرُّوا برجله؛ فصاحت نائلة وبناته، وجاء التُّجيبيّ مخترطاً سيفه ليضعه في بطنه ، فوقَتْه نائلة ، فقطع يدها ، واتّكأ بالسيف عليه في صدره. وقتل عثمان رضي الله عنه قبل غروب الشمس ، ونادى مناد: ما يحلّ دمُه ويحرَجُ ماله: فانتهبوا كلّ شيء ، ثم تبادروا بيت المال ، فألقى الرّجلان المفاتيح ونجوْا ، وقالوا: الهرب الهرب! هذا ما طلب القوم[1] . (٤ : ٣٩٢/ ٣٩٣) .

---

(١) إسناده ضعيف ، وفيه نكارة لا نظنها إلا من طريق شعيب الذي أراد هنا أن يلصق الهرب بابن الزبير ومروان عندما دخل محمد بن أبي بكر علىٰ عثمان ، وهذا يخالف ما ذكرنا في قسم الصحيح من رواية ابن عبد البر في الاستيعاب (٨/ ٤٥) من حديث كنانة وفيه: شهدت مقتل عثمان فأخرج من الدار أمامي أربعة من شباب قريش ملطخين بالدم محمولين كانوا يدرؤون عن عثمان رضي الله عنه الحسن بن علي ، وعبد الله بن الزبير ، ومحمد بن حاطب ، ومروان بن محمد بن الحكم.

ثم إن عملية نهب بيت المال لم نجده في رواية مسندة صحيحة والله أعلم.

٨٣٠ - وذكر محمد بن عمر: أنّ عبد الرحمن بن عبد العزيز حدّثه عن عبد الرحمن بن محمد: أنّ محمد بن أبي بكر تسوّر على عثمان من دار عمرو بن حزم، ومعه كنانة بن بِشْر بن عتّاب، وسُودان بن حُمران، وعمرو بن الحمق فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة وهو يقرأ في المصحف في سورة البقرة، فتقدّمهم محمد بن أبي بكر؛ فأخذ بلحية عثمان، فقال: قد أخزاك الله يا نعثل! فقال عثمان: لستُ بنعثل؛ ولكني عبدُ الله، وأمير المؤمنين. قال محمد: ما أغنى عنك معاوية، وفلان، وفلان! فقال عثمان: يابن أخي، دَعْ عنك لحيتي! فما كان أبوك ليقبض على ما قبضتَ عليه. فقال محمد: لو رآك أبي تعمل هذه الأعمال أنكرها عليك، وما أريد بك أشدّ من قبضي على لحيتك. قال عثمان: أستنصر الله عليك وأستعين به. ثم طعن جبينه بمشْقَص في يده. ورفع كنانة بن بشر مشاقصَ كانت في يده، فوجأ بها في أصْلِ أذُن عثمان، فمضت حتى دخلت في حَلْقه، ثمّ علاه بالسيف حتى قتله، فقال عبد الرحمن: سمعت أبا عون يقول: ضَرب كنانة بن بشر جَبينَه ومقدّم رأسه بعمود حديد، فخرّ لجبينه، فضَربه سودان بن حُمران المراديّ بعد ما خرّ لجبينه فقتله[1]. (٤: ٣٩٣/ ٣٩٤).

٨٣١ - قال محمد بن عمر: حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن عبد الرّحمن بن الحارث، قال: الذي قتَله كنانة بن بشر بن عتاب التُّجيبيّ. وكانت امرأة منظور بن سيار الفزاريّ تقول: خرجنا إلى الحجّ؛ وما علمنا لعثمان بقتل؛ حتى إذا كنّا بالعَرْج سمعنا رجلاً يتغنّى تحت الليل:

ألا إنَّ خيْـر النـاسِ بعـد ثـلاثـةٍ ... قتيلُ التُّجيبيّ الذي جاء من مِصْرِ

قال: وأما عمرو بن الحمق؛ فوثب على عثمان، فجلس على صدره وبه رمَق، فطعنه تسعَ طعنات. قال عمرو: فأما ثلاث منهنّ؛ فإني طعنتهنّ إيّاه لله؛ وأما ستّ فإني طعنتهن إيّاه لما كان في صدري عليه[2].

قال محمد: وحدّثني إسحاق بن يحيى، عن موسى بن طلحة، قال: رأيت عُروة بن شُيَيْم ضرب مروان يوم الدّار بالسيف على رقبتِه، فقطع إحدَى

إسناده إلى الواقدي منقطع، والواقدي متروك.
بين الطبري والواقدي انقطاع، والواقدي متروك.

علْباويه ، فعاش مروان أوْقص ؛ ومروان الذي يقول :

ما قُلتُ يومَ الدارِ للقَوْمِ حاجِزوا رُوَيْداً ولا اسْتبْقوا الحياةَ على القَتلِ
ولكنِّي قد قلتُ للقوم ماصِعُوا بأسيافِكُمْ كَيْمَا يَصِلْنَ إلى الكَهْلِ[١]

(٤ : ٣٩٤) .

٨٣٣ - قال محمد الواقديّ : وحدّثني يوسف بن يعقوب عن عثمان بن محمد الأخنسيّ ، قال : كان حصر عثمان قبل قدوم أهل مصر ، فقدم أهل مصر يوم الجمعة ، وقتلوه في الجمعة الأخرى[٢] . (٤ : ٣٩٤) .

٨٣٤ - وحدّثني عبد الله بن أحمد المروزيّ ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني سليمان ، قال : حدّثني عبد الله عن حَرْملة بن عمران ، قال : حدّثني يزيد بن أبي حبيب ، قال : وليَ قتلَ عثمان نهران الصبَحيّ ، وكان قاتِلَ عبد الله بن بُسرة ؛ وهو رجل من بني عبد الدّار[٣] . (٤ : ٣٩٤) .

٨٣٥ - قال محمد بن عمر : وحدّثني الحكم بن القاسم عن أبي عَوْن مولى المِسْوَر بن مخرمة ، قال : ما زال المصريّون كافّين عن دمه وعن القتال ؛ حتى قدمت أمدادُ العراق من البصرة ومن الكوفة ومن الشأم ؛ فلما جاؤوا شجعوا القوم ، وبلغهم : أنّ البعوث قد فصلت من العراق ومن مصر من عند ابن سعد ؛ ولم يكن ابن سعد بمصر قبل ذلك ؛ كان هارباً قد خرج إلى الشأم ، فقالوا : نعاجله قبل أن تقدم الأمداد[٤] (٤ : ٣٩٤/ ٣٩٥) .

٨٣٦ - قال محمد : وحدّثني الزّبير بن عبد الله عن يوسف بن عبد الله بن سلام ، قال : أشرف عثمان عليهم وهو محصور ؛ وقد أحاطوا بالدّار من كلّ ناحية ، فقال : أنشدكم بالله جلّ وعزّ ؛ هل تعلمون أنكم دعوتم الله عند مصاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يخيرَ لكم ، وأن يجمَعكم على خيركم! فما ظنُّكم بالله! أتقولونه : لم يستجب لكم ، وهُنْتم على الله سبحانه ، وأنتم يومئذ أهل حقّه من خلقه ، وجميع أموركم لم تتفرق! أم تقولون : هان على

---

(١) بين الطبري والواقدي انقطاع ، والواقدي متروك .
(٢) بين الطبري والواقدي انقطاع ، والواقدي متروك .
(٣) إسناده مرسل .
(٤) فيه الواقدي وهو متروك .

الله دينُه فلم يبال مَنْ ولاّه ، والدّين يومئذ يُعبد به الله ، ولم يتفرّق أهله ، فتوكلوا، أو تخْذلُوا ، وتعاقَبوا! أم تقولون: لم يكن أخذٌ عن مشورة؛ وإنما كابرتم مكابرة ، فوكّل الله الأمة إذا عصته لم تشاوروا في الإمام ، ولم تجتهدوا في موضع كراهته! أم تقولون: لم يَدْرِ الله ما عاقبة أمري؛ فكنتُ في بعض أمري محسناً ، ولأهل الدين رضاً ، فما أحدثتُ بعدُ في أمري ما يسْخط الله ، وتسْخَطون مما لم يعلم الله سبحانه يومَ اختارني ، وسربلني سربال كرامته! وأنشدكم بالله ، هل تعلمون لي من سابقة خير وسلف خير قدّمه الله لي ، وأشهدنيه من حقه! وجهادُ عدّوه حقٌّ على كلّ مَن جاء بعدي أن يعرفوا لي فضلَها. فمَهلاً ، لا تقتلوني؛ فإنه لا يحلّ إلا قتل ثلاثة: رجل زنى بعد إحصانه ، أو كَفَر بعد إسلامه ، أو قتل نفساً بغير نفس فيقتل بها؛ فإنكم إن قتلتموني وضعتم السيف على رقابكم؛ ثم لم يرفعه الله عزّ وجلّ عنكم إلى يوم القيامة. ولا تقتلوني فإنكم إن قتلتموني لم تُصلُّوا من بعدي جميعاً أبداً ، ولم تقتسموا بعدي فيئاً جميعاً أبداً ، ولن يرفع الله عنكم الاختلاف أبداً.

قالوا له: أمّا ما ذكرت من استخارةِ الله عزّ وجلّ الناس بعد عمر رضي الله عنه فيمن يولّون عليهم ، ثم ولّوْك بعد استخارة الله؛ فإنّ كلّ ما صنع الله الخيَرة؛ ولكن الله سبحانه جعل أمرك بليّةً ابتلى بها عباده. وأما ما ذكرت من قدَمك وسبْقك مع رسول الله ﷺ ، فإنك قد كنت ذا قِدَم وسلَفٍ ، وكنت أهلاً للولاية؛ ولكن بدّلْت بعد ذلك ، وأحدثت ما قد علمت. وأما ما ذكرت مما يصيبنا إن نحن قتلناك من البلاء؛ فإنه لا ينبغي تركُ إقامة الحقّ عليك مخافة الفتنة عاماً قابلاً. وأما قولك: إنه لا يحلّ إلاّ قتل ثلاثة؛ فإنا نجد في كتاب الله قتلَ غير الثلاثة الذين سمّيتَ؛ قَتْل مَن سعى في الأرض فساداً ، وقَتْل مَنْ بغَى ثم قاتل على بغيه ، وقتل مَن حال دون شيء من الحق ومنعه ثم قاتل دونه وكابر عليه؛ وقد بغيتَ ، ومنعتَ الحقّ ، وحُلت دونه؛ وكابرتَ عليه؛ تأبى أن تُقيدَ من نفسك مَن ظلمت عمداً ، وتمسّكت بالإمارة علينا وقد جُرْت في حكمك وقَسْمك! فإن زعمت: أنك لم تكابرنا عليه ، وأنّ الذين قاموا دونك ، ومنعوك منّا إنما يقاتلون بغير أمرك؛ فإنما

يقاتلون لتمسّكك بالإمارة؛ فلو أنّك خلعت نفسك؛ لانصرفوا عن القتال دونك[١]. (٤: ٣٩٥/٣٩٦).

ذكر بعض سِيَر عثمان بن عفان رضي الله عنه

٨٣٧ ـ حدّثني زياد بن أيّوب، قال: حدّثنا هُشيم، قال: زعم أبو المقدام عن الحسن بن أبي الحسن، قال: دخلت المسجد؛ فإذا أنا بعثمان بن عفان متّكِئاً على ردائه، فأتاه سقّاءان يختصمان، فقضى بينهما[٢]. (٤: ٣٩٦).

٨٣٨ ـ وفيما كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عمارة بن القعقاع، عن الحسن البصريّ، قال: كان عمرُ بن الخطاب قد حجَر على أعلام قُريش من المهاجرين الخروج في البلدان إلاّ بإذن وأجلٍ، فشكوه فبلغه، فقام فقال: ألا إنّي قد سننت الإسلام سَنَّ البعير؛ يبدأ فيكون جَذَعاً، ثم ثَنِيّاً، ثم رَباعياً، ثم سَديساً، ثم بازِلاً، ألا فهل يُنتظر بالبازل إلا النقصان! ألا فإنّ الإسلام قد بَزَل. ألا وإنّ قريشاً يريدون أن يتّخذوا مال الله معونات دون عباده، ألا فأما وابنُ الخطاب حيّ فلا؛ إني قائم دون شِعب الحرّة، آخذ بحلاقيم قريش وحُجَزها أن يتهافتوا في النار[٣]. (٤: ٣٩٦/ ٣٩٧).

٨٣٩ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، قالا: فلما وليَ عثمان لم يأخذهم بالذي كان يأخذهم به عمر، فانساحوا في البلاد، فلما رأوها ورأوا الدنيا، ورآهم الناس، انقطعَ إليهم من لم يكن له طَوْل ولا مزيّة في الإسلام؛ فكان مغموماً في الناس، وصاروا أوزاعاً إليهم وأمّلوهم، وتقدّموا في ذلك، فقالوا: يملكون فنكون قد عرفناهم، وتقدّمنا في التقرّب والانقطاع إليهم، فكان ذلك أوّل وهَنٍ دخل على الإسلام؛ وأوّل فتنة كانت في العامّة، ليس إلاّ ذلك[٤]. (٤: ٣٩٧).

---

(١) السند بين الطبري والواقدي منقطع، والواقدي متروك.

(٢) في إسناده الواقدي، وهو متروك.

(٣) إسناده ضعيف.

(٤) إسناده ضعيف.

٨٤٠ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبيّ ، قال: لم يمت عُمر رضي الله عنه حتى ملّته قريش ، وقد كان حصرهم بالمدينة ، فامتنع عليهم ، وقال: إنّ أخوفَ ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد؛ فإن كان الرجل ليَستأذنه في الغزو ـ وهو ممن حبس بالمدينة من المهاجرين؛ ولم يكن فعل ذلك بغيرهم من أهل مكة ـ فيقول: قد كان في غزوك مع رسول الله ﷺ ما يبلّغك؛ وخير لك من الغزو اليوم ألاّ ترى الدنيا ولا تراك ، فلما ولي عثمان خلّى عنهم ، فاضطربوا في البلاد ، وانقطع إليهم الناس ، فكان أحبّ إليهم من عمر[١] . (٤ : ٣٩٧).

٨٤١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشر بن الفُضَيل ، عن سالم بن عبد الله ، قال: لما ولي عثمان حجّ سنواته كلها إلا آخر حجّة ، وحجّ بأزواج رسول الله ﷺ كما كان يصنع عمر؛ فكان عبد الرحمن بن عوف في موضعه؛ وجعل في موضع نفسه سعيد بن زيد؛ هذا في مؤخّر القطار ، وهذا في مقدَّمه ، وأمِن الناس؛ وكتب في الأمصار أن يوافِيَه العمّال في كلّ موسِم ومن يشكونهم. وكتب إلى الناس إلى الأمصار؛ أن ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، ولا يُذلّ المؤمن نفسه ، فإني مع الضعيف على القويّ ما دام مظلوماً إن شاء الله. فكان الناس بذلك ، فجرى ذلك إلى أن اتّخذه أقوامٌ وسيلةً إلى تفريق الأمة[٢] . (٤ : ٣٩٧/٣٩٨).

٨٤٢ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، قالا: لم تمضِ سنة من إمارة عثمان حتى اتّخذ رجال من قريش أموالاً في الأمصار ، وانقطع إليهم الناس ، وثبتوا سبع سنين ، كلّ قوم يحبّون أن يَليَ صاحبهم. ثم إنّ ابن السوداء أسلم ، وتكلّم وقد فاضت الدنيا ، وطلعت الأحداث على يديه ، فاستطالوا عُمْرَ عثمان رضي الله عنه[٣] . (٤ : ٣٩٨).

٨٤٣ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عثمان بن حَكيم بن

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

عبّاد بن حُنَيف ، عن أبيه ، قال: أوّل منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدّنيا ، وانتهى وُسْع الناس طيَران الحمام والرّمي على الجُلاهقات ، فاستعمل عليها عثمان رجلاً من بني ليث سنة ثمان ، فقصّها وكسر الجُلاهقات.

وكتب إليّ السري عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله ، عن عمرو بن شعيب ، قال: أوّل من منع الحمام الطيّارة ، والجُلاهقات عثمان؛ ظهرت بالمدينة ، فأمّر عليها رجلاً ، فمنعهم منها[1]. (٤ : ٣٩٨).

٨٤٤ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، عن أبيه نحواً منه؛ وزاد: وحدث بين الناس النَّشْو. قال: فأرسل عثمان طائفاً يطوف عليهم بالعصا ، فمنعهم من ذلك ، ثم اشتدّ ذلك فأفشى الحدود ، ونبّأ ذلك عثمان ، وشكاه إلى الناس ، فاجتمعوا على أن يجلَدوا في النبيذ ، فأخذ نفرٌ منهم ، فجلدوا[2]. (٤ : ٣٩٨).

٨٤٥ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشّر بن الفضيل ، عن سالم بن عبد الله ، قال: لما حَدثت الأحداث بالمدينة؛ خرج منها رجال إلى الأمصار مجاهدين ، وليدنوا من العرب؛ فمنهم مَن أتى البصرة ، ومنهم مَنْ أتى الكوفة ، ومنهم من أتى الشام ، فهجموا جميعاً من أبناء المهاجرين بالأمصار على مثل ما حدث في أبناء المدينة إلاّ ما كان من أبناء الشام ، فرجعوا جميعاً إلى المدينة إلاّ مَن كان بالشام ، فأخبروا عثمان بخبرهم؛ فقام عثمان في الناس خطيباً ، فقال: يا أهلَ المدينة ! أنتم أصلُ الإسلام ، وإنّما يفسُد الناس بفسادكم ، ويصلحون بصلاحكم؛ والله والله والله لا يبلغني عن أحد منكم حدث أحدثه إلاّ سيّرته ! ألا فلا أعرفنّ أحداً عرض دون أولئك بكلام ولا طلب ، فإنّ من كان قبلكم كانت تقطَع أعضاؤهم دونَ أن يتكلم أحدٌ منهم بما عليه ولا له. وجعل عثمان لا يأخذ أحداً منهم على شرّ أو شَهْر سلاح ـ عصاً فما فوقها ـ إلاّ سيّره؛ فضجّ آباؤهم من ذلك حتى بلغه: أنهم يقولون: ما أحدث التسيير إلاّ أنّ رسولَ الله ﷺ سيّر الحكَم بن أبي العاص ، فقال: إنّ الحكَم كان مكّيّاً ، فسيّره

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

رسول الله ﷺ منها إلى الطائف ، ثم ردّه إلى بلده؛ فرسول الله ﷺ سيّره بذنبه ، ورسول الله ﷺ ردّه بعفوه . وقد سيّر الخليفة من بعده؛ وعمر رضي الله عنه من بعد الخليفة ، وأيمُ الله لآخذنّ العفو من أخلاقكم ، ولأبذلنّه لكم من خلقي؛ وقد دنتْ أمور ، ولا أحبّ أن تحلّ بنا وبكم؛ وأنا على وجَلٍ وحذَر ، فاحذروا واعتبروا[1] ! (٤ : ٣٩٨/ ٣٩٩).

٨٤٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد ابن ثابت ، ويحيى بن سعيد ، قالا : سأل سائل سعيد بن المسيّب عن محمد بن أبي حُذيفة : ما دعاه إلى الخروج على عثمان؟ فقال : كان يتيماً في حِجْر عثمان ، فكان عثمان واليَ أيتام أهل بيته؛ ومحتمل كَلِّهم؛ فسأل عثمانَ العملَ حين وُلِّيَ ، فقال : يا بنيّ ! لو كنت رضاً ثم سألتَني العمل لاستعملتُك ، ولكن لستَ هناك! قال : فائذن لي فلأخرجْ فلأطلبْ ما يقوتني ، قال : اذهب حيث شئتَ؛ وجهّزه من عنده ، وحمله وأعطاه ، فلما وقع إلى مصر كان فيمن تغيّر عليه أن منعه الولاية . قيل : فعمّار بن ياسر؟ قال : كان بينه وبين عباس بن عُتْبة بن أبي لَهبْ كلامٌ ، فضربهما عثمان ، فأورث ذاك بين آل عمّار وآل عُتبة شرّاً حتى اليوم ، وكَنَى عمّا ضُربا عليه ، وفيه[2] . (٤ : ٣٩٩).

٨٤٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت، قال : فسألت ابن سليمان بن أبي حَثْمة، فأخبرني أنه تقاذُف[3] . (٤ : ٣٩٩).

٨٤٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشّر ، قال : سألت سالم بن عبد الله عن محمد بن أبي بكر : ما دعاه إلى ركوب عثمان؟ فقال : الغضب ، والطمع . قلت : ما الغضب ، والطمع؟ قال : كان من الإسلام بالمكان الذي هو به ، وغرّه أقوام فطمع . وكانت له دالّة فلزمه حقّ ، فأخذه عثمان من ظهره ، ولم يُدهن؛ فاجتمع هذا إلى هذا ، فصار مذمَّماً بعد أن كان محمَّداً[4] . (٤ : ٣٩٩/ ٤٠٠).

---

(١) إسناده ضعيف .
(٢) إسناده ضعيف .
(٣) إسناده ضعيف .
(٤) إسناده ضعيف .

٨٤٩ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشِّر ، عن سالم بن عبد الله ، قال: لما وُلِّيَ عثمان لان لهم ، فانتزع الحقوق انتزاعاً ، ولم يعطِّل حقّاً ، فأحبُّوه على لينه ، فأسلمهم ذلك إلى أمر الله عزّ وجلّ[1] . (٤ : ٤٠٠).

٨٥٠ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ، عن القاسم ، قال: كان مما أحدَث عثمان ، فرُضِيَ به منه: أنه ضرب رجلاً في منازعة استخفّ فيها بالعباس بن عبد المطلب ، فقيل له ، فقال: نعم ، أيفخِّم رسولُ الله ﷺ عمّه ، وأرخّص في الاستخفاف به! لقد خالف رسولَ الله ﷺ مَن فعل ذلك ، ومَن رضيَ به منه[2] . (٤ : ٤٠٠).

٨٥١ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن رُزيق بن عبد الله الرازيّ ، عن علْقمة بن مرثَد ، عن حُمران بن أبان؛ قال: أرسلني عثمان إلى العباس بعدما بويع ، فدعوته إليه ، فقال: مَالك تعبّدتَني! قال: لم أكن قطّ أحوجَ إليك مني اليوم ، قال: الزم خمساً؛ لا تنازعك الأمة خزائمَها ما لزمتَها ، قال: وما هنّ؟ قال: الصبر عن القتل ، والتحبّب ، والصفح ، والمداراة ، وكتمان السرّ[3] . (٤ : ٤٤٠).

٨٥٢ - وذكر محمد بن عمر ، قال: حدّثني ابنُ أبي سبرة عن عمرو بن أميّة الضّمريّ ، قال: إن قريشاً كان مَن أسنّ منهم مولعاً بأكل الخزيرة؛ وإني كنت أتعشّى مع عثمان خَزِيراً من طبْخ من أجود ما رأيت قطّ ، فيها بطون الغنم ، وأدُمها اللبن ، والسمن ، فقال عثمان: كيف ترى هذا الطعام؟ فقلت: هذا أطيب ما أكلتُ قطّ ، فقال: يرحم الله ابنَ الخطّاب! أكلتَ معه هذه الخزيرة قطّ؟ قلت: نعم؛ فكادت اللقمة تَفرَثُ في يدي حين أهوي بها إلى فمي؛ وليس فيها لحم؛ وكان أدْمها السمن ولا لبنَ فيها. فقال عثمان: صدقت: إنّ عمر رضي الله عنه أتعب والله من تبع أثره! وإنه كان يطلب بثَنْيِه عن هذه الأمور ظَلَفاً. أما والله ما آكله من مال المسلمين؛ ولكني آكلُه من مالي ! أنت تعلم أني كنت أكثرَ قريش مالاً ، وأجدّهم في التجارة؛ ولم أزل آكل من الطعام ما لان منه؛ وقد بلغت سنّاً

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

فأحبُّ الطعام إليّ ألينُه؛ ولا أعلم لأحد عليّ في ذلك تَبِعةً[١]. (٤: ٤٠٠/ ٤٠١).

٨٥٣ - قال محمد: وحدّثني ابنُ أبي سَبْرة عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر، قال: كنت أفطِر مع عثمان في شهر رمضان؛ فكان يأتينا بطعام هو ألْيَن من طعام عمر، قد رأيت على مائدة عثمان الدَّرْمَك الجيّد، وصغار الضأن كلّ ليلة؛ وما رأيت عمر قطّ أكل من الدقيق منخولاً، ولا أكل من الغنم إلاّ مسانّها، فقلت لعثمان في ذلك، فقال: يرحم الله عمر! ومن يُطيق ما كان عمر يطيق![٢] (٤: ٤٠١).

٨٥٤ - قال محمد: وحدّثني عبدُ الملك بن يزيد بن السائب عن عبد الله بن السائب، قال: أخبرني أبي، قال: أوّل فسطاط رأيته بمنىً فسطاط لعثمان، وآخر لعبد الله بن عامر بن كُرَيز، وأوّل من زاد النداء الثالث يوم الجمعة على الزَّوراء عثمان، وأوّل مَنْ نُخل له الدقيق من الولاة عثمان رضي الله عنه[٣]. (٤: ٤٠١).

٨٥٥ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، قالا: بلغ عثمان: أنّ ابن ذي الحبَكة النَّهديّ يعالج نيرنْجاً - قال محمد بن سلمة: إنما هو نيرج - فأرسل إلى الوليد بن عُقبة ليسأله عن ذلك؛ فإن أقرّ به فأوجعْه، فدعا به فسأله، فقال: إنما هو رِفْق وأمرٌ يعجَب منه؛ فأمر به فعزِّر، وأخبر الناسَ خبره، وقرأ عليهم كتاب عثمان: إنه قد جُدَّ بكم، فعليكم بالجِدّ؛ وإياكم والهُزّال؛ فكان الناس عليه؛ وتعجّبوا من وقوف عثمان على مثل خبره، فغضب، فنفر في الذين نفروا، فضرب معهم، فكتب إلى عثمان فيه، فلما سيّر إلى الشأم مَنْ سيّر، سيّر كعب بن ذي الحبَكة، ومالك بن عبد الله - وكان دينه كدينه - إلى دُنباوَند؛ لأنها أرضٌ سَحِرة، فقال في ذلك كعب بن ذي الحبَكة للوليد:

لَعَمْري لئن طردَتني ما إلى التي ... طمِعْتَ بها من سَقْطَتِي لَسَبيلُ
رَجَوْتُ رُجوعي يا بنَ أروَى ورجْعَتي ... إلى الحقّ دَهْراً غال ذلك غُولُ
وإنّ اغترابي في البلاد وجَفوَتي ... وشَتمِيَ في ذات الإله قليلُ
وإنّ دُعائي كلَّ يومٍ وليلةٍ ... عليك بِدُنْباوَنْدِكُم لطَويلُ

(١) بين الطبري والواقدي انقطاع، والواقدي متروك.
(٢) بين الطبري والواقدي انقطاع، والواقدي متروك.
(٣) بين الواقدي والطبري انقطاع، والواقدي متروك.

فلما وليَ سعيد أقفله ، وأحسن إليه واستصلحه ، فكفره ، فلم يزدد إلا فساداً. واستعار ضابىء بن الحارث البرجميّ في زمان الوليد بن عقبة من قوم من الأنصار كلباً يدعى قَرْحان ، يصيد الظباء ، فحبسه عنهم ، فنافره الأنصاريون ، واستغاثوا عليه بقومه فكاثروه ، فانتزعوه منه ، وردّوه على الأنصار ، فهجاهم ، وقال في ذلك :

تَجَشَّمَ دوني وَفدُ قرحانَ خطةً ... تضلُّ لها الوَجْناءُ وهْيَ حَسيرُ
فباتوا شِباعاً ناعمين كأنما ... حبَاهُمْ ببَيتِ المَرزُبان أمير
فكلبكُمُ لا تَتْركوا فهوَ أمُّكُمْ ... فإنّ عقوقَ الأمَّهاتِ كبيرُ

فاستعدَوا عليه عثمان ، فأرسل إليه ، فعزّره ، وحبسه كما كان يصنع بالمسلمين ، فاستثقل ذلك ، فما زال في الحبس حتى مات فيه. وقال في الفتك يعتذر إلى أصحابه :

هَمَمتُ ولم أفعَلْ وكدتُ ولَيتَني ... فعَلتُ ووَلَّيتُ البُكاءَ حَلائلَهْ
وقائِلةٍ قد ماتَ في السجنِ ضابىءٌ ... ألا مَن لخصْمٍ لم يَجِد مَن يُجادِلُه!
وقائلةٍ لا يُبعِدِ اللهُ ضابئاً ... فَنعْمَ الفَتى تخلُو به وتُحاوِلهْ

فلذلك صار عمير بن ضابىء سَبئيّاً[1]. (٤ : ٤٠١/ ٤٠٢/ ٤٠٣).

٨٥٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير ، عن أخيه ، قال: والله ما علمت ، ولا سمعتُ بأحد غزا عثمانَ رضي الله عنه ، ولا ركب إليه إلاّ قتل ؛ لقد اجتمع بالكوفة نفرٌ ، فيهم الأشتر ، وزيد بن صُوحان ، وكعب بن ذي الحبَكة ، وأبو زينب ، وأبو مورِّع ، وكُمَيل بن زياد ، وعمير بن ضابىء ؛ فقالوا: لا والله لا يُرفَع رأسٌ ما دام عثمان على الناس ؛ فقال عمير بن ضابىء ، وكُمَيل بن زياد: نحن نقتله. فركبا إلى المدينة ؛ فأما عمير ؛ فإنه نكل عنه ، وأما كُمَيل بن زياد ؛ فإنه جسر ، وثاوره ؛ وكان جالساً يرصده حتى أتى عليه عثمان ، فوجأ عثمان وجهه ، فوقع على استه ، وقال: أوجعتني يا أمير المؤمنين! قال: أوَ لستَ بفاتك! قال: لا والله الذي لا إله إلاّ هو ؛ فحلف وقد اجتمع عليه الناس ، فقالوا: نفتّشه يا أميرَ المؤمنين ! فقال: لا ، قد رزق الله العافية ، ولا أشتهي أن

---

(١) إسناده ضعيف.

أطّلع منه على غير ما قال. وقال: إن كان كما قلتَ يا كميل فاقتدْ منّي ـ وجثا ـ فوالله ما حسبتك إلاّ تريدني ، وقال: إن كنتَ صادقاً فأجزل الله ، وإن كنتَ كاذباً فأذلّ الله. وقعد له على قدميه ، وقال: دونك! قال: قد تركتُ. فبقيا حتى أكثر الناس في نجائهما ، فلمّا قدم الحجّاج قال: مَن كان من بعْث المهلّب فليوافِ مكتبه؛ ولا يجعل على نفسه سبيلاً. فقام إليه عمير ، وقال: إني شيخ ضعيف ، ولي ابنان قويّان؛ فأخرِجْ أحدهما مكاني أو كليهما ، فقال: من أنت؟ قال: أنا عمير بن ضابىء ، فقال: والله لقد عصيتَ الله عزّ وجلّ منذ أربعين سنة؛ ووالله لأنكّلنّ بك المسلمين ، غضبْت لسارق الكلب ظالماً ، إنّ أباك إذْ غُل لَهمَّ؛ وإنّك هممت ونكلت ، وإني أهُمّ ، ثم لا أنكل. فضرِبت عنقه[1]. (٤ : ٤٠٣).

٨٥٧ ـ كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، قال: حدّثنا رجل من بني أسد ، قال: كان من حديثه: أنه كان قد غزا عثمان رضي الله عنه فيمن غزاه؛ فلما قدم الحَجّاج ، ونادى بما نادى به؛ عرض رجل عليه ما عِوَض نفسه ، فقبل منه ، فلما ولّى قال أسماء بن خارجة: لقد كان شأن عمير مما يهمّني ، قال: ومَن عمير؟ قال: هذا الشيخ ، قال:

ذكّرتني الطعن وكنت ناسياً

أليس فيمن خرج إلى عثمان؟ قال: بلى ، قال: فهل بالكوفة أحد غيره؟ قال: نعم ، كُمَيل ، قال: عليّ بعُمير ، فضرب عنقه ، ودعا بكُميل فهرب؛ فأخذ النّخَع به ، فقال له الأسود بن الهيثم: ما تريد من شيخ قد كفاكه الكِبَر! فقال: أما والله لتحبسنّ عني لسانك أو لأحُسَّنَّ رأسك بالسيف. قال: أفعل. فلما رأى كُميل ما لقيَ قومه من الخوف وهم ألفا مقاتل ، قال: الموت خير من الخوف إذا أخيف ألفان من سَبَبي ، وحرموا. فخرج حتى أتى الحجّاج ، فقال له الحجّاج: أنت الذي أردت ثم لم يكشفك أمير المؤمنين ، ولم ترضَ حتى أقعدته للقصاص إذْ دفعك عن نفسه؟ فقال: على أيّ ذلك تقتلني! تقتلني على عفوه ، أو على عافيتي؟ قال: يا أدهم بن المحرِز ، اقتله؛ قال: والأجر بيني وبينك؟ قال: نعم ، قال أدهم: بل الأجر لك؛ وما كان من إثْم فعليّ. وقال مالك بن عبد الله ـ وكان من المسيّرين:

---

(١) إسناده ضعيف.

مَضَتْ لابنِ أروَى في كُمَيلٍ ظُلامَةٌ ... عفاها لـه والمُستقِيدُ يُلامُ
وقال لـه لا أُقبِحُ اليومَ مُثْلَةً ... علَيكَ أبا عَمْرٍو وأنت إمام
رُوَيدَكَ رأسي والذي نَسَكَتْ له ... قُرَيشٌ بِنا على الكبير حرامُ
ولِلعَفْوِ أمنٌ يَعرِفُ الناسُ فَضلَهُ ... ولَيسَ عَلَينا في القصاصِ أثامُ
ولو عِلِمَ الفاروق ما أنت صانِعٌ ... نهى عَنكَ نَهياً ليس فيه كلامُ[1]

(٤ : ٤٠٣/ ٤٠٤).

٧٥٨ ـ حدّثني عمر بن شبّة ، قال: حدّثنا عليّ بن محمد عن سُحَيم بن حَفْص، قال: كان ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب شريكَ عثمان في الجاهليّة ، فقال العباس بن ربيعة لعثمان: اكتب لي إلى ابن عامر يُسلفني مئة ألف؛ فكتب ، فأعطاه مئة ألف وصلَه بها ، وأقطعه دارَه؛ دار العباس بن ربيعة اليوم[2]. (٤ : ٤٠٤).

٨٥٩ ـ وحدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ عن إسحاق بن يحيى ، عن موسى ابن طلحة ، قال: كان لعثمان علَى طلحة خمسون ألفاً ، فخرج عثمان يوماً إلى المسجد ، فقال له طلحة: قد تهيّأ مالُكَ فاقبضه ، قال: هو لك يا أبا محمد معونةً لك على مروءتك[3] ! (٤ : ٤٠٤/ ٤٠٥).

٨٦٠ ـ وحدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ عن عبد ربّه ، عن نافع ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن حَكيم بن جابر ، قال: قال عليّ لطلحة: أنشدك الله إلاّ رددتَ الناس عن عثمان! قال: لا والله حتى تُعْطِيَ بنو أمية الحقّ من أنفسها[4]. (٤ : ٤٠٥).

٨٦١ ـ وحدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ ، قال: حدثنا أبو بكر البكريّ عن هشام بن حسان ، عن الحسن: أنّ طلحة بن عبيد الله باع أرضاً له من عثمان بسبعمئة ألف ، فحملها إليه ، فقال طلحة: إنّ رجلاً تتّسق هذه عنده وفي بيته لا يدري ما يطرُقه من أمر الله عزّ وجلّ لعزيزٌ بالله سبحانه! فبات ورسوله يختلف

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) إسناده ضعيف.

بها في سكك المدينة يقسمها حتى أصبح ، فأصبح وما عنده منها درهم. قال الحسن: وجاء هاهنا يطلب الدينار والدرهم ـ أو قال: الصفراء والبيضاء[1]. (٤: ٤٠٥).

٨٦٢ ـ وحجّ بالناس في هذه السنة ـ أعني: سنة خمس وثلاثين ـ عبد الله بن عباس بأمر عثمان إياه بذلك؛ حدّثني بذلك أحمد بن ثابت الرازيّ ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر[2]. (٤: ٤٠٥).

ذكر الخبر عن السبب الذي من أجله أمر عثمان رضي الله عنه عبد الله ابن عباس رضي الله عنه أن يحجّ بالناس في هذه السنة

٨٦٣ ـ ذكر محمد بن عمر الواقديّ: أنّ أسامة بن زيد حدّثه عن داود بن الحصين ، عن عِكرمة ، عن ابن عباس ، قال: لما حُصِر عثمان الحصْر الآخر ـ قال عكرمة: فقلت لابن عبّاس: أو كَانا حَصْرين؟ فقال ابن عباس: نعم ، الحصْر الأوّل ، حُصر اثنتي عشرة ـ وقدم المصريون فلقيَهم عليٌّ بذي خُشب؛ فردّهم عنه؛ وقد كان والله عليّ له صاحبَ صدق ، حتى أوغَر نفسَ عليّ عليه؛ جعل مروان ، وسعيد ، وذووهما يحملونه على عليّ فيتحمّل؛ ويقولون: لو شاء ما كلّمك أحد؛ وذلك أن علياً كان يكلمه ، وينصحه ، ويُغلِظ عليه في المنطق في مرْوان وذويه ، فيقولون لعثمان: هكذا يستقبلك؛ وأنت إمامه ، وسلْفه ، وابن عمّه ، وابن عمته؛ فما ظنّك بما غاب عنك منه! فلم يزالوا بعليّ حتى أجمع ألاّ يقوم دونه؛ فدخلتُ عليه اليوم الذي خرجتُ فيه إلى مكة ، فذكرتُ له: أنّ عثمان دعاني إلى الخروج ، فقال لي: ما يريد عثمان أن ينصحه أحدٌ؛ اتّخذ بطانة أهل غِشّ ليس منهم أحد إلاّ قد تسبّب بطائفة من الأرض يأكل خراجها ويستذلّ أهلها؛ فقلت له: إنّ له رحماً ، وحقّاً؛ فإن رأيت أن تقوم دونه؛ فعلتَ؛ فإنك لا تُعذِر إلا بذلك.

قال ابن عباس: فالله يعلم: أنّي رأيت فيه الانكسار ، والرّقة لعثمان؛ ثم إني

---

(١) في إسناده أبو بكر البكري مجهول ، ورواية هشام عن الحسن مرسلة والله أعلم.

(٢) إسناده ضعيف.

لأراه يؤتَى إليه عظيم. ثم قال عكرمة: وسمعت ابنَ عباس يقول: قال لي عثمان: يا بنَ عباس! اذهب إلى خالد بن العاص وهو بمكة، فقل له: يقرأ عليك أمير المؤمنين السلام، ويقول لك: إني محصور منذ كذا وكذا يوماً، لا أشرب إلاّ من الأُجَاج من داري، وقد مُنعتُ بئراً اشتريتها من صُلْب مالي، رُومةَ؛ فإنما يشربها الناس ولا أشرب منها شيئاً، ولا آكل إلاّ مما في بيتي، منعت أن آكل مما في السوق شيئاً وأنا محصور كما ترى؛ فاؤمره وقل له: فليحجّ بالناس؛ وليس بفاعِل؛ فإنْ أبى فاحجُج أنت بالناس.

فقدمت الحجّ في العَشْر، فجئت خالد بن العاص، فقلت له ما قال لي عثمان، فقال لي: هل طاقة بعداوة مَن ترى؟ فأبى أن يحجّ وقال: فحُجّ أنت بالناس: فأنت ابن عمّ الرجل؛ وهذا الأمر لا يُفضي إلاّ إليه ـ يعني عليّاً ـ وأنت أحقّ أن تحمل له ذلك، فحججت بالناس، ثم قفلت في آخر الشهر، فقدمت المدينة وإذا عثمان قد قتل؛ وإذا الناس يتواثبون على رَقَبة علي بن أبي طالب. فلما رآني عليّ ترك الناس، وأقبل عليَّ فانتجاني، فقال: ما ترى فيما وقع؟ فإنه قد وقع أمر عظيم كما ترى لا طاقة لأحد به؛ فقلت: أرى أنه لا بدّ للناس منك اليوم؛ فأرى أنه لا يبايَع اليوم أحدٌ إلاّ اتُّهم بدم هذا الرجل، فأبى إلاّ أن يبايَع، فاتُّهم بدمه[1]. (٤: ٤٠٥/٤٠٦/٤٠٧).

٨٦٤ ـ قال محمد: فحدّثني ابنُ أبي سَبْرة، عن عبد المجيد بن سهيل، عن عكرمة، قال: قال ابنُ عباس: قال لي عثمان رضي الله عنه: إني قد استعملتُ خالد بن العاص بن هشام على مكة؛ وقد بلغ أهلَ مكة ما صنع الناس؛ فأنا خائف أن يمنعوه الموقف فيأبى، فيقاتلهم في حرَم الله جلّ وعزّ وأمنه. وإن قوماً جاؤوا من كلّ فجّ عميق، ليشهدوا منافع لهم؛ فرأيت أن أولّيك أمر الموسم. وكتب معه إلى أهلِ الموسم بكتاب يسألهم أن يأخذوا له بالحقّ ممن حصره. فخرج ابنُ عباس، فمرَّ بعائشة في الصُّلصُل؛ فقالت: يا بنَ عباس! أنشدك الله ـ فإنك قد أعطِيت لساناً إزعيلاً ـ أن تخذّل عن هذا الرجل، وأن تشكّك فيه الناس! فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجت، ورفعت لهم المنار، وتحلّبوا من البلدان لأمر قد

---

(١) إسناده ضعيف.

حُمّ؛ وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيحَ ، فإن يَلِ يَسِرْ بسيرة ابن عمه أبي بكر ، قال : قلتُ يا أمّهْ لو حدث بالرّجل حدث ما فزع الناس إلاّ إلى صاحبنا. فقالت : إيهاً عنك! إني لست أريدُ مكابرتك ، ولا مجادلتك.

قال ابن أبي سَبْرة : فأخبرني عبد المجيد بن سهيل : أنه انتسخ رسالة عثمان التي كتب بها من عكرمة ، فإذا فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى المؤمنين والمسلمين؛ سلام عليكم ، فإنّي أحمَد الله إليكم الذي لا إله إلا هو؛ أمّا بعد؛ فإنّي أذكّركم بالله جلّ وعزّ الذي أنعم عليكم ، وعلّمكم الإسلام ، وهداكم من الضلالة ، وأنقذكم من الكفر ، وأراكم البيّنات ، وأوسع عليكم من الرزق ، ونصركم على العدوّ ، وأسبغ عليكم نعمته؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يقول وقوله الحق : ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ . وقال عزّ وجلّ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ . إلى قوله : ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ . وقال وقوله الحقّ : ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾ وقال وقوله الحق : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾ إلى قوله : ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ وقوله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ إلى قوله : ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ . وقال وقوله الحق : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ إلى ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ . وقال وقوله الحقّ : ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ إلى قوله : ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ . وقال وقوله الحق : ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ إلى ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ وقال وقوله الحق : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إلى قوله : ﴿وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ وقال وقوله الحق : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ إلى ﴿فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ .

أما بعد ، فإنّ الله عزّ وجلّ رضي لكم السمع ، والطاعة ، والجماعة ، وحذّركم المعصية ، والفُرقة ، والاختلاف ، ونبّأكم ما قد فعله الذين من قبلكم ، وتقدّم إليكم فيه ليكون له الحُجةُ عليكم إن عصيتموه ، فاقبلوا نصيحة الله

عزّ وجلّ ، واحذروا عذابه؛ فإنكم لن تجدوا أمةً هلكت إلاّ من بعد أن تختلف؛ إلا أن يكون لها رأس يجمعها ، ومتى ما تفعلوا ذلك لا تقيموا الصلاة جميعاً ، وسُلِّط عليكم عدوّكم ، ويستحلّ بعضكم حرَم بعض؛ ومتى يفعل ذلك لا يقم لله سبحانه دين ، وتكونوا شيعاً ، وقد قال الله جلّ وعزّ لرسوله ﷺ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ . وإني أوصيكم بما أوصاكم الله ، وأحذّركم عذابه؛ فإن شعيباً ﷺ قال لقومه : ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴾ .

أما بعد؛ فإنّ أقواماً ممن كان يقول في هذا الحديث أظهروا للناس أنّمَا يدعون إلى كتاب الله عزّ وجلّ والحقّ ، ولا يُريدون الدّنيا ولا منازعةً فيها؛ فلما عرِض عليهم الحقّ؛ إذا الناس في ذلك شتى؛ منهم آخذ للحقّ ، ونازع عنه حين يعطاه؛ ومنهم تاركٌ للحقّ ونازلٌ عنه في الأمر ، يريد أن يبتزّه بغير الحقّ؛ طال عليهم عمري ، وراثَ عليهم. أمَلُهم الإمْرة؛ فاستعجلوا القَدَر؛ وقد كتبوا إليكم أنهم قد رجعوا بالذي أعطيتهم؛ ولا أعلم أنّي تركت من الذي عاهدتهم عليه شيئاً؛ كانوا زعموا أنهم يطلبون الحُدود ، فقلت : أقيموها على مَن علمتم تعدّاها في أحَد ، أقيموها على مَن ظلمكم من قريب أو بعيد. قالوا : كتاب الله يُتْلى ، فقلت : فَلْيتلُه مَنْ تلاه غير غال فيه بغير ما أنزل الله في الكتاب. وقالوا : المحروم يرزق ، والمال يوفَّى ليُسْتَنّ فيه السنّة الحسنة ، ولا يُعتدى في الخُمس ولا في الصدقة ، ويؤمَّر ذو القوّة والأمانة ، وتردُّ مظالم الناس إلى أهلها؛ فرضيت بذلك واصطبرت له؛ وجئت نسوة النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كلّمتهنّ ، فقلت : ما تأمرنني؟ فقلن : تُؤَمِّر عمرو بن العاص ، وعبد الله بن قَيْس ، وتَدَع معاوية؛ فإنما أمّره أمير قبلك؛ فإنه مصلح لأرضه ، راضٍ به جنده؛ واردد عمراً؛ فإنّ جنده راضون به ، وأمّره فليصلح أرضه؛ فكلّ ذلك فعلت. وإنه اعتُديَ عليّ بعد ذلك ، وعُدِي على الحقّ.

كتبت إليكم وأصحابي الذين زعموا في الأمر؛ استعجلوا القَدَر ، ومنعوا مني الصلاة ، وحالوا بيني وبين المسجد ، وابتزُّوا ما قدروا عليه بالمدينة.

كتبت إليكم كتابي هذا؛ وهم يخيّرونني إحدى ثلاث : إما يُقيدونَني بكلّ رجل أصبته خطأً أو صواباً ، غير متروك منه شيء؛ وإمّا أعتزل الأمر فيؤمِّرون آخرَ

غيري ، وإمّا يُرسلون إلى من أطاعهم من الأجناد وأهل المدينة فيتبرّؤون من الذي جعل الله سبحانه لي عليهم من السمع والطاعة. فقلت لهم : أمّا إقادتي من نفسي فقد كان من قبلي خلفاء تخطىء وتصيب؛ فلم يُسْتَقد من أحد منهم؛ وقد علمت أنما يريدون نفسي؛ وأمّا أن أتبرأ من الإمارة فأنْ يكْلُبوني أحبّ إلى من أن أتبرّأ من عمل الله عز وجل وخلافته. وأما قولكم: ترسلون إلى الأجناد وأهل المدينة فيتبرؤون من طاعتي؛ فلست عليكم بوكيل؛ ولم أكن استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة؛ ولكن أتوها طائعين ، يبتغون مرضاةِ الله عزّ وجلّ وإصلاح ذات البين؛ ومن يكن منكم إنما يبتغي الدنيا فليس بنائل منها إلاّ ما كتب الله عزّ وجلّ له ، ومن يكن إنما يريد وجه الله ، والدار الآخرة ، وصلاح الأمة ، وابتغاء مرضاة الله عزّ وجلّ ، والسنّة الحسنة التي استنّ بها رسول الله ﷺ والخليفتان من بعده رضي الله عنهما؛ فإنما يجْزِي بذلكم الله؛ وليس بيدِي جزاؤكم؛ ولو أعطيتكم الدنيا كلها لم يكن في ذلك ثمن لدينكم؛ ولم يُغْنِ عنكم شيئاً ، فاتقوا الله واحتسبوا ما عنده؛ فمن يرضَ بالنَّكْث منكم فإني لا أرضاه له ، ولا يرضى الله سبحانه أن تنكُثوا عهده. وأما الذي يخيّرونني فإنما كله النزع والتأمير. فملَكْت نفسي ومَنْ معي؛ ونظرت حكم الله وتغيير النعمة من الله سبحانه ، وكرهت سنَّة السوء ، وشقاق الأمّة ، وسفك الدماء؛ فإني أنشدكم بالله والإسلام ألاّ تأخذوا إلاّ الحق ، وتعطُوه مني ، وتركَ البغي على أهله ، وخذوا بيننا بالعدل كما أمركم الله عزّ وجلّ ، فإني أنشدكم الله سبحانه الذي جعل عليكم العهد والمؤازرة في أمر الله؛ فإنّ الله سبحانه قال وقوله الحق: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ ، فإنّ هذه معذرة إلى الله ، ولعلكم تذكّرون.

أما بعد ، فإني لا أبرىء نفسي ، ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ، وإن عاقبت أقواماً فما أبتغي بذلك إلاّ الخير ، وإني أتوب إلى الله عزّ وجلّ من كلّ عمل عملته ، وأستغفره إنه لا يغفر الذنوب إلاّ هو ، إنّ رحمة ربي وسعت كلّ شيء ، إنه لا يقنط من رحمة الله إلاّ القومُ الضّالونَ ، وإنه يقبلُ التَّوبةَ عَنْ عباده ، ويعفو عن السّيئات ، ويعلم ما يفعَلُون. وأنا أسأل الله عزّ وجلّ أن يغفر لي ولكم ، وأن يؤلّف قلوبَ هذه الأمة على الخير ، ويكرّه إليها الفسق. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أيها المؤمنون والمسلمون.

قال ابن عباس: فقرأت هذا الكتاب عليهم قبل التَّروية بمكة بيوم[١]. (٤ : ٤٠٧/ ٤٠٨/ ٤٠٩/ ٤١٠/ ٤١١).

٨٦٥ ـ قال: وحدّثني ابن أبي سَبْرة عن عبد المجيد بن سهيل ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عُتبة ، عن ابن عباس ، قال: دعاني عثمان ، فاستعملني على الحجّ. قال: فخرجت إلى مكة ، فأقمتُ للناس الحجّ ، وقرأت عليهم كتاب عثمان إليهم؛ ثم قدمت المدينة وقد بويع لعليّ[٢]. (٤ : ٤١١).

ذكر الخبر عن الموضع الذي دفن فيه عثمان رضي الله عنه ومن صلّى عليه وولي أمره بعد ما قتل إلى أن فُرِغ من أمره ودفنِه

٨٦٦ ـ حدّثني جعفر بن عبد الله المحمّديّ ، قال: حدّثنا عمرو بن حمّاد ، وعلي بن حسين ، قالا: حدّثنا حسين بن عيسى ، عن أبيه ، عن أبي ميمونة ، عن أبي بشير العابديّ ، قال: نبذ عثمان رضي الله عنه ثلاثة أيام لا يُدفن؛ ثم إن حَكيم بن حزام القرشيّ ، ثم أحد بني أسد بن عبد العزّى ، وجُبير بن مطعِم بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف ، كلّما عليّاً في دفنه ، وطلبا إليه أن يأذن لأهله في ذلك ، ففعل ، وأذن لهم عليّ ، فلما سُمِع بذلك؛ قعدوا له في الطريق بالحجارة ، وخرج به ناس يسيرٌ من أهله؛ وهم يريدون به حائطاً بالمدينة ، يقال له: حشّ كَوْكب ، كانت اليهود تدفن فيه موتاهم؛ فلما خرج به على الناس رجموا سريرَه ، وهمّوا بطرحه ، فبلغ ذلك عليّاً ، فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفّنّ عنه ، ففعلوا ، فانطلق حتى دفن رضي الله عنه في حَشّ كوكب؛ فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بهدْم ذلك الحائط حتى أفضى به إلى البَقيع؛ فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حَوْل قبره حتى اتّصل ذلك بمقابر المسلمين[٣]. (٤ : ٤١٢).

٨٦٧ ـ وحدّثني جعفر ، قال: حدّثنا عمرو وعليّ قالا: حدثنا حُسَين ، عن

(١) بين الطبري والواقدي انقطاع ، والواقدي متروك.

(٢) بين الطبري والواقدي انقطاع ، والواقدي متروك.

(٣) خبر منكر في إسناده مجاهيل.

أبيه ، عن المجالد بن سعيد الهمْدانيّ ، عن يسار بن أبي كرِب ، عن أبيه ـ وكان أبو كَرِب عاملاً على بيت مال عثمان ـ قال: دفن عثمان رضي الله عنه بين المغرب والعَتَمة؛ ولم يشهد جنازته إلاّ مروان بن الحكم وثلاثة من مواليه وابنته الخامسة ، فناحت ابنته ، ورفعت صوتها تندبه ، وأخذ الناس الحجارة ، وقالوا: نعثَل نعثل! وكادت ترجَم؛ فقالوا: الحائط الحائط؛ فدفن في حائط خارجاً[1]. (٤ : ٤١٢).

٨٦٨ ـ وأما الواقديّ فإنه ذكر: أنّ سعد بن راشد حدّثه عن صالح بن كيسان: أنه قال: لما قتل عثمان رضي الله عنه قال رجل: يدفن بدير سَلْع مقبرة اليهود ، فقال حَكيم بن حزام: والله لا يكونُ هذا أبداً وأحدٌ من ولد قصيّ حيٌّ؛ حتى كاد الشرّ يلتحم ، فقال ابنُ عُدَيس البَلَويّ: أيّها الشيخ ! وما يضرّك أين يدفن! فقال حكيم بن حزام: لا يدفن إلا ببقيع الغَرقَد حيث دفن سَلَفُه وفَرَطُه؛ فخرج به حكيم بن حزام في اثني عشر رجلاً ، وفيهم الزّبير ، فصلّى عليه حكيم بن حزام. قال الواقديّ: الثبت عندنا: أنه صلّى عليه جُبير بن مطعِم[2]. (٤ : ٤١٣).

٨٦٩ ـ قال محمد بن عمر: وحدّثني الضّحّاك بن عثمان ، عن مخرَمة بن سليمان الوالبيّ ، قال: قتل عثمانِ رضي الله عنه يوم الجمعة ضَحْوةً ، فلم يقدروا على دفنه ، وأرسلت نائلة بنة الفرافصة إلى حُويطب بن عبد العُزّى ، وجُبير بن مطعم ، وأبي جهم بن حُذَيفة ، وحكيم بن حزام ، ونيار الأسلميّ ، فقالوا: إنّا لا نقدر أن نخرج به نهاراً ، وهؤلاء المصريّون على الباب ، فأمهلوا حتى كان بين المغرب والعشاء ، فدخل القوم ، فحيل بينهم وبينه ، فقال أبو جهم: والله لا يحولُ بيني وبينه أحد إلا مِتّ دونه؛ احملوه ، فحمل إلى البقيع؛ قال: وتبعتهم نائلة بسراج استسرجته بالبقيع ، وغلام لعثمان ، حتى انتهوا إلى نَخَلات عليها حائط؛ فدقّوا الجدار ، ثم قبروه في تلك النَّخَلات ، وصلّى عليه جبير بن مطعم ، فذهبت نائلة تريد أن تتكلم ، فزبرها القوم ، وقالوا: إنا نخاف عليه من هؤلاء الغوغاء أن يَنْبِشوه ، فرجعت نائلة إلى منزلها[3]. (٤ : ٤١٣).

---

(١) خبر منكر وفي إسناده مجاهيل.

(٢) بين الواقدي والطبري انقطاع ، والواقدي متروك.

(٣) بين الواقدي والطبري انقطاع ، والواقدي متروك.

٨٧٠ ـ قال محمد: وحدّثني عبد الله بن يزيد الهذليّ عن عبد الله بن ساعدة، قال: لبِث عثمان بعد ما قتل ليلتين لا يستطيعون دفنَه، ثم حمله أربعة: حكيم بن حزام، وجُبير بن مطعم، ونيار بن مكرم، وأبو جهم بن حذيفة؛ فلما وُضِع ليصلَّى عليه؛ جاء نفر من الأنصار يمنعونهم الصلاة عليه، فيهم أسلم بن أوس بن بجرة الساعديّ، وأبو حيّة المازنيّ، في عدّة؛ ومنعوهم أن يدفن بالبقيع؛ فقال أبو جهم: ادفنوه، فقد صلى الله عليه وملائكته، فقالوا: لا والله، لا يدفن في مقابر المسلمين أبداً، فدفنوه في حَشّ كوكب. فلما ملَكت بنو أميّة أدخلوا ذلك الحشّ في البَقِيع؛ فهو اليوم مقبرة بني أميّة[١]. (٤: ٤١٣).

٨٧١ ـ قال محمد: وحدّثني عبد الله بن موسى المخزوميّ، قال: لما قتل عثمان رضي الله عنه؛ أرادوا حزَّ رأسه، فوقعت عليه نائلة وأمّ البنين، فمنعنَهم، وصِحْنَ، وضربن الوجوه، وخرقن ثيابهنّ، فقال ابن عُدَيس: اتركوه؛ فأخرِج عثمان ولم يُغسل إلى البقيع، وأرادُوا أن يصلّوا عليه في موضع الجنائز؛ فأبت الأنصار، وأقبل عُمير بن ضابىء، وعثمانُ موضوعٌ على باب، فنَزَا عليه، فكسر ضلعاً من أضلاعه، وقال: سجنتَ ضابئاً حتى مات في السجن[٢]. (٤: ٤١٤).

٨٧٢ ـ وحدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال: حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي أويس، قال: حدّثني عمّ جدّي الرّبيع بن مالك بن أبي عامر، عن أبيه، قال: كنت أحد حملة عثمان رضي الله عنه حين قتل؛ حملناه على باب، وإن رأسه لتقرع الباب لإسراعنا به؛ وإنّ بنا من الخوف لأمراً عظيماً حتى واريناه في قبره في حَشّ كَوكب[٣]. (٤: ٤١٤).

٨٧٣ ـ وأما سيف؛ فإنه روى فيما كتب به إليّ السريّ، عن شعيب، عنه، عن أبي حارثة وأبي عثمانِ، ومحمد، وطلحة: أنّ عثمان لما قتل؛ أرسلت نائلة إلى عبد الرحمن بن عُدَيس، فقالت له: إنك أمسّ القوم رَحِماً، وأولاهم بأن تقوم بأمري؛ أغرِبْ عنّي هؤلاء الأموات. قال: فشتمها وزجرها؛ حتى إذا كان في

---

(١) بين الواقدي والطبري انقطاع، والواقدي متروك.
(٢) بين الواقدي والطبري انقطاع، والواقدي متروك.
(٣) إسناده ضعيف.

جوف الليل خرج مروان حتى أتى دار عثمان ، فأتاه زيد بن ثابت ، وطلحة بن عبيد الله ، وعليّ ، والحسن ، وكعب بن مالك ، وعامّة من ثمَّ من أصحابه ، فتوافَى إلى موضع الجنائز صبيان ، ونساء؛ فأخرجوا عثمان فصلّى عليه مروان ، ثمّ خرجوا به حتى انتهوْا إلى البقيع ، فدفنوه فيه مما يلي حَشّ كوكب؛ حتى إذا أصبحوا أتوا أعبُد عثمان الذين قتلوا معه فأخرجوهم فرأوهم فمنعوهم من أن يدفنوا ، فأدخلوهم حَشّ كَوكب؛ فلما أمسوْا؛ خرجوا بعبدين منهم فدفنوهما إلى جنب عثمان ، ومع كلّ واحد منهما خمسة نفر ، وامرأة؛ فاطمة أم إبراهيم بن عديّ. ثم رجعوا فأتوا كنانة بن بشر ، فقالوا: إنك أمسّ القوم بنا رَحماً ، فأْمُرْ بهاتين الجَيفتين اللّتين في الدار أن تُخرَجا ، فكلّمهم في ذلك ، فأبوْا ، فقال: أنا جار لآل عثمان من أهل مصر ، ومَن لفّ لفّهم ، فأخرِجوهما فارموا بهما؛ فجُرّا بأرجلهما فرمى بهما على البلاط ، فأكلتْهما الكلاب؛ وكان العبدان اللذان قتلا يوم الدار يقال لهما: نُجيح ، وصُبيح؛ فكان اسماهما الغالب على الرقيق لفضلهما وبلائهما؛ ولم يحفظ الناس اسم الثالث ، ولم يغسَل عثمان ، وكُفّن في ثيابه ، ودمائه ، ولا غُسِل غلاماه[1] . (٤ : ٤١٤/ ٤١٥).

٨٧٤ - وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبيّ قال: دفن عثمان رضي الله عنه من اللّيل، وصلّى عليه مَرْوان بن الحكم ، وخرجت ابنتُه تبكي في أثره ، ونائلة بنة الفرافصة ، رحمهم الله[2] . (٤ : ٤١٥) .

ذكر الخبر عن الوقت الذي قتل فيه عثمان رضي الله عنه

اختُلف في ذلك بعد إجماع جميعهم على أنه قتل في ذي الحجّة ، فقال بعضهم: قتل لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين من الهجرة ، فقال الجمهور منهم: قتل لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين.

---

(١) إسناده ضعيف ، وفيه مخالفة لما ثبت بالرواية الصحيحة التي ذكرنا من أن مروان بن الحكم والحسن بن علي أخرجا مجروحين من الدار محمولين فكيف صليا عليه.
وأما عن دفنه في ثيابه دون غسله فقد ضعفه ابن كثير قائلاً: حملوه على باب بعد ما غسلوه وكفنوه، وزعم بعضهم أنه لم يغسل ولم يكفن، والصحيح الأول (البداية والنهاية ٧/ ١٩١).

(٢) إسناده ضعيف.

ذكر الرواية بذلك عن بعض من قال: إنه قتل في سنة ست وثلاثين

٨٧٥ - حدّثني الحارث بن محمد، قال: حدّثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن عثمان بن محمد الأخنسيّ، قال الحارث: وحدّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة عن يعقوب بن زيد، عن أبيه، قال: قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين بعد العصر، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة غير اثني عشر يوماً؛ وهو ابن اثنتين وثمانين سنة[1]. (٤: ٤١٥).

٨٧٦ - وقال أبو بكر: أخبرنا مُصعب بن عبد الله، قال: قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين بعد العصر.

وقال آخرون: قتل في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين لثماني عشرة ليلة خلت منه[2]. (٤: [illegible]/٤١٦).

ذكر من قال ذلك:

٨٧٧ - حدثني جعفر بن عبد الله، قال: حدّثنا عمرو بن حماد، وعلي، قالا: حدّثنا حسين عن أبيه، عن المجالد بن سعيد الهمْدانيّ، عن عامر الشعبيّ: أنه قال: حُصِر عثمان بن عفان رضي الله عنه في الدّار اثنتين وعشرين ليلة، وقتل صُبْحة ثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجّة سنة خمس وعشرين من وفاة رسول الله [illegible].

وحدّثني أحمد بن ثابت الرازيّ عمّن حدّثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثمانيَ عشرة ليلة

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) في إسناده مجاهيل.

مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلاّ اثني عشر يوماً[١] (٤ : ٤١٦).

٨٧٩ ـ وحُدّثت عن زكرياء بن عديّ ، قال: حدّثنا عبيد الله بن عمرو عن ابن عَقِيل ، قال: قتل عثمان رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين[٢]. (٤ : ٤١٦).

٨٨٠ ـ وكتب إليَّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي حارثة، وأبي عثمان ومحمد وطلحة ، قالوا: قتل عثمان رضي الله عنه لثمانيَ عشرة ليلة خلَتْ من ذي الحجّة يوم الجمعة في آخر ساعة[٣]. (٤ : ٤١٦).

٨٨١ ـ حدّثنا الحارث ، عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال: حدّثني الضّحاك بن عثمان عن مخرمة بن سليمان الوالبيّ، قال: قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة ضحوةً لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين[٤]. (٤ : ٤١٧).

وقال آخرون: قتل في أيام التّشريق.

ذكر من قال ذلك:

٨٨٢ ـ حدّثني أحمد بن زهير ، قال: حدّثنا أبي أبو خيثمة ، قال: حدّثنا وهب بن جرير، قال: سمعت أبي قال: سمِعت يونس بن يزيد الأيْليّ، عن الزُّهريّ ، قال: قتل عثمان رضي الله عنه ، فزعم بعض الناس: أنه قتل في أيام التّشريق.

وقال بعضهم: قتل يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة[٥] (٤ : ٤١٧).

ذكر الخبر عن قدر مدَّة حياته

اختلف السلف قبلنا في ذلك ، فقال بعضهم: كانت مدّة ذلك اثنتين وثمانين سنة.

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.
(٤) إسناده ضعيف.
(٥) إسناده ضعيف.

ذكر من قال ذلك:

٨٨٣ ـ حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر: أنّ عثمان رضي الله عنه قتل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة[١]. (٤ : ٤١٧).

٨٨٤ ـ قال محمد بن عمر: وحدثني الضحاك بن عثمان عن مخرمة بن سليمان الوالبيّ، قال: قتل عثمان رضي الله عنه وهو ابن اثنتين وثمانين سنة[٢]. (٤ : ٤١٧).

٨٨٥ ـ قال محمد: وحدثني سعد بن راشد عن صالح بن كيسان، قال: قتل عثمان رضي الله عنه وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وأشهر[٣]. (٤ : ٤١٨).

وقال آخرون: قتل وهو ابن تسعين أو ثمان وثمانين.

ذكر من قال ذلك:

٨٨٦ ـ حُدّثت عن الحسن بن موسى الأشيب، قال: حدّثنا أبو هلال عن قتادة: أنّ عثمان رضي الله عنه قتل وهو ابن تسعين، أو ثمان وثمانين سنة.

وقال آخرون: قتل وهو ابن خمس وسبعين سنة؛ وذلك قولٌ ذكر عن هشام بن محمد[٤]. (٤ : ٤١٨).

٨٨٧ ـ وقال بعضهم: قتل وهو ابن ثلاث وستين، وهذا قول نسبه سيف بن عمر إلى جماعة. كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف: أن أبا حارثة، وأبا عثمان، ومحمداً، وطلحة، قالوا: قُتِل عثمان رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة[٥]. (٤ : ٤١٨).

وقال آخرون: قتل وهو ابن ستّ وثمانين.

ذكر من قال ذلك:

---

(١) في إسناده الواقدي، وهو متروك.

(٢) في إسناده الواقدي، وهو متروك.

(٣) في إسناده الواقدي، وهو متروك.

(٤) إسناده ضعيف.

(٥) إسناده ضعيف.

٨٨٨ ـ حدّثني محمد بن موسى الحَرَشيّ ، قال: حدّثنا معاذ بن هشام ، قال: حدّثني أبي عن قتادة ، قال: قتل عثمان رضي الله عنه وهو ابن ستّ وثمانين[١] . (٤ : ٤١٨) .

ذكر الخبر عن صفة عثمان

٨٨٩ ـ حدّثني زياد بن أيُّوب ، قال: حدّثنا هُشيم ، قال: زعم أبو المقدام عن الحسن بن أبي الحسن ، قال: دخلت المسجد؛ فإذا أنا بعثمان رضي الله عنه متّكئاً على ردائه ، فنظرت إليه؛ فإذا رجلٌ حسن الوجه؛ وإذا بوجهه نُكُتَات من جُدَرِيّ؛ وإذا شعره قد كسا ذراعيْه[٢] . (٤ : ٤١٨) .

٨٩٠ ـ حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا ابن سعد ، قال: حدّثنا محمد بن عمر ، قال: سألت عمرو بن عبد الله بن عَنْبسة ، وعروة بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وعبد الرحمن بن أبي الزّناد عن صفة عثمان ، فلم أرَ بينهم اختلافاً ، قالوا: كان رجلاً ليس بالقصير ولا بالطويل ، حسنَ الوجه ، رقيق البشرَة ، كثّ اللحية عظيمها؛ أسمر اللون ، عظيم الكراديس؛ عظيمَ ما بين المنكبين ، كثير شعر الرأس ، يصفّر لحيته[٣] . (٤ : ٤١٩) .

٨٩١ ـ وحدّثني أحمد بن زهير ، قال: حدّثنا أبي ، قال: حدّثنا وهب بن جرير بن حازم ، قال: سمعت أبي يقول: سمعت يونس بن يزيد الأيْليّ عن

---

(١) إسناده ضعيف .
قلنا: أما الذهبي فقد اختار (٨٢ سنة) فقال: وهو الصحيح (تأريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين/ ٤٨١) وإليه مال تلميذه ابن كثير إذ قال: أما عمره رضي الله عنه فإنه جاوز ثنتين وثمانين سنة (البداية والنهاية ٧/ ١٩٩) ووصف ابن كثير في الموضع نفسه قول الكلبي بأنه توفي عن (٧٥ سنة) بأنه غريب جداً وأغرب منه ما رواه سيف عن مشايخه أنهم قالوا: قتل عثمان رضي الله عنه عن ثلاث وستين سنة . ا هـ .
ومن قبلهم اختار المؤرخ المتقدم خليفة بن خياط إلى اختلاف المؤرخين في السنة ثم روىٰ عن أبي المقدام ومحمد بن عبد الله المخزومي أنه توفي عن (٨٢ عاماً) (تأريخ خليفة/ ١٧٧) .
ويتفق الواقدي معهم أنه رضي الله عنه توفي وعمره (٨٢ سنة) والله أعلم .

(٢) في إسناده أبو المقدام وهو متروك .

(٣) في إسناده الواقدي ، وهو ومتروك .

الزُّهريّ ، قال: كان عثمان رجلاً مربوعاً ، حسن الشعر ، حسن الوجه ، أصلع ، أرْوَح الرّجلين[(١)] . (٤ : ٤١٩).

ذكر الخبر عن وقت إسلامه وهجرته

٨٩٢ - حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا ابن سعد ، قال: أخبرنا محمد بن عمر ، قال: كان إسلام عثمان قديماً قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم. قال: وكان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة الهجرة الأولى ، والهجرة الثانية ، ومعه فيهما جميعاً امرأته رُقيّة بنت رسول الله ﷺ[(٢)] . (٤ : ٤١٩).

ذكر الخبر عما كان يكنى به عثمان بن عفان رضي الله عنه

٨٩٣ - حدّثني الحارث بن محمد ، قال: حدّثنا ابن سعد ، قال: أخبرنا محمد بن عمر: أنّ عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يُكنى في الجاهلية أبا عمرو ، فلما كان في الإسلام ولد له من رقيّة بنت رسول الله ﷺ غلامٌ فسمّاه عبد الله ، واكتنى به ، فكناه المسلمون أبا عبد الله؛ فبلغ عبد الله ستّ سنين ، فنقره ديكٌ على عينه ، فمرض فمات في جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة ، فصلّى عليه رسولُ الله ﷺ ، ونزل في حُفرته عثمان رضي الله عنه.

وقال هشام بن محمد: كان يكنى أبا عمرو[(٣)] (٤ : ٤١٩/ ٤٢٠).

ذكر أولاده وأزواجه

وقال هشام بن الكلبيّ: ولدت أمّ البنين بنت عيَينة بن حصن لعثمان عبد الملك وعتبة. وقال أيضاً: ولدت نائلة عنبسةَ.

وزعم الواقديّ: أن لعثمان ابنة تدعَى أمّ البنين بنت عثمان من نائلة ، قال: وهي التي كانت عند عبد الله بن يزيد بن أبي سفيان.

---

(١) إسناده مرسل.
(٢) في إسناده الواقدي ، ولكن متنه صحيح. راجع العهد المكي من السيرة النبوية.
(٣) في إسناده الواقدي ، وهو متروك.

وقتل عثمان رضي الله عنه وعنده رملة بنة شيبة ونائلة وأمّ البنين بنت عيينة، وفاختة بنة غَزْوان؛ غير أنه ـ فيما زعم عليّ بن محمد ـ طلّق أمّ البنين؛ وهو محصور[١]. (٤ : ٤٢١).

ذكر أسماء عمَّال عثمان رضي الله عنه في هذه السنة على البلدان

٨٩٤ ـ قال محمد بن عمر: قتل عثمان رضي الله عنه وعمّاله على الأمصار ـ فيما حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزّناد ـ: على مكة عبد الله بن الحضرميّ، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثّقفيّ، وعلى صنعاء يعلى بن مُنْية، وعلى الجَنَد عبد الله بن أبي ربيعة، وعلى البصرة عبد الله بن عامر بن كُريز ـ خرج منها فلم يولِّ عليها عثمان أحداً ـ وعلى الكوفة سعيد بن العاص ـ أخرج منها فلم يُترك يدخلها ـ وعلى مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرْح ـ قدم على عثمان، وغلب محمد بن أبي حذيفة عليها. وكان عبد الله بن سعد استخلف على مصر السائب ابن هشام بن عمرو العامريّ، فأخرجه محمد بن أبي حذيفة ـ وعلى الشأم معاوية ابن أبي سفيان[٢]. (٤ : ٤٢١).

٨٩٥ ـ وفيما كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة، وأبي عثمان، قالا: مات عثمان رضي الله عنه وعلى الشأم معاوية، وعامل معاوية على حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعلى قنَّسرين حبيب بن مسلمة، وعلى الأردنّ أبو الأعور بن سفيان، وعلى فلسطين علقمة بن حَكيم الكنانيّ، وعلى البحر عبد الله بن قيس الفزاريّ. وعلى القضاء أبو الدّرداء[٣]. (٤ : ٤٢١).

٨٩٦ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عطيّة، قال: مات عثمان رضي الله عنه وعلى الكوفة؛ على صلاتها أبو موسى، وعلى خراج السَّواد جابر بن عمرو المزنيّ ـ وهو صاحب المسنّاة إلى جانب الكوفة ـ وسماك

---

(١) ضعيف.

(٢) بين الطبري والواقدي انقطاع، والواقدي متروك.

(٣) إسناده ضعيف.

الأنصاريّ. وعلى حربها القعقاع بن عمرو ، وعلى قَرْقيسياء جرير بن عبد الله ، وعلى أذْرَبيجان الأشعث بن قيس ، وعلى حُلْوان عُتَيبة بن النَّهّاس ، وعلى ماه مالك بن حبيب ، وعلى هَمذَان النُّسَير ، وعلى الرّيّ سعيد بن قيس ، وعلى أصبَهان السائب بن الأقرع ، وعلى ماسَبَذان حُبَيش ، وعلى بيت المال عُقبة بن عمرو. وكان على قضاء عثمان يومئذ زيد بن ثابت[١]. (٤ : ٤٢٢).

ذكر بعض خطب عثمان رضي الله عنه

٨٩٧ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن القاسم بن محمد ، عن عون بن عبد الله بن عُتبة ، قال: خطب عثمان الناس بعد ما بويع ، فقال:

أمّا بعد: فإني قد حُمِّلت وقد قبلت. ألاَ وإني متّبع ولست بمبتدع. ألا وإنّ لكم عليّ بعد كتاب الله عزّ وجلّ وسنَّة نبيه ﷺ ثلاثاً: اتّباع مَن كان قبلي فيما اجتمعتم عليه ، وسننتم ، وسنُّ سنة أهل الخير فيما لم تسنُّوا عن ملأ ، والكفّ عنكم إلاّ فيما استوجبتم. ألا وإن الدنيا خَضِرة قد شهّيتْ إلى الناس ، ومال إليها كثير منهم ، فلا تركنوا إلى الدنيا ، ولا تثقوا بها ، فإنها ليستُ بثقة ، واعلموا: أنها غير تاركة إلا مَن تركها[٢]. (٤ : ٤٢٢).

٨٩٨ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن بدر بن عثمان ، عن عمّه ، قال: آخر خطبة خطبها عثمان رضي الله عنه في جماعة:

إن الله عزّ وجلّ إنما أعطاكم الدنيا؛ لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها؛ لتركنوا إليها؛ إن الدنيا تفنَى والآخرة تبقى، فلا تبطرنَّكم الفانية، ولا تشغلنَّكم عن الباقية، فآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإنّ الدنيا منقطعة، وإنّ المصير إلى الله. اتّقوا الله جلّ وعزّ؛ فإن تقواه جُنّةٌ من بأسه، ووسيلة عنده ، واحذروا من الله الغِيَر، والزموا جماعتكم، لا تصيروا أحزاباً ، ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾. إلى آخر القصّة[٣]. (٤ : ٤٢٢/٤٢٣).

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

ذكر الخبر عمَّن كان يصلّي بالناس في مسجد رسول الله ﷺ حين حصِر عثمان

٨٩٩ - قال محمد بن عمر: حدّثني ربيعة بن عثمان: جاء المؤذن سعدُ القَرَظ إلى عليّ بن أبي طالب في ذلك اليوم، فقال: مَن يصلّي بالناس؟ فقال عليّ: ناد خالد بن زيد، فنادَى خالد بن زيد، فصلّى بالناس - فإنه لأوّل يوم عرِف أن أبا أيُّوب خالد بن زيد - فكان يصلّي بهم أياماً، ثم صلى عليّ بعد ذلك بالناس[1]. (٤: ٤٢٣).

٩٠٠ - قال: وحدّثني عبد الله بن نافع عن أبيه، عن ابن عمر، قال: لما حُصِر عثمان صلى بالناس أبو أيُّوب أياماً، ثم صلى بهم عليّ الجمعة والعيد، حتى قتل رضي الله عنه[2]. (٤: ٤٢٣).

ذكر مارُثي به من الأشعار

وتقاول الشعراء بعد مقتله فيه، فمن مادح وهاجٍ، ومن نائح باكٍ، ومن سارّ فَرِح، فكان ممّن يمدحه حسّان بن ثابت، وكعب بن مالك الأنصاريّان، وتميم بن أبيّ بن مقبل في آخرين غيرهم. مما مدحه به وبكاه حسان، وهجا به قاتله:

أتــركتُــمُ غَــزْوَ الــدُّروبِ وراءكُــمْ ... وغَــزَوتُمــونــا عنــد قبــرِ محمَّــدِ!

فلبئـسَ هَـدْيُ المسلميـن هَـدَيْتُـمُ ... ولبئـسَ أمـرُ الفـاجـر المُتَعَمِّـدِ!

إن تُقْـدِمـوا نجْعـلْ قِـرَى سَـرَواتِكـمْ ... حـوْلَ المـدينـةِ كـلَّ ليْـنٍ مِـذْوَدِ

أو تُـدْبِـروا فلبئـسَ مـا سـافَـرتـمُ ... ولَمِثْـلُ أمْـرِ أميـرِكـم لـم يَـرْشَـدِ

وكــأنَّ أصحــابَ النَّبــي عَشِيَّــةً ... بـدْنٌ تُـذَبَّـحُ عِنـدَ بـابِ المسجـد

أبكــي أبــا عَمْــرٍو لحُسْـنِ بـلائِـه ... أمْسَـى مُقِيمـاً فـي بَقيـعِ الغَـرْقَـدِ

وقال أيضاً:

---

(١) في إسناده الواقدي، وهو متروك.

(٢) في إسناده الواقدي، وهو متروك.

إنْ تُمسِ دارُ ابْن أرْوَى مِنْه خاوِيَةً ... بابٌ صَريعٌ وبابٌ مُحْرَق خرِبُ
فقد يُصادِفُ باغي الخَيْرِ حاجتَهُ ... فيها ويهوي إليها الذِّكرُ والحَسَبُ
يا أيُّها الناسُ أبْدوا ذاتَ أنْفسِكُمْ ... لا يَسْتَوي الصّدْقُ عند الله والكذِبُ
قوموا بِحَقِّ مليكِ الناسِ تَعْتَرفوا ... بغارةٍ عُصَبٍ مِنْ خَلفِها عُصَبُ
فيهم حبيبٌ شِهابُ المَوْتِ يَقْدُمُهُمْ ... مسْتَلئِماً قد بدَا في وَجْهه الغَضَبُ

وله فيه أشعار كثيرة. وقال كعب بن مالك الأنصاريّ:

يا للرِّجالِ لِلُبِّكَ المخْطوفِ ... ولِدمْعِك المُتَرَقْرِقِ المنزوفِ
وَيْحٌ لأمْرٍ قد أتاني رائعٍ ... هدَّ الجبالَ فأنقَضَتْ بِرُجوفِ
قَتْلُ الخليفةِ كان أمراً مُفْظِعاً ... قامَتْ لِذاك بَليَّةُ التخْويفِ
قتْلُ الإمامِ له النجومُ خَواضِعٌ ... والشمسُ بازغةٌ له بكُسوفِ
يا لَهْفَ نفسي إذ تَوَلَّوْا غُدْوَةً ... بالنعش فوقَ عواتقٍ وكُتوفِ!
وَلَّوْا ودَلَّوْا في الضَّريح أخاهُمُ ... ماذا أجَنَّ ضريحُهُ المَسْقوفُ!
مِن نائلٍ أو سُودَدٍ وحَمالَةٍ ... سبَقَتْ له في الناس أو معروفِ
كم مِنْ يَتيمٍ كان يَجْبُرُ عظمَهُ ... أمْسى بمنزِله الضَّياع يطوف
ما زال يَقْبَلُهُمْ ويَرْأَبُ ظُلْمَهمْ ... حتى سمعْتُ بِرَنَّةِ التَّلهيف
أمْسَى مُقيماً بالبَقيعِ وأصبحوا ... متفرِّقين قَد أجمعوا بخفوفِ
النارُ موعِدُهُمْ بقتلِ إمامِهِمْ ... عثمانَ ظَهْراً في البلادِ عَفيف
جَمَعَ الحمالَةَ بعدَ حِلْمٍ راجحٍ ... والخيْرُ فيه مُبَيَّنٌ معروف
يا كعب لا تَنْفكّ تَبْكي مالكاً ... ما دُمْتَ حيّاً في البلاد تطوف
فأبكي أبا عمرو عَتيقاً واصلاً ... ولِواءهم إذ كان غيْرَ سَخيفِ
ولَيَبْكِهِ عِنْدَ الحفاظِ لمُعْظِمٍ ... والخيْلُ بين مَقانبٍ وصُفوف
قَتلوك يا عثمانُ غيْرَ مُدنَّسٍ ... قتْلاً لَعَمْرُكَ واقفاً بسَقيف

وقال حسّان:

من سَرَّهُ الموتُ صِرْفاً لا مِزاجَ له ... فليأتِ مأسَدَةً في دارِ عُثْمانا
مُستشْعري حَلَقِ الماذِيّ قذ شُفِعَتْ ... قبلَ المخاطِمِ بَيْضٌ زانَ أبْدانا
صبْراً فِدى لكُمُ أمّي وما وَلَدَتْ ... قد ينفعُ الصَّبْرُ في المَكْروهِ أحيانا
فقد رَضينا بأهلِ الشأم نافِرةً ... وبالأمير وبالإخْوانِ إخْوانا

إنّي لَمِنْهُمْ وإن غابوا وإن شَهِدُوا ما دُمْتُ حيّاً وما سُمّيتُ حَسّانا
لَتَسْمَعَنَّ وشيكاً في دِيارِهِمُ اللهُ أكبرُ يا ثاراتِ عثمانا
يا ليتَ شعري وليتَ الطيْرَ تُخبرُني ما كان شأنُ عَلِيٍّ وابْنِ عَفّانا!

وقال الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط يحرّض عُمارة بن عُقبة :

ألا إنَّ خيْرَ الناسِ بعد ثلاثةٍ قتيلُ التُّجيبيّ الذي جاء من مِصْرِ
فإن يكُ ظَنّي بابْنِ أمّي صادقاً عمارةَ لا يَطْلُبْ بِذَحْلٍ ولا وِتْرِ
يَبيتُ وأوتارُ ابْنِ عفّانَ عِنْدَهُ مخيّمةُ بين الخورْنَقِ والقَصْرِ

فأجابه الفضل بن عباس :

أتطلُبُ ثأراً لستَ مِنْهُ ولا لَهُ وأيْنَ ابْنُ ذكوان الصَّفوريّ من عمرو!
كما اتَّصلَتْ بِنْتُ الحِمَارِ بأُمِّها وتَنسَى أباها إذ تُسامي أولي الفَخْرِ
ألا إنَّ خيْرَ الناسِ بعد محمَّدٍ وصيّ النَّبيّ المصطفى عِنْدَ ذي الذِّكرِ
وأوّلُ مَنْ صلّى وصِنْوُ نَبيّه وأوّلُ من أردَى الغُواةَ لدَى بَدْرِ
فلَوْ رَأَتِ الأنصارُ ظُلْمَ ابنِ عمِّكُمْ لكانوا له من ظلمِهِ حاضري النَّصْر
كفَى ذاكَ عَيْباً أن يشيروا بقتْلِه وأن يُسْلِمُوهُ للأحابيشِ من مِصرِ

وقال الحُباب بن يزيد المجاشعيّ ، عمّ الفرزدق :

لَعَمْرُ أبيكَ فلا تَجْزَعَنْ لقد ذهبَ الخيْرُ إلاّ قليلا
لقد سَفِهَ الناسُ في دينهم وخَلّى ابنُ عَفّانَ شَرّاً طويلا
أعاذِلَ كُلُّ امرىءٍ هالكٌ فسيري إلى اللهِ سيْراً جميلا[1]

(٤ : ٤٢٣/ ٤٢٤/ ٤٢٥/ ٤٢٦) .

* * *

(١) ضعيف .




ضعيف تاريخ
علي بن أبي طالب رضي الله عنه






خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

البيعة

٩٠١ - وحدّثني عمر بن شبّة ، قال: حدّثنا عليّ بن محمد ، قال: أخبرنا أبو بكر الهُذَليّ عن أبي الملَيح ، قال: لما قتل عثمان رضي الله عنه؛ خرج عليّ إلى السوق ، وذلك يوم السبت لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ، فاتّبعه الناس ، وبهَشوا في وجهه ، فدخل حائطَ بني عمرو بن مبذول ، وقال لأبي عمرة بن عمرو بن محْصَن: أغلق الباب ، فجاء الناس ، فقرعوا الباب ، فدخلوا ، فيهم طلحة ، والزّبير ، فقالا: يا عليّ ابسُط يَدك. فبايعه طلحة ، والزّبير ، فنظر حبيب بن ذُؤَيْب إلى طلحة حين بايع ، فقال: أوّل من بدأ بالبَيْعة يدٌ شلاّء؛ لا يتمّ هذا الأمر! وخرج عليٌّ إلى المسجد فصعِد المنبر وعليه إزارٌ ، وطاقٌ ، وعمامة خزّ ، ونعلاه في يده ، متوكئاً على قوس؛ فبايعه الناس. وجاؤوا بسَعْد ، فقال عليّ: بايع ، قال: لا أبايعُ حتى يبايع الناس ، والله ما عليك مني بأس ! قال: خلّوا سبيله. وجاؤوا بابن عمر ، فقال: بايع ، قال: لا أبايع حتى يبايع الناس ، قال: ائتني بحميل ، قال: لا أرى حميلاً ، قال الأشتر: خلِّ عنّي أضربْ عنقه ، قال عليّ: دعوه ، أنا حميلُه ، إنك ـ ما علمت ـ لسيِّء الخلق صغيراً وكبيراً[1]. (٤ : ٤٢٨).

---

(١) في إسناده متروك (أبو بكر الهذلي) وانقطاع ، فأبو المليح لم يدرك الحادثة ، وفي المتن مخالفة لما ورد في الروايات الصحيحة من أن هؤلاء الصحابة بايعوا وأما قول (أول من بدأ بالبيعة يدٌ شلاء لا يتم هذا الأمر) فقول ملفق ، صدر عن حبيب بن ذؤيب ، وبريء منه سيدنا علي ، فلا يمكن أن يقول هذا الكلام عن يد شلّت في سبيل الله ودفاعاً عن رسول الله ﷺ .

٩٠٢ ـ وحدّثني أحمد بن زُهير ، قال: حدّثني أبي ، قال: حدّثنا وهب بن جرير ، قال: سمعتُ أبي ، قال: سمعت يونس بن يزيد الأيْليّ عن الزُّهريّ ، قال: بايع الناس عليّ بن أبي طالب ، فأرسل إلى الزّبير ، وطلحة ، فدعاهما إلى البيعة ، فتلكّأ طلحة ، فقام مالك الأشتر ، وسلّ سيفه ، وقال: والله لتبايعنّ ، أو لأضربنّ به ما بين عينيك ! فقال طلحة: وأين المهرب عنه! فبايعه ، وبايعه الزّبير والناس. وسأل طلحة ، والزّبير أن يؤمّرهما على الكوفَة والبصرة ، فقال: تكونان عندي فأتحمَّل بكما ، فإني وَحْشٌ لفراقكما. قال الزّهريّ: وقد بلغنا: أنه قال لهما: إنْ أحببتما أن تُبايعا لي ، وإن أحببتما بايعتكما ، فقالا: بل نبايعك؛ وقالا بعد ذلك: إنما صنعنا ذلك خشيةً على أنفسنا ، وقد عرفنا أنه لم يكن ليُبايعَنا. فظهرا إلى مكة بعد قَتْل عثمان بأربعة أشهر[١]. (٤ : ٤٢٩).

٩٠٣ ـ وحدّثني عمر بن شبّة ، قال: حدّثنا أبو الحسن ، قال: حدّثنا أبو مِخْنف عن عبد الملك بن أبي سُليمان ، عن سالم بن أبي الجَعْد ، عن محمد بن الحنفيَّة ، قال: كنت أُمْسِي مع أبي حين قُتِل عثمان رضي الله عنه حتى دخل بيتَه ، فأتاه ناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقالوا: إنّ هذا الرجل قد قُتِل ، ولا بدّ من إمام للناس ، قال: أوَ تكون شورى؟ قالوا: أنت لنا رضاً ، قال: فالمسجد إذاً يكون عن رضاً من الناس. فخرج إلى المسجد فبايعه مَن بايعه؛ وبايعت الأنصار عليّاً إلا نُفيراً يسيراً ، فقال طلحة: ما لنا من هذا الأمر إلا كحِسَّة أنف الكلب[٢]. (٤ : ٤٢٩).

---

(١) إسناده ضعيف جداً ، فهو من رواية يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري والتي قال فيها أحمد: منكرات ، أضف إلى ذلك فالإسناد مرسل فهو مرسل ضعيف جداً. والحق يقال: إن الزبير وطلحة لم يبايعا مكرهين خوفاً من فلانٍ وعلانٍ أو تحت ضغوطات التهديدات ولربما بايعا وهما كارهان وهذا شيء وأما البيعة بالإكراه والإجبار فلا يصح عنهما كما ذكرنا في الصحيح.

(٢) في إسناده أبو مخنف وهو تالف هالك وفي متنه نكارة ، وتحريف أبي مخنف هنا واضح جلي للعيان فجميع الروايات تذكر لفظة (خليفة) ولكنه قال (إمام) وقول طلحة: مالنا من هذا الأمر إلا كحسة أنف الكلب ـ لم نجدها عند غيره ـ وكذلك عبارة (قال: (أي علي) أو تكون شورى) فلم نجدها عند غيره ، والحمد لله على نعمة الإسناد ، فبالإسناد ينكشف الافتراء ، والزيف.

ثم إن الرواية الصحيحة عن محمد بن الحنفية والتي أخرجها أحمد في فضائل الصحابة كما =

٩٠٤ - وحدّثني عمر ، قال: حدّثنا أبو الحسن ، قال: أخبرنا شيخٌ من بني هاشم عن عبد الله بن الحسن ، قال: لما قتل عثمان رضي الله عنه بايعت الأنصار عليّاً إلاّ نُفيراً يسيراً ، منهم حسّان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومسلمة بن مخلَّد ، وأبو سعيد الخُدْريّ ، ومحمد بن مسلمة ، والنعمان بن بشير ، وزيد بن ثابت ، ورافع بن خَدِيج ، وفَضالة بن عُبَيد ، وكعب بن عُجْرة ، كانوا عثمانيّة. فقال رجل لعبد الله بن حسن: كيف أبَى هؤلاء بيعة عليّ! وكانوا عثمانية. قال: أما حسّان فكان شاعراً لا يُبالي ما يصنع؛ وأما زيد بن ثابت فولاّه عثمان الديوانَ وبيتَ المال ، فلما حُصِر عثمان ، قال: يا معشر الأنصار ! كونوا أنصاراً لله. . . مرّتين ، فقال أبو أيُّوب: ما تنصره إلا أنه أكثر لك من العِضْدان. فأما كعب بن مالك فاستعمله على صَدَقة مُزَيْنة وترك ما أخذ منهم له[1] . (٤ : ٤٢٩/ ٤٣٠) .

٩٠٥ - قال: وحدّثني منْ سمع الزّهريّ يقول: هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا عليّاً ، ولم يبايعه قُدامة بن مظعون ، وعبد الله بن سلاَم ، والمغيرة ابن شعبة. وقال آخرون: إنما بايع طلحة ، والزبير عليّاً كَرهاً.

وقال بعضهم: لم يُبايِعْه الزّبير[2] . (٤ : ٤٣٠) .

ذكرُ من قال ذلك:

٩٠٦ - حدّثني عبد الله بن أحمد المروزيّ ، قال: حدثني أبي ، قال: حدّثني سليمان ، قال: حدّثني عبد الله عن جرير بن حَازم ، قال: حدّثني هشام بن أبي هشام مولى عثمان بن عفان عن شيخ من أهل الكوفة ، يحدّثه عن شيخ آخر ،

= ذكرنا تؤكد أن أبا مخنف قد حرّف وزيّف وتقوّل على محمد ابن الحنفية ، وسياقه ما لم يقل ، بل إن أبا مخنف لم يتحمل أن يروي مسألة تأثر سيدنا علي بمقتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ودخوله البيت وإغلاق بابه على نفسه ، فخرقها ، بينما هي في أصل الرواية الصحيحة عند أحمد عن محمد ابن الحنفية.

(١) في إسناده مبهم (شيخ من بني هاشم) وهو مرسل كذلك فعبد الله بن الحسن لم يدرك بيعة علي رضي الله عنه ، وفي متنه نكارة شديدة وطعن في صحابة رسول الله ﷺ وماذا عن رواية سندها هكذا ولم تثبت في رواية صحيحة إطلاقاً: أن هؤلاء الصحابة الذين ذكرهم بأسمائهم قد تخلفوا عن البيعة.

(٢) إسناده ضعيف جداً وفي متنه نكارة كما سنذكر.

قال: حُصِر عثمان وعليّ بخَيْبر، فلما قدِم أرسل إليه عثمان يدعوه، فانطلق، فقلت: لأنطلقنّ معه ولأسمعنّ مقالتهما، فلما دخل عليه كلّمه عثمان، فحمِد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد: فإنّ لي عليك حقوقاً؛ حقّ الإسلام، وحقّ الإخاء ـ وقد علمتَ: أن رسولَ الله ﷺ حين آخَى بين الصّحابة آخى بيني وبينك ـ وحقّ القرابة والصِّهْر، وما جعلتَ لي في عنقك من العهد والميثاق، فو الله لو لم يكن من هذا شيء ثم كنّا إنما نحن في جاهليّة، لكان مُبَطًّأ على بني عبد مناف أن يبتزّهم أخو بني تَيْم مُلْكَهم.

فتكلم عليٌّ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد: فكلّ ما ذكرتَ من حقّك عليَّ على ما ذكرتَ، أمّا قولك: لو كنا في جاهليّة لكان مبطًّأ على بني عبد مناف أن يبتزّهم أخو بني تَيْم ملكَهم فصدقتَ، وسيأتيك الخبر. ثمّ خرج فدخل المسجدَ فرأى أسامَةَ جالساً، فدعاه، فاعتمد على يده، فخرج يمشي إلى طلحة وتبعتُه، فدخلنا دار طلحة بن عبيد الله وهي دِحَاس من الناس، فقام إليه، فقال: يا طلحة! ما هذا الأمر الّذي وقعتَ فيه؟ فقال: يا أبا حسن! بعد ما مسّ الحزام الطُّبيين! فانصرف عليّ ولم يُحِرْ إليه شيئاً حتى أتى بيتَ المال، فقال: افتحوا هذا الباب، فلم يقدر على المفاتيح، فقال: اكسروه؛ فكُسر باب بيت المال، فقال: أخرجوا المال، فجعل يُعْطي الناس فبلغ الذين في دار طلحة الذي صنع عليّ، فجعلوا يتسلّلون إليه حتى تُرِكَ طلحة وحده. وبلغ الخبرُ عثمانَ، فسُرّ بذلك، ثمّ أقبل طلحة يمشي عائداً إلى دار عثمان، فقلت: والله لأنظرنّ ما يقول هذا؛ فتبعتُه، فاستأذن على عثمان، فلمّا دخل عليه قال: يا أميرَ المؤمنين! أستغفر الله وأتوب إليه، أردتُ أمراً فحال الله بيني وبينه، فقال عثمان: إنك والله ما جئت تائِباً، ولكنك جئت مغلوباً، الله حسيبك يا طلحة![1] (٤: ٤٣٠/ ٤٣١).

٩٠٧ ـ وحدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقّاص عن أبيه، عن سعد، قال: قال طلحة: بايعتُ والسيف فوق رأسي ـ فقال سعد:

---

(١) في إسناده مجاهيل (شيخ من أهل الكوفة يحدثه عن شيخ آخر) بالإضافة إلى النكارة الشديدة في المتن فكيف يستدل به؟!.

لا أدري والسيف على رأسه أم لا ، إلاّ أني أعلم أنه بايع كارهاً ـ قال: وبايع الناس عليّاً بالمدينة ، وتربّص سبعة نفر ، فلم يبايعوه؛ منهم: سعد بن أبي وقّاص ، ومنهم ابن عمر ، وصهيب ، وزيد بن ثابت ، ومحمد بن مسلمة ، وسلَمة بن وقْش ، وأسامة بن زيد ، ولم يتخلّف أحدٌ من الأنصار إلاّ بايع فيما نعلم[(١)] . (٤ : ٤٣١) .

٩٠٨ ـ وحدّثنا الزّبير بن بكّار ، قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله ، قال: حدّثني أبي عبد الله بن مصعب عن موسى بن عقبة ، عن أبي حبيبة مولى الزّبير ، قال: لما قَتل الناس عثمانَ رضي الله عنه ، وبايعوا عليّاً؛ جاء عليٌّ إلى الزّبير ، فاستأذن عليه ، فأعلمته به ، فسلّ السيفَ ، ووضعه تحت فراشه ، ثم قال: ائذن له ، فأذنت له ، فدخل؛ فسلّم على الزّبير؛ وهو واقفٌ بنحره ، ثمّ خرج ، فقال الزبير: لقد دخَلَ المرء ما أقْصاه ، قُمْ في مقامه فانظر هل ترى من السيف شيئاً؟ فقمتُ في مقامه فرأيت ذُباب السيف ، فأخبرته فقال: ذاك أعجلَ الرّجلَ. فلما خرج عليّ سأله الناس ، فقال: وجدتُ أبرَّ ابن أخْتٍ ، وأوصلَه. فظنّ الناس خيراً ، فقال علي: إنه بايعه[(٢)] . (٤ : ٤٣١/ ٤٣٢) .

٩٠٩ ـ ومما كتب به إليّ السريّ عن شعيب ، عن سَيْف بن عمر ، قال: حدّثنا محمد بن عبد الله بن سواد بن نُوَيرة ، وطلحة بن الأعلم ، وأبو حارثة ، وأبو عثمان ، قالوا: بقِيَت المدينة بعد قَتْل عثمان رضي الله عنه خمسةَ أيام ـ وأميرها الغافقيّ بن حرب ـ يلتمسون من يُجيبهم إلى القيام بالأمر ، فلا يجدونه ، يأتي المصريّون عليّاً فيخْتبىء منهم ، ويلوذُ بحيطان المدينة ، فإذا لَقوْه؛ باعدهم ، وتبرّأ منهم ومن مقالتهم مرّة بعد مرّة؛ ويطلب الكوفيون الزّبير فلا يجدونه ، فأرسلوا إليه حيث هو رسُلاً ، فباعدهم ، وتبرّأ من مقالتهم. ويطلب البصرّيون طلحةَ ، فإذا لقيهم؛ باعَدهم ، وتبرّأ من مقالتهم مرّة بعد مرّة؛ وكانوا مجتمعين على قَتْل عثمان مختلفين فيمن يهوَوْن ، فلما لم يجدوا ممالئاً ، ولا مُجيباً؛ جمعهم الشرّ على أوّل من أجابهم ، وقالوا: لا نولّي أحداً من هؤلاء

---

(١) في إسناده الواقدي (محمد بن عمر) ، وهو متروك وفي متنه مخالفة لما في الروايات الصحيحة. راجع قسم الصحيح.

(٢) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة.

الثلاثة ، فبعثوا إلى سعد بن أبي وقّاص وقالوا: إنك من أهل الشورى ، فرَأيُنا فيك مجتمع ، فاقدُم؛ نبايعك ، فبعث إليهم: إني ، وابن عمر خرجنا منها ، فلا حاجة لي فيها على حال. وتمثّل:

لا تَخلِطَنَّ خبيثاتٍ بطَيِّبَةٍ واخلع ثيابَك منها وانجُ عُريانا

ثمّ إنهم أتوْا ابنَ عمر عبد الله ، فقالوا: أنت ابن عمر فقم بهذا الأمر ، فقال: إنّ لهذا الأمر انتقاماً ، واللهِ لا أتعرّض له ! فالتمسوا غيري. فبقُوا حيارَى لا يدرون ما يصنعون والأمر أمرهم[1]. (٤ : ٤٣٢).

٩١٠ ـ وكتب إليَّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال: كانوا إذا لقوا طلحة؛ أبى ، وقال:

ومن عَجَبِ الأيامِ والدَّهرِ أنني بقيتُ وحيداً لا أمرُّ ولا أُحلِي

فيقولون: إنَّك لتوعدنا. فيقومون فيتركونه ، فإذا لقُوا الزّبير ، وأرادوه؛ أبى ، وقال:

متى أنت عن دارٍ بفَيْحان راحلٌ وباحتها تَخْنُو عليك الكتائبُ

فيقولون: إنك لتوعدنا! فإذا لقوا عليّاً ، وأرادوه؛ أبى ، وقال:

لو أنَّ قومي طاوَعَتني سَراتُهُمْ أمَرْتُهُمْ أمراً يُديخ الأعاديا

فيقولون: إنك لتوعدنا! فيقومون ، ويتركونه[2]. (٤ : ٤٣٣).

٩١١ ـ وحدّثني عمر بن شبّة ، قال: حدّثنا أبو الحسن المدائنيّ ، قال: أخبرنا مسلمة بن محارب عن داود بن أبي هند ، عن الشعبيّ ، قال: لما قتل

---

(١) إسناده مظلم ومتنه منكر للغاية ، فلم يثبت إسناد رواية تذكر ذلك بل إن الصحابة بايعوا علياً في اليوم الذي قتل فيه عثمان رضي الله عنه ومن لم يبايعه في ذلك اليوم بايعه في اليوم الذي بعده مباشرة ، ولم يكن الصحابة بهذا الضعف بحيث تبقىٰ المدينة المنورة وعاصمة الخلافة في أيدي الخارجين لمدة خمسة أيام! وهذا هو دأب شعيب راوية سيف المجهول الحال والذي يتحامل علىٰ الصحابة في رواياته كما عرف عنه أئمة الجرح والتعديل وهو يريد تحت ستار أن يطعن في الصحابة ويظهر عجزهم في خضم ذكره لتأثر علي لمقتل عثمان ورفضه سماع كلام الخارجين عليه فينفذ سمه ولكن هيهات وأئمة الإسناد كانوا له بالمرصاد فرحمهم الله وجزاهم عنا خير الجزاء.

(٢) إسناده ضعيف جداً ولم نجد ما يؤيده.

عثمان رضي الله عنه؛ أتى الناسُ علياً وهو في سوق المدينة ، وقالوا له: ابسُط يدك نبايعْك ، قال: لا تعجلوا فإنّ عمر كان رجلاً مباركاً ، وقد أوصى بها شورى ، فأمهِلوا يجتمع الناس ، ويتشاورون. فارتدّ الناس عن عليّ؛ ثم قال بعضهم: إن رجع الناس إلى أمصارهم بقَتْل عثمان ولم يَقُم بعده قائمٌ بهذا الأمر؛ لم نأمن اختلافَ الناس ، وفساد الأمة ، فعادوا إلى عليّ ، فأخذ الأشْتَرُ بيده فقبضها عليّ ، فقال: أبعد ثلاثة! أمَا والله لئن تركتها لتقصرنّ عَنيتَك عليها حيناً ، فبايعته العامَّة. وأهل الكوفة يقولون: إنّ أوّل من بايعه الأشْتر[1]. (٤ : ٤٣٣).

٩١٢ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي حارثة وأبي عثمان ، قالا: لما كان يوم الخميس على رأس خمسة أيام من مقتل عثمان رضي الله عنه؛ جمعوا أهل المدينة فوجدوا سعداً ، والزّبير خارجيْن ، ووجدوا طلحة في حائط له ، ووجدوا بني أميَّة قد هربوا إلاّ من لم يُطِق الهرب ، وهرب الوليد ، وسعيد إلى مكة في أوّل من خرج ، وتبعهم مروان ، وتتابع على ذلك مَنْ تتابع ، فلما اجتمع لهم أهلُ المدينة؛ قال لهم أهل مصر: أنتم أهل الشورى ، وأنتم تعقدون الإمامةَ ، وأمركم عابر على الأمة ، فانظروا رجلاً تنصّبونه ، ونحن لكم تبَع. فقال الجمهور: عليّ بن أبي طالب نحن به راضون[2]. (٤ : ٤٣٣/ ٤٣٤).

٩١٣ ـ وكتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، قالا: فقالوا لهم: دونكم يا أهل المدينة فقد أجّلناكم يومين ، فوالله لئن لم تفرُغوا لنقتلنّ غداً علياً ، وطلحة ، والزّبير ، وأناساً كثيراً! فغشي الناس علياً ، فقالوا: نُبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام؛ وما ابتُلينا به من ذوي القُربى ، فقال عليّ: دعوني ، والتَمِسوا غيري ، فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه ، وله ألوان ، لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول. فقالوا: ننشدُك الله ألا ترى ما نرى ؟! ألا ترى الإسلام ؟! ألا ترى الفتنة! ألا تخاف الله ؟! فقال: قد أجبتكم لما أرى ، واعلموا إن أجبتكم؛ ركبتُ بكم ما أعلم ، وإن تركتموني؛ فإنما أنا كأحدكم ، إلاّ أني أسمعكم ، وأطوَعكم لمن ولّيتموه أمركم. ثمّ افترقوا على ذلك ، واتّعدوا الغد. وتشاور الناس فيما بينهم وقالوا: إن دخل طلحة ، والزبير؛ فقد استقامت. فبعث

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة.

(٢) إسناده ضعيف جداً ومتنه منكر كما سبق أن أشرنا في (٤/ ٤٣٢/ ٩٠٩).

البصريّون إلى الزبير بصريّاً ، وقالوا: احذر لا تحادّه ـ وكان رسولهم حُكَيم بن جبلة العبديّ في نفر ـ فجاؤوا به يحدّونه بالسيف. وإلى طلحة كوفيّاً ، وقالوا له: احذر لا تحادّه ، فبعثوا الأشتر في نَفَر ، فجاؤوا به يحدّونه بالسيف. وأهلُ الكوفة وأهل البصرة شامتون بصاحبهم ، وأهل مصر فرحون بما اجتمع عليه أهلُ المدينة ، وقد خشّع أهلَ الكوفة وأهل البصرة أن صاروا أتباعاً لأهل مصر وحِشْوة فيهم ، وازدادوا بذلك على طلحة ، والزّبير غيظاً ، فلما أصبحوا من يوم الجمعة؛ حضر الناس المسجد ، وجاء عليّ حتى صعد المنبر ، فقال: يا أيّها الناس ـ عن ملأ وإذن ـ إنّ هذا أمرُكم ليس لأحد فيه حقّ إلاّ من أمرتم ، وقد افترقنا بالأمس على أمر ، فإن شئتم قعدت لكم ، وإلاّ فلا أجد على أحد. فقالوا: نحن على ما فارقناك عليه بالأمس. وجاء القوم بطلحة ، فقالوا: بايع ، فقال: إني إنّما أبايع كرهاً ، فبايع ـ وكان به شلل ـ أوّل الناس ، وفي الناس رجل يعتاف ، فنظر من بعيد ، فلما رأى طلحة أوّل من بايع قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! أوّل يدٍ بايعت أمير المؤمنين يدٌ شلاّء ، لا يتمّ هذا الأمر! ثم جيء بالزّبير ، فقال مثل ذلك ، وبايع ـ وفي الزّبير اختلاف ـ ثمّ جيء بقوم كانوا قد تخلّفوا ، فقالوا: نُبايع على إقامة كتاب الله في القريب ، والبعيد ، والعزيز ، والذّليل ، فبايعهم؛ ثمّ قام العامّة ، فبايعوا[1] . (٤: ٤٣٤/ ٤٣٥).

٩١٥ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي زُهير الأزديّ ، عن عبد الرحمن بن جندَب ، عن أبيه ، قال: لما قتل عثمان رضي الله عنه ، واجتمع الناس على عليّ؛ ذهب الأشْتَر فجاء بطلحة ، فقال له: دعني أنظر ما يصنع الناس ، فلم يدَعه ، وجاء به يتُلُّه تَلاًّ عنيفاً ، وصعد المنبر فبايع[2] . (٤: ٤٣٥).

٩١٦ - وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ،

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة كما ذكرنا فإن الصحابة بدؤوا بالبيعة في اليوم الذي قتل فيه سيدنا عثمان ولم تكن البيعة تحت تهديد الخارجين وما كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بهذه الدرجة من الخوف من الناس ، ولكن سيفاً وراويته (شعيب) يأبيان إلا أن يحرفا الحقائق فلا حول ولا قوة إلا بالله. والروايات الصحيحة التي ذكرنا في قسم الصحيح تكذب ذلك.

(٢) إسناده ضعيف ومتنه منكر كما ذكرنا.

قالا: وبايع النّاس كلهم[١]. (٤: ٤٣٥).

قال أبو جعفر: وسمح بعد هؤلاء الذين اشترطوا الذين جيء بهم، وصار لأمر أمر أهل المدينة، وكانوا كما كانوا فيه، وتفرّقوا إلى منازلهم لولا مكان النُّزّاع، والغوغاء فيهم[٢]. (٤: ٤٣٥).

اتساق الأمر في البيعة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام

٩١٧ ـ وبويع عليّ يوم الجمعة لخمسٍ بقين من ذي الحجّة ـ والناس يحسبُون من يوم قتل عثمان رضي الله عنه ـ فأوّل خطبة خطبها عليّ حين استُخلف ـ فيما كتب به إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن سليمان بن أبي المغيرة، عن عليّ بن الحسين ـ حمِد الله وأثنى عليه، فقال:

إنّ الله عزّ وجلّ أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير، والشرّ، فخذوا بالخير، ودعوا الشرّ. الفرائض أدّوها إلى الله سبحانه يؤدكم إلى الجنَّة. إنّ الله حرّم حُرَماً غير مجهولة، وفضّل حُرْمة المسلم على الحُرم كلّها، وشدّ بالإخلاص، والتوحيد المسلمين. والمسلم مَن سلم النّاس من لسانه ويده إلا بالحقّ، لا يحلّ أذى المسلم إلاّ بما يجب. بادروا أمر العامة، وخاصّة أحدكم الموتُ، فإنّ الناس أمامكم، وإنّ ما من خلفكم الساعةُ تحدوكم. تخفّفوا؛ تلحقوا، فإنما ينتظر الناس أخراهم. اتّقوا الله عبادَه في عباده، وبلاده، إنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله عزّ وجلّ ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير؛ فخذوا به، وإذا رأيتم الشرّ؛ فدعوه، ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

ولما فرغ عليّ من خطبته وهو على المنبر قال المصريون:

خُذْها... واحْذَراً أبا حَسَنْ إنّا نمِرُّ الأمْرَ إمْرارَ الرَّسَنْ

وإنما الشعر:

خذها إليكَ واحذراً أبا حَسَنْ

فقال عليٌّ مجيباً:

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) لا إسناد له.

إنــي عَجَــزتُ عَجْــزةً مــا أعْتَــذِرْ سَــوْفَ أكيــسُ بعْــدَهــا وأستَمِــرّ[1]
(٤٣٦:٤).

٩١٨ - وكتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، قالا: ولما أراد عليّ الذهاب إلى بيته قالت السّبئيّة:

خــذهــا إليــك واحــذراً أبــا حســنْ إنَّــا نُمِــرُّ الأمــرَ إمــرارَ الــرَّسَــنْ
صَــوْلَــةَ أقْــوام كَــأَسْــدادِ السُّفُــنْ بمَشْــرَفيَّــات كغُــدْرانِ اللّبَــنْ
ونطعــن المُلــكَ بِلَيْــنٍ كــالشَّطَــنْ حتــى يُمَــرَّنَّ علــى غَيــرِ عَنَــنْ

فقال عليّ وذكر تركهم العسكر والكينونة على عِدَة ما مُنُّوا حين غمزوهم، ورجعوا إليهم، فلم يستطيعوا أن يمتنعوا حتى....

إنّــي عجــزتُ عجــزةً لا أعتــذِرْ ســوف أكيــسُ بعــدهــا وأستمــرّ
أرْفَــعُ مِــنْ ذَيلــي مــا كنْــتُ أجُــرّ وأَجْمَــعُ الأمْــرَ الشَّتيــتَ المُنْتَشِــرْ
إن لــم يُشــاغِبْنــي العَجُــولُ المُنْتَصِرْ أو يَتْــرُكــونــي والسِّــلاحُ يُبْتَــدَرْ

واجتمع إلى عليّ بعد ما دخل طلحة، والزّبير في عدّة من الصّحابة، فقالوا: يا عليّ! إنّا قد اشترطنا إقامةَ الحدُود، وإنّ هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرّجل وأحلّوا بأنفسهم. فقال لهم: يا إخوتاه! إني لست أجهل ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا، ولا نملكهم! ها هُمْ هؤلاء قد ثارت معهم عُبدانُكم، وثابت إليهم أعرابُكم، وهم خِلالَكم يسومونكم ماشاؤوا، فهل ترْون موضعاً لقُدْرة على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرى إلاّ رأياً ترونه إن شاء الله؛ إنّ هذا الأمر أمرُ جاهليّة، وإنّ لهؤلاء القوم مادّة؛ وذلك أن الشيطان لم يشرَع شريعة قطّ فيبرح الأرضَ من أخذ بها أبداً. إنّ الناس من هذا الأمر إن حُرِّك على أمور: فرْقة ترى ما ترْون، وفرْقة ترى ما لا ترون، وفرْقة لا ترى هذا، ولا هذا؛ حتى يهدأ الناس، وتقع القلوبُ مواقعَها، وتُؤخَذ الحقوق، فاهدؤوا عني، وانظروا ماذا يأتيكم، ثمّ عودوا.

واشتدّ على قريش، وحالَ بينهم وبين الخروج على حال، وإنما هَيّجه على ذلك هربُ بني أميّة. وتفرّق القوم؛ وبعضهم يقول: والله لئن ازداد الأمرُ لا قدرنا

(١) إسناده ضعيف.

على انتصارٍ من هؤلاء الأشرار؛ لتَرْك هذا إلى ما قال عليّ أمثل. وبعضهم يقول: نقضي الّذي علينا ولا نؤخّره، ووالله إنّ علياً لمستغنٍ برأيه وأمره عنا، ولا نراه إلاّ سيكون على قُريش أشدّ من غيره. فذُكر ذلك لعليّ، فقام، فحمد الله، وأثنى عليه، وذكر فَضْلهم، وحاجته إليهم، ونظرَه لهم، وقيامه دونهم، وأنه ليس له من سلطانهم إلاّ ذلك، والأجر من الله عزّ وجلّ عليه، ونادى: برئت الذّمة من عبدٍ لم يرجع إلى مواليه. فتذامَرت السّبئيّة، والأعْراب، وقالوا: لنا غداً مثلها، ولا نستطيع نحتجّ فيهم بشيء[1]. (٤: ٤٣٦/ ٤٣٧/ ٤٣٨).

٩١٩ - وكتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، قالا: خرج عليٌّ في اليوم الثالث على الناس، فقال: يا أيُّها الناس! أخرجوا عنكم الأعْراب. وقال: يا معشر الأعراب! الحقوا بمياهكم. فأبت السَّبئيَّة، وأطاعهم الأعراب. ودخل عليٌّ بيته، ودخل عليه طلحة، والزّبير، وعدّة من أصحاب النبيّ ﷺ، فقال: دونكم ثأركم فاقتلوه؛ فقالوا: عَشوا عن ذلك، قال: هم والله بعد اليوم أعْشى، وآبى. وقال:

لـو أنَّ قـومـي طـاوعَتْني سَـرَاتُهُـمْ أمَـرْتهُـمُ أمْـراً يُـديـخُ الأعـاديـا

وقال طلحة: دعني فلآت البصرة، فلا يفْجؤك إلاّ وأنا في خيل، فقال: حتى أنظر في ذلك. وقال الزّبير: دعني آتِ الكوفة، فلا يفجؤك إلاّ وأنا في خيل، فقال: حتى أنظر في ذلك؛ وسمع المغيرة بذلك المجلس فجاء حتى دخل عليه، فقال: إنّ لك حقّ الطاعة، والنصيحة، وإنّ الرّأي اليوم تُحرز به ما في غد، وإنّ الضَّيَاع اليومَ تضيِّع به ما في غد؛ أقْرِرْ معاويةَ على عمله، وأقرر ابنَ عامر على عمله، وأقرر العمّال على أعمالهم، حتى إذا أتتك طاعتهم، وبيعةُ الجنود استَبْدَلْت، أو تركت. قال: حتى أنظر.

فخرج من عنده وعاد إليه من الغد، فقال: إني أشرت عليك بالأمس برَأي، وإنّ الرأي أن تعاجلهم بالنزوع، فيعرف السامع من غيره ويستقبل أمرك؛ ثمّ

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة، وإلاّ فكيف يقبل الصحابة بيعة مشروطة وهم أفقه الناس بعد رسول الله ﷺ، ورواية سيف هذه تبين أن طلحة والزبير بايعوه بشرط إقامة الحدود منها القصاص من قتلة عثمان وهذا غير صحيح ولذلك قال ابن العربي: فإن قيل: بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان. قلنا: هذا لا يصح في شرط البيعة (العواصم/ ١٥٠).

خرج ، وتلقّاه ابن عباس خارجاً؛ وهو داخل ، فلما انتهى إلى عليّ؛ قال: رأيت المغيرَة خرج من عندك ، ففيم جاءك؟ قال: جاءني أمس بذَيّةَ ، وذيّةَ ، وجاءني اليوم بذَيّة ، وذيّة ، فقال: أمّا أمس فقد نَصَحك ، وأما اليوم فقد غشّك. قال: فما الرّأي؟ قال: كان الرّأي أن تخرج حين قُتِل الرّجل ، أو قبل ذلك ، فتأتيَ مكة ، فتدخل دارك ، وتغلق عليك بابَك ، فإن كانت العربُ جائِلة مضطربة في أثرك لا تجد غيرك؛ فأمّا اليوم فإنّ في بني أميّة من يستَحْسنون الطلب بأن يلزموك شعبةً من هذا الأمر ، ويشبّهون على الناس ، ويطلبون مثل ما طلب أهلُ المدينة ، ولا تقدر على ما يريدون ، ولا يقدرون عليه ، ولو صارت الأمور إليهم حتى يصيروا في ذلك أمْوَت لحقوقهم؛ وأترك لها إلا ما يعجّلون من الشبهة. وقال المغيرة: نصحتُه والله ، فلما لم يقبل غشَشْتُه. وخرج المغيرة حتى لحق بمكة[1]. (٤: ٤٣٨/ ٤٣٩).

٩٢٠ ـ حدّثني الحارث عن ابن سعد ، عن الواقديّ ، قال: حدّثني ابن أبي سَبْرة ، عن عبد المجيد بن سهيل ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة ، عن ابن عباس ، قال: دعاني عثمان ، فاستَعْملني على الحجّ ، فخرجت إلى مكة فأقمت للناس الحجّ ، وقرأتُ عليهم كتابَ عثمان إليهم ، ثمّ قدِمْت المدينة؛ وقد بويع لعليّ؛ فأتيتُه في داره ، فوجدتُ المغيرة بن شُعبة مستَخْلياً به ، فحبسني حتى خرج من عنده ، فقلت: ماذا قال لك هذا؟ فقال: قال لي قبل مَرّته هذه: أرْسِلْ إلى عبد الله بن عامر ، وإلى معاوية ، وإلى عمّال عثمان بعهُودهم تُقرّهم على أعمالهم ، ويبايعون لك الناس ، فإنّهم يهدّئون البلاد ، ويسكّنون الناس؛ فأبيتُ ذلك عليه يومئذ ، وقلتُ: والله لو كان ساعة من نهار؛ لاجتهدتُ فيها رأيي ، ولا ولّيتُ هؤلاء، ولا مثلُهم يُوَلّى.

قال: ثمّ انصرف من عندي وأنا أعرفُ فيه: أنه يرى أني مخطىء؛ ثمّ عاد إليّ الآن ، فقال: إنّي أشرتُ عليك أوّل مرّة بالذي أشرتُ عليك ، وخالَفْتني فيه ، ثمّ

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه ما لا يصح ، فقد ورد فيها: (وقال طلحة: دعني فلآت البصرة فلا يفجؤك إلاّ وأنا في خيل) وقال الزبير: (دعني آت الكوفة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل) وهذا لم يصح فلم يطلب الزبير ولا طلحة من علي أن يأذن لهما بالذهاب إلى البصرة لطلب الجيوش والمدد.

رأيتُ بعد ذلك رأياً ، وأنا أرى أن تصنع الذي رأيتَ ، فتنزعهم ، وتستعين بمن تَثِق به ، فقد كفى الله ، وهم أهْوَنُ شوكةً مما كان. قال ابن عباس: فقلتُ لعليّ: أما المرّة الأولى؛ فقد نصحك ، وأما المرّة الآخرة ، فقد غَشّك؛ قال له عليّ: ولم نصحني؟ قال ابن عباس: لأنّك تعلم أن مُعاوية وأصحابه أهل دنيا ، فمتى تثْبتهم؛ لا يبالوا بمن ولي هذا الأمر ، ومتى تعزلْهم؛ يقولوا: أخَذَ هذا الأمْرَ بغير شورى ، وهو قتلَ صاحبَنا؛ ويؤلِّبون عليك فينتقض عليك أهلُ الشأم ، وأهلُ العراق ، مع أني لا آمن طلحة ، والزّبير أن يكرّا عليك.

فقال عليّ: أمّا ما ذكرت من إقرارهم فوالله ما أشكّ أنّ ذلك خيرٌ في عاجل الدّنيا لإصلاحها ، وأما الذي يلزمني من الحقّ ، والمعرفة بعمّال عثمان فوالله لا أولِّي منهم أحداً أبداً؛ فإن أقبلوا؛ فذلك خيرٌ لهم ، وإن أدْبروا؛ بذلت لهم السيف. قال ابن عباس: فأطِعْني ، وادخل دارَك ، والحق بمالِك بينْبُع ، وأغلق بابك عليك ، فإنّ العرب تجول جولةً ، وتضطربُ ، ولا تجد غيرَك ، فإنك والله لئن نَهَضْت مع هؤلاء اليوم ليُحَمّلَنَّك الناس دمَ عثمان غداً. فأبى عليّ ، فقال لابن عباس: سر إلى الشأم فقد ولّيتُكَها؛ فقال ابن عباس: ما هذا برأي؛ معاويةُ رجلٌ من بني أميّة ، وهو ابنُ عمّ عثمان ، وعامله على الشأم ، ولست آمن أن يضرب عُنُقي لعثمان ، أو أدْنى ما هو صانِعٌ أن يحبسني فيتحكّم عليّ. فقال له عليّ: ولم؟ قال: لقرابة ما بيني وبينك ، وإنّ كلّ ما حمل عليك حمِل عليّ ، ولكن اكتب إلى معاوية ، فمنِّه ، وعِده. فأبى عليّ ، وقال: والله لا كان هذا أبداً[١]. (٤: ٤٣٩/ ٤٤٠).

٩٢١ ـ قال محمّد: وحدّثني هشام بن سعد عن أبي هلال ، قال: قال ابن عبّاس: قدِمْت المدينة من مكة بعد قتل عثمان رضي الله عنه بخمسة أيام ، فجئْتُ عليّاً أدخل عليه ، فقيل لي: عنده المغيرةُ بن شعبة؛ فجلستُ بالباب ساعةً ، فخرج المغيرة ، فسلّم عليّ ، فقال: متَى قدِمت؟ فقلت: الساعةَ. فدخلتُ على عليّ ، فسلّمت عليه ، فقال لي: لقيتَ الزّبير ، وطلحة؟ قال: قلت: لقيتهما

---

(١) في إسناده الواقدي ، وهو متروك وفي متنه ما يخالف الرواية الصحيحة التي ذكرنا في قسم الصحيح عند الحديث عن بيعة علي رضي الله عنه من أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بايعه من أول الأمر وكان حاضراً غير غائب في الحج.

بالنَّواصف. قال: مَن معهما؟ قلت: أبو سعيد بن الحارث بن هشام في فِئة من قُريش. فقال عليّ: أما إنهم لن يَدَعوا أن يخرجوا يقولون: نطلب بدم عثمان؛ والله نعلم: أنهم قتلة عثمان. قال ابن عباس: يا أمير المؤمنين! أخبِرْني عن شأن المغيرة، ولِمَ خلا بك؟ قال: جاءني بعد مَقْتل عثمان بيومين، فقال لي: أخْلِني، ففعلت؛ فقال: إنّ النّصح رخيص، وأنت بقيّة الناس، وإني لك ناصح، وإني أشير عليك بردّ عمال عثمان عامَك هذا؛ فاكتب إليهم بإثْباتهم على أعمالهم، فإذا بايَعوا لك، واطمأنّ الأمْرُ لك؛ عزَلْت من أحْببت، وأقرَرْت من أحبَبْت. فقلتُ: والله لا أدهِن في ديني، ولا أعطي الدّنيّ في أمري! قال: فإن كنت قد أبَيْتَ عليّ؛ فانزعْ من شئت، واترك معاوية، فإنّ لمعاوية جُرْأة، وهو في أهل الشأم يُسمع منه، ولك حُجّة في إثباته؛ كان عمر بن الخطاب قد ولاّه الشأم كلها، فقلتُ: لا والله! لا أستعمل معاويةَ يومين أبداً. فخرج من عندي على ما أشار به، ثمّ عاد فقال لي: إنّي أشرتُ عليك بما أشرتُ به، فأبيتَ عليّ، ثمّ نظرتُ في الأمر، فإذا أنتَ مصيبٌ، لا ينبغي لك أن تأخُذَ أمرك بخَدْعة، ولا يكون في أمرك دُلْسة. قال: فقال ابن عباس: فقلت لعليّ: أمّا أوّل ما أشار به عليك؛ فقد نصَحك، وأما الآخر؛ فغَشّك؛ وأنا أشيرُ عليك بأن تُثْبِت معاوية، فإن بايع لك؛ فعليّ أن أقلعَهُ من منزله. قال عليٌّ: لا والله، لا أعطيه إلاّ السيف! قال: ثم تمثّل بهذا البيت:

مـا ميتـة إن مُتُّهـا غيْـرَ عـاجـزٍ بعارٍ إذا ما غـالَـتِ النفسَ غـولُهـا

فقلت: يا أمير المؤمنين! أنت رجلٌ شجاع لست بأرِب بالحرْب، أما سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «الحرب خُدعة»! فقال عليّ: بلى! فقال ابن عباس: أما والله لئن أطَعْتَني لأصدُرَنّ بهم بعد ورْد، ولأتركنّهم ينظرون في دُبُر الأمور لا يعرفون ما كان وجهها في غير نُقصان عليك، ولا إثم لك. فقال: يا بن عباس! لستُ من هُنياتك وهنيات معاوية في شيء، تُشير عليّ وأرى، فإذا عصيتُك؛ فأطعني. قال: فقلت: أفْعل، إنّ أيسر مَالَكَ عندي الطاعة[1]. (٤: ٤٤٠/ ٤٤١).

---

(١) في إسناده الواقدي، وهو متروك وفي متنه نكارة.

مسيرُ قُسْطنطين ملك الرُّوم يُريد المسلمين

٩٢٢ ـ وفي هذه السنة ـ أعني: سنة خمس وثلاثين ـ سار قسطنطين بن هِرَقل ـ فيما ذكر محمد بن عمر الواقديّ عن هشام بن الغاز، عن عبادة بن نُسيّ ـ في ألف مَركب يُريد أرضَ المسلمين، فسلّط الله عليهم قاصِفاً من الرّيح، فغرّقهم، ونجا قسطنطين بن هِرَقل، فأتى صِقلّيّة، فصنعوا له حمّاماً، فدخله، فقتلوه فيه؛ وقالوا: قتلتَ رجالنا[1]. (٤: ٤٤١).

ثم دخلت سنة ستّ وثلاثين

تفريق عليّ عمّاله على الأمصار

٩٢٣ ـ ولمّا دخلت سنة ستّ وثلاثين فرّق عليٌّ عمّالَه؛ فممّا كتب إليّ السريّ عن شُعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، قالا: بعث عليٌّ عماله على الأمصار، فبعث عُثمان بن حُنَيف على البصْرة، وعُمارة بن شهاب على الكوفة، وكانت له هجرة؛ وعبيدَ الله بن عباس على اليَمن، وقيسَ بن سعد على مصر، وسهل بن حُنَيف على الشأم؛ فأمَّا سهل فإنه خرج حتى إذا كان بتَبوك لقيته خيلٌ، فقالوا: مَنْ أنت؟ قال: أمير، قالوا: على أيّ شيء؟ قال: على الشأم، قالوا: إن كان عثمان بعثَك فحيَّهلا بك، وإن كان بعثك غيرُه فارجع! قال: أوَما سمعتم بالذي كان؟ قالوا: بلَى؛ فرجع إلى عليّ. وأما قيس بن سعد؛ فإنه لما انتهى إلى أيلَة لقيَتْهُ خيلٌ، فقالوا: مَنْ أنت؟ قال: من فالَّة عثمان، فأنا أطلبُ من آوى إليه، وأنتصر به، قالوا: من أنت؟ قال: قيس بن سعد، قالوا: امضِ؛ فمضَى حتى دخل مصرَ، فافترق أهلُ مصر فِرَقاً؛ فرقةٌ دخلت في الجمَاعة، وكانوا معه. وفِرْقة وقَفت، واعتزلت إلى خَرْبِتَا، وقالوا: إن قُتِل قتَلةُ عثمان فنحن معكم، وإلاّ فنحن على جديلتنا؛ حتى نحرّك، أو نصيب حاجتنا. وفرقةٌ قالوا: نحن مع عليّ ما لم يُقِدْ إخواننا، وهم في ذلك مع الجماعة؛ وكتب قَيس إلى أمير المؤمنين بذلك. وأمّا عثمان بن حُنَيف؛ فسار فلم يردّه أحدٌ عن دُخول

---

(١) إسناده ضعيف.

البصرة ، ولم يوجد في ذلك لابنِ عامر رأيٌ ، ولا حزم ، ولا استقلال بحرب. وافترق الناس بها ، فاتّبعت فرقةٌ القومَ ، ودخلت فرقةٌ في الجماعة ، وفرقةٌ قالت: ننظرُ ما يصنع أهلُ المدينة ، فنصنع كما صنعوا. وأمّا عُمارة فأقبل حتى إذا كان بزُبالة؛ لقيه طليحة بن خُويلد؛ وقد كان حين بلغهم خبرُ عثمان خرج يدعو إلى الطلب بدمه ، ويقول: لهفي على أمْرٍ لم يسبقني ، ولم أدْرِكْهِ!

يا لَيتَني فيها جَذَعْ أكُرُّ فيها وأضَعْ

فخرج حين رجع القعقاعُ من إغاثة عثمان فيمن أجابه حتى دخل الكوفَة ، فطلع عليه عُمارة قادماً على الكوفة ، فقال له: ارجع فإنّ القومَ لا يريدون بأميرهم بدلاً ، وإن أبيت؛ ضربتُ عنقَك. فرجعَ عمارة وهو يقول: احذر الخطَر ما يماسُّكَ ، الشرُّ خير من شرّ منه.

فرجع إلى عليّ بالخبر ، وغلب على عُمارة بن شهاب هذا المثلُ من لدُنْ اعتاصَت عليه الأمور إلى أن مات. وانطلق عبيدُ الله بن عباس إلى اليَمن ، فجمع يَعْلَى بن أميّة كلّ شيء من الجباية ، وتركه ، وخرج بذلك وهو سائرٌ على حاميته إلى مكة فقدِمَها بالمال. ولما رجع سهلُ بن حُنَيف من طريق الشأم ، وأتَتْه الأخبار ، ورجع من رجع؛ دعا عليٌّ طلحةَ والزُّبير ، فقال: إنّ الذّي كنت أحذّركم قد وقَع يا قوم! وإنّ الأمر الذي وقع لا يُدرَك إلا بإمَاتَتِه ، وإنها فِتنة كالنار؛ كلَّما سُعّرَت ازدادت ، واستنارت. فقالا له: فَأْذَن لنا أن نخرج من المدينة ، فإمّا أن نُكابر ، وإما أن تَدَعنا ، فقال: سأمسِك الأمر ما استَمْسك؛ فإذا لم أجد بُدّاً فآخِر الدواء الكيّ.

وكتب إلى معاوية ، وإلى أبي موسى. وكتب إليه أبو موسى بطاعة أهْل الكوفة ، وبيْعتهم ، وبيَّنَ الكاره منهم للّذي كانَ ، والرَّاضيَ بالذي قد كانَ ، ومن بَيْن ذَلك حتى كأن علياً على المُواجَهَة من أمْر أهل الكوفة. وكان رسول عليّ إلى أبي موسى مَعْبد الأسلميّ؛ وكان رسول أمير المؤمنين إلى مُعاوية سَبْرة الجُهَنيّ ، فقدم عليه فلم يكتب معاوية بشيء ، ولم يُجِبْه وردَّ رسولَه ، وجعل كلما تنجّز جوابَه لم يزد على قوله:

أدِمْ إدامَةَ حِصنٍ أو خُذاً بِيَدي حرْباً ضَروساً تَشُبُّ الجزْلَ والضّرَمَا

في جارِكُم وابنِكُمْ إذ كان مَقْتَلهُ شنعاءَ شَيَّبَتِ الأصداغَ واللِّمما

أعْيا المَسودُ بها والسَّيِّدون فلَم يوجَد لها غَيْرُنا مولىً ولا حَكَما

وجعل الجُهنيُّ كلما تنجّز الكتاب لم يزِدْه على هذه الأبيات؛ حتى إذا كان الشّهر الثالث من مَقْتل عثمان في صفر؛ دعا معاويةُ برجُل من بني عبْس ، ثم أحد بَني رواحة يُدْعى قبيصة ، فدفع إليه طُوماراً مَخْتوماً ، عنوانهُ: من معاوية إلى عليّ. فقال: إذا دخلتَ المدينة؛ فاقبض على أسفل الطّومار ، ثمّ أوصاه بما يقولُ وسَرَّح رسولَ عليّ. وخرجا فقدما المدينة في ربيع الأوّل لغُرّته ، فلما دخلا المدينة رفع العبسيّ الطُّومار كما أمره ، وخرج الناس ينظُرون إليه ، فتفرّقوا إلى منازلهم وقد علموا: أنّ معاوية معترض ، ومضى حتى يدخل على عليّ ، فدفع إليه الطُّومار ، ففضَّ خاتمه فلم يجد في جَوْفه كتابةً ، فقال للرّسول: ما وراءك؟ قال: آمن أنا؟ قال: نعم ، إنّ الرّسل آمنة لا تُقتل؛ قال: ورائي أني تركتُ قوماً لا يرضوْن إلا بالقود ، قال: ممن؟ قال: من خَيْط نفسك ، وتركتُ ستين ألف شَيْخٍ يبكي تحت قَميص عُثمان وهو منصوب لهم ، قد ألبسوه منْبَر دمشق. فقال: منِّي يطلبون دمَ عثمان! ألستُ موتوراً كترَة عثمان! اللهمّ إني أبرَأ إليك من دَم عثمان؛ نجا والله قتلةُ عثمان إلاّ أن يشاء الله ، فإنَّه إذا أراد أمراً أصابه؛ اخرج ! قال: وأنا آمنٌ؟ قال: وأنت آمن. فخرج العبسيّ وصاحت السّبئيّة قالوا: هذا الكلبُ ، هذا وافد الكلاب ، اقتلوه! فنادى: يا آل مُضر ! يا آل قَيس ! الخيل والنَّبْل ، إني أحلف بالله جلّ اسمُه ليرُدّنَّها عليكم أربعة آلاف خَصيّ ، فانظروا كم الفحولة ، والرّكاب! وتعاوَوْا عليه ، ومنَعنه مُضَر ، وجعلوا يقولون له: اسكُت ، فيقول: لا والله ! لا يفلح هؤلاء أبداً ، فلقد أتاهم ما يوعَدُون. فيقولون له: اسكت ، فيقول: لقد حلّ بهم ما يحذَرون ، انتهت والله أعمالُهم ، وذهبَتْ ريحُهم ! فو الله ما أمسوا حتى عرف الذلّ فيهم[1] ! (٤ : ٤٤٢/ ٤٤٣/ ٤٤٤).

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة ، وهذا هو دأب شعيب لا يكاد يجد فرصة حتى يطعن في عدالة الصحابة ولكن الروايات الصحيحة أبت إلاّ أن تكذب شعيباً وأمثاله فقد ذكرت هذه الرواية من طريق (شعيب عن سيف) أن معاوية رضي الله عنه اتهم سيدنا علي بقتل عثمان وأخذ يهدد علياً في رسالة أرسلها إليه وفيها من سوء الأدب بشأن الصحابة ما فيها ، وهي تصور أن سيدنا معاوية رضي الله عنه أرسل رسالة إلى علي لم يتقيد فيها حتىٰ بأدب الأخوة بل بأدب الإسلام فلم يسم الله ولم يحمده وإنما عنون رسالته قائلاً [من معاوية إلى علي] وحاشا لسيدنا معاوية أن يكون بهذا المستوىٰ الذي صورته هذه الرواية المختلقة من رجلٍ مجهول =

استئذان طلحة والزبير عليّاً

٩٢٤ - كتب إليّ السَّريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، قالا : استأذن طلحةُ ، والزّبير عليّاً في العُمرة ، فأذن لهما ، فلحقا بمكة؛ وأحبّ أهلُ المدينة أن يعلموا ما رَأي عليّ في معاوية وانتقاضه ، ليعرفوا بذلك رأيَه في قتال أهل القبلة؛ أيجسُر عليه ، أو ينكُلُ عنه! وقد بلغَهم: أنّ الحسن بن عليّ دخل عليه ، ودعاه إلى القُعود وترْك النّاس ، فدسّوا إليه زيادَ بن حنظلة التميميّ - وكان مُنقطعاً إلى عليّ - فدخل عليه فجلس إليه ساعةً ثمّ قال له عليّ: يا زياد ! تيسَّر؛ فقال: لأيّ شيء؟ فقال: تغزو الشأم ، فقال زياد: الأناةُ والرفق أمْثل ، فقال:

ومَـنْ لا يُصـانِـعْ فـي أمـور كثيـرةٍ يُضَـرَّسْ بـأنيـابٍ ويـوطـأْ بمنْسِـمِ

فتمثّل عليٌّ؛ وكأنه لا يريده:

متى تَجمَعِ القلبَ الذّكيَّ وصارِماً وأنْفـاً حَميّـاً تَجْتَنِبْـكَ المظَـالِـمُ

فخرج زياد على النّاس والناس ينتَظرونه ، فقالوا: ما وراءك؟ فقال: السَّيف يا قوم ! فعرفوا ما هو فاعل. ودعا عليٌّ محمد بن الحنفيّة فدَفَعَ إليه اللواء ، وولّى عبد الله بن عباس ميمَنَته ، وعمر بن أبي سَلمةَ - أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد - ولاّه ميسرته ، ودعا أبا ليلى بن عمر بن الجرّاح؛ ابن أخي أبي عُبيدة بن الجرّاح ، فجعله على مقدّمته ، واستخلف على المدينة قُثَم بن عبّاس ، ولم يولّ ممن خرج على عثمان أحداً ، وكتب إلى قيس بن سعد أن يندب الناس إلى الشأم ، وإلى عثمان بن حُنَيف وإلى أبي موسى مثلَ ذلك ، وأقبل على التهيُّؤ والتجهّز ، وخطب أهلَ المدينة فدعاهم إلى النهوض في قتال أهل الفرْقة ، وقال: إنّ الله عزّ وجلّ بعث رسولاً هادياً مهديّاً بكتاب ناطِق وأمْر قائم واضح؛

= الحال كشعيب (رواية سيف) ، بل إن الرواية الصحيحة (تؤكد عدالة الصحابة التي اتفق عليها العلماء) وكما أخرج يحيىٰ بن سليمان الجعفي عن أبي مسلم الخولاني: أنه قال لمعاوية: أنت تنازع علياً أم أنت مثله؟ فقال: لا والله ، إني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً وأنا ابن عمه والطالب بدمه فائتوه فقولوا له: فليدفع إليّ قتلة عثمان وأسلِّم له) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٠) ، البداية والنهاية (٨/ ١٢٩). وجوّد الحافظ إسناده في الفتح (١٣/ ٩٢).

لا يهلك عنه إلا هالك ، وإنّ المبتدَعات والشبهات هنّ المهلكات إلاّ من حفظ الله ، وإنّ في سُلْطان الله عصمة أمركم ، فأعطوه طاعَتَكم غيرَ مَلْويّة ولا مستكرَه بها ، والله لتفعلُنّ أو لينقُلنّ الله عنكم سلطانَ الإسلام ثمّ لا ينقلُه إليكم أبداً حتى يأرِزَ الأمر إليها ! انهضوا إلى هؤلاء القوم الذين يريدون يفرّقون جماعَتكم ، لعلّ الله يصلح بكم ما أفْسد أهلُ الآفاق ، وتقضُون الذي عليكم. بينا هم كذلك إذ جاءَ الخبرُ عن أهل مكة بنحو آخر وتمام على خلاف ، فقام فيهم بذلك؛ فقال: إنّ الله عزّ وجلّ جعل لظالم هذه الأمة العفو والمغفرة ، وجعل لمن لزم الأمْر واستقام الفوزَ والنَّجاة ، فمن لم يسعه الحقّ أخذ بالباطل. ألا وإنّ طلحة والزّبير وأمّ المؤمنين قد تمالؤوا على سخط إمارتي ، ودَعوا النّاس إلى الإصلاح ، وسأصبر ما لم أخَفْ على جماعتكم ، وأكفّ إن كفّوا ، وأقتصر على ما بلغني عنهم.

ثمّ أتاه: أنهم يريدون البصرة لمشاهدة النّاس والإصلاح ، فتعبّى للخروج إليهم ، وقال: إن فعلوا هذا فقد انقَطع نظامُ المسلمين وما كان عليهم في المقام فينا مَؤُونة ولا إكْراه. فاشتدّ على أهل المدينة الأمرُ ، فتثاقَلُوا ، فبعث إلى عبد الله بن عمر كُميْلاً النَّخَعِيّ ، فجاء به فقال: انهض معي ، فقال: أنا مع أهل المدينة ، إنما أنا رجل منهم وقد دخلوا في هذا الأمر فدخلت معهم لا أفارقهم ، فإن يخرجوا ؛ أخرجُ وإن يقعدوا؛ أقعد. قال: فأعطني زعيماً بألاّ تخرج ، قال: ولا أعطيك زعيماً ، قال: لولا ما أعرف من سوء خُلقك صغيراً وكبيراً لأنكرْتني ، دعوه فأنا به زعيم. فرجع عبد الله بن عمر إلى المدينة وهم يقولون: لا والله ما ندري كيف نصنع ، فإنّ هذا الأمر لمشتَبه علينا ، ونحن مُقيمون حتى يُضيء لنا ، ويسفر.

فخرج من تحت ليلته وأخبر أمّ كلثوم بنت عليّ بالذي سمع من أهْل المدينة ، وأنه يخرج معتمراً مقيماً على طاعة عليّ ما خلا النهوض؛ وكان صدوقاً فاستقرّ عندها؛ وأصبح عليّ ، فقيل له: حدث البارحةَ حدَثٌ هو أشدّ عليك من طلحة ، والزبير ، وأمّ المؤمنين ، ومعاوية. قال: وما ذلك؟ قال: خرج ابن عُمر إلى الشّأم ! فأتى عليّ السوق ، ودعا بالظّهر ، فحمل الرّجال ، وأعدّ لكل طريق طُلّاباً. وماج أهل المدينة ، وسمعت أمّ كلثوم بالذي هو فيه ، فدعت ببغْلتها ، فركبتْها في رَحْل ، ثمّ أتت عليّاً وهو واقفٌ في السوق يفرّق الرّجالَ في طلبه ،

فقالت: مَالك لا تَزَنَّد من هذا الرّجل؟ إنّ الأمر على خلاف ما بُلِّغتَه، وحُدّثته. قالت: أنا ضامنَة له، فطابت نفسُه وقال: انصرفوا، لا والله ما كذبَتْ، ولا كذَب، وإنه عندي ثِقة، فانصرفوا[١]. (٤: ٤٤٤/ ٤٤٥/ ٤٤٦).

٩٢٥ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سَيف، عن محمد، وطلحة، قالا: ولما رأى عليّ من أهل المدينة ما رأى لم يَرْضَ طاعتَهم حتى يكون معها نُصرته، قام فيهم وجمع إليه وجُوهَ أهْلِ المدينة، وقال: إنّ آخر هذا الأمر لا يَصْلُح إلاّ بما صلَح أوّلُه، فقد رأيتم عواقِبَ قضاء الله عزّ وجلّ على من مضى منكم، فانصروا الله؛ يَنْصرْكم ويصلح لكم أمركم. فأجابه رجلان من أعلام الأنصار؛ أبو الهيثم بن التَّيِّهان ـ وهو بدريّ ـ وخزيمة بن ثابت؛ وليس بذي الشهادتين؛ مات ذو الشهادتين في زمن عثمان رضي الله عنه[٢]. (٤: ٤٤٧).

٩٢٦ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، عن عبيد الله، عن الحَكم، قال: قيل له: أشَهِد خُزَيمة بن ثابت ذو الشَّهادتين الجَمَل؟ فقال:

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارات وطامات وفيها من الافتراء علىٰ سيدنا علي والصحابة ما فيها، فزعم سيف في روايته هذه (ومن ورائه شعيب الحاقد على الصحابة) أن علياً رضي الله عنه قال: «ألا وإن طلحة والزبير وأم المؤمنين قد تمالؤوا على سخط إمارتي ودعوا الناس إلى الإصلاح» وحاشا لسيدنا علي أن يتهم هؤلاء الصحابة وفيهم حواري رسول الله ﷺ وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، والروايات الصحيحة التي ذكرنا تؤكد خلاف هذه الرواية تماماً فكما ذكرنا مراراً رواية الأحنف بن قيس رضي الله عنه وهو يحدث طلحة والزبير فيسألهما عن المخرج (وذلك عند مقتل عثمان رضي الله عنه) فيأمرانه بالذهاب إلىٰ علي رضي الله عنه ليبايعه ثم تعرج علىٰ عائشة رضي الله عنها فتقول له كما قال طلحة والزبير فأين الرواية الصحيحة من كذب الرواة المجاهيل وتحاملهم على الصحابة، وأما تكلّم سيدنا علي علىٰ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بسوء فلم يصح أبداً وإنما صحّ أن علياً رضي الله عنه كلّفه بالإمارة علىٰ الشام لأن أهل الشأم يحبون عبد الله بن عمر، فأقسم عبد الله أن لا يقبل بولاية الشام (وهو معروف من مواقف عبد الله بن عمر أنه كان يتجنب هذه المواقف) ولما أيقن علي أنه لن يتولىٰ خرج عنه ولم يتكلم بشيء كما قال عبد الله بن عمر: (فتركني وخرج). ابن أبي شيبة (٧/ ٤٧٢).

(٢) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة.

ليس به ، ولكنّه غيره من الأنصار؛ مات ذو الشهادتين في زمان عثمان بن عفان رضي الله عنه[١]. (٤ : ٤٤٧).

٩٢٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشّعبي ، قال: بالله الذّي لا إله إلاّ هو ! ما نهض في تلك الفتنة إلاّ ستَّة بدريِّين ما لهم سابع ، أو سَبْعة ما لهم ثامن[٢]. (٤ : ٤٤٧).

٩٢٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبيّ ، قال: بالله الذّي لا إله إلاّ هو ! ما نهض في ذلك الأمر إلاّ ستة بدّريين ما لهم سابع. فقلتُ: اختلفتما. قال: لم نختلف ، إنّ الشّعبيَّ شكَّ في أبي أيوب: أخَرج حيثُ أرسلتْه أمّ سَلَمة إلى عليّ بعد صفين ، أم لم يخرج ؟! إلاّ أنه قدِم عليه فمضى إليه ، وعليٌّ يومَئِذ بالنَّهروان[٣]. (٤ : ٤٤٧).

٩٢٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت ، عن رجل ، عن سعيد بن زيد ، قال: ما اجتمع أربعةٌ من أصحاب النبي ﷺ ففازوا على الناس بخَيْر يحوزونَه إلاّ وعليّ بن أبي طالب أحدهم.

ثم إنّ زياد بن حنظلة لما رأى تثاقُل الناس عن عليّ؛ ابتدر إليه ، وقال: مَن تثاقل عنك فإنا نخفّ معك ، ونقاتل دونك. وبينما عليٌّ يمشي في المدينة؛ إذ سمع زينب ابنة أبي سُفيان وهي تقول: ظلامتنا عند مُدَمَّم وعند مكحلة ، فقال: إنها لتَعلم ما هما لها بثأر[٤]. (٤ : ٤٤٧/٤٤٨).

٩٣٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة: أن عُثمان قُتل في ذي الحجة لثماني عشرة خلَتْ منه ، وكان على مكة عبدُ الله بن عامر الحضرميّ ، وعلى الموسم يومئذ عبد الله بن عباس ، بعثه عثمان وهو مَحْصور ، فتعجّل أناسٌ في يومين ، فأدركوا مع ابن عباس ، فقدموا المدينة بعد ما قُتِل وقبل أن يُبايَع عليّ ، وهرب بنو أميَّة فلحقوا بمكة ، وبويع عليّ لخمس

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة.
(٣) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة.
(٤) إسناده ضعيف.

بقين من ذي الحجَّة يوم الجمعة؛ وتساقط الهرّاب إلى مكة ، وعائشة مقيمة بمكّة تريد عُمرة المحرّم ، فلما تساقط إليها الهرّاب استخْبرتهم فأخبروها أنْ قد قُتِل عثمان رضي الله عنه ، ولم يُجبْهم إلى التأمير أحدٌ ، فقالت عائشة رضي الله عنها : ولكن أكياس ، هذا غِبُّ ما كان يدور بينكم من عتاب الاستصلاح؛ حتى إذا قضَتْ عمرتَها وخرجت فانتهت إلى سَرِف لقِيهَا رجلٌ من أخوالها من بني لَيْث ـ وكانت واصلة لهم ، رفيقة عليهم ـ يُقال له عبيد بن أبي سلمة يعرف بأمّه أمّ كلاب ، فقالت : مَهْيم! فأصمّ ، ودمدم ، فقالت : ويحك! علينا أو لنا؟ فقال : لا تدري ، قُتل عثمان وبقوا ثمانياً ، قالت : ثمّ صنعوا ماذا؟ فقال : أخذوا أهلَ المدينة بالاجتماع على عليّ ، والقومُ الغالبون على المدينة. فرجعت إلى مكّة وهي لا تقول شَيئاً ولا يخرج منها شيء ، حتى نزلت على باب المَسْجد وقصدت للحِجْر فستَّرَتْ فيه ، واجتمع الناس إليها فقالت : يا أيّها الناس ! إنّ الغوْغاء من أهل الأمصار ، وأهل المياه ، وعبيد أهل المدينة اجتَمعُوا أن عاب الغوغاءُ على هذا المقتول بالأمس الإرب ، واستعمال مَنْ حدثت سنُّه ، وقد استُعمل أسنانهم قبله ، ومواضع من مواضع الحِمَى حماها لهم ، وهي أمورٌ قد سُبق بها لا يصلح غيرها ، فتابعهم ونزع لهم عنها استصلاحاً لهم ، فلما لم يجدوا حجَّةً ولا عذراً؛ خلجوا وبادوْا بالعدْوان ، ونَبَا فِعْلُهم عن قَوْلهم؛ فسفكوا الدَّمَ الحرامَ ، واستحلّوا البَلَدَ الحرام؛ وأخذوا المالَ الحرامَ ، واستحلّوا الشهر الحرام. والله لإصبَع عثمان خيرٌ من طِباق الأرْض أمثالهم ! فنجاة من اجتماعكم عليهم حتى يَنْكل بهم غيرهم ويشرَّد مَنْ بعدهم ، ووالله لو أن الَّذي اعتدّوا به عليه كان ذنباً لخلّص منه كما يخلّص الذّهب من خَبثه أو الثّوب من دَرَنِه؛ إذ ماصُوه كما يماصُ الثوب بالماء. فقال عبد الله بن عامر الحضرميّ : ها أنذا لها أوّل طالب ـ وكان أوّلَ مُجيب ، ومنتدب[1] . (٤ : ٤٤٨/ ٤٤٩) .

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة ، ومعلوم أن الروايات الصحيحة جاءت خلاف ما ذكرت هذه الرواية من أن البيعة كانت بعد ثمانية أيام من مقتل عثمان رضي الله عنه وأن المدينة بقيت لأكثر من أسبوع بلا إمامة.
وأما السيدة عائشة فليست بهذه الخشونة في حديثها عن سيدنا عثمان حتى تقول عنه : (هذا المقتول بالأمس) وإن كان هكذا تقديرها لعثمان فلماذا قالت وفي نفس الرواية (هذه) : والله لإصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم ـ وحتى قولها بأنهم قتلوه بعد أن مصوه وتركوه=

٩٣١ ـ حدّثني عمر بن شبّة ، قال: حدّثنا أبو الحسن المدائنيّ ، قال: حدّثنا سُحيم مولى وبرة التميميّ عن عبيد بن عمرو القُرشيّ ، قال: خرجت عائشة رضي الله عنها وعُثمان محصورٌ ، فقدم عليها مكّة رجلٌ يقال له: أخضر ، فقالت: ما صنع الناس؟ فقال: قَتَلَ عثمانُ المصريين ، قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون! أيَقْتلُ قوماً جاؤوا يطلبون الحقّ ، وينكرون الظلم! والله لا نَرْضَى بهذا! ثمّ قدِم آخرُ فقالت: ما صنع الناس؟ قال: قَتَل المصريون عثمانَ ، قالت: العجبُ لأخْضر ، زَعم أنّ المقتول هو القاتل!. فكان يُضْرب به المثلُ: «أكْذبُ من أخْضر»[1] . (٤ : ٤٤٩).

٩٣٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبيّ ، قال: خرجَتْ عائشةُ رضي الله عنها نحو المدينة من مكّة بعد مقتل عثمان ، فلقيَها رجلٌ من أخوالها ، فقالت: ما وراءَك؟ قال: قُتِل عثمان ، واجتمع الناس على عليّ ، والأمرُ أمرُ الغَوْغاء. فقالت: ما أظنّ ذلك تامّاً ، رُدُّوني. فانصرفَتْ راجعة إلى مكة ، حتى إذا دخَلَتْها؛ أتاها عبد الله بن عامر الحضرميّ ـ وكان أميرَ عثمان عليها ـ فقال: ما ردَّكِ يا أمّ المؤمنين؟ قالت: ردّني أنّ عثمانَ قُتِل مظلوماً ، وأنّ الأمرَ لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمرٌ ، فاطلبوا بدَم عُثمان تُعِزّوا الإسلامَ. فكان أوّل من أجابَها عبد الله بن عامر الحضرميّ ، وذلك أوّل ما تكلمت بنو أميّة بالحجاز ، ورفعوا رؤوسَهم ، وقام معهم سعيد بن العاص ، والوليد بن عقبة ، وسائرُ بني أميّة. وقد قدِم عليهم عبد الله بن عامر من البصْرة؛ ويَعْلَى بن أميّة من اليَمن ، وطلحة ، والزّبير من المدينة ، واجتَمَع

= كالماء نقياً. نقول: حتىٰ هذه المقولة لم يتركها شعيب سالمة كما هي في الأصل عند خليفة بن خياط وغيره ، بل حرّفها ولو بكلمة فأصل الرواية عند خليفة بن خياط (قالت عائشة: تركتموه كالثوب النقي من الدنس ، ثم قربتموه تذبحونه كما تذبح الشاة).
قال مسروق: فقلت: هذا عملك كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه ، فقالت عائشة: والذي آمن به المؤمنون ، وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم بسواد في بياض حتى جلست مجلسي هذا) قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كتب علىٰ لسانها (تأريخ خليفة (١٧٦) وصحح ابن كثير إسناده (البداية والنهاية ٧/ ١٩٥) ولكن شعيباً لم يتحمل أن يتم الرواية وينقل هذه العبارة الأخيرة التي تبرّىء عائشة من الإثارة على الفتنة وغير ذلك.

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة.

ملؤهم بعد نظر طويل في أمرهم على البصرة ، وقالت: أيُّها الناس ! إنّ هذا حدَث عظيمٌ ، وأمْرٌ منكر ، فانهضوا فيه إلى إخوانكم من أهْل البصرة فأنكروه ، فقد كفاكم أهل الشأم ما عندهم ، لعلّ الله عزّ وجلّ يدرك لعثمان وللمسلمين بثأرهم[1]. (٤ : ٤٤٩/ ٤٥٠).

٩٣٣ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعَيْب ، عن سَيْف ، عن محمد ، وطلحة ، قالا: كان أوّل من أجاب إلى ذلك عبد الله بن عامر ، وبنو أميّة؛ وقد كانوا سقَطوا إليها بعد مَقْتل عثمان ، ثم قدم عبد الله بن عامِر ، ثمّ قدِم يَعْلَى بن أميّة ، فاتَّفَقَا بمكة ، ومع يَعْلَى ستمئة بَعير وستمئة ألف ، فأناخ بالأبْطح معسكراً؛ وقدِم مَعهُما طلحةُ ، والزّبير ، فلقيا عائشةَ رضي الله عنها ، فقالت: ما وراءَكُما؟ فقالا: وراءَنا أنا تحملنا بقليَّتنا هُرّاباً من المدينة من غوغاء وأعْراب ، وفارَقْنا قوماً حيارَى لا يعرفون حقّاً ، ولا ينكرون باطِلاً ، ولا يمنعون أنفسَهم. قالت: فائتمِرُوا أمراً؛ ثمّ انهضوا إلى هذه الغوغاء.

وتمثَّلت:

ولو أنَّ قومي طاوَعتني سَراتُهمْ لأنْقَذْتُهمْ من الحِبالِ أو الخَبْلِ

وقال القومُ فيما ائتمروا به: الشأم. فقال عبد الله بن عامر: قد كفاكم الشأمَ من يستمرّ في حَوْزَته ، فقال له طلحة والزّبير: فأين؟ قال: البصرة ، فإنّ لي بها

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة شديدة وغمز ولمز ـ فأما قول عائشة رضي الله عنها بعد أن علمت أن الناس قد اجتمعوا على علي: (وأن الأمر لا يستقيم لهم ولهذه الغوغاء أمر) وقولها: (ما أظن ذلك تاماً ردوني) فلا يصح ، وكيف يصح وهي التي كانت تأمر الناس ببيعة علي كما حضت الأحنف بن قيس ، ثم إن خروجها إلىٰ البصرة كان لأمرين الأول: إصلاح ذات البين والمطالبة بالقصاص من قتلة عثمان ولكن دون اللجوء إلىٰ القوة كما سنذكر بعد قليل ، ولكن هذه الرواية الضعيفة السند أغفلت قصدها في إصلاح الناس كما أخرج أحمد في المسند (٦/ ٩٧) أن عائشة قالت لما أتت على الحوأب سمعت نباح الكلاب فقالت: ما أظنني إلا راجعة ، إن رسول الله ﷺ قال لنا: أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب. فقال لها الزبير: ترجعين؟! عسى الله عز وجل أن يصلح بك الناس ! وقال ابن كثير: وهذا إسناد علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه (البداية والنهاية ٦/ ٢١٢) وفي رواية أخرى لأحمد (٦/ ٥٢): قالت: ما أظنني إلا راجعة فقال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله عز وجل ذات بينهم. . . . . الحديث.

صنائعَ ولهم في طَلْحة هوىٰ ، قالوا: قبحك الله! فوالله ما كُنْت بالمسالم ، ولا بالمحارب ، فهلاّ أقمتَ كما أقام مُعاوية فَنَكْتَفي بك ، ونأتي الكوفَة فنسدّ على هؤلاء القوم المذاهبَ! فلم يجِدُوا عنده جواباً مقبولاً ، حتى إذا استقام لهم الرّأيُ على البصرة قالوا: يا أمّ المؤمنين ! دعي المدينةَ فإنّ مَن معنا لا يُقرنون لتلك الغوغاء التي بها ، واشْخصي مَعنا إلى البصرة ، فإنّا نأتي بلداً مضيَّعاً ، وسيحْتجّون علينا فيه ببيعة عليّ بن أبي طالب فتُنهضينهم كما أنْهَضْت أهلَ مكّة ثم تقعدين ، فإن أصْلَح الله الأمْرَ كان الذي تُريدين ، وإلاّ؛ احتسبنا ، ودَفَعْنا عن هذا الأمر بجَهْدنا حتى يَقْضيَ الله ما أراد.

فلما قالوا ذلك لها ـ ولم يكن ذلك مستقيماً إلاّ بها ـ قالت: نعم؛ وقد كان أزواج النبيّ ﷺ معها على قَصْد المدينة ، فلمّا تحوّل رأيها إلى البصرة تركنَ ذلك؛ وانطلق القومُ بعدها إلى حَفْصة ، فقالت: رأيي تَبَعٌ لرأي عائشة؛ حتى إذا لم يبق إلاّ الخروج قالوا: كيف نستقلّ وليس معنا مالٌ نجهّز به الناس! فقال يَعْلَى بن أميَّة: معي ستمئة ألف وستمئة بَعير فاركبوها؛ وقال ابن عامر: معي كذا وكذا فتجهّزوا به. فنادى المنادي: إنّ أمّ المؤمنين، وطلحة ، والزّبير شاخصون إلى البصرة ، فمن كان يُريد إعْزاز الإسلام ، وقتال المحلّين ، والطلب بثأر عثمان ، ومن لم يكن عِنْده مَرْكَب ، ولم يَكن له جِهاز؛ فهذا جِهازٌ ، وهذه نفقةٌ ، فحملوا ستمئة رجُل على ستمئة ناقَةٍ سوى مَن كان له مَرْكب ـ وكانوا جميعاً ألفاً ـ وتجهّزوا بالمال ، ونادَوْا بالرّحيل ، واستقلُّوا ذاهبين. وأرادت حَفْصة الخروجَ ، فأتاها عبد الله بن عمر فطلب إليها أن تقعد ، فقَعدت ، وبعثت إلى عائشة: أنّ عبد الله حال بيني وبَيْن الخروج ، فقالت: يغفر الله لعبد الله! وبعثَتْ أمّ الفَضْل بنت الحارث رجلاً من جُهَيْنة يُدْعى ظَفْراً ، فاستأجَرَتْه على أن يطويَ ويأتي عليّاً بكتابها ، فقدِم على عليّ بكتاب أمّ الفضل بالخَبر[1] . (٤: ٤٥٠/ ٤٥١).

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة ، ولم ترد في رواية تأريخية صحيحة أنها رضي الله عنها قالت: أنها تريد ومن معها قتال قتلة عثمان بل كانت تطالب بالقصاص من القتلة ، ولم ترد في رواية صحيحة أن حفصة أرادت أن تخرج مع عائشة فمنعها عبد الله بن عمر (أخوها) وما كانت لتحرض أهل مكة ولا البصرة على علي رضي الله عنه في أمر البيعة ولكن هذه الطامات من شعيب ولعلها من شيخه سيف والله أعلم.

٩٣٤ ـ حدّثني عمر بن شبّة ، قال: حدّثنا عليّ عن أبي مخنف ، قال: حدّثنا عبد الله بن عبد الرّحمن بن أبي عمرة عن أبيه ، قال: قال أبو قَتادة لعليّ: يا أميرَ المؤمنين! إنّ رسول الله ﷺ قلّدني هذا السيف وقد شِمْته فطال شَيْمه ، وقد أنَى تَجْرِيدُه على هؤلاء القوم الظالمين الذين لم يألُوا الأمّة غشّاً ، فإن أحببتَ أن تُقَدّمني؛ فقدّمني. وقامت أمّ سلمة فقالت: يا أميرَ المؤمنين! لولا أنْ أعصيَ الله عزّ وجلّ وأنك لا تقبله منّي؛ لخرجتُ معك؛ وهذا ابني عُمر ـ والله لهو أعزّ عليّ من نَفْسي ـ يَخْرج معك فيشهد مشاهدَك. فخرج فلم يَزَل معه ، واستَعْمَله على البَحْرين ، ثم عَزَله، واستعمل النُّعمان بن عَجْلان الزُّرَقيّ[١]. (٤ : ٤٥١/ ٤٥٢).

٩٣٥ ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثنا أبو الحسن ، قال: حدّثنا مسلمة عن عوف ، قال: أعانَ يَعْلَى بن أميّة الزُّبير بأربعمئة ألف ، وحمل سبعين رجلاً من قُريش ، وحَمَل عائِشة رضي الله عنها على جَمَل يقال له: عسكر ، أخذه بثمانين ديناراً ، وخرجوا. فنظر عبد الله بن الزّبير إلى البَيْت؛ فقال: ما رأيتُ مثلك بركةَ طالب خير ، ولا هاربٍ من شرّ[٢]. (٤ : ٤٥٢).

٩٣٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب عن سَيْف ، عن محمّد ، وطلحة ، قالا: خرج المغيرة ، وسعيد بن العاص معهم مرحلةً من مكّة ، فقال سعيد للمغيرة: ما الرّأي؟ قال: الرّأي والله الاعتزال ، فإنّهم ما يفلح أمرهم ، فإن أظفره الله أتَيْناه ، فقلنا: كان هَوَانَا، وصَغْوُنا معك؛ فاعتَزلا فجلسا ، فجاء سعيدٌ مكة ، فأقامَ بها ، ورجع معهما عبد الله بن خالد بن أسيد[٣]. (٤ : ٤٥٢).

٩٣٧ ـ حدّثني أحمد بن زُهَيْر ، قال: حدّثنا أبي ، قال: حدّثنا وَهبُ بن جَرير بن حازم ، قال: سمِعْتُ أبي ، قال: سمعتُ يونس بن يزيد الأيْلي ، عن الزّهريّ ، قال: ثُمّ ظهرَا ـ يعني: طلحة والزّبير ـ إلى مكة بعد قتل عثمان رضي الله عنه بأربعة أشْهر وابن عامر بها يجرُّ الدّنيا ، وقدم يَعْلى بن أميّة معه بمال كثير ، وزيادة على أربعمئة بَعير ، فاجتمعوا في بَيْت عائشة رضي الله عنها فأرادوا

---

(١) إسناده مظلم ، ففيه التالف الهالك أبو مخنف إلا أن إرسال أم سلمة لولدها مع علي صحيح كما ذكرنا في قسم الصحيح فليراجع.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

الرّأي ، فقالوا : نسيرُ إلى عليّ فنقاتِله ، فقال بعضُهم : ليس لكم طاقة بأهْل المدينة ، ولكنّا نسيرُ حتى نَدْخل البصرة ، والكوفةَ ، ولطلحة بالكوفَة شيعَةٌ ، وهَوىً ، وللزّبير بالبصرة هوىً ، ومعونة . فاجتمع رأيُهم على أن يسيروا إلى البصرة وإلى الكوفة ، فأعطاهم عبد الله بن عامر مالاً كثيراً وإبلاً ، فخرجوا في سبعمئة رَجُلٍ من أهل المدينة ومكة ، ولحقَهم الناس حتى كانوا ثلاثةَ آلاف رَجُل ، فبلغ علياً مسيرهم ، فأمّر على المدينة سَهْل بن حُنَيف الأنصاريّ ، وخَرَجَ فسار حتى نزل ذَا قارٍ ، وكان مسيره إليها ثماني ليال ، ومعه جماعةٌ من أهل المدينة[١] . (٤ : ٤٥٢/ ٤٥٣).

٩٣٨ ـ حدّثني عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، قال : أخبرنا أبو عمرو عن عتبة بن المغيرة بن الأخنَس ، قال : لَقِيَ سعيد بن العاص مَرْوان بن الحكم وأصحابه بذَاتِ عِرْق ، فقال : أيْن تَذْهبون وثأركم على أعجاز الإبل! اقتلوهم ثمّ ارجعوا إلى مَنازلكم لا تقتلوا أنفسكم؛ قالوا : بلِ نسير فلَعلّنا نقتل قتلَةَ عثمان جميعاً . فخلا سعيدٌ بطلحة ، والزّبير ، فقال : إنْ ظفِرْتُما لمن تَجْعلان الأمْر؟ أصْدِقاني؛ قالا : لأحَدِنا أيّنَا اختارَه الناس . قال : بل اجعلوه لوَلَد عُثمان فإنكم خَرَجْتم تطْلبون بدَمِه ، قالا : نَدَع شيوخَ المُهاجرين ونَجْعلُها لأبنائهم! قال : أفلا أراني أسْعى لأخرِجَها من بني عَبد مناف . فرجَع ورجع عبدُ الله بن خالد بن أسيد ، فقال المغيرة بن شعبة : الرّأي ما رأى سعيد ، مَن كان ها هنا من ثَقيف فلْيرجع؛ فرجَع ومضى القومُ ، معهم أبَان بن عثمان والوليد بن عثمان ، فاختلفوا في الطريق فقالوا : من ندعو لهذا الأمْر؟ فخلا الزّبير بابنه عبد الله ، وخلا طلحةُ بعَلْقمة بن وقّاص الليثيّ ـ وكان يُؤْثِره على ولَده ـ فقال أحدهما : ائت الشأم ، وقال الآخر : ائت العِراق ، وحَاورَ كلٌّ واحد منهما صاحبَه ، ثم اتّفقا على البصرة[٢] . (٤ : ٤٥٣).

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة .

(٢) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة ـ بل تخالف هذه الرواية حتى مرويات سيف السابقة ففيها خبط وخلط وفيها كذب على صحابة رسول الله ﷺ فلم ترد في رواية صحيحة أبداً أن طلحة والزبير نهيا عائشة عن الذهاب إلىٰ المدينة وأنهما رفضا أن يذهبا إلىٰ مدينة أميرها علي وقد أجبرهم علىٰ البيعة . وكل ذلك محض كذب دحضناه في مسألة بيعة طلحة والزبير فليراجع . =

٩٣٩ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، عن الأغرّ ، قال: لما اجتمع إلى مكّة بنو أميَّة ، ويَعْلَى بن مُنْية ، وطلحةُ ، والزّبير؛ ائتَمَرُوا أمْرَهم ، وأجمَع ملؤهم على الطلب بدَمِ عُثمان وقتال السبئيّة حتى يثأروا وينْتقموا؛ فأمرتهم عائشةُ رضي الله عنها بالخُروجِ إلى المدينة، واجتَمع القومُ على البصرة وردّوها عن رأيها ، وقال لها طلحة ، والزّبير: إنا نأتي أرضاً قد أضيعت ، وصارت إلى عليّ ، وقد أجبرنا عليّ على بَيْعته ، وهم محتجّون علَيْنا بذلك ، وتاركو أمْرنا إلاّ أن تَخْرجي فتأمُري بمثل ما أمرت بمكة، ثمّ ترجعي. فنادى المنادي: إن عائِشة تريد البصرة وليس في ستمئة بعير ما تُغْنون به غوغاء وجَلَبة الأعراب وعبيداً قد انتشروا وافترشوا أذرعهم مسعدين لأوّل واعية. وبعثَتْ إلى حَفْصة، فأرادت الخُروج، فعزم عليها ابن عمر فأقامَتْ؛ فخرجت عائِشةُ ومعها طلحةُ والزّبير، وأمّرَت على الصّلاة عبدَ الرّحمن بن عتّاب بن أسيد ، فكان يُصلّي بهم في الطريق وبالبصرة حتى قُتل ، وخرج معها مروانُ وسائر بني أميّة إلاّ من خَشَع ، وتيامنت عن أوطاس؛ وهم ستمئة راكب سوى من كانت له مطيّة، فتركت الطّريق ليلةً وتيامنت عنها كأنهم سيَّارة ونَجَعة ، مساحلين لم يَدْنُ من المنكدر ، ولا واسط ، ولا فلْج منهم أحَدٌ، حتَّى أتوا البصرة في عام خصيب. وتمثّلت:

دَعي بلادَ جُموع الظُّلْمِ إذ صلُحَت ... فيهـا الميـاهُ وسيـري سيْـرَ مـذْعـور
تخَيَّـرِي النَّبْـتَ فـارْعـيْ ثَـمَّ ظَـاهِـرَةً ... وبَطْـنَ وَادٍ مـن الضِّمَّـارِ مَمْطُـورِ[(١)]

(٤ : ٤٥٣/ ٤٥٤).

٩٤٠ - حدّثني عمر ، قال: حدّثنا أبو الحسن عن عمر بن راشد اليماميّ ، عن أبي كثير السُّحَيميّ ، عن ابن عباس ، قال: خرجَ أصحابُ الجمل في ستمئة ، معهم عبد الرّحمن بن أبي بَكْرة ، وعبد الله بن صَفوان الجُمَحِيّ ، فلما جاوزا بئْر مَيمون إذا هم بجَزُور قد نُحرت ونَحْرُها ينثعب ، فتطيّروا. وأذّن مَروانُ حين فصل من مكة ثمّ جاء حتى وقف عليهما ، فقال: أيّكما أسَلِّم بالإمرة وأؤذّن بالصّلاة؟ فقال عبد الله بن الزّبير: على أبي عبد الله ، وقال محمد بن طلحة: على

= وأما الغمز الآخر (تيامنت عن أوطاس) فهذا فنّ في الطعن واللمز يختص به شعيب راوية سيف وستتحدث عن زيف ذلك بعد الرواية (٤/ ٤٦٠/ ٩٤٨).

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة.

أبي محمد. فأرْسلَتْ عائشةُ رضي الله عنها إلى مروان فقالت: مَالَكَ؟ أتُريد أن تفرّق أمْرنا! ليُصَلِّ ابنُ أخْتي، فكان يصلّي بهم عبد الله بن الزّبير حتى قدم البصرة، فكان معاذ بن عبيد الله يقول: والله لو ظفرنا لافْتَتَنَّا ما خلّى الزّبير بين طلحة والأمر، ولا خلّى طلحة بين الزّبير والأمر[1]. (٤: ٤٥٤/ ٤٥٥).

خروج عليّ إلى الرَّبَذَة يُريد البصرة

٩٤١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سَيْف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، قال: جاء عليّاً الخبرُ عن طلحة والزّبير وأمّ المؤمنين، فأمّر على المدينة تمام بن العباس، وبعث إلى مكّة قُثَم بن العباس، وخرج وهو يَرْجو أن يأخذهم بالطريق، وأراد أن يَعْتَرضهم، فاستَبان له بالرَّبَذَة أن قد فَاتُوه، وجاءه بالخَبَر عطاءُ بن رئاب مولى الحارث بن حَزْن[2]. (٤: ٤٥٥).

٩٤٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، قالا: بلغ عليّاً الخبرُ ـ وهو بالمدينة ـ باجْتماعهم على الخروج إلى البصرة وبالّذي اجتمع عليه ملؤهم؛ طلحةُ، والزّبيرُ، وعائشةُ، ومَنْ تَبعهم، وبلغه قولُ عائشة، وخَرجَ عليٌّ يبادِرُهم في تعْبيته التي كان تعبّى بها إلى الشام، وخرج معه من نشط من الكوفيّين، والبصريّين متخففين في سبعمئة رجُل، وهو يرجو أن يُدْرِكَهم فيَحُول بينهم وبين الخروج، فلقيَه عبد الله بن سَلام فأخذ بعنانِه، وقال: يا أميرَ المؤمنين! لا تَخرج منها؛ فوالله لئن خَرَجْتَ منها لا ترجع إلَيْها ولا يعود إليها سُلطان المسلمين أبداً. فسبُّوه، فقال: دَعُوا الرّجل؛ فنعم الرّجل من أصحاب محمد ﷺ! وسار حتى انتهى إلى الرَّبَذَة فبلغه مَمَرُّهم، فأقام حين فاتُوه يأتمر بالرَّبَذَة[3]. (٤: ٤٥٥).

---

(١) في إسناده عمر بن راشد اليمامي وهو ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة، ولم يصح أن علياً رضي الله عنه خرج من المدينة في أثرهم أملاً في اللحاق بهم بل سلك طريق الكوفة وهم سلكوا طريق البصرة ولم ينحرف إلىٰ البصرة حتىٰ وصل إلىٰ ذي قار.

(٣) إسناده ضعيف وفيه ما يخالف الروايات الصحيحة كما ذكرنا سابقاً، إلا أن اعتراض عبد الله بن سلام له وحثه علىٰ عدم المسير إلىٰ العراق صحيح كما ذكرنا في قسم الصحيح (٤/ ٤٥٥).

٩٤٣ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سَيْف ، عن خالد بن مهران البَجَليّ ، عن مروان بن عبد الرحمن الخُميسيّ ، عن طارق بن شهاب ، قال : خَرَجْنا من الكوفة معتمرين حين أتانا قَتْلُ عثمانَ رضي الله عنه ، فلما انتَهَيْنا إلى الرَّبَذَة ـ وذلك في وجه الصّبح ـ إذا الرّفاق وإذا بعضهم يحدو بعضاً ، فقلت : ما هذا؟ فقالوا : أمير المؤمنين ، فقلتُ : ما لَه؟ قالوا : غَلَبَهُ طلحة ، والزّبير ، فخرج يعترض لهما ليردّهما ، فبلغَهُ أنهما قد فاتاه ، فهو يُريد أن يخرج في آثارِهما ، فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون! آتي عليّاً فأقاتل معه هذين الرّجلين ، وأمَّ المؤمنين ، أو أخالفه ؟! إنّ هذا لشديد. فخرجتُ فأتَيْتُه ، فأقيمت الصّلاة بغَلَس ، فتقدّم فصلّى ، فلما انصرَفَ؛ أتاه ابنهُ الحسن ، فجلس ، فقال : قد أمَرتك فعصيتَني ، فتقتل غداً بمَضِيعَة لا ناصر لك ، فقال عليّ : إنك لا تزال تخنّ خنين الجارية! وما الّذي أمرتَني فعصيتك؟ قال : أمَرْتُك يوم أُحيطَ بعثمان رضي الله عنه أن تَخْرج من المدينة فيُقْتل ولست بهَا ، ثمّ أمَرْتُك يومَ قُتِل ألاّ تُبايع حتى يأتيَك وُفود أهل الأمصار والعرب وبَيْعةُ كلّ مصر ، ثمّ أمرتك حين فَعل هذان الرّجلان ما فعلا أن تَجْلس في بيتك حتى يَصْطَلحوا ، فإن كان الفساد كان على يديْ غَيْرك؛ فعَصَيْتَني في ذلك كله. قال : أيْ بُنيّ ! أمّا قولُك : لو خرجتَ من المدينة حين أحيط بعُثمان؛ فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به. وأما قولُك : لا تُبايع حتى تأتيَ بَيْعةُ الأمصار ، فإنّ الأمْر أمرُ أهلِ المدينة ، وكَرِهْنا أن يضيع هذا الأمر. وأما قولُك حين خرج طلحةُ ، والزّبير ، فإنّ ذلك كان وهْناً على أهل الإسلام ، ووالله ما زلتُ مقهوراً مذ وليتُ ، منقوصاً لا أصِل إلى شيء مما ينبغي. وأما قولك : اجلسْ في بيتك ، فكيف لي بما قد لَزمني! أوَ مَن تُريدني؟ أتريد أن أكون مثل الضبُع التي يُحاط بها ، ويقال : دَبابِ دبابِ! ليست ها هنا حتى يحلّ عُرْقوباها ثم تُخْرج؛ وإذا لم أنظرْ فيما لزمني من هذا الأمر ، ويعنيني فمن يَنْظر فيه! فكفّ عنك أي بُنيّ[١] ! (٤ : ٤٥٥/٤٥٦).

---

(١) إسناده ضعيف وفي إسناده نكارة شديدة ، فلا الحسن سيِّء الأدب إلىٰ هذه الدرجة مع أبيه ولا علي مع ولده ، وأدب الحسن والحسين الجمّ معروف عند الجميع أما أن سيدنا علي خرج في آثار الزبير وطلحة فلم يلحق بهما فوهم ، أما قوله لأبيه أنه نصحه بالخروج من المدينة حتى يقتل عثمان وليس بها علي فكذب وكل هذا لم يصح ـ وأكذب من ذلك افتراؤهم =

شراءُ الجمل لعائشة رضي الله عنها ، وخبرُ كلاب الحوْءب

٩٤٤ ـ حدّثني إسماعيلُ بن موسى الفزاريّ ، قال: أخْبرنا عليّ بن عابس الأزْرَق ، قال: حدّثنا أبو الخطّاب الهجَريّ عن صَفْوان بن قبيصة الأحمسيّ ، قال: حدّثني العُرَنيّ صاحب الجَمَل ، قال: بينما أنا أسيرُ على جَمَل إذ عَرَض لي راكبٌ ، فقال: يا صاحبَ الجمل ، تبيعُ جملَك؟ قلت: نعم ، قال: بكم؟ قلتُ: بألْف درهم ، قال: مَجنون أنت! جَمَلٌ يُباع بألف درهم! قال: قلت: نعم ، جملي هذا ، قال: وممّ ذلك؟ قلت: ما طلبتُ عليه أحداً قَطُّ إلاّ أدركته ، ولا طَلبني وأنا عليه أحدٌ إلا فُتّه. قال: لو تَعْلم لمن نُريده لأحْسَنْتَ بيعنا ، قال: قلت: ولمن تريده؟ قال: لأمّك ، قلتُ: لقد تركتُ أمي في بيتها قاعِدةً ما تريد بَراحاً ، قال: إنما أريدُه لأمّ المؤمنين عائشة ، قلت: فهو لك ، فخُذْه بغَيْر ثمن ، قال: لا ، ولكن ارجع معنا إلى الرّحل فَلْنُعْطِك ناقةً مهريّة ونزيدُك دراهِمَ ، قال: فرجعْتُ ، فأعطوْني ناقةً لها مَهْريّة ، وزادوني أربعمئة أو ستمئة درهم ، فقال لي: يا أخا عُرَيْنة ! هل لك دَلالة بالطريق؟ قال: قلت: نعم ، أنا من أدْرك الناس ، قال: فسِرْ معنا ، فسِرْتُ معهم فلا أمرّ على واد ولا ماء إلاّ سألوني عنه؛ حتى طرقْنا ماء الحوْءب فنبحتْنا كلابُها ، قالوا: أيّ ماء هذا؟ قلتُ: ماء الحوْءب ، قال: فصرخت عائشةُ بأعْلَى صوتها ، ثم ضربت عَضُد بعيرها فأناخَتْه ، ثم قالت: أنا والله صاحِبةُ كلاب الحوْءب طرُوقاً ، رُدُّوني! تقول ذلك ثلاثاً. فأناخَتْ وأناخوا حَوْلَها وهم على ذلك ، وهي تـأبى حتى كانـت الساعة التي أناخوا فيها من الغَد. قال: فجاءها ابن الزّبير فقال: النّجاء النّجاء ! فقد أدْركَكُم والله عليّ بن أبي طالب! قال: فارتَحلوا ، وشَتَموني ، فانصرفْتُ ، فما سِرْت إلاّ قليلاً وإذا أنا بعليّ ورَكْب معه نحو من ثلاثمئة ، فقال لي عليّ: يا أيُّها الراكب! فأتَيْته ، فقال:

= وتقولهم على علي ما لم يقله كعبارة (ووالله ما زلت مقهوراً مذ وليت) وحاشا لعلي أن يقول مثل هذا الكلام كيف وهو لم يخش طول حياته غير الواحد القهار يوم أن بقي في فراش رسول الله ﷺ وصناديد قريش حول البيت يتربصون الدوائر. وعليٌّ المعروف بالفصاحة والبلاغة والأدب لا يجد عبارة يعبّر عنها إلا عبارة (أتريد أن أكون مثل الضبع التي يحاط بها ويقال: دباب دباب) وحاشاه رضي الله عنه من هذا الكلام الذي لم يصح سنداً ولا متناً.

أين أتيت الظَّعينة؟ قلت: في مكان كذا وكذا، وهذه ناقَتها، وبعتُهم جَمَلي، قال: وقد ركِبْتَه؟ قلت: نعم؛ وسِرْتُ معهم حتى أتينا ماء الحَوْءب فنبحَتْ عليها كلابها، فقالت كذا وكذا، فلما رأيتُ اختلاط أمْرهم؛ انفتَلْتُ وارتَحلُوا؛ فقال عليّ: هل لك دلالة بذي قار؟ قلت: لعلّي أدَلّ الناس، قال: فَسِر معنا؛ فسِرْنا حتى نزلنا ذا قار، فأمر عليّ بن أبي طالب بجُوالقين فضمَّ أحدَهُما إلى صاحبه، ثم جيء برحْل فوضع عليهما، ثم جاء يمشي حتى صعد عليه، وسدَل رجليه من جانبٍ واحدٍ، ثمّ حمِد الله وأثنى عليه، وصلّى على محمّد ﷺ، ثم قال: قد رأيتم ما صنع هؤلاء القَوْمُ، وهذه المرأة. فقام إليه الحسنُ فبكى، فقال له عليّ: قد جئتَ تخنُّ خنين الجارية! فقال: أجَلْ، أمرتُك فعصَيْتَني، فأنت اليوم تقتل بمضِيعة لا ناصِر لك، قال: حَدِّث القوْم بما أمرتَني به، قال: أمرتُك حينَ سار الناس إلى عثمان ألاّ تبسط يدك ببَيْعة حتى تجول جائِلةُ العرب، فإنهم لن يقطعوا أمراً دونك، فأبيتَ عَلَيَّ، وأمرتُك حين سارت هذه المرأة، وصَنَع هؤلاء القَوْم ما صَنَعُوا أن تلزم المدينةَ، وترسل إلى من استَجاب لك من شيعتك، قال عليّ: صدق والله، ولكنْ والله يا بنيّ ما كنتُ لأكون كالضّبُع تستمع لِلدّم، إنّ النبيّ ﷺ قُبِض وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر مني، فبايع الناس أبا بكر، فبايَعْتُ كما بايعوا، ثم إن أبا بكر رضي الله عنه هلك؛ وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر مني، فبايع الناس عُمرَ بن الخطاب، فبايَعْتُ كما بايعوا، ثمّ إنّ عمر رضي الله عنه هلك؛ وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منِّي، فجعلني سهماً من ستّ أسهم، فبايع الناس عثمانَ، فبايعتُ كما بايعوا، ثم سار الناس إلى عثمان رضي الله عنه، فقَتَلُوه، ثم أتوْني، فبايعوني طائعين غير مكرَهين، فأنا مُقاتِلٌ مَن خالَفني بمن اتَّبعني حتى يحكم الله بيني وبينهم وهو خَيْر الحاكمين[1]. (٤: ٤٥٦/٤٥٧/٤٥٨).

---

(١) خبر منكر ونكارته واضحة للعيان، ولم يصح في رواية تأريخية ولا حديثية أن علياً رضي الله عنه كان يرىٰ نفسه أولىٰ بالخلافة من أبي بكر ولا من عمر ولا من عثمان وكل ذلك بسطناه في الموضع المناسب والله أعلم.

قَوْلُ عائشة رضي الله عنها: والله لأطلبنَّ بدم عُثمان وخروجُها وطلحة والزّبير فيمن تبعهم إلى البصرة

٩٤٥ ـ كتب إليّ عليّ بن أحمد بن الحسن العجليّ: أن الحسين بن نصر العطار، قال: حدّثنا أبي نصر بن مُزاحم العطار، قال: حدّثنا سيف بن عمر، عن محمد بن نُويرة، وطلحة بن الأعلم الحنفيّ. قال: وحدّثنا عمر بن سعد، عن أسد بن عبد الله، عمّن أدرك من أهل العِلْم: أنّ عائشة رضي الله عنها لما انتَهتْ إلى سَرِف راجعة في طريقها إلى مكة؛ لقيها عبد بن أمّ كلاب ـ وهو عبد بن أبي سلمة، ينسب إلى أمه ـ فقالت له: مَهْيم؟ قال: قتلوا عثمان رضي الله عنه، فمكثوا ثمانياً؛ قالت: ثم صنعوا ماذا؟ قال: أخَذَها أهل المدينة بالاجتماع، فجازت بهم الأمور إلى خَيْر مجاز؛ اجتمعوا على عليّ بن أبي طالب. فقالت: والله ليت أنّ هذه انطبقت على هذه إن تمَّ الأمرُ لصاحبك! رُدّوني! ردّوني! فانصَرَفَتْ إلى مكّة وهي تقول: قُتِل والله عُثمان مظلوماً، والله لأطلبنّ بدَمِه، فقال لها ابن أمّ كلاب: ولِمَ؟ فوالله إنّ أول من أمالَ حرفه لأنت! ولقد كُنْتِ تقولين: اقتلوا نعْثلاً فقد كفر؛ قالت: إنهم استَتَابوه ثم قَتَلُوه، وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خيرٌ من قولي الأوّل؛ فقال لها ابن أمّ كلاب:

فَمِنـكِ البَـداءُ ومِنـكِ الغِيَـرْ ... ومنـكِ الـرِّيـاحُ ومنـكِ المَطَـرْ
وأنْـتِ أمَـرْتِ بقَتْـل الإمـام ... وقُلْـتِ لنـا إنّـه قـد كَفَـرْ
فَهَبْنـا أطَعنـاكِ فـي قَتْلـهِ ... وقـاتِلُـهُ عِنـدنـا مَـن أمَـرْ
ولَـمْ يَسْقُـطِ السّقْـفُ مِـن فَـوْقِنَـا ... ولَـمْ تَنْكَسِـفْ شَمْسُنَـا والقَمَـرْ
وقَـدْ بـايَـعَ النَّـاسُ ذا تُـدْرَأ ... يـزيـلُ الشَّبَـا ويُقيـمُ الصَّعَـرْ
وَيلْبَـسُ للْحَـرْبِ أثْـوابَهـا ... ومـا مَـنْ وَفـى مِثْـلُ مَـنْ قـد غَـدَرْ

فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت للحِجْر، فستَّرت واجتمع إليها الناس، فقالت: يا أيُّها الناس! إنّ عثمان قُتِل مظلوماً، ووالله لأطلبنّ بدَمِه[١]. (٤: ٤٥٨/ ٤٥٩).

---

(١) في إسناده مبهم وضعفاء ومتنه منكر، فقد ذكرنا قبل قليل أن عائشة رضي الله عنها أقسمت بالله أنها ما كتبت إلى أحد ولا حرّضت أحداً على سيدنا عثمان ناهيك عن هذه الفرية العظيمة: (ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلاً فقد كفر) وما شأنها أن تقول ذلك وهل هذه رواية أهل العلم=

٩٤٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، قالا: كان عليٌّ في همّ مَنْ توجه القوم لا يدري إلى أين يأخذون! وكان أن يأتوا البصرةَ أحبَّ إليه. فلما تيقَّن: أنّ القوم يعارِضون طريقَ البصرة سُرّ بذلك ، وقال: الكوفة فيها رجالُ العرب ، وبُيوتاتهم ، فقال له ابن عباس: إنّ الذي يسرّك من ذلك ليسوؤني، إنّ الكوفة فُسْطاطٌ فيه أعلام من أعلام العرب، ولا يحملهم عِدّة القوم، ولا يزال فيهم من يسمو إلى أمرٍ لا ينالُه؛ فإذا كان كذلك شغب عليّ الذي قد نال حتى يفثَأه فيفسد بعضهم على بعض. فقال عليّ: إن الأمر ليشبِه ما تقول ، ولكنّ الأُثْرة لأهْل الطاعة وألْحقُ بأحسنهم سابقةً وقُدْمة، فإن استووا أعفَيْناهم ، واختبرناهم، فإن أقْنَعهم ذلك؛ كان خيراً لهم ، وإن لم يقنعهم كلّفونا إقامتهم وكان شرّاً على من هو شرّ له. فقال ابن عباس: إن ذلك لأمرٌ لا يدرَك إلاّ بالقنوع[١]. (٤: ٤٥٩/ ٤٦٠).

٩٤٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، قالا: لمّا اجتمع الرّأي من طلحة ، والزّبير ، وأمّ المؤمنين ، ومَن بمكة من المسلمين على السّير إلى البصرة ، والانتصار من قَتَلَة عثمان رضي الله عنه؛ خرج الزّبير ، وطلحة حتى لقيا ابن عمر ، ودعَوَاه إلى الخُفوف، فقال: إني امرؤٌ من أهل المدينة ، فإن يجتمعوا على النهوض؛ أنهض، وإن يجتمعوا على القُعود؛ أقعد ، فتركاه ، ورجعا[٢]. (٤: ٤٦٠).

٩٤٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سَيْف ، عن سعيد بن عبد الله ، عن

= الذين أدركوا عائشة [حاشا]، ونعيد هنا إلىٰ الأذهان ما أخرجه خليفة بن خياط بسند صحيح (تأريخ خليفة/ ١٧٦) عن مسروق قال: قالت عائشة رضي الله عنها: تركتموه كالثوب النقي من الدنس ثم قربتموه تذبحونه كما تذبح الشاة. قال مسروق: فقلت هذا عملك كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه، فقالت عائشة: والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم بسواد في بياض حتىٰ جلست مجلسي هذا. قال الأعمش: فكانوا يرون: أنه كتب علىٰ لسانها. اهـ.
وصحح ابن كثير إسناده (البداية والنهاية ٧/ ١٩٥).

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة.
(٢) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة.

ابن أبي مُلَيكة ، قال: جمع الزّبير بَنيه حين أراد الرّحيل ، فودّع بعضَهم ، وأخرج بَعْضَهم ، وأخرج ابنَيْ أسْماء جميعاً ، فقال: يا فلان أقِمْ ، يا عمرو أقم. فلما رأى ذلك عبد الله بن الزّبير ، قال: يا عُرْوة أقم ، ويا مُنْذر أقِمْ ، فقال الزّبير: وَيْحك! أستصحب ابنيّ ، وأستمتع منهما ، فقال: إن خرجتَ بهم جميعاً فاخرجْ ، وإن خلّفت منهم أحداً فخلّفهما ولا تُعَرّض أسماء للثُّكل من بين نسائك. فبكَى ، وتركَهُما ، فخرجُوا حتى إذا انتهوا إلى جبال أوطاس؛ تيامَنُوا ، وسلَكوا طريقاً نحو البصرة ، وتركوا طريقها يساراً ، حتى إذا دَنَوْا منها ، فدخلوها؛ ركبوا المنكدِر[1] . (٤ : ٤٦٠) .

---

(١) إسناده ضعيف ، وأما بالنسبة لعبارة (حتى إذا انتهوا إلىٰ جبال أوطاس تيامنوا) وهذا يعني أن طلحة والزبير رضي الله عنهما ومن معهم أرادوا البصرة ولكنهم انحرفوا عن طريقها المعهود وكأنهم يريدون الاختفاء عن الأنظار وذلك غير صحيح فإنهم بايعوا على رؤوس الملأ دون إكراه ثم تحولوا إلىٰ البصرة وهم يبغون الإصلاح بين الأطراف المختلفة. ولقد علّق الأستاذ الفاضل خالد الغيث في رسالته الجامعية في مرويات سيف بن عمر في تأريخ الطبري بعنوان (استشهاد عثمان ووقعة الجمل) فرأينا أن ننقل هنا تعليقه القيّم علىٰ عبارة (حتى إذا وصلوا إلىٰ أوطاس تيامنوا):

وهذا الخبر لا يصح بحق أولئك الصحب الكرام ، حيث إنه يصور أصحاب الجمل ـ الذين خرجوا للإصلاح ـ بأنهم مجموعة من الخارجين علىٰ الخلافة ، وأن خوفهم من علي رضي الله عنه قد دفعهم إلى الابتعاد عن سلوك طريق البصرة لكي لا يلحق بهم.

هذا وبدراسة خط سير أصحاب الجمل من مكة إلىٰ البصرة ـ كما في الخريطة ـ اتضح أنهم سلكوا طريق البصرة ولم يحيدوا عنه كما زعمت الروايات السابقة.

وبيان ذلك كما يلي:

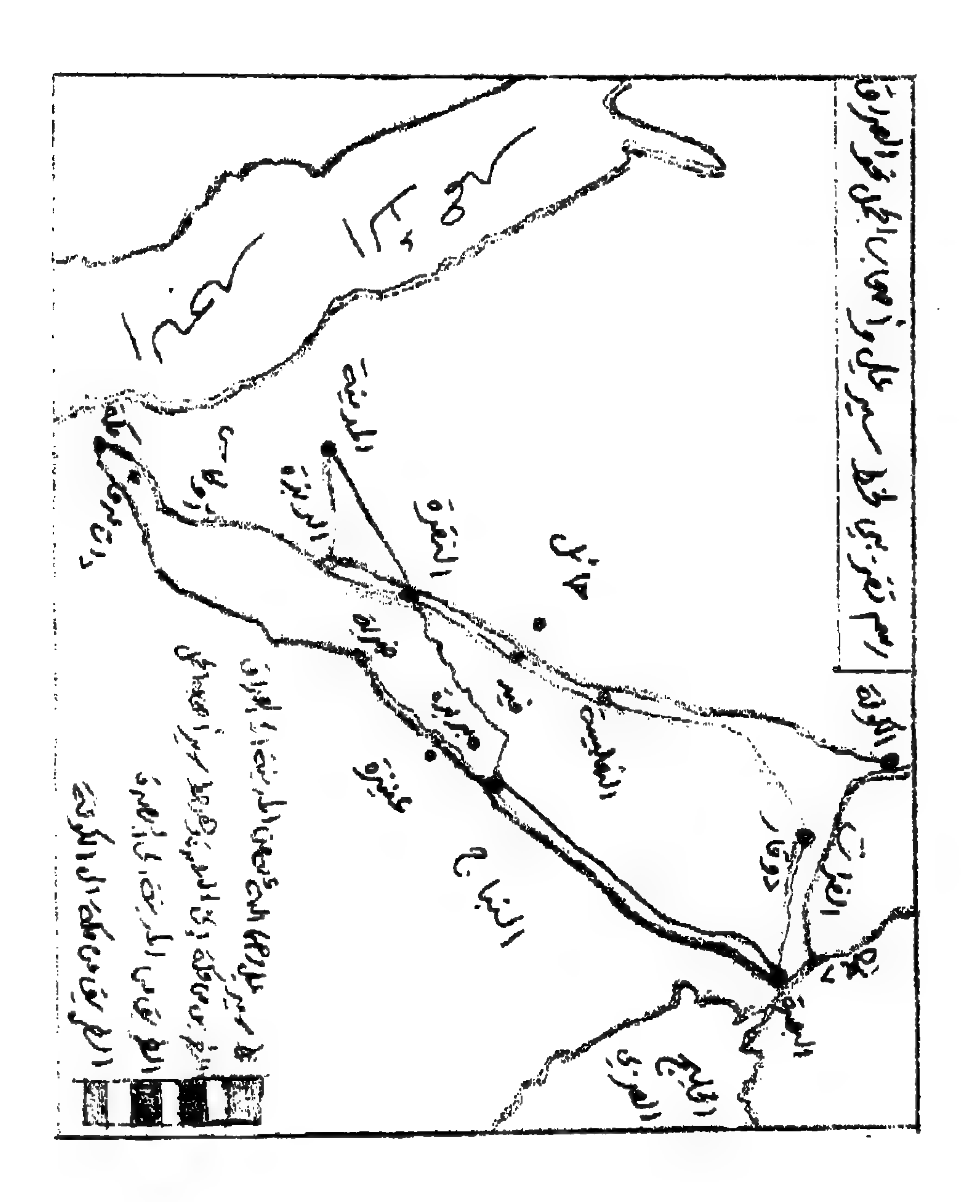
أ ـ ذكرت الروايات السابقة أن أصحاب الجمل حين وصلوا (أوطاس) تيامنوا عنها وتركوا طريق البصرة وساروا بمحاذاته.

وهذا الخبر فيه تلبيس يوهم أن أصحاب الجمل قد تركوا طريق البصرة بينما حقيقة الأمر أن من أراد البصرة وكان خارجاً من مكة تيامن من عند أوطاس كما فعل أصحاب الجمل ، ومن أراد الكوفة تياسر عنها حيث إن طريقي البصرة والكوفة يأخذان بالتفرع يميناً ويساراً من بعد أوطاس.

ب ـ ورد في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام أحمد: أن كلاب الحوءب قد نبحت علىٰ عائشة رضي الله عنها حين بلغت ديار بني عامر.

وبنو عامر هؤلاء هم بنو عامر بن صعصعة ، والحوءب ماء من مياه العرب يقع علىٰ طريق البصرة وهو من مياه بني بكر بن كلاب ، وبنو كلاب هؤلاء بطن من عامر بن صعصعة. =

(رسم تقريبي لخط سير علي وأصحاب الجمل نحو العراق)



= وحيث إن بني كلاب كانوا يسكنون (ضرية) فإن هذا يعني: أن الحوءب تقع في (ضرية) وحيث إن ضرية تقع على طريق الحاج البصري فإن ذلك يعني: أن أصحاب الجمل قد سلكوا الطريق المعتاد بين مكة والبصرة، ولم يحيدوا عنه كما زعمت الروايات السابقة.

٩٤٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سَيْف ، عن ابن الشَّهيد ، عن ابن أبي مُلَيكة ، قال: خرجَ الزّبير ، وطلحة ، ففصَلا ، ثمّ خرجَتْ عائشةُ ، فتَبِعها أمّهاتُ المؤمنين إلى ذات عِرْق ، فلم يُرَ يومٌ كان أكثر باكياً على الإسلام ، أو باكياً له من ذلك اليوم ، كان يُسمّى يوم النَّحيب. وأمَّرَتْ عبدَ الرحمن بن عتّاب ، فكان يصلّي بالناس ، وكان عَدْلاً بينهم[1]. (٤ : ٤٦٠).

٩٥٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله ، عن يزيد بن معن السُّلَميّ ، قال: لما تيامَنَ عسكرها عن أوطاس؛ أتَوْا على مَليح بن عوف السّلميّ، وهو مطلع ماله، فسلّم على الزبير، وقال: يا أبا عبد الله! ما هذا؟ قال: عُدِيَ على أمير المؤمنين رضي الله عنه ، فقُتل بلا ترة ، ولا عذر ، قال: ومَن؟ قال: الغوغاءُ من الأمصار ، ونزّاع القبائل ، وظاهَرَهم الأعراب ، والعبيد، قال: فتُريدون ماذا؟ قال: نُنْهض الناس فيدرَك بهذا الدّم لئلاّ يُبْطَل، فإن في إبطاله توهينَ سُلطان الله بَيْنَنا أبداً؛ إذا لم يُفطَم الناس عن أمثالها؛ لم يبق إمامٌ إلاّ قتله هذا الضّرب ، قال: والله إنّ تَرْك هذا لَشديد ، ولا تدرون إلى أين ذلك يسير! فودَّع كلّ واحد منهما صاحبَه ، وافترقا ، ومضَى الناس[2]. (٤ : ٤٦١).

دخولهم البصرة والحربُ بينهم وبين عثمان بن حُنَيف

٩٥١ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعيب عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، قالا: ومضى الناس حتى إذا عاجوا عن الطريق وكانوا بفناء البصرة ، لقيَهم عُمَير بن عبد الله التميميّ ، فقال: يا أمّ المؤمنين ! أنشدك بالله أن تقدَمي اليوم على قوم تُراسلي منهم أحداً فيكفيَكِهم! فقالت: جئتَني بالرأي ، امرؤٌ صالح ، قال: فعجّلي ابن عامر؛ فليدخل ، فإنّ له صنائع ، فَلْيذهب إلى صنائعه ، فليلقُوا الناس حتى تقدمي ، ويسمعوا ما جئتم فيه. فأرسَلَتْه فاندَسّ إلى البصرة ، فأتَى القومَ. وكتبَتْ عائشة رضي الله عنها إلى رجال من أهل البصرة ، وكتبت إلى الأحنف بن قَيْس ، وصَبْرة بن شَيْمان ، وأمثالهم من الوُجوه ، ومضت حتى إذا كانت

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

بالحُفَيْر؛ انتظرت الجوابَ بالخبر؛ ولما بلغ ذلك أهلَ البصرة؛ دعا عثمان بن حُنَيف عمران بن حُصَيْن ـ وكان رجلَ عامّة ـ وألزّه بأبي الأسود الدؤليّ ـ وكان رجل خاصّة ـ فقال: انطلقا إلى هذه المرأة فاعْلما علمهَا وعلم من معها، فخرجا فانتهيا إليها وإلى الناس وهم بالحُفَير، فاستأذَنا فأذنتْ لهما، فسلّما وقالا: إنّ أميرَنا بعثنا إليك نسألك عن مَسيرك، فهل أنت مخبرتنا؟ فقالت: والله ما مثلي يَسير بالأمْر المكتوم، ولا يغطّي لبنيه الخبر. إنّ الغوغاءَ من أهل الأمصار، ونزّاع القبائل غزوْا حَرَم رسول الله ﷺ وأحدَثوا فيه الأحْداث، وآوَوْا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لَعْنة الله ولعنة رسوله، مع ما نالوا من قَتْلِ إمام المسلمين بلا تِرَة ولا عُذْر، فاستحلّوا الدّمَ الحرام فسفكوه، وانتَهبوا المالَ الحرام، وأحلّوا البلدَ الحرام، والشهر الحرام، ومَزّقوا الأعْراض والجلُود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقَامهم ضارِّين مضِرّين، غير نافعين ولا متّقين؛ لا يقدرون على امتناع ولا يأمَنون، فخرجْتُ في المسلمين أُعْلمهم ما أتى هؤلاء القَوْمُ وما فيه الناس وراءَنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا. وقرأتْ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾. ننهض في الإصلاح ممن أمر الله عزّ وجلّ وأمر رسول الله ﷺ؛ الصغير، والكبير، والذّكر، والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمرُكم به، ونحضّكم عليه، ومنكر نَنْهاكم عنه، ونحثّكم على تغييره[1]. (٤: ٤٦١/ ٤٦٢).

٩٥٢ ـ كتب إليّ السّريّ عن شُعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، قالا: فخرج أبو الأسود، وعمران من عندها، فأتيا طَلْحة، فقالا: ما أقْدمَك؟ قال: الطلب بدم عثمان، قالا: ألم تُبايعْ عليّاً؟ قال: بلى، واللُّجُّ على عنقي، وما أستقيل عليّاً إن هو لم يحلْ بيننا وبين قَتَلَة عثمان. ثمّ أتيا الزّبير، فقالا: ما أقدمك؟ قال: الطلب بدَم عُثمان، قالا: ألم تُبايعْ عليّاً؟ قال: بلى، واللجّ على عُنقي، وما أستقيل عليّاً إن هو لم يحل بيننا وبين قَتلة عثمان. فرجَعا إلى أمّ المؤمنين فودّعاها، فودّعت عمران، وقالت: يا أبا الأسود! إيّاكَ أن يقودَك الهوى إلى النار، ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ...﴾ الآية. فسرّحَتْهما؛

---

(١) إسناده ضعيف.

ونادى مُناديها بالرّحيل ، ومضى الرجلان حتى دَخلا على عثمان بن حُنَيْف ، فبدر أبو الأسود عمران فقال:

يَا بْنَ حُنَيْفٍ قَدْ أتيتَ فانْفِرِ ... وطاعِنِ القَوْمَ وجالِدْ واصْبِرِ

وابْرُزْ لَهُمْ مُسْتَلئماً وشَمِّرِ

فقال عثمان: إنا لله وإنا إليه راجعون! دارت رَحا الإسلام وربِّ الكعبة! فانظروا بأيّ زَيَفان تزيف؟! فقال عمران: إي والله لتعْرُكنّكم عركاً طويلاً ثم لا يساوي ما بقيَ منكم كثير شيء؛ قال: فأشرْ عَليَّ يا عمران! قال: إني قاعد فاقعد، فقال عثمان: بل أمنعُهم حتى يأتيَ أمير المؤمنين عليّ، قال عمران: بل يحكم الله ما يريد، فانصرف إلى بيته، وقام عثمان في أمْره، فأتاه هِشام بن عامر فقال: يا عثمان! إنّ هذا الأمر الذي تروم يُسلم إلى شرٍّ مما تكره، إنّ هذا فَتْقٌ لا يُرتَق، وصَدْع لا يُجبر، فسامحهم حتى يأتيَ أمرُ عليّ، ولا تحادِّهم، فأبَى، ونادى عثمان في الناس، وأمَرهم بالتَّهيُّؤ، ولبسوا السِّلاح، واجتمعوا إلى المسجد الجامع، وأقبلَ عُثمان على الكَيْد فكاد الناسَ لينظر ما عندهم، وأمرهم بالتهيُّؤ، وأمر رجلاً ودسَّه إلى الناس خَدِعاً كوفيّاً قيسيّاً، فقام فقال: يا أيُّها الناس! أنا قيس بن العَقَديّة الحُميْسِيّ، إنّ هؤلاء القوم الذين جاؤوكم إن كانوا جاؤوكم خائِفين فقد جاؤوا من المكان الذي يأمَن فيه الطير، وإن كانوا جاؤوا يطلبون بدَم عثمان رضي الله عنه فما نحن بقَتَلَة عثمان. أطيعوني في هؤلاء القَوْم فردّوهم من حيث جاؤوا. فقام الأسود بن سريع السعديّ، فقال: أوَ زعموا أنّا قتلة عثمان رضي الله عنه! فإنما فزعوا إلينا يَسْتعينون بنا على قَتَلة عثمان منا ومن غيرنا، فإن كان القوم أخرِجوا من ديارهم كما زعمت، فمن يمنعهم من إخراجهم الرجال أو البُلدان! فحصبه الناس، فعرف عثمان أنّ لهم بالبصرة ناصراً ممن يقوم معهم، فكسره ذلك. وأقبلت عائشة رضي الله عنها فيمن مَعَها، حتى إذا انتهوا إلى المِرْبد، ودخلوا من أعْلاه؛ أمسكوا ووقفوا حتى خرج عثمان فيمن معه، وخرج إليها من أهل البصرة من أراد أن يخرج إليها ويكونُ معَها، فاجتمعوا بالمِرْبد وجعلوا يثوبون حتى غصَّ بالناس.

فتكلّم طلحةُ وهو في ميمنة المربد ومعه الزّبير وعثمان في ميسرته، فأنصتوا له، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر عثمان رضي الله عنه وفضْله والبلدَ وما استحلّ

منه ، وعظّم ما أتيَ إليه ، ودعا إلى الطلب بدَمه ، وقال: إنّ في ذلك إعزازَ دين الله عزّ وجلّ وسلطانه ، وأما الطلب بدم الخليفة المظلوم فإنه حدٌّ من حُدود الله ، وإنّكم إن فعلتم أصبتم وعادَ أمركم إليكم ، وإن تركْتُم؛ لم يقُم لكم سلطانٌ ، ولم يكن لكم نظام.

فتكلم الزّبير بمثل ذلك. فقال مَن في ميمنة المِرْبد: صَدَقا وبرّا ، وقالا الحق ، وأمرَا بالحقّ. وقال مَن في ميسرته: فَجَرا وغَدَرا ، وقالا الباطل ، وأمرا به ، قد بايعا ثم جاءا يقولان ما يقولان! وتحاثى الناس ، وتحاصَبُوا ، وأرهجوا ، فتكلّمت عائشةُ ـ وكانت جهورية يعلو صوتها كثرة كأنّه صوت امرأة جليلة ـ فحمِدت الله جلّ وعزّ ، وأثنت عليه ، وقالت: كان الناس يتجنون على عثمان رضي الله عنه ، ويُزْرُون على عمّاله ، ويأتونَنا بالمدينة ، فيَسْتَشيرونَنا فيما يخبرونَنا عنهم ، ويروْن حسناً من كلامنا في صلاح بينهم ، فننظر في ذلك فنجده بريّاً ، تقيّاً ، وفيّاً ، ونجدهم فجرَةً ، كذبَةً ، يحاولون غير ما يظهرون. فلما قووا على المُكاثرة؛ كاثروه ، فاقتحموا عليه دارَه ، واستحلوا الدّمَ الحرامَ ، والمال الحرامَ ، والبلد الحرامَ ، بلا تِرةٍ ، ولا عُذْر ، ألا إن مما ينبغي لا ينبغي لكم غيره ، أَخْذ قتلة عثمان رضي الله عنه وإقامة كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾.

فافترق أصحابُ عثمان بن حنيف فِرقَتَيْن ، فقالت فرقة: صَدَقَتْ والله ، وبرَّت ! وجاءت والله بالمعروف ! وقال الآخرون: كذبتم والله ما نعرف ما تقولون ! فتحاثَوْا ، وتحاصَبوا ، وأرْهجوا ، فلما رأت ذلك عائشةُ انحدرت ، وانحدر أهل المَيْمَنة مفارقين لعثمان؛ حتى وقفوا في المِرْبد في موضع الدبّاغين ، وبقيَ أصحابُ عثمان على حالهم يتدافَعون حتى تحاجزوا ، ومال بعضُهم إلى عائشة ، وبقي بعضُهم مع عثمان على فم السكة. وأتى عثمانُ بن حُنَيف فيمن معه ، حتى إذا كانوا على فَم السكة ، سكة المسجد عن يمين الدّباغين؛ استقبلوا الناس ، فأخذوا عليهم بفمها.

رجع الحديث إلى حديث سيف عن محمد وطلحة ، قال: فخرج أبو الأسود ، وعمران ، وأقبلَ حُكَيْم بن جَبَلة؛ وقد خرج وهو على الخيل ، فأنشب القتال ، وأشرع أصحابُ عائشة رضي الله عنها رماحَهم ، وأمسكوا

ليُمسكوا ، فلم يَنْتَهِ ولم يُثْنَ ، فقاتلهم؛ وأصحاب عائشة كافّون إلاّ ما دَافَعُوا عن أنفسهم ، وحُكَيْم يذمُر خيله ويركبهم بها ، ويقول: إنها قريش ليُرْدِيَنَّها جُبْنُها والطَّيش ، واقتتلوا على فم السكة ، وأشرفَ أهل الدور ممن كان له في واحد من الفريقين هوىً ، فرموا باقي الآخرين بالحجارة ، وأمرت عائشةُ أصحابها فتيامنوا حتى انتهوْا إلى مقبرة بني مازن ، فوقفوا بها مليّاً ، وثار إليهم الناس ، فحجز الليل بينهم. فرجع عثمان إلى القصر ، ورجع الناس إلى قبائلهم ، وجاء أبو الجَرْباء؛ أحدُ بني عثمان بن مالك بن عمرو بن تميم إلى عائشة ، وطلحة ، والزّبير ، فأشار عليهم بأمثل من مكانهم ، فاستنصحوه ، وتابعوا رَأيه ، فساروا من مقبرة بني مازن ، فأخذوا على مُسَنّاة البصرة من قبل الجبَّانة حتى انتهوْا إلى الزّابوقة ، ثم أتوا مقبرة بني حِصْن وهي متنحيّة إلى دار الرّزق ، فباتوا يتأهّبون ، وبات الناس يسيرون إليهم ، وأصبحوا وهم على رِجْل في ساحة دار الرّق ، وأصبح عُثمان بن حُنَيف فغاداهم ، وغدا حُكَيْم بن جَبَلة وهو يُبَرْبر وفي يده الرّمح ، فقال له رجل من عبد القيس: مَن هذا الذي تسبّ ، وتقول له ما أسمع؟ قال: عائشة ، قال: يا بن الخبيثة ! ألأمّ المؤمنين تقول هذا! فوضع حُكَيم السِّنان بين ثدييه فقتله. ثمّ مرّ بامرأة وهو يسبُّها ـ يعني عائشة ـ فقالت: مَنْ هذا الذي ألجأك إلى هذا؟ قال: عائشة ، قالت: يا بن الخبيثة ! ألأمّ المؤمنين تقول هذا! فطعنها بين ثدييها فقتلها. ثمّ سار ، فلما اجتمعوا؛ واقفوهم ، فاقتتلوا بدار الرّزق قتالاً شديداً من حين بزغت الشمس إلى أن زال النهار وقد كثر القَتْلى في أصحاب ابن حُنَيف ، وفشت الجراحة في الفريقين ، ومنادي عائشة يُناشدهم ويدعوهم إلى الكفّ ، فيأبوْن ، حتى إذا مسّهم الشرّ ، وعضّهم؛ نادوْا أصحابَ عائشة إلى الصّلح والمَتَات. فأجابوهم وتواعدوا ، وكتبوا بينهم كتاباً على أن يبعثوا رسولاً إلى المدينة؛ وحتى يرجع الرّسول من المدينة ، فإن كانا أكْرِها خرج عثمان عنهما ، وأخلى لهما البصرة ، وإن لم يكونا أكْرِها؛ خرج طلحة، والزبير:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما اصطلح عليه طلحة ، والزّبير ، ومن معهما من المؤمنين ، والمسلمين ، وعثمان بن حُنَيف ، ومَنْ معه من المؤمنين ، والمسلمين. إنّ عثمان يقيم حيث أدركه الصّلْح على ما في يده ، وإنّ طلحة ، والزّبير يُقيمان حيث أدركهما الصّلح على ما في أيديهما ، حتى يرجع أمينُ

الفريقين ورسولُهم كعب بن سُور من المدينة. ولا يضارّ واحدٌ من الفريقين الآخرَ في مسجد، ولا سوقٍ ولا طريق ولا فُرْضة، بينهم عيْبة مفتوحة حتى يرجع كعب بالخبر؛ فإن رجع بأنّ القوم أكرهوا: طلحةَ، والزّبير؛ فالأمر أمرُهما، وإن شاء عثمان خرج حتى يلحق بطيَّته، وإن شاء دخل معهما؛ وإن رجع بأنَّهما لم يكرَها فالأمرُ أمر عثمان، فإن شاء طلحة، والزّبير؛ أقاما على طاعة عليّ، وإن شاءا؛ خرجا حتى يلحقا بطيّتهما؛ والمؤمنون أعوانُ الفالح منهما.

فخَرجَ كعبٌ حتى يقدَم المدينةَ، فاجتمع الناس لقدومه، وكان قدومه يوم جمعة، فقام كعب فقال: يا أهلَ المدينة! إني رسول أهل البصرة إليكم؛ أأكرهَ هؤلاء القومُ هذين الرّجلين على بيعة عليّ، أم أتياها طائعيْن؟ فلم يجبْه أحدٌ من القوم إلاّ ما كان من أسامة بن زَيْد، فإنه قام، فقال: اللهم إنهما لم يُبايعا إلاّ وهما كارِهان. فأمر به تمّام، فواثبه سهل بن حُنَيف والناس، وثار صُهيب بن سِنان، وأبو أيّوب بن زيد في عدّة من أصحاب رسول الله ﷺ، فيهم محمد بن مسلمة، حين خافوا أن يُقتَل أسامة، فقال: اللهم نعم! فانفرِجُوا عن الرّجل! فانفرجوا عنه، وأخذ صهيب بيده حتى أخرجه فأدخله منزلَه، وقال: قد علمت أن أمّ عامر حامِقة، أما وَسِعك ما وسعنا من السكوت! قال: لاَ والله! ما كنت أرى أن الأمر يترامى إلى ما رأيت، وقد أبسَلَنا لِعظيم. فرجع كعبٌ؛ وقد اعتدّ طلحة، والزّبير فيما بين ذلك بأشياء كلها كانت مما يعتدّ به، منها: أنّ محمد بن طلحة ـ وكان صاحب صلاة ـ قام مقاماً قريباً من عثمان بن حُنَيْف، فخشي بعضُ الزُّطّ والسيابجة أن يكون جاء لغير ما جاء له، فنحياه، فبعثا إلى عثمانَ، هذه واحدَة. وبلغ عليّاً الخبرُ الذي كان بالمدينة من ذلك، فبادر بالكتاب إلى عُثمان يعجّزه، ويقول: والله ما أكرِها إلا كَرْهاً على فرقة، ولقد أكرِها على جماعة وفضل، فإن كانا يُريدان الخلع؛ فلا عذرَ لهما، وإن كانا يُريدان غير ذلك؛ نَظَرْنا ونظرا. فقدِم الكتابُ على عثمان بن حُنيف، وقدم كعبٌ فأرسلوا إلى عثمان أن اخرج عنا، فاحتجّ عثمان بالكتاب وقال: هذا أمرٌ آخر غير ما كنا فيه؛ فجمع طلحة، والزّبير الرّجالَ في ليلة مظلمة باردة ذات رياح وندىً، ثمّ قصدا المسجدَ فوافقا صلاةَ العشاء ـ وكانوا يؤخّرونها ـ فأبطأ عثمانُ بن حُنيف فقدَّما عبد الرّحمن بن عتاب، فشهر الزُّطُّ والسيابجة السلاح ثم وضعوه فيهم. فأقبلوا

عليهم فاقتتلوا في المسجد وصبروا لهم ، فأناموهم وهم أربعون ، وأدخلوا الرّجال على عُثمان ليُخرجوه إليهما ، فلما وصل إليهما توطّؤوه وما بقيت في وجهه شعرة ، فاستعظما ذلك ، وأرسلا إلى عائشة بالذي كان ، واستطلعا رأيها. فأرسلت إليهما أن خلّوا سبيلَه فليذهب حيث شاءَ ولا تحبسوه ، فأخرجوا الحرَس الذين كانوا مع عثمان في القصر ودخلوه ، وقد كانوا يعتقبون حرسَ عثمان في كلّ يوم وفي كلّ ليلة أربعون ، فصلَّى عبد الرحمن بن عتاب بالناس العشاءَ والفجرَ ، وكان الرّسول فيما بين عائشة ، وطلحة ، والزّبير هو ، أتاها بالخبر ، وهو رجع إليهما بالجواب ، فكان رسول القوم.

رجع الحديث إلى حديث سيف ، عن محمد وطلحة؛ قالا : فأصبح طلحة ، والزّبير ، وبيتُ المال ، والحرسُ في أيديهما ، والناس معهما ، ومن لم يكن معهما مغمور مستسرّ ، وبعثا حين أصبَحا بأن حُكيماً في الجمع ، فبعثت: لا تحبسا عثمان وَدَعاه ، ففعلا ، فخرج عثمان فمضى لطلبته ، وأصبح حُكيم بن جَبَلة في خيله على رجل فيمن تبعه من عبد القيس ومَنْ نزع إليهم من أفناء ربيعة ، ثمَّ وجّهوا نحو دار الرّزق وهو يقولُ: لستُ بأخيه إن لم أنصره ، وجعل يشتم عائشة رضي الله عنها ، فسمعته امرأةٌ من قومه ، فقالت : يا بنَ الخبيثة ! أنت أوْلى بذلك! فطعنها فقتلَها ، فغضبت عبد القيس إلاّ من كان اغتُمِر منهم ، فقالوا: فعلتَ بالأمس وعُدتَ لمثل ذلك اليوم! والله لندعنّك حتى يُقيدك الله. فرجعوا وتركوه ، ومضى حُكيم بن جَبَلة فيمن غزا معه عثمان بن عفان وحصره من نزّاع القبائل كلها ، وعرفوا أن لا مقام لهم بالبصرة ، فاجتمعوا إليه ، فانتهى بهم إلى الزّابوقة عند دار الرّزق ، وقالت عائشة: لا تقتلوا إلاّ من قاتلكم ، ونادوا من لم يكن من قَتَلة عثمان رضي الله عنه فليكفف عنا ، فإنا لا نريد إلا قتلة عثمان ولا نبدأ أحداً ، فأنشب حُكيمٌ القتال ولم يُرَعْ للمنادي ، فقال طلحة ، والزّبير: الحمد لله الذي جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة ، اللهمّ لا تُبْقِ منهم أحداً ، وأقِدْ منهم اليوم فاقتلهم ، فجادّوهم القتالَ فاقتتلوا أشدّ قتال ومعه أربعةُ قوّاد ، فكان حُكَيم بحيال طلحة ، وذَرِيج بحيال الزّبير ، وابن المحرِّش بحيال عبد الرحمن بن عتّابٍ ، وحُرْقوص بن زُهير بحيال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فزحف طلحة لحكيم وهو في ثلاثمئة رجُل ، وجعل حُكيم يضرب بالسيف ويقول:

أَضْـــرِبُهُـــمْ بـــاليـــابِـــس ضَـــرْبَ غُـــلامِ عـــابِـــسِ
مـــن الحيـــاةِ آيـــسِ فـــي الغُـــرُفـــات نـــافِـــس

فضرب رجل رِجْله فقطعها ، فحبا حتى أخذها فرمى بها صاحبه ، فأصاب جسده فصرَعه ، فأتاه حتى قتله ، ثم اتّكأ عليه وقال:

يـــا فخْـــذِ لـــن تـــراعـــي إنَّ مَعـــي ذراعـــي
أحْمـــي بهـــا كُـــراعـــي

وقال وهو يرتجز:

ليـــس علـــيَّ أنْ أمُـــوتَ عـــارُ والعـــارُ فـــي النـــاس هـــو الفِـــرارُ
والمَجْـــدُ لاَ يَفْضَحُـــهُ الـــدَّمـــارُ

فأتى عليه رجلٌ وهو رثيث ، رأسه على الآخر ، فقال: مَالَك يا حُكيم؟! قال: قُتلتُ ، قال: مَن قتلك؟ قال: وسادتي؛ فاحتمله فضمّه في سبعين من أصحابه ، فتكلم يومئذ حُكيم وإنه لقائم على رِجل ، وإن السيوف لتأخذهم فما يُتعتَع ، ويقول: إنا خلّفنا هذيْن وقد بايعا علياً وأعطياه الطاعة ، ثم أقبلا مخالفين مُحاربين يطلبان بدم عثمان بن عفان ، ففرّقا بيننا ، ونحن أهلُ دار وجوار. اللهمَّ إنهما لم يريدا عثمان. فنادى مناد: يا خبيث! جزعت حين عضّك نكال الله عزّ وجلّ إلى كلام من نَصبَك وأصحابك بما ركبتم من الإمام المظلوم ، وفرّقْتُم من الجماعة ، وأصبتم من الدّماء ، ونلتم من الدّنيا! فذُق وبالَ الله عزّ وجلّ وانتقامه ، وأقيموا فيمن أنتم.

وقتِل ذَرِيح ومن معه ، وأفلت حُرْقوص بن زهير في نَفَر من أصحابه ، فلجؤوا إلى قومهم ، ونادى مُنادي الزّبير وطلحة بالبصرة: ألاَ من كان فيهم من قبائلكم أحدٌ ممن غزا المدينة فليأتِنا بهم. فجيء بهم كما يُجَاءُ بالكلاب ، فقُتِلوا فما أفلت منهم من أهل البصرة جميعاً إلاّ حرقوص بن زُهير؛ فإنّ بني سعد منعوه ، وكان من بني سعد ، فمسَّهم في ذلك أمرٌ شديد ، وضربوا لهم فيه أجلاً وخَشَّنوا صدورَ بني سعد وإنَّهم لعُثْمانية حتى قالوا: نَعتَزل؛ وغضبت عبدُ القَيس حين غضبت سعد لمن قتل منهم بعد الوقعة ومَن كان هرب إليهم إلى ما هم عليه من لزوم طاعةِ عليّ ، فأمرا للنَّاس بأعطياتهم وأرزاقهم وحُقوقهم ، وفضّلا بالفضل أهل السمع والطاعة ، فخرجت عبدُ القيس وكثيرٌ من بَكر بن وائل حين

زَوَوْا عنهم الفضول ، فبادروا إلى بيت المال ، وأكبّ عليهم الناس فأصابوا منهم ، وخرج القوم حتى نزلوا على طريق عليّ ، وأقام طلحة ، والزّبير ليس معهما بالبصرة ثأر إلاّ حُرْقوص ، وكتبوا إلى أهل الشأم بما صنعوا ، وصاروا إليه: إنا خرجنا لوضْع الحرب ، وإقامة كتاب الله عزّ وجلّ بإقامة حُدوده في الشريف ، والوضيع ، والكثير ، والقليل ، حتى يكون الله عزّ وجلّ هو الذي يردّنا عن ذلك ، فبايَعَنا خيارُ أهل البصرة ، ونجباؤهم؛ وخالَفنَا شرارهم ونزّاعهم ، فرَدُّونا بالسلاح وقالوا فيما قالوا: نأخذُ أمَّ المؤمنين رهينة؛ أن أمَرتهم بالحقّ وحثَّتْهم عليه. فأعطاهم الله عزّ وجلّ سُنَّة المسلمين مرّة بعد مرّة ، حتى إذا لم يبقَ حجَّة ولا عذر؛ استبسل قتلةُ أمير المؤمنين فخرجوا إلى مضاجعهم فلم يُفلت منهم مخبر إلاّ حرقُوص بن زُهير ، والله سبحانه مُقيده إن شاء الله. وكانوا كما وصف الله عزّ وجلّ؛ وإن نناشدكم الله في أنفسكم إلا نهضتم بمثل ما نهضنا به؛ فنلقى الله عزّ وجلّ وتلقوْنه وقد أعذرنا ، وقضيْنا الذي علينا.

وبعثوا به مع سيَّار العجليّ ، وكتبوا إلى أهل الكوفة بمثله مع رجُل من بني عمرو بن أسد يدعَى مظفّر بن معرّض ، وكتبوا إلى أهل اليمامة وعليها سَبْرة بن عمرو العنبريّ مع الحارث السَّدوسيّ. وكتبوا إلى أهل المدينة مع ابن قُدامة القُشيريّ ، فدسّه إلى أهل المدينة.

وكتبت عائشةُ رضي الله عنها إلى أهل الكوفة مع رسولهم: أمّا بعد فإني أذكّركم الله عزّ وجلّ والإسلام ، أقيموا كتاب الله بإقامة ما فيه ، اتقوا الله واعتصموا بحبله ، وكونوا مع كتابه؛ فإنا قدمنا البصرة ، فدعوناهم إلى إقامة كتاب الله بإقامة حُدوده ، فأجابَنا الصالحون إلى ذلك؛ واستقبلَنا من لا خير فيه بالسلاح ، وقالوا: لَنُتبعنَّكم عثمانَ ، ليَزيدوا الحدود تعطيلاً ، فعاندوا ، فشهدوا علينا بالكفر ، وقالوا لنا المنكر ، فقرأنا عليهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾. فأذعن لي بعضهم ، واختلفوا بينهم ، فتركناهم وذلك ، فلم يمنع ذلك مَن كان منهم على رأيه الأوّل من وضع السلاح في أصحابي ، وعزم عليهم عثمان بن حُنيف إلاّ قاتَلوني حتى منعني الله عزّ وجلّ بالصّالحين ، فردّ كيدهم في نحورهم ، فمكثنا ستّاً وعشرين ليلة ندعوهم إلى كتاب الله وإقامة حُدوده ـ وهو حَقْن الدّماء أن تُهراق دون من قد حلّ دمُه ـ فأبوْا

واحتجّوا بأشياء، فاصطلَحْنَا عليها، فخافوا، وغدروا، وخَانُوا، فجمع الله عزّ وجلّ لعثمان رضي الله عنه ثأرهم، فأقادهم فلم يُفلِت منهم إلاّ رجلٌ، وأرْدَأنا الله، ومنَعنَا منهم بعُمير بن مرثَد، ومرثد بن قيس، ونفر من قيس، ونفر من الرِّباب والأزْد. فالزموا الرضا إلاّ عن قتلة عثمان بن عفان حتى يأخذ الله حقّه، ولا تخاصموا الخائنين، ولا تمنعوهم، ولا ترضَوْا بِذُوِيِّ حدود الله فتكونوا من الظالمين. فكتبتُ إلى رجال بأسمائهم، فثبّطوا الناس عن منع هؤلاء القوم، ونُصْرتهم، واجلسوا في بيوتكم؛ فإن هؤلاء القوم لم يرضوا بما صنعوا بعثمان بن عفان رضي الله عنه، وفرّقوا بين جماعة الأمة، وخالفوا الكتاب والسنَّة، حتى شهدوا علينا فيما أمرناهم به، وحثثناهم عليه من إقامة كتاب الله وإقامة حدوده بالكفر، وقالوا لنا المنكر، فأنكر ذلك الصّالحون وعظّموا ما قالوا، وقالوا: ما رضيتم أن قتلتم الإمام حتى خرجتم على زوجة نبيكم ﷺ؛ أن أمَرتكم بالحقّ لتقتلوها وأصحابَ رسول الله ﷺ وأئمة المسلمين! فعزموا وعثمان بن حُنيف معهم على من أطاعهم من جهّال الناس وغوغائهم على زُطّهم وسيابجهم، فلُذنا منهم بطائفة من الفُسْطاط؛ فكان ذلك الدّأب ستة وعشرين يوماً ندعوهم إلى الحقّ وألاّ يحولوا بيننا وبين الحقّ، فغدَرُوا، وخانوا، فلم نُقايِسْهم، واحتجّوا ببيعة طلحة، والزّبير؛ فأبردُوا بريداً فجاءهم بالحجّة فلم يعرفوا الحقّ، ولم يصبروا عليه؛ فغادَوْني في الغَلس ليقتلوني؛ والذي يحاربهم غيري، فلم يبرحوا حتى بلغوا سدَّة بيتي ومعهم هادٍ يهديهم إليّ، فوجدوا نفراً على باب بيتي؛ منهم عُمير بن مرثَد، ومرثَد بن قيس، ويزيد بن عبد الله بن مَرْثدَ؛ ونفر من قيس، ونفر من الرِّباب والأزْد، فدارت عليهم الرّحا، فأطاف بهم المسلمون، فقتلوهم، وجمع الله عزّ وجلّ كلمة أهل البصرة على ما أجمع عليه الزُّبير وطلحة؛ فإذا قتلنا بثأرنا وسعنا العذر، وكانت الوقعة لخمس ليال بقين من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين، وكتب عبيد بن كعب في جُمادى[1].

(٤ : ٤٦٢/ ٤٦٣/ ٤٦٤ ـ ٤٦٦/ ٤٦٧/ ٤٦٨/ ـ/ ٤٧٠/ ٤٧١/ ٤٧٢/ ٤٧٣/ ٤٧٤)

٩٥٣ ـ وفيما ذكر نَصْر بن مُزاحم عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن

---

(١) إسناده ضعيف وفيه نكارة، وأغلب الظن أن النكارة من قبل شعيب وهو معروف بتحامله على الصحابة كما ذكرنا سابقاً.

القاسم بن محمد، قال: وأقبل جارية بن قُدامة السّعديّ ، فقال: يا أمّ المؤمنين! والله لَقتلُ عثمان بن عفان أهونُ من خُروجكِ من بيتكِ على هذا الجَمل الملعون عُرْضةً للسلاح! إنه قد كان لك من الله سِتْرٌ وحرمة ، فهتكْتِ سِترَك ، وأبحتِ حُرْمتَك ، إنه مَن رأى قتالك فإنه يرى قَتْلَكِ ، وإن كنتِ أتَيْتِنا طائعةً فارجعي إلى منزلك ، وإن كنت أتيتِنا مستكرهةً فاستعيني بالناس ، قال: فخرج غلامٌ شابٌّ من بني سعد إلى طلحة ، والزّبير ، فقال: أمّا أنت يا زُبير؛ فحواريُّ رسول الله ﷺ ، وأمّا أنت يا طلحة؛ فوقَيْت رسول الله ﷺ بيدك ، وأرى أمّكما معكما فهل جئتما بنسائكما؟ قالا: لا ، قال: فما أنا منكما في شيء ، واعتزل. وقال السعديّ في ذلك:

صُنْتـمْ حـلائلَكُـمْ وقُـدْتُـم أمّكُـمْ ... هــذا لَعَمــرُك قِلَّــةُ الإنْصــافِ
أُمِـرَتْ بجـرِّ ذيـولها فـي بيتها ... فهَـوتْ تشُـقُّ البيـدَ بـالإيجـاف
غَـرَضـاً يُقـاتـلُ دونَهـا أبْنـاؤها ... بـالنَّبْـلِ والخَطِّـيِّ والأسيـاف
هُتكَـتْ بطلْحَـةَ والـزُّبَيْـرِ سُتورُها ... هـذا المُخَبـرُ عنْهـمُ والكـافـي

وأقبل غلامٌ من جُهينة على محمد بن طلحة ـ وكان محمد رجلاً عابداً ـ فقال: أخبِرْني عن قَتَلة عثمان! فقال: نعم ، دمُ عثمان ثلاثة أثلاث ، ثلثٌ على صاحبة الهوْدَج ـ يعني: عائشة ـ وثلثٌ على صاحب الجمل الأحمر ـ يعني: طلحة ـ وثلثٌ على عليّ بن أبي طالب؛ وضحك الغلام؛ وقال: ألا أراني على ضلال! ولحق بعليّ ، وقال في ذلك شعراً:

سَـألْـتُ ابْـنَ طلْحـةَ عـنْ هـالِـكٍ ... بجـوْفِ المَـدينـةِ لَـمْ يُقبَـرِ
فقـال ثـلاثـة رَهْـطٍ هُـمُ ... أمـاتـوا ابـنَ عفّـان واسْتعْبـرِ
فثلْـثٌ علـى تلْـكَ فـي خِـدْرها ... وثلْـثٌ علـى راكـبِ الأحْمَـر
وثُلْـثٌ علـى ابْـنِ أبـي طـالـبٍ ... ونَحْـنُ بـدَوِّيَّـةٍ قَـرْقَـر
فقلْـتُ صَـدَقْـتَ علـى الأوّلَيْـن ... وأخْطَـأْتَ فـي الثـالـثِ الأزْهـرِ[1]

(٤ : ٤٦٥/ ٤٦٦).

٩٥٤ ـ حدّثنا عمر بن شبّة ، قال: حدّثنا أبو الحسن عن أبي مخنف عن

(١) إسناده ضعيف.

يوسف بن يزيد، عن سهل بن سعد، قال: لما أخذوا عُثمان بن حُنيف؛ أرسلوا أبانَ بن عثمان إلى عائشة يستشيرونها في أمره، قالت: اقتلوه، فقالت لها امرأة: نشدتُك بالله يا أمّ المؤمنين في عُثمان وصحبته لرسول الله ﷺ! قالت: ردّوا أباناً، فردّوه، فقالت: احبسوه ولا تقتلوه، قال: لو علمتُ أنّكِ تدعينني لهذا لم أرجع، فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعرَ لحيته، فضربوه أربعينَ سوطاً، ونتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه[1]. (٤: ٤٦٨/ ٤٦٩).

٩٥٥ ـ حدّثني أحمد بن زُهير، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثني وهب بن جرير بن حازم، قال: سمعتُ يونس بن يزيد الأيْليّ عن الزهريّ، قال: بلغني أنه لما بلغ طلحة والزّبير منزل عليّ بذي قار انصرفوا إلى البصرة، فأخذوا على المُنكَدرِ، فسمِعَتْ عائشة رضي الله عنها نُباح الكلاب، فقالت: أيّ ماء هذا؟ فقالوا: الحوْءب، فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون! إني لهِيَهْ، قد سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ وعنده نساؤه: «ليتَ شِعْري أيّتكنّ تنبحها كلاب الحَوْءب!». فأرادت الرّجوعَ، فأتاها عبد الله بن الزّبير، فزعم: أنه قال: كَذَب من قال إنّ هذا الحوءب. ولم يزل حتى مضت، فقدِموا البصرة؛ وعليها عثمان بن حُنيف، فقال لهم عثمان: ما نقَمتم على صاحبكم؟ فقالوا: لم نرَه أوْلى بها منّا، وقد صنع ما صنع، قال: فإنَّ الرجل أمّرني فأكتب إليه فأعلمه ما جئتم له، على أن أصلّيَ بالناس حتى يأتيَنا كتابُه، فوقفوا عليه وكتب، فلم يلبث إلاّ يومين حتى وثبوا عليه فقاتلوه بالزّابوقة عند مدينة الرّزق، فظهروا، وأخذوا عثمان فأرادوا قَتْله، ثم خشُوا غضب الأنصار، فنالوه في شعره وجسَده، فقام طلحةُ، والزّبير

---

(١) إسناده تالف فهو من طريق الهالك أبي مخنف، ولم ترد في رواية صحيحة أن أصحاب الجمل امروا بقتل والي البصرة عثمان بن حنيف والرواية التي قبل هذه وهي تكملة (٩٥٢) من طريق شعيب عن سيف تذكر أنهم نتفوا شعر وجهه وأن عائشة أمرت بإطلاق سراحه (أن خلّوا سبيله فليذهب حيث شاء ولا تحبسوه) وإسناده ضعيف جداً فكلا الإسنادين كما ترىٰ لا يمكن الاحتجاج بهما وعلىٰ هذه الأخبار الواهية المختلفة اعتمد المستشرق الألماني المعروف (بروكلمان) في كتابه تأريخ الشعوب الإسلامية فقال عن أصحاب الجمل أنهم قتلوا والي البصرة وعلماً بأن هاتين الروايتين علىٰ ضعفهما لم تذكر أنهم قتلوه بل عذبوه ثم أطلقوا سراحه ولا يصح.

خطيبين فقالا: يا أهل البصرة! توبة بحوْبة، إنما أردنا أن يستعتب أميرُ المؤمنين عثمانَ ولم نرد قتله، فغلب سُفهاء الناس الحلماءَ حتى قتلوه، فقال الناس لطلحة: يا أبا محمد! قد كانت كُتبك تأتينا بغير هذا، فقال الزبير: فهل جاءكم مني كتاب في شأنه؟ ثمّ ذكر قتلَ عثمان رضي الله عنه وما أتى إليه، وأظهر عيب عليّ، فقام إليه رجلٌ من عبد القيس، فقال: أيّها الرجل، أنصت حتى نتكلّم، فقال عبد الله بن الزبير: ومَالَك وللكلام! فقال العبديّ: يا معشر المهاجرين! أنتم أوّل من أجاب رسولَ الله ﷺ، فكان لكم بذلك فضل، ثم دخل الناس في الإسلام كما دخلتم، فلما توفِّيَ رسول الله ﷺ بايعتم رجلاً منكم، والله ما استأمرتمونا في شيء من ذلك فرضينا واتّبعناكم، فجعل الله عزّ وجلّ للمسلمين في إمارته بركة، ثمّ مات رضي الله عنه واستخلف عليكم رجلاً منكم، فلم تشاورونا في ذلك، فرضينا وسلّمنا، فلما تُوفِّيَ الأمير جعل الأمر إلى ستّة نفر، فاخترتمْ عثمان وبايعتموه عن غير مشورة منا، ثمّ أنكرتم من ذلك الرّجل شيئاً، فقتلتموه عن غير مشورة منا، ثمّ بايعتم عليّاً عن غير مشورة منا، فما الذي نقَمتم عليه فنقاتله؟ هل استأثر بفيء، أو عمل بغير الحقّ؟ أو عمل شيئاً تنكرونه فنكون معكم عليه! وإلاّ فما هذا! فهمُّوا بقتل ذلك الرّجل، فقام من دونه عشيرتُه؛ فلما كان الغد وثبوا عليه وعلى مَن كان معه، فقتلوا سبعين رجلاً[1]. (٤: ٤٦٩/ ٤٧٠).

٩٥٦ ـ حدّثنا عمر بن شبّة، قال: حدثنا أبو الحسن عن عامر بن حفص، عن أشياخه، قال: ضَرب عنقَ حُكَيم بن جبلة رجلٌ من الحُدّان يقال له: ضُخَيم، فمال رأسهُ، فتعلّق بجلده، فصار وجههُ في قفاه، قال ابن المثنّى الحُدّاني: الذي قتل حُكَيْماً يزيدُ بن الأسحم الحُدانيّ، وجُد حُكَيم قتيلاً بين يزيد بن الأسحم، وكعب بن الأسحم، وهما مقتولان[2]. (٤: ٤٧٤).

٩٥٧ ـ حدثني عمر، قال: حدثني أبو الحسن، قال: حدثنا أبو بكر

---

(١) إسناده مرسل ضعيف وفي متنه نكارة، ويونس بن يزيد كان من أصحاب الزهري فإنه يأتي أحياناً بمناكير عن الزهري وهذه منها وعلى أية حال فالسند مرسل ومراسيل الزهري ضعيفة والله أعلم.

(٢) إسناده ضعيف.

الهُذليّ ، عن أبي المليح ، قال: لما قتل حُكَيم بن جبلة؛ أرادوا أن يقتلوا عثمان بن حُنيف ، فقال: ما شئتم ، أمَا إن سهل بن حُنيف والٍ على المدينة ، وإن قتلتموني انتصر ، فخلّوْا سبيله ، واختلفوا في الصّلاة ، فأمّرت عائشة رضي الله عنها عبد الله بن الزبير فصلّى بالناس ، وأراد الزّبير أن يعطيَ الناس أرزاقَهم ويقسم مافي بيت المال ، فقال عبد الله ابنه: إن ارتزق الناس تفرّقوا. واصطلحوا على عبد الرحمن بن أبي بكر ، فصيّروه على بيت المال[1] . (٤ : ٤٧٤).

٩٥٨ ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثنا أبو الحسن عليّ عن أبي بكر الهُذَليّ ، عن الجارود بن أبي سَبْرة ، قال: لمّا كانت الليلة التي أخذ فيها عثمان بن حُنيف ، وفي رَحَبَة مدينة الرّزق طعامٌ يرتزقه الناس ، فأراد عبد الله أن يرزقه أصحابه وبلغ حُكَيم بن جبلة ما صنع بعثمان ، فقال: لستُ أخاف الله إن لم أنصره ، فجاء في جماعة من عبد القيس وبكر بن وائل وأكثرهم عبد القيس ، فأتى ابن الزّبير مدينة الرزق ، فقال: مَالَك يا حُكَيم؟ قال: نريد أن نرتزق من هذا الطعام ، وأن تخلّوا عثمان فيقيم في دار الإمارة على ما كتبتم بينكم حتى يقدَم عليّ ، والله لو أجد أعواناً عليكم أخبِطكم بهم ما رضيت بهذه منكم حتى أقتلَكم بمن قتلتم ، ولقد أصبحتم وإنّ دماءكم لنا لحلال بمن قتلتم من إخواننا ، أما تخافون الله عزّ وجل! بم تستحلّون سَفْك الدّماء! قال: بدم عثمان بن عفان ، قال: فالّذين قتلتموهم قتلوا عثمان! أما تخافون مقتَ الله؟ فقال له عبد الله بن الزبير: لا نرزقكم من هذا الطعام ، ولا نخلّي سبيل عثمان بن حُنيف حتى يخلع عليّاً ، قال حُكيم: اللهمّ إنك حكَم عَدْل فاشهد. وقال لأصحابه: إنّي لست في شكّ من قتال هؤلاء ، فمن كان في شكّ فلينصرف ، وقاتلَهم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وضرب رجل ساق حُكَيم ، فأخذ حكيمٌ ساقَه ، فرماه بها ، فأصاب عنقه فصرعه ، ووَقَذَه ، ثم حبا إليه ، فقتله ، واتّكأ عليه ، فمرّ به رجلٌ فقال: من قتلك؟ قال: وسادتي ، وقتل سبعون رجلاً من عبد القيس ، قال الهذليّ: قال حكيم حين قطعت رجله:

أقــولُ لَمــا جَــدَّ بــي زَمــاعــي   للــرِّجْـل يــا رجلِـيَ لــن تــراعــي

إنَّ مَعــي مِــنْ نجْــدَةٍ ذراعــي

---

(١) في إسناده الهذلي وهو متروك.

قال عامر، ومسلمة: قتل مع حُكيم ابنهُ الأشرف، وأخوه الرِّعِل بن جبَلة[١]. (٤: ٤٧٤/ ٤٧٥).

٩٥٩ ـ حدّثني عمر، قال: حدّثنا أبو الحسن، قال: حدّثنا المثنَّى بن عبد الله عن عوف الأعرابيّ، قال: جاء رجلٌ إلى طلحة والزّبير وهما في المسجد بالبصرة، فقال: نشدتكما بالله في مسيركما! أعَهِد إليكما فيه رسول الله ﷺ شيئاً! فقام طلحة ولم يجبْه، فناشد الزّبير، فقال: لا، ولكن بلغنا: أنّ عندكم دراهم، فجئنا نشارككم فيها[٢]. (٤: ٤٧٥).

٩٦٠ ـ حدّثني عمر، قال: حدّثنا أبو الحسن، قال: حدّثنا سُليمان بن أرقم عن قتادة، عن أبي عمرة مولى الزّبير، قال: لما بايع أهل البصرة الزّبيرَ وطلحة، قال الزّبير: ألا ألف فارس أسيرُ بهم إلى عليّ، فإما بيَّتُّه وإما صبَّحته، لعلِّي أقتله قبل أن يصل إلينا! فلم يُجبه أحدٌ، فقال: إنّ هذه لهي الفتنة التي كنا نحدّث عنها؛ فقال له مولاه: أتُسمّيها فتنة وتُقاتل فيها! قال: ويحك! إنا نُبصّر ولا نبصر، ما كان أمر قطّ إلاّ علمتُ موضع قدمي فيه، غير هذا الأمر فإني لا أدري أمُقْبل أنا فيه أم مُدبر[٣]! (٤: ٤٧٥/ ٤٧٦).

٩٦١ ـ حدّثني أحمد بن منصور، قال: حدّثني يحيى بن معين، قال: حدّثنا هشام بن يوسف ـ قاضي صَنْعاء ـ عن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزّبير، عن موسى بن عقبة، عن علقمة بن وقّاص الليثيّ، قال: لما خرج طلحة، والزّبير، وعائشة رضي الله عنهم؛ رأيتُ طلحة وأحبّ المجالس إليه أخلاها، وهو ضاربٌ بلحيته على زَوْرِه، فقلت: يا أبا محمد! أرى أحبّ المجالس إليك أخلاها، وأنت ضارب بلحيتك على زَوْرك؛ إن كرهتَ شيئاً فاجلس. قال: فقال لي: يا علقمة بن وقّاص! بينا نحن يدٌ واحدة على مَن سوانا، إذ صرنا جبلين من حديد يَطلبُ بعضنا بعضاً، إنه كان منِّي في عثمان شيءٌ ليس توبتي إلاّ أن يُسفك دمي في طلب دمه. قال: قلت: فرُدّ محمد بن

---

(١) في إسناده الهذلي وهو متروك وفي متنه نكارة، ولم يثبت أن أصحاب الجمل دعوا إلى خلع علي ولم يثبت أنهم كانوا يقتلون من هَبَّ ودَبَّ.

(٢) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة شديدة.

(٣) في متنه سليمان بن أرقم ضعيف؛ وفي متنه نكارة.

طلحة فإنّ لك ضيعة وعيالاً؛ فإن يك شيء يخلفك؛ فقال: ما أحبّ أن أرى أحداً يخِفّ في هذا الأمر فأمنعه، قال: فأتيت محمد بن طلحة، فقلت له: لو أقمتَ، فإن حدث به حدَث؛ كنتَ تخلفه في عياله وضيعته، قال: ما أحبّ أن أسأل الرجال عن أمره[1]. (٤: ٤٧٦).

٩٦٢ ـ حدّثني عمر بن شبّة، قال: حدّثنا أبو الحسن، قال: حدّثنا أبو مخنف عن مجالد بن سعيد، قال: لما قدمت عائشةُ رضي الله عنها البصْرة كتبتْ إلى زيد بن صُوحان: من عائشة ابنة أبي بكر أمّ المؤمنين حبيبة رسول الله ﷺ إلى ابنها الخالص زيد بن صُوحان، أمّا بعد: فإذا أتاك كتابي هذا؛ فاقدم؛ فانصرنا على أمرنا هذا، فإن لم تفعل؛ فخذِّل الناس عن عليّ.

فكتب إليها: من زيد بن صُوحان إلى عائشة ابنة أبي بكر الصدّيق حبيبةِ رسول الله ﷺ، أمّا بعد: فأنا ابنك الخالص؛ إن اعتزلت هذا الأمر ورجعت إلى بيتك، وإلاّ فأنا أوّل من نابَذَكِ. قال زيد بن صُوحان: رحم الله أمَّ المؤمنين! أمرت أن تلزم بيتها وأمِرنا أن نُقاتل، فتركتْ ما أمِرَتْ به، وأَمَرَتْنا به، وصنعت ما أمِرْنا به، ونَهتنا عنه[2]! (٤: ٤٧٦/ ٤٧٧).

ذكر الخبر عن مسير عليّ بن أبي طالب نحو البصرة

٩٦٣ ـ مما كتب به إليّ السريّ: أن شعيباً حدّثه، قال: حدّثنا سيفٌ، عَن عُبيدة بن معتِّب، عن يزيد الضّخم، قال: لما أتى عليّاً الخبرُ وهو بالمدينة بأمر عائشة، وطلحة، والزّبير: أنهم قد تَوَجّهوا نحو العراق؛ خرج يُبادر وهو يرجو أن يدركهم ويردّهم، فلما انتهى إلى الرّبَذة؛ أتاه عنهم أنهم قد أمعنوا، فأقام بالرَّبَذة أياماً، وأتاه عن القوم: أنهم يُريدون البصرة، فسرّيَ بذلك عنه، وقال: إنَّ أهلَ الكوفة أشدُّ إليَّ حبّاً، وفيهم رؤوس العرب وأعلامهم. فكتب إليهم: إنّي

(١) في إسناده عبد الله بن مصعب الزبيري ضعفه ابن معين وذكره الذهبي في الضعفاء.

(٢) في إسناده أبو مخنف وهو تالف، وأما ما ذكر من هذه المراسلة فلم يصح بل ورد من طريق سيف بإسناد ضعيف جداً، وأما حث عائشة رضي الله عنها لزيد بن صوحان أن (يخذّل الناس عن علي) فهذا مخالف لما ذكرنا من الروايات الصحيحة والله أعلم ـ علماً بأن الإسناد على ضعفه الشديد فهو مرسل، فمجالد لم يدرك الحادثة.

قد اخترتكم على الأمصار وإنّي بالأُثْرة[١] . (٤ : ٤٧٧) .

٩٦٤ ـ حدّثني عُمر ، قال: حدّثنا أبو الحسن عن بشير بن عاصم ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، قال: كتب عليّ إلى أهل الكوفة : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فإني اخترتُكم والنزول بين أظهركم لما أعرف من مودَّتكم وحبكم لله عزّ وجلّ ولرسوله ﷺ ، فمن جاءني ، ونصرني؛ فقد أجاب الحقَّ وقضى الذي عليه[٢] . (٤ : ٤٧٧) .

٩٦٥ ـ حدّثني عمر: قال: حدّثنا أبو الحسن. قال: حدّثنا حبّان بن موسى عن طلحة بن الأعلم ، وبشر بن عاصم عن ابن أبي ليلَى ، عن أبيه ، قال: بُعِث محمد بن أبي بكر إلى الكوفة ومحمّدُ بن عون ، فجاء الناس إلى أبي موسى يستشيرونه في الخروج ، فقال أبو موسى: أمَّا سبيلُ الآخرة فأنْ تقيموا ، وأمَّا سبيل الدّنيا فأن تخرجوا، وأنتم أعلم. وبلغ المحمديْن قولُ أبي موسى ، فبايناه، وأغلظا له ، فقال: أما والله إنَّ بيعة عثمان في عُنقي وعُنق صاحبكما الذي أرسلكما ، إن أردْنا أن نُقاتِل لا نقاتل حتى لا يبقى أحد من قَتَلة عثمان إلا قُتل حيث كان. وخرج عليّ من المدينة في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ، فقالت أخت عليّ بن عديّ من بني عبد العزَّى بن عبد شمس :

لا هُـمَّ فـاعْقِـرْ بِعَلِـيّ جَملَـهْ ولا تُبَـارك فـي بعيـرٍ حَمَلَـهْ
ألا علـيّ بـنُ عَـديٍّ ليـس لَـهْ[٣]

(٤ : ٤٧٧/٤٧٨) .

٩٦٦ ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثنا أبو الحسن عن أبي مخنف ، عن نُمَير بن وعْلة ، عن الشعبيّ؛ قال: لمَّا نزل عليٌّ بالرَّبَذَةَ أتته جماعة من طيىء ، فقيل لعليّ: هذه جماعة من طَيىء قد أتتك ، منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد التسليم عليك؛ قال: جزَى الله كلاًّ خيراً ، وفَضَّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ، ثمّ دخلوا عليه فقال عليّ: ما شهدتمونا به؟ قالوا:

---

(١) إسناده ضعيف وهو متنه نكارة سنبينها بعد (٤/ ٤٧٩).

(٢) في إسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ضعفه البخاري وابن معين وأحمد وشعبة وغيرهم.

(٣) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة.

شهدناك بكلّ ما تحبّ ، قال: جزاكم الله خيراً! فقد أسلمتم طائعين ، وقاتلتم المرتَدّين ، ووافيتم بصدقاتكم المسلمين ، فنهض سعيد بن عبيد الطائيّ ، فقال: يا أمير المؤمنين ! إنّ من الناس من يعبّر لسانه عما في قلبه ، وإني والله ما كلّ ما أجد في قلبي يعبّر عنه لساني وسأجهد وبالله التوفيق ، أمّا أنا فسأنصح لك في السرّ والعلانية ، وأقاتل عدوك في كلّ موطن ، وأرى لك من الحقّ ما لا أراه لأحَدٍ من أهل زمانك لفضلك ، وقَرَابَتِك ، قال: رحمك الله! قد أدّى لسانُك عما يجنُّ ضميرك ، فقُتِل معه بصفّين رحمه الله[1] . (٤ : ٤٧٨) .

٩٦٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا: لما قدم عليّ الرَّبَذة؛ أقام بها ، وسرّح منها إلى الكوفة محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن جعفر؛ وكتب إليهم: إني اخترتكم على الأمصار ، وفزعت إليكم لما حدث ، فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً ، وأيّدونا وانهضوا إلينا فالإصلاح ما نُريد ، لتعود الأمة إخواناً ، ومن أحبَّ ذلك ، وآثره؛ فقد أحبَّ الحقّ وآثره ، ومن أبغض ذلك؛ فقد أبغض الحقّ ، وغمصه.

فمضى الرّجلان ، وبقي عليّ بالرَّبَذة يتهيّأ ، وأرسل إلى المدينة ، فلحقه ما أراد من دابّة وسلاح ، وأمِر أمرُه وقام في الناس فخطبهم؛ وقال: إنّ الله عزَ وجلَّ أعزَّنَا بالإسلام ، ورفَعَنا به ، وجعلنا به إخواناً بعد ذلّة ، وقلّة ، وتباغُضٍ ، وتباعد؛ فجرى الناس على ذلك ما شاء الله ، الإسلام دينهم ، والحقّ فيهم ، والكتاب إمامهم ، حتى أصيب هذا الرّجل بأيدي هؤلاء القوم الّذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الأمة ، ألا إنَّ هذه الأمَّة لابُدَّ مفترقة كما افترقت الأمم قبلهم ، فنعوذ بالله من شرّ ماهو كائنٍ ، ثمّ عاد ثانية ، فقال: إنه لابدَّ مما هو كائن أن يكون ، ألا وإنّ هذه الأمة ستَفْتَرِقُ على ثلاث وسبعين فرقة ، شرّها فرقة تنتحلني ولا تعمل بعَمَلِي ، فقد أدركتم ، ورأيتم فالزموا دينكم ، واهدوا بهدي نبيّكم ﷺ ، واتَّبعوا سنته ، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن ، فما عرفه القرآن؛ فالزموه وما أنكره؛ فردّوه ، وارضُوا بالله جلَّ وعزَّ ربّاً ، وبالإسلام ديناً؛ وبمحمّد ﷺ نبيّاً ، وبالقرآن حكماً وإماماً[2] . (٤ : ٤٧٨/ ٤٧٩) .

---

(١) إسناده ضعيف جداً فهو من طريق أبي مخنف ولم نجد له شاهداً أو متابعاً والله أعلم.

(٢) إسناده ضعيف ، أما ما جاء مرفوعاً إلىٰ رسول الله ﷺ فقد صح ولكن ليس باللفظ الذي في=

٩٦٨ ـ كَتَب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، قالا : لما أراد عليّ الخروجَ من الرَّبَذَة إلى البصرة قام إليه ابنٌ لرفاعة بن رافع ، فقال : يا أمير المؤمنين ! أيّ شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال : أمّا الذي نريد وننوي فالإصلاح؛ إن قبلوا منّا وأجابونا إليه ، قال : فإن لم يجيبوا إليه؟ قال : ندَعُهم بعذرهم ونعطيهم الحقّ ونصبر؛ قال : فإن لم يرضَوْا؟ قال : ندَعهم ما تركونا ، قال : فإن لم يتركونا؟ قال : امتنعنا منهم ، قال : فنعم إذاً ، وقام الحجّاج بن غزّية الأنصاريّ قال : لأرضينّك بالفعل كما أرضيتني بالقول . وقال :

دَرَاكِهــا دَراكِهــا قَبْــلَ الفــوْت وانفِرْ بنا واسْمُ بنا نحْوَ الصَّوْت

لا وَألَــتْ نَفْســيَ إنْ هِبْــتُ المــوْت

والله لأنصرنّ الله عز وجلّ كما سمّانا أنصاراً ، فخرج أمير المؤمنين؛ وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمر بن الجرّاح ، والرّاية مع محمّد بن الحنفيّة ، وعلى الميمنة عبد الله بن عباس ، وعلى الميسرة عمر بن أبي سلمة ، أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد ، وخَرَجَ عليّ ، وهو في سبعمئة وستين؛ وراجزُ عليّ يرجز به :

ســيــروا أبــابيــلَ وحُثُّــوا السَّيْــرَا إذْ عَــزَمَ السَّيْــرَ وقــولــوا خَيْــرا

حتَّــى يُــلاقــوا وتُــلاقــوا خَيْــرا نغــزو بهــا طَلْحَــةَ والــزُّبَيْــرا

وهو أمام أميرِ المؤمنين ، وأميرُ المؤمنين عليّ على ناقة له حمراء يقود فرساً كُميتاً . فتلقّاهم بفَيْدَ غلامٌ من بني سعد بن ثعلبة بن عامر يدعى مُرّة ، فقال : من هؤلاء؟ فقيل : أمير المؤمنين ، فقال : سفرة فانية فيها دماء من نفوس فانية ، فسمعها عليّ فدعاه ، فقال : ما اسمك؟ قال : مُرَّة ، قال : أمَرَّ الله عيْشك ، كاهن سائر اليوم؟ قال : بل عائف؛ فلما نزل بفيد أتته أسد ، وطيِّىء ، فعرضوا عليه أنفسهم ، فقال : الزموا قراركم ، في المهاجرين كفاية . وقدِم رجلٌ من أهل الكوفة فيْد قبل خروج عليّ ، فقال : مَن الرجل؟ قال : عامر بن مطر ، قال : الليثيّ؟ قال : الشيبانيّ . قال : أخبرني عما وراءك ، قال : فأخبره حتى سأله عن

= هذه الرواية فلقد صح عنه ﷺ قوله : (افترقت اليهود على إحدىٰ أو اثنتين وسبعين فرقة ، وافترقت النصارىٰ علىٰ إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) وصححه الحاكم على شرط مسلم (المستدرك ١/ ١٢٨).

أبي موسى ، فقال: إن أردت الصّلح فأبو موسى صاحبُ ذلك. وإن أردت القتال فأبو موسى ليس بصاحب ذلك ، قال: والله ما أريدُ إلا الإصلاح حتى يردَّ علينا ، قال: قد أخبرتك الخبر ، وسكت ، وسكت عليّ[١]. (٤: ٤٧٩/ ٤٨٠).

٩٦٩ ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثنا أبو الحسن عن أبي محمد ، عن عبد الله بن عمير ، عن محمد بن الحنفيّة ، قال: قدِم عُثمان بن حُنيف على عليّ بالرَّبَذَة وقد نتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه ، فقال: يا أميرَ المؤمنين! بعثتَني ذا لحية وجئتك أمرَد ، قال: أصبت أجراً وخيراً ، إنَّ الناس ولِيَهم قبلي رجلان ، فعمِلا بالكتاب ، ثمّ وليهم ثالث ، فقالوا وفعلوا ، ثم بايعوني ، وبايعني طلحةُ والزّبير ، ثمّ نكثَا بيعتي ، وألَّبا الناس عليَّ ، ومن العجب انقيادهما لأبي بكر وعمر وخلافهما عليّ ، والله إنهما ليعلمان أني لستُ بدون رجل ممن قد مضى ، اللهم فاحلل ما عقدا ، ولا تبرم ما قد أحكما في أنفسهما وأرِهما المساءة فيما قد عملا[٢]. (٤: ٤٨٠).

٩٧٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا: ولمَّا نزل عليّ الثعلبيَّة؛ أتاه الّذي لقي عثمانُ بن حُنَيف وحرسُه ، فقام وأخبر القوم الخبر ، وقال: اللهمّ عافني مما ابتليتَ به طلحة والزّبير من قَتْل المسلمين ، وسلّمنا منهم أجمعين. ولما انتهى إلى الإساد أتاه ما لقي حُكيمُ بن جَبَلة وقتلةُ عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فقال: الله أكبر ، ما ينجيني من طلحة والزّبير إذ أصابا ثأرهما أو ينجيهما! وقرأ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾. وقال:

دَعَا حُكَيْمٌ دَعْوَةَ الزِّمَاع حَلَّ بها مَنزِلَةَ النِّزاع

ولما انتهوْا إلى ذي قار؛ انتهى إليه فيها عثمان بن حُنَيف ، وليس في وجهه شعر ، فلما رآه عليّ نظر إلى أصحابه ، فقال: انطلق هذا من عندنا وهو شيخٌ ، فرجع إلينا وهو شابّ. فلم يزل بذي قار يتلوّم محمداً ، ومحمداً ، وأتاه الخبر بما

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) في إسناده عبد الله بن عمير أخو عبد الملك مجهول ، ولم نعرف من هو أبو محمد ، وفي متنه نكارة ، وقول علي هنا يخالف تماماً ما ورد عنه في الروايات الصحيحة.

لقيَتْ ربيعة وخروجِ عبد القيس ونزولهم بالطريق ، فقال: عبد القيس خيرُ ربيعة ، في كلِّ ربيعة خير. وقال:

يـا لَهـفَ نَفْسـي علـى رَبيعَـهْ   ربيعَـةَ السـامِعَـةِ المُطِيعَـهْ
قـد سَبَقَتْنـي فيهِـمُ الـوَقيعَـهْ   دعَـا عَلَـيٌّ دَعـوةً سَمِيعَـهْ
حَلُّـوا بهـا المَنْـزِلَـةَ الـرَّفيعَـهْ

قال: وعرضَتْ عليه بكر بن وائل ، فقال لهمْ مثل ما قال لطيّىء وأسد.

ولما قدم محمد ، ومحمد على الكوفة ، وأتيا أبا موسى بكتاب أمير المؤمنين ، وقاما في الناس بأمره ، لم يجابا إلى شيء ، فلما أمسوا دخل ناسٌ من أهل الحِجا على أبي موسى ، فقالوا: ما ترى في الخروج؟ فقال: كان الرّأي بالأمس ليس باليوم؛ إنّ الّذي تهاونتم به فيما مضى هو الذي جرّ عليكم ما تَرَوْن؛ وما بقِيَ إنما هما أمران: القُعود سبيل الآخرة ، والخُروج سبيل الدّنيا ، فاختاروا ، فلم ينفِر إليه أحدٌ ، فغضِب الرّجلان وأغلظا لأبي موسى ، فقال أبو موسى: والله إنّ بيعة عثمان رضي الله عنه لفي عُنقي ، وعنق صاحبكما ، فإن لم يكن بُدٌّ من قتال لا نقاتل أحداً حتى يُفرَغ من قَتَلة عثمان حيث كانوا ، فانطلقا إلى عليّ فوافياه بذي قار وأخبراه الخبر ، وقد خرج مع الأشتر وقد كان يعجِل إلى الكوفة ، فقال عليّ: يا أشتر ! أنت صاحبنا في أبي موسى والمعترِض في كلّ شيء ، اذهب أنت وعبد الله بن عبّاس فأصْلِحْ ما أفْسَدْت.

فخرج عبد الله بن عباس؛ ومعه الأشتر ، فقدما الكوفة وكَلّما أبا موسى واستعانا عليه بأناس من الكوفة ، فقال للكوفيين: أنا صاحبكم يوم الجَرَعة وأنا صاحبكم اليوم؛ فجمع الناس فخطبهم ، وقال: يا أيّها الناس ! إنّ أصحاب النبيّ ﷺ الّذين صحبوه في المواطن أعلم بالله جلّ وعزّ وبرسُوله ﷺ ممّن لم يصحبه ، وإنّ لكم علينا حقاً فأنا مؤدّيه إليكم. كان الرّأي ألاّ تستخِفُّوا بسلطان الله عزّ وجلّ ، ولا تجترئوا على الله عزّ وجلّ ، وكان الرّأي الثاني أن تأخذوا من قَدِم عليكم من المدينة فتردّوهم إليها حتى يجتمعوا ، وهم أعلم بمن تصلح له الإمامة منكم ، ولا تكلّفوا الدّخول في هذا ، فأمّا إذا كان ما كان فإنها فتنة صمّاء ، النائم فيها خيرٌ من اليقظان ، واليقظان فيها خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خيرٌ من الرّاكب ، فكونوا جرثومة من جراثيم العرب ، فاغمدوا

السيوف ، وأنصِلوا الأسنّة ، واقطعوا الأوتار ، وآووا المظلوم ، والمضطهد حتى يلتئم هذا الأمر ، وتنجلي هذه الفِتْنة[1]. (٤ : ٤٨١/ ٤٨٢).

٩٧١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : ولما رجع ابن عباس إلى عليّ بالخبر دعا الحسنَ بن عليّ فأرسله ، فأرسل معه عمَّار بن ياسر ، فقال له : انطلق فأصلح ما أفسدتَ؛ فأقبلا حتى دخلا المسجد ، فكان أوّل من أتاهما مسروق بن الأجْدع ، فسلّم عليهما ، وأقبل على عمّار فقال : يا أبا اليقظان ! عَلام قتلتم عثمان رضي الله عنه؟ قال : عَلَى شَتم أعراضنا ، وضرب أبشارنا! فقال : والله ما عاقَبْتُمْ بمثلِ ما عوقبتم به ولئن صبرتم لكان خيراً للصّابرين ، فخرج أبو موسى ، فلقي الحسَن فضمَّه إليه ، وأقبل على عمّار فقال : يا أبا اليقظان ! أعَدَوْت فيمن عدا على أمير المؤمنين ، فأحللت نفسَك مع الفجار! فقال : لم أفعل ، ولِمَ تَسُوْءُني؟ وقطع عليهما الحسن ، فأقبل عَلَى أبي موسى فقال : يا أبا موسى ! لِمَ تثبّط النّاس عنا! فوالله ما أردنا إلاّ الإصلاح ، ولا مثل أميرِ المؤمنين يُخافَ على شيء ، فقال : صدَقْتَ بأبي أنت وأمي! ولكنّ المستشار مُؤْتمن ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «إنها ستكون فتنةٌ ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خيرٌ من الراكب»؛ قد جعلنا الله عزّ وجلّ إخواناً ، وحرَّم علينا أموالنا ودماءَنا ، وقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ ، ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ . وقال جلّ وعزّ : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ . فغضب عمارٌ وساءَه ، وقام ، وقال : يا أيّها الناس ! إنما قال له خاصّةً : أنت فيها قاعداً خيرٌ منك قائماً. وقام رجلٌ من بني تميم ، فقال لعمار : اسكت أيها العبد ! أنت أمس مع الغوغاء ، واليومَ تسافه أميرنا ! وثار زَيْدُ بن صُوحان وطبقتُه وثار الناس ، وجعل أبو موسى يُكَفْكِفُ الناس ، ثمّ انطلق حتى أتى المنْبر ، وسكن الناس ، وأقبل زيد على حمار حتى وقف بباب المسجد ومعه الكتابان من عائشة رضي الله عنها إليه وإلى أهل الكوفة ، وقد كان طلب كتاب العامّة فضمّه إلى كتابه ، فأقبل بهما ومعه كتاب الخاصة وكتاب العامّة : أمّا بعد ، فثبّطوا أيّها الناس ، واجلسوا في بيوتكم إلاّ عن قَتَلة عثمان بن عفان رضي الله عنه

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة.

فلما فرغ من الكتاب قال: أمرتْ بأمر ، وأمِرْنَا بأمر؛ أمرَت أن تقرّ في بيتها ، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة ، فأمرتْنا بما أُمِرَت به وركبتْ ما أمِرنا به. فقام إليه شبَث بن رَبْعيّ ، فقال: يا عُمَانيّ ـ وزيد من عبد القيس عُمان وليس من أهل البَحْرَيْن ـ سرقتَ بجَلُولاء فقطعك الله ، وعصيت أم المؤمنين فقتلك الله! ما أمرتْ إلا بما أمر الله عزّ وجلّ به بالإصلاح بين الناس؛ فقلت: وربّ الكعبة! وتهاوى الناس. وقام أبو موسى فقال: أيّها الناس! أطيعوني تكونوا جرثومة من جراثيم العرب يأوِي إليكم المظلوم ، ويأمن فيكم الخائِف ، إنّا أصحابَ محمد ﷺ أعلم بما سمعنا ، إن الفتنة إذا أقبلت شبَّهت ، وإذا أدبرت بيّنت ، وإنّ هذه الفتنة باقِرة كَدَاء البطن ، تجري بها الشّمال ، والجَنوب ، والصَّبا ، والدَّبور ، فتسكن أحياناً فلا يُدْرَى من أين تؤتَى ، تَذَر الحليم كابن أمس، شيموا سيوفكم ، وقَصِّدوا رماحكم ، وأرسلوا سهامكم ، واقطعوا أوتاركم ، والزموا بيوتكم. خلّوا قريشاً ـ إذا أبوا إلا الخروج من دار الهجرة وفراق أهل العلم بالإمرة ـ ترتُق فتقَها ، وتشعَب صدعَها ، فإن فعلت؛ فلأنفسها سَعَت ، وإن أبَتْ؛ فعلَى أنفسها منَتْ ، سمْنها تُهريق في أديمها؛ استنصحوني ، ولا تستغِشّوني ، وأطيعوني يسلم لكم دينُكم ودنياكم ، ويشقى بحرّ هذه الفتنة مَنْ جَناها.

فقام زيد فشال يدَه المقطوعة فقال: يا عبدَ الله بن قيس! ردّ الفرات عن دراجه ، اردده من حيث يجيء حتى يعود كما بدأ ، فإن قدرت على ذلك فستقدر على ما تُريد ، فدعْ عنك ما لست مدركه. ثمّ قرأ ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ ﴾ إلى آخر الآيتين؛ سيروا إلى أمير المؤمنين وسيّد المسلمين ، وانفروا إليه أجمعين تصيبوا الحقّ.

فقام القعقاع بن عَمرو فقال: إني لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، أحبّ أن ترشُدوا ، ولأقولنّ لكم قولاً هو الحقّ ، أمّا ما قال الأمير فهو الأمر لو أنّ إليه سبيلاً ، وأمّا ما قال زيد فزيدٌ في الأمر فلا تستَنْصِحوه فإنَّه لا ينتزع أحد من الفتنةِ طعَن فيها وجرى إليها؛ والقول الذي هو القول: إنه لابدّ من إمارة تنظم الناس ، وتزَع الظالم ، وتُعزّ المظلوم ، وهذا عليّ يلِي بما ولي ، وقد أنصف في الدّعاء ، وإنما يدعو إلى الإصلاح ، فانفِروا وكونوا من هذا الأمر بمرأى ومسمع.

وقال سَيْحان: أيّها الناس! إنه لابدّ لهذا الأمر وهؤلاء الناس من والٍ يدفع

الظالم ، ويُعزّ المظلوم ، ويجمع الناس ، وهذا واليكم يدعوكم لينظر فيما بينه وبين صاحبيه ، وهو المأمون على الأمّة ، الفقيه في الدّين ، فمن نهض إليه فإنا سائرون معه ، ولانَ عمّار بعد نَزْوته الأولى ، فلما فرغ سَيْحان من خطبته ، تكلم عمار ، فقال : هذا ابن عمّ رسول الله ﷺ يستنفركم إلى زوجة رسول الله ﷺ وإلى طلحة والزّبير ، وإني أشهد أنّها زوجته في الدنيا والآخرة ، فانظروا ثمّ انظروا في الحق فقاتلوا معه؛ فقال رجل : يا أبا اليقظان ! لَهو مع مَن شهدتَ له بالجنّة على من لم تشهد له . فقال الحسن : اكفف عنّا يا عمار ! فإنّ للإصلاح أهلاً .

وقام الحسن بن عليّ ، فقال : يا أيّها الناس ! أجيبوا دَعْوة أميركم ، وسيروا إلى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر مَن ينفر إليه ، والله لأنْ يليَه أولو النهى أمثلُ في العاجلة وخير في العاقبة ، فأجيبوا دعوتنا ، وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم . فسامح الناس ، وأجابوا ، ورضوا به ، وأتى قومٌ من طيِّيء عدياً فقالوا : ماذا ترى وماذا تأمر؟ فقال : ننتظر ما يصنع الناس ، فأخبِر بقيام الحسن وكلام من تكلم ، فقال : قد بايعنا هذا الرّجل ، وقد دعانا إلى جميل ، وإلى هذا الحدَث العظيم لننظر فيه ، ونحن سائرون وناظرون .

وقام هند بن عمرو ، فقال : إنَّ أمير المؤمنين قد دعانا ، وأرسل إلينا رسلَه؛ حتى جاءنا ابنه ، فاسمعوا إلى قوله ، وانتهوا إلى أمره ، وانفروا إلى أميركم ، فانظروا مَعه في هذا الأمر ، وأعينوه برأيكم .

وقام حُجْر بن عديّ ، فقال : أيّها الناس ! أجيبوا أميرَ المؤمنين وانفِروا خِفافاً وثِقالاً مُروا ، أنا أولكم ، وقام الأشتر فذكر الجاهليّة وشدّتها ، والإسلام ورخاءَه ، وذكر عثمان رضي الله عنه ، فقام إليه المقطّع بن الهيثم بن فجيع العامريّ ثم البُكائي ، فقال : اسكت قبحك الله! كلْبٌ خُلّيَ والنُّباح؛ فثار الناس فأجلسوه .

وقام المقطّع ، فقال : إنا والله لا نحتمل بعدها أن يبوء أحدٌ بذكر أحد من أئمتنا ! وإنّ عليّاً عندنا لمَقْنع ، والله لئن يكن هذا الضّرب لا يرضى بعليّ ، فعضّ امرؤ على لسانه في مشاهدنا ! فأقبلوا على ما أحثّاكم .

فقال الحسن : صدق الشيخ ، وقال الحسن : أيّها الناس ! إنّي غاد فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظَّهر ، ومن شاء فليخرج في الماء فنفرَ معه تسعة آلاف ،

فأخذ بعضهم البرّ ، وأخذ بعضهم الماءَ وعلى كل سُبْع رجُلٌ ؛ أخذ البرّ ستة آلاف ومئتان ، وأخذ الماء ألفان وثمانمئة[1] . (٤ : ٤٨٢/ ٤٨٣/ ٤٨٤/ ٤٨٥) .

٩٧٢ ـ وفيما ذكر نصرُ بن مزاحم العطار عن عمر بن سعيد ، عن أسد بن عبد الله ، عمّن أدرك من أهل العلم : أن عبد خير الخَيْوانيّ قام إلى أبي موسى فقال : يا أبا موسى ! هل كان هذان الرّجلان ـ يعني : طلحة ، والزبير ـ ممن بايع عليّاً؟ قال : نعم ، قال : هل أحدث حدثاً يحِلّ به نقضُ بيعتِه؟ قال : لا أدري ! قال : لا دريتَ ! فإنا تاركوك حتى تدري . يا أبا موسى ! هل تعلم أحداً خارجاً من هذه الفتنة التي تزعم أنها هي فتنة؟ إنما بقي أربع فِرَق : عليٌّ بظهر الكوفة ،

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة شديدة ، وهنا يتبين لنا سرّ اتفاق علماء الجرح والتعديل على ضعف سيف في الحديث ويتبين لنا كم كان تلميذه وراويته شعيب خبيراً في تحريف الكلم عن مواضعه ، فأما إرسال علي لعمار والحسن إلىٰ الكوفة فصحيح أما قوله له : (انطلق فأصلح ما أفسدت) فلا يصح . وليت الأمر وقف عند هذا الحدّ من الدّس والزيادة المنكرة ولكنه أضاف مرة أخرى فذكر أن عماراً شارك في قتل سيدنا عثمان رضي الله عنه (يا أبا اليقظان علام قتلتم عثمان؟ قال : على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا) وهذا غير صحيح فلم يثبت في رواية صحيحة أن عماراً رضي الله عنه شارك في قتل عثمان رضي الله عنه علماً بأن الرواية نفسها تكذب ما جاء هنا فإن عماراً في هذه الرواية ينكر مشاركته في قتل عثمان : (يا أبا اليقظان أعدوت فيمن عدا علىٰ أمير المؤمنين فأحللت نفسك مع الفجار؟ فقال : لم أفعل) .
فبأي العبارتين نأخذ؟ ألا إنه الخلط والخبط من راوٍ مجهول الحال (شعيب) لا يعرف عنه إلا أنه يتحامل على السلف الصالح رضوان الله عليهم ـ ومن نكارات هذه الرواية قول شيث بن ربعي لزيد بن صوجان (يا عُماني سرقت بجلولاء فقطعك الله وعصيت أم المؤمنين فقتلك الله) وهذا لم يرد في رواية صحيحة ولا حتى ضعيفة (فيما نعلم) وفيه من الطعن مافيه وهو من طريق شعيب راوية سيف كما نظن ومرة أخرىٰ يظهر شعيب براعته في تحريف الحقائق فصحيح أن عمّاراً رضي الله عنه أخبر أن عائشة أم المؤمنين ولها فضلها عليهم ولكن الله ابتلاهم بها ليروا هل يسمعون كلامها في المطالبة بدم عثمان ويطيعونها في ذلك أم يسمعون للخليفة وهو الأولىٰ بالطاعة لأنه الإمام العام؟
فأراد شعيب أن يخلط الحابل بالنابل فتقول على لسان عمار : (هذا ابن عم رسول الله ﷺ ليستنفركم إلى زوجة رسول الله ﷺ وإلىٰ طلحة والزبير) وليس الأمر كذلك فلم يستنفر أمير المؤمنين علي أحداً علىٰ عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم وكفّ عن القتال حتىٰ وقع القتال وإنما ذهب إلى البصرة من ذي قار حتى تصلح الأمور وتستتب بعد أن شاع الاضطراب بالبصرة ـ وسنتطرق إلى هذا في قسم الصحيح فليراجع .

وطلحة والزبير بالبصرة، ومعاوية بالشام، وفرقة أخرى بالحجاز؛ لا يجبَى بها فيء، ولا يقاتَل بها عدوّ؛ فقال له أبو موسى: أولئك خيرُ الناس، وهي فتنة؛ فقال له عبد خير: يا أبا موسى! غلب عليك غِشُّك.

قال: وقد كان الأشتر قام إلى عليّ فقال: يا أميرَ المؤمنين! إني قد بعثت إلى أهل الكوفة رجلاً قبل هذين فلم أره أحكم شيئاً، ولا قدر عليه، وهذان أخلَقُ من بعثت أن يُنْشَبَ بهم الأمر على ما تحبّ، ولستُ أدري ما يكون؛ فإن رأيت ـ أكرمك الله ـ يا أمير المؤمنين أن تبعثني في أثرهم، فإنّ أهل المصر أحسن شيء لي طاعةً، وإن قدمتُ عليهم رجوت ألاّ يُخالفني منهم أحدٌ.

فقال لي عليّ: الحقْ بهم؛ فأقبل الأشترُ حتى دخل الكوفةَ؛ وقد اجتمع الناس في المسجد الأعظم، فجعل لا يمرُّ بقبيلة يرى فيها جماعةً في مجلس، أو مسجد إلا دعاهم، ويقول: اتّبعوني إلى القصر، فانتهى إلى القصر في جماعةٍ من الناس، فاقتحم القصر، فدخله وأبو موسى قائمٌ في المسجد يخطب النّاس ويثبّطهم، يقول: أيُّها الناس! إنّ هذه فتنة عمياء صماء تطأُ خِطامها، النائم فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، والساعي فيها خير من الرّاكب؛ إنها فتنة باقرة كداء البطن، أتتكم من قِبَل مأمنكم، تَدَع الحليم فيها حيرانَ كابن أمس. إنا معاشر أصحاب محمد ﷺ أعلم بالفتنة، إنها إذا أقبلت شبَّهت وإذا أدبرت أسْفرت، وعمّارٌ يُخاطبه، والحسن يقول له: اعتزل عَمَلَنا لا أمّ لك! وتنحّ عن منبرنا. وقال له عمار: أنت سمعتَ هذا من رسول الله ﷺ؟ فقال أبو موسى: هذه يدي بما قلت، فقال له عمّار: إنما قال لك رسول الله ﷺ هذا خاصةً، فقال: «أنتَ فيها قاعداً خيرٌ منك قائماً»، ثمّ قال عمّار: غلب الله مَنْ غالبَه وجاحَده[1]. (٤: ٤٨٦/٤٨٧).

٩٧٣ ـ قال نصر بن مزاحم: حدّثنا عمر بن سعيد، قال: حدّثني رجل عن نُعيم، عن أبي مريم الثقفيّ، قال: والله إني لفي المسجد يومئذ؛ وعمّار يخاطبُ أبا موسى ويقول له ذلك القولَ؛ إذ خرج علينا غلمان لأبي موسى يشتدّون

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة شديدة.

ينادون: يا أبا موسى! هذا الأشتر قد دخل القصر، فضَرَبَنا، وأخرجنا، فنزل أبو موسى، فدخل القصرَ، فصاح به الأشتر: اخرج من قَصْرنا لا أمّ لك! أخرج الله نفسَك، فوالله إنك لمن المنافقين قديماً، قال: أجّلني هذه العشيّة، فقال: هي لك، ولا تبيتنّ في القصر الليلة، ودخل الناس ينتهبون متاع أبي موسى فمنعهم الأشتر، وأخرجهم من القصر، وقال: إني قد أخرجته، فكفّ الناس عنه[1]. (٤: ٤٨٧).

نزول أمير المؤمنين ذا قار

٩٧٤ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الشعبيّ، قال: لما التقوا بذي قار؛ تلقّاهم عليّ في أناس، فيهم ابن عباس فرحّب بهم، وقال: يا أهلَ الكوفة! أنتم ولّيتم شوكة العَجَم وملوكهم، وفضضتم جموعهم؛ حتى صارت إليكم مواريثُهم، فأغنيتم حَوْزَتكم، وأعنتم الناس على عدوّهم، وقد دعوتُكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة؛ فإن يرجعوا؛ فذاك ما نُريد وإن يلجّوا داويناهم بالرفق، وباينّاهم حتى يبدؤونا بظلم، ولن ندع أمراً فيه صلاحٌ إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله، ولا قوّة إلا بالله!

فاجتمع بذي قار سبعة آلاف ومئتان، وعبد القيس بأسرها في الطريق بين عليّ وأهل البصرة ينتظرون مرور عليّ بهم، وهم آلاف ـ وفي الماء ألفان وأربعمئة[2]. (٤: ٤٨٧).

٩٧٥ ـ قال أبو جعفر: أخرج إليَّ زيادُ بن أيوب كتاباً فيه أحاديث عن شيوخ ذكر: أنه سمعها منهم؛ قرأ عليَّ بعضَها، ولم يقرأ عليّ بعضها، فممّا لم يقرأ عَلَيَّ من ذلك، فكتبتُه منه؛ قال: حدّثنا مُصعب بن سلام التميميّ، قال: حدّثنا محمد بن سُوقة، عن عاصم بن كُليب الجرميّ، عن أبيه، قال: رأيتُ فيما يرى النائم في زمان عثمان بن عفان: أنّ رجلاً يلي أمورَ الناس مريضاً على فراشه وعند رأسه امرأةٌ؛ والناس يريدونه، ويَبْهَشُون إليه، فلو نهتهم المرأة لانتهوْا؛ ولكنها

(١) إسناده ضعيف وهو خبر منكر.

(٢) إسناده ضعيف.

لم تفعل، فأخذوه، فقتلوه، فكنتُ أقصّ رؤيايَ على الناس في الحضَرَ والسفر، فيعجبون، ولا يدرون ما تأويلها! فلما قتل عثمان رضي الله عنه أتانا الخبرُ ونحن راجعون من غَزاتنا، فقال أصحابنا: رؤياك يا كُليب. فانتهينا إلى البصرة فلم نلبث إلاّ قليلاً حتى قيل: هذا طلحة، والزّبير معهما أمّ المؤمنين، فراع ذلك الناسَ وتعجّبوا، فإذا هم يزعمون للناس: أنهم إنما خرجوا غضَباً لعثمان، وتوبةً مما صنعوا من خذلانه، وإنّ أمّ المؤمنين تقول: غضبنا لكم على عثمان في ثلاث: إمارة الفتيّ، وموقع الغمامة، وضربة السوط والعصا، فما أنصفنا إن لم نغضب له عليكم في ثلاث جررتموها إليه: حرمة الشهر، والبلد، والدم. فقال الناس: أفلم تُبايعوا عليّاً وتدخلوا في أمره! فقالوا: دخلنا واللُّجّ على أعناقنا، وقيل: هذا عليّ قد أظلّكم، فقال قومُنا لي ولرجلين معي: انطلقوا حتى تأتوا عليّاً وأصحابَه فسلوهم عن هذا الأمر الّذي قد اختلط علينا؛ فخرجنا حتى إذا دنونا من العسكر؛ طلع علينا رجل جميل على بغلة، فقلت لصاحبيّ: أرأيتم المرأةَ التي كنت أحدّثكم عنها: أنها كانت عند رأس الوالي؟ فإنها أشبه الناس بهذا، ففطن أنّا نخوضُ فيه، فلما انتهى إلينا قال: قفوا، ما الّذي قلتم حين رأيتموني؟ فأبينا عليه، فصاح بنا، وقال: والله لا تبرحون حتى تخبروني، فدخلتنا منه هيبةً، فأخبرناه، فجاوزَنا وهو يقول: والله لقد رأيت عجباً، فقلنا لأدنى أهل العسكر إلينا: مَن هذا؟ فقال: محمّد بن أبي بكر، فعرفنا أن تلك المرأة عائشة رضي الله عنها، فازددنا لأمرها كراهيةً، وانتهينا إلى عليّ فسلمنا عليه، ثم سألناه عن هذا الأمر، فقال: عَدا الناس على هذا الرّجل وأنا مُعتزل فقتلوه، ثمّ ولّوني وأنا كارهٌ، ولولا خشية على الدّين؛ لم أجبهم، ثمّ طفق هذان في النّكث، فأخذت عليهما وأخذتُ عهودهما عند ذلك، وأذنْت لهما في العُمْرة، فقدما على أمّهما حليلة رسول الله ﷺ فرضيا لها ما رغبا لنسائهما عنه، وعرّضاها لما لا يحلّ لهما ولا يصلح، فاتّبعتُها لكيلا يفتقوا في الإسلام فتقاً، ولا يخرِقوا جماعة.

ثم قال أصحابه: والله ما نُريد قتالهم إلاّ أن يقاتلوا، وما خرجنا إلاّ لإصلاح. فصاح بنا أصحابُ عليّ: بايعوا بايعوا، فبايع صاحبيَّ، وأمّا أنا فأمسكتُ وقلت: بعثني قومي لأمر، فلا أحدث شيئاً حتى أرجع إليهم. فقال عليّ: فإن لم يفعلوا؟ فقلتُ: لم أفعل، فقال: أرأيتَ لو أنهم بعثوك رائداً فرجعت إليهم، فأخبرتَهم

عن الكَلأ والماء فحالوا إلى المعاطش والجُدوبة ما كنت صانعاً؟ قال: قلتُ: كنت تاركهم ومخالفهم إلى الكلأ والماء، قال: فمدّ يدك، فوالله ما استطعتُ أن أمتَنع، فبسطتُ يدي فبايعتُه، وكان يقول: عليٌّ من أدْهىَ العرب. وقال: ما سمعتَ من طلحة، والزّبير؟ فقلتُ: أما الزّبير فإنه يقول: بايعنا كرهاً، وأمّا طلحة فمقبل على أن يتمثّل الأشعارَ، ويقول:

ألاَ أَبلِغ بني بكرٍ رسولاً ... فليسَ إلى بني كَعبٍ سبيلُ

سيَرجِعُ ظُلمُكمْ منكمْ عليكمْ ... طويلُ السَّاعدين له فضُول

فقال: ليس كذلك، ولكن:

ألمْ تعلَمْ أبا سِمْعان أنّا ... نصِمّ الشَّيخ مثلك ذَا الصُّداعِ

ويذْهَلُ عقلُه بالحرب حتّى ... يقومَ فيستجيب لغير داعِ

ثم سار حتى نزل إلى جانب البصرة؛ وقد خَنْدق طلحة، والزّبير، فقال لنا أصحابنا من أهل البصرة: ما سمعتم إخواننا من أهل الكوفة يريدون، ويقولون؟ فقلنا: يقولون خرجنا للصلح وما نريد قتالاً؛ فبينا هم على ذلك لا يحدّثون أنفسهم بغيره؛ إذْ خَرج صبيان العسكرين، فتسابّوا، ثم ترامَوْا، ثم تتابع عبيدُ العسكرين، ثم ثلَّث السفهاء، ونشبت الحرب، وألجأتهم إلى الخندق، فاقتتلوا عليه حتى أجلَوْا إلى موضع القتال، فدخل منه أصحاب عليّ وخرج الآخرون.

ونادى عليّ: ألا لا تُتبعوا مُدبراً، ولا تُجْهِزوا على جَريح، ولا تدخلوا الدّور، ونَهى الناسَ، ثم بعث إليهم أن اخرجوا للبيعة، فبايعهم على الرّايات وقال: من عرف شيئاً فلْيأخذْه، حتى ما بقي في العسكرين شيء إلاّ قبض، فانتهى إليه قوم من قيس شباب، فخطب خطيبُهم، فقال: أين أمراؤكم؟ فقال الخطيب: أصيبوا تحت نُظّار الجمل، ثمّ أخذ في خطبته، فقال عليٌّ: أما إنّ هذا لهو الخطيب السحْسَح، وفرغ من البيعة؛ واستعمل عبد الله بن عباس وهو يُريد أن يقيم حتى يحكم أمرها، فأمرني الأشتر أن أشتريَ له أثمنَ بَعير بالبصرة ففعلتُ، فقال: ائت به عائشة، وأقرئها مني السلام، ففعلتُ، فدعتْ عليه وقالت: ارْدُدْه عليه؛ فأبلغته، فقال: تلومُني عائشة أن أفلتُّ ابنَ أختها!

وأتاه الخبر باستعمال عليّ ابنَ عباس فغضب وقال: علامَ قتلنا الشيخ! إذ

اليمَنُ لعبيد الله ، والحجاز لقُثَم ، والبصرة لعبد الله ، والكوفة لعليّ ، ثم دعا بدابّته فركب راجعاً ، وبلغ ذلك علياً فنادى: الرّحيل ، ثمّ أجَدَّ السّير ، فلحق به فلم يُره: أنه قد بلغه عنه ، وقال: ما هذا السير؟ سبقتَنا! وخشيَ إن تُرِكَ والخروج أن يُوقع في أنفس الناس شرّاً[١]. (٤: ٤٩٠/ ٤٩١/ ٤٩٢/ ٤٩٣).

٩٧٦ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد، وطلحة ، قالا: لما جاءت وفودُ أهل البصرة إلى أهل الكوفة ورجع القعقاع من عند أمّ المؤمنين ، وطلحة ، والزّبير بمثل رأيهم ، جمع عليّ الناس ، ثمّ قام على الغرائر ، فحمد الله عزّ وجلّ ، وأثنى عليه، وصلى على النّبي ﷺ . وذكر الجاهليّة وشقاءَها والإسلامَ والسعادة وإنعامَ الله على الأمّة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله ﷺ ، ثمّ الذي يليه ، ثمّ حدَث هذا الحدث الّذي جرّه على هذه الأمّة أقوامٌ طلبوا هذه الدنيا ، حسدوا من أفاءَها الله عليه على الفضيلة ، وأرادوا رَدَّ الأشياء على أدبارها ، والله بالغٌ أمره ، ومصيبٌ ما أراد ، ألا وإني راحلٌ غداً فارتحلوا ، ألاّ ولا يرتحلنّ غداً أحدٌ أعان على عُثمان بشيء في شيء من أمور الناس ، وليُغْنِ السفهاء عني أنفسَهم.

فاجتمع نفرٌ ، منهم علباء بن الهيثم ، وعديّ بن حاتم ، وسالم بن ثعلبة العبسيّ ، وشُرَيح بن أوفى بن ضُبَيعة ، والأشتر في عدّة ممن سار إلى عثمان ورضيَ بسيْر مَن سار ، وجاء معهم المصريون: ابن السوداء ، وخالد بن ملجم ، وتشاوروا ، فقالوا: ما الرّأي؟ وهذا والله عليّ ، وهو أبصر النّاس بكتاب الله ، وأقرب ممّن يطلب قتلة عثمان ، وأقربهم إلى العمل بذلك ، وهو يقول ما يقول ، ولم ينفر إليه إلاّ هم والقليلُ من غيرهم ، فكيف به إذا شامّ القوم وشامّوه ، وإذا رأوا قِلّتنا في كثرتهم! أنتم والله ترادُون ، وما أنتم بأنْجَى من شَيْءٍ. فقال الأشتر ، أمّا طلحة ، والزّبير؛ فقد عَرفْنا أمْرَهما ، وأمّا عليّ فلم نعرف أمره حتى كان اليوم ، ورأيُ الناس فينا والله واحد ، وإن يصطلحوا وعليّ؛ فعَلَى دمائنا؛ فهلمّوا فلنتواثبْ على عليّ ، فنلحِقه بعثمان؛ فتعود فتنة يُرضَى منّا فيها بالسّكون.

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة ومنها قولها: (دخلنا واللج على أعناقنا) أي في بيعة علي ولا يصح.

فقال عبد الله بن السوداء: بئس الرّأي رأيت! أنتمْ يا قتلةَ عثمان من أهل الكوفة بذي قار ألفان وخمسمئة أو نحو من ستمئة، وهذا ابن الحنظليّة، وأصحابُه في خمسة آلاف بالأشواق إلى أن يجدوا إلى قتالكم سبيلاً، فارقأ على ظَلْعك.

وقال علباء بن الهيثم: انصرفوا بنا عَنْهُمْ، ودعوهم، فإن قلّوا؛ كان أقوى لعدوهم عليهم، وإن كثروا؛ كان أحرى أن يصطلحوا عليكم؛ دَعُوهم، وارجِعوا، فتعلّقوا ببلد من البُلْدان حتى يأتيَكم فيه مَن تتّقون به، وامتنعوا من الناس. فقال ابن السوداء: بئس ما رأيت! ودّ والله الناس أنكم على جَديلة، ولم تكونوا مع أقوام برآء، ولو كان ذلك الذي تقول لتخطّفكم كلّ شيء.

فقال عديّ بن حاتم: والله ما رضيتُ ولا كرهت، ولقد عجبت من تردّد من تَرَدَّد عن قتله في خوض الحديث، فأمّا إذ وقع ما وقع ونزل من الناس بهذه المنزلة، فإنْ لنا عتاداً من خيول وسلاح محموداً، فإن أقدمتم أقْدَمنا وإن أمسكتم أحجمنا، فقال ابن السّوداء: أحسنت!

وقال سالم بن ثعلبة: مَنْ كان أراد بما أتى الدّنيا فإنّي لم أرِدْ ذلك، والله لئن لقيتُهم غداً لا أرجع إلى بيتي، ولئن طال بقائي إذا أنا لاقيتُهُم لا يد على جَزْر جَزور، وأحلف بالله إنكم لتفرَقون السيوف فرَق قوم لا تصير أمورُهم إلاّ إلى السّيف. فقال ابن السوداء: قد قال قولاً.

وقال شريح بن أوفى: أبرِموا أمورَكم قبل أن تخرجوا، ولا تؤخّروا أمراً ينبغي لكم تعجيلُه؛ ولا تعجّلوا أمراً ينبغي لكم تأخيره؛ فإنّا عندَ الناس بشرّ المنازل، فلا أدري ما الناس صانِعون غداً إذا ما هم التقوا!

وتكلّم ابن السوداء فقال: يا قوم! إنّ عزّكم في خُلْطة الناس، فصانعوهم، وإذا التقى الناس غداً؛ فأنشبوا القتال، ولا تفرّغوهم للنظر، فإذا مَن أنتم معه لا يجد بدّاً من أن يمتنع، ويشغل الله عليّاً، وطلحة، والزبير، ومن رَأى رأيهم عمّا تكرهون. فأبصَروا الرّأي، وتفرّقوا عليه؛ والناس لا يشعرون.

وأصبح عليّ على ظَهر، فمضى ومضى الناس حتى إذا انتهى إلى عَبْد القيس؛ نزل بهم وبمن خرج من أهل الكوفة وهم أمام ذلك، ثم ارتحل حتى نزل على أهل

الكوفة وهم أمام ذلك ، والناس متلاحِقون به وقد قطعهم ، ولما بلغ أهلَ البصرة رأيُهم ونزل عليٌّ بحيث نزل ، قام أبو الجرباء إلى الزّبير بن العوّام فقال : إنّ الرّأي أن تبعث الآن ألف فارس فيمسّوا هذا الرّجل ويصبّحوه قبل أن يوافي أصحابه؛ فقال الزّبير : يا أبا الجرباء ! إنا لنعرف أمور الحرب؛ ولكنهم أهل دعوتنا؛ وهذا أمر حدث في أشياء لم تكن قبل اليوم ، هذا أمرٌ مَنْ لم يلق الله عزّ وجلّ فيه بعذر انقطع عذره يوم القيامة؛ ومع ذلك إنه قد فارقَنا وافدُهم على أمر ، وأنا أرجو أن يتمّ لنا الصّلح؛ فأبشروا واصبروا ، وأقبل صَبْرة بن شَيْمان فقال : يا طلحة ! يا زبير ! انتهزا بنا هذا الرّجُل فإنّ الرّأي في الحرب خيرٌ من الشدّة . فقالا : يا صَبْرة ! إنا وهم مسلمون ، وهذا أمرٌ لم يكن قبل اليوم فينزل فيه قرآن ، أو يكون فيه من رسول الله ﷺ سُنّة ، إنما هو حدَث ، وقد زعم قوم : أنه لا ينبغي تحريكه اليوم . وهمّ علي ومَنْ معه ، فقلنا : نحن لا ينبغي لنا أن نتركه اليوم ، ولا نؤخّره ، فقال عليّ : هذا الّذي ندعوكم إليه من إقرار هؤلاء القوم شرّ وهو خير من شرّ منه ، وهو كأمر لا يدرك ، وقد كاد أن يبين لنا ، وقد جاءت الأحكام بين المسلمين بإيثار أعمِّها منفعةً وأحوَطِها ، وأقبل كعب بن سُور فقال : ما تنتظرون يا قوم بعد تورّدكم أوائلهم! اقطعوا هذا العُنق من هؤلاء . فقالوا : يا كعب ! إنّ هذا أمر بيننا وبين إخواننا ، وهو أمرٌ ملتبس ، لا والله ما أخذ أصحابُ محمد ﷺ مذ بعث الله عزّ وجلّ نبيّه طريقاً إلاّ علموا أين مواقع أقدامهم؛ حتى حدث هذا؛ فإنهم لا يدرون أمُقبلون هم أم مدبرون! إن الشيء يحسن عندنا اليوم ويقبحُ عند إخواننا؛ فإذا كان من الغد قَبُحَ عندنا وحسن عندهم؛ وإنا لنحتجّ عليهم بالحجّة فلا يروْنها حجّة ، ثم يحتجّون بها على أمثالها ، ونحن نرجو الصّلح؛ إن أجابوا إليه وتمّوا ، وإلاّ فإن آخر الدواء الكيّ .

وقام إلى عليّ بن أبي طالب أقوامٌ من أهل الكوفة يسألونه عن إقدامهم على القوم ، فقام إليه فيمن قام الأعورُ بن بُنان المِنْقريّ؛ فقال له عليّ : على الإصلاح وإطفاء النائرة ، لعلّ الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ، ويضع حَرْبَهم؛ وقد أجابوني ، قال : فإن لم يجيبونا؟ قال : تركناهم ما تركونا ، قال : فإن لم يتركونا؟ قال : دفعناهم عن أنفسنا ، قال : فهل لهم مثل ما عليهم من هذا؟ قال : نعم .

وقام إليه أبو سلامة الدّألانيّ فقال : أترى لهؤلاء القوم حجّة فيما طلبوا من هذا

الدم ، إن كانوا أرادوا الله عزّ وجل بذلك؟ قال: نعم ، قال: فترى لك حجّة بتأخيرك ذلك؟ قال: نعم ، إنّ الشيء إذا كان لا يُدرك فالحكم فيه أحوطُه وأعمُّه نفعاً ، قال: فما حالنا وحالكم إن ابتلينا غداً؟ قال: إنّي لأرجو ألاّ يُقتَل أحدٌ نقَّى قلبه لله منّا ومنهم إلا أدخله الله الجنّة.

وقام إليه مالك بن حبيب ، فقال: ما أنت صانع إذا لقيتَ هؤلاء القوم؟ قال: قد بان لنا ولهم: أنّ الإصلاح الكفّ عن هذا الأمر ، فإنْ بايعونا فذلك ، فإن أبوا وأبينا إلاّ القتال فصَدْعٌ لا يلتئم؛ قال: فإن ابتلينا فما بال قتلانا؟ قال: من أراد اللهَ عزّ وجلّ نفعه ذلك وكان نجاءه.

وقام عليّ؛ فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيُّها الناس ، املِكوا أنفسكم ، كفُّوا أيديكم وألسنتكم عن هؤلاء القوم ، فإنهم إخوانكم ، واصبروا على ما يأتيكم ، وإياكم أن تسبقونا فإنّ المخصوم غداً من خَصم اليوم.

ثم ارتحل ، وأقدم ، ودفع تعبيته التي قدم فيها حتى إذا أطلّ على القوم؛ بعث إليهم حَكيم بن سلامة ، ومالك بن حبيب: إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو؛ فكفّوا ، وأقِرّونا نتزل وننظر في هذا الأمر.

فخرج إليه الأحنف بن قيس وبنو سعد مشمّرين ، قد منعوا حرقوص بن زهير ، ولايرون القتال مع عليّ بن أبي طالب. فقال: يا عليّ ! إنّ قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظهرت عليهم غداً أنك تقتل رجالهم ، وتسبي نساءَهم. فقال: ما مثلي يُخاف هذا منه ، وهل يحلّ هذا إلاّ ممّن تولَّى وكَفرَ ، ألم تسمع إلى قول الله عزّ وجل: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ ، وهم قوم مسلمون! هل أنت مُغنٍ عني قومك؟ قال: نعم ، واخْتَر مني واحدةً من ثنتين ، إمّا أن أكون آتيك فأكون معك بنَفسي ، وإمّا أن أكفّ عنك عشرة آلاف سيف ، فرجع إلى الناس فدعاهم إلى القُعود وقد بدأ فقال: يالَ خِنْدف ، فأجابه ناسٌ ، ثمّ نادى يالَ تميم! فأجابه ناسٌ ، ثم نادى! يالَ سعد؛ فلم يبق سعديّ إلاّ أجابه ، فاعتزل بهم ، ثم نظرَ ما يصنع الناس ، فلما وقع القِتال ، وظفر عليّ جاؤوا وافرين ، فدخلوا فيما دخل فيه الناس[1]. (٤: ٤٩٣/ ٤٩٤/ ٤٩٥/ ٤٩٦/ ٤٩٧)

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة ، ومن هذه النكارات أن الصحابي الجليل عدي بن حاتم كان =

بعثة عليّ بن أبي طالب من ذي قار ابنه الحسن وعمَّار بنِ ياسِر ليستنفرا له أهل الكوفة

٩٧٧ ـ حدّثني عمر بن شبّة ، قال: حدّثنا أبو الحسن ، قال: حدثنا بشير بن عاصم عن ابن أبي ليلى ، عن أبيه ، قال: خرج هاشم بن عتبة إلى عليّ بالرّبذَة؛ فأخبره بقُدوم محمد بن أبي بكر وقول أبي موسى ، فقال: لقد أردْتُ عزله ، وسألني الأشترُ أن أقِرّه فردّ عليّ هاشماً إلى الكوفة وكتب إلى أبي موسى: إنّي وَجَّهْت هاشم بن عتبة ليُنهض مَنْ قبَلك من المسلمين إليّ ، فأشخِص الناس فإنّي لم أولّك الذي أنت به إلاّ لتكون من أعواني على الحقّ. فدعا أبو موسى السائب بن مالك الأشعريّ ، فقال له: ما ترى؟ قال: أرى أن تتبع ما كتب به إليك ، قال: لكني لا أرى ذلك ، فكتب هاشم إلى عليّ: إني قدِمْتُ على رجُل غالٍ مشاقٍّ ظاهر الغلّ والشنآن. وبعث بالكتاب مع المُحلّ بن خليفة الطائيّ ، فبعث عليّ الحسن بن عليّ وعمَّار بن ياسر يستنفران له الناس ، وبعث قرَظَة بن كعب الأنصاريّ أميراً على الكوفة ، وكتب معه: إلى أبي موسى: أما بعد ، فقد كنت أرى أن بعدك من هذا الأمر الذي لم يجعل الله عزّ وجلّ لك منه نصيباً سيمنعك من ردّ أمري ، وقد بعثتُ الحسنَ بن عليّ ، وعمّار بن ياسر ، يستنفران الناس ، وبعثتُ قرَظة بن كعب والياً علىَ المصر ، فاعتزل عَمَلَنا مذموماً مدحوراً ، فإن لم تفعل فإنّي قد أمرته أن ينابِذك ، فإن نابذتَه فظفر بك أن يقطّعك آراباً.

فلما قدِم الكتابُ على أبي موسى؛ اعتزل ، ودخل الحسن ، وعمار المسجد فقالا: أيّها الناس ! إنّ أمير المؤمنين يقول: إني خرجتُ مخرَجي هذا ظالماً ، أو مظلوماً؛ وإني أذكّر الله عزّ وجلّ رجلاً رعى الله حقّاً إلا نفر ، فإن كنتُ مظلوماً أعانني ، وإن كنت ظالماً أخذ مني ، والله إنّ طلحة ، والزّبير لأوّلُ من بايعني !

= ممن اجتمع إلى ابن سبأ ولم يصح هذا سنداً عند الطبري ولا عند غيره وهو متناً مخالف لما أجمع عليه العلماء من عدالة الصحابة والحمد لله علىٰ نعمة الإسناد.

وكيف يجلس صحابة رسول الله ﷺ إلىٰ رجل مشبوه كعبد الله بن سبأ ، علماً بأن مرويات سيف نفسها ذكرت بأن الصحابة شكو في كونه يهودياً لا مسلماً.

وأوّلُ من غدر ، فهل استأثرتُ بمال ، أو بدّلت حُكماً! فانفِروا ، فمروا بمعروف وانهَوْا عن منكر[١] . (٤ : ٤٩٩/ ٥٠٠).

٩٧٨ ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثنا أبو الحسن ، قال: حدّثنا أبو مخنف عن جابر ، عن الشعبيّ ، عن أبي الطُّفَيْل ، قال: قال عليٌّ: يأتيكم من الكوفة اثنا عشر ألفَ رجل ورجل ، فقعدت على نَجفَةِ ذي قار ، فأحصيتهُم فما زادوا رجلاً ، ولا نقصوا رجلاً[٢] . (٤ : ٥٠٠).

٩٧٩ ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثنا أبو الحسن ، عن بشير بن عاصم ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبيه ، قال: خرج إلى عليّ اثنا عشر ألف رجل ، وهم أسباع: على قريش وكنانة وأسَد وتميم والرِّباب ومُزينة معقل بن يسار الرّياحيّ ، وسُبْع قيس عليهم سعد بن مسعود الثقفيّ ، وسُبْع بكر بن وائل وتغلب عليهم وَعْلة بن مخدوج الذّهلي ، وسُبْع مَذحِج والأشعَرِيين عليهم حُجْر بن عديّ ، وسُبْعُ بجيلة وأنمار وخَثْعم والأزْد عليهم مِخنف بن سُلَيم الأزديّ[٣] . (٤ : ٥٠٠).

نزول عليّ الزاوية من البصرة

٩٨٠ ـ حدّثني عمر بن شبَّة ، قال: حدّثنا أبو الحسن عن مسلمة بن محارب ، عن قتادة ، قال: نزل عليٌّ الزاويةَ وأقام أياماً ، فأرسل إليه الأحنف: إن شئتَ؛ أتيتُك ، وإن شئتَ؛ كففتُ عنك أربعة آلاف سيف ، فأرسل إليه عليٌّ: كيف بما أعطيت أصحابَك من الاعتزال! قال: إنّ من الوفاء لله عزّ وجلّ قتالَهم ، فأرسل إليه: كُفَّ مَن قدرتَ على كفّه ، ثم سار عليٌّ من الزّاوية ، وسار طلحة ، والزبير ، وعائشة من الفُرضَة ، فالتَقوْا عند موضع قصر عُبيد الله ـ أو عبد الله ـ بن زياد ، فلما نزل الناسُ أرسل شقيق بن ثور إلى عمرو بن مرحوم العبديّ: أن اخرج ، فإذا خرجتَ؛ فمِلْ بنا إلى عسكر عليّ. فخرجا في عبد القيْس ، وبكر بن وائل ، فعدَلوا إلى عسكر أمير المؤمنين ، فقال الناس: مَن كان هؤلاء معه

---

(١) في إسناده ابن أبي ليلىٰ ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف جداً.

(٣) إسناده ضعيف.

غَلب ، ودفع شَقيق بن ثور رايتهم إلى مولىً له يقال له: رَشْراشة ، فأرسل إليه وعلة بن محدوج الذهلي: ضاعت الأحساب ، دفعت مكرمة قومك إلى رشراشة فأرسل شقيق: أن أغنِ شأنَك فإنا نُغني شأننَا ، فأقاموا ثلاثةَ أيام لم يكن بينهم قتال ، يرسل إليهم عليّ ، ويكلّمهم ، ويردَعهم[١]. (٤: ٥٠٠/ ٥٠١).

٩٨١ ـ حدّثنا عمر ، قال: حدّثنا أبو بكر الهُذَليّ عن قتادة ، قال: سار عليٌّ من الزاوية ، يريد طلحة ، والزبير ، وعائشة ، وساروا من الفُرْضة ، يريدون علياً ، فالتقَوْا عند موضع قصر عُبيد الله بن زياد في النصف من جمادى الآخرة سنة ستٍّ وثلاثين يوم الخميس ، فلما تراءى الجَمعان؛ خَرج الزبير على فرس عليه سلاح ، فقيل: لعليّ: هذا الزبير؛ قال: أما إنه أحرى الرّجلين إن ذُكّر بالله أن يذكره ، وخرج طلحة ، فخرج إليهما عليّ ، فدنا منهما حتى اختلفت أعناق دوابّهم ، فقال عليّ: لعَمري لقد أعددتُما سلاحاً ، وخيلاً ، ورجالاً ! إن كنتما أعددتُما عند الله عذراً فاتّقيا الله سبحانه ، ولا تكونا كالتي نَقضتْ غزلَها من بعد قوّة أنكاثاً ، ألم أكن أخاكما في دينكما ، تحرِّمان دمي ، وأحرِّم دماءكما! فهل من حَدَث أحلّ لكما دمي؟ قال: طلحة: ألَّبْت الناسَ على عثمان رضي الله عنه ، قال عليّ: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾؛ يا طلحة ! تطلُب بدم عثمان رضي الله عنه ؟ فلعن الله قَتلَة عثمانَ ! يا زبير ! أتذكر يوم مررتَ مع رسول الله ﷺ في بني غَنْم ، فنظر إليّ ، فضحك ، وضحكت إليه ، فقلتَ: لا يَدَع ابن أبي طالب زَهوَه ، فقال لك رسولُ الله ﷺ: «صَه ، إنه ليس به زهو ، ولتقاتلَنه وأنت له ظالم»؟ فقال: اللهمّ نعم ، ولو ذكرتُ ما سرتُ مسيري هذا ، والله لا أقاتلك أبداً.

فانصرف عليّ إلى أصحابه ، فقال: أمّا الزّبير؛ فقد أعطى الله عهداً ألاّ يقاتلكم ، ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها: ما كنت في موطن منذ عقلت إلاّ وأنا أعرف فيه أمري غير مَوطِني هذا ، قالت: فما تريد أن تصنع؟ قال: أريد أن أدعَهم ، وأذهب؛ فقال له ابنه عبد الله: جمعتَ بين هذين الغارَيْن ، حتى إذا حدّد بعضهم لبعض؛ أردتَ أن تتركهم وتذهب! أحسست رايات ابن أبي طالب ،

---

(١) إسناده مرسل.

وعلمتَ أنها تحملها فتيةٌ أنجاد. قال: إني قد حلفتُ ألاّ أقاتله، وأحفَظَه ما قال له، فقال: كفِّر عن يمينك، وقاتلْه، فدعا بغلام له يقال له مكحول، فأعتقه، فقال عبد الرحمن بن سليمان التيميّ:

لـم أرَ كـاليـومِ أخـا إخـوانِ أعْجَـبُ مِـنْ مُكَفِّـرِ الأيمـانِ
بـالعِتـقِ فـي مَعْصِيَـة الـرَّحْمـن

وقال رجل من شعرائهم:

يُعْتِـقُ مَكْحـولاً لصَـونِ دينِـهْ كفَّـارةً لله عـن يَمينـهْ
والنَّكـثُ قـد لاحَ علـى جَبِينـهْ[١]

(٤ : ٥٠١/ ٥٠٢).

٩٨٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن الضُّرَيس البَجَليّ، عن ابن يعمَر، قال: لما رجع الأحنف بنُ قيس من عند عليّ لقيه هلالُ بن وكيع بن مالك بن عمرو، فقال: ما رأيك؟ قال: الاعتزال، فما رأيُك؟ قال: مكانفة أمّ المؤمنين، أفتدَعنا وأنت سيّدنا! قال: إنما أكون سيِّدكم غداً إذا قتِلت وبقيتُ؛ فقال هلال: هذا وأنت شيخُنا! فقال: أنا الشيخ المعْصِيّ، وأنت الشابّ المطاع، فاتّبعتْ بنو سعد الأحنف، فاعتزل بهم إلى وادي السباع؛ واتَّبعت بنو حنظلة هلالاً، وتابعت بنو عمرو أبا الجرباء، فقاتلوا[٢]. (٤ : ٥٠٤).

٩٨٣ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، عن أبي عثمان، قال: لما أقبل الأحنف نادى: يا لأدّ! اعتزلوا هذا الأمر، ووَلُّوا هذين الفريقين كَيْسَه وعَجْزَه، فقام المنجاب بن راشد فقال: يالَ الرّباب! لا تعتزلوا، واشهدوا هذا الأمرَ، وتولوا كَيْسَه، ففارقوا، فلما قال: يَال تميم! اعتزلوا هذا الأمر، وولوا هذين الفريقين كيسَه وعجْزه! قام أبو الجرباء ـ وهو من بني عثمان بن مالك بن عمرو بن تميم ـ فقال: يالَ عمرو! لا تعتزِلوا هذا الأمر، وتولَّوا كيسَه، فكان أبو الجرباء على بني عمرو بن تميم، والمنجاب بن راشد على بني ضبَّة، فلما قال: يالَ زيد مَناة! اعتزلوا هذا الأمر، ووَلُّوا هذين الفريقين كيْسَه

(١) في إسناده الهذلي متروك.
(٢) إسناده ضعيف.

وعَجْزه؛ قال هلال بن وَكيع: لا تعتزلوا هذا الأمر؛ ونادى: يالَ حنظلة! توَلَوْا كَيْسَه، فكان هلالٌ على حنظلة، وطاوعتْ سعدٌ الأحنف، واعتزلوا إلى وادي السباع[1]. (٤: ٥٠٤).

٩٨٤ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، قالا: كان على هَوازن وعلى بني سُليم والأعجاز مجاشع بنُ مسعود السُّلميّ، وعلى عامر زُفَر بن الحارث، وعلى غَطفان أعصُر بن النعمان الباهليّ، وعلى بكر بن وائل مالكُ بن مِسمَع، واعتزلت عبد القيس إلى عليّ إلاّ رجلاً فإنه أقام، ومن بكر بن وائل قُيَّام، واعتزل منهم مثل مَن بقي منهم، عليهم سِنان، وكانت الأزد على ثلاثة رؤساء: صَبْرة بن شَيْمان، ومسعود، وزياد بن عمرو، والشواذب عليهم رجلان: على مضرَ الخِرّيت بن راشد، وعلى قضاعة والتوابع الرّعبي الجَرْميّ ـ وهو لقب ـ وعلى سائر اليمن ذو الآجرة الحِمْيَريّ.

فخرج طلحة، والزبير فنزلا بالناس من الزّابوقة، في موضع قريةِ الأرزاق، فنزلتْ مضر جميعاً وهم لا يشكّون في الصلح، ونزلتْ ربيعة فوقَهم جميعاً وهم لا يشكّون في الصّلح، ونزلت اليمن جميعاً أسفل منهم، وهم لا يشكّون في الصلح، وعائشة في الحدّان، والناس في الزّابوقة، على رؤسائهم هؤلاء وهم ثلاثون ألفاً، وردّوا حَكيماً ومالكاً إلى عليّ؛ بأنّا علَى ما فارقْنا عليه القعقاع فاقدَم، فخرجا حتى قدما عليه بذلك، فارتحل حتى نزل عليهم بحيالهم، فنزلتِ القبائل إلى قبائلهم؛ مضر إلى مضر، وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن، وهم لا يشكّون في الصّلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، ولا يذكرون ولا ينوون إلاّ الصّلح، وخرج أمير المؤمنين فيمن معه، وهم عشرون ألفاً، وأهل الكوفة على رؤسائهم الّذين قدموا معهم ذا قار، وعبد القيس على ثلاثة رؤساء: جَذيمة وبكرٌ على ابن الجارود، والعمور على عبد الله بن السّوداء، وأهل هَجَر على ابن الأشجّ، وبكر بن وائل من أهل البصرة على ابن الحارث بن نهار، وعلى دنور بن عليّ الزّط والسيابجة، وقدِم عليّ ذا قار في عشرة آلاف، وانضمّ إليه عشرة آلاف.

(١) إسناده ضعيف.

رجع الحديث إلى حديث محمد ، وطلحة : قالا : فلما نزل الناس واطمأنوا ، خرج عليّ وخرج طلحَة ، والزبير ، فتواقَفوا ، وتكلموا فيما اختلفوا فيه ، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصّلح ووضع الحرب حين رأوا الأمرَ قد أخذ في الانقِشاع ، وأنه لا يُدرَك ، فافترقوا عن موقفهم على ذلك ، ورجع عليٌّ إلى عسكره ، وطلحة ، والزبير إلى عسكرهما[1] . (٤ : ٥٠٥ وتكملة ٥٠٦).

أمر القتال

٩٨٥ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : وبعث عليّ من العشيّ عبد الله بن عبّاس إلى طلحة ، والزبير ، وبعثا هما من العشيّ محمد بن طلحة إلى عليّ ، وأن يكلم كل واحد منهما أصحابَه ، فقالوا: نعمْ ، فلما أمسَوْا ـ وذلك في جُمادى الآخرة ـ أرسل طلحةُ ، والزُّبيرُ إلى رؤساء أصحابهما ، وأرسل عليّ إلى رؤساء أصحابه ، ما خلا أولئك الّذين هَضُّوا عثمان ، فباتوا على الصّلح ، وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية من الذي أشرفوا عليه ، والنُّزوع عمَّا اشتهى الذين اشتهوا ، وركبوا ما ركبوا ، وبات الذين أثاروا أمرَ عثمان بشرّ ليلة باتوها قطّ ، قد أشْرَفوا على الهَلَكة ، وجعلوا يتشاورون ليلتَهم كلّها ، حتى اجتمعوا على إنشاب الحرب في السرّ ، واستسرّوا بذلك خشية أن يُفطَن بما حاولوا من الشرّ ، فغدَوا مع الغَلَس ، وما يَشعرُ بهم جيرانُهم ، انسلُّوا إلى ذلك الأمر انسلالاً ، وعليهم ظلمة ، فخرج مُضَريُّهم إلى مضريِّهم ، ورَبعيُّهم إلى ربعيِّهم ، ويمانيُّهم إلى يمانيِّهم ، فوضعوا فيهم السلاح ، فثار أهل البصرة ، وثار كلّ قوم في وجوه أصحابهم الذين بَهَتوهم ، وخرج الزبير ، وطلحة في وجوه الناس من مضرَ فبعثا إلى الميمنة ـ وهم ربيعة ـ يعبئوها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وإلى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب بن أسيِّد ، وثبتا في القلب ، فقال: ما هذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكُوفة ليلاً ، فقالا : قد علمنا: أنّ علياً غير منته حتى يسفك الدماء ، ويستحلّ الحرْمة ، وأنه لن يطاوعَنا ، ثم رجعا بأهل البصرة ، وَقَصف أهل البصرة أولئك حتى

(١) إسناده ضعيف.

رَدّوهم إلى عسكرهم ، فسمع عليّ وأهلُ الكوفة الصوتَ ، وقد وضعوا رجلاً قريباً من عليّ ليخبره بما يريدون ، فلما قال: ما هذا؟ قال ذاك الرّجل: ما فجئَنا إلاّ وقوم منهم بيّتونا ، فردَدْناهم من حيث جاؤوا ، فوجدْنا القوم على رِجْل فركبونا ، وثارَ الناس ، وقال عليّ لصاحب ميمنته: ائتِ الميمنة ، وقال لصاحب ميسرته: ائت الميسرةَ ، ولقد علمتَ: أنّ طلحة والزّبير غير منتهيين حتى يَسْفِكا الدّماء ، ويستحلاّ الحرمة ، وأنهما لن يطاوِعانا ، والسّبئيّة لا تفترُ إنشاباً ، ونادى عليّ في الناس: أيها الناس ! كفّوا فلا شيء . فكان من رأيهم جميعاً في تلك الفتنة ألاّ يقتتلوا حتى يُبدؤوا؛ يطلبون بذلك الحُجّة ، ويستحقون على الآخرين ، ولاَ يقتُلوا مدبراً ، ولا يُجْهزوا على جريح ، ولا يُتبعوا ، فكان مما اجتمع عليه الفريقان ونادَوا فيما بينهما.

رجع الحديث إلى حديث سيف عن محمد ، وطلحة: قالا: ولما انهزم الناس في صدر النهار؛ نادى الزبير: أنا الزّبير ، هلُمّوا إليَّ أيُّها الناس ، ومعه مولىً له ينادي: أعن حواريّ رسول الله ﷺ تنهزمون! وانصرف الزبيرُ نحو وادي السباعِ ، واتَّبعه فُرسان ، وتشاغلَ الناسُ عنه بالناس ، فلما رأى الفرسان تتبَعه؛ عطَف عليهم ، ففرّق بينهم ، فكرُّوا عليه ، فلمّا عرفوه قالوا: الزّبير! فدعوْه ، فلما نفر فيهم علباء بن الهيثم؛ ومرّ القعقاع في نفر بطلحة وهو يقول: إليَّ عباد الله ! الصبرَ الصبر! قال له: يا أبا محمد؛ إنك لجريح ، وإنك عمّا تريد لعليل؛ فادخل الأبياتَ ، فقال: يا غلام ! أدخِلني وابغني مكاناً. فأدخِل البصرة ومعه غلام ورجلان ، فاقتتل الناس بعْده ، فأقبل الناس في هزيمتهم تلك وهم يريدون البَصرة. فلمّا رأوا الجمل أطافت به مضر عادوا قَلْباً كما كانوا حيث التقَوا ، وعادوا إلى أمر جديد ، ووقفتْ ربيعة البصرة ، منهم ميمنة ، ومنهم ميسرة ، وقالت عائشة: خلّ يا كعب عن البعير ، وتقدّم بكتاب الله عزّ وجلّ فادعُهم إليه ، ودفعت إليه مصحفاً ، وأقبل القوم وأمامهم السبئيّة يخافون أن يجري الصّلح ، فاستقبلهم كعب بالمصحف ، وعليٌّ من خلفهم يَزَعُهم ويأبَوْن إلاّ إقداماً ، فلما دعاهم كعب رشَقوه رِشْقاً واحداً ، فقتلوه ، ورمَوا عائشةَ في هَودجها ، فجعلت تنادي: يا بَنيّ ! البقيّة البقيّة ـ ويعلو صوتُها كَثْرة ـ الله الله ! اذكروا الله عزّ وجلّ ، والحساب ، فيأبون إلاّ إقداماً ، فكان أوّل شيء أحدثتْه حين أبوْا أن قالت: أيُّها الناس ! العنوا قتلةَ عثمان وأشياعَهم ، وأقبلتْ تدعو.

وضجّ أهل البصرة بالدعاء ، وسمع عليُّ بن أبي طالب الدعاءَ فقال : ما هذه الضجّة؟ فقالوا : عائشة تدعو ويدعون معها على قَتَلة عثمان وأشياعهم ، فأقبل يدعو ويقول : اللهم العنْ قتلةَ عثمان وأشياعَهم ، وأرسلتْ إلى عبد الرحمن بن عتّاب وعبد الرحمن بن الحارث : اثبُتا مكانكما ، وذمرت الناسَ حين رأت أنّ القوم لا يريدون غيرَها ، ولا يكفّون عن الناس ، فازدلفت مُضَر البصرة ، فقصفت مضرَ الكوفة حتى زُوحم عليّ ، فنخس عليٌّ قفا محمد ، وقال : احمِل ، فنكَل ، فأهوى عليٌّ إلى الرّاية ليأخذَها منه ، فحمل ، فترك الراية في يده ، وحملت مضر الكوفة ، فاجتَلَدوا قدّام الجمل حتى ضرِسوا ، والمجنِّبات على حالها ، لا تصنع شيئاً ، ومع عليٍّ أقوام غير مُضَر ، فمنهم زيد بن صُوحَان ، فقال له رجل من قومه : تنحّ إلى قومك ، مَالَك ولهذا الموقف! ألستَ تعلم أن مضرَ بحيالك ، وأنْ الجمل بين يديك ، وأن الموتَ دونه! فقال : الموت خير من الحياة ، الموت ما أريد؛ فأصيب ، وأخوه سَيْحان ، وارتُثّ صعصعة ، واشتدّت الحرب ، فلما رأى ذلك عليّ بعث إلى اليمن ، وإلى ربيعة : أن اجتمعوا على مَن يليكم ، فقام رجلٌ من عبد القيس فقال : ندعوكم إلى كتاب الله عزّ وجلّ؛ قالوا : وكيف يدعونا إلى كتاب الله مَن لا يقيم حدودَ الله سبحانه ، ومن قتل داعيَ الله كعب بن سُور! فرمَتْه رَبيعة رِشْقاً واحداً فقتلوه ، وقام مسلم بن عبد الله العجليّ مَقامه ، فرشقوه رِشقاً واحداً ، فقتلوه ، ودعت يَمَنُ الكوفة يَمن البَصْرة فرشَقوهم[1] . (٤ : ٥٠٦/ ٥٠٧/ تكملة ٥١٢/ ٥١٣/ ٥١٤).

٩٨٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة وأبي عمرو ، قالوا : وأقبل كعب بن سور حتى أتى عائشة رضي الله عنها ، فقال : أدركي فقد أبى القوم إلاّ القتال ، لعلَّ الله يُصلح بكِ ، فركبتْ ، وألبسوا هَودجها الأدراع ، ثم بعثوا جمَلَها ، وكان جَملُها يدعى عسكراً ، حمَلَها عليه يَعلَى بن أميّة ، اشتراه بمئتي دينار ، فلما برزتْ من البيوت ـ وكانت بحيثُ تَسمَع الغوغاء ـ وقفتْ ، فلم تلبث أن سمعتْ غوغاء شديدة ، فقالت : ما هذا؟ قالوا : ضجّة العسكر؛ قالت : بخير أو بشر؟ قالوا : بشرّ. قالت : فأيّ الفريقين كانت منهم هذه الضجّة فهم المهزومون ، وهي واقفة ، فوالله ما فَجِئَها إلاّ الهزيمة ،

---

(١) إسناده ضعيف وفيه نكارة.

فمضى الزبير من سننِه في وجهه ، فسَلَك وادي السباع ، وجاء طلحة سَهْم غَرْب يخُلّ ركبتَه بصفحة الفرس ، فلما امتلأ مَوْزَجه دماً وثَقُل قال لغلامه: اردفني وأمْسكني ، وابغني مكاناً أنزل فيه ، فدخل البصرة وهو يتمثّل مثَله ومثَل الزبير:

فـإن تكُـنِ الحـوادِثُ أقْصَـدَتْنـي وأَخْطَـأَهُـنَّ سَهْمـي حيـن أَرْمـي
فقـد ضُيِّعْـتُ حيـن تَبِعْـتُ سَهْمـاً سفـاهـاً مَـا سَفِهْـتُ وضَـلَّ حِلْمـي
نـدِمْـتُ نَـدَامـةَ الكُسَعِـيِّ لمَّـا شـرِيْـتُ رِضَـا بنـي سَهْـمٍ بـرَغْمِـي
أَطَعْتُهُـــمُ بفُـــرْقـــةِ آل لأْيٍ فـأَلْقـوْا للسِّبـاع دَمـي ولَحْمِـي[1]

(٤: ٥٠٧/٥٠٨).

خبر وقعة الجمل من رواية أخرى

٩٨٧ ـ قال أبو جعفر: وأما غير سيف فإنه ذكر من خبر هذه الوقعة ، وأمر الزبير ، وانصرافه عن الموقف الذي كان فيه ذلك اليوم غيرَ الذي ذكر سيف عن صاحبيه ، والذي ذكر من ذلك بعضُهم ما حدّثَنيه أحمد بن زهير ، قال: حدّثنا أبي أبو خَيْثمة ، قال: حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، قال: سمعتُ أبي قال: سمعتُ يونس بنَ يزيد الأيْليّ عن الزّهريّ ، في قصة ذكرها من خبر عليّ ، وطلحة ، والزبير ، وعائشة في مسيرهم الذي نحن في ذكره في هذا الموضع. قال: وبلغ الخبرُ عليّاً ـ يعني: خبرَ السَّبْعين الذين قُتلوا مع العبديّ بالبصرْة ـ فأقبل ـ يعني: عليّاً ـ في اثني عشر ألفاً ، فقدِم البصرة ، وجعل يقول:

يَـا لَهْـفَ نَفْسـي علـى رَبيعَـهْ رَبيعَـةَ السـامعَـةَ المُطيعَـهْ
سُنَّتُهـا كـانـت بهـا الـوَقيعَـهْ

فلما تواقفوا خرج عليّ على فرسه ، فدعا الزبيرَ ، فتواقفا ، فقال عليّ للزبير: ما جاء بك؟ قال: أنت ، ولا أراك لهذا الأمر أهلاً ، ولا أولى به منّا؛ فقال عليّ: لستَ له أهلاً بعد عثمان! قد كنا نَعدُّك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنُك ابنُ السوء ففرَّق بيننا وبينك؛ وعظّم عليه أشياء ، فذكر أن النبيّ ﷺ مرّ عليهما ، فقال لعليّ: «ما يقول ابن عمتك؟ ليُقاتِلنّك وهو لك ظالم». فانصَرَف عنه الزبير ،

---

(١) إسناده ضعيف.

وقال: فإني لا أقاتلك. فرجع إلى ابنه عبدِ الله فقال: مَالي في هذه الحرب بصيرة، فقال له ابنه: إنك قد خرجت على بصيرة، ولكنك رأيتَ رايات ابن أبي طالب، وعرفت أن تحتها الموت، فجبُنت، فأحفظَه حتى أُرعد، وغضب، وقال: ويحك! إني قد حلفت له ألاّ أقاتله، فقال له ابنه: كفّر عن يمينك بعتْق غلامك سَرْجس، فأعتقه، وقام في الصّفّ معهم، وكان عليّ قال للزّبير: أتطلب مني دمَ عثمان وأنت قتلتَه! سلّط الله على أشدّنا عليه اليومَ ما يكره. وقال عليّ: يا طلحة! جئت بعِرْسِ رسول الله ﷺ تقاتل بها وخَبَأتَ عِرْسَك في البيت! أما بايعتني! قال: بايعتُك وعلى عُنُقي اللجّ، فقال عليّ لأصحابه: أيّكم يعرض عليهم هذا المصحف وما فيه، فإن قطعت يدُه أخَذَه بيده الأخرى، وإن قطعتْ أخذَه بأسنانه؟ قال فتىً شابٌّ: أنا، فطاف عليٌّ على أصحابه يعرض ذلك عليهم، فلم يقبله إلاّ ذلك الفتى، فقال له عليٌّ: اعرضْ عليهم هذا، وقل: هو بيننا وبينكم من أوّله إلى آخره، واللهَ في دمائنا ودمائكم، فحُمل على الفتى وفي يده المصحف، فقُطعت يداه، فأخذه بأسنانه حتى قُتل، فقال عليّ: قد طاب لكم الضِّراب فقاتلوهم، فقتِل يومئذ سبعون رجلاً، كلهم يأخذ بخطام الجمل، فلما عُقِر الجمل وهُزِم الناس، أصابت طلحة رَمية فقتلته، فيزعمون: أن مروان بنَ الحَكَم رماه، وقد كان ابن الزبير أخذ بخطام جمل عائشة، فقالت: من هذا؟ فأخبرها؛ فقالت: واثُكل أسماء! فجُرِح، فألقى نفسَه في الجَرْحَى، فاستُخرِج فبرأ من جراحته، واحتمل محمد بنُ أبي بكر عائشة، فضُرب عليها فُسطاط، فوقف عليٌّ عليها فقال: استفززتِ الناس وقد فزّوا، فألّبتِ بينهم، حتى قَتل بعضُهم بعضاً. . . . في كلام كثير. فقالت عائشة: يا بنَ أبي طالب! ملكتَ فأسجح، نعْم ما أبليت قومَكَ اليوم! فسرّحها عليّ، وأرسل معها جماعةً من رجال ونساء، وجهّزها؛ وأمر لها باثني عشر ألفاً من المال؛ فاستقلّ ذلك عبدُ الله بن جعفر، فأخرج لها مالاً عظيماً، وقال: إن لم يُجزه أمير المؤمنين فهو عليّ. وقتِل الزبير، فزعموا أن ابن جُرموز لهو الذي قتله، وأنه وقف بباب أمير المؤمنين؛ فقال لحاجبه: استأذن لقاتل الزُّبير؛ فقال عليّ: ائذن له، وبشّره بالنار[1]. (٤: ٥٠٨/ ٥٠٩/ ٥١٠).

---

(١) إسناده ضعيف.

٩٨٨ ـ حدّثني محمد بن عُمارة ، قال: حدّثنا عبيد الله بن موسى ، قال: أخبرنا فُضيل عن سفيان بن عقبة ، عن قرّة بن الحارث ، عن جوْن بن قتادة ، قال قرّة بن الحارث: كنتُ مع الأحنف بن قيس ، وكان جَوْن بن قتادة ابن عمّي مع الزبير بن العوام ، فحدّثني جَوْن بن قتادة ، قال: كنتُ مع الزّبير رضي الله عنه ، فجاء فارسٌ يسير ـ وكانوا يسلّمون على الزّبير بالإمْرة ـ فقال: السلام عليك أيّها الأمير ! قال: وعليك السلام؛ قال: هؤلاء القوم قد أتَوْا مكان كذا وكذا ، فلم أرَ قوماً أرثّ سلاحاً ، ولا أقلّ عدداً ، ولا أرعب قلوباً من قوْم أتوك ، ثمّ انصرَف عنه. قال: ثمّ جاء فارسٌ فقال: السَّلام عليك أيّها الأمير ! فقال: وعليك السلام ، قال: جاء القوم حتى أتَوا مكانَ كذا وكذا ، فسمعوا بما جمع الله عزّ وجلّ لكم من العَدد والعُدّة والحدّ ، فقذف اللهُ في قلوبهم الرعب ، فولَّوْا مدبرين؛ قال الزُّبير: إيهاً عنك الآن؛ فوالله لو لم يجد ابن أبي طالب إلا العَرْفَج؛ لدبّ إلينا فيه ! ثم انصرف ، ثم جاء فارس وقد كادت الخيول أن تخرج من الرّهَج فقال: السلام عليك أيّها الأمير ! قال: وعليك السلام ، قال: هؤلاء القوم قد أتَوْكَ ، فلقيت عماراً فقلت له وقال لي؛ فقال الزبير: إنه ليس فيهم ، فقال: بلى والله إنه لَفيهم؛ قال: والله ما جعله الله فيهم ، فقال: والله لقد جعله الله فيهم. قال: والله ما جعله الله فيهم؛ فلمّا رأى الرجلَ يخالفه قال لبعض أهله: اركب فانظر: أحقٌّ ما يقول! فركب معه ، فانطلقا وأنا أنظر إليهما حتى وقفا في جانب الخيل قليلاً ، ثم رجعا إلينا ، فقال الزبير لصاحبه: ما عندك؟ قال: صدق الرجل؛ قال الزبير: يا جدْع أنفاه ـ أو يا قَطْع ظَهْراه؟ ـ قال محمد بن عُمارة: قال عبيد الله: قال فضيل: لا أدري أيّهما قال ـ ثم أخذه أفكَل ، فجعل السلاح ينتفض ، فقال جون: ثكلتني أمي ، هذا الذي كنت أريد أن أموت معه ، أو أعيشَ معه ، والذي نفسي بيده ! ما أخذ هذا ما أرى إلاّ لشيء قد سمعه أو رآه من رسول الله ﷺ . فلمّا تشاغل الناسُ انصرف فجلس على دابته ، ثم ذهب ، فانصرف جون فجلس على دابّته ، فلحق بالأحنف ، ثم جاء فارسان حتى أتَيَا الأحنف وأصحابه ، فنزلا ، فأتيا ، فأكبّا عليه ، فناجيَاه ساعة ، ثم انصرَفا ، ثم جاء عمرو بن جرمُوز إلى الأحنف ، فقال: أدركتُه في وادي السباع فقتلتُه ، فكان

يقول: والذي نفسي بيَدِه إن صاحب الزبير الأحنف[1]. (٤: ٥١٠/ ٥١١).

٩٨٩ ـ حدثني عمر بن شبة، قال: حدّثنا أبو الحسن، قال: حدّثنا بشير بن عاصم، عن الحجّاج بن أرطاة، عن عمار بن معاوية الدُّهني ـ حيّ من أحمَس بَجيلة ـ قال: أخذ عليٌّ مصحفاً يوم الجَمَل، فطاف به في أصحابه، وقال: مَنْ يأخذ هذا المصحف، يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول؟ فقام إليه فتىً من أهل الكوفة عليه قَباء أبيَض محشوّ، فقال: أنا، فأعرَض عنه، ثم قال: مَنْ يأخذ هذا المصحفَ يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول؟ فقال الفتى: أنا، فأعرَض عنه، ثم قال: مَنْ يأخذ هذا المصحفَ يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول؟ فقال الفتى: أنا؛ فدفعه إليه، فدعاهم، فقطعوا يَده اليمنى، فأخذه بيده اليسرى، فدعاهم، فقطعوا يدَه اليسرى، فأخذه بصَدره والدّماء تسيل على قَبائه، فقتِل رضي الله عنه، فقال عليّ: الآن حلّ قتالُهم، فقالت أمّ الفتى بعد ذلك فيما ترثي:

لا هُـمَّ إنَّ مُسْلِمـاً دَعـاهُـمُ يَتْلُـو كتـابَ الله لا يخْشـاهُـمُ
وأمُّهُـمْ قـائمـة تـراهُـمُ يـأتمـرون الغَـيّ لا تَنْهـاهُـمُ
قـد خُضِبَـتْ مِـنْ علَـقٍ لِحـاهُـمُ[2]

(٤: ٥١١/ ٥١٢).

٩٩٠ ـ حدّثني عمر، قال: حدّثنا أبو الحسن، قال: حدّثنا أبو مخنف عن جابر، عن الشعبيّ، قال: حملت ميمنةُ أمير المؤمنين على ميسرةِ أهلِ البصرة، فاقتتلوا، ولاذَ الناس بعائشةَ رضي الله عنها، أكثرهم ضَبّة والأزْد، وكان قتالهم من ارتفاع النهار إلى قريب من العصر؛ ويقال: إلى أن زالت الشمس، ثم انهزموا، فنادى رجل من الأزد: كرّوا، فضربه محمد بن عليّ فقطع يده، فنادى: يا معشر الأزد فرّوا! واستحرّ القتل بالأزد، فنادَوا: نحن على دين عليّ بن أبي طالب؛ فقال رجل من بني ليث بعد ذلك:

سـائـلْ بنـا يَـوْمَ لقينـا الأزْدا والخَيْـلُ تَعْـدو أَشْقَـراً ووَرْدَا

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

لمّـا قَطَعْنـا كِبْـدَهُـمْ والـزَّنـدَا سُحْقـاً لَهُـمْ فـي رَأْيِهـمْ وبُعْـدَا[١]!

(٤ : ٥١٢).

٩٩١ ـ حدّثني عمر بن شبّة ، قال: حدّثنا أبو الحسن ، قال: حدّثنا جعفر بنُ سليمان عن مالك بن دينار ، قال: حمل عمّار على الزبير يومَ الجمل ، فجعل يحُوزه بالرُّمح ، فقال: أتريد أن تقتلني؟ قال: لا ، انصرفْ. وقال عامر بن حفص: أقبل عمّارٌ حتى حاز الزبير يومَ الجمل بالرمح ، فقال: أتقتلني يا أبا اليَقَظان! قال: لا يا أبا عبد الله[٢] ! (٤ : ٥١٢).

٩٩٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا: كان القتال الأوّل يستحرّ إلى انتصاف النهار ، وأصيب فيه طلحة رضي الله عنه ، وذهب فيه الزّبير ، فلما أوَوْا إلى عائشةَ ، وأبَى أهل الكوفة إلاّ القتال ، ولم يريدوا إلاّ عائشة ، ذمرتْهم عائشة ، فاقتتلوا حتى تنادَوْا ، فتحاجزوا ، فرجعوا بعد الظهر فاقتتلوا ، وذلك يومَ الخميس في جُمادى الآخرة ، فاقتتلوا صدْرَ النهار مع طلحة والزبير ، وفي وسطه مع عائشةَ ، وتزاحف الناس ، فهزمت يَمنُ البصرة يمنَ الكوفة ، وربيعةُ البصرة ربيعةَ الكوفة ، ونهد عليٌّ بمضر الكوفة إلى مضر البصرة ، وقال: إن الموت ليس منه فَوْت ، يُدرِك الهارب ، ولا يَترك المُقيم[٣]. (٤ : ٥١٤).

٩٩٣ ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثنا أبو الحسن ، قال: حدّثنا أبو عبد الله القرشيّ عن يونس بن أرقم ، عن عليّ بن عمرو الكنديّ ، عن زيد بن حساس ، قال: سمعتُ محمد بن الحنفيّة يقول: دفع إليّ أبي الرايةَ يومَ الجمل ، وقال: تقدّم؛ فتقدّمتُ حتى لم أجد متقدّماً إلاّ على رمح؛ قال: تقدّم لا أمَّ لك! فتكأكأتُ وقلتُ: لا أجد متقدَّماً إلاّ على سنان رُمْح ، فتناوَل الرّايةَ من يدي متناوِلٌ لا أدري مَن هو! فنظرتُ فإذا أبي بين يديّ وهو يقول:

---

(١) إسناده ضعيف جداً ، وأما القتال فكان بين الظهر والمغرب كما في رواية ابن أبي شيبة الصحيحة (١٥/ ٢٨٦) وهذا مخالف لرواية أبي مخنف الهالك.

(٢) إسناده مرسل.

(٣) إسناده ضعيف ويخالف ما ورد في الرواية الصحيحة من أن القتال كان بعد الظهر كما سنذكر.

أَنــتِ الَّتــي غَــرَّكِ مِنِّــي الحُسْنَــى يــا عَيْــشَ إن القَــومَ قَــوْمٌ أَعْــدَا
الخَفْــضُ خَيْــرٌ مِــن قِتــال الأبنــا[1]

(٤ : ٥١٤/ ٥١٥).

٩٩٤ ـ كتبَ إليّ السَّريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، قالا : اقتتلتِ المجنِّبتان حين تزاحفتا قتالاً شديداً ، يشبه مافيه القَلْبان ، واقتتل أهلُ اليمن ، فقتِل على راية أمير المؤمنين من أهل الكوفة عشرة ، كلما أخذها رجلٌ قتل خمسة من هَمْدان وخمسة من سائر اليمن ، فلما رأى ذلك يزيد بن قيس؛ أخذها ، فثبتتْ في يده وهو يقول :

قــد عِشْــتِ يــا نَفْــس وقــد غَنِيــتِ دَهــراً فقَطْــكِ اليــومَ مــا بَقِيــتِ
أَطْلُــبُ طــولَ العُمْــر مــا حَيِيــتِ

وإنما تمثّلها وهو قول الشاعر قبله . وقال نِمْران بن أبي نِمْران الهَمْدانيّ :

جَــرَّدتُ سَيْفــي فــي رِجــال الأَزْدِ أَضْــرِبُ فــي كُهــولِهِــمْ والمُــرْدِ
كــلَّ طــويــلِ الســاعِــدَيْــنِ نَهْــدِ

وأقبلتْ ربيعة ، فقتِل على راية الميسرة من أهل الكوفة زيد ، وصرع صعصعة ، ثم سَيْحان ، ثم عبد الله بن رَقبة بن المغيرة ، ثم أبو عُبيدة بن راشد بن سُلمَى؛ وهو يقول : اللهمّ أنت هدَيْتَنا من الضّلالة ، واستنقذتنا من الجهالة ، وابتليتَنا بالفتنة ، فكنّا في شُبهة وعلى ريبة؛ حتى قتل ، ثمّ الحصين بن معبد بن النُّعمان ، فأعطاها ابنه معبداً ، وجعل يقول : يا معبد ! قرِّب لها بَوَّها؛ تحدَب ، فثبتتْ في يده[2] . (٤ : ٥١٥).

٩٩٥ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، قالا : لما رأت الكُماة من مضر الكوفة ومضر البصرة الصبر؛ تنادَوا في عسكر عائشة وعسكر عليّ : يا أيُّـها الناس ! طرِّفوا إذا فرِغ الصبر ، ونزِع النصر ، فجعلوا يتوجّؤون الأطراف : الأيدي والأرجُل ، فما رُئيت وقعة قطّ قبلَها ولا بعدَها ، ولا يسمع بها أكثر يداً مقطوعة ورجلاً مقطوعة منها ، لا يُدرَى مَن

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

صاحبها ، وأصيبت يدُ عبد الرحمن بن عتّاب يومئذ قبل قتله ، وكان الرجل من هؤلاء وهؤلاء إذا أصيب شيء من أطرافه استَقْتَل إلى أن يُقتَل[1]. (٤ : ٥١٥/٥١٦).

٩٩٦ ـ كتب إلي السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الصعب بن عطيّة بن بلال ، عن أبيه ، قال: اشتدّ الأمر حتى أرِزت ميمنة الكوفة إلى القلب ، حتى لزِقت به ، ولزِقت ميسرة البصرة بقلبهم ، ومنعوا ميمنةَ أهلِ الكوفة أن يختلطوا بقلبهم ، وإن كانوا إلى جنبهم ، وفعلَ مثل ذلك ميسرة الكوفة وميمنة البصرة ، فقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ لمن عن يسارها: مَن القوم؟ قال صَبْرة بن شيمان: بَنُوكِ الأزْد ، قالت: يا آل غَسّان! حافِظوا اليومَ جلادكم الذي كنا نسمع به ، وتمثّلتْ:

وجـالَـدَ مِـنْ غَسَّـانَ أهْـلُ حِفـاظِهـا وهِنْـبٌ وأَوْسٌ جـالَـدَتْ وشَبيـبُ

وقالت لمن عن يمينها: مَن القوم؟ قالوا: بكر بن وائل؛ قالت: لكم يقول القائل:

وجـاؤوا إلَينـا فـي الحَـديـدِ كَـأَنَّهُـمْ مِـنَ العِـزّةِ القَعْسـاءِ بكْـرُ بـنُ وائـلِ

إنما بإزائكم عبدُ القيس ، فاقتتلوا أشدّ القتال من قتالهم قبل ذلك ، وأقبلتْ على كتيبة بين يديها ، فقالت: مَن القوم؟ قالوا: بنو ناجية ، قالت: بَخٍ بَخٍ! سيوفٌ أبطحيّة ، وسيوف قرشيّة ، فجالدوا جلاداً يُتفادى منه ، ثمّ أطافت بها بنو ضبّة ، فقالت: ويهاً جمْرةَ الجمرات! حتى إذا رقُّوا؛ خالَطَهم بنو عديّ ، وكثروا حولَها ، فقالت: مَن أنتم؟ قالوا: بنو عدّي ، خالطنا إخواننا ، فقالت: ما زال رأس الجمل معتدلاً حتى قتلت بنو ضبّة حولي ، فأقاموا رأسَ الجمل ، ثم ضربوا ضرباً ليس بالتعذير ، ولا يعدَلون بالتطريف؛ حتى إذا كثر ذلك وظهر في العسكريْن جميعاً. رامُوا الجمل وقالوا: لا يُزال القومُ أو يصرع ، وأرزتْ مجنِّبتا عليّ فصارتا في القلب ، وفعل ذلك أهلُ البصرة ، وكره القومُ بعضهم بعضاً ، وتلاقَوا جميعاً بقلبيهم ، وأخذ ابن يثربيّ برأس الجمل وهو يرتجز ، وادّعى قتل علباء بن الهيثم ، وزيد بن صُوحان ، وهند بن عمرو ، فقال:

---

(١) إسناده ضعيف.

أنـا لِمـنْ يُنْكِـرُنـي ابْـنُ يَثْـربـي قـاتـلُ عِلْبـاء وهِنْـدِ الجملـي
وابْـنٍ لِصُـوحـانَ عَلَـى ديـنِ علـي

فناداه عمّار: لقد لعمري لذتَ بحريز، وما إليك سبيل، فإن كنتَ صادقاً فاخرج من هذه الكتيبة إليّ؛ فترك الزمام في يد رجل من بني عديّ حتى كان بين أصحاب عائشة وأصحاب عليّ، فزحم الناس عمّاراً حتى أقبل إليه، فاتّقاه عمار بدرَقته، فضربه فانتشب سيفه فيها، فعالجه فلم يخرج، فخرج عمّار إليه لا يَملِك من نفسه شيئاً، فأسفّ عمار لرجليه فقطعهما، فوقع على استه، وحمله أصحابه، فارتُثَّ بعدُ، فأتي به عليّ، فأمرَ بضرب عنقه، ولما أصيب ابن يثربيّ ترك ذلك العدَويُّ الزمام، ثم خرج فنادى: مَن يبارز؟ فخنَس عمّار، وبرز إليه ربيعة العُقَيليّ ـ والعدويّ يدعى عمرة بن بَجْرة، أشدّ الناس صوتاً ـ وهو يقول:

يـا أمّنـا أَعَـقّ أُمٍّ نَعْلَـمُ والأُمُّ تَغْـذو ولَـداً وتَـرْحَـمُ
ألا تَـرَيْـنَ كَـمْ شجَـاعٍ يُكلَـمُ وتُختَلَـى مِنْـهُ يَـدٌ ومِعْصَـمُ!

ثم اضطرَبا، فأثْخنَ كلّ واحد منهما صاحبه، فماتا.

وقال عطيّة بن بلال: ولحق بنا من آخر النهار رجل يدعى الحارث، من بني ضبّة، فقام مقام العَدوِيّ، فما رأينا رجلاً قطّ أشدَّ منه، وجعل يقول:

نحـن بنـي ضَبَّـةَ أصحـابُ الجمـلْ نَنعَـى ابـن عفـانَ بـأطـرافِ الأسَـلْ
المـوتُ أحلَـى عنـدنـا مـن العسـلْ رُدُّوا علينـا شيخَنـا ثـمَّ بَجَـلْ

حدّثني عمرُ بن شبَّة، قال: حدَّثنا أبو الحسن، عن المفضّل بن محمد، عن عديِّ بن أبي عديّ، عن أبي رجاء العطارديّ، قال: إني لأنظر إلى رجل يومَ الجمل وهو يقلِّب سيفاً بيده كأنه مِخراق، وهو يقول:

نحـن بنـي ضبّـة أصحـابُ الجمـلْ نـنـازِلُ المـوتَ إذا المـوتُ نَـزَلْ

إسناده ضعيف وفي متنه نكارة.

والموتُ أشهى عندَنا من العَسَلْ نَنعى ابنَ عفّانَ بأطراف الأسَلْ
رُدُّوا علينا شيخَنا ثمَّ بَجَلْ[١]

(٤ : ٥١٨).

٩٩٨ ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثنا أبو الحسن عن المفضّل الضبّيّ ، قال: كان الرجل وسيمَ بن عمرو بن ضِرار الضبّي[٢] . (٤ : ٥١٨).

٩٩٩ ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثنا أبو الحسن ، عن الهُذَليّ ، قال: كان عمرو بن يثربيّ يحضّض قومَه يوم الجمل ، وقد تعاوروا الخِطام يَرتجزون:

نحن بني ضَبَّةَ لا نَفِرُّ حتى نَرَى جماجماً تَخِرُّ
يَخِرُّ منها العَلَقُ المُحْمَرُّ
يا أُمّنا يا عيشُ لن تُراعي كلّ بنِيكِ بطَلٌ شُجاعُ
يا أُمّنا يا زوجَة النبيّ يا زوجة المباركِ المهْدِيّ

حتى قُتل على الخِطام أربعون رجلاً ، وقالت عائشة رَضي الله عنها: ما زال جَمَلي معتدلاً حتى فقدت أصواتَ بني ضَبّة ، وقتل يومئذ عمرو بن يثربيّ علباءَ بن الهيثم السَّدوسيّ ، وهندَ بن عمرو الجَمَليّ ، وزيد بن صوحان؛ وهو يرتجز ، ويقول:

أضرِبُهُمْ ولا أَرى أَبا حَسَنْ كفى بهذا حَزَناً من الحزنْ
إنا نُمِرُّ الأمرَ إمرارَ الرَّسَنْ

فزعم الهُذَليّ: أنَّ هذا الشعر تُمُثِّلَ به يومَ صفّين ، وعرض عمار لعمرو بن يثربيّ ـ وعمار يومئذ ابن تسعين سنة ، عليه فَرْوٌ قد شَدّ وسَطه بحَبل من ليف ـ فَبَدرهَ عَمرو بن يثربيّ فنحّى له دَرَقته فنشب سيفه فيها ، ورماه الناس حتى صُرِع وهو يقول:

إن تقتلوني فأنا ابنُ يثْربي قاتلُ عِلباءَ وهنْد الجملي
ثمَّ ابنِ صُوحانَ على دينِ علي

وأخِذ أسيراً حتى انتُهي به إلى عليّ ، فقال: استبْقني ، فقال: أبعد ثلاثة تُقبل

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

عليهم بسَيفك تضربُ به وجوههم! فأمر به ، فقُتل[١] . (٤ : ٥١٨/٥١٩)

١٠٠٠ ـ وحدّثني عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، قال : حدّثنا أبو مخنف عن إسحاق بن راشد ، عن عبَّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه ، قال : مشيت يوم الجمل وبي سبع وثلاثون جراحة من ضربةٍ وطَعنةٍ ، وما رأيتُ مثلَ يوم الجمل قطّ ، ما ينهزم منا أحد ، وما نحن إلاّ كالجبل الأسود ، وما يأخذ بخطام الجمل أحد إلاّ قُتل ، فأخذه عبدُ الرحمن بن عتاب فقُتل ، فأخذه الأسوَد بن أبي البَخْتريّ فصُرع ، وجئتُ فأخذت بالخِطام ، فقالت عائشة : مَن أنت؟ قلت : عبد الله بن الزّبير ، قالت : واثُكْل أسماء! ومرّ بي الأشتر ، فعرفتُه فعانقْته ، فسقطنا جميعاً ، وناديت : «اقتُلُوني ومالِكاً» ؛ فجاء ناسٌ منا ومنهم ، فقاتلوا عنا حتى تحاجزْنا ، وضاع الخطام ، ونادى عليّ : اعقروا الجمل ، فإنه إن عُقر تفرّقوا ؛ فضربَه رجلٌ فسقط ، فما سمعتُ صوتاً قطّ أشدّ من عَجيج الجمل .

وأمر عليّ محمدَ بن أبي بكر فضرب عليها قبّة ، وقال : انظر ، هل وصل إليها شيء؟ فأدخل رأسَه ، فقالت : من أنتَ؟ وَيْلَك! فقال : أبغض أهلك إليكِ ، قالت : ابن الخَثعميّة؟ قال : نعم ؛ قالت : بأبي أنت وأميّ! الحمد لله الذي عافاك[٢] . (٤ : ٥١٩).

١٠٠١ ـ حدّثني عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن أبي مخنف ، عن ابن عبد الرحمن بن جُندَب ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كان عمرو بن الأشرف أخذ بخطام الجمل ، لا يدنو منه أحدٌ إلا خَبطهَ بسيفه ؛ إذْ أقبل الحارث بن زُهَير الأزديّ وهو يقول :

يــا أُمَّنــا يــا خيْــرَ أُمٍّ نَعلَــمُ   أمــا تَــرَيْــنَ كَــمْ شُجَــاعٍ يُكلَــمُ !
وتُختَلَــى هــامَتُــهُ والمِعْصَــمُ!

فاختلفا ضربتين ، فرأيتُهما يفحصان الأرض بأرجُلهما حتى ماتا .

فدخلتُ على عائشة رضي الله عنها بالمدينة ، فقالت : مَن أنت ؟ قلت : رجل من الأزْد ، أسكُن الكوفة ؛ قالت : أشهِدْتنا يومَ الجمل ؟ قلت : نعم . قالت : ألنا

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده تالف.

أمْ علينا ؟ قلتُ: عليكم ؛ قالت: أفتعرف الذي يقول:

يــا أمَّنــا يــا خيــرَ أمٍّ نعلــمُ

قلت: نعم ، ذاك ابنُ عمّي ، فبكتْ حتى ظننتُ أنها لا تسكت[١] . (٤: ٥٢٠/٥٢١).

١٠٠٢ ـ حدثني عمر ، قال: حدثنا أبو الحسن عن أبي ليلى ، عن دينار بن العَيْزار ، قال: سمعت الأشتر يقول: لقيتُ عبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد ، فلقيت أشدَّ الناس وأروَغَه ، فعانقتُه ، فسقطْنا إلى الأرض جميعاً ، فنادى: «اقْتُلُوني ومالِكاً»[٢] . (٤: ٥٢١).

١٠٠٣ ـ حدّثني عمر قال: حدثنا أبو الحسن عن ابن أبي ليلى ، عن دينار بن العيزار ، قال: سمعت الأشتر يقول: رأيت عبد الله بِن حَكيم بن حزام معه رايةُ قريش؛ وعديّ بن حاتم الطائيّ ، وهما يتصاولان كالفحلين ، فتعاوَرْناه ، فقتلناه ـ يعني عبد الله ـ فطعن عبد الله عدياً ففقأ عينَه[٣] . (٤: ٥٢١).

١٠٠٤ ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثنا أبو الحسن ، عن أبي مخنف ، عن عمّه محمّد بن مخنف ، قال: حدَّثني عدّةٌ من أشياخ الحيّ كلّهم شهد الجَمَل ، قالوا: كانت راية الأزد من أهل الكوفة مع مِخْنف سُلَيم ، فقتل يومئذ ، فتناول الراية من أهل بيته الصَّقعب وأخوه عبد الله بن سُليم ، فقتلوه ، فأخذها العلاء بن عروة ، فكان الفتح ، وهي في يده ، وكانت راية عبد القيس من أهل الكوفة مع القاسم بن مسلم ، فقتل وقتل معه زيد بن صُوحان وسَيْحان بن صُوحان؛ وأخذ الراية عدّة منهم فقُتِلوا؛ منهم عبد الله بن رقبة ، وراشد ، ثم أخذها مُنْقذ بن النُّعمان ، فدفعها إلى ابنه مُرّة بن منقذ ، فانقضى الأمر وهي في يده ، وكانت راية بكْر بن وائل من أهل الكُوفة في بني ذُهْل ، كانت مع الحارث بن حسَّان بن خُوط الذُّهليّ ، فقال أبو العَرْفاء الرقاشيّ: أبقِ على نفسك وقومك ، فأقدمَ ، وقال: يا معشرَ بكر بن وائل ، إنّه لم يكن أحدٌ له من رسول الله ﷺ مثل منزلة صاحبكم ،

(١) إسناده تالف.

(٢) في إسناده ابن أبي ليلىٰ ، مجهول.

(٣) في إسناده ابن أبي ليلىٰ ، مجهول.

فانصروه ، فأقدمَ ، فقُتل ، وقُتل ابنه ، وقُتِل خمسة إخوة له ، فقال له يومئذ بشر بن خُوط وهو يقاتل:

أنـا ابـنُ حَسَّـانَ بـن خُـوطٍ وأبـي رسـولُ بَكْـرٍ كلّهـا إلـى النّبـي

وقال ابنه:

أنْعَى الرئيسَ الحارثَ بنَ حسَّانْ لآلِ ذُهْـلٍ ولآلِ شَيْبـانْ

وقال رجل من ذُهْل:

تَنعَى لنا خيرَ امْرِئٍ مِنْ عَدْنانْ عند الطِّعانِ ونِزالِ الأقرانْ

وقُتل رجال من بني محدوج ، وكانت الرِّياسة لهم من أهل الكوفة ، وقُتل من بني ذُهْلٍ خمسةٌ وثلاثون رجلاً ، فقال رجل لأخيه وهو يقاتل: يا أخي ! ما أحسنَ قتالَنا إنْ كنَّا على حقّ! قال: فإنا على الحقّ ، إن الناسَ أخذوا يميناً وشمالاً ، وإنما تمسَّكنا بأهل بيت نبيِّنا؛ فقاتَلا حتى قُتلا ، وكانت رياسة عبد القيس من أهل البصرة ـ وكانوا مع عليّ ـ لعمرو بن مرحوم ، ورياسة بكر بن وائل لشَقيق بن ثَوْر ، والرّاية مع رَشراشة مولاه ، ورياسة الأزْد من أهل البصرة ـ وكانوا مع عائشة ـ لعبد الرحمن بن جُشَم بن أبي حُنَيْن الحمّامِيّ ـ فيما حدّثني عامر بن حفص ، ويقال: لصبرة بن شيْمان الحُدّانيّ ـ والراية مع عمرو بن الأشرف العَتَكيّ ، فقُتل وقتل معه ثلاثة عشر رجلاً من أهل بيته[1]. (٤: ٥٢١/٥٢٢).

١٠٠٥ ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثنا أبو الحسن ، قال: حدّثنا أبو ليلى عن أبي عُكّاشة الهَمْدانيّ ، عن رفاعة البَجَليّ ، عن أبي البَخْتَريّ الطائيّ ، قال: أطافت ضبّة ، والأزد بعائشةَ يومَ الجمل ، وإذا رجالٌ من الأزد يأخذون بعْرَ الجمل فيفتّونه ويشُمّونه ، ويقولون: بعرْ جملِ أمِّنا ريحُه ريحُ المسك؛ ورجل من أصحاب عليّ يقاتل ويقول:

جَـرَّدتُ سيفـي فـي رجـال الأزدِ أَضْـرِب فـي كُهـولِهِـم والمُـرْدِ
كـلَّ طـويـل السـاعِـدَيْـن نهْـدِ

وماج الناس بعضُهم في بعض ، فصرخ صارخ: اعقروا الجمل؛ فضَربه

---

(١) إسناده تالف وفي متنه نكارة، ومعلوم: أن حسان بن ثابت كغيره من الصحابة لا يفضل أحداً عن الصحابة على الشيخين.

بُجَير بن دُلْجة الضّبيّ من أهل الكوفة ، فقيل له : لِمَ عَقرتَه؟ فقال : رأيتُ قومي يقتَلون ، فخفت أن يفنَوا ، ورجوت إن عقرته أن يبقَى لهم بقيّة[١] . (٤ : ٥٢٢/٥٢٣) .

١٠٠٦ ـ حدّثني عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، قال : حدّثنا الصّلْت بن دينار ، قال : انتهى رجلٌ من بني عُقَيْل إلى كعب بن سُور ـ رحمه الله ـ وهو مقتول ، فوضع زُجَّ رمحه في عينيه ، ثم خَضخضه ، وقال : ما رأيت مالاً قطّ أحكم نَقدْاً منك[٢] . (٤ : ٥٢٣) .

١٠٠٧ ـ حدّثني عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، قال : حدّثنا عَوانة ، قال : اقتَتلُوا يومَ الجمل يوماً إلى الليل ، فقال بعضهم :

شَفى السَّيْف من زَيدٍ وهِنْدٍ نفوسَنا شفاءً ومن عينيْ عَدِيٍّ بن حاتِم
صبَرْنا لهم يوماً إلى الليلِ كلَّه بصمٍّ القَنَا والمُرْهَفاتِ الصَّوارِمِ

وقال ابن صامت :

يا ضَبّ سيري فإنْ الأرضَ واسعةٌ على شِمالِكِ إن الموتَ بالقاع
كَتيبةٌ كشعاعِ الشّمْسِ إذ طلعتْ لها أتِيٌّ إذا ما سال دُفّاعُ
إذاً نُقيم لكمْ في كلّ مُعْتَرَكٍ بالمَشْرَفِيّةِ ضَرباً غيرَ إبْدَاعِ[٣]

(٤ : ٥٢٣) .

١٠٠٨ ـ حدّثنا العباس بن محمد ، قال : حدّثنا رَوْح بن عُبادة ، قال : حَدّثنا رَوْح عن أبي رَجاء ، قال : رأيت رجلاً قد اصطُلِمت أذُنه ، قلت : أخِلْقة ، أم شيء أصابك؟ قال : أحدّثك؛ بينا أنا أمشي بين القتلَى يومَ الجمل ، فإذا رجل يَفْحَص برِجله ، وهو يقول :

لقد أوْرَدَتْنا حَوْمَةَ الموتِ أُمُّنا فلم ننصرفْ إلاَّ ونحن رِواءُ
أطعْنا قريشاً ضَلّةً من حُلومِنا ونُصْرَتنا أهلَ الحجازِ عَناءُ

قلت : يا عبد الله ! قل : لا إله إلا الله ، قال : ادنُ مني ، ولقِّنّي؛ فإنّ في أذني

(١) خبر منكر .
(٢) إسناده ضعيف .
(٣) إسناده ضعيف .

وقراً، فدنَوت منه، فقال لي: ممن أنت؟ قُلت: رجل من الكوفة؛ فوثب عليّ، فاصطَلَم أذني كما ترى، ثمّ قال: إذا لقيت أمّك فأخبرها: أن عُمير بن الأهلب الضبيّ فَعَل بك هذا[1]. (٤: ٥٢٣/ ٥٢٤).

١٠٠٩ ـ حدّثني عمر، قال: حدّثنا أبو الحسن، قال: حدّثنا المفضَّل الراوية، وعامر بن حفص، وعبد المجيد الأسديّ، قالوا: جُرح يوم الجمل عُمير بن الأهلب الضّبيّ، فمرّ به رجلٌ من أصحاب عليّ وهو في الجرحى، فقال له عُمير: ادْنُ منِّي، فدنا منه، فقطع أذنه، وقال عُمير بن الأهلب:

لقد أوردتْنا حومةَ الموت أمُّنا فلَم ننصرف إلا ونحن رِواءُ
لقد كان عن نَصرِ ابن ضَبَّة أمَّهُ وشيعَتها مَندوحةٌ وغَناءُ
أطعنا بني تَيمِ بن مُرَّةَ شَقْوَةً وهل تَيمٌ إلاَّ أَعْبُدٌ وإماءُ[2]!

(٤: ٥٢٤).

١٠١٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن المقدام الحارثيّ، قال: كان منّا رجل يدعى هانىء بن خطّاب، وكان ممن غزا عثمان، ولم يشهد الجمل، فلمّا سمع بهذا الرجز ـ يعني رجزَ القائل:

نحنُ بني ضَبَّة أصحابُ الجَملْ ـ

في حديث الناس، نقض عليه وهو بالكوفة:

أَبَتْ شيوخُ مَذْحِج وهَمْدانْ ألاَ يرُدُّوا نَعْثَلاً كما كانْ
خلْقاً جَدِيداً بعد خَلق الرَّحمنْ[3]

(٤: ٥٢٤).

١٠١١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن الصّعب بن عطيّة، عن أبيه، قال: جعل أبو الجرباء يومئذ يرتجز ويقول:

أسامعٌ أنتَ مطيعٌ لعَلِي من قَبلِ أن تَذوقَ حَدَّ المَشْرَفِي

---

(١) في إسناده مبهم.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

وخــاذِلٌ فــي الحــقِّ أزواجَ النّبــي أعْـرِفُ قـومـاً لسـتُ فيـه بِعَنـي[١]

(٤ : ٥٢٥).

١٠١٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، قالا: كانت أمّ المؤمنين في حَلْقة من أهل النَّجَدات والبصائر من أفناء مُضَر، فكان لا يأخذه أحد بالزمام إلاّ كان يحمل الرّاية واللواء لا يحسِّن تركها، وكان لا يأخذه إلاّ معروف عند المُطيفين بالجمل فينتسب لها: أنا فلان بن فلان، فوالله إن كانوا ليقاتلون عليه؛ وإنه للموتُ لا يوصل إليه إلا بطِلبَةٍ وعَنت، وما رامه أحد من أصحاب عليّ إلاّ قُتل أو أفلت، ثم لم يَعُد، ولما اختلط الناس بالقلب جاء عديّ بن حاتم، فحمل عليه، ففُقِئتْ عينه ونكل، فجاء الأشتر فحامله عبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد وإنه لأقطَع مَنْزوف، فاعتنقه، ثم جلد به الأرض عن دابّته، فاضطرب تحته، فأفلت وهو جريض[٢]. (٤ : ٥٢٥).

١٠١٣ ـ كتب إليّ السري عن شعيب، عن سيف، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: كان لا يجيء رجل فيأخذ بالزّمام حتى يقول: أنا فلان بن فلان يا أمّ المؤمنين! فجاء عبدُ الله بنُ الزّبير، فقالت حين لم يتكلم: مَنْ أنت؟ فقال: أنا عبد الله، أنا ابن أختك، قالت: واثُكْل أسماء! ـ تعني: أختها ـ وانتهى إلى الجمل الأشتر، وعديّ بن حاتم، فخرج عبد الله بن حَكِيم بن حزام إلى الأشتر، فمشى إليه الأشتر، فاختلفا ضربتين، فقتله الأشتر، ومشى إليه عبد الله بن الزبير، فضربه الأشتر على رأسه، فجرحه جرحاً شديداً، وضرب عبد الله الأشتر ضربةً خفيفة، واعتنق كلّ واحد منهما صاحبَه، وخرّا إلى الأرض يعتَركان، فقال عبد الله بن الزبير: «اقْتُلُوني ومالكاً».

وكان مالك يقول: ما أحبّ أن يكون قال: «والأشتر» وأنّ لي حُمْر النَّعَم. وشدّ أناس من أصحاب عليّ وأصحاب عائشة فافترقا، وتنقّذ كلّ واحد من الفريقين صاحبَه[٣]. (٤ : ٥٢٥/٥٢٦).

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

١٠١٤ ـ كتب إليّ السّريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الصَّعْب بن عَطيّة ، عن أبيه ، قال: وجاء محمد بن طلحة فأخذ بزمام الجمل ، فقال: يا أمّتاه ! مُرِيني بأمرِك ، قالت: آمرُك أن تكون كخير بني آدم إن تُرِكتَ.

قال: فحمل ، فجعل لا يَحمِل عليه أحد إلاّ حمل عليه ويقول: «حم لا ينصرون» ، واجتَمع عليه نفر ، فكلّهم ادّعى قتلَه: المكعْبر الأسديّ ، والمكعبر الضّبيّ ، ومعاوية بن شدّاد العَبْسي ، وعفّان بن الأشقر النصريّ ، فأنفذه بعضهم بالرّمح ، ففي ذلك يقول قاتلُه منهم:

وأشْعَثَ قَوَّامٍ بآياتِ ربِّهِ قليلِ الأذى فيما ترى العيْنُ مُسْلِمِ
هَتكتُ له بالرمح جَيْبَ قميصِه فخَرَّ صريعاً لليدين ولِلفمِ
يُذَكِّرُني حم والرمحُ شاجِرٌ فهَلا تَلا حم قبلَ التّقَدُّمِ!
على غيرِ شيءٍ غيرَ أن ليس تابِعاً عَلِيّاً ومن لا يَتْبعِ الحقَّ يَنْدَمِ[1]

(٤ : ٥٢٦).

١٠١٥ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الصّعب بن عطيّة ، عن أبيه ، قال: قال القعقاع بن عمرو للأشتر يؤلِّبه يومئذ: هل لك في العَود؟ فلم يجبه. فقال: يا أشتر ! بعضنا أعلمَ بقتالٍ بعض منك. فحمل القعقاع ، وإنّ الزمام مع زُفَر بن الحارث ، وكان آخر مَنْ أعقب في الزّمام ، فلا والله ما بقي من بني عامر يومئذ شيخٌ إلاّ أصيب قدّام الجمل ، فقُتِل فيمن قُتل يومئذ ربيعة جدّ إسحاق بن مسلم ، وزفر يرتجز ويقول:

يا أمّنا يا عَيْش لن تُراعِي كلُّ بَنيكِ بَطَلٌ شجاعُ
ليس بوَهّامٍ ولا بِراعي

وقام القعقاع يرتجز ويقول:

إذا وَرَدْنا آجِناً جَهَرْناهُ ولا يُطاقُ وِرْدُ ما منعناهُ

تمثّلها تمثُّلاً[2]. (٤ : ٥٢٦/ ٥٢٧).

١٠١٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ،

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

قالا: كان من آخر مَنْ قاتل ذلك اليوم زُفَر بن الحارث، فزحف إليه القعقاع، فلم يبق حول الجمل عامريّ مكتهِل إلاّ أصيب، يتسرّعون إلى الموت، وقال القعقاع: يا بُجير بن دُلجة، صِحْ بقومك؛ فليَعقروا الجمل قبل أن يصابوا وتصاب أمّ المؤمنين؛ فقال: يالَ ضَبة! يا عمرو بنَ دُلْجة! ادعُ بي إليك؛ فدعا به، فقال: أنا آمن حتى أرجع؟ قال: نعم. قال: فاجتثّ ساق البعير، فرمى بنفسه على شِقّه وجرجر البعير، وقال القعقاع لمن يليه: أنتم آمنون. واجتمع هو، وزُفَر على قَطْع بِطَان البعير، وحَمَلا الهودج فوضَعاه، ثم أطافا به، وتفارّ مَن وراء ذلك من الناس[١]. (٤: ٥٢٧).

١٠١٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن عطيّة، عن أبيه، قال: لما أمسى الناس وتقدّم عليٌّ وأحيط بالجمل ومَن حولَه، وعَقَره بُجَير بن دُلْجة، وقال: إنكم آمنون؛ كفَّ بعض الناس عن بعض. وقال عليّ في ذلك حين أمسى وانخَنَس عنهم القتال:

إليك أشكو عُجَرِي وبُجَرِي ومَعْشَراً غَشَّوْا عَليَّ بَصَري
قَتلتُ منهمْ مُضَراً بِمُضَرِي شفَيْتُ نفسي وقتلتُ مَعْشَرِي[٢]

(٤: ٥٢٧).

١٠١٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن حكيم بن جابر، قال: قال طلحة يومئذ: اللهمّ أعط عثمانَ منّي حتى يَرضَى؛ فجاء سهم غَرْبٍ وهو واقف، فَخلّ ركبتَه بالسرج، وثبت حتى امتلأ مَوْزجُه دماً، فلما ثَقُل قال لمولاه: اردَفْني وابغني مكاناً لا أعرفُ فيه، فلم أر كاليوم شيخاً أضيَعَ دماً مني. فركب مولاه، وأمسكه، وجعل يقول: قد لحقَنا القوم، حتى انتهى به إلى دار من دُور البصرة خَرِبة، وأنزله في فيئها، فمات في تلك الخَرِبة، ودفن رضي الله عنه في بني سعد[٣]. (٤: ٥٢٧/٥٢٨).

١٠١٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن البَخْتريّ العبديّ، عن أبيه، قال: كانت ربيعة مع عليّ يوم الجمل ثُلث أهل الكوفة، ونصف الناس

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

يوم الوقعة ، وكانت تعبيتهم مُضَر ومضر ، وربيعة وربيعة ، واليمن واليمن؛ فقال بنو صُوحان: يا أميرَ المؤمنين ! ائذن لنا نقف عن مُضر؛ ففعل ، فأتى زيد فقيل له: ما يوقفك حيال الجمل وبحيال مضر! الموت معك وبإزائك ، فاعتزل إلينا ، فقال: الموتَ نريد. فأصيبوا يومئذ ، وأفلت صَعْصعة من بينهم[١] . (٤ : ٥٢٨).

١٠٢٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الصّعب بن عطية ، قال: كان رجل منا يدعَى الحارث ، فقال يومئذ: يَال مُضَر ! علامَ يقتل بعضكم بعضاً! تبادرون لا ندري إلاّ أنّا إلى قضاء ، وما تُكْفَوْن في ذلك[٢] . (٤ : ٥٢٨) .

١٠٢١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن ابن صعصعة المُزنيّ ـ أو عن صعصعة ـ عن عمرو بن جأوان ، عن جرير بن أشرس ، قال: كان القتال يومئذ في صدْر النهار مع طلحة ، والزبير ، فانهزم الناس؛ وعائشة تَوَقّع الصّلح ، فلم يَفجأها إلاّ الناس ، فأحاطت بها مُضَر ، ووقف الناس للقتال ، فكان القتال نصفَ النهار مع عائشة ، وعليّ... كعب بن سُور أخذ مصحفَ عائشة وعليّ فبدر بين الصّفين يناشدهم الله عزّ وجلّ في دمائهم ، وأعطىَ درعَه فرمى بها تحته ، وأتى بتُرسه فتنكّبه ، فرشقوه رِشقْاً واحداً ، فقتلوه رضي الله عنه ، ولم يُمهلوهم أن شدّوا عليهم ، والتَحم القتال ، فكان أول مقتول بين يدي عائشة من أهل الكوفة[٣] . (٤ : ٥٢٩) .

١٠٢٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مخلَد بن كثير ، عن أبيه ، قال: أرسلْنا مسلم بن عبد الله يدعو بني أبينا ، فرَشَقوه ـ كما صنع القلب بكعب ـ رِشْقاً واحداً ، فقتلوه ، فكان أوّلَ من قتل بين يديْ أمير المؤمنين وعائشة رضي الله عنها ، فقالت أمّ مسلم ترثيه:

لا هُـمَّ إنّ مسلمـاً أَتـاهُـم ... مُسْتسْلِمـاً للمـوتِ إذ دَعـاهُـمُ

إلـى كتـابِ اللهِ لا يخشـاهـمُ ... فـرمَّلـوهُ مـن دَمٍ إذ جـاهُـمُ

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

وأمُّهم قائمةٌ تراهُمُ يأتمرون الغَيَّ لا تنهاهُم[١]

(٤ : ٥٢٩).

١٠٢٣ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الصّعب بن حكيم بن شريك ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال: لما انهزمت مجنِّبتا الكوفة عشيّة الجمل ، صاروا إلى القلب ـ وكان ابن يثربيّ قاضيَ البصرة قبل كعب بن سُور ، فشهدهم هو وأخوه يوم الجمل ، وهما عبد الله ، وعمرو ، فكان واقفاً أمامَ الجمل على فرس ـ فقال عليّ: مَن رجل يحمل على الجمل؟ فانتدب له هند بن عمرو المراديّ ، فاعترضَه ابن يثربيّ ، فاختَلَفا ضربتين ، فقتله ابن يثربيّ ، ثم حمل سَيْحان بن صُوحان ، فاعترضه ابن يثربيّ ، فاختَلَفا ضربتين فقتله ابن يثربيّ ، ثم حمل علباء بن الهيثم ، فاعترضه ابن يثربيّ ، فقتله ، ثم حمل صعصعة فضربه ، فقتل ثلاثة أجهَزَ عليهم في المعركة: علباء ، وهند ، وسَيْحان ، وارتُثَّ صعصعة وزيد ، فمات أحدهما ، وبقي الآخَر[٢] . (٤ : ٥٢٩/ ٥٣٠) .

١٠٢٤ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبيّ ، قال: أخذ الخِطامَ يومَ الجمل سبعون رجلاً من قريش ، كلُّهم يُقتل وهو آخذ بالخِطام ، وحمل الأشتر فاعترضه عبد الله بن الزبير ، فاختلفا ضربتين ، ضربه الأشتر فأمّه ، وواثَبَه عبد الله ، فاعتنقه فخرّ بِهِ ، وجعل يقول: «اقتلُوني ومالكاً» ـ وكان الناس لا يعرفونه بمالك ، ولو قال: «والأشتر» ، وكانت له ألف نفس؛ ما نجا منها شيء ـ وما زال يضطرب في يديْ عبد الله حتى أفلَت ، وكان الرجل إذا حمل على الجمل ثم نجا لم يَعُد. وجرِح يومئذ مَرْوان ، وعبدُ الله بن الزبير[٣] . (٤ : ٥٣٠) .

١٠٢٥ ـ حدّثني عبدُ الله بنُ أحمد ، قال: حدّثني عمّي ، قال: حدّثني سليمان ، قال: حدّثني عبد الله ، عن جرير بن حازم ، قال: حدّثني محمد بن أبي يعقوب ، وابن عون عن أبي رَجَاء ، قال: قال يومئذ عمرو بن يثربيّ الضّبيّ؛ وهو أخو عميرة القاضي:

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

نحن بنِي ضَبَّة أصحابُ الجملْ   ننْزِلُ بالموتِ إذا الموتُ نَزَلْ

وزاد ابن عون ـ وليس في حديث ابن أبي يعقوب :

القَتْلُ أحْلَى عِندنا من العَسَلْ   ننْعَى ابنَ عفَّانَ بأطراف الأسَلْ

رُدُّوا علينا شَيْخَنا ثمَّ بَجَلْ[1]

(٤ : ٥٣٠).

١٠٢٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن داود بن أبي هند ، عن شيخ من بني ضَبّة ، قال : ارتجز يومئذ ابن يثربيّ :

أنا لمن أنكرَني ابن يثْرَبي   قاتِلُ عِلْباءَ وهِنْدِ الجَملي

وابنٍ لِصُوحانَ عَلى دينِ عَلي

وقال : مَن يُبارز؟ فبَرَز له رجل ، فقتله ، ثم برز له آخر فقتَلَهُ ، وارتجز وقال :

أَقْتُلُهُمْ وقد أرى عليّا   ولو أشا أوْجَرتُهُ عَمْريا

فبرز له عمّار بن ياسر ، وإنه لأضعف مَن بارَزَه ، وإنّ الناس ليسترجعون حين قام عمار ، وأنا أقول لعمار من ضعفه : هذا والله لاحقٌ بأصحابه ، وكان قضيفاً ، حَمْش الساقين ، وعليه سيفٌ حمائلهُ تشفّ عنه قريب من إبطه ، فيضربه ابن يثربيّ بسيفه ، فنشب في حَجَفته ، وضَرَبه عمار وأوهطه ، ورَمى أصحابُ عليّ ابنَ يَثْربي بالحجارة حتى أثخنوه ، وارتَثُّوه[2]. (٤ : ٥٣٠/ ٥٣١).

١٠٢٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن حمّاد البُرجُميّ ، عن خارجة بن الصلت ، قال : لما قال الضبّيّ يوم الجمل :

نحن بني ضبّة أصحابُ الجَمَل   ننعَى ابن عفَّانَ بأطراف الأسَلْ

ردُّوا علينا شيخنَا ثمَّ بَجَلْ

قال عُمير بُن أبي الحارث :

---

(١) لم نجد لعم عبد الله ترجمة .

(٢) إسناده ضعيف .

كيف نَرُدُّ شيخَكم وقد قَحَلْ نحن ضَرَبنا صدرَه حتَّى انجفَلْ[(١)]!

(٤ : ٥٣١).

١٠٢٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف عن الصّعب بن حكيم ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال: عقَر الجملَ رجلٌ من بني ضبّة يقال له: ابن دُلْجة ـ عمرو أو بُجير ـ وقال في ذلك الحارث بن قيس ـ وكان من أصحاب عائشة:

نحن ضربنا ساقَهُ فانجدلا من ضربَةٍ بالنّفْرِ كانت فَيْصَلا

لو لم نكَوّنْ للرّسول ثقَلا وحُرْمَةً لاقتسمُونا عُجَّلا

وقد نُحِل ذلك المثنّى بن مخرمة من أصحاب عليّ[(٢)]. (٤ : ٥٣١/ ٥٣٢).

شدَّة القتال يوم الجمل وخبر أعيَن بن ضُبيعة واطلاعه في الهودج

١٠٢٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن نُوَيرة ، عن أبي عثمان ، قال: قال القعقاع: ما رأيتُ شيئاً أشبَه بشيء من قتال القلب يومَ الجَمَل بقتال صِفّين ، لقد رأيتُنا ندافعهم بأسنّتنا ونتّكىء على أزِجّتنا ، وهم مثل ذلك حتى لو أنّ الرجال مشت عليها لاستقلّت بهم[(٣)]. (٤ : ٥٣٢).

١٠٣٠ ـ حدّثني عيسى بن عبد الرّحمن المَروزِيّ ، قال: حدّثنا الحسن بن الحسين العُرَنيّ ، قال: حدّثنا يحيى بن يعلى الأسلميّ عن سليمان بن قَرْم ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن سنان الكاهليّ ، قال: لما كان يوم الجمل ترامَينا بالنّبل حتى فَنيتْ ، وتَطاعنّا بالرّماح حتى تشبّكت في صدورنا وصدورهم ، حتى لو سُيِّرت عليها الخيل لسارت ، ثم قال عليّ: السيوفَ يا أبناءَ المهاجرين! قال الشيخ: فما دخلتُ دارَ الوليد إلا ذكرتُ ذلك اليوم[(٤)]. (٤ : ٥٣٢).

١٠٣١ ـ حدّثني عبد الأعلى بن واصل ، قال: حدّثنا أبو فُقيم ، قال: حدّثنا فِطْر ، قال: سمعت أبا بشير قال: كنتُ مع مولاي زمنَ الجمل ، فما مررتُ بدار

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

(٤) في إسناده سليمان بن قرم ، ضعفه ابن معين والنسائي وابن حبان وأبو حاتم.

الوليد قَطّ ، فسمعت أصواتَ القَصّارين يَضرِبون إلاّ ذكرت قتالهم[١] . (٤ : ٥٣٢) .

١٠٣٢ - حدّثني عيسى بن عبد الرحمن المروزيّ ، قال : حدّثنا الحسن بن الحسين قال : حدّثنا يحيى بن يعلى عن عبد الملك بن مسلم ، عن عيسى بن حطّان ، قال : حاصَ الناس حَيْصة ، ثم رجعنا ؛ وعائشة على جمل أحمر ، وفي هَوْدج أحمر ، ما شبّهته إلا بالقنفذ من النَّبل[٢] . (٤ : ٥٣٢/ ٥٣٣) .

١٠٣٣ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن راشد السُّلَميّ ، عن ميسرة أبي جميلة : أنّ محمد بن أبي بكر ، وعمّار بن ياسر أتَيَا عائشة ؛ وقد عُقِر الجمل ، فقطعا غُرْضة الرَّحْل ، واحتَمَلا الهودج ، فنَحَّياه حتى أمرهما عليٌّ فيه أمرَه بعد ؛ قال : أدخِلاها البصرة ، فأدخَلاها دارَ عبد الله بنِ خلف الخُزاعيّ[٣] . (٤ : ٥٣٣) .

١٠٣٤ - كتب إليّ السّريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، قالا : أمر عليٌّ نفراً بحَمل الهَوْدج من بين القتلى ، وقد كان القعقاع وزُفَر بن الحارث أنزَلاه عن ظهر البعير ، فوَضَعاه إلى جَنبْ البعير ، فأقبل محمد بن أبي بكر إليه ومعه نفر ، فأدخل يدَه فيه ، فقالت : مَن هذا؟ قال : أخوكِ البَرّ ، قالت : عَقوق ، قال عمّار بن ياسر : كيف رأيت ضَرْب بنيك اليوم يا أمّهْ ؟! قالت : مَن أنت؟ قال : أنا ابنك البارّ عمّار ؛ قالت : لستُ لك بأمّ ؛ قال : بلى ، وإن كرهْتِ . قالت : فخرتم أن ظفرتم ، وأتيتم مثل ما نقَمتم ، هيهات ! والله لن يظفر مَن كان هذا دأبَه ! وأبرزوها بهَوْدجها من القتلى ، ووَضعوها ليس قربها أحد ، وكأنّ هودجَها فرخ مقصَّب مما فيه من النَّبل ، وجاء أعين بن ضُبيعة المجاشعيّ حتى اطّلع في الهَوْدج ، فقالت : إليكَ لعنك الله! فقال : والله ما أرى إلاّ حُمَيْراء ؛ قالت : هتَك الله سترَك ، وقطع يَدَك ، وأبدى عورَتك! فقُتل بالبصرة وسُلب ، وقطعتْ يده ، ورُمي به عرياناً في خَرِبة من خَرِبات الأزْد ، فانتهى إليها

---

(١) لم نجد لأبي فقيم ترجمة وليس من شيوخ عبد الأعلىٰ من اسمه أبو فقيم ولا في تلاميذ فطر والله أعلم .

(٢) إسناده ضعيف .

(٣) إسناده ضعيف .

عليّ ، فقال: أيْ أمّه ! يغفر الله لنا ولكم؛ قالت: غفر الله لنا ولكم[١]. (٤: ٥٣٣/ ٥٣٤).

١٠٣٥ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الصعب بن حكيم بن شريك ، عن أبيه ، عن جده ، قال: انتهى محمد بن أبي بكر ومعه عمّار ، فقطع الأنساع عن الهودج ، واحتملاه ، فلما وضعاه ، أدخل محمد يده وقال: أخوك محمد ، فقالت: مذمّم ، قال: يا أخيَّة ! هل أصابَكِ شيء؟ قالت: ما أنت من ذاك؟ قال: فمَن إذاً! الضُّلّال؟ قالت: بل الهُداة ، وانتهى إليها عليّ ، فقال: كيف أنتِ يا أمّه؟! قالت: بخير ، قال: يغفر الله لكِ. قالت: ولكَ[٢]. (٤: ٥٣٤).

١٠٣٦ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، قالا: ولما كان من آخر الليل خرج محمد بعائشة حتى أدخلها البصرة ، فأنزلها في دارِ عبد الله بن خلف الخُزاعيِّ على صفيَّة بنة الحارث بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدّار ، وهي أمّ طلحة الطَّلَحات بن عبد الله بن خَلَف.

وكانت الوقعة يومَ الخميس لعشرٍ خلوْن من جُمادى الآخرة سنة ستّ وثلاثين ، في قول الواقديّ[٣]. (٤: ٥٣٤).

مقتل الزبير بن العوّام رضي الله عنه

١٠٣٧ - كتب إليَّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن عبد الله ، عن أبيه ، قال: لما انهزم الناس يومَ الجمل عن طلحة ، والزّبير ، ومضى الزّبير رضي الله عنه حتى مرّ بعسكر الأحنف ، فلما رآه ، وأخبِر به قال: والله ما هذا بخيار ، وقال للناس: مَن يأتينا بخبره؟ فقال عمرو بن جُرموز لأصحابه: أنا ، فأتبعه ، فلما لحقه نظر إليه الزبير - وكان شديدَ الغضب - قال: ما وراءك؟ قال:

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف.

إنما أردتُ أن أسألك؛ فقال غلام للزّبير يُدعَى عطية كان معه: إنه مُعِدٌّ، ما يَهولك من رجل! وحضرت الصّلاة، فقال ابن جُرموز: الصلاة؛ فقال الزبير: الصلاة، فنزلا، واستدبره ابن جُرموز فطعنه من خلفه في جُرُبّان درعه، فقتله، وأخذ فرسَه وخاتمَه وسلاحه، وخلّى عن الغلام، فدفنه بوادي السباع؛ ورجع إلى الناس بالخبر. فأما الأحنف؛ فقال: والله ما أدري أحسنت أم أسأت! ثمّ انحدر إلى عليّ وابن جُرموز معه، فدخل عليه، فأخبره، فدعا بالسيف، فقال: سيف طالمَا جلّى الكُرَب عن وجه رسولِ الله ﷺ! وبعث بذلك إلى عائشة، ثم أقبل على الأحنف فقال: تربّصتَ؛ فقال: ما كنتُ أراني إلاّ قد أحسنتُ، وبأمرك كان ما كان يا أميرَ المؤمنين! فارفُق؛ فإنّ طريقك الذي سلكتَ بعيد، وأنت إليّ غداً أحوَج منك أمسِ، فاعرف إحساني، واستصفِ مودّتي لغَدٍ، ولا تقولَنَّ مثلَ هذا، فإني لم أزل لك ناصحاً[1]. (٤: ٥٣٤/ ٥٣٥).

من انهزم يوم الجمل فاختفى ومضى في البلاد

١٠٣٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، قالا: ومضى الزبير في صدر يوم الهزيمة راجلاً نحو المدينة، فقتله ابن جُرموز، قالا: وخرج عُتْبة بن أبي سُفيان، وعبدُ الرحمن، ويحيى ابنا الحكم يوم الهزيمة، قد شُجّجوا في البلاد، فلقوا عصمة بن أبَير التيمّي، فقال: هل لكم في الجوار؟ قالوا: مَن أنت؟ قال: عصمة بن أبَير. قالوا: نعم، قال: فأنتم في جواري إلى الحَوْل؛ فمضى بهم، ثم حَماهم وأقام عليهم حتى بَرَؤوا، ثم قال: اختاروا أحبَّ بلد إليكم أبْلِغكُموه، قالوا: الشأم، فخرج بهم في أربعمئة راكب من تَيْم الرِّباب، حتى إذا وغلوا، في بلاد كلب بدُومة قالوا: قد وفيتَ ذمّتك وذِمَمَهم، وقضيتَ الذي عليك فارجع، فرجع، وفي ذلك يقول الشاعر:

وَفى ابنُ أبَيْرٍ والرِّماح شوارعٌ ... بِآل أَبي العاصي وفاءً مُذَكَّرَا

وأما ابن عامر؛ فإنه خرج أيضاً مشجّجاً، فتلقاه رجل من بني حُرْقوص يُدعَى

(١) إسناده ضعيف وفيه نكارة، وما كان قيس ليقول هذا الكلام وقد ثبت عنه أنه قال: والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين وحواري رسول الله ﷺ(٤/ ٤٩٨).
وأما قتل عمرو بن جرموز للزبير فصحيح.

مُرَيّاً ، فدعاه للجِوار ، فقال: نعم ، فأجاره ، وأقام عليه ، وقال: أيّ البلدان أحبّ إليك؟ قال: دمَشق ، فخرج به في رَكب من بني حُرْقوص حتى بلغوا به دمشق ، وقال حارثةُ بن بدر ـ وكان مع عائشة ، وأصيب في الوقعة ابنه ، أو أخوه زراع:

أتـانـي مـن الأنبـاءِ أنَّ ابْـنَ عـامِـرٍ أنـاخَ وألْقـى فـي دِمَشْـقَ المَـراسيَـا

وأوَى مَرْوان بن الحَكم إلى أهل بيت من عنَزة يومَ الهزيمة ، فقال لهم: أعلِموا مالكَ بنَ مِسمع بمكاني ، فأتَوْا مالكاً ، فأخبروه بمكانه ، فقال لأخيه مقاتل: كيف نصنع بهذا الرجل الذي قد بعث إلينا يُعلِمنا بمكانه؟ قال: ابعث ابن أخي فأجِرْه ، والتمسوا له الأمان من عليّ ، فإن آمَنه؛ فذاك الذي نحبّ ، وإن لم يؤمنه؛ خرجْنا به وبأسيافنا ، فإن عرض له؛ جالَدْنا دونَه بأسيافنا ، فإمّا أن نسلم ، وإمّا أن نَهلك كراماً ، وقد استشار غيره من أهله من قَبْل في الذي استشار فيه مقاتلاً ، فنهاه ، فأخذ برأي أخيه ، وترك رأيهم ، فأرسل إليه ، فأنزله داره ، وعزم على منعه إن اضطر إلى ذلك ، وقال: الموت دون الجوار وفاءٌ ، وحفظ لهم بنو مَروان ذلك بعد ، وانتفعوا به عندهم ، وشرّفوهم بذلك ، وأوى عبد الله بن الزبير إلى دار رجل من الأزْد يُدعَى وزيراً ، وقال: ائتِ أمَّ المؤمنين ، فأعلِمْها بمكاني ، وإيّاك أن يطّلع على هذا محمد بن أبي بكر ، فأتَى عائشةَ رضي الله عنها ، فأخبَرَها ، فقالت: عليَّ بمحمد ، فقال: يا أمّ المؤمنين ! إنه قد نهاني أن يعلم به محمد ، فأرسلت إليه فقالت: اذهب مع هذا الرجل حتى تجيئَني بابن أختك؛ فانطَلَق معه فدخل بالأزديّ على ابن الزبير ، قال: جئتك والله بما كرهتَ ، وأبتْ أمّ المؤمنين إلاّ ذلك ، فخرج عبدُ الله ، ومحمد وهما يتشاتمان ، فذكر محمد عثمان ، فشَتمَه ، وشتم عبد الله محمداً حتى انتهى إلى عائشة في دار عبد الله بن خلف ـ وكان عبد الله بن خلف قبل يوم الجمل مع عائشة ، وقُتل عثمانُ أخوه مع عليّ ـ وأرسلت عائشةُ في طلب من كان جريحاً فضمّت منهم نـاسـاً ، وضمّـت مـرْوان فيمـن ضَمّـت ، فكـانـوا فـي بيـوت الـدار[1]. (٤: ٥٣٥/ ٥٣٦/ ٥٣٧).

١٠٣٩ ـ كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ،

---

(١) إسناده ضعيف.

قالا: وغشيَ الوجوهُ عائشة؛ وعليٌّ في عسكره، ودخل القعقاع بن عمرو على عائشة في أوّل من دخل، فسلّم عليها، فقالت: إني رأيت رجلين بالأمس اجتَلَدَا بين يديّ وارتَجزَا بكذا، فهل تَعرف كُوفيَّك منهما؟ قال: نعم، ذاك الذي قال: «أعقُّ أمٍّ نعلم»، وكذَب والله، إنكِ لأبرّ أمّ نَعلَمُ، ولكن لم تطاعي، فقالت: والله لوددت أني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة، وخرج فأتى عليّاً فأخبره أنّ عائشة سألته، فقال: وَيْحك! منَ الرجلان؟ قال: ذلك أبو هالة الذي يقول:

كيمـــا أرى صـــاحبـــه عليـــاً

فقال: والله لوددتُ أني متّ قبلَ هذا اليومِ بعشرين سنة، فكان قولُهما واحداً[1]. (٤: ٥٣٧).

١٠٤٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، قالا: وتسلّل الجرحى في جوف الليل، ودخلَ البَصْرة مَن كان يطيق الانبعاث منهم، وسألتْ عائشةُ يومئذ عن عِدّة من الناس، منهم من كان معها، ومنهم من كان عليها، وقد غشيَها الناس، وهي في دار عبد الله بن خلَف، فكلما نُعيَ لها منهم واحد، قالت: يرحمُه الله! فقال لها رجل من أصحابها: كيف ذلك؟ قالت: كذلك قال رسولُ الله ﷺ: فلانٌ في الجنة، وفلانٌ في الجنة. وقال عليّ بن أبي طالب يومئذ: إني لأرجو ألاّ يكون أحد من هؤلاء نَقَّى قلبَه إلاّ أدخله الله الجنّة[2]. (٤: ٥٣٧).

١٠٤١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن أبي أيّوب، عن عليّ، قال: ما نُزِّل على النبيّ ﷺ آية أفرَح له من قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾، فقال ﷺ: «ما أصاب المسلمَ في الدّنيا من مصيبةٍ في نفسه فبذَنْب، وما يعفو الله عزّ وجلّ عنه أكثر، وما أصابه في الدّنيا فهو كفّارة له، وعفوٌ منه لا يُعتدّ عليه فيه عقوبة

---

(١) إسناده ضعيف، ولكن قول علي: لوددت لو أني مت قبل عشرين سنة، صحيح (السنة لأحمد بن حنبل ٢/ ٥٨٩). وكذلك ندمت عائشة رضي الله عنها.

(٢) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة، فالصحيح عن علي رضي الله عنه أنه أمر أصحابه ألا يجهزوا علىٰ جريح فلماذا يتسللون ليلاً؟

يوم القيامة ، وما عفا الله عزّ وجلّ عنه في الدنيا؛ فقد عفا عنه ، واللهُ أعظم من أن يعودَ في عفوه»[١]. (٤ : ٥٣٧/ ٥٣٨).

توجّع عليّ على قتلى الجمل ودفنُهم وجمعه ما كان في العسكر والبعثُ به إلى البصرة

١٠٤٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، قالا : وأقام عليّ بن أبي طالب في عسكره ثلاثةَ أيام لا يدخل البصرة ، ونُدب الناس إلى موتاهم ، فخرجوا إليهم فدفنوهم ، فطاف عليٌّ معهم في القتْلى ، فلما أتِيَ بكَعْب بن سُور قال: زعمتم أنما خرج معهم السفهاء ، وهذا الحَبْر قد تروْن ، وأتى علَى عبد الرحمن بن عتّاب ، فقال: هذا يَعْسوب القوم ـ يقول الذي كانوا يُطيفون به ـ يعني: أنهم قد كانوا اجتمعوا عليه ، ورضُوا به لصلاتهم ، وجعل عليّ كلما مرّ برجل فيه خير قال: زعمَ مَن زعم أنه لم يخرج إلينا إلاّ الغوغاء ، هذا العابد المجتهد ، وصلّى على قتلاهم من أهل البصرة ، وعلى قتلاهم من أهل الكوفة؛ وصلى على قريش من هؤلاء وهؤلاء ، فكانوا مدَنيين ومَكّيِّين ، ودَفن عليٌّ الأطرافَ في قبر عظيم ، وجمع ما كان في العسكر من شيء ، ثم بعث به إلى مسجد البصرة؛ أنْ من عرف شيئاً فليأخذه ، إلاّ سلاحاً كان في الخزائن عليه سِمَة السلطان ، فإنه لمّا بقي لم يعرف ، خذُوا ما أجلَبوا به عليكم من مال الله عزّ وجلّ ، لا يحلّ لمسلم من مال المسلم المتوفَّى شيء ، وإنما كان ذلك السلاح في أيديهم من غير تنفيل من السلطان[٢]. (٤ : ٥٣٨/ ٥٣٩).

عدد قتلَى الجمل

١٠٤٣ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : كان قتلَى الجمل حول الجمل عشرة آلاف؛ نصفهُم من أصحاب عليّ ، ونصفهم من أصحاب عائشة؛ من الأزد ألفان ، ومن سائر اليمن خمسمئة ، ومن

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة ، ولم تصح برواية صحيحة أن علياً قال هذا الكلام والله أعلم.

مضرَ ألفان ، وخمسمئة من قيس ، وخمسمئة من تميم ، وألف من بني ضبّة ، وخمسمئة من بكر بن وائل. وقيل: قتِل من أهل البصرة في المعركة الأولى خمسة آلاف ، وقتل من أهل البصرة في المعركة الثانية خمسة آلاف ، فذلك عشرة آلاف قتيل من أهل البصرة ، ومن أهل الكوفة خمسة آلاف. قالا: وقُتل من بني عديّ يومئذ سبعون شيخاً ، كلهم قد قرأ القرآن ، سوى الشّباب ومن لم يَقرأ القرآن.

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما زلتُ أرجو النصرَ حتى خفيتْ أصواتُ بني عديّ[1]. (٤ : ٥٣٩).

دخول عليّ على عائشة وما أمر به من العقوبة فيمن تناولها

١٠٤٤ ـ كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا: ودخل عليّ البصرة يومَ الإثنين ، فانتهى إلى المسجد ، فصلى فيه ، ثم دخل البصرة ، فأتاه الناس ، ثم راح إلى عائشة على بغلته ، فلما انتهى إلى دار عبد الله بن خلف ـ وهي أعظم دار بالبصرة ـ وجد النِّساءَ يبكين على عبد الله ، وعثمان ابني خَلَف مع عائشة ، وصفيّةُ ابنة الحارث مختمِرة تبكي ، فلما رأته قالت: يا عليّ ! يا قاتلَ الأحبّة ! يا مفرّق الجمع ! أيتمَ اللهُ بَنيك منك كما أيتمتَ ولدَ عبد الله منه! فلم يردّ عليها شيئاً ، ولم يزل على حاله حتى دخل على عائشة ، فسلَّم عليها ، وقعدَ عندها ، وقال لها: جَبَهَتْنَا صفيّة ، أما إني لم أرها منذ كانت جاريةً حتى اليوم ، فلما خرج عليّ ؛ أقبلت عليه ، فأعادت عليه الكلام ، فكفّ بغلته وقال: أمَا لهمَمْتُ ـ وأشار إلى الأبواب من الدار ـ أن افتح هذا الباب وأقتلَ من فيه ، ثم هذا فأقتل مَن فيه ، ثم هذا فأقتل من فيه ـ وكان أناس من الجرحَى قد لجؤوا إلى عائشة ، فأخبِر عليٌّ بمكانهم عندها ، فتغافل عنهم ـ فسكتت. فخرج عليٌّ ، فقال رجل من الأزد: واللهِ لا تُفلتنَا هذه المرأة. فغضب وقال: صَه! لا تَهْتِكُنّ ستراً ، ولا تدخُلنّ داراً ، ولا تُهيِّجُنّ امرأةً بأذًى ، وإن شَتَمن أعراضَكم ، وسفَّهن أمراءَكم ، وصُلَحاءكم ، فإنهنّ ضعاف؛ ولقد كنا نؤمر بالكفّ عنهنّ ، وإنهنّ لمشركات ، وإن الرجل ليكافىء المرأة ، ويتناولها

(١) إسناده ضعيف.

بالضّرب ، فيُعيَّر بها عَقِبه من بعده ، فلا يبلغنّي عن أحد عرض لامرأة فأنكّل به شرار الناس ! ومضى عليّ ، فلَحِق به رجل ، فقال: يا أميرَ المؤمنين ! قام رجلان ممن لقيتُ على الباب ، فتناولا مَنْ هو أمضُّ لك شتيمة من صفيّة. قال: ويحك! لعلها عائشة. قال: نعم ، قام رجلان منهم على باب الدار فقال أحدهما:

جُـــزيـــتِ عنّـــا أمَّنـــا عُقـــوقـــا

وقال الآخر:

يـــا أمَّنـــا تُـــوبـــي فقـــد خَطِيـــتِ

فبعث القعقاعَ بن عمرو إلى الباب ، فأقبل بمن كان عليه ، فأحالوا على رجلين ، فقال: أضربُ أعناقهما ، ثم قال: لأنهَكنّهما عقوبة ، فضرَبهما مئةً مئة ، وأخرجَهما من ثيابهما[١]. (٤ : ٥٣٩/ ٥٤٠).

١٠٤٥ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الحارث بن حَصِيرة ، عن أبي الكنود ، قال: هما رجلان من أزْد الكوفة يقال لهما: عِجْل ، وسعد ابنا عبد الله[٢]. (٤ : ٥٤٠).

بيعة أهل البصرة عليّاً وقسمُه مافي بيت المال عليهم

١٠٤٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، قالا: بايع الأحنف من العشيّ لأنه كان خارجاً هو وبنو سَعد ، ثم دخلوا جميعاً البصرة ، فبايع أهل البصرة على راياتهم ، وبايع عليّ أهل البصرة حتى الجرحى والمستأمِنة ، فلما رجع مروان لحق بمعاوية ، وقال قائلون: لم يبرح المدينة حتى فُرغ من صفين.

قالا: ولما فرغ عليّ من بيعة أهل البصرة؛ نظر في بيت المال فإذا فيه ستمئة ألف وزيادة ، فقسمها على من شهد معه الوقعة ، فأصاب كلّ رجل منهم خمسمئة خمسمئة ، وقال: لكن إن أظفركم الله عزّ وجلّ بالشأم؛ مِثلُها إلى أعطياتكم.

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة شديدة ، والثبت الصحيح أن علياً أمر أصحابه بعدم ملاحقة الهارب أو إيذاء الجرحىٰ كما ذكرنا في الصحيح والله أعلم.

(٢) إسناده ضعيف.

وخاض في ذلك السبَئِيّة ، وطعَنوا على عليّ من وراء وراء[١] . (٤ : ٥٤١) .

سيرة عليّ فيمن قاتل يوم الجمل

١٠٤٧ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن راشد ، عن أبيه ، قال : كان من سيرة عليّ ألاّ يَقتل مدبراً ولا يذفِّف على جريح ، ولا يكشف سِتراً ، ولا يأخذ مالاً ؛ فقال قوم يومئذ : ما يُحلّ لنا دماءهم ، ويُحرّم علينا أموالهم؟ فقال عليّ : القومُ أمثالكم ، من صفح عنّا فهو منّا ، ونحن منه ، ومن لجَّ حتى يصاب ؛ فقتاله منّي على الصّدر والنّحر ، وإنّ لكم في خُمْسِه لغنىً ، فيومئذ تكلّمت الخوارج[٢] . (٤ : ٥٤١) .

بعثة الأشتر إلى عائشة بجمل اشتراه لها وخروجهما من البصرة إلى مكة

١٠٤٨ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، قالا : قصدتْ عائشة مكة فكان وجهها من البصرة ، وانصرف مروان ، والأسوَد بن أبي البَخْتَريّ إلى المدينة من الطريق ، وأقامت عائشة بمكّة إلى الحجّ ، ثم رجعت إلى المدينة[٣] . (٤ : ٥٤٢) .

ما كتب به عليّ بن أبي طالب من الفتح إلى عامله بالكوفة

١٠٤٩ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، قالا : وكتب عليّ بالفتح إلى عامله بالكوفة حين كتب في أمرها وهو يومئذ بمكة : من عبد الله عليّ أمير المؤمنين ، أمّا بعد : فإنا التقينا في النصف من جمادى الآخرة بالخُريبة - فِناءٌ من أفنية البصرة - فأعطاهم الله عزّ وجلّ سُنّة المسلمين ، وقُتل منّا ومنهم قتلَى كثيرة ، وأصيب ممّن أصيب منا ثُمامَة بن المثنّى ، وهند بن عمرو ، وعِلباء بن الهيثم ، وسَيْحَان ، وزيد ابنا صُوحان ، ومحدوج . وكتب

---

(١) إسناده ضعيف ، وأما بيعة الأحنف فقد سبق وأن بايع في المدينة كما ذكرنا في قسم الصحيح .

(٢) إسناده ضعيف ، والشطر الأول منه صحيح كما ذكرنا في الصحيح .

(٣) إسناده ضعيف .

عبيد الله بن رافع. وكان الرسول زُفَر بن قيس إلى الكوفة بالبشارة في جمادَى الآخرة[١]. (٤ : ٥٤٢).

أخذ عليّ البيعة على الناس وخبر زياد بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن أبي بَكْرة

١٠٥٠ ـ وكان في البيعة: عليك عهدُ الله وميثاقُه بالوَفاء لتكونَنّ لسِلْمِنا سِلْماً، ولحربنا حرباً، ولتكفّنّ عنّا لسانك ويدَك، وكان زياد بن أبي سفيان ممن اعتزل، ولم يشهد المعركة، قعد، وكان في بيت نافع بن الحارث، وجاء عبد الرحمن بن أبي بَكْرة في المستأمنين مسلّماً بعدما فرغ عليّ من البيعة، فقال له عليٌّ: وعمُّك المتربّص المقاعد بي! فقال: والله يا أمير المؤمنين! إنه لك لَوَادّ، وإنه على مسرّتك لحريص، ولكنه بلغني أنه يشتكي، فأعلم لك علمَه ثم آتيك. وكتم عليّاً مكانه حتى استأمره، فأمره أن يُعلمه فأعلمه، فقال عليّ: امشِ أمامي فاهدني إليه، ففعل؛ فلما دخل عليه قال: تقاعدتَ عنّي، وتربّصْت ـ ووضع يده على صدره، وقال: هذا وجع بيّن ـ فاعتذر إليه زياد، فقبل عذره واستشاره. وأراده عليٌّ على البصرة، فقال: رجل من أهل بيتك يسكن إليه الناس؛ فإنه أجدر أن يطمئنّوا أو ينقادوا، وسأكفيكه وأشيرُ عليه. فافترقا على ابن عباس، ورجع عليٌّ إلى منزله[٢]. (٤ : ٥٤٣).

تأمير ابن عبَّاس على البصرة وتولية زياد الخراج

١٠٥١ ـ وأمَّر ابنَ عبّاس على البصرة، وولّى زياداً الخراج وبيت المال، وأمر ابن عباس أن يسمع منه، فكان ابن عباس يقول: استشرته عند هَنَة كانت من الناس، فقال: إن كنتَ تعلم أنك على الحقّ، وأنّ مَنْ خالفك على الباطل، أشرتُ عليك بما ينبغي، وإن كنتَ لا تدري، أشرتُ عليك بما ينبغي كذلك،

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة، الصحيح أن علياً رضي الله عنه قال بعد المعركة: يا حسن ليت أباك مات من عشرين سنة (كتاب السنة ٢/ ٥٨٩) وابن أبي شيبة (١٥/ ٢٨٢)، وجوّد الهيثمي إسناده (مجمع الزوائد ٩/ ١٥٠).

(٢) إسناده ضعيف.

فقلت: إنّي على الحقّ، وإنهم على الباطل، فقال: اضرب بمن أطاعك مَنْ عصاك ومن ترك أمرَك، فإن كان أعزّ للإسلام وأصلح له أن يُضرب عنُقه فاضرب عنقه، فاستكتبتهُ، فلما ولّي رأيتُ ما صنع، وعلمتُ أنه قد اجتهد لي رأيه، وأعجلت السَّبَئيّةُ عليّاً عن المقام، وارتحلوا بغير إذنه، فارتحل في آثارهم ليقطع عليهم أمراً إن كانوا أرادوه، وقد كان له فيها مقام[١]. (٤: ٥٤٣/ ٥٤٤).

١٠٥٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: علم أهلُ المدينة بيوم الجمل يومَ الخميس قبل أن تغرب الشمس من نَسْر مرَّ بما حول المدينة، معه شيء متعلّقه، فتأمّله الناس فوقع، فإذا كفٌّ فيها خاتم، نقشه «عبد الرحمن بن عتّاب»، وجفل مَن بين مكة والمدينة من أهل البصرة، مَنْ قرُب من البصرة أو بعُد، وقد علموا بالوقعة مما ينقل إليهم النُّسور من الأيدي والأقدام[٢]. (٤: ٥٤٤).

تجهيز عليّ عليه السلام عائشةَ رضي الله عنها من البصرة

١٠٥٣ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، قالا: وجهّز عليّ عائشة بكلّ شيء ينبغي لها من مركَب، أو زاد، أو متاع، وأخرج معها كلَّ من نجا ممّن خرج معها إلاّ من أحبّ المقام، واختار لها أربعين امرأةً من نساء أهل البصرة المعروفات، وقال: تجهّز يا محمّد! فبلِّغها. فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه؛ جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجتْ على الناس، وودّعوها، وودّعتهم، وقالت: يا بَنيّ! تَعتَّب بعضُنا على بعض استبطاءً واستزادة، فلا يعتدّنّ أحدٌ منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك؛ إنه والله ما كان بيني وبين عليّ في القديم إلاّ ما يكون بين المرأة وأحمائهَا؛ وإنه عندي على معتبتي من الأخيار. وقال عليٌّ: يا أيها الناس! صدقتْ والله وبَرّت، ما كان بيني وبينها إلاّ ذلك، وإنها لزوجة نبيّكم ﷺ في الدنيا والآخرة.

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة.

وخرجت يوم السبت لغرّة رجب سنة ست وثلاثين ، وشيَّعها عليٌّ أميالاً ، وسرّح بنيه معها يوماً[١]. (٤ : ٥٤٤).

ما رُوي من كثرة القتلى يوم الجمل

١٠٥٤ ـ حدّثني عمر بن شبّة ، قال: حدّثنا أبو الحسن ، قال: حدّثنا محمد بن الفضل بن عطيّة الخُراسانيّ عن سعيد القُطَعِيّ ، قال: كنّا نتحدّث: أنّ قتلى الجمل يزيدون على ستّة آلاف[٢]. (٤ : ٥٤٥).

١٠٥٥ ـ حدّثني عبد الله بن أحمد بن شبّوَيْه ، قال: حدّثني أبي ، قال: حدّثنا سليمان بن صالح ، قال: حدثني عبد الله عن جرير بن حازم ، قال: حدّثني الزبير بن الخِرّيت عن أبي لبيد لمازة بن زياد ، قال: قلت له: لمَ تسبّ عليّاً؟ قال: ألا أسبّ رجلاً قتل منا ألفين وخمسمئة ، والشمس هاهنا! قال جرير بن حازم: وسمعتُ ابن أبي يعقوب يقول: قَتَل عليّ بن أبي طالب يومَ الجمل ألفين وخمسمئة ، ألف وثلاثمئة وخمسون من الأزْد وثمانمئة من بني ضبّة ، وثلاثمئة وخمسون من سائر الناس[٣]. (٤ : ٥٤٥).

١٠٥٦ ـ وحدّثني أبي عن سليمان ، عن عبد الله ، عن جَرِير ، قال: قُتِل المعرِّض بن عِلاط يوم الجمل ، فقال أخوه الحجّاج:

لـم أر يَـوْمـاً كـان أكثـرَ سـاعِيـاً بِكـفّ شِمـالٍ فـارقتْهـا يمينُهـا

قال معاذ: وحدّثني عبد الله ، قال: قال جرير: قتل المعرِّض بن عِلاط يوم الجمل ، فقال أخوه الحجّاج:

لـم أرَ يـومـاً كـان أكْثـرَ سـاعِيـاً بِكـفّ شِمـالٍ فـارَقَتْهـا يَمينُهـا[٤]

(٤ : ٥٤٥).

---

(١) إسناده ضعيف ، ولكن المعنىٰ صحيح وسنتطرق إلىٰ إكرام علي لعائشة وإرجاعها إلىٰ المدينة بعد قليل.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف.

(٤) إسناده ضعيف.

آخر حديث الجمل بعثة عليّ بن أبي طالب قيس بن سعد بن عبادة أميراً على مصر

وفي هذه السنة ـ أعني: سنة ستّ وثلاثين ، قُتِل محمد بن أبي حذيفة ، وكان سبب قتله أنه لما خرج المصريون إلى عثمان مع محمد بن أبي بكر ، أقام بمصر ، وأخرج عنها عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ، وضبطها ، فلم يزل بها مقيماً حتى قتل عثمان رضي الله عنه ، وبويع لعليّ ، وأظهر معاوية الخلاف ، وبايعه على ذلك عمرو بن العاص ، فسار معاوية ، وعمرو إلى محمد بن أبي حُذيفة قبل قدوم قيس بن سعد مصر ، فعالجا دخولَ مصر ، فلم يقدرا على ذلك ، فلم يزالا يخدعان محمد بن أبي حذيفة حتى خرج إلى عَرِيش مصر في ألف رجل ، فتحصّن بها ، وجاءه عمرو فنصب المنجنيق عليه حتى نزل في ثلاثين من أصحابه وأُخِذوا وقُتلوا رحمهم الله.

١٠٥٧ ـ وأما هشام بن محمد فإنه ذكر: أن أبا مِخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مِخنف بن سُليم حدّثه عن محمد بن يوسف الأنصاريّ من بني الحارث بن الخزرج ، عن عبّاس بن سهل الساعديّ: أنّ محمد بن أبي حُذَيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف هو الذي كان سَرّب المصريّين إلى عثمان بن عفان ، وإنهم لما ساروا إلى عثمان فحصروه وثب هو بمصر علىِ عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح أحد بني عامر بن لؤيّ القرشيّ ، وهو عامل عثمان يومئذ على مصر ، فطرده منها ، وصلى بالناس ، فخرج عبد الله بن سعد من مصر فنزل على تُخوم أرضِ مصر مما يلي فِلَسطين ، فانتظر ما يكون من أمر عثمان ، فطلع راكبٌ فقال: يا عبد الله ! ما وراءك؟ خبِّرنا بخبر الناس خلفك؛ قال: أفعل ، قتل المسلمون عثمانَ رضي الله عنه ، فقال عبد الله بن سعد: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ ، يا عبد الله ! ثم صنعوا ماذا؟ قال: ثم بايعوا ابنَ عمّ رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب ، قال عبد الله بن سعد: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ ، قال له الرجل: كأنّ ولاية عليّ بن أبي طالب عدلتْ عندك قتلَ عثمان! قال: أجل. قال: فنظر إليه الرّجل ، فتأمّله فعرفه وقال: كأنّك عبد الله بن أبي سرْح أمير مصر! قال: أجلْ؛ قال له الرجل: فإن كان لك في نفسك حاجة فالنَّجاء النّجاء ، فإنّ رأيَ أمير المؤمنين فيك وفي أصحابك سَيِّىء ، إن ظفر بكم قتلَكم أو نفاكم عن

بلاد المسلمين ، وهذا بعدي أمير يقدم عليك . قال له عبد الله : ومن هذا الأمير؟ قال : قيس بن سعد بن عُبادة الأنصاريّ؛ قال عبد الله بن سعد : أبْعَد الله محمدَ بن أبي حذيفة! فإنه بغى على ابن عمِّه ، وسعى عليه ، وقد كان كفله وربّاه وأحسن إليه ، فأساء جوارَه ، ووثب على عمّاله ، وجهز الرجال إليه حتى قتل ، ثم ولى عليه من هو أبعد منه ومن عثمان ، لم يمتِّعه بسلطان بلاده حولاً ولا شهراً ، ولم يره لذلك أهلاً ، فقال له الرجل : انجُ بنفسك ، لا تُقتَل ، فخرج عبد الله بن سعد هارباً حتى قدم على معاوية بن أبي سُفيان دِمشق .

قال أبو جعفر : فخبرُ هشامٍ هذا يدلّ على أن قيس بن سعد ولي مصر؛ ومحمد بن أبي حذيفة حيّ[1] . (٤ : ٥٤٦/ ٥٤٧).

١٠٥٨ ـ وفي هذه السنة بعث عليّ بن أبي طالب على مصر قيس بن سعد بن عبادة الأنصاريّ ، فكان من أمره ما ذكر هاشم بن محمد الكَلبيّ ، قال : حدّثني أبو مِخنف عن محمد بن يوسف بن ثابت ، عن سهل بن سعد ، قال : لما قُتِل عثمان رضي الله عنه ، وولي عليّ بن أبي طالب الأمر؛ دعا قيس بن سعد الأنصاريّ ، فقال له : سر إلى مصرَ فقد وليتُكَها ، واخرج إلى رحلك ، واجمع إليك ثقاتك ومَن أحببت أن يصحبك حتى تأتيَها ومعك جند ، فإن ذلك أرعب لعدوّك ، وأعزّ لوليّك ، فإذا أنت قدِمتهَا إن شاء الله فأحسِن إلى المحسن ، واشتدّ على المريب ، وارفُق بالعامة والخاصّة ، فإنّ الرفق يُمن .

---

(١) إسناده تالف وفيه نكارة ،وقال يحيىٰ : لم أجد أحداً من المؤمنين وافق أبا مخنف فيما ذهب إليه سوىٰ ما ذكره عن محمد بن أبي حذيفة عن تأليبه للناس وتخريبهم علىٰ عثمان رضي الله عنه فهذا يكاد يكون محل إجماع بينهم (مرويات أبي مخنف/ ١٩٧).
قلنا : ولكن هذا التأليب والتخريب من قبل محمد بن أبي حذيفة لم يرد بسند صحيح والله أعلم .
ولم نجد أحداً من الصحابة ساوىٰ بين مقتل عثمان والبيعة لعلي وكذلك فيه طعن في عدالة علي وسلوك سيدنا علي في وقعة الجمل وغيرها ، وخير دليل علىٰ تكذيب ما ورد هنا (إن ظفر بكم قتلكم أو نفاكم) وقد شهد الكذب هذا الكلام ما قد ذكرنا في وقعة الجمل قول مروان بن الحكم لمحمد بن الحسين : ،ما رأيت أحداً أكرم غلبة من أبيك ـ يعني علياً ـ ما هو إلا أن ولينا يوم الجمل فنادىٰ مناديه لا يقتل مدبر ولا يذفف جريح (الأم ٤/ ٢١٦).
أضف إلى ذلك فإن عبد الله بن سرح ذهب إلى عسقلان معتزلاً الفتنة والله أعلم (المعرفة والتأريخ ١/ ٢٥٤). و(التاريخ الكبير ٥/ ٢٩).

فقال له قيس بن سعد: رحمك الله يا أميرَ المؤمنين! فقد فهمتُ ما قلتَ ، أمّا قولك: اخرج إليها بجند ، فوالله لئن لم أدخلها إلاّ بجند آتيها به من المدينة لا أدخلها أبداً ، فأنا أدَعُ ذلك الجند لك ، فإن أنت احتجت إليهم كانوا منك قريباً ، وإن أردت أن تبعثهم إلى وجه من وجوهك كانوا عُدّة لك ، وأنا أصير إليها بنفسي وأهل بيتي ، وأمّا ما أوصيتَني به من الرفق والإحسان ، فإنّ الله عزّ وجلّ هو المستعان على ذلك.

قال: فخرج قيس بن سعد في سبعة نفر من أصحابه حتى دخل مصر ، فصعد المنبر ، فجلس عليه ، وأمرَ بكتابٍ معه من أمير المؤمنين فقرىء على أهل مصر:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى مَن بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين ، سلامٌ عليكم ، فإنّي أحمدَ إليكم اللهَ الذي لا إله إلا هو ، أمّا بعد ، فإنّ الله عزّ وجلّ بحسن صنعه ، وتقديره ، وتدبيره اختار الإسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسله ، وبعث به الرّسل عليهم السلام إلى عباده ، وخصّ به مَن انتخب من خلقه ، فكان مما أكرم الله عزّ وجلّ به هذه الأمّة ، وخصّهم به من الفضيلة أن بعث إليهم محمداً ﷺ ، فعلَّمهم الكتاب ، والحكمة ، والفرائضَ ، والسنّة ، لكيما يهتدوا ، وجمعهم لكيما لا يتفرّقوا ، وزكّاهم لكيما يتطهّروا ، ورفّهَهُمْ لكيما لا يجوروا ، فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه الله عزّ وجلّ صلوات الله عليه ورحمته وبركاته. ثم إنَّ المسلمين استخلفوا به أميريْن صالحين ، عَمِلاَ بالكتاب والسنّة ، وأحسَنَا السيرة ، ولم يَعدُوَا السنّة ، ثم توفّاهما الله عزّ وجلّ ، رضي الله عنهما. ثم وليَ بعدهما والٍ فأحدث أحداثاً ، فوجدت الأمة عليه مقالاً فقالوا ، ثم نقَموا عليه فغَيّروا ، ثم جاؤوني فبايعوني ، فأستهدِي الله عزّ وجلّ بالهُدى ، وأستعينه على التقوى ، ألاَ وإن لكم علينا العمل بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، والقيام عليكم بحقه والتنفيذ لسنّته ، والنّصح لكم بالغيب ، والله المستعان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وقد بعثت إليكم قيسَ بن سعد بن عبادة أميراً ، فوازِروه وكانِفوه ، وأعينوه على الحقّ ، وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم ، والشدّة على مُريبكم ، والرّفق بعوامِّكم وخواصّكم ، وهو ممّن

أرضَى هديَه ، وأرجو صلاحَه ونصيحته ، أسأل الله عزّ وجلّ لنا ولكم عملاً زاكياً ، وثواباً جزِيلاً ، ورحمةً واسعة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب عبيد الله بن أبي رافع في صفر سنة ست وثلاثين .

قال : ثمّ إنّ قيس بن سعد قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد ﷺ ، وقال : الحمد لله الذي جاء بالحقّ ، وأمات الباطل ، وكبت الظالمين ، أيّها الناس ! إنا قد بايعْنا خير من نعلم بعد محمد نبينا ﷺ ، فقوموا أيّها الناس فبايِعوا على كتاب الله عزّ وجلّ وسنة رسوله ﷺ ، فإن نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعةَ لنا عليكم .

فقام الناس فبايَعوا ، واستقامت له مصر ، وبعث عليها عمّاله ، إلاّ أن قريةً منها يقال لها : «خِرِبْتَا» فيها أناس قد أعظموا قتلَ عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وبها رجل من كنانة ثم من بني مُدْلِج يقال له : يزيد بن الحارث من بني الحارث بن مُدْلج ، فبعث هؤلاء إلى قيس بن سعد : إنّا لا نقاتلك فابعث عمّالك ، فالأرضُ أرضكَ ، ولكن أقِرّنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس .

قال : ووثب مسلمة بن مخلَّد الأنصاريّ ، ثمّ مَنْ ساعده من رهط قيس بن سعد ، فنعى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ودعا إلى الطلب بدمه ، فأرسل إليه قيس بن سعد : ويحك ، عليَّ تَثِب! فوالله ما أحبّ أنّ لي ملك الشام إلى مصرَ وأني قتلتك . فبعث إليه مسلمة : إني كافٌّ عنك ما دمت أنت واليَ مصر .

قال : وكان قيس بن سعد له حزم ورأي ، فبعث إلى الذين بِخِرِبْتَا : إنيّ لا أكرِهكم على البيعة ، وأنا أدَعُكم وأكفّ عنكم ، فهادَنَهم ، وهادَن مسلمة بن مخلَّد ، وجَبى الخراجَ ، ليس أحد من الناس ينازعه .

قال : وخرج أمير المؤمنين إلى أهل الجمل وهو على مصر ، ورجع إلى الكُوفة من البصرة وهو بمكانه ، فكان أثقلَ خلق الله على معاوية بن أبي سفيان لقربه من الشأم ، مخافة أن يُقبِل إليه عليٌّ في أهلِ العراق ، ويُقبل إليه قيس بن سعد في أهل مصر ، فيقع معاوية بينهما .

وكتب معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد ـ وعليّ بن أبي طالب يومئذ بالكوفة قبل أن يسير إلى صِفّين :

من معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد ، سلام عليك ، أمّا بعد ، فإنكم إن كنتم نقَمتم على عثمانَ بن عفان رضي الله عنه في أُثْرةٍ رأيتموها ، أو ضربة سوط ضربها ، أو شتيمة رجل ، أو في تسييره آخر ، أو في استعماله الفتِيّ ، فإنكم قد علمتم ـ إن كنتم تعلمون ـ أنَّ دمه لم يكن يحلّ لكم ، فقد ركبتم عظيماً من الأمر ، وجئتم شيئاً إدّاً ، فتبْ إلى الله عزّ وجلّ يا قيس بن سعد ! فإنك كنت في المجلِبين على عثمان بن عفان ـ إن كانت التوبة من قتل المؤمن تُغني شيئاً ـ فأمّا صاحبك فإنا استيقنّا أنّه الذي أغْرَى به الناس ، وحَمَلَهم على قتله حتى قتلوه ، وأنه لم يسلم من دمه عُظْم قومك ، فإن استطعت يا قيس أن تكون ممّن يطلبِ بدم عثمانَ فافعل. تابعْنا على أمرنا ، ولك سلطانُ العِراقَين إذا ظهرتُ ما بقيت ، ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان ، وسلْني غير هذا مما تحبّ ، فإنّك لا تسألني شيئاً إلا أوتيتَه ، واكتب إليّ برأيك فيما كتبت به إليك ، والسلام.

فلما جاءه كتاب معاوية؛ أحبّ أن يدافعه ولا يبدي له أمره ، ولا يتعجّل له حربه ، فكتب إليه :

أمّا بعد : فقد بلغني كتابُك ، وفهمتُ ما ذكرتَ فيه من قتل عثمانَ ، وذلك أمر لم أقارفه ، ولم أطِفْ به ، وذكرتَ : أنّ صاحبي هو أغرى الناسَ بعثمان ، ودسَّهم إليه حتى قتلوه ، وهذا مالم أطّلع عليه ، وذكرت : أن عظْم عشيرتي لم تَسلَم من دم عثمان ، فأوّل الناس كان فيه قياماً عشيرتي ، وأمّا ما سألتَني من متابعتك ، وعرضتَ عليّ من الجزاء به ، فقد فهمتُه ، وهذا أمر لي فيه نظر وفكرة ، وليس هذا مما يسرَع إليه ، وأنا كافّ عنك ، ولن يأتيَك مِن قِبَلي شيء تكرهه حتى تَرَى ، ونرى إن شاء الله ، والمستجارُ الله عزّ وجلّ ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال : فلما قرأ معاوية كتابَه ، لم يره إلاّ مقارِباً مباعِداً ، ولم يأمن أن يكون له في ذلك مباعداً مكايداً ، فكتب إليه معاوية أيضاً :

أمّا بعدُ : فقد قرأتُ كتابك ، فلم أرك تدنو فأعُدّك سِلْماً ، ولم أرك تباعِد فأعُدّك حرباً ، أنت فيما هاهنا كحنَك الجَزور ، وليس مثلي يصانع المخادع ، ولا يَنْتزع للمكايد ، ومعه عدد الرّجال ، وبيده أعنّةُ الخيل ؛ والسلام عليك.

فلما قرأ قيس بن سعد كتاب معاوية ، ورأى أنه لا يقبل معه المدافعة والمماطلة ، أظهر له ذاتَ نفسه ، فكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من قيس بن سعد ، إلى معاوية بن أبي سُفيان. أما بعد: فإنّ العَجب من اغترارك بي ، وطمعِك فيّ ، واستسقاطك رأيي. أتسومني الخروج من طاعة أوْلى الناس بالإمْرة ، وأقْوَلِهم للحق ، وأهداهم سبيلاً ، وأقربهم من رسول الله ﷺ وسيلةً ، وتأمرني بالدّخول في طاعتك ، طاعة أبعد الناس من هذا الأمر ، وأقْوَلهم للزّور ، وأضلِّهم سبيلاً ، وأبعدِهم من الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ وسيلة ، ولدِ ضالّين مُضلّين ، طاغوت من طواغيت إبليس! وأمّا قولك: إني مالىء عليك مصر خيلاً ورَجْلاً فوالله إن لم أشغَلك بنفسك حتى تكون نفسك أهمَّ إليك؛ إنك لذو جَدّ ، والسلام ! فلما بلغ معاوية كتاب قيس؛ أيس منه ، وثقل عليه مكانُه.

رجع الحديث إلى حديث هشام عن أبي مخنف: ولما أيس معاوية من قيس أن يتابعه على أمره؛ شقّ عليه ذلك ، لما يعرف من حزمه وبأسِهِ ، وأظهر للناس قِبلَه: أنّ قيس بن سعد قد تابعكم ، فادعوا الله له ، وقرأ عليهم كتابه الذي لان له فيه وقاربه ، قال: واختلَق معاوية كتاباً من قيس بن سعد ، فقرأه على أهل الشام:

بسم الله الرحمن الرحيم ، للأمير معاوية بن أبي سفيان من قيس بن سعد ، سلامٌ عليك ، فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو ، أمّا بعد ، فإنّني لمّا نظرت رأيت: أنه لا يسعني مظاهرة قوم قَتلوا إمامَهم مُسلِماً مُحرَّماً برّاً تقيّاً ، فنستغفر الله عزّ وجلّ لذنوبنا ، ونسأله العصمةَ لديننا ، ألاَ وإنني قد ألقيت إليكم بالسِّلم ، وإني أجبتك إلى قتال قَتَلة عثمانَ ، إمام الهدى المظلوم ، فعوِّل عليّ فيما أحببت من الأموال والرجال أعجّل عليك ، والسلام. فشاع في أهل الشام: أنّ قيس بن سعد قد بايع معاوية بن أبي سُفيان ، فسرّحت عيون عليّ بن أبي طالب-إلَيه بذلك؛ فلما أتاه ذلك؛ أعظمه ، وأكبره ، وتعجّب له ، ودعا عبد الله بن جعفر فأعلمهم ذلك ، فقال: ما رأيكم؟ فقال: عبد الله بن جعفر: يا أميرَ المؤمنين ! دَعْ ما يَريبُك إلى مالا يرِيبُك ، اعزِل قيساً عن مصر. قال لهم

عليّ: إني والله ما أصدّق بهذا على قيس؛ فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين! اعزِله، فوالله لئن كان هذا حقّاً لا يعتزل لك إن عزلتَه!

فإنهم كذلك إذ جاء كتابٌ من قيس بن سعد فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد: فإني أخبر أميرَ المؤمنين أكرمه الله: أنّ قِبَلي رجالاً معتزلين قد سألوني أن أكفّ عنهم، وأن أدَعَهم على حالهم حتى يستقيمَ أمرُ الناس، فنرى ويَرَوْا رأيَهم، فقد رأيتُ أن أكفّ عنهم، وألاّ أتعجّل حربَهم، وأن أتألّفهم فيما بين ذلك لعلّ الله عزّ وجلّ أن يُقبل بقلوبهم، ويفرّقهم عن ضلالتهم؛ إن شاء الله.

فقال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين! ما أخوَفَني أن يكون هذا ممالأة لهم منه، فمُرْه يا أمير المؤمنين بقتالهم، فكتب إليه عليّ:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد: فسِرْ إلى القوم الّذين ذكرت، فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون؛ وإلاّ؛ فناجزْهم إن شاء الله.

فلما أتى قيسَ بن سعد الكتابُ فقرأه، لم يتمالك أن كتب إلى أمير المؤمنين:

أما بعد يا أمير المؤمنين! فقد عجبتُ لأمرك، أتأمرني بقتال قوم كافّين عنك، مُفرِّغيك لقتال عدوّك! وإنّك متى حاربتَهم ساعدوا عليك عدوّك، فأطعني يا أمير المؤمنين! واكفُف عنهم، فإنّ الرأي تركهم، والسلام.

فلما أتاه هذا الكتاب قال له عبد الله بن جعفر: يا أميرَ المؤمنين! ابعَثْ محمد بن أبي بكر على مصر يَكفِك أمرَها، واعزِل قيساً، والله لقد بلغني أن قيساً يقول: والله إنّ سلطاناً لا يتمّ إلاّ بقتل مسلمة بن مخلّد لسلطان سَوْء؛ والله ما أحبّ أنّ لي ملك الشأم إلى مصر وأني قتلت ابن المخلّد، قال:

وكان عبد الله بن جعفر أخا محمد بن أبي بكر لأمّه، فبعث عليّ محمد بن

أبي بكر على مصر، وعزل عنها قيساً[1].

(٤: ٥٤٧/ ٥٤٨/ ٥٤٩/ ٥٥٠/ ٥٥١، تكملة ـ ٥٥٣/ ٥٥٤/ ٥٥٥).

---

(١) إسناده تالف فهو من طريق الهالك أبي مخنف، ولم نجد لها ما يؤيدها إلاّ ما أخرجه الطبري كما سيأتي بعد قليل (٤/ ٥٥٢/ ١٠٥٩) وعبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٤٥٨) ولكن من طريق يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري مرسلاً وهذا الإسناد إضافة إلىٰ الإرسال فإن في رواية يزيد الأيلي عن الزهري منكرات كما قال الإمام أحمد ـ ولكنها مع ضعفها لم توافق رواية أبي مخنف فيما جاء من المنكرات ـ وفي رواية أبي مخنف هذه من الدّس والطعن ما فيها، منها قول قيس بن سعد: (أيها الناس قد بايعنا خير ما نعلم بعد نبينا ﷺ) ومعلوم أن الصحابة والتابعين ما كانوا ليفضلوا أحداً من الصحابة علىٰ أبي بكر وعمر بعد رسول الله ﷺ وخير دليل على ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٩١) عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم منْ؟ قال: عمر وخشيت أن يقول: عثمان! قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين، ويبدو أن محمد بن الحنفية أحبّ في نفسه أن يكون علياً الثالث أو استعجل ذلك لكونه صغير السن يوم سأل أباه هذا السؤال كما بين الحافظ في الفتح معقباً علىٰ هذه الرواية بقوله: وفي رواية (محمد بن سوقة) ثم عجلت للحداثة فقلت: ثم أنت يا أبي؟ قال: أبوك رجل من المسلمين (الفتح ٧/ ٤١).

وفيه من حقد أبي مخنف علىٰ سيدنا عثمان ما فيه؛ إذ تقول أبو مخنف علىٰ قيس بن سعد قوله في رسالته: (فوجدت عليه الأمة مقالاً فقالوا ثم نقموا عليه فغيروا) وحاشا لقيس أن يقول ذلك بل هو الابتداع عند الراوي يُشهّي له الطعن في الصحابة وإلاّ فالكلّ يعلم أن الذين قتلوا سيدنا عثمان هم أراذل القوم كالمصري جبلة (الموت الأسود).

ورواية الحسن البصري تكذب ما ورد في رواية أبي مخنف (فوجدت عليه الأمة: فغيروا) فقد أخرج خليفة بن خياط قال: حدثنا عبد الأعلىٰ بن الهيثم قال: حدثني أبي قال: قلت للحسن: أكان فيمن قتل عثمان أحداً من المهاجرين والأنصار؟ قال: لا، كانوا أعلاجاً من أهل مصر (تأريخ خليفة/ ١٧٦) ومعلوم أن الحسن أدرك حادثة الدار (أي: حصار سيدنا عثمان رضي الله عنه في الدار) وبيعة الأمة لسيدنا علي رضي الله عنه ـ ومن نكارات رواية أبي مخنف هذه: أنه اتهم سيدنا معاوية بأنه اختلق رسالة علىٰ لسان والي مصر قيس بن سعد ولا ندري كيف يعقل الناقد أن يفعل ذلك معاوية علماً بأن والده أبو سفيان لم تسمح له نفسه بالكذب أيام كان مشركاً كما جاء في البخاري عن أبي سفيان عندما قال في بلاط هرقل: (فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذباً لكذبت عنه) فهل يكون كاتب الوحي لرسول الله ﷺ بهذه الدرجة من الخداع والمكر حاشا لسيدنا معاوية رضي الله عنه ولقد قلنا بأن كل ما ورد في ذلك ضعيف جداً وأقلها ما رواه الطبري وعبد الرزاق برواية مرسلة ضعيفة من

١٠٥٩ ـ حدثني عبد الله بن أحمد المروزيّ ، قال: حدثني أبي قال: حدّثني سليمان ، قال: حدّثني عبد الله عن يونس ، عن الزّهريّ ، قال: كانت مصر من حين عليّ ، عليها قيس بن سعد بن عبادة ، وكان صاحبَ راية الأنصار مع رسول الله ﷺ ، وكان من ذوِي الرأي والبأس ، وكان معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص جاهدَيْن على أن يُخرجاه من مصر ليَغلِبا عليها ، فكان قد امتنع فيها بالدّهاء والمكايدة ، فلم يقدروا عليه ، ولا على أن يفتتحا مصر ، حتى كاد معاوية قيسَ بن سعد من قِبَل عليّ ، وكان معاوية يحدّث رجالا من ذوِي الرأي من قريش يقول: ما ابتدعتُ مكايدةً قطّ كانت أعجبَ عندي من مكايدة كدتُ بها قيساً من قبَل عليّ وهو بالعراق حين امتنع منِّي قيس. قلت لأهل الشأم: لا تسبّوا قيسَ بن سعد ، ولا تدْعوا إلى غزوه ، فإنه لنا شيعة ، يأتينا كيِّس نصيحته سرّاً. ألا ترون ما يفعل بإخوانكم الذين عنده من أهل خِرِبْتَا ، يُجري عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ، ويؤمّن سِرْبَهم ، ويُحسن إلى كلّ راكبٍ قدم عليه منكم ، لا يستنكرونه في شيء!

قال معاوية: وهممتُ أن أكتب بذلك إلى شيعتي من أهل العراق ، فيسمع بذلك جواسيس عليّ عندي وبالعراق ، فبلغ ذلك عليّاً ، ونماه إليه محمد بن

= طريق يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري ، وفي حديثه عن الزهري منكرات كما ذكرنا.

أما الرواية الصحيحة فهي تؤكد غير ذلك كما أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١١/١٤٦) من طريق محمد بن سيرين: (بعث بكتابه الأول إلىٰ علي قال: فقال أهل الكوفة: عدو الله قيس بن سعد فاعزله ، فقال علي: ويحكم أنا والله أعلم هي إحدىٰ فعلاته ، فأبوا إلا عزله فعزله) وإسناده حسن صحيح وهذا يعني أن علياً كان يأمن جانبه ويثق به ويدرك ما يرمي إليه مما يفعل ويكتب ،ولكن من حوله من أهل الكوفة لم يكونوا ليدركوا ذلك ـ وأما بالنسبة لولاية قيس بن سعد (نفسها) (أي علىٰ مصر فقد قال خليفة: ـ ولي محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة مصر ، ثم عزله وولاّها قيس بن سعد بن عبادة ، ثم عزله وولّى الأمر الأشتر مالك بن الحارث النخعي فمات قبل أن يصل إليها فولّى محمد بن أبي بكر فقتل بها وغلب عمرو بن العاص علىٰ مصر) (تأريخ خليفة/ ٢٠١).

وقال الدكتور يحيىٰ اليحيىٰ: إن ولاية قيس بن سعد بن عبادة (رضي الله عنهما) علىٰ مصر من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمر مُجْمَعٌ عليه (مرويات أبي مخنف/ ٢٠٦).

أبي بكر ، ومحمّد بن جعفر بن أبي طالب ، فلما بلغ ذلك عليّاً؛ اتهَم قيساً ، وكتب إليه يأمره بقتال أهل خِرِبْتَا ـ وأهل خَربِتا يومئذ عشرة آلاف ـ فأبى قيس بن سعد أن يقاتلهم ، وكتب إلى عليّ: إنهم وجوه أهل مصر وأشرافُهم ، وأهلُ الحِفاظ منهم ، وقد رَضُوا منّي أن أؤمِّن سِربَهم ، وأُجرِيَ عليهم أعطياتِهم وأرزاقَهم ، وقد علمت: أنّ هواهم مع معاوية ، فلست مكايدهم بأمر أهوَن عليّ وعليك من الذي أفعل بهم ، ولو أني غزوتُهم؛ كانوا لي قِرْناً ، وهم أسُود العرب ، ومنهم بُسْر بن أبي أرطاة ، ومسلمة بن مخلَّد ، ومعاوية بن حُديج ، فذَرْني فأنا أعلم بما أداري منهم ، فأبى عليّ إلاّ قتالَهم ، وأبى قيس أن يقاتلهم.

فكتب قيس إلى عليّ: إن كنت تتّهمني؛ فاعزلني عن عملك ، وابعث إليه غيري ، فبعث عليٌّ الأشتر أميراً إلى مصر ، حتى إذا صار بالقلزم شربَ شربَة عسل كان فيها حتفه ، فبلغ حديثهم معاوية ، وعمراً ، فقال عمرو: إن لله جُنداً من عَسَل.

فلما بلغ عليّاً وفاة الأشتر بالقُلْزَم؛ بعث محمد بن أبي بكر أميراً على مصر. فالزُّهريّ يذكر: أنّ علياً بعث محمد بن أبي بكر أميراً على مصر بعد مَهلِك الأشتر بقلزم ، وأما هشام بن محمد ، فإنه ذكر في خبره: أنّ عليّاً بعث بالأشتر أميراً على مصر بعد مَهلِك محمد بن أبي بكر[1]. (٤ : ٥٥٢/ ٥٥٣).

ولاية محمد بن أبي بكر مصر

١٠٦٠ ـ قال هشام عن أبي مخنف: فحدّثني الحارث بن كعب الوالبيّ ـ من والبة الأزْد ـ عن أبيه: أنّ علياً كتب معه إلى أهل مصر كتاباً ، فلما قدم به على قيس؛ قال له قيس: ما بال أميرِ المؤمنين! ما غيّره؟ أدَخَل أحدٌ بيني وبينه؟ قال له: لا ، وهذا السلطان سلطانك؟! قال: لا ، والله لا أقيم معك ساعة واحدة ، وغضب حين عزله ، فخرج منها مقبلاً إلى المدينة ، فقدِمها ، فجاءه حسان بن ثابت شامتاً به ـ وكان حسان عثمانياً ـ فقال له: نَزَعك عليّ بن أبي طالب ، وقد

---

(١) إسناده مرسل ضعيف ، ورواية يونس عن الزهري فيه منكرات وكذلك أخرجه عبد الرزاق مرسلاً (المصنف ١١/ ١٤٦).

قتلت عثمان فبقيَ عليك الإثم ، ولم يحسن لك الشكر! فقال له قيس بن سعد: يا أعمَى القلب والبصر ! والله لولا أن ألقِيَ بين رهطي ورهطك حرباً؛ لضربتُ عنقك ! اخرُج عنِّي.

ثم إن قيساً خرج هو وسهل بن حُنَيف حتى قدما على عليّ ، فخبّره قيس؛ فصدّقه عليّ ، ثم إن قيساً ، وسهلاً شهدا مع عليّ صِفيّن[1] . (٤ : ٥٥٥).

١٠٦١ ـ وأما الزّهريّ ، فإنه قال فيما حدّثني به عبد الله بن أحمد؛ قال: حدّثني أبي ، قال: حدّثني سليمان ، قال: حدّثني عبد الله عن يونس ، عن الزُّهريّ: أنّ محمد بن أبي بكر قدم مصر ، وخرج قيس فلَحِق بالمدينة ، فأخافه مروان ، والأسوَد بن أبي البَخْتَري ، حتى إذا خاف أن يؤخذ أو يُقتل؛ ركب راحلته ، فظهر إلى عليّ ، فبعث معاوية إلى مروان ، والأسود يتغيّظ عليهما ، ويقول: أمَدَدتما عليّاً بقيس بن سعد ، ورأيه ، ومكانه ، فوالله لو أنكما أمددْتُما بمئة ألف مقاتل ما كان ذلك بأغيظَ لي من إخراجكما قيس بن سعد إلى عليّ. فقدم قيس بن سعد على عليّ ، فلما باثّه الحديث ، وجاءهم قتل محمد بن أبي بكر؛ عرف: أنّ قيس بن سعد كان يقاسي أموراً عظاماً من المكايدة ، وأنّ من كان يهزُّه على عزل قيس بن سعد لم ينصح له ، فأطاع عليٌّ قيسَ بن سعد في الأمر كلّه[2]. (٤ : ٥٥٥).

١٠٦٢ ـ قال هشام: عن أبي مخْنَف ، قال: حدّثني الحارث بن كعب الوالبيّ عن أبيه ، قال: كنت مع محمد بن أبي بكر حين قدم مصر ، فلمّا قدم قرأ عليهم عهدَه:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهِد عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر حين ولاّه مصر ، وأمره بتقوى الله والطاعة في السرّ والعلانية ، وخوفِ الله عزّ وجلّ في الغيب والمشهد ، وباللين على المسلمين ، وبالغِلظة على الفاجر ، وبالعدل على أهل الذّمة ، وبإنصاف المظلوم ، وبالشدة على الظالم ، وبالعفو عن الناس ،

---

(١) إسناده تالف وفي متنه منكرات وستتحدث عنه بعد الرواية (٤/ ٥٥٧/ ١٠٦٣).

(٢) إسناده مرسل ضعيف وفي متنه نكارات.

وبالإحسان ما استطاع ، والله يجزي المحسنين ، ويعذّب المجرمين. وأمره أن يدعوَ منْ قبَله إلى الطاعة والجماعة ، فإنّ لهم في ذلك من العاقبة وعظيم المثوبة مالا يَقدرُون قدره ، ولا يَعرفون كُنهه ، وأمره أن يَجبيَ خراج الأرض على ما كانت تُجبَى عليه من قبل ، لا يُنتقص منه ، ولا يُبتدع فيه ، ثمّ يقسمَه بين أهله على ما كانوا يقسمون عليه من قبل ، وأن يُلين لهم جناحَه ، وأن يواسيَ بينهم في مجلسه ووجهه ، وليكن القريبُ والبعيدُ في الحقّ سواء ، وأمره أن يحكم بين الناس بالحقّ ، وأن يقوم بالقسط ، ولا يتّبع الهوى ، ولا يَخَفْ في الله عزّ وجلّ لومة لائم ، فإنّ الله عزّ وجلّ ثناؤه مع من اتقى ، وآثر طاعته ، وأمرَه على ما سواه.

وكتب عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ لغرّة شهر رمضان.

قال: ثمّ إن محمد بن أبي بكر قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: الحمد لله الذي هدانا وإيّاكم لما اختُلِف فيه من الحقّ ، وبصّرنا وإيّاكم كثيراً مما عَمِي عنه الجاهلون ، ألا إنّ أمير المؤمنين ولاّني أمورَكم ، وعهد إليّ ما قد سمعتم ، وأوصاني بكثير منه مشافهةً ، ولن آلوَكم خيراً ما استطعت ، ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾؛ فإن يكن ما ترون من إمارتي ، وأعمالي طاعة لله ، وتقوى؛ فاحمدوا الله عزّ وجل على ما كان من ذلك ، فإنه هو الهادي ، وإن رأيتم عاملاً عمل غير الحق زائغاً؛ فارفعوه إليّ ، وعاتبوني فيه ، فإني بذلك أسعَد ، وأنتم بذلك جديرون ، وفّقنا الله وإياكم لصالح الأعمال برحمته ، ثمّ نزل[1]. (٤ : ٥٥٦/ ٥٥٧).

١٠٦٣ ـ وذكر هشام عن أبي مخنف ، قال: وحدّثني يزيد بن ظَبيان الهمْدانيّ: أنّ محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية بن أبي سفيان لمّا وُلِّيَ؛ فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهتُ ذكرها لما فيه ممّا لا يحتمل سماعَها العامّة ، قال: ولم يلبث محمد بن أبي بكر شهراً كاملاً حتى بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين كان قيس وادَعَهم. فقال: يا هؤلاء ! إمّا أن تدخلوا في طاعتنا ، وإمّا أن تخرجوا من بلادنا ، فبعثوا إليه: إنا لا نفعل ، دعْنا حتى ننظرَ إلى ما تصير إليه

---

(١) إسناده تالف ، وسنتحدث عنه بعد الرواية (٤/ ٥٥٧/ ١٠٦٣).

أمورنا ، ولا تعجل بحرْبنا ، فأبى عليهم ، فامتنعوا منه ، وأخذوا حِذْرهم ، فكانت وقعة صِفّين ، وهم لمحمّد هائبون ، فلما أتاهم صبرُ معاوية، وأهل الشأم لعليّ ، وأنّ علياً وأهل العراق قد رجعوا عن معاوية وأهل الشأم ، وصار أمرُهم إلى الحكومة؛ اجترؤوا على محمد بن أبي بكر ، وأظهروا له المبارزة ، فلما رأى ذلك محمد بعث الحارث بن جُمْهان الجعفيّ إلى أهل خِربَتا ، وفيها يزيد بنُ الحارث من بني كنانة ، فقاتلهم ، فقتلوه ، ثم بعث إليهم رجلاً من كلب يُدعَى ابن مُضاهم ، فقتلوه[1] . (٤ : ٥٥٧) .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة فيما قيل : قدم ماهَوَيْهِ مَرْزبان مَرْو مقرّاً بالصلح الذي كان جرى بينه وبين ابن عامر على عليّ .

ذكر من قال ذلك :

١٠٦٤ ـ قال عليّ بن محمد المدائنيّ عن أبي زكرياء العجْلانيّ ، عن ابن إسحاق ، عن أشياخه ، قال: قدم ماهويه أبراز مَرْزُبان مرْو على عليّ بن أبي طالب بعد الجمل مقرّاً بالصلح ، فكتب له عليٌّ كتاباً إلى دَهاقين مرْو ،

---

(١) إسناده تالف فهو من طريق الهالك أبي مخنف ، وفيها نكارات سنذكر بعضها ـ وأما تولية محمد بن أبي بكر من قبل سيدنا علي علىٰ مصر فأشارت إليه أكثر مصادر التأريخ والحديث وذكر خليفة بن خياط أمر توليته إمارة مصر ضمن أحداث سنة (٣٨ هـ) (تأريخ خليفة/ ١٩٢) وقال الدكتور يحيىٰ البحيى تعقيباً علىٰ رواية أبي مخنف هذه أما النقاط التي لها شواهد فهي :
١ ـ تولية محمد بن أبي بكر علىٰ مصر وهذا مجمع عليه .
٢ ـ خروج قيس بن سعد من مصر إلىٰ المدينة ثم قدومه العراق علىٰ علي رضي الله عنه له شاهد من رواية الزهري أخرجها عبد الرزاق بسند رجاله ثقات إلا أنها مرسلة ، وأخرجها الطبري من روايته أيضاً (المعنف ٥/ ٤٦٠) (مرويات أبي مخنف/ ٢٢٢) وفي الرواية الأولى (٤/ ٥٥٥/ ١٠٦٠) من الطعن واللمز والافتراء علىٰ صحابة رسول الله وعدالتهم ما لا يصدر إلا من تالف هالك كأبي مخنف ، ومنها ذلك الأسلوب الرديء الذي اختلقه أبو مخنف ولصقه بالصحابة زوراً كعبارة (يا أعمى القلب والبصر) وعبارة (وقد قتلت عثمان فبقي عليك الإثم) وعبارة: (لا والله لا أقيم معك ساعة) ويكفي لكذب هذه العبارات أن إسناد الرواية مظلم ومظلم .
ويبدو أن أبا مخنف قد افترىٰ كثيراً وأساء الأدب بحق ولاة سيدنا علي ولذلك قال الطبري رحمه الله : (فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهت ذكرها لما فيه مما لا يحتمل سماعها العامة) (٤/ ٥٥٧) .

والأساورة ، والجند سلارين ومن كان في مَرْو :

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإن ماهويه أبراز مَرْزبان مَرْو جاءني ، وإنّي رضيتُ عنه ، وكتب سنة ست وثلاثين . ثم إنهم كفرُوا ، وأغلقوا أبْرَشهَر[١] . (٤ : ٥٥٧/٥٥٨) .

توجيه عليّ خلَيد بن طَريف إلى خراسان

١٠٦٥ - قال عليّ بن محمد المدائنيّ : أخبرنا أبو مخنف عن حنظلة بن الأعلم ، عن ماهان الحنفيّ ، عن الأصبغ بن نُباتة المُجاشعيّ ، قال : بعث عليٌّ خُلَيد بن قرّة اليَربوعيّ - ويقال : خُلَيد بن طريف - إلى خُراسان[٢] . (٤ : ٥٥٨) .

ذكر خبر عمرو بن العاص ومبايعته معاوية

١٠٦٦ - وفي هذه السنة - أعني : سنة ستٍّ وثلاثين - بايع عمرو بن العاص معاوية ، ووافقه على محاربة عليّ ، وكان السبب في ذلك ما كتب به إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، وأبي حارثة ، وأبي عثمان ، قالوا : لما أحيط بعثمانَ - رضي الله عنه - خرج عَمرو بن العاص من المدينة متوجّهاً نحو الشأم ، وقال : والله يا أهل المدينة ما يقيم بها أحد فيدركَه قتْل هذا الرجل إلاّ ضربه الله عزّ وجلّ بذلّ ! من لم يستطع نصرَه فليهرُب . فسار ، وسار معه ابناه عبد الله ، ومحمد ، وخرج بعدَه حسّان بن ثابت ، وتتابع على ذلك ما شاء الله[٣] . (٤ : ٥٥٨) .

١٠٦٧ - قال سيف : عن أبي حارثة ، وأبي عثمان ، قالا : بينا عمرو بن العاص جالس بعَجْلان ؛ ومعه ابناه ؛ إذْ مرّ بهم راكب ، فقالوا : من أين؟ قال : من المدينة ، فقال عمرو : ما اسمك؟ قال : حَصِيرة . قال عمرو : حُصِر الرجل ،

---

(١) إسناده ضعيف جداً ، وقال خليفة : وجه إليها عون بن جعدة المخزومي فردوه فبعث خليد بن قرة التميمي (تأريخ خليفة/ ١٩٩) .

(٢) إسناده تالف .

(٣) إسناده ضعيف .

قال: فما الخبر؟ قال: تركت الرجل محصوراً ، قال عمرو: يُقتَل ، ثم مكثوا أياماً ، فمرّ بهم راكب ، فقالوا: من أين؟ قال: من المدينة؛ قال عمرو: ما اسمُك؟ قال: قتّال؛ قال عمرو: قُتِل الرجل ، فما الخبرُ؟ قال: قُتِل الرجل. قال: ثم لم يكن إلاّ ذلك إلى أن خرجتُ ، ثم مكثوا أيّاماً ، فمرّ بهم راكب ، فقالوا: من أين؟ قال: من المدينة؛ قال عمرو: ما اسمُك؟ قال: حرب ، قال عمرو: يكون حرب؛ فما الخبر؟ قال: قُتِل عثمانُ بن عفّان رضي الله عنه ، وبويع لعليّ بن أبي طالب. قال عمرو: أنا أبو عبد الله؛ تكون حربٌ من حكَّ فيها قرحة نكَأها ، رحم الله عثمان ورضيَ الله عنه ، وغفر له! فقال سلامة بن زِنْباع الجُذاميّ: يا معشر قريش ! إنه والله قد كان بينكم وبين العرب باب ، فاتخذوا باباً إذ كُسر الباب. فقال عمرو: وذاك الّذي نريد. ولا يُصلِح البابَ إلا أشافٍ تُخرِج الحقّ من حافرة البأس ، ويكون الناس في العدل سواء ، ثم تمثّل عمرو في بعض ذلك:

يـا لَهْـفَ نفسـي علـى مـالـكٍ وهـل يَصْـرِفُ اللهْـفُ حِفْـظَ القَـدَر!

أَنَـزْعٌ مـن الحَـرِّ أَوْدَى بهـمْ فـأعـذِرَهـم أم بقـومـي سَكَـرْ!

ثم ارتحل راجلاً يبكي كما تبكي المرأة ، ويقول: واعُثْماناه! أنعَى الحياءَ والدين! حتى قدم دمشق ، وقد كان سقط إليه من الذي يكون عِلْمٌ ، فعمل عليه[1]. (٤: ٥٥٨/ ٥٥٩).

١٠٦٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله ، عن أبي عثمان ، قال: كان النبيُّ ﷺ قد بعث عمراً إلى عُمان ، فسمع هنالك من حَبْرٍ شيئاً ، فلما رأى مِصداقَه وهو هناك أرسل إلى ذلك الحبْر ، فقال: حدِّثني بوفاة رسول الله ﷺ ، وأخبرني من يكون بعده؟ قال: الذي كتب إليك يكون بعده ، ومدّته قصيرة ، قال: ثمّ من؟ قال: رجل من قومه مثله في المنزلة؛ قال: فما مدّته؟ قال: طويلة؛ ثم يقتل. قال: غيلةً أم عن ملأ؟ قال: غِيلة؛ قال: فمن يلي بعَده؟ قال: رجل من قومه مثله في المنزلة ، قال: فما مدّته؟ قال: طويلة ، ثم يُقتل ، قال: أغيلة أم عن ملأ؟ قال: عن ملأ. قال: ذلك أشدّ؛ فمن يلي بعده؟

---

(١) إسناده ضعيف.

قال: رجل من قومه ينتشر عليه الناس ، وتكون على رأسه حرب شديدة بين الناس ، ثمّ يُقتل قبل أن يجتمعوا عليه ، قال: أغيلة أم عن ملأ؟ قال: غيلة ، ثم لا يروْن مثله ، قال: فمن يلي بعدَه؟ قال: أمير الأرض المقدّسة ، فيطول ملكه ، فيجتمع أهل تلك الفرقة وذلك الانتشار عليه ، ثم يموت[1] . (٤ : ٥٥٩/ ٥٦٠) .

١٠٦٩ - وأما الواقديّ ، فإنه فيما حدّثني موسى بن يعقوب عن عمّه ، قال: لما بلغ عَمراً قتلُ عثمانَ رضي الله عنه ، قال: أنا عبد الله: قتلتُه وأنا بوادي السِّباع ، مَن يلي هذا الأمر من بعده! إن يَلِه طلحة فهو فتى العرب سيْباً ، وإن يَلِه ابن أبي طالب فلا أراه إلاّ سيستنظِف الحقّ ، وهو أكره مَن يليه إليّ ، قال: فبلغه أنّ عليّاً قد بويع له ، فاشتدّ عليه ، وتربّص أياماً ينظر ما يَصنع الناس ، فبلغه مسير طلحة ، والزبير ، وعائشة ، وقال: أستأنِي ، وأنظر ما يصنعون. فأتاه الخبر: أنّ طلحة ، والزبير قد قُتِلا ، فأُرتِج عليه أمرُه ، فقال له قائل: إن معاوية بالشأم لا يريد أن يبايع لعليّ ، فلو قاربت معاوية! فكان معاوية أحبّ إليه من عليّ بن أبي طالب ، وقيل له: إنّ معاوية يُعظِم شأنَ قتل عثمان بن عفان ، ويحرّض على الطلب بدمه؛ فقال عمرو: ادعوا لي محمداً ، وعبدَ الله ، فدُعِيا له ، فقال: قد كان ماقد بلغكما من قتل عثمانَ رضي الله عنه ، وبَيعة الناس لعليّ ، وما يُرصِد معاوية من مخالَفة عليّ ، وقال: ما تَريان؟ أما عليٌّ فلا خيرَ عنده ، وهو رجل يُدِلّ بسابقته ، وهو غير مُشرِكي في شيء من أمره ، فقال عبد الله بن عمرو: توفّي النبيّ ﷺ وهو عنك راضٍ ، وتوفّي أبو بكر رضي الله عنه وهو عنك راضٍ ، وتوفّي عمرُ رضي الله عنه وهو عنك راضٍ ، أرى أن تكفّ يدك ، وتجلسَ في بيتك ، حتى يجتمع الناس على إمام فتبايعَه. وقال محمد بن عمرو: أنت نابٌ من أنياب العرب ، فلا أرى أن يجتمع هذا الأمر؛ وليس لك فيه صوت ولا ذكر ، قال عمرو: أمّا أنت يا عبدَ الله؛ فأمرْتَني بالذي هو خير لي في آخرتي ، وأسلمَ في دِيني ، وأما أنت يا محمد؛ فأمرتَني بالّذي أنبه لي في دنياي ، وشرٌّ لي في آخرتي ، ثم خرج عمرو بن العاص ومعه ابناه حتى قدم على معاوية ، فوجد أهلَ الشأم يحضّون معاوية على الطلب بدم عثمان ، فقال عمرو بن العاص: أنتم على الحقّ ، اطلبوا بدِم الخليفة المظلوم - ومعاوية

(١) إسناده ضعيف.

لا يلتفت إلى قول عمرو ـ فقال ابنا عمرو لعمرو: ألا ترى إلى معاوية لا يلتفت إلى قولك! انصرف إلى غيره ، فدخل عمرو على معاوية فقال: والله لَعَجب لك! إني أرفِدك بما أرفِدك وأنت مُعرِض عني! أما والله إن قاتلْنا معك نَطلب بدم الخليفة إنّ في النفس من ذلك ما فيها ، حيث نقاتلِ من تعلم سابقتَه وفضلَه وقرابتَه؛ ولكنا إنما أردنا هذه الدنيا ، فصالحه معاويةُ ، وعطَفَ عليه[1] . (٤: ٥٦٠/ ٥٦١).

توجيه عليٍّ بن أبي طالب جرير بن عبد الله البَجَليَّ إلى معاوية يدعوه إلى الدخول في طاعته

١٠٧٠ ـ وفي هذه السنة وجّه عليّ عند منصرَفه من البصرة إلى الكوفة وفراغه من الجمل جريرَ بنَ عبد الله البَجَليّ إلى معاوية يدعوه إلى بَيعته ، وكان جرير حين خرج عليّ إلى البصرة لقتال مَنْ قاتله بها بهمَذَان عاملاً عليها ، كان عثمان استعمله عليها ، وكان الأشعث بن قيس على أذْرِبِيجانَ عاملاً عليها ، كان عثمان استعمله عليها ، فلما قدم عليّ الكوفة منصرفاً إليها من البصرة ، كتب إليهما يأمرهما بأخذ البَيْعة له على مَن قِبَلهما من الناس ، والانصراف إليه ، ففعلا ذلك ، وانصَرَفا إليه.

فلما أراد عليٌّ توجيهَ الرسول إلى معاوية ، قال جرير بن عبد الله ـ فيما حدّثني عمرُ بن شبّة ، قال: حدّثنا أبو الحسن عن عوانة ـ: ابعثْني إليه ، فإنه لي وِدّ؛ حتى آتيه فأدعوه إلى الدخول في طاعتك ، فقال الأشتر لعليّ: لا تبعثه ، فوالله إنّي لأظنّ هواه معه؛ فقال عليّ: دعْه حتى ننظرَ ما الذي يرجع به إلينا؛ فبعثه إليه ، وكتب معه كتاباً يُعلِمه فيه باجتماع المهاجرين والأنصار على بَيْعته ، ونكث طلحة والزبير ، وما كان من حربِه إياهما ، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار من طاعته ، فشخص إليه جرير ، فلمّا قدم عليه ماطله واستنظره ، ودعا عمراً فاستشاره فيما كتب به إليه ، فأشار عليه أن يرسل إلى وجوه الشأم ، ويُلزِم عليّاً دم عثمان ، ويقاتله بهم ، ففعل ذلك معاوية.

---

(١) في إسناده الواقدي وهو متروك ، وبين الطبري والواقدي انقطاع.

فلما قدم جرير بن عبد الله على عليّ ـ فيما حدّثني عمر بن شبّة ، قال: حدّثنا أبو الحسن ، عن عوانة ـ فأخبره خبر معاوية ، واجتماع أهل الشأم معه على قتاله ، وأنّهم يبكون على عثمان ، ويقولون: إنّ علياً قتله ، وآوى قَتَلَته ، وإنّهم لا ينتهون عنه حتى يقتلهم ، أو يقتلوه. فقال الأشتر لعليّ: قد كنت نهيتُك أن تبعث جريراً ، وأخبرتُك بعداوته وغشّه ، ولو كنتَ بعثتَني كان خيراً من هذا الذي أقام عنده حتى لم يَدَع باباً يرجو فتحَه إلاّ فتحَه ، ولا باباً يخاف منه إلاّ أغلَقَه ، فقال جرير: لو كنتَ ثمّ لقتلوك؛ لقد ذكروا أنّك من قَتَلة عثمان رضي الله عنه ، فقال الأشتر: لو أتيتُهم واللهِ يا جرير لم يُعيِني جوابُهم ، ولحملتُ معاوية على خُطّة أعجِله فيها عن الفكر ، ولو أطاعني فيك أميرُ المؤمنين؛ لحبَسَك وأشباهَك في محبس لا تخرجون منه حتى تستقيم هذه الأمور.

فخرج جرير بن عبد الله إلى قَرْقِيسياءَ ، وكتب إلى معاوية ، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه ، وخرج أميرُ المؤمنين فعسكر بالنُّخيلة ، وقدم عليه عبد الله بنُ عباس بمن نهض معه من أهل البصرة.

عاد الحديث إلى حديث عوانة ، فبعث عليٌّ زيادَ بن النّضر الحارثيّ طليعةً في ثمانيةِ آلاف ، وبعث معه شُريح بن هانىء في أربعة آلاف ، وخرج عليٌّ من النُّخَيلة بمن معه ، فلمّا دخل المدائنَ شَخصَ معه مَن فيها من المقاتلة ، وولّى على المدائن سعدَ بن مسعود الثقفيّ عمّ المختار بن أبي عُبيد ، ووجّه عليٌّ من المدائن معقلَ بنَ قيس في ثلاثة آلاف ، وأمره أن يأخذ على الموصل حتى يوافيَه[1] . (٤ : ٥٦١/ ٥٦٢ وتكملة ـ ٥٦٥) .

١٠٧١ ـ وكان أهل الشام فيما كتب إليّ السريّ يذكر: أن شعيباً حدّثه عن سيف ، عن محمد وطلحة ـ لما قدم عليهم النّعمان بن بشير بقميص عثمانَ رضي الله عنه ـ الذي قتل فيه مخضّباً بدمِه وبأصابع نائلةَ زوجته مقطوعة بالبَراجم؛ إصبعان منها وشيء من الكفّ ، وإصبعان مقطوعتان من أصولهما ونصف الإبهام ـ وضع معاوية القميصَ على المنبر ، وكتب بالخبر إلى الأجناد ، وثابَ إليه الناس ، وبكوْا سنة وهو على المنبر والأصابع معلّقة فيه ، وآلى الرجال من أهل

(١) إسناده ضعيف جداً.

الشأم ألاّ يأتوا النساءَ ، ولا يمسّهم الماء للغسل إلاّ من احتلام ، ولا يناموا على الفُرُش حتى يَقْتلوا قَتلَة عثمان ، ومَن عرض دونهم بشيء ، أو تفنى أرواحُهم ، فمكثوا حول القميص سنة ، والقميص يوضع كلّ يوم على المنبر ويجلّلُه أحياناً فيُلبَسه ، وعُلّق في أردانه أصابع نائلة رضي الله عنها[1] . (٤ : ٥٦٢) .

خروج علي بن أبي طالب إلى صِفِّين

١٠٧٢ ـ حدّثني عبد الله بن أحمد المروزيّ ، قال : حدّثني أبي عن سليمان ، عن عبد الله ، عن معاوية بن عبد الرحمن ، عن أبي بكر الهُذَليّ ، أن عليّاً لما استَخلف عبدَ الله بن عبّاس على البصرة سار منها إلى الكوفة ، فتهيَّأ فيها إلى صِفِّين ، فاستشار الناسَ في ذلك ، فأشار عليه قوم أن يبعث الجنود ويقيم؛ وأشار آخرون بالمسير ، فأبَى إلاّ المباشرة؛ فجهّز الناس ، فبلغ ذلك معاوية ، فدعا عمرو بن العاص فاستشاره . فقال : أمّا إذ بلغك أنه يسير فسِرْ بنفسك ، ولا تغبْ عنه برأيك ومَكيدتك . قال : أمّا إذاً يا أبا عبد الله فجهّز الناس ، فجاء عمرو فحضّض الناسَ ، وضعّف عليّاً وأصحابَه ، وقال : إنّ أهل العراق قد فرّقوا جمعَهم ، وأوهَنُوا شوكتَهم ، وفلّوا حدّهم ، ثم إنّ أهل البصرة مخالفون لعليّ ، قد وتَرهم وقتلهم ، وقد تفانت صَناديدُهم وصناديدُ أهل الكوفة يومَ الجمل ، وإنما سار في شرذمة قليلة ، ومنهم مَن قد قَتل خليفتَكم؛ فاللهَ اللهَ في حقّكم أن تضيّعوه ، وفي دمكم أن تُبطِلوه!

وكتب في أجناد أهل الشأم ، وعقد لواءه لعمرو ، فعقد لوَرْدان غلامِه فيمن عقد ، ولابنيه عبدِ الله ومحمد ، وعقد عليٌّ لغلامه قَنْبَر ، ثم قال عمرو :

هــل يُغْنِيَــنْ وَرْدانُ عَنّــي قَنْبَــرَا ... وَتغنِـيَ السَّكــونُ عنّــي حِمْيَــرَا
إذا الكُمــــاةُ لَبِسُــوا السَّنَــوَّرا

فبلغ ذلك عليّاً فقال :

لأصْبِحَـنَّ العـاصِيَ ابـنَ العـاصِـي ... سبعيـن ألفـاً عـاقِـدي النّـواصِـي
مُجَنِّبِيــنَ الخيــلَ بــالقِــلاصِ ... مُسْتَحْقِبِيــنَ حَلَــق الــدِّلاصِ

---

(١) إسناده ضعيف جداً.

فلما سمع ذلك معاوية قال: ما أرى ابنَ أبي طالب إلاّ قد وفىَ لك؛ فجاء معاوية يتأنى في مسيره. وكتب إلى كلّ من كان يرى أنه يخاف عليّاً أو طعن عليه ومَن أعظم دمَ عثمان واستعواهم إليه. فلما رأى ذلك الوليد بعث إليه يقول:

ألا أَبْلِـغْ مُعـاويـةَ بـنَ حـرْبٍ ... فـإنَّـكَ مـن أخـي ثِقَـةٍ مُليـمُ
قَطَعْـتَ الـدهْـرَ كـالسَّـدِمِ المُعَنّى ... تُهـدِّرُ فـي دِمَشْـقَ فمـا تَـريـمُ
وإنّـك والكتـابَ إلـى علـيٍّ ... كـدابِغَـةٍ وقـد حَلِـمَ الأديـمُ
يُمَنّيـكَ الإمـارةَ كـلُّ ركْـبٍ ... لأنْقـاضِ العـراقِ بهـا رَسيـم
وليـس أخـو التِّـرات بمـن تَـوانَـى ... ولكـنْ طـالِـبُ التِّـرَةِ الغَشـومُ
ولـو كنـتَ القتيـلَ وكـان حيّـاً ... لَجَـرَّدَ لا أَلَـفُّ ولا سَـؤُومُ
ولا نَكِـلٌ عـن الأوتـارِ حتّـى ... يُبـيءَ بهـا ، ولا بَـرِمٌ جَثـومُ
وقـومُـكَ بـالمـدينـة قـد أبيـروا ... فهـمْ صَـرْعَـى كـأنهُـمُ الهَشيـمُ

وقال غيرُ أبي بكر: فدعا معاوية شدّاد بنَ قيس كاتبه وقال: ابغني طُوماراً، فأتاه بطُومار، فأخذ القلم فكتب، فقال: لا تَعجلْ، اكتب:

ومُستعْجِـبٍ ممـا يَـرَى مـن أَنـاتِنـا ... ولـو زَبَنَتْـه الحـربُ لـم يتـرمـرَمِ

ثم قال: اطوِ الطّومار، فأرسل به إلى الوليد، فلما فتحه لم يجد فيه غير هذا البيت.

قال أبو بكر الهذليّ: وكتب رجل من أهل العراق حيث سار عليّ بن أبي طالب إلى معاوية بيتين:

أبْلِـغْ أميـرَ المـؤمنيـ ... ـن أخـا العِـراق إذا أَتَيْنَـا
أنَّ العِـراقَ وأهلَهـا ... عُنُـقٌ إليـك فَهَيْـتَ هَيْتَـا[(١)]

(٤: ٥٦٣/ ٥٦٤/ ٥٦٥).

ما أمر به عليّ بن أبي طالب من عمل الجسر على الفرات

١٠٧٣ ـ فلما انتهى عليٌّ إلى الرّقة قال فيما حُدّثت عن هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدّثني الحجّاج بن عليّ، عن عبد الله بن عمار بن عبد يغوث

(١) في إسناده أبو بكر الهذلي وهو متروك.

البارقيّ ـ لأهل الرّقة: اجسُروا لي جسْراً حتى أعبر من هذا المكان إلى الشأم ، فأبوا. وقد كانوا ضمّوا إليهم السفن ، فنهض من عندهم ليعبر من جسر مَنبج ، وخلّف عليهم الأشتر ، وذهب ليمضيَ بالناس كيما يعبرَ بهم على جسر مَنْبج ، فناداهم الأشتر ، فقال: يا أهل هذا الحصن ، ألا إني أقسم لكم بالله عزّ وجلّ؛ لئن مضى أمير المؤمنين؛ ولم تُجسِّروا له عند مدينتكم جِسْراً حتى يَعبُر لأجرّدنّ فيكم السيف ، ثم لأقتلنّ الرجال ولأخرّبنّ الأرض ، ولآخذنّ الأموال. قال: فلقيَ بعضهم بعضاً ، فقالوا: أليس الأشتر يفي بما حلف عليه ، أو يأتي بشرٍّ منه؟ قالوا: نعم ، فبعثوا إليه: إنّا ناصبون لكم جسراً ، فأقبلوا ، وجاء عليٌّ فنصبوا له الجسر ، فعبر عليه بالأثقال والرجال ، ثم أمر عليٌّ الأشترَ فوقف في ثلاثة آلافِ فارس ، حتى لم يبق من الناس أحد إلاّ عبر ، ثم إنه عبر آخر الناس رجلاً[1] . (٤ : ٥٦٥/٥٦٦).

١٠٧٤ ـ قال أبو مخنف: وحدّثني الحجّاج بن عليّ عن عبد الله بن عمّار بن عبد يغوث: أنّ الخيل حين عبرت زَحمَ بعضُها بعضاً ، فسقطت قَلَنْسُوَة عبد الله بن أبي الحصين الأزديّ ، فنزل فأخذها ثم ركب ، وسقطتْ قلنسوَةُ عبدِ الله بن الحجّاج الأزدّي ، فنزل فأخذها ، ثم ركب ، وقال لصاحبه:

فإن يكُ ظَنُّ الزاجِرِي الطَّيْرِ صادقاً كما زعموا أُقْتَلْ وَشيكاً وتُقْتَلُ

فقال له عبد الله بن أبي الحصين: ما شيء أُوتاه أحبّ إليّ مما ذكرت؛ فقُتِلا جميعاً يومَ صِفّين[2] . (٤ : ٥٦٦).

١٠٧٥ ـ قال أبو مخنف: فحدّثني خالد بن قطَن الحارثيّ: أنّ عليّاً لما قطع الفرات؛ دعا زياد بن النَّضر ، وشُريح بن هانىء ، فسرّحهما أمامَه نحو معاوية على حالهما التي كانا خرجا عليها من الكُوفة. قال: وقد كانا حيث سرّحهما من الكُوفة أخذَا على شاطىء الفرات من قِبَل البرّ مما يلي الكوفة حتى بلغا عانات ، فبلغهما أخذُ عليّ على طريق الجزيرة ، وبلغهما: أنّ معاوية قد أقبل من دمشق في جنود أهل الشأم لاستقبال عليّ ، فقالا: لا والله ما هذا لنا برأيي؛ أن نسير وبيننا

(١) إسناده تالف.
(٢) إسناده تالف.

وبين المسلمين وأمير المؤمنين هذا البحر! ومالنا خير في أن نلقَى جنود أهل الشأم بقلّة مَن معنا منقطعين من العدد والمدد. فذهبوا ليَعبُروا من عانات، فمنعَهم أهلُ عانات، وحبسوا عنهم السُفُن، فأقبلوا راجعين حتى عبروا من هِيت، ثم لحقوا عليّاً بقرية دون قَرْقِيسياء؛ وقد أرادوا أهلَ عانات، فتحصَّنوا وفرّوا، ولما لحقت المقدّمة عليّاً قال: مقدّمتي تأتيني من ورائي، فتقدّم إليه زياد بن النَّضر الحارثيّ وشريح بن هانىء؛ فأخبرَاه بالذي رأيَا حين بلغهما من الأمر ما بلغهما، فقال: سددتما، ثم مضى عليّ، فلما عبر الفرات قدّمهما أمامه نحوَ معاوية، فلما انتهيا إلى سور الرّوم لقيهما أبو الأعور السُّلَميّ عمرو بن سفيان في جند من أهل الشأم، فأرسلا إلى عليّ: إنّا قد لقينا أبا الأعور السُّلميّ في جند من أهل الشأم، وقد دعوناهم فلَم يُجبنا منهم أحد، فمرْنا بأمرك، فأرسل عليّ إلى الأشتر؛ فقال: يا مالك إنّ زياداً وشريحاً أرسلا إليّ يعلِماني: أنهما لقيا أبا الأعور السلميّ في جمع من أهل الشأم، وأنبأني الرسول أنه تركهم متواقفين، فالنَّجاء إلى أصحابك النّجاء، فإذا قدمتَ عليهم فأنت عليهم، وإيّاك أن تبدأ القوم بقتال إلاّ أن يبدؤوك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع، ولا يَجرِمنّك شنآنُهم على قتالهم قبل دعائهم، والإعذار إليهم مرة بعد مرّة، واجعل على ميمنتك زياداً، وعلى ميسرتك شُريحاً، وقف من أصحابك وسطاً، ولا تدنُ منهم دنوّ من يريد أن يُنشب الحرب، ولا تَباعد منهم بُعد من يهاب البأس حتى أقدم عليك، فإنّي حثيث السير في أثرك إن شاء الله. قال: وكان الرّسول الحارث بن جُمهان الجُعفيّ، فكتب عليٌّ إلى زياد وشريح:

أمّا بعد، فإني قد أمّرتُ عليكما مالكاً، فاسمعا له وأطيعا، فإنه ممن لا يخاف رهقُه ولا سِقاطُه ولا بطؤُه عمّا الإسراع إليه أحزَم، ولا الإسراع إلى ما الإبطاء عنه أمثَل، وقد أمرْته بمثل الذي كنتُ أمرتكما به ألاّ يبدأ القوم حتى يلقاهم فيدعوَهم ويُعذَر إليهم.

وخرج الأشتر حتى قدم على القوم، فاتّبع ما أمره عليّ وكفّ عن القتال فلم يزالوا متواقفين حتى إذا كان عند المساء حمل عليهم أبو الأعور السُّلَميّ، فثبتوا له، واضطربوا ساعة، ثم إنّ أهل الشأم انصرفوا، ثم خرج إليهم من الغد هاشمُ بن عُتبة الزّهريّ في خيل ورجال حسن عَددها وعُدّتها، وخرج إليه

أبو الأعور فاقتتلوا يومَهم ذلك ، تَحمِل الخيلُ على الخيل والرجالُ على الرجال ، وصبر القوم بعضهم لبعض ، ثم انصرَفوا ، وحمل عليهم الأشتر ، فقُتل عبد الله بن المنذر التّنوخيّ ، قتله يومئذ ظَبيان بن عمّار التميميّ ، وما هو إلاّ فتىً حدث ، وإن كان التنوخيّ لفارس أهل الشأم ، وأخذ الأشتر يقول: وَيْحَكم! أروني أبا الأعور ، ثم إن أبا الأعور دعا الناس ، فرجعوا نحوَه ، فوقف من وراء المكان الذي كان فيه أوّل مرة ، وجاء الأشتر حتى صفّ أصحابه في المكان الذي كان فيه أبو الأعور ، فقال الأشتر لسنان بن مالك النّخَعيّ: انطلِق إلى أبي الأعور ، فادعه إلى المبارزة ، فقال: إلى مبارَزتي أو مبارزتك ؟ فقال له الأشتر: لو أمرتُك بمبارزته فعلتَ ؟ قال: نعم ، والله لو أمرتَني أن أعترض صفّهم بسيفي ما رجعتَ أبداً حتى أضرب بسيفي في صفّهم ، قال له الأشتر: يابن أخي! أطال الله بقاءك! قد والله ازددتُ رغبةً فيك ، لا أمرتك بمبارزته ، إنما أمرتُك أن تدعوَه إلى مبارزتي؛ إنه لا يبرُز إن كان ذلك من شأنه إلاّ لذوي الأسنان والكفاءة والشرف ، وأنت ـ لربّك الحمد ـ من أهل الكفاءة والشرف ، غير أنّك فتىً حدَث السنّ ، فليس بمبارز الأحداث ، ولكن ادعه إلى مبارزتي. فأتاه فنادى: آمنوني فإنّي رسول. فأومن، فجاء حتى انتهى إلى أبي الأعور[1]. (٤: ٥٦٦/٥٦٧/٥٦٨).

١٠٧٦ ـ قال أبو مخنف: فحدّثني النضر بن صالح أبو زهير العبسيّ ، قال: حدّثني سنان ، قال: فدنوت منه فقلت: إنّ الأشتر يدعوك إلى مبارزته. قال: فسكت عني طويلاً ثم قال: إنّ خفّة الأشتر وسوءَ رأيه هو حمله على إجلاء عمّال ابن عفان رضي الله عنه في العراق ، وانتزاؤه عليه يقبّح محاسنه ، ومن خِفّة الأشتر وسوءِ رأيه أن سار إلى ابن عفان رضي الله عنه في داره وقراره حتى قتله فيمن قتله ، فأصبح متّبعاً بدمه؛ ألا لا حاجة لي في مبارزته. قال: قلتُ: إنك قد تكلمت ، فاسمع حتى أجيبَك ، فقال: لا ، لا حاجة لي في الاستماع منك ولا في جوابك ، اذهب عني ، فصاح بي أصحابه فانصرفتُ عنه ، ولو سمع إليَّ لأخبرته بعذر صاحبي وحجّتِه ، فرجعت إلى الأشتر ، فأخبرتُه أنه قد أبى المبارزة ، فقال: لنفسه نظر ، فوَاقفناهم حتى حجز الليلُ بيننا وبينهم ، وبتنا

(١) إسناده تالف ، فأبو مخنف هالك ساقط وخالد بن قطن مجهول الحال.

متحارِسين ، فلما أصبحنا نظرنا فإذا القوم قد انصرفوا من تحت ليلتهم ، ويصبّحنا عليّ بن أبي طالب غُدوة ، فقدم الأشتر فيمن كان معه في تلك المقدّمة حتى انتهى إلى معاوية ، فواقفه ، وجاء عليٌّ في أثره فلحق بالأشتر سريعاً ، فوقف وتواقفوا طويلاً.

ثمّ إنّ عليّاً طلب موضِعاً لعسكره ، فلما وجده أمر الناسَ فوضعوا الأثقال ، فلما فعلوا ذهب شبابُ الناس وغِلمَتُهم يستقون ، فمنعهم أهلُ الشأم ، فاقتتل الناس على الماء ، وقد كان الأشتر قال له قبل ذلك: إنّ القوم قد سبقوا إلى الشريعة وإلى سهولةِ الأرض وسعةِ المنزل ، فإن رأيتَ سرنا نجوزُهم إلى القرية التي خرجوا منها ، فإنهم يشخصون في أثرنا ، فإذا هم لحقونا نزَلْنا فكنّا نحن وهم على السواء ، فكَرِه ذلك عليٌّ ، وقال: ليس كلّ الناس يقْوَى على المسير ، فنزَل بهم[1]. (٤ : ٥٦٨/٥٦٩).

القتال على الماء

١٠٧٧ ـ قال أبو مخْنَف: وحدّثني تميم بن الحارث الأزديّ ، عن جندَب بن عبد الله ، قال: إنّا لما انتهينا إلى معاوية؛ وجدناه قد عسكر في موضع سهل أفْيَح قد اختاره قبل قدومنا إلى جانب شريعة في الفُرات ، ليس في ذلك الصقع شريعة غيرها ، وجعلها في حيّزِه ، وبعث عليها أبا الأعور يمنعها ويحميها ، فارتفعنا على الفرات رجاءَ أن نجد شريعةً غيرَها نستغني بها عن شريعتهم فلم نجدها ، فأتينا عليّاً فأخبرناه بعطش الناس ، وأنا لا نجد غيرَ شريعة القوم. قال: فقاتلوهم عليها ، فجاءه الأشعث بن قيس الكنديّ فقال: أنا أسير إليهم ، فقال له عليّ: فسر إليهم ، فسار ، وسرنا معه ، حتى إذا دنونا من الماء؛ ثاروا في وجوهنا ينضِحوننا بالنَّبل ، ورشَقْناهم والله بالنّبل ساعة ، ثم اطَّعَنّا والله بالرماح طويلاً ، ثم صرنا آخر ذلك نحن والقوم إلى السيوف ، فاجتلَدْنا بها ساعة. ثم إنّ القوم أتاهم يزيد بن أسد البَجَليّ مُمِدّاً في الخيل والرجال ، فأقبلوا نحونا ، فقلت في نفسي: فأمير المؤمنين لا يبعث إلينا بمن يغني عنا هؤلاء ، فذهبتُ فالتفتّ فإذا عدّة القوم أو أكثر ، قد سرّحهم إلينا ليغنُوا عنّا يزيد بن أسد وأصحابه ، عليهم

---

(١) إسناده تالف.

شَبَث بن رِبْعيّ الرّياحيّ ، فوالله ما ازداد القتال إلاّ شدّة ، وخرج إلينا عمرو بن العاص من عسكر معاوية في جند كثير ، فأخذ يُمدّ أبا الأعور ويزيدَ بن أسد ، وخرج الأشتر من قبَل عليّ في جمع عظيم ، فلمّا رأى الأشتر عمرو بن العاص يُمِدّ أبا الأعور ويزيد بن أسد ، أمدّ الأشعثَ بن قيس ، وَشبَث بن رِبعيّ ، فاشتدّ قتالنا وقتالهم ، فما أنسى قولَ عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزديّ:

خَلُّوا لنا ماءَ الفُراتِ الجاري أو اثبُتوا لجحْفَلٍ جَرَّارِ
لكلِّ قَرْمٍ مُسْتميتٍ شارِي مطاعنٍ برُمْحِه كَرَّارِ
ضَرَّابِ هاماتِ العِدَا مِغْوارِ[١]

(٤ : ٥٦٩/ ٥٧٠).

١٠٧٨ ـ قال أبو مخنف: وحدّثني رجل من آل خارجة بن التميميّ: أن ظَبْيان بن عُمارة جعل يومئذ يقاتِل وهو يقول:

هل لك يا ظَبْيانُ مِن بقاءِ في ساكِنِ الأرْضِ بِغَيْرِ ماءِ
لا وإلهِ الأرضِ والسَّماءِ فاضْرِبْ وجوهَ الغُدُرِ الأعْداءِ
بالسَّيْفِ عند حَمَسِ الوغاء حتّى يُجيبوك إلى السّواءِ

قال ظبيان: فضربناهم والله حتى خلّوْنا وإيّاه[٢]. (٤ : ٥٧٠).

١٠٧٩ ـ قال أبو مخنف: وحدّثني أبي يحيى بن سعيد عن عمّه محمد بن مخْنَف ، قال: كنت مع أبي مخْنف بن سُليَم يومئذ ، وأنا ابن سبع عشرة سنة ، ولست في عطاء ، فلما مُنع الناس الماءَ قال لي أبي: لا تبرحنّ الرّحْل ، فلما رأيت المسلمين يذهبون نحو الماء لم أصبر ، فأخذتُ سيفي ، وخرجتُ مع الناس ، فقاتلت ، قال: وإذا أنا بغلام مملوك لبعض أهل العراق ومعه قِربة ، فلما رأى أهل الشام قد أفرجوا عن الشريعة اشتدّ حتى ملأ قِرْبته ، ثم أقبل ، ويَشُدّ عليه رجل من أهل الشأم فيضربه فيَصرعه ، وسقطت القِربة منه. قال: وأشدّ على الشاميّ فأضربه فأصرَعه ، واشتدّ أصحابُه فاستنقذوه ، فسمعتُهم وهم يقولون: لا نأمن عليك ، ورجعتُ إلى المملوك فاحتملتُه ، فإذا هو يكلّمني وبه جرح

---

(١) إسناده تالف.
(٢) إسناده تالف.

رَغيب ، فما كان أسرع من أن جاءه مولاه ، فذهب به ، وأخذتُ قربته وهي مملوءةٌ ، وآتي بها أبي مخنفاً ، فقال: من أين جئت بها؟ فقلت: اشتريتها وكرهت أن أخبره الخبر ، فيَجِدَ عليَّ ـ فقال: اسقِ القومَ ، فسقيتُهم ، ثم شرب آخرهم ، ونازعتْني نفسي والله إلى القتال ، فأنطلق فأتقدّم فيمن يقاتل ، فقاتلناهم ساعة ، ثم أشهدُ أنهم خلّوا لنا عن الماء ، فما أمسينا حتى رأينا سُقاتنا وسُقاتهم يزدحمون على الشريعة ، وما يؤذِي إنسانٌ إنساناً ، فأقبلت راجعاً ، فإذا أنا بمولَى صاحب القربة ، فقلت: هذه قِرْبتك عندنا ، فأرسِل من يأخذها ، أو أعلِمني مكانَك حتى أبعث بها إليك ، فقال: رحمك الله! عندنا ما نكتفي به؛ فانْصرفت وذهب ، فلما كان من الغد مرّ على أبي ، فوقف فسلّم عليه ، ورآني إلى جَنْبِتِه ، فقال: ما هذا الفتى منك؟ قال: ابني؛ قال: أراكَ الله فيه السرور ، أنقذ الله عزّ وجلّ أمسِ غلامي به من القتل ، حدّثني شباب الحيّ أنه كان أمس أشجعَ الناس ، فنظر إليّ أبي نظرةً عرفتُ منها في وجهه الغضب ، فسكتّ حتى إذا مضى الرجل قال: هذا ما تقدّمت إليك فيه! فحلّفني ألاّ أخرج إلى قتال إلاّ بإذنه ، فما شهدت من قتالهم إلاّ ذلك اليوم حتى كان يوم من أيامهم[1] . (٤ : ٥٧٠/ ٥٧١).

١٠٨٠ ـ قال أبو مخنف: وحدّثني يونس بن أبي إسحاق السَّبِيعيّ ، عن مِرهان مولى يزيد بن هانىء ، قال: والله إنّ مولاي يزيد بن هانىء ليُقاتل على الماء ، وإنّ القربة لفي يده ، فلما انكشف أهل الشأم انكشافةً عن الماء ، استدرْتُ حتى أسقي ، وإنّي فيما بين ذلك لأقاتل وأرامي[2] . (٤ : ٥٧١).

١٠٨١ ـ قال أبو مخْنف: وحدّثني يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر ، قال: لما قدمنا على معاوية وأهل الشأم بصِفّين ، وجدناهم قد نزلوا منزلاً اختاروه مستوياً بِساطاً واسعاً ، أخذوا الشريعة ، فهي في أيديهم ، وقد صفّ أبو الأعور السُّلميّ عليها الخيل والرجال ، وقد قدّم المُرامية أمام من معه ، وصفّ صفّاً معهم من الرماح والدّرَق ، وعلى رؤوسهم البَيْض ، وقد أجمعوا على أن يمنعونا الماءَ ، ففزعنا إلى أمير المؤمنين ، فخبّرناه بذلك ، فدعا صعصعة بن صُوحان ، فقال له: ائت معاوية وقل له: إنّا سِرْنا مسيرنا هذا إليكم ،

---

(١) إسناده تالف.
(٢) إسناده تالف.

ونحن نكرَه قتالكم قبل الإعذار إليكم ، وإنك قدّمت إلينا خيلَك ورجالك فقاتلتَنا قبل أن نقاتِلَك ، وبدأتَنا بالقتال ، ونحن من رأينا الكفّ عنك حتى ندعوَك ونحتجّ عليك ، وهذه أخرى قد فعلتموها ، قد حُلتم بين الناس وبين الماء ، والناس غير منتهين أو يشربوا ، فابعث إلى أصحابك فليخلّوا بين الناس وبين الماء ، ويكفوا حتى ننظر فيما بيننا وبينكم ، وفيما قدِمنا له وقدمتم له ، وإن كان أعجبَ إليك أن نترك ما جئنا له ، ونترك الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب ، فعلْنا ، فقال معاوية لأصحابه: ما ترون؟ فقال الوليد بن عقبة: امنعهم الماء كما منعوه عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، حصروه أربعين صباحاً يمنعونه بَرْدَ الماء ، ولينَ الطعام ، اقتُلهم عطشاً ، قَتَلَهم الله عطشاً! فقال له عمرو بن العاص: خلِّ بينهم وبين الماء ، فإنّ القوم لن يَعطَشوا وأنت ريّان؛ ولكن بغير الماء ، فانظر ما بينك وبينهم.

فأعاد الوليد بن عقبة مقالته ، وقال عبد الله بن أبي سَرْح: امنعهم الماءَ إلى الليل ، فإنهم إن لم يقدروا عليه رجعوا ، ولو قد رجعوا كان رجوعُهم فَلاًّ ، امنعهم الماء منعهم الله يوم القيامة! فقال صعصعة: إنما يمنعه الله عزّ وجلّ يوم القيامة الكَفَرَة الفَسَقة وشَرَبة الخمر؛ ضَرْبك وضَرْب هذا الفاسقَ - يعني الوليد بن عقبة - قال: فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهدّدونه ، فقال معاوية: كُفوا عن الرجل فإنه رسول[1]. (٤ : ٥٧١/ ٥٧٢).

١٠٨٢ - قال أبو مِخْنف: وحدّثني يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر: أن صعصعة رجع إلينا فحدّثنا عمّا قال لمعاوية ، وما كان منه وما ردّ ، فقلنا: فما ردّ عليك؟ فقال: لما أردت الانصرافَ من عنده قلت: ما ترد عليَّ؟ قال معاوية: سيأتيكم رأيي؛ فوالله ما راعنا إلا تسريتُه الخيل إلى أبي الأعور ليكفّهم عن الماء. قال: فأبرَزَنا عليٌّ إليهم ، فارتمَينا ثم اطَّعنَّا ، ثم اضطربنا بالسيوف ، فنُصِرنا عليهم ، فصار الماء في أيدينا ، فقلنا: لا والله لا نسقيهُموه ، فأرسل إلينا عليّ: أن خذوا من الماء حاجتكم ، وارجعوا إلى عسكركم ، وخَلّوا عنهم؛ فإنّ الله عزّ وجلّ قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم[2]. (٤ : ٥٧٢).

---

(١) إسناده تالف ، أما الوليد فقد وافىٰ الرقة معتزلاً الفتنة (طبقات ٦/ ٢٥) و(الإصابة ٣/ ٦٣٨).

(٢) إسناده تالف.

دعاء عليّ معاوية إلى الطاعة والجماعة

١٠٨٣ - قال أبو مخنف: حدّثني عبد الملك بن أبي حرّة الحنفيّ: أنّ عليّاً قال: هذا يومٌ نُصِرتم فيه بالحميّة، وجاء الناس حتى أتوا عسكرهم، فمكث عليٌّ يومين لا يُرسل إلى معاوية أحداً، ولا يرسل إليه معاوية، ثم إن عليّاً دعا بشير بن عمرو بنِ محْصَن الأنصاريّ، وسعيد بن قيس الهمدانيّ، وشَبَث بن ربعيّ التميميّ، فقال: ائتوا هذا الرّجل فادعوه إلى الله، وإلى الطاعة، والجماعة، فقال له شَبَث بن ربعيّ: يا أمير المؤمنين! ألا تُطمِعه في سلطان تولّيه إياه، ومنزلة يكون له بها أثرة عندك إن هو بايعك؟ فقال عليّ: ائتوه فالقوه واحتجُّوا عليه، وانظروا ما رأيُه ـ وهذا في أول ذي الحجّة ـ فأتَوْه، ودخلوا عليه، فحمِد الله وأثنى عليه أبو عُمرة بشير بن عمرو، وقال: يا معاوية! إنّ الدنيا عنك زائلة، وإنك راجع إلى الآخرة، وإنّ الله عزّ وجلّ محاسبك بعملك، وجازيك بما قدّمتْ يداك، وإني أنشدُك الله عزّ وجلّ أن تفرّق جماعةَ هذه الأمة، وأن تَسفِك دماءها بينها! فقطع عليه الكلام، وقال: هلاّ أوصيت بذلك صاحبَك؟ فقال أبو عَمرة: إنّ صاحبي ليس مثلك، صاحبي أحقّ البريّة كلّها بهذا الأمر في الفضل، والدّين، والسابقة في الإسلام، والقرابةِ من الرسول ﷺ. قال: فيقول ماذا؟ قال: يأمرك بتقوى الله عزّ وجلّ، وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحقّ، فإنّه أسلم لك في دنياك، وخيرٌ لك في عاقبة أمرك. قال معاوية: ونُطلّ دمَ عثمان رضي الله عنه! لا والله لا أفعل ذلك أبداً، فذهب سعيد بن قيس يتكلّم، فبادره شَبث بن رِبْعيَ، فتكلّم فحمِد الله وأثنىَ عليه، وقال: يا معاوية! إني قد فهمت ما رددت على ابنِ محصَن، إنه والله لا يخفى علينا ما تغزو وما تطلب؛ إنك لم تجد شيئاً تَستغوِي به الناسَ، وتسميل به أهواءهم، وتستخلص به طاعتهم، إلاّ قولك: «قتل إمامكم مظلوماً، فنحن نطلب بدمه»، فاستجاب له سفهاء طَغام، وقد علمْنا أن قد أبطأتَ عنه بالنصر، وأحببتَ له القتل، لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب، ورُبّ متمنٍّي أمر وطالبِه اللهُ عزّ وجلّ يحول دونَه بقدرته، وربما أوتي المتمنّي أمنيّتَه وفوق أمنيّته، ووالله مَالَك في واحدةٍ منهما خير، لئن أخطأتَ ما ترجو إنك لشرّ العرب حالاً في ذلك، ولئن

أصبت ما تَمنّى لا تصيبه حتى تستحقّ من ربِّك صُلِيَّ النار ، فاتّق الله يا معاوية ! ودع ما أنت عليه ، ولا تنازع الأمر أهلَه.

فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد ، فإن أوّل ما عرفت فيه سَفَهَك ، وخفّة حلمك ، قطعُك على هذا الحسيب الشريف سيّد قومه منطقَه ، ثم عنِيت بعد فيما لا علم لك به ، فقد كذبتَ ، ولَؤُمتَ أيها الأعرابي الجِلْف الجافي في كلّ ما ذكرت ووصفت ، انصرِفوا من عندي ، فإنه ليس بيني وبينكم إلاّ السيف ، وغضب ، وخرج القوم وشَبث يقول: أفَعلَيْنا تهوّل بالسيف! أقسم بالله لَيُعجَلنّ بها إليك. فأتوا عليّاً وأخبروه بالذي كان من قوله ، وذلك في ذي الحجة ، فأخذ عليٌّ يأمر الرجل ذا الشرف ، فيخرج معه جماعة ، ويخرج إليه من أصحاب معاوية آخر معه جماعة ، فيقتتلان في خيلهما ورجالهما ثم ينصرفان ، وأخذوا يكرهون أن يلقَوا بجمع أهل العراق أهل الشأم لما يتخوّفون أن يكون في ذلك من الاستئصال والهلاك ، فكان عليٌّ يخرج مرّة الأشتر ، ومرّة حُجْر بن عديّ الكنديّ ، ومرّة شَبَثَ بن رِبْعِيّ ، ومرّة خالد بن المعمّر ، ومرّة زياد بن النضر الحارثيّ ، ومرّة زياد بن خَصفة التيميّ ، ومرّة سعيد بن قيس ، ومرّة معقل بن قيس الرّياحيّ ، ومرّة قيس بن سعد ، وكان أكثر القوم خروجاً إليهم الأشتر ، وكان معاوية يُخرج إليهم عبدَ الرحمن بن خالد المخزومي ، وأبا الأعور السُّلميّ ، ومرّة حبيب بن مسلمة الفهريّ ، ومرّة ابن ذي الكَلاع الحِمْيريّ ، ومرة عبيد الله بن عمر بن الخطّاب ، ومرّة شُرحبيل بن السِّمْط الكنديّ ، ومرّة حمزة بن مالك الهمدانيّ ، فاقتَتَلوا من ذي الحجة كلها ، وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرّتين أوّله وآخره[1]. (٤ : ٥٧٣/ ٥٧٤).

١٠٨٤ - قال أبو مخنف: حدّثني عبد الله بنِ عاصم الفائشيّ ، قال: حدّثني رجلٍ من قومي: أنّ الأشتر خرج يوماً يقاتل بصفين في رجال من القرّاء ، ورجال من فُرسان العرب ، فاشتدّ قتالهم ، فخرج علينا رجل والله لَقَلَّما رأيتُ رجلاً قطّ هو أطوَل ولا أعظم منه ، فدعا إلى المبارزة ، فلم يخرج إليه أحد إلاّ الأشتر ، فاختلفا ضربتين ، فضربه الأشتر ، فقتله ، وأيمُ الله لقد كنا أشفقنْا عليه ، وسألناه

(١) إسناده تالف.

ألاّ يخرج إليه ، فلما قتله الأشتر نادى مناد من أصحابه :

يـا سَهْـمُ سَهْـمَ ابـن أبـي العَيْـرَارِ   يـا خَيْـرَ مَـنْ نَعْلَمُـهُ مـن زارِ

وزارة: حيٌّ من الأزد ، وقال: أقسم بالله لأقتلنّ قاتلَك أو ليقتلنّي ، فخرج فحمل على الأشتر ، وعطف عليه الأشتر فضرَبَه ، فإذا هو بين يديْ فرسه ، وحمل عليه أصحابُه فاستنقذوه جريحاً ، فقال أبو رُفَيْقة الفهميّ: هذا كان ناراً ، فصادَف إعصاراً ، واقتتل الناس ذا الحجّة كلّه ، فلما انقضى ذو الحجّة تداعى الناس إلى أن يكفّ بعضهم عن بعضٍ المحرّم ، لعلّ الله أن يُجري صلحاً أو اجتماعاً ، فكفّ بعضُهم عن بعض[1]. (٤ : ٥٧٥).

١٠٨٥ ـ وحجّ بالناس في هذه السنة عبدُ الله بن العباس بن عبد المطلب بأمر عليٍّ إيّاه بذلك ، كذلك حدّثني أحمد بن ثابت الرازيّ ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر[2]. (٤ : ٥٧٦).

* * *

---

(١) إسناده تالف.

(٢) إسناده ضعيف ، وكذلك ذكر ابن سعد (الطبقات ٣/ ٦٤) والمعرفة والتأريخ (٣/ ٣١١) وأما الذهبي فقد ذكر ذلك ضمن أحداث سنة ٣٥ (عهد الخلفاء ٤٢٩).

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث وموادعة الحرب بين عليّ ومعاوية

١٠٨٦ ـ فكان في أوّل شهر منها ـ وهو المحرّم ـ موادَعة الحرب بين عليّ ومعاوية ، قد توادعا على ترْك الحرب فيه إلى انقضائه طمعاً في الصلح؛ فذكر هشام بن محمد؛ عن أبي مِخْنَف الأزديّ ، قال: حدّثني سعد أبو المجاهد الطائيّ عن المُحِلّ بن خليفة الطائيّ ، قال: لما توادَع عليّ ومعاوية يوم صِفّين ، اختلف فيما بينهما الرُّسل رجاء الصُّلْح ، فبعث عليّ عديَّ بنَ حاتم ، ويزيدَ بنَ قيس الأرحبيّ ، وشَبَث بن رِبْعيّ ، وزياد بن خَصَفة إلى معاوية ، فلمَّا دخلوا حمِد الله عديُّ بن حاتم ، ثم قال: أمَّا بعد ، فإنَّا أتيناكَ ندعوكَ إلى أمرٍ يجمعُ اللهُ عزّ وجلّ به كلمتنا وأمّتنا ، ويحقن به الدماء ، ويؤمّن به السُّبل ، ويصلح به ذاتَ البين ، إنّ ابن عمك سيّد المسلمين أفضلها سابقة ، وأحسنها في الإسلام أثراً ، وقد استجمع له الناس ، وقد أرشدهم الله عزّ وجلّ بالذي رأوْا ، فلم يبق أحد غيرك وغير مَن معك ، فانتهِ يا معاوية لا يصبْك الله وأصحابك بيوم مثل يوم الجمل. فقال معاوية: كأنك إنما جئت متهدّداً ، لم تأت مصلحاً! هيهات يا عديّ ! كلاّ والله إني لابنُ حرب ، ما يُقعقَع لي بالشِّنان ، أما والله إنك لمن المجلِبين على ابن عفّان رضي الله عنه ، وإنك لمن قَتَلتِه ، وإنّي لأرجو أن تكون ممن يَقتل اللهُ عزّ وجلّ به. هيهات يا عديّ بن حاتم! قد حلبتَ بالساعد الأشدّ. فقال له شَبَث بن رِبعيّ وزياد بن خَصَفة ـ وتنازَعا جواباً واحداً: أتيناك فيما يصلحنا وإيّاك ، فأقبلتَ تضرب لنا الأمثال! دَعْ ما لا يُنتفع به من القول والفعل ، وأجبنا فيما يعمُّنا وإياك نفعُه ، وتكلم يزيد بن قيس ، فقال: إنا لم نأتك إلاّ لنبلِّغك ما بُعثنا به إليك ، ولنؤدّيَ عنك ما سمعنا منك ، ونحن على ذلك لم نَدَع أن ننصحَ لك ، وأن نذكر ما ظننّا أن لنا عليك به حجّة ، وأنّك راجع به إلى الألفة والجماعة.

إنَّ صاحبنا من قد عرفتَ وعرفَ المسلمون فضلَه ، ولا أظنُّه يخفى عليك: إنّ أهل الدين والفضل لن يعدلوا بعليّ ، ولن يميِّلوا بينك وبينه ، فاتّق الله يا معاوية ، ولا تخالف عليّاً ، فإنَّا والله ما رأينا رجلاً قطّ أعملَ بالتقوى ، ولا أزهدَ في الدنيا ، ولا أجمعَ لخصال الخير كلِّها منه !

فحمِد اللهَ معاويةَ وأثنى عليه ، ثم قال: أما بعد ، فإنكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة ، فأمّا الجماعة التي دعوتم إليها فمعنا هي ، وأمّا الطاعة لصاحبكم فإنا لا نراها؛ إنّ صاحبكم قتل خليفتَنا ، وفرّق جماعتَنا ، وآوى ثأرنا ، وقتلَتَنا ، وصاحبكم يزعم أنه لَم يقتلْه ، فنحن لا نردّ ذلك عليه ، أرأيتم قتلَة صاحبنا؟ ألستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم؟ فليدفعْهم إلينا فلنقتلْهم به. ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة.

فقال له شَبَث: أيسرّك يا معاوية أنك أُمْكِنْت من عمّار تقتله! فقال معاوية: وما يمنعني من ذلك! والله لو أمكِنْتُ من ابن سُميَّة ما قتلتُه بعثمانَ ، ولكن كنتُ قاتلَه بناتلِ مولَى عثمان ، فقال له شَبَث: وإله الأرض وإله السماء ، ما عدلتَ معتدلاً. لا والذي لا إله إلاّ هو لا تصل إلى عمَّار حتى تندُر الهام عن كواهل الأقوام ، وتضيق الأرض الفضاء عليك برُحْبها. فقال له معاوية: إنه لو قد كان ذلك كانت الأرض عليك أضيَق.

وتفرّق القوم عن معاوية ، فلما انصرفوا بعث معاوية إلى زياد بن خصَفة التيميّ ، فخلا به ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال: أمَّا بعد يا أخا ربيعة ، فإن علياً قطّع أرحامنا ، وآوى قَتلَة صاحبنا. وإني أسألك النصر عليه بأسرَتك وعشيرِتك ، ثم لك عهدُ الله جلّ وعزّ وميثاقُه أن أوَلِّيَك إذا ظهرتُ أيَّ المِصْريْن أحببت[1]. (٥ : ٥ _ ٦).

---

(١) إسناده تالف وفي متنه نكارات وغرائب ، ولم يتابع أبا مخنف أحدٌ في روايته هذه ولا ندري كيف يذهب عدي بن حاتم رسولاً للسلام والصلح ثم يقوم بتهديد الطرف الذي يريد أن يتفاوض ويصالح: (فانته يا معاوية لا يصيبك الله وأصحابك بيوم مثل يوم الجمل) ونكرة أخرى من منكرات أبي مخنف في روايته هذه أن معاوية اتهم عدي بن حاتم بقتل عثمان وذلك لم يرد لا في رواية صحيحة ولا ضعيفة وقد ذكرنا في مسألة مقتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه قول الحسن: أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار؟ قال: لا. كانوا أعلاجاً من أهل مصر (تأريخ خليفة/ ١٧٦) وكذلك ما أخرجه ابن عساكر (ترجمة عثمان/ ٤٠٨) عن قيس بن أبي حازم أن قتلة عثمان ليس فيهم أحد من الصحابة.

والنكرة الأخرىٰ التي تقوّلها على سيدنا معاوية أنه هدّد عماراً بالقتل لا انتقاماً لدم عثمان رضي الله عنه وإنما دم عمار أرخص من ذلك فهو لا يعدو أن يكون عدلاً لدم ناتل مولىٰ عثمان ، وحاشا لكاتب الوحي وصحابي رسول الله ﷺ (معاوية) أن يتقول بهذا الكلام ولم =

١٠٨٧ ـ قال أبو مخنف: فحدّثني سعد أبو المجاهد عن المحِلّ بن خليفة، قال: سمعت زياد بن خَصفة يحدّث بهذا الحديث، قال: فلما قضى معاوية كلامَه حمدتُ الله عزّ وجل، وأثنيتُ عليه، ثم قلت: أما بعد، فإني على بيِّنة من ربِّي وبما أنعم عليّ، فلن أكون ظَهيراً للمجرمين، ثم قمت. فقال معاوية لعمرو بن العاص ـ وكان إلى جنبه جالساً: ليس يكلّم رجل منا رجلاً منهم فيُجيب إلى خير، مالهم عَضبهم الله بشرّ! ما قلوبهم إلا كقلب رجل واحد[1]. (٥: ٦ ـ ٧).

١٠٨٨ ـ قال أبو مِخْنف: فحدّثني سليمان بن أبي راشد الأزديّ عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكُنود: أنّ معاوية بعث إلى عليّ حبيبَ بن مسلمة الفهريّ، وشُرَحبيل بن السِّمْط، ومعن بن يزيد بن الأخنس، فدخلوا عليه وأنا عنده، فحمِد الله حبيب وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنّ عثمان بن عفّان رضي الله عنه كان خليفةً مهديّاً، يعمل بكتاب الله عزّ وجلّ، ويُنيب إلى أمر الله تعالى، فاستثقلتم حياته، واستبطأتم وفاتَه، فعدوْتم عليه فقتلتموه؛ فادفع إلينا قتلةَ عثمان ـ إنْ زعمت أنك لم تقتله ـ نقتلهم به، ثم اعتزِل أمرَ الناس فيكون أمرُهم شورى بينهم، يولّي الناس أمرَهم مَن أجمع عليه رأيهم. فقال له عليّ بن أبي طالب: وما أنت لا أمَّ لك والعزل وهذا الأمر! اسكُت فإنك لستَ هناك ولا بأهل له! فقام وقال له: والله لترَينّي بحيث تكره. فقال عليّ: وما أنت ولو أجلبتَ بخَيْلك ورَجِلك! لا أبقى الله عليك إن أبقيت عليّ! أحُقْرَةً وسوءاً؟! اذهب فصوِّب، وصعِّد ما بدا لك.

وقال شُرحبيل بن السّمط: إنّي إن كلمتك فلَعَمْري ما كلامي إلاّ مثل كلام صاحبي قبلُ، فهل عندك جواب غير الذي أجبتَه به؟ فقال عليّ: نعم لك ولصاحبك جواب غير الذي أجبتُه به. فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإنّ الله جلّ ثناؤه بعث محمداً ﷺ بالحق، فأنقَذ به من الضلالة، وانتاش به من الهَلَكة، وجمع به من الفُرْقة، ثمّ قبَضه الله إليه وقد أدّى ما عليه ﷺ، ثم استَخلف الناسُ أبا بكر رضي الله عنه، واستخلف أبو بكر عمرَ رضي الله عنه،

= نجد هذا الإفتراء عند غير التالف الهالك أبي مخنف.

(١) إسناده تالف، وهو تكرار للرواية التي قبلها مع زيادة نكارة أخرى هي عبارة (فلن أكون ظهيراً للمجرمين) ولم ترد رواية صحيحة ولا ضعيفة تذكر هذه المقولة المفتراة.

فأحسَنَا السّيرة ، وعدَلاَ في الأمّة ، وقد وَجَدنا عليهما أن تَولَّيا علينا ـ ونحن آل رسول الله ﷺ ـ فغفرنا ذلك لهما ، وولي عثمان رضي الله عنه فعملَ بأشياءَ عابها النّاس عليه ، فساروا إليه فقتلوه ، ثم أتاني الناسِ وأنا معتزل أمورَهم ، فقالوا لي: بايع ، فأبَيتُ عليهم ، فقالوا لي: بايعْ ، فإنّ الأمة لا ترضى إلا بك! وإنّا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس؛ فبايعتُهم ، فلم يَرعْنِي إلاّ شقاق رجُلين قد بايَعاني ، وخلاف معاوية الذي لم يجعلِ الله عزّ وجلّ له سابقةً في الدين ، ولا سلف صِدْق في الإسلام ، طليق ابن طَلِيق ، حِزْب من هذه الأحزاب ، لم يزل لله عزّ وجلّ ولرسوله ﷺ وللمسلمين عدوّاً هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين ، فلا غَرْوَ إلاّ خلافكم معه ، وانقيادُكم له ، وتدَعون آلَ نبيكم ﷺ الذين لا ينبغي لكم شقاقُهم ولا خلافُهم ، ولا أن تَعدِلوا بهم من الناس أحداً ، ألا إني أدعوكم إلى كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيّه ﷺ وإماتة الباطل ، وإحياء معالم الدين؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ، ولكلّ مؤمن ومؤمنة ، ومسلم ومسلمة.

فقالا: اِشهَدْ أنّ عثمانَ رضي الله عنه قُتل مظلوماً ، فقال لهما: لا أقول إنه قُتل مظلوماً ، ولا إنه قتل ظالماً ، قالا: فمَنْ لم يزعم أنّ عثمان قتل مظلوماً فنحن منه براء ، ثم قاما فانصرفا. فقال عليّ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ ثم أقبل عليٌّ على أصحابه فقال: لا يكون هؤلاء أوْلى بالجِدّ في ضلالهم منكم بالجِد في حقّكم وطاعة ربّكم[1]. (٤ : ٧ ـ ٨).

---

(١) إسناده تالف ، وفي متنه نكارات ومنها قوله: (ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورىٰ بينهم) والعجيب أننا لم نجد ولا رواية ضعيفة تؤيد افتراء أبي مخنف هذا حين زعم أن معاوية كان يطلب من خليفة المسلمين علي أن يعتزل الخلافة وإنما صح عنه أنه كان يطالب بالقصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه وقد سبق أن ذكرنا الرواية التأريخية بإسناد جيد عن أبي مسلم الخولاني عندما استفسر من معاوية عن سبب عدم طاعته للخليفة الراشد الرابع فكان مفهوم جواب سيدنا معاوية أنه يرىٰ علياً أولى بأمر الخلافة ويقرّ له بذلك ولكن يريد أولاً القصاص من قتلة عثمان.

ونكرة أخرىٰ هو تقوّل أبي مخنف علىٰ الإمام علي رضي الله عنه بعبارة: (وولي عثمان رضي الله عنه فعمل بأشياء عابها الناس عليها فساروا إليه فقتلوه) وكأن سيدنا عثمان لم يكن ذا أهمية عند سيدنا علي ونسي! أبو مخنف أن علياً طلب الإذن من عثمان لكي يميلوا علىٰ=

١٠٨٩ ـ قال أبو مِخْنَف: حدّثني جعفر بن حُذَيفة من آل عامر بن جُوَين: أنّ عائذ بن قيس الحِزمريّ، واثبَ عديَّ بن حاتم في الرّاية بصِفّين ـ وكانت حِزْمر أكثر من بني عديّ رهط حاتم ـ فوثب عليهم عبد الله بن خليفة الطائيّ البَوْلانيّ عند عليّ، فقال: يا بني حِزْمر، على عديّ تتوثّبون؟! وهل فيكم مثل عَدِيّ أو في آبائكم مثل أبي عَديّ! أليس بحامي القربة ومانع الماء يوم رَوِيّة؟ أليس بابن ذي المِرباع وابن جواد العرب؟! أليس بابن المُنْهب ماله، ومانع جاره؟! أليس مَن لم يغدر ولم يفجرُ، ولم يجهل ولم يبخَل، ولم يمنُن ولم يجبن؟! هاتوا في آبائكم مثلَ أبيه، أو هاتوا فيكم مِثلَه. أوَليس أفضلكم في الإسلام! أو ليس وافدكم إلى رسول الله ﷺ؟! أليس برأسكم يوم النُّخيلة، ويوم القادسيَة، ويوم المدائن، ويوم جَلُولاء الوقيعة، ويوم نِهاوَند، ويوم تُستَر؟! فما لكم وله! والله مامن قومكم أحد يطلب مثلَ الذي تطلبون، فقال له عليّ بن أبي طالب: حسبُك يا بن

= الخارجين ميلة واحدة بسيوفهم وأرسل ولده في مجموعة من أبناء الصحابة لحماية سيدنا عثمان كما سبق.

ونكرة أخرىٰ لطالما يرددها أبو مخنف في كل مناسبة فيقول علىٰ سيدنا علي رضي الله عنه مالم يقل كزعمه أنه قال: (وقد وجدنا عليهما (أبي بكر وعمر) أن توليا علينا ونحن آل رسول الله ﷺ فغفرنا ذلك لهما).

ولقد كررنا مراراً رواية البخاري عن محمد بن الحنفية: (أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ قال أبو بكر . . . الحديث) (الفتح ٧/ ٢٤).

ونزيد هنا رواية أخرى فقد قال الحافظ ابن كثير: أخرج البيهقي عن أبي وائل قال: (قيل لعلي بن أبي طالب: ألا تستخلف علينا؟ فقال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم علىٰ خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم) ثم قال ابن كثير: إسناد جيد (البداية والنهاية ٥/ ٢٥٠).

ونكارة أخرىٰ يتوكأ عليها دائماً المستشرقون والمتغربون وهي أن الصحابة كانوا يغذّون هذا الخلاف ويذكون نار الفرقة بما تذاكروا من أحقاد الجاهلية ومغالها ونسوا أن الإسلام قد داس نعرات الجاهلية ومفاخرها بأرجل بلال وصهيب وسلمان وساوىٰ بين عثمان الغني وغيره الفقير وبين مصعب المنعم في أهله وبين عمّار اليتيم الأبوين، وهل نسي الصحابة قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ أم تراهم نسوا أن الإسلام يجب ما قبله؟! (حاشاهم) وحاشا لسيدنا علي أن يتهم معاوية وأباه بإسلامهما مكرهين ثم ينبش ما دفنه الإسلام من عيبة الجاهلية.

خليفة ! هَلُمّ أيّها القوم إليّ ، وعليٌّ بجماعة طيِّيء ! فأتوْه جميعاً ، فقال عليّ: من كان رأسكم في هذه المواطن؟ قالت له طيِّيء: عديّ ، فقال له ابن خليفة: فسلْهم يا أمير المؤمنين ! أليسوا راضين مسلّمين لعديّ الرياسة؟ ففعل ، فقالوا: نعم ، فقال لهم: عديّ أحقُّكم بالراية. فسلّموها له ، فقال عليّ ـ وضجّت بنو الحِزْمِر ـ: إنّي أراه رأسَكم قبل اليوم ، ولا أرى قومه كلهم إلا مسلّمين له غيرَكم؛ فأتّبع في ذلك الكثرة ، فأخذها عديّ. فلما كان أزمان حُجْر بن عديّ طُلب عبد الله بن خليفة لِيُبْعَثَ به مع حُجر ـ وكان من أصحابه ـ فسيِّر إلى الجبلين؛ وكان عديّ قد منّاه أن يردّه ، وأن يطلب فيه ، فطال عليه ذلك ، فقال:

وتَنْسَونَني يَوْمَ الشَّريعَةِ والقنَا ... بصِفِّينَ في أكتافِهمْ قد تَكَسَّرا
جَزَى ربُّهُ عَنّي عَدِيَّ بنَ حاتِمٍ ... برَفْضي وخِذلاني جَزاءً مُوَفَّرا
أتَنْسَى بَلائي سادراً يا بْنَ حاتِمٍ ... عشِيَّةَ ما أَغْنَتْ عَدِيُّكَ حِزْمرا
فدَافَعْت عنك القَوْمَ حتى تخَاذَلوا ... وكنتُ أنا الخَصْمَ الألَدَّ العَذَوَّرا
فوَلَّوا وما قاموا مقامي كأنّما ... رأَوْنِيَ لَيْثاً بالأباءَة مُخْدِرا
نَصَرْتُكَ إذ خامَ القَريبُ وأبْعَطَ الـ ... ـبعيدُ وقد أفْرِدْتُ نَصْراً مُؤَزَّرا
فكان جزائي أن أُجَرَّدَ بينكم ... سجيناً ، وأنْ أولَى الهَوانَ وأوسَرا
وكم عِدَةٍ لي مِنْكَ أنّكَ راجِعِي ... فَلَمْ تُغْنِ بالميعادِ عَنّيَ حَبْتَرا[1]

(٥: ٨/ ٩/ ١٠).

تكتيب الكتائب وتعبئة الناس للقتال

قال: ومكث الناس حتى إذا دنا انسلاخ المحرَّم أمر عليّ مَرْثَد بن الحارث الجُشَميّ فنادى أهل الشأم عند غروب الشمس: ألاَ إنّ أمير المؤمنين يقول لكم: إنّي قد استدمتكم لتراجعوا الحقّ وتُنيبوا إليه ، واحتججت عليكم بكتاب الله عزّ وجلّ ، فدعوْتكم إليه ، فلم تَنَاهَوْا عن طغيان ، ولم تجيبوا إلى حقّ ، وإنّي قد نبذت إليكم على سواء ، إنّ الله لا يحبّ الخائنين. ففزع أهل الشأم إلى أمرائهم ورؤسائهم ، وخرج معاوية وعمرو بن العاص في الناس يكتّبان الكتائب ويعبّيان

---

(١) إسناده تالف ، فهو من طريق الهالك أبي مخنف.

الناس ، وأوقدوا النيران ، وبات عليٌّ ليلتَه كلَّها يعبِّىء الناس ، ويكتِّب الكتائب ، ويدور في الناس يحرِّضهم .

١٠٩٠ ـ قال أبو مخنف : حدّثني عبد الرحمن بن جندب الأزديّ عن أبيه ، أنّ عليّاً كان يأمرنا في كلّ موطن لقينا فيه معه عدوّاً فيقول : لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم ، فأنتم بحمد الله عزّ وجلّ على حجّة ، وترككُم إيّاهم حتى يبدؤوكم حجّة أخرى لكم ، فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبِراً ، ولا تُجهِزوا على جريح ، ولا تكشفوا عورةً ، ولا تمثّلوا بقتيل ، فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتِكوا ستراً ، ولا تدخلوا داراً إلا بإذن ، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم ، ولا تُهيِّجوا امرأةً بأذىً ، وإن شتمن أعراضَكم ، وسبَبن أمراءكم وصلحاءَكم ، فإنهنّ ضعاف القُوَى والأنفس[1] . (٥ : ١٠ ـ ١١) .

١٠٩١ ـ قال أبو مِخْنف : وحدّثني إسماعيل بن يزيد عن أبي صادق ، عن الحضرميّ ، قال : سمعت عليّاً يحرّض الناس في ثلاثة مواطن : يحرّض الناس يومَ صِفّين ، ويومَ الجمل ، ويوم النَّهر ، يقول : عباد الله ! اتقوا الله ، وغُضّوا الأبصار ، واخفضوا الأصوات ، وأقلُّوا الكلام ، ووطِّنوا أنفسكم على المنازلة ، والمجاوَلة ، والمبارَزة ، والمناضَلة ، والمُجالَدة ، والمعانَقة ، والمكادَمة ، والملازمة ، ﴿فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال : ٤٥] . ﴿وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ، اللهم ألهمهم الصبر ، وأنزل عليهم النصر ، وأعظم لهم الأجر .

فأصبح عليّ من الغد ، فبعث على الميمنة والميسرة والرجّالة والخيل ، قال أبو مخنف : فحدّثني فضيل بن خَديج الكنِديّ : أن عليّاً بعث على خيل أهل الكوفة الأشتر ، وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حُنَيف ، وعلى رجّالة أهل الكوفة عمّار بن ياسر ، وعلى رجّالة أهل البصرة قيس بن سعد ، وهاشم بن

---

(١) إسناده تالف ، وفيه نكارة وهي قوله : (ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم) فلم ترد رواية صحيحة عن سيدنا علي يجيز لهم ذلك ولا أجازه الفقهاء على مدىٰ العصور فكيف يجيز علي وهو من كبار فقهاء الصحابة ، وأما توصيته بعدم الإجهاز علىٰ جريح أو ملاحقة هارب فقد ذكرنا ذلك في وقعة الجمل وفي خاتمة المطاف من معركة صفين في قسم الصحيح فليراجع .

عُتبة ، ومعه رايته ، ومِسعر بن فَدَكيّ التميميّ على قرّاء أهل البصرة ، وصار أهل الكوفة إلى عبد الله بن بُدَيل ، وعمّار بن ياسر.

قال أبو مخنف: وحدّثني عبد الله بن يزيد بن جابر الأزديّ عن القاسم مولى يزيد بن معاوية: أنّ معاوية بعث على ميمنته ابن ذي الكَلاع الحِمْيَرِيّ ، وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهريّ ، وعلى مقدّمته يوم أقبل من دمشق أبا الأعور السُّلَميّ ـ وكان على خيل أهل دمشق ـ وعمرو بن العاص على خيول أهل الشأم كلها ، ومسلم بن عقبة المرّيّ على رجّالة أهل دمشق ، والضحّاك بن قيس على رجّالة الناس كلها ، وبايع رجال من أهل الشأم على الموت ، فعقّلوا أنفسهم بالعمائم ، فكان المعقّلون خمسة صفوف ، وكانوا يخرجون ويصُفّون عشرة صفوف ، ويخرج أهل العراق أحد عشر صفّاً ، فخرجوا أوّل يوم من صفين فاقتتلوا وعلى مَن خرج يومئذ من أهل الكوفة الأشتر ، وعلى أهل الشأم حبيبُ بن مسلمة ، وذلك يوم الأربعاء ، فاقتتلوا قتالاً شديداً جُلَّ النهار ، ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض ، ثم خرج هاشم بن عُتبة في خيل ورجال حَسَنٍ عددُها وعُدّتها ، وخرج إليه أبو الأعور ، فاقتتلوا يومَهم ذلك ، يحمل الخيل على الخيل ، والرجال على الرجال ، ثمّ انصرفوا وقد كان القوم صَبر بعضُهم لبعض ، وخرج اليومَ الثالث عمّارُ بن ياسر ، وخرج إليه عمرو بن العاص ، فاقتتل الناس كأشدّ القتال ، وأخذ عمّار يقول: يا أهلَ العراق ! أتريدون أن تنظروا إلى من عادَى الله ورسوله وجاهدَهما ، وبغى على المسلمين ، وظاهَرَ المشركين ، فلما رأى الله عزّ وجلّ يعزُّ دينَه ، ويُظهر رسوله أتى النبيَّ ﷺ فأسلم ، وهو فيما نرَى راهب غير راغب؛ ثم قبض الله عزّ وجلّ رسولهﷺ ! فوالله إنْ زال بعدَه معروفاً بعداوة المسلم ، وهَوادة المجرم ، فاثبُتوا له ، وقاتِلوه فإنه يطفىء نورَ الله ، ويظاهر أعداءَ الله عزّ وجلّ.

فكان مع عمّار زياد بن النّضر على الخيل ، فأمره أن يحمل في الخيل ، فحمل ، وقاتله الناس وصبروا له ، وشدّ عمّار في الرجال ، فأزال عمرو بن العاص عن موقفه ، وبارز يومئذ زياد بن النّضر أخاً له لأمّه ، يقال له: عمرو بن معاوية بن المنتفق بن عامر بن عُقَيل ـ وكانت أمّهما امرأة من بني يزيد ـ فلما التقيا تعارَفا فتواقفا ، ثم انصرف كلّ واحد منهما عن صاحبه ، وتراجع الناس.

فلمّا كان من الغد خرج محمد بن عليّ وعبيد الله بن عمر في جمعيْن عظيمين ، فاقتتلوا كأشدّ القتال ، ثم إن عبيد الله بن عمرَ أرسل إلى ابن الحنفيّة: أن اخرج إليّ؛ فقال: نعم ، ثم خرج يمشي ، فبصُر به أمير المؤمنين فقال: مَنْ هذان المتبارِزان؟ فقيل: ابن الحنفيّة وعُبيد الله بن عمر؛ فحرّك دابَّته ثم نادى محمّداً ، فوقف له ، فقال: أمسِكْ دابّتي ، فأمسَكَها ، ثم مشى إليه عليّ فقال: أبرز لك ، هلّم إليّ؛ فقال: ليست لي في مبارزتك حاجة ، فقال: بلى ، فقال: لا ، فرجع ابن عمر ، فأخذ ابن الحنفيَّة يقول لأبيه: يا أبتِ ، لم منعتَني من مبارزته؟ فوالله لو تركتَني لرجوتُ أن أقتلَه ، فقال: لو بارزتَه لرجوتُ أن تقتله ، وما كنتُ آمن أن يقتلَك ، فقال: يا أبتِ أوَتبرز لهذا الفاسق! والله لو أبوه سألك المبارزة لرغبتُ بك عنه؛ فقال عليّ: يا بُنَيّ ، لا تَقُلْ في أبيه إلا خيراً ، ثم إنّ الناس تحاجزوا ، وتراجعوا.

قال: فلما كان اليوم الخامس خرج عبد الله بن عباس والوليد بن عُقْبة فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ودنا ابن عبّاس من الوليد بن عقبة ، فأخذ الوليد يسبّ بني عبد المطّلب ، وأخذ يقول: يا بن عباس ! قطّعتم أرحامَكم ، وقتلتم إمامَكم ، فكيف رأيتم الله صنع بكم؟! لم تُعطَوْا ما طلبتم ، ولم تُدرِكوا ما أمّلتم ، واللهُ إن شاء مُهلِككم وناصرٌ عليكم ، فأرسل إليه ابن عباس: أن ابرز لي؛ فأبى. وقاتل ابن عباس يومئذ قتالاً شديداً ، وغشيَ الناس بنفسه.

ثم خرج قيس بن سعد الأنصاريّ وابن ذي الكَلاع الحِميَريّ فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انصرَفا ، وذلك في اليوم السادس.

ثمّ خرج الأشتر ، وعاد إليه حبيب بن مَسلمة في اليوم السابع ، فاقتتلا قتالاً شديداً ، ثم انصرفا عند الظهر ، وكلٌّ غير غالب ، وذلك يوم الثلاثاء[1]. (٥: ١١/ ١٢/ ١٣).

(١) إسناده تالف ، وفي متنه نكارات نكتفي بواحدة لعظم زيفها وكذبها؛ فقد ألصق أبو مخنف مقولة كذب بعمار رضي الله عنه وهو أنه قال لعمرو بن العاص: (يا أهل العراق أتريدون أن تنظروا إلىٰ من عادىٰ الله ورسوله وجاهدهما ، وبغىٰ علىٰ المسلمين وظاهر المشركين) وهذه نكارة لم ترد حتىٰ في رواية ضعيفة من غير هذا الطريق الساقط ، ويكفي لتكذيب هذه الفرية ما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٢٩٤) عن زياد بن حارثة قال: كنت إلى جنب=

١٠٩٢ ـ قال أبو مِخْنف: حدّثني مالك بن أعيَن الجُهَنيّ عن زيد بن وهب: أن عليّاً قال: حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا! فقام في النّاس عشيّة الثلاثاء، ليلة الأربعاء بعد العصر، فقال: الحمد لله الذي لا يُبرَم ما نَقَض، وما أبرَم لا ينقضُه الناقضون، لو شاء ما اختلف اثنان من خَلْقه، ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره، ولا جحد المفضولُ ذا الفضل فضلَه، وقد ساقتْنا وهؤلاء القوم الأقدار، فلفّت بيننا في هذا المكان، فنحن من رَبِّنا بمرأى ومسمع، فلو شاء عجّل النِّقمة، وكان منه التغيير، حتى يكذِّب الله الظالم، ويَعلم الحقُّ أين مصيره؛ ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة عنده هي دار القرار ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، ألا إنكم لاقُوا القومِ غداً، فأطِيلوا الليلة القيامَ، وأكثروا تلاوة القرآن، وسلُوا الله عزّ وجلّ النّصر والصبر، والقَوْهم بالجدّ والحزم، وكونوا صادقين، ثم انصرف، ووثب الناسُ إلى سيوفهم ورماحِهم ونبالِهم يصلحونها، ومرّ بهم كعب بن جُعَيل التغلبيّ وهو يقول:

أصْبَحَتِ الأمَّـةُ فـي أمْـرٍ عَجَـبْ ... والمُلْـك مجمْـوعٌ غـداً لمـن غَلَـبْ

فقلـتُ قـولاً صـادقـاً غيـرَ كَـذِبْ ... إنَّ غـداً تَهلِـكُ أعـلامُ العـربْ

قال: فلما كان من الليل خرج عليٌّ فعبّى الناس ليلته كلها، حتى إذا أصبح زحف بالناس، وخرج إليه معاوية في أهل الشأم، فأخذ عليٌّ يقول: مَن هذه القبيلة؟ ومَن هذه القبيلة؟ فنُسبت له قبائل أهل الشأم، حتى إذا عرفهم ورأى مراكزَهم قال للأزد: اكفُوني الأزد، وقال لخثْعم: اكفوني خَثْعم، وأمر كلَّ قبيلة من أهل العراق أن تكفيَه أختها من أهل الشأم إلاّ أن تكون قبيلة ليس منها بالشأم أحد فيصرفها إلى قبيلة أخرى تكون بالشأم، ليس منهم بالعراق واحد، مثل بَجيلة لم يكن منهم بالشأم إلا عدد قليل، فصرفهم إلى لخْم، ثم تناهض الناس يومَ الأربعاء فاقتتلوا قتالاً شديداً نهارهم كلَّه، ثم انصرفوا عند المساء؛ وكلٌّ غير

عمار بن ياسر بصفين وركبتي تمس ركبته، فقال رجل: كفر أهل الشام، فقال عمار: لا تقولوا ذلك، نبينا واحد، وقبلتنا واحدة ولكنهم قوم مفتونون جاروا عن الحق، علينا أن نقاتلهم حتىٰ يرجعوا إليه..

غالب ، حتى إذا كان غداة الخميس ؛ صلى عليٌّ بغَلَس[١] . (٥ : ١٣/ ١٤) .

١٠٩٣ - قال أبو مخنف : حدّثني عبد الرحمن بن جندب الأزديّ عن أبيه ، قال : ما رأيت عليّاً غلّس بالصلاة أشدّ من تَغْليسه يومئذ ، ثم خرج بالناس إلى أهل الشأم فزحف إليهم ، فكان يبدؤهم فيسير إليهم ، فإذا رأوه قد زحف إليهم استقبلوه بوجوههم[٢] . (٥ : ١٤) .

١٠٩٤ - قال أبو مخنف : حدّثني مالك بن أعيَن عن زيد بن وهب الجُهَنيّ : أنّ عليّاً خرج إليهم غَداة الأربعاء فاستقبلهم فقال : اللهمّ ربَّ السقف المرفوع ، المحفوظ المكفوف ، الذي جعلته مَغيضاً لليل والنهار ، وجعلتَ فيه مجرى الشمس والقمر ومنازل النجوم ، وجعلت سكّانه سِبْطاً من الملائكة ، لا يسأمون العبادة ، وربّ هذه الأرض التي جعلتَها قراراً للأنام ، والهوامّ والأنعام ، وما لا يُحصى مما لا يُرَى ومما يُرَى من خَلْقك العظيم . وربّ الفلْك التي تجري في البحر بما يَنفع الناس ، وربّ السحاب المسخَّر بين السماء والأرض ، وربّ البحر المسجور المحيط بالعالم ، وربّ الجبال الرّواسي التي جعلتَها للأرض أوتاداً ، وللخلق متاعاً ؛ إن أظهرتَنا على عدوّنا ؛ فجنِّبنا البغيَ ، وسدِّدنا للحقّ ، وإن أظهرتَهم علينا ؛ فارزقني الشهادة ، واعصم بقيّة أصحابي من الفتنة .

قال : وازدلف الناس يومَ الأربعاء ، فاقتتلوا كأشدّ القتال يومَهم حتى الليل ، لا ينصرف بعضهم عن بعض إلا للصّلاة ، وكثرت القتلى بينهم ، وتحاجزوا عن الليل ؛ وكلٌّ غيرُ غالب ، فأصبحوا من الغد ، فصلَّى بهم عليٌّ غداة الخميس ، فغلّس بالصّلاة أشدّ التّغليس ، ثم بدأ أهل الشأم بالخروج ، فلما رأوه قد أقبل إليهم ؛ خرجوا إليه بوجوههم ، وعلى ميمنته عبد الله بن بُديل ، وعلى ميسرته عبد الله بن عبّاس ، وقرّاء أهل العراق مع ثلاثة نفر : مع عمّار بن ياسر ، ومع قيس بن سعد ، ومع عبد الله بن بُدَيل ؛ والناس على راياتهم ومراكزهم ، وعليٌّ في القلْب في أهل المدينة بين أهل الكوفة وأهل البصرة ، وعُظْم مَن معه من أهل

---

(١) إسناده تالف ، ولم نجد مصدراً تأريخياً يذكر هذين البيتين الفارغين (بسند صحيح ولا ضعيف) إلا من هذا الطريق الساقط .

(٢) إسناده تالف ، والأغلب من سيرة سيدنا علي في الجمل وصفين أنه لم يكن ليبدأ بالمقاتلة حتىٰ يقاتلوه وذلك خلاف ما ذكره أبو مخنف هنا .

المدينة الأنصارُ ، ومعه من خُزاعة عدد حَسن ، ومن كنانةَ وغيرهم من أهل المدينة.

ثم زحف إليهم بالناس ، ورفع معاوية قبّةً عظيمة قد ألقى عليها الكرابيس ، وبايعه عُظْم الناس من أهل الشأم على الموت ، وبعث خيلَ أهل دمشق ، فاحتاطت بقبّته ، وزحف عبد الله بن بُدَيل في الميمنة نحو حبيب بن مسلمة ، فلم يزل يحوزه؛ ويكشف خيلَه من الميسرة حتى اضطرهم إلى قبّة معاوية عند الظهر[١]. (٥ : ١٤/ ١٥).

١٠٩٥ ـ قال أبو مِخْنف : حدّثني مالك بن أعيَن عن زيد بن وهب الجُهَنيّ : أنّ ابن بُدَيل قام في أصحابه فقال : ألاَ إنّ معاوية ادّعى ما ليس أهلَه ، ونازع هذا الأمرَ من ليس مثلَه ، وجادل بالباطل ليُدحِض به الحقّ ، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب ، قد زيّن لهم الضلالة ، وزرع في قلوبهم حبَّ الفتنة ، ولبَس عليهم الأمر ، وزادهم رِجْساً إلى رجسهم ، وأنتم على نور من ربّكم ، وبرهان مبين ، فقاتلوا الطغاة الجفاة ، ولا تخشَوهم ، فكيف تخشوْنهم وفي أيديكم كتاب الله عزّ وجلّ طاهراً مبروراً! ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ ، وقد قاتلناهم مع النبيّ ﷺ مرّة ، وهذه ثانية ، والله ما هم في هذه بأتقى ، ولا أزكى ، ولا أرشد ! قوموا إلى عدوّكم بارك الله عليكم! فقاتل قتالاً شديداً هو وأصحابه[٢]. (٥ : ١٦).

١٠٩٦ ـ قال أبو مخْنف : حدّثني عبد الرحمن بن أبي عَمْرة الأنصاريّ عن أبيه ومولى له : أنّ علياً حرّض الناس يومَ صِفّين ، فقال :

إنّ الله عزّ وجلّ قد دلّكم على تجارة تُنجيكم من عذاب أليم ، تُشفي بكم على

---

(١) إسناده تالف.

(٢) إسناده تالف ، وقال الدكتور يحيىٰ اليحيى تعقيباً علىٰ هذه الرواية : فيها غرابة شديدة وهي قول عبد الله بن بديل : (وقد قاتلناهم مع النبي ﷺ مرة وهذه ثانية) والصحيح أن عبد الله وأباه أسلما يوم الفتح فكيف يكون قاتلهم وعمرو بن العاص قد أسلم قبله. ثم قال في الحاشية : وقد روىٰ البخاري في صحيحه (٥/ ٩١) أن بديل بن ورقاء كان مع أبي سفيان حين قدم المسلمون يوم الفتح يتحسسون الأخبار . (مرويات أبي مخنف/ ٣٢٨).

الخير: الإيمان بالله عزّ وجلّ وبرسوله ﷺ ، والجهاد في سبيل الله تعالى ذكره ، وجعل ثوابه مغفرة الذنب ، ومساكنَ طيّبة في جناتِ عدن ، ثم أخبركم أنه يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنهم بنيان مرصوص؛ فسوُّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص ، وقدِّموا الدارع ، وأخّروا الحاسر ، وعَضّوا على الأضراس ، فإنه أنبى للسيوف عن الهام ، والتَوُوا في أطراف الرماح ، فإنّه أصوَن للأسنّة ، وغُضّوا الأبصار فإنه أربَط للجأش ، وأسكَن للقلوب ، وأميتوا الأصوات فإنه أطرَد للفشل ، وأولى بالوقار ، راياتِكم فلا تُميلوها ، ولا تزيلوها ، ولا تجعلوها إلاّ بأيدي شجعانكم ، فإن المانع للذّمار ، والصابر عند نزول الحقائق هم أهل الحفاظ الذين يحفّون براياتهم ويكنفونها ، يضربون حِفافيها خَلفها وأمامها ، ولا يضعونها ، أجزأ امرؤٌ وقذ قِرْنه ـ رحمكم الله ـ وآسى أخاه بنفسه ، ولم يَكِل قِرنَه إلى أخيه ، فيكسب بذلك لائمةً ، ويأتِيَ به دناءة. وأنّى لا يكون هذا هكذا! وهذا يقاتل اثنين ، وهذا ممسك بيده يُدخل قرنه على أخيه هارباً منه ، أو قائماً ينظر إليه! من يفعل هذا يمقتْه الله عزّ وجلّ ، فلا تعرّضوا لمقت الله سبحانه فإنما مردّكم إلى الله ، قال الله عزّ من قائل لقوم: ﴿لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وايمُ الله لئن سلمتم من سيف العاجلة لا تَسلمون من سيف الآخرةِ ! واستعِينوا بالصدق والصبر ، فإنّ بعد الصبر يُنزل الله النصر[1] . (٥: ١٦/ ١٧).

الجدّ في الحرب والقتال

١٠٩٧ ـ قال أبو مخنف: حدّثني أبو رَوْق الهمْدانيّ: أن يزيد بن قيس الأرحبيّ حرّض الناس ، فقال: إنّ المسلم السليمَ من سَلِم دينُه ورأيُه ، وإنّ هؤلاء القوم والله إن يقاتلوننا على إقامة دين رأونا ضيّعناه ، وإحياء حقّ رأونا أمَتْناه ! وإن يقاتلوننا إلاّ على هذه الدنيا ليكونوا جبابرةً فيها ملوكاً ، فلو ظهروا عليكم ـ لا أراهم الله ظهوراً ولا سروراً ! ـ لزموكم بمثل سعيد ، والوليد ، وعبد الله بن عامر السفيه الضالّ ، يخبر أحدهم في مجلسه بمثل ديَته وديَة أبيه وجَدّه ، يقول: هذا لي ، ولا إثمَ عليّ ، كأنما أعطي تراثه عن أبيه وأمه ، وإنما

(١) إسناده تالف.

هو مال الله عزّ وجلّ ، أفاءه علينا بأسيافنا وأرماحنا ، فقاتِلوا عباد الله القومَ الظالمين ، الحاكمين بغير ما أنزل الله ، ولا يأخذكم في جهادهم لومُ لائم ، فإنهم إن يظهروا عليكم؛ يُفسِدوا عليكم دينكم ، ودنياكم؛ وهم مَن قد عرفتم ، وخبرْتم ، وايمُ الله ما ازدادوا إلى يومهم هذا إلا شرّاً !

وقاتلهم عبد الله بن بُدَيل في الميمنة قتالاً شديداً حتى انتهى إلى قبّة معاوية . ثم إنّ الذين تبايعوا على الموت أقبلوا إلى معاوية ، فأمرهم أن يصمُدوا لابن بديل في الميمنة ، وبعث إلى حبيب بن مسلمة في الميسرة ، فحمل بهم وبمن كان معه على ميمنة الناس فهزمهم ، وانكشف أهلُ العراق من قِبَل الميمنة حتى لم يبقَ منهم إلاّ ابن بُديل في مئتين ، أو ثلاثمئة من القرّاء ، قد أسند بعضهم ظهره إلى بعض ، وانجفل الناس ، فأمر عليٌّ سهلَ بن حُنيف ، فاستقدم فيمن كان معه من أهل المدينة ، فاستقبلتْهم جموعٌ لأهل الشأم عظيمة ، فاحتملتهم حتى ألحقتْهم بالميمنة ، وكان في الميمنة إلى موقف عليٍّ في القلب أهل اليمن ، فلما كشِفوا؛ انتهت الهزيمة إلى عليّ ، فانصرف يتمشّى نحو الميسرة ، فانكشفت عنه مُضَر من الميسرة ، وثبتت ربيعة[1] . (٥ : ١٧/ ١٨) .

---

(١) إسناده تالف ، وفي متنه نكارات وصدق الدارقطني رحمه الله إذ قال في أبي مخنف والكلبي : (بل الواقدي خير من ملء الأرض مثل هؤلاء) (الرد علىٰ البكري/ ١٨) .
وصدق الذهبي إذ قال : (إخباري تالف لا يوثق به) (الميزان ٣/ ٤٩٩٢) . وصدق الدارقطني فلم نجد الواقدي (علىٰ شدة ضعفه) يفتري ويكذب ويصف الصحابة والتابعين بهذه الدرجة : (فقاتلوا عباد الله القوم الظالمين الحاكمين بغير ما أنزل الله ولا يأخذكم في جهادكم لوم لائم فإنهم إن يظهروا عليكم يفسدوا عليكم دينكم ودنياكم) وناهيك عن الإسناد الساقط التالف لهذه الرواية فانظر إلىٰ هذا الوصف الشنيع! وكأن أبا مخنف يريد أن يشفي غليله في هذه الرواية وينفث سمه وحقده كلّه وهو هكذا في كلّ رواية . والحمد لله فلقد قيض الله لعلم الرواية أعلاماً كأحمد وابن معين وشعبة وغيرهم خبروا الرجال وقلَّبوهم كما يقلب الصيرفي العملة ، وبيَّنوا كذب المختلقين من أمثال أبي مخنف .
ولم ترد رواية صحيحة ولا ضعيفة فيما نعلم تؤيد ما جاء في رواية أبي مخنف . ومن نكاراته هنا واصفاً جيش معاوية : (وإنما هو مال الله عز وجل أفاءه علينا بأسيافنا وأرماحنا) وكأن الذين ذكر أسماءهم (معاوية ، الوليد بن عقبة ، عبد الله بن عامر ، وسعيد بن العاص) لم يحملوا سيوفاً علىٰ عواتقهم ولم يمتطوا صهوة جيادهم يوماً .
ولو كان أبو مخنف ذكياً لما أوقع نفسه في مطب كبير ، فالمشهور أن الوليد بن عقبة اعتزل=

١٠٩٨ ـ قال أبو مِخْنَف: حدّثني مالك بن أعيَن الجُهَنيّ عن زيد بن وهب الجُهَني، قال: مرّ عليّ معه بنوه نحو الميسَرة. ومعه ربيعة وحدها، وإنّي لأرى النَّبل يمرّ بين عاتقه ومنكبه، وما من بنيه أحد إلاّ يقيه بنفسه. فيكره عليٌّ ذلك، فيتقدّم عليه، فيحول بين أهل الشأم وبينه، فيأخذه بيده إذا فعل ذلك فيلْقيه بين يديه أو من ورائه، فبصُر به أحمر ـ مولى أبي سفيان، أو عثمان، أو بعض بني أميّة ـ فقال عليّ: وربّ الكعبة! قتلني الله إن لم أقتلك أو تقتلني! فأقبل نحوه، فخرج إليه كيسانُ مولى عليّ، فاختلفا ضربتين، فقتله مولى بني أمية، وينتهزه عليٌّ، فيقع بيده في جيب درعه، فيجبذه، ثم حمله على عاتقه؛ فكأنّي أنظر إلى رُجَيْلَتَيْهِ، تختلفان على عنق علي، ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه وعَضُديه، وشدّ ابنا عليّ عليه: حسين، ومحمد، فضرباه بأسيافهما، حتى برد، فكأني أنظر إلى عليّ قائماً، وإلى شِبليْه يضربان الرجلَ، حتى إذا قتلاه وأقبلا إلى أبيهما، والحسن قائماً؛ قال له: يا بنيّ، ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك؟ قال: كَفَياني يا أميرَ المؤمنين! ثمّ إن أهل الشأم دنَوا منه ووالله ما يزيده قربهم منه سرعةً في مشيه، فقال له الحسن: ما ضرّك لو سعيتَ حتى تنتهي إلى هؤلاء الذين قد صبروا لعدوّك من أصحابك؟ فقال: يا بنيّ! إن لأبيك يوماً لن يَعدُوَه ولا يبطِّئُ به عند السعي، ولا يعجّل به إليه المشي، إنّ أباك والله ما يبالي أوَقَع على الموت، أو وَقَع الموتُ عليه[1]. (٥: ١٨/ ١٩).

١٠٩٩ ـ قال أبو مخنف: حدّثني فُضَيل بن خَدِيج الكِنْديّ عن مولى للأشتر، قال: لما انهزمتْ ميمنة العراق وأقبل عليٌّ نحو الميسرة؛ مرّ به الأشتر يركض نحو الفَزع قبَل الميمنة، فقال له عليّ: يا مالك! قال: لبّيك! قال: ائت هؤلاء القومَ فقل لهم: أين فراركم من الموت الذي لن تُعجزوه إلى الحياة التي لن تبقى لكم؟! فمضى فاستقبل الناسَ منهزمين، فقال لهم هذه الكلمات التي قالها له عليٌّ، وقال: إليَّ أيّها الناس! أنا مالك بن الحارث، أنا مالك بن الحارث. ثم ظنّ أنه بالأشتر أعرف في الناس، فقال: أنا الأشتر، إليّ أيُّها الناس! فأقبلت

= القتال في الفتنة وكذلك عبد الله بن عامر وسعيد بن العاص، الذين وصفهم بالسعية حاشاهم.

(١) إسناده تالف وفي متنه غرابة.

إليه طائفة ، وذهبت عنه طائفة ، فنادى: أيّها الناس ! عضِضتم بهَنِ آبائكم! ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم! أيّها الناس ! أخلِصوا إليّ مذحِجاً. فأقبلت إليه مذحِج ، فقال: عضِضتم بصمّ الجندل! ما أرضَيتُم ربّكم ، ولا نصحتُم له في عدوّكم ، وكيف بذلك وأنتم أبناء الحروب ، وأصحاب الغارات ، وفِتيان الصباح ، وفرسان الطِّراد ، وحتوف الأقران ، ومذحِج الطّعان؛ الذين لم يكونوا يُسبَقون بثأرهم ، ولاتُطلّ دماؤهم ، ولا يُعرفون في موطن بخسفٍ ، وأنتم حَدُّ أهل مصركم ، وأعدّ حيٍّ في قومكم ، وما تفعلوا في هذا اليوم ، فإنه مأثور بعد اليوم؛ فاتقوا مأثور الأحاديث في غد ، واصدقوا عدوَّكم اللقاء فإن الله مع الصادقين. والذي نفسُ مالك بيده مامن هؤلاء ـ وأشار بيَده إلى أهل الشام ـ رجلٌ على مثال جناح بعوضة من محمد ﷺ ! أنتم ما أحسنتم القِراع ، اجْلُوا سواد وجهي يرجعْ في وجْهي دمي. عليكم بهذا السواد الأعظم ، فإنّ الله عزّ وجلّ لو قد فَضّه تبعه مَن بجانبيه كما يتبع مؤخَّر السيل مقدّمه.

قالوا: خذ بنا حيث أحببت ، وصمد نحو عُظْمهم فيما يلي الميمنة ، فأخذ يزحف إليهم ، ويردّهم ، ويستقبله شبابٌ من هَمْدان ـ وكانوا ثمانمئة مقاتل يومئذ ـ وقد انهزموا آخرَ الناس ، وكانوا قد صبروا في الميمنة حتى أصيب منهم ثمانون ومئة رجل ، وقتل منهم أحد عشر رئيساً ، كلّما قُتل منهم رجل أخذ الراية آخرُ ، فكان الأوّل كُريب بن شُرَيح ، ثم شُرحبيل بن شريح ، ثم مرثَد بن شُريح ، ثم هُبيرة بن شريح ، ثم يريم بن شُريَح ، ثم سُمَير بن شريح ، فقتِل هؤلاء الإخوة الستّة جميعاً ، ثم أخذ الراية سُفيان بن زيد ، ثم عبد بن زيد ، ثم كُرَيب بن زيد ، فقتل هؤلاء الإخوة الثلاثة جميعاً ، ثم أخذ الراية عميرة بن بشير ، ثم الحارث بن بشير ، فقتِلا ، ثم أخذ الراية وهب بن كُرَيب أخو القَلوص ، فأراد أن يستقبل ، فقال له رجل من قومه: انصرف بهذه الراية ـ رحمك الله ـ فقد قُتِل أشرافُ قومك حولَها ، فلا تقتل نفسك ، ولا من بقيَ من قومك ! فانصرفوا وهم يقولون: ليت لنا عِدّتَنا من العرب يحالفوننا على الموت ، ثم نستقدم نحن وهم ، فلا ننصرف حتى نقتَل أو نظفر ، فمرُّوا بالأشتر وهم يقولون هذا القول ، فقال لهم الأشتر: إليّ أنا أحالفكم ، وأعاقدكم على ألا نرجع أبداً حتى نَظفرَ أو نَهلِك ، فأتوه فوقفوا معه ، ففي هذا القول قال كعب بن جُعَيل التغلبيّ:

وهَمــدانُ زُرْقٌ تبتَغــي مَــن تُحــالِــفُ

وزحف الأشتر نحو الميمنة ، وثاب إليه ناس تراجعوا من أهل الصبر والحياء والوفاء ، فأخذ لا يصمُد لكتيبة إلا كَشفها ، ولا لجمع إلا حازه وردّه؛ فإنه لكذلك؛ إذ مرّ بزياد بن النَّضْر يحمَل إلى العسكر ، فقال: مَن هذا؟ فقيل: زياد بن النَّضر ، استُلحم عبد الله بن بديل وأصحابه في الميمنة ، فتقدّم زياد فرفع لأهل الميمنة رايته ، فصبروا ، وقاتل حتى صُرع ، ثم لم يمكثوا إلا كَلاَ شيء حتى مُرّ بيزيد بن قيس الأرحبيّ محمولاً نحو العسكر ، فقال الأشتر: مَن هذا؟ فقالوا: يزيد بن قيس ، لما صُرع زياد بن النّضر رفع لأهل الميمنة رايتَه ، فقاتل حتى صُرع ، فقال الأشتر: هذا واللهِ الصبرُ الجميلِ ، والفعل الكريم ، ألا يستحي الـرّجـلُ أن ينصـرف لا يقتُـل ولا يُقتَـل ، أو يُشفَـى بـه علـى القتـل[1]. (٥: ١٩/ ٢٠/ ٢١).

١١٠٠ ـ قال أبو مخنف: حدّثني أبو جَناب الكلبيّ عن الحرّ بن الصيّاح النّخَعيّ: أن الأشتر يومئذ كان يقاتل على فرس له في يده صفيحة يمانية ، إذا

(١) إسناده تالف وفي متنه نكارة ، ولم يصح عن الأشتر أنه قال في جيش معاوية: (والذي نفس مالك بيده مامن هؤلاء ـ وأشار بيده إلى أهل الشام ـ رجل على مثال جناح بعوضة من محمد ﷺ).
فهذه نكارة من نكارات أبي مخنف ـ وما أكثرها ـ ونرىٰ من المناسب أن نذكر هنا رواية عن الأشتر تبيّن تماماً زيف هذه الرواية فقد أخرج الحاكم في المستدرك (٣/ ١٠٧) وابن أبي شيبة (١٥/ ٢٦٥): (لما رجع علي من الجمل وتهيأ لصفين اجتمعت النخع حتى دخلوا علىٰ الأشتر فقال: هل في البيت إلاّ نخعي؟ فقالوا: لا ، فقال: إن هذه الأمة عمدت إلىٰ خيرها فقتلته ، وسرنا إلىٰ أهل البصرة قوم لنا عليهم بيعة فنصرنا عليهم بنكثهم ، وإنكم تسيرون غداً إلىٰ أهل الشام قوم ليس لكم عليهم بيعة ، فلينظر امرؤ منكم أين يضع سيفه) وصححه الذهبي على شرط مسلم.
قلنا: وهذه رواية صريحة تؤكد أنه كان شاكاً (ومنذ البداية وقبل وقوع المعركة) في صحة خروجه إلىٰ صفين أم لا ، وأراد من قومه أن يتريثوا خشية أن يرتكبوا خطأً كما فعل قوم في الفتنة قبلها ـ فمن أين اصطنع أبو مخنف هذا الحماس المنقطع النظير الذي ملأ قلب الأشتر حتى صاح قائلاً: (أين فراركم من الموت الذي لن تعجزوه إلىٰ الحياة التي لن تبقىٰ لكم)؟! أو يقول: (أنا أحالفكم وأعاقدكم على أن لا نرجع أبداً حتى نظفر أو نهلك).

طأطأها خِلْت فيها ماء منصبّاً ، وإذا رفعها كاد يُغْشِي البصرَ شعاعُها ، وجعل يضرب بسيفه ويقول:

الغَمَرَاتِ ثمَّ يَنْجَلِينا

قال: فبصرُ به الحارث بن جُمهان الجُعفيّ؛ والأشتر متقنّع في الحديد ، فلم يعرفه ، فدنا منه فقال له: جزاك الله خيراً منذ اليوم عن أمير المؤمنين ، وجماعة المسلمين! فعرفه الأشتر. فقال: يابن جمهان! مثلُك يتخلّف عن مثل موطني هذا الّذي أنا فيه! فنظر إليه ابن جُمهان فعرفه ، فكان من أعظم الرجال وأطوَله - وكان في لحيته خِفةٌ قليلة - فقال: جُعلت فداك! لا والله ما علمت بمكانك إلا الساعة ، ولا أفارقك حتى أموت! قال: ورآه منقذٌ وحِمْير ابنا قيس الناعِطيّان ، فقال منقذ لحميرَ: مافي العرب مثل هذا ، إن كان ما أرى من قتاله على نيّته ، فقال له حمير: وهل النيّة إلا ما تراه يصنع! قال: إني أخاف أن يكون يحاول مُلْكاً[1]. (٥: ٢٢).

١١٠١ - قال أبو مخنف: حدّثني فُضيل بن خَدِيج عن مولى للأشتر: أنه لما اجتمع إليه عُظْم من كان انهزم عن الميمنة حرّضهم ، ثم قال: عَضّوا على النَّواجذ من الأضراس ، واستقبِلوا القوم بهامِكم ، وشُدّوا شِدّةَ قوم موتورين ثأراً بآبائهم وإخوانهم حِناقاً على عدوِّهم ، قد وطّنوا على الموت أنفسَهم كيلا يُسبَقُوا بوَتر ، ولا يلحقوا في الدنيا عاراً ، وايمُ الله ما وُتِر قوم قطّ بشي أشدّ عليهم من أن يوتَروا دينَهم ! وإنّ هؤلاء القوم لا يقاتلونكم إلا عن دينكم ليُميتوا السنَّة ، ويُحيُوا البدعة ، ويعيدوكم في ضلالة قد أخرجكم الله عزّ وجلّ منها بحسن البصيرة. فطيبوا عبادَ الله أنفساً بدمائكم دون دينكم ، فإن ثوابكم على الله ، والله عنده جنّات النعيم ، وإنّ الفِرار من الزّحف فيه السلب للعزّ ، والغلَبة على الفيء ، وذلّ المحيَا والممات ، وعارُ الدنيا والآخرة.

---

(١) إسناده تالف ، وفيه يبالغ أبو مخنف ليصف الأشتر بعاطفة الانتماء القبلي ويصوره بطلاً يؤدي دوراً أضخم مما يؤديه أمير المؤمنين علي ، ويسرح بخياله وكأنه يرسم لوحة خيالية (وهو يصف حتىٰ سلاح الأشتر فيقول): (في يده صفيحة يمانية إذ طأطأها خِلت فيها ماء منصباً ، وإذا رفعها كاد يغشي البصر شعاعها).
ولم يثبت هذا لا في رواية صحيحة ولا ضعيفة ولا حتىٰ ضعيفة جداً بل انفرد به الهالك التالف أبو مخنف.

وحَمَلَ عليهم حتى كشفهم ، فألحقهم بصفوف معاويةَ بين صلاة العصر والمغرب ، وانتهى إلى عبد الله بن بُديل وهو في عُصْبة من القرّاء بين المئتين والثلاثمئة ، وقد لصِقوا بالأرض كأنّهم جُثاً ، فكشف عنهم أهل الشأم ، فأبصروا إخوانَهم قد دنَوا منهم ، فقالوا: ما فعل أميرُ المؤمنين؟ قالوا: حيٌّ صالح في الميسرة ، يقاتل الناس أمامه ، فقالوا: الحمد لله ، قد كنا ظننّا أن قد هلك وهلكتم ، وقال عبد الله بن بُدَيل لأصحابه: استقدِموا بنا؛ فأرسل الأشتر إليه: ألاَّ تفعل ، اثبتْ مع الناس فقاتِل ، فإنَّه خيرٌ لهم وأبقَى لك ولأصحابك. فأبى ، فمضى كما هو نحو معاوية ، وحوله كأمثال الجبال ، وفي يده سَيْفان ، وقد خرج فهو أمامَ أصحابه ، فأخذ كلَّما دنا منه رجلٌ ضربه فقتله ، حتى قتل سبعة ، ودنا من معاوية فنهض إليه الناس من كل جانب ، وأحيط به وبطائفة من أصحابه ، فقاتَلَ حتى قُتِل ، وقُتِل ناس من أصحابه ، ورجعتْ طائفة قد جرحوا منهزمين ، فبعث الأشتر ابن جُمهان الجعفيّ فحمل على أهل الشأم الذين يُتبعون مَن نجا من أصحاب ابن بُديل حتى نفّسوا عنهم ، وانتهَوْا إلى الأشتر ، فقال لهم: ألم يكن رأيي لكم خيراً من رأيكم لأنفسكم؟! ألم آمرْكم أن تثبتُوا مع الناس؟! وكان معاوية قال لابن بُديل وهو يضرب قُدُماً: أترونه كبش القوم! فلما قُتِل؛ أرسل إليه ، فقال: انظروا مَنْ هو؟ فنظر إليه ناس من أهل الشأم فقالوا: لا نعرفه ، فأقبل إليه حتى وقف عليه ، فقال: بلى ، هذا عبد الله بن بُدَيل ، والله لو استطاعت نساءُ خُزاعة أن تقاتِلَنا فضلاً على رجالها لفعلتْ ، مُدّوه ، فمَدُّوه ، فقال: هذا والله كما قال الشاعر:

أخو الحَرْب إنْ عَضَّتْ به الحرب عَضَّها وإن شَمَّرَتْ يوماً به الحربُ شَمَّرَا

والبيت لحاتم طيّىء ، وإن الأشتر زحف إليهم ، فاستقبله معاوية بعكّ والأشعَرِين ، فقال الأشتر لمذحِج: اكفونا عَكّاً ، ووقف في هَمْدان ، وقال: لِكنْدة: اكفونا الأشعرين ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وأخذ يخرج إلى قومه ، فيقول: إنما هم عَكّ ، فاحمِلوا عليهم ، فيجثُون على الرُّكب ويرتجزون:

يا وَيلَ أمِّ مَذْحِجٍ من عَكِّ هاتيكَ أمُّ مَذْحِجٍ تُبَكِّي

فقاتلوهم حتى المساء. ثم إنه قاتلهم في هَمْدانَ وناس من طوائف الناس ، فحمل عليهم فأزالهم عن مواقفهم حتى ألحَقَهم بالصفوف الخمسة المعقَّلة

بالعمائم حول معاوية ، ثم شَدّ عليهم شَدّة أخرى فصرع الصفوف الأربعة ، ـ وكانوا معقَّلين بالعمائم ـ حتى انتهوا إلى الخامس الذي حول معاوية ، ودعا معاوية بفرس فركب ، وكان يقول: أردت أن أنهزم فذكرتُ قولَ ابنِ الإطنابة من الأنصار ـ كان جاهلياً ، والإطنابة امرأة من بَلْقَيْن ـ:

أبـتْ لـي عِفّتـي وحَيـاءُ نَفْسـي وإقـدامـي علـى البَطَـلِ الْمشيـحِ
وإعطـائـي علـى المَكـروهِ مـالـي وأخـذي الحَمْـدَ بـالثَّمَـنِ الـرَّبيـح
وقَـوْلـي كُلَّمـا جَشَـأت وجـاشَـتْ مكـانَـكِ تُحْمـدي أو تَسْتَـريحـي

فمنعني هذا القولُ من الفرار[1] . (٥: ٢٢/ ٢٣/ ٢٤) .

١١٠٢ ـ قال أبو مِخْنف: حدّثني مالك بن أعين الجُهنيّ عن زيد بن وهْب: أنّ علياً لما رأى ميمنته قد عادت إلى مواقعِها ومصافّها وكشفت مَن بإزائها من عدوّها حتى ضاربوهم في مواقفِهم ومراكزهم؛ أقبل حتى انتهى إليهم فقال: إني قد رأيت جَولتكم وانحيازَكم عن صفوفكم ، يحوزكم الطغاة الجافة وأعراب أهل الشأم ، وأنتم لَهامِيمُ العرب ، والسَّنام الأعظم ، وعُمّار الليل بتلاوة القرآن ، وأهلُ دعوة الحق إذ ضلّ الخاطئون؛ فلولا إقبالكم بعد إدباركم ، وكرُّكم بعد انحيازكـم ، وجب عليكم ما وجب على المولّي يومَ الزّحف دبرَه ، وكنتم من الهالكين؛ ولكنْ هوّن وَجدي ، وشفى بعضَ أُحاحِ نفسي: أني رأيتكم بأَخَرة حُزتموهم كما حازوكم ، وأزلتموهم عن مصافّهم كما أزالوكم ، تحسُّونهم بالسيوف ، تركب أولاهم أخراهم كالإبل المطرَّدة الهيم؛ فالآن فاصبروا ، نزلت عليكم السكينة ، وثبَّتكم الله عز وجل باليقين ، ليعلم المنهزم: أنه مسخِط ربّه ، وموبِق نفسَه؛ إن في الفرار موجِدةَ الله عزّ وجلّ عليه ، والذلّ اللازم ، والعارَ الباقي ، واعتصار

---

(١) إسناده تالف ، ومتنه يعجّ بالنكارات ومنها قول الأشتر ذلك البطل الأسطوري (في روايات أبي مخنف): (وإن هؤلاء القوم (ويقصد جيش معاوية) لا يقاتلونكم إلاّ عن دينكم ليميتوا السنة ويحيوا البدعة ويعيدوكم في ضلالة قد أخرجكم الله عز وجل منها بحسن البصيرة) وهل معنى الضلالة التي أخرج الله منها العرب إلاّ شرك الجاهلية؟ فهل المعركة كانت بين جيوش المسلمين والكفار والكل يعلم أن سبب القتال هو طلب معاوية رضي الله عنه ومن معه بدم عثمان وعاهدوا علىٰ عدم الكف حتىٰ يأخذوا بدم الخليفة المظلوم فأين هذا الهدف مما تصف رواية الأشتر؟! ثم هل خلا جيش علي رضي الله عنه من خطأ من أمثال الإمام علي نفسه وابنه الحسن ومحمد بن الحنفية وعمار وأبو موسىٰ الأشعري وغيرهم كثير من أجلاء الصحابة؟!

الفيء من يده ، وفساد العيش عليه ، وإنّ الفارّ منه لا يزيد في عُمره ، ولا يُرضِي ربّه ، فموت المرء مُحِقّاً قبل إتيان هذه الخصال ، خير من الرضا بالتأنيس لها ، والإقرار عليها[١] . (٥ : ٢٥) .

١١٠٣ ـ قال أبو مخنف : حدّثنا عبد السلام بن عبد الله بن جابر الأحمسيّ : أن راية بَجِيلة بصِفِّين كانت في أحْمس بن الغوث بن أنْمار مع أبي شدّاد ـ وهو قيس بن مَكْشوح بن هلال بن الحارث بن عمرو بن جابر بن عليّ بن أسلم بن أحْمَس بن الغوث ـ وقالت له بجِيلة : خذ رايتَنا . فقال : غيري خيرٌ لكم منّي . قالوا : ما نريد غيرَك ! قال : والله لئن أَعطيتُمونِيها لا أنتهي بكم دون صاحب التُّرس المُذهَب . قالوا : اصنَع ما شئتَ . فأخذها ثم زحف ، حتى انتهى بهم إلى صاحب التُّرْس المُذهَب ـ وكان في جماعة عظيمة من أصحاب معاوية ، وذكروا : أنّه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزوميّ ـ فاقتتل الناسُ هنالك قتالاً شديداً ، فشدّ بسيفه نحو صاحب التُّرس ، فتعرّض له روميّ ، مولى لمعاوية فيضرب قَدَم أبي شدّاد فيقطعها ، ويضربه أبو شدّاد فيقتله ، وأشرِعت إليه الأسنَّة فقتِل ، وأخذ الرَّاية عبد الله بن قِلْع الأحمسيّ وهو يقول :

لا يُبْعِدِ اللهُ أَبَا شَدَّادِ ... حَيْثُ أَجاب دَعْوَةَ المنادِي
وشَدَّ بالسيف على الأعادي ... نِعْمَ الفَتى كان لَدَى الطِّرادِ
وفي طِعانِ الرَّجْل والجِلادِ

فقاتل حتى قُتِل ، فأخذ الرَّاية أخوه عبد الرحمن بن قِلْع ، فقاتل حتى قُتِل ، ثم أخذها عَفيف بن إياس ، فلم تزل في يده حتى تحاجزَ الناس ، وقتل حازم بن أبي حازم الأحمسيّ ـ أخو قيس بن أبي حازم ـ يومئذ ، وقتِل نُعيم بن صُهيب بن العُلَيّة البَجليّ يومئذ ، فأتى ابنُ عمّه ، وسميُّه نُعيم بن الحارث بن العُليّة معاويةَ

(١) إسناده تالف وفي متنه نكارة ، وحاشا لسيدنا علي رضي الله عنه (وهو صاحب الخلق الرفيع واللسان الطاهر والأدب الجم) حاشاه أن يقول واصفاً جيشاً فيه معاوية ومن معهم من الصحابة رضوان الله عليهم (الطغاة الجفاة وأعراب أهل الشام)؛ وعلي رضي الله عنه أعرف بأشراف الناس وأنسابهم ومنهم من مكة والمدينة مع كلا الجيشين وكذلك فإن الطرفين لا يخلوان من مثيري الفتنة السبئية وهؤلاء هم الذين يذكون نار الفتنة إذا خمدت ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ـ وكان معه ـ فقال: إن هذا القتيل ابنُ عمّي ، فهبه لي أدفنه ، فقال: لا تدفنه فليس لذلك أهلاً ، والله ما قدرنا على دفن ابن عفّان رضي الله عنه إلا سرّاً ، قال: والله لتأذننّ في دفنه ، أو لألحقنّ بهم ولأدَعنّك ! قال معاوية: أترى أشياخ العرب قد أحالتهم أمورُهم ، فأنت تسألني في دفن ابنِ عمك! ادفنه إن شئتَ أو دَعْ ، فَدفَنه[1] . (٥: ٢٥/ ٢٦).

١١٠٤ ـ قال أبو مخنف: حدثني الحارث بن حَصيرة الأزديّ ، عن أشياخ من النَّمِر من الأزد: أن مِخْنَف بن سُليم لما نُدبت الأزْد للأزْد ، حمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال: إنّ من الخطأ الجليل ، والبلاءِ العظيم ، أنّا صُرفنا إلى قومنا وصُرفوا إلينا ، والله ما هي إلا أيدينا نقطّعها بأيدينا ، وما هي إلا أجنحتنا نجدّها بأسيافنا ، فإن نحن لم نؤاسِ جماعتَنا ، ولم نناصحْ صاحبنا ، كفرْنا ، وإن نحن فعلْنا فعزَّنا أبحْنا ، ونارنا أخمَدْنا؛ فقال له جُندَب بن زهير: والله لو كنّا آباءهم وولدناهم ، أو كنّا أبناءهم ووَلَدونا ـ ثم خرجوا من جماعتنا ، وطعنوا على إمامنا ، وإذاً هم الحاكمون بالجوْر على أهل ملّتنا وذمّتنا ، ما افترقنا بعد أن اجتمعنا حتى يرجعوا عمّا هم عليه ، ويدخلوا فيما ندعوهم إليه ، أو تكثر القتلى بيننا وبينهم.

فقال له مخنف ـ وكان ابن خالته: أعزَّ الله بك النيّة ! والله ما عُلمت صغيراً وكبيراً إلاّ مشؤوماً ! والله ما ميّلْنا الرأيَ قطّ أيَّهما نأتي أو أيّهما نَدَع ـ في الجاهلية ولا بعد أن أسلمنا ـ إلاّ اخترتَ أعسرهما وأنكدَهما ! اللهمّ أن تُعافِيَ أحبّ إلينا من أن تَبتَلِيَ ! فأعطِ كلّ امرىء منّا ما يسألك.

وقال أبو بُريدة بن عوف: اللهمّ احكم بيننا بما هو أرضى لك ، يا قوم إنكم تبصرون ما يصنع الناس ، وإنّ لنا الأسوة بما عليه الجماعة إن كنا على حقّ ، وإن يكونوا صادقين؛ فإنّ أُسْوةً في الشرّ ـ والله ما علمنا ـ ضررٌ في المحيا والممات.

وتقدّم جندَب بن زهير ، فبارز رأسَ أزْد الشأم فقتله الشاميّ ، وقُتل من رهطه عِجْل وسَعْد ابنا عبد الله من بني ثعلبة وقُتِل مع مِخْنَف من رهطه عبد الله وخالد ابنا

---

(١) إسناده تالف وفي متنه نكارة ، ولا ندري لماذا لا يسمح سيدنا معاوية لمقاتل معه أن يدفن ابن عمه والدفن مأمور به في الدين الإسلامي الحنيف.
وهل هذه معضلة تعكر على معاوية أمره وإذا كان أمر الجيش متوقفاً على رجل يدفن ميتاً فكيف استطاع الجيشان أن يقاتلا هذا القتال الشرس كما يزعم أبو مخنف؟

ناجذ ، وعمرو وعامر ابنا عُوَيف ، وعبد الله بن الحجاج وجُندَب بن زهير ، وأبو زينب بن عوف بن الحارث ، وخرج عبد الله بن أبي الحصين الأزديّ في الفقراء الذين مع عمّار بن ياسر فأصيب معه[1] . (٥ : ٢٦/ ٢٧) .

١١٠٥ ـ قال أبو مخنف: وحدّثني الحارث بن حَصيرة عن أشياخ النَّمِر: أنّ عقبة بن حديد النمريّ قال يوم صِفّين: ألا إنّ مرَعى الدنيا قد أصبح هشيماً ، وأصبح شجرُها خضِيداً ، وجديدها سَمَلاً ، وحلوها مرَّ المذاق ، ألا وإنّي أنبئكم نبأ امرىء صادق: إني قد سئمتُ الدنيا ، وعزفتْ نفسي عنها ، وقد كنت أتمنّى الشهادة ، وأتعرّض لها في كلّ جيش وغارة؛ فأبى الله عزّ وجلّ إلا أن يبلّغني هذا اليوم ، ألا وإني متعرّض لها من ساعتي هذه ، قد طمعت ألا أحرَمها ، فما تنتظرون عبادَ الله بجهاد مَنْ عادى الله؟ خوفاً من الموت القادم عليكم ، الذاهب بأنفسكم لا محالة ، أو من ضربة كفٍّ بالسيف! تستبدلون الدنيا بالنظر في وجه الله عزّ وجلّ وموافقة النبيّين ، والصّدّيقين ، والشهداء ، والصالحين في دار القرار! ما هذا بالرأي السديد ! ثم مضى فقال: يا إخوتي ! قد بعتُ هذه الدار بالتي أمامها ، وهـذا وجهي إليها لا يبرح وجوهَكم ، ولا يقطع الله عزّ وجلّ رجاءكم ! فتبعه إخوتـه: عبيـد الله وعـوف ومالك ، وقالوا: لا نطلب رزقَ الدنيا بعدَك ، فقبَّح الله العيشَ بعدك! اللهمّ إنا نحتسب أنفسنَا عندك! فاستقدموا فقاتَلوا حتى قُتِلوا[2] . (٥ : ٢٧/ ٢٨) .

---

(١) إسناده تالف وفي متنه نكارة.

(٢) إسناده تالف وفي متنه نكارة ، فعلىٰ عادته يلصق أبو مخنف هذه الأوصاف بجيش معاوية رضي الله عنه ويتقولها علىٰ لسان أتباع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قولهم ومنها هذه العبارة: (فما تنتظرون عباد الله بجهاد من عادىٰ الله؟) ولا أصدق من رواية عمّار رداً على هذه الأكاذيب كما أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٢٩٤) عن زياد بن الحارث رضي الله عنه قال: كنت إلىٰ جنب عمار بن ياسر بصفين وركبتي تمسُّ ركبتيه ، فقال رجل: كفر أهل الشام ، فقال عمار: (لا تقولوا ذلك ، نبينا ونبيهم واحد ، وقبلتنا وقبلتهم واحدة ولكنهم قوم مفتونون جاروا عن الحق علينا أن نقاتلهم حتىٰ يرجعوا إليه).

ومن فوائد هذه الرواية أن الراوي (وله صحبة) كان قريباً جداً من عمار حين سمع هذه الكلمات (وركبتي تمس ركبته) ـ فلا مجال لتأويل آخر أو الشك في أن يكون عماراً قائلاً لهذه الكلمات والله تعالى أعلم.

١١٠٦ ـ قال أبو مخنف: حدّثني صلة بن زهير النهديّ عن مسلم بن عبد الله الضّبابيّ، قال: شهدت صِفّين مع الحيّ ومعنا شَمر بن ذي الجوشن الضبابيّ، فبارزه أدهم بن محرز الباهلي، فضرب أدهم وجه شَمِر بالسيف، وضربه شَمِر ضربةً لم تضْره، فرجع شَمِر إلى رَحْله فشرب شربةً ـ وكان قد ظمىء ـ ثم أخذ الرمح، فأقبل وهو يقول:

إنّي زَعيمٌ لأَخي باهلَهْ بطَعْنَةٍ إنْ لم أُصبْ عاجِلَهْ
أو ضَرْبَةٍ تَحْتَ القَنا والوَغى شَبيهَةٍ بالقَتْلِ أو قاتِلَهْ

ثم حمل على أدهم فصرعه، ثم قال: هذه بتلك[1]. (٥: ٢٨).

١١٠٧ ـ قال أبو مخنف: حدّثني عمرو بن عمرو بن عوف بن مالك الجُشَميّ: أن بشر بن عِصْمة المُزَنيّ كان لحق بمعاوية، فلما اقتتل الناس بصِفين؛ بَصُر بشر بن عِصْمة بمالك بن العَقَدِيّة ـ وهو مالك بن الجُلاح الجُشَميّ، ولكنّ العَقَدِيّة غلبتْ عليه ـ فرآه بِشْر وهو يَفري في أهل الشأم فَرْياً عجيباً، وكان رجلاً مسلماً شجاعاً، فغاظ بشراً ما رأى منه، فحمل عليه فطعنه فصرعه، ثم انصرف، فندم لطعنته إيّاه جبّاراً، فقال:

وإني لأرْجو مِنْ مَليكي تَجاوُزاً ومنْ صاحِبِ الموسوم في الصَّدْر هاجسُ
دَلَفْتُ له تَحْتَ الغُبارِ بِطَعْنَةٍ على ساعَةٍ فيها الطِّعان تخالسُ

فبلغتْ مقالتُه ابنَ العَقَدِيّة، فقال:

ألا أَبْلِغا بِشْرَ بنَ عِصْمَةَ أَنّني شُغِلْتُ وألْهاني الّذين أمارِسُ
فصادَفْتَ مِني غِرّةً وأصَبْتَها كذلكَ والأبْطالُ ماضٍ وخالِسُ

ثم حمل عبد الله بن الطُّفَيْل البَكّائيّ على جمع لأهل الشأم، فلمّا انصرف؛ حمل عليه رجل من بني تَميم ـ يقال له: قيس بن قُرّة، ممّن لحق بمعاوية من أهل العراق ـ فيضع الرُّمح بين كتفي عبد الله بن الطُّفيل، ويعترضه يزيد بن معاوية، ابن عم عبد الله بن الطُّفيل، فيضع الرمح بين كتفي التميميّ، فقال: والله لئن طعنتَه؛ لأطعننّك! فقال: عليك عهد الله وميثاقُه لئن رفعتُ السنان على ظهر صاحبك لترفعنّ سنانَك عنّي! فقال له: نعم، لك بذلك عهدُ الله! فرفع

---

(١) إسناده تالف.

السنّان عن ابن الطُّفيل ، ورفع يزيد السنانَ عن التَّميميِّ ، فقال: ممّن أنت؟ قال: من بني عامر؛ فقال له: جعلني الله فداكم! أينما أُلفكم أُلفِكم كراماً ، وإني لحادي عَشَرَ رجلاً من أهل بيتي ورهطي قتلتموهم اليوم ، وأنا كنت آخرَهم ، فلما رجع الناس إلى الكوفة؛ عتب على يزيد بن الطُّفيل في بعض ما يعتب فيه الرجل على ابن عمّه ، فقال له:

ألم تَرَني حامَيْتُ عنك مُناصِحاً ... بِصفّينَ إذْ خلاَّكَ كلُّ حَميمِ
ونَهْنَهْتُ عنك الحنظَليَّ وقدْ أتَى ... على سابحٍ ذي مَيْعَةٍ وهَزيمِ![1]

(٥: ٢٨/ ٢٩).

١١٠٨ ـ قال أبو مخنف: حدّثني فُضَيل بن خَديج ، قال: خرج رجل من أهل الشأم يدعو إلى المبارزة ، فخرج إليه عبد الرحمن بن محرز الكنديّ ، ثم الطمَحِيّ ، فتجاوَلا ساعة ، ثم إن عبد الرحمن حمل على الشاميّ فطعنه في ثُغرة نحره فصرعه ، ثم نزل إليه فسلبه درعه وسلاحَه ، فإذا هو حبشيّ ، فقال: إنّا لله! لِمَنْ أخطرت نفسي! لعبد أسود! وخرج رجل من علكّ يسأل المبارزة ، فخرج إليه قيس بن فَهْدان الكِنانيّ ، ثم البَدَنِيّ ، فحمل عليه العكّيّ فضربه واحتمله أصحابُه فقال قيس بن فَهْدان:

لَقَدْ عَلِمَتْ عَكٌّ بصِفّينَ أننا ... إذا التَقَتِ الخيلان نَطْعنُها شَزْرَا
ونحْمِلُ راياتِ الطّعانِ بِحَقِّها ... فنُورِدُها بيضاً ونُصْدِرُها حُمْرا[2]

(٥: ٣٠).

١١٠٩ ـ قال أبو مخنف: وحدّثني فُضَيل بن خَدِيج: أن قيس بن فهدان كان يحرّض أصحابه فيقول: شدّوا إذا شددتم جميعاً ، وإذا انصرفتم؛ فأقبِلوا معاً ، وغُضّوا الأبصار ، وأقلّوا اللفظ ، واعتوِروا الأقران ، ولا يؤتَيَنّ من قِبلكم العرب ، قال: وقتلِ نُهَيك بن عُزَير ـ من بني الحارث بن عديّ ، وعمرو بن يزيد من بني ذُهل ، وسعيد بن عمرو ـ وخرج قيس بن يزيد وهو ممن فرّ إلى معاوية من عليّ ، فدعا إلى المبارزة ، فخرج إليه أخوه أبو العَمَرّطة بن يزيد ، فتعارفا ،

---

(١) إسناده تالف.
(٢) إسناده تالف ، وكل هذه التفاصيل انفرد بها أبو مخنف من بين معاصريه في هذه الرواية وبقية الروايات إلا ما أشرنا في الموضع المناسب.

فتواقفا وانصرفا إلى الناس ، فأخبر كلّ واحد منهما أنه لقي أخاه[١] . (٥ : ٣٠).

١١١٠ ـ قال أبو مِخْنف: حدّثني جعفر بن حذيفة من آل عامر بن جوَين الطائيّ: أن طيّئاً يوم صِفّين قاتلت قتالاً شديداً ، فعبّيَت لهم جموع كثيرة ، فجاءهم حمزة بن مالك الهمْدانيّ ، فقال: ممّن أنتم ، لله أنتم! فقال عبد الله بن خليفة البَوْلانيّ ـ وكان شيعيّاً شاعراً خطيباً: نحن طيّىء السهل ، وطيّىء الرملِ ، وطيّىء الجَبل ، الممنوع ذي النخل؛ نحن حُماة الجبلين ، إلى ما بين العُذَيب والعَيْن ، نحن طيّىء الرماح ، وطيّىء النِّطاح ، وفُرسان الصّباح ، فقال حمزة بن مالك: بخٍ بخٍ! إنك لحسن الثناء على قومك؛ فقال:

إنْ كُنْتَ لَمْ تَشْعُر بنَجدَةِ مَعْشَرٍ فأَقدِمْ عَلَيْنا وَيْبَ غَيْرِك تَشعُرِ

ثم اقتتل الناس أشدّ القتال ، فأخذ يناديهم ويقول: يا معشر طيّىء ! فِدًى لكم طارِفي وتالِدي! قاتِلوا على الأحساب ، وأخذ يقول:

أنا الذي كنْت إذا الدّاعي دَعا مصَمِّماً بالسَّيْفِ نَدْباً أرْوَعا

فأنزل المُسْتَلْئِمَ المُقَنَّعا وأقتلُ المُبالِطَ السَّمَيْدَعا

وقال بشر بن العَسوس الطائيّ ثم المِلْقطيّ:

يَا طيِّىء السُّهولِ والأجبالِ ألا انهدُوا بالبيضِ والعَوالي

وبالْكُماةِ مِنكُمُ الأبطالِ فقارِعوا أئِمَّةَ الجُهّالِ

السّالِكينَ سُبُلَ الضَّلال

ففُقِئتْ يومئذ عين ابن العَسوس ، فقال في ذلك:

ألا لَيْتَ عَيني هذِهِ مِثلُ هذِهِ فلَم أمشِ في الآناسِ إلاَّ بقائِدِ

ويا لَيْتَني لم أبْقَ بعد مُطَرِّفٍ وسَعد وبعد المُسْتَنِيرِ بنِ خالِدِ

فوارِسَ لم تَغْذُ الحواضِنُ مِثْلَهُمْ إذا الحربُ أَبدَتْ عن خدامِ الخَرائِدِ

ويا ليت رِجلي ثَمّ طُنَّتْ بِنصْفِها ويا ليت كفِّي ثَمّ طاحَتْ بِساعدي[٢]

(٥ : ٣٠/ ٣١).

---

(١) إسناده تالف.

(٢) إسناده تالف وفي متنه نكارة ، ولم تكن هذه الألقاب شائعة يومها (شعبياً) وإنما هو سبك الرواية بعبارات لا أصل لها والله أعلم.

١١١١ ـ قال أبو مخنف: حدّثني أبو الصّلت التيميّ ، قال: حدّثني أشياخ محارب: أنّه كان منهم رجل يقال له خنثر بن عبيدة بن خالد ، وكان من أشجع الناس ، فلما اقتتل الناس يومَ صِفّين؛ جعل يرى أصحابه منهزِمين ، فأخذ ينادي: يا معشر قيْس ! أطاعةُ الشيطان آثر عندكم من طاعة الرحمن! الفِرار فيه معصية الله سبحانه وسخطُه ، والصبر فيه طاعة الله عزّ وجلّ ورضوانُه ، فتختارون سخطَ الله تعالى على رضوانِه ، ومعصيتَه على طاعته! فإنما الراحة بعد الموت لمن مات محاسباً لنفسه. وقال:

لا وألَتْ نَفْسُ امْرِىءٍ وَلَّى الدُّبُرْ أنا الَّذِي لا يَنْثني ولا يَفِرْ
ولا يُرَى مع المعازيل الغُدُرْ

فقاتلَ حتى ارتُثّ ، ثم إنه خرج مع الخمسمئة الذين كانوا اعتزلوا مع فَرْوة بن نَوْفل الأشجعيّ ، فنزلوا بالدَّسكرة والبَنْدنيجَيْن ، فقاتلت النَّخَع يومئذ قتالاً شديداً ، فأصيب منهم يومئذ بكْر بن هوْذَة ، وحيّان بن هَوذة ، وشُعيب بن نُعيم من بني بكْر النَّخع ، وربيعة بن مالك بن وَهْبيل ، وأبيّ بن قيس أخو علقمة بن قيس الفقيه ، وقُطِعت رجل علقمة يومئذ ، فكان يقول: ما أحِبّ أنّ رجلي أصحّ ما كانت ، وإنها لمما أرجو به حسنَ الثواب من ربي عزّ وجلّ ، وقال: لقد كنت أحبّ أن أرى في نومي أخي ، أو بعض إخواني ، فرأيتُ أخي في النوم ، فقلت: يا أخي ! ماذا قدمتم عليه؟ فقال لي: إنا التقينا نحن والقوم ، فاحتججنا عند الله عزّ وجلّ ، فحججْناهم ، فما سُررت منذ عقلتُ سروري بتلك الرؤيا[١]. (٥ : ٣٢).

١١١٢ ـ قال أبو مِخْنف: حدّثني سُويَد بن حيّة الأسديّ عن الحُضَين بن المنذر: أنّ أناساً كانوا أتوْا علياً قبل الوقْعة فقالوا له: إنا لا نرى خالد بن المعمَّر إلاّ قد كاتب معاوية ، وقد خشينا أن يتابعَه ، فبعَث إليه عليّ وإلى رجال من أشرافنا ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال: أما بعدُ يا معشر ربيعة ! فأنتم أنصارِي ، ومجيبو دَعْوَتي ، ومِن أوثقِ حيٍّ في العرب في نفسي ، وقد بلَغني: أنّ معاوية قد

---

(١) إسناده تالف ، ومرة أخرىٰ يمتدح أبو مخنف بني قومه وأجداده (النخع) تماماً كما يبالغ سيف في مدح بني قومه ويبالغ في دورهم في حرب الردة.
ولم نجد رواية صحيحة فيما بين أيدينا من المصادر صحيحة تؤيد هذه الرواية والله أعلم.

كاتب صاحبَكم خالد بن المعمَّر ، وقد أتيتُ به ، وجمعتُكم لأشهِدَكم عليه ، ولتسمعوا أيضاً ما أقوله ، ثمّ أقبل عليه ، فقال: يا خالد بن المعمر ! إن كان ما بلغني حقّاً فإني أُشهِد الله ومَن حَضرني من المسلمين أنّك آمِنٌ حتى تلحق بأرض العراق ، أو الحجاز ، أو أرضٍ لا سلطان لمعاوية فيها ، وإن كنتَ مكذوباً عليك ، فإنْ صدورنا تطمئنّ إليك ، فحلف بالله ما فعل ، وقال رجال منّا كثير: لو كنا نعلم أنه فعل؛ أمثلناه ، فقال شقيق بن ثوْر السَّدوسيّ: ما وُفّق خالد بن المعمّر أنْ نصَر معاوية وأهل الشأم على عليّ وربيعة ! فقال زياد بن خَصفة التّيميّ: يا أمير المؤمنين ! استوثِق من ابن المعمَّر بالأيمان لا يغدرنّك. فاستوثق منه ، ثم انصرفنا ، فلما كان يوم الخميس انهزم الناس من قِبَل الميمنة ، فجاءنا عليّ حتى انتهى إلينا ومعه بنوه ، فنادى بصوت عالٍ جهير ، كغير المكترِث لما فيه الناس: لمن هذه الرايات؟ قلنا: رايات ربيعة ، فقال: بل هي رايات الله عزّ وجلّ ، عصم الله أهلها ، فصبّرهم ، وثبّت أقدامهم ، ثم قال لي: يا فتى ! ألا تُدْني رايتَك هذه ذراعاً؟ قلت: نعم والله وعشرَةَ أذرُع؛ فقمت بها فأدنيتُها ، حتى قال: إنّ حسبَك مكانك ، فثبتُّ حيث أمرني ، واجتمع أصحابي[1]. (٥: ٣٣).

١١١٣ - قال أبو مخنف: حدّثنا أبو الصّلت التيميّ ، قال: سمعتُ أشياخَ الحي من تيم الله بن ثعلبة يقولون: إن راية ربيعة ـ أهل كوفتها وبصرتها ـ كانت مع خالد بن المعمر من أهل البصرة. قال: وسمعتهم يقولون: إنّ خالد بن المعمر وسُفيان بن ثور السَّدوسيّ اصطلحا على أن وليّا راية بكر بن وائل من أهل البصرة الحُضيْن بن المنذر الذُّهليّ ، وتنافَسَا في الرّاية ، وقالا: هذا فتىً منّا له حَسَب ، نجعلها له حتى نرى من رأينا.

ثم إنّ عليّاً ولَّى خالد بن المعمّر بعدُ راية ربيعة كلّها ، قال: وضرب معاوية لحميَر بسهمهم على ثلاث قبائل ، لم تكن لأهل العراق قبائل أكثر عدداً منها يومئذ: على ربيعة ، وهَمْدان ، ومذحِج ، فوقع سهم حِمْير على ربيعة ، فقال ذو الكَلاع: قبّحك الله من سهم! كرهتَ الضِّراب! فأقبل ذو الكَلاع في حميَر ومَن تعلّقها ، ومعهم عبيد الله بن عمرَ بن الخطّاب في أربعة آلاف من قرّاء أهل

(١) إسناده تالف.

الشأم ، وعلى ميمنتهم ذو الكَلاع ، فحملوا على ربيعة ، وهم ميسرة أهلِ العراق ، وفيهم ابنُ عبّاس ، وهو على الميسرة ، فحمل عليهم ذو الكَلاع ، وعبيد الله بن عمر حَمْلةً شديدة بخيلهم ورجلهم ، فتضعضعتْ رايات ربيعة إلاّ قليلاً من الأخيار والأبدال. قال: ثمّ إن أهل الشأم انصرفوا ، فلم يمكثوا إلاّ قليلاً حتى كرّوا ، وعبيد الله بن عمر يقول: يا أهل الشأم ! إنّ هذا الحيَّ من أهل العراق قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وأنصار عليّ بن أبي طالب ، وإن هزمتم هذه القبيلة أدركتم ثأركم في عثمان ، وهلك عليّ بن أبي طالب ، وأهل العراق ، فشَدّوا على الناس شَدّة ، فثبتتْ لهم ربيعة ، وصبروا صبراً حسناً إلا قليلاً من الضعفاء والفَشَلة ، وثبت أهل الرايات ، وأهلُ الصَّبر منهم ، والحفاظ ، فلم يزولوا ، وقاتَلوا قتالاً شديداً. فلما رأى خالد بن المعمّر ناساً من قومه انصرفوا؛ انصرف ، ولمّا رأى أصحاب الرايات قد ثبتوا ورأى قومه قد صبروا؛ رجع وصاح بمن انهزم ، وأمرهم بالرّجوع ، فقال: مَنْ أراد من قومه أن يتّهمه؛ أراد الانصراف ، فلمّا رآنا قد ثبتنا؛ رجع إلينا ، وقال هو: لما رأيت رجالاً منا انهزموا رأيتُ أن أستقبلهم وأردّهم إليكم ، وأقبلت إليكم فيمن أطاعني منهم ، فجاء بأمر مشبّه[1]. (٥: ٣٣/ ٣٤/ ٣٥).

١١١٤ ـ قال أبو مخنف: حدّثني رجل من بكر بن وائل عن محرز بن عبد الرحمن العجْليّ ، أنّ خالداً قال يومئذ: يا معشرَ ربيعة ! إنّ الله عزّ وجلّ قد أتى بكلّ رجل منكم من منبته ومسقط رأسه ، فجمعكم في هذا المكان جمعاً لم يجمعكم مِثله منذ نشرَكم في الأرض ، فإنْ تمسِكوا بأيديكم ، وتنكُلوا عن عدوّكم ، وتزولوا عن مصافِّكم؛ لا يرضِ الله فعلَكم ، ولا تقدَموا من الناس صغيراً أو كبيراً إلاّ يقول: فضحتْ ربيعة الذِّمار ، وحاصَت عن القتال ، وأتِيتْ من قِبلها العرب ، فإيّاكم أن يتشاءم بكم العرب والمسلمون اليوم ، وإنكم إن تمضُوا مقبلين مقدمين ، وتصيروا محتسبين؛ فإنّ الإقدام لكم عادة ، والصبر منكم سجيّة ، واصبروا ونيّتكم صادقة أن تؤجَروا ، فإنّ ثواب مَن نَوَى ما عند الله شرفُ الدنيا وكرامةُ الآخرة ، ولن يُضيع اللهُ أجرَ من أحسن عملاً.

فقام رجل من ربيعة فقال: ضاع والله أمرُ ربيعة حين جعلتْ إليك أمورَها!

---

(١) إسناده تالف.

تأمرنا ألاّ نزول ولا نحُول حتى تَقتل أنفسَنا ، وتَسفِك دماءنا! ألا ترى الناس قد انصرف جُلُّهم! فقام إليه رجال من قومه فنهروه ، وتناولوه بألسنتهم ، فقال لهم خالد: أخرِجوا هذا من بينكم ، فإنّ هذا إن بقيَ فيكم ضرّكم ، وإن خرج منكم لم يَنْقصكم ، هذا الذي لا ينقص العدَد ، ولا يَملأ البلد ، برّحك الله من خطيب قوم كرام! كيف جُنِّبتَ السداد! واشتدّ قتال ربيعة ، وحمير ، وعُبيد الله بن عمر حتى كثرتْ بينهم القتلى ، فقتِل سُمَير بن الرّيان بن الحارث العجليّ ، وكان من أشدّ الناس بأساً[1]. (٥: ٣٥/ ٣٦).

١١١٥ - قال أبو مخنف: حدّثني جيفر بن أبي القاسم العبديّ عن يزيد بن علقمة ، عن زيد بن بدر العَبْديّ: أن زياد بن خَصَفة أتى عبدَ القيس يومَ صِفين وقد عُبّيتْ قبائلُ حميَر مع ذي الكَلاع - وفيهم عُبيد الله بن عمرَ بن الخطاب - لبكر بن وائل ، فقوتلوا قتالاً شديداً ، خافوا فيه الهلاك ، فقال زياد بن خَصَفة: يا عبدَ القيس ! لا بَكْر بعد اليوم. فركبنا الخيولَ ، ثم مضينا فواقفناهم ، فما لبثْنا إلاّ قليلاً حتى أصيب ذو الكَلاع ، وقُتل عبيد الله بن عمرَ رضي الله عنه ، فقالت هَمْدان: قتله هانىء بن خطّاب الأرحبيّ؛ وقالت حَضْرَمَوْت: قتله مالك بنُ عمرو التَّنْعيّ ، وقالت بكر بن وائل: قتله مُحرِز بن الصّحصح من بني عائش بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة ، وأخذ سيفه ذا الوشاح ، فأخذ به معاوية بالكُوفة بكرَ بن وائل ، فقالوا: إنما قتله رجل منا من أهل البصرة ، يقال له: محرز بن الصّحْصَح ، فبعث إليه بالبصرة فأخذ منه السيف ، وكان رأسَ النَّمِر بن قاسط عبدُ الله بن عَمرو من بني تيم الله بن النَّمِر[2]. (٥: ٣٦).

١١١٦ - قال هشام بن محمد: الذي قتل عُبَيد الله بن عمرَ رضي الله عنه محرزُ بن الصّحصح ، وأخذ سيفه ذا الوشاح ، سيفَ عمر ، وفي ذلك قول كعب بن جُعيل التغلَبيّ:

ألا إنَّمـا تُبْكـي العُيـونُ لِفـارسٍ ... بصِفّيـنَ أجْلَـتْ خَيْلُـهُ وَهُـوَ واقِـفُ
يُبَـدِّلُ مِـنْ أسْمـاءَ أسيـافَ وائِـلٍ ... وكـان فتـى لـو أخْطَـأتْـهُ المَتـالِـفَ
تـركْـنَ عُبَيْـدَ الله بـالقـاعِ مُسْنَـداً ... تمُـجُّ دَمَ الخِـرْقِ العُـرُوقُ الـذَّوارِفُ

---

(١) إسناده تالف.
(٢) إسناده تالف.

وهي أكثر من هذا.

وقُتل منهم يومئذ بِشر بن مرّة بن شُرَحبيل، والحارث بن شَرحبيل، وكانت أسماء ابنة عطارد بن حاجب التميميّ تحت عبيد الله بن عمر، ثمّ خلَف عليها الحسن بن عليّ[1]. (٥: ٣٧).

١١١٧ - قال أبو مخنف: حدّثني ابن أخي غياث بن لَقيط البكريّ: أن عليّاً حيث انتهى إلى ربيعة، تبارتْ ربيعة بينها، فقالوا: إن أصيب عليّ فيكم وقد لجأ إلى رايتكم؛ افتضحتم، وقال لهم شقيق بن ثور: يا معشر ربيعة! لا عذرَ لكم في العرب إن وُصِل إلى عليّ فيكم وفيكم رجلٌ حيّ، وإن منعتموه؛ فمجدُ الحياة اكتسبتموه، فقاتَلوا قتالاً شديداً حين جاءهم عليّ لم يكونوا قاتَلوا مثلَه، ففي ذلك قال عليّ:

لِمَنْ رَايَةٌ سوْداءُ يَخْفِق ظِلُّها ... إذا قيل قَدِّمها حُضَيْنُ تقَدَّما

يُقَدِّمُها في المَوْتِ حتى يُزيرها ... حياضَ المَنايا تَقْطُرُ الموتَ والدَّما

أذَقْنا ابنَ حَربٍ طَعنَنا وضِرابَنا ... بأَسيافنا حتى تولّى وأحجَما

جَزَى الله قَوماً صابَروا في لقائهمْ ... لدى الموتِ قَوماً ما أعَفَّ وأكْرَما!

وأطيبَ أخباراً وأكْرَمَ شيمَةً ... إذا كان أصواتُ الرِّجال تَغَمغُما

رَبيعَةَ أعنِي أنَّهُمْ أهلُ نَجْدة ... وبأْسٍ إذا لاقَوْا جَسيماً عَرَمرَما[2]

(٥: ٣٧/ ٣٨).

مقتل عمّار بن ياسر

١١١٨ - قال أبو مخنف: حدّثني عبد الملك بن أبي حرّة الحنفيّ: أنّ عمّار بن ياسر خرج إلى الناس، فقال: اللهمّ إنك تعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك في أن أقذفَ بنفسي في هذا البحر؛ لفعلتُه، اللهمّ إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أضع ظُبَةَ سيفي في صدري ثم أنحني عليها حتى تَخرج من ظهري؛ لفعلتُ، وإنّي لا أعلم اليومَ عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو أعلم أنّ عملاً

---

(١) إسناده تالف.

(٢) إسناده تالف.

من الأعمال هو أرضَى لك منه؛ لفعلته[١]. (٥ : ٣٨).

١١١٩ ـ قال أبو مخنف: حدّثني الصّقْعب بن زُهير الأزديّ، قال: سمعتُ عمّاراً يقول: واللهِ إني لأرى قوماً ليضربُنّكم ضرباً يرتاب منه المبطلون! وايم الله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سَعَفات هَجَر؛ لعلمنا أنّا على الحقّ، وأنهم على الباطل[٢]! (٥ : ٣٨).

١١٢٠ ـ حدّثني محمد! عن خلف، قال: حدّثنا منصور بن أبي نويرة عن أبي مِخْنف، وحُدِّثت عن هشام بن الكلبيّ، عن أبي مخنف، قال: حدّثني مالك بن أعينَ الجُهَنيّ، عن زيد بن وهب الجُهَنيّ: أنّ عمّار بن ياسر رحمه الله قال يومئذ: أين مَن يبتغي رضوانَ الله عليه، ولا يثوب إلى مال ولا ولد! فأتَتْه عصابة من الناس، فقال: أيُّها الناس! اقصدوا بنا نحوَ هؤلاء الذين يبغون دمَ ابن عفان، ويزعمون: أنه قتِل مظلوماً، والله ما طلبتهُم بدمه، ولكنّ القوم ذاقوا الدّنيا، فاستحبُّوها، واستمرؤوها، وعلموا أن الحقّ إذا لزمهم حالَ بينهم وبين

---

(١) إسناده تالف وفي متنه غرابة.

(٢) إسناده تالف، ولكن صح عن عمار نحواً من رواية أبي مخنف هذه إلاّ أن أبا مخنف لم يروها بأمانة بل حرّفها، والرواية الصحيحة عند أحمد: والذي نفسي بيده لو ضربونا حتىٰ يبلغوا شعفات هجر لعرفت أن مصلحينا علىٰ الحق وأنهم علىٰ الضلالة (المسند ٤/ ٣١٩) ولفظ الحاكم: (لعرفت أن صاحبنا علىٰ الحق) (المستدرك ٣/ ٣٩٢) وعند ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٢٩٧) والطيالسي (منحة المعبود ٢/ ١٨٢): (لعرفت أن مصلحتنا. . .) وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٤٣): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن سلمة وهو ثقة، وعقب الدكتور يحيىٰ اليحيىٰ علىٰ هذه اللفظة (مصلحينا) فقال: وهذا القيد مهم إذ أنه أبعد غوغاء الناس وأصحاب الأهداف الأخرىٰ وهذه شهادة عظيمة من عمار رضي الله عنه في تقويم جيش علي رضي الله عنه (مرويات أبي مخنف/ ٣٦٧) ولكن أبا مخنف أبى إلاّ أن يحرّف الكلم عن مواضعه فحذف لفظة (صاحبنا، أو مصلحينا) واستخدم لفظة عامة (أنا على الحق) كي يشمل به مثيري الفتنة وأهل البدع والذين ظهر زيفهم وضعف إيمانهم وجهلهم بحقائق الدين فمرقوا من جماعة الإسلام وانشقوا عن جيش خليفة المسلمين وحاربوا أمير المؤمنين رضي الله عنه وسمّوا الخوارج وكان عمار رضي الله عنه مدركاً لهذه الحقيقة ولم يدع مجالاً للمبتدعة يتستروا فميّز بين الغث والسمين فقال: (صاحبنا، أو مصلحينا) فلم يصبر أبو مخنف حتىٰ حرّف وحذف وزيّف، وصدق الدارقطني إذ قال: بل الواقدي خير من ملء الأرض مثل هؤلاء (ويعني أبا مخنف والكلبي).

ما يتمرّغون فيه من دنياهم ، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقّون بها طاعةَ الناس والولايةَ عليهم ، فخدعوا أتباعَهم أن قالوا: إمامُنا قتل مظلوماً ، ليكونوا بذلك جبابرةً ملوكاً ، وتلك مكيدة بلغوا بها ما تَرَوْن ، ولولا هي ما تبعهم من الناس رجلان ، اللهمّ إنْ تنصرْنا فطالما نصرت ، وإن تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا في عبادك العذابَ الأليم ، ثم مضى ، ومضت تلك العصابة التي أجابته حتى دنا من عَمرو فقال: يا عَمرو ! بعتَ دينك بمصر ، تبّاً لك تبّاً! طالما بغيت في الإسلام عِوَجاً. وقال لعُبيد الله بنِ عمَر بن الخطاب: صَرعك الله! بعتَ دينَك من عدوّ الإسلام وابن عدوّه ، قال: لا ، ولكن أطلب بدم عثمانَ بن عفّان رضي الله عنه؛ قال له: أشهد على علمي فيك أنك لا تطلب بشيء من فعلك وجْهَ الله عزّ وجلّ؛ وإنّك إن لم تُقتل اليوم تمتْ غداً ، فانظر إذا أعطِيَ الناسُ على قدر نِيّاتهم ما نيّتك[1] . (٥: ٣٩/ ٤٠).

١١٢١ - حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقيّ ، قال: أخبرنا عبيد بن الصبّاح عن عطاء بن مسلم ، عن الأعمش ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَميّ ، قال: سمعت عمّار بن ياسر بصِفِّين وهو يقول لعَمرو بن العاص: لقد قاتلتُ صاحبَ هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله ﷺ ، وهذه الرابعة ما هي بأبرّ ولا أتقى[2] . (٥: ٤٠).

١١٢٢ ـ حدّثنا أحمد بن محمد ، قال: حدّثنا الوليد بن صالح ، قال: حدّثنا عطاء بن مسلم عن الأعمش ، قال: قال أبو عبد الرحمن السُّلميّ: كنا مع عليّ

(١) إسناده تالف وفيه نكارات ـ ومنها أن عماراً رضي الله عنه قال لعمرو: (يا عمرو بعت دينك بمصر تباً لك تباً! طالما بغيت في الإسلام عوجاً).
ويكفي أبا مخنف كذباً وافتراءً أن لصق هذه المقولة بعمار رضي الله عنه وهو الذي صح عنه قوله: (ربنا وربهم واحد وقبلتنا وقبلتهم واحدة) وكيف يقول لصحابي رسول الله ﷺ : بعت دينك بمصر ـ وتباً لك طالما بغيت في الإسلام عوجاً!؟ وعمرو وجهاده في الفتوح وقبل ذلك خدمته لإعلاء كلمة الله في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام يكفي ـ ثم كيف لعمار أن يدخل قلوب الناس ويكشف عن نياتهم عندما قال لعبيد الله بن عمر بن الخطاب: أشهد علىٰ علمي فيك أنك لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله عز وجل! فهل هذا من مقال صحابي جليل كعمار رضي الله عنه أم أنها الروايات المظلمة المنكرة ولا إسناد يصح ولا متن.

(٢) إسناده ضعيف.

بصِفِّين ، فكنا قد وكَلْنا بفرسه رجلين يحفظانه ويمنعانه من أن يحمل ، فكان إذا حانت منهما غفلةٌ يحمِل فلا يرجع حتى يخضِب سيفَه ، وإنه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى انثنى سيفه ، فألقاه إليهم ، وقال: لولا أنه انثنى ما رجعتُ ـ فقال الأعمش: هذا والله ضربُ غير مرتاب ، فقال أبو عبد الرحمن: سمع القوم شيئاً فأدّوه وما كانوا بكذّابين ـ قال: ورأيت عماراً لا يأخذ وادياً من أودية صِفين إلا تبعه مَن كان هناك من أصحاب محمد ﷺ؛ ورأيته جاء إلى المِرْقال هاشم بن عتبة وهو صاحب راية عليّ ، فقال: يا هاشم ! أعَوراً وجبناً! لا خير في أعوَر لا يغشى البأس ، فإذا رجلٌ بين الصفَّين قال: هذا والله ليخلُفَنّ إمامه ، وليخذلَنّ جنده ، وليَصْبِرَنّ جهده ، اركب يا هاشم ! فركب ، ومضى هاشم يقول:

أعْــــوَرُ يَبْغــــي أهلَــــهُ مَحَــــلاًّ قــد عــالَــجَ الحياةَ حتــى مَــلاَّ
لابــــدَّ أن يَفُــــلَّ أو يُفَــــلاَّ

وعمّار يقول: تقدّم يا هاشم ! الجنّة تحت ظلال السيوف ، والموتُ في أطراف الأسَل ، وقد فُتِحت أبواب السماء ، وتزينت الحور العين.

اليــــوم ألقــــى الأحبَّــــهْ محمَّــــداً وحــــزبَــــهْ

فلم يرجعا ، وقُتلا ـ قال: يفيد لك علمهما مَنْ كان هناك من أصحاب رسول الله ﷺ ، أنّهما كانا عَلماًـ فلما كان الليل قلت: لأدخلنّ إليهم حتى أعلم: هل بلغ منهم قتل عمّار ما بلغ منّا! وكنا إذا توادعنا من القتال تحدّثوا إلينا وتحدّثنا إليهم ، فركبت فرسي وقد هدأت الرِّجل ، ثم دخلت فإذا أنا بأربعة يتسايرون: معاوية ، وأبو الأعور السُّلَميّ ، وعمرو بن العاص ، وعبد الله بن عمرو ـ وهو خير الأربعة ـ فأدخلت فرسي بينهم مخافة أن يفوتني ما يقول أحد الشِّقَّيْن ، فقال عبد الله لأبيه: يا أبت ! قتلتم هذا الرجلَ في يومكم هذا ، وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال! قال: وما قال؟ قال: ألم تكن معنا ونحن نبني المسجد ، والناس يَنقلون حجراً حجراً ولَبِنة لَبِنة ، وعمَّار ينقل حجريْن حَجريْن ولبنتين لبنتين ، فغُشي عليه ، فأتاه رسولُ الله ﷺ ، فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: «ويحك يابن سُمَيّة! الناس ينقلون حجراً حجراً ، ولَبِنة لبِنة ، وأنت تنقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين رغبةً منك في الأجر! وأنت ويحك مع ذلك تقتلك الفئة الباغية!». فدفع عمرو صدرَ فرسه ، ثم جذب معاوية إليه ، فقال:

يا معاوية ! أما تسمع ما يقول عبد الله! قال: وما يقول؟ فأخبره الخبر ، فقال معاوية: إنك شيخ أخرق ، ولا تزال تحدّث بالحديث وأنت تدحَض في بَوْلك! أوَ نحن قتلنا عمَّاراً! إنما قتل عمَّاراً مَنْ جاء به. فخرج الناس من فَساطيطهم ، وأخبيتهم يقولون: إنما قتل عمَّاراً من جاء به ، فلا أدري مَن كان أعجب؟ هو أو هم[١]! (٥: ٤٠/٤١).

١١٢٣ ـ قال أبو جعفر: وقد ذكر: أن عماراً لما قتِل قال عليّ لربيعةٍ وهمْدان: أنتم درعي ورُمحي ، فانتدب له نحو من اثني عشر ألفاً ، وتقدّمهم عليٌّ على بغلته فحمل وحملوا معه حملةَ رجل واحد ، فلم يبق لأهل الشأم صفّ إلاّ انتقض ، وقتلوا كلَّ من انتهوا إليه ، حتى بلغوا معاوية ، وعليٌّ يقول:

أضْـــرِبُهُـــمْ ولا أرى معـــاويَـــهْ الجـاحِـظَ العَيْـنِ العظيـمَ الحـاوِيَـه

ثم نادى معاوية ، فقال عليٌّ: علامَ يُقتَّل الناس بيننا! هلمّ أحاكمك إلى الله ، فأيّنا قتل صاحبَه استقامت له الأمور ، فقال له عمرو: أنصَفك الرجل ، فقال معاوية: ما أنْصَفَ ، وإنك لتعلم أنه لم يبارزْه رجل قطّ إلا قتله ، قال له عمرو: وما يجمُل بك إلاّ مبارزته ، فقال معاوية: طمعتَ فيها بعدي[٢]. (٥: ٤١/٤٢).

١١٢٤ ـ قال هشام ، عن أبي مخنف: قال: حدّثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عَمْرة عن سليمان الحضرميّ ، قال: قلت لأبي عَمرة: ألا تراهم ، ما أحسن هيئتَهم! يعني: أهلَ الشأم ، ولا ترانا ما أقبح رعيّتنا! فقال: عليك نفسَك فأصلِحها ، وَدع الناسَ فإنَّ فيهم ما فيهم[٣]. (٥: ٤٢).

خبر هاشم بن عُتْبة المرقال وذكر ليلة الهَرير

١١٢٥ ـ قال أبو مخنف: وحدّثني أبو سلمة: أنَّ هاشم بن عتبة الزُّهريّ دعا الناسَ عند المساء: ألا مَن كان يريدُ الله والدار الآخرة فإليّ ! فأقبل إليه ناسٌ كثيرة ، فشدّ في عصابة من أصحابه على أهل الشأم مراراً ، فليس من وجه يحمل

(١) إسناده ضعيف.
(٢) ذكره الطبري بلا إسناد ، وهو خبر منكر.
(٣) إسناده تالف.

عليه إلاّ صَبَرَ له وقاتَلَ فيه قتالاً شديداً ، فقال لأصحابه:

لا يهولنّكم ما ترَوْنَ من صبرهم ، فوالله ما ترَوْن فيهم إلاّ حميَّة العرب وصَبْراً تحت راياتها ، وعند مراكزها ، وإنهم لعلى الضّلال ، وإنكم لعلى الحقّ ، يا قوم اصبروا وصابِروا واجتمعوا ، وامشوا بنا إلى عدوّنا على تؤدة رويداً ، ثم اثبتوا وتناصَروا ، واذكروا الله ، ولا يَسأل رجلٌ أخاه ، ولا تُكثروا الالتفات ، واصمدوا صمدَهم ، وجاهدوهم محتسبين ، حتى يحكمَ الله بيننا وبينهم وهو خيرُ الحاكمين.

ثم إنه مضى في عصابة معه من القرّاء ، فقاتل قتالاً شديداً هو وأصحابهُ عند المساء حتى رأوْا بعض ما يُسرُّون به ، قال: فإنهم لكذلك إذ خرج عليهم فتىً شاب وهو يقول:

أنـا ابـنُ أربـابِ الملوكِ غَسّـانْ والـدَّائـنُ اليـومَ بـدِيـن عثمـانْ
إنّـي أتـانـي خبـرٌ فـأشجـانْ أنَّ عليّـاً قَتَـلَ ابـنَ عفّـانْ

ثم يشدّ فلا ينثني حتى يضرب بسيفه ، ثم يشتم ويلعن ويُكثر الكلام ، فقال له هاشم بن عتبة: يا عبد الله ! إن هذا الكلام ، بعده الخِصام ، وإنّ هذا القتال ، بعده الحساب ، فاتّق الله فإنك راجع إلى الله فسائلك عن هذا الموقف وما أردتَ به ، قال: فإني أقاتلكم لأنّ صاحبكم لا يصلّي كما ذكر لي ، وأنتم لا تصلّون أيضاً ، وأقاتلكم لأنّ صاحبكم قتل خليفتنا ، وأنتم أردتموه على قتله ، فقال له هاشم: وما أنت وابن عفان! إنما قتله أصحابُ محمد ، وأبناء أصحابه ، وقرّاء الناس ، حين أحدث الأحداث ، وخالف حكم الكتاب؛ وهم أهل الدّين ، وأوْلى بالنّظر في أمور الناس منك ومن أصحابك ، وما أظنّ أمر هذه الأمة وأمرَ هذا الدين أهمِل طرفة عين. فقال له: أجَلْ ، والله لا أكذب ، فإنّ الكذب يضرّ ولا ينفع ، قال: فإنّ أهل هذا الأمر أعلم به؛ فخلّه وأهل العلم به. قال: ما أظنك والله إلاّ نصحت لي؛ قال: وأمّا قولك: إنّ صاحبنا لا يصلّي ، فهو أوّل من صلّى مع رسول الله ، وأفقَه خلق الله في دين الله ، وأولى بالرسول ، وأما كلّ مَنْ ترى معي فكلهم قارىء لكتاب الله لا ينام الليل تهجُّداً ، فلا يغوينَّك عن دينك هؤلاء الأشقياء المغرورون. فقال الفتى: يا عبدَ الله ! إنّي أظنك امرأً صالحاً؛ فتخبرَني: هل تجد لي من توبة؟ فقال: نعم يا عبد الله ! تُبْ إلى الله يتب عليك ، فإنه يقبل

التوبةَ عن عباده ، ويعْفو عن السيئات ، ويحبّ المتطهرين ، قال: فجشر والله الفتى الناس راجعاً ، فقال له رجل من أهل الشأم: خدعَك العراقيّ ، خدعك العراقيّ ، قال: لا ، ولكن نصحَ لي. وقاتل هاشمٌ قتالاً شديداً هو وأصحابه ، وكان هاشم يُدعَى المِرْقال ، لأنه كان يُرْقِل في الحرب ، فقاتل هو وأصحابه حتى أبرّوا على من يليهم ، وحتى رأوا الظفر ، وأقبلتْ إليهم عند المغرب كتيبةٌ لتَنوخ فشدّوا على الناس ، فقاتلهم وهو يقول:

أعــور يبغِــي أهلَــه محــلاَّ ... قــد عــالــج الحيــاةَ حتَّــى مَـلاَّ
يَتُلُّهُــم بــذي الكُعــوبِ تَــلاَّ

فزعموا: أنه قتل يومئذ تسعةً أو عشرة ، وحمل عليه الحارث بن المنذر التَّنوخيّ فطعنه فسقط ، وأرسل إليه عليٌّ: أن قدّم لواءك ، فقال لرسوله: انظر إلى بطني ، فإذا هو قد شُقّ ، فقال الأنصاريّ الحجّاج بن غزِيّة:

فإن تَفْخروا بابن البُدَيل وهاشِمٍ ... فنحــن قتَلْنــا ذا الكَــلاعِ وحَــوْشَبــا
ونحــن تَــركْنــا بَعــدَ مُعتــرَكِ اللِّقــا ... أخــاكــم عبيــد الله لَحْمــاً مُلَحَّبــا
ونحــن أحطنــا بــالبعيــرِ وأهلِــه ... ونحــن سقينــاكــمْ سِمــامــاً مُقَشَّبــا[1]

(٥: ٤٢/ ٤٣/ ٤٤).

---

(١) إسناده تالف ، وفيه نكارات منها (إنما قتله أصحاب محمد وأبناء أصحابه وقراء الناس حيث أحدث الأحداث) وقد بيّنا سابقاً في الحديث عن مقتل عثمان أن الصحابة برآءٌ من دم عثمان كما أخرج خليفة بن خياط عن الحسن عندما سئل: أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار؟ قال: لا ، كانوا أعلاجاً من أهل مصر (تأريخ خليفة/ ١٧٦).

وأما أبناء الصحابة فقد ثبت كما ذكرنا أن أبناء الصحابة شاركوا في حماية عثمان رضي الله عنه وخرج منهم من خرج محمولاً ملطخاً بدمائه وهم عبد الله بن عمر والحسن ومحمد بن طلحة.

وأخرج ابن عساكر (ترجمة ص ٣٩٥) عن محمد بن سيرين: (لقد قتل عثمان يوم قتل وإن الدار يومئذ لغاصة فيهم عبد الله بن عمر وفيهم الحسن بن علي في عنقه السيف ولكن عثمان عزم عليهم أن لا يقاتلوا).

وأخرج ابن عساكر (ترجمة عثمان/ تأريخ دمشق/ ٣٥) عن نافع مولىٰ ابن عمر أنه قال: (إن الحسن بن علي وعبد الله بن عمر لم يزالا مع عثمان في الدار) وقال المحقق: رجال إسناده ثقات.

ومن نكارة هذه الرواية كذلك [فإني أقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلي] بينما الرواية الصحيحة=

١١٢٥ - هشام عن أبي مخنف، قال: حدّثني مالك بن أعيَن الجُهنيّ عن زيد بن وهب الجهنيّ: أنّ علياً مرّ على جماعة من أهل الشأم فيها الوليد بن عقبة، وهم يشتمونه، فخبِّر بذلك، فوقف فيمن يليهم من أصحابه، فقال: انهدَوا إليهم، عليكم السكينة والوقار، وقار الإسلام، وسيما الصالحين، فوالله لأقربُ قوم من الجهل قائدهم، ومؤذِنهم معاوية، وابن النابغة، وأبو الأعور السلميّ، وابن أبي مُعيط شارب الخمر المجلود حدّاً في الإسلام، وهم أوْلى من يقومون فينقصونني، ويجدبونني، وقبل اليوم ما قاتَلوني، وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام، وهم يَدْعُونني إلى عبادة الأصنام، الحمدُ لله، قديماً عاداني الفاسقون فعبدهم الله ألم يُقْبَحوا! إنّ هذا لهو الخَطب الجليل؛ إن فسّاقاً كانوا غير مرضيّين، وعلى الإسلام وأهله متخوِّفين، خدعوا شطر هذه الأمّة، وأشرَبوا قلوبهم حبّ الفتنة، واستمالوا أهواءهم بالإفك والبهتان، قد نصبوا لنا الحرب في إطفاء نور الله عزّ وجلّ، اللهمّ فافضض خدَمتهم، وشتِّت كلمتهم، وأبسلهم بخطاياهم، فإنه لا يذلّ من واليت، ولا يعزّ من عاديت[1]. (٥ : ٤٥).

١١٢٦ - قال أبو مخنف: حدّثني نمير بن وَعْلة عن الشعبيّ: أنّ علياً مرّ بأهل راية فرآهم لا يزولون عن موقفهم، فحرّض عليهم الناس، وذُكر أنهم غسّان، فقال: إنّ هؤلاء لن يزولوا عن موقفهم دون طعن دَرّاك يخرج منهم النَّسم، وضرب يفلِق منه الهام، ويُطيح بالعِظام، وتسقط منه المعاصم والأكفّ، وحتى

= تؤكد أن الطرفين كان يرىٰ أحدهم الآخر يؤذن ويقيم الصلاة ويصلي فكيف يقول الشاب الذي يصول ويجول: (لأن صاحبكم لا يصلي كما ذكر لي) فلا يحتاج الأمر إلى ذكر أحدهم له ثم هل صاحبكم مغمور بهذه الدرجة بحيث لا يعرفون أنه يصلي أم لا؟ أم أنه علم من أعلام الأمة. . . ولقد أخرج سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٣٤٤) عن نعيم بن أبي هند عن عمه قال: (كنت مع علي بصفين فحضرت الصلاة فأذنَا وأذنوا وأقمنا فأقاموا فصلينا وصلوا).

(١) إسناده تالف، ومتنه منكر ولم نعهد من سيرة سيدنا علي أن يستعمل هذه الألفاظ غير اللائقة ولم نعهد منه ولا من صحابة رسول الله أن ينبشوا عن عداوات الجاهلية ونعراتها فالإسلام أرفع وأعظم من ذلك - ويبدو أن أبا مخنف فشل هذه المرة كذلك في حبك الرواية بصورة لا تظهر فيها النكارة فقد ذكر قبل روايات أن علياً رضي الله عنه قال: (بأن جيش معاوية ليس معه إلا الأعراب بينما يقول هنا: وخدعوا شطر هذه الأمة وأشربوا قلوبهم حب الفتنة) فأي رواية لأبي مخنف نصدق وروايته تضعف بعضها بعضاً.

تُصدع جباههم بعُمُد الحديد ، وتنتشر حواجبهم على الصدور والأذقان ، أين أهل الصبر ، وطلّاب الأجر ؟! فثاب إليه عصابة من المسلمين ، فدعا ابنه محمداً؛ فقال: امش نحوَ أهل هذه الراية مشياً رُويداً على هِينتك ، حتى إذا أشرعت في صدورهم الرماح ، فأمسِك حتى يأتيَك رأيي. ففعل ، وأعدّ عليٌّ مثلهم ، فلمّا دنا منهم فأشرع الرِّماح في صدورهم أمر على الذين أعدّ فشدّوا عليهم ، وأنهض محمداً بمن معه في وجوههم ، فزالوا عن مواقفهم ، وأصابوا منهم رجالاً ، ثم اقتتل الناس بعد المغرب قتالاً شديداً ، فما صلّى أكثر الناس إلاّ إيماء.

رجع الحديث إلى حديث أبي مِخنف: قال أبو مخنف: فاقتتل الناس تلك الليلة كلّها حتى الصباح؛ وهي ليلة الهَرير ، حتى تقصّفت الرّماح ونفد النَّبْل ، وصارَ الناس إلى السيوف ، وأخذ عليّ يسير فيما بين الميمنة والميسرة ، ويأمر كلَّ كتيبة من القرّاء أن تقدم على التي تليها ، فلم يزل يفعل ذلك بالناس ويقوم بهم حتى أصبح والمعركة كلّها خَلْف ظهره ، والأشتر في ميمنة الناس ، وابن عبّاس في الميسرة ، وعليّ في القلْب ، والناس يقتتلون من كلّ جانب ، وذلك يومَ الجمعة ، وأخذ الأشتر يزحف بالميمنة ويقاتل فيها ، وكان قد تولاّها عشيّة الخميس وليلة الجمعة إلى ارتفاع الضحى ، وأخذ يقول لأصحابه: ازحفوا قيد هذا الرّمح ، وهو يزحف بهم نحو أهل الشام ، فإذا فعلوا قال: ازحفوا قادَ هذا القوس ، فإذا فعلوا سألهم مثل ذلك ، حتى ملّ أكثر الناس الإقدام ، فلمَّا رأى ذلك الأشتر قال: أعيذكم بالله أن ترضعوا الغنم سائرَ اليوم ، ثم دعا بفرسه ، وترك رايتَه مع حيَّان بن هوذة النخعيّ ، وخرج يسير في الكتائب ويقول: من يشتري نفسَه من الله عزّ وجلّ ، ويقاتل مع الأشتر ، حتى يظهر أو يلحق بالله! فلا يزال رجل من الناس قد خرج إليه ، وحيّان بن هوذة.

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف: فلما رأى عمرو بن العاص أنّ أمر أهل العراق قد اشتدّ ، وخاف في ذلك الهلاك ، قال لمعاوية: هل لك في أمر أعرِضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً ، ولا يزيدهم إلاّ فُرقة؟ قال: نعم؛ قال: نرفع المصاحف ثم نقول: ما فيها حَكَمٌ بيننا وبينكم ، فإن أبى بعضُهم أن يقبلها وجدت فيهم مَن يقول: بلى ، ينبغي أن نقبل ، فتكون فرقة تقع بينهم ، وإن

قالوا: بلى ، نقبل ما فيها ، رفعنا هذا القتال عنّا وهذه الحرب إلى أجل أو إلى حين. فرفعوا المصاحفَ بالرّماح وقالوا: هذا كتاب الله عزّ وجلّ بيننا وبينكم ، مَن لثغور أهل الشام بعد أهل الشام! ومَن لثغور أهلِ العراق بعدَ أهل العراق! فلما رأى الناس المصاحفَ قد رفعتْ ، قالوا: نجيب إلى كتاب الله عزّ وجلّ ونيب إليه[١] . (٥: ٤٥/ ٤٦/ ٤٧/ ٤٨).

١١٢٧ - قال أبو مخنف: حدّثني أبو بكر الكنديّ: أن عبد الله بن كعب المراديّ قتل يوم صِفينَ ، فمرّ به الأسوَدُ بن قيس المراديّ ، فقال: يا أسوَد ، قال: لبّيك! وعرفه وهو بآخر رَمَق ، فقال: عزّ والله عليّ مصرَعُك ، أما والله لو شهدتك لآسيتك ، ولدافعتُ عنك ، ولو عرفت الذي أشعرك لأحببتُ ألاّ يتزايل حتى أقتله أو ألحق بك ، ثم نزل إليه فقال: أما والله إن كان جارُك ليأمن بوائقَك ، وإن كنتَ لَمِن الذاكرين اللهَ كثيراً ، أوصِني رحمك الله! فقال: أوصيك بتقوى الله عز وجلّ ، وأن تُناصحَ أمير المؤمنين ، وتقاتل معه المحِلّين حتى يظهر أو تلحق بالله. قال: وأبلغه عنّي السلام ، وقل له: قاتِل عن المعركة حتى تجعلَها خلْفَ ظهرك ، فإنه من أصبح غداً والمعركة خلف ظهره كان العاليَ ، ثمّ لم يلبث أن مات ، فأقبل الأسود إلى عليّ فأخبره ، فقال: رحمه الله! جاهد فينا عدوّنا في الحياة ، ونصح لنا في الوفاة.

قال أبو مخنف: حدّثني محمد بن إسحاق مولى بني المطّلب: أنّ عبدِ الرحمن بن حنبل الجُمحيّ ، هو الذي أشار على عليّ بهذا الرأي يوم صِفين[٢] . (٥: ٤٦).

١١٢٨ - قال هشام: حدّثني عَوانة ، قال: جعل ابن حَنْبل يقول يومئذ:

إنْ تَقتلوني فأنا ابنُ حنبَلْ ... أنا الذي قدْ قلتُ فيكم نعْثلْ[٣]

(٥: ٤٦).

١١٢٩ - قال أبو مخنف: عن أبي جناب الكلبيّ ، عن عُمارة بن ربيعة

---

(١) إسناده تالف وفي متنه نكارة.
(٢) إسناده تالف وفي متنه نكارة.
(٣) إسناده ضعيف جداً.

الجَرْميّ ، قال : مرّ بي واللهِ الأشترُ فأقبلتُ معه ، واجتمع إليه ناسٌ كثير ، فأقبل حتى رجع إلى المكان الذي كان به الميمنة ، فقام بأصحابه ، فقال : شدّوا شَدّة ، ـ فِدىً لكم عمّي وخالي ! ـ تُرضُون بها الربّ ، وتُعِزّون بها الدّين ، إذا شَددتُ فشُدّوا ، ثم نزل فضرب وجهَ دابَّته ، ثم قال لصاحب رايته : قدّم بها ، ثم شَدّ على القوم ، وشَدّ معه أصحابُه ، فضرب أهل الشأم حتى انتهى بهم إلى عسكرهم؛ ثم إنهم قاتلوه عند العسكر قتالاً شديداً ، فقتل صاحب رايته ، وأخَذ عليّ ـ لمَا رأى من الظفر من قِبَله ـ يَمُدّه بالرّجال[1] . (٥ : ٤٧) .

١١٣٠ ـ حدّثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني سليمان قال : حدّثني عبد الله ، عن جويرية ، قال : قال عمرو بن العاص يوم صفين لوَرْدان : تدري ما مَثلي ومَثلك! مثل الأشقر إنْ تقدّم عُقِر ، وأن تأخّر نُحِر ، لئن تأخّرتَ لأضربنّ عنقك ، ائتوني بقيد ، فوضعه في رجليه فقال : أما والله يا أبا عبد الله لأورِدنّك حياضَ الموت ، ضع يدك على عاتقي ، ثم جعل يتقدم وينظر إليه أحياناً ، ويقول : لأورِدنّك حياضَ الموت[2] . (٥ : ٤٧/ ٤٨) .

ما روي من رفعهم المصاحف ودعائهم إلى الحكومة

١١٣١ ـ قال أبو مخنف : حدّثني عبد الرحمن بن جُندَب الأزديّ عن أبيه : أنّ علياً قال : عبادَ الله ! امضُوا على حقكم وصِدقكم قتالَ عدوّكم ، فإنّ معاوية ، وعمرَو بن العاص ، وابنَ أبي مُعيط ، وحبيب بن مَسلمة ، وابن أبي سرْح ، والضحّاك بن قيس ، ليسوا بأصحاب دِين ولا قرآن ، أنا أعرَف بهم منكم ، قد صحبتُهم أطفالاً ، وصحبتهم رجالاً ، فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال ، ويْحَكم! إنهم ما رفعوها ، ثم لا يرفعونها ولا يعلمون بما فيها ، وما رفعوها لكم إلا خديعةً ودَهْناً ومَكيدة ، فقالوا له : ما يسعنا أن نُدْعَى إلى كتاب الله عزّ وجلّ فنأبى أن نَقبله؛ فقال لهم : فإنّي إنما قاتلتُهم ليدينوا بحكم هذا الكتاب ، فإنَّهم قد عصَوا الله عز وجلّ فيما أمَرَهم ونسُوا عهدَه ، ونبذُوا كتابه . فقال له مِسْعر بن فَدَاكيّ التميميّ ، وزيد بن حصين الطائيّ ثم السَّنْبِسيّ في عصابة معهما من القرّاء

---

(١) إسناده تالف .

(٢) إسناده ضعيف .

الذين صاروا خوارج بعد ذلك: يا عليّ ! أجِب إلى كتاب الله عزّ وجلّ إذْ دعيتَ إليه ، وإلاّ ندفعك برُمّتك إلى القوم ، أو نفعل كما فعلنا بابن عفان؛ إنه علينا أن نعمل بما في كتاب الله عزّ وجلّ فقبلناه؛ والله لتفعلنّها ، أو لنفعلنَّها بك ! قال: فاحفظوا عنِّي نهيي إياكم ، واحفظوا مقالتكم لي ، أمَّا أنا فإن تطيعوني؛ تقاتلوا ، وإن تعصوني؛ فاصنعوا ما بدا لكم! قالوا له: إمّا لاَ فابعث إلى الأشتر فليأتك[1] . (٥: ٤٨/ ٤٩).

١١٣٢ ـ قال أبو مخنف: حدّثني فضَيل بن خَديج الكنديّ ، عن رجل من النَّخَع: أنه رأى إبراهيم بن الأشتر دخل على مصعب بن الزبير ، قال: كنت عند عليّ حين أكرَهه الناس على الحكومة ، وقالوا: ابعث إلى الأشتر فليأتك ، قال: فأرسل عليّ إلى الأشتر يزيدَ بن هانىء السّبيعيّ: أن ائتني؛ فأتاه فبلّغه ، فقال: قل له: ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تُزيلني فيها عن موقفي ، إن قد رجوت أن يُفتَح لي ، فلا تعجلني ، فرجع يزيد بن هانىء إلى عليّ فأخبره ، فما هو إلا أن انتهى إلينا ، فارتفع الرّهَج ، وعلَت الأصوات من قِبَل الأشتر ، فقال له القوم: والله ما نراك إلا أمرتَه أن يقاتل؛ قال: من أين ينبغي أن ترَوا ذلك! رأيتموني سارَرْته؟ أليس إنما كلمته على رؤوسكم علانية ، وأنتم تسمعونني! قالوا: فابعث إليه فليأتك ، وإلا والله اعتزلناك ، قال له: ويْحَك يا يزيد! قل له: أقبل إليّ ، فإنّ الفتنة قد وقعتْ ، فأبلغه ذلك ، فقال له: أَلِرفع المصاحف؟ قال: نعم؛ قال: أما والله لقد ظننت حين رُفعتْ أنّها ستوقع اختلافاً وفُرقة ، إنها مشورة ابن العاهرة ، ألا ترى ما صنع الله لنا! أينبغي أن أدعَ هؤلاء وأنصرف عنهم! وقال يزيد بن هانىء: فقلت له: أتحب أنك ظفرتَ هاهنا ، وأنّ أمير المؤمنين بمكانه الذي هو به يُفرج عنه أو يُسْلَم؟ قال: لا والله ، سبحان الله! قال: فإنهم قد قالوا: لَتُرسلنّ إلى الأشتر فليأتينّك أو لنقتلنّك كما قتلنْا ابن عفّان ، فأقبل حتى انتهى إليهم فقال: يا أهلَ العراق ! يا أهل الذّلّ والوَهَن ، أحين علوتم القوم ظهراً ، وظنّوا أنكم لهم قاهرون ، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها! وقد والله تركوا

---

(١) إسناده تالف ، وفيه نكارة شديدة وإن كانوا حقاً كما روىٰ أبو مخنف أنهم ليسوا بأصحاب دين وقرآن فلماذا تحاكموا إلىٰ القرآن؟! ولماذا لم يقاتلوا سيدنا علي كما يقاتل غيرهم ممن لا دين لهم ولا قرآن إلا أنه الافتراء والكذب من أبي محنف.

ما أمر الله عزّ وجلّ به فيها ، وسنّة من أنزلتْ عليه ﷺ ، فلا تجيبوهم ، أمهلوني عَدْوَ الفرس ، فإني قد طمعت في النصر؛ قالوا: إذاً ندخل معك في خطيئتك؛ قال: فحدِّثوني عنكم ، وقد قُتل أماثِلُكم ، وبقيَ أراذلكم ، متى كنتم محقِّين! أحين كنتم تقاتلون وخياركم يُقتلون! فأنتم الآن إذ أمسكتم عن القتال مبطلون ، أم الآن أنتم محقّون ، فقَتْلاكم الذين لا تنكرون فضلَهم فكانوا خيراً منكم في النار إذاً! قالوا: دعنا منك يا أشتر ! قاتَلْناهم في الله عزّ وجلّ ، ونَدَع قتالهم لله سبحانه ، إنا لسنا مُطيعِيك ولا صاحبك ، فاجتنِبْنا ، فقال: خُدِعتم والله فانخَدعتم ، ودُعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم ، يا أصحابَ الجباه السود ! كنا نظنّ صلواتكم زَهادةً في الدنيا ، وشوقاً إلى لقاء الله عزّ وجلّ ، فلا أرى فِراركم إلاّ إلى الدنيا من الموت ، ألا قبحاً يا أشباهَ النِّيب الجَلاّلة! وما أنتم برائين بعدَها عزّاً أبداً ، فابعَدُوا كما بَعِدَ القوم الظالمون! فسبّوه ، فسبّهم ، فضربوا وجه دابّته بسياطهم ، وأقبل يضرب بسوطه وجوهَ دوابّهم ، وصاح بهم عليّ فكَفّوا؛ وقال للناس: قد قبِلنا أن نجعلَ القرآن بيننا وبينهم حَكَماً ، فجاء الأشعث بن قيس إلى عليّ فقال له: ما أرى الناسَ إلا قد رضُوا ، وسرّهم أن يجيبوا القومَ إلى ما دعَوْهم إليه من حكم القرآن ، فإن شئت أتيتُ معاوية فسألتُه ما يريد ، فنظرتَ ما يسأل؛ قال: ائته إن شئتَ فسَلْه ، فأتاه فقال: يا معاوية ! لأيّ شيء رفعتم هذه المصاحف؟ قال: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله عزّ وجلّ به في كتابه ، تبعثون منكم رجلاً ترضَوْن به ، ونبعث منّا رجلاً ، ثم نأخذ عليهما أن يعمَلا بما في كتاب الله لا يعدُوانه ، ثم نتبع ما اتّفقا عليه ، فقال له الأشعث بنُ قيس: هذا الحقّ ، فانصرف إلى عليّ فأخبرَه بالذي قال معاوية؛ فقال الناس: فإنا قد رضينا وقبِلنا ، فقال أهل الشأم: فإنا قد اخترنا عمروَ بن العاص؛ فقال الأشعث وأولئك الذين صاروا خوارجَ بعد: فإنا قد رضينا بأبي موسى الأشعريّ ، قال عليّ: فإنكم قد عصيتموني في أول الأمر ، فلا تعصُوني الآن ، إني لا أرى أن أولِّيَ أبا موسى.

فقال الأشعث ، وزيد بن حُصين الطائيّ ، ومسعر بن فدكيّ: لا نرضى إلاّ به ، فإنه ما كان يحذّرنا منه وقعنا فيه؛ قال عليّ: فإنه ليس لي بثقة ، قد فارقني ، وخذّل الناسَ عني ثم هرب مني حتى آمنتُه بعد أشهر ، ولكن هذا ابن عباس نولّيه ذلك ، قالوا: ما نبالي أنت كنت أم ابن عباس! لا نريد إلاّ رجلاً هو منك ومن

معاوية سواء، ليس إلى واحد منكما بأدنى منه إلى الآخر، فقال عليّ: فإنّي أجعل الأشتر[١]. (٥: ٤٩/ ٥٠/ ٥١).

١١٣٣ ـ قال أبو مخنف: حدّثني أبو جناب الكلبيّ: أن الأشعث قال: وهل سَعّر الأرضَ غيرُ الأشتر[٢]؟! (٥: ٥١).

١١٣٤ ـ قال أبو مخنف: عن عبد الرحمن بن جُندَب، عن أبيه: أنّ الأشعث قال: وهل نحن إلا في حكم الأشتر! قال عليّ: وما حُكمُه؟ قال: حكمه أن يَضرِب بعضُنا بعضاً بالسيوف حتى يكون ما أردتَ وما أراد؛ قال: فقد أبَيتم إلا أبا موسى! قالوا: نعم. قال: فاصنعوا ما أردتم! فبعثوا إليه وقد اعتزل القتال، وهو بعُرْضٍ، فأتاه مولى له؛ فقال: إنّ الناس قد اصطلحوا؛ فقال: الحمد لله ربّ العالمين! قال: قد جعلوك حَكَماً؟ قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! وجاء أبو موسى حتى دخل العسكر، وجاء الأشتر حتى أتى عليّاً فقال: ألِزّني بعمرو بن العاص، فوالله الذي لا إله إلا هو، لئن ملأتُ عيني منه لأقتلنّه؛ وجاء الأحنف فقال: يا أميرَ المؤمنين! إنك قد رُميتَ بحجر الأرض، وبمَنْ حارب اللهَ ورسوله أنْفَ الإسلام، وإنّي قد عجمتُ هذا الرجلَ وحلبتُ أشطُرَه فوجدتُه كَلِيلَ الشَّفرة، قريبَ القعر، وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلاّ رجل يدنو منهم حتى يصير في أكفهم، ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم، فإن أبيتَ أن تجعلَني حَكَماً، فاجعلني ثانياً أو ثالثاً، فإنه لن يعقد عقدةً إلا حللتُها، ولن يحلّ عقدة أعقدها إلا عقدت لك أخرى أحكَم منها، فأبى الناسُ إلا أبا موسى والرِّضا بالكتاب؛ فقال الأحنف: فإنْ أبيتم إلا أبا موسى فأدفئِوا ظهرَه بالرجال. فكتبوا: بسم الله الرحمن الرّحيم؛ هذا ما تَقاضَى عليه عليٌّ أميرُ المؤمنين... فقال عمرو: اكتب اسمه واسم أبيه، هو أميرُكم فأما أميرُنا فلا، وقال له الأحنف: لا تمح اسم «إمارة المؤمنين»، فإني أتخوّف إنْ محوتَها ألاّ ترجع إليك أبداً، لا تَمحُها وإن قتل الناسُ بعضهم بعضاً؛ فأبى ذلك عليّ مليّاً من النهار، ثم إنّ الأشعث بنَ قيس قال: امحُ هذا الاسم برحه الله! فمُحِيَ وقال عليّ: الله أكبر، سنّة بسنّة، ومثَل

---

(١) إسناده تالف، وإكراه علي رضي الله عنه علىٰ الحكومة غير صحيح كما سنذكر في الخاتمة وكلها بأسانيد ضعيفة جداً، وكذلك رفع المصاحف على الرماح لا يصح.

(٢) إسناده تالف.

بمثَل ، والله إني لكاتب بين يديْ رسول الله ﷺ يومَ الحُدَيبية إذ قالوا: لستَ رسول الله ، ولا نشهد لك به ، ولكن اكتب اسمك واسمَ أبيك ، فكتبه ، فقال عمرو بن العاص: سبحان الله! ومَثَلُ هذا أن نشبّه بالكفّار ونحن مؤمنون! فقال عليّ: يا بن النابغة ! ومتى لم تكن للفاسقين وليّاً ، وللمسلمين عدوّاً! وهل تشبه إلا أمك التي وضعت بك! فقام فقال: لا يجمع بيني وبينَك مجلسٌ أبداً بعد هذا اليوم؛ فقال له عليّ: وإني لأرجُو أن يطهّر الله عزّ وجلّ مجلسي منك ومن أشباهِك ، وكتب الكتاب.

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف ، وكتب الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سُفيان ، قاضىٰ عليّ على أهل الكوفة ومَنْ معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين ، وقاضَىٰ معاوية على أهل الشأم ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين ، إنا ننزل عند حُكم الله عزّ وجلّ وكتابه ، ولا يجمع بيننا غيره ، وإن كتاب الله عزّ وجلّ بيننا مِن فاتحتِه إلى خاتمته ، نُحيي ما أحيا ، ونُميت ما أمات ، فما وجد الحكَمَان في كتاب الله عزّ وجلّ ـ وهما أبو موسى الأشعريّ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص القرشي ـ عَمِلاَ به ، وما لم يَجِدَا في كتاب الله عزّ وجلّ فالسنة العادلة الجامعة غير المفرّقة ، وأخذ الحكَمان من عليّ ومعاوية ومن الجندين من العهود والميثاق والثقة من الناس ، أنهما آمنان على أنفسهما وأهلِهما ، والأمّة لهما أنصار على الذي يتقاضَيَان عليه ، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كلتيهما عهدُ الله وميثاقُه أنّا على مافي هذه الصحيفة ، وأن قد وجبتْ قضيّتهما على المؤمنين ، فإنّ الأمن والاستقامة ووضع السلاح بينهم أينما ساروا على أنفسهم وأهلِيهم وأموالِهم ، وشاهِدهم وغائبهم ، وعلى عبد الله بن قيس ، وعمرو بن العاص عهدُ الله وميثاقُه أن يحكُمَا بين هذه الأمة ، ولا يَرُدّاها في حرب ولا فُرقة حتى يُعصيا ، وأجَلُ القضَاء إلى رَمضان ، وإن أحبّا إن يؤخّرا ذلك أخّراه على تراضٍ منهما ، وإن تُوفِّي أحد الحَكَمين فإنْ أمير الشيعة يختار مكانه ، ولا يألو من أهل المَعدلة والقِسط ، وإنّ مكان قضيّتهما الذي يقضيان فيه مكان عدلٌ بين أهل الكوفة وأهل الشأم؛ وإن رضيَا وأحبّا فلا يَحضرهما فيه إلا من أرادا ، ويأخذ الحَكَمان من أرادا من الشهود ، ثم يكتبان شهادتهما على مافي هذه الصحيفة ،

وهم أنصارٌ على مَن ترك مافي هذه الصحيفة ، وأراد فيه إلحاداً وظُلماً ، اللهم إنا نستنصرك على من تَرَكَ مافي هذه الصحيفة.

شَهِد من أصحاب عليّ: الأشعثُ بن قيس الكنديّ ، وعبدُ الله بن عباس ، وسعيد بن قيس الهمدانيّ ، وورقاء بن سُمَيّ البَجَليّ ، وعبد الله بن مُحِلّ العِجليّ ، وحُجْر بن عديّ الكِنديّ ، وعبد الله بن الطفيل العامريّ ، وعقبة بن زياد الحَضْرميّ ، ويزيد بن حجيَّة التيميّ ، ومالك بن كعب الهمدانيّ. ومن أصحاب معاوية: أبو الأعور السلميّ عمرو بن سفيان ، وحبيب بن مسلمة الفِهريّ ، والمخارق بن الحارث الزُّبيديّ ، وزِمْل بن عمرو العذرِيّ ، وحمزة بن مالك الهمْدانيّ ، وعبد الرحمن بن خالد المخزوميّ ، وسُبيع بن يزيد الأنصاريّ ، وعلقمة بن يزيد الأنصاريّ ، وعتبة بن أبي سُفيان ، ويزيد بن الحرّ العبسيّ[١]. (٥ : ٥١/ ٥٢/ ٥٣/ ٥٤).

١١٣٥ ـ حدثني عليّ بن مسلم الطوسيّ ، قال: حدّثنا حَبّان ، قال: حدّثنا مُبارك ، عن الحسن ، قال: أخبرني الأحنف: أنّ معاوية كتب إلى عليّ أن امحُ هذا الاسمَ إن أردتَ أن يكون صلح؛ فاستشار ـ وكانت له قبّة يأذن لبني هاشم فيها ، ويأذن لي معهم ـ قال: ما تروْن فيما كتب به معاوية أن امح هذا الاسم؟ ـ قال مبارك: يعني: أميرَ المؤمنين ـ قال: برّحه الله! فإنّ رسول الله ﷺ حين وادع أهَل مكة كتب: «محمّد رسول الله» ، فأبوا ذلك حتى كتب: هذا ما قاضى عليه محمد بنُ عبد الله؛ فقلت له: أيّها الرجل مالَك وما لرسول الله ﷺ ! إنا والله ما حابَيْناك ببيعتِنا ، وإنا لو علمنا أحداً من الناس أحقّ بهذا الأمر منك لبايعناه ، ثم قاتلناك ، وإني أقسم بالله لئن محوتَ هذا الاسم الذي بايعتَ عليه ، وقاتلتهم؛ لا يعود إليك أبداً.

قال: وكان واللهِ كما قال. قال: قلّما وُزِن رأيه برأيِ رجل إلا رَجَح عليه[٢]. (٥ : ٥٣).

١١٣٦ ـ قال أبو مخنف: حدّثني أبو جناب الكلبيّ عن عُمارة بن ربيعة

---

(١) إسناده تالف وفي متنه نكارة.

(٢) إسناده ضعيف.

الجَرْميّ ، قال: لما كُتبت الصحيفة دُعِيَ لها الأشتر فقال: لا صحِبتْنِي يميني ، ولا نفعتْني بعدَها شمالي؛ إن خُطّ لي في هذه الصحيفة اسم على صلح ولا موادَعة ، أوَلستُ على بيّنة من ربّي ، ومن ضلال عدوّي! أوَلستم قد رأيتم الظَّفَر لو لم تُجمِعوا على الجور! فقال له الأشعث بن قيس: إنك والله ما رأيت ظَفَراً ولا جَوْراً ، هلمَّ إلينا فإنه لا رغبة بك عنّا؛ فقال: بلى والله ِلرغبة بي عنك في الدّنيا للدنيا والآخرة للآخرة ، ولقد سفَكَ الله عزّ وجلّ بسيفي هذا دماءَ رجال ما أنت عندي خيرٌ منهم ، ولا أحرَم دماً؛ قال عُمارة: فنظرتُ إلى ذلك الرجل وكأنما قُصع على أنفه الحُمم ـ يعني: الأشعث[1]. (٥: ٥٤/ ٥٥).

١١٣٧ ـ قال أبو مخنف: عن أبي جَناب ، قال: خرج الأشعث بذلك الكتاب يقرؤه على الناس ، ويَعرِضه عليهم ، فيقرؤونه ، حتى مرّ به على طائفة من بني تميم فيهم عروة بن أدَيّة ، وهو أخو أبي بلال ، فقرأه عليهم ، فقال عروة بن أدَيّة: تحكّمون في أمر الله عزّ وجلّ الرجال! لا حكم إلا لله؛ ثم شدّ بسيفه فضرب به عجُز دابته ضربةً خفيفة ، واندفعت الدّابة ، وصاح به أصحابه ، أن املك يَدك ، فرجع ، فغضب للأشعث قومُه وناس كثير من أهل اليمن ، فمشى الأحنف بنُ قيس السعديّ ، ومعقِل بن قيس الرّياحيّ ، ومِسْعر بن فَدَكِي ، وناس كثيرٌ من بني تميم ، فتنصّلوا إليه ، واعتذروا؛ فقَبِل وصَفح[2]. (٥: ٥٥).

١١٣٨ ـ قال أبو مخنف: حدّثني أبو زيد عبد الله الأوديّ: أن رجلاً من أوْد كان يقال له: عمرو بن أوس ، قاتَلَ مع عليّ يومَ صِفين ، فأسره معاوية في أسارَى كثيرين ، فقال له عمرو بن العاص: اقتلهم ، فقال له عمرو بن أوس: إنك خالي ، فلا تقتلْني ، وقامت إليه بنو أوْد فقالوا: هب لنا أخانا؛ فقال: دعوه ، لعمري لئن كان صادقاً فلنستغنينّ عن شفاعتكم ، ولئن كان كاذباً لتأتينّ شفاعتكم من ورائه ، فقال له: من أين أنا خالك! فوالله ما كان بيننا وبين أوْدٍ مصاهَرة؛ قال: فإن أخبرتُك فعرفتَه فهو أماني عندَك؟ قال: نعم؛ قال: ألستَ تعلم أن أمّ حبيبة ابنة أبي سُفيان زوجُ النبيّ ﷺ؟ قال: بلى ، قال: فإنّي ابنُها ، وأنتَ أخوها ، فأنت خالي؛ فقال معاوية: لله أبوك! ما كان في هؤلاء واحد يفطن لها

(١) إسناده تالف.
(٢) إسناده تالف.

غيره. ثم قال للأوْدِيِّين: أيستغني عن شفاعتكم! خَلُّوا سبيله[١]. (٥: ٥٥/ ٥٦).

١١٣٩ - قال أبو مخنف: حدّثني نُمَير بن وَعْلَة الهمْدانيّ عن الشعبيّ: أنّ أسارى كان أسرهم عليٌّ يومَ صِفّين كثير، فخلّى سبيلهم، فأتوا معاوية، وإنّ عمراً ليقول - وقد أسر أيضاً أسارى كثيرة: اقتلهم، فما شعروا إلا بأسَرائهم قد خُلِّيَ سبيلهم، فقال معاوية: يا عمرو! لو أطعناك في هؤلاء الأسرى: وقعْنا في قبيح من الأمر؛ ألا ترى قد خُلِّي سبيل أسارانا! وأمر بتخلية سبيل من في يديه من الأسارى[٢]. (٥: ٥٦).

١١٤٠ - قال أبو مخنف: حدّثني إسماعيل بنِ يزيد عن حُميد بن مسلم، عن جندب بن عبد الله: أن عليّاً قال للناس يومَ صِفين: لقد فعلتم فَعلةً ضَعضعتْ قوّة، وأسقطتْ مُنّة، وأوهنت وأورثت وَهْناً وذلّة، ولمّا كنتم الأعْلَيْن، وخاف عدوّكم الاجتياح، واستحرّ بهم القتل ووجدوا ألم الجراح؛ رفعوا المصاحف، ودَعوْكم إلى ما فيها ليفثَؤوكم عنهم، ويقطعوا الحرب فيما بينكم وبينهم، ويتربّصوا بكم ريبَ المنون خديعة ومكيدة، فأعطيتموهم ما سألوا، وأبيتم إلا أن تُدْهِنوا وتجوّزوا! وايم اللهِ ما أظنّكم بعدها توافقون رَشَداً! ولا تصيبون بابَ حزم[٣]. (٥: ٥٦).

قال أبو جعفر: فكُتب كتاب القضيّة بين عليّ ومعاوية - فيما قيل - يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين من الهجرة، على أن يوافي عليّ ومعاوية موضع الحكمين بدُومة الجندل في شهر رمضان، مع كلّ واحد منهما أربعمئة من أصحابه وأتباعه.

١١٤١ - فحدّثني عبد الله بن أحمد، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني سلِيمان بن يونس بن يزيدَ، عن الزّهريّ، قال: قال صعصعة بن صُوحان يومَ صِفّين حين رأى الناس يتبارون: ألا اسمعوا واعقلوا، تعلمُنّ واللهِ لئن ظهر عليّ؛

---

(١) إسناده تالف.
(٢) إسناده تالف.
(٣) إسناده تالف.

ليكوننّ مثل أبي بكر وعمرَ رضي الله عنهما ، وإن ظهر معاوية؛ لا يُقِرّ لقائل بقول حقّ.

قال الزّهريّ: فأصبح أهل الشأم قد نشروا مصاحفَهم ، ودَعَوا إلى ما فيها ، فهاب أهل العراقين ، فعند ذلك حكّموا الحَكَمين ، فاختار أهلُ العراق أبا موسى الأشعريّ ، واختار أهلُ الشأم عمرَو بن العاص ، فتفرّق أهلُ صِفّين حين حُكِّمَ الحكَمان ، فاشترطا أن يرفعا ما رفع القرآن ، ويخفِضا ما خفض القرآن ، وأن يختارا لأمة محمد ﷺ ، وأنّهما يجتمعان بدُومة الجندل ، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرُح.

فلما انصرف عليّ خالفت الحَرورية وخرجت ـ وكان ذلك أول ما ظهرت ـ فآذنوه بالحرب ، وردّوا عليه: إنّ حكم بني آدم في حكم الله عزّ وجلّ ، وقالوا: لا حكمَ إلا لله سبحانه! وقاتلوا ، فلما اجتمع الحكمان بأذرُح ، وافاهم المغيرة بن شعبة فيمن حضر من الناس ، فأرسل الحكَمان إلى عبد الله بن عمرَ بن الخطاب ، وعبد الله بن الزّبير في إقبالهم في رجال كثير ، ووافى معاويةُ بأهل الشأم ، وأبى عليّ وأهل العراق أن يوافُوا؛ فقال المغيرة بن شعبة لرجال من ذوِي الرأيِ من قريش: أتروْن أحداً من الناس برأي يبتدعه يستطيع أن يعلم أيجتمع الحَكَمان أم يتفرّقان؟ قالوا: لا نرى أحداً يعلم ذلك ، قال: فوالله إني لأظنّ أنّي سأعلمه منهما حين أخلُو بهما وأراجعهما. فدخل على عمرو بن العاص وبدأ به فقال: يا أبا عبدِ الله ! أخبرني عمّا أسألك عنه ، كيف ترانا معشر المعتزِلة ، فإنا قد شككْنا في الأمر الذي تبيّن لكم من هذا القتال ، ورأيْنا أن نستأنِيَ ونتثبَّت حتى تجتمع الأمة! قال: أراكم معشرَ المعتزِلة خَلْفَ الأبرار ، وأمامَ الفُجّار! فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك؛ حتى دخل على أبي موسى فقال له مثلَ ما قال لعمرو ، فقال أبو موسى: أراكم أثبتَ الناس رأياً ، فيكم بقيَّة المسلمين. فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك ، فلقي الذين قال لهم ما قال من ذوي الرّأي من قريش ، فقال: لا يجتمع هذان على أمر واحد ، فلما اجتمع الحكَمان وتكلّما؛ قال عمرو بن العاص: يا أبا موسى ! رأيت أوّل ما تقضي به من الحقّ أن تقضيَ لأهل الوفاء بوفائهم ، وعلى أهل الغدر بغَدرِهم؛ قال أبو موسى: وما ذاك؟ قال: ألستَ تعلم: أنّ معاوية وأهل الشأم قد وَفَوا ، وقَدِموا للموعد

الذي واعدْناهم إيّاه؟ قال: بلى ، قال عمرو: اكتُبها؛ فكتَبها أبو موسى؛ قال عمرو: يا أبا موسى ! أأنتَ على أن نسمِّيَ رجلاً يلِي أمرَ هذه الأمة؟ فسمِّه لي ، فإن أقدر على أن أتابعَك فلك عليّ أن أتابعك ، وإلا فلِي عليك أن تتابعني! قال أبو موسى: أسمِّي لك عبدَ الله بن عمر ، وكان ابن عمر فيمن اعتزل؛ قال عمرو: إني أسمِّي لك معاوية بن أبي سُفيان ، فلم يَبرحا مجلسهما حتى استبّا ، ثم خرجا إلى الناس ، فقال أبو موسى: إنّي وجدت مَثَلَ عمرو مَثل الّذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ ، فلمّا سكت أبو موسى؛ تكلم عمرو فقال: أيُّها الناس وجدت مَثلَ أبي موسى كَمَثل الذي قال عزّ وجل: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ وكتب كلُّ واحد منهما مَثلَه الذي ضرب لصاحبه إلى الأمصار.

قال ابن شهاب: فقام معاوية عشيَّةً في الناس ، فأثنَى على الله جلّ ثناؤه بما هو أهله ، ثم قال: أما بعد ، فمن كان متكلّماً في الأمر؛ فليطلع لنا قَرْنَه ، قال ابن عمر: فأطلقتُ حُبْوَتي ، فأردت أن أقول قولاً يتكلَّم فيه رجالٌ قاتلوا أباك على الإسلام ، ثم خشيت أن أقول كلمة تفرِّق الجماعة ، أو يُسفك فيها دم ، أو أحمَل فيها على غير رأي ، فكان ما وعد الله عزّ وجلّ في الجنان أحبّ إليّ من ذلك ، فلما انصرف إلى المنزل جاءني حبيب بن مَسْلمة فقال: ما منعك أن تتكلم حين سمعت الرجل يِتكلّم؟ قلت: أردت ذلك ، ثم خشيت أن أقول كلمة تُفرِّق بين جميع ، أو يُسفك فيها دم ، أو أحمَل فيها إلى غير رأي ، فكان ما وعد الله عزّ وجلّ من الجنان أحبّ إليّ من ذلك. قال: قال حبيب: فقد عُصِمْتَ[1]. (٥: ٥٧/ ٥٨/ ٥٩).

١١٤٢ ـ رجع الحديث إلى حديث أبي مِخْنف: قال أبو مخنف: حدثني فُضيل بن خَديج الكنديّ ، قال: قيل لعليّ بعدما كُتبت الصحيفة: إن الأشتر لا يُقرّ بما في الصحيفة ، ولا يرى إلا قتال القوم؛ قال عليّ: وأنا والله ما رضيتُ ، ولا أحببتُ أن ترضَوْا ، فإذْ أبيتم إلا أن ترضَوا فقد رضيتُ ، فإذ رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرّضا ، ولا التبديل بعد الإقرار ، إلا أن يُعصَى الله

(١) إسناده مرسل ضعيف ، وأما المقطع الأخير من هذه الرواية أي من قوله: (فقام معاوية عشية في الناس. . .) إلى آخر الرواية فصحيح كما ذكرنا في قسم الصحيح فليراجع.

عزّ وجلّ ، ويُتعدّى كتابُه ، فقاتِلوا مَن تَرَك أمرَ الله عزّ وجلّ. وأمّا الذي ذكرتم من تركه أمرِي وما أنا عليه؛ فليس من أولئك ، ولستُ أخافه على ذلك ، يا ليت فيكم مثله اثنين! يا ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوّي ما أرَى ، إذاً لخفّتْ عليّ مؤونتكم ، ورجوتُ أن يستقيم لي بعض أوَدكم؛ وقد نهيتكم عما أتيتم فعصيتموني ، وكنت أنا وأنتم كما قال أخو هَوازن:

وهل أَنا إلاَّ مِنْ غَزِيَّة إن غَوَتْ غَوَيتُ وإن تَرْشُدْ غزيّةُ أَرْشُدِ

فقالت طائفة ممَّن معه: ونحن ما فعلْنا يا أمير المؤمنين إلا ما فعلت؛ قال: نعم ، فلِمَ كانت إجابتكم إياهم إلى وضع الحرب عنّا! وأما القضيّة فقد استوثقنا لكم فيها ، وقد طمعت ألاّ تَضلُّوا إن شاء الله ربّ العالمين.

فكان الكتاب في صَفَر ، والأجل رمضان إلى ثمانية أشهر؛ إلى أن يلتقي الحَكَمان ، ثم إنّ الناس دفنوا قتلاهم ، وأمر عليٌّ الأعورَ فنادى في الناس بالرّحيل[1]. (٥: ٥٩).

١١٤٣ - قال أبو مِخْنف: حدّثني عبد الرحمن بن جندب عن أبيه ، قال: لما انصرفنا من صفّين أخذنا غير طريقنا الذي أقبلْنا فيه؛ أخذنا على طريق البرّ على شاطىء الفرات ، حتى انتهينا إلى هِيتَ ، ثم أخذْنا على صَنْدودَاء ، فخرج الأنصاريّون بنو سعد بن حرام ، فاستقبلوا عليّاً ، فعرضوا عليه النزول ، فبات فيهم ثم غدا ، وأقبلْنا معه ، حتى إذا جُزْنا النُّخيلة ، ورأينا بيوت الكوفة ، إذا نحن بشيخ جالس في ظلّ بيت على وجهه أثر المرض ، فأقبل إليه عليّ؛ ونحن معه حتى سلم عليه وسلمنا معه ، فردّ ردّاً حسناً ظننا أن قد عرفه ، قال له عليّ: أرى وجهك منكفئاً فمِنْ مَهْ؟ أمِن مرض؟ قال: نعم؛ قال: فلعلَّك كرهتَه ، قال: ما أحبّ أنه بغيري ، قال: أليس احتساباً للخير فيما أصابك منه؟ قال: بلى! قال: فأبشر برحمةِ ربّك وغفران ذنبِك ، مَن أنت يا عَبد الله؟ قال: أنا صالح بن سُلَيم ، قال: ممَّن؟ قال: أمّا الأصل فمِن سَلاَمَان طيِّىء ، وأما الجِوار والدَّعوة ففي بني سُليم بن منصور؛ فقال: سبحان الله! ما أحسَن اسمَك واسمَ أبيك واسمَ أدْعِيائك واسمَ من اعتزيتَ إليه! هل شهدتَ معنا غَزاتنا هذه؟ قال: لا والله

(١) إسناده تالف.

ما شهدتُها ! ولقد أردتها ولكن ما ترى من أثر لحَبِ الحمَّى خزَلني عنها؛ فقال: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

خبِّرني ما تقول الناس فيما كان بيننا وبين أهل الشام؟ قال: فيهم المسرور فيما كان بينك وبينهم ـ وأولئك أغِشَّاء الناس ـ وفيهم المكبوت الآسف بما كان من ذلك ـ وأولئك نُصحاء الناس لك ـ فذهب لينصرف، فقال: قد صدقت، جعل الله ما كان من شكواك حطّاً لسيّئاتك ، فإنّ المرض لا أجرَ فيه ، ولكنه لا يَدَع على العبد ذنباً إلا حطَّه ، وإنما أجرٌ في القول باللسان ، والعمل باليد ، والرِّجل ، وإنّ الله جلّ ثناؤه ليُدخل بصدق النيَّة والسريرة الصالحة عالماً جمّاً من عباده الجنة.

قال: ثم مضى عليٌّ غير بعيد ، فلقيه عبد الله بن وَدِيعة الأنصاريّ ، فدنا منه ، وسلّم عليه وسايره ، فقال له: ما سمعتَ الناس يقولون في أمرنا؟ قال: منهم المعجَب به ، ومنهم الكاره له ، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ . فقال له: فما قول ذَوِي الرّأي فيه؟ قال: أما قولهم فيه فيقولون: إن عليّاً كان له جمع عظيم ففرّقه ، وكان له حِصن حَصِين فهدّمه ، فحتى متى يبني ما هدم ، وحتى متى يجمع ما فرّق! فلو أنه كان مضى بمن أطاعه؛ إذ عصاه من عصاه ، فقاتل حتى يظفر أو يهلك إذاً كان ذلك الحزم. فقال عليٌّ: أنا هدمت أم هم هدموا! أنا فرّقت أم هم فرّقوا! أما قولهم: إنه لو كان مضى بمن أطاعه؛ إذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يَظفرَ أو يهلك ، إذاً كان ذلك الحزم ، فوالله ما غَبِيَ عن رأيي ذلك ، وإن كنتُ لسخيّاً بنفسي عن الدنيا طيّبَ النفس بالموت ، ولقد هممتُ بالإقدام على القوم ، فنظرت إلى هذين قد ابتدَراني ـ يعني: الحسن ، والحسين ـ ونظرتُ إلى هذين قد استقدماني ـ يعني: عبدَ الله بن جعفر ، ومحمد بن عليّ ـ فعلمت أن هذين إنْ هلكا انقطع نسْلُ محمد ﷺ من هذه الأمَّة ، فكرهت ذلك ، وأشفقتُ على هذين أن يَهلِكا ، وقد علمتُ أن لولا مكاني لم يستقدما ـ يعني: محمد بن علي ، وعبدَ الله بن جعفر ـ وايمُ الله لئن لقيتُهم بعد يومي هذا لألقينّهم وليسوا معي في عسكر ولا دار ! ثم مضى حتى إذا جُزْنا بني عوف إذا نحن عن أيماننا بقبور سبعة أو ثمانية ، فقال عليٌّ: ما هذه القبور؟ فقال قُدامة بن العجلان الأزديّ: يا أميرَ المؤمنين ! إنّ خبّاب بن الأرتّ توفّي بعد مخرجك ، فأوصَى بأن يُدفَن في الظَّهر ، وكان الناس إنما يُدفنون في دُورهم

وأفنِيَتهم ، فدفن بالظَّهر رحمه الله ، ودفَن الناس إلى جنبه ، فقال عليٌّ : رحم الله خبّاباً ، فقد أسلم راغباً ، وهاجر طائعاً ، وعاش مجاهداً ، وابتُلِيَ في جسمه أحوالاً! وإنّ الله لا يُضيع أجر من أحسن عملاً. ثم جاء حتى وقف عليهم فقال: السّلام عليكم يا أهلَ الدّيار الموحشة ، والمحالّ المقفِرة ، من المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ! أنتم لنا سَلَف فارط ، ونحن لكم تَبَعٌ ، بكم عمّا قليل لاحقون. اللهمّ اغفر لنا ولهم ، وتجاوَز بعفوك عنّا وعنهم! وقال: الحمد لله الذي جعل منها خلقَكم ، وفيها معادَكم ، منها يبعثكم ، وعليها يحشركم ، طوبَى لمن ذكر المَعاد ، وعمل للحساب ، وقنع بالكَفاف ، ورضيَ عن الله عزّ وجلّ! ثم أقبل حتى حاذَى سكَّة الثوريّين ، ثم قال: خُشّوا ، ادخُلوا بين هذه الأبيات[١]. (٥: ٦٠/ ٦١/ ٦٢).

١١٤٤ - قال أبو مخنف: حدّثني عبد الله بن عاصم الفائشيّ ، قال: مرّ عليٌّ بالثوريِّين ، فسمع البكاء ، فقال: ما هذه الأصوات؟ فقيل له: هذا البكاء على قتلَى صِفين ، فقال: أما إنّي أشهد لمن قُتل منهم صابراً محتسِباً بالشهادة ! ثم مرّ بالفائشيّين ، فسمع الأصوات ، فقال مِثلَ ذلك ، ثم مضى حتى مرّ بالشِّباميّين ، فسمعَ رجّة شديدة ، فوقف ، فخرج إليه حرب بن شُرحبيل الشِّباميّ، فقال عليٌّ: أيغلبكم نساؤكم! ألا تنهونهنّ عن هذا الرَّنين! فقال: يا أمير المؤمنين ! لو كانت داراً أو دارين أو ثلاثاً قدَرنا على ذلك ، ولكن قُتِل من هذا الحيّ ثمانون ومئة قتيل ، فليس دار إلا وفيها بكاء ، فأمّا نحن معشرَ الرجال فإنا لا نبكي ، ولكن نفرح لهم ، ألا نفرح لهم بالشهادة! قال عليٌّ: رحم الله قَتلاكم وموتاكم! وأقبل يمشي معه؛ وعليٌّ راكب، فقال له علي: ارجع ، ووقف ثم قال له: ارجع، فإن مَشْيَ مِثلِك مع مثلي فتنةٌ للوالي ، ومذلّة للمؤمن ، ثم مضى حتى مرَّ بالناعطيّين - وكان جُلُّهم عثمانية - فسمع رجلاً منهم يقال له: عبد الرحمن بن يزيد، من بني عُبيد من الناعِطيّين يقول: والله ما صنع عليّ شيئاً، ذهب ثم انصرف في غير شيء ! فلما نظروا إلى عليّ ؛ أبلَسوا ، فقال: وجوه قوم ما رأوا الشأمَ العامَ. ثم قال لأصحابه: قومٌ فارقْناهم آنفاً خير من هؤلاء ، ثم أنشأ يقول:

أخوك الذي إنْ أَجْرَضَتْكَ مُلِمَّةٌ   منَ الدَّهْرِ لم يَبْرَحْ لِبَثِّك واجِمَا

(١) إسناده تالف وفي متنه نكارة.

وليس أَخوك بالّذي إنْ تَشَعّبَتْ … عليك الأمورُ ظَلَّ يلحَاك لائما

ثم مضى ، فلم يزل يذكر الله عزّ وجلّ حتى دخل القصر[1]. (٥ : ٦٢/ ٦٣).

١١٤٥ ـ قال أبو مخنف: حدّثنا أبو جَناب الكلبيّ ، عن عُمارة بن ربيعة ، قال: خرجوا مع عليّ إلى صفّين وهم متوادُّون أحبّاء ، فرجعوا متباغضين أعداء ، ما برحوا من عسكرهم بصِفّينِ حتى فشَا فيهم التحكيم ، ولقد أقبلوا يتدافعون الطريقَ كله ويتشاتمون ويضطَرِبون بالسياط ، يقول الخوارج: يا أعداء الله! أدهنتم في أمر الله عزّ وجلّ وحكّمتم! وقال الآخرون: فارقتم إمامَنا ، وفرّقتم جماعتَنا ، فلمّا دخل عليّ الكوفة لم يدخلوا معه حتى أتوْا حَرُوراء ، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً ، ونادى مناديهم: إنّ أمير القتال شَبَث بن رِبعيّ التميميّ ، وأمير الصلاة عبد الله بن الكوّاء اليَشْكُريّ ، والأمر شُورَى بعد الفتح ، والبيعة لله عزّ وجلّ ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2]. (٥ : ٦٣).

بعثة عليّ جعدةَ بن هُبيرة إلى خُراسان

وفي هذه السنة بعث عليٌّ جَعدة بن هبيرةَ فيما قيلَ إلى خُراسان

ذكر الخبر عن ذلك:

١١٤٦ ـ ذكر عليُّ بن محمد قال: أخبرنا عبد الله بن ميمون عن عمروِ بن شُجَيرة ، عن جابر ، عن الشعبيّ ، قال: بعث عليٌّ بعدما رجع من صِفّين جَعْدة بنَ هُبَيرة المخزوميّ إلى خُراسان ، فانتهى إلى أبْرَشَهْر ، وقد كفروا ، وامتنعوا ، فقدم على عليّ. فبعث خُليد بن قُرّة اليربوعيّ ، فحاصر أهل نيسابور حتى صالحوه ، وصالحه أهلُ مَرْو ، وأصاب جاريتين من أبناء الملوك نزلتا بأمان ، فبعث بهما إلى عليّ ، فعرض عليهما الإسلام وأن يزوّجهما ، قالتا: زوّجنا ابنيك ، فأبى ، فقال له بعض الدّهَاقين: ادفعهما إليّ ، فإنه كرامة تُكرِمُنِي بها ، فدفعهما إليه ، فكانتا عنده ، يفرش لهما الديباج ، ويُطعِمهما في آنية

---

(١) إسناده تالف وفي متنه نكارة ، وكيف يقول سيدنا علي: (أما إني أشهد لمن قتل منهم صابراً محتسباً بالشهادة) وعلم ذلك عند الله ، وقد نهىٰ رسول الله ﷺ أصحابه عن ذلك.

(٢) إسناده تالف ، وفي متنه ما ورد صحيحاً كما في رواية الطبري (٥/ ٧٣).

الذهب، ثمّ رجعنا إلى خُراسان[1]. (٥: ٦٣/ ٦٤).

اعتزال الخوارج عليّاً وأصحابه ورجوعهم بعد ذلك

وفي هذه السنة اعتزل الخوارج عليّاً وأصحابه، وحكّموا، ثم كلّمهم عليٌّ فرجعوا ودخلوا الكوفة.

ذكر الخبر عن اعتزالهم عليّاً:

١١٤٧ - قال أبو مخنف في حديثه عن أبي جَناب: عن عُمارة بن ربيعة، قال: ولما قدم عليٌّ الكوفة وفارقتْه الخوارج، وثبتْ إليه الشيعة فقالوا: في أعناقنا بَيعة ثانية، نحن أولياء من والَيت، وأعداءُ من عادَيت؛ فقالت الخوارج: استبقتم أنتم وأهلُ الشأم إلى الكُفْر كَفرَسَيْ رِهان، بايع أهلُ الشأم معاوية على ما أحبّوا وكرهوا، وبايعتم أنتم عليّاً على أنكم أولياء مَن والى وأعداءُ مَن عادَى؛ فقال لهم زياد بن النَّضر: والله ما بسط عليٌّ يدَه فبايعناه قطّ إلا على كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه ﷺ، ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعتُه، فقالوا: نحن أولياء مَن والَيت، وأعداءُ من عاديت؛ ونحن كذلك، وهو على الحقّ والهدى، ومن خالفه ضالٌّ مُضِلّ، وبعث عليٌّ ابنَ عبّاس إليهم، فقال: لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك. فخرج إليهم حتى أتاهم، فأقبلوا يكلّمونه، فلم يصبر حتى راجعهم، فقال: ما نقَمتم من الحَكَمين، وقد قال الله عزّ وجل: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾! فكيف بأمّة محمد ﷺ! فقالت الخوارج: قلنا: أمّا ما جعل حكمَه إلى الناس، وأمر بالنّظر فيه والإصلاح له فهو إليهم كما أمر به، وما حَكمَ فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه؛ حَكمَ في الزاني مئة جلدة، وفي السارق بقطع يده، فليس للعباد أن ينظروا في هذا. قال ابن عبّاس: فإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾، فقالوا: أَوَتجعل الحُكم في الصَّيْد، وَالحدَث يكون بين المرأة وزوجها كالحُكم في دماء المسلمين! وقالت الخوارج: قلنا له: فهذه الآية بيننا وبينك، أعَدْلٌ عندك ابن العاص وهو بالأمس يقاتلنا ويَسفِك دماءنا! فإن كان عَدْلاً فلسنا بعدُول ونحن أهلُ حربه، وقد حكّمتم في أمر الله الرّجال، وقد أمضى الله عزّ وجلّ حكمه في معاوية وحزبِه أن يُقتَلوا، أو

---

(١) بين الطبري وعلي بن محمد انقطاع، وهو مع ذلك إسناده مرسل وفيه نكارة.

يرجعوا، وقبل ذلك ما دعوناهم إلى كتاب الله عزّ وجلّ فأبوْه، ثم كتبتم بينكم وبينه كتاباً، وجعلتم بينكم وبينه الموادَعة والاستفاضة، وقد قطع عزّ وجلّ الاستفاضة والموادَعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلتْ براءة، إلا من أقرّ بالجزية.

وبعث عليّ زياد بن النّضر إليهم، فقال: انظر بأيّ رؤوسهم هم أشدّ إطافة، فنظر فأخبره أنه لم يرهم عند رجل أكثر منهم عند يزيدَ بن قيس، فخرج عليّ في الناس حتى دخل إليهم، فأتى فُسطاط يزيد بن قيس، فدخله فتوضّأ فيه وصلى ركعتين، وأمّره على إصبهان والرّيّ، ثم خرج حتى انتهى إليهم وهم يخاصمون ابنَ عبّاس، فقال: انتهِ عن كلامهم، ألم أنْهَك رحمك الله! ثم تكلّم فحمد الله عزّ وجلّ وأثنى عليه ثم قال: اللهمّ إنّ هذا مقامٌ مَنْ أفلجَ فيه كان أَولَى بالفُلْح يوم القيامة، ومن نطق فيه وأوعث فهُوَ في الآخرة أعمَى وأضلُّ سبيلاً. ثم قال لهم: مَن زعيمُكم؟ قالوا: ابن الكوّاء. قال عليٌّ: فما أخرجكم علينا؟ قالوا: حكومَتُكم يومَ صِفّين. قال: أنشُدُكم بالله، أتعلمون أنهم حيث رفعُوا المصاحف فقلتم: نجيبهم إلى كتاب الله قلت لكم: إني أعلم بالقوم مِنكم، إنهم ليسوا بأصحاب دِين ولا قرآن، إني صحبتهم، وعَرفتهم أطفالاً ورجالاً، فكانوا شرَّ أطفال وشرَّ رجال. امضُوا على حقّكم وصِدقكم، فإنما رفع القوم هذه المصاحفَ خديعةً وَدهْناً ومَكيدة. فرددتم عليّ رأيي، وقلتم: لا، بل نقبل منهم، فقلت لكم: اذكروا قولي لكم، ومعصيتكم إيّاي، فلما أبيتم إلا الكتاب اشترطتُ على الحَكَمين أن يُحييا ما أحيا القرآن، وأن يُمِيتا ما أماتَ القرآن، فإن حَكَما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حُكماً يحكم بما في القرآن، وإن أبيَنا فنحن من حكمهما براء، قالوا له: فخبِّرنا أتراه عدلاً تحكيم الرّجال في الدماء؟ فقال: إنا لسنا حكّمنا الرجال، إنما حكَّمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خطّ مسطور بين دفّتين، لا ينطق، إنما يتكلَّم به الرجال، قالوا: فخبّرنا عن الأجل، لم جعلتَه فيما بينك وبينهم؟ قال: ليعلم الجاهل، ويتثبّت العالم، ولعل الله عزّ وجلّ يصلح في هذه الهدنة هذه الأمّة. ادخلوا مصرَكم رحمكم الله! فدخلوا مِن عند آخِرِهم[1]. (٥: ٦٤/ ٦٥/ ٦٦).

---

(١) إسناده تالف وفيه نكارة، ولبعضه ما يؤيده كما أخرج الطبري من رواية صحيحة سنذكرها في حينها (٥: ٩١).

١١٤٨ ـ قال أبو مخنف: حدّثني عبد الرحمن بن جُنْدَب الأزديّ، عن أبيه بمثل هذا[١]. (٥: ٦٦).

١١٤٩ ـ وأما الخوارج فيقولون: قلنا: صدقتَ، قد كنا كما ذكرت، وفعلنا ما وصَفْت، ولكنّ ذلك كان منّا كفراً، فقد تُبْنا إلى الله عزّ وجلّ منه، فتبْ كما تُبْنا نبايعْك، وإلا فنحن مخالفون، فبايَعَنا عليّ وقال: ادخلوا فلنمكث ستّة أشهر حتى يجبَى المال، ويَسمَن الكُراع، ثم نخرج إلى عدوّنا، ولسنا نأخذ بقولهم؛ وقد كذبوا.

وقدم معن بن يزيد بن الأخنس السلَمِيّ في استبطاء إمضاء الحكومة، وقال لعليّ: إنّ معاوية قد وفَى، فَفِ أنت لاَ يَلْفِتنّك عن رأيك أعاريبُ بكر وتميم. فأمر عليٌّ بإمضاء الحكومة، وقد كانوا افترقوا من صِفّين على أن يقدم الحَكَمان في أربعمئة أربعمئة إلى دومة الجَنْدَل[٢]. (٥: ٦٦).

١١٤٩/ أ ـ وزعم الواقديّ: أنّ سعداً قد شهد مع من شهد الحكمين، وأن ابنه عمر لم يدَعْه حتى أحضره أذرُحَ، فندم، فأحرم من بيت المَقدس بعُمرة[٣]. (٥: ٦٦).

اجتماع الحكَمين بدُومة الْجندَل

وفي هذه السنة كان اجتماع الحكَمين.

ذكر الخبر عن اجتماعهما:

١١٥٠ ـ قال أبو مخنف: حدّثني المجالد بن سعيد عن الشعبيّ، عن زياد بن النَّضر الحارثيّ: أنّ عليّاً بعث أربعمئة رجل، عليهم شريح بن هانىء الحارثيُّ، وبعث معهم عبد الله بن عباس، وهو يصلّي بهم، ويلِي أمورَهم، وأبو موسى الأشعريّ معهم، وبعث معاوية عمرَو بن العاص في أربعمئة من أهل الشأم، حتى توافَوْا بدُومة الجندل بأذْرح، قال: فكان معاوية إذا كتب إلى عمرو جاء

(١) إسناده تالف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) ضعيف.

الرسول وذهب لا يدري بما جاء به ، ولا بما رجع به ، ولا يسأله أهلُ الشأم عن شيء؛ وإذا جاء رسول عليّ؛ جاؤوا إلى ابن عبَّاس فسألوه: ما كتب به إليك أمير المؤمنين؟ فإن كتَمهم ظنوا به الظنون ، فقالوا: ما نُراه كتب إلا بكذا وكذا. فقال ابن عباس: أما تعقلون! أما ترَوْن رسولَ معاوية يجيء لا يعلم بما جاء به ، ويرجع لا يعلم ما رجع به ، ولا يُسمع لهم صياح ولا لفظ ، وأنتم عندي كل يوم تظنُّون الظنون!

قال: وشهد جماعَتهم تلك عبدُ الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرّحمن بن الحارث بن هشام المخزوميّ ، وعبد الرحمن بن عبد يَغوث الزُّهريّ ، وأبو جَهْم بن حُذَيفة العدويّ ، والمغيرة بن شُعبة الثَّقفِيّ ، وخرج عمر بن سعد حتى أتى أباه على ماء لبني سُليم بالبادية ، فقال: يا أبتِ ! قد بلغك ما كان بين الناس بصِفّين ، وقد حكم الناسُ أبا موسى الأشعريّ ، وعمرَو بنَ العاص ، وقد شهدهم نفر من قريش؛ فاشهدهم فإنك صاحبُ رسول الله ﷺ وأحد الشورى ، ولم تدخل في شيء كرهتْه هذه الأمة ، فاحضُر فإنك أحقّ الناس بالخلافة. فقال: لا أفعل ، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنه تكون فتنةٌ؛ خيرُ الناس فيها الخفيّ التقيّ» ، واللهِ لا أشهد شيئاً من هذا الأمر أبداً.

والتقى الحَكَمان ، فقال عمرو بن العاص: يا أبا موسى ! ألستَ تعلم: أنّ عثمانَ رضي الله عنه قتل مظلوماً؟ قال: أشهد ، قال: ألستَ تعلم: أنّ معاوية وآل معاوية أولياؤه؟ قال: بلى؛ قال: فإن الله عزّ وجلّ قال: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ ، فما يمنعك من معاوية وليّ عثمانَ يا أبا موسى ، وبيتُه في قريش كما قد علمت؟ فإن تخوّفت أن يقول الناس: ولِيَ معاوية وليست له سابقة؛ فإن لك بذلك حُجَّة؛ تقول: إني وجدته وليّ عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه ، الحسن السياسة ، الحسن التدبير ، وهو أخو أمّ حبيبة زوجة النبيّ ﷺ ، وقد صحبه ، فهو أحد الصحابة ، ثم عرّض له بالسلطان ، فقال: إن وَلِي أكرمك كرامةً لم يُكرِمها خليفة ، فقال أبو موسى:

يا عمرو ، اتّق الله عزّ وجلّ! فأما ما ذكرت من شرَف معاوية فإنّ هذا ليس على الشرف يولاّه أهلُه ، ولو كان على الشرف لكان هذا الأمر لآلِ أبْرَهة بن الصَّبّاح ، إنما هو لأهل الدين والفضل ، مع أني لو كنت معطيَه أفضلَ قريش شرفاً

أعطيتَه عليَّ بنَ أبي طالبٍ. وأما قولك: إنّ معاوية وليّ دم عثمان فولّه هذا الأمر، فإني لم أكن لأولِّيَه معاوية وأدَعَ المهاجرين الأوّلين، وأما تعريضُك لي بالسلطان، فوالله لو خرج لي من سلطانه كلِّه ما ولَّيتُه، وما كنت لأرتشيَ في حكم الله عزّ وجلّ، ولكنك إن شئت أحيينا اسم عمر بن الخطّاب[1]. (٥: ٦٧/ ٦٨).

١١٥١ ـ قال أبو مِخْنَف: حدّثني أبو جَناب الكلبيّ، أنه كان يقول: قال أبو موسى: أما والله لئن استطعتُ لأحيينّ اسمَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فقال له عمرو: إن كنت تحبّ بَيعة ابن عمر فما يمنعك من ابني وأنت تعرف فضلَه وصلاحَه! فقال: إنّ ابنك رجل صِدْق، ولكنّك قد غمستَه في هذه الفتنة[2]. (٥: ٦٨).

١١٥٢ ـ قال أبو مخنف: حدّثني محمد بن إسحاق، عن نافع مولى ابن عمر، قال: قال عمرو بن العاص: إنّ هذا الأمر لا يُصلحه إلاّ رجل له ضِرْس يأكل ويطعم، وكانت في ابن عمرَ غفلة، فقال له عبد الله بن الزبير: افطن، فانتبه، فقال عبد الله بن عمر: لا والله لا أرشو عليها شيئاً أبداً، وقال: يا بن العاص، إنّ العرب أسندتْ إليك أمرَها بعدما تقارعتْ بالسيوف، وتناجزتْ بالرّماح، فلا تُردَّنّهم في فتنة[3]. (٥: ٦٩).

١١٥٣ ـ قال أبو مخنف: حدّثني النّضر بن صالح العبسيّ، قال: كنت مع شريح بن هانىء في غزوة سِجِسْتان، فحدّثني: أنّ علياً أوصاه بكلمات إلى عَمرو بن العاص، قال: قل له إذا أنت لقيتَه: إنّ علياً يقول لك: إنّ أفضلَ الناس عند الله عزّ وجلّ من كان العمل بالحقّ أحبّ إليه ـ وإن نقصَه وكرهه ـ من الباطل وإن حنّ إليه وزاده. يا عمرو! والله إنك لتعلم أينَ موضع الحقّ، فلم تَجاهل؟ إن أوتيت طمعاً يسيراً؛ كنتَ به لله وأوليائه عدوّاً، فكأنْ والله ما أوتيتَ قد زال عنك؛ وَيْحك! فلا تكن للخائنين خصيماً، ولا للظالمين ظهيراً، أمَا إني أعلم بيومك الذي أنت فيه نادم، وهو يوم وَفاتك، تَمنَّى أنك لم تُظهِرْ لمسلم عداوةً،

---

(١) إسناده تالف.
(٢) إسناده تالف.
(٣) إسناده تالف.

ولم تأخذ على حُكم رِشْوة. قال: فبلغتُه ذلك، فتمعّرَ وجهه، ثم قال: متى كنت أقبل مشورة عليّ، أو أنتهي إلى أمره، أو أعتدّ برأيه؟! فقلت له: وما يمنعك يا بن النابغة أن تقبل من مولاك وسيّد المسلمين بعد نبيّهم مشورته؟! فقد كان من هو خير منك أبو بكر، وعمَر يستشيرانه، ويعمَلان برأيه. فقال: إنّ مِثلي لا يكلّم مثلك، فقلت له: وبأيّ أبويك ترغب عنّي؟! بأبيك الوَشِيظ أم بأمّك النابغة؟! قال: فقام عن مكانه، وقمت معه[1]. (٥: ٦٩/ ٧٠).

١١٥٤ - قال أبو مِخْنف: حدّثني أبو جَناب الكلبيّ: أنّ عَمراً، وأبا موسى حيث التقيا بدُومة الجندل، أخذ عَمرو يقدّم أبا موسى في الكلام، يقول: إنك صاحب رسول الله ﷺ وأنت أسنّ مني، فتكلّم وأتكلّم. فكان عمرو قد عوّد أبا موسى أن يقدّمه في كلّ شيء، اغتزى بذلك كله أن يقدّمه فيبدأ بخلع عليّ، قال: فنظر في أمرهما وما اجتَمَعا عليه، فأراده عمرو على معاوية فأبى، وأراده على ابنه فأبى، وأراد أبا موسى عمراً على عبد الله بن عمر فأبى عليه، فقال له عمرو: خبّرني ما رأيك؟ قال: رأيي أن نخلع هذين الرجلين، ونجعل الأمرَ شورى بين المسلمين، فيختار المسلمون لأنفسهم مَن أحبّوا. فقال له عمرو: فإنّ الرأي ما رأيتَ، فأقبَلا إلى الناس وهم مجتمعون، فقال: يا أبا موسى! أعلِمْهم بأنّ رأينا قد اجتمع واتّفق. فتكلم أبو موسى فقال: إنّ رأيي ورأي عمرو قد اتّفق على أمر نرجو أن يُصلِح الله عزّ وجلّ به أمرَ هذه الأمة. فقال عمرو: صدق وبرّ، يا أبا موسى! تقدّم فتكلّم، فتقدّم أبو موسى ليتكلم، فقال له ابنُ عباس: وَيْحك! واللهِ إني لأظنّه قد خدعك. إن كنتما قد اتّفقتما على أمر، فقدّمه فليتكلمْ بذلك الأمر قبلك، ثم تكلّمْ أنتَ بعده، فإنّ عمراً رجل غادِر، ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرّضا فيما بينك وبينه، فإذا قمتَ في الناس خالفَك - وكان أبو موسى مغفّلاً - فقال له: إنّا قد اتفقنا. فتقدّم أبو موسى فحمِد الله عزّ وجلّ وأثنى عليه ثم قال: أيّها الناس، إنّا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نَرَ أصلح لأمرها، ولا ألَمَّ لشَعَثها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه؛ وهو أن نخلع عليّاً ومعاوية، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر فيولّوا منهم مَنْ أحبوا عليهم، وإني قد خلعت عليّاً ومعاوية، فاستقبلوا أمرَكم. وولّوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً؛ ثم تنحّى،

---

(١) إسناده تالف وفي متنه نكارة.

وأقبل عمرو بن العاص فقام مَقامه ، فحمِد اللهَ وأثنى عليه وقال : إنّ هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبَه ، وأنا أخلع صاحبَه كما خلعه ، وأثبتُ صاحبي معاوية : فإنّه وليّ عثمان بن عفان والطالب بدمه ، وأحقّ الناس بمقامه ، فقال أبو موسى : مالك لا وفّقك الله ، غدرتَ وفجرتَ! إنما مَثَلك كمثل الكلب إن تَحمِل عليه يَلْهَثْ أو تتركْه يَلْهث . قال عمرو : إنما مَثَلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً . وحَمَل شُرَيح بن هانىء على عمرو فقنّعه بالسوط ، وحَمَل على شُرَيح ابنٌ لعَمرو فضربه بالسوط ، وقام الناس فحجزوا بينهم ، وكان شُريح بعد ذلك يقول : ما ندمتُ على شيء ندامتي على ضرب عمرو بالسوط ألاّ أكون ضربته بالسيف آتياً به الدّهرُ ما أتى . والتمس أهلُ الشأم أبا موسى ، فركب راحلتَه ولحق بمكّة .

قال ابن عباس : قبّح الله رأيَ أبي موسى ! حذّرته وأمرته بالرأي فما عقل . فكان أبو موسى يقول : حذّرني ابنُ عباس غَدْرة الفاسق ، ولكني اطمأننت إليه ، وظننت أنه لن يؤثِر شيئاً على نصيحة الأمة . ثم انصرف عمرو وأهل الشأم إلى معاوية ، وسلموا عليه بالخلافة ، ورجع ابن عباس وشريح بن هانىء إلى عليّ ، وكان إذا صلى الغداة يقنت فيقول : اللهمّ العن معاويَة ، وعَمراً ، وأبا الأعوَر السُّلَميّ ، وحبيباً ، وعبد الرحمن بن خالد ، والضحّاك بن قيس ، والوليد . فبلغ ذلك معاوية ، فكان إذا قَنَت؛ لعَنَ عليّاً ، وابن عباس ، والأشتر ، وحَسَناً ، وحُسيناً .

وزعم الواقديّ أن اجتماع الحكَمين كان في شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة[١] . (٥ : ٧٠/ ٧١) .

ذكر ما كان من خبر الخوارج عند توجيه علي الحَكَم للحكومة وخبر يوم النَّهر

١١٥٥ ـ قال أبو مخنف : عن أبي المغفّل ، عن عون بن أبي جُحَيفة : أنّ علياً لما أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة ؛ أتاه رجلان من الخوارج : زُرْعة بن البُرْج

(١) هذا خبر منكر ، ولا يصح أن علياً كان يلعن معاوية وأصحابه ولم يصح أن معاوية لعن علياً ، وكذلك قال ابن كثير في البداية والنهاية .

الطائيّ ، وحُرْقوص بن زُهير السعديّ ، فدخلا عليه ، فقالا له: لا حكمَ إلا لله ، فقال عليّ: لا حكم إلا لله ، فقال له حُرْقوص: تُبْ من خطيئتك ، وارجع عن قضيّتك ، واخرج بنا إلى عدوّنا نقاتلهم؛ حتى نلقى ربّنا.

فقال لهم عليّ: قد أردتكم على ذلك فعصيتموني ، وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً ، وشرطنا شروطاً ، وأعطينا عليها عهودَنا ومواثيقنا ، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾. فقال له حُرقوص: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه! فقال عليّ: ما هو ذنب ، ولكنه عَجْز من الرأي ، وضعفٌ من الفعل ، وقد تقدّمت إليكم فيما كان منه ، ونهيتُكم عنه. فقال له زُرعة بن البُرْج: أما والله يا عليّ لئن لم تَدَع تحكيمَ الرجال في كتاب الله عزّ وجل قاتلتُك! أطلبُ بذلك وجهَ الله ورضوانَه ، فقال له عليّ: بؤساً لك ، ما أشقاك! كأني بك قتيلاً تَسفِي عليك الريح؛ قال: وددتُ أن قد كان ذلك؛ فقال له عليّ: لو كنت محقّاً كان في الموت على الحقّ تعزية عن الدنيا، إنّ الشيطان قد استهواكم، فاتّقوا الله عزّ وجلّ؛ إنه لا خيرَ لكم في دُنيا تقاتِلون عليها؛ فخرجا من عنده يحكّمان[1]. (٥ : ٧٢).

١١٥٦ ـ قال أبو مخنف: فحدّثني عبد الملك بن أبي حُرَة الحنفيّ: أنّ عليّاً خرج ذات يوم يخطب ، فإنه لفِي خطبته؛ إذْ حكّمت المحكّمة في جوانب المسجد ، فقال عليّ: الله أكبر! كلمةُ حقّ يراد بها باطل! إن سكتوا عممناهم ، وإن تكلّموا حَجَجْناهم ، وإن خرجوا علينا قاتلناهم. فوثب يزيد بن عاصم المحاربيّ ، فقال: الحمد لله غير مودّع ربّنا ولا مستغنىً عنه. اللهمّ إنا نعوذ بك من إعطاء الدنيَّة في ديننا ، فإنّ إعطاء الدنيّة في الدّين إدْهانٌ في أمرِ الله عزّ وجلّ ، وذلّ راجع بأهله إلى سخط الله ، يا عليّ ! أبالقتل تخوّفنا ؟! أما والله إني لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفَحات ، ثم لتعلمُنّ أيّنا أولَى بها صِلِيّاً ، ثم خرج بهم هو وإخوة له ثلاثة هو رابعهم ، فأصيبوا مع الخوارج بالنّهر ، وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنُّخَيْلة[2]. (٥ : ٧٢/ ٧٣).

١١٥٧ ـ قال أبو مخنف: وحُدّثنا عن القاسم بن الوليد: أن حكيم بن

---

(١) إسناده تالف.

(٢) إسناده تالف.

عبد الرحمن بن سعيد البَكائيّ كان يرى رأيَ الخوارج ، فأتى عليّاً ذات يوم وهو يخطب ، فقال: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ ، فقال علي: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[1] (٥ : ٧٢).

١١٥٨ ـ قال أبو مِخْنف عن عبد الملك بن أبي حُرّة: إنّ عليّاً لما بعث أبا موسى لإنفاذ الحكومة؛ لقيت الخوارج بعضُها بعضاً ، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الرّاسيّ ، فحمِد الله عبدُ الله بن وهب ، وأثنى عليه ، ثم قال: أمّا بعد: فوالله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن ، وينيبون إلى حُكم القرآن أن تكون هذه الدنيا ـ التي الرّضا بها والرّكون بها والإيثار إياها عناء وتَبار ـ آثرَ عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحقّ ، وإنْ مُنَّ وضُرَّ فإنه مَن يُمنّ ويُضرّ في هذه الدنيا فإنّ ثوابه يوم القيامة رضوان الله عزّ وجلّ والخلود في جنّاته ، فاخرجوا بنا إخوانَنا من هذه القرية الظالِم أهلُها إلى بعض كُوَر الجبال أو إلى بعض هذه المدائن ، منكِرين لهذه البدع المضلّة. فقال له حُرْقوص بن زهير: إنّ المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإنّ الفراق لها وشيك ، فلا تدعوَنّكم زينتها ، وبهجتها إلى المقام بها ، ولا تلفتنّكم عن طلب الحقّ ، وإنكار الظلم ، فـ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]. فقال حمزة بن سنان الأسَدِيّ: يا قوم ، إنّ الرأي ما رأيتم ، فولّوا أمرَكم رجلاً منكم ، فإنه لابدّ لكم من عماد وسناد وراية تحفّون بها ، وترجعون إليها ، فعرضوها على زيد بن حصين الطائيّ فأبَى ، وعرضوها على حُرقوص بن زهير فأبى ، وعلى حمزة بن سنان وشُريح بن أوفَى العبسيّ فأبَيَا ، وعرضوها على عبد الله بن وهب ، فقال: هاتوها ، أما والله لا آخذها رغبةً في الدنيا ، ولا أدَعها فَرَقاً من الموت ، فبايعوه لعشر خلْون من شوال ـ وكان يقال له ذو الثَّفِنات ـ ثم اجتمعوا في منزل شُريح بن أوفى العبسيّ ، فقال ابن وهب: اشخَصُوا بنا إلى بلدة نجتمع فيها لإنفاذ حكمِ الله ، فإنكم أهل الحق. قال شريح: نخرج إلى المدائن فننزلها ، ونأخذ بأبوابها ، ونخرج منها سكّانها ، ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا ، فقال زيد بن حصين: إنكم إن خرجتم مجتمعين اتُّبِعتُم ، ولكن اخرجوا وُحْداناً مستَخْفِين ،

---

(١) إسناده تالف ، وقد أخرج ابن أبي شيبة نحوه بسند ضعيف (١٥/ ٣٠٧).

فأمّا المدائن فإنّ بها مَنْ يمنعكم ، ولكن سِيروا حتى تنزلوا جسرَ النّهروان ، وتكاتِبوا إخوانكم من أهل البصرة. قالوا: هذا الرّأي.

وكتب عبد الله بن وهب إلى مَن بالبصرة منهم يعلمهم ما اجتمعوا عليه ، ويحثّهم على اللحاق بهم ، وسيّر الكتاب إليهم ، فأجابوه: أنهم على اللحاق به ، فلما عزموا على المسيرِ تعبّدوا ليلتَهم ـ وكانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة ـ وساروا يومَ السبت ، فخرج شُريح بن أوفى العبسيّ ، وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

وخرج معهم طرَفة بن عديّ بن حاتم الطائيّ ، فاتّبعه أبوه فلم يقدر عليه ، فانتهَى إلى المدائن ثم رجع ، فلما بلغ ساباطَ لقيَه عبد الله بن وهب الراسبي في نحو عشرين فارساً ، فأراد عبد الله قتلَه ، فمنعه عمرو بن مالك النّبْهانيّ وبشر بن زيد البَوْلانيّ ، وأرسل عديّ إلى سعد بن مسعود عامل عليّ على المدائن يحذّره أمرَهم ، فحذِر ، وأخذ أبوابَ المدائن ، وخرج في الخيل واستخلف بها ابن أخيه المختار بن أبي عبيد ، وسار في طلبهم ، فأخبر عبد الله بن وهب خبرَه فرابأ طريقه ، وسار على بغداد ، ولحقهم سعد بن مسعود بالكَرْخ في خمسمئةِ فارس عند المساء ، فانصرف إليهم عبدُ الله في ثلاثين فارساً ، فاقتتلوا ساعة ، وامتنع القومُ منهم؛ وقال أصحاب سعد لسعد: ما تريد من قتال هؤلاء ولم يأتك فيهم أمر! خلّهم فليذهبوا ، واكتب إلى أمير المؤمنين ، فإنْ أمرَك باتّباعهم اتَّبعتَهم ، وإن كَفاكَهُم غيرُك كان في ذلك عافية لك. فأبى عليهم ، فلما جَنّ عليهم الليلُ؛ خرج عبد الله بن وهب، فعَبَر دجلة إلى أرض جُوخَى ، وسار إلى النَّهروان ، فوصل إلى أصحابه وقد أيِسُوا منه ، وقالوا: إن كان هلك؛ ولَّينا الأمرَ زَيدَ بن حصين ، أو حُرقوص بن زهير ، وسار جماعة من أهل الكوفة يريدون الخوارج ليكونوا معهم ، فردّهم أهلوهم كَرْهاً ، منهم: القعقاع بن قيس الطائيّ عمّ الطِّرِمّاح بن حكيم ، وعبد الله بن حكيم بن عبد الرحمن البكّائيُّ ، وبلغ عليّاً: أن سالم بن ربيعة العبسيّ يريد الخروج ، فأحضره عنده ، ونهاه فانتهى.

ولما خرجت الخوارج من الكوفة؛ أتى عليّاً أصحابُه وشيعتُه فبايعوه وقالوا: نحن أولياء مَن واليتَ ، وأعداءُ مَن عادَيْت ، فشرط لهم فيه سنّة رسولِ الله ﷺ ،

فجاءه ربيعة بن أبي شدّاد الخثعمي ـ وكان شهد معه الجمل وصِفّين ، ومعه راية خَثْعَم ـ فقال له : بايع على كتاب الله وسنّةِ رسولِ الله ﷺ ؛ فقال ربيعة : على سُنَّة أبي بكر وعمر ؛ قال له عليّ : ويلك! لو أن أبا بكر وعمرَ عَمِلا بغير كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لم يكونا على شيء من الحقّ ، فبايعه ، فنظر إليه عليّ وقال : أما والله لكأني بك وقد نفرتَ مع هذه الخوارج فقُتلت ، وكأني بك وقد وطئتْك الخيل بحوافرها ، فقُتِل يوم النَّهر مع خَوارج البصرة .

وأما خوارج البصرة ؛ فإنهم اجتمعوا في خمسمئة رجل ، وجعلوا عليهم مسعر بن فَدَكيّ التميميّ ، فعلم بهم ابن عباس ، فأتبعهم أبا الأسود الدُّؤليَّ ، فلحقهم بالجسر الأكبر ، فتواقفوا حتى حجز بينهم الليل ، وأدلجَ مسعر بأصحابه ، وأقبل يعترِض الناس وعلى مقدِّمته الأشرسُ بنُ عوف الشيبانيّ ، وسار حتى لحق بعبد الله بن وهب بالنّهر ، فلما خرجت الخوارجُ ، وهَرَب أبو موسى إلى مكة ، وردَّ عليٌّ ابن عباس إلى البصرة ؛ قام في الكوفة فخطبهم فقال : الحمد لله وإن أتى الدّهرُ بالخطب الفادح ، والحَدَثان الجليل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ؛ أما بعد : فإن المعصية تورِث الحسرة ، وتُعقِب الندم ، وقد كنت أمرتُكم في هذين الرّجلين وفي هذه الحكومة أمري ؛ ونَحَلْتكم رأيي ، لو كان لقصيرٍ أمر! ولكن أبيتم إلا ما أردتم ، فكنتُ أنا وأنتم كما قال أخو هوازن :

أَمَرْتُهُمُ أَمري بمُنْعَرَجِ اللِّوَى فلم يَسْتَبينوا الرُّشْدَ إلا ضُحَى الغَدِ

ألا إنّ هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حَكَمين قد نَبذَا حكم القرآن وراء ظهورهما ، وأحييَا ما أماتَ القرآن ، واتّبع كل واحد منهما هَواه بغير هدىً من الله ، فحَكَما بغير حجّة بيّنة ، ولا سُنّة ماضية ، واختَلَفا في حكمهما ، وكلاهما لم يرشد ، فبرىء اللهُ منهما ورسولُه وصالحُ المؤمنين .

استعِدّوا وتأهّبوا للمسير إلى الشأم ، وأصبِحوا في معسكركم إن شاء الله يوم الإثنين ، ثم نزل .

وكتب إلى الخوارج بالنهر : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عليّ أمير المؤمنين ، إلى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس . أمّا بعد ، فإن هذين الرجلين اللذَين ارتضيْنا حكمَهما قد خالفا كتابَ الله ، واتّبعا

أهواءهما بغير هدىً من الله ، فلم يَعمَلا بالسنّة ، ولم ينفِّذا للقرآن حُكماً ، فبرىء الله ورسولُه منهما والمؤمنون! فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا فإنا سائرون إلى عدوّنا وعدوّكم ، ونحن على الأمر الأوّل الذي كنا عليه . والسلام .

وكتبوا إليه : أمّا بعد؛ فإنّك لم تغضب لربّك ، إنما غضبتَ لنفسك ، فإن شهدتَ على نفسك بالكفر ، واستقبلتَ التوبة؛ نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلا فقد نابَذْناك على سواء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال : ٥٨] ، فلما قرأ كتابهم أيس منهم ، فرأى أن يدَعَهم ويمضيَ بالناس إلى أهل الشأم حتى يلقاهم فيناجزهم[١] . (٥ : ٧٤/ ٧٥/ ٧٦/ ٧٨) .

١١٥٩ ـ قال أبو مخنف : عن المعلّى بن كُليب الهمْدانيّ ، عن جبر بن نَوْف أبي الودّاك الهمْدانِيّ : إنّ علياً لما نزل بالنُّخَيلة ، وأيس من الخوارج؛ قام فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنه من ترك الجهاد في الله ، وأدْهن في أمره كان على شَفا هُلْكِه إلا أن يتداركَه الله بنعمة؛ فاتقوا الله ، وقاتِلوا من حادّ الله ، وحاوَلَ أن يطفىء نورَ الله ، قاتلوا الخاطئين الضالين ، القاسطين المجرمين ، الذين ليسوا بقرّاء للقرآن ، ولا فقهاءَ في الدين ، ولا علماءَ في التأويل ، ولا لهذا الأمر بأهل سابقة في الإسلام ، والله لو ولُّوا عليكم؛ لعملوا فيكم بأعمال كِسْرى وهِرَقل ، تيسّروا ، وتهيّؤوا للمسير إلى عدوِّكم من أهل المغرب ، وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم ، فإذا قَدموا ، فاجتمعتم؛ شخصْنا إن شاء الله ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

وكتب عليّ إلى عبد الله بن عباس مع عتبة بن الأخنس بن قيس من بني سعد بن بكر : أمّا بعد ، فإنا قد خرجنا إلى معسكرنا بالنُّخيلة ، وقد أجمعْنا على المسير إلى عدوّنا من أهل المغرب ، فاشخص بالناس حتى يأتيَك رسولي ، وأقم حتى يأتيك أمري ، والسلام .

فلما قدم عليه الكتاب؛ قرأه على الناس ، وأمرهم بالشخوص مع الأحنف بن قيس ، فشخص معه منهم ألفٌ وخمسمئة رجل ، فاستقلّهم عبد الله بن عبّاس ، فقام في الناس ، فحمِد الله وأثْنَى عليه ثم قال : أما بعد يا أهل البصرة ! فإنه

---

(١) إسناده تالف وفي متنه نكارة .

جاءني أمرُ أميرِ المؤمنين يأمرني بإشخاصكم ، فأمرتُكم بالنَّفير إليه مع الأحنف بن قيس ، ولم يَشخَص معه منكم إلا ألف وخمسمئة ، وأنتم ستون ألفاً سوى أبنائكم وعبدانكم ومواليكم! ألا انفِروا مع جارية بنِ قدامة السعديّ ، ولا يجعلَنّ رجلٌ على نفسه سبيلاً ، فإني مُوقع بكلّ من وجدتُه متخلِّفاً عن مكتبه ، عاصياً لإمامه ، وقد أمرت أبا الأسود الدُّؤَليّ بحشْركم ، فلا يَلُمْ رجل جعل السبيل على نفسه إلا نفسَه.

فخرج جارية فعسكر ، وخرج أبو الأسود فحشر الناس ، فاجتمع إلى جارية ألف وسبعمئة ، ثم أقبل حتى وافاه عليٌّ بالنُّخَيلة ، فلم يزل بالنُّخَيلة حتى وافاه هذان الجيشان من البَصرة ثلاثة آلاف ومئتا رجل ، فجمع إليه رؤوس أهل الكوفة ، ورؤوس الأسباع ، ورؤوس القبائل ، ووجوه الناس. فحمِد الله وأثْنَى عليه ، ثم قال: يا أهلَ الكوفة ! أنتم إخواني ، وأنصاري ، وأعواني على الحق ، وصَحَابتِي على جهاد عدوّي المحلّين بكم ، أضرب المدْبِر ، وأرجو تمام طاعة المقْبِل ، وقد بعثتُ إلى أهل البصرة فاستنفرتُهم إليكم ، فلم يأتني منهم إلا ثلاثة آلاف ومئتا رجل ، فأعينوني بمناصحة جليّة خليّة من الغشّ ، إنكم... مَخرَجنا إلى صفّين ، بل استجمعوا بأجمعكم ، وإني أسألكم أن يكتب لي رئيس كلّ قوم مافي عشيرته من المقاتلة وأبناء المقاتِلة الذين أدركوا القتال ، وعبدان عشيرته ، ومواليهم ، ثم يرفع ذلك إلينا.

فقام سعيد بن قيس الهمْدانيّ ، فقال: يا أمير المؤمنين ! سمعاً وطاعة ، ووداً ونصيحة ، أنا أوّل الناس جاء بما سألت ، وبما طلبت ، وقام معقل بن قيس الرّياحيّ فقال له نحواً من ذلك ، وقام عديّ بن حاتم وزياد بن خَصَفة وحُجْر بن عديّ ، وأشراف الناس والقبائل فقالوا مِثلَ ذلك.

ثمّ إن الرؤوس كَتبوا مَن فيهم ، ثم رفعوهم إليه ، وأمروا أبناءهم وعبيدهم ومواليَهم أن يخرجوا معهم ، وألاّ يتخلّف منهم عنهم أحد ، فرفعوا إليه أربعين ألف مقاتل ، وسبعة عشر ألفاً من الأبناء ممن أدرك ، وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم ، وقالوا: يا أمير المؤمنين ! أمّا مَن عندنا من المقاتِلة وأبناء المقاتلة ممّن قد بلغ الحُلُم ، وأطاق القتال ، فقد رفعنا إليك منهم ذَوِي القوّة والجَلَد ،

وأمرْناهم بالشّخوص معنا ، ومنهم ضعفاء ، وهم في ضِياعنا وأشياءَ مما يُصلحنا.

وكانت العرب سبعةً وخمسين ألفاً من أهلِ الكوفة ، ومن مواليهم ومماليكهم ثمانية آلاف ، وكان جميع أهل الكوفة خمسةً وستين ألفاً ، وثلاثة آلاف ومئتي رجل من أهل البصرة ، وكان جميع من معه ثمانيةً وستّين ألفاً ومئتي رجل[(١)]. (٥ : ٧٨/ ٧٩/ ٨٠).

١١٦٠ ـ قال أبو مِخْنَف ، عن أبي الصَّلْت التيميّ : إن عليّاً كتب إلى سعد بن مسعود الثَّقَفِي ـ وهو عامله على المدائن : أما بعد ، فإني قد بعثتُ إليك زيادَ بنَ خَصَفة فأشخص معه مَن قِبَلك من مقاتِلة أهل الكوفة ، وعجّل ذلك إن شاء الله ولا قوّة إلا بالله.

قال : وبلغ عليّاً : أنَّ الناس يقولون : لو سارَ بنا إلى هذه الحَروريّة فبدأنا بهم ، فإذا فرغنا منهم ؛ وجّهنا من وجّهنا ذلك إلى المُحِلّين! فقام في الناس فحمِد الله وأثْنَى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنه قد بلغني قولُكم : لو أنّ أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجتْ عليه فبدأنا بهم ، فإذا فرغنا منهم ؛ وجهنا إلى المحِلّين ؛ وإن غير هذه الخارجة أهمّ إلينا منهم ، فدعوا ذكرَهم ، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبّارين ملوكاً ، ويتّخذوا عباد الله خَوَلاً.

فتنادَى الناسُ من كلّ جانب : سْر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت ، قال : فقام إليه صيفيّ بن فَسيل الشيبانيّ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ! نحن حِزبُك وأنصارُك ، نعادي من عاديت ، ونشايع من أناب إلى طاعتك ، فسِر بنا إلى عدوّك ؛ من كانوا وأينما كانوا ؛ فإنك إن شاء الله لن تُؤتَى من قلّة عَدَد ، ولا ضعف نيّةِ أتباع ، وقام إليه مُحرِز بن شهاب التميميّ من بني سعد فقال : يا أمير المؤمنين ، شيعتك كقلْبِ رجل واحد في الإجماع على نُصْرتك ، والجدّ في جهاد عدوّك ، فأبْشِر بالنصر ، وسِرْ بنا إلى أيّ الفريقين أحببت ، فإنّا شيعتك الذين نرجو في طاعتك وجهاد من خالَفك صالحَ الثواب ، ونَخاف في خذلانك

(١) إسناده تالف.

والتخلّف عنك شدّةَ الوبال[١] . (٥ : ٨٠/ ٨١) .

١١٦١ ـ قال أبو مخنف: حدّثني يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف ، قال: لما أراد عليّ المسيرَ إلى أهل النهر من الأنبار ، قدّم قيس بن سعد بن عُبادة وأمره أن يأتيَ المدائنَ فينزلَها حتى يأمرَه بأمره ، ثم جاء مقبِلاً إليهم ، ووافاه قيس ، وسعد بن مسعود الثقفيّ بالنّهر ، وبعث إلى أهل النّهر: ادفعوا إلينا قَتَلة إخواننا منكم نقتلهم بهم ، ثم أنا تارككم ، وكافٌّ عنكم حتى ألقَى أهلَ الشأم؛ فلعلّ الله يقلِّب قلوبَكم ، ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم ، فبعثوا إليه ، فقالوا: كلنا قَتَلَتهُم ، وكلنا نستحلّ دماءهم ودماءَكم[٢] . (٥ : ٨٣) .

١١٦٢ ـ قال أبو مِخْنف: فحدّثني الحارث بن حَصيرة عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود: أن قيس بن سعد بن عبادة قال لهم: عباد الله ! أخرِجوا إلينا طِلبتَنَا منكم ، وادخلوا في هذا الأمر الذي منه خرجتم ، وعودوا بنا إلى قتال عدوّنا وعدوّكم ، فإنكم ركبتُم عظيماً من الأمر ، تشهدون علينا بالشِّرْك ، والشِّرْكِ ظلمٌ عظيم ، وتسفكون دماءَ المسلمين ، وتعدّونهم مشركين! فقال عبد الله بن شجرة السُّلَميّ: إنّ الحقّ قد أضاء لنا ، فلسنا نتابعكم ، أو تأتونا بمثلِ عمر ! فقال: ما نعلمه فينا غير صاحبنا ، فهل تعلمونه فيكم؟ وقال: نشدتكم بالله في أنفسكم أن تُهلكوها ، فإنّي لأرى الفتنةَ قد غلبتْ عليكم! .

وخطَبَهم أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاريّ؛ فقال: عبادَ الله ! إنّا وإيّاكم على الحال الأولى التي كنا عليها ، ليست بيننا وبينكم فُرْقة ، فعلام تقاتلوننا؟! فقالوا: إنا لو بايعناكم اليوم حكّمتم غداً ، قال: فإنّي أنشُدكم الله أن تعجّلوا فتنة العام مخافةَ ما يأتي في قابل[٣] ! (٥ : ٨٣/ ٨٤) .

١١٦٣ ـ قال أبو مخنف: حدّثني مالك بن أعيَن عن زيد بن وهب: أن عليّاً أتى أهلَ النّهر ، فوقف عليهم فقال: أيّتها العصابة التي أخرجَتْها عداوةُ المِراء واللَّجاجة ، وصدّها عن الحقّ الهَوَى ، وطمح بها النَّزَق ، وأصبحتْ في اللّبس ،

---

(١) إسناده تالف.

(٢) إسناده تالف.

(٣) إسناده تالف.

والخطب العظيم! إني نذيرٌ لكم أن تُصبِحوا تُلفيكم الأمّة غداً صَرْعَى بأثناء هذا النّهر، وبأهضام هذا الغائط، بغير بيّنة من ربّكم، ولا برهان بيّن، ألم تعلموا: أنّي نهيتُكم عن الحكومة، وأخبرتكم: أنّ طلب القوم إيّاها منكم دَهْن ومكيدة لكم! ونبّأتكم أن القوم ليسوا بأصحابِ دين ولا قرآن، وأني أعرَفُ بهم منكم، عرفتُهم أطفالاً ورجالاً، فهم أهلُ المكر والغَدْر، وأنكم إن فارقتم رأيي جانبتم الحزم! فعصيتموني، حتى أقررت بأن حَكَّمْتُ، فلما فعلت شرطت واستوثقت، فأخذت علىٰ الحَكَمين أن يُحييا ما أحيَا القرآن، وأن يُميتَا ما أماتَ القرآن، فاختلَفَا، وخالَفَا حكم الكتاب والسنة، فنبذنا أمرَهما، ونحن على أمرنا الأوّل، فما الذي بكم؟ ومن أين أتيتم! قالوا: إنا حكّمنا، فلمّا حكّمنا أثِمنا، وكنا بذلك كافرين، وقد تُبْنا فإن تبتَ كما تبنا فنحنُ منك ومعك، وإن أبيتَ فاعتزِلْنا فإنا منابِذُوك على سَواء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]، فقال عليّ: أصابكم حاصب، ولا بقي منكم وابر! أبعْدَ إيماني برسول الله ﷺ وهجرتي معه، وجهادي في سبيل الله، أشهد على نفسي بالكُفر؟! لـ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦] قد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين. ثم انصرف عنهم[1]. (٥: ٨٤).

١١٦٤ ـ قال أبو مخنف: حدّثني أبو سَلَمة الزُّهريّ ـ وكانت أمّه بنت أنَس بن مالك ـ: أنّ عليّاً قال لأهل النّهر: يا هؤلاء! إنّ أنفسكم قد سوّلت لكم فراقَ هذه الحكومة التي أنتم ابتدأتموها وسألتموها وأنا لها كارهٌ، وأنبأتكم: أنّ القوم سألوكُمُوها مكيدةً ودَهناً، فأبيتم عليَّ إباءَ المخالِفين، وعدلتم عنّي عدولَ النّكَداء العاصِين، حتى صرفت رأيي إلى رأيكم، وأنتم والله معاشر أخفّاء الهام، سُفَهاء الأحلام، فلم آتِ ـ لا أبا لكم ـ حراماً، والله ما خبلتُكم عن أموركم، ولا أخفيتُ شيئاً من هذا الأمر عنكم، ولا أوطأتكم عَشْوة، ولا دَنّيتُ لكم الضّرّاء! وإن كان أمرُنا لأمرِ المسلمين ظاهراً؛ فأجمَعَ رأي مَلَئِكم على أن اختاروا رجلين، فأخذْنا عليهما أن يَحكما بما في القرآن ولا يَعدُواه، فتَاها وتركا الحقَّ وهما يُبصِرانه، وكان الجوْر هَواهما، وقد سبق استيثاقُنا عليهما في الحكم بالعدل، والصدّ للحقّ سوءَ رأيهما، وجَوْر حكمهما، والثقة في أيدينا لأنفسنا

(١) إسناده تالف.

حين خالفا سبيلَ الحق ، وأتيا بما لا يعرف ، فبيّنوا لنا بماذا تستحلّون قتالنا ، والخروجَ من جماعتنا ؟! إن اختار الناس رجلين أن تضعوا أسيافَكم على عواتقكم ، ثم تَستعرضوا الناس ، تضربون رقابَهم ، وتَسفِكون دماءهم! إنّ هذا لهو الخسران المبين. والله لو قتلتم على هذا دجاجة لَعَظُم عند الله قتلها ، فكيف بالنفس التي قتْلُها عند الله حرامٌ ؟!

فتنادَوا: لا تُخاطبوهم ، ولا تكلّموهم ، وتهيّؤوا للقاء الربّ ، الرّواحَ الرّواحَ إلى الجنَّة! فخرج عليٌّ فعبأ الناس ، فجعل على ميمنته حُجْر بن عديّ ، وعلى ميسرته شَبَث بن رِبْعيّ ـ أو معقِل بن قيس الرّياحيّ ـ وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاريّ ، وعلى الرّجالة أبا قَتادة الأنصاريّ ، وعلى أهل المدينة ـ وهم سبعمئة أو ثمانمئة رجل ـ قيس بن سعد بن عُبادة.

قال: وعبّأت الخوارج ، فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حُصَين الطائيّ ، وعلى الميسرة شُريح بن أوفَى العبسيّ ، وعلى خيلهم حمزة بن سنان الأسَديّ ، وعلى الرّجالة حُرقوص بن زُهير السعديّ.

قال: وبعث عليّ الأسود بن يزيد المُراديّ في ألفي فارس؛ حتى أتى حمزة بن سنان وهو في ثلاثمئة فارس من خيلهم ، ورفع عليٌّ رايةَ أمان مع أبي أيوب ، فناداهم أبو أيوب: مَن جاء هذه الرّاية منكم ممّن لم يقتل ، ولم يستعرض فهو آمِن ، ومَن انصرف منكم إلى الكُوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمِن ، إنّه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قَتلةَ إخواننا منكم في سفك دمائكم. فقال فَرْوة بن نوفل الأشجعيّ: والله ما أدري على أيّ شيء نقاتل عليّاً! لا أرى إلا أن أنْصرف حتى تنفذ لي بصيرتي في قتاله أو اتّباعه. وانصرف في خمسمئة فارس ، حتى نزل البَنْدَنيجَيْن ، والدَّسْكرة ، وخرجت طائفةٌ أخرى متفرّقين فنزلت الكوفة ، وخرج إلى عليّ منهم نحو من مئة ، وكانوا أربعة آلاف ، فكان الذين بقُوا مع عبد الله بن وهب منهم ألفين وثمانمئة ، وزحفوا إلى عليّ ، وقدّم عليّ الخيلَ دون الرجال ، وصفّ الناسِ وراء الخيل صَفّين ، وصَفّ المرامية أمامَ الصفّ الأوّل ، وقال لأصحابه: كفّوا عنهم حتى يبدؤوكم ، فإنهم لو قد شدّوا عليكم ـ وجُلّهم رجال ـ لم ينتهوا إليكم إلا لاغِبين وأنتم رادّون حامُون ، وأقبلت الخوارج ، فلما أن دنَوا من الناس نادَوا يزيد بن قيس ، فكان يزيد بن قيس على

أصبهان. فقالوا: يا يزيد بن قيس ! لا حُكْمَ إلاّ لله ، وإن كرهتْ أصبهان! فناداهم عباس بنِ بن شريك وقَبيصة بن ضُبَيعة العبسيّان: يا أعداء الله ! أليس فيكم شُرَيح بن أوفى المسرِف على نفسه؟ هل أنتم إلا أشباهه ؟! قالوا: وما حجّتكم على رجل كانت فيه فتنة ، وفينا توبة! ثمّ تنادَوا: الرّواحَ الرّواحَ إلى الجنّة! فشَدّوا على الناس والخيل أمام الرجال ، فلم تثبت خيل المسلمين لشدّتهم ، وافترقتْ الخيل فرقتين: فِرقة نحو الميمنة ، وأخرى نحو الميسرة ، وأقبلوا نحو الرجال ، فاستقبلتْ المرامية وجوهَهم بالنّبْل ، وعطفتْ عليهم الخيل من الميمنة والميسرة ، ونهض إليهم الرّجال بالرّماح والسيوف ، فوالله ما لَبّثوهم أن أناموهم ، ثم إنّ حمزة بن سنان صاحبَ خيلهم لما رأى الهلاك نادى أصحابه أن انزلوا ، فذهبوا لينزِلوا فلم يتقارّوا حتى حمل عليهم الأسود بن قيس المراديّ ، وجاءتهم الخيل من نحو عليّ ، فأهمِدوا في الساعة[1]. (٥: ٨٤/ ٨٥/ ٨٦).

١١٦٥ ـ قال أبو مخنف: فحدّثني عبد الملك بن مسلم بن سلام بن ثُمامة الحنفيّ عن حكيم بن سعد ، قال: ما هو إلاّ أنْ لقينا أهلَ البصرة ، فما لبّثناهم ، فكأنما قيل لهم: موتوا؛ فماتوا قبل أن تشتدّ شوكتهم ، وتعظمَ نكايتُهم[2]. (٥: ٨٧).

١١٦٦ ـ قال أبو مخنف: فحدّثني أبو جَناب: أنّ أبا أيّوب أتى عليّاً ، فقال: يا أمير المؤمنين ! قتلتُ زيدَ بن حُصين ، قال: فما قلتَ له وما قال لك؟ قال: طعنتُه بالرّمح في صدره حتى نجمَ من ظهره؛ قال: وقلتُ له: أبشر يا عدوّ الله بالنار! قال: ستعلم أيُّنا أولَى بِها صِليّاً. فسكت عليٌّ عليها[3]. (٥: ٨٧).

١١٦٧ ـ قال أبو مِخنف ، عن أبي جَناب: إنْ عليّاً قال له: هو أوْلى لها صِليّاً ، قال: وجاء عائذ بن حملة التميميّ ، فقال: يا أميرَ المؤمنين ! قتلتُ كلاباً ، قال: أحسنت! أنت محِقّ قتلتَ مُبطِلاً. وجاء هانىء بن خطاب الأرْحَبيّ ، وزياد بن خَصَفة يحتجّان في قتل عبد الله بن وهب الراسبيّ ، فقال لهما: كيف صنعتما؟ فقالا: يا أمير المؤمنين ! لما رأيناه عرفناه ، وابتدرناه فطعنّاه برمْحَيْنا ،

---

(١) إسناده تالف.

(٢) إسناده تالف.

(٣) إسناده تالف.

فقال عليّ: لا تختلفا ، كلاكُما قاتِل. وشدّ جيش بن ربيعة أبو المعتمر الكنانيّ على حُرقوص بن زهير فقتَلَه ، وشدّ عبد الله بن زَحْر الخَوْلانيّ على عبد الله بن شَجرَة السُّلمِيّ فقتله ، ووقع شريحِ بن أوفَى إلى جانب جدار ، فقاتل على ثُلْمة فيه طويلاً من نَهار ، وكان قَتَل ثلاثةً من هَمْدان ، فأخذ يرتجِز ويقول:

قـد عَلِمَـتْ جـارِيَـةٌ عَبْسِيَّـهْ نـاعِمَـةٌ فـي أَهلِهـا مَكْفِيَّـهْ
أَنِّـي سَـأَحْمـي ثُلْمَتِـي العَشِيَّـهْ

فشدّ عليه قيسُ بن معاوية الدُّهنِيّ ، فقطع رجلَه ، فجعل يقاتلهم ، ويقول:

* القَرْمُ يحْمي شَوْلَهُ مَعْقولاَ *

ثم شدّ عليه قيس بن معاوية فقتله ، فقال الناس:

اقتَتَلَـتْ هَمْـدانُ يَـوْمـاً ورَجُـلْ اقتَتَلـوا مِـنْ غُـدْوة حتـى الأُصُـلْ
* فَفتحَ الله لَهمْدانَ الرَّجُلْ *

وقال شُريح:

أَضْـرِبُهُـمْ وَلَـوْ أَرَى أَبـا حَسَـنْ ضَـرَبْتُـهُ بـالسيـفِ حتـى يَطْمَئِـنّ

وقال:

أَضْـرِبُهُـمْ ولـو أَرَى عَليّـاً أَلْبَسْتُـهُ أَبْيَـضَ مَشْـرَفيَّـا[1]

(٥ : ٨٧/ ٨٨).

١١٦٨ ـ قال أبو مخنف: حدّثني عبد الملك بن أبي حرّة: أنّ عليّاً خرج في طلب ذي الثُّدَيّة ومعه سليمان بن ثُمامة الحنفيّ أبو جَبْرة ، والرّيان بن صبرة بن هَوْذة ، فوجده الرّيان بن صبرة بن هَوْذة في حُفرة على شاطىء النهر في أربعين أو خمسين قتيلاً ، قال: فلما استُخرِج نظر إلى عَضُدِه ، فإذا لحم مجتمع على منكبِه كثَدْي المرأة ، له حَلَمة عليها شَعَرات سُود ، فإذا مُدّت امتدّت حتى تحاذى طول يده الأخرى ، ثم تُترك فتعود إلى منكبه كثدي المرأة ، فلما استُخرج قال عليّ: الله أكبر! والله ما كَذَبتُ ، ولا كُذِبت ، أما والله لولا أن تنكلوا عن العمل ، لأخبرتُكم بما قضى الله على لسان نبيّه ﷺ لمن قاتلهم مستبصراً في قتالهم ، عارفاً للحقّ الذي نحن عليه. قال: ثم مرَّ وهم صرعَى فقال: بؤساً لكم! لقد ضرّكم مَن

---

(١) إسناده تالف.

غرّكم؛ فقالوا: يا أمير المؤمنين! مَن غرّهم؟ قال: الشيطان، وأنفسٌ بالسوء أمّارة، غرّتهم بالأمانيّ، وزيّنتْ لهم المعاصي، ونبّأتهم أنهم ظاهرون، قال: وطلِب مَن به رَمَق منهم فوجدناهم أربعمئة رجل، فأمر بهم عليّ فدُفِعوا إلى عشائرهم، وقال: احمِلوهم معكم فداوُوهم، فإذا بَرِئوا فوافُوا بهم الكوفة، وخذوا مافي عسكرهم من شيء.

قال: وأما السلاح والدّوابّ وما شهدوا به عليه الحرب فقسَّمه بين المسلمين، وأما المتاع والعبيد والإماء فإنه حين قدم ردّه على أهله، وطلب عديّ بن حاتم ابنه طَرفة فوجده، فدَفَنه، ثم قال: الحمد لله الذي ابتلاني بيومك على حاجتي إليك، ودَفَن رجالٌ من الناس قَتْلاهم، فقال أمير المؤمنين حين بلغه ذلك: ارتحِلوا إذاً، أتقتلونهم ثم تدفنونهم! فارتحل الناس[١]. (٥: ٨٨/ ٨٩).

١١٦٩ ـ قال أبو مِخنف عن مجاهد، عن المحِلّ بن خليفة: أنّ رجلاً منهم من بني سَدوس يقال له: العَيْزار بن الأخنس كان يرى رأيَ الخوارج، خرج إليهم، فاستقبل وراء المدائن عديّ بن حاتم، ومعه الأسود بن قيس، والأسود بن يزيد المُراديّان، فقال له العيزار حين استقبلَه: أسالمٌ غانم، أم ظالمٌ آثم؟ فقال عديّ: لا، بل سالمٌ غانم، فقال له المراديّان: ما قلت هذا إلا لشرّ في نفسك، وإنك لنعرفك يا عَيزار برأي القوم، فلا تفارِقنا حتى نذهب بك إلى أمير المؤمنين فنخبرَه خبرَك. فلم يكن بأوشَكَ أن جاء عليّ فأخبرَاه خبَره، وقالا: يا أميرَ المؤمنين! إنه يرى رأيَ القوم، قد عرفْناه بذلك، فقال: ما يحِلّ لنا دمه، ولكنا نحبسه، فقال عديّ بن حاتم: يا أميرَ المؤمنين! ادفَعْه إليّ وأنا أضمن ألاّ يأتيَك مِن قبَله مكروه، فدَفَعَه إليه[٢]. (٥: ٨٩).

١١٧٠ ـ قال أبو مخنف: حدّثني عمران بن حُدير عن أبي مِجْلز، عن عبد الرحمن بن جندب بن عبد الله أنه لم يقتَل من أصحاب عليّ إلا سبعة[٣]. (٥: ٨٩).

---

(١) إسناده تالف وفي متنه نكارات.

(٢) إسناده تالف.

(٣) إسناده تالف.

١١٧١ ـ قال أبو مخنف عن نُمَير بن وَعْلة اليناعيّ ، عن أبي دَرْداء ، قال: كان عليّ لما فرغ من أهل النهروان حَمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال: إنّ الله قد أحسَن بكم ، وأعزّ نصركم ، فتوجّهوا من فَوْركم هذا إلى عدوّكم ، قالوا: يا أمير المؤمنين ! نفدَتْ نبالنا ، وكَلّت سيوفُنا ، ونصَلْت أسنّة رماحِنا ، وعاد أكثرها قِصَداً ، فارجع إلى مِصرنا ، فلنستَعدّ بأحسن عدّتنا ، ولعلّ أمير المؤمنين يزيد في عُدّتنا عُدّة من هلك منا ، فإنه أوفى لنا على عدوّنا ، وكان الذي تولى ذلك الكلام الأشعث بن قيس ، فأقبل حتى نزل النُّخَيلة ، فأمر الناسَ أن يلزموا عسكرَهم ، ويوطّنوا على الجهاد أنفسَهم ، وأن يُقلّوا زيارةَ نسائهم وأبنائهم حتَّى يسيروا إلى عدوّهم ، فأقاموا فيه أياماً ، ثم تسلّلوا من معسكرهم ، فدخلوا إلا رجالاً من وجوه الناس قليلاً ، وتُرِك العسكر خالياً ، فلما رأى ذلك دخل الكوفة ، وانكسر عليه رأيُه في المسير[1] . (٥ : ٨٩/ ٩٠).

١١٧٢ ـ قال أبو مخنف عمّن ذكره ، عن زيد بن وهب : إنّ عليّاً قال للناس ـ وهو أوّل كلام قاله لهم بعد النّهر ـ:

أيّها الناس ! استعدّوا للمسير إلى عدوّ في جهاده القُربة إلى الله ودرَك الوسيلة عنده ، حيارَى في الحقّ ، جُفاة عن الكتاب ، نُكُبٌ عن الدّين ، يَعمَهون في الطّغيان ، ويُعْكَسون في غَمْرة الضلال ، فأعِدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ، وتوكّلوا على الله ، وكفى بالله وكيلاً ، وكفى بالله نصيراً!

قال: فلا هم نفروا ولا تيسّروا ، فتركهم أياماً حتى إذا أيس من أن يفعلوا؛ دعا رؤساءهم ووجوهَهم ، فسألهم عن رأيهم ، وما الذي يُنظرهم ، فمنهم المعتلّ ، ومنهم المكرَه ، وأقلّهم من نَشِط ، فقام فيهم خطيباً ، فقال:

عبادَ الله ! ما لكم إذا أمرتُكم أن تنفِروا اثّاقلتم إلى الأرض! أرَضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، وبالذّلّ والهوان من العِزّ! أوَ كلّما ندبتُكم إلى الجهاد دارت أعينُكم كأنكم من الموت في سَكْرة ، وكأنّ قلوبكم مألوسة فأنتم لا تعقلون! وكأن أبصاركم كُمْه فأنتم لا تُبصِرون. لله أنتم! ما أنتم إلا أسُود الشرَى في الدَّعة ، وثعالبُ رَوّاغة حين تُدْعَوْن إلى البأس. ما أنتم لي بثقة سَجيسَ الليالي ،

---

(١) إسناده تالف.

ما أنتم بركْب يُصالُ بكم ، ولا ذي عِزّ يُعتصَم إليه ، لَعمرُ الله ، لبئس حُشَّاش الحرب أنتم! إنكم تُكادون ولا تَكِيدون ، ويتنقّص أطرافكم ولا تتحاشوْن ، ولا يُنام عنكم وأنتم في غفلةٍ ساهون؛ إن أخا الحَرب اليَقْظان ذو عقل ، وبات لذلّ مَن وادَع ، وغلب المتجادلون ، والمغلوب مقهور ومسلوب ، ثم قال: أما بعد ، فإنّ لي عليكم حقّاً ، وإن لكم عليَّ حقّاً ، فأمّا حقكم عليّ فالنّصيحة لكم ما صحبتُكم ، وتوفيرُ فَيئكم عليكم ، وتعليمُكم كيما لا تجهلوا ، وتأديبُكم كي تَعلَّموا؛ وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصح لي في الغيب والمشهد ، والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم ، فإن يُرِد اللهُ بكم خيراً؛ انتزعتم عما أكره ، وتَراجَعوا إلى ما أحِبّ ، تنالوا ما تَطلُبون ، وتُدرِكوا ما تأمُلون[١] . (٥: ٩٠/ ٩١) .

١١٧٣ ـ وذكر عليّ بن محمد عن عبد الله بن ميمون ، عن عمرو بن شُجَيرة ، عن جابر ، عن الشعبيّ ، قال: بعث عليٌّ بعدما رجع من صِفّين جَعْدة بن هبيرة المخزوميّ ، وأمّ جعدة أمّ هانىء بنت أبي طالب ـ إلى خُراسان ، فانتهى إلى أبْرشهر؛ وقد كَفَروا وامتنعوا ، فقدم على عليّ ، فبعث خُليد بن قرّة اليربوعيّ ، فحاصر أهل نَيسابور حتى صالحوه ، وصالحه أهلُ مرْو[٢] . (٥: ٩٢) .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

١١٧٤ ـ فمما كان فيها مَقتَل محمّد بن أبي بكر بمصر ، وهو عاملٌ عليها ، وقد ذكرنا سببَ تولية عليٍّ إياه مصر ، وعزل قيس بن سعد عنها ، ونذكر الآن سببَ قتله ، وأين قتل؟ وكيف كان أمره؟ ونبدأ بذكرٍ من تتمّة حديث الزّهريّ الذي قد ذكرنا أوّله قبلُ ، وذلك ما حدّثنا عبد الله عن يونس ، عن الزّهريّ ، قال: لما حُدّث قيس بن سعد بمجيء محمد بن أبي بكر ، وأنه قادم عليه أميراً ، تلقّاه ، وخلاَ به ، وناجاه ، فقال: إنك جئت من عند امرىء لا رأيَ له ، وليس عَزْلُكم

---

(١) إسناده تالف.

(٢) إسناده ضعيف.

إيّايَ بمانعي أن أنصح لكم ، وأنا مِن أمرِكم هذا على بصيرة ، وإني في ذلك على الذي كنت أكايد به معاوية وعمراً وأهل خِرْبَتا ، فكايِدْهم به ، فإنك إن تكايدْهم بغيره تَهلِك ، ووصف قيس بن سعد المكايدة التي كان يكايدهم بها ، واغتشّه محمد بن أبي بكر ، وخالف كلّ شيء أمره به. فلما قدم محمد بن أبي بكر وخرج قيس قِبَل المدينة؛ بعث محمد أهلَ مصر إلى خِرْبَتا ، فاقتتلوا ، فهزِم محمد بن أبي بكر ، فبلغ ذلك معاوية وعمراً ، فسارا بأهل الشام حتى افتتحا مصر ، وقَتَلا محمد بن أبي بكر ، ولم تزل في حيّز معاوية ، حتى ظهر ، وقدم قيس بن سعد المدينة ، فأخافه مروان والأسود بن أبي البَخْتريّ ، حتى إذا خاف أن يؤخذ ، أو يُقتَل؛ ركب راحلته ، وظهر إلى عليّ. فكتب معاوية إلى مرْوان ، والأسود يتغيّظ عليهما ويقول: أمددتُما عليّاً بقيس بن سعد ، ورأيه ، ومكايَدته ، فوالله لو أنّكما أمددتُماه بمئة ألفِ مقاتل ما كان بأغيظَ إليّ من إخراجِكما قيسَ بن سعد إلى عليّ ، فقدم قيس بن سعد على عليّ ، فلما باثّه الحديثَ ، وجاءهم قتلُ محمد بن أبي بكر؛ عرف: أنّ قيس بن سعد كان يوازي أموراً عظاماً من المكايدة ، وأنّ مَن كان يشير عليه بعزل قيس بن سعد لم يَنصَح له.

وأمّا ما قال في ابتداء أمرِ محمد بن أبي بكر في مصيرِه إلى مصر وولايتِه إياها أبو مخنف؛ فقد تقدّم ذكرُنا له ، ونذكر الآن بقيّة خبره في روايته ما روى من ذلك عن يزيد بن ظَبْيان الهَمْدانيّ ، قال: ولما قتل أهل خِرْبَتا ابنَ مضاهم الكلبيّ الذي وجّهه إليهم محمد بن أبي بكر؛ خرج معاوية بن حُديج الكنديّ ثم السَّكُونيّ ، فدعا إلى الطلب بدم عثمان ، فأجابه ناس آخَرون ، وفسدتْ مصر على محمد بن أبي بكر ، فبلغ عليّاً وثوبُ أهل مصرَ على محمد بن أبي بكر ، واعتمادُهم إياه ، فقال: ما لمصرَ إلا أحد الرَّجُلين! صاحبنا الَّذي عزَلْناه عنها ـ يعني: قيساً ـ أو مالك بن الحارث ـ يعني: الأشتر. قال: وكان عليّ حين انصرف من صِفِّين ردّ الأشترَ على عمله بالجزيرة ، وقد كان قال لقيس بن سعد: أقم معي على شُرَطِي حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة ، ثم اخرج إلى أذْرَبيجان؛ فإنّ قيساً مقيم مع عليّ على شُرْطته. فلما انقضى أمرُ الحكومة كتب عليّ إلى مالك بن الحارث الأشتر ، وهو يومئذ بنَصِيبين: أمّا بعد ، فإنك ممّن استظهرتُه على إقامة الدين ، وأقمعُ به نخوةَ الأثيم ، وأشُدّ به الثّغر المَخُوف ، وكنت ولّيت محمد بن أبي بكر مصر ،

فخرجتْ عليه بها خوارج ، وهو غلامٌ حَدَث ليس بذي تجرِبة للحَرْب ، ولا بمجرّب للأشياء ، فاقدم عليّ لننظر في ذلك فيما ينبغي ، واستخلِف على عَملك أهلَ الثقة والنصيحة من أصحابك ، والسلام.

فأقبَل مالكٌ إلى عليٍّ حتى دخل عليه ، فحدّثه حديثَ أهل مصرَ ، وخبّره خبرَ أهلها ، وقال: ليس لها غيرك ، اخرج رحِمَك الله! فإني إن لم أوصِك؛ اكتفيتُ برأيك ، واستعِن بالله على ما أهمّك ، فاخلِط الشدّة باللِّين ، وارفق ما كان الرفق أبلَغ ، واعتزِم بالشدّة حين لا يغني عنك إلا الشدّة.

قال: فخرج الأشتر من عند عليّ فأتى رحله ، فتهيّأ للخروج إلى مصر ، وأتت معاويةَ عيونُه ، فأخبروه بولاية عليّ الأشتر ، فعظُم ذلك عليه ، وقد كان طمع في مصر ، فعلم: أن الأشتر إنْ قدمها كان أشدّ عليه من محمد بن أبي بكرٍ ، فبعث معاوية إلى الجايستار ـ رجل من أهل الخراج ـ فقال له: إنّ الأشتر قد وُلِّيَ مصر ، فإن أنت كَفْيتَنيه؛ لم آخذْ منك خراجاً ما بقيتَ ، فاحتلْ له بما قدرتَ عليه ، فخرج الجايستار حتى أتى القُلْزم ، وأقام به ، وخرج الأشتر من العراق إلى مصرَ ، فلما انتهى إلى القلزُم؛ استقبله الجايستار ، فقال: هذا مَنزِل ، وهذا طعامٌ وعَلَف ، وأنا رجلٌ من أهل الخراج ، فنزل به الأشتر ، فأتاه الدِّهقان بعَلَف وطعام ، حتى إذا طَعِم؛ أتاه بشربة من عَسَل قد جعل فيها سُمّاً فسقاه إيّاه ، فلما شربها مات. وأقبل معاوية يقول لأهل الشأم: إنّ عليّاً وجّه الأشتر إلى مصَر ، فادعوا الله أن يَكفيَكُموه. قال: فكانوا كلّ يوم يَدْعون الله على الأشتر ، وأقبل الذي سقاه إلى معاوية فأخبَرَه بمَهلِك الأشتر ، فقام معاوية في الناس خطيباً ، فحَمِد اللهَ وأثنَى عليه وقال: أمّا بعد ، فإنه كانت لعليّ بن أبي طالب يدان يمينان ، قُطعتْ إحداهما يومَ صِفّين ـ يعني: عمّار بن ياسر ـ وقُطِعت الأخرى اليوم ـ يعني: الأشتر[1]. (٥ : ٩٤/ ٩٥/ ٩٦).

١١٧٥ ـ قال أبو مخنف: حدّثني فُضَيل بن خَديج عن مولىً للأشتر ، قال: لما هلك الأشتر؛ وجدْنا في ثَقَله رسالة عليّ إلى أهل مصر:

---

١) إسناده مرسل ضعيف ، وسنتحدث عن متنه بعد الرواية (٥ : ١٠٩/ ١١٨٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلىّ أمّة المسلمين الذين غَضِبوا لله حين عُصِيَ في الأرض ، وضَرَب الجورُ بأرواقه على البَرّ والفاجر ، فلا حقّ يُستراح إليه ، ولا منكرَ يُتناهَى عنه ، سلام عليكم ، فإني أحمَد الله إليكم الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فقد بعثتُ إليكم عبداً من عبيد الله لا ينام أيام الخوف ، ولا يَنكل عن الأعادي حِذارَ الدوائر ، أشدّ على الكفار من حريق النار ، وهو مالك بن الحارث أخو مُذحِج ، فاسمعوا له ، وأطيعوا ، فإنه سيفٌ من سيوف الله ، لا نابي الضّريبة ، ولا كلَيل الحدّ ، فإن أمَرَكم أن تُقدموا؛ فأقدموا ، وإن أمَرَكم أن تَنفِروا؛ فانفروا ، فإنه لا يُقدم ولا يُحجم إلا بأمري ، وقد آثرتكم به على نفسي لنُصحِه لكم وشدّة شَكيمته على عدوّكم ، عصَمَكم الله بالهدى ، وثبّتكم على اليقين . والسلام .

قال : ولما بلغ محمّد بن أبي بكر : أنّ عليّاً قد بعث الأشتر شقّ عليه ، فكتب عليّ إلى محمد بن أبي بكر عند مَهلِك الأشتر ، وذلك حين بلغه مَوْجِدةُ محمد بن أبي بكر لقُدوم الأشتر عليه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عليّ أميرِ المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر ، سلامٌ عليك ، أما بعد؛ فقد بلغني موجِدَتُك من تسريحي الأشترَ إلى عَمَلِك ، وإني لم أفعل ذلك استبطاءً لك في الجهاد ، ولا ازدياداً مني لك في الجدّ ، ولو نزعتُ ما تحتَ يدك من سلطانك لولّيتُك ما هو أيسرُ عليك في المؤونة ، وأعجب إليك ولايةً منه . إنّ الرجل الذي كنتُ وليته مصرَ كان لنا نصيحاً ، وعلى عدوّنا شديداً ، وقد استكمَل أيّامَه ، ولاقَى حِمامَه ، ونحن عنه راضُون ، فرضي الله عنه ، وضاعَفَ له الثواب ، وأحسَنَ له المآب . اصبر لعدوّك ، وشمِّر للحرب ، وادعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأكثِرْ ذكرَ الله ، والاستعانةَ به ، والخوفَ منه؛ يَكفِك ما أهمّك ، ويُعِنْك على ما ولاّك ، أعاننا الله وإيّاك على ما لا يُنال إلا برحمته ، والسلام عليك .

فكتب إليه محمد بن أبي بكر جواب كتابه :

بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله عليٍّ أمير المؤمنين من محمد بن أبي بكر ، سلامٌ عليك ، فإنّي أحمد الله إليك الذي لا إلهَ غيره ، أما بعد : فإنّي قد انتهى إليّ كتابُ أمير المؤمنين ، ففهِمْته ، وعرفتُ مافيه ، وليس أحد من الناس بأرضَى مني برأي أميرِ المؤمنين ، ولا أجهدَ على عدوّه ، ولا أرأف بوليه مني ، وقد خرجتُ فعسكرتُ ، وأمَّنتُ الناسِ إلا من نَصَب لنا حرباً ، وأظهَر لنا خلافاً ، وأنا متّبع أمرَ أمير المؤمنين وحافظُه ، وملتجىء إليه ، وقائمٌ به ، والله المستعان على كلّ حال؛ والسلام عليك[1] . (٥ : ٩٦/ ٩٧).

١١٧٦ ـ قال أبو مخنف : حدّثني أبو جَهضم الأزديّ ـ رجلٍ من أهل الشأم ـ عن عبد الله بن حَوالة الأزديّ : أنّ أهل الشأم لما انصرفوا من صِفين كانوا ينتظرون ما يأتي به الحَكَمان ، فلما انصرفا ، وتفرّقا؛ بايع أهلُ الشأم معاويةَ بالخلافة ، ولم يزدد إلا قوّة ، واختلف الناسُ بالعراق على عليّ ، فما كان لمعاوية همٌّ إلا مصر ، وكان لأهلها هائباً خائفاً ، لقربهم منه ، وشدّتهم على من كان على رأي عثمان ، وقد كان عَلَى ذلك علِم : أن بها قوماً قد ساءهم قتلُ عثمانَ ، وخالفوا عليّاً ، وكان معاوية يرجو أن يكون إذا ظهر عليها ظهر على حرب عليّ ، لعظم خَراجها ، قال : فدعا معاوية من كان معه من قريش :

عمروَ بن العاص ، وحبيب بن مسلمة ، وبُسْرَ بن أبي أرطاة ، والضحّاك بن قيس ، وعبدَ الرحمن بن خالد بن الوليد؛ ومن غيرهم : أبا الأعور عَمرَو بن سُفيان السُّلَميّ ، وحمزةَ بن مالك الهَمْدانيّ ، وشُرَحبيل بن السِّمْط الكِنديّ ، فقال لهم : أتدرون لِمَ دعوتكم؟ إنِّي قد دعوتُكم لأمر مُهِمّ أحبّ أن يكون اللهُ قد أعانَ عليه ، فقال القوم كلهم ـ أو من قال منهم : إنّ الله لم يُطلع على الغيب أحداً ، وما يُدرِينا ما تُريد! فقال عمرو بن العاص : أرى والله أمرَ هذه البلاد الكثير خراجُها ، والكثير عُدَدُها وعدد أهلها ، أهمّك أمرُها ، فدعوتَنا إذاً لتسألَنا عن

(١) إسناده تالف وفي متنه نكارات ، وسنتحدث عنه بعد الرواية (٥ : ١٠٩/ ١١٨٢).

رأينا في ذلك ، فإن كنتَ لذلك دعوتَنا ، وله جمعتَنا ؛ فاعزم وأقدم ، ونِعمَ الرأي رأيتَ! ففي افتتاحها عِزُّك وعزّ أصحابك ، وكَبْت عدوّك ، وذلّ أهلِ الخلاف عليك. قال له معاوية مجيباً: أهمَّك يا بن العاصِ ما أهمّك ـ وذلك لأنّ عمرو بن العاص كان صالَح معاويةَ حين بايعه على قتال عليّ بن أبي طالب ، على أنّ له مصرَ طُعْمَةً ما بقيَ ـ فأقبل معاوية على أصحابه ، فقال: إنّ هذا ـ يعني: عمراً ـ قد ظنّ ، ثم حقّق ظنّه ، قالوا له: لكنا لا ندري ؛ قال معاوية: فإنّ أبا عبد الله قد أصاب ، قال عمرو: وأنا أبو عبد الله ؛ قال: إنّ أفضل الظُّنون ما أشبه اليقين.

ثم إنّ معاوية حمِد الله ، وأثنَى عليه ، ثم قال: أما بعد: فقد رأيتم كيف صنع الله بكم في حربكم عدوّكم ، جاؤوكم وهم لا يَروْن إلا أنهم سيقيضون بَيضَتكم ، ويُخربون بلادَكم ، ما كانوا يرَون إلاّ أنكم في أيديهم ، فردّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً مما أحبّوا ، وحاكَمْناهم إلى الله ، فحكم لنا عليهم ، ثم جمع لنا كلمتَنا ، وأصلح ذاتَ بينِنا ، وجعلهم أعداء متفرّقين يشهدُ بعضُهم على بعض بالكُفْر ، ويسفِك بعضهم دَم بعض ، والله إنّي لأرجو أن يتمّ لنا هذا الأمر ، وقد رأيت أن نُحاول أهلَ مصرَ ، فكيف تروْن ارتئاءنا لها! فقال عمرو: قد أخبرتُك عمَّا سألتَني عنه ، وقد أشرتُ عليك بما سمعت ؛ فقال معاوية: إنّ عَمراً قد عزم وصَرَم ، ولم يفسّر ، فكيف لي أن أصنع! قال له عمرو: فإنّي أشير عليك كيف تصنع ، أرى أن تَبعث جيشاً كثيفاً ، عليهم رجلٌ حازم صارم تأمَنُه وتثق به ، فيأتي مصرَ حتى يدخلَها ، فإنه سيأتيه مَن كان من أهلها على رأينا فيظاهرهُ على مَن بها من عدوّنا ، فإذا اجتمع بها جندُك ومَن بها من شيعتك على مَن بها من أهل حربك ؛ رجوتُ أن يعين الله بنصرِك ، ويُظهر فُلْجَك ! قال له معاوية: هل عندك شيء دون هذا يُعمَل به فيما بيننا وبينهم؟ قال: ما أعلَمه ، قال: بلى ، فإنّ غير هذا عندي ، أرى أن نكاتِب مَن بها من شيعتنا ، ومَن بها من أهل عدوّنا ، فأمّا شيعتنا فآمُرُهم بالثبات على أمرهم ، ثم أمنّيهم قُدومَنا عليهم. وأما مَن بها مِن عدوّنا فندعوهم إلى صُلْحنا ، ونمنّيهم شكرَنا ، ونخوّفهم حربنا ، فإن صلَح لنا ما قبَلهم بغير قتال ؛ فذاك ما أحببنا ، وإلا كان حربُهم من وراء ذلك كلّه. إنك يا بن العاص امرؤ بورك لك في العَجَلة ، وأنا امرؤٌ بورك لي في التُّؤَدة ؛ قال: فاعمل بما أراك الله ، فوالله ما أرى أمرَك وأمرَهم يصيرُ إلاّ إلى الحرب العَوان.

قال: فكتب معاوية عند ذلك إلى مسلمة بن مخلّد الأنصاريّ، وإلى معاوية بن حُدَيج الكِنديّ ـ وكانا قد خالفا عليّاً:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد: فإنّ الله قد ابتَعَثكما لأمر عظيم أعظمَ به أجرَكما، ورفَع به ذِكرَكما، وزيّنكُما به في المسلمين؛ طَلبكما بدمِ الخليفة المظلوم، وغضبكما لله إذ تُرِك حكم الكتاب، وجاهدتما أهلَ البغيِ والعُدوان، فأبشروا برضوان الله، وعاجِل نصرِ أولياء الله، والمواساة لكما في الدنيا، وسلطاننا، حتى يُنْتَهَى في ذلك ما يرضيكما، ونؤدّي به حقَّكما إلى ما يصير أمرُكما إليه، فاصبروا وصابروا عدوَّكما، وادعوا المدبِر إلى هُداكما وحفظِكما، فإنّ الجيش قد أَظِلّ عليكما، فانقشع كلّ ما تكرهان، وكان كلّ ما تَهوَيان؛ والسلام عليكما.

وكَتب هذا الكتابَ وبَعث به مع مولىً له يقال له: سُبَيع.

فخرج الرسول بكتابه حتى قدم عليهما مصر؛ ومحمد بن أبي بكر أميرها، وقد ناصَب هؤلاء الحربَ بها، وهو غير متخوّن بها يوم الإقدام عليه. فدفع كتابَه إلى مسلمة بن مخلّد، وكتابَ معاوية بن حُدَيج، فقال مسلمة: امضِ بكتاب معاوية إليه حتى يقرأه، ثم القني به حتى أجيبه عني وعنه، فانطلق الرسول بكتاب معاويةَ بن حُدَيج إليه، فأقرأه إيّاه، فلما قرأه قال: إنّ مسلمة بن مخلّد قد أمرني أن أردّ إليه الكتاب إذا قرأتَه لكي يجيبَ معاوية عنك وعنه. قال: قل له فليفعل؛ ودفع إليه الكتاب، فأتاه، ثم كتب مسلمة عن نفسه، وعن معاوية بن حُدَيج: أما بعد، فإنّ هذا الأمر الذي بذلنا له نفسَنا، واتّبعْنا أمرَ الله فيه، أمرٌ نرجو به ثوابَ ربّنا، والنصرَ ممن خالفنا، وتعجيلَ النِّقمة لمن سَعَى على إمامنا، وطأطأ الرّكض في جهادنا، ونحن بهذا الحيّز من الأرض قد نَفَينا مَن كان به من أهل البغي، وأنهَضْنا من كان به من أهل القِسْط والعدل، وقد ذكرتَ المواساة في سلطانِك ودنياك، وبالله إنّ ذلك لأمرٌ مالَه نهضْنا، ولا إيّاه أردْنا، فإنْ يجمع الله لنا ما نطلب، ويؤتنا ما تمَنَّينا، فإنّ الدنيا والآخرةَ لله ربِّ العالمين، وقد يؤتيهما الله معاً عالماً من خلقه، كما قال في كتابه، ولا خلفَ لموعده، قال: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

عجّل علينا خَيلَك ورَجْلك ، فإنّ عدوّنا قد كان علينا حرباً ، وكنا فيهم قليلاً ، فقد أصبحوا لنا هائبين ، وأصبحْنا لهم مقرنين ، فإن يأتنا الله بمَدَد من قِبَلك؛ يفتح الله عليكم ، ولا حولَ ولا قوّة إلا بالله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ! والسلام عليك .

قال : فجاءه هذا الكتاب وهو يومئذ بفِلَسطين ، فدعا النّفرَ الذين سمّاهم في الكتاب فقال : ماذا ترون؟ قالوا : الرّأي أن تبعث جُنداً من قِبَلك ، فإنك تفتتحها بإذن الله ، قال معاوية : فتجهَّز يا أبا عبد الله إليها ـ يعني : عمرَو بنَ العاص ـ قال : فبعثه في ستة آلاف رجل ، وخرج معاوية وودّعه وقال له عند وداعه إيّاه : أوصيك يا عَمرو بتقوَى الله، والرفق فإنه يُمْن ، وبالمهَل، والتُّؤدَة ، فإنّ العَجَلَة من الشيطان ، وبأن تقبلَ ممن أقبَل ، وأن تعفوَ عمّن أدبرَ ، فإن قَبل؛ فَبِها ونِعمتْ ، وإن أبَى؛ فإنّ السطوة بعد المعذرة أبلَغ في الحجّة ، وأحسَن في العاقبة ، وادعُ الناسَ إلى الصلح والجماعة ، فإذا أنت ظهرتَ؛ فليكن أنصارُك آثرَ الناس عندَك ، وكلَّ الناس فأوْلِ حُسْناً. قال : فخرج عَمرٌو يسير حتى نزل أدانيَ أرض مصرَ ، فاجتمعتَ العثمانية إليه ، فأقام بهم ، وكتب إلى محمد بن أبي بكر :

أما بعد ، فتنحّ عني بدمك يا بن أبي بكر ! فإنّي لا أحبّ أن يصيبَك مني ظَفَر ، إن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك ، ورفضِ أمرِك ، ونَدِموا على اتّباعك ، فهم مُسلِموك لو قد التقت حَلْقتا البِطان ، فاخرج منها ، فإني لك من الناصحين؛ والسلام.

وبعث إليه عمرو أيضاً بكتاب معاوية إليه :

أما بعد ، فإنّ غبَّ البغي والظلمِ عظيم الوَبال ، وإنّ سَفْك الدم الحرام لا يَسلَم صاحبه من النّقمة في الدنيا ، ومن التَّبعة الموبِقة في الآخرة ، وإنا لا نعلم أحداً كان أعظم على عثمانَ بغياً ، ولا أسوأ له عيباً ، ولا أشدّ عليه خلافاً منك؛ سعيتَ عليه في الساعين ، وسفكتَ دَمه في السافكين ، ثم أنت تظنّ أني عنك نائمٌ ، أو ناسٍ لك ، حتى تأتي فتأمّر على بلاد أنتَ فيها جاري ، وجُلّ أهلِها أنصاري ، يرَون رأيي ، ويرْقُبون قولي ، ويَستصرخوني عليك. وقد بعثتُ إليك قوماً حِناقاً عليك ، يستسقون دمَك ، ويتقرّبون إلى الله بجهادك ، وقد أعطَوا الله عهداً ليمثّلُنّ بك ، ولو لم يكن منهم إليك ما عدا قتلك ما حذّرتك ولا أنذرتك ،

ولأحببتُ أن يقتلوك بظُلمك ، وقطيعتك ، وعَدْوِك على عثمان يوم يُطعَن بمشَاقِصك بين خُشَشائه وأوداجِه ، ولكن أكرَه أن أمثّل بقرَشيّ ، ولن يُسلِمك اللهُ من القصاص أبداً أينما كنت ! والسلام.

قال: فطوى محمد كتابيْهما ، وبعث بهما إلى عليّ ، وكتب معهما: أما بعد ، فإنّ ابن العاص قد نزل أدانيَ أرضِ مصرَ ، واجتمع إليه أهلُ البلد جلُّهم ممن كان يَرى رأيَهم ، وقد جاء في جيش لجِب خُرّاب ، وقد رأيت ممن قِبَلي بعضَ الفشل ، فإن كان لك في أرض مصرَ حاجة فأمدّني بالرجال والأموال؛ والسّلام عليك.

فكتب إليه عليّ:

أمّا بعد: فقد جاءني كتابُك تذكُر: أنّ ابن العاصِ قد نزل بأداني أرضِ مصرَ في لجبٍ من جيشه خُرّاب ، وإنّ مَن كان بها على مثل رأيه قد خرج إليه ، وخروجُ مَن يرى رأيه إليه خيرٌ لـك من إقامتهم عنـدَك. وذكرتَ أنك قـد رأيتَ في بعض مَنْ قبَلك فَشَلاً ، فلا تَفشَل ، وإن فشلوا؛ فحصِّنْ قريتَك ، واضمُم إليك شيعتَك ، واندُب إلى القوم كنانةَ بنَ بِشر المعروفَ بالنصيحة والنّجدة والبأس. فإني نادبٌ إليك الناسَ على الصَّعب والذّلول ، فاصبر لعدوّك ، وامض على بصيرتك ، وقاتلْهم على نيّتك ، وجاهِدْهم صابراً محتسباً ، وإن كانت فئتُك أقلَّ الفئتين؛ فإنّ الله قد يُعزّ القليل ، ويَخذُل الكثير ، وقد قرأتُ كتابَ الفاجر ابن الفاجر معاوية ، والفاجر ابن الكافر عَمرو ، المتحابَّيْن في عمل المعصية ، والمتوافِقَين المرتَشِيَيْن في الحكومة ، المنكسرين في الدنيا ، قد استَمتَعوا بخَلاقهم كما استمتَع الذين من قبلهم بخَلاقهم ، فلا يَهُلْك إرعادُهما ، وإبراقُهما ، وأجبْهما إن كنتَ لم تجبْهما بما هما أهله ، فإنك تجد مقالاً ما شئت ، والسلام[١]. (٥: ٩٧/ ٩٨/ ٩٩/ ١٠٠/ ١٠١/ ١٠٢).

١١٧٧ ـ قال أبو مخنف: فحدّثني محمد بن يوسف بن ثابت الأنصاريّ ، عن شيخ من أهل المدينة ، قال: كتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية بن أبي سفيان جوابَ كتابه:

---

(١) إسناده تالف وسنتحدث عنه بعد الرواية (٥/ ١٠٩/ ١١٨٢).

أما بعد: فقد أتاني كتابُك تذكِّرني من أمرِ عثمانَ أمراً لا أعتذر إليك منه، وتأمُرني بالتنحّي عنك كأنك لي ناصح، وتُخوّفني المُثْلَة كأنك شفيق، وأنا أرجو أن تكون ليَ الدائرةُ عليكم، فأجتاحَكم في الوقعة، وإن تُؤتَوا النصرَ ويكن لكم الأمر في الدّنيا، فكَم لَعمرِي من ظالم قد نَصرْتم، وكم من مؤمن قَتلتم، ومثّلتم به! وإلى الله مصيرُكم ومصيرُهم، وإلى الله مَرَدّ الأمور، وهو أرحم الراحمين، والله المستعان على ما تصفون! والسلام.

وكتب محمد إلى عمرو بن العاص:

أمّا بعد: فقد فهمتُ ما ذكرتَ في كتابك يا بنَ العاص! زعمتَ: أنك تكره أن يصيبَني منك ظَفَر، وأشهدُ أنك من المبطِلين! وتَزعم: أنك لي نصيح، وأقسم أنك عندي ظَنين! وتَزعم أنّ أهل البلد قد رفضوا رأيي وأمري، ونَدِموا على اتّباعي، فأولئك لك وللشيطان الرجيم أولياء، فحسبُنا الله ربّ العالَمين، وتوكّلنا على الله ربّ العرش العظيم! والسلام.

قال: أقبل عَمرو بن العاص حتى قصد مصرَ، فقام محمد بن أبي بكر في الناس، فحمِد الله وأثنَى عليه وصلى على رسوله، ثم قال: أمّا بعد معاشرَ المسلمين والمؤمنين، فإنّ القوم الذين كانوا ينتهكون الحُرمة، ويَنعشُون الضّلال، ويَشُبّون نارَ الفتنة، ويتسلّطون بالجَبريّة قد نصبوا لكم العداوة، وساروا إليكم بالجنود، عبادَ الله! فمن أراد الجنّة والمغفرة فلْيخرج إلى هؤلاء القوم، فلْيجاهدْهم في الله. انتدبِوا إلى هؤلاء القوم رحمكم الله مع كنانة بن بشر.

قال: فانتدب معه نحو من ألفَي رجل، وخرج محمد في ألفَيْ رجلِ، واستقبل عمرو بن العاص كنانةَ وهو على مقدّمة محمد، فأقبل عمرو نحو كنانةَ، فلما دنا من كنانة سرّح الكتائبَ كتيبةً بعد كتيبة، فجعل كنانةُ لا تأتيه كتيبةٌ من كتائب أهلِ الشام إلا شدّ عليها بمن معه، فيضربها حتّى يقرّبها لعمرو بن العاص، ففعل ذلك مراراً؛ فلما رأى ذلك عمرو بعث إلى معاوية بن حُدَيج السَّكونيّ، فأتاه في مثل الدّهْم، فأحاط بكنانةَ وأصحابه، واجتمع أهلُ الشأم عليهم من كلّ جانب، فلما رأى ذلك كنانةُ بن بشر نزل عن فرسه. ونزل أصحابُه وكنانة يقول: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ

ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ . فضارَبَهم بسيفه حتى استشهد رحمه الله .

وأقبل عمرو بن العاص نحوَ محمد بن أبي بكر ، وقد تفرّق عنه أصحابُه لمّا بلغهم قتل كنانة ، حتى بقي وما معه أحد من أصحابه ، فلما رأى ذلك محمد خرج يمشي في الطريق حتى انتهى إلى خَرِبة في ناحية الطريق ، فأوَى إليها ، وجاء عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط ، وخرج معاوية بن حُدَيج في طلب محمّد حتى انتهى إلى عُلوج في قارعة الطريق ، فسألهم : هل مرَّ بكم أحد تنكرونه؟ فقال أحدهم : لا والله ، إلا أني دخلت تلك الخربة ، فإذا أنا برجل فيها جالس ، فقال ابن حُدَيج : هو هو وربِّ الكعبة؛ فانطلقوا يركُضون حتى دخلوا عليه ، فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً؛ فأقبلوا به نحو فسطاط مصرَ . قال : ووثب أخوه عبدُ الرحمن بن أبي بكر إلى عَمرو بن العاص ـ وكان في جنده فقال : أتقتل أخي صبراً! ابعث إلى معاويةَ بن حُدَيْج فانْهَه ، فبعث إليه عمرو بن العاص يأمره أن يأتيَه بمحمد بن أبي بكر ، فقال معاوية : أكذاك! قتلتم كنانةَ بنَ بشر وأخلّي أنا عن محمد بن أبي بكر! هيهات ، ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴾ . فقال لهم محمد : اسقُوني من الماء ، قال له معاوية بن حُدَيج : لا سقاه الله إن سقاك قطرةً أبداً! إنكم مَنعتمْ عثمانَ أن يشرب الماءَ حتى قتلتموه صائماً مُحرِماً ، فتلقّاه الله بالرَّحيق المختوم ، والله لأقتلنّك يا بن أبي بكر فيسقيك الله الحميمَ ، والغَسّاق! قال له محمد : يا بن اليهوديّة النسّاجة ! ليس ذلك إليك وإلى من ذكرت ، إنما ذلك إلى الله عزّ وجلّ يَسقي أولياءَه ، ويُظمىء أعداءَه؛ أنتَ وضُرَبَاؤُك ومَن تولاّه ، أما والله لو كان سيفي في يدي ما بلغتم مني هذا ، قال له معاوية : أتدري ما أصنعُ بك؟ أدخِلك في جوف حمار . ثم أحْرِقُه عليك بالنار؛ فقال له محمد : إن فعلتم بي ذلك ، فطالما فُعِل ذلك بأولياء الله! وإني لأرجو هذه النارَ التي تُحْرِقني بها أن يَجعَلها الله عليّ برداً وسلاماً كما جعلها على خليلِه إبراهيمَ ، وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمروذَ وأوليائِه ، إنّ الله يحرقك ومن ذكرته قبل وإمامكَ ـ يعني : معاوية ، وهذا ـ وأشار إلى عمرو بن العاص ـ بنار تَلظّى عليكم ، كلَّما خَبَتْ زادها الله سعيراً ، قال له معاوية : إني إنما أقتلك بعثمان ، قال له محمد : وما أنتَ وعثمان! إنّ عثمانَ عَمِل بالجور ، ونبذ

حكمَ القرآن ، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ ، فنقَمنا ذلك عليه ، فقتلناه ، وحسّنت أنت له ذلك ونظراؤك ، فقد برّأنا الله إن شاء الله من ذنبه ، وأنت شريكُه في إثمه ، وعظم ذنبه ، وجاعِلك على مثاله. قال: فغضب معاوية ، فقدمه ، فقتله ، ثم ألقاه في جيفة حمار ، ثم أحرقه بالنار؛ فلما بلغ ذلك عائشةَ جزِعت عليه جزعاً شديداً ، وقَنَتت عليه في دُبُر الصلاة تدعو على معاوية ، وعمرو ، ثم قبضتْ عيالَ محمّد إليها ، فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر في عيالها.

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف: وكتب عمرو بنُ العاص إلى معاوية عند قتله محمد بن أبي بكر ، وكنانة بن بشر:

أما بعد ، فإنا لقينا محمد بن أبي بكر ، وكنانةَ بن بشر في جموع جَمّة من أهل مصرَ ، فدعوْناهم إلى الهدى ، والسنّة ، وحكم الكتاب ، فرفضوا الحقّ ، وتورّكوا في الضلال ، فجاهَدْناهم ، واستنصَرْنا اللهَ عليهم ، فضرب الله وجوهَهم وأدبارَهم ، ومنحونا أكتافهم ، فقتل الله محمد بن أبي بكر ، وكنانةَ بن بشر ، وأماثلَ القوم ، والحمد لله رب العالمين! والسَّلام عليك[١]. (٥: ١٠٢/ ١٠٣/ ١٠٤/ ١٠٥).

١١٧٨ ـ وأما الواقديّ فإنه ذكر لي: أنّ سُوَيد بن عبد العزيز حدّثه عن ثابت بن عجلان ، عن القاسم بن عبد الرحمن: أنّ عمرو بن العاص خرج في أربعةِ آلاف ، فيهم معاوية بن خُدَيج ، وأبو الأعور السلَميّ ، فالتقوا بالمسنّاة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، حتى قتل كنانة بن بشر بن عتّاب التُّجيبِيّ ، ولم يجد محمد بن أبي بكر مقاتلاً ، فانهزم ، فاختبأ عند جَبَلة بن مسروق ، فدلّ عليه معاوية بن خُدَيج ، فأحاط به ، فخرج محمد فقاتل حتى قُتِل.

قال الواقديّ: وكانت المسنّاة في صفرَ سنة ثمان وثلاثين ، وأذْرُح في شعبانَ منها في عام واحد[٢]. (٥: ١٠٥).

وفيها قُتِل محمد بن أبي حُذَيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس.

---

(١) إسناده تالف وفي متنه نكارات سنتحدث عنها بعد (٥/ ١٠٩/ ١١٨٢).

(٢) في إسناده الواقدي وهو متروك.

ذكر الخبر عن مقتله:

١١٧٩ ـ اختَلف أهلُ السير في وقت مَقتله؛ فقال الواقديّ: قُتل في سنة ست وثلاثين. قال: وكان سبب قتله: أنّ معاوية، وعمراً سارا إليه وهو بمصر قد ضبطها، فنزلا بعَيْن شمس، فعالجا الدّخول، فلم يقدرا عليه، فخدعا محمد بن أبي حذَيفة على أن يخرج في ألف رجل إلى العَريش، فخرج، وخلّف الحَكَم بن الصلت على مصرَ، فلما خرج محمد بن أبي حُذَيفة إلى العريش تحصّن، وجاء عمرو فنصب المجانيقَ حتى نزل في ثلاثينَ من أصحابه، فأخِذوا فقُتلوا. قال: وذاك قبل أن يَبعث عليٌّ إلى مصرَ قيسَ بنَ سعد[١]. (٥: ١٠٥/١٠٦).

١١٨٠ ـ وأما هشام بن محمد الكلبيّ فإنه ذكر: أنّ محمد بن أبي حُذَيفة إنما أخِذ بعد أن قتل محمد بن أبي بكر، ودخل عَمرو بن العاص مصرَ، وغلَب عليها، وزعم أنّ عمراً لما دخل هو وأصحابه مصرَ؛ أصابوا محمد بن أبي حُذَيفة، فبعثوا به إلى معاوية وهو بفلسطين، فحبسه في سجن له، فمكث فيه غيرَ كثير، ثم إنه هرب من السجن ـ وكان ابن خَال معاوية ـ فأَرَى معاويةُ الناسَ أنه قد كره انفلاته، فقال لأهل الشأم: مَنْ يطلبه؟ قال: وقد كان معاوية يحبّ فيما يرون أن ينجوَ، فقال رجل من خَثْعم ـ يقال له: عبدُ الله بن عمرو بن ظلام، وكان رجلاً شجاعاً، وكان عثمانياً: أنا أطلبه. فخرج في حاله حتى لحقه بأرض البَلْقاء بحَوْران وقد دخل في غار هناك. فجاءت حُمُرٌ تدخله، وقد أصابها المطر، فلما رأت الحمُر الرجل في الغار فزِعت، فنفرتْ، فقالَ حصّادُون كانوا قريباً من الغار: والله إنّ لنَفرِ هذه الحمُرِ من الغار لشأناً، فذهبوا لينظروا، فإذا هم به، فخرجوا، ويوافِقهم عبدُ الله بن عمرو بن ظلام الخَثْعمِيّ، فسألهم عنه، ووصفه لهم، فقالوا له: هاهو ذا في الغار؛ قال: فجاء حتى استخرجه، وكره أن يُرجعه إلى معاوية فيخلّيَ سبيله، فضرب عنقه[٢]. (٥: ١٠٦).

١١٨١ ـ قال هشام: عن أبي مخنف، قال: وحدّثني الحارث بن كعب بن

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف جداً.

فُقَيم عن جُندَب ، عن عبد الله بن فقيم ، عمّ الحارث بن كعب . . . يستصرخ من قبَل محمد بن أبي بكر إلى عليّ ـ ومحمّد يومئذ أميرُهم ـ فقام عليّ في الناس وقد أمر فنُوديَ الصّلاةَ جامعة! فاجتمع الناس ، فحمد الله وأثْنَى عليه ، وصلى على محمد ﷺ، ثم قال: أمّا بعد، فإنّ هذا صريخُ محمد بن أبي بكر وإخوانكم من أهل مصر ، قد سار إليهم ابن النّابغة عدوّ الله ، ووليّ من عادَى الله ، فلا يكوننّ أهل الضّلال إلى باطلهم والرّكون إلى سبيل الطاغوت أشدَّ اجتماعاً منكم على حقّكم هذا، فإنهم قد بدؤوكم وإخوانكم بالغَزْو، فاعجلوا إليهم بالمؤاساة والنصر. عباد الله ! إنّ مصرَ أعظم من الشأم ، أكثر خيراً ، وخيرٌ أهلاً ، فلا تغلَبوا على مصر ، فإنّ بقاءَ مصر في أيديكم عزٌّ لكم ، وكَبْتٌ لعدوّكم ، اخرجوا إلى الجَرَعة بين الحيرة والكُوفة ، فوافُوني بها هناك غداً إن شاء الله. قال: فلمّا كان من الغد؛ خرج يمشي ، فنزلها بُكرةً ، فأقام بها حتى انتصف النهار يومه ذلك ، فلم يوافه منهم رجل واحد؛ فرجع. فلما كان من العشيّ؛ بعث إلى أشراف الناس، فدخلوا عليه القصر وهو حزين كئيب ، فقال: الحمد لله على ما قضَى من أمري، وقدّر من فعلي، وابتلاني بكم أيَّتُها الفرقة ممن لا يطيع إذا أمرتُ، ولا يُجيب إذا دَعوتُ، لا أبا لغيركم! ما تنتظرون بصبركم، والجهاد على حقكم؟!

الموت والذلّ لكم في هذه الدنيا على غير الحقّ ، فوالله لئن جاء الموت ـ وليأتينّ ـ ليفرّقنّ بيني وبينكم ، وأنا لِصُحْبَتِكُمْ قالٍ؛ وبكم غيرُ ضَنين ، لله أنتم! لا دينَ يجمعكم ، ولا حميّة تحميكم؛ إذا أنتم سمعتم بعدوّكم يَرِدُ بلادَكم ، ويشنّ الغارة عليكم ، أوَليس عجباً: أنّ معاوية يدعو الجفاةَ الطَّغام فيتبعونه على غير عطاء ، ولا معونة! ويجيبونه في السنة المرّتين والثلاث إلى أيّ وجه شاء ، وأنا أدعوكم ـ وأنتم أولو النّهَى وبقيّة الناس ـ على المعونة ، وطائفةً منكم على العطاء ، فتقومون عنّي ، وتعصوْنني ، وتختلفون عليّ ؟! فقام إليه مالكُ بن كعب الهمْدانيّ ثم الأرحبيّ ، فقال: يا أميرَ المؤمنين ! اندب الناسَ فإنه لا عطرَ بعد عروس ! لمِثلِ هذا اليوم كنتُ أدّخر نفسي ، والأجر لا يأتي إلا بالكرة ، اتقوا الله وأجيبوا إمامَكم ، وانصروا دعوتَه ، وقاتلوا عدوَّه ، أنا أسير إليها يا أميرَ المؤمنين ! قال: فأمر عليّ مناديَه سعداً ، فنادى في الناس: ألا انتدبوا إلى مصرَ مع مالك بن كعب.

ثمّ إنه خرج وخرج معه عليّ ، فنظر فإذا جميع من خرج نحو ألفي رجل ، فقال: سِرْ فوالله ما إخالك تُدرِك القوم حتى ينقضيَ أمرهم؛ قال: فخرج بهم ، فسار خمساً ، ثمّ إن الحجاج بن غَزيّة الأنصاريّ ، ثم النّجّاريّ قَدِم على عليّ من مصر ، وقَدم عبدُ الرحمن بن شَبيبٍ الفَزاريّ ، فأمّا الفَزاريّ فكان عينَه بالشأم ، وأما الأنصاريّ فكان مع محمد بن أبي بكر ، فحدّثه الأنصاريّ بما رأى وعايَن وبهلاك محمد ، وحدّثه الفزاريّ أنه لم يخرج من الشأم حتى قَدمت البُشَراء من قِبَل عمرو بن العاص تَتْرى ، يَتبعُ بعضُها بعضاً بفتح مصر ، وقَتْل محمد بن أبي بكر ، وحتى أُذِّنَ بقتله على المنبر ، وقال: يا أميرَ المؤمنين ! قلّما رأيت قوماً قطّ أسرّ ، ولا سروراً قطّ أظهرَ من سرور رأيته بالشأم حين أتاهم هلاكُ محمد بن أبي بكر ، فقال عليّ: أما إنّ حُزْننا عليه على قدر سرورهم به ، لا بل يزيد أضعافاً. قال: وسرّح عليٌّ عبدَ الرحمن بن شُريح الشّباميّ إلى مالك بن كعب ، فردّه من الطريق. قال: وحَزِن عليّ على محمد بن أبي بكر حتى رئيَ ذلك في وجهه ، وتبيّن فيه ، وقام في الناس خطيباً ، فحمِد الله وأثنَى عليه ، وصلّى على رسولِه ﷺ ، وقال: ألا إنّ مصر قد افتتحها الفَجَرة أولو الجَوْر والظلم الذين صدّوا عن سبيل الله ، وبغَوا الإسلام عِوَجاً ، ألا وإنّ محمد بن أبي بكر قد استُشهد رحمه الله ، فعند الله نَحتسبه ، أما والله إن كان ما علمت لممّن ينتظر القضاء ، ويعمل للجزاء ، ويُبغض شكل الفاجر ، ويحبّ هدي المؤمن ، إني والله ما ألوم نفسي على التقصير ، وإني لمُقاساة الحرب لجدّ خبير ، وإنّي لأقدِم على الأمر؛ وأعرِف وجهَ الحزم ، وأقومُ فيكم بالرأي المصيب ، فأستصرخكم معلناً ، وأناديكم نداءَ المستغيث مُعرِباً ، فلا تسمعون لي قولاً ، ولا تطيعون لي أمراً ، حتى تصير بيَ الأمور إلى عواقب المساءة ، فأنتم القومُ لا يُدرَك بكم الثأر ، ولا تُنقَض بكم الأوتار؛ دعوتُكم إلى غِياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلةً فتجرجرتم جَرجرةَ الجَمَل الأشدق ، وتثاقلتم إلى الأرض تثاقُلَ من ليس له نيّة في جهاد العدوّ ، ولا اكتساب الأجر ، ثم خرج إليّ منكم جُنيْد متذانب كأنّما يُساقون إلى الموت وهم يَنظرون. فأفٍّ لكم! ثم نزل وكتب إلى عبد الله بن عباس وهو بالبَصرة:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عليّ أميرِ المؤمنين إلى عبد الله بن عبّاس ، سلامٌ عليك ، فإنّي أحمد اللهَ إليك الذي لا إله إلا هو ، أمّا بعد: فإنّ مصر قد افتتِحت ، ومحمد بن أبي بكر قد استشهد ، فعند الله نَحتسبه وندّخره ، وقد كنت قمتُ في الناس في بدئه ، وأمرْتهم بغياثِهِ قبل الوقعة ، ودعوتهم سرّاً وجهراً ، وعَوداً وبدءاً ، فمنهم من أتى كارهاً ، ومنهم من اعتلّ كاذباً ، ومنهم القاعد حالاً ، أسأل الله أن يجعل لي منهم فَرَجاً ومَخرجاً ، وأن يُريحَني منهم عاجلاً ، والله لولا طمعي عند لقاء عدوّي في الشهادة لأحببتُ ألاّ أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً ، عَزَم الله لنا ولك على الرُّشد ، وعلى تقواه وهداه ، إنه على كلّ شيء قدير ، والسلام.

فكتب إليه ابنُ عبّاس:

بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، من عبدِ الله بن عباس. سلامٌ عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمة الله وبركاته ! أما بعد ، فقد بلغني كتابك تذكر فيه افتتاحَ مصر ، وهلاكَ محمد بن أبي بكر ، فالله المستعان على كلّ حال ، ورحم الله محمد بن أبي بكر ، وآجَرَك يا أميرَ المؤمنين! وقد سألت الله أن يجعل لك من رعيّتك التي ابتليت بها فرَجاً ومخرجاً ، وأن يُعزّك بالملائكة عاجلاً بالنصرة ، فإنّ الله صانعٌ لك ذلك ، ومعزّك ، ومجيب دعوتك ، وكابتٌ عدوّك ، أخبرك يا أميرَ المؤمنين: أنّ الناس ربما تثاقلوا ثم ينشَطون ، فارفق بهم يا أميرَ المؤمنين ! وداجِنْهم ومَنِّهم ، واستعنِ بالله عليهم ، كفاك الله ألَمَهم والسلام[1]. (٥: ١٠٦/١٠٧/١٠٨/١٠٩).

١١٨٢ _ قال أبو مخنف: حدّثني فُضَيل بن خَدِيج عن مالك بن الحور: أنّ عليّاً قال: رحِم الله محمداً! كان غلاماً حَدَثاً ، أما والله لقد كنتُ على أن أولّيَ المِرْقال هاشم بن عُتْبة مصرَ ، أما والله لو أنه وليّها ما خلّى لعمرو بن العاص

(١) إسناده تالف وسنتحدث عنه بعد الرواية التالية.

وأعوانه الفَجَرة العَرْصةَ ، ولمَا قُتِلَ إلا وسيفه في يده ، لا بلا دمٍ كمحمدٍ ، فرحم الله محمداً ، فقد اجتهد نفسَه ، وقَضَى ما عليه[١] . (٥ : ١٠٩/ ١١٠) .

وفي هذه السنة وجّه معاوية بعد مقتل محمد بن أبي بكر عبدَ الله بن عمرو بن الحضرميّ إلى البصرة للدعاء إلى الإقرار بحُكم عمرو بن العاص فيه .

وفيها قُتل أعيَن بن ضبيعة المُجاشعيّ ، وكان عليٌّ وجّهه لإخراج ابن الحضرميّ من البَصرة[٢] . (٥ : ١١٠) .

---

(١) إسناده تالف .

(٢) ضعيف .

تحدثت الروايات التأريخية من (٥/ ٩٤) وحتى (٥/ ١١٠) عن تجهيز معاوية رضي الله عنه جيشاً لمصر وأسباب ذلك وما جرىٰ بين علي رضي الله عنه ومحمد بن أبي بكر والي مصر المعين من قبل أمير المؤمنين وما بين ذلك من أحداث حتى مقتل محمد بن أبي بكر علىٰ يد عمرو بن العاص ، وذكر أبو مخنف في رواياته هذه تفاصيل لم يتابع فيها ـ والدارس لروايات أبي مخنف يظهر له جلياً ذلك الأسلوب الخطابي المليء بالسباب والشتائم والاتهام بالكفر من قبل الطرفين والألفاظ البذيئة والتي تنافي تماماً ما صح روايته من سلوك وسيرة ذلك السلف الصالح .

وعلىٰ أية حال فإن في هذه الروايات محاور رئيسية لافتراءات أبي مخنف وسنفندها واحداً واحداً بإذن الله :

١ ـ ذكرت روايات أبي مخنف أن معاوية رضي الله عنه وعمرو بن العاص ومن معهما اتهما محمد بن أبي بكر بقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وأن محمد بن أبي بكر لم ينكر ذلك بل تباهىٰ قائلاً : (فنقمنا ذلك عليه فقتلناه) (٤ : ١٠٤) .

قلنا : أما مشاركة محمد بن أبي بكر الخارجيين علىٰ عثمان رضي الله عنه فهذا صحيح كما ذكرنا ولكن مشاركته في قتله فلا والله لا يصح ـ (كما أكد الحافظ ابن كثير) فقد دخل محمد بن أبي بكر على عثمان قبل أن يقتل وأخذ بلحيته فعاتبه سيدنا عثمان وذكره بمقامه من أبيه وكلمه فخجل محمد بن أبي بكر وندم وخرج من عنده ثم دخل الأوباش بعد ذلك فقتلوه رضي الله عنه .

وأما الروايات التي تثبت عدم مشاركته في القتل فقد ذكرنا في قسم الصحيح ما أخرجه خليفة بن خياط (بسند حسن صحيح) :

حدثنا المعتمر عن أبيه الحسن : أن ابن أبي بكر أخذ بلحيته فقال عثمان : لقد أخذت مني مأخذاً أو قعدت مني مقعداً ما كان أبوك ليقعده ، فخرج وتركه . (تأريخ خليفة/ ١٧٤) وكذلك أخرجه الطبري (٤/ ٣٨٣) .

والحديث الآخر هو ما أخرجه خليفة بن خياط في تأريخه حدثنا عبد الأعلىٰ بن هيثم قال=

= حدثني أبي قال: قلت للحسن: أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار؟ قال: لا كانوا أعلاجاً من أهل مصر (تأريخ خليفة/ ١٧٦).
وروايات أخرىٰ ذكرناها في قسم الصحيح منها حديث كنانة مولىٰ صفية عندما سئل: (هل أندىٰ محمد بن أبي بكر بشيء من دمه؟ فقال: معاذ الله دخل عليه فقال عثمان: يابن أخي لست بصاحبي. فخرج ولم يند بشيء) وفي إسناده من هو مقبول أو صدوق فيه لين ولكن يشهد له ما صح عن الحسن البصري عند خليفة كما سبق أن ذكرنا قبل قليل.
(الروايات التي تتهم محمد بن أبي بكر بقتل عثمان لا تصح)
١ ـ أخرج خليفة بن خياط بسنده عن وثاب وفيه (ما معناه) أن محمد بن أبي بكر أخذ بلحية عثمان وأشار إلىٰ رجل ممن حوله فوجأ رأسه بمشقص، وهذه الرواية لا تصح لأن وثاباً مجهول الحال.
٢ ـ أخرج الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٨٣) عن سياق عثمان (وهو مبهم) فلا يصح ـ وفيه عنعنة مبارك وهو مدلّس ـ.
٣ ـ أخرج ابن عساكر (تأريخ دمشق/ ترجمة عثمان/ ٤٠٨) والطبري (٤/ ٣٧١) والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٨٣) في مشاركة محمد بن أبي بكر عن وثاب وهو مجهول الحال كما ذكرنا.
٤ ـ أخرج خليفة بن خياط في تأريخه قال حدثنا أبو الحسن عن أبي زكريا العجلاني عن نافع عن ابن عمر قال: ضربه ابن أبي بكر بمشقاص في أوداجه وبعجه سودان بن حمران بحربة (تأريخ خليفة/ ١٧٥) وفي إسناده أبو زكريا العجلاني مجهول ـ فهل هذه أخبار تقوم بها حجة (مبهم ومجهول ومجهول الحال) والحمد لله علىٰ نعمة الإسناد ـ.
ولذلك ردّ ابن كثير قول من قال: إن محمد بن أبي بكر شارك في قتله وقال: (والصحيح أن الذي فعله غيره) البداية والنهاية (٧/ ١٩٣).
(لا يصح خبر قتل محمد بن أبي بكر حرقاً)
ذكرت روايات أبي مخنف هذه أن معاوية رضي الله عنه توعد أن يجعله في جوف حمار فيحرقه ثم نفذه عمرو بن العاص فأحرقه، وروايات حرقه لا تصح ـ وإنما صحّ أن عمرو بن العاص قتل محمد بن أبي بكر كما أخرج خليفة بن خياط: حدثنا غندر قال: حدثنا شعبة عن عمرو بن دينار قال: أتي عمرو بن العاص بمحمد بن أبي بكر أسيراً فقال: هل معك عهد؟ هل معك عقد من أحد؟ قال: لا، فأمر به فقتل وإسناده حسن صحيح.
وأخيراً ففي روايات أبي مخنف هذه نكارات كررها في روايات أخرىٰ وبيّناها وفيها من الشناعة ما يدلّ علىٰ بطلانه وعدم صحته ويكفي ذلك دليلاً ناهيك عن كون راويه تالفاً ساقطاً بإجماع أئمة الجرح والتعديل ـ والله تعالى أعلم.
ومن نكارات رواية أبي مخنف هو بيانه أن أهل الشام بايعوا معاوية بالخلافة وعلي بن =

ذكر الخبر عن أمر ابن الحضرميّ وزياد وأعين وسبب قتل من قتل منهم

١١٨٣ - حدّثني عمرُ بن شبّة، قال: حدّثني عليّ بن محمد، قال: حدّثنا أبو الذيّال عن أبي نَعامة، قال: لما قُتِل محمد بن أبي بكر بمصرَ، خرج ابنُ عباس من البَصرة إلى عليٍّ بالكوفة، واستَخلف زياداً، وقدم ابنُ الحضرميّ من قِبَل معاوية، فنزل في بني تميم، فأرسل زياد إلى حُضَين بن المنذر، ومالك بن مِسمَع، فقال: أنتم يا معشر بَكر بن وائل من أنصار أمير المؤمنين وثقاتِه، وقد نزل ابن الحَضْرميّ حيث ترون، وأتاه مَنْ أتاه، فامنعوني حتى يأتيَني رأيُ أميرِ المؤمنين. فقال حُضَين: نعم، وقال مالك ـ وكان رأيه مائلاً إلى بني أميّة. وكان

= أبي طالب حي، ولم يصح ذلك وقد ذكرنا في قسم الصحيح في ذكر أحاديث وقعة صفين أنه صح عن أهل الشام أنهم كانوا يقولون عن معاوية أمير ويقال لعلي أمير المؤمنين فلما استشهد علي رضي الله عنه قيل لمعاوية: أمير المؤمنين. فليراجع في قسم الصحيح ولا داعي للإعادة هنا.

(خبر نشر المصاحف علىٰ الرماح في وقعة صفين لا يصح وكذلك لم يصح خلع أبي موسىٰ لعلي وتثبيت عمرو لمعاوية رضي الله عنهم أجمعين)

١ - أما روايات أبي مخنف فلا حجة فيها وقد أجمع أئمة الجرح والتعديل علىٰ كونه تالفاً هالكاً محترقاً غير موثوق به متروكاً، وهذه ألفاظهم فيه:

(متروك، تالف، هالك، محروق، ساقط).

٢ - وأما الرواية التي أخرجها ابن عساكر في تأريخ دمشق (١٦/ ١٥٣أ) فهي من مراسيل الزهري ومراسيله لا شيء وفي إسنادها كذلك الواقدي وهو متروك.

٣ - وأما ما أخرجه ابن عساكر في تأريخ دمشق (١٣/ ٢٦٢ ب) عن عمر بن الحكم فهي مرسلة فعمر بن الحكم ولد سنة ٣٧ هـ أي في السنة التي وقعت فيها المعركة فأين له التناوش من بعيد؟

وأضف إلىٰ ذلك ففي إسناده أبو بكر بن أبي سبرة وقد اتهمه أحمد بوضع الحديث، وفيه الواقدي وهو متروك.

٤ - وأما ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٤٦٣) والطبري من غير رواية أبي مخنف (٥/ ٥٧) فهي من مراسيل الزهري ومراسيله كالريح لا شيء أضف إلى ذلك فهي من رواية يونس عن الزهري وروايته عن الزهري مناكير كما قال أحمد فماذا يقول المبتدعة ومن اعتمد على رواياتهم من المستشرقين والمتغربين؟؟ والحمد لله علىٰ نعمة الإسناد.

مروانُ لجأ إليه يومَ الجمل: هذا أمرٌ لي فيه شركاء، أستشير وأنظر. فلما رأى زياد تَثاقُلَ مالك؛ خاف أن تختلف ربيعة، فأرسل إلى نافع أن أشِرْ عليّ، فأشار عليه نافع بصَبِرة بن شَيْمان الحُدّانيّ، فأرسل إليه زياد، فقال: ألا تجيرني! وبيت مالِ المسلمين فإنه فَيْئُكم، وأنا أمينُ أمير المؤمنين. قال: بلى إن حملتَه إليّ ونزلتَ داري. قال: فإني حامله، فحَمَله، وخرج زياد حتى أتى الحُدّان، ونزل في دار صَبِرة بن شَيْمان، وحوّل بيت المال والمنبر، فوضعه في مسجد الحُدّان، وتحوّل مع زياد خمسون رجلاً، منهم أبو أبي حاضر ـ وكان زياد يصلي الجمعة في مسجد الحُدَّان، ويطعم الطعام ـ فقال زياد لجابر بن وهب الرّاسبيّ: يا أبا محمد! إني لا أرى ابنَ الحضرميّ يكفّ، لا أراه إلا سيقاتلكم، ولا أدري ما عند أصحابك فآمِرْهم، وانظر ما عندهم، فلما صلى زياد جلس في المسجد، واجتمع الناس إليه، فقال جابر: يا معشرَ الأزد! تميم تَزعم: أنهم هم الناس، وأنهم أصبرُ منكم عند البأس، وقد بلغني أنهم يريدون أن يسيروا إليكم حتى يأخذوا جارَكم، ويخرجوه من المِصر قسْراً، فكيف أنتم إذا فعلوا ذلك وقد أجَرْتموه وبيت مال المسلمين! فقال صَبِرة بن شَيْمان ـ وكان مفخّماً: إن جاء الأحنف جئت، وإن جاء الحُتَات جئت، وإن جاء شُبّان ففينا شُبّان. فكان زياد يقول: إنني استضحكت، ونهضت، وما كدتُ مكيدةً قطّ كنتُ إلى الفضيحة بها أقربَ مني للفضيحة يومئذ؛ لما غلبني من الضّحك. قال: ثمّ كتب زياد إلى عليّ: إنّ ابن الحضرميّ أقبل من الشأم فنزل في دار بني تميم، ونَعَى عثمان، ودعا إلى الحرب، وبايعتْه تميم وجُلُّ أهل البصرة، ولم يبقَ معي مَن أمتنع به، فاستجرت لنفسي ولبيت المال صَبِرة بن شَيْمان، وتحوّلت فنزلت معهم، فشيعةُ عثمان يختلفون إلى ابن الحضرميّ، فوجّه عليّ أعين بن ضُبَيعة المجاشعيّ ليفرّق قومه عن ابن الحضْرميّ. فانظر ما يكون منه، فإن فُرّق جمعُ ابن الحضرميّ، فذلك ما تُريد، وإن ترقّت بهم الأمور إلى التمادي في العصيان؛ فانهض إليهم فجاهدْهم، فإنْ رأيتَ ممن قِبَلك تثاقلاً، وخِفتَ ألاّ تبلغ ما تريد، فدارهمْ وطاوِلهم، ثم تسمّع وأبصر، فكأنّ جنود الله قد أظلّتك، تقتل الظالمين، فقَدِم أعيَن فأتى زياداً، فنزل عنده، ثم أتى قومَه، وجمع رجالاً ونهض إلى ابن الحضرميّ، فدعاهم، فشتموه، وناوشوه، فانصرف عنهم، ودخل عليه قوم فقتلوه، فلما قتل أعيَن بن ضُبيعة؛ أراد زياد قتالَهم، فأرسلتْ بنو تميم إلى

الأَزْد: إنّا لم نَعرِض لجاركم ، ولا لأحد من أصحابه ، فماذا تريدون إلى جارنا وحربنا! فكرِهَت الأزد القتالَ ، وقالوا: إن عَرَضوا لجارنا منعناهم ، وإن يكفُّوا عن جارنا كففْنا عن جارهم ، فأمسكوا ، وكتب زيادٌ إلى عليّ: أن أعيَن بن ضُبيَعة قَدِم فجمعَ مَن أطاعه من عشيرته ، ثم نهض بهم بجدّ وصدق نيّة إلى ابن الحضرميّ ، فحثّهم على الطاعة ، ودعاهم إلى الكفّ والرجوع عن شِقاقهم ، ووافقتْهم عامّة قوم ، فهالَهم ذلك ، وتصدَّع عنهم كثير ممن كان معهم ، يمنّيهم نُصرَته ، وكانت بينهم مناوَشة. ثم انصرف إلى أهله ، فدخلوا عليه ، فاغتالوه فأصيب ، رحم الله أعيَن! فأردت قتالَهم عند ذلك ، فلم يخفّ معي مَن أقوَى به عليهم ، وتَراسَل الحيّان ، فأمسك بعضُهم عن بعض.

فلما قرأ عليٌّ كتابَه دعا جارية بن قدامة السعديّ ، فوجّهه في خمسين رجلاً من بني تميم ، وبعث معه شريك بن الأعور ـ ويقال: بعث مع جارية خمسمئة رجل ـ وكَتَب إلى زياد كتاباً يصوّب رأيه فيما صنع ، وأمَرَه بمعونة جارية بن قُدامة والإشارةِ عليه ، فقدِم جارية البصرة ، فأتى زياداً فقال له: احتفِزْ واحذر أن يصيبَك ما أصاب صاحبَك ، ولا تثِقنّ بأحد من القوم ، فسار جارية إلى قومه فقرأ عليهم كتابَ عليّ ، ووعدهم ، فأجابه أكثرُهم ، فسار إلى ابن الحضرميّ فحصره في دار سُنْبيل ، ثم أحرَق عليه الدار وعلى من معه ، وكان معه سبعين رجلاً ـ ويقال أربعون ـ وتفرّق الناس ، ورجع زياد إلى دار الإمارة ، وكتب إلى عليّ مع ظَبْيان بن عُمارة ، وكان ممن قَدِم مع جارية. . . . . . وأنّ جارية قَدِم علينا فسار إلى ابن الحضرميّ فقَتله حتى اضطرّه إلى دار من دُور بني تميم ، في عدّة رجال من أصحابه بعد الإعذار والإنذار ، والدعاء إلى الطاعة ، فلم يُنيبوا ولم يَرجِعوا ، فأضرَم عليهم الدّار فأحرَقَهم فيها ، وهُدّمتْ عليهم ، فبعداً لمن طغى وعَصَى!
فقال عمرو بن العَرنْدَس العَوْديّ:

رَدَدْنا زِياداً إلى دارِهِ ... وجارُ تَميمٍ دخاناً ذَهَبْ
لحَى اللهُ قَوْماً شَوَوْا جارَهُمْ ... وللشّاءِ بالدِّرْهَمَيْن الشَّصَبْ
يُنادي الخِناقُ وخُمَّانُها ... وقد سَمَطوا رأسَهُ باللَّهَبْ
ونحنُ أُناسٌ لنا عادَةٌ ... نحامي عَن الجارِ أَنْ يُغْتَصبْ
حمَيْناهُ إذْ حَلَّ أبياتَنا ... ولا يَمْنَعُ الجارَ إلا الحَسَبْ

وَلَــمْ يَعْــرِفــوا حُــرْمَــةً لِلْجِــوا ... ر إذْ أَعظَــم الجــارَ قَــوْمٌ نُجُــبْ
كفِعْلِهِــمُ قَبلَنــا بــالــزُّبَيْــر ... عَشِيَّـــةَ إذْ بَـــزُّهُ يُسْتَلَـــبْ

وقال جرير بن عطيّة بن الخَطَفَي :

غَــدَرْتــمْ بــالــزُّبَيْــرِ فمــا وَفَيْتــمْ ... وَفــاءَ الأَزدِ إذ مَنَعُــوا زِيــادَا
فــأَصْبَــح جــارهُــمْ بنجــاةِ عِــزٍّ ... وجــارُ مُجــاشــعٍ أَمَســى رمــادا
فلــوْ عــاقَــدتَ حَبْــلَ أَبــي سعيــدٍ ... لــذادَ القَــوْمَ مــا حَمَــل النِّجــادا
وأَدْنــى الخَيْــلَ مِــنْ رَهَــجِ المنايــا ... وأَغْشَــاهــا الأَسِنّــةَ والصِّعــادا[1]

(٥ : ١١٠/١١١/١١٢/١١٣).

الخرّيت بن راشد وإظهاره الخلاف على عليّ

١١٨٤ ـ ومما كان في هذه السنة ـ أعني: سنة ثمان وثلاثين ـ إظهار الخِرّيت بن راشد في بني ناجية الخلاف على عليّ ، وفراقُه إياه؛ كالذي ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف ، عن الحارث الأزديّ ، عن عمّه عبد الله بن فُقَيم ، قال: جاء الخِرِّيت بن راشد إلى عليّ ـ وكان مع الخِرّيت ثلاثمئة رجل من بني ناجية مقيمين مع عليّ بالكوفة ، قَدِموا معه من البصرة ، وكانوا قد خرجوا إليه يومَ الجمل ، وشَهِدوا معه صِفّينَ والنّهروان ـ فجاء إلى عليّ في ثلاثين راكباً من أصحابه يسير بينهم حتى قام بين يَدَيْ عليّ ، فقال له: والله يا عليّ لا أطيع أمرَك ، ولا أصلّي خلفك ، وإنّي غداً لمُفارِقك ! وذلك بعد تحكيم الحَكَمين ، فقال له عليّ: ثكِلتْك أمّك! إذاً تعصي ربّك ، وتَنكُث عهدَك ، ولا تضرّ إلا نفسك ، خبِّرني لِمَ تفعل ذلك؟! قال: لأنك حكّمتَ في الكتاب ، وضعُفتَ عن الحقّ إذ جدّ الجدّ ، وركنتَ إلى القوم الذين ظلموا أنفسَهم ، فأنا عليك زارٍ ، وعليهم ناقِم ، ولكم جميعاً مُبَاين ، فقال له عليّ: هلمّ أدارِسْك الكتاب ، وأناظِرْك في السنن ، وأفاتحْك أموراً من الحقّ أنا أعلَم بها منك ، فلعلك تعرف ما أنت له الآن مُنكِر ، وتَستبصِر ما أنت عنه الآن جاهل. قال: فإني عائد إليك. قال: لا يستهوينّك الشيطان ، ولا يستخفنّك الجهل ، ووالله لئن استرشدْتني ،

(١) هذا إسناد مرسل إن لم يكن معضلاً.

واستنصحتني ، وقبلتَ منّي؛ لأهدينّك سبيلَ الرشاد.

فخرج من عنده منصرفاً إلى أهله ، فعجِلْت في أثره مسرِعاً ، وكان لي من بني عمّه صديق ، فأردت أن ألقى ابنَ عمّه ذلك فأعلمه بشأنه ، ويأمره بطاعة أميرِ المؤمنين ومناصحته ، ويخبره: أنّ ذلك خير له في عاجل الدنيا وآجلِ الآخرة ، فخرجت حتى انتهيت إلى منزله وقد سبقني ، فقمت عند باب داره ، وفي داره رجال من أصحابه لم يكونوا شهدوا معه دخولَه على عليّ. قال: فوالله ما جزم شيئاً مما قال ، ومما ردّ عليه ، ثم قال لهم: يا هؤلاء ! إني قد رأيت أن أفارقَ هذا الرجل ، وقد فارقتُه على أن أرجعَ إليه من غد ، ولا أراني إلاّ مُفارقه من غد. فقال له أكثر أصحابه: لا تفعل حتى تأتيَه ، فإنْ أتاك بأمرٍ تعرفه قبلتَ منه ، وإن كانت الأخرى فما أقدَرَك على فراقه ، فقال لهم: فنِعم ما رأيتم. قال: ثم إني استأذنت عليه ، فأذنوا لي ، فدخلتُ فقلت: أنشُدك اللهَ أن تفارق أمير المؤمنين ، وجماعةَ المسلمين ، وأن تجعل على نفسك سبيلاً ، وأن تقتل مَنْ أرى من عشيرتك! إنّ عليّاً لَعلَى الحقّ. قال: فأنا أغدو إليه فأسمع منه حجّته ، وأنظر ما يعرض عليّ به ويذكر ، فإن رأيتُ حقّاً ورُشْداً؛ قبلتُ ، وإن رأيتُ غَيّاً وجَوراً؛ تَركتُ. قال: فخلوت بابن عمّه ذلك ـ قال: وكان أحد نفره الأدنين ، وهو مدرك بن الرّيان ، وكان من رجال العرب ـ فقلت له: إنّ لك عليّ حقّاً لإخائك وودّك ذلك عليّ بعد حقّ المسلم على المسلم ، إنّ ابنَ عمّك كان منه ما قد ذكر لك ، فأجِدَّ به ، فاردد عليه رأيَه ، وعظّم عليه ما أتَى ، فإني خائف إن فارق أمير المؤمنين أن يقتله نفسه وعشيرته ، فقال: جزاك الله خيراً من أخ! فقد نصحتَ وأشفقتَ ، إن أراد صاحبي فراقَ أمير المؤمنين فارقتُه وخالفته ، وكنتُ أشدّ الناس عليه ، وأنا بعدُ فإني خال به ، ومشيرٌ عليه بطاعة أمير المؤمنين ، ومناصحتِه ، والإقامةِ معه ، وفي ذلك حظّه ورشْدُه.

فقمت من عنده ، وأردتُ الرُّجوعَ إلى أمير المؤمنين لأعلِمَه بالذي كان ، ثم اطمأننت إلى قول صاحبي ، فرجعتُ إلى منزلي فبتّ به ثم أصبحت ، فلما ارتفع الضحى أتيتُ أميرَ المؤمنين ، فجلستُ عنده ساعةً وأنا أريد أن أحدّثه بالذي كان من قوله لي على خَلوة ، فأطلت الجلوس ، فلم يزدد الناسُ إلا كثرةً ، فدنوت منه ، فجلستُ وراءه ، فأصغى إليّ بأذنيه ، فخبَّرته بما سمعتُ من الخِرّيت بن

راشد ، وبما قلتُ له ، وبما ردّ علي ، وبما كان من مقالتي لابن عمّه ، وبما ردّ عليّ ، فقال: دَعْه ، فإن عَرَف الحقّ وأقبلَ إليه؛ عرفْنا ذلك ، وقَبِلْنا منه ، وإن أبى ؛ طلبناه ، فقلت: يا أمير المؤمنين ! ولِمَ لا تأخذه الآن وتستوثقُ منه وتحبسه؟ فقال: إنا لو فعلنا هذا بكلّ مَنْ نتّهمه من الناس ملأنا سجننَا منهم ، ولا أراه ـ يعني الوثوبَ على الناس والحبس والعقوبة ـ حتى يُظهروا لنا الخلاف ، قال: فسكتّ عنه ، وتنحّيت ، فجلست مع القوم.

ثم مكث ما شاء الله ، ثم إنه قال: ادنُ منّي؛ فدنوتُ منه ، فقال لي مسرّاً: اذهب إلى منزل الرجل فاعلَم لي ما فعل ، فإنه كلّ يوم لم يكن يأتيني فيه إلا قبل هذه الساعة ، فأتيتُ منزلَه ، فإذا ليس في منزله منهم ديّار ، فدعوتُ على أبواب دور أخرى كان فيها طائفة من أصحابه ، فإذا ليس فيها داعٍ ولا مجيب ، فرجعت. فقال لي حين رآني: وطنوا فأمِنوا ، أم جنبوا فظَعَنوا! فقلت: بل ظعنوا فأعلنوا ، فقال: قد فعلوها! بُعداً لهم كما بَعِدتْ ثمود! أما لو قد أشرِعَتْ لهم الأسنّة ، وصبّبَتْ على هامهم السيوف ، لقد ندموا. إنّ الشيطان اليومَ قد استهواهم وأضلّهم ، وهو غداً متبرّىء منهم ، ومخلٍّ عنهم.

فقام إليه زياد بن خَصَفة ، فقال: يا أمير المؤمنين ! إنه لو لم يكن من مضرّة هؤلاء إلا فراقهم إيّانا لم يعظم فقدُهم فنَأسَى عليهم ، فإنّهم قلّما يزيدون في عددنا لو أقاموا معنا ، وقلّما ينقصون من عددنا بخروجهم عنّا ، ولكنا نخاف أن يفسدوا علينا جماعةً كثيرة ممن يقدمون عليه من أهل طاعتك ، فائْذَنْ لي في اتّباعهم حتى أردّهم عليك إن شاء الله. فقال له عليّ: وهل تدري أين توجّه القوم؟ فقال: لا ، ولكني أخرج فأسأل وأتبع الأثر. فقال له: اخرُج رحمك الله حتى تنزل ديرَ أبي موسى ، ثم لا تتوجّه حتى يأتيَك أمري ، فإنهم إن كانوا خرجوا ظاهرين للناس في جماعة. فإنّ عمّالي ستكتب إليّ بذلك ، وإن كانوا متفرّقين مستخفين فذلك أخفى لهم ، وسأكتب إلى عمّالي فيهم. فكتب نسخةً واحدةً فأخرجها إلى العمّال:

أما بعد ، فإنّ رجالاً خرجوا هُرّاباً ونظنّهم وجّهوا نحوَ بلاد البَصرة ، فسلْ عنهم أهلَ بلادِك ، واجعل عليهم العيونَ في كلّ ناحية من أرضك ، واكتب إليّ بما ينتهي إليك عنهم ، والسلام.

فخرج زياد بن خَصَفة حتى أتى دارَه ، وجمع أصحابه ، فحمد الله وأثنى عَليه ، ثمّ قال: أمّا بعد يا معشرَ بكر بن وائل ، فإنّ أمير المؤمنين ندَبني لأمر من أمره مُهِمّ له ، وأمرني بالانكماش فيه ، وأنتم شيعتُه وأنصارُه ، وأوثقُ حيٍّ من الأحياء في نفسه ، فانتدِبوا معي الساعة ، واعجلوا. قال: فوالله ما كان إلا ساعةً حتى اجتمع له منهم مئة وعشرون رجلاً أو ثلاثون؛ فقال: اكتفينا ، لا نريد أكثرَ من هذا ، فخرجوا حتى قطعوا الجسر ، ثم دير أبي موسى ، فنزله ، فأقام فيه بقيّة يومه ذلك ينتظر أمرَ أمير المؤمنين.

رجع الحديث إلى حديث أبي مِخْنف ، قال أبو مخنف: وحدّثني الحارث بن كعب عن عبد الله بن فُقَيم الأزديّ ، قال: كنت أنا وأخي كعب في ذلك الجيش مع مَعْقل بن قيس ، فلما أراد الخروج؛ أقبل إلى عليّ فودّعه ، فقال: يا معقِل! اتّق الله ما استطعت ، فإنّها وصية الله للمؤمنين ، لا تَبغِ على أهل القبلة ، ولا تظلم أهلَ الذّمّة ، ولا تتكبّر فإن الله لا يحبّ المتكبّرين. فقال: الله المستعان! فقال له عليّ: خيرُ مستعان؛ قال: فخرج؛ وخرجنا معه حتى نزلنا الأهواز ، فأقمنا ننتظر أهلَ البصرة ، وقد أبطؤوا علينا ، فقام فينا معقلُ بن قيس ، فقال: يا أيّها الناس! إنا قد انتظرنا أهلَ البصرة ، وقد أبطؤوا علينا ، وليس بحمد الله بنا قِلةٌ ولا وَحْشة إلى الناس ، فسيروا بنا إلى هذا العدوّ القليل الذّليل ، فإني أرجو أن ينصركم الله ، وأن يهلِكهم.

قال: فقام إليه أخي كعب بن فُقَيم ، فقال: أصبتَ ـ أرشَدَكَ الله ـ رأيَك! فوالله إني لأرجو أن يَنصرَنا الله عليهم ، وإن كانت الأخرى فإنّ في الموت على الحقّ تعزيةً عن الدنيا ، فقال: سيروا على بَرَكة الله؛ قال: فسِرْنا ووالله ما زال معقِل لي مُكرماً وَادّاً ، ما يَعدل بي من الجند أحداً؛ قال: ولا يزال يقول: وكيف قلت: إنّ في الموت على الحقّ تعزية عن الدّنيا؟ صدقت واللهِ ، وأحسنت ، ووُفِّقت! فوالله ما سِرْنا يوماً حتى أدركَنَا فيْج يشتدّ بصحيفة في يده من عند عبد الله بن عباس: أما بعد ، فإن أدركك رسولي بالمكان الذي كنت فيه مقيماً ، أو أدرَكك وقد شخصْتَ منه ، فلا تبرحْ المكانَ الذي ينتهي فيه إليك رسولي ، واثبتْ فيه حتى يقدم عليك بعثُنا الذي وجّهناه إليك ، فإني قد بعثتُ إليك خالدَ بن معدان الطائيّ ، وهو من أهل الإصلاح والدِّين والبأس والنجدة ، فاسمع منه ، واعرف ذلك له؛ والسلام.

فقرأ معقل الكتاب على الناس ، وحَمِد الله ، وقد كان ذلك الوجه هالهم. قال: فأقمنا حتى قدم الطائيّ علينا ، وجاء حتى دخل على صاحبنا ، فسلَّم عليه بالإمْرة ، واجتمعا جميعاً في عسكر واحد. قال: ثم إنا خرجْنا فسرنا إليهم ، فأخذوا يرتفعون نحو جبال رامَهُرْمُز يريدون قَلعةً بها حصينة وجاءنا أهلُ البلد فأخبرونا بذلك ، فخرجْنا في آثارهم نُتبعهم ، فلحقناهم وقد دنَوا من الجبل ، فصففْنا لهم ، ثم أقبلْنا إليهم ، فجعل معقِل على ميمنته يزيدَ بن المغْفِل ، وعلى ميسرته مِنجاب بن راشد الضبِّيّ من أهل البَصرة ، وصَفّ الخِرّيت بن راشد الناجيّ مَنْ معه من العرب ، فكانوا ميمنةً ، وجعل أهل البلد والعُلوج ومَنْ أراد كسرَ الخراج وأتباعهم من الأكراد ميسَرة. قال: وسار فينا مَعْقل بن قيس يحرّضنا ويقول لنا: عبادَ الله! لا تَعدِلوا القومَ بأبصاركم ، غُضّوا الأبصار ، وأقلّوا الكلام ، ووطّنوا أنفسكم على الطعن والضرب ، وأبشِروا في قتالهم بالأجر العظيم ، إنما تقاتلون مارقةً مرقتْ من الدين ، وعُلوجاً منعوا الخَراج؛ وأكراداً: انظروني فإذا حملتُ؛ فشدّوا شَدّة رجل واحد. فمرّ في الصفّ كله يقول لهم هذه المقالة ، حتى إذا مرّ بالناس كلّهم أقبل حتى وقف وسط الصفّ في القلب ، ونظرنا إليه ما يصنع!

فحرّك رايته تحريكتين ، فوالله ما صبروا لنا ساعةً حتى ولَّوا ، وشدَخنْا منهم سبعين عربيّاً من بني ناجية ، ومن بعض من اتّبعهم من العرب ، وقتلْنا نحواً من ثلاثمئة من العُلوج والأكراد ، قال كعب بن فُقَيم: ونظرتُ فيمن قُتِل من العرب ، فإذا أنا بصديقي مدرك بن الرّيان قتيلاً ، وخرج الخِرّيت بن راشد وهو منهزِم حتى لحق بأسياف البحر ، وبها جماعة من قومه كثير ، فما زال بهم يسير فيهم ويدعوهم إلى خلاف عليّ ، ويبيّن لهم فراقَه ، ويخبرهم: أنّ الهدى في حربه ، حتى اتبعه منهم ناس كثير ، وأقام معقِل بن قيس بأرض الأهواز ، وكتب إلى عليّ معي بالفتح ، وكنت أنا الذي قدمتُ عليه ، فكتب إليه:

بسم الله الرّحمن الرّحيم ، لعبد الله عليّ أمير المؤمنين ، من معقِل بن قيس. سلامٌ عليك ، فإني أحمد إليكَ الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنا لقِينا المارقين ، وقد استظهَروا علينا بالمشركين ، فقتَلْناهم قتلَ عاد وإرَم ، مع أنا لم نَعْدُ فيهم سيرتَك ، ولم نقتل من المارقين مدبراً ولا أسيراً ، ولم نذفّف منهم على

جريح ، وقد نصرك الله والمسلمين ، والحمد لله رب العالمين .

قال : فقدمتُ عليه بهذا الكتاب ، فقرأه على أصحابه ، واستشارهم في الرأي ، فاجتمع رأيُ عامّتهم على قول واحد ، فقالوا له : نرى أن تكتب إلى معقل ابن قيس فيتبع أثرَ الفاسق ، فلا يزال في طلبه حتى يَقتلَه أو ينفيَه ، فإنا لا نأمن أن يُفسد عليك الناس . قال : فردّني إليه ، وكتب معي :

أمّا بعد ، فالحمد لله على تأييد أوليائه ، وخذلان أعدائه ، جزاك الله والمسلمين خيراً ، فقد أحسنتم البلاء ، وقضيتم ما عليكم ، وسَلْ عن أخي بني ناجية ، فإنْ بلغك أنه قد استقرّ ببلد من البُلدان فسرْ إليه حتى تَقتلَه ، أو تنفيَه ، فإنه لن يزال للمسلمين عدوّاً ، وللقاسِطِين وليّاً ، ما بقي ؛ والسلام عليك .

فسأل معقل عن مستقرّه ، والمكان الذي انتهَى إليه ، فنبِّىءَ بمكانه بالأسياف ، وأنَّه قد ردّ قومه عن طاعة عليّ ، وأفسدَ مَنْ قِبَله مِن عبد القيس ومَن والاهم من سائر العرب ، وكان قومُه قد منعوا الصَّدَقة عام صِفين ، ومنعوها في ذلك العام أيضاً ، فكان عليهم عِقالان ، فسار إليهم معقل بن قيس في ذلك الجيش من أهل الكوفة وأهل البصرة ، فأخذ على فارسَ حتى انتهى إلى أسياف البحر ، فلما سمع الخِرّيت بن راشد بمسيره إليه أقبل على مَنْ كان معه من أصحابه ممن يَرَى رأيَ الخوارج ، فأسرَّ لهم : إني أرى رأيكم ، فإنّ عليّاً لن ينبغي له أن يُحكِّم الرجالَ في أمر الله ، وقال للآخرين منددّاً لهم : إنّ عليّاً حَكّم حَكَماً ، ورَضِيَ به ، فَخلَعه حكَمُه الذي ارتضاه لنفسه ، فقد رضيتُ أنا من قضائه وحكمه ما ارتضاه لنفسه ، وهذا كان الرأي الذي خرج عليه من الكوفة . وقال سرّاً لمن يرى رأيَ عثمان : أنا والله على رأيكم ، قد والله قُتل عثمان مظلوماً ، فأرضى كلّ صنف منهم ، وأراهم أنه معهم ، وقال لمن منع الصدقة : شدّوا أيديَكم على صدقاتكم ، وصِلُوا بها أرحامَكم ، وعودوا بها إن شئتم على فقرائكم ، وقد كان فيهم نصارى كثير قد أسلموا ، فلمّا اختلف الناسُ بينهم ؛ قالوا : والله لَدينُنا الذي خرجْنا منه خيرٌ وأهدى من دين هؤلاء الذي هم عليه ؛ ما ينهاهم دينهُم عن سفك الدماء ، وإخافةِ السبيل ، وأخذ الأموال . فرجعوا إلى دينهم ، فلقيَ الخِرّيت أولئك ، فقال لهم : وَيْحكم ! أتدرون حُكمَ عليّ فيمن أسلم من النصارى ، ثم رجع إلى نصرانيّته ؟ لا والله ما يسمع لهم قولاً ، ولا يرى لهم عذراً ، ولا يقبل

منهم توبة ولا يدعوهم إليها، وإنّ حكمه فيهم لضربُ العنق ساعةَ يستمكِن منهم.

فما زال حتى جمعهم، وخدَعَهم، وجاء من كان من بني ناجية ومن كان في تلك الناحية من غيرهم، واجتمع إليهم ناسٌ كثير.

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف: قال أبو مِخْنف: وحدّثني الحارث بن كعب، قال: لما رجع إلينا معقل بن قيس قرأ علينا كتاباً من عليّ:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عليٍّ أميرِ المؤمنين إلى من يُقْرَأ عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين، والنّصارى والمرتدِّين. سلامٌ عليكم وعلى من اتّبع الهدى وآمَن بالله ورسوله وكتابه والبعثِ بعد الموت وأوفى بعهد الله ولم يكن من الخائنين، أمّا بعد، فإني أدعوكم إلى كتاب الله، وسنّة نبيّه، والعملِ بالحقّ، وبما أمر الله في الكتاب، فمن رجع إلى أهله منكم وكفّ يده واعتزَل هذا الهالكَ الحاربَ الذي جاء يحارب الله ورسولَه والمسلمين، وسعَى في الأرض فساداً، فله الأمان على ماله ودمه، ومَن تابَعَه على حربنا والخروج من طاعتنا، استعنّا بالله عليه، وجعلْنا اللهَ بيننا وبينه، وكفى بالله نصيراً!

وأخرج معقل رايةَ أمانٍ فنصَبَها، وقال: مَن أتاها من الناس فهو آمن، إلا الخِرّيت وأصحابه الذين حاربونا وبدؤونا أوَل مرّة، فتفرّق عن الخِرّيت جُلّ مَن كان معه من غير قومه، وعبّأ معقِل بن قيس أصحابَه، فجعل على ميمنته يزيد بن المُغْفِل الأزديّ، وعلى ميسرته المِنْجاب بن راشد الضبيّ، ثم زحف بهم نحو الخِرّيت، وحضر معه قومُه مسلموهم ونصاراهم ومانعةُ الصدقة منهم[1].
(٥: ١١٣/ ١١٤/ ١١٥/ ١١٦ تكملة ١٢٢/ ١٢٣/ ١٢٤/ ١٢٥ تكملة ١٢٦/ ١٢٧).

١١٨٥ - قال أبو مخنف: فحدّثني أبو الصَّلْت الأعوَر التيميّ عن أبي سعيد العُقَيليّ، عن عبد الله بن وأل التيميّ، قال: والله إني لَعندَ أمير المؤمنين إذ جاءه فَيْج، كتابٌ بيديْه، من قِبَل قَرَظة بن كعب الأنصاريّ:

---

(١) إسناده تالف.

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد: فإنّي أخبر أميرَ المؤمنين: أنّ خيلاً مرّت بنا من قِبَل الكوفة متوجِّهةً نحوَ نِفّر، وإنّ رجلاً من دَهاقين أسفل الفرات قد صلّى، يقال له: زاذان فرّوخ، أقبل من قبَل أخواله بناحية نِفّر، فعَرضوا له، فقالوا: أمسلِم أنت أم كافر؟ فقال: بل أنا مسلم، قالوا: فما قولُك في عليّ؟ قال: أقول فيه خيراً، أقول: إنه أميرُ المؤمنين، وسيّد البَشَر، فقالوا له: كفرت يا عدوّ الله! ثم حَملتْ عليه عصابةٌ منهم فقطّعوه، ووجدوا معه رجلاً من أهل الذمّة، فقالوا: ما أنت؟ قال: رجل من أهل الذّمة، قالوا: أمّا هذا فلا سبيلَ عليه، فأقبل علينا ذلك الذّميّ فأخبرَنَا هذا الخبر، وقد سألتُ عنهم فلم يخبرْني أحدٌ عنهم بشيء، فليكتب إليّ أميرُ المؤمنين برأيه فيهم أنْتَهِ إليه. والسّلام.

فكتب إليه:

أما بعد: فقد فهمتُ ما ذكرتَ من العصابة التي مرّت بك، فقتلت البَرَّ المُسلِم، وأمِن عندهم المخالِف الكافر، وإنّ أولئك قومٌ استهواهم الشيطان، فضلّوا، وكانوا كالذين حسبوا ألاّ تكونَ فتنةٌ، فعَموا، وصَمُّوا، فأسمِع بهم وأبصِر يوم تُخبَر أعمالهم. والزم عملَك، وأقبِل على خَراجِك؛ فإنك كما ذكرتَ في طاعتك ونصيحتك؛ والسلام[1]. (٥ : ١١٧).

١١٨٦ ـ قال أبو مخنف: وحدّثني أبو الصّلت الأعور التيْميّ عن أبي سعيد العُقَيْليّ، عن عبد الله بن وأل، قال: كتب عليٌّ عليه السلام معي كتاباً إلى زياد بن خَصَفة؛ وأنا يومئذ شابٌ حَدَث:

أما بعد: فإنّي كنت أمرتك أن تنزل ديرَ أبي موسى حتى يأتيَك أمري، وذلك لأنّي لم أكنِ علمت إلى أيّ وجه توجّه القوم، وقد بلغني أنهم أخذوا نحو قرية يقال لها: نِفّر، فاتّبع آثارَهم، وسلْ عنهم، فإنهم قد قتلوا رجلاً من أهل السواد مصلّياً، فإذا أنت لحقتَهم؛ فارددْهم إليّ، فإن أبوْا؛ فناجِزْهم، واستعِن بالله

(١) إسناده تالف.

عليهم ، فإنهم قد فارقوا الحقّ ، وسَفَكوا الدم الحرام ، وأخافوا السبيل ! والسلام .

قال : فأخذتُ الكتاب منه ، فمضيتُ به غيرَ بعيد ، ثم رجعتُ به ، فقلت : يا أميرَ المؤمنين ! ألا أمضي مع زياد بن خَصَفة إذا دفعتُ إليه كتابك إلى عدوّك؟ فقال : يا بنَ أخي ! افعل ، فوالله إني أرجو أن تكون من أعواني على الحقّ ، وأنصاري على القوم الظالمين ! فقلت له : أنا والله يا أميرَ المؤمنين كذلك ، ومن أولئك ، وإنا حيث تحبّ !

قال ابن وأل : فوالله ما أحبّ أنّ لي بمقالة عليّ تلك حُمْر النَّعَم .

قال : ثمّ مضيت إلى زياد بن خَصَفة بكتاب عليٍّ ؛ وأنا على فرس لي رائع كريم ، وعليَّ السلاح ، فقال لي زياد : يا بن أخي ! والله مالي عنك من غَناء ! وإنّي لأحبّ أن تكون معي في وجهي هذا ؛ فقلت له : قد استأذنتُ في ذلك أميرَ المؤمنين فأذِن لي ، فسرّ بذلك .

قال : ثمّ خرجنا حتى أتينا نِفّر ، فسألنا عنهم ، فقيل لنا : قد ارتفعوا نحو جَرْجَرايا ، فاتّبعناهم ، فقيل لنا : قد أخذوا نحو المذار ، فلحقناهم ؛ وهم نزول بالمذار ، وقد أقاموا به يوماً وليلة ، وقد استراحوا ، وأعلفوا ؛ وهم جامّون ، فأتيناهم ؛ وقد تقطّعنا ، ولَغِبنا ، وشَقِينا ، ونَصِبنا ، فلما رأونا ؛ وثبوا على خيولهم فاستوَوْا عليها ، وجئنا حتى انتهينا إليهم ، فواقَفْناهم ، ونادانا صاحبهم الخِرّيتُ بن راشد : ياعميانَ القلوب والأبصار ! أمع اللهِ أنتم وكتابه وسنّة نبيه ، أم مع الظالمين؟ فقال له زياد بن خَصَفة : بل نحن مع الله ومَنِ اللهُ وكتابه ورسوله آثَرُ عندَه ثواباً من الدّنيا منذ خلقت إلى يوم تفنى ، أيُّها العُمْي الأبصار ، الصُّمُّ القلوب ، والأسماع ! فقال لنا : أخبروني ما تريدون؟ فقال له زياد ـ وكان مجرّباً رفيقاً : قد ترى ما بنا من اللُّغوب والسغوب ، والذي جئنا له لا يُصلِحه الكلامُ علانيةً على رؤوس أصحابي وأصحابك ، ولكن أنزل وتنزل ، ثم نخلو جميعاً فنتذاكر أمرَنا هذا جميعاً وننظر ، فإن رأيتَ ما جئناك فيه حظّاً لنفسك قبلتَه ، وإن رأيتَ فيما أسمعه منك أمراً أرجو فيه العافية لنا ولك لم أردُدْه عليك . قال : فانزل بنا ، قال : فأقبل إلينا زياد فقال : انزلوا بنا على هذا الماء ؛ قال : فأقبلْنا حتى إذا انتهينا إلى الماء ، نزلناه فما هو إلا أن نزلْنا فتفرّقنا ، ثم تحلّقنا من عشرة وتسعة

وثمانية وسبعة ، يضعون طعامَهم بين أيديهم فيأكلون ، ثم يقومون إلى ذلك الماء ، فيشربون. وقال لنا زياد: علّقوا علىٰ خيولكم ، فعلّقنا عليها مَخاليَها ، ووقف زياد بيننا وبين القوم ، وانطلق القوم فتنحَّوا ناحية ، ثم نزلوا ، وأقبل إلينا زياد ، فلما رأى تفرّقنا وتحلُّقَنا قال: سُبحان الله ، أنتم أهلُ حرب؟! والله لو أنّ هؤلاء جاؤوكم الساعةَ على هذه الحال ما أرادوا من غيركم أفضل من حالكم التي أنتم عليها. اعجَلوا ، قوموا إلى خيلكم ، فأسرعْنا ، فتحشحشنا فمنّا من يتنفض ، ثم يتوضّأ ، ومنّا من يشرب ، ومنا من يسقي فرسَه ، حتى إذا فرغنا من ذلك كله؛ أتانا زياد؛ وفي يده عرق ينهشه ، فنهش منه نهشتيْن أو ثلاثاً ، وأتى بأداوة فيها ماءٌ ، فشرب منه ، ثم ألقى العَرْق من يده ، ثم قال: يا هؤلاء ! إنا قد لقينا القومَ ، ووالله إن عدّتكم كعدّتهم ، ولقد حَزرْتكم وإيّاهم، فما أظنّ أحدَ الفريقين يزيدُ على الآخر بخمسة نفر ، وإنّي والله ما أرى أمرَهم وأمرَكم إلا يرجع إلى القتال ، فإن كان إلى ذلك ما يصيِّر بكم وبهم الأمور فلا تكونوا أعجزَ الفريقين. ثم قال لنا: ليأخذْ كلّ امرىء منكم بعنان فرسِه حتى أدنوَ منهم ، وادعوا إليّ صاحبَهم فأكلّمه ، فإن بايعَني على ما أريد؛ وإلا فإذا دعوتكم؛ فاستَوُوا على متون الخيل ، ثم أقبِلوا إليَّ معاً غيرَ متفرِّقين.

قال: فاستقدم أمامنا؛ وأنا معه ، فأسمع رجلاً من القوم يقول: جاءكم القوم وهم كالُّون معيُون ، وأنت جامُّون مستريحون ، فتركتموهم حتى نزلوا وأكلوا وشربوا واستراحوا؛ هذا والله سوءُ الرأي! والله لا يرجع الأمرُ بكم وبهمْ إلا إلى القتال ، فسكتوا ، وانتهينا إليهم ، فدعا زياد بن خَصَفة صاحبهم ، فقال: اعتزل بنا فلننظرْ في أمرنا هذا ، فوالله لقد أقبل إليّ زياد في خمسة ، فقلت لزياد: ادع ثلاثةً من أصحابنا حتى نلقاهم في عدّتهم؛ فقال لي: اُدع مَن أحببت منهم ، فدعوت من أصحابنا ثلاثاً ، فكنّا خمسةً وخمسةً ، فقال له زياد: ما الذي نقمْتَ على أمير المؤمنين وعلينا؛ إذ فارقْتَنا؟ فقال: لم أرضَ صاحبكم إماماً ، ولم أرضَ سيرتَكم سيرة ، فرأيتُ أن أعتزِل وأكونَ مع مَن يدعو إلى الشورى من الناس ، فإذا اجتمع الناسُ على رجل لجميع الأمة رضاً كنت مع الناس ، فقال له زياد: وَيْحك! وهل يجتمع الناسُ على رجلٍ منهم يداني صاحبَك الذي فارقته علماً بالله ، وبسُنن الله وكتابه ، مع قرابته من الرّسول ﷺ وسابقته في الإسلام!

فقال له: ذلك ما أقول لك؛ فقال له زياد: ففيم قتلتَ ذلك الرجل المسلم؟ قال: ما أنا قتلتُه، إنما قتلتْه طائفةٌ من أصحابي، قال: فادفعهم إلينا؛ قال: ما إلى ذلك سبيل؛ قال: كذلك أنت فاعل؟ قال: هو ما تسمع! قال: فدعَوْنا أصحابَنا، ودعا أصحابه، ثم أقبلنا؛ فوالله ما رأينا قتالاً مثلَه منذ خلقني ربّي، قال: اطّعنّا والله بالرماح حتى لم يبقَ في أيدينا رُمح! ثم اضطربنا بالسيوف حتى انحنتْ وعقِر عامّة خيلِنا وخيلهم، وكثرت الجراح فيما بيننا وبينهم، وقُتل منّا رجلان: مولًى زياد كانت معه رايتُه يدعى سُوَيداً، ورجلٌ من الأبناء يدعَى وافد بن بكر، وصرَعْنا منهم خمسةً، وجاء الليل يحجز بيننا وبينهم، وقد والله كرهونا وكرِهناهم، وقد جرح زياد، وجرحت.

قال: ثمّ إنّ القوم تنحّوا، وبتْنا في جانب، فمكثوا ساعةً من الليل، ثم إنهم ذهبوا، واتّبعناهم حتى أتينا البصرة، وبلَغَنا أنهم أتوا الأهواز، فنزلوا بجانب منها، وتلاحق بهم أناس من أصحابهم نحو من مئتين كانوا معهم بالكوفة، ولم يكن لهم من القوّة ما يُنهضهم معهم حتى نهضوا، فاتبعوهم فلحقوهم بأرض الأهواز، فأقاموا معهم، وكتب زياد بن خَصَفة إلى علي:

أمّا بعد، فإنا لقينا عدوّ الله الناجيّ بالمذار، فدعَوْناهم إلى الهدى والحقّ وإلى كلمة السَّواء، فلم ينزلوا على الحقّ، وأخذتْهم العزّة بالإثم، وزَيّن لهم الشيطان أعمالَهم فصدّهم عن السبيل، فقَصَدوا لنا، وصَمدْنا صمدَهم، فاقتتلْنا قتالاً شديداً ما بين قائم الظَّهيرةِ إلى دُلُوك الشمس، فاستشهِد منّا رجلان صالحان، وأصيب منهم خمسةُ نفر، وخلّوا لنا المعركة، وقد فشت فينا وفيهم الجراح. ثم إنّ القوم لما لبسهم الليل خرجوا من تحته متنكّبين إلى أرض الأهواز، فبلَغَنا أنهم نزلوا منها جانباً ونَحن بالبصرة نُداوِي جراحَنا، ونَنتظر أمرَك رحمك الله؛ والسّلام عليك.

فلما أتيتُه بكتابه قرأه على الناس، فقام إليه معقل بن قيس، فقال: أصلَحك الله يا أميرَ المؤمنين! إنما كان ينبغي أن يكون مع من يطلب هؤلاء مكان كلّ رجل منهم عشرة من المسلمين، فإذا لَحِقوهم استأصَلوهم وقطعوا دابرَهم، فأمّا أن يلقاهم أعدادُهم فلعَمري ليصبرُنّ لهم، هم قومٌ عرب، والعدّة تصبر للعدّة، وتنتصف منها، فقال: تجهّز يا معقلَ بنَ قيس إليهم، وندب معه ألفين من أهل

الكُوفة منهم يزيد بن المغفّل الأزديّ ، وكتب إلى ابن عباس :

أما بعد ، فابعث رجلاً من قِبَلك صليباً شجاعاً معروفاً بالصّلاح في ألفي رجل ، فليتبع معقِلاً ، فإذا مرّ ببلاد البصرة فهو أمير أصحابه حتى يلقى معقِلاً ، فإذا لقي معقلاً فمعقلٌ أميرُ الفريقين ، وليسمع من معقل وليُطِعه ، ولا يخالفه ، ومُر زيادَ بن خَصَفة فليُقبل ، فنعم المرءُ زياد ، ونعم القبيل قبيله[1]! (٥: ١١٧/ ١١٨/ ١١٩/ ١٢٠/ ١٢١).

١١٨٧ ـ قال أبو مخنف : وحدّثني أبو الصَّلت الأعور عن أبي سعيد العُقيليّ ، قال : كتب عليّ إلى زياد بن خَصَفة :

أما بعد : فقد بلغني كتابك ، وفهمتُ ما ذكرت من أمر الناجيّ وإخوانه الذين طبع الله على قلوبهم ، وزيَّن لهم الشيطانُ أعمالَهم فهم يعمَهون ، وَيحسبون أنهم يُحسنون صُنْعاً ، ووصفتَ ما بلغ بك وبهم الأمر ، فأمّا أنت وأصحابك فللَّه سعيُكم ، وعلى الله تعالى جَزاؤكم! فأبشرْ بثواب الله خيرٌ من الدنيا التي يقتل الجهّال أنفسَهم عليها ، فإنّ ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٦]. وأما عدوّكم الذين لقيتموهم فحسْبهم بخروجهم من الهدى إلى الضّلال ، وارتكابهم فيه ، وردّهم الحق ، ولجاجهم في الفتنة ، ﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢] ، ودَعْهم في طغيانهم يَعمَهون ، فتسمّع وتبصّر ، كأنك بهم عن قليل بين أسير وقتيل. أقبِل إلينا أنت وأصحابك مأجورين ، فقد أطعتم وسمعتم ، وأحسنتم البلاء؛ والسلام.

ونزل الناجيّ جانباً من الأهواز ، واجتمع إليه عُلوجٌ من أهلها كثير أرادوا كسر الخَراج ، ولصوصٌ كثيرة ، وطائفة أخرى من العرب تَرَى رأيَه[2]. (٥: ١٢١/ ١٢٢).

١١٨٨ ـ حدّثني عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا أبو الحسن عن عليِّ بن مجاهد ، قال : قال الشعبيّ : لما قتل عليٌّ عليه السلام أهلَ النّهروان ، خالفه قوم كثير ،

---

(١) إسناده تالف.

(٢) إسناده تالف.

وانتقضت عليه أطرافه ، وخالَفَه بنو ناجية ، وقدم ابن الحضرميّ البصرة ، وانتقض أهلُ الأهواز ، وطَمِع أهلُ الخراج في كسرِه ، ثم أخرجوا سهل بن حُنَيف من فارس ، وكان عامل عليٍّ عليها ، فقال ابن عبّاس لعليّ : أكفيك فارسَ بزياد ، فأمره عليٌّ أن يوجّهه إليها ، فقدِم ابن عباس البَصرةَ ، ووجّهه إلى فارسَ في جمع كثير ، فوطىء بهم أهل فارس ، فأدّوا الخراج[1] . (٥ : ١٢٢) .

١١٨٩ ـ فحدّثني عليّ بن الحسن الأزديّ ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن سليمان ، عن عبد الملك بن سعيد بن حاب ، عن الحرّ ، عن عمار الدّهنيّ ، قال : حدّثني أَبو الطُّفَيل ، قال : كنت في الجيش الذي بعثهم عليّ بن أبي طالب إلى بني نَاجِية ، فقال : فانتهينا إليهم ، فوجدناهم على ثلاثِ فِرَق ، فقال أميرنا لفرقة منهم : ما أنتم؟ قالوا : نحن قومٌ نصارى ، لم نر ديناً أفضلَ من ديننا ، فثبْتنا عليه ، فقال لهم : اعتزِلوا ، وقال للفرقة الأخرى : ما أنتم؟ قالوا : نحن كنّا نصارى ، فأسلَمْنا ، فثبتْنا على إسلامنا ، فقال لهم : اعتزِلوا؛ ثم قال للفرقة الأخرى الثالثة : ما أنتم؟ قالوا : نحن قومٌ كنّا نصارى ، فأسلمنَا ، فلم نَرَ ديناً هو أفضلُ من ديننا الأوّل؛ فقال لهم : أسلِموا. فأبَوا؛ فقال لأصحابه : إذا مسحتُ رأسي ثلاثَ مرّات؛ فشدّوا عليهم ، فاقتلوا المُقاتِلة ، واسبُوا الذّرّية ، فجيء بالذرّية إلى عليّ ، فجاء مَصقَلة بن هُبيرة ، فاشتراهم بمئتي ألف ، فجاء بمئةِ ألف فلم يقبلها عليّ ، فانطلق بالدراهم ، وعمَد إليهم مصقلة فأعتقَهم ولحق بمعاوية ، فقيل لعليّ : ألا تأخذ الذرّية؟ فقال : لا ، فلم يَعرِض لهم[2] .

(٥ : ١٢٥/١٢٦) .

١١٩٠ ـ قال أبو مخنف : وحدّثني الحارث بن كعب عن أبي الصّديق النّاجيّ : أنّ الخِرّيت يومئذ كان يقول لقومه : امنعوا حريمَكم ، وقاتِلوا عن نسائكم وأولادكم ، فوالله لئن ظهروا عليكم؛ ليقتلُنّكم ، وليسبُنّكم.

فقال له رجل من قومه : هذا والله ما جَنتْه علينا يَداك ولسانُك ، فقال : قاتِلوا

---

(١) إسناده مرسل.

(٢) إسناده ضعيف.

لله أنتم! سَبَق السيفُ العَذَل ، إيهاً والله لقد أصابت قومي داهية[١] ! (٥ : ١٢٧) .

١١٩١ ـ قال أبو مخنف : وحدّثني الحارث بن كعب عن عبد الله بن فُقَيْم ، قال : سار فينا معقِل فحرّض الناسَ فيما بين الميمنة والميسرة يقول : أيُّها الناس المسلمون ! ما تزيدون أفضلَ مما سِيق لكم في هذا الموقف من الأجر العظيم؛ إنّ الله ساقكم إلى قوم منعوا الصدقة ، وارتدّوا عن الإسلام ، ونكَثوا البيعة ظُلماً وعدواناً ، فأشهد لمن قُتل منكم بالجنة ، ومَنْ عاش فإنّ الله مُقِرٌّ عينَه بالفتح والغنيمة ! ففعل ذلك حتى مرّ بالناس كلِّهم ، ثم إنه جاء حتى وقف في القلْب برايته ، ثم إنه بعث إلى يزيد بن المغفل وهو في الميمنة : أنِ احملْ عليهم ، فَحمَل عليهم ، فثبَتوا وقاتلوا قتالاً شديداً ، ثمّ إنه انصرف حتى وقف موقِفه الذي كان به في الميمنة ، ثم إنه بعث إلى مِنْجاب بن راشد الضّبيّ وهو في الميسرة ، ثم إنّ مِنجاباً حَمَل عليهم ، فثَبَتُوا ، وقاتَلوا قتالاً شديداً طويلاً ، ثم إنه رجع حتى وقف في الميسرة ، ثم إنّ معقلاً بعث إلى الميمنة والميسرة : إذا حملتُ؛ فاحملوا بأجمعكم ، فحرّك رايتَه وهَزّها ، ثم إنه حمل وحمل أصحابُه جميعاً ، فصبروا ساعةً لهم ، ثم إنّ النعمان بن صُهْبان الراسبيّ من جَرْم بصُرَ بالخِرّيت بن راشد فحَمَل عليه ، فطَعَنه فصرعه عن دابّته ، ثم نزل وقد جَرَحه فأثْخنه ، فاختلَفا ضربتين ، فقتله النعمان بن صُهْبان ، وقُتِل معه في المعركة سبعون ومئة ، وذهبوا يميناً وشمالاً ، وبعث معقل بن قيس الخيلَ إلى رحالهم ، فسبَى مَن أدرك منهم ، فسبى رجالاً كثيراً ونساءً وصبياناً ، ثم نظر فيهم؛ فأمّا من كان مسلماً؛ فخلّاه ، وأخذ بيعته ، وترك له عيالَه ، وأما من كان ارتدّ فعرض عليه الإسلام ، فرجعوا ، وخلّى سبيلهم ، وسبيلَ عيالهم إلاّ شيخاً منهم نصرانيّاً يقال له : الرُّمَاحس بن منصور؛ قال : والله ما زَلَلْتُ منذ عقلتُ إلا في خروجي من ديني ، دينِ الصّدق إلى دينكم دينِ السوء ، لا والله لا أدع دِيني ، ولا أقرب دينكم ما حييت ! فقدّمه فضَرَب عنقَه ، وجمع معقل الناسَ ، فقال : أدُّوا ما عليكم في هذه السنين من الصدقة ، فأخذ من المسلمين عِقالَين ، وعمَد إلى النصارى ، وعيالِهم فاحتملهم مقبلاً بهم ، وأقبل المسلمون معهم يشيّعونهم ، فأمر معقل بردّهم ، فلما انصرفوا تصافحوا فبكوا ، وبكى الرجالُ والنساء بعضهم إلى

(١) إسناده تالف .

بعض. قال: فأشهد أنّي رحمتُهم رحمةً ما رحمتُها أحداً قبلَهم ولا بعدَهم.

قال: وكتب معقل بن قيس إلى عليّ: أما بعد، فإنّي أخبر أميرَ المؤمنين عن جُنْده وعدوّه؛ إنا دفعنا إلى عدونا بالأسياف فوجدنا بها قبائلَ ذات عِدّة، وحِدّة، وجِدّ، وقد جُمعت لنا، وتحزّبتْ علينا، فدعَوْناهم إلى الطاعة والجماعة، وإلى حُكم الكتاب والسنة، وقرأنا عليهم كتابَ أمير المؤمنين، ورفعنا لهم رايةَ أمان، فمالَتْ إلينا منهم طائفة، وبقيتْ طائفةٌ أخرى مُنابِذَة، فقبلنا من التي أقبلت، وصَمدْنا للتي أدبرتْ، فضرب الله وجوهَهم، ونُصِرنا عليهم؛ فأمّا من كان مسلماً؛ فإنا مننّا عليه، وأخذنا بيعتَه لأمير المؤمنين، وأخذنا منهم الصدقة التي كانت عليهم، وأما من ارتدّ؛ فإنا عرضنا عليه الرجوع إلى الإسلام، وإلا؛ قتلناه، فرجعوا غير رجل واحد، فقتلناه؛ وأما النصارى؛ فإنا سبيْناهم، وقد أقبلْنا بهم ليكونوا نكالاً لمن بعدهم من أهل الذمة، لكيلا يمنعوا الجزية، ولكيلا يجترئوا على قتال أهلِ القبلة، وهم أهل الصّغار والذلّ، رحمك الله يا أميرَ المؤمنين، وأوجَبَ لك جنّات النعيم! والسلام عليك.

ثم أقبل بهم حتى مرّ بهم على مصقلة بن هبيرة الشيبانيّ، وهو عاملُ عليّ على أردَشِير خُرّه، وهم خمسمئة إنسان، فبكى النساء والصبيانُ، وصاحَ الرجال: يا أبا الفضل، يا حاميَ الرجال، وفَكّاك العُناة، امنن علينا فاشترِنا، وأعتِقنا! فقال مصقَلة: أقسم بالله لأتصدّقنَ عليهم، إنّ الله يَجزِي المتصدّقين! فبُلِّغها عنه معقِل، فقال: والله لو أعلم أنه قاله توجُّعاً لهم، وزراءً عليكم؛ لضربتُ عنقَه، ولو كان في ذلك تفانِي تميم وبكْر بن وائل! ثم إن مصقلة بعث ذهل بن الحارث الذّهليّ إلى معقِل بن قيس فقال له: بِعني بني ناجية. فقال: نعم، أبيعك بألف ألف، ودفَعَهم إليه، وقال له: عجّل بالمال إلى أمير المؤمنين، فقال: أنا باعث الآن بصدر، ثم أبعثُ بصدر آخر كذلك، حتى لا يبقى منه شيء إن شاء الله تعالى. وأقبل معقل بن قيس إلى أمير المؤمنين وأخبره بما كان منه في ذلك، فقال له: أحسنتَ وأصبتَ، وانتظَرَ عليٌّ مصقلة أن يبعث إليه بالمال، وبلغ عليّاً: أنّ مصقلة خلّى سبيلَ الأسارى ولم يسألهم أن يُعينوه في فكاك أنفسهم بشيء، فقال: ما أظنّ مصقلة إلا قد تحمّل حَمالةً؛ ألا أراكم سترَوْنه عن قريب ملبّداً، ثم إنه كتب إليه: أمّا بعد، فإن من أعظم الخيانة خيانة

الأمة ، وأعظم الغِشّ على أهل المصر غشّ الإمام ، وعندك من حق المسلمين خمسمئة ألف ، فابعث بها إليّ ساعةَ يأتيك رسولي ، وإلا فأقبِل حين تنظرُ في كتابي ، فإني قد تقدّمت إلى رسولي إليك ألاّ يَدَعَك أن تقيمَ ساعة واحدة بعد قدومه عليك إلا أن تبعث بالمال ! والسلام عليك .

وكان الرسول أبو جُرّة الحنفيّ ، فقال له أبو جُرّة: إن يبعث بالمال الساعة وإلا فاشْخَصْ إلى أمير المؤمنين. فلما قرأ كتابه؛ أقبل حتى نزل البَصرة ، فمكث بها أياماً ، ثم إنّ ابن عباس سأله المال ، وكان عمّال البصرة يحملون من كُوَر البصرة إلى ابن عباس ، ويكون ابنُ عباس هو الذي يبعث به إلى عليّ؛ فقال له: نعم ، أنظِرني أياماً ، ثم أقبل حتى أتى علياً فأقرّه أياماً ، ثم سأله المال ، فأدّى إليه مئتي ألف ، ثم إنه عجز فلم يَقدِر عليه[1] . (٥ : ١٢٧/ ١٢٨/ ١٢٩) .

١١٩٢ ـ قال أبو مخنف: وحدّثني أبو الصّلت الأعور عن ذُهل بن الحارث ، قال: دعاني مَصْقلة إلى رَحْلِه ، فقُدّم عشاؤه ، فطَعِمْنا منه ، ثم قال: والله إن أميرَ المؤمنين يسألني هذا المال ، ولا أقدِر عليه ! فقلت: والله لو شئتَ ما مضت عليك جمعة حتى تجمع جميعَ المال؛ فقال: والله ما كنت لأحمّلَهَا قومي ، ولا أطلب فيها إلى أحد. ثم قال: أما والله لو أن ابنَ هند هو طالبني بها ، أو ابن عفان لتركها لي؛ ألم تر إلى ابنِ عفان حيث أطعَم الأشعثَ من خراج أذْرَبيجانَ مئة ألف في كلّ سنة! فقلت له: إنّ هذا لا يرى هذا الرأي ، لا والله ما هو بباذل شيئاً كنتَ أخذته ، فسكت ساعةً ، وسكت عنه ، فلا والله ما مكث إلا ليلةً واحدة بعد هذا الكلام حتى لحق بمعاوية. وبلغ ذلك علياً ، فقال: ماله برّحه اللهَ؛ فعَل فِعلَ السيِّد ، وفرّ فِرارَ العبد ، وخان خيانة الفاجر! أما والله لو أنه أقام فعجز ما زدنا على حبسه ، فإن وجدْنا له شيئاً أخذناه ، وإن لم نقدر على مال تركناه. ثم سار إلى داره فنقضها وهدّمها ، وكان أخوه نعيم بن هبيرة شيعيّاً ، ولعليٍّ مناصحاً ، فكتب إليه مصقلة من الشأم مع رجل من النصارى من بني تَغلِب يقال له حُلْوان:

أما بعد: فإني كلّمتُ معاويةَ فيك ، فوعَدَك الإمارة ، ومنّاك الكرامة ، فأقبِل إليَّ ساعةَ يلقاك رسولي إن شاء الله؛ والسلام.

---

(١) إسناده تالف.

فأخذه مالك بن كعب الأرحبيّ ، فسرّح به إلى عليّ ، فأخذ كتابه فقرأه ، فقطع يَد النصرانيّ ، فمات ، وكتب نُعيم إلى أخيه مَصْقَلة:

لا تَرْمِيَنَّ هَداكَ اللهُ مُعْتَرِضاً ... بالظَّنِّ مِنْك فما بالي وحُلوانا!
ذاك الحَريصُ على ما نالَ مِن طَمَعٍ ... وهْوَ البَعيدُ فلا يُحْزِنْك إذْ خانا
ماذا أَردْتَ إلى إرْسالِهِ سَفَهاً ... ترْجو سِقاطَ امْرِئٍ لمْ يُلْفَ وَسْنانا
عَرَّضْتَهُ لِعَليٍّ إنَّهُ أَسَدٌ ... يمشي العِرَضْنَةَ مِنْ آسادِ خَفّانا
قد كنْتَ في مَنْظَرٍ عن ذا ومُسْتَمَعٍ ... تحْمِي العراقَ وتُدْعى خَيْرَ شيْبانا
حَتَّى تَقَحَّمْتَ أَمْراً كنْتَ تكْرَهُهُ ... للرّاكبين لَهُ سِرّاً وإعلانا
لو كنْتَ أَدَّيْتَ ما للقَوْم مُصْطَبِراً ... للْحَقِّ أَحْيَيْتَ أَحيانَا ومَوْتانا
لكن لَحِقْتَ بأَهْلِ الشأمِ مُلتمِساً ... فضل ابن هِنْدٍ وذاك الرأيُ أَشجانا
فاليَوْمَ تَقْرَعُ سِنَّ الغُرْمِ من نَدَمٍ ... ماذا تَقولُ وقَدْ كان الذي كانا!
أَصْبحْتَ تُبْغِضُكَ الأَحياءُ قاطِبةً ... لم يَرْفَعِ اللهُ بالبَغْضاء إنسانا

فلما وَقَع الكتاب إليه عَلِم: أنّ رسوله قد هلك ، ولم يلبث التغلبيّون إلا قليلاً حتى بلغهم هلاكُ صاحبهم حُلوان ، فأتوا مصقلةَ فقالوا: إنك بعثتَ صاحبَنا فأهْلَكتَه ، فإما أن تُحييَه وإما أن تَدِيَه ، فقال: أمّا أن أحِييَه فلا أستطيع ، ولكنّي سأدِيه؛ فوَداه[1]. (٥: ١٢٩/ ١٣٠/ ١٣١).

١١٩٣ - قال أبو مخنف: وحدّثني عبد الرحمن بن جندَب ، قال: حدّثني أبي ، قال: لما بلغ عليّاً مصابُ بني ناجية ، وقتلَ صاحبهم؛ قال: هوتْ أمّه! ما كان أنقصَ عقلَه ، وأجرَأه على ربّه! فإنّ جائياً جاءني مرّة ، فقال لي: في أصحابك رجالٌ قد خشيتُ أن يفارقوك ، فما ترى فيهم؟ فقلت له: إنّي لا آخذ على التّهمة ، ولا أعاقب على الظنّ ، ولا أقاتل إلا من خالفني ، وناصَبَني ، وأظهر لي العداوة ، ولست مُقاتِلَه حتى أدعوَه وأعذرَ إليه ، فإن تاب ورجع إلينا؛ قبلْنا منه ، وهو أخونا ، وإن أبى إلا الاعتزامَ على حربنا؛ استعنّا عليه اللهَ ، وناجَزْناه. فكفّ عني ما شاء الله. ثم جاءني مرّة أخرى فقال لي: قد خشيت أن يَفسد عليك عبدُ الله بنُ وهب الراسبيّ وزيدُ بن حصين ، إني سمعتُهما يَذكرانك

(١) إسناده تالف.

بأشياء لو سمعتَها؛ لم تُفارِقْهما عليها حتى تقتلهما ، أو توبِقهما ، فلا تفارِقْهما من حبسِك أبداً ، فقلت : إنّي مستشيرك فيهما ، فماذا تأمرني به؟ قال : فإنّي آمرك أن تدعوَ بهما ، فتضربَ رِقابهما. فعلمت : أنه لاَ ورعٌ ولا عاقل ، فقلت : واللهِ ما أظنّك وَرِعاً ولا عاقِلاً نافعاً ، واللهِ لقد كان ينبغي لك لو أردت قتلَهم أن تقول : اتّق اللهِ ، لِم تستحلّ قتلَهم ولم يقتلوا أحداً ، ولم ينابذوك ، ولم يخرجوا من طاعتك[1] ! (٥ : ١٣١/ ١٣٢) .

واختُلف في عامله على خُراسان فقيل : كان خليد بن قرّة اليربوعيّ ، وقيل : كان ابن أبزَى؛ وأما الشأم ومصرَ فإنه كان بهما معاوية وعمّاله[2] . (٥ : ١٣٢) .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من الأحداث المذكورة :

تفريق معاوية جيوشه في أطراف عليّ

١١٩٤ ـ فوجّه النعمانَ بن بشير ـ فيما ذكر علي بن محمد بن عوانة ـ في ألفي رجل إلى عين التّمْر ، وبها مالك بن كعب مَسلَحةً لعليّ في ألف رجل ، فأذن لهم ، فأتَوا الكوفة ، وأتاه النعمان ، ولم يبق معه إلاّ مئة رجل ، فكتب مالكٌ إلى عليّ يخبرُه بأمرِ النعمان ومن معه ، فخطب عليٌّ النَّاس ، وأمَرَهم بالخُروج ، فتثاقلُوا ، وواقع مالك النعمان ، والنّعمان في ألفيْ رجل ومالك في مئة رجل ، وأمر مالك أصحابَه أن يجعلوا جَدْرَ القرية في ظهورهم ، واقتتلوا وكتب إلى مخْنف بن سُلَيْم يسأله أن يُمدّه وهو قريب منه ، فقاتلهم مالك بن كعب في العصابة التي معه كأشدّ القتال ، ووجّه إليه مخنَف ابنَه عبد الرحمن في خمسين رجلاً ، فانتهوْا إلى مالك وأصحابه ، وقد كسروا جفونَ سيوفهم ، واستقتَلوا ،

---

(١) إسناده تالف .

(٢) وقال خليفة بن خياط : (خراسان) وجّه إليها عون بن جعدة المخزومي فردّوه فبعث خليد بن قرة التميمي (تأريخ خليفة/ ١٩٩) .

فلما رآهم أهلُ الشأم وذلك عند المساء ، ظنّوا: أنّ لهم مدداً ، وانهزموا ، وتبِعهم مالك ، فقتل منهم ثلاثة نفر ، ومضَوْا على وجوههم.

رجع الحديث إلى حديث عوانة ، قال: ووجّه معاوية في هذه السنة سُفيانَ بن عوف في ستة آلاف رجل ، وأمره أن يأتيَ هِيت ، فيقطعها ، وأن يُغيرَ عليها ، ثم يمضي حتى يأتي الأنبار والمدائن فيوقعَ بأهلها ، فسار حتى أتى هِيت فلم يَجِد بها أحداً ، ثم أتى الأنبارَ وبها مَسلَحة لعليّ تكون خمسمئة رجل ، وقد تفرّقوا فلم يبقَ منهم إلا مئة رجل ، فقاتَلَهم ، فصبر لهم أصحابُ عليّ مع قلّتهم ، ثم حملت عليهم الخيلُ والرَّجالة ، فقتلوا صاحبَ المسلحة ، وهو أشرَس بن حسّان البكريّ في ثلاثين رجلاً ، واحتملوا ما كان في الأنبار من الأموال وأموالِ أهلها ، ورجعوا إلى معاوية ، وبلغ الخبر عليّاً ، فخرج حتى أتى النُّخَيلة ، فقال له الناس: نحن نكفيك! قال: ما تكفونني ولا أنفسكم. وسرّح سعيد بن قيس في أثر القوم ، فخرج في طلبهم حتى جاز هِيت ، فلم يلحقهم فرجع.

قال: وفيها وجّه معاوية أيضاً عبدَ الله بن مسعدة الفَزاريّ في ألف وسبعمئة رجل إلى تَيْماء ، وأمره أن يُصَدِّق مَن مرّ به من أهل البوادي ، وأن يقتل مَن امتنع من عطائه صدقة ماله ، ثم يأتي مكة والمدينة والحجاز ، يفعل ذلك ، واجتمع إليه بشرٌ كثير من قومه ، فلما بلغ ذلك عليّاً وجه المسيَّب بن نَجبَة الفَزاريّ؛ فسار حتى لحق ابن مسعدة بتَيْماء ، فاقتتلوا ذلك اليوم حتى زالت الشمس قتالاً شديداً ، وحمل المسيَّب على ابن مسعدة فضربه ثلاثَ ضَرَبات ، كلّ ذلك لا يلتمس قتله ، ويقول له: النَّجاء النَّجاء! فدخل ابن مسعدة وعامة مَن معه الحصن ، وهرَب الباقون نحو الشأم ، وانتهب الأعراب إبلَ الصّدقة التي كانت مع ابن مسعدة ، وحَصَره ومَن كان معه المسيَّب ثلاثة أيام ، ثم ألقى الحطَب على الباب ، وألقى النيرانَ فيه ، حتى احترق ، فلما أحسوا بالهلاك؛ أشرَفوا على المسيّب ، فقالوا: يا مسيّب ، قومك! فرقّ لهم ، وكرِه هلاكَهم ، فأمر بالنار فأطفئتْ ، وقال لأصحابه: قد جاءتني عيون فأخبرُوني: أنَّ جنداً قد أقبل إليكم من الشأم ، فانضمّوا في مكان واحد ، فخرج ابنُ مسعدة في أصحابه ليلاً حتى لحقوا بالشأم ، فقال له عبد الرحمن بن شبيب: سِرْ بنا في طلبِهم ، فأبى ذلك عليه ، فقال له: غششتَ أميرَ المؤمنين وداهنتَ في أمرهم.

وفيها أيضاً وجّه معاويةُ الضحّاك بنَ قيس ، وأمره أن يمرّ بأسفل واقِصة ، وأن يُغير على كلّ مَن مرّ به ممن هو في طاعة عليّ من الأعراب ، ووَجّه معه ثلاثة آلاف رجل ، فسار ، فأخذ أموالَ الناس ، وقتل من لقيَ من الأعراب ، ومرّ بالثّعلبيّة ، فأغار على مسالح عليّ ، وأخذ أمتِعتهم ، ومضى حتى انتهى إلى القُطْقُطانة ، فأتى عَمرو بن عميس بن مسعود ـ وكان في خيل لعليّ وأمامه أهله ، وهو يريد الحجّ ـ فأغار على من كان معه ، وحبسه عن المسير ، فلما بلغ ذلك عليّاً؛ سرّح حُجْر بن عديّ الكنديّ في أربعة آلاف ، وأعطاهم خمسين خمسين ، فلحق الضحّاك بتَدْمُر فقتل منهم تسعةَ عشرَ رجلاً ، وقتِل من أصحابه رجلان ، وحال بينهم الليل ، فهرب الضحاك وأصحابه ، ورجع حُجْر ومن معه.

وفيها سار معاوية بنفسه إلى دِجْلة حتى شارَفَها ، ثم نكص راجعاً ، ذكر ذلك ابن سعد عن محمد بن عمر ، قال: حدّثني ابن جريج ، عن ابن أبي مُلَيكة قال: لما كانت سنة تسع وثلاثين أشرَف عليها معاوية[1]. (٥: ١٣٣/ تكملة ١٣٤/ ١٣٥/ ١٣٦).

١١٩٥ ـ حدّثني عبدُ الله بن أحمدَ بن شبّوَيه المروزيّ ، قال: حدّثنا أبي ، قال: حدّثني سليمان عن عبد الله ، قال: حدّثني عبد الله بن أبي معاوية عن عمرو بن حسّان ، عن شيخ من بني فَزارة ، قال: بعث معاوية النعمان بن بشير في ألفين ، فأتوا عينَ التَّمْر ، فأغاروا عليها ، وبها عامل لعليّ يقال له ابن فلان الأرحبيّ في ثلاثمئة ، فكتب إلى عليّ يستمِدّه ، فأمر الناسَ أن ينهضوا إليه ، فتثاقلوا ، فصعِد المنبر ، فانتهيت إليه؛ وقد سبَقَني بالتشهّد وهو يقول:

يا أهلَ الكُوفة ! كلّما سمعتم بمِنسر من مناسر أهل الشأم أظلّكم وأغلقَ بابَه؛ انجَحَر كلّ امرىء منكم في بيته انجحارَ الضبّ في جُحْره ، والضّبع في وِجارِها؛ المغرورُ من غررتموه ، ولمَنْ فازَ بكم فاز بالسهم الأخيَب. لا أحرارٌ عند النداء ، ولا إخوانُ ثقة عند النّجاء ، إنا لله وإنا إليه راجعون! ماذا مُنِيتُ به منكم! عميٌّ لا تُبصِرون ، وبُكْمٌ لا تنطقون ، وصُمٌّ لا تَستَمعون إنا لله وإنا إليه راجعون[2] !. (٥: ١٣٣/ ١٣٤).

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

١١٩٦ ـ وحدّثني أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر مثله[١] . (٥ : ١٣٦).

١١٩٧ ـ واختلف فيمن حجّ بالناس في هذه السنة ، فقال بعضهم: حجّ بالناس فيها عبيد الله بن عبّاس من قبَل عليّ ، وقال بعضُهم: حجّ بهم عبد الله بن عباس؛ فحدّثني أبو زيد عمر بن شبّة ، قال: يقال: إنّ عليّاً وجّه ابنَ عباس ليشهد الموسم ، ويصلّي بالناس في سنة تسع وثلاثين ، وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرّهاويّ.

قال: وزعم أبو الحسن: أن ذلك باطل ، وأن ابنَ عباس لم يشهد المَوْسِم في عمل حتى قُتِل عليّ عليه السلام؛ قال: والذي نازعه يزيد بن شجرة قُثَم بن العباس ، حتى إنهما اصطلحا على شيبة بن عثمان ، فصلى بالناس سنة تسع وثلاثين[٢] . (٥ : ١٣٦).

١١٩٨ ـ وكالذي حكيت عن أبي زيد عن أبي الحسن ، قال أبو معشر في ذلك: حدّثني بذلك أحمد بن ثابت الرازيّ ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى عنه[٣] . (٥ : ١٣٦).

وقال الواقديّ: بعث عليّ على الموسم في سنة تسع وثلاثين عُبيد الله بن عباس ، وبعث معاوية يزيدَ بن شجرة الرهاويّ ليقيمَ للناس الحجّ ، فلما اجتمعا بمكّة تَنازَعا ، وأبَى كلُّ واحد منهما أن يسلّم لصاحبه ، فاصطَلَحا على شيبة بن عثمانَ بن أبي طلحة.

وكانت عمّال عليٍّ في هذه السنّة على الأمصار الذين ذكرْنا أنهم كانوا عمّالَه في سنة ثمان وثلاثين غير ابن عباس ، كان شَخَصَ في هذه السنة عن عمله بالبَصرة ، واستخلف زياداً ـ الذي كان يقال له: زياد بنُ أبيه ـ على الخرَاج ، وأبا الأسوَد الدُّؤَليّ على القضاء[٤] . (٥ : ١٣٦).

(١) في إسناده مبهم.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

ذكر توجيه ابن عباس زياداً إلى فارس وكرمان

وفي هذه السنة وجّه ابنُ عباس زياداً عن أمر عليّ إلى فارسَ وكِرْمان عند منصرَفه من عند عليّ من الكُوفة إلى البَصرة.

ذكر سبب توجيهه إياه إلى فارس:

١١٩٩ ـ حدّثني عمر، قال: حدّثنا عليّ؛ قال: لما قتل ابن الحضْرميّ، واختلف الناسُ على عليّ؛ طَمِع أهلُ فارسَ، وأهلُ كَرمانَ في كسْر الخراج، فغلب أهلُ كل ناحية على ما يليهم، وأخرجوا عمّالَهم[١]. (٥: ١٣٧).

١٢٠٠ ـ حدّثني عمر، قال: حدّثنا أبو القاسم عن سَلَمة بن عثمان، عن عليّ بن كثير: أنّ عليّاً استشار الناسَ في رجُل يولّيه فارسَ حين امتنعوا من أداء الخراج، فقال له جارية بن قدامة: ألا أدلّك يا أميرَ المؤمنين على رجل صليب الرأي، عالم بالسياسة، كافٍ لِمَا ولِيَ؟ قال: مَن هو؟ قال: زياد؛ قال: هو لها؛ فولّاه فارسَ، وكِرْمان، ووجّهه في أربعة آلاف، فدوّخ تلك البلادَ؛ حتى استقاموا[٢]. (٥: ١٣٧).

١٢٠١ ـ حدّثني عمر، قال: حدّثنا أبو الحسن عن عليّ بن مجاهد، قال: قال الشعبيّ: لما انتقَض أهلُ الجبال، وطمع أهلُ الخراج في كسره، وأخرَجوا سهلَ بن حنيف من فارسَ ـ وكان عاملاً عليها لعليّ ـ قال ابن عباس لعليّ: أكفيكَ فارسَ! فقدم ابنُ عباس البَصرة، ووجّه زياداً إلى فارسَ في جمع كثير، فوطِىء بهم أهلَ فارس، فأدَّوا الخَراج[٣]. (٥: ١٣٧).

١٢٠٢ ـ حدّثني عمر، قال: حدّثني أبو الحسن عن أيّوب بن موسى، قال: حدّثني شيخٌ من أهل إصْطَخْر قال: سمعتُ أبي يقول: أدركتُ زياداً وهو أميرٌ على فارسَ وهي تَضرَم ناراً، فلم يزل بالمُداراة؛ حتى عادوا إلى ما كانوا عليه من الطّاعة والاستقامة، لم يقفْ موقفاً للحرب، وكان أهل فارسَ يقولون: ما رأيْنا

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده مرسل.

سيرةً أشبه بسيرة كِسرَى أنوشِرْوان من سِيرة هذا العربيّ في اللين ، والمُداراة ، والعلم بما يأتي .

قال : ولما قدِم زياد فارسَ؛ بعث إلى رؤسائها ، فوعد مَن نَصرَه ومنّاه ، وخوّفَ قوماً وتوعَّدهم ، وضرب بعضَهم ببعض ، ودلّ بعضَهم على عورةِ بعض ، وهربتْ طائفة ، وأقامت طائفة ، فقتل بعضُهم بعضاً ، وصفتْ له فارس ، فلم يَلْقَ فيها جمعاً ولا حَرْباً ، وفعل مثلَ ذلك بكَرْمان ، ثم رجع إلى فارسَ ، فسار في كُوَرها ومنّاهم ، فسَكنَ الناسُ إلى ذلك ، فاستقامت له البلاد ، وأتى إصْطَخْرَ فنزلها ، وحصّن قلعةً بها ما بين بيضاء إِصْطَخْر وإِصْطَخْر ، فكانت تسمَّى قلعةَ زياد ، فحمل إليها الأموال ، ثم تحصّن فيها بعد ذلك منصور اليشكريّ ، فهي اليومَ تُسمَّى قلعةَ منصور[1]. (٥ : ١٣٧/١٣٨).

ثم دخلت سنة أربعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

١٢٠٣ ـ فمما كان فيها من ذلك توجيه معاوية بُسر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز .

فذُكر عن زياد بن عبد الله البَكّائيّ عن عَوانة ، قال : أرسل معاويةُ بنُ أبي سفيان بعد تحكيم الحَكَمين بُسرَ بنَ أبي أرطاة ـ وهو رجلٌ من بني عامر بن لؤيّ في جيش ـ فساروا من الشأم حتى قدموا المدينة ، وعاملُ عليّ على المدينة يومئذ أبو أيوبَ الأنصاريّ ، ففرّ منهم أبو أيوب ، فأتى علياً بالكوفة ، ودخل بُسر المدينة؛ قال : فصَعِد مِنبرَها ولم يقاتلْه بها أحد ، فنادى على المنبر : يا دينار ، ويا نجّار ، ويا زُريق ، شَيْخي شَيْخي! عهدي به بالأمس ، فأين هو! يعني عثمانَ ، ثمّ قال : يا أهل المدينة ! واللهِ لولا ما عهد إليّ معاويةُ ما تركتُ بها محتلِماً إلاّ قتلته ! ثم بايَعَ أهلَ المدينة ، وأرسل إلى بني سلِمة ، فقال : والله مالكم عندي من أمان ولا مبايَعة حتى تأتوني بجابر بنِ عبد الله ، فانطلق جابر إلى أمّ سَلَمة زوج النبيّ ﷺ فقال لها : ماذا تَرَيْن؟ إنّي قد خشيتُ أن أقتل ، وهذه بَيْعة ضلالة ، قالت : أرى أن تبايعَ ، فإنّي قد أمرت ابني عمر بن أبي سَلَمة أن يبايع ،

---

(١) في إسناده مجهولان .

وأمرتُ خَتَنِي عبد الله بن زَمْعة ـ وكانت ابنتها زينب بنة أبي سَلَمة عند عبد الله بن زمعة ـ فأتاه جابرٌ فبايعه ، وهدّم بُسْر دُوراً بالمدينة ، ثم مضى حتى أتى مكة ، فخافه أبو موسى أن يقتلَه ، فقال له بُسر: ما كنتُ لأفعلَ بصاحب رسولِ الله ﷺ ذلك؛ فخلّى عنه ، وكتب أبو موسى قبل ذلك إلى اليَمن: إنّ خيلاً مبعوثةً من عند معاوية تَقتُل الناس ، تقتُل مَن أبَى أن يقرّ بالحكومة. ثم مضى بُسر إلى اليَمَن ، وكان عليها عبيد الله بن عباس عاملاً لعليّ ، فلما بلغه مسيرُه فرّ إلى الكوفة حتى أتى عليّاً ، واستخلف عبدَ الله بن عبد المَدان الحارثيّ على اليَمَن ، فأتاه بُسر فقتله ، وقتل ابنَه ، ولقي بُسر ثَقَل عبيد الله بن عباس ، وفيه ابنان له صغيران ، فذبَحهما ، وقد قال بعض الناس: إنه وجد ابني عبد الله بن عباس عند رجل من بني كنانةَ من أهل البادية ، فلما أراد قتلَهما قال الكنانيّ: علامَ تَقتُل هذين ولا ذنب لهما! فإن كنتَ قاتِلَهما فاقتلني ، قال: أفعل؛ فبدأ بالكنانيّ فقتله ، ثم قتلَهما ثمّ رجع بُسْر إلى الشأم ، وقد قيل: إنّ الكنانيّ قاتل عن الطفلين حتى قُتِل ، وكان اسمُ أحدِ الطفلين اللذَين قتلَهما بُسْر: عبد الرحمن ، والآخر قُثَم. وقَتل بُسر في مسيره ذلك جماعةً كثيرةً من شِيعة عليٍّ باليمن. وبلغ عليّاً خبرُ بُسر ، فوجّه جارية بنِ قُدامة في ألفين ، ووهْب بن مسعود في ألفين ، فسار جارية حتى أتى نَجْرانَ فحرّق بها ، وأخذ ناساً من شِيعة عثمانَ فقتلهم ، وهَرَب بُسْر وأصحابُه منه ، وأتبعهم حتى بلغ مكة ، فقال لهم جارية: بايعونا؛ فقالوا: قد هلك أميرُ المؤمنين ، فلمن نبايع؟ قال: لمن بايَعَ له أصحابُ عليّ ، فتثاقلوا: ثمّ بايعوا. ثمّ سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلّي بهم ، فهرب منه ، فقال جارية: واللهِ لو أخذتُ أبا سِنَّوْر لضربتُ عنقَه ، ثم قال لأهل المدينة: بايِعوا الحسنَ بن عليّ: فبايَعوه وأقام يومَه ، ثم خرج منصرِفاً إلى الكوفة ، وعاد أبو هريرة فصلَّى بهم[١]. (٥: ١٣٩/ ١٤٠).

وفي هذه السنة ـ فيما ذكر ـ جرتْ بين عليٍّ وبين معاويةَ المهادنة ـ بعد مكاتبات جرتْ بينهما يطول بذكرها الكتاب ـ على وَضْعِ الحرب بينهما ، ويكون لعليٍّ العراق ولمعاويةَ الشأم ، فلا يدخل أحدُهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غَزْو.

---

(١) إسناده ضعيف.

١٢٠٤ ـ قال زياد بنُ عبد الله عن أبي إسحاق: لما لم يعطِ أحدُ الفريقين صاحبَه الطاعةَ كتب معاويةُ إلى عليّ: أما إذا شئتَ فلك العراق وليَ الشأم، وتكفّ السيف عن هذه الأمة، ولا تُهَرِيق دماءَ المسلمين؛ ففعل ذلك، وتراضَيا على ذلك، فأقام معاوية بالشأم بجنوده يَجْبيها وما حولها، وعليٌّ بالعراق يَجبيها ويقسمها بين جنوده[1]. (٥: ١٤٠).

خروج ابن عباس من البصرة إلى مكة

وفيها خرج عبدُ الله بن العباس من البَصرة ولحق مكة في قول عامة أهلِ السِّيَر، وقد أنكر ذلك بعضُهم، وزعَم أنه لم يَزَلْ بالبصرة عاملاً عليها من قِبَل أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام حتى قُتِل، وبعد مَقتَل عليّ حتى صالح الحسن معاوية، ثمّ خرج حينئذ إلى مكة.

ذكر الخبر عن سبب شخوصه إلى مكة وتركه العراق:

١٢٠٥ ـ حدّثني عمرُ بنُ شبّة، قال: حدّثني جماعة عن أبي مخنف عن سليمان بن أبي راشد، عن عبد الرحمن بن عُبيد أبي الكُنود، قال: مرّ عبدُ الله بنُ عباس على أبي الأسود الدّؤليّ، فقال: لو كنتَ من البهائم كنتَ جَمَلاً، ولو كنتَ راعياً ما بلغتَ من المرعى، ولا أحسنتَ مهنته في المشْي. قال: فكتب أبو الأسود إلى عليّ:

أما بعد، فإنّ الله جلّ وعلا جعلك والياً مؤتمناً، وراعياً مستولياً، وقد بلوناك فوجدْناك عظيمَ الأمانة، ناصحاً للرعية، توفر لهم فَيْئهُم، وتَظْلَف نفسَك عن دنياهم، فلا تأكل أموالَهم، ولا ترتشي في أحكامهم، وإنّ ابنَ عمّك قد أكل ما تحت يديه بغير عِلمك، فلَمْ يَسعْني كتمانُك ذلك، فانظر رحمك الله فيما هناك، واكتب إليّ برأيك فيما أحببتَ أنتهِ إليك، والسلام.

فكتب إليه عليّ: أما بعْد، فمِثلك نصح الإمامَ والأمة، وأدّى الأمانة، ودلّ على الحقّ، وقد كتبتُ إلى صاحبك فيما كتبتَ إليّ فيه من أمرِه، ولم أعلِمه أنك

---

(١) إسناده ضعيف.

كتبتَ ، فلا تَدَع إعلامي بما يكون بحضرتك مما النظر فيه للأمة صلاحٌ ، فإنك بذلك جدير ، وهو حقٌّ واجب عليك؛ والسلام.

وكتبَ إلى ابن عباس في ذلك ، فكتب إليه ابنُ عباس: أما بعد ، فإن الذي بلغك باطل ، وإني لِمَا تحت يدي ضابط قائم له وله حافظ ، فلا تصدِّق الظنون؛ والسلام.

قال: فكتب إليه عليّ: أما بعد ، فأعلِمني ما أخذتَ من الجزية ، ومِن أين أخذت؟ وفيم وضعت؟

قال: فكتب إليه ابنُ عباس: أما بعد ، فقد فهمتُ تعظيمَك مَرْزَأة ما بلغك أنّي رَزَأتُه من مال أهلِ هذا البلد ، فابعث إلى عملك مَنْ أحببت ، فإنّي ظاعنٌ عنه ، والسلام.

ثم دعا ابن عباس أخوالَه بني هلال بن عامر ، فجاءه الضحّاك بن عبد الله ، وعبد الله بن رَزِين بن أبي عمرو الهلاليّان ، ثم اجتمعت معه قيس كلُّها فحمل مالاً[١]. (٥: ١٤١/١٤٢).

١٢٠٦ ـ قال أبو زيد: قال أبو عبيدة: كانت أرزاقاً قد اجتمعتْ ، فحمل معه مقدار ما اجتمع له ، فبعثت الأخماس كلها ، فلحقوه بالطَّفّ ، فتواقَفوا يريدون أخذَ المال ، فقالت قيس: واللهِ لا يُوصَل إلى ذلك وفينا عينٌ تَطرف. وقال صَبرة بن شيمان الحُدّانيّ: يا معشر الأَزْد! واللهِ إنّ قيساً لإخوانُنا في الإسلام ، وجيرانُنا في الدار ، وأعوانُنا على العدوّ! وإنّ الذي يصيبكم من هذا المال لو رُدّ عليكم لقليل ، وهم غداً خيرٌ لكم من المال. قالوا: فما ترى؟ قال: انصرِفوا عنهم ودَعُوهم ، فأطاعوه فانصرفوا؛ فقالت بكر ، وعبد القيس: نعم الرأيُ رأيُ صَبِرة لقومه ، فاعتزَلوا أيضاً ، فقالت بنو تميم: والله لا نفارقهم؛ نقاتلهم عليه. فقال الأحنف: قد ترك قتالَهم من هو أبعدُ منكم رَحماً؛ فقالوا: واللهِ لنقاتلنّهم! فقال: إذاً لا أساعدكم عليهم ، فاعتزلَهم؛ قال: فرأّسوا عليهم ابن المُجّاعة من بني تميم ، فقاتَلوهم ، وحمل الضحّاك على ابن المُجّاعة فطعنه ، واعتَنَقه عبد الله بن رَزِين ، فسَقَطا إلى الأرض يعتَرِكان ، وكثرت الجراح فيهم ولم يكن

---

(١) إسناده تالف.

بينهم قتيل؛ فقالت الأخماس: ما صنعْنا شيئاً، اعتزلْناهم وتركْناهم يتحاربون، فضربوا وجوهَ بعضِهم عن بعض، وقالوا لبني تميم: لنحن أسخَى منكم أنفساً حين تركْنا هذا المال لبني عمِّكم، وأنت تقاتلونهم عليه، إن القومَ قد حَملَوا وحُموا، فخَلّوهم، وإن أحببتم فانصرِفوا، ومضى ابنُ عباس ومعه نحو من عشرين رجلاً حتى قدِم مكّة[1]. (٥: ١٤٢).

١٢٠٧ ـ وحدّثني أبو زيد، قال: زعم أبو عبيدةَ ـ ولم أسمعه منه ـ: أنّ ابن عباس لم يبرحْ من البَصرة حتى قُتل عليّ عليه السلام، فشخص إلى الحسن، فشهد الصّلحَ بينه وبين معاوية، ثم رجع إلى البصرة وثَقَلُه بها، فَحملَه ومالاً من بيت المال قليلاً؛ وقال: هي أرزاقي.

قال أبو زيد: ذكرتُ ذلك لأبي الحسن فأنكرَه، وزعمَ: أنّ عليّاً قُتل؛ وابن عباس بمكة، وأنّ الذي شهد الصلح بين الحسن ومعاوية عبيدُ الله بن عباس[2]. (٥: ١٤٣).

ذكر الخبر عن مقتل علي بن أبي طالب

[illegible] وكذلك قال الواقديّ: حدّثني بذلك الحارث، عن ابن سعد عنه، وأما أبو زيد فحدّثني عن عليّ بن محمد: أنه قال: قُتِل عليُّ بنُ أبي طالب بالكُوفة يومَ الجمعة لإحدى عشرة. قال: ويقال: لثلاث عشرة بقيتْ من شهر رمضان سنة أربعين. قال: وقد قيل: في شهر ربيع الآخر سنة أربعين[3]. [illegible].

ذكر الخبر عن سبب قتله ومقتله:

[illegible] حدّثني موسى بن عثمان بن عبد الرحمن المسروقيّ، قال: حدّثنا عبد الرحمن الحرانيّ أبو عبد الرحمن، قال: أخبَرَنا إسماعيل بن راشد، قال: كان من حديث ابن مُلجَم وأصحابه: أنّ ابن ملجم، والبُرَك بن عبد الله، وعمرو بن بكر التميميّ اجتمعوا، فتذاكَروا أمرَ الناس، وعابوا على وُلاتهم، ثم

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) في إسناده الواقدي وهو متروك.

ذكروا أهلَ النّهر ، فترحَّموا عليهم ، وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدَهم شيئاً! إخوانُنا الذين كانوا دُعاةَ الناس لعبادة ربّهم ، والذين كانوا لا يخافون في الله لومةَ لائم ، فلو شَرَيْنا أنفسَنا فأتينا أئمّة الضلالة فالتمسْنا قتلَهم ، فأرحْنا منهم البلاد ، وثأرْنا بهم إخوانَنا! فقال ابن مُلجَم : أنا أكفيكم عليّ بن أبي طالب ـ وكان من أهل مصرَ ـ وقال البُرَك بن عبد الله : أنا أكفيكم معاويةَ بنَ أبي سُفْيان؛ وقال عمرو بن بكر : أنا أكفيكم عَمرَو بنَ العاص ، فتعاهَدوا وتواثَقوا بالله لا يَنكُص رجل منّا عن صاحبه الذي توجّه إليه حتى يَقتلَه ، أو يموت دونَه ، فأخذوا أسيافَهم ، فسمُّوها واتَّعَدوا لسبع عشرة تخلو من رمضانَ أن يثبَ كلُّ واحد منهم على صاحبه الذي توجّه إليه ، وأقبل كلّ رجل منهم إلى المِصْرِ الذي فيه صاحبُه الذي يَطلب.

فأما ابنُ ملجَم المُراديّ فكان عداده في كِنْدة ، فخرج فلقيَ أصحابَه بالكوفة ، وكاتَمهم أمرَه كراهة أن يُظهروا شيئاً من أمره ، فإنه رأى ذاتَ يوم أصحاباً من تَيْمِ الرِّباب ـ وكان عليٌّ قَتَل منهم يوم النهر عشرةً ـ فذكروا قَتْلاهم ، ولقَى من يومه ذلك امرأةً من تيم الرِّباب يقال لها : قَطام ابنة الشِّجْنَة ـ وقد قَتَل أباها وأخاها يوم النهر ، وكانت فائقةَ الجمال ـ فلما رآها؛ التبستْ بعَقله ، ونسي حاجتَه التي جاء لها؛ ثم خطبها ، فقالت : لا أتزوّجك حتى تَشفي لي ! قال : وما يشفيك؟ قالت : ثلاثة آلاف ، وعبد ، وقينة ، وقتل عليّ بن أبي طالب ، قال : هو مهرٌ لك ، فأمّا قتل عليٍّ فلا أراكِ ذكرتِه لي وأنت تريديني! قالت : بلَى ، التمس غرّته ، فإن أصبت؛ شفيتَ نفسك ونفسي ، ويَهنِئك العيشُ معي ، وإن قُتِلت؛ فما عنَد الله خيرٌ من الدنيا ، وزينتها ، وزينة أهلها؛ قال : فوالله ما جاء بي إلى هذا المِصْر إلا قتلُ عليّ ! فلك ما سألتِ. قالت : إنّي أطلب لك من يُسند ظهرَك ، ويساعدُك على أمرك ، فبعثتْ إلى رجل من قومها من تَيْم الرِّباب يقال له : وَرْدان ، فكلّمته ، فأجابها ، وأتى ابن ملجم رجلاً من أشجع يقال له : شبيب بن بَجرَة فقال له : هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟! قال : وما ذاك؟ قال : قتلُ عليّ بن أبي طالب؛ قال : ثكلتْك أمُّك! لقد جئتَ شيئاً إدّاً ، كيف تقدر على عليّ! قال : أكمُن له في المسجد ، فإذا خرج لصلاة الغداة شدَدْنا عليه فقَتلْناه ، فإن نجوْنا؛ شفَيْنا أنفسَنا ، وأدركْنا ثأرَنا ، وإن قُتِلنا فما عند الله خيرٌ من الدنيا وما فيها ، قال : وَيحك! لو كان غير عليٍّ؛ لكان أهوَن عليّ ، قد عرفتَ بلاءَه في الإسلام ،

وسابقَتَه مع النبيّ ﷺ وما أجدني أنشرِح لقتله. قال: أما تعلم: أنه قتل أهلَ النهر العبّاد الصالحين! قال: بلى! قال: فنقتله بمن قَتل من إخواننا. فأجابه ـ فجاؤوا قَطام ـ وهي في المسجد الأعظم معتكِفة ـ فقالوا لها: قد أجمع رأينا على قتل عليّ؛ قالت: فإذا أردتم ذلك؛ فائتوني، ثم عاد إليها ابن ملجَم في ليلة الجمعة التي قُتل في صبيحتها عليّ سنة أربعين ـ فقال: هذه الليلة التي واعدتُ فيها صاحبيّ أن يقتل كلّ منا صاحبه، فدعت لهم بالحرير؛ فعصَبتْهم به، وأخذوا أسيافَهم؛ وجلسوا مقابل السدّة التي يَخرج منها عليّ، فلما خرج؛ ضربه شبيبٌ بالسيف، فوقع سيفه بعِضادة الباب، أو الطّاق، وضَرَبَه ابنُ ملجَم في قَرْنه بالسيف، وَهرَب وَرْدان حتى دخل منزلَه، فدخل عليه رجل من بني أبيه وهو ينزع الحريرَ عن صدره، فقال: ما هذا الحرير والسيف؟! فأخبره بما كان وانصرف فجاء بسيفه فعلا به وَرْدان حتى قتَله، وخرج شبيب نحو أبواب كِنْدة في الغَلَس، وصاح الناس، فلحقه رجل من حضرموتَ يقال له: عُوَيْمر، وفي يد شبيب السيف، فأخذه، وجَثم عليه الحضرميّ، فلما رأى الناسَ قد أقبلوا في طلبه، وسيفُ شبيب في يده خشيَ على نفسه، فتركه، ونجا شبيب في غُمار الناس، فشدّوا على ابن ملجم فأخذوه، إلاّ أنّ رجلاً من هَمْدان يُكنّى أبا أدْماء أخذَ سيفه فضرب رجله، فصَرَعه، وتأخّر عليّ، ورفع في ظهره جَعْدة بن هبيرة بن أبي وَهْب، فصلّى بالناس الغَدَاة، ثم قال عليّ: عليَّ بالرجل، فأُدْخِل عليه، ثم قال: أي عدوّ الله! ألم أحسِن إليك؟! قال: بلى! قال: فما حملك على هذا؟ قال: شحذتُه أربعين صباحاً، وسألتُ الله أن يقتل به شرّ خلقه؛ فقال عليه السلام: لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا مِن شرّ خلقه[1]. (٥: ١٤٣/ ١٤٤/ ١٤٥).

١٢١٠ ـ وذكروا: أن ابن مُلجَم قال قبل أن يَضرب عليّاً ـ وكان جالساً في بني بكْر بن وائل؛ إذ مُرّ عليه بجنازة أبجر بن جابر العجلّي أبي حجّار، وكان نصرانيّاً، والنصارى حولَه، وأناس مع حجّار لمنزلته فيهم يمشون في جانب وفيهم شقيق بن ثور ـ فقال ابن ملجم: ما هؤلاء؟ فأُخبِر الخبر، فأنشأ يقول:

---

(١) إسناده معضل، وقال المحدث الألباني: وهذا إسناد ضعيف معضل؛ فإن إسماعيل بن راشد هذا وهو السلمي الكوفي من أتباع التابعين مجهول الحال.

لئن كان حَجّارُ بنُ أَبْجرَ مُسْلِماً لقد بُوعِدَتْ منه جنازةُ أَبْجرِ
وإن كان حجّارُ بنُ أبجرَ كافراً فما مِثْلُ هذا من كَفُورٍ بمُنْكَرِ
أَتَرْضَوْنَ هذا أَنَّ قَيْساً ومُسلِماً جميعاً لدى نَعشٍ ، فَيا قُبْحَ مَنْظَرِ!
فلولا الَّذي أَنوِي لَفَرَّقْتُ جَمْعَهمْ بأَبْيَضَ مَصْقولِ الدِّياسِ مُشَهَّرِ
ولكنني أَنوِي بِذاك وسيلَةً إلى الله أو هذا فخُذ ذاك أَو ذَرِ

وذكر: أنّ محمد بن الحنفيَّة ، قال: كنتُ والله إني لأصلِّي تلك الليلةَ التي ضُرب فيها عليّ في المسجد الأعظم في رجال كثير من أهل المِصْر ، يصلون قريباً من السدّة ، ما هم إلاّ قيام وركوعٌ وسجود ، وما يسأمون من أوّل الليل إلى آخره؛ إذ خرج عليّ لصلاة الغَداة ، فجعل ينادِي: أيُّها الناس ! الصلاةَ الصلاة! فما أدري أخرج من السُّدّة فتكلّم بهذه الكلمات أم لا! فنظرتُ إلى بريق ، وسمعتُ: الحكْم لله يا عليّ ! لا لك ولا لأصحابك ، فرأيت سيفاً ، ثم رأيت ثانياً ، ثم سمعتُ عليّاً يقول: لا يفوتنّكم الرجل ، وشدّ الناس عليه من كلّ جانب. قال: فلم أبرح حتى أُخذ ابنُ مُلجَم ، وأدخِل على عليّ ، فدخلت فيمن دخل من الناس ، فسمعتُ عليّاً يقول: النَّفْس بالنفس ، إن أنا ؛ مِتّ فاقتلوه كما قتَلَني ، وإن بقيتُ؛ رأيت فيه رأيي.

وذكر: أنّ الناس دخلوا على الحسن فَزِعين لِما حدث من أمر عليّ ، فبينما هم عنده وابن ملجم مكتوفٌ بين يديه ، إذ نادته أمُّ كُلثوم بنت عليّ؛ وهي تبكي: أي عدوّ الله ! لا بأسَ على أبي ، والله مخزيك! قال: فعلى مَن تبكين؟ والله لقد اشتريتُه بألف ، وسَممْته بألف ، ولو كانت هذه الضّربة على جميع أهلِ المِصْر ما بقيَ منهم أحد.

وذكر: أن جُندَب بن عبد الله دخل على عليّ فسأله ، فقال: يا أمير المؤمنين ! إنْ فَقَدناك ـ ولا نَفْقِدك ـ فنُبايع الحسن؟ فقال: ما آمركم ، ولا أنهاكم ، أنتمْ أبصر. فردّ عليه مثلَها ، فدعا حسناً ، وحسيناً ، فقال: أوصيكما بتقوى الله ، وألاّ تَبغِيا الدنيا؛ وإن بَغتْكما ، ولا تَبكيا على شيء زُوِي عنكما ، وقُولاَ الحقّ ، وارحما اليتيم ، وأغيثا الملهوف ، واصنَعا للآخرة ، وكونا للظالم خَصْماً ، وللمظلوم ناصراً ، واعْمَلا بما في الكتاب ، ولا تأخذْكما في الله لومة لائم. ثم نظر إلى محمد بن الحنفيّة ، فقال: هل حفظتَ ما أوصيتُ به أخوَيْك ؟ قال:

نعم، قال: فإني أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخوَيك، لعظيم حقِّهما عليك، فاتبع أمرَهما، ولا تقطع أمراً دونَهما. ثم قال: أوصيكُما به، فإنه شقيقكما، وابنُ أبيكما، وقد علمتما: أن أباكما كان يحبّه، وقال للحسن: أوصيك أي بُنَيَّ بتقوى الله، وإقامِ الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلّها، وحسنِ الوضوء، فإنه لا صلاة إلّا بطَهور، ولا تُقبَل صلاة من مانع زكاة، وأوصيكَ بغَفْر الذنب، وكَظْم الغيظ، وصلة الرِّحم، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبُّت في الأمر، والتعاهُد للقرآن، وحسن الجِوار، والأمرِ بالمعروف، والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش.

فلما حضرتْه الوفاة؛ أوصىَ، فكانت وصيَّته:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصَى به عليّ بن أبي طالب، أوصَى: أنه يَشْهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسلَه بالهدى ودينِ الحق ليظهرَه على الدِّين كله ولو كره المشركون، ثم إنّ صلاتي ونُسُكي وَمحيايَ ومماتي لله رب العالمين، لا شريكَ له وبذلك أمِرت وأنا من المسلمين؛ ثمّ أوصيك يا حسن وجميعَ ولدي وأهلي بتقوى الله ربّكم، ولا تموتُنّ إلاّ وأنتم مسلمون، واعتَصِموا بحبلِ الله جميعاً ولا تَفرَّقوا، فإنّي سمعت أبا القاسمﷺ يقول: «إن صلاحَ ذات البين أفضلُ من عامّة الصلاة والصيام»! انظروا إلى ذوِي أرحامِكم فصلوهم يهوّن الله عليكم الحساب، اللهَ الله في الأيتام! فلا تُعنوا أفواهَهم، ولا يضيعُنّ بحضرتكم. واللهَ اللهَ في جيرانكم! فإنّهم وصية نبيِّكمﷺ، ما زال يُوصِي به حتى ظننّا أنه سيورِّثه. واللهَ اللهَ في القرآن! فلا يسبقَنّكم إلى العملِ به غيرُكم. واللهَ الله في الصَّلاة، فإنّها عمود دِينكم، واللهَ الله في بيتِ ربّكم فلا تُخلُّوه ما بقيتم، فإنه إن تُرِك لم يناظر، واللهَ الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم! والله الله في الزّكاة! فإنها تطفىء غضبَ الربّ، واللهَ الله في ذمّة نبيكم! فلا يُظْلمُنّ بين أظهركم، واللهَ الله في أصحاب نبيّكم! فإنّ رسول الله أوصَى بهم، واللهَ الله في الفقراء والمساكين! فأشرِكوهم في معايشكم، واللهَ الله فيما ملكتْ أيمانكم! الصلاةَ الصلاةَ لا تخافُنّ في الله لومة لائم، يكفيكم من أرادكم، وبَغَى عليكم. وقولُوا للنّاس حُسْناً كما أمركم الله، ولا تَترُكُوا الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن

المنكر فيولّى الأمر شِراركم ، ثم تَدْعُون فلا يُستجاب لكم ، وعليكم بالتواصل والتباذُل ، وإيّاكم والتدابر والتقاطُع والتفرّق ، وتعاوَنوا على البِرّ والتقوى ، ولا تَعاوَنوا على الإثم والعدوان ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر : ٧]. حفظكم الله من أهلِ بيت ، وحفظ فيكم نبيَّكم ، أستودِعكم الله ، وأقرأ عليكم السلامَ ورحمةَ الله .

ثم لم ينطق إلا «بلا إله إلا الله» حتى قُبِض رضيَ الله عنه ، وذلك في شهر رمضان سنة أربعين ، وغسّله ابناه الحسن ، والحسين ، وعبد الله بن جعفر ، وكُفِّن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ، وكَبّر عليه الحسن تسع تكبيرات ، ثم وَلِيَ الحسن ستة أشهر .

وقد كان عليٌّ نهى الحَسَن عن المُثْلة ، وقال : يا بني عبد المطلب ! لا ألفينّكم تخوضون في دماءَ المسلمين ، تقولون : قُتِل أمير المؤمنين ، قُتِل أمير المؤمنين! ألا لا يقتَلنّ إلا قاتلي . انظر يا حسن؛ إنْ أنا مِتّ من ضربتِه هذه فاضربه ضربةً بضربة ، ولا تمثل بالرّجل ، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ : يقول : «إياكم والمُثْلة ، ولو أنها بالكلب العَقور» . فلمّا قُبض عليه السلام؛ بعث الحسن إلى ابن ملجم ، فقال للحسن : هل لك في خصلة؟ إني والله ما أعطيتُ الله عهداً إلا وفيتُ به ! إني كنت قد أعطيت الله عهداً عند الحَطيم أن أقتل عليّاً ، ومعاويةَ ، أو أموتَ دونهما ، فإن شئتَ خلّيتَ بيني وبينه ، ولك الله عليّ إن لم أقتله ، أو قتلته ، ثم بقيت أن آتيَك حتى أضعَ يدي في يدك . فقال له الحسن : أما والله حتى تعاين النارَ فلا ، ثم قدّمه فقَتلَه ، ثم أخذه الناسُ فأدرجوه في بواريّ ، ثم أحرَقوه بالنار .

وأما البُرَك بن عبد الله؛ فإنه في تلك الليلة التي ضرب فيها عليٌّ قعد لمعاوية ، فلما خرج ليصلّي الغداةَ شدّ عليه بسيفه ، فوقع السيف في أَلْيَته ، فأخِذ ، فقال : إنّ عندي خيراً أسرُّك به ، فإن أخبرتُك فنافعي ذلك عندك؟ قال : نعم؛ قال : إنّ أخاً لي قَتَل عليّاً في مثل هذه الليلة ، قال : فلعله لم يقدر على ذلك! قال : بلى ! إنّ عليّاً يخرج ليس معه من يحرُسه؛ فأمر به معاوية فقُتِل ، وبعث معاويةُ إلى الساعديّ ـ وكان طبيباً ـ فلما نظر إليه قال : اخْتر إحدى خَصلتين : إما أن أحميَ حديدةً فأضعَها موضعَ السيف ، وإمّا أن أسقيَك شربةً تَقطع منك الولَد ، وتبرأ منها ، فإنّ ضَرْبتك مسمومة ، فقال معاوية : أمّا النار فلا

صبرَ لي عليها ، وأما انقطاعِ الولد فإنّ في يزيد ، وعبد الله ما تَقرّ به عيني ، فسقاه تلك الشربة فبرأ ، ولم يولَد له بعدها ، وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات ، وحَرَس الليل ، وقيام الشُّرْطة ، على رأسه إذا سَجَد.

وأما عمرو بن بكر؛ فجلس لعَمرو بن العاص تلك الليلة ، فلم يَخرج ، وكان اشتكى بطنَه ، فأمر خارجة بن حُذافة ، وكان صاحب شُرطته ، وكان من بني عامر بن لؤيّ ، فخرجَ ليصلّي ، فشدّ عليه وهو يرى: أنه عمرو، فضَرَبه، فقتله ، فأخذه الناس ، فانطَلَقوا به إلى عَمرو يسلّمون عليه بالإمْرة ، فقال: مَن هذا؟ قالوا: عمرو؛ قال: فمن قتلتُ؟ قالوا: خارجة بن حُذافة ، قال: أمَا والله يا فاسق ما ظننتُه غيرَك ! فقال عَمرو: أردْتني وأراد الله خارجة ، فقدّمه عمرو فقَتلَه ، فبلغ ذلك معاوية ، فكتب إليه:

وقَتْلٌ وأَسبابُ المَنايا كثيرةٌ ... منيَّةُ شيخٍ من لؤيِّ بنِ غالِبِ
فيا عمرُو مَهلاً إنما أَنت عَمُّهُ ... وصاحبُهُ دون الرجالِ الأَقارِبِ
نحَوْتَ وقد بَلَّ المُراديُّ سَيْفَهُ ... منِ ابن أَبي شَيخِ الأَباطِح طالِبِ
ويضرِبُني بالسيفِ آخَرُ مِثْلهُ ... فكانَتْ علينا تلك ضربَةَ لازِبِ
وأَنتَ تُناغي كلَّ يوم وليلةٍ ... بِمِصْرِك بيضاً كالظِّباءِ السَّوارِبِ

ولما انتهى إلى عائشةَ قتلُ عليّ ـ رضي الله عنه ـ قالت:

فأَلقتْ عَصاهَا واستقرَّتْ بها النَّوَى ... كما قَرَّ عيناً بالإِيابِ المُسافِرُ

فمن قتله؟ فقيل: رجل من مُراد؛ فقالت:

فإن يَكُ نائياً فلقد نَعاهُ ... غُلامٌ ليس في فيهِ التُّرابُ

فقالت زينب ابنة أبي سَلَمة: أَلِعليّ تقولين هذا؟ فقالت: إني أنسَى ، فإذا نسيتُ فذكّروني ، وكان الذي ذهب بنعيه سُفيان بنُ عبدِ شمس بن أبي وقّاص الزُّهريّ ، وقال ابن أبي ميّاس المراديّ في قتل عليّ:

ونحن ضرَبنا يا لكَ الخيْرُ حَيْدَرا ... أبا حَسَنٍ مأْمومَةً فتَفَطَّرا
ونحن خلعْنا مُلكَهُ من نِظامِهِ ... بضربةِ سيفٍ إذْ عَلاَ وتَجبَّرَا
ونحن كِرامٌ في الصَّباح أَعِزَّةٌ ... إذا الموتُ بالموتِ ارْتَدى وتأَزَّرا

وقال أيضاً:

ولم أرَ مَهْراً ساقَهُ ذو سَماحَةٍ ... كمْهرِ قَطامِ من فصيحٍ وأَعجَم

ثـلاثـةُ آلافٍ وعبـدٌ وقَيْنَـةٌ وضَـرْبُ علـيّ بـالحُسـام المُصَمّـم
فـلا مَهْـرَ أغلَـى مـن علـيٍّ وإن غَـلاَ ولا قَتْـلَ إلاّ دون قَتْـلِ ابْـنِ مُلْجَـمِ

وقال أبو الأسوَد الدّؤليّ :

ألا أبْلِـغْ معـاويَـةَ بـنَ حَـرْبٍ فـلا قَـرَّتْ عيـونُ الشـامِتِينـا
أفـي شهـرِ الصِّيـامِ فَجَعْتُمُـونـا بخيْـرِ النـاس طُـرّاً أجْمَعينـا!
قَتَلْتُـمْ خيـرَ مَـن رَكِـبَ المَطـايـا ورحَّلَهـا ومـن ركـب السَّفينـا
ومـن لبِـسَ النِّعـالَ ومـن حَـذاهـا ومـن قـرأ المَثـانِـيَ والمُبينـا
إذا اسْتَقْبَلْـتَ وجْـهَ أبـي حُسيْـنٍ رأيـتَ البـدرَ راعَ النـاظِـرينـا
لقـد علمَـتْ قـريشٌ حيـثُ كـانَـتْ بـأنَّـكَ خيْـرُهـا حَسَبـاً ودِينـا

واختُلِف في سنّه يومَ قُتل، فقال بعضهم: قُتل وهو ابن تسع وخمسين سنة [١]. (٥: ١٤٥/١٤٦/١٤٧/١٤٨/١٤٩/١٥٠/١٥١).

١٢١١ ـ وحدّثت عن مصعب بن عبد الله، قال: كان الحسن بن عليّ يقول: قُتل أبي وهو ابن ثمان وخمسين سنة [٢]. (٥: ١٥١).

١٢١٢ ـ وحدّثنا عن بعضهم، قال: قُتل وهو ابن خمس وستين سنة [٣]. (٥: ١٥١).

١٢١٣ ـ حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابن سعد، قال: أخبرَنا محمد بن عمر، قال: ضُرِب عليّ عليه السلام ليلة الجمعة، فمكث يومَ الجمعة وليلةَ

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف جداً، وكذلك أخرج الطبراني في الكبير (١/ح ١٦٦) عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: توفي علي وهو ابن ثمان وخمسين وأورده الهيثمي في المجمع (٩/ ١٤٥) وقال: رجاله رجال الصحيح.
قلنا: وليس كذلك ففي إسناده حسين بن زيد بن علي وهو ضعيف فقد ضعفه ابن المديني وابن معين وأبو حاتم ووثقه الدارقطني وحده (تحرير التقريب ١/ت ١٣٢١) وأخرجه الحاكم (٣/ ١٤٤) وسكت عنه وكذلك الذهبي وصحح عبد السلام علوش إسناده وليس كذلك فمحمد بن علي بن الحسين أرسل عن جديه الحسن والحسين وجده الأعلىٰ علي (جامع التحصيل/ت ٧٠٠) وراجع ما كتبنا عن هذه الرواية في قسم الصحيح (٥/ ١٥١) والله أعلم.

(٣) إسناده ضعيف.

السبت ، وتوفّي ليلةَ الأحد لإحدَى عشرةَ ليلة بقيتْ من شهر رمضانَ سنة أربعين وهو ابن ثلاث وستين سنة [1]. (٥ : ١٥٢).

ذكر الخبر عن صفته

١٢١٤ - حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا ابن سعد ، قال: أخبَرنا محمد بن عمر ، قال: حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فَرْوة ، قال: سألت أبا جعفر محمد بن عليّ ، قلت: ما كانت صفة عليّ عليه السلام؟ قال: رجلٌ آدَم شديد الأُدْمة ثقيلُ العَيْنين عظيمُهما ، ذو بطن ، أصلَع ، هو إلى القِصَر أقرَب [2]. (٥ : ١٥٣).

ذكر الخبر عن أزواجه وأولاده

١٢١٥ - وأما الواقديّ فإنه قال فيما حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا ابن سعد ، قال: أخبَرنا الواقديّ: أن أسماء ولدتْ لعليٍّ يحيى ، وعوناً ابني عليّ. ويقول بعضهم: محمّد الأصغر لأمّ ولد ، وكذلك قال الواقديّ في ذلك؛ وقال: قتل محمد الأصغر مع الحسين [3]. (٥ : ١٥٤).

حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا ابن سعد عن الواقديّ ، قال: كان النسل من ولد عليّ الخمسة: الحَسَن ، والحسين ، ومحمد بن الحنفيّة ، والعباس بن الكلابيَّة ، وعمر بن التغلبيَّة [4]. (٥ : ١٥٥).

ذكر بعض سيره عليه السلام

١٢١٦ - حدّثني يونس بن عبد الأعلى ، قال: أخبَرَنا وَهْب ، قال: أخبرني ابن أبي ذِئْب عن عباس بن الفَضْل مولَى بني هاشم ، عن أبيه ، عن جدّه ابن

---

(١) في إسناده الواقدي ، وهو متروك.

(٢) في إسناده الواقدي وهو متروك ، وهو في طبقات ابن سعد كذلك من طريق الواقدي (الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٢٧) وأخرجه الخطيب كذلك من طريق الواقدي (تأريخ بغداد/ ١/ ١٣٥).

(٣) ضعيف.

(٤) ضعيف.

أبي رافع: أنه كان خازناً لعليّ عليه السلام على بيت المال، قال: فدخل يوماً وقد زُيّنت ابنته، فرأى عليها لؤلؤةً من بيت المال قد كان عرفها، فقال: من أين لها هذه؟ لله عليّ أن أقطع يَدَها؛ قال: فلما رأيتُ جِدّه في ذلك؛ قلتُ: أنا والله يا أميرَ المؤمنين زَيّنتُ بها ابنةَ أخي! ومن أين كانت تَقدر عليها لو لم أعطِها! فسَكَت[1]. (٥: ١٥٦).

١٢١٧ ـ حدّثني إسماعيل بن موسى الفَزاريّ، قال: حدّثنا عبد السلام بن حرب، عن ناجية القرشيّ، عن عمّه يزيد بن عديّ بن عثمان، قال: رأيت عليّاً عليه السلام خارجاً من هَمْدان، فرأى فئتين يقتتلان، ففرّق بينهما، ثم مضى فسمع صوتاً: يا غوثا بالله! فخرج يُحضِر نحوَه حتى سمعتُ خَفْقَ نعلِه؛ وهو يقول: أتاك الغَوْث؛ فإذا رجل يلازم رجلاً، فقال: يا أمير المؤمنين! بعتُ هذا ثوباً بتسعةِ دراهم، وشرطتُ عليه ألاّ يعطيَني مغموزاً ولا مقطوعاً ـ وكان شرطهم يومئذ ـ فأتيتُه بهذه الدراهم ليبدِّلها لي فأبَى، فلَزِمته، فلَطَمني، فقال: أبدِلْه؛ فقال: بيِّنتَك على اللّطمة؛ فأتاه بالبينة، فأقعده ثم قال: دونَك فاقتصّ؛ فقال: إنّي قد عفوتُ يا أمير المؤمنين! قال: إنما أردتُ أن أحتاط في حقّك، ثم ضرب الرجلَ تسعَ دِرّات، وقال: هذا حقّ السلطان[2]. (٥: ١٥٦/ ١٥٧).

١٢١٨ ـ حدّثني محمد بن عمارة الأسديّ، قال: حدّثنا عثمان بن عبد الرحمن الأصبهانيّ، قال: حدّثنا المسعوديّ عن ناجية، عن أبيه، قال: كنا قياماً على باب القصر؛ إذ خرج عليٌّ علينا، فلما رأيناه؛ تنحّينا عن وجهه هيبةً له، فلما جاز؛ صِرْنا خلفه، فبينا هو كذلك؛ إذ نادى رجل: يا غوثا بالله! فإذا رجلان يقتَتِلان، فَلكَز صدرَ هذا وصدرَ هذا، ثم قال لهما: تنحّيا، فقال أحدهما: يا أمير المؤمنين! إنّ هذا اشترى مني شاةً، وقد شرطتُ عليه ألاّ يعطيَني مغموزاً ولا محذَّقاً، فأعطاني دِرْهماً مغموزاً، فرددتُه عليه، فلَطَمني. فقال للآخر: ما تقول؟ قال: صَدقَ يا أميرَ المؤمنين! قال: فأعطه شرطَه، ثم قال لِلاّطِم: اجلِس، وقال لِلمَلْطوم: اقتصّ. قال: أوَ أعفو يا أميرَ المؤمنين؟! قال: ذاك إليك؛ قال: فلما جاز الرجل قال عليّ: يا معشر المسلمين! خذوه.

---

(١) في إسناده العباس بن فضل مجهول، وفي متنه نكارة.

(٢) في إسناده من ليس له ترجمة، وفي متنه نكارة.

قال: فأخذوه ، فحُمِل على ظهرِ رجل كما يُحمل صبيان الكتّاب ، ثم ضربه خمسَ عشرةَ دِرّة ، ثم قال: هذا نكالٌ لِما انتهكتَ من حرمتِه[١]. (٥ : ١٥٧).

١٢١٩ - حدّثني ابن سنان القزّاز ، قال: حدّثنا أبو عاصم ، قال: حدّثنا سُكَين بن عبد العزيز ، قال: أخبَرَنا حفص بن خالد ، قال: حدّثني أبي خالد بن جابر ، قال: سمعتُ الحسن يقول: لما قُتِل عليّ عليه السلام وقد قام خطيباً ، فقال: لقد قتلتم الليلةَ رجلاً في ليلة فيها نزل القرآن ، وفيها رُفع عيسى بن مريمَ عليه السلام ، وفيها قُتل يوشع بن نون فتَى موسى عليهما السلام ، والله ما سبَقه أحد كان قبله ، ولا يدركُه أحد يكون بعدَه ، والله إن كان رسولُ الله ﷺ ليبعثه في السريّة؛ وجبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، واللهِ ما ترك صَفراءَ ، ولا بيَضاءَ إلا ثمانمئة - أو سبعمئة - أرصَدَها لخادمه[٢]. (٥ : ١٥٧).

ذكر بيعة الحسن بن عليّ

١٢٢٠ - وفي هذه السنة - أعني: سنة أربعين - بويع للحسن بن عليّ عليه السلام بالخلافة؛ وقيل: إنّ أوّل مَن بايعه قيس بن سعد ، قال له: ابسُط يَدك أبايعْك على كتاب الله عزّ وجلّ ، وسنّة نبيّه ، وقتال المُحِلّين! فقال له الحسن رضي الله عنه: على كتاب الله وسنّة نبيّه؛ فإنّ ذلك يأتي من وراء كلّ شَرْط؛ فبايَعَه ، وسَكَت. وبايَعَه الناس.

وحدّثني عبد الله بن أحمد بن شبّويه المروزيّ ، قال: حدّثنا أبي قال: حدّثنا سليمان ، قال: حدّثنا عبد الله عن يونس ، عن الزُّهريّ ، قال: جعل عليّ عليه السلام قيس بن سعد على مقدّمته من أهلِ العراق إلى قبَل أذْرَبيجان ، وعلى أرضها وشُرْطة الخميس الذي ابتدعه من العرب ، وكانوا أربعين ألفاً ، بايعوا عليّاً

(١) في إسناده من لم نجد له ترجمة.

(٢) في إسناده محمد بن سنان القزاز ضعيف وسكين يروي عن الضعفاء ، وأخرج الحاكم نحوه من طريق آخر وسكت عنه (المستدرك ٣/ ١٧٢).
وقال الذهبي: ليس بصحيح.
قلنا: وفي إسناده الحاكم حريث.

عليه السلام على الموت ، ولم يزل قيس يدارِىء ذلك البعثَ حتى قُتل عليّ عليه السلام؛ واستَخلَف أهل العراق الحسنَ بن عليّ عليه السلام على الخلافة ، وكان الحسن لا يرى القتال ، ولكنه يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية ، ثم يدخل في الجماعة ، وعرف الحسن: أنّ قيس بن سعد لا يوافقه على رأيه ، فنزعه وأمّر عبيد الله بنَ عبّاس ، فلما علم عبد الله بن عباس بالذي يريد الحسن عليه السلام أن يأخذه لنفسه كتب إلى معاوية يسأله الأمان ، ويشترط لنفسه على الأموال التي أصابها ، فشرط ذلك له معاوية(١) .

١٢٢١ - وحدّثني موسى بن عبد الرحمن المسروقيّ ، قال: حدّثنا عثمان بن عبد الحميد أو ابن عبد الرحمن الحرّانيّ الخزاعيّ أبو عبد الرحمن ، قال: حدّثنا إسماعيل بن راشد ، قال: بايع الناسُ الحسنَ بن عليّ عليه السلام بالخلافة ، ثم خرج بالناس حتى نزل المدائن ، وبعث قيسَ بن سعد على مقدّمته في اثني عشر ألفاً ، وأقبل معاويةُ في أهل الشأم حتى نزل مَسكِن ، فبينا الحسن في المدائن إذ نادى مناد في العسكر: ألا إنّ قيسَ بنَ سعد قد قُتِل ، فانفِرُوا ، فنفروا ونَهبُوا سُرادِق الحسن عليه السلام حتى نازَعوه بِساطاً كان تحته ، وخرج الحسن حتى نزل المقصورةَ البيضاء بالمدائن ، وكان عمّ المختار بن أبي عُبيد عاملاً على المدائن ، وكان اسمه سعد بن مسعود ، فقال له المختار وهو غلام شابّ: هل لك في الغِنَى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: تُوثِق الحسن ، وتَستأمِن به إلى معاوية ، فقال له سعد: عليك لعنةُ الله ، أثِبُ على ابن بنتِ رسول الله ﷺ فأوثِقه! بئس الرجل أنت! فلما رأى الحسنُ عليه السلام تفرُّقَ الأمر عنه بَعَث إلى معاوية يطلب الصّلحَ ، وبعث معاويةُ إليه عبدَ الله بن عامر ، وعبد الرحمن بن سُمرة بن حبيب بن عبد شمس ، فقَدِما على الحسن بالمدائن ، فأعطيَاه ما أراد ، وصالَحاه على أن يأخذ من بيت مالِ الكوفة خمسة آلاف ألف في أشياءَ اشترطها ، ثم قام الحسن في أهل العراق فقال: يا أهل العراق ! إنه سَخَّى بنفسي عنكم ثلاث:

---

(١) إسناده مرسل ضعيف ، فيونس وإن كان ثقة ففي مروياته عن الزهري مناكير كما قال أحمد ، ولعلّ أوهامه عن الزهري ظهرت هنا في الروايات التأريخية إضافة إلىٰ أن مراسيل الزهري شبه لا شيء والله أعلم.
وفي هذا المتن زيادات علىٰ أصل بيعة الحسن ولم يتابع.

قتلُكم أبي ، وطعنُكم إيايّ ، وانتهابُكم مَتاعي .

ودخل الناس في طاعة معاوية ، ودخل معاوية الكوفةَ ، فبايعه الناس[(١)] . (٥ : ١٥٧) .

١٢٢٢ - قال زياد بن عبد الله : عن عوانة ، وذكر نحوَ حديث المسروقيّ ، عن عثمان بن عبد الرحمن هذا ، وزاد فيه : وكتب الحسن إلى معاوية في الصلح ، وطلب الأمان ، وقال الحسن للحسين ولعبد الله بن جعفر : إني قد كتبتُ إلى معاوية في الصلح وطلب الأمان ؛ فقال له الحسين : نشدْتُك اللهَ أن تصدِّق أحدوثةَ معاوية ، وتكذّب أحدوثةَ عليّ! فقال له الحسن : اسكُت ، فأنا أعلم بالأمر منك ، فلمّا انتهى كتابُ الحسن بن عليّ عليه السلام إلى معاوية ؛ أرسل معاويةُ عبد الله بن عامر ، وعبد الرحمن بن سَمُرة ، فقَدِما المدائن ، وأعطيا الحسن ما أرادَ ، فكتب الحسن إلى قيس بن سعد وهو على مقدّمته في اثني عشر ألفاً يأمره بالدّخول في طاعة معاوية ، فقام قيس بن سعد في الناس فقال : يا أيّها الناس ! اختاروا الدخولَ في طاعة إمامِ ضلالة ، أو القتال مع غير إمام ؛ قالوا : لا ، بل نختار أن ندخل في طاعة إمام ضلالة . فبايَعوا لمعاوية ، وانصرف عنهمْ قيس بن سعد ، وقد كان صالَح الحسنُ معاوية على أن جعل له ما في بيت ماله وخراج دارا بجرد على ألاَّ يُشتمَ عليٌّ وهو يسمَع ، فأخذ ما في بيت مالِه بالكوفة ، وكان فيه خمسة آلاف ألف[(٢)] . (٥ : ١٦٠) .

١٢٢٣ - وحجّ بالناس في هذه السنة المغيرةُ بن شُعْبة ، حدثني موسى بن عبد الرحمن ، قال : حدّثنا عثمان بن عبد الرحمن الخُزاعيّ أبو عبد الرحمن ، قال : أخبرنا إسماعيل بن راشد قال : لما حضر الموسم - يعني في العام الذي قُتِل فيه عليّ عليه السلام - كتب المغيرةُ بن شعبة كتاباً افتعلهُ على لسان معاوية ، فأقام

---

(١) في إسناده إسماعيل بن راشد مجهول الحال ، وفي متنه نكارة ولم نجد رواية صحيحة تؤكد أن جيش الحسن بن علي قد نهبوا متاعه ، وأضف إلى ذلك فإن الحسن لم يعمد إلىٰ الصلح بعد أن تفرق عليه أتباعه بل الروايات الصحيحة تؤكد أن أهل العراق أحبوا الحسن حباً كبيراً واجتمع له مالم يجتمع لأبيه من الجيوش فلما رأىٰ جيش معاوية ذلك هالهم الأمر وسارعوا إلى إرسال الرسل طلباً للصلح كما ذكرنا في قسم الصحيح .

(٢) إسناده ضعيف جداً وفي متنه نكارة ، ولم نجد لتفاصيل هذه الرواية ما يقويها في رواية صحيحة والله أعلم .

للناس الحجّ سنة أربعين ، ويقال : إنّه عرّف يوم التروية ، ونحر يوم عرفة ، خوفاً أن يفطن بمكانه ، وقد قيل : إنه إنما فعل ذلك المغيرة لأنه بلغه أن عُتبة بن أبي سُفيان مصبّحه والياً على الموسم ، فعجل الحجّ من أجل ذلك[١] .

* * *

(١) في إسناده إسماعيل بن راشد مجهول ، وقال الحافظ ابن كثير معقباً على هذه الرواية :
وهذا الذي نقله ابن جرير لا يقبل ولا يظن بالمغيرة ذلك وإنما نبهنا على ذلك ليعلم أنه باطل فإن الصحابة أجل قدراً من هذا ولكن هذه نزعة شيعية (البداية والنهاية ٨/ ١٧) .

فهرس الموضوعات